لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته""[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

قائمة الموضوعات

- (أ) فلك وفيزياء:
  - الثقوب السوداء
    - التكوير ١٥.81
  - الجاذبية
    - لقمان ١٦.31
  - الحياة الذكية خارج الأرض
    - الفاتحة ٢.1
    - الرعد ١٥.13
    - الشورى ٢٩.42
  - الذرة
    - يونس ٦١.10
    - سبأ ٣.34
  - السراب
    - النور ٣٩.24
  - السوبرنوفا والنجوم النابضة
    - الطارق ١.86
  - الغلاف المغناطيسي
    - الرعد ١٠.13
  - الفوتون
    - النور ٣٥.24
  - النسيج الكوني
    - الذاريات ٧.51
  - النيازك
    - هود ٨١.11
  - انهيار الكون
    - محمد ١٨.47
  - خلق الكون
    - البقرة ١٦٤.2
    - الفرقان ٦١.25
    - العنكبوت ٢٠.29
    - الحديد ٢٥.57
    - النازعات ٢٧.79
  - سرعة الضوء
    - الحج ٤٧.22
    - السجدة ٥.32
    - المعارج ٤.70
  - ظلمة الفضاء
    - الحجر ١٤.15
  - كروية الأرض وحركتها
    - النحل ٤٨.16
    - الزمر ٥.39
  - مدار الشمس
    - يس ٣٧.36
  - مواقع النجوم
    - الواقعة ٧٥.56
  - نسبية حركة الأجرام الفلكية
    - الأنعام ٩٦.6

- (٢) أرصاد جوية:
  - البرق
    - 13الرعد١٢.
  - الرياح
    - 17الإسراء٦٩..
  - السحاب الانبساطي
    - 30الروم٤٨.
  - السقف المحفوظ
    - 21الأنبياء٣٢.
  - الشهب والنيازك
    - 67الملك٥.
  - الضغط الجوي
    - 6الأنعام١٢٥.
  - العاصفة النارية
    - 2البقرة٢٦٦.
  - الغلاف الجوي
    - 2البقرة٢٩.
    - 65الطلاق١٢.
    - 86الطارق١١.
  - تلوث البيئة
    - 30الروم٤١.
  - تمدد الجو
    - 81التكوير١٧.
  - سحب الركام
    - 2البقرة١٩.

- (٣) جيولوجيا:
  - الألواح القارية
    - 13الرعد٤.
    - 27النمل٨٨.
    - 86الطارق١٢.
  - الجبال
    - 78النبأ٦.
  - القشرة الأرضية
    - 2البقرة٢٢.
  - المياه الجوفية
    - 23المؤمنون١٨.
  - دورة الماء
    - 2البقرة٧٤.

- (٤) بحار:
  - الكتل البحرية
    - 55الرحمن١٩.
  - صدع منتصف المحيط
    - 18الكهف٨٦.
    - 52الطور٦.
  - ظلمة أعماق المحيط
    - 24النور٤٠.
  - لؤلؤ المياه العذبة
    - 35فاطر١٢.
  - مصبات الأنهار
    - 25الفرقان٥٣.
- (٥) جغرافيا:
  - البيزنطيين والفرس
    - 30الروم١.
  - وادي النيل وسيناء
    - 2البقرة٦١.
- (٦) طب:
  - أطراف الأصابع
    - 8الأنفال١٢.
  - الإستشفاء بالإيمان
    - 23المؤمنون١.
  - الأمراض الجنسية
    - 17الإسراء٣٢.
  - البصمة
    - 75القيامة٣.
  - الحيض
    - 2البقرة٢٢٢.
    - 2البقرة٢٢٣.
  - السمنة
    - 7الأعراف٣١.
  - الشيخوخة
    - 36يس٦٨.
  - الصيام
    - 2البقرة١٨٣.
  - الغدد العرقية
    - 7الأعراف١٧٥.
  - النهايات العصبية
    - 4النساء٥٦.
    - 47محمد١٥.
  - آلية الإبصار
    - 2البقرة١٧.
  - لحم الخنزير
    - 6الأنعام١٤٥.
  - وظائف المخ
    - 2البقرة٧.
    - 2البقرة١٨.
    - 5المائدة٦.
    - 96العلق١٥.

- (٧) أجنة:
  - تميز جنين الجنين
    - 7الأعراف١٨٩.
  - خلق الجنين
    - 23المؤمنون١٢.
    - 71نوح١٣.
    - 76الإنسان٢.
    - 77المرسلات٢٠.
  - علامات الحمل
    - 2البقرة٢٢٨.
    - 2البقرة٢٣٤.
  - غيض الأرحام
    - 13الرعد٨.
  - نشأة الذرية
    - 86الطارق٥.
- (٨) أحياء:
  - الإبل
    - 88الغاشية١٧.
  - البعوض
    - 2البقرة٢٦.
  - الحركة البراونية
    - 41فصلت٣٩.
  - الذباب
    - 22الحج٧٣.
  - السلوك الرشيد الموروث
    - 87الأعلى١.
  - العنكبوت
    - 29العنكبوت٤١.
  - الموت المبرمج
    - 67الملك٢.
  - النحل
    - 16النحل٦٨.
  - اليخضور
    - 6الأنعام٩٩.
  - تصنيف حيوانات الحظيرة
    - 16النحل٥.
  - تطور وسائل النقل
    - 16النحل٨.
  - نشأة الكائنات الحية
    - 21الأنبياء٣٠.
  - ورقة النبات
    - 2البقرة٢٦٥.

- (٩) آثار:
  - التوحيد في مصر القديمة
    - 10يونس١٩.
  - سفينة نوح
    - 11هود٤٤.
  - مزايا ومساوئ النيل
    - 7الأعراف١٣٣.

- (١٠) أديان:
  - آداب الحرب في الإسلام
    - 2البقرة٢٥٦.
  - التثليث
    - 4النساء١٧١.
  - تحريف الأسفار
    - 2البقرة٧٩.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
١الفاتحة:٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ١الفاتحة:١-٤.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

All praise is to GOD of the (habitable innumerable Earth-like) **Worlds** (like our own world)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

بيتنا المعمور أو أرضنا المأهولة بالمُؤَهَّلِين بالفكر الرشيد؛ ليست سوى ثمرة واحدة من فرع أكبر مستمد من فروع أكبر من أكبر تفيض بعناقيد النجوم؛ وشجرة العنب لا تنتج ثمرة واحدة، ووجود ثمار مماثلة لا يغيب عن أصحاب الفكر، وتصعب نشأة حياة على أحد كواكب المجموعة الشمسية غير الأرض؛ أقرب أو أبعد عن الشمس، لكن الاحتمال كبير لوجود أمثالها في الكون تعمر بأشكال من الحياة كما تعمر الأرض بالأنام، والبناء الهائل لا يتصور صنعه ليسكنه الخواء؛ فالاقتدار في صنع الوجود وتنظيمه أعظم من أن يكتفي بالأرض في كل الكون الشاسع الأرجاء، والقدرة الخلاقة التي أوجدت الإنسان وأبدعت في الأرض الذكاء قادرة على إنجازه في صرح الكون الفسيح البناء، هكذا تَنَادى الباحثون بضرورة وجود حضارات عاقلة خارج الأرضExtra-Terrestrial Intelligence (ETI)؛ وإن حجبت بينها الحواجز الزمنية نتيجة المسافات الهائلة وحدية سرعة الانتقال في الفضاء، ومنذ أن وضع الإنسان قدمه على سطح القمر في ٢٠ يوليو عام ١٩٦٩ وأنجز الكثير من الانتصارات في كشف المجهول؛ والتسابق قائم على قدم وساق بين مختلف فروع العلوم الفلكية في ثورة محمومة للعثور على دليل مادي ملموس، وإذا كان وجود ما لا يُحصى من الحضارات خارج كوكب الأرض هو احتمال وارد اليوم؛ فقد سبق إليه القرآن الكريم.

فتلمس ما يحقق سبق القرآن ويؤيد حدس العلماء من وجود حضارات قد يفوق بعضها بني آدم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ ١٧الإسراء:٧٠، وللفطين أن يسأل متطلعاً للسماء: فأين القليل إذن المفضلون على بني آدم أهل الأرض؟، وفي التعبير: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٧؛ ولفظ الخلق يشمل المكلفين في ربوع الكون؛ خاصة أن نفي الغفلة عن الذات العلية في سياق الخلق يقترن في كل النصوص بعمل المكلفين: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢البقرة:٧٤ و٨٥ و١٤٠ و١٤٩، و٣آل عمران:٩٩، ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ٢البقرة:١٤٤، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ١١هود:١٢٣ والنمل:٩٣، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ٦الأنعام:١٣٢، ويشي النظم بشيوع مظاهر الحياة النباتية والحيوانية والفكر والعبادة في الكون الرحيب، يقول تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ٢٧النمل:٢٥، قال النسفي: "(الْخَبْءَ): سُمِّيَ المخبوء بالمصدر"[٣]، وقال البيضاوي: "إخراجه إظهاره؛ وهو يعم.. إنزال الأمطار وإنبات النبات"[٤]، خاصة لاقتران فعل الإخراج في القرآن الكريم بالنبات، وقال الطبري: "يَعْنِي بِذَلِكَ: يُظْهِرُهُ"[٥]، والسؤال: من حرث وبذر إذن في السماوات وقام بري الزرع حتى خرج النبات يحمل الثمر كما يحدث في الأرض؟، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩؛ كلمة (فِيهِمَا) تثنية ولا تحتمل التأويل وتعني صريحًا وجود أجناس من الأحياء تدب على أسطح كواكبها في السماوات كما ندب نحن ومواشينا على سطح الأرض، ولا يمكن صرف كلمة (دَابَّةٍ) عن ظاهرها في الدلالة على كائنات ذات أعضاء للحركة سواء منها العاقل أو غير العاقل، ولا يمكن صرفه إلى الملائكة وهي من المعنويات لا الحسيات بخلاف الدواب؛ خاصة مع التمييز بينهما صريحًا: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٩، والتعبير: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ تعليقه على المشيئة العلية يرجح احتمال التواصل بطريقة ما بين سكان الأرض وسكان إحدى الضواحي القريبة نسبيا في السماوات، أما المشيئة في وقوع الآخرة فحتمية مقررة؛ والجمع والتلاقي بينهما في الآخرة لا يحتاج لتعليق على المشيئة، ومن يدريك لعل طوائف هؤلاء المستورون الأشبه في المخيلة بالجن في المهارة؛ قد جابوا الأرجاء سابقًا، ووضعوا رحالهم في الأرض مستطلعين قبل أن يسكنها الإنس، ويلمح النظم إلى وجود حضارات متقدمة وعوالم لا يحصيها العد في السماوات ينعمون بضياء شموسهم وتتمايل ظلالهم على أسطح كواكبهم حين سجودهم للعلي القدير: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٣الرعد:١٥؛ خاصة مع التمييز بينهم وبين من هم عنده تعالى عابدين على الدوام: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ٢١الأنبياء:١٩، وفي سياق بيان القدرة على إحصائهم؛ بيان كثرتهم صريح: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ١٩مريم:٩٣-٩٥.

---

[٣] أبو البركات عبد الله النسفي؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (١٢ ٦٠١).

[٤] تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ هـ (١٤ ٤٣٥).

[٥] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٢ ١٢٤).

ويُفَاجئنا النظم في سياق الشمول بلفظ أوجز كل الوجود: ﴿الْعَالَمِينَ﴾، وهو لا يعني فحسب عالم السماء والأرض كما يعاينه الراصد الأرضي؛ وإنما جعل الكون عوالم مماثلة، ويُعاين كل راصد من كوكبه سماء تَخُصُّه، فالكواكب المأهولة إذن بالكون لا يُحصيها إلا الله تعالى، وهو يَستوجب الحمد للقدرة المُفزعة التي أبدعت وتُدَبِّر كل تلك العوالم.

وإذن عند الإطلاق في سياق الشمول يدل لفظ الجمع ﴿الْعَالَمِينَ﴾ على الكون أجمع، وقد فسره القرآن الكريم بتعبير (السماوات والأرض) ليعني الكون الممكن النظر أجمع: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٥الجاثية:٣٦، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ٢٦الشعراء:٢٣و٢٤، لكن لفظ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ أعمق دلالة لأنه يعني أن الكون يَعُج بما لا يُمكن أن يُحصيه بشر من عوالم الكواكب المأهولة بالعقلاء.

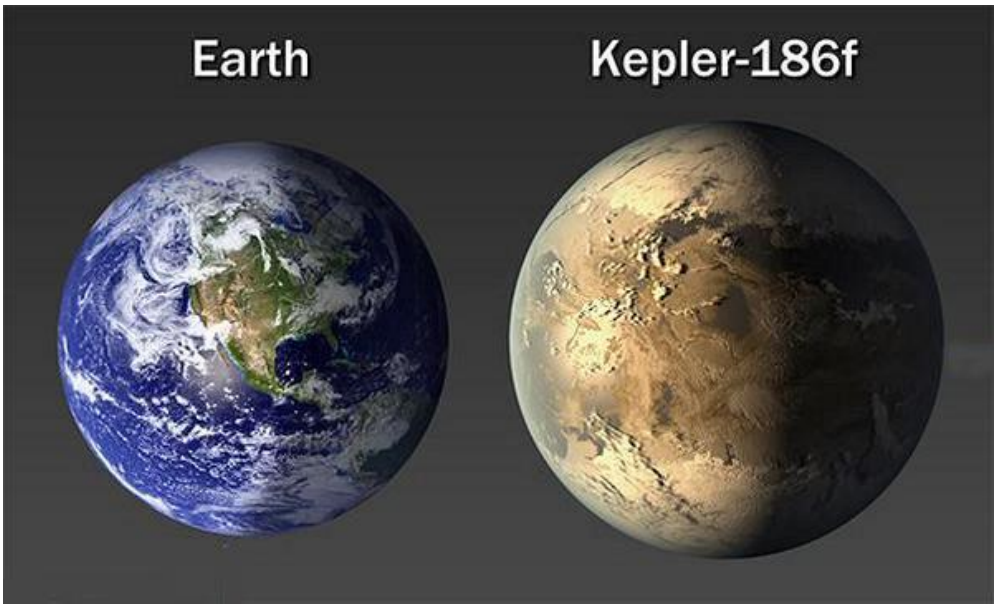

أعلنت ناسا حديثا (٢٠١٥) عن اكتشاف كوكب شبيه بالأرض على بعد ١٤٠٠ سنة ضوئية في مجموعة الدجاجة، ويوجد على بعد مناسب من شمسه؛ كي يوجد ماء سائل وتنشأ حياة.

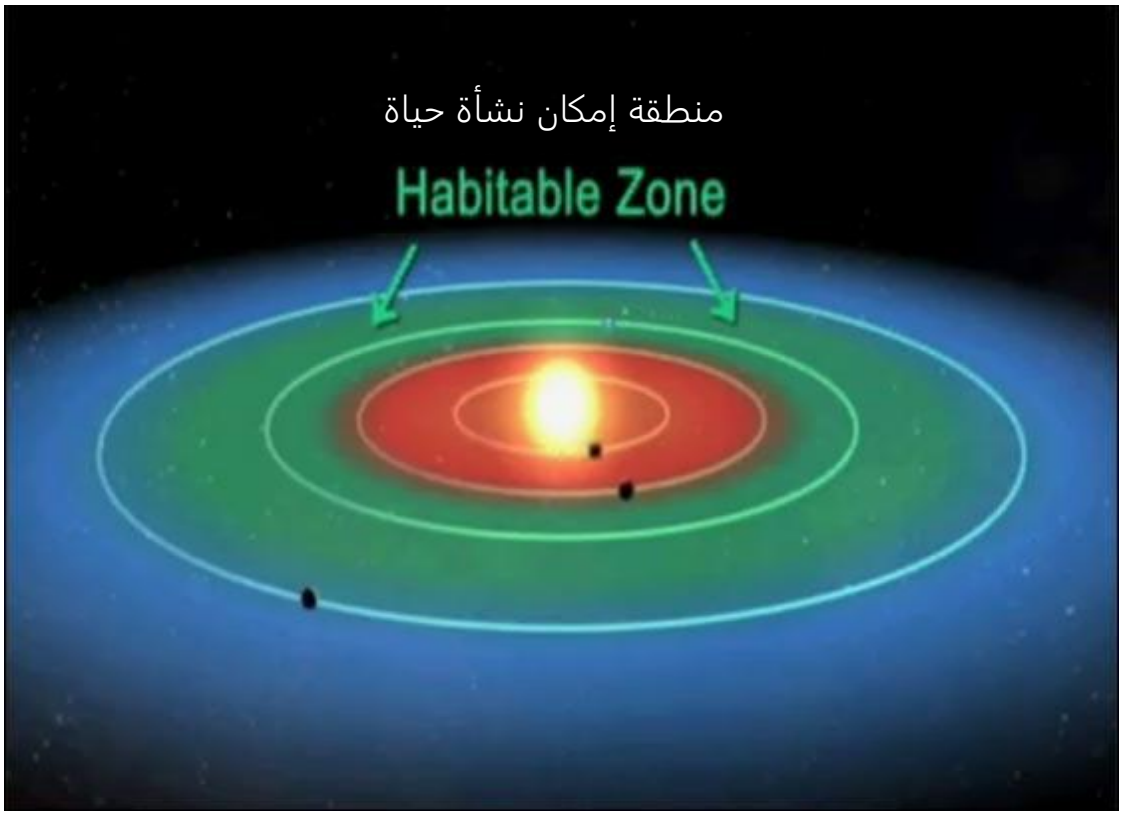

إذا وجد كوكب على بعد مناسب من شمسه؛ داخل منطقة إمكان نشأة حياة وتوفر الماء فيرجح أن تكون عليه حياة.

ووفق ما أعلنته وكالة ناسا قد أكتشف بالفعل إلى الآن أكثر من خمسين كوكبًا مماثلين لكوكب الأرض؛ وعلى بعد مُناسب من شموسها يُرَجّح وجود ماء سائل لتنشأ حياة[٦]، ولكن ما زالت الكشوف تَحْبُو إلى جانب النصوص الصريحة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩، والدابة هي كل ما يدب على أرض؛ والملائكة أرواح ليسوا كذلك؛ خاصة أن القرآن الكريم يغاير بين الدواب والملائكة: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٩، ويُصَرِّح بخلق كل الدواب من ماء: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ..﴾ ٢٤النور:٤٥، ﴿..وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ..﴾ ٢١الأنبياء:٣٠، وأن في السماء خطاب بالقول كما في الأرض: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ..﴾ ٢١الأنبياء:٤، وإن فيها بذور نبات خبيئة للزرع كما في الأرض: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ ٢٧النمل:٢٥، ولك ان تسال أين هم القليل الأكثر فطنة وبصيرة من الإنسان على كوكب الأرض في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٧٠.

وتتضافر النصوص للتعبير عن عقلاء الكون باستخدام (مَن) المختصة بالعقلاء؛ بخلاف (ما) التي تشمل الجميع: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٣الرعد:١٥، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ..﴾ ١٧الإسراء:٤٤، ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ ٣٠الروم:٢٦، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ..﴾ ٢٢الحج:١٨، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ ٢٤النور:٤١، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ..﴾ ٢٧النمل:٦٥، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ..﴾ ٣٩الزمر:٦٨، مع الحرص على تمييز عوالم عقلاء الكون عن الملائكة المقربين: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ..﴾ ٢١الأنبياء:١٩.

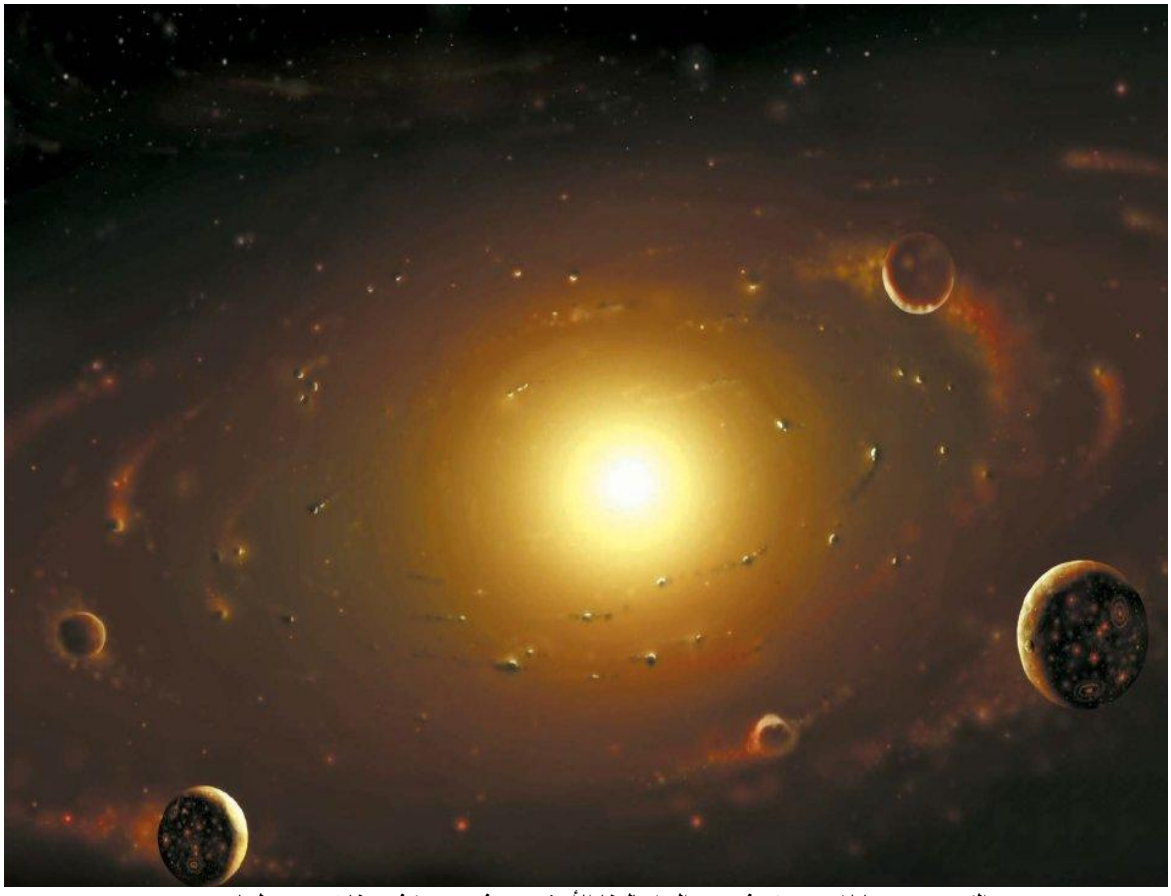

الكون يعج بما لا يحصيه بشر بعوالم كعالمنا الأرضي؛ وشموس كشمسنا تدور حولها كواكب تماثل كوكبنا وإذا توفر فيها الماء فيرجح العلم أن تكون مأهولة تدب فيها الحياة.

[٦] الموقع الإلكتروني لوكالة ناسا الفضائية الأمريكية.

وتعبير (العالمين) جمع يُلمح للعقلاء؛ فلا يصلح لعوالم كالجماد والنبات والحيوان، وكما جاء ليعني عوالم الكون كله مستوجبًا حمد خالقه؛ جاء نظيره تعبير (السماوات والأرض) ليعني الكون كله كما يشاهده أهل الأرض مستوجبًا حمد خالقه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ..﴾ ٦الأنعام:١، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ ٣٥فاطر:١، قال الشعراوي: "ننظر فنجد نجوما لامعة..، وأهل السماء ينظرون..؛ فيجدون مثلما نجد من النجوم المتلألئة اللامعة"[٧].

قال الدكتور محمد أحمد الغمراوي (١٨٩٣ - ١٩٧١): "كلمة ﴿الْعَالَمِينَ﴾؛ لا شك أنها كلمة فاجأت العرب من ناحيتين على الأقل: ناحية الجمع وناحية تذكير الجمع، فالعرب لم يكونوا يعرفون إلا عالمًا واحدًا هو الذي كانوا يعيشون فيه، والناس إلى اليوم لا يتحدثون إلا عن عالم واحد هو الذي نُبصر ونُحس..، والتمس الناس تلك العوالم المتعددة فقالوا: هي عوالم الإنس والجن والملائكة، وقالوا هي عوالم الحيوان والنبات والجماد، ولكن ليس كل ذلك يوف معنى.. لفظ ﴿الْعَالَمِينَ﴾، إنه جمع معرف لا جمع منكر، وأنت إذا قلت (العالم) لم تفهم إلا عالما واحدا هو الشامل لكل ما ترى من أرض وسماء، وإذا أخذنا بحرفية اللفظ.. كان عالمنا هذا فردًا من أفراد وعالما من عوالم مثله، فأين هذا المعنى في أي كتاب قبل القرآن؟، ثم جاء علم الفلك الحديث.. فبين أن المجموعة الشمسية التي نحن فيها.. ليست في هذا العالم المجري شيئا مذكورا، وبين أن هناك عوالم مجرية أخرى.. تعد.. بالملايين..، (و) في كل عالم مجري آلافا مؤلفة وملايين من الشموس..، عوالم أخرى فيها أرض تدور حول شمس، أي أنه لابد حسب حرفية القرآن أن يكون في ملايين العوالم المجرية الأخرى عوالم.. يتحقق فيها ما هو متحقق لنا في هذا العالم..، وجود الحياة على غير كوكبنا..، العالم (إذن).. ليس هو مجرد عالم الإنس والجن أو عالم الحيوان والنبات والجماد ولكن هو العالم الفلكي.. (و) تطالعنا آيات.. (تقرن بين تعبير ﴿الْعَالَمِينَ﴾ ونشأة عالمنا الفلكي) هي: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ ٤١فصلت:٩و١٠..، العالم (إذن) في آية الفاتحة.. هو العالم الفلكي..، (لأن) خاتمة.. الآية ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ متعلقة على الأخص بالمعنى الفلكي الذي هو موضوع الآية"[٨].

[٧] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٣ ١٦٨٨).

[٨] دكتور محمد أحمد الغمراوي؛ الإسلام في عصر العلم، مطبعة السعادة؛ الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م (٢٢٢-٢٢٦).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "وأما قوله ﴿الْعَالَمِينَ﴾ فهو جمع (عَالم)..، واختُلِف في العالم على ثلاثة أقاويل: أحدها: أنّه ما يُعقِل من الملائكة والإنس والجنّ..، والثاني أن العالم الدنيا وما فيها، والثالث أن العالم كل ما خلقه الله تعالى"[٩].

وقال الراغب الأصفهاني: "العالم..: هو في الأصل اسم لما يُعْلَم به.. والعالم آلة في الدلالة على صانعه، ولهذا أحالنا تعالى عليه في معرفة وحدانيته؛ فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ ١٨٥الأعراف:، وأما جمعه؛ فلأن من كل نوع من هذه (الخلائق) قد يسمى عَالَمًا، فيقال: عالم الإنسان وعالم الماء"[١٠]، "والملكوت: مختص بملك الله تعالى، وهو مصدر ملك أدخلت فيه التاء.. قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ٦الأنعام:٧٥..، والمملكة سلطان الملك وبقاعه التي يتملكها، والمملوك يختص.. بالرقيق من الأملاك؛ قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ١٦النحل:٧٥"[١١]، "ويُقال نظرت إلى كذا إذا مددت طرفك (بصرك) إليه؛ رأيته أو لم تره، ونظرت فيه إذا رأيته وتدبرته (ببصيرتك)، قال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧، نظرت في كذا تأملته..: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ٣٧الصافات:٨٨"[١٢].

وقال ابن عباس: "﴿مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ﴾.. الشمس والقمر والنجوم والسحاب"[١٣]، وقال ابن عطية: "وقال الضحاك ومجاهد أيضاً إن الإشارة ها هنا بملكوت السماوات؛ هي إلى: الكواكب والقمر والشمس، وهذا راجع (إلى).. أنها رؤية بصر في ظاهر الملكوت"[١٤]، "و﴿مَلَكُوتِ﴾ بناء عظمة ومبالغة، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ لفظ يعم جميع ما يُنظر فيه ويُستدل به من الصنعة الدَّالَّة على الصَّانع"[١٥]، وقال الطبري: "عَنَى اللَّهُ تَعَالَى.. أَنَّهُ أَرَاهُ مُلْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ وَذَلِكَ مَا خَلَقَ فِيهِمَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَالشَّجَرِ وَالدَّوَابِّ..، لِيَكُونَ مِمَّنْ يُوقِنُ.. حِسًّا لَا خَبَرًا"[١٦]، "وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: (وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ؛ أَرَيْنَاهُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)"[١٧].

---

[٩] تفسير الماوردي النكت والعيون، المحقق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان؛ ٢٠٠٧ (١\ ٥٤).

[١٠] الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ في مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ١١٧).

[١١] مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المتوفى سنة ٥٠٢هـ - (٢ / ٣٨٥).

[١٢] مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المتوفى سنة ٥٠٢هـ - (٢ / ٤٣٨).

[١٣] عبد الله بن عباس (المتوفى: ٦٨هـ)؛ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه مجد الدين الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية لبنان (ص١٨٤).

[١٤] أبو محمد بن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (٢\ ٤٣٢).

[١٥] أبو محمد بن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (٣\ ١٣٠).

[١٦] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٩\ ٣٥٣).

[١٧] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٥\ ٥٧٢).

وقال ابن عاشور: "وَالْمَلَكُوتُ: مُبَالَغَةٌ فِي الْمُلْكِ.، فَالْمَلَكُوتُ: الْمُلْكُ الْمُقْتَرِنُ بِالتَّصَرُّفِ فِي مُخْتَلَفِ الْأَنْوَاعِ وَالْعَوَالِمِ؛ لِذَلِكَ جَاءَ بَعْدَهُ كُلِّ شَيْءٍ"[١٨]، "وَالْعَالَمُ الْجِنْسُ مِنْ أَجْنَاسِ الْمَوْجُودَاتِ.، عَلَى وَزْنِ فَاعَلٍ.. مُشْتَقًّا مِنَ الْعِلْمِ أَوْ مِنَ الْعَلَامَةِ.؛ (أي أن) الْعَوَالِمَ.. كَالْآلَةِ لِلْعِلْمِ بِالصَّانِعِ.، جَمْعَ الْعُقَلَاءِ.؛ تَغْلِيبًا لِلْعَاقِلِ، وَقد قَالَ التفتازانيّ.: (الْعَالَمُ اسْمٌ لِذَوِي الْعِلْمِ.؛ يُقَالُ عَالَمُ الْمُلْكِ، عَالَمُ الْإِنْسَانِ، عَالَمُ النَّبَاتِ)؛ يُرِيدُ أَنَّهُ لَا يُطْلَقُ بِالْإِفْرَادِ إِلَّا مُضَافًا لِنَوْعٍ يُخَصِّصُهُ.، فَإِنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِطْلَاقُ عَالَمٍ عَلَى مَجْمُوعِ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ وَإِنَّمَا أَطْلَقَهُ عَلَى هَذَا عُلَمَاءُ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِمْ (الْعَالَمُ حَادِثٌ)؛ فَهُوَ من المصطلحات"[١٩]، "﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ٧٨النبأ:١٩.، فُرِّعَ عَلَى انْفِتَاحِ السَّمَاءِ بِفَاءِ التَّعْقِيبِ فَكَانَتْ أَبْواباً أَيْ ذَاتَ أَبْوَابٍ فَقَوْلُهُ ﴿أَبْواباً﴾ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ؛ أَيْ كَالْأَبْوَابِ، وَحِينَئِذٍ لَا يَبْقَى حَاجِزٌ بَيْنَ سُكَّانِ السَّمَاوَاتِ وَبَيْنَ النَّاسِ"[٢٠]، "﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٥الجاثية:٣٦.؛ أُتْبِعَ بِوَصْفِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَهُمْ سُكَّانُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. لِكَوْنِهِمْ مَحْقُوقِينَ بِأَنْ يَحْمَدُوهُ لِأَنَّهُ خَالِقُ الْعَوَالِمِ الَّتِي هم منتفعون بِهَا.، وَعَقَّبَ ذَلِكَ بِجُمْلَةِ ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ اسْتِدْعَاءَهُ خَلْقَهُ لِحَمْدِهِ إِنَّمَا هُوَ لِنَفْعِهِمْ وَتَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ ٥١الذاريات:٥٦و٥٧"[٢١]، لكن تزكية النفوس لا تصلح للملائكة؛ وإنما للعقلاء المُكلفين في السموات كما في الأرض.

وقال أحمد حطيبة: "وقوله تعالى: ﴿الْعَالَمِينَ﴾.. جمع عوالم؛ أي: كل العوالم.. (يعني) كل خلق الله"[٢٢]، "﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٣٩الزمر:٦٨، فصعق أي مات، {مَنْ فِي السَّمَوَاتِ} أي سكان السماوات، {وَمَنْ فِي الأَرْضِ} أي سكان الأرض..، (وورد) أن الذين استثناهم الله من هذه النفخة هم.. الملائكة جميعهم"[٢٣]، فوارد إذن أن سكان الأراضي الشبيهة بأرضنا في أرجاء السماوات غير الملائكة؛ عقلاء مكلفون مثلنا، وقال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمِ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ﴾.. يعني أهل السماء وأهل الأرض؛ قاله الحسن"[٢٤]، وفي التفسير الوسيط: "لم يجعل الجنة كعرض السماوات والأرض لأهل هذه الأرض؛ بل لهم ولغيرهم من المكلفين فيهما ممن نعلمه ومن لا نعلمه..، وكان ابن عباس يرى أن الأرضين الأخرى بها مكلفون مثلنا، كما أن سكان السماء لا نستطيع القطع بأنهم الملائكة فحسب؛ فقد يكون فيهن سكان عقلاء مكلفون، فلهذا جعل الله الجنة كعرض السماء والأرض لكي تتسع للمكلفين فيهن"[٢٥].

وقال أبو السعود: "يتناول لفظُ ﴿العالمين﴾ كلَّ واحد من آحادِ الأجناس التي لا تكاد تُحصى..؛ والدنيا عالم منها، وإنما جُمِع بالواو والنون مع اختصاصِ ذلك بصفاتِ العُقلاء.. تغليبِ..، وأما شمولُ ربوبيته عز وجل للكل فما لا حاجةَ إلى بيانه"[٢٦]، وقال الجرجاني: "العالمون.. جمع الجمع ولا واحد له من لفظه، وقيل العالم ما حواه الفَلَك (أي الكون)، ثمّ كلّ جنس منه عالم على حدة عند التفصيل.. ثمّ كلّ جماعة كثيرة من كلّ جنس عالم..، (فهو) جمع جمع العقلاء لتغليب العقلاء"[٢٧]، وقال الإستانبولي: "﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٠٧.. جمع عوالم ذوى العقول"[٢٨]؛ أي مكلفين، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩؛ قال الشنقيطي: "ظَاهِرُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ اللَّهَ بَثَّ فِي السَّمَاءِ دَوَابَّ كَمَا بَثَّ فِي الْأَرْضِ دَوَابَّ.، (و) الْمُرَادَ بِجَمْعِهِمْ.. يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَقَدْ أَطْبَقَ عَلَى ذَلِكَ الْمُفَسِّرُونَ، وَلَوْ سَلَّمْنَا تَسْلِيمًا جَدَلِيًّا أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى جَمْعِهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ بُلُوغُ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، بَلْ يَجُوزُ عَقْلًا أَنْ يَنْحَدِرَ مَنْ فِي السَّمَاءِ إِلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ"[٢٩].

---

[١٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٨\ ١١١).
[١٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ١٦٨).
[٢٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٣٠\ ٣٢).
[٢١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٥\ ٣٧٧).
[٢٢] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة؛ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٣٤\ ٥).
[٢٣] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة؛ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٣٦١ ٣).
[٢٤] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٥\ ٢٥٢).
[٢٥] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٩\ ١٢١٥).
[٢٦] أبو السعود العمادي؛ تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي بيروت (١\ ١٤).
[٢٧] أبو بكر عبد القاهر الجرجاني؛ دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر، تحقيق طلعت الفرحان ومحمد أديب أمرير، دار الفكر عمان الأردن؛ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م (١\ ١٠١).
[٢٨] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي؛ روح البيان، دار الفكر بيروت (٥\ ٥٢٨).
[٢٩] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٢\ ٢٦٠).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Extra-Terrestrial Intelligence

الحياة الذكية خارج الأرض

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٣الرعد:١٥.**
- **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٩.**
- **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ١٧الإسراء:٤٤.**
- **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٧٠.**
- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ ٢٢الحج:١٨.**
- **﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢١الأنبياء:٤.**
- **﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ٢١الأنبياء:١٩و٢٠.**
- **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠.**
- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ ٢٤النور:٤١.**
- **﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٤النور:٤٥.**
- **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ٢٦الشعراء:٢٣و٢٤.**
- **﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ٢٧النمل:٢٥.**
- **﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ٢٧النمل:٦٥.**
- **﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ ٣٠الروم:٢٦.**

- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٣٩الزمر:٦٨.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩.
- ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٥الجاثية:٣٦.
- ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ٢٧النمل:٨٢.

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ ٢البقرة:٧.

Paragraph الفَقْرَة

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ٢البقرة:٦و٧،

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾، ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

(As if) **ALLAH has set a seal on their hearts and on their hearing** (i.e. they are closed from accepting Allah's Guidance)**, and on their visions there is a covering** (so; they cannot see the signs of Allah's power & Wisdom in all what He has created)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

حُكِيَ أن عربيًا قد غفي في الشمس فجاءت زوجته وظللته من الشمس؛ فانتبه وقال: "شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ"[٣٠]، فجعلها هي والشمس سواء بجامع البَهَاء، والتعبير عن الشيء بما يُماثله في وجوه تُزِيد المقاربة وتجعله كأنه هو؛ ذلك هو التمثيل البليغ، والقرآن الكريم قد فاجأ العرب بتنوعات مبهرة من أساليب البلاغة وروائع الفصاحة في البيان، وخاطبهم بأمثال لا يَحَارُ في مغزاها ويَحِيد عنه معناها؛ من أدرك بلاغته في التعبير، وادَّخَرَ للعَالِمِين بالواقع نَصِيب: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤٣، وفي مأدبة لا تُغلَق أبوابها تَجِد أبصارًا قد حُجِبَت عنها رؤية الضوء فلم تعد ترى؛ وذلك قبل أن يُسَجِّل الحسن بن الهيثم (٣٥٤ - ٤٣٠هـ) بعد قرون من عصر النبوة في كتابه "المناظر" للمرة الأولى في التاريخ أن العين أداة استقبال للضوء المُنعكس على الأشياء، مخالفًا الوهم اليوناني القديم الذي ظل سائدًا منذ أرسطو طاليس (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م)؛ القائل بأن العين هي التي تُصدر الضوء[٣١].

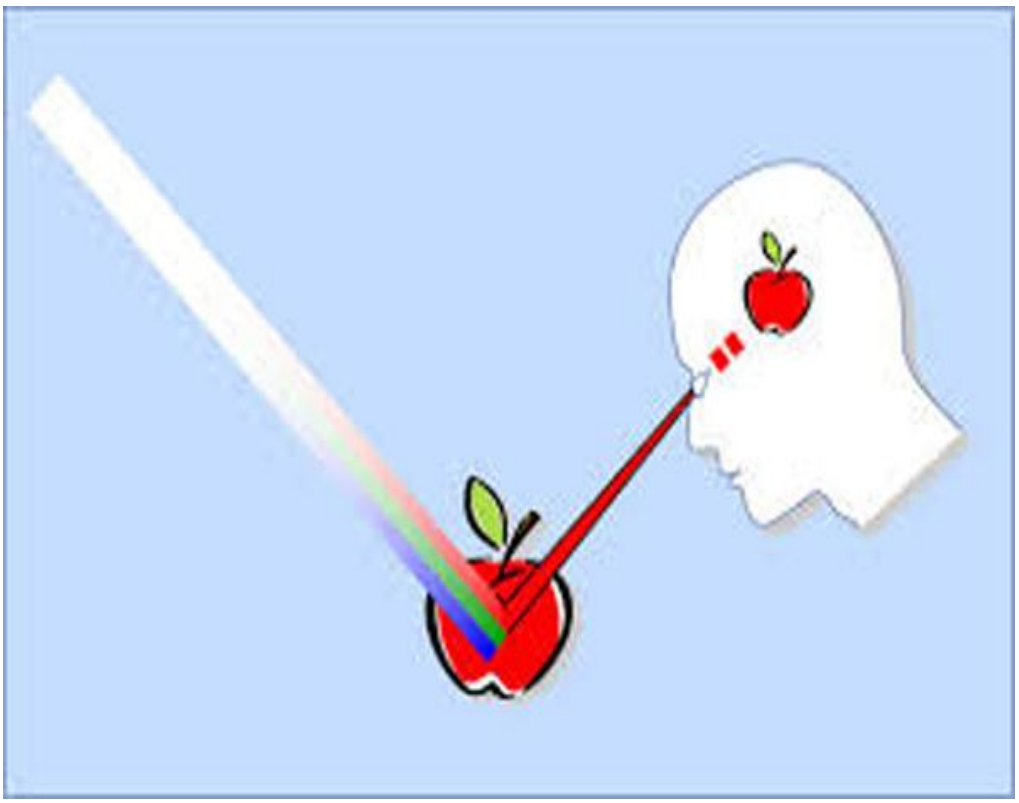

تستقبل العين (أداة الإبصار) الضوء المنعكس على الأشياء
وترسله إلى مراكز الإبصار في الدماغ؛ فيشاهدها الإنسان.

[٣٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤ (١١ ٣١٤).
[٣١] موسوعة ويكيبيديا العالمية.

قال محمد رشيد رضا: "الَّذِي يُعْرِضُ عَنِ النُّورِ مَعَ الْعِلْمِ بِهِ وَيُغْمِضُ عَيْنَيْهِ كَيْلَا يَرَاهُ.. مَاذَا يُفِيدُهُ النُّورُ!.. مَاذَا عَسَاهُ يُفِيدُهُ النُّورُ مَهْمَا سَطَعَ؛ أَوْ يُؤَثِّرُ فِيهِ الضَّوْءُ مَهْمَا ارْتَفَعَ!"[٣٢].

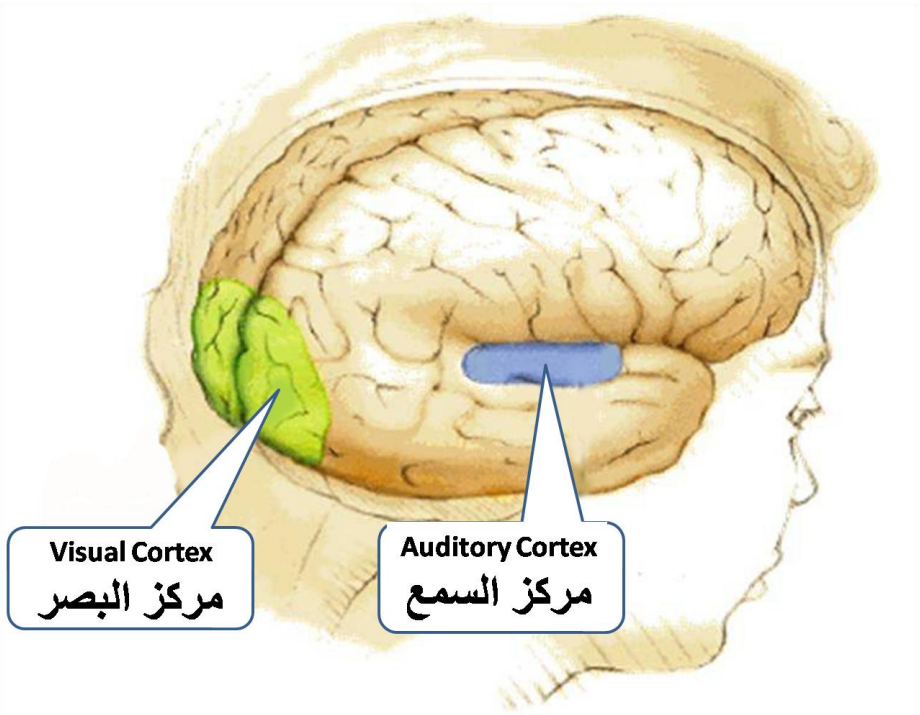

جاء السمع والبصر في النظم بنفس ترتيب مراكزهما بالمخ حيث يقع مركز السمع في الأمام؛ ومركز البصر في الخلف.

[٣٢] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١١ ١٢٠).

وبخلاف أداتي الاستقبال: العين والأذن؛ يتعلق لفظ السمع بأصل الجهاز السمعي ومركزه؛ وبالمثل يتعلق لفظ البصر بأصل جهاز الإبصار، وكل منهما يقع بالدماغ، وفي كل المواضع بالنظم تسبق العين الأذن وفق الوضع التشريحي، والمفاجأة أن ترتيب الجهازين بالنظم موافق كذلك للترتيب المخبوء بالدماغ؛ حيث يسبق مركز السمع مركز البصر.

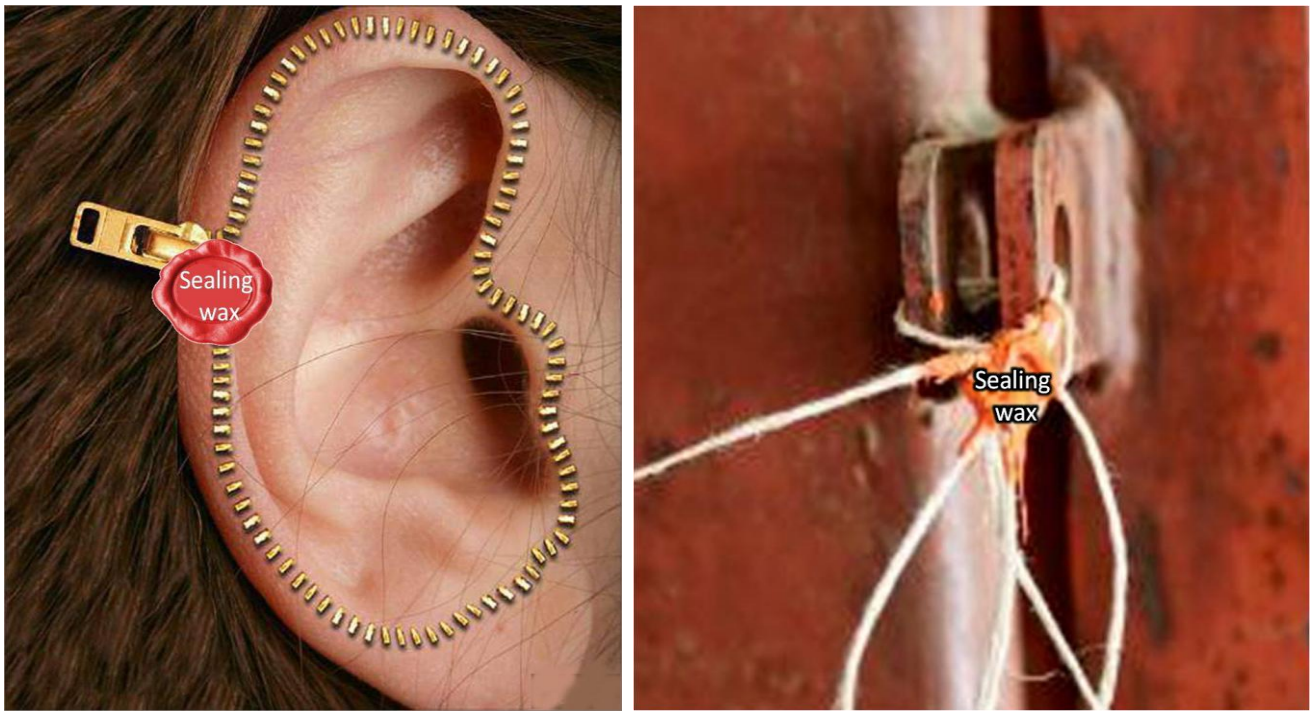

الصورة البيانية لتجسيد دوام العناد؛ هي الختم على السمع فلا تلجه موعظة كما يختم على أبواب المداخل بشمع أحمر فلا يلجها شيء.

وتصوير الأداة الخارجية للإستقبال في جهاز السمع مغلقة كأبواب المداخل تُغلق بالشمع الأحمر يعني تأبيد العناد، واستمدادًا من التمثيل يعني التشبيه ضمنيًّا أن الآذان مجرد مداخل وأن جهاز السمع والوعي بالمسموع في الداخل.

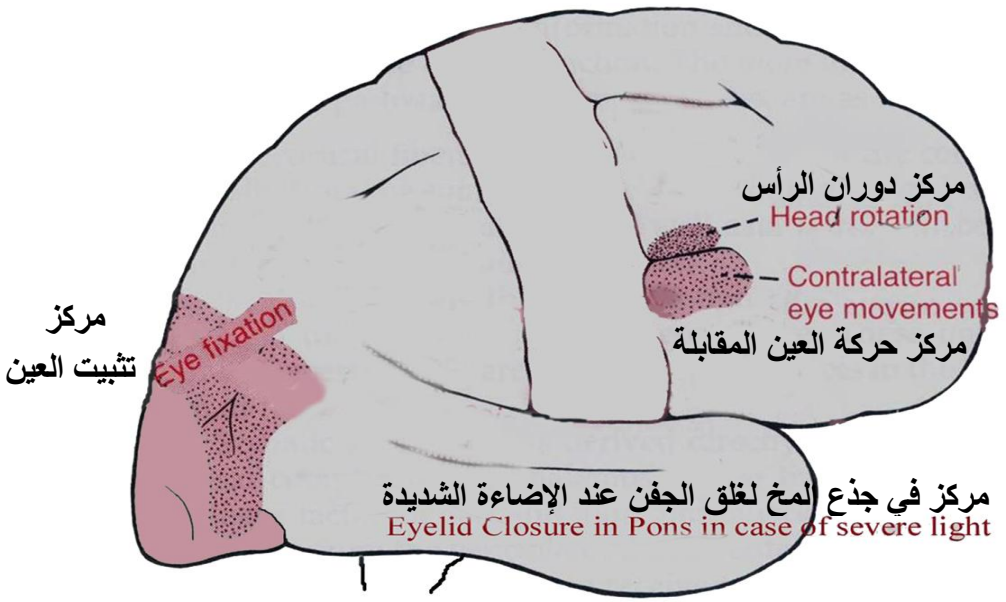

بخلاف مركز سمع واحد في كل جهة في الدماغ؛ توجد جملة مراكز مُصاحبة لمركز الإبصار: مركز لتثبيت العين في المنطقة البصرية خلف الدماغ، ومركز للالتفات وتحريك الرأس، ومركز لتحريك العين المقابلة، ومركز في جذع المخ لغلق الجفن عند الإضاءة الشديدة.

ولا يستقبل الإنسان المناظر حوله إلا من جهة واحدة؛ فتتعدد المشاهد باختلاف الجهات، وعلى عكس مسار موجات الضوء الأقرب للاستقامة؛ تنحني موجات الصوت كثيرًا؛ فتستقبلها الأذن من كل الجهات بلا حاجة للالتفات، فسمع الكل واحد للصوت بينما تتعدد المشاهد، ويُصاحب مركز الإبصار في الدماغ جملة مراكز لتوجيه الرأس والعينين؛ بينما لا يحتاج مركز السمع إلى توجيه، ويَتَأَلَّق النظم ويُوَحِّد السمع ويجمع الأبصار، وما كان لبشر في القرن السابع الميلادي أن يُراعي الموافقة لطبيعة الصوت في الانحناء وطبيعة الضوء في الاستقامة وتركيب المراكز الخفية بالدماغ.

صورة تخيلية لقلب مغلق مختوم بالشمع الأحمر؛ فلا تدخله موعظة،
صورة بيانية تعني التأبيد للإعراض والعناد؛ تجسيدًا لمعنوي بحسي.

صور بيانية جذابة ومشاهد بديعة لتجسيد الإعراض وتأبيد عدم الاستجابة، وعلى نحو "شمس تظللني"؛ جاءت القلوب التي في الصدور كناية عن العقول، وجوهر الإنسان إذن هو الفكر والبصيرة والعقل الرشيد، فإذا عَمِيَت بصيرة إنسان كان مصيره الهلاك، كما إذا فسد القلب هلك الجسد؛ فالكناية بالقلب بيان للمكانة لا المكان، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ٥٠ق:٣٧؛ صريح في أن القلب كناية عن العقل الرشيد لأن كل إنسان له قلب.

قال سيد قطب: "يصف حالة عقلية أو معنوية؛ وهي حالة عدم الاستفادة مما يسمعه بعضهم من الهدى، وكأنهم لم يسمعوا به..، فيجعل كأنما هناك حواجز مادية تفصل بينهم وبينه؛ مثل: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ الشعراء:٢١٢، أو: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا..﴾ الأنعام:٢٥، أو: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد:٢٤، أو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ يس:٩، أو: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ..﴾ البقرة:٧..، وكلها تُجَسِّم هذه الحواجز المعنوية؛ كأنما هي موانع حسية، لأنها في هذه الصورة أوقع وأظهر"[٣٣].

[٣٣] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي؛ التصور الفني في القرآن، دار الشروق الطبعة السابعة عشرة (ص٨١).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال القرطبي: "الْخَتْمُ.. معناه التَّغْطِيَةُ عَلَى الشَّيْءِ وَالِاسْتِيثَاقُ مِنْهُ حَتَّى لَا يدخله شي، وَمِنْهُ خَتَمَ الْكِتَابَ وَالْبَابَ..، فَالْخَتْمُ عَلَى الْقُلُوبِ عَدَمُ الْوَعْيِ عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ..؛ وَعَلَى السَّمْعِ عَدَمُ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ..، وَعَلَى الْأَبْصَارِ عَدَمُ هِدَايَتِهَا لِلنَّظَرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ وَعَجَائِبِ مَصْنُوعَاتِهِ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمْ"[٣٤]، وقال الرازي: "وَجَعْلُ الْقَلْبِ (تعبيرًا) عَنِ الْعَقْلِ جَائِزٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾؛ أَيْ لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ"[٣٥]، وقال الراغب الأصفهاني: "خص البصر بالغشاوة تنبيهاً على أن النور ممنوع منه، فلا يحصل به الانتفاع، وأيضاً فإن ما يدركه القلب والسمع لا يختص بجهة دون جهة..؛ فجعل.. عليهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات، وجعل ما يمنع البصر..: الغشاوة المختصة بجهة دون جهة، وأكثر ما ذكر الله القلب فالمقصود به العقل والمعرفة"[٣٦].

وقال ابن عاشور: "جَعَلَ قُلُوبَهُمْ؛ أَيْ عُقُولَهُمْ، فِي عَدَمِ نُفُوذِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ وَالْإِرْشَادِ إِلَيْهَا، وَجَعْلِ أَسْمَاعِهِمْ فِي اسْتِكَاكِهَا عَنْ سَمَاعِ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ، وَجَعْلِ أَعْيُنِهِمْ فِي عَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِمَا تَرَى مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَالدَّلَائِلِ الْكَوْنِيَّةِ، كَأَنَّهَا مَخْتُومٌ عَلَيْهَا وَمَغْشِيٌّ دُونَهَا..، وَكُلُّ ذَيْنَكَ مِنْ تَشْبِيهِ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ..، وَالْمُرَادُ مِنَ الْقُلُوبِ هُنَا الْأَلْبَابُ وَالْعُقُولُ..، وَالْعَقْلُ.. مَقَرُّهُ الدِّمَاغُ لَا مَحَالَةَ..، وَقَدْ تَكُونُ فِي إِفْرَادِ السَّمْعِ لَطِيفَةٌ.. فَالْجَمَاعَاتُ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ سَمِعُوهُ سَمَاعًا مُتَسَاوِيًا وَإِنَّمَا يَتَفَاوَتُونَ فِي تَدَبُّرِهِ وَالتَّدَبُّرُ مِنْ عَمَلِ الْعُقُولِ؛ فَلَمَّا اتَّحَدَ تَعَلُّقُهَا بِالْمَسْمُوعَاتِ جُعِلَتْ سَمْعًا وَاحِدًا..، لِأَنَّ السَّمْعَ تَرِدُ إِلَيْهِ الْأَصْوَاتُ الْمَسْمُوعَةُ مِنَ الْجِهَاتِ السِّتِّ بِدُونِ تَوَجُّهٍ؛ بِخِلَافِ الْبَصَرِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّوَجُّهِ بِالِالْتِفَاتِ إِلَى الْجِهَاتِ"[٣٧].

[٣٤] شمس الدين القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وعبد السلام أطفيش، دار الكتب المصرية الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١ ١٨٥).

[٣٥] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١٥ ٤٧٣).

[٣٦] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ٩٢).

[٣٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤ (١١ ٢٥٤).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

علم الطب

المَوْضُوع Subject

Functional Brain centers

المراكز الوظيفية بالمخ

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ ٦الأنعام:٢٥.**
- **﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ ٢٦الشعراء:٢١٢.**
- **﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ٣٦يس:٩.**
- **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ. أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ٤٧محمد:٢٣و٢٤.**
- **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ٥٠ق:٣٧.**

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ٢البقرة:١٧.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ. مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:٨-٢٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿اسْتَوْقَدَ﴾، ﴿نَارًا﴾، ﴿أَضَاءَتْ﴾، ﴿مَا حَوْلَهُ﴾، ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Their case (with the Prophet) **is like the case of a person who kindled a fire, and when it lighted up all around him** (they refused the light; so)**, ALLAH took away their light and left them in thick darkness where they could not see.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

عادة العرب في بوادي الجزيرة الالتفاف حول النار للتدفئة والاستضاءة؛ خاصة في الليالي الحالكة الظلام، قَدَّم الذي استوقد نارا إذن فائدة للملتفين حولها بمعاينة المرئيات بنورها، والشِّق الحِسِّي في التمثيل تجسيد لحالة معنوية؛ هي المكابرة والعناد بالإعراض عن الهدى والانصراف عن الحق الساطع، والإيجاز عماد البلاغة اكتفاء بقرائن السياق، وفي القرآن الكريم جملة قرائن على انفضاض المنافقين عن الدين الحق إلى ما يَتَوَهَّمُون أنه أنفع لهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ ٦٢الجمعة:١١، وفي التعبير: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾؛ تمثيل للإعراض عن الحق والانفضاض عن الهدى بتركهم الاستضاءة بالنور المنعكس على ما حول الداعي للحق؛ إلى ظلمات البيداء حيث الضلال وخطر الضواري.

والشق المعنوي في التمثيل (ذهب الله بنورهم)؛ معناه إذن أن علة العمى فيهم، حيث تركوا نور الهدى فتركهم الله تعالى، وتعبير (ما حوله) في الشِّق الحِسِّي بالتمثيل يعني الأشياء المرئية لهم التي تلقت الضوء الصادر عن النار؛ والتي توقفت رؤيتها بفقدان القدرة على استقبال النور الصادر عنها بمغادرتهم مجال الرؤية، ففيه تمييز بين (الضوء) الصادر من مصدر ملتهب وبين (النور) المنعكس على أجسام معتمة محيطة بهم، والتمييز وارد صريحًا بين ضوء الشمس والنور المنعكس على القمر: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ١٠يونس:٥، وتلك هي نفس آلية الإبصار قبل أن يُسَجِّلُها الحسن بن الهيثم (٣٥٤ - ٤٣٠هـ) بعد قرون من عصر النبوة في كتابه "المناظر" للمرة الأولى في التاريخ قائلا بأن العين تستقبل الضوء المنعكس على الأشياء؛ مخالفًا الوهم اليوناني القديم الذي ظل سائدًا منذ أرسطو طاليس (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م)؛ القائل بأن العين هي التي تُصدر الضوء نحو الأشياء[٣٨]، قال الرازي: "الظُّلْمَةُ عَدَمُ النُّورِ"[٣٩]، وفي التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية: "الضوء مصدر النُّور؛ كما يُعلم من قوله تعالى: هو {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا}، ومعلوم أن نُور القمر مُستمد من ضياء الشمس"[٤٠].

---

[٣٨] موسوعة ويكيبيديا العالمية.

[٣٩] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٢ ٣١٤).

[٤٠] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م (١١ ٤٤).

قال بَسَّام جِرَار: "تكرر السؤال حول تفسير هذه الآية الكريمة..، (لأنهم) يستشكلون المثال المضروب، ويرجع.. الاستشكال إلى.. أنّ المنافقين في المثال المضروب؛ هم الذين يستوقدون النار، فَمثلُ المنافقين إذن كمثل شخصٍ أوقد ناراً ليستضيء بها؛ فلما أضاءت النار ما حوله ذهب الله بنوره فلم يعد بقادر على الإبصار، وهذا القول هو مدار أقوال عامة المفسرين، وهنا لنا على هذا التفسير الملاحظات الآتية: (أولاً) المنافق لا يطلب الحقيقة ولا يسعى لها ولا يبذل جهداً من أجلها، وكلمة (استوقد) توحي بهذا الطلب وهذا الجهد، (ثانياً) الذي استوقد هو فرد واحد بدليل (الذي؛ حوله)، والذين ذهب الله بنورهم هم جماعة..، ويقول البيضاوي:" والذي: بمعنى الذين، كما في قوله تعالى: (وخضتم كالذي خاضوا)، وهذا غريب لأنّ المقصود: وخضتم كالخوض الذي خاضوه؛ أي خضتم كخوضهم، والذي نراه أقرب لظاهر اللفظة القرآنية الآتي: (مثلهم) أي مثلهم في موقفهم من دعوة الرسول عليه السلام؛ وبعبارة أخرى: مثلهم معك يا محمد، والمثل هنا يتعلق بطرفين: الطرف الأول هو الرسول عليه السلام؛ والطرف الثاني هو أهل النفاق، وعليه يُصبح المعنى: مثلهم في موقفهم منك ومن دعوتك يا محمد؛ كمثل رجل اجتهد في إيقاد نار، فلما أفلح في ذلك وأضاءت النار ما حوله...، فالرسول عليه السلام؛ هو ذلك الرجل الذي اجتهد في إنارة ما حوله بنور الهدى، فلما أفلح في ذلك وأُنيرت مِن حَوله البلاد بنور الهدى واستجاب له الناس من حوله؛ كانت المفاجأة أنْ ذهب الله بنور هؤلاء.. (أي) عقل وفطرة وفرقان يجده من لم يدنس بالمعاصي..، فليس الإشكال إذن في نور الوحي؛ فقد أضاء وأنار، وإنما الإشكال في العمى الداخلي الذي نتج عن معاصيهم ونفاقهم، وعليه نقول: النور كل ما يهديك ويوصلك إلى حقائق الأشياء؛ فالوحي نور، والعلم نور، والفطرة السوية نور..، (و) كما لا يكفي وجود الضوء في الغرفة حتى نبصر؛ كذلك لا يكفي نور الوحي حتى يهتدي الإنسان، لأنه لا بد من القدرة الداخلية على الإبصار والاهتداء..، (و) المعاصي تُذهب الأنوار الداخلية التي تجعل الإنسان مبصراً لحقائق الدين..، وإذا كانت حقائق الفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم الطبيعية تحتاج إلى عقول فقط؛ فإنّ الحقائق الإيمانية تحتاج إلى عقول وقلوب، والقلوب تحتاج إلى سلوك سوي؛ والسلوك السوي يُفصّله الدين الحق، (و) قد ننخدع أحياناً بالسلوك السوي الذي لا يُنتج إيماناً سوياً لأننا لا نطّلع على سلوك القلوب؛ ولكنّ الله يطّلع، والكِبرُ من أخطر أمراض القلوب التي تصرف المتكبّر عن حقائق الإيمان..: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٤٦"[٤١].

[٤١] بسام جرار؛ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، الشبكة الدولية: http://www.islamnoon.com/nara.htm.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الواحدي: "(ما حوله) منصوب بوقوع الإضاءة عليه..، مَثَلُ هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا فِي ليلة مظلمة.. فاستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله..، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا؛ كذلك المنافقون..، وكان يجب فِي حق النظم أن يكون اللفظ (فلما أضاءت ما حوله أطفأ الله ناره)..، أقيم إذهاب النور مقام الإطفاء"[٤٢]، ولكن العبارة (فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا) لا مُستند لها في النص الكريم؛ وإنما من ذهب الله تعالى بنورهم جماعة المنافقين وليس من استوقد نارًا؛ والاستنتاج بأن إذهاب نورهم مقام إطفاء ناره قائم على افتراض أن الفرد في المثل الذي طلب عازمًا استيقاد النار لتنير ما حوله هو نفسه الجماعة، ولكن هذا التوجيه لا يستقيم معه تمييز ضمير الفرد عن ضمير الجماعة، ويساوي بين شراء الضلالة قصدًا المُعَبَّر عنه بالظلمات وعمى الأبصار؛ وبين هدى الإيمان المُعَبَّر عنه بالنور الذي سعى فرد لنشره حوله في الأرجاء.

الرأي السائد أن الفرد الذي استوقد هو من الجمع، قال أسعد حومد: "يُصوِّرُ اللهُ تَعَالى حَالَ المُنَافِقِينَ.. فَيَقُولُ: إِنَّ حَالَهُمْ يُشْبِهُ حَالَ جَمَاعَةٍ أَوْقَدوا نَاراً لِيَنْتَفِعُوا بِها فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ مِنَ الأَشْيَاءِ وَالأَمَاكِنِ؛ عَرَضَ لَهَا عَارِضٌ أَطْفَأَهَا فَأَصْبَحُوا فِي ظَلامٍ دَامِسٍ..، (اسْتَوْقَدَ نَاراً): طَلَبَ إِيقَادَها"[٤٣]، وقال الراغب: "قال.. (بنورهم) ولم يقل (بنارهم) لأن المراد من النار هاهنا النور"[٤٤]، وقال ابن عاشور: "كَأَنَّهُ قِيلَ فَلَمَّا أَضَاءَتْ ذَهَبَ اللَّهُ بِنَارِهِ.. وَمَعْنَى ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ: أَطْفَأَ نَارَهُمْ.. (و) لَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُ الظَّلَمَةِ مُفْرَدًا..؛ (وإنما) ظُلُمَاتٍ..: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}"[٤٥].

---

[٤٢] أبو الحسن الواحدي؛ التفسير الوسيط، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م (١١ ٩٣).

[٤٣] أسعد حومد؛ أيسر التفاسير، المكتبة الشاملة (ص٢٤ - بترقيم الشاملة).

[٤٤] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ١٠٦).

[٤٥] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤ (١١ ٣٠٢).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Vision Mechanism

آلية الإبصار

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ٦الأنعام:١.**
- **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ. وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٧الأعراف:١٤٦و١٤٧.**
- **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٠يونس:٥.**
- **﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ٦٢الجمعة:١١.**
- **﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ. اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٦٣المنافقون:١و٢.**

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾
٢البقرة:١٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ. مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:٨-٢٠.

keywords كَلِمَاتٌ إِرْشَادِيَّة

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

They are deaf, dumb and blind; so they will not return.

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

يتميز النظم الكريم بمراعاة المقام، وإن تناول جملة عناصر رتبها بتقديم الأهم على سواه؛ قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ٨٩الفجر:٢٢، ولا يستقيم بلاغيًّا العكس؛ حتى ولو دل حرف واو العطف على مجرد المصاحبة، فترتيب العناصر متعلق بلاغيا بالرتبة في النظم بحسب المقام حتى ولو خلى النص من واو العطف تبقى الرتبة محفوظة.

والعيون أدوات استقبال خارجية؛ وكذلك الآذان، لكن وظائف الاستقبال واتخاذ القرار مراكزها بالمخ، وتتقدم العيون تشريحيا على الآذان لوجودها في مقدمة الجسم جهة الأمام؛ والنظم يراعي المقام ويقدمها على الآذان: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ٧الأعراف:١٧٩، ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ٧الأعراف:١٩٥، والعين والأنف بالنظم يتقدمان الأذن: ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ ٥المائدة:٤٥، أما من حيث الوظيفة فيتقدم السمع على البصر كما هو مخبوء بالمخ: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ ١٠يونس:٣١، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ ٢البقرة:٢٠، ومجال الإبصار محدود ولذا بالمخ مراكز لتوجيه الرأس والعين إلى بقية الجهات ناسبها التعبير عن البصر بالجمع؛ بينما يسمع الإنسان من كل الجهات ولا يحتاج إلى مراكز للتوجيه.

وفي مقام الذم لعدم توظيف أدوات العلم للإيمان؛ ترد الوظائف مسلوبة بنفس الترتيب المخبوء بالمخ: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ..﴾ ٤٣الزخرف:٤٠، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ ٤٧محمد:٢٣.

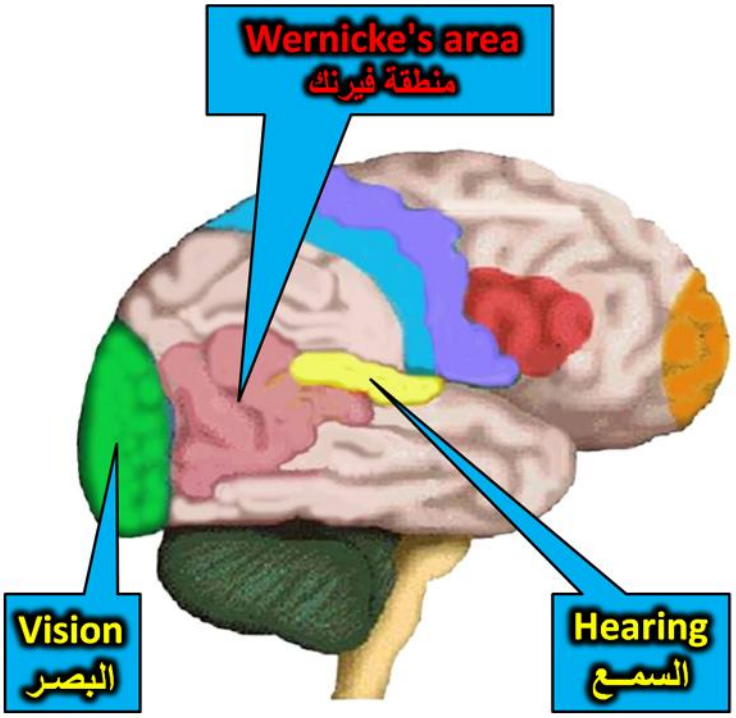

وفي نهاية القرن التاسع عشر اكتشف كارل فيرنك Carl Wernicke (١٨٤٨ - ١٩٠٥) منطقة بين مركزي السمع والبصر مهمتها الوعي بالكلام؛ فسميت بمنطقة فيرنيك Wernicke's area، وتتسبب إصابتها في حالة من البَكَم لعدم الفهم تسمى خرس فيرنيك أو الحبسة الاستقبالية Wernicke's (Receptive) aphasia، وهي حالة من عدم القدرة على فهم المسموعات والمرئيات؛ ومن ثم الكلام أو الكتابة أو القراءة أو حتى الإشارة باليد، وهي حالة مميزة غير حالة تعثر الكلام نتيجة إصابة منطقة صياغة الكلام التي تسمى بمنطقة بروكا Broca's area.

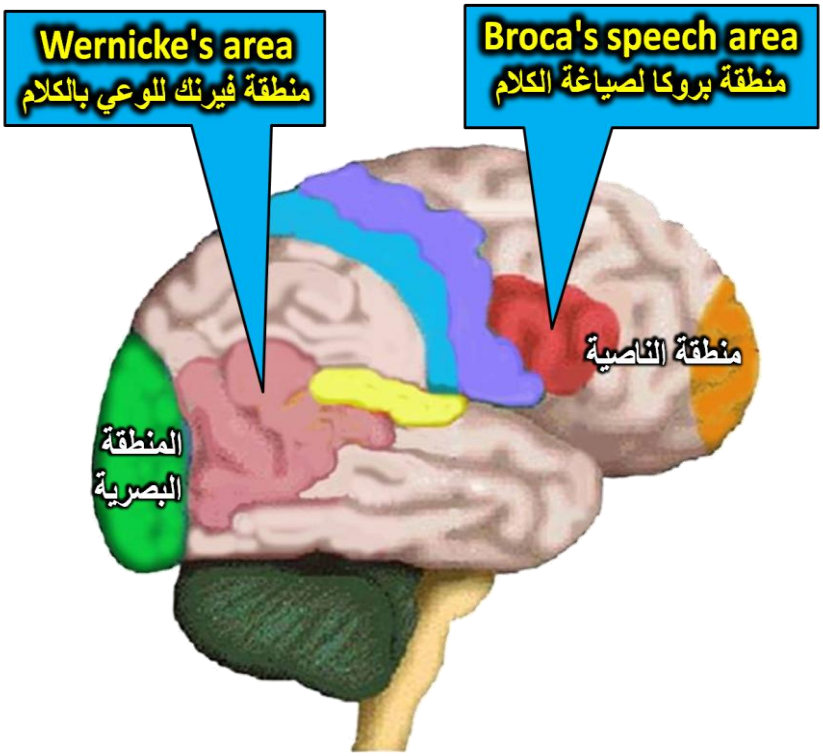

وبنفس الترتيب المخبوء بالدماغ لمنطقتي السمع والبصر وبينهما منطقة فهم الكلام؛ ترد الوظائف مسلوبة في النظم موافقةً الواقع: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ٢البقرة:١٨، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٧١، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٦الأنعام:٣٩، ومصاحبة البكم لوظيفتي استقبال تُفصح عن تعطل وظيفة استقبال بالمثل مهمتها فهم المسموع والمرئي ومن ثَمَّ النُطق، ولم يكن لبشر في القرن السابع الميلادي أن يعرف سر حالة البكم؛ التي اكتشفها فيرنيك في نهاية القرن التاسع عشر[٤٦].

[٤٦] Receptive aphasia, From Wikipedia; the free encyclopedia

وجر المجرم مرتكب الفضائع على وجهه مقلوب الوضع مُنَكَّس الرأس إمعانًا في الإذلال؛ هو أنسب موقف لتصوير سوء مصير المُكَابِر يوم الحساب وبالغ الإهانة والإذلال: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٣٤، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ٥٤القمر:٤٨.

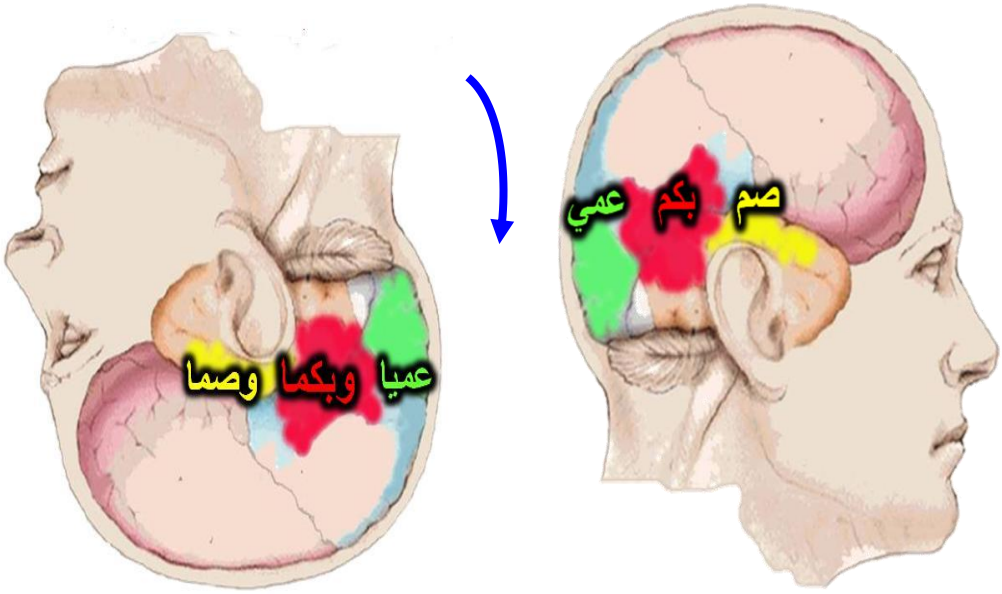

وفي رائعة تأخذ بالألباب لبيان إذلال المُكَابِر يوم الحساب بجره على وجهه مقلوب الوضع؛ المُذهل أن تنعكس الوظائف مُحافظةً على الترتيب بالمخ، فتأخرت وظيفة السمع مراعاة للمقام؛ وبقيت وظيفة فهم الكلام كما هي في المخ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ١٧الإسراء:٩٧، والحفاظ على انعكاس الوظائف الإدراكية مراعاة لانعكاس الرأس في النظم دليل قاطع لا يفلح في رَدِّهِ مُعَانِد، وتتآزر الومضات في تكامل بلا تعارض كاشفة ستر المجهول ساطعة بالحق؛ بما لا يدع للمكابر عذرًا بادعاء سوء الفهم: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ٣٢السجدة:١٢.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال أسعد حومد: "هؤُلاءِ كَأَنَّهُمْ صُمٌّ لاَ يَسْمَعُونَ، وَبُكْمٌ لاَ يَنْطِقُونَ، وَعُمْيٌ لاَ يُبْصِرُونَ، لأَنَّهُمْ لاَ يَنْتَفِعُونَ بِحَوَاسِّهِمْ مَعَ سَلاَمَتِهَا، وَلِذلِكَ فَإِنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلى الحَقِّ؛ لأَنَّ مَنْ فَقَدَ حَوَاسَّهُ لا يَسْمَعُ صَوْتاً.. وَلاَ يَصِيحُ.. وَلاَ يَرَى..، (و) الصَّمَمُ آفَةٌ تَمْنَعُ السَّمعَ، (و) البَكَمُ الخَرَسُ وَفَقْدُ القُدْرَةِ عَلَى النُّطْقِ"[٤٧]، وعن البغوي: "أَيْ هُمْ (صُمٌّ) عَنِ الْحَقِّ.. كأنهم لم يسمعوا، (بُكْمٌ) خُرْسٌ عَنِ الْحَقِّ لَا يَقُولُونَهُ.. كَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْطِقُوا.. (عُمْيٌ).. لَا بَصَائِرَ لَهُمْ، وَمَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ كَمَنْ لَا بَصَرَ لَهُ"[٤٨]، وعن ابن كثير: "{صُمٌّ} لَا يَسْمَعُونَ.. {بُكْمٌ} لَا يَتَكَلَّمُونَ.. {عُمْيٌ} فِي ضَلَالَةِ وَعَمَايَةِ الْبَصِيرَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ٢٢الحج:٤٦"[٤٩]، وقال ابن جزي: "هذه الأوصاف مجاز؛ عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم.. وليس المراد فقد الحواس"[٥٠]، وقال ابن عاشور: "وَالْإِخْبَارُ عَنْهُمْ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ جَاءَ عَلَى طَرِيقَةِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ؛ شُبِّهُوا فِي انْعِدَامِ آثَارِ الْإِحْسَاسِ مِنْهُمْ بِالصُّمِّ الْبُكْمِ الْعُمْيِ؛ أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ اجْتَمَعَتْ لَهُ الصِّفَاتُ الثَّلَاثُ"[٥١]، وقال الماوردي: "البَكَمُ.. آفة.. لا يتمكن معها من أن يعتمد على مواضع الحروف.. (أي) المسلوب الفؤاد الذي لا يعي شيئاً ولا يفهمه"[٥٢].

[٤٧] أسعد حومد؛ أيسر التفاسير، المكتبة الشاملة (ص٢٤ بترقيم الشاملة).

[٤٨] عبد الله بن أحمد الزيد؛ مختصر تفسير البغوي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١١ ٢٠).

[٤٩] محمد علي الصابوني؛ مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم بيروت لبنان، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م (١١ ٣٦).

[٥٠] ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١١ ٧٣).

[٥١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤ (١١ ٣٠٢).

[٥٢] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم دار الكتب العلمية بيروت لبنان (١١ ٨١).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Brain Function

وظيفة المخ

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ٢البقرة:١٧و١٨.
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٠.
- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٧١.
- ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٦الأنعام:٣٩.
- ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ١٧الإسراء:٩٧.
- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ٣٢السجدة:١٢.
- ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ٩٦العلق:١٥و١٦.
- ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ. لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ٦٩الحاقة:١١و١٢.
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ٥٠ق:٣٧.
- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ٢٢الحج:٤٦.
- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ. أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ٤٧محمد:٢٣و٢٤.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ ٢البقرة: ١٩و٢٠.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ. مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:٨-٢٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾، ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Or, it is like a (Cumulous) **heavy rain cloud with thick darkness and thunder and lightning;** (then irrationally) **they put their fingers into their ears because of the thunder claps for fear of death, but ALLAH** (Power) **encompasses the disbelievers. The lightning might well nigh snatch away their sight; whenever it shines upon them, they walk therein; and when it becomes dark to them, they stand still. And if ALLAH wills HE could take away their hearing and their sight; surely ALLAH has the power to do all that HE wills.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

ظَلَّ البرق Lightening ظاهرة غير مفهومة؛ وإلى عهد قريب لم يوجد لتفسيرها سوى التخمين والأساطير، وفي عام ١٧٥٢ استخدم بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin (١٧٠٦ - ١٧٩٠) طائرة ورقية أثناء عاصفة فتولدت شرارة كهربية؛ وقيل أن الطائرة احترقت، وبنجامين فرانكلين هو أول من استخدم كلمة كهرباء Electricity، وأصلها الكلمة الإغريقية كهرمان Electron، وحَكُّهُ بالصوف يجعله يجذب الأجسام بشحنة كهربية، وهو مادة صمغية لأشجار مطمورة متحجرة ويستخدم في صناعة الحُلِي، والبرق والرعد والصاعقة ظواهر تحدث في آن واحد بسبب التفريغ الكهربي بالسحابة؛ لكن ضوء البرق الأسرع من صوت الرعد يصل أولا للراصد؛ وبتعيين الفارق بينهما في زمن الرصد يُمكن تحديد بُعد السحابة، وإذا بلغ البرق أي حي على الأرض يُمكن أن يصعقه فيسمى صاعقة، ويقع أغلب البرق في السحابة ولا ترى انعكاساته إلا كظلمات ويعقبها هدير الرعد؛ قبل أن يقع خارج السحاب ويصبح مرئيا.

يقع أغلب البرق أعالي السحابة ولا يرى إلا انعكاساته بهيئة ظلمات؛ أي درجات من الظلمة.

وفي النظم تَرِد الألفاظ (ظلمات ورعد وبرق) بنفس ترتيب استقبال الراصد لها في الواقع، فكلمة (ظلمات) تشير لدرجات من الظلمة لا تكون إلا في وجود مصدر ضوئي هو البرق؛ فتعني وقوعه أعالي السحابة، يليه هزيم الرعد، ثم يليه لمعان البرق ليعني إمكان رؤيته خارج السحابة، والمعلوم حاليا أن الضوء أسرع من الصوت بمرات عديدة؛ وتقديم النظم للوميض الخفي إذن يعني موافقة الواقع، ولم يقدم الدليل على تحرك الضوء بسرعة غير لحظية إلا عام ١٦٧٦ عندما نجح الفلكي أولاس رومر Olas Roemer للمرة الأولى في التاريخ من قياسها وإثبات أنها محدودة[٥٣].

[٥٣] موسوعة اكسفورد ص٣١٦.

أما الصاعقة فخطرها مُميت بسبب الصدمة الكهربية والاحتراق، وناسبه التَّهَكُّم بهم لتجنبها بوضع أنمل في كل أذن كما يحدث مع الرعد، وتؤكد المبالغة في النظم بوضع كل الأصابع استحالة النجاة: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وفي التصوير: سحاب مظلم كثيف مطره غزير؛ نعمة تنتظرها البوادي، لكنه يُصدر هديرًا يكاد يصم الآذان وبرقًا يكاد يخطف الأبصار؛ وأما خطر الهلاك بالصواعق فوشيك، وفي ليل داجي مفعم بالحيرة وترقب الخطر ومضات لا تكفي لاهتداء، فأي أحمق إذن يحتمي بالهلاك!، وإذن مثل المنافقين هذا: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ مماثل للأول: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وهو ترك الأمان والنجاة؛ والتهرب إلى ظلمة البيداء حيث الحيرة والضلال وخطر الهلاك.

وتنطبق صفات السحاب في التمثيل؛ على نوع الركام Cumulus الأشبه بالجبال، ويتميز بالضخامة والامتداد وكثافة الهطول؛ وبالرعد والبرق مع توفر البَرَد مصدر خطر على من يسقط عليه لإمكان بلوغه أحجام كبيرة، وهو أيضا مصدر شحنات الكهرباء الصاعقة، فمع صعوده ونزوله في السحابة تتوزع الشحنات الكهربية المتعاكسة، فالبرد إذن هو أساس تكوين البرق، وهو لا يتكون إلا في سحاب الركام؛ وقد يسبب العمى المؤقت من شدة اللمعان.

والتعبير بلفظ (صَيِّبٍ) بليغ؛ فهو يتضمن معنى التهديد والإصابة الموجهة على من يشاء القدير، ويفسره ما بعده: (فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)، وتلك الأوصاف أليق بالسحاب، لكنه يعني النوع الثقال والأكثر مطرًا وخطرًا؛ كما في قول العلي القدير: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣، وتعبير (مِنَ السَّمَاءِ) يعني هنا الابتداء والإمتداد؛ كأنه قد غطى جوانب الافق، وتنكير (ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) للتهويل بيانًا للشدة، وجعل الأصابع في الآذان تأكيد لشدة الرعد، والعبارة (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) تأكيد لشدة البرق، ويتفق المعنى مع المعرفة الحديثة بإمكان الإصابة بالصمم وتدمير طبلة الأذن مع شدة الصوت كصوت الانفجار؛ وإمكان الإصابة بالعمى المؤقت مع اللمعان القوي المفاجئ للبرق لاستنفاذ كيميائي في شبكية العين يعطلها عن الإبصار.

وفي قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾؛ التعبير بلفظ (الخطف) تصويري، ويعني سلب شيء والابتعاد به سريعًا، فإذا لم يحدث سلب؛ فالرجوع محقق نحو السحاب، وهو تعبير وصفي دقيق يتفق مع كيفية حدوث البرق، ومثله بيان خطر الصواعق بتعبير الإذهاب بالشيء، فقد ورد في سياق الإتلاف متضمنًا معنى الرجوع: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾، وقد ثبت حديثا أن البرق الذي نراه بالعين المجردة نازلاً؛ هو في الحقيقة راجعًا نحو السحاب، والسبب أن السحابة تشحن الجو الرطب أسفلها؛ فإذا قاربت مرتفع من الأرض ارتفعت شحنة معاكسة بسرعة وحدث التفريغ الكهربي على طول المسار نحو السحابة، وفي رواية مسلم: "ألم تروا إلى البرق كيف يَمُرُّ وَيَرْجِعُ في طرفة عين"، ولعل الإلحاح في بيان خطر الصواعق بتعبير (الأخذ) يشير إلى نفس المعنى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ٢البقرة:٥٥، ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٤، ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ ٤النساء:١٥٣، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٤١فصلت:١٧، ولم يعرف أحد برجوع البرق إلا بعد ظهور أجهزة التصوير السريع التي تلتقط أكثر من ألف صورة في الثانية، فإذا لم يكن محمدًا (ﷺ) مرسلاً من عند الله تعالى، فمن أين إذن جاء بهذه المعرفة التي لم ترد قبلا على خاطر بشر ولا في أي كتاب آخر ينسب اليوم للوحي!.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال القاسمي: "و(الصيب) السحاب ذو الصوب؛ والصوب المطر..، كما قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ الواقعة:٦٩..، (و) (فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ): التنوين في الكلّ للتفخيم والتهويل؛ كأنّه قيل: فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف، (يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ).. جملة اعتراضية منبّهة على أنّ ما صنعوا من سدّ الآذان بالأصابع لا يغني عنهم شيئا..، وهذا تمثيل لشدّة.. التحيّر..، (وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ) أي لزاد في قصيف الرعد فأصمّهم، أو في ضوء البرق فأعماهم..، (و) في التمثيل.. تشبيه دين الإسلام.. بالصيّب..؛ وما فيه من الوعد والوعيد"[٥٤]، وقال محمد رشيد رضا: "(و) الصَّاعِقَةُ هِيَ مَا كَانَ يَعْرِفُهُ الْعَرَبُ وَيَعْرِفُهُ كُلُّ وَاحِدٍ، وَهِيَ مَا يَنْزِلُ فِي أَثْنَاءِ الْمَطَرِ وَالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ فَيَصْعَقُ مَا يَنْزِلُ بِهِ..، وَإِنَّمَا تُذْكَرُ الظَّوَاهِرُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ لِأَجْلِ الِاعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَصَرْفِ الْعَقْلِ إِلَى الْبَحْثِ الَّذِي يَقْوَى بِهِ الْفَهْمُ وَالدِّينُ..، وَتَصَوَّرْ كَيْفَ يَهْوُونَ بِأَصَابِعِهِمْ إِلَى آذَانِهِمْ كُلَّمَا حَدَثَ قَاصِفٌ مِنَ الرَّعْدِ لِيَدْفَعُوا شِدَّةَ وَقْعِهِ بِسَدِّ مَنَافِذِ السَّمْعِ بِرُءُوسِ الْأَنَامِلِ، وَعَبَّرَ عَنِ الْأَنَامِلِ بِالْأَصَابِعِ هَذَا التَّعْبِيرَ الْمَجَازِيَّ.. لِلْإِشْعَارِ بِشِدَّةِ عِنَايَتِهِمْ بِسَدِّ آذَانِهِمْ"[٥٥].

وقال الرازي: "شَبَّهَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِالصَّيِّبِ..؛ (و) يُقَالُ لِلسَّحَابِ صَيِّبٌ.. وَتَنْكِيرُ صَيِّبٍ لِأَنَّهُ (ذو) نَوْعٌ مِنَ الْمَطَرِ شَدِيدٌ هَائِلٌ..، (و) لَمَّا قَالَ (مِنَ السَّماءِ) دَلَّ عَلَى أَنَّهُ عَامٌّ مُطْبِقٌ آخِذٌ بِآفَاقِ السَّمَاءِ..، (وقد) جَاءَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مُنَكَّرَاتٍ.. كَأَنَّهُ قِيلَ فِيهِ ظُلُمَاتٌ دَاجِيَةٌ وَرَعْدٌ قَاصِفٌ وَبَرْقٌ خَاطِفٌ..، (و) إِذَا حَصَلَ السَّحَابُ الَّذِي فِيهِ الظُّلُمَاتُ وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ.. (حينئذٍ) الْبَرْقَ يَكَادُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ، فَإِذَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ، وَإِذَا ذَهَبَ بَقُوا فِي ظُلْمَةٍ عَظِيمَةٍ فَوَقَفُوا مُتَحَيِّرِينَ؛ لِأَنَّ مَنْ أصابه (ضوء) الْبَرْقُ.. ثُمَّ ذَهَبَ عَنْهُ تَشْتَدُّ حَيْرَتُهُ وَتَعْظُمُ الظُّلْمَةُ فِي عَيْنِهِ..، فَشَبَّهَ الْمُنَافِقِينَ فِي حَيْرَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ بِالدِّينِ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ، إِذْ كَانُوا لَا يَرَوْنَ طَرِيقًا وَلَا يَهْتَدُونَ..، (و) الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: (كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ)؛ أَنَّهُ مَتَى حَصَلَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَهِيَ عِصْمَةُ أَمْوَالِهِمْ وَدِمَائِهِمْ وَحُصُولُ الْغَنَائِمِ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَرْغَبُونَ فِي الدِّينِ، (وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا): أَيْ مَتَى لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْمَنَافِعِ؛ فَحِينَئِذٍ.. لَا يَرْغَبُونَ فِيهِ"[٥٦].

وقال المراغي: "(يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ) أي: يجعلون أنامل أصابعهم في آذانهم كلما حدث قاصف من الرعد ليدفعوا شدة وقعه بسد منافذ السمع، خوفا على أنفسهم من الموت، مع أن سد الآذان ليس من أسباب الوقاية من الصاعقة حتى يدفع عنهم الموت..، (يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ) أي: يكاد البرق يختلس أبصارهم، ويستلبها بسرعة من شدة الضوء المفاجئ، (كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ) أي: كلما أنار البرق الطريق في الليلة المظلمة مشوا..، (وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا) أي.. وقفوا.. متحيّرين..، (وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ) أي: ولو شاء أن يذهب الأسماع والأبصار بصوت الرعد ونور البرق لفعل"[٥٧].

---

[٥٤] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١١ ٢٥٩).

[٥٥] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١١ ١٤٧).

[٥٦] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٢ ٣١٥ و٣١٦).

[٥٧] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١١ ٦١).

وقال ابن عاشور: "شَأْنُ (أَوْ) إِذَا جَاءَتْ فِي عَطْفِ التَّشْبِيهَاتِ أَنْ تَدُلَّ عَلَى تَخْيِيرِ السَّامِعِ أَنْ يُشَبِّهَ بِمَا قَبْلَهَا: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) وَبِمَا بَعْدَهَا: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)..، أَيْ مَعَ اتِّحَادِ وَجْهِ الشَّبَهِ"[٥٨]، "كَرَّرَ تَشْبِيهَ الْمُشْرِكِينَ فِي إِعْرَاضِهِمْ.. إِطْنَابًا فِي تَشْنِيعِ حَالِهِمْ"[٥٩]، "وَ(مِنْ) فِي قَوْلِهِ (مِنَ السَّماءِ) ابْتِدَائِيَّةٌ لِأَنَّ مَاءَ الْمَطَرِ يَتَكَوَّنُ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ الْعُلْيَا الزَّمْهَرِيرِيَّةِ عِنْدَ تَصَاعُدِ الْبُخَارِ الْأَرْضِيِّ إِلَيْهَا فَيَصِيرُ الْبُخَارُ كَثِيفًا وَهُوَ السَّحَابُ ثُمَّ يَسْتَحِيلُ مَاءً؛ فَالسَّمَاءُ اسْمٌ لِأَعْلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ حَيْثُ تَتَكَوَّنُ الْأَمْطَارُ"[٦٠]، "وَالْمُرَادُ بِالسَّمَاءِ هُنَا إِطْلَاقُهَا الْعُرْفِيُّ عِنْدَ الْعَرَبِ وَهُوَ مَا يَبْدُو لِلنَّاظِرِ كَالْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ وَهُوَ كُرَةُ الْهَوَاءِ الْمُحِيطِ بِالْأَرْضِ"[٦١]، "وَاقْتُصِرَ فِي الْعِبْرَةِ بِالصَّوَاعِقِ عَلَى الْإِنْذَارِ بِهَا لِأَنَّهَا لَا نِعْمَةَ فِيهَا لِأَنَّ النِّعْمَةَ حَاصِلَةٌ بِالسَّحَابِ..، وَكَانَ الْعَرَبُ يَخَافُونَ الصَّوَاعِقَ"[٦٢]، "وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ يَنْشَآنِ فِي السَّحَابِ مِنْ أَثَرٍ كَهْرَبَائِيٍّ..، وَالصَّوَاعِقُ جَمْعُ صَاعِقَةٍ وَهِيَ نَارٌ تَنْدَفِعُ مِنْ كَهْرَبَائِيَّةِ الْأَسْحِبَةِ..، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الرَّعْدَ وَالْبَرْقَ.. بَلَغَا مُنْتَهَى قُوَّةِ جِنْسَيْهِمَا بِحَيْثُ لَا يَمْنَعُ قَصِيفُ الرَّعْدِ مِنْ إِتْلَافِ أَسْمَاعِ سَامِعِيهِ، وَلَا يَمْنَعُ وَمِيضُ الْبَرْقِ مِنْ إِتْلَافِ أَبْصَارِ نَاظِرِيهِ؛ إِلَّا مَشِيئَةُ اللَّهِ.. تَهْدِيدٍ لَهُمْ.. إِنْ لَمْ يَبْتَدِرُوا.. لِلتَّبَصُّرِ فِي الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ وَسَمَاعِ الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَنِ الْأَمْرَيْنِ كَانُوا أَحْرِيَاءَ بِسَلْبِ النِّعْمَةِ"[٦٣].

[٥٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٨\ ٢٥٤).
[٥٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٠\ ٣٦).
[٦٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٧\ ٣٩٨).
[٦١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣٣١).
[٦٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٣\ ١٠٥).
[٦٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣١٤-٣٢٣).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Meteorology

علم الأرصاد

المَوْضُوع Subject

Cumulus Clouds

سحب الركام

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ٢البقرة:١٧.**
- **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ٢البقرة:٥٥.**
- **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٦٥.**
- **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ٤النساء:١٥٣.**
- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣.**
- **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٤١فصلت:١٧.**
- **﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٤.**

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢البقرة:٢٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢البقرة:٢١و٢٢.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾، ﴿الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

The One who made the earth (Crust) **like a Carpet** (below you) **and the Sky** (Atmosphere) **like a Shelter** (up of you)**. And He sends down water from the sky to produce all kinds of fruits as sustenance for you.** (Therefore) **You should not set up idols to rival GOD while you know** (that).

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

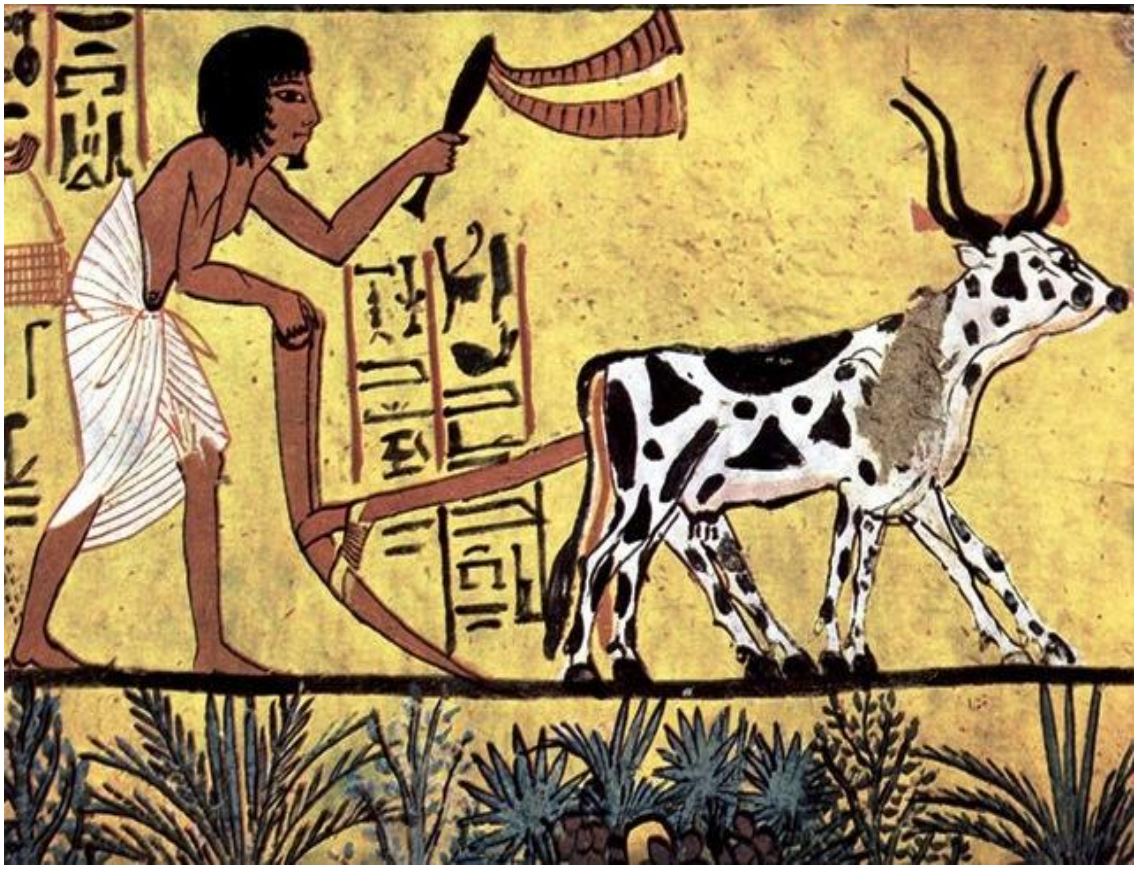

استخدمت البقرة منذ القدم في أعمال الزراعة خاصَّةً حرث الأرض؛ ثم سقي الزرع بإدارة ساقية الماء بعد الحرث، ودور البقرة هو قلقلة التربة وشقها وتقليبها والذي قد يبلغ تهييج تراب الحقل، وفي نفس مشهد البقرة التي تحرث الأرض الزراعية وتسقيها؛ يُورد القرآن الكريم لفظ (الأرض) بمعنى تربة الحقل لا الكوكب: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ٢البقرة:٧١، ولفظ (الأرض) هنا يقيده السياق ليفيد الأرض الزراعية لا الكوكب؛ بقرينة التخصيص ببقرة تُقَلِّب تربة الحقل وتسقي ما تم زرعه، قال حسنين محمد مخلوف: "تُثير الأرض: تقلب الأرض للزّراعة"[٦٤]؛ أي تربة الحقل أو التراب، وقال الطاهر محمد عاشور: "وَإِثَارَةُ الْأَرْضِ حَرْثُهَا وَقَلْبُ دَاخِلِ تُرَابِهَا..، أُطْلِقَ عَلَى الْحَرْثِ فِعْلُ الإثارة تَشْبِيها لانتقال أَجْزَاءِ الْأَرْضِ بِثَوْرَةِ الشَّيْءِ مِنْ مَكَانِهِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (فَتُثِيرُ سَحاباً)؛ أَيْ تَبْعَثُهُ وَتَنْقُلُهُ، وَنَظِيرُ هَذَا الِاسْتِعْمَالِ قَوْلُهُ..: (وَأَثارُوا الْأَرْضَ)"[٦٥]؛ "وَأُطْلِقَتِ الْإِثَارَةُ هُنَا عَلَى قَلْبِ تُرَابِ (الحقل) بِجَعْلِ مَا كَانَ بَاطِنًا ظَاهِرًا..، قَالَ تَعَالَى: (تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ)"[٦٦]، وقال الشعراوي: "(تُثِيرُ الأرض): أي لم تستخدم في حراثة الأرض أو فلاحتها، (وَلاَ تَسْقِي الحرث): أي لم تستخدم في إدارة السواقي لسقية الزرع"[٦٧]، لفظ (الأرض) إذن من الألفاظ متعددة الدلالة التي تحددها القرائن؛ مثل البلد والقُطر والسطح الصخري المحيط بالكوكب، وإن أتت مع لفظ (السماء) في سياق الإطلاق لتعني العالم كله فدلالتها الكوكب بالنسبة للراصد الأرضي؛ لذا ترد بالإفراد.

---

[٦٤] حسنين محمد مخلوف؛ كلمات القرآن تفسير وبيان (ص٢).

[٦٥] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٥٥٥).

[٦٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢١\ ٥٧).

[٦٧] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١\ ٣٩٦).

وفي البوادي يحتاج الإنسان إلى فراش يحميه من خطر الأشواك والحصى أسفل منه، والغلاف الصخري للكوكب يسمى القشرة الأرضية لرقته بالنسبة للكوكب، وهو يحمي الإنسان من خطر لهيب الباطن؛ فهو أشبه ما يكون بالفراش، وهو نفس التمثيل في النظم؛ وينطبق على الطبقة السطحية للكوكب أو الغلاف الصخري الذي يحجز أسفله لهيب الباطن.

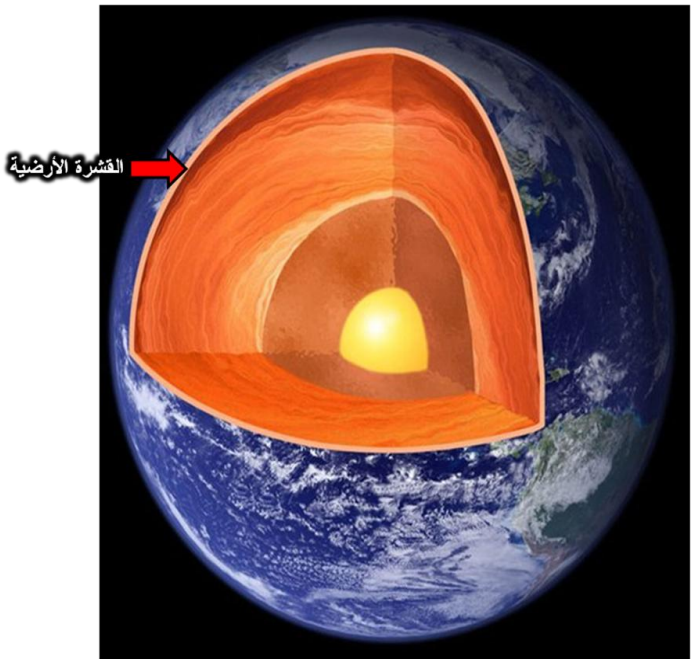

يقول تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾، ويَتَّسِع أفق الوصف ليشمل كل العالم المَحَلِّي المُحيط بالعرب زمن النبوة متجاوزًا حدود اهتماماتهم، وكلمة (لَكُمُ) هي قرينة المَحلِّيَّة، وهي تقصر دلالة لفظ (السماء) على الجو، ويجعله التشبيه كالبيت بجامع توفير ما يلزم للحياة والحماية، والشمول يجعل دلالة لفظ (الأرض) على المستوى الجيولوجي؛ والتشبيه بالفراش يجعل دلالته تطابق القشرة الأرضية التي تحمي القاطنين فوقها من لهيب الباطن؛ كما يحمي الفراش من الأخطار دونه مثل الأشواك والصخور الخشنة.

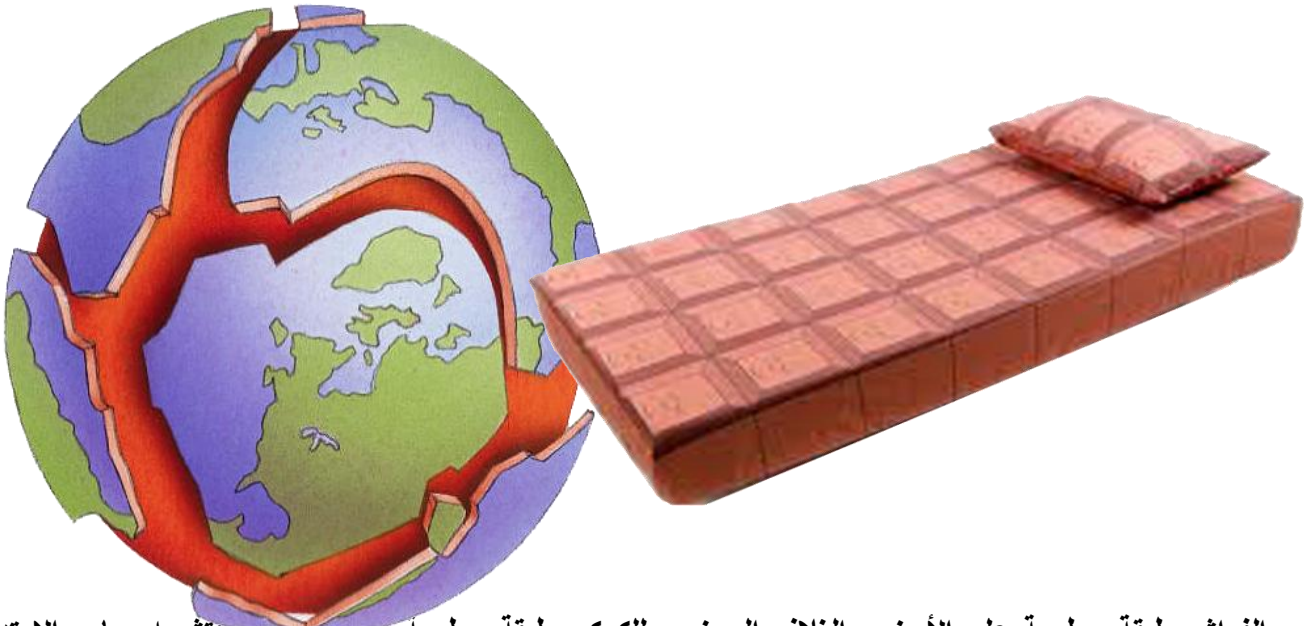

والفراش طبقة سطحية على الأرض والغلاف الصخري للكوكب طبقة سطحية من الأرض. والتشبيه بجامع الامتداد والتغطية والفوقية والرِّقَّة والحماية من الخطر أسفلها، قال شمس الدين الشربيني: "صارت مهيأة.. كالفراش المبسوط، (والتشبيه يتناسب) مع عظم حجمها واتساع جرمها.. فليس في ذلك إلا أنّ الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفاريش"[٦٨]، وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾؛ لفظ (جَعَلَ) يعني التحول في الحالة، فيؤكد أن القشرة الأرضية لم يكن لها عند تكوين الكوكب سابق وجود، فتكون عن قصد أكيد وسابق تقدير سطحًا؛ حمايةً للإنسان القادم من بعد.

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٨، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ ٧١نوح:١٩، والبساط يحمي من وعورة الصحراء؛ فَضُرِبَ به المثل للسطح الصخري للكوكب بيانًا لما دونه من أخطار.

قال ابن عاشور: "صِفَةٍ أُخْرَى تَقْتَضِي عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُ وَحْدَهُ (تعالى)؛ وَهِيَ نِعَمُهُ الْمُسْتَمِرَّةُ عَلَيْهِمْ مَعَ مَا فِيهَا مِنْ دَلَائِلِ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ فَإِنَّهُ مَكَّنَ لَهُمْ سُبُلَ الْعَيْشِ وَأَوَّلُهَا الْمَكَانُ الصَّالِحُ لِلِاسْتِقْرَارِ عَلَيْهِ.. فَجَعَلَهُ كَالْفِرَاشِ لَهُمْ، وَمِنْ

[٦٨] محمد بن أحمد الشربيني؛ تفسير السراج المنير، دار الكتب العلمية بيروت (١١ ٦٥).

إِحَاطَةِ هَذَا الْقَرَارِ بِالْهَوَاءِ النَّافِعِ لِحَيَاتِهِمْ..، وَذَلِكَ مَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً)، وَبِكَوْنِ تِلْكَ الْكُرَةِ الْهَوَائِيَّةِ وَاقِيَةَ النَّاسِ مِنْ إِضْرَارِ طَبَقَاتٍ فَوْقَهَا مُتَنَاهِيَةٍ فِي الْعُلُوِّ، مِنْ زَمْهَرِيرٍ أَوْ عَنَاصِرَ.. قَاتِلَةٍ..، فَالْكُرَةُ الْهَوَائِيَّةُ جُعِلَتْ فَوْقَ هَذَا الْعَالَمِ، فَهِيَ كَالْبِنَاءِ لَهُ وَنَفْعُهَا كَنَفْعِ الْبِنَاءِ؛ فَشُبِّهَتْ بِهِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، وَبِأَنْ أَخْرَجَ لِلنَّاسِ مَا فِيهِ إِقَامَةُ أَوَدِ حَيَاتِهِمْ بِاجْتِمَاعِ مَاءِ السَّمَاءِ مَعَ قُوَّةِ الْأَرْضِ؛ وَهُوَ الثِّمَارُ، وَالْمُرَادُ بِالسَّمَاءِ هُنَا إِطْلَاقُهَا الْعُرْفِيُّ عِنْدَ الْعَرَبِ وَهُوَ مَا يَبْدُو لِلنَّاظِرِ كَالْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ وَهُوَ كُرَةُ الْهَوَاءِ الْمُحِيطِ بِالْأَرْضِ؛ كَمَا هُوَ الْمُرَادُ فِي قَوْلِهِ: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ)"[٦٩].

وفي مقابل البيان بأن الهواء طبقة محدودة الارتفاع في مقام المن؛ يكون المراد بلفظ (الأرض) طبقة سطحية منها، وتشبيه الطبقة السطحية للأرض بالفراش يتناسب مع عظم حجمها؛ وتشبيه الجو كذلك بالسقف يتناسب مع عظم حجمه، والحماية الضمنية تدل على وجود خطر تحت قشرة الأرض؛ وأن الهواء طبقة بين الأرض والسماء التي تعلوه لتحمينا، وتؤكد النصوص صريحًا وجود تلك الطبقة بينهما: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.

بليز باسكال Blaise Pascal
(١٦٢٣ – ١٦٦٢)

الفريد فاجنر Alfred Wagner
(١٨٨٠ – ١٩٣٠)

وما دَلَّ عليه القرآن الكريم من أن الطبقة الأرضية تحت الناس أشبه بالفراش أو البساط أو مهد الصبي يحميهم؛ وأن الجو أشبه بسقف أو خيمة منصوبة للحماية؛ هي نظرة شمولية للكوكب ومحيطه ومعرفة متقدمة بحوالي ألف سنة، فلم تتبلور المعرفة بأن الغلاف الصخري للأرض مكون من عدة ألواح قارية فوق طبقة ملتهبة شبه لدنة إلا عام ١٩١٢ عندما صاغ الفريد فاجنر (١٨٨٠ – ١٩٣٠) نظرية شمولية سميت بالانجراف القاري Continental Drift؛ قائلاً أن القارات كانت يومًا ما قارة واحدة عملاقة Pangaea، وإن لم تلق نظريته قبولا في الأوساط العلمية وقتها، وأعقبتها نظرية الصفائح التكتونية Tectonic Plates؛ ومقتضاها أن الغلاف الصخري للأرض قطع متجاورات تنزلق ببطء تدفعها تيارات الباطن الملتهب للأرض فتتحرك معها الجبال، فتتغير على مدى الدهور خريطة سطح الأرض، ولم يُعرف أن الهواء طبقة محدودة فوق سطح الأرض إلا عام ١٦٤٨ عندما أعلن بليز باسكال (١٦٢٣ – ١٦٦٢) أنّ الضغط الجوي يتناقص بالارتفاع عن مستوى سطح البحر؛ واستنتج أن هناك فراغا سماويا فوق الغلاف الجوي، ولا شك إذن أن المعرفة العلمية المُدَّخَرة خلال التذكير بالنِّعَم والدعوة لوحدانية المُنْعِم؛ هي تحقيق لوعد جازم: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣.

[٦٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٣٣١).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن كثير: "شَرَعَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي بَيَانِ وَحْدَانِيَّةِ أُلُوهِيَّتِهِ؛ بِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَى عَبِيده.. بِأَنْ جَعَلَ لَهُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا؛ أَيْ: مَهْدًا كَالْفِرَاشِ مُقَرّة.. مُثَبَّتَةً بِالرَّوَاسِي الشَّامِخَاتِ، {وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} وَهُوَ السَّقْفُ، كَمَا قَالَ..: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} الْأَنْبِيَاءِ:٣٢، وَأَنْزَلَ لَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً؛ وَالْمُرَادُ بِهِ السَّحَابُ هَاهُنَا..، فَأَخْرَجَ لَهُمْ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ مَا هُوَ مُشَاهَدٌ؛ رِزْقًا لَهُمْ وَلِأَنْعَامِهِمْ، كَمَا قَرَّرَ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.. ومِنْ أَشْبَهِ آيَةٍ بِهَذِهِ الْآيَةِ..: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً..} غَافِرٍ:٦٤، وَمَضْمُونُهُ أَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ مَالِكُ الدَّارِ وَسَاكِنِيهَا وَرَازِقُهُمْ، فَبِهَذَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ غَيره؛ وَلِهَذَا قَالَ: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}"[٧٠].

وقال الشنقيطي: "أَوَّلُ نِدَاءٍ فِي الْمُصْحَفِ يُوَجَّهُ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا بِعِبَادَةِ اللَّهِ.. لِاسْتِحْقَاقِهِ عِبَادَتَهُ وَحْدَهُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)"[٧١]، "وَضْعِ الْأَرْضِ لَهُمْ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ؛ وَجَعْلِهَا آيَةً لَهُمْ دَالَّةً عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ رَبِّهِمْ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ؛ جَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ.. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)..، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا)..، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا)"[٧٢]، "وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً)..، وقوله تعالى: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)"[٧٣]، "(و)جَاءَ لَفْظُ السَّمَاءِ مُفْرَدًا وَجَمْعًا.، أَمَّا الْأَرْضُ فَلَمْ يَأْتِ لَفْظُهَا إِلَّا مُفْرَدًا"[٧٤].

وقال الرازي: "ذكر هاهنا أَنَّهُ جَعَلَ الْأَرْضَ فِرَاشًا؛ وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً)..، وقوله: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً)..، وَالَّذِي يَزِيدُهُ تَقْرِيرًا أَنَّ الْجِبَالَ أَوْتَادُ الْأَرْضِ"[٧٥]، "(و)قَوْلُهُ: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً)..، وَقُرِئَ مَهْدًا؛ وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْأَرْضَ لِلْخَلْقِ كَالْمَهْدِ لِلصَّبِيِّ..، (ونظيره) قوله تعالى..: (وَالْجِبالَ أَوْتاداً) أَيْ لِلْأَرْضِ كَيْ لَا تَمِيدَ بِأَهْلِهَا"[٧٦].

وقال الشوكاني: "قَدَّمَ نِعْمَةَ.. خَلْقِ الْأَرْضِ فِرَاشًا لَهُمْ..، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِنِعْمَةِ جَعْلِ السَّمَاءِ كَالْقُبَّةِ الْمَضْرُوبَةِ عَلَيْهِمْ، وَالسَّقْفِ لِلْبَيْتِ الَّذِي يَسْكُنُونَهُ؛ كَمَا قال: (وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً)، وَأَصْلُ الْبِنَاءِ وَضْعُ لَبِنَةٍ عَلَى أُخْرَى، ثُمَّ امْتَنَّ عَلَيْهِمْ بِإِنْزَالِ الْمَاءِ..، (وإخراج) أَلْوَانًا مِنَ الثَّمَرَاتِ وَأَنْوَاعًا مِنَ النَّبَاتِ..، وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي قَوْلِهِ: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فراشاً)؛ أَيْ تَمْشُونَ عَلَيْهَا وَهِيَ الْمِهَادُ وَالْقَرَارُ، (وَالسَّماءَ بِناءً)؛ قَالَ كَهَيْئَةِ الْقُبَّةِ وَهِيَ سَقْفُ الْأَرْضِ"[٧٧]، "وَالْمِهَادُ.. الْفِرَاشُ.. وَالْمَعْنَى أَنَّهَا كَالْمَهْدِ لِلصَّبِيِّ وَهُوَ مَا يُمَهَّدُ لَهُ فَيُنَوَّمُ عَلَيْهِ، وَالْأَوْتَادُ جَمْعُ وَتِدٍ؛ أَيْ جَعَلْنَا الْجِبَالَ أَوْتَادًا لِلْأَرْضِ لِتَسْكُنَ وَلَا تَتَحَرَّكَ كما ترسى الْخِيَامَ بِالْأَوْتَادِ"[٧٨].

---

[٧٠] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١\ ١٩٤).

[٧١] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٨\ ٧٢).

[٧٢] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٧\ ٤٩٣).

[٧٣] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٧\ ٨٤).

[٧٤] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٨\ ٢١٧).

[٧٥] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٢\ ٣٣٦).

[٧٦] **فخر** الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٣١\ ٨).

[٧٧] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١\ ٦٠).

[٧٨] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٥\ ٤٣٩).

وقال أبو زهرة: "جعل هنا بمعنى صيَّر..، والمعنى جعل الله تعالى الأرض.. كأنها فراش..، ولذلك قال تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)، وقد وصفت الأرض بأن الله تعالى جعلها مهادا ووصفت بأنه جعلها بساطا؛ فهي.. كالفراش وكالبساط..، (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) أي وجعل السماء بناء، أي كأنها البناء أو الخباء الذي يحيط بأهله؛ فهي.. كالسقف..، فهي من الأرض بمنزلة الخباء الذي يحيط بها..؛ (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) أي مما كان بناء.. (أي سماء).. للأرض.. ولم يقل من السحاب أو الغمام، وهي التي يتقاطر المطر منها، كما قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)، فهذه الآية الكريمة تدل على أن الماء ينزل من السُّحُب..، وعبر سبحانه وتعالى عن نزول الماء بأنه من السماء لأنها وعاء السحاب، ولأنه سبحانه وتعالى مَنَّ على عباده بأنه جعل السماء مظلة الأرض، فناسب أن يذكر السماء مضافه إليها نعمة أخرى؛ وهي نعمة نزول الماء الذي يكون به الخصب والنماء..، وقد قال سبحانه بالتنكير: (وَأَنْزَلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً) أي أن هذا الماء بعض نعمه"[٧٩].

وقال محمد سيد طنطاوي: "(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً).. ما يفترشه الإنسان ليستقر عليه..، أى: اجعلوا عبادتكم لله الذي صير الأرض لأجلكم.. كالبساط المفروش..، (وَالسَّماءَ بِناءً).. أي..: كالسقف للأرض؛ لأنها تظهر كالقبة المضروبة فوقها، كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ)، وقَدَّم (ذكر) خلق الأرض على (ذكر) خلق السماء؛ لأن الأرض أقرب إلى المخاطبين وانتفاعهم بها أظهر وأكثر..، فهذه جملة واضحة دالة على أن العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية"[٨٠].

وقال ابن عاشور: "مَعْنَى جَعَلَ الْأَرْضَ فِرَاشًا أَنَّهَا كَالْفِرَاشِ.. وَتِلْكَ مِنَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَأَمَّا وَجْهُ شَبَهِ السَّمَاءِ بِالْبِنَاءِ فَهُوَ أَنَّ الْكُرَةَ الْهَوَائِيَّةَ جَعَلَهَا اللَّهُ حَاجِزَةً بَيْنَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَبَيْنَ (ما فوقها).. فَهِيَ كَالْبِنَاءِ فِيمَا يُرَادُ لَهُ الْبِنَاءُ؛ وَهُوَ الْوِقَايَةُ مِنَ الْأَضْرَارِ النَّازِلَةِ..؛ مَعَ مَا فِي مشابهة منظر الْكُرَةِ الْهَوَائِيَّةِ لِهَيْئَةِ الْقُبَّةِ، وَالْقُبَّةُ بَيْتٌ مِنْ أَدَمٍ مُقَبَّبٍ وَتُسَمَّى بِنَاءً، وَهَذَا كَقَوْلِهِ..: (وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً)..، (و) الِامْتِنَانَ بِجَعْلِ السَّمَاءِ كَالْبِنَاءِ لِوِقَايَةِ النَّاسِ مِنْ قَبِيلِ الْمُعْجِزَاتِ الْعِلْمِيَّةِ..، وَيَكْفِي فِي الِامْتِنَانِ بِخَلْقِ السَّمَاءِ إِشْعَارُ السَّامِعِينَ.. بِأَنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاءِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ مَا فِي إِقَامَةِ الْبِنَاءِ مِنَ الْفَوَائِدِ عَلَى الْإِجْمَالِ..؛ ثُمَّ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ فِي قَابِلِ الْأَجْيَالِ، وَحُذِفَ (لَكُمْ) عِنْدَ ذِكْرِ السَّمَاءِ إِيجَازًا؛ لِأَنَّ ذِكْرَهُ فِي قَوْلِه: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ) دَلِيلٌ عَلَيْهِ..، وَ(جَعَلَ).. بِمَعْنَى صَيَّرَ؛ فَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ قَدِ انْتَقَلَتَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ حَتَّى صَارَتَا كَمَا هُمَا..، وَقَوَاعِدُ عِلْمِ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ.. تُؤْذِنُ بِهَذَا..، فَيَكُونُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى..: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)"[٨١]، "وَاعْلَمْ أَنَّ كَوْنَ الْمَاءِ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ؛ هُوَ أَنَّ تَكَوُّنَهُ يَكُونُ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ مِنْ آثَارِ الْبُخَارِ الَّذِي فِي الْجَوِّ؛ فَإِنِ الجو ممتلئ.. بِالْأَبْخِرَةِ الصَّاعِدَةِ.. بِوَاسِطَةِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ..، فَإِذَا بَلَغَ الْبُخَارُ أَقْطَارَ الْجَوِّ الْعَالِيَةَ بَرَدَ بِبُرُودَتِهَا.. فَيَصِيرُ سَحَابًا ثُمَّ.. تَجْتَمِعُ فِيهِ (القطرات) الْمَائِيَّةُ وَتَثْقُلُ عَلَيْهِ..؛ وَهُوَ مَا أَشَارَ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)"[٨٢].

---

[٧٩] محمد بن أحمد أبي زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١\ ١٥٨).

[٨٠] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (١\ ٧٢).

[٨١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣٣١).

[٨٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ١٣٢).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Geology

علم طبقات الأرض

المَوْضُوع Subject

Earth Crust

القشرة الأرضية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣الرعد:٣و٤.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ ١٥الحجر:١٩و٢٠.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٦النحل:١٥.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ ٢٠طه:٥٣و٥٤.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣١و٣٢.
- ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ٣١لقمان:١٠.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٠غافر:٦٤.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ٤٣الزخرف:١٠و١١.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٥٠ق:٧.
- ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ. وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٨و٤٩.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا. لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ٧١نوح:١٩و٢٠.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا. وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ ٧٧المرسلات:٢٥-٢٧.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨النبأ:٦و٧.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا. وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:١-٦.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا
بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ٢البقرة:٢٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ٢البقرة:٢٦.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا﴾، ﴿بَعُوضَةً﴾، ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Verily, ALLAH does not disparage to give an illustration (in fitness & danger to man) **as small as a** (female) **mosquito or even smaller** (like the bacteria & viruses)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لم تُعرف الأسلحة البيولوجية إلا حديثًا؛ ولكن أخطر القتلة يستخدمها بمهارة منذ ملايين السنين، آلة حربية خطيرة ضحاياها بالملايين؛ ولم يُعرف خطرها سوى من بضع سنين، ولا يمكن التخلص منها؛ مهما اجتمعت جيوش الدول الكبيرة أو امتلكت من أسلحة خطيرة، تلك هي البعوضة التي ظلت لضآلتها محل استهتار واستحقار منذ زمن بعيد؛ ولم توحي بخطر داهم لأحد، لكن خطرها اليوم يقين؛ لما تنشره من أمراض فتاكة؛ كما لو كانت طائرة حربية عملاقة، ولو عرف الإنسان زمن النبوة أنها القاتل الأول من بين جميع الحشرات على وجه الأرض؛ لفر منها فراره من الأسد.

(١) تنقل البعوضة طفيل الملاريا Malaria، فيهاجم الكريات الدموية الحمراء، والسبب في دورية النوبات هو الانفجار الجماعي للكريات المصابة دوريا، ويوجد نوع من الطفيل (Plasmodium Falciparum) يسبب الملاريا الخبيثة، وسميت كذلك لكونها تؤدي إلى موت حوالي ٩٥% من حالات الإصابة بالملاريا، وطبقا لتصريحات منظمة الصحة العالمية مازالت الملاريا تصيب حوالي ٤٠٠ مليون ضحية سنويا في العالم؛ وتقتل حوالي ٢ مليون شخص معظمهم من الأطفال، ولا يوجد لقاح فعال ضدها حتى الآن، ومع نهاية القرن العشرين قلت فاعلية العقارات المستخدمة لمكافحتها مثل عقار الكلوروكين Chloroquine.

(٢) مرض أبو الركب أو حُمَّى الضنك النزفية (أو الدنج أو الدنك) Dengue fever؛ وقد سميت بمرض أبو الركب لألم المفاصل وسببها فيروس؛ وقد تسمى حمى تكسير العظام Break-bone fever لألم العظام وتتسبب في دخول حوالي ٠,٥ مليون سنويا إلى المستشفيات ووقوع آلاف الوفيات، وقد سجلت حالاتها في أكثر من ١٠٠ دولة، ولا يتوفر لهذا المرض الخطير حتى الآن أي لقاح ولا يوجد له أي علاج ناجح.

(٣) الحمى النازفة Hemorrhagic fever؛ وعلاماته حمي ونزيف بعدة مناطق نتيجة فيروس قد تنقله البعوضة.

(٤) الحمى الصفراء Yellow fever؛ وسببها فيروس يحطم الخلايا الكبدية ويؤدي إلى صفراء مع الحمى.

(٥) الحمى المخية Encephalitis؛ وهي مرض فيروسي خطير، ومن علاماته السريرية تصلب في رقبة المصاب مع صعوبة تمييلها نحو الخلف بالإضافة إلى نوبات تشنجية، وتصل نسبة الوفيات إلى حوالي ٧٠%.

حمى الوادي المتصدع تفتك بالمواشي.

(٦) حمى الوادي المتصدع Rift Valley fever؛ سببها فيروس يصيب المواشي، وقد يؤدي إلى نفوقها بأعداد كبيرة، وقد يُصاب الإنسان إما من البعوضة أو من خلال اللحوم المصابة والمواد الإخراجية للحيوان المريض.

داء الفيل يصيب الأقدام عادة بالتضخم نتيجة انسداد الأوعية اللمفاوية بطفيل الفلاريا الذي تنقله البعوضة.

(٧) داء الفيل Elephantiasis؛ وهو عبارة عن تورم بعض المناطق خاصة القدمين لانسداد الأوعية الليمفاوية بديدان خيطية تسمى الفلاريا Filariasis؛ ويصيب المرض حوالي ٩٠ مليون، وينتشر في المناطق الحارة[٨٣].

[٨٣] موسوعة ويكيبيديا، والموسوعة العربية العالمية - النسخة الإلكترونية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (مادة بعوضة).

البعوضة إذن صغيرة لكنها خطيرة؛ وقائمة الأمراض الفتاكة التي تسببها للإنسان، ولم يكن لأحد العلم بها من قبل؛ برهان يكشف لماذا يَخُصُّهَا القرآن الكريم دون بقية أمثالها من الحشرات بنفي الاستحياء من ذكرها دالاً على خطرها، والمعلومات اليوم وفيرة على سابق تجهيز البعوضة بإمكانيات عديدة تمكنها من كسب قوتها والتغلب على الإنسان وتحقيق التحدي بها في القرآن، فهي تمتلك زوج من الأعين المركبة يُمْكِنُهُمَا الرؤية في مجال واسع واكتشاف الضحية، وتتوجه نحو الضحية بتتبع ما يصدر من الحرارة وإفرازات العرق والزفير، وقد يصل معدل خفقان الجناحين: ٦٠٠ خفقة في الثانية؛ وهذا هو سبب الطنين، وقرون الاستشعار آذان لإدراك كل من الزوجين نوعه بدرجة الطنين؛ وأدوات لاستشعار زفير الضحية وإفرازات الجلد، والبعوضة يُمكنها قطع حوالي ٧٠ كم في اليوم، وفم الأنثى ثاقب ماص، ولها إبرة يحيط بها خرطوم مرن قابل للانثناء حين غرز الإبرة عميقا في جلد الضحية، وبعد ثقب الجلد تفرز على الجرح سوائل من غدتها اللعابية تؤدي إلى الاحتقان وتمنع التجلط لينساب الدم بسهولة، وتدخل الطفيليات والفيروسات مع دم الضحية المُصَابَة إلى معدتها؛ ثم تُصِيب الغدة اللعابية وتدخل مع سوائلها إلى دم الضحية الجديدة.

بعوضة النمر الأسيوي الشرسة

وفي عام ١٩٩٥ غزت أمريكا بعوضة شرسة تسمى بالنمر الأسيوي، ويمكنها نشر الحمى المخية وأبو الركب، ولاحتياج بيضها للماء قد تكفيه ليفقس قطرة ماء ضئيلة؛ وعلى ضآلة تلك البعوضة قد أعجزت الحكومة الأمريكية، فأي تحدي إذن لغرور الإنسان ببعوضة ضئيلة لا يُعبأ بها؛ تترصد به ولا يُمكنه الإفلات، فليست البعوضة إذن كائنًا يُستهان به ويُذكر لضآلته على استحياء، وليس من قبيل المصادفة إذن أن يختار القرآن الكريم البعوضة تحديدًا نافيا الاستحياء عن ذكرها مُتَحَدِّيًا بها؛ وهي القاتل الأول للإنسان؛ ناهيك عما يفوقها ضآلة ويُشاركها تهديد الإنسان.

أنطوني فان ليفينهوك Antonie van Leeuwenhoek (١٦٣٢ – ١٧٢٣)
ونسخة تقليد مشابهة لمجهره البدائي.

أنطوني فان ليفينهوك Antonie van Leeuwenhoek (١٦٣٢ – ١٧٢٣) الهولندي الشغوف بالاكتشاف هو أول من استخدم مجهر بدائي ليكتشف عالما رائعا لا تراه عين من الأجسام الدقيقة للمرة الأولى في التاريخ، ولكن أعظم اكتشاف له كان سنة ١٦٧٤ عندما سجل أول ملاحظاته عن الميكروبات وهو يفحص إحدى قطع القماش فرأى كائنات حية عصوية الشكل، وفي قطرة ماء واحدة اكتشف عالماً نشطا جديداً لا شك فيه من الكائنات الحية الدقيقة، وقد تمكن من العثور على الميكروبات في أماكن كثيرة كالمستنقعات وفم الإنسان، وعلى الرغم من أنه لم يعرف ما الذي اكتشفه بالضبط؛ ومع ذلك فإن الذي اكتشفه كانت له أهمية عظمى في تاريخ البشرية[٨٤].

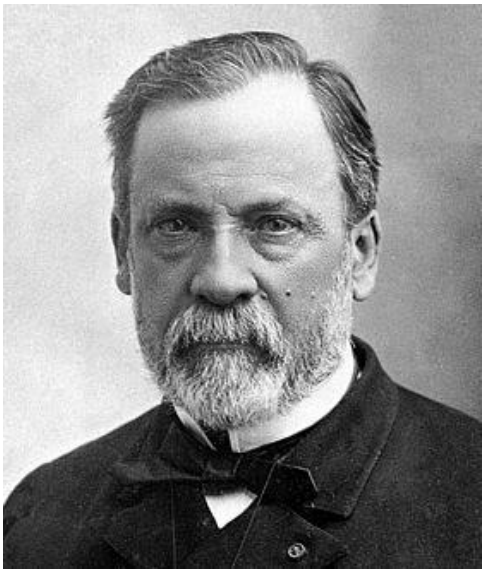

لويس باستير Louis Pasteur
(١٨٢٢ - ١٨٩٥)

ولم تظهر أهمية وخطورة اكتشاف ليفينهوك للميكروبات إلا بعد ذلك بحوالي مائتي عام؛ عندما ظهر العالم الفرنسي لويس باستير Louis Pasteur (١٨٢٢ - ١٨٩٥)؛ وهو أحد أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة Microbiology، وقد ظل علم الأحياء الدقيقة خاملاً إلى القرن التاسع عشر الميلادي؛ عندما تطورت صناعة العدسات والمجاهر[٨٥].

---

[٨٤] موسوعة ويكيبيديا.
[٨٥] موسوعة ويكيبيديا.

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
(١٨٨٩ - ١٩٥٦)

وفي رائعة مُبهرة يُنْفَي الاستحياء عن ذكر بعوضة بيانًا لخطرها، ويُشْرَك معها الأكثر ضآلة ولم يكن معروفًا أصغر منها، قال السعدي: "(إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلا مَا) أي: أيَّ مثل كان؛ (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)، لاشتمال الأمثال على الحكمة وإيضاح الحق؛ والله لا يستحيي من الحق..، ولهذا قال: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)، فيتفهمونها ويتفكرون فيها؛ فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل، ازداد بذلك علمهم وإيمانهم، وإلا علموا أنها حق وما اشتملت عليه حق؛ وإن خفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأن الله لم يضربها عبثا، بل لحكمة بالغة"[٨٦].

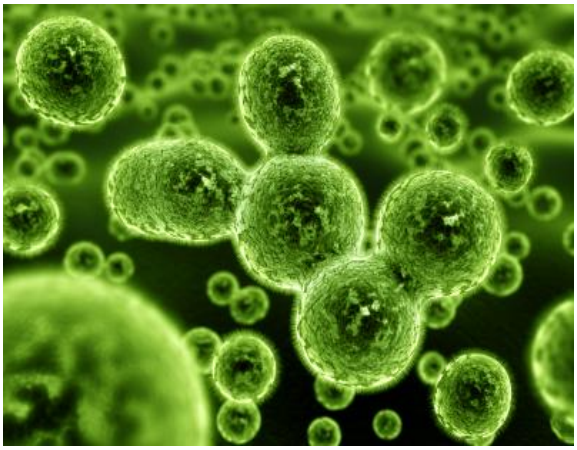

وبالفعل بعد اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر كُشفت أنواع لا تحصى من الكائنات الدقيقة تفوق البعوضة في الصغر وتشاركها الخطورة على حياة الإنسان، والكل الآن شاهد عيان على صدق القرآن؛ وتسطع أمامه بينات النبوة الخاتمة، ودلالة حرف الفاء على التدرج في قوله (فما فوقها) تعني طيفاً هائلا من الكائنات الحية الدقيقة التي لا تراها عين تتدرج من الحقير الحجم للأحقر، قال شهاب الدين الخفاجي: "(وفي) الفوقية في المعنى الذي وقع التمثيل فيه وهو الصغر والحقارة..؛ تنزل من الحقير للأحقر"[٨٧]، وقد أصبح يقينًا اليوم أن كل إنسان مُعَرَّض لبلايين الكائنات الحية الدقيقة؛ كالطفيليات والفطريات والبكتريا والفيروسات؛ تنتشر في الهواء والماء وعلى ملابسه وجلده وداخله تترصد به على الدوام وقد تلحق الضرر بالإنسان أو تؤدي به إلى الموت ولا مهرب له، وكل فيروس متخصص في عمله بلا علم منه وموجه بتقدير؛ ليتخير نوعًا من الخلايا ويسبب نوعا من المرض، وكل كائن شاهد بحسن التدبير وسبق التقدير؛ وإلا فمن عَلَّم فيروس أن يستحوذ على بكتريا لتصبح محضنًا لذريته، وهكذا في بيئة لا تدرك خطرًا لبعوضة ولا تعرف ما يفوقها ضآلة؛ فاجأهم القرآن بضرب المثل، قالوا في مناهج جامعة المدينة العالمية: "كان الجهل بأخطار البعوض وبوجود كائنات أدق منه بكثير من وراء استنكار.. ضرب المثل"[٨٨].

---

[٨٦] عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (ص٤٧).

[٨٧] شهاب الدين الخفاجي؛ حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي: عنايه القاضي وكفاية الراضي، دار صادر بيروت (١٢ ٩٠).

[٨٨] جامعة المدينة العالمية؛ مناهج جامعة المدينة العالمية، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (ص: ٢٠٠).

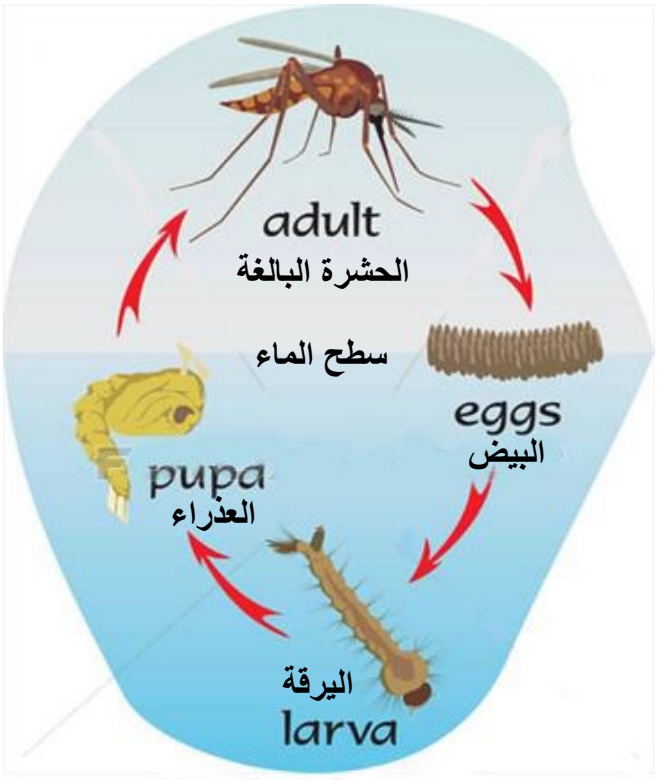

وتنكير لفظ (بعوضة) يفيد التعدد، وبالفعل تبلغ أنواع البعوض حوالي ثلاثة آلاف نوع، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسة: (١) الأنوفيليس Anopheles: وهذا النوع قد ينقل طفيل الملاريا وطفيل الفلاريا وفيروس الحمى المخية، (٢) الكيولكس Culex: قد ينقل طفيل الفلاريا وفيروس الحمى المخية، (٣) الإيديز Aedes: قد ينقل فيروسات الحمى الصفراء وحمى أبو الركب والحمى الدماغية، وتتكون دورة حياة البعوض من أربع مراحل تبدأ بمرحلة البيض، ويحتاج الفقس إلى توفر الماء، وتنتج الأنثى حوالي: ١٠٠ - ٤٠٠ بيضة على حسب النوع، وبعد فقس البيضة تخرج اليرقة Larva، ولليرقات حركات اهتزازية؛ فسميت الدعاميص أو الهزازات Wigglers، ثم تتحول اليرقة إلى عذراء Pupa؛ ولها قفزات بهلوانية؛ فسميت البهلوان أو الشقلباظ Tumbler، ثم تنسلخ منها الحشرة البالغة Adult وتخرج فوق سطح الماء، وتحتاج دورة لأقل من أسبوعين مع توفر الماء لتنتج بعوضة واحدة أكثر من مائة بعوضة[٨٩].

ويجد المتأمل أن تنويع التذكير والتأنيث والإفراد والجمع في وصف الحشرات في القرآن الكريم مقصود؛ ويتلاءم مع الطبيعة البيولوجية والسلوكية لكل منها، فقد ذُكِرَ النمل بالجمع والتذكير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ ٢٧النمل:١٨، والمعلوم أن سرب النمل مختلط الجنس فورد بتغليب التذكير، وذُكِرَت الفراشات كذلك بالجمع وتغليب التذكير: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ١٠١القارعة:٤، وذُكِرَ الذباب كذلك بالجمع وتغليب التذكير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ ٢٢الحج:٧٣، فذكور النمل والفراش والذباب إذن مشاركة الإناث في الوصف، بينما لا تشارك ذكور النحل الشغالات في العمل بالحقول والخلية ولا دور لها سوى وقت التلقيح؛ فاكتُفِيَ بالتأنيث: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ ١٦النحل:٦٨، وأنثى العنكبوت هي التي تبني الشباك وتصطاد ولا يشاركها الذكر؛ فناسب وصفها بالإفراد والتأنيث: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ ٢٩العنكبوت:٤١، وورد وصف البعوض مثلها بالإفراد والتأنيث: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ٢البقرة:٢٦، فالوصف إذن لجنس الأنثى فحسب ولا يشاركها الذكر، وثبت بالفعل أنها هي التي تُهَاجِم الإنسان وتسبب الأمراض؛ بينما يتغذى الذكر على رحيق الأزهار ولا علاقة له بالإنسان، فلا يُقَال إذن أن كلمات مثل فراشة ونحلة وذبابة في لغة العرب لا تميز بين الجنسين، لأن التمييز في القرآن الكريم قائم على التنويع والتفريق بينهم في نسق النظم بما يُطابق الواقع؛ وهو ما علمناه اليوم.

[٨٩] موسوعة ويكيبيديا، والموسوعة العربية العالمية - النسخة الإلكترونية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (مادة بعوضة).

ألفونس لافران Alphonse Laveran
(١٨٤٥ – ١٩٢٢)

رونالد روس Ronald Ross
(١٨٥٧ - ١٩٣٢)

ولم يُعرف إلا حديثا جدا أن البعوضة هي سبب جملة أمراض خطيرة قد تقتل الإنسان؛ فأولاها العلم الاهتمام، فقد كان الاعتقاد السائد أن مرض الملاريا ينشأ من الهواء الفاسد من المستنقعات؛ فسمي بالإيطالية إلى اليوم ملاريا Mal Aria؛ والعبارة تعني الهواء الفاسد، وفي عام ١٨٨٠ اكتشف الطبيب العسكري الفرنسي ألفونس لافران Alphonse Laveran أثناء إقامته بالجزائر كائنات في دم المرضى بالملاريا؛ فأدرك أن هذه الطفيليات هي السبب، وفي عام ١٨٩٨ ربط رونالد روس Ronald Ross الطبيب البريطاني في الهند بين طفيليات الملاريا والبعوض.

كارلوس فينلاي Carlos Finlay
(١٨٣٣ - ١٩١٥)

ميجور والتر Major Walter
(١٨٥١ - ١٩٠٢)

وفي عام ١٨٨١ افترض كارلوس فينلاي Carlos Finlay أن سبب مرض الحمى الصفراء هو البعوض، وفي عام ١٩٠٠ تمكن ميجور والتر Major Walter من التأكد من أن البعوض هو الناقل فعلا لمرض الحمى الصفراء.

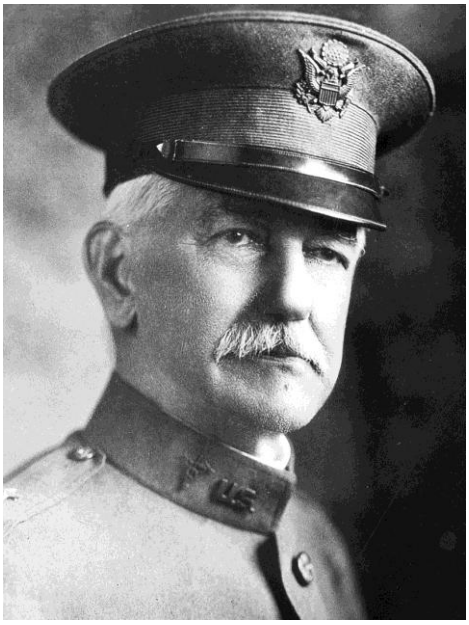

ويليام جورجاس William Gorgas
(١٨٥٤ - ١٩٢٠)

وبمقاومة البعوض في هافانا عام ١٨٩٨ أمكن لويليام جورجاس William Gorgas تقليل انتشار الحمى الصفراء، وبمقاومة البعوض أثناء شق قناة بنما أمكنه عام ١٩٠٤ تقليل انتشار مرضي الحمى الصفراء والملاريا.

باتريك مانسون Patrick Manson
(١٨٤٤ - ١٩٢٢)

وفي عام ١٨٧٧ اكتشف باتريك مانسون Patrick Manson (١٨٤٤ - ١٩٢٢) أن طفيل الفلاريا هو سبب داء الفيل عند الإنسان، وبعد ذلك بسنوات طويلة اكتشف في سنة ١٩٠١ أن البعوض هو الناقل للمرض[٩٠]، فكيف إذن سبق النظم منذ القرن السابع ونفى الاستخفاف ببعوضة والاستحياء عن ذكرها وأولاها الاهتمام!؛ ولكل باحث عن الحق يُهديه الحق الجواب اليقين: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ١٠يونس:٥٣.

[٩٠] موسوعة ويكيبيديا، والموسوعة العربية العالمية - النسخة الإلكترونية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (مادة بعوضة).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال القرطبي: "قَالَ الْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُمَا: مَعْنَى (فَما فَوْقَها) مَا دُونَهَا؛ أَيْ.. (ما) فَوْقَهَا فِي الصِّغَرِ.، وَقَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ: الْمَعْنَى فِي الْكِبَرِ"[٩١]، وعلة القول بالصغر مستمدة من دلالة السياق على القلة والحقارة؛ أما علة إهمال السياق وهو عماد الدلالة وتعطيل الإخبار بغيب فهي التصور بأنه ليس شيء أصغر من البعوضة، قال محيي الدين درويش: "(فَمَا فَوْقَهَا) فما تجاوزها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا؛ وهو القلّة والحقارة"[٩٢]، وقال ابن كثير: "قوله:(فَمَا فَوْقَهَا) فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا: فَمَا دُونَهَا فِي الصِّغَرِ وَالْحَقَارَةِ.، وَهَذَا قَوْلُ الْكِسَائِيِّ وَأَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ الرَّازِيُّ: وَأَكْثَرُ الْمُحَقِّقِينَ.، وَالثَّانِي..: فَمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَحْقَرُ وَلَا أَصْغَرُ مِنَ الْبَعُوضَةِ، وَهَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ"[٩٣].

وقال الشعراوي: "الحق تبارك وتعالى يقول: (إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْى أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)..، لقد فهموا قوله: (فما فوقها) أنها أكبر منها والمراد غير ذلك؛ لأنه سبحانه ضرب المثل بالأقل، لذلك قال: (فَمَا فَوْقَهَا)؛ من باب فما فوقها في الاحتقار منكم والقلة في الحجم (أي).. الضآلة.، وهم.. كذبوا بالآيات الكونية.. الآيات المعجزات التي يثبت بها الرسول صدق بلاغه عن الله.، انظر خلف العبارة لتجد المعنى.، وحين تفكرنا وتدبرنا وجدنا أن معنى (فَمَا فَوْقَهَا) لا يعني الأعلى منها.، لذلك لا يجب أن تنظر إلى معنى ومدلول اللفظ حسب ظاهره فقط؛ بل لما خلف اللفظ (أي في سياقه) "[٩٤]، "نقول المراد بما فوقها؛ أي في المعنى المراد وهو الصّغر، أي ما فوقها في الصّغر؛ لا أكبر منها"[٩٥]، و"ليس معنى: {فَمَا فَوْقَهَا}.. في الكِبَر كما يظن البعض.. وهو من باب أَوْلى، لكن المراد ما فوقها في الصِّغَر وفيما تستنكرونه من الضآلة؛ كالكائنات الدقيقة والفيروسات"[٩٦]، "فهو سبحانه القادر على ضَرْب الأمثال حتى بأقلّ المخلوقات، وأتفهها في نظرنا.، فلا تستقلّ أمر هذه البعوضة، ولا تستحقر أنْ يجعلها الله مثلاً..؛ لأن في هذه البعوضة كل أجهزة تكوين الحياة التي فيك وفي أضخم الحيوانات مثل الفيل والجمل، ولأن هذه البعوضة التي تستحقرها.. أقوى منك؛ وقد تُعجزك أنت على قوتك وحيلتك"[٩٧]، "وفضلاً عن (البعوض)..؛ ألا ترى الميكروبات التي لا تراها بعينك المجردة، ومع ذلك تصيبك وأنت القوى بما يؤرقك وينغص عليك، إذن..: (ما فوقها) أي في الصِّغَر..؛ أي: ما دونها صِغَراً؛ لأن عظمة الخلق (تتجلى أكثر).. بالشيء الأقلّ حجماً الأكثر دِقّة"[٩٨]، و"ليس المراد ما فوقها في الكبر"[٩٩]، "قالوا: (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)؛ ولم يفطنوا إلى أن هذه البعوضة دقيقة الحجم خلقها معجزة..؛ فكل شيء ليس للإنسان اختيار فيه تراه يؤدي مهمته بدقة عالية"[١٠٠]، "ولك أن تتأمل البعوضة.، وكيف أن لها خرطوماً دقيقاً ينفذ من الجلد، ويمتصّ الدم.، (والميكروب) الذي لا تراه بعينك المجردة؛ ومع ذلك يتسلل إلى الجسم فيمرضه ويهدّ كيانه وربما انتهى به إلى الموت؛ إذن: ففي هذه المخلوقات الحقيرة في نظرك عبر وآيات، لكن لا يعقلها إلا العالمون.، (والعالم بالحقائق) أَوْلَى الناس بالإيمان بالله؛ لأن لديه من العلم ما يكتشف به أسرار الخالق في الخَلْق"[١٠١].

وقال القاسمي: "ومعنى الآية: إنه تعالى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة؛ ترك من يستحيي أن يتمثّل بها لحقارتها، أي لا يستصغر شيئا يضرب به مثلاً؛ ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة"[١٠٢]، وقال محمد رشيد رضا: "وَالْمُرَادُ بِمَا فَوْقَ الْبَعُوضَةِ مَا عَلَاهَا وَفَاقَهَا فِي مَرْتَبَةِ الصِّغَرِ وَمِنْهَا.. الْمِيكْرُوبَاتُ الَّتِي لَا تُرَى إِلَّا بِالنَّظَّارَاتِ الْمُكَبِّرَةِ.، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَتْرُكُ ضَرْبَ مَثَلٍ مَا مِنَ الْأَمْثَالِ مِنْهُ سَوَاءٌ كَانَ بَعُوضَةً أَوْ أَصْغَرَ مِنْهَا حَجْمًا وَأَقَلَّ عِنْدَ النَّاسِ شَأْنًا"[١٠٣].

---

[٩١] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١\ ٢٤٣).

[٩٢] محيي الدين درويش؛ إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص سورية، الطبعة الرابعة؛ ١٤١٥ هـ (١\ ٦٨).

[٩٣] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١\ ٢٠٧).

[٩٤] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٧\ ٤٤٦٥-٤٤٦٧).

[٩٥] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٤\ ٨٧٣٧).

[٩٦] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٨\ ١١٥٤٩).

[٩٧] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٣\ ٨٠٩٣).

[٩٨] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٨\ ١١١٧٧).

[٩٩] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٦\ ٩٩٣٤).

[١٠٠] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١\ ٢١١).

[١٠١] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٨\ ١١١٨٢).

[١٠٢] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١\ ٢٧٨).

[١٠٣] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١\ ١٩٨).

وقال الرازي: "اعلم أنه بَيَّنَ (هنا) بالدليل كون القرآن معجزاً..؛ وَالْبَعُوضُ.. مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ صَغِيرٌ جِدًّا وَخُرْطُومُهُ فِي غَايَةِ الصِّغَرِ؛ ثُمَّ إِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مُجَوَّفٌ، ثُمَّ ذَلِكَ الْخُرْطُومُ مَعَ فَرْطِ صِغَرِهِ.. يَغُوصُ فِي جِلْدِ الْفِيلِ وَالْجَامُوسِ عَلَى ثَخَانَتِهِ..، (و)أَرَادَ بِمَا فَوْقَهَا فِي الصِّغَرِ؛ أَيْ بِمَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهَا، وَالْمُحَقِّقُونَ مَالُوا إِلَى هَذَا الْقَوْلِ.. (لأنه) فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ ثَانِيًا أَشَدَّ حَقَارَةً مِنَ الْأَوَّلِ..، (و)الشَّيْءَ كُلَّمَا كَانَ أَصْغَرَ كَانَ الِاطِّلَاعُ عَلَى أَسْرَارِهِ أَصْعَبَ، فَإِذَا كَانَ فِي نِهَايَةِ الصِّغَرِ لَمْ يُحِطْ بِهِ إِلَّا عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَكَانَ التَّمْثِيلُ بِهِ أَقْوَى فِي الدَّلَالَةِ عَلَى كَمَالِ الْحِكْمَةِ مِنَ التَّمْثِيلِ بِالشَّيْءِ الْكَبِيرِ..، يُقَالُ إِنَّ فُلَانًا فَوْقَ فُلَانٍ فِي اللُّؤْمِ وَالدَّنَاءَةِ. أَيْ هُوَ أَكْثَرُ لُؤْمًا وَدَنَاءَةً مِنْهُ، وَكَذَا إِذَا قِيلَ هَذَا فَوْقَ ذَلِكَ فِي الصِّغَرِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ صِغَرًا مِنْهُ..، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا).. قَالَ بَعْدَهُ (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) حَتَّى يَضْرِبَ الْمَثَلَ.. بِمَا هُوَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا"[١٠٤].

وقال محمد بن عمر الجاوي: "(إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما)، أي إن الله لا يترك أن يبين للخلق مثلا؛ أيّ مثل كان: (بَعُوضَةً فَما فَوْقَها)..؛ في الغرض المقصود من التمثيل (وهو الضآلة؛ أي أصغر منها)..، والمراد بالبعوضة هنا الناموس؛ وهو.. في غاية الصغر..، وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد.. الجمل فيبلغ منه الغاية؛ حتى إن الجمل يموت من قرصته، (وإن لم يكن معلومًا بوجود ما هو أصغر من بعوضة ويميت مثلها)؛ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ (تعالى) ضرب المثل الْحَقُّ.. فلا يسوغ إنكاره، لأنه ليس عبثا (ذُكِر)؛ بل هو مُشتمل على.. أسرار"[١٠٥].

وقال ابن عاشور: "و(بَعُوضَةً) بَدَلٌ أَوْ بَيَانٌ مِنْ قَوْلِهِ: (مَثَلًا)، وَالْبَعُوضَةُ.. قَدْ جُعِلَتْ.. مَثَلًا لِشِدَّةِ الضَّعْفِ وَالْحَقَارَةِ، وَقَوْلُهُ: (فَما فَوْقَها) عُطِفَ عَلَى (بَعُوضَةً)..، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ (ما فَوْقَها) عَلَى (بَعُوضَةً) أَفَادَتْ تَشْرِيكَهُمَا فِي ضَرْبِ الْمَثَلِ"[١٠٦]، "وَلِضَرْبِ.. الْأَمْثَالِ.. شَأْنٌ لَيْسَ بِالْخَفِيِّ فِي إِبْرَازِ خَبِيئَاتِ الْمَعَانِي وَرَفْعِ الْأَسْتَارِ عَنِ الْحَقَائِقِ (الخفية): ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾؛ وَلِهَذَا أُتْبِعَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ بِجُمْلَةِ: (وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ) العنكبوت:٤٣"[١٠٧].

[١٠٤] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٢\ ٣٦١؛ ١٣٢\ ٣٢٨).

[١٠٥] محمد بن عمر الجاوي؛ مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ (١١\ ١٣).

[١٠٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١\ ٣٦٢).

[١٠٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٠\ ٢٥٦).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Biology

علم الأحياء

المَوْضُوع Subject

Mosquitoes

البعوض

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩.**
- **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ٢٢الحج:٧٣.**
- **﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٧النمل:١٨.**
- **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤١.**
- **﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ١٠١القارعة:٤.**
- **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:١٣٣.**
- **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٥٤القمر:٦و٧.**
- **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ ٣٤سبأ:١٤.**

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة: ٢٩.

Paragraph الفَقْرَة

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٨و٢٩.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

He is the One who created for you all what is inside the earth, then turned to the (local) **sky and fashioned it as seven** (specific) **heavens** (layers)**, and He is fully aware of all things.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

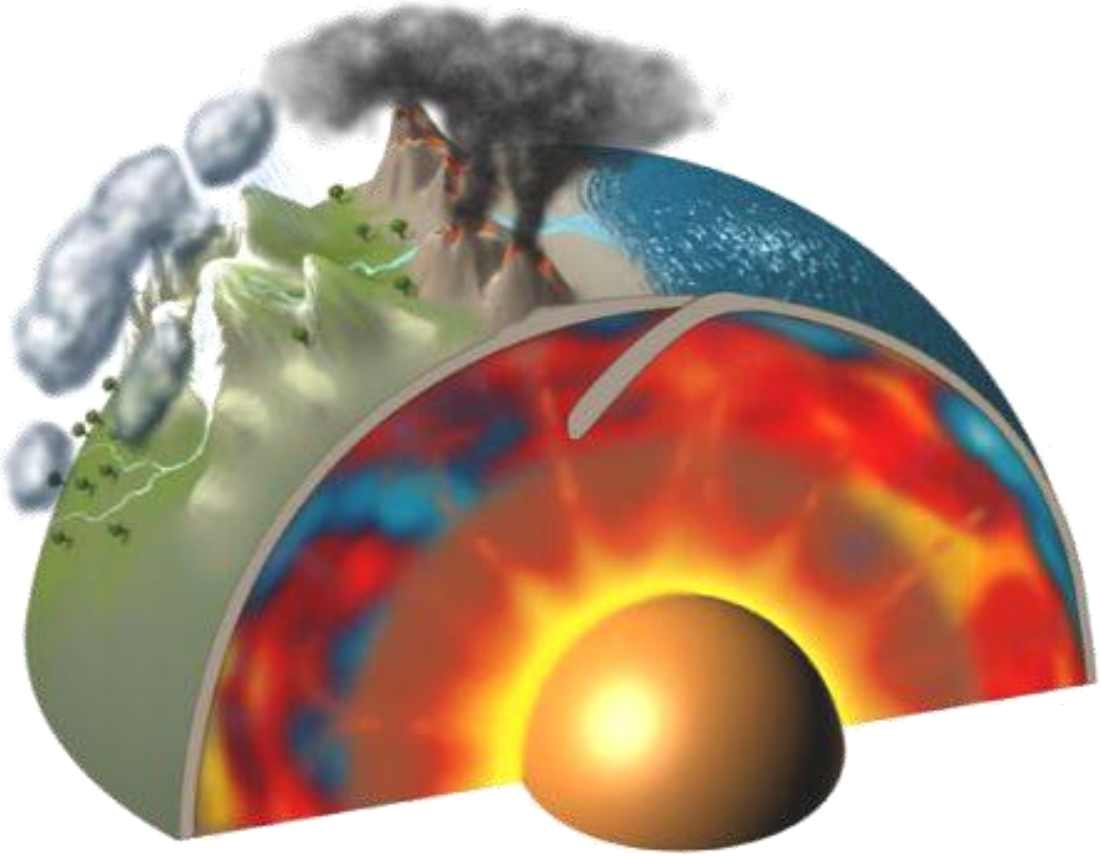

قد نال لفظ (الأرض) ولفظ (السماء) كبير اهتمام في القرآن الكريم؛ وتنوعت دلالة كل منهما وفقًا لقرائن السياق، وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾؛ المُتبادر في ضوء المعارف الحديثة أن الأرض لم تكن مُشَكَّلَة طبقات؛ ثم تَشَكَّلَت جميع طبقاتها الداخلية قبل تَشَكُّل الجو إلى طبقات كذلك؛ تهيئةً للإنسان القادم من بعد، وهذا يعني أن الغلاف الصخري للأرض تَشَكَّلَ أثناء تَشَكُّل الغلاف الجوي؛ والقرينة هي: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، فلم يقل: (خلق لكم الأرض) بل (ما فيها)، ولفظ (جَمِيعًا) يوافق طبقيتها في مقابل التصريح بطبقية سماء الأرض، ولا تبعد تلك الدلالات إذن عن وصف العالم المَحَلِّي للأرض والجو المُحِيط، والترتيب في مقام الخلق دلالته أن السطح الصخري للأرض المماثل للفراش المبسوط تَشَكَّلَ مع الجو المحيط كالبناء عقب تشكل جرم الأرض، فلم يكن لها سطح للتصريح بضرورة النظر: ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:٢٠.

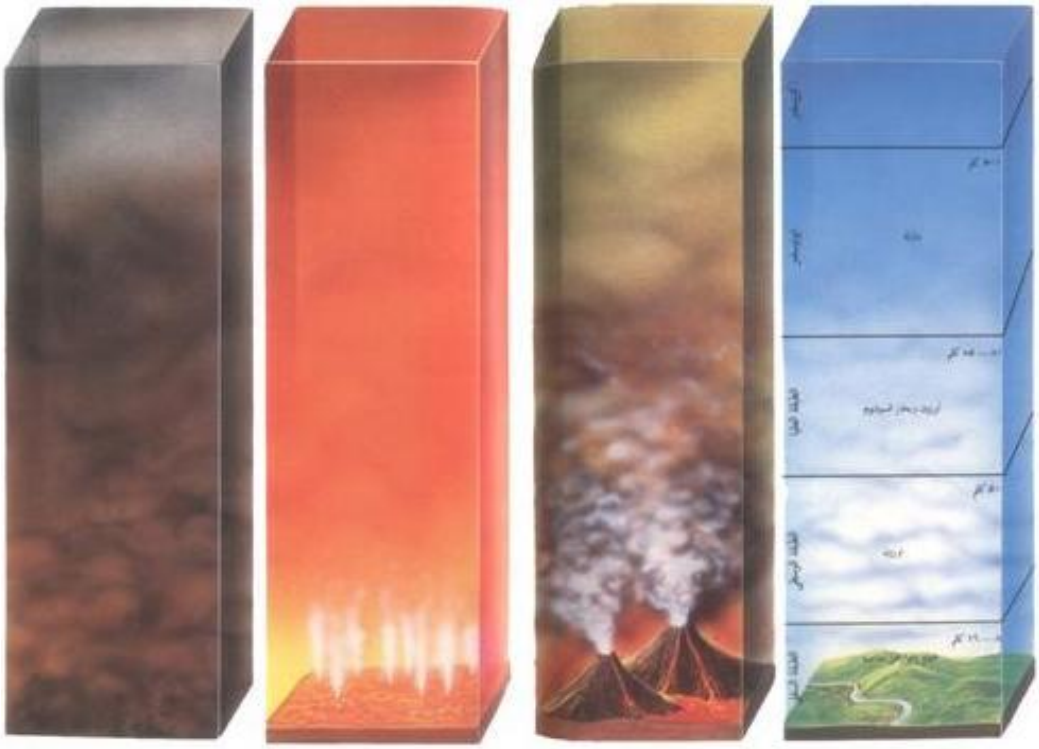

تشكل الجو من دخان البراكين العملاقة؛ ومع تبرد سطح الأرض انقشع الدخان وتحول الجو إلى طبقات.

والتعبير: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾؛ صريح بأن الجو الأولي كان قاتمًا مفعمًا بالدخان الكثيف، وهو يعكس حالة الالتهاب الشديدة للأرض قبل تشكل سطحها نتيجة براكين أولية عملاقة أطلقت ذلك الدخان الكثيف، وهذا يؤكد أن الجو تشكل مع الغلاف الصخري للأرض، ويعني أن جعل الرواسي وتسوية الجو طبقات حدث واحد.

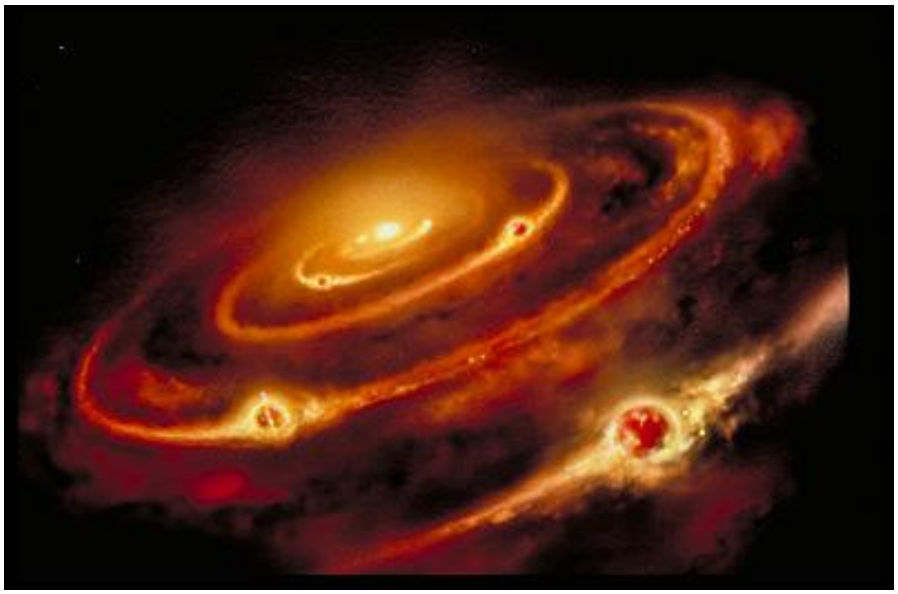

وتُحَاكِي النصوص التَّصَوُّر العلمي بأن أصل الشمس وتوابعها غيمة سديمية Solar Nebula، انفصلت أجزاء؛ وتحت تأثير جاذبية كل منها تَكَدَّسَت المادة فَتَوَلَّدَت حرارة سَبَّبَت التهاب سَطْحَي الأرض والقمر قبل التَّبَرُّد والاستقرار، والوحدة التي جمعت لبنة من معمار الكون في الأصل وهي النظام الشمسي؛ تصلح للتفهم بوحدة الكون كله في الأصل، ويؤيد وحدة الكون في الأصل البيان المُرَتَّب المراحل في مقام الخلق: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٢، فُتِق الثوب وبقي النسيج واحد شاهدًا على وحدة الأصل؛ إلكترون وبروتون ونيوترون هي اللبنات الأساسية لكل الأجرام الفلكية بالكون.

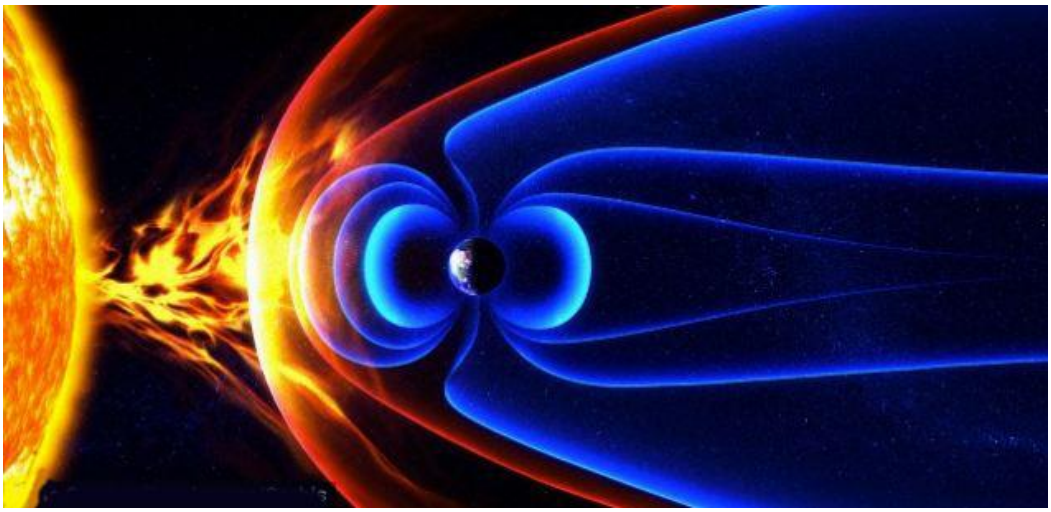

ودلالة المصابيح في التعبير: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ ٤١فصلت:١٢؛ فسرها القرآن الكريم بالرجوم والشهب: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ٦٧الملك:٥، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٥الحجر:١٦-١٨، ووظيفة الحفظ في التعبير: ﴿بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾؛ بيان لنعمة مُماثلة تشارك الشهب في الزينة والحفظ من أخطار الفضاء الخارجي، ولم يُعرف إلا حديثًا أن الغلاف المغناطيسي هو سبب تلألؤ الأضواء القطبية الخلابة؛ وأنه يحفظ الحياة على الأرض من خطر الرياح الشمسية، والسياق إذن يتعلق بالجو لا الفضاء الخارجي، وليس التلطف في البيان إلا لإيصال حقائق مُدَّخَرَة لقادم الأيام بلا صدام مع معارف الأولين يلفت عن غرض الإيمان بوحدانية القدير والاستعداد ليوم الرحيل.

وفي التمثيل للأرض الأولية والجو بعقلاء مُكَلَّفين: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾؛ دلالة على أن الدخان كان يتبدد ولا يرافق الأرض في سيرها بمدارها حتى استقر وتحول لطبقات وأصبح سقفًا محفوظًا، فالإتيان لازمه الحركة؛ وهي تعود على الأرض والجو المحيط، والتعبير (ائْتِيَا) و(أَتَيْنَا) يعنى ملازمة الحركة أي معًا، وتوجيه الأمر لهما معًا يفيد عدم التلازم إلى أن صدر هذا الأمر؛ مما يتفق مع المعرفة حديثًا بتبدد الجو الأولي خلفها.

العدد	اسم النطاق أو الطبقة	الارتفاع (فوق مستوى سطح البحر)	الخصائص
١	الطبقة المناخية Troposphere (نطاق التغيرات الجوية)	من ٦ كم عند القطبين إلى ١٨ كم عند خط الاستواء.	يحوي ٨٥ % من كتلة الجو، ويقل الضغط بالارتفاع وكذلك درجة الحرارة لتبلغ ٦٠ درجة مئوية تحت الصفر عند قمته، ويختص بالرياح والسحب.
٢و٣	الطبقة فوق المناخية Stratosphere تتخللها طبقة الأوزون Ozone Layer	٥٠ كم، وتتخللها طبقة الأوزون على ارتفاع بين ٢٠ و٣٠ كم.	تقوم طبقة الأوزون بحجب نسبة كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وينخفض الضغط الجوي حتى يصل إلى ٠.٠١ ضغط جوي عند قمة النطاق.
٤	النطاق المتوسط Mesosphere	٥٠ – ٨٥ كم	يشارك في الحماية من النيازك، ودرجة الحرارة أعلاه حوالي ٩٠ درجة مئوية تحت الصفر.
٥و٦	النطاق الحراري Thermosphere يتخلله نطاق التأين Ionosphere	يبلغ ارتفاع أكثر من ٥٠٠ كم، ونطاق التأين حوالي ٤٠٠ كم.	ترتفع أعلاه درجة الحرارة، وتحدث فيه ظاهرة الشفق القطبي، ودوره مهم في الاتصالات اللاسلكية لأنه يعكس موجات الراديو، ويعقبه النطاق الخارجي Exosphere الذي يصل لأكثر من ١٠٠٠ كم؛ لكن الهواء يكاد يكون منعدما لدرجة أن تنطلق ذرة غازية عند أسفله نحو ١٠ كم قبل أن تصطدم بذرة غازية أخرى؛ ويتزايد التخلخل إلى أن يتصل بالفضاء الخارجي (*).
٧	نطاق الغلاف المغناطيسي Magnetosphere	يمتد لحوالي ٥٠ ألف كم، وارتفاع الحزام الداخلي حوالي ٢٠٠٠ كم.	يقوم بدور الحماية من الرياح الشمسية الخطيرة.

(*) موسوعة ويكيبيديا العالمية والشبكة الدولية.

الطبقات الوظيفية للغلاف الجوي: أربع طبقات رئيسة يتخللها طبقتين فرعيتين؛ بالإضافة إلى الغلاف المغناطيسي.

وفي سياق وصف الجو ظاهر دلالة التعبير: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، ونظيره: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾؛ هو تكونه من طبقات، وطبقية الجو لا تميزها عين فناسبها التعبير بالإبهام: (وَمَا بَيْنَهُمَا)؛ وعود الضمير في الكلمتين (فَسَوَّاهُنَّ) و(فَقَضَاهُنَّ) إلى غير مذكور، والتعبير: (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا)؛ صريح في أن كل طبقة جوية تتميز بخصيصة نافعة، بخلاف السموات العلى التي لا تتميز كل منها سوى بزيادة في الأبعاد والمكونات من عناقيد الأجرام السماوية، ورغم ما ذكره المفسرون من أن العدد (سَبْعَ) قد لا يعني ظاهره ؛ فطبقات الجو بالفعل سبع، أربع طبقات رئيسة تتخللها طبقتان فرعيتان، والمجموع ست طبقات؛ بالإضافة للغلاف المغناطيسي الذي يحمينا من الرياح الشمسية الخطيرة، وتمتد الطبقة الأخيرة حيث يوجد هواء Exosphere إلى أكثر من ١٠٠٠ كم، ولكن لا يكاد يكون لها تأثير يُذكر، ورد في الموسوعة العالمية: "تُصبح جزيئات الهواء نادرة الوجود في طبقة إكسوسفير إلى حد إنها تُعد غير موجودة، فمثلاً عند أسفلها من الممكن أن تنطلق ذرة غازية نحو ١٠ كيلومتر قبل أن تصطدم بذرة غازية أخرى"[١٠٨].

قال الدكتور فؤاد دمشقي: "قد وضعت تصانيف عديدة للغلاف الجوي ولكن القرآن الكريم صنف طبقات الغلاف الجوي.. بحسب الوظيفة، وبالرجوع إلى طبقات الجو المكتشفة حديثاً نجد فقط سبع طبقات وظيفية متمايزة"[١٠٩]، وقال عدنان أوكطار: "كلمة (السماوات).. تستعمل للإشارة إلى السماء فوق الدنيا (الملاصقة للأرض)؛ كما تستعمل للدلالة على الكون بأكمله، ومع الأخذ بالدلالة الأولى للكلمة يُمكن أن نرى أن الغلاف الجوي يتكون من سبع طبقات، وبالفعل فإنه يتكون من طبقات مختلفة تقع فوق بعضها البعض، وبالإضافة إلى ذلك فإن الغلاف الجوي يتكون؛ تماماً كما يصف القرآن الكريم، من سبع طبقات بالتحديد..، وهذه الطبقات تختلف في خصائصها الفيزيائية وفي ضغطها وأنواع الغازات الموجودة فيها (إذن).. هناك إعجاز آخر.. وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾؛ وبكلمات أخرى فإن الله جعل لكل سماء مهمة، وهذا صحيح.. فإن لكل واحد من هذه الطبقات وظائف حيوية لخير البشرية ولكل الكائنات الحية التي تعيش على الأرض، كل طبقة لها وظيفة معينة تتراوح بين تكوين المطر إلى الحماية من الإشعاعات الضارة وعكس موجات الراديو وحماية الأرض من آثار النيازك الضارة"[١١٠].

---

[١٠٨] موسوعة ويكيبيديا العالمية.

[١٠٩] د. فؤاد دمشقي؛ مقال بعنوان: "معجزة طبقات الغلاف الجوي السبع"، موقع د. فؤاد دمشقي.

[١١٠] عدنان أوكطار واسمه القلمي هارون يحيى؛ المعجزات القرآنية، مؤسسة البحث العلمي في تركيا (ص٢٦).

وتؤيد المعارف العلمية الحديثة أن الأرض كانت جسما ملتهبا قبل تكون سطحها، وأن غلافها الجوي قد تشكل من دخان الالتهاب؛ وتُضيف الدلالة على أن القمر كان جسما ملتهبا كذلك مزيدا من الإيضاح لتاريخ الكوكبين التوأم، يقول العلي القدير: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ١٧الإسراء:١٢، وعلى وجه أن آية الليل القمر وآية النهار الشمس؛ يمتد الوصف ليشمل تاريخ الشمس والقمر؛ فيكون المعنى أن القمر كان جسما ملتهبا قبل أن يبرد سطحه ويُمحى إشعاعه الذاتي، بينما كانت الشمس الأولية معتمة فأصدرت الضياء، قال الشوكاني: "(فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ) أَيْ: طَمَسْنَا نُورَهَا، وَقَدْ كَانَ الْقَمَرُ كَالشَّمْسِ فِي الْإِنَارَةِ وَالضَّوْءِ.. (وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً) أَيْ: جَعَلَ سُبْحَانَهُ شَمْسَهُ مُضِيئَةً تُبْصَرُ فِيهَا الْأَشْيَاءُ"[١١١]، وقال أحمد حطيبة: "فالله جعل الليل آية وجعل النهار آية، وجعل آية النهار الشمس..، وجعل آية الليل القمر، قال: (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ)، يعني محا من القمر نوره، وعلماء الفلك يقولون: كان القمر.. مُشتعلاً مُتوهجاً كالشمس، قالوا ذلك الآن، وقالها قبلهم ابن عباس قبل ألف وأربعمائة سنة؛ قال ذلك مفسراً هذه الآية..: "كان القمر مضيئاً كالشمس فمحا الله عز وجل النور الذي كان فيه، قال الله: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً)، بينة مضيئة يراها كل ذي عينين"[١١٢].

ولا يأبى لفظ (السموات) إنزاله على آفاق الأجرام الفلكية المُمكنة المشاهدة بالعين المجردة والمناظير وفق قرائن السياق؛ للأمر الصريح بتوجيه النظر إلى ما فيها: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ١٠يونس:١٠١، قال ابن عاشور: "قد عدَّ الله تعالى السماوات سبعًا وهو أعلم بها وبالمراد منها، إلا أن الظاهر الذي دلت عليه القواعد العلمية أن المراد من السماوات (آفاق) الأجرام العلوية العظيمة..، ويدل على ذلك أمور؛ (أحدها): أن السماوات ذُكرت في غالب مواضع القرآن مع ذكر الأرض..؛ فدل على أنها عوالم كالعالم الأرضي..، (ثانيها): أنها ذُكرت مع الأرض من حيث أنها أدلة على بديع صنع الله تعالى؛ فناسب أن يكون تفسيرها (آفاق) تلك الأجرام المشاهدة"[١١٣]، وقال أبو زهرة: "المراد من السماوات السبع (العُلَى).. مجموعات النجوم (أي البروج) المتطابقة طبقة بعد طبقة"[١١٤]، وفي مقابل بيان تعدد الآفاق العلوية ذُكِرَت الأرض بالإفراد لأن الأوصاف قائمة على المشاهدة بالنسبة للمخاطب الأرضي.

وفي سياق التذكير بخلق الله تعالى للكون المنظور؛ ورد التعبير: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ ٢٠طه:٤، ولفظ (الْعُلَى) جمع العليا وتأنيث الأعلى، ولفظ (أعلى) على وزن (أفعل)؛ وهذه إحدى صيغ التفضيل، وتقتضي شيء أعلى من آخر، فأفادت إذن صيغة (الْعُلَى) وجود (سماء دنيا) تفارقها في التركيب وتماثلها في التكون من طبقات؛ وقد ضُمَّت في التعبير مع الأرض، قال محمد سيد طنطاوي: "قَدَّمَ خلق الأرض على خلق السماء لأن الأرض أقرب إلى المخاطبين وانتفاعهم بها أظهر"[١١٥]؛ و"فصل بينهما بالهواء"[١١٦]، وتلي التذكير التفصيل: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ٢٠طه:٦، وما بين الأرض والسموات الْعُلَى التي ابتدأ بها النظم في سياق ترتيب الخلق ليس إلا الغلاف الجوي للأرض، وما تحت الثرى الذي سَخَّرَ المُبْدِع القدير عوامل التعرية لتُمَهِّدُه ليصبح تربةً صالحة لتكاثر النباتات قبل مجيء الإنسان ليس إلا الغلاف الصخري، وترتيب خلق الكون المنظور إذن؛ هو على النحو التالي: سموات كونية عُلَى، ثم جميع الطبقات الداخلية للأرض، ثم الغلاف الجوي ومعه الغلاف الصخري، والتعبير: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾؛ صريح بأن السطح الصخري المُمَيَّز بالجبال قد تشكل فوق الأرض الأولية، وهذا يؤكد لك أن التعبير: ﴿الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾؛ يعني في الترتيب هنا جميع الطبقات الداخلية للأرض.

---

[١١١] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٣\ ٢٥٣).

[١١٢] أحمد حطيبة؛ تفسير أحمد حطيبة، دروس مفرغة نشرها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس، والصفحات ترقيم المكتبة الشاملة (١١١٩\ ٣).

[١١٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣٨٥).

[١١٤] محمد بن أحمد أبي زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١\ ١٨٩).

[١١٥] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (١\ ٧٢).

[١١٦] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (١٩\ ٢٠٢).

ودلالة التعبير: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ ٤١فصلت:١٢، نظيرها: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ٦٧الملك:٥، والزينة تمثيل يعني توهج أجسام ملتهبة مضيئة في الليل كمصابيح البيت، والضمير في: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ عائد على آخر مذكور؛ وهو: ﴿مَصَابِيحَ﴾، ووصفها بأنها ﴿رُجُوم﴾ صريح في استبعاد إنزالها على الأجرام السماوية في الفضاء وقصرها على النيازك والشهب في الجو تذكيرًا بنعمة دفع الجو لأخطار سماوية تَتَرَصَّد، وفي الاصطلاح العلمي إذا بلغ الحجر الفضائي سطح الأرض يسمى نيزك، وإذا سقطت حصيات الفضاء ودخلت الجو تحترق نتيجة الاحتكاك بالهواء وتُضِيء سماء الأرض فتسمى شهب، وخطر الرجم بالدقائق الفضائية قائم لكل عابر بالجو وفي أفق الكواكب؛ لكن بروج السماء أي تجمعات النجوم أمل بعيد للمسافات الشاسعة وسرعة الانتقال المحدودة، والتصريح بالشهب لرجم الشياطين يؤكد تفسير لفظ (مصابيح) بالشهب: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٥الحجر:١٦-١٨، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ ٧٢الجن:٨و٩، ولفظ (لَمَسْنَا) يشير إلى السماء القربى الملاصقة فيعني الجو.

والأمر صريح بإمكان توجيه النظر إلى ما في السموات العُلَى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ١٠يونس:١٠١، وأشكل على بعض الفضلاء فخالفوه وقالوا إن الكون كله هو (السماء الدنيا) ولا يمكن النظر لبقية السماوات، ومرد الإشكال إلى التوهم بأن التعبير تمثيلا بالمصابيح يعني النجوم الثوابت لتوهجها، ولكن المحققون قد دفعوا هذا الوهم، وقالوا بأن النجوم ثوابت في مواقعها لا ينقص عددها؛ وإنما المُراد هو الشهب دونها في جو الأرض، قال الألوسي: "إطلاق الرجوم على النجوم وقولهم رمى بالنجم يُحتمل أن يكون مبنياً على الظاهر للرائي، كما في قوله تعالى في الشمس: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، وهذه الشهب ليست هي الثوابت؛ وإلا لظهر نقصان كثير في أعدادها، بل هي جنس آخر غيرها يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين، ولا يأباه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيّنّا السّمَاءَ الدّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لّلشّيَاطِينِ﴾؛ حيث أفاد أن تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها؛ لأنا نقول كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض..، والشهب من هذا القسم؛ وحينئذ يزول الإشكال"[١١٧].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ ٣٧الصافات:٦-١٠؛ التخصيص بالكواكب قَيَّد تعبير ﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ بأفق الكواكب؛ فأفاد أنها أقرب الأجرام السماوية دون عناقيد النجوم.

وكما لا يأبى لفظ (السموات) حمله على آفاق الأجرام الفلكية؛ لا يأبى كذلك حمله على طبقات الجو، والعبرة بالقرائن، ولا يأبى كذلك لفظ (السماء) حمله على الجو حيث تصريف تيارات الرياح والسحاب وحيث تُحَلِّق الطيور، أو أي شيء في العلاء بالنسبة للمُخاطب على سطح الأرض؛ كالسحاب أو فرع شجرة أو حتى سقف بيت، ودليلك المُرشد هو السياق، قال ابن باز: "ذكر جماعة من المفسرين.. في هذه الآية: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السّمَآءِ مَآءً﴾ ٢البقرة:٢٢؛ أن المراد بالسماء هنا هو السحاب، سمي بذلك لعلوه وارتفاعه فوق الناس، ومن هذا الباب أيضًا قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنّ أَن لّن يَنصُرَهُ اللهُ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السّمَآءِ ثُمّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ ٢٢الحج:١٥؛ قال المفسرون معناه فليمدد بسبب إلى ما فوقه من سقف ونحوه، فسماه سماء لعلوه بالنسبة إلى ما تحته، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السّمَآءِ﴾ ١٤إبراهيم:٢؛ فقوله هنا ﴿فِي السّمَآءِ﴾ أي في العلو[١١٨].. والأدلة في هذا الباب في كلام الله تعالى وكلام رسوله محمد ﷺ وكلام المفسرين وأئمة اللغة على إطلاق لفظ السماء على الشيء المرتفع كثيرة"[١١٩].

وإن صح حمل النفاذ من أقطار الأرض وما يحيط بها من آفاق محلية؛ فقد رُفع الإشكال في فهم النبأ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٣٣.

---

[١١٧] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧ ٢٧٢).

[١١٨] السموات الغيبية في روايات المعراج علمها عند ربي؛ وتمنع تفاصيلها أن تدخل في الكيانات الحسية المشاهدة فوقنا، وسبيلها إذن التفويض إلى علام الغيوب جل وعلا.

[١١٩] عبد العزيز بن عبد الله بن باز؛ مجموع فتاوى ابن باز، جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر (١١ ٢٥٩).

وتُطالع الدلالة صريحة على أن طبقات الجو تتمايز بتناقص الهواء مع الصعود لتعني أن الفضاء فوقها خلاء من الهواء: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ٦الأنعام:١٢٥، قال المراغي: "أي إن من فسدت فطرته بالشرك وتدنست نفسه بالآثام.. مثله مثل من صعد فى الطبقات العليا فى جو السماء..؛ حتى إذا ما ارتفع إلى أعلى.. شعر بتخلخل الهواء.. فإن هو قد بقي فيها مات..، إن الله ضرب مثلا لضيق النفس المعنوي.. بضيق التنفس الذي يجده من صعد بطائرة إلى الطبقات العليا من الجو..، سبحانك ربى نطق كتابك الكريم بقضية لم يتفهم سرها البشر، ولم يفقه معرفة كنهها إلا بعد أن مضى على نزولها نحو أربعة عشر قرنا.. من اختلاف الضغط الجوى فى مختلف طبقات الهواء، وقد عُلم الآن أن الطبقات العليا أقل كثافة فى الهواء من الطبقات التي هى أسفل منها، وأنه كلما صعد الإنسان إلى طبقة أعلى شعر بالحاجة إلى الهواء وبضيق في التنفس نتيجة لقلة الهواء الذي يحتاج إليه..، وهذه الآيات وأمثالها لم يستطع العلماء أن يفسروها تفسيرا جليا.. وجاء الكشف الحديث وتقدمت العلوم فأمكن شرح مغزاها وبيان المراد منها"[١٢٠]؛ وقال محمد رشيد: "يَقِلُّ الْأُكْسُجِينُ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ الْعُلْيَا وَيَكْثُرُ بِجِوَارِ الْأَرْضِ لِثِقْلِهِ.. فَهُوَ أَثْقَلُ مِنْ صِنْوِهِ النِّيتْرُوجِينِ"[١٢١].

وفي مقام الخلق يسبق لفظ (السماء) بالجمع والإفراد لفظ الأرض في أغلب المواضع؛ ويستقيم حمله على الفضاء أو آفاق الأجرام الفلكية، ويرد بعد الأرض في خمسة مواضع؛ يستقيم حملها جميعًا على الجو أو طبقاته: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ٢البقرة:٢٢، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٢البقرة:٢٩، ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ ٢٠طه:٤، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ ٤٠غافر:٦٤، ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.

ويُمكن فهم الأربعة أيام لخلق الأرض على النحو التالي: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾؛ أي أوجد الأرض الأولية وأكمل بيضاويتها بعد أن كانت هباء منثورا، والتعبير ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ والرواسي هي الجبال أبرز معلم للألواح القارية والحفاظ على اتزانها حتى لا تتمايل فوق دوامات الباطن، فيكون المعنى هو تشكيل القشرة الأرضية، وأما تقدير الأقوات فيعني نشأة الحياة الأولية، ولا يستقيم أن تنشأ حياة قبل أن يتشكل الجو ويتوفر الهواء، ولذا التعبير: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ لا يصلح أن يكون تعقيبا على العبارة الدالة على اكتمال الخلق: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ وإنما على العبارة الدالة على نشأة الأرض الأولية: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، فتكون العبارة الدالة على اكتمال الخلق اعتراض، ويكون مجموع يومي خلق الأرض ويومي خلق السماوات المحلية واكتمال خلق الجو أربعة أيام، ويكون خلق الجو في نفس فترة تكون الغلاف الصخري والمجموع أربعة أيام، أي من فترات الخلق الستة إن جاز التعبير عنها بالأيام سوى بالتمثيل؛ حيث لم تكن شمس بعد إلا عند اكتمال الخلق، وإذن يومي خلق الأرض داخلين في الأربعة أيام؛ ومثلهما يومي خلق الجو، قال السمين الحلبي: "(في أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) تقديرُه: في تمامِ أربعةِ أيام باليومَيْن المتقدِّمين..، قال الزجاج: (في تتمةِ أربعةِ أيام) يريدُ بالتتمَّةِ اليومين، وقال الزمخشري: (في أربعة أيام).. مدةِ خَلْقِ اللَّهِ الأرضَ وما فيها، كأنه قال: (كلُّ ذلك في أربعةِ أيامٍ.. بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ)، قلت: وهذا كقولِك بَنَيْتُ بيتي في يومٍ وأكْمَلْتُه في يومَيْن؛ أي بالأول"[١٢٢]، وبهذا قال جُل المفسرين، وورد في التفسير الميسر: "جعل سبحانه في الأرض جبالاً ثوابت من فوقها، وبارك فيها.. وقدَّر فيها أرزاق (الأحياء الأولية).. في تمام أربعة أيام: يومان خلق فيهما الأرض؛ ويومان جعل فيها رواسي وقدر فيها أقواتها"[١٢٣].

---

[١٢٠] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٨ ٢٥).

[١٢١] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٨ ٤٣٠).

[١٢٢] أبو العباس شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي؛ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق د أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق (١٩ ٥٠٨).

[١٢٣] نخبة من أساتذة التفسير؛ التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالسعودية، الطبعة الثانية؛ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م (١١ ٤٧٧).

كارك فلهلم شيله Carl Wilhelm Scheele
(١٧٤٢ – ١٧٨٦)

جوزيف بريستلي Joseph
Priestley (١٧٤٢ – ١٧٨٦)

كان كارك فلهلم شيله Carl Wilhelm Scheele (١٧٤٢ - ١٧٨٦) هو أوّل من اكتشف الأكسجين كغاز مستقلّ، وكان ذلك سنة ١٧٧١؛ إلّا أنّه لم ينشر أبحاثه إلّا سنة ١٧٧٧، وفي سنة ١٧٧٤ قام جوزيف بريستلي Joseph Priestley (١٧٣٣ - ١٨٠٤) وبشكل منفصل باكتشاف الغاز أيضاً أثناء البحث في آليّة عمليّة الاحتراق.

أنطوان لافوازييه Antoine de
Lavoisier (١٧٤٣ - ١٧٩٤)

وعلى الرغم من اكتشاف الأكسجين؛ إلّا أنّ دوره في الاحتراق لم يكن قد فُـهِمَ بعد، إلى أن أتى أنطوان لافوازييه Antoine de Lavoisier (١٧٤٣ - ١٧٩٤) وأعلن سنة ١٧٧٤ أنه مهم للحياة يساعد على التنفس والاحتراق، ولم يُعرف أن الهواء طبقة محدودة فوق سطح الأرض إلا عام ١٦٤٨؛ عندما أعلن بليز باسكال Blaise Pascal (١٦٢٣ – ١٦٦٢) أنّ الضغط الجوي يتناقص بالارتفاع؛ ولم يُعرف أن الجو طبقات لكل منها خصيصة تميزه إلا لاحقًا، واصطلحت هيئة الطيران الدولية حديثًا على أن أعلى مستوى للمجال الذي يمكن للطائرات التحليق فيه بأمان دون التعرض لخطر اختناق الركاب نتيجة تخلخل الهواء هو ١٠٠ كم فوق سطح البحر؛ وسمته خط كارمن Karman line، ولا شك إذن أن المعرفة العلمية المُدَّخَرة خلال التذكير بالنِّعَم والدعوة لوحدانية المُنْعِم سبحانه؛ هي تحقيق لوعد جزم به القرآن الكريم نُصرةً للدين الحق: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾؛ قال أبو زهرة: "السماء.. في هذه الآية ما علا وكان كالسقف المحفوظ"[١٢٤]، وقال ابن كثير: "ذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ أَوَّلًا لِأَنَّهَا كَالْأَسَاسِ؛ وَالْأَصْلُ أَنْ يُبْدَأَ بِالْأَسَاسِ ثُمَّ بَعْدَهُ بِالسَّقْفِ"[١٢٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٣؛ قال الشوكاني: "مَحْفُوظًا عَنِ الْهَدْمِ وَالنَّقْضِ"[١٢٦]، وقال مخلوف: "مصونًا"[١٢٧]؛ أي من التبدد، وفي النظم تمييز بين سماء الأجرام الفلكية كالشمس والقمر؛ والسماء التي وصفت بالحفظ من التبدد، وهي تُطابق الغلاف الجوي الذي بدونه ما نشأت على الأرض حياة؛ خاصة مع النسبة إلى المخاطبين في مقام المَنْ بلفظ ﴿لَكُمْ﴾، قال ابن عاشور: "وَالسَّقْفُ، حَقِيقَتُهُ غِطَاءُ فَضَاءِ الْبَيْتِ الْمَوْضُوعُ عَلَى جُدْرَانِهِ..، وَأُطْلِقَ السَّقْفُ عَلَى السَّمَاءِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ؛ أَيْ جَعَلْنَاهَا كَالسَّقْفِ"[١٢٨]، "وَالْمُرَادُ بِالسَّمَاءِ هُنَا إِطْلَاقُهَا الْعُرْفِيُّ عِنْدَ الْعَرَبِ وَهُوَ مَا يَبْدُو لِلنَّاظِرِ كَالْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ وَهُوَ كُرَةُ الْهَوَاءِ الْمُحِيطِ بِالْأَرْضِ"[١٢٩]، "وَأَمَّا وَجْهُ شَبَهِ السَّمَاءِ بِالْبِنَاءِ (كذلك) فَهُوَ أَنَّ الْكُرَةَ الْهَوَائِيَّةَ جَعَلَهَا اللَّهُ حَاجِزَةً بَيْنَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَبَيْنَ (الفضاء).. فَهِيَ كَالْبِنَاءِ فِيمَا يُرَادُ لَهُ الْبِنَاءُ (والسقف)؛ وَهُوَ الْوِقَايَةُ مِنَ الْأَضْرَارِ النَّازِلَةِ..، مَعَ مَا فِي مشابهة منظر الْكُرَةِ الْهَوَائِيَّةِ لِهَيْئَةِ الْقُبَّةِ، وَالْقُبَّةُ بَيْتٌ مَنْ أَدَمٍ مُقَبَّبٍ.، وَهَذَا كَقَوْلِهِ..: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾..، (وهو) مِنْ قَبِيلِ الْمُعْجِزَاتِ الْعِلْمِيَّةِ..، وَيَكْفِي (الإيماء إلى).. الْفَوَائِدِ عَلَى الْإِجْمَالِ..؛ ثُمَّ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ فِي قَابِلِ الْأَجْيَالِ"[١٣٠].

قال ابن بشير: "قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾..؛ تفصيل هذه الآية في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢"[١٣١]، وقال الطبري: "عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾؛ قَالَ..:لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ ثَارَ مِنْهَا دُخَانٌ؛ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾، قَالَ: بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ"[١٣٢]، وفي التفسير ورد التمييز بين سماء الأرض وسماء الكون، ففي تأويل أورده الطبري ورده الماوردي[١٣٣] تصريح بأن الدخان أصل سموات الأرض أي طبقات الجو؛ لا سموات الكون: "الدُّخَانُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْأَرْضِ سَمَاءً"[١٣٤].

---

[١٢٤] محمد بن أحمد أبي زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١\ ١٨٩).

[١٢٥] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٧\ ١٦٥).

[١٢٦] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٣\ ٤٧٩).

[١٢٧] حسنين محمد مخلوف؛ كلمات القرآن تفسير وبيان (ص٣٥).

[١٢٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٧\ ٥٨).

[١٢٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣٣١).

[١٣٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣٣١).

[١٣١] د. حكمت بن بشير بن ياسين، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، دار المآثر للنشر والتوزيع بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م (١\ ١٣١).

[١٣٢] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١\ ٤٦٣).

[١٣٣] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١\ ٩٢).

[١٣٤] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١\ ٤٦٣).

وأما ترتيب الخلق فتفصيله: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣، قال شمس الدين الشربيني: "والمراد بالسماء (آفاق) هذه الأجرام العلوية"[١٣٥]، وقال ابن عاشور: "السَّمَاءَ (الكونية إذن) خُلِقَتْ قَبْلَ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ لَفْظَ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أَظْهَرُ فِي إِفَادَةِ التَّأَخُّرِ..، وَلِأَنَّ أَنْظَارَ عُلَمَاءِ الْهَيْئَةِ تَرَى أَنَّ الْأَرْضَ كُرَةٌ انْفَصَلَتْ عَنِ (أصل) الشَّمْسِ كَبَقِيَّةِ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ (في) النِّظَامِ الشَّمْسِيِّ (إذن)..: خَلْقَ السَّمَاوَاتِ (الكونية) مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْأَرْضِ..، وَ(السَّمَاءُ) إِنْ أُرِيدَ بِهَا الْجَوُّ الْمُحِيطُ بِالْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ؛ فَهُوَ تَابِعٌ لَهَا مُتَأَخِّرٌ عَنْ خَلْقِهَا، وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا (آفاق عناقيد الأجرام) الْعُلْوِيَّةُ..؛ (فهي) أَعْظَمُ مِنَ الْأَرْضِ فَتَكُونُ أَسْبَقَ خَلْقًا"[١٣٦]، وبهذا التأويل قد زال الإشكال كليًّا حول أيهما خلق أولا: هل السموات أم الأرض؟؛ وذلك لوجود سموات عُلَى تسبق الأرض في الخلق والنظم، وسموات للأرض بينهما تُذكر بعدها بترتيب الخلق: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.

والتعبير صريح في القرآن الكريم عن نظام تيارات الرياح حيث يوجد الهواء وتنتقل السحب في المنطقة بين سماء الكون والأرض: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤، واستثنى الجو من بقية السماء، وخصه بتوفر الهواء حيث تسبح الطيور: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ١٦النحل:٧٩، وهذا تمييز صريح للجو بالهواء عن بقية السماء.

وفي مقام ترتيب الخلق؛ ورد التضمين ببيانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ٦٥الطلاق:١٢، ففعل الخلق يشمل ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ وما خلقه ﴿مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، وضمير ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ يعود على جمع مؤنث؛ وليس إلا: ﴿سَمَاوَاتٍ﴾، فالمثلية في: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، والتقدير: "خلق سبع سماوات وخلق من الأرض سبع سماوات مثلهن"، قال ابن عاشور: "﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ عطف على ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾"[١٣٧]، وقال الألوسي: "﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي وخلق من الأرض مثلهن"[١٣٨]، "والأرض كونها سبع طبقات بين كل طبقة وطبقة كما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام.. غير مُسلَّم؛ ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا يُثبتُه"، "وكثيرا ما يُقصد من العدد (سبع) التكثير لا الكم المُعَيَّن"، ويُفضي خلق الجو من الأرض بالجمع مع النبأ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾؛ أنها كانت في غاية الالتهاب، وأن دخان الإلتهاب أصل الغلاف الجوي قبل أن يستقر ويتحول إلى طبقات متمايزة الخصائص تمهيدًا لمجيء الإنسان.

والخلاصة أن التعبير: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾؛ والتعبير: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾.. ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾؛ لا يأبى حمل لفظ (السَّمَاءِ) على دخان كثيف أحاط بالأرض الأولية، ولا يأبى حمل لفظ (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) على تحول الجو الأولي إلى سبع طبقات؛ لكل منها خصيصة تميزها في حفظ الحياة على الأرض.

وأوجز لنا الشيخ القطان الدلالة بقوله: "يَصِحّ أن يُراد بِسَبْع سماواتٍ الطبقات المختلفة لما يحيط بالأرضِ، وذلك أن الله تعالى.. أكمل تكوين الأرض ودبّت الحياة على سطحها؛ (وكان قد) كيَّف سبحانه جَوَّ الأرض المحيط بها بما يلائم هذه الحياة ويحفظها من أهوال الفضاء، وهكذا كانت طبقات الجو المختلفة.. والحق أن هذه الطبقات لم تُعرف إلا.. (حديثًا).. فأنى لمحمد أن يعلم هذه الأمور إلا من الله العليّ الحكيم! لقد بعثه بالحق..؛ وعلّمه بالقرآن ما لم يكن يعلم"[١٣٩].

[١٣٥] شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني؛ تفسير السراج المنير، دار الكتب العلمية بيروت، ترقيم الشاملة (١١ ٩٠).
[١٣٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٣٨٤).
[١٣٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٤٤٧٠).
[١٣٨] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٢٨ ١٤٢)، و(١١٣ ٩١)، و(١٧ ٨١) بالترتيب.
[١٣٩] إبراهيم القطان؛ تيسير التفسير، ترقيم المكتبة الشاملة (١١ ١٣).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Meteorology

الأرصاد الجوية

المَوْضُوع Subject

Atmosphere

الغلاف الجوي

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢البقرة:٢٢.**
- **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:١٢٥.**
- **﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى. تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ ٢٠طه:٢-٤.**
- **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.**
- **﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.**
- **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.**
- **﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٣٣.**
- **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.**
- **﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.**

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ ٢البقرة: ٦١.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ٢البقرة: ٦٠و٦١،

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And remember when you said, "O Moses, we can no longer tolerate one kind of food; Call upon your Lord to produce for us such earthly crops as beans, cucumbers, corn, lentils, and onions." He said, "Do you wish to substitute that which is inferior for that which is good? Go down to Egypt, where you can find what you asked for".

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

البقل في لغة العرب ليس خاصا بنبات بعينه؛ وإنما يشمل كل نبات ظهر واخْضَرَّتْ به الأَرضُ، وبقلت الأرض: أي أنبتت البقل والمرعى الأخضر، وفي المصطلح العلمي نباتات حولية تزرع موسميًا وليس طول السنة، وقد تؤكل طازجة، وهي نباتات متنوعة الأجناس والأنواع حيث تضمّ حوالي ٧٣٠ جنسًا وأكثر من ١٩,٤٠٠ نوعًا؛ وتشمل الفصيلة البُقُولِيَّة أو القَرْنِيَّة أو الفُولِيَّة Fabaceae أو Leguminosae، ومن أمثلتها الخس والجرجير والفجل والطماطم والبطاطس والبطاطا والجزر والفلفل وفول الصويا والبسلة والباذنجان واللوبيا والفاصوليا والحلبة والحمص والترمس.

والقثاء من الفصيلة القرعية Cucurbitaceae، وهي نباتات إما زاحفة أو مُتَسَلِّقَة والثمرة لبية قد تؤكل طازجة، لكنه الأنسب في الاختيار ليمثل الفصيلة لأنه مُمَيِّز لمصر حتى أنه قد سُمِّيَ: الخيار المصرى Egyptian Cucumber.

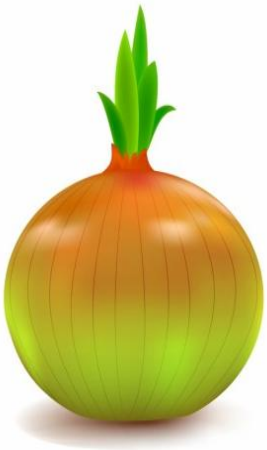

والعدس lentil أحد نباتات الفصيلة البقولية؛ واختياره يتفق مع كونه لا يصلح أن يؤكل طازجًا بخلاف معظمها، أما البصل Onion فهو عبارة عن قواعد منتفخة للأوراق، وهو يُصَنَّف حاليًّا مع الثوم والكرات ضمن العائلة النرجسية، ويعتبر الثوم Garlic من أقدم النباتات التي عُرفت في مصر حيث وجد منقوشا على جدران القبور والمعابد، وكشفت نقوش بجوار الهرم الأكبر أن الثوم كان يعطى لعمال التشييد كل صباح لتقويتهم والمحافظة على صحتهم، وقد عرف قدماء المصريين فوائده كمضاد للسموم؛ خاصةً سم الثعابين التي كانت منتشرة في مستنقعات البوص.

والقمح Wheat نبات عشبي يُصَنَّف ضمن النجيليات Gramineae، وهو ينمو في سنابل ويُتَّخَذ من دقيقه الخُبز؛ ويسمى البُر والحِنطة، وهناك نحو ٦٠٠ جنس في هذه الفصيلة وحوالي ١٠,٠٠٠ نوع، ومن بينها الخيزران والقصب وقصب السكر؛ وأهم المحاصيل الزراعية كالقمح والأرز والذرة والشعير والشوفان والدُّخن والذرة البيضاء، وكان القمح هو محور قصة يوسف الوكيل الملكي يومئذٍ لمخازن الحبوب مع إخوته العبرانيين زمن القحط الذي حل بمصر وفلسطين: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ ١٢يوسف:٦٣، وحفظت حكمته لمصر ثروتها: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ١٢يوسف:٤٧.

والنباتات المُختارة إذن يجمعها أنها خضراء موسمية نتاج فلاحة أرض وشبكة رى واسعة ومراقبة للفصول، والتعبير بهذا يعكس مدى النشاط الزراعي للمصريين القدماء واعتمادهم على فيضان النيل، وبالفعل تُعتبر الزراعة هي أساس حضارتهم ومصدر ثروتهم، وقد كانوا ينتظرون الفيضان السنوي للنيل ليغطي حقولهم بالماء والطمي فيبدأ موسم الزراعة، ووفق النقوش بالمقابر التي اكتشفت حديثًا؛ كان لهم نشاط زراعي كبير، وقد استخدموا الشادوف لرفع المياه إلى الحقول، وكانت المياه تُنقل أيضا في جرار تُحمل بواسطة عود خشبي يستقر على الكتفين، وحفروا الترع والقنوات لتوجيه المياه إلى أماكن بعيدة عن ضفاف نهر النيل، وحفروا ترعة طويلة تُعرف ببحر يُوسف لجلب المياه من نهر النيل إلى منخفض الفيوم وتخزينها لري الحقول في غير فصل الفيضان، أما جنوب سيناء حيث المنطقة جبلية منعزلة ومصادر الماء والمساحات بالأودية محدودة؛ فليس إلا أطعمة البادية؛ كالتمر والنبق ثمار السدر، والعسل الجبلي، وفطر الكمأة، والطيور المهاجرة موسميا كل شتاء أو صيف ومنها السلوى.

والكمأة (الفقع أو الترفاسي) Truffle فطر بري يستخدم كطعام وينتمي للعائلة الفنجانية Pezizaceae أو الترفزية Terfeziaceae، وهو ينمو في الصحراء بعد سقوط الأمطار بعمق من ٥ إلى ١٥ سنتيمتر تحت الأرض، وتنمو الكمأة على شكل درنة البطاطا قريبا من جذور الأشجار الكبيرة، ويتراوح حجمه من حجم حبَّة البندق إلى حجم البرتقالة، وهو لا يحتوي على الكلوروفيل فلا يقوم بعملية البناء الضوئي؛ ولذا يعتمد في غذائه على بقايا عضوية في التربة.

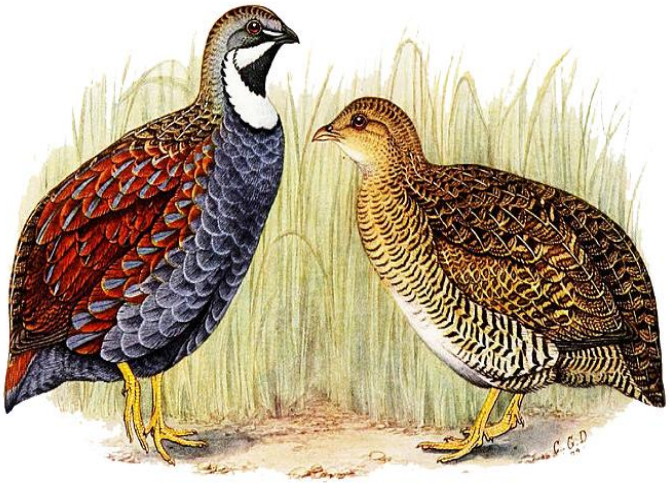

والسمان Quail من رتبة طيور الدجاجيات Gallinaceous Birds، وهو الوحيد من الرتبة الذي له المقدرة علي الطيران والهجرة؛ حيث يقضى فصل الصيف في أوربا ويهاجر إلي أفريقيا في الشتاء ثم يعود مرة أخرى إلي موطنه.

وتوجد حشرة تسمى قملة النبات أو حشرة المن Aphid، وتتميز بأنها تمتص عصارة النبات وتفرز مادة سكرية، وهناك أنواعًا من النمل تربي قطعانًا من حشرة المن تلك وتقدم لها أوراق الأشجار وترعاها، ثم تحلبها بالطرق على مؤخرتها بقرون الاستشعار لتحفزها على إدرار القطرات السكرية لتمتصها قبل أن تجف وتصبح صمغية القوام.

وفي شمال العراق حاليًا تباع حلوى تسمى حلوى المن أو مَنُّ السَّمَا، وهي بالمثل من إنتاج نوع من حشرة المن؛ حيث تتجمع المادة الصمغية على أوراق أشجار البلوط والجوز الشاهقة على شكل قطع متفاوتة الحجم، ويقوم الأهالي بالبحث عنها في المناطق البعيدة المنعزلة بجبال كردستان في رحلات تكتنفها مخاطر التعرض للحيوانات المفترسة؛ لكن المردود المادي يستحق المغامرة، وتنقى من الشوائب ويضاف إليها الجوز والهيل وتباع خاصة بمدينة السليمانية، لكن التسمية الشعبية لا تعني بالضرورة أنها مقصود لفظ المَن بسيناء؛ لأن معناه بالعربية يَتَّسِع ليشمل كل عطاء رباني، والحديث النبوي: "الكمأة من المن" أخرجه الشيخان؛ يؤيد إطلاق دلالة لفظ المن ليشمل أنواعا عديدة من أرزاق البادية، وليس لفظ (السلوى) كذلك مقصور على طائر السمان؛ فإذا اتسع المن لكل طعام تكون السلوى تسلية وتحليه مع الطعام.

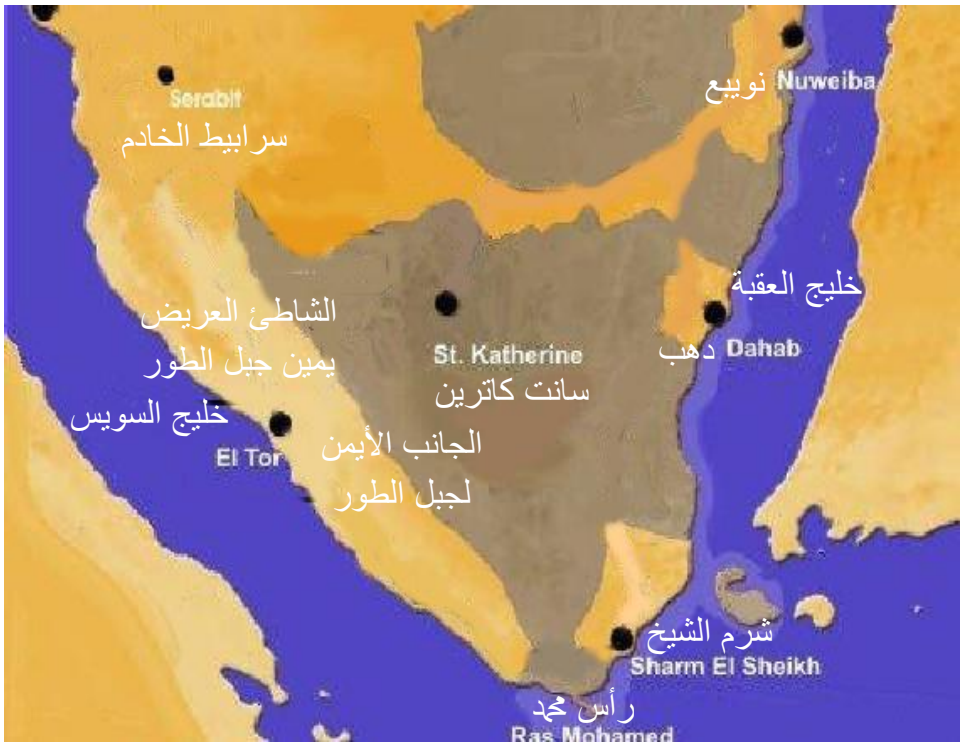

ويستوقفنا التعبير: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ ٢٠طه:٨٠، والطور جبل جنوب سيناء تبدو قممه جبالاً، وجانبه ناحية خليج السويس ذو شاطئ عريض؛ وفي الجانب المواجه لخليج العقبة يطل الجبل في مواضع على الماء، والطور مثلث رأسه جهة الجنوب وتجتمع مياه جانبه الأيمن مع الأيسر في مجمع واحد كبير للبحرين هو البحر الأحمر، وقد كانت سيناء مركزًا للعبادة ومأوىً للزهاد، وفي أول عهده كان موسى شغوفًا للوصول لمكان اللقاء مع أحد العباد لتلقي دروس الإيمان عند مجمع البحرين: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ١٨الكهف:٦٠؛ ولا ينطبق الوصف على أي مكان في العالم إلا عند مجمع خليجي العقبة والسويس في بحر واحد هو البحر الأحمر.

وكان تلقي نداء نبوة موسى في وادي بجانب الطور في بقعة مباركة: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ ٢٨القصص:٤٦، وارتفاع الوادي في المنطقة الجبلية يضاعف برودة الجو: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ

مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ٢٨القصص:٢٩، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ٢٠طه:٩-١٢، (طوى) إذن موضع عبادة: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ٧٩النازعات:١٥و١٦، وقيل أن الجبل الذي في سفحه زرع لفظة تُرسَم بالمصرية القديمة ضُو وتنطق بالقبطية تُووَ؛ وهما قريبتان من طوى، قال أبو القاسم الكرماني: "قوله: طُورِ.. (قال) الكلبي: كل جبل ذي شجر"[١٤٠]، ولك إذن أن تُسميه وادي الشجرة أو الحياة: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ ٢٨القصص:٣٠.

والاهتمام في القرآن الكريم مُنصب على الجانب الأيمن لجبل الطور في قصة موسى؛ سواء حين عودته من مدين والاتجاه شمالا، أو حين قيادته لقومه والاتجاه جنوبا؛ بيانًا بأن الوصف باليمين يخص الجانب الأيمن للجبل لا المارين، ففي رحلة عودة موسى بأهله من مدينة مدين صوب وادي النيل خلال سيناء والاتجاه نحو الشمال على الشاطئ المتسع المواجه لخليج السويس: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ ١٩مريم:٥٢، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ ٢٨القصص:٣٠، وفي رحلة خروج موسى من مصر بأتباعه والاتجاه جنوبا غرب جبل الطور على الشاطئ المتسع لخليج السويس: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ ٢٠طه:٨٠.

ووصف الجانب بالأيمن يفيد وجود أيسر؛ أما جنوب الجبل فملتقى الجانبين عند مجمع البحرين الأيمن والأيسر في مجمع مائي أكبر هو البحر الأحمر، فكأن النصوص ترسم لك خريطة جغرافية لسيناء؛ لأن جبل الطور يتجه برأسه نحو الجنوب حيث ملتقى جانبيه عند رأس محمد، فيكون جانبه الأيمن هو الشاطئ العريض جهة خليج السويس؛ أي جهة مغرب الشمس، وهو صريح التعبير: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ ٢٨القصص:٤٤، قال ابن عاشور: "وَأَمَّا جَعْلُهُ بِمَعْنَى الْأَيْمَنِ لِمُوسَى فَلَا يَسْتَقِيمُ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْرِ ذِكْرٌ لِمُوسَى"[١٤١]، "وَهُوَ نَفْسُ الْمَكَانِ الَّذِي نُودِيَ فِيهِ مُوسَى لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي رُجُوعِهِ مِنْ دِيَارِ مَدْيَنَ"[١٤٢]، وقال عبد الكريم الخطيب: "﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾..؛ الخطاب للنبي (صلوات الله وسلامه عليه)؛ وهو أنه لم يكن على علم بهذه الأخبار التي يقصها على قومه فيما أوحى الله إليه به مما كان بين موسى وربه إذ ناداه ربه من جانب الطور الأيمن؛ وهو الجانب الغربي من سيناء"[١٤٣].

أما بيان ارتفاع جنوب سيناء حيث حل بنو إسرائيل؛ فيكفي القول: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾؛ ليُعَبِّر عن فارق الارتفاع، ووفق معطيات علم الجغرافيا حديثًا: يبلغ متوسط ارتفاع الأراضي المصرية حوالي ١٥ مترًا فوق مستوى سطح البحر،

---

[١٤٠] محمود أبو القاسم الكرماني المعروف بتاج القراء؛ غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية بيروت (١٢ ٧٧٤).
[١٤١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٠ ١١٣).
[١٤٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٠ ١٣٣).
[١٤٣] عبد الكريم يونس الخطيب؛ التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي بالقاهرة (١١٠ ٣٥٢).

وأكثر منخفض بها هو منخفض القطارة الذي يبلغ حوالي ١٣٣ مترًا تحت مستوى سطح البحر، وتبدأ دلتا النيل عند القاهرة حيث يكون مستوى الأرض أعلى من مستوى سطح البحر بمقدار ١٨ متراً؛ وعند هذه النقطة تبدأ دلتا النيل، وقد يبلغ مستوى بعض الأراضي الشمالية للدلتا منسوباً أقل من مستوى ماء البحر؛ كما هو الحال في بحيرة مريوط التي تقل عن مستوى البحر بثلاثة أمتار، ويتناقص ارتفاع منسوب النيل من ٩٠ مترا عند أسوان ليصل عند القاهرة إلى ١٢ مترا فوق مستوى سطح البحر؛ أي يكون أقل من مستوى سطح الأرض بحوالي ستة أمتار فقط.

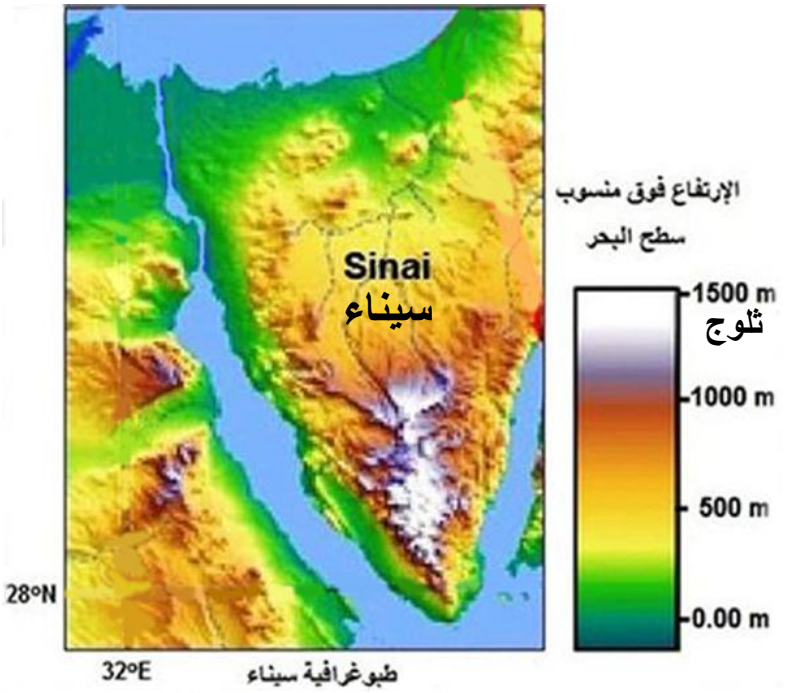

في حين أن معظم قيعان الأودية الرئيسة بين جبال جنوب سيناء تقع على مستوى أعلى من سطح البحر بمئات الأمتار، وتوصف شبه جزيرة سيناء جغرافيا بأنها مثلث تتجه رأسه نحو الجنوب؛ وجيولوجيا يوصف الجزء الجنوبي بأنه عبارة عن هضبة صخرية واحدة متصلة تطل فوقها قمم بركانية شاهقة الارتفاع تسمى عُرفًا بالجبال، ولكن سماها القرآن الكريم كجبل واحد بلفظ مفرد هو الطور، ويقع جبل الطور في القسم الجنوبي من سيناء، وفي الوسط هضبة التيه؛ ثم منطقة الساحل الشمالي، وتقطع القمم البركانية لمنطقة الطور أودية عديدة أشهرها وأغزرها ماءً ونخيلاً هو وادي فيران، وهو يمتد من الشاطئ الغربي لسيناء إلى الداخل حيث يقع جبل موسى الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ٢,٢٨٥ مترًا، ويقع جبل المناجاة شماله حيث يُقال أن النبي موسى ناجى ربه عليه؛ ويبلغ ارتفاعه حوالي ١,٨٢٩ مترًا، وجبل سانت كاترين الذي يقع جنوب غرب جبل موسى ويبلغ ارتفاعه حوالي ٢,٦٤٢ مترًا، وهو أعلى جبل في سيناء، وجبل سربال الذي يقع غرب جبل موسى وشمال مدينة الطور على بعد حوالي ٩ كم من كل منهما ويبلغ ارتفاعه نحو ٢,٠٠٠ متر، وقيل أن الكنعانيين كانوا يحجون إليه ويعتبرون النخيل حوله رمزًا للخصوبة وهبة من السيد أي بعل؛ فسمي الجبل سور بال أي سرب أو نخيل بعل إشارة إلى نخيل وادي فيران في سفحه، ولكن قد ترجع قدسية تلك الأمكنة إلى عبادة توحيدية قديمة أبعد من زمن أسرات قدماء المصريين؛ يمكن أن تُنسب إلى بعض ورثة النبي إدريس أو حكمة لقمان، ويكفي أن موسى قبل بعثته قد تلقى دروسا على يد أحد الموحدين عند مجمع البحرين قرب مخبأ العقيدة بسيناء.

وفي النداء: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ٢٠طه:١٢؛ لعل الأمر بخلع الحذاء كان إشارة للتطهر بالماء تهيئة للعبادة وإجابة للنداء مع بلوغ منطقة يتوفر فيها الماء والراحة للمارين؛ خاصة أن الاغتسال بالماء هو أهم نُسك في العبادات التوحيدية، وقد يعكس وجود نشاط ديني وثقافي قديم بالمنطقة أن الخط السينائي المستمد من المصرية القديمة قد خرج من سيناء موطن الموحدين وورثة الحكمة ليتفرع للآرامية واللغات الأساسية.

وتقع سرابيت الخادم شمال وادي فيران؛ واشتهرت بمناجم الفيروز زمن قدماء المصريين، وفي عام ٣٤٢م أقامت الملكة هيلانه أم الإمبراطور الروماني قسطنطين دير سانت كاترين على سفح جبل موسى بمنطقة مخبأ العقيدة تكريمًا لهيلانة التي قتلها الرومان من أجل عقيدتها، وجدده الإمبراطور جوستنيان عام ٥٤٨م؛ وجعله كالحصن حماية للرهبان.

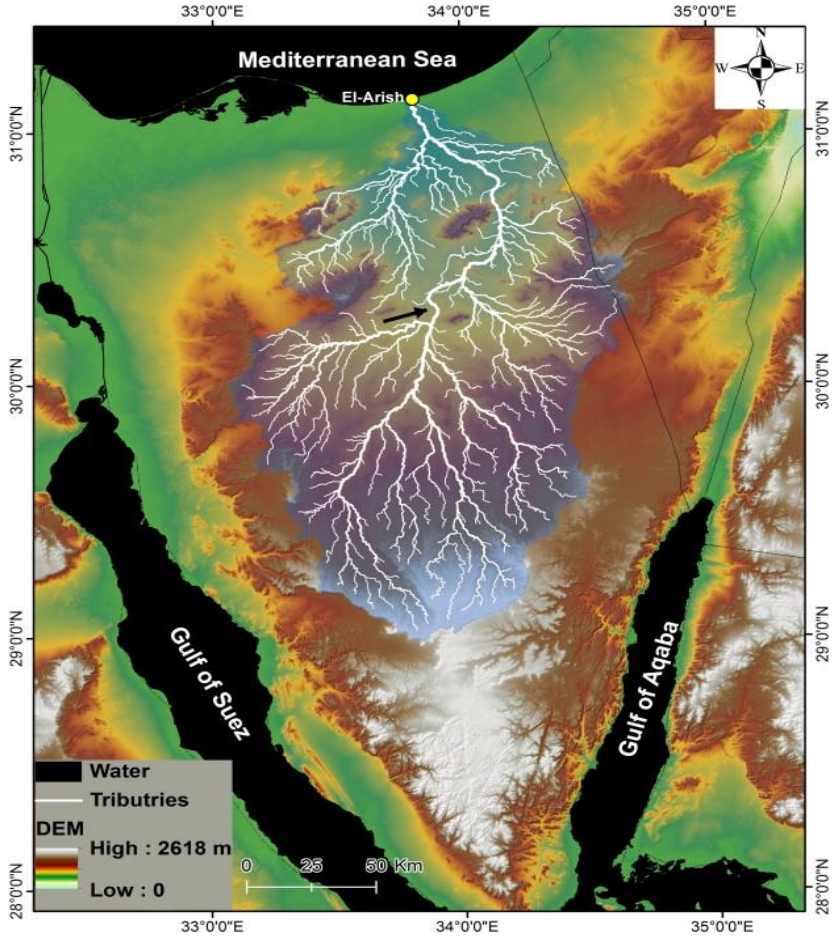

ولم تكن سيناء دوما صحراوية جافة كبقية الحزام الجغرافي الذي يشمل الجزيرة العربية وشمال أفريقيا؛ فقد كشفت الأقمار الصناعية حديثًا شبكة مجاري مائية تجري في الهضبة الوسطى وتصب في البحر الأبيض عند مدينة العريش، وربما كانت أودية المنطقة الجنوبية مشجرة كذلك، وقد عرفت في نهاية الدولة المصرية القديمة بالاسم (بو سينين) الذي يعني وادي الأشجار البهية المثمرة؛ خاصة مع وجود مزارع التين والزيتون والأعناب بموطن الموحدين الأوائل.

وما زالت أرض سيناء عامرة إلى اليوم بشجرة الزيتون المعمرة؛ حيث تزرع محافظة شمال سيناء نحو ٣٠ ألف فدان سنويًا؛ أي ما يعادل ٦٥ ألف طن تقريبًا من الزيتون، وهو ما يمثل نحو ١٥% من إنتاج مصر من الزيتون، وكان زيته يورد للمعابد كوقود للمشاعل لأنه أقل دخاناً عن اشتعاله من الزيوت الأخرى؛ ولعل خص سيناء بإنتاجه هو بيان لكثرة مزارعه فيها قديمًا: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:٢٠، والفعل المضارع (تخرج) يفيد التجدد ويتفق مع كونها شجرة معمرة يمكن أن تعيش لسنوات، واشتهرت سيناء كذلك بمزارع التين؛ وكان المصريون القدماء يجففونه ويحفظوه، وقد وردت سيناء باسمها القديم سينين في سياق ذكر أهم معالم المناطق حيث هبط الوحي: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٩٥التين:١-٣، والتين والزيتون أشجار بهية مثمرة؛ والمضاهاة مع (طور سينين) تطابق المعنى القديم أي الجبل ذو السفح المزروع بالأشجار البهية المثمرة، وهكذا: كما سُميت مكة بأصلها القديم بكة؛ سُميت سيناء بسينين كشفًا لاسمها القديم المندثر!،

ويستدعي تفسير الأعجمي المعرب بالقرآن الكريم بالسياق؛ المضاهاة كذلك بين لفظ الأرض: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾، ومضمونه الأرض المثمرة؛ وبين تعيينه بكلمة مصر مع التنوين للتعظيم: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾، ومضمونه وادي هو الأرض الخصبة؛ مما يفسر أصل دلالة الكلمة المُعَرَّبَة ﴿مِصْر﴾ في المصرية القديمة بوادي النيل ذي التربة السوداء الخصبة نتيجة تراكم الغرين مع الفيضان السنوي، ويعكس ما بلغته مصر قديمًا من ثراء وقوة نتيجة الزراعة، وليس بالمنطقة وادي خصيب قريب لهضاب سيناء يتميز بتربة سوداء من الطمي سوى وادي النيل تحديدًا، والاسم القديم لوادي النيل في المصرية القديمة المندثرة: كِمِتْ Kmt؛ وتعني بالفعل: الأرض السوداء الخصبة![١٤٤].

[١٤٤] The Wörterbuch der Aegyptischen Sprache (Dictionary of the Egyptian Language): 24 terms for km; all indicates 'black', Since the fertile soil of the Nile was so black that the word for black (Khem) became the old Egyptian word for the Egypt earth and people.

بقي أن نقول أن كلمة ثُوم التي تُنطق بالعامية توم؛ قريبة المخرج من أصلها في المصرية القديمة "حنتوم"، ويُغري ورود الثوم في رواية كتبة الأسفار المتأخرين بترجيحه على القمح لتفسير كلمة فوم؛ خاصةً لقرب مخرجها مع ثوم، لكن اسم ثوم شائع والقمح أكثر أهمية؛ والاستناد لقرب المخرج بالعربية لا يكفي لتفسير العدول لكلمة فوم، فهو ليس بأولى من الاستناد إلى كلمة قديمة قد تكون أصل فوم وفيوم مثل توم وحنتوم لقرب مخرجيهما؛ ككل الكلمات المُعَرَّبَة التي لا تجد لها ما يُفسرها سوى السياق، ولك إذن أن تعرف: لِمَ قالوا أن "فوم" هو القمح؛ إذا عرفت أصل كلمة فيوم.

في معجم مختار الصحاح: "(الْفُومُ).. قَالَ الْفَرَّاءُ: هِيَ لُغَةٌ قَدِيمَةٌ؛ وَ(الْفَيُّومُ) مِنْ أَرْضِ مِصْرَ"[١٤٥]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ٤٤الدخان:٢٥-٢٨، ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ٢٦الشعراء:٥٧-٥٩؛ قال الإستانبولي (والهرري): "(مَقامٍ كَرِيمٍ) يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية، وقال السهيلي في كتاب التعريف والأعلام: هي الفيوم من أرض مصر في قول طائفة من المفسرين..، وهى مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام ولها نهر يشقها.. متصل بالنيل (بحر يوسف)..، (وهي) عامرة كلها مزارع وغلال..، فإذا أجدبت الديار.. كانت.. تقوم بأهل مصر..؛ بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك..، وبها من قصب السكر كثير"[١٤٦].

وتقع الفيوم على بعد حوالي ١٠٠ كم جنوب غرب القاهرة؛ وبها بحيرة قارون، وهي منخفض كبير يمده بماء النيل بحر يوسف الذي تم شقه قديمًا لتخزين الماء في غير وقت الفيضان خاصة زمن القحط، وتنبع ترعة يوسف من النيل عند مستوى ٢٦ متر فوق سطح البحر؛ ثم تتجه في انحدار متواصل لتصل إلى سطح بحيرة قارون عند منسوب ٤٥ متر تحت سطح البحر، وقيل أنها شقت في عهد الملك أمنمحات الأول (١٩٩١ – ١٩٧٢ ق.م)، وسماها العرب من بعد بحر يوسف، وطبقا لما ورد في مخطوطات المؤرخ الإغريقي هيرودوت (٤٨٤ – ٤٢٥ ق.م)؛ كانت بحيرة قارون تخزن المياه ستة أشهر وتمد الأراضي المستصلحة حولها بالمياه الستة أشهر الباقية من السنة، ونُسبت البحيرة لقارون لاعتقاد البعض بأنها المنطقة التي خُسف فيها قارون، وهي حاليا مالحة نتيجة تبخر الماء، والمنطقة عامرة بالحياة منذ ملايين السنين؛ فقد اكتشف ديناصور الفيوم (باراليتيتان) في جبل قطران شمال البحيرة؛ مع أن الديناصورات قد بادت منذ حوالي ٦٥ مليون سنة نتيجة حدث فلكي يُعتقد أنه رجم نيزكي، وبخلاف بقية مصر؛ أهرامات الفيوم فتحاتها جنوبًا لا شمالاً ومسلتها غير مثلثة جوانب الرأس؛ وتُوحِي المُخالفة بديانة مُخالفة كانت سائدة.

---

[١٤٥] زين الدين الرازي؛ مختار الصحاح، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (ص٢٤٤).

[١٤٦] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي؛ روح البيان؛ دار الفكر بيروت (١٦ ٢٧٧)، محمد الأمين الهرري؛ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مراجعة الدكتور هاشم مهدي، دار طوق النجاة بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م (١٢٠ ٢٣٧).

ويبلغ طول بحيرة قارون حاليا نحو ٥٠ كيلومتر وعرضها نحو ١٢ كيلومتر؛ وكانت أكبر في الماضي، ولضخامتها كان الاسم المصري القديم: فاي يم أي بحر الثعابين؛ لكثرتها في المستنقعات والأحراش المحيطة قبل أن يستصلحها المصريون القدماء وتتحول لأرض زراعية، أو: باي يَمْ Pl-ym يعني البحر العظيم، وتبدلت فيما بعد إلى فيوم Phiom، وأضاف العرب أداة التعريف فصارت الفيوم[١٤٧]، والأرضي المستصلحة حول اليم العظيم زمن قدماء المصريين حيث عاش العبرانيون وربما عملوا هنالك بالمزارع والبساتين؛ هي التي أَمَدَّت مصر يومًا مَا زمن القحط بالقمح الفيومي أو "الفُومِ"، وهو المُنتج الرئيس في الفيوم؛ وموضوع رؤيا الملك وحكمة النبي يوسف عليه السلام لتجنب القحط: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ١٢يوسف:٤٧-٤٩، ولكن مع الحيرة في معنى فوم بالعربية من يُسميه؛ تلميحًا لحدث قد مضى واندثر، لا بد أن يكون على علم كذلك بأصله اللغوي المُندثر!.

[١٤٧] الشبكة الدولية؛ محمد رمزى بك؛ القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٤ (١٣ ٩٦).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن عاشور: "فِي صِيغَةِ طَلَبِهِمْ.. جَفَاءٍ..؛ إِذْ قَالُوا: (لَنْ نَصْبِرَ)، فَعَبَّرُوا عَنْ تَنَاوُلِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى بِالصَّبْرِ الْمُسْتَلْزِمِ الْكَرَاهِيَةَ..، وَقَدْ أَشَارَتِ الْآيَةُ إِلَى قِصَّةٍ ذَكَرَتْهَا التَّوْرَاةُ.. وَهِيَ أَنَّهُمْ لَمَّا ارْتَحَلُوا.. قَالُوا: (تَذَكَّرْنَا السَّمَكَ الَّذِي كُنَّا نَأْكُلُهُ فِي مِصْرَ..؛ وَالْقِثَّاءَ وَالْبِطِّيخَ وَالْكُرَّاثَ وَالْبَصَلَ وَالثُّومَ)..، وَوَصَفُوا الطَّعَامَ بِوَاحِدٍ.. لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ مُتَكَرِّرٌ كُلَّ يَوْمٍ..، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الْفُومِ فَقِيلَ: هُوَ الثُّومُ..، وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ وَالْمُوَافِقُ لِمَا عُدَّ مَعَهُ وَلِمَا فِي التَّوْرَاةِ؛ وَقِيلَ الْفُومُ الْحِنْطَةُ.. وَقَوْلُهُ..: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ).. تَوْبِيخٌ شَدِيدٌ"[١٤٨]، "وَالْمَنُّ مَادَّةٌ صَمْغِيَّةٌ.. (تُجمع من) عَلَى شَجَرِ الْبَادِيَةِ..، وَقَدْ وَصَفَتْهُ التَّوْرَاةُ بِأَنَّهُ دَقِيقٌ.. وَطَعْمُهُ كَرُقَاقٍ بِعَسَلٍ، وَسَمَّتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ "مَنًّا".. فَكَانُوا إِذَا الْتَقَطُوهُ طَحَنُوهُ بِالرَّحَا أَوْ دَقُّوهُ بِالْهَاوُنِ وَطَبَخُوهُ فِي الْقُدُورِ.. وَكَانَ طَعْمُهُ كَطَعْمِ قَطَائِفَ بِزَيْتٍ، وَأَنَّهُمْ أَكَلُوهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ أَرْضِ كَنْعَانَ..، وَأَمَّا السَّلْوَى فَهِيَ.. طَائِرٌ بَرِّيٌّ لَذِيذُ اللَّحْمِ"[١٤٩].

وقال القاسمي: "(وَفُومِها) هو الثوم؛ لقراءة ابن مسعود (وثومها) وللتصريح به في التوراة..، وقد ذكر ابن جرير شواهد لإبدال الثاء فاء لتقارب مخرجيهما"[١٥٠]. وقال محمد رشيد رضا: "(ذكروا أن) الْمَنَّ.. طَعْمَهُ كَالرُّقَاقِ بِالْعَسَلِ؛ وَكَانَ لَهُمْ بَدَلًا مِنَ الْخُبْزِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَكْلٌ سِوَاهُ إِلَّا السَّلْوَى، فَقَدْ كَانَ مَعَهُمُ الْمَوَاشِي، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا مَحْرُومِينَ مِنَ النَّبَاتِ وَالْبُقُولِ"[١٥١]، "(وقالوا أن) السَّلْوَى.. هِيَ طَيْرُ السِّمَّانِ.. (و) إِنَّهَا كَانَتْ تُهَاجِرُ مِنْ أَفْرِيقِيَّةَ.. فَتَصِلُ إِلَى سَيْنَاءَ تَعِبَةً فَتَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ.. (و) تُؤْخَذُ بِالْيَدِ، وَقِيلَ: طَيْرٌ تُشْبِهُ السِّمَانَ وَلَكِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْهَا"[١٥٢].

وقال المراغي: "البقل..: أطايب الخضر كالكرفس والنّعناع..، والقثّاء: ما تسميه العامة (القتّة)، والفوم..: قال جماعة منهم الكسائي إنه الثّوم؛ ويرجّح هذا ذكر العدس والبصل..، (و) الأدنى..: استعمل (هنا) للأخس الدّون، والهبوط: الانحدار والنزول، والمصر: البلد العظيم..، أي قال لهم موسى (ذلك) على سبيل التوبيخ والاستهجان: أتطلبون هذه الأنواع.. بدل ما هو خير منها؛ وهو المنّ الذي فيه حلاوة.. والسلوى الذي هو أطيب لحوم الطير"[١٥٣].

وقال الرازي: "اخْتَلَفُوا فِي الْفُومِ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ الْحِنْطَةُ..، وَهُوَ أَيْضًا الْمَرْوِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَابْنِ زَيْدٍ وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ: فَوِّمُوا لَنَا أَيِ اخْبِزُوا لَنَا، وَقِيلَ هُوَ الثُّومُ وَهُوَ مَرْوِيٌّ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَاخْتِيَارُ الْكِسَائِيِّ وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِوُجُوهٍ، الْأَوَّلُ: أَنَّهُ فِي حَرْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَثُومِهَا، الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ لَوْ كَانَ هُوَ الْحِنْطَةَ لَمَا جَازَ أَنْ يُقَالَ: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى) لِأَنَّ الْحِنْطَةَ أَشْرَفُ الْأَطْعِمَةِ، الثَّالِثُ: أَنَّ الثُّومَ أَوْفَقُ لِلْعَدَسِ وَالْبَصَلِ مِنَ الْحِنْطَةِ..، وَعَنْ زُهَيْرٍ الْفُرْقُبِيِّ: (أَدْنَأُ) بِالْهَمْزَةِ مِنَ الدَّنَاءَةِ..، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالْأَدْنَى، وَضَبْطُ الْقَوْلِ فِيهِ أَنَّ المراد إما أن يكون أَدْنَى فِي الْمَصْلَحَةِ فِي الدِّينِ أَوْ فِي الْمَنْفَعَةِ فِي الدُّنْيَا.. وَفِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَرَأَ بِهِ الْأَعْمَشُ: (اهبطوا مصر) بغير تنوين؛ كقوله: (ادْخُلُوا مِصْرَ)..، رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ تَرْكُ التَّنْوِينِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: الْأَلِفُ فِي (مِصْرًا) زِيَادَةٌ.. فَحِينَئِذٍ تَكُونُ مَعْرِفَةً، فَيَجِبُ أَنْ تُحْمَلَ عَلَى مَا هُوَ الْمُخْتَصُّ بِهَذَا الِاسْمِ وَهُوَ الْبَلَدُ الَّذِي كَانَ فِيهِ فِرْعَوْنُ؛ وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعِ، وَأَمَّا الَّذِينَ قَرَءُوا بِالتَّنْوِينِ.. فمنهم من قَالَ: الْمُرَادُ الْبَلَدُ الَّذِي كَانَ فِيهِ فِرْعَوْنُ وَدُخُولُ التَّنْوِينِ فِيهِ كَدُخُولِهِ فِي نُوحٍ وَلُوطٍ، وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُرَادُ الْأَمْرُ بِدُخُولِ أَيِّ بَلَدٍ كَانَ..، أَمَّا أَبُو مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ فَإِنَّهُ جَوَّزَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِصْرَ فِرْعَوْنَ؛ واحتج عليه بوجهين: (الْأَوَّلُ): أَنَّا إِنْ قَرَأْنَا: (اهْبِطُوا مِصْرَ) بِغَيْرِ تَنْوِينٍ كَانَ لَا مَحَالَةَ عَلَمًا لِبَلَدٍ مُعَيَّنٍ؛ وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ بَلْدَةٌ مُلَقَّبَةٌ بِهَذَا اللَّقَبِ سِوَى (مصر).. فَوَجَبَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَيْهِ، و(الثاني) لِأَنَّ اللَّفْظَ إِذَا دَارَ بَيْنَ كَوْنِهِ عَلَمًا وَبَيْنَ كَوْنِهِ صِفَةً فَحَمْلُهُ عَلَى الْعَلَمِ (أي: مصر) أَوْلَى مِنْ حَمْلِهِ عَلَى الصِّفَةِ"[١٥٤].

---

[١٤٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٥٢١).

[١٤٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٥٠٩).

[١٥٠] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١\ ٣١٤).

[١٥١] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١\ ٢٦٨).

[١٥٢] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١\ ٣١١).

[١٥٣] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١\ ١٣٠).

[١٥٤] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١\ ٥٣٢و٥٣٣).

وقال ابن حجر: "يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ أَنْوَاعًا مِنْهَا.. الْكَمْأَةُ.. وَبِهِ جَزَمَ الْمُوَفَّقُ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْبَغْدَادِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ فَقَالُوا إِنَّ الْمَنَّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مَا يَسْقُطُ.. (مِنَ) الشَّجَرِ فَقَطْ، بَلْ كَانَ أَنْوَاعًا "مَنَّ" اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهَا مِنَ النَّبَاتِ الَّذِي يُوجَدُ عَفْوًا وَمِنَ الطَّيْرِ الَّتِي تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ..، وَالْمَنُّ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ أَيْ مَمْنُونٌ بِهِ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ فِيهِ شَائِبَةُ كَسْبٍ كَانَ مَنًّا مَحْضًا؛ وَإِنْ كَانَتْ جَمِيعُ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبِيدِهِ مَنًّا مِنْهُ عَلَيْهِمْ، لَكِنْ خُصَّ هَذَا بِاسْمِ الْمَنِّ لِكَوْنِهِ لَا صُنْعَ فِيهِ لِأَحَدٍ، فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قوتهم.. الْكَمْأَةَ وَهِيَ تَقُومُ مَقَامَ الْخُبْزِ، وَأُدُمُهُمُ السَّلْوَى وَهِيَ تَقُومُ مَقَامَ اللَّحْمِ، وَحَلْوَاهُمُ الطَّلُّ الَّذِي يَنْزِلُ (مِنَ) الشَّجَرِ، فَكَمَّلَ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ، وَيُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ)؛ فَأَشَارَ إِلَى أَنَّهَا فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِهِ..، وَلَا يُعَكِّرُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ (طَعَام وَاحِد) لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَحْدَةِ دَوَامُ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ غَيْرِ تَبَدُّلٍ؛ وَذَلِكَ يَصْدُقُ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الْمَطْعُومُ أَصْنَافًا لَكِنَّهَا لَا تَتَبَدَّلُ أَعْيَانُهَا"[١٥٥].

والتعبير: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾؛ كأنه يعني: (عودوا إن شئتم للعبودية والوثنية والقتل)، وكأنه تهديد فيكون تنوين ﴿مِصْرًا﴾ حينئذٍ للتعظيم، وفي التعبير: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، تتسع الخيرية لتشمل كل خير خاصة مع إبهام وجه الخير لتعني كل عطاء رباني بلا مشقة، وأن اللحوم أغنى قيمة غذائية بالبروتينات، وأن الحرية أغلى من العبودية، وأن القضية أساسًا هي الدين؛ والحياة الأبدية والنعيم المقيم هو خير من الحياة الفانية، قال الرازي: "الْإِنْكَارِ (عليهم) قَدْ يَكُونُ لِمَا فِيهِ مِنْ تَفْوِيتِ الْأَنْفَعِ فِي الدُّنْيَا؛ وَقَدْ يَكُونُ لِمَا فِيهِ مِنْ تَفْوِيتِ الْأَنْفَعِ فِي الْآخِرَةِ"[١٥٦].

والطعام الواحد هو المن والسلوى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ٢البقرة:٥٧، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ٧الأعراف:١٦٠، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ ٢٠طه:٨٠، وقد خصصهما البعض استنادًا لرواية الأسفار، ورَجَّحَ آخرون إطلاقهما طبقًا لمعناهما في العربية ليشملا كل نعمة؛ خاصة لرواية البخاري ومسلم: "الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ"، وهي تجعل (المن) أنواعا من الأرزاق وهبها الله تعالى لبني إسرائيل ولم يستخدموا فيها أداة زراعة؛ وتطلق بالمثل التعبير الملازم (السلوى) ليعني التسلية والتحلية بأطعمة أخرى، قال الراغب الأصفهاني: "وأما (المن) فمصدر "مَنَّ"؛ أي أنعم، وأصله من "مَنَنْت"..، و(السلوى) أصله ما يُسَلِّي الإنسان، ومنه السِّلْوَان والتَسَلِّي..، أشار بذلك إلى (كل) ما يرزق الله بني آدم من النبات واللحوم وسائر الخيرات"[١٥٧].

[١٥٥] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، علق عليه العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة بيروت؛ ١٣٧٩هـ (١١٠ ١٦٤).

[١٥٦] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٣ ٥٣١).

[١٥٧] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ٢٠٠).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Geography

جغرافيا

المَوْضُوع Subject

Nile Valley & Sinai

وادي النيل وسيناء

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ٢البقرة:٦١.
- ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ١٧الأعراف:١٦٠.
- ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٨الأنفال:٤٢.
- ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ١٢يوسف:٤٧-٤٩.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ١٨الكهف:٦٠.
- ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ ١٩مريم:٥٢.
- ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ٢٠طه:٩-١٢.
- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ ٢٠طه:٨٠.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨. ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٩. ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:٢٠.
- ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ٢٦الشعراء:٥٧-٥٩.
- ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٨القصص:٢٩و٣٠.
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ٢٨القصص:٤٣و٤٤.
- ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٨القصص:٤٦.
- ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٠الروم:٢-٦.

- ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ٣٣الأحزاب:١٠.
- ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ٣٤سبأ:١٨، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ٣٤سبأ:١٨و١٩.
- ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ٤٤الدخان:٢٥-٢٨.
- ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٩٥التين:١-٣.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢البقرة:٧٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢البقرة:٧٢-٧٤.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Then (despite that)**, your hearts were hardened like stones or even worse in hardness. For; there are stones from which rivers gush out. And from which some crack and release water. And from which some fall** (from the heaven) **down** (as if) **for fear of ALLAH** (let alone you)**; ALLAH is not unaware of what you do.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

يقودنا التعبير: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾؛ ليخرجنا خارج الجزيرة العربية حيث لا توجد أنهار، فهو إذن نبأ يكشف لنا وجهًا من نعمته تعالى على الإنسان؛ ومثله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾، فلم يرد تعبير الأنهار سوى في سياق النعمة وحسن الجزاء، واقترنت الأنهار بالجبال الرواسي حيث المنابع: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ ٧٧المرسلات:٢٧، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ ١٣الرعد:٣، ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾ ١٦النحل:١٥، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٥٠ق:٧.

أما لفظ التفجير بيانًا لشدة الاندفاع والهدير فسيدفعنا لنصعد الجبال للمنابع؛ حيث تتجمع الأمطار في أعاليها في بحيرات تفيض بالماء ويندفع شلالات يلين لها الصخر؛ فيفتته على صلابته وينقله طميًا ويحفر في طريقه مجرى النهر.

وليست المغارات التي نُعاينها اليوم سوى ممرات قديمة حفرتها تيارات ماء في طريقها؛ ولانت لها أصلب الحجارة.

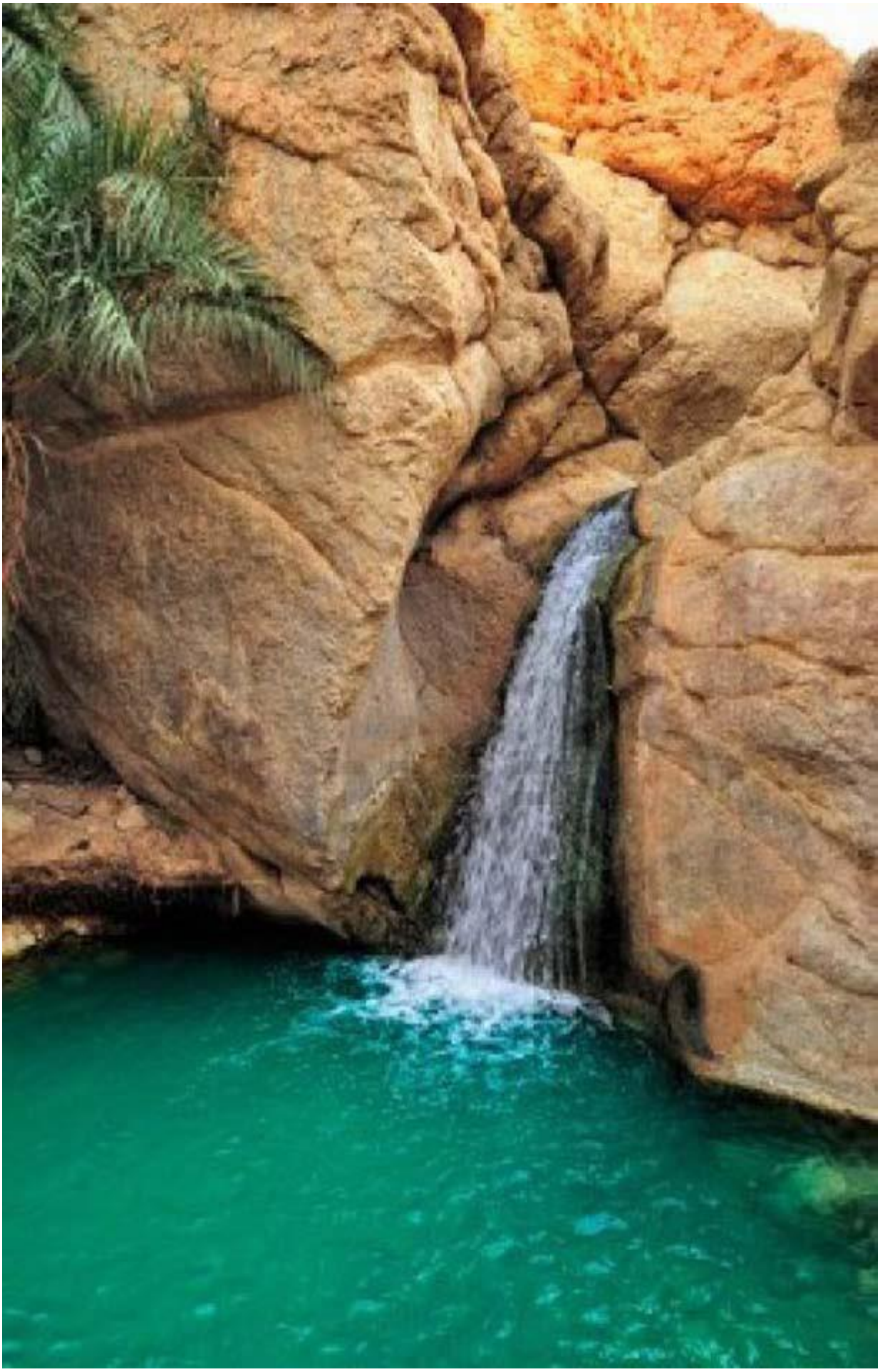

مياه الأمطار المتجمعة في بحيرات أعالي الجبال يمكنها التسلل خلال الصخور الصلدة لتكون شلالات وأنهار

وتكتمل النعمة بخزانات مياه جوفية استطاعت النفاذ من الشقوق ومسالك الصخور المسامية فخرجت ينابيع وآبار: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ ٣٩الزمر:٢١، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ. وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ١٥الحجر:٢١و٢٢.

ويكتمل بيان قدرة العَلِي باقتران بيان النعمة ببيان الاقتدار على النقمة أو سلب النعمة متى شاء القدير: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ٦٧الملك:٣٠، ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا. أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ ١٨الكهف:٤٠و٤١، والتعبير: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾؛ قد استوفى بيان النعمة، فما بقي إلا التهديد في التعبير: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾؛ في سياق الوعيد بالاقتدار على النقمة متى شاء القدير.

واقتصرت النعمة بالتفسير على الحجارة مصدر الأنهار والعيون والآبار؛ أما التي تهبط فليست بذات منفعة، قال المراغي: "هذه الحجارة تارة تتأثر تأثرا يعود بمنفعة عظيمة على الناس والحيوان والزرع بخروج الأنهار منها، وأخرى تتأثر تأثرا ضعيفا يترتب عليه منفعة قليلة فتنبع منه العيون والآبار، وحينًا تتأثر بالتردي والسقوط بلا منفعة للناس"[١٥٨].

والحجارة التي تلين للماء وتخشى الرَّب ضرب مثل بالحسيات تصويرًا لحالة معنوية وهي التَبَلُّد والجفاء، وقد بلغ التعبير قمة البلاغة في النظم بنسبة الخشية إلى الأحجار ذاتها؛ وهي جماد لا تصيبها مشاعر الخوف والرهبة، للتنديد بهؤلاء الذين تجردوا من كل مشاعر الرهبة رغم التخويف بقدرة العَلِي؛ حتى أن الحجارة الصماء تخشى عقوبة القدير وهي غير مكلفة وهم لا يخشونه أبدًا، فأي تعبير إذن يُضَاهِي إبداع هذا التَّصْوِير الرَّهِيب المَهِيب!، وتعبير الخشية المُرافق للحجارة التي تهبط قرينة التخويف وتلويح بالعقوبة؛ خاصة مع المجاورة للتهديد: وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، فالخشية إذن رافقت التخويف بالعقوبة بحجارة تهبط؛ فليس فيها بيان لنعمة وأمان من العقوبة، والعدول إلى تعبير الهبوط بدلاً من النزول قرينة تؤيد التجرد من الدلالة على النعمة؛ حيث ورد لفظ الإنزال غالبا مقترنا بما هو تَفَضُّل ونعمة كالقرآن والمطر للدلالة على القيمة المعنوية كنعمة نفيسة، وسواء كانت من رأس جبل أو من السماء؛ كِسَف أو قطع الحجارة التي تهبط خطر وقرينة للتخويف، وسقوط كِسَف أو قطع الحجارة ذُكِر في مقام التخويف والتدمير؛ نحو: ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ٣٤سبأ:٩، ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ ١٧الإسراء:٩٠-٩٢، ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٢٦الشعراء:١٨٧، قالوها المُكابرين إذن مُنكرين: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ ٨الأنفال:٣٢.

وكأن النص قد جمع بين الترغيب والترهيب؛ قال الراجحي: "﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.. كما قال في الترغيب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٣٢السجدة:١٧.. وقال في الترهيب..: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ ٦٧الملك:١٧"[١٥٩]، فالنصوص إذن تُرَجِّح أن هبوط الحجارة ليس من رأس جبل وإنما من السماء، وأن حجارة الأرض تلين بالماء وحجارة السماء تسقط وتتفتت حين تؤمر بالهبوط؛ بيانًا لعلمه تعالى المحيط بنوعيها العلوية والسفلية؛ وقدرته إن شاء بالعقوبة، قال الهرري: "يحيط علمه بكل المعلومات وقدرته بجميع الأشياء.. فيما كان من العلويات والسفليات.. نحو قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾"[١٦٠].

---

[١٥٨] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١١ ١٤٧).

[١٥٩] عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي؛ شرح تفسير ابن كثير، تفريغ الدروس: موقع الشبكة الإسلامية، المكتبة الشاملة؛ رقم الجزء هو رقم الدرس (١٢٣ ٤).

[١٦٠] محمد الأمين الهرري؛ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م (١٢٩ ١٦١).

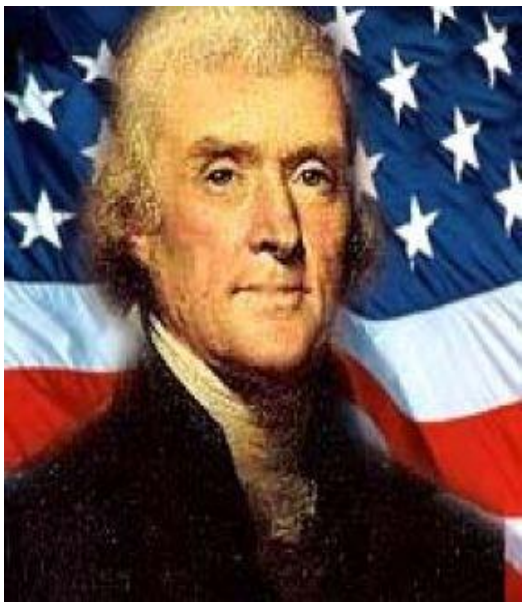

توماس جفرسون Thomas Jefferson
(١٧٤٣ - ١٨٢٦)

وفي موسوعة ويكيبيديا: "كتب توماس جيفرسون قائلاً: (I would more easily believe that (a) Yankee professor would lie than that stones would fall from heaven: من السهل أن أصدق أن ذلك البروفيسور يانكي (أي المواطن الشمالي؛ يتهكم) ممكن أن يكذب أكثر من أن أصدق أن حجارة تسقط من السماء)"[١٦١]، "وهو هنا يشير إلى البحث الذي أجراه بنيامين سيليمان Benjamin Silliman (١٧٧٩ - ١٨٦٤) على النيزك الذي وقع عام ١٨٠٧، فلقد اعتقد سيليمان أن الشهب لها أصل كوني، إلا أن دراسة الشهب لم تجذب انتباه علماء الفلك حتى ظهور عاصفة الشهب الهائلة في نوفمبر ١٨٣٣؛ ففي ذلك الوقت شاهد جميع الأشخاص في شرق الولايات المتحدة الأمريكية آلاف الشهب التي كانت تنطلق من نقطة واحدة في السماء"[١٦٢]، و"قام عالم الفلك دينسون أولمستيد Denison Olmsted بعمل دراسة موسعة على هذه العاصفة، وقد خلص من هذه الدراسة إلى أن هذه الظاهرة لها أصل كوني، كما أن العالم هاينريش أولبرز قد توقع تكرار هذه العاصفة مرة أخرى في عام ١٨٧٦؛ وذلك بعد مراجعة السجلات التاريخية، الأمر الذي جذب انتباه علماء الفلك الآخرين، ولكن العمل التاريخي الذي قام به العالم هربرت نيوتن Hubert A. Newton.. قد أدى إلى تعديل التنبؤ السابق ليصبح في عام ١٨٦٦؛ الأمر الذي ثبتت صحته فيما بعد..، (و) أصبح وجود أصل كوني للشهب من الأمور المؤكدة والمثبتة الآن"[١٦٣]، و"التعريف الرسمي الحالي الذي وضعه الإتحاد الفلكي الدولي لمصطلح النيزك؛ يوضح أنه: جسم صلب يسبح في الفضاء بين الكواكب السيارة"[١٦٤].

وهكذا أشار القرآن الكريم بتلطف لا يلفت عن غرض إلى أن الماء يتفجر عبر صخور شديدة القسوة غير مسامية، وأن ماء العيون والآبار مصدره مسالك في صخور مسامية، وأن في السماء أحجار يُمكن أن تهبط إذا شاء القدير وتُدمر المكابرين الغافلين، وأفاض في بيان الصدام النيزكي Impact بما لا يدانيه أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ بينما كَذَّبَ رئيس الولايات المتحدة الأمريكية توماس جيفرسون القول بأن في السماء أحجار يمكن أن تسقط على الأرض!.

---

[١٦١] Wikipedia, the free encyclopedia, search word; (**meteoroid**).
[١٦٢] موسوعة ويكيبيديا العالمية الموسوعة الحرة؛ كلمة البحث: (نيزك).
[١٦٣] موسوعة ويكيبيديا العالمية الموسوعة الحرة؛ كلمة البحث: (نيزك).
[١٦٤] موسوعة ويكيبيديا العالمية الموسوعة الحرة؛ كلمة البحث: (نيزك).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾؛ يعني أن من الحجارة ما هو أنفع من قلوبكم القاسية..، ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.. (و) ضمير الهاء في (منها).. يرجع إلى الحجارة لأنها أقرب مذكور"[١٦٥]، وقال الراغب الأصفهاني: "صارت في القساوة بحيث إن قلت إنها كالحجارة قساوة صح..، وإن قلت هي أشد من الحجارة صح..، (و) قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي من الحجارة، قال أبو علي الجبائي: عنى بهذه الحجارة البَرَد الهابط من السماء..، وعنى بالخشية التخويف..، وإنما قلت هذا لأن الحجارة جماد فلا يصح منه الخشية..، وقال البلخي: هذا على جهة التمثيل لما في الحجارة من الانقياد لأمر الله..، وقال بعضهم: ﴿وإن منها﴾ أي من الحجارة ﴿لَمَا يَهْبِطُ﴾ من أجل أن يَخشى اللهَ العبادُ..، فأما إذا قيل إن للجمادات معارف الإنسان في أنها تميز وتختار وتريد؛ فهذا مما تعافه العقول، ونبه الله تعالى تخويفه لنا.. (بأنه) تعالى لا يغفل عن أفعال البشر؛ إذ هو علام الغيوب"[١٦٦]، وقال المراغي: "أي إن هذه الحجارة تارة تتأثر تأثرا يعود بمنفعة عظيمة على الناس والحيوان والزرع بخروج الأنهار منها، وأخرى تتأثر تأثرا ضعيفا يترتب عليه منفعة قليلة فتنبع منه العيون والآبار، وحينا تتأثر بالتردي والسقوط بلا منفعة للناس، وقلوب هؤلاء لا تتأثر بحال، فلا تُجدى فيها الحكم والمواعظ التي من شأنها أن تنفذ في الوجدان وتصل إلى الجنان، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أي إن الله لكم بالمرصاد..، ولا يخفى ما في هذا من شديد التهديد والوعيد"،"[١٦٧].

وقال ابن عاشور: "﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾.. أَيْ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ تَلِنْ قُلُوبُكُمْ وَلَمْ تنفعكم الْآيَات..؛ تَعْجِيبٌ..، وَالْقَسَاوَةُ تُوصَفُ بِهَا الْأَجْسَامُ وَتُوصَفُ بِهَا النُّفُوسُ الْمُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْقُلُوبِ؛ فَالْمَعْنَى الْجَامِعُ لِلْوَصْفَيْنِ هُوَ عَدَمُ قَبُولِ التَّحَوُّلِ عَنِ الْحَالَةِ الْمَوْجُودَةِ..، (و) الْقَسَاوَةُ (هنا) مَوْضُوعَةٌ.. لِلْأَجْسَامِ حَقِيقَةً وَاسْتُعْمِلَتْ فِي الْقُلُوبِ مَجَازًا وَهُوَ الصَّحِيحُ، فَقَدْ شَاعَ هَذَا الْمَجَازُ حَتَّى سَاوَى الْحَقِيقَةَ وَصَارَ غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَى الْقَرِينَةِ..؛ وَقَوْلُهُ: ﴿فَهِيَ كَالْحِجارَةِ﴾ تَشْبِيهٌ.. (و) الْقَسْوَةُ هِيَ وَجْهُ الشَّبَهِ..، وَقَدْ كَانَتْ صَلَابَةُ الْحَجَرِ أَعْرَفَ لِلنَّاسِ وَأَشْهَرَ لِأَنَّهَا مَحْسُوسَةٌ فَلِذَلِكَ شُبِّهَ بِهَا..، ﴿أَوْ﴾ بِمَعْنَى بَلْ.. أَيْ فَهِيَ مِثْلُ الْحِجَارَةِ أَوْ هِيَ أَقْوَى مِنَ الْحِجَارَةِ..، سَاوَاهُمْ بِالْحِجَارَةِ فِي وَصْفٍ ثُمَّ تَقَصَّى فَرَأَى أَنَّهُمْ فِيهِ أَقْوَى؛ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِلْمُخَاطَبِ إِنْ شِئْتَ فَسَوِّهِمْ بِالْحِجَارَةِ فِي الْقَسْوَةِ وَلَكَ أَنْ تَقُولَ هُمْ أَشَدُّ مِنْهَا..، فَهَذِهِ الْقُلُوبُ قَسَاوَتُهَا عِنْدَ التَّمْحِيصِ أَشَدُّ مِنْ قَسَاوَةِ الْحِجَارَةِ؛ لِأَنَّ الْحِجَارَةَ قَدْ يَعْتَرِيهَا التَّحَوُّلُ عَنْ صَلَابَتِهَا وَشِدَّتِهَا بِالتَّفَرُّقِ وَالتَّشَقُّقِ..، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ﴾.. تَعْلِيلٌ لِوَجْهِ التَّفْضِيلِ..، وَمَوْقِعُ هَذِهِ الْوَاوِ الْأُولَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ﴾.. يَجْعَلُهَا إِخْبَارًا عَنْ مَزَايَا فُضِّلَتْ بِهَا الْحِجَارَةُ عَلَى قُلُوبِ هَؤُلَاءِ بِمَا يَحْصُلُ عَنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ مِنْ مَنَافِعَ؛ فِي حِينِ تُعَطَّلُ قُلُوبُ هَؤُلَاءِ مِنْ صُدُورِ النَّفْعِ بِهَا..، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا الْوَاوُ الِاعْتِرَاضِيَّةُ وَأَنَّ جُمْلَةَ ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ﴾ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا مُعْتَرِضَاتٌ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وَبَيْنَ جُمْلَةِ.. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾..، وَالتَّعْبِيرُ عَنِ التَّسَخُّرِ لِأَمْرِ التَّكْوِينِ بِالْخَشْيَةِ لِيَتِمَّ ظُهُورُ تَفْضِيلِ الْحِجَارَةِ عَلَى قُلُوبِهِمْ فِي أَحْوَالِهَا الَّتِي نِهَايَتُهَا الِامْتِثَالُ لِلْأَمْرِ التكليفي مَعَ تَعَاصِي قُلُوبِهِمْ عَنِ الِامْتِثَالِ لِلْأَمْرِ التَّكْلِيفِيِّ؛ لِيَتَأَتَّى الِانْتِقَالُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾..، وَقَدْ أَشَارَتِ الْآيَةُ إِلَى أَنَّ انْفِجَارَ الْمَاءِ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الصُّخُورِ مُنْحَصِرٌ فِي هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ، وَذَلِكَ هُوَ مَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْجُغْرَافِيَا الطَّبِيعِيَّةِ أَنَّ الْمَاءَ النَّازِلَ عَلَى الْأَرْضِ يَخْرِقُ الْأَرْضَ بِالتَّدْرِيجِ.. فَيُحْدِثُ ثُقْبًا فِي الصُّخُورِ الْكِلْسِيَّةِ حَتَّى يَخْرِقَهَا فَيَخْرُجَ مِنْهَا نَابِعًا كَالْعُيُونِ..، وَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْعُيُونُ فِي مَوْضِعٍ نَشَأَتْ عَنْهَا الْأَنْهَارُ..، وَأَمَّا الصُّخُورُ غَيْرُ الْكِلْسِيَّةِ فَلَا يُفَتِّتُهَا الْمَاءُ وَلَكِنْ قَدْ يَعْرِضُ لَهَا انْشِقَاقٌ.. فَيَخْرُجُ مِنْهَا الْمَاءُ..، وَالْخَشْيَةُ فِي الْحَقِيقَةِ الْخَوْفُ الْبَاعِثُ عَلَى تَقْوَى الْخَائِفِ غَيْرَهُ؛ وَهِيَ حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ فِي امْتِثَالِ الْأَمْرِ التَّكْلِيفِيِّ لِأَنَّهَا الْبَاعِثُ عَلَى الِامْتِثَالِ، وَجُعِلَتْ هُنَا مَجَازًا عَنْ قَبُولِ الْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ..، تَمْثِيلًا لِلْهَيْئَةِ عِنْدَ التَّكْوِينِ بِهَيْئَةِ الْمُكَلَّفِ؛ إِذْ لَيْسَتْ لِلْحِجَارَةِ خَشْيَةٌ إِذْ لَا عَقْلَ لَهَا..، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تَذْيِيلٌ.. مُرَادٌ بِهِ التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ لَهُمْ"[١٦٨].

وقال القاسمي: "ذهب بعض المفسرين إلى الاستدلال بظاهر الآية على خلق التمييز في الجماد حتى يخشى ويسبح، والمحققون على أن هذه الآية وأمثالها من المجاز البليغ..، وقد رد الإمام ابن حزم.. على من زعم أن للحيوان والجماد

---

[١٦٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١ ١٤٦).

[١٦٦] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ٢٣٢).

[١٦٧] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١١ ١٤٧).

[١٦٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٥٦٢).

تمييزًا ردا مسهبًا، وقال: من ادعى ذلك أكذبه العيان"[١٦٩]، و"معنى قوله ﴿يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي يوجب الخشية لغيره"[١٧٠].

وقال محمد رشيد رضا: "وَالْقَسْوَةُ الصَّلَابَةُ وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ، وَوَصْفُ الْقُلُوبِ بِالْقَسْوَةِ مَجَازُ تَشْبِيهٍ مِمَّا يُسَمُّونَهُ الِاسْتِعَارَةَ بِالْكِنَايَةِ.. أَيْ بَلْ هِيَ أَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ؛ إِذْ لَا شُعُورَ فِيهَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَلَا عَاطِفَةَ تَفِيضُ مِنْهَا بِعِبْرَةٍ، وَالْحِجَارَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ مِنْهَا مَا يَفِيضُ بِالْخَيْرَاتِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مَوْضِعَ ظُهُورِ آثَارِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْجَمَادَاتِ.. وَالْمُرَادُ بِالْقُلُوبِ مَا اعْتُبِرَتْ عُنْوَانًا لَهُ وَهُوَ الْوِجْدَانُ وَالْعَقْلُ.. وَالْمَعْنَى أَنَّ الْحِجَارَةَ عَلَى صَلَابَتِهَا وَقَسْوَتِهَا تَتَأَثَّرُ بِالْمَاءِ الرَّقِيقِ اللَّطِيفِ فَيَشُقُّهَا وَيَنْفُذُ مِنْهَا بِقِلَّةٍ أَوْ كَثْرَةٍ، فَيُحْيِي الْأَرْضَ وَيَنْفَعُ النَّبَاتَ وَالْحَيَوَانَ، وَأَمَّا هَذِهِ الْقُلُوبُ فَلَمْ تَعُدْ تَتَأَثَّرُ بِالْحِكَمِ وَالنُّذُرِ وَلَا بِالْعِظَاتِ وَالْعِبَرِ.. وَمِنَ الْحِجَارَةِ مَا يَشُقُّهُ الْمَاءُ الْقَلِيلُ كَمَاءِ الْعُيُونِ وَالْيَنَابِيعِ الْحَجَرِيَّةِ، وَمِنْهَا مَا لَا يُفَجِّرُهُ إِلَّا الْمَاءُ الْقَوِيُّ الْغَمْرُ الَّذِي يُسَمَّى نَهْرًا ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ وَهُوَ مَا يَنْحَطُّ مِنْ أَعْلَى"[١٧١].

وقال الرازي: "ذَكَرَ حَالَ الْحِجَارَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ﴾ فَيَجِبُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أَنْ يَكُونَ رَاجِعًا إِلَيْهَا (وهو).. قَوْلُ جَمْعٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى الْحِجَارَةِ.. كَذَلِكَ الْجَبَلُ وَصَفَهُ بِالْخَشْيَةِ.. ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هَذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٥٩الحشر:٢١، وَالتَّقْدِيرُ أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ جَعَلَ فِيهِ الْعَقْلَ والفهم لصار كذلك.. (و) مِنَ الْحِجَارَةِ مَا يَتَرَدَّى مِنَ الْمَوْضِعِ الْعَالِي الَّذِي يَكُونُ فِيهِ فَيَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلَ.. فَكَأَنَّ الْهُبُوطَ مِنَ الْعُلُوِّ جُعِلَ مَثَلًا لِلِانْقِيَادِ.. (و) مَا ذَكَرَهُ الْجُبَّائِيُّ وَهُوَ أَنَّهُ فَسَّرَ الْحِجَارَةَ بِالْبَرْدِ الَّذِي يَهْبِطُ مِنَ السَّحَابِ تَخْوِيفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ لِيَزْجُرَهُمْ بِهِ.. أَيْ يَنْزِلُ بِالتَّخْوِيفِ لِلْعِبَادِ أَوْ بِمَا يُوجِبُ الْخَشْيَةَ لِلَّهِ.. أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَما اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِالْمِرْصَادِ لِهَؤُلَاءِ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَحَافِظٌ لِأَعْمَالِهِمْ.. فَهُوَ يُجَازِيهِمْ بِهَا.. وَفِي هَذَا وَعِيدٌ لَهُمْ وَتَخْوِيفٌ كَبِيرٌ لِيَنْزَجِرُوا"[١٧٢].

وقال ابن عجيبة: "قلوبهم كالحجارة؛ بل أشد، أو إن شَبَّهْتم قلوبهم بالحجارة أصبتم؛ وبما هو أشد أصبتم، بل في الحجارة فضل عليها في اللين، فإن منها ما تتفجر مِنْهُ الْأَنْهارُ الكبار؛ ومنها ما تشقق فَيَخْرُجُ مِنْهُ العيون الجارية، ومنها ما تهبط.. مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ"[١٧٣]، وقال أبو السعود: "﴿وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ أي يتردَّى من الأعلى إلى الأسفل.. وهو مجازٌ من الانقياد لأمره تعالى"[١٧٤]، وقال الواحدي: "قال أرباب الأصول: الجمادات لا تعقل ولا تميز"[١٧٥]، و"قال بعض المتأولين: من قال المراد بالحجارة في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أنه يركَّب فيها التمييز والعقل فقد أخطأ..؛ ولكن هذا على جهة المثل؛ كأنه يهبط من خشية الله لما فيه من الانقياد لأمر الله..، أي: كأنها خاشعة للتذلل الذي ظهر فيها كما يظهر تذلل الخاشع"[١٧٦]، وقال الإستانبولي: "الهبوط الانحدار على سبيل القهر كهبوط الحجر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، وإذا استعمل الهبوط في الإنسان فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الإنزال، فان الإنزال ذكره الله في الأشياء التي نبه على شرفها كإنزال القرآن والملائكة..، والهبوط ذكره حيث نبه على البغض نحو: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، وقال: ﴿فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها﴾"[١٧٧]، وقالت بنت الشاطئ: "فإذا كانت خشية الله متوقَّعة من الجبل.. أو من الحجارة..، فذلك من رائع البيان القرآني إذ يبث الحياة في الجامد الأصم؛ فيجعله بحيث يحس وينفعل ويخشى الله ويخشع"[١٧٨].

---

[١٦٩] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١١ ٣٣٠).

[١٧٠] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١١ ٣٣٢).

[١٧١] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١١ ٢٩١).

[١٧٢] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٣ ٥٥٥).

[١٧٣] أبو العباس أحمد بن عجيبة؛ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق أحمد عبد الله القرشي، الناشر الدكتور د. حسن عباس زكي؛ ١٤١٩هـ (١١ ١٢١).

[١٧٤] أبو السعود العمادي؛ تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي بيروت (١١ ١١٥).

[١٧٥] أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري؛ التَّفْسِيرُ البَسِيْط، تحقيق ١٥ رسالة دكتوراه، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ (١١٥ ٣٢٦).

[١٧٦] أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري؛ التَّفْسِيرُ البَسِيْط، تحقيق ١٥ رسالة دكتوراه، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ (١٣ ٨٧).

[١٧٧] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي؛ روح البيان، دار الفكر بيروت (١٥ ٤٤٠).

[١٧٨] بنت الشاطئ عائشة محمد علي عبد الرحمن؛ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، الطبعة الثالثة (ص٢٢٧).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Geology

علوم الأرض

المَوْضُوع Subject

Water Cycle and

Under-Ground Water

دورة الماء والمياه الجوفية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٨الأنفال:٣٢.
- ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ١١هود:٨١-٨٣.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٣الرعد:٣.
- ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ. وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ١٥الحجر:٢١و٢٢.
- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ ١٥الحجر:٧٣-٧٦.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٦النحل:١٥.
- ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٩٠-٩٢.
- ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا. أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ ١٨الكهف:٤٠و٤١.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٢الحج:٦٥.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨.
- ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ٢٦الشعراء:١٨٧-١٨٩.
- ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ٣٤سبأ:٩.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ٣٩الزمر:٢١.
- ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ. فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ٥١الذاريات:٣٢-٣٧.
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ٥٤القمر:٣٤.
- ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٥٩الحشر:٢١.
- ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ ٦٧الملك:١٧.
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ٦٧الملك:٣٠.

- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا. وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ ٧٧المرسلات:٢٥-٢٧.
- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ ١٠٥الفيل:٣-٥.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ٢البقرة:٧٩.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ. فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ٢البقرة:٧٨و٧٩.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Then, woe to those who write the Book with their own hands (distorting the scripture)**, and then say: "This is what Allah has revealed"; to purchase with it a little price!**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ المائدة: ٤١، وقال تعالى مؤكدا: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ النساء: ٤٦ والمائدة: ١٣، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة: ٧٩، هكذا كشف القرآن تحريف الأسفار قبل اكتشاف الحفريات والوثائق التي ظلت مطمورة قرونا وقبل توالى الشهادات والاعترافات لتتجلى معجزة الإنباء بالغيب!.

وعلم الآثار حديث والأسفار لم تكن متاحة للعامة بشهادة القرآن الكريم، ولم يرد أن أحدا من أهل الكتاب قد تجرأ على ردها منذ أعلنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة: ١٧٤، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ اللهُ عَلَىَ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىَ نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ الأنعام: ٩١، وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ آل عمران: ٩٣، فمن أين إذن استمد القرآن الكريم نبوءته؛ وقبل أن تصدقها الأيام أكد بإصرار على تحريف الأسفار!.

وتحريف المسار لا يقبل اليوم الشك؛ مع النصوص التي أيدت أن التوحيد هو أصل دعوة المسيح عليه السلام، فالمَأْثُور أَنَّهُ عليه السلام: "كان يعتزل في البراري ويصلي" لوقا Luke٥: ١٦، وأَنَّهُ: "قضى الليل كله في الصلاة لله" لوقا Luke ٦: ١٢، ولما دعاه أحدهم صالحًا قال: "ليس أحد صالحًا إلا واحد؛ وهو الله" (متى Matthew ١٩: ١٧)، وجَأَرَ مِرَارًا بأَنَّهُ رسول الله: "ليعلم العالم أنك أرسلتني" (يوحنا John ١٧: ٢٣)، وهَدَّدَ المُبْتَدِعِين بقوله: "من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه؛ الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير" يوحنا John ١٢: ٤٨[١٧٩].

ولا يوجد نص يُمكن نسبته إلى النبي عيسى عليه السلام؛ يدعو إلى وثنية التثليث التي نشرتها مجامع الكنيسة في ربوع الدولة الرومانية ابتداء من القرن الرابع الميلادي، وفقرة التثليث مثلا في رسالة يوحنا الأولى (٥: ٧): "فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد"؛ قد تبين للمحققين من اللاهوتيين أنفسهم أنها مزيفة ليست في الأصول اليونانية القديمة؛ فتم حذفها من الترجمة الرهبانية اليسوعية المطبوعة سنة ١٩٨٦، ومن التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة، ومن الترجمة الفرنسية المسكونية، ومن ترجمة لوي سيجو الفرنسية، ومن جميع الترجمات الغربية الحديثة مثل الترجمة القياسية الانجليزية ونسخة الملك جيمس الجديدة المنقحة؛ إلا أن البروتستانت ما زالوا يطبعونها ضمن الترجمة العربية، قال ويلز: "لا يوجد دليل على أن حواريي المسيح اعتنقوا التثليث"، وقال أدولف هرنك: "صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الآب والابن والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيح؛ ولم يكن لها وجود في عصر الرسل..، (وحتى) بولس لا يعلم شيئاً عن هذا"، واحتمل جيروم أن يكون إنجيل متى قد طرأت عليه توسعة وتعديل[١٨٠]، فأين الإلهام إذن أيها الفطين؛ في اختلاق وتعديلات الكتبة والمترجمين!.

والاختلاف والتناقض هو شاهد الاختلاق في كتابة الأسفار والتدوين بعد أكثر من جيل للحدث؛ خاصة مع نسيان سياق الحدث واختلاط التاريخ بتفسير الوقائع خارج إطارها واختلاف المفاهيم واحتياجها لمستند تاريخي، فقد استهلت مدونة يوحنا بقول لم تذكره رغم أهميته في العقيدة كل المدونات الأخرى والأسبق: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله) سفر يوحنا ١: ١، هكذا يُؤَلِّه الكاتب المسيح عليه السلام بجرأة ويؤرخ للحدث ويسميه "الكلمة" كما لو كان شاهد عيان ويكشف غرضه ابتداءً بعبارات متعسفة تفتقد للحبكة، ويفضح إجماع المُحققين اقتباسه من الفلسفة اليونانية؛ لأن لفظ الكلمة في الأصل لوجوس Logos[١٨١]؛ وهو من صميم الأفكار الوثنية[١٨٢].

---

[١٧٩] الكتاب المقدس نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية مصر.

[١٨٠] الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي (ص٢٤و٥٠٦)، مسيحية بلا مسيح، كامل سعفان (ص٦٦)، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، اللواء أحمد عبد الوهاب (ص٦١)،عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، حسني الأطير (ص٩٢)، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، علاء أبو بكر (ص٧٤).

[١٨١] القس عبد المسيح بسيط في كتابه: "وكان الكلمة الله أم أله؟.

[١٨٢] القس عبد المسيح بسيط في كتابه: "وكان الكلمة الله أم أله؟.

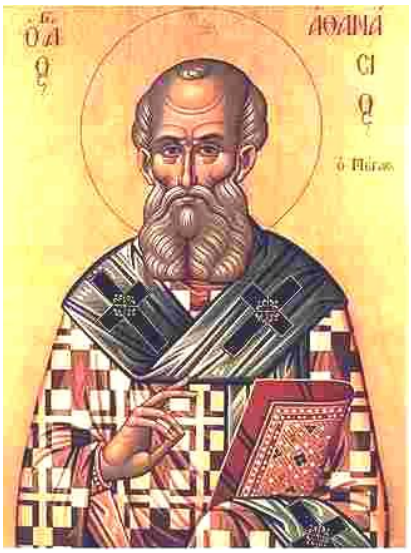

اثناسيوس السكندري Athanasius of Alexandria
(298-373)

ولك أن تسأل: من أين جاءت وثنية التثليث؟، ويجيبك قاموس الكتاب المقدس نفسه صريحًا: "الكلمة نفسها (التثليث) أو (الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها.. ترتليان Tertullian (١٦٠-٢٢٥م)..، وأخيراً ظهر اثناسيوس السكندري(٢٩٨م - ٣٧٣م).. واضعاً أساس العقيدة.. التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية..، ولقد تبلور قانون الإيمان الاثناسيوسي على يد أغسطينوس في القرن الخامس وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا، ولا يستطيع دارس هذه العقيدة أن ينسى المصلح جون كلفن الذي عاش في القرن السادس عشر، ونبَّر (أي أكد) على التساوي التام بين الأقانيم الثلاثة في هذه العقيدة التي يلزمها مثل هذا التنبير من وقت إلى آخر على مر الزمن"[١٨٣]!، وهكذا ترى أنها عقيدة عسرة الفهم؛ وكل الآباء رعايا الإمبراطورية الرومانية!.

وبدأ مجمع نيقية في ٢٠ مايو سنة ٣٢٥م برعاية الإمبراطور قسطنطين للنزاع حول طبيعة عيسى عليه السلام؛ أهو رسول مؤيد بمعجزات، أم أنها لا تصدر عن بشر إلا أن قد يكون تقمصه الإله؛ حسب المعتقدات الرومانية الوثنية، واختير رأي ٣١٨ ممن تبنوا أنه "ابن الله" حرفيا لا مجازًا؛ من أصل ١٨٠٠ أسقفا (١٧,٦%)، وانتهى المجمع إلى قرار التأليه؛ وخالف بقية المجتمعين المشايعين لأريوس الداعي إلى أن المسيح ليس سوى نبي، كما أمر المجمع بإتلاف كل الأناجيل التي تعارضه، وأعقبته مجامع استكملت التثليث، واعترض نسطور فحوكم في مجمع أفسس سنة ٤٣١م[١٨٤]، وهكذا أصبح المعادين لدعوة التوحيد مُلهمين؛ تُحيط برءوسهم هالات من نور، وأصبحت أناجيلهم وطقوسهم تقليد؛ وعن اليونانية؛ تُرجمت كل الأناجيل الحالية، لكن الكشوف الأثرية لمخطوطات التوحيد قد فضحت أكبر فرية في التاريخ.

---

[١٨٣] قاموس الكتاب المقدس.

[١٨٤] ويكيبيديا، الموسوعة العالمية.

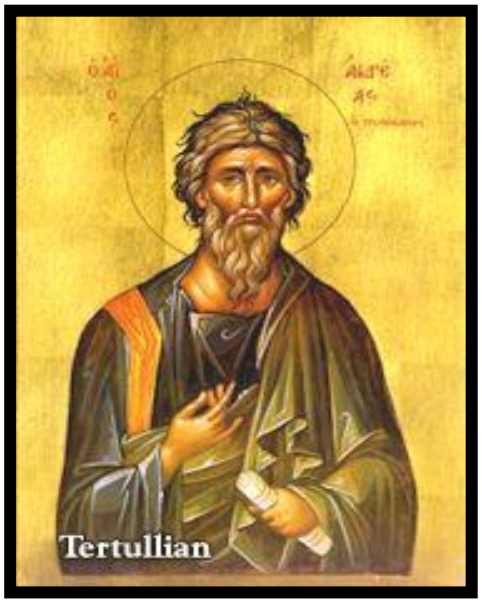

ترتليان Tertullian

(١٦٠-٣٣٥م)

فمن هو إذن ترتليان هذا حتى يُعتمد قوله بالتثليث إلى اليوم؟، قال الموقع المسيحي (بيت الله الحي): "هو أحد أتباع مونتانوس Montanus الذي ادعى النبوة في نهاية القرن الثاني؛ وبعد أن كثر أتباعه كان يؤكد أنه هو الله نفسه"[١٨٥]!.

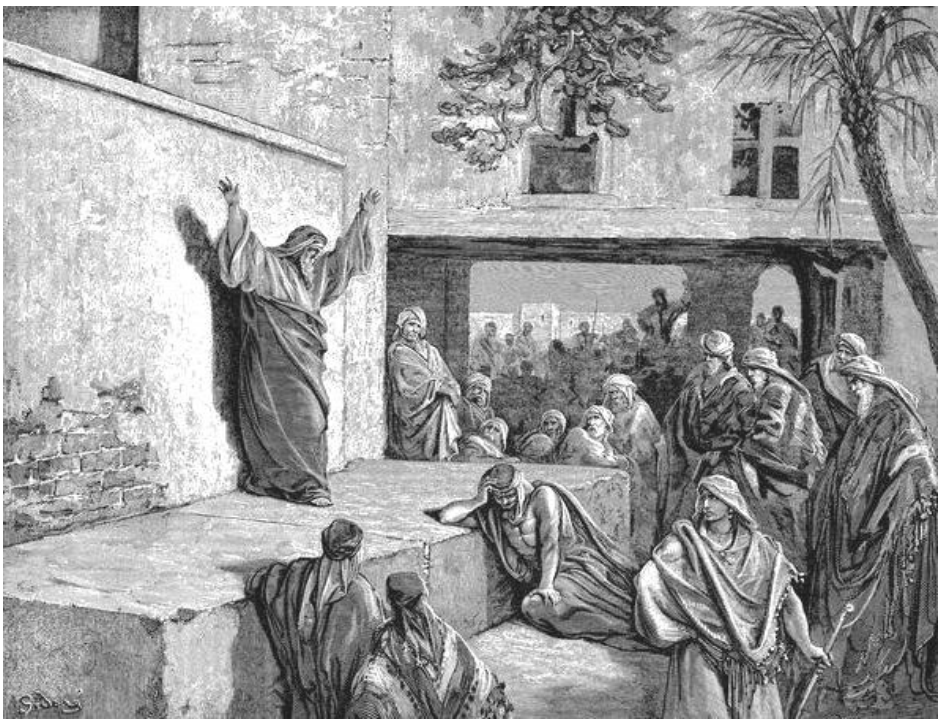

البيئة الوثنية الرومانية التي ألفت تأليه العظماء كانت أميل للاستجابة للخطباء الداعين لتأليه المسيح.

وقد تم نشر كتاب الأب الفرنسي أسطفان شربنتييه "دليل إلى قراءة الكتاب المقدس" في ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٨٢، وترجمه إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، وقدم له الأب أنطوان أودو اليسوعي أستاذ الكتاب المقدس بجامعة القديس يوسف في بيروت، وقال كاتبه حرفيا (ص٨): "إن الكتاب المقدس لاسيما العهد القديم كتاب محير، نعلم قبل أن نفتحه أنه الكتاب المقدس عند اليهود والمسيحيين، ونتوقع أن نجد فيه كلام الله غير ممزوج بأي شيء.. وعندما نفتحه نجد فيه.. روايات لا نستطيع أن نقرأها بصوت مرتفع دون أن نخجل.. وفضائح أخلاقية.. مبغضة للنساء"[١٨٦]، وأضاف الأب اسطفان شربنتييه قائلاً: "أدخل على الكتاب تنقيحات أخرى.. حوالي السنة ٤٠٠ أي في الشريعة.. أو التوراة، وكانوا يشعرون بأمانتهم لأفكار موسى؛ أو بعبارة أخرى: كانوا على يقين من أن القوانين التي يسنونها هي التي لو عاش موسى في ذلك الزمان لسنها؛ فجعلوها على لسانه في صيغة خطب ألقاها قبل وفاته"[١٨٧].

---

[١٨٥] Wikipedia; the free encyclopedia: Montanism، الموقع المسيحي (بيت الله الحي).

[١٨٦] دليل إلى قراءة الكتاب المقدس للأب الفرنسي أسطفان شربنتييه وترجمه للعربية الأب صبحي حموي اليسوعي، ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٨٢.

[١٨٧] دليل إلى قراءة الكتاب المقدس للأب الفرنسي أسطفان شربنتييه وترجمه للعربية الأب صبحي حموي اليسوعي، ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٨٢.

وفي كتاب "خداع مخطوطات البحر الميت" الصادر في لندن عام ١٩٩١؛ اتهم كاتبيه (مايكل بيجنت وريتشارد لي) الفاتيكان بإخفاء معلومات مخالفة للتعاليم الكاثوليكية، وتحريف ترجمة اللفائف التي أكملت البعثات اكتشافها عام ١٩٥٦م بكهوف قمران غرب البحر الميت، ومنذ أوائل التسعينات اشتدت الحملة الإعلامية في الصحف الأمريكية (خاصة نيويورك تايمز وواشنطون بوست) لكشف ما سترته لجنة المخطوطات الكاثوليكية مما يخالف الأسفار الحالية، ويعارض المعتقدات اليهودية والمسيحية السائدة اليوم، وشاعت شهادات المحققين واعترافات اللاهوتيين بوجود اختلافات جذرية لا يبررها السهو وأخطاء النسخ بين الأسفار الحالية ومحتويات تلك اللفائف التي كتبت بالآرامية والعبرية في الفترة بين نهاية القرن الأول ق.م وبداية القرن الثاني ق.م، ووفق المصادر المسيحية كمؤسسة الدراسات العلمية للأسفار Institute for Biblical & Scientific Studies وموقع بيت الله الحي؛ لم يعثر على أثر لسفر أستير مما يرجح أنه دخيل، وسفر أشعياء مختلف، ويوجد ١٥ مزمورًا غير معروف سابقا، ووجدت عدة أسفار لم تكن معلومة من قبل؛ وهي: أقوال موسى وسفر اليوبيل وسفر نوح وسفر لاوي وطوبيا وحكمة سليمان[١٨٨].

وفي قصة بسفر دانيال منسوبة في صحف قمران للملك البابلي نابونديوس أيدت ما أعلنه سابقا ولفرام فون سودين Wolfram von Soden من اتهام الكتبة بالتحريف المتعمد؛ خاصة مع تكراره عشرين مرة في الأسفار الحالية بنسبة القصة إلى الملك الأكثر شهرة نبوخذنصر تضخيما للحدث، وقد عرف ولفرام أن القصة عن نابونديوس وليست عن نبوخذنصر قبل اكتشافات البحر الميت؛ بعد أن كشف نقش حجري وُجد بالعراق أن بلشاصر هو ابن نابونديوس بخلاف السفر الحالي لدانيال الذي يجعله ابن نبوخذنصر ليتماشى مع التحريف، وفي صحف قمران جليات طوله أربعة أذرع وشبر، وتم تضخيمه في الأسفار الحالية إلى ستة أذرع وشبر، أي ما يقارب أربعة أمتار (٣٦٠ سم)؛ أي أطول من طابق في عمارة سكنية، وهكذا انتشر نقد الأسفار في المجتمع الغربي، ولم يعد مستغربًا عرض الكثير من الأفلام الوثائقية التي تشكك في مصداقيتها وتؤيد سبق القرآن الكريم في اتهامها بالتحريف: "من كتب الكتاب المقدسWho Wrote the Bible؟"، و"الأناجيل المفقودة The Lost Gospels"، و"هل الترجمات الحديثة للكتاب المقدس جديرة بالثقة Are Modern Bible Translations Trustworthy؟"[١٨٩].

---

[١٨٨] مؤسسة الدراسات العلمية للأسفارInstitute for Biblical & Scientific Studies؛ وموقع بيت الله الحي.

[١٨٩] الشبكة الدولية للمعلومات.

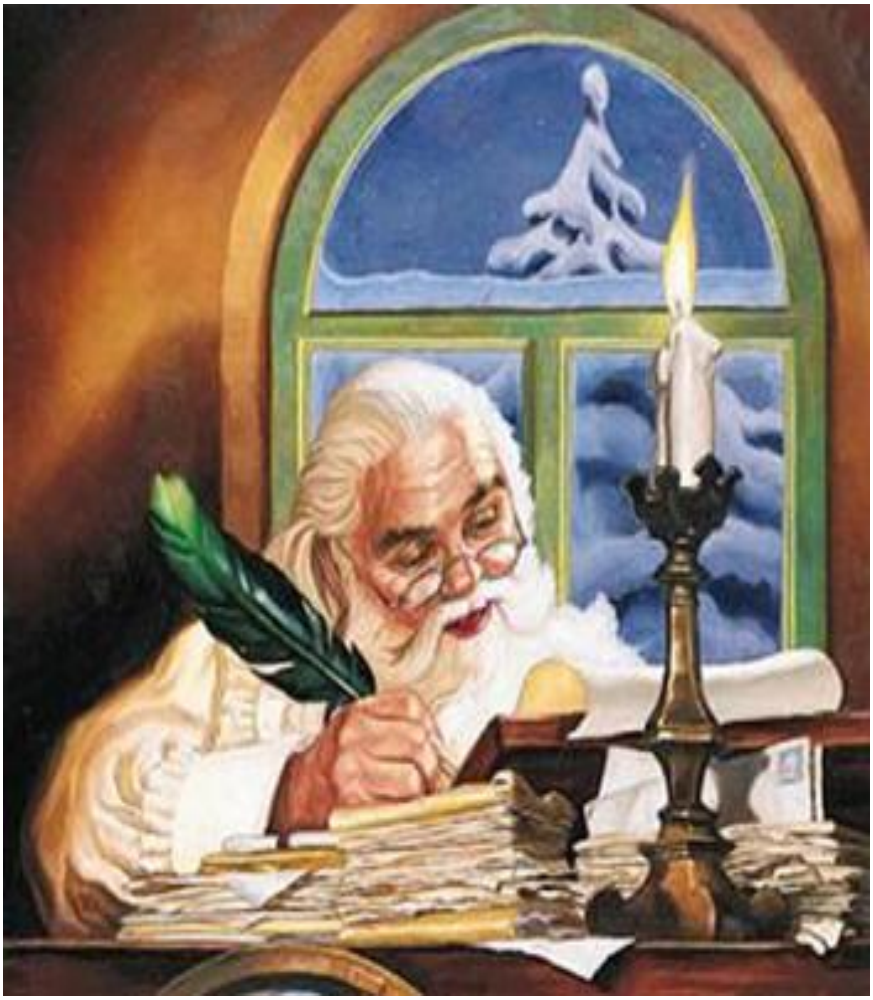

وقد وصف فريدريك جرانت أسفار الكنيسة في كتابه "الأناجيل أصلها وتطورها" بقوله: "كتاب غير مُتجانس.. شتات مُجَمَّع.. يمثل وجهات نظر مُختلفة"، وقالت الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية: "قد اشترك فيه أكثر من أربعين كاتباً، وفى فترة زمنية تزيد عن ١٦٠٠ سنة، فلقد كتب موسى أسفاره حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م، وكتب يوحنا إنجيله حوالي سنة ١٠٠م، ولقد تباينوا فى صفاتهم وظروفهم وأماكن إقامتهم وعصورهم: فمنهم الفلاسفة مثل موسى وبولس، ومنهم البسطاء مثل عاموس جاني الجميز وداود الراعي وبطرس الصياد، ومنهم قائد الجيش مثل يشوع وساقي الملك مثل نحميا، ورجل القصور مثل أشعياء، ودانيال رئيس الوزراء وسليمان الحكيم..، ومنهم من كتب في البرية كموسى النبي، وفى الجب كإرميا، وفى المراعى كداود، وفى السجن كبولس"[١٩٠]، وعبارة البابا شنودة: "لقد كتب العهد القديم في فترة ٢٥٠٠ سنة بواسطة ٤٠ كاتباً يختلفون تماماً في صفاتهم، فمنهم الفلاسفة مثل موسى النبي، ومنهم الراعي البسيط جامع الجميز مثل عاموس، والقائد الحربي يشوع، وساقي الملك نحميا، ومنهم أشعياء رجل القصور، و دانيال رئيس الوزراء وسليمان الملك وصاحب الحكمة...، كما اختلف الكتاب عن بعضهم في ظروف تسجيل الوحي الإلهي؛ فموسى سجل أسفاره في البرية، أما أراميا فسجلها في ظلمة الجب، أما دواد النبي فكتب مزاميره عند سفوح التلال و هو يرعى خرافه، والبعض كتب وهو في شدة الفرح، والبعض الآخر وهو في قمة الألم والسجن والقيود مثل.. بولس"[١٩١].

واتهمت الأسفار ذاتها الكتبة بالتحريف: "فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا.. أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضاً" رسالة بطرس الثانية ٣: ١٦، "كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا حقا إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب" إرميا ٨: ٨، "أما وحي الرب فلا تذكروه بعد إذ قد حرفتم كلام الله الحي" إرميا ٢٣: ٣٦، "بلا عذر.. لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم.. وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى.. عبدوا المخلوق دون الخالق" رومية ١: ٢٠-٢٥، ولا عزاء إذن للمخدوعين بزعم أن الأسفار قد سجلتها أجيال الكتبة بإلهام وأنها خالية من التحريف وصالحة للتعليم!، وأي دليل إذن ينتظره الفطين أكبر من تصريح الأسفار ذاتها على تحريفها وشيوع الدخيل شهادة بصدق نبأ القرآن الكريم!.

---

[١٩٠] موقع إرسالية مار نرساي الكلدانية الكاثوليكية.

[١٩١] Pope Shenouda III, Pope and Patriarch of the Coptic Orthodox Church.

وهل يليق اتهام المسيح عليه السلام بالشركة مع الله تعالى؛ وقد تَنَبَّأ بالنبي بعده على درب التوحيد: "متى جاء المُعَزِّي.. رُوح الحق.. فهو يشهد لي" يوحنا John ١٥: ٢٦، وقال: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يُرْشِدُكُم إلى جميع الحق..؛ ذاك يُمَجِّدُنِي لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" يوحنا John ١٦: ١٣و١٤، وتُؤيده نبوءة من عَمَّدَه بنهر الأردن؛ مُعَاصِرُه ابن خالته يحيى (يوحنا المعمدان)؛ بقوله ليهود عصره: "الآن قد وُضِعَت الفأس على أصل الشجر؛ فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تُقطع وتُلْقَى في النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يَأْتِي بَعْدِي؛ هو أقوى مِنِّي؛ الذي لَسْتُ أهلاً أن أَحْمِلَ حِذَاءَهُ" متى Matthew ٣: ١٠و١١، وفَسَّرَ الرَّسُول عيسى النبوءة لهم صَرِيحًا بقوله: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره؛ ومن سقط على هذا الحجر يَتَرَضَّض ومن سقط هو عليه يَسْحَقَه" متى Matthew ٢١: ٤٣و٤٤، ولا يَبْعُد كُلّ هَذَا عن قول العَلِي القَدِير في كِتَابِهِ الكَرِيم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن عاشور: "(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ): الْفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ وَالتَّسَبُّبِ فَيَكُونُ مَا بَعْدَهَا مُتَرَتِّبًا عَلَى مَا قَبْلَهَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَا بَعْدَهَا مُتَرَتِّبٌ عَلَى قَوْلِهِ: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) الْبَقَرَة:٧٥؛ الدَّالِّ عَلَى وُقُوعِ تَحْرِيفٍ مِنْهُمْ عَنْ عَمْدٍ، فَرُتِّبَ عَلَيْهِ الْإِخْبَارُ بِاسْتِحْقَاقِهِمْ سُوءَ الْحَالَةِ، أَوْ رُتِّبَ عَلَيْهِ إِنْشَاءُ اسْتِقْظَاعِ حَالِهِمْ..، وَمَعْنَى: (يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ) أَنَّهُمْ يَكْتُبُونَ شَيْئًا لَمْ يَأْتِهِمْ مِنْ رُسُلِهِمْ؛ بَلْ يَضَعُونَهُ وَيَبْتَكِرُونَهُ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: (ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) الْمُشْعِرُ بِأَنَّ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ لَيْسَ مُطَابِقًا لِمَا فِي نفس الْأَمر..، وَالْوَيْلُ لَفْظٌ دَالٌّ عَلَى الشَّرِّ أَوِ الْهَلَاكِ.. والويلة: الْبَلِيَّةُ وَهِيَ مُؤَنَّثُ الْوَيْلِ؛ قَالَ تَعَالَى: (يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا) الْكَهْف:٤٩..، وَذِكْرُ (بِأَيْدِيهِمْ) تَأْكِيدٌ مِثْلُ..: (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ) آل عمرَان:١٦٧، وَقَوْلُهُ: (وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ) الْأَنْعَام:٣٨، وَالْقَصْدُ مِنْهُ تَحْقِيقُ وُقُوعِ الْكِتَابَةِ وَرَفْعُ الْمَجَازِ عَنْهَا وَأَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ عَامِدُونَ قَاصِدُونَ، وَقَوْلُهُ: (لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا) هُوَ كَقَوْلِهِ: (وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا) الْبَقَرَة: ٤١، وَالثَّمَنُ الْمَقْصُودُ هُنَا هُوَ إِرْضَاءُ الْعَامَّةِ؛ بِأَنْ غَيَّرُوا لَهُمْ أَحْكَامَ الدِّينِ عَلَى مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، أَوِ انْتِحَالُ الْعِلْمِ لِأَنْفُسِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ جَاهِلُونَ، فَوَضَعُوا كُتُبًا تَافِهَةً مِنَ الْقَصَصِ والمعلومات الْبَسِيطَةِ لِيَتَفَيْهَقُوا بِهَا فِي الْمَجَامِعِ لِأَنَّهُمْ لَمَّا لَمْ تَصِلْ عُقُولُهُمْ إِلَى الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَكَانُوا قَدْ طَمِعُوا فِي التَّصَدُّرِ وَالرِّئَاسَةِ الْكَاذِبَةِ؛ لَفَّقُوا نُتَفًا سَطْحِيَّةً وَجَمَعُوا مَوْضُوعَاتٍ وَفَرَاغَاتٍ لَا تَثْبُتُ عَلَى مَحَكِّ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، ثُمَّ أَشَاعُوهَا وَنَسَبُوهَا إِلَى اللَّهِ وَدِينِهِ، وَهَذِهِ شَنْشَنَةُ الْجَهَلَةِ الْمُتَطَلِّعِينَ إِلَى الرِّئَاسَةِ عَنْ غَيْرِ أَهْلِيَّةٍ؛ لِيَظْهَرُوا فِي صُوَرِ الْعُلَمَاءِ لَدَى أَنْظَارِ الْعَامَّةِ..، وَقَوْلُهُ: (فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) تَفْصِيلٌ لِجِنْسِ الْوَيْلِ إِلَى وَيْلَيْنِ، وَهُمَا مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الشَّرِّ لِأَجْلِ مَا وَضَعُوهُ؛ وَمَا يَحْصُلُ لَهُمْ لِأَجْلِ مَا اكْتَسَبُوهُ مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ، فَهُوَ جَزَاءٌ بِالشَّرِّ عَلَى الْوَسِيلَةِ وَعَلَى الْمَقْصِدِ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ ثَلَاثُ وَيْلَاتٍ كَمَا قَدْ تَوَهَّمَ ذَلِكَ، وَكَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تُشِيرُ إِلَى مَا كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ تَلَاشِي التَّوْرَاةِ بَعْدَ تَخْرِيبِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي زَمَنِ بُخْتَنَصَّرْ، ثُمَّ فِي زَمَنِ طِيطَسَ الْقَائِدِ الرُّومَانِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ الَّتِي كَتَبَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَمَرَ بِوَضْعِهَا فِي تَابُوتِ الْعَهْدِ..، وَكَانَ هَذَا التَّابُوتُ قَدْ وَضَعَهُ مُوسَى فِي خَيْمَةِ الِاجْتِمَاعِ، ثُمَّ وَضَعَهُ سُلَيْمَانُ فِي الْهَيْكَلِ، فَلَمَّا غَزَاهُمْ بُخْتَنَصَّرْ سَنَةَ ٥٨٨ قَبْلَ الْمَسِيحِ أَحْرَقَ الْهَيْكَلَ وَالْمَدِينَةَ كُلَّهَا بِالنَّارِ، وَأَخَذَ مُعْظَمَ الْيَهُودِ فَبَاعَهُمْ عَبِيدًا فِي بَلَدِهِ..، فَخَرِبَتْ مَمْلَكَةُ الْيَهُودِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَوْمَئِذٍ يَسْتَطِيعُونَ إِنْقَاذَ التَّوْرَاةِ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ حَفَظَتِهَا، لِأَنَّ شَرِيعَتَهُمْ جَعَلَتِ التَّوْرَاةَ أَمَانَةً بِأَيْدِي اللَّاوِيِّينَ كَمَا تَضَمَّنَهُ سِفْرُ التَّثْنِيَةِ، وَأَمَرَ مُوسَى الْقَوْمَ بِنَشْرِ التَّوْرَاةِ لَهُمْ بَعْدَ كُلِّ سَبْعِ سِنِينَ تَمْضِي وَقَالَ مُوسَى ضَعُوا هَذَا الْكِتَابَ عِنْدَ تَابُوتِ الْعَهْدِ لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ؛ لِأَنِّي أَعْرِفُ تَمَرُّدَكُمْ، وَقَدْ صِرْتُمْ تُقَاوِمُونَ رَبَّكُمْ وَأَنَا حَيٌّ؛ فَأَحْرَى أَنْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِي، وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْيَهُودَ قَدْ نَبَذُوا الدِّيَانَةَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ.. قَبْلَ تَخْرِيبِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ وَذَلِكَ مُؤْذِنٌ بِتَنَاسِي الدِّينِ، ثُمَّ طَرَأَ عَلَيْهِ التَّخْرِيبُ الْمَشْهُورُ، ثُمَّ أَعْقَبَهُ التَّخْرِيبُ الرُّومَانِيُّ فِي زَمَنِ طِيطَسَ سَنَةَ (٧٠) لِلْمَسِيحِ، ثُمَّ فِي زَمَنِ أَدْرِيَانَ..، وَتَفَرَّقَ مَنْ أَبْقَاهُ السَّيْفُ مِنَ الْيَهُودِ فِي جِهَاتِ الْعَالَمِ، وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْبَاحِثِينَ عَنْ تَارِيخِ الدِّينِ عَلَى أَنَّ التَّوْرَاةَ قَدْ دَخَلَهَا التَّحْرِيفُ وَالزِّيَادَةُ وَالتَّلَاشِي، وَأَنَّهُمْ لَمَّا جَمَعُوا أَمْرَهُمْ عَقِبَ بَعْضِ مَصَائِبِهِمُ الْكُبْرَى افْتَقَدُوا التَّوْرَاةَ فَأَرَادُوا أَنْ يَجْمَعُوهَا مِنْ مُتَفَرِّقِ أَوْرَاقِهِمْ وَبَقَايَا مَكَاتِبِهِمْ. وَقَدْ قَالَ: (لِنْجَرْكُ) أَحَدُ اللَّاهُوتِيِّينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِفْرَنْجِ أَنَّ سِفْرَ التَّثْنِيَةِ كَتَبَهُ يَهُودِيٌّ كَانَ مُقِيمًا بِمِصْرَ فِي عَهْدِ الْمَلِكِ يُوشِيَا مَلِكِ الْيَهُودِ وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّ الْكُتُبَ الْخَمْسَةَ الَّتِي هِيَ مَجْمُوعُ التَّوْرَاةِ قَدْ دَخَلَ فِيهَا تَحْرِيفٌ كَثِيرٌ مِنْ عِلْمِ صَمُوئِيلَ أَوْ عزير (عِزْرَا)، وَيَذْكُرُ عُلَمَاؤُنَا أَنَّ الْيَهُودَ إِنَّمَا قَالُوا (عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) لِأَنَّهُ ادَّعَى أَنَّهُ ظَفِرَ بِالتَّوْرَاةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّوْرَاةَ قَدْ تَلَاشَتْ وَتَمَزَّقَتْ.، التَّوْرَاةَ (إذن) كَانَتْ مَجْهُولَةً عِنْدَهُمْ مُنْذُ زَمَان"[١٩٢].

[١٩٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٥٧٥).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Comparison of Religions

علم مقارنة الأديان

المَوْضُوع Subject

Bible Distortion

تحريف الأسفار

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ. فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ٢البقرة:٧٨و٧٩.
- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ٣آل عمران:٦٤.
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٩التوبة:٣٠و٣١.
- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ٤النساء:٨٢.
- ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا. وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٤النساء:١٥٦-١٥٨.
- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ٤النساء:١٧١.
- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ٥المائدة:٧٧.
- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ٥المائدة:٧٣-٧٥.
- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥المائدة:١١٦و١١٧.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى:
﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٣و١٦٤،

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾، ﴿وَالْأَرْضِ﴾، ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Verily! In the creation of the heavens and the earth, and in the alternation of night and day, and in the ships that sail the sea with that which profits mankind, and in the water which ALLAH sends down from the sky and makes the earth alive therewith after its death, the moving (living) **creatures of all kinds that He has scattered therein, and in the direction of the winds and the clouds which are held between the sky and the earth, are indeed Signs** (proofs) **for the people who use their understanding.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لم يكن لبشرٍ عصر الرسالة المحمدية أن يدرك فصول قصة الخلق على النحو الذي انتهى إليه اليوم علم الكون Cosmology، فقد توصل بعد جهود مضنية إلى أن الكون الفيزيائي الممكن الإدراك حولنا ليس أزليًّا وعمره يقدر وسطيا بحوالي: ١٢,٥ (١٠ – ١٥) بليون سنة، فلا بد إذن من مُبدع مُقتدر أوجده؛ وإلا فكيف!، ولم تكن الأرض في البدء كيانًا مستقلا؛ وإنما نشأت لبنات الكون في طبقات وبزغ فيها ضوء الشمس والنجوم ثم تميزت الأرض، وقبل الشمس والنجوم لم يكن سوى ظلام حالك كظلام الليل بعدما تضاءل تركيز طاقة مادة البناء مع التوسع، وليس الجو سوى انبعاث دخاني من الأرض الأولية الملتهبة تميز مع الوقت إلى طبقات بين الفضاء والأرض ولكل منها وظيفة محددة، سماوات إذن تسبق الأرض وأخرى تليها في النشأة كما في النظم؛ فهو إذن تطابق تام بين المآثر العلمية وأنباء الوحي!.

يقول المُبدع القدير العليم وحده بكل شيء: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعاً لّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣، والتعبير (رفع سمكها) يوافق ما تأكد اليوم من توسع الكون في البدء، والفعل (بناها) بصيغة الماضي تعبير تصويري بالمثل يعلن اكتمال خلق الكون ويقصر التوسع على فترة البناء تمثيلا ببناء بيت في أيام متتابعة ذات مراحل متوالية مُقدرة منذ البدء، والضمير في (ليلها) عائد على السماء يكشف العلم بظلمتها الحالكة فوق جو الأرض تشبيها بالليل، والفعل (أغطش) تأكيد لجعله حالكا مع التوسع واضمحلال تركيز طاقة مادة البناء، والتعبير (أخرج ضحاها) تمثيل بالسطوع التدريجي للشمس فترة الضحى تعبيرًا عن تميز الأجرام مع الانبعاث التدريجي ذاتيًّا لطاقات عناقيد النجوم في الكون، و(الدحو) تصوير لتشكيل كتلة الأرض لتصبح كروية الشكل كالبيضة بعد أن كانت سديمية متجانسة بلا طبقات ولا شكل؛ بقرينة خروج المواد الخفيفة نحو السطح والتي كانت أساس نشأة الحياة من بعد، وفي المقابل يكون نزول الحديد نحو اللب في التعبير: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ ٥٧الحديد:٢٥؛ باعتباره أحد مكونات الأرض، أما قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:٦؛ فالقرينة هي أن الأرض كاملة التكوين وقدمت في النظم وتبعها الطحو؛ وهو أقرب للطحن، ويوافق إذن عمليات التعرية ونحت الصخور التي هيأت التربة للزراعة من بعد.

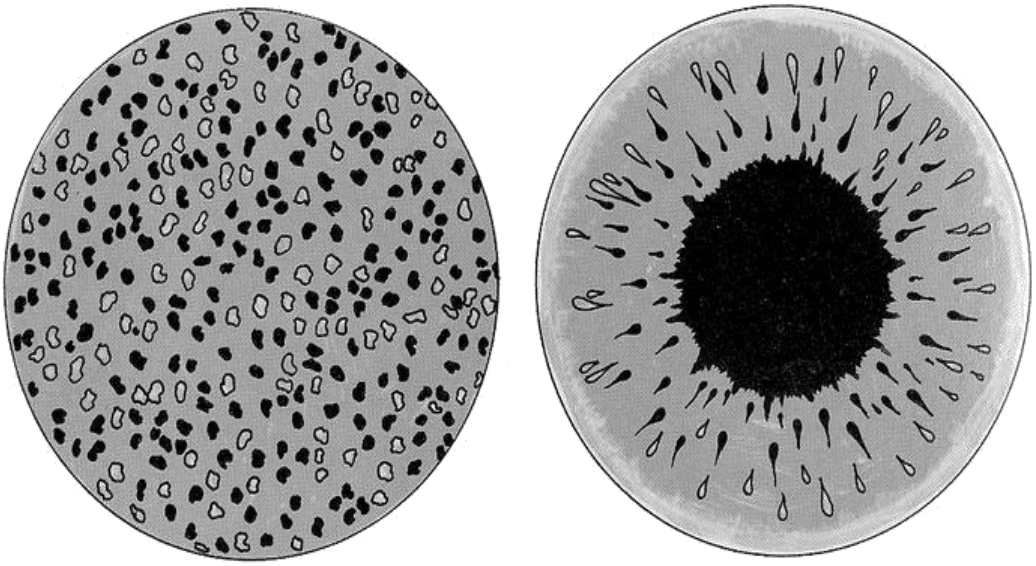

وفي قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٢؛ التعبير (بعد ذلك) قرينة تعلق المقام بترتيب أحداث نشأة الكون؛ والتي توافق اليوم أوثق معطيات العلم، فالتصور الحالي أن الأرض كانت كتلة متجانسة بلا شكل ومع الحرارة نزل الحديد إلى اللب وخرجت المواد الأخف لتكون السطح، وكانت القشرة الصلبة قطع تميد حتى أرستها الجبال تحت حجب الدخان وأبخرة الماء تمهيدا لنشأة الإنسان وحيوانات الرعي، أليس هذا الوصف هو نفس مضمون قوله تعالى: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعاً لّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ)!، وفي مقام الخلق تسبق السماوات الأرض؛ وكذلك أيضا ما لم يكن نصًّا في الخلق لكنه تضمن معنى التتابع كقوله تعالى: ﴿إِنّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾ ٣٣الأحزاب:٧٢، كانت معرفة الله إذن وعبادته وحده هي القصد على طول فصول قصة الخلق؛ بإيجاد الإنسان المؤهل بملكات الفكر والعقل والعلم.

وما هو في مقام ترتيب أحداث الخلق غير ما هو في مقام الاعتبار: "كيف بدأ الخلق!"؛ استدلالا على قدرة الخالق وبديع صنعه وعلمه، دعنا إذن نتأمل مشهدًا معهودًا زمن تدوين القرآن الكريم؛ ونطالع بعيون راكب استراح في ظل إحدى إبله وأخذ يتأملها وكل ما حوله ويَتَفَكَّر: كيف خلق؟؛ عنقها ساميًا ودونه السماء المتسعة الأرجاء؛ والتي تعلو الجبال الشوامخ ودونهما سطح الأرض، أليس هذا هو نفس الترتيب في قول المُبدع المُقتدر: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠!.

فلا يدع النظم الفريد مظهرًا من الخلق حجبه الإلف عن التأمل إلا ويكشف فصولا من قصة الخلق ويستثير الفكر داعيًا للتأمل: كيف بدأ كل هذا بغير المُبدع القدير!؛ في البدء لم تكن إبل فكيف وُجِدَت وتكيفت بقدرات مُقَدَّرَة قبل مولدها لم تكتسبها بالمعيشة في الصحراء وبدونها لا تُلقَّب بسفينة الصحراء!، وهذه السماء التي تبدو مرفوعة فوقنا لم يكن لها وجود كيف امتدت وتوسعت وتميزت ورُفِعَت!، وهذه الجبال لم تكن من قبل فكيف ارتفعت ونُصِبَت!، وهذه الأرض لم تكن ذات سطح فكيف سُطِحَت!، أليست تلك الدلالات الباهرة هي نفسها مآثر عصر الكشوف العلمية اليوم!.

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوَاْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْمَا﴾ الطلاق:١٢؛ بيان في مقام الخلق للكون كله بالنسبة لمن علي البسيطة، قال الطاهر بن عاشور: "قد عدَّ الله تعالى السماوات سبعًا وهو أعلم بها وبالمراد منها إلا أن الظاهر الذي دلت عليه القواعد العلمية أن المراد من السماوات (آفاق) الأجرام العلوية العظيمة.. ويدل على ذلك أمور: أحدها أن السماوات ذكرت في غالب مواضع القرآن مع ذكر الأرض.. فدل على أنها عوالم كالعالم الأرضي.. ثانيها أنها ذكرت مع الأرض من حيث أنها أدلة على بديع صنع الله تعالى فناسب أن يكون تفسيرها (آفاق) تلك الأجرام المشاهدة"[١٩٣]، وبالفعل تنتظم حشود النجوم في آفاق دون أقصى ما يمكن أن يبلغه نظر باستخدام أقوى المراصد الراديوية والمسمى أشباه النجوم Quasars، فتنتمي مجموعتنا الشمسية إلى مجموعة نجومية محلية تتبع حشدًا نجوميًّا أكبر Super-Cluster يتبع مجرتنا التي تتبع بدورها مجموعة مجرية محلية تتكون مما يربو على ٣٠ مجرة تتبع حشدًا مجريًّا أكبر، وبخلاف ورود لفظ السماء في الكتاب العزيز بالجمع والإفراد؛ لا يَرِد لفظ (الأرض) دالا على الكوكب إلا بالإفراد، لأنه منسوب للمخاطبين على سطحها.

وقوله تعالى: (خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ)؛ أي خلق من الأرض سبع سماوات (مِثْلَهُنَّ) تليها في النشأة كما تتبعها في النظم في مقام الخلق، ولا تأبى الأداة (من) في مقام يفيد التتابع والترتيب حملها على الابتداء فتعني تميز سماوات عُليا قبل تميز كوكب الأرض، ثم تكوين سماء دنيا نشأت من الأرض تُحيط بها تميزت بالمثل إلى آفاق، فلا يستقيم عود ضمير (مِثْلَهُنَّ) إلا على (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)؛ لأنه لا يستقيم عوده إلا على جمع مؤنث، والعدد (سبع) وحده بغير ما يُميزه مُذَكَّر؛ ولم يُذكر جمع مؤنث إلا السبع سماوات، ولا يفوتك أن اللفظ (بَيْنَهُنَّ) عائد كذلك على نفس الموصوف؛ وهو بالمثل جمع مؤنث لا يستقيم عوده إلا على سماوات الكون تلك، وبذلك تكون السماوات التي تتبع الأرض كالسماوات التي تسبقها في طبقية التكوين والعلو بالنسبة لمن هو على سطح الأرض، قال الطاهر بن عاشور: "والسماء إن أريد بها (آفاق) الجو المحيط بالكرة الأرضية فهو تابع لها متأخر عن خلقها وإن أريد بها (أفاق) الكواكب العلوية.. فالكواكب أعظم من الأرض فتكون أسبق خلقا"[١٩٤]، ولا تجد نصًّا في مقام الخلق يشذ عن الترتيب المطابق للواقع؛ لا فارق بين نبأ يتعلق بنشأة الكون وآخر اكتفى بتفصيل أحداث نشأة الأرض وما يتبعها ويلازمها من آفاق الجو، ولك أن تعجب: كيف مَيَّز الكتاب العزيز الجو عن آفاق الأجرام وكشف تكوينه الطبقي!، وكيف كشف أصله الأرضي!.

---

[١٩٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٣٨٥).

[١٩٤] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٢٢٣).

وفي قوله تعالى: ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى. الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ٢٠طه:٤-٦؛ لفظ (الْعُلَى) جمع العليا تأنيث (الأعلى)، فأفاد بتركيبه وجود سموات دنيا غيرها تماثلها في طبقية التكوين والعلو بالنسبة للمخاطبين، وهو ما يتفق مع تشكل الفضاء إلى طبقات تُميزها بروج الأجرام وتشكل الجو بالمثل من طبقات، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦؛ لفظ (الدنيا) تأنيث (الأدنى) وهو من (الدنو) بمعنى القرب أو من الدناءة والسفلية فتعني أنها الأسفل بالنسبة لسواها، ولذا يدل تعبير (السماء الدنيا) هنا على الطبقة الأسفل من آفاق الأجرام، وفي أفاق الجو تتوهَّج الشهب مثل المصابيح كما في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ ٤١فصلت:١٢، وهي تمثل خطراً على كل عابر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ﴾ ٦٧الملك:٥، فيُمكن حمل (السماء الدنيا) على الجو عند الإطلاق وعلى أدنى آفاق الأجرام عند التخصيص بالكواكب، قال الألوسي: "وإطلاق النجوم على الرجوم.. يُحتمل أن يكون مبنيًّا على الظاهر للرائي كما في قوله تعالى في الشمس: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ١٨الكهف:٨٦، وهذه الشهب ليست هي الثوابت وإلا لظهر نقصان كثير في أعدادها بل هي جنس آخر..، ولا يأباه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ﴾٦٧الملك:٥؛ حيث أفاد أن تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها.. (و) كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض..، والشهب من هذا القسم؛ وحينئذ يزول الإشكال"[١٩٥].

والأصل حمل العدد في القرآن الكريم على ظاهره خاصة في مقام يقتضي التحديد كالأحكام، لكن العدد سبع ومضاعفاته يختص في العربية بإمكان الدلالة تمثيلا على التعدد والتكثير نحو قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ ٩التوبة:٨٠، قال الشوكاني: "ليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولا كما في سائر مفاهيم الأعداد، بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول؛ فقد كانت العرب تجري ذلك مجرى المثل في كلامها عند إرادة التكثير"[١٩٦]، ورغم هذا يتفق تسبيع الكون مع لبنات التكوين أو بروج الأجرام السماوية، ويمكن أيضا تقسيم طبقات الجو لأربع طبقات رئيسة بينهن طبقتين بالإضافة إلى الغلاف المغناطيسي.

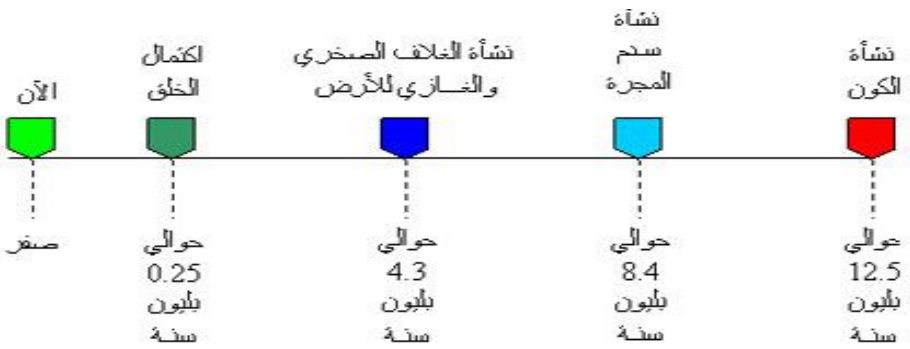

ويقرر القرآن الكريم أن خلق العالم قد تم فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ؛ أي في عملية واحدة متصلة ذات مراحل كما لو كان بناءً واحداً تتابع تنفيذ خطة تصميمه المقدرة منذ بدء الخلق (الأعراف٥٤، يونس٣، هود٧، الفرقان٥٩، السجدة٤، ق٣٨، الحديد٤)، وإذا اعتمدنا نفس التمثيل واعتبرنا عمر الكون حتى الاكتمال ستة أيام يكون نصيب الأرض وحدها منذ تشكلها مع السديم الشمسي من المجرة إلى الاكتمال أربعة أيام، وإذا تميزت الأرض كجرم مستقل في يومين لا يبقى للجو إلا يومين مع تشكل السطح الصخري ونشأة الحياة، وهو نفس التمثيل في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ ٤١فصلت:٩و١٠، وإذا كانت النشأة الحقيقية للأرض كنظام حركي ترجع إلى حوالي ٨,٤ بليون سنة، وعلامة التكامل هي اكتمال تكون القارة الأم الأولية Pangaea وبدء انقسامها إلي القارات الحالية ووقوع أكبر كارثة في تاريخ الأحياء Permian–Triassic extinction event منذ حوالي ٠,٢٥ بليون سنة؛ يكون عمر الكون الفعلي في التمثيل بنفس القيمة المعروفة الآن، وهي على الأقل: ١٢,٥ (١٠- ١٥) بليون سنة[١٩٧].

---

[١٩٥] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٩ ٤٦٦).

[١٩٦] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١٢ ٥٦٢).

[١٩٧] الكون لستيفن هاوكنج ص٥٥، والانفجار الكبير لسيلك ص٧٥.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ﴾ ٩التوبة:٣٦؛ يستقيم حمل التعبير (يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ) على تكامل الخلق، أي منذ حوالي ٠,٢٥ بليون سنة حيث كانت السنة تساوي (اثْنَا عَشَرَ شَهْراً)، ونظير الستة أيام تمثيلا يتأكد أن عمر الكون بنفس القيمة المعروفة الآن!.

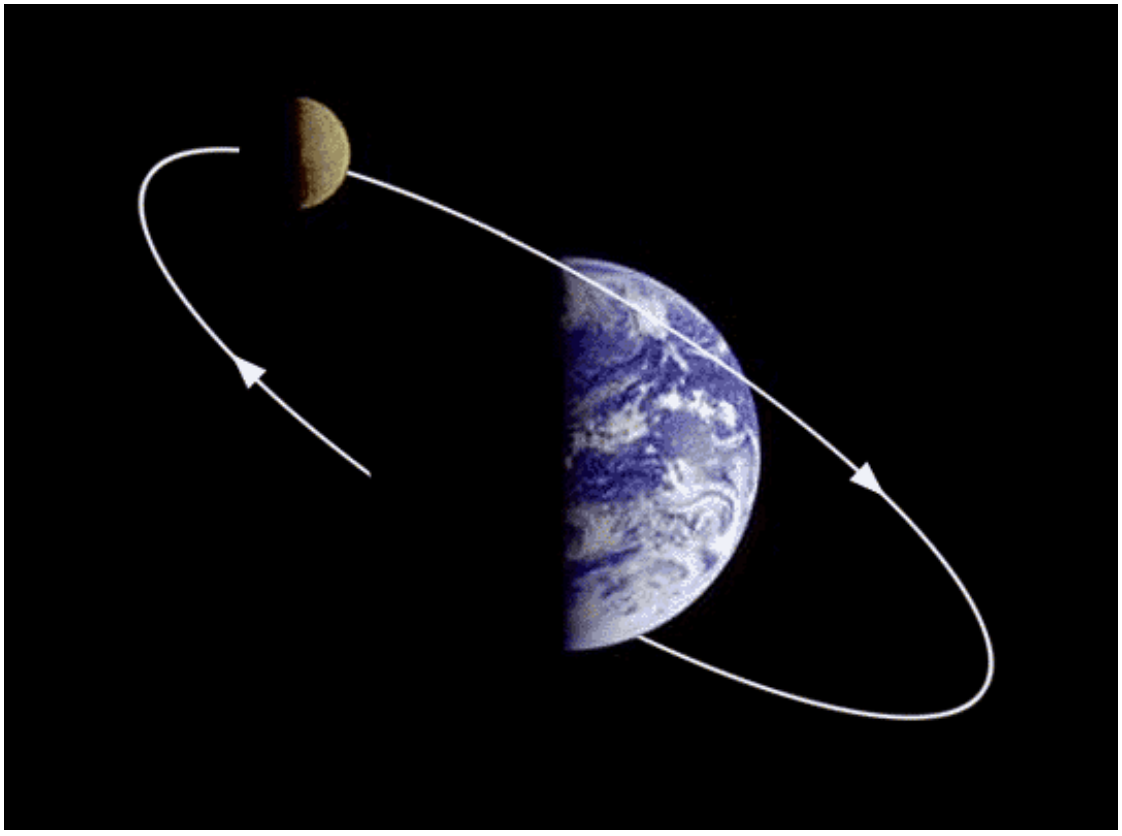

وفي العلاقة: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧؛ العندية في حق الذات العلية تعني التقدير لا النِّدِّيَة، واليوم والسنة من مصطلحات المخاطبين، والمساواة بين زمن يوم وزمن ألف سنة تستقيم إذا كانت المسافة التي تُقطع في ألف سنة بسير ما تقوم عليه السنة في عرف المخاطبين؛ تُقطع في يوم بأبلغ سرعة مُقَدَّرَة، والسنة في عرف العرب ١٢ شهرًا بسير القمر، وإذن ما يقطعه القمر في ألف سنة يُقطع في يوم بسرعة الضوء؛ وقيمتها ثابتة، بينما حركة القمر نسبية والقيد (مما تعدون) يجعلها باعتبار سكون الأرض كما يعدونها لتتحقق المساواة، فإذن قيمة سرعة الضوء في الفراغ = مسافة ألف سنة قمرية\ يوم؛ باعتبار سكون الأرض، والنتيجة حوالي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية؛ وهي نفس قيمة القياسات العملية، ولكن علاقة اليوم بألف سنة متضمنة في قياس أكبر مسافة: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٧٠المعارج:٤، وإذا استثنينا الألف سنة واليوم تتبقى القيمة (خمسين) في موضع أكبر وحدة زمن وهي سنة الشمس؛ وقيمتها حوالي: ٢٥٠ مليون سنة، فتكون أبعد مسافة على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية؛ يعني يقطعها الضوء في عمر الكون، فتكون قيمته كذلك على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة!.

وعلاقة اليوم بألف سنة إذن مقتضاها قطع نفس المسافة في زمن أقل لسرعة أمر يسري في الكون، قال قتاده: "يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة"، وقال القرطبي: "في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة"، وقال الطبري: "لأن المسافة مسيرة ألف سنة"، وقال الرازي: "واليوم هنا زمان"، وقال الزمخشري: "(وهو) يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد"، والقياس عند ابن عباس: "(هو) مقدار سير الأمر"، وقد أصابت ضربة معوله عين النبع بقوله: "لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم"، وكشف الألوسي عن طبيعة هذا الأمر قبل أن يتفجر النبع؛ فقال: "لم تبعد هذه السرعة.. (عن) سرعة حركة الأضواء"، واستخدم حفيده عبارة: "شدة سرعة الضوء"، والدليل على تحرك الضوء بسرعة غير لحظية لم يُقدَّم إلا عام ١٦٧٦ عندما تمكن أولاس رومر من قياسها للمرة الأولى في التاريخ؛ فكيف إذن!.

وأما أكبر مسافة كونية (تمثل حافة الكون)؛ كما تبدو للناظر أقصى مادة ممكنة الرصد، فلا تبعد عن مضمون قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ المعارج:١-٧٠، ووفق الفيزياء كل المسارات في الكون منحنية ولا تعرف الخط المستقيم، فوافقت وصف آفاق الكون وطرائق الأجرام السماوية بلفظ (الْمَعَارِجِ)، وهو جمع لاسم المكان (مَعْرَج)، ويتضمن معنى الانحناء، وفي اللغة: عرج إليه مال إليه وتعاريج النهر منحنياته وثوب معرج خطوطه ملتوية والعرجون العود المنحني الذي يحمل التمر، قال الألوسي: "العروج في الدنيا.. رُوِيَ (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا".

وأبعد مسافة كونية لا يقطعها جسم مادي محدود السرعة إلا الملائكة والأرواح؛ رسل الهداية مما يعني أن الكون عامر بالساجدين، قال جوهري: "قدم الملائكة لأنهم في عالم الأرواح.. العالم المبرأ عن المادة (لأنه).. لا يُرتقى إلى تلك المعارج إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة"، و"ليس المراد المدة بل بعد المدى"، وقال البيضاوي: "استئناف لبيان ارتفاع تلك (المعارج) وبعد مداها"، وقال البغوي: "المسافة من الأرض إلى (مُنتهى) السماء"، وقال الألوسي: "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك (المعارج) وبعد مداها..، والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع"!.

والمشاهد الضاربة في أعماق الكون قد تكون خادعة؛ حيث تبدو وكأنها آنية، ولكنك لا تطالع بالكون إلا الماضي والحدث الذي وقع منذ زمن بعيد، وإذا امتد نظرك لأقصى بعد فأنت تطالع ما حدث عند بداية الزمن حيث يتوقف الابتعاد، وفي عام ١٩٢٩ أعلن إدوين هابل أن المجرات البعيدة تبدو في ابتعاد بمعدل يبدو ثابتًا؛ متوسط قيمته حاليا: ٢٤ (٣٠-٢٠) كم/ ثانية كل مليون سنة ضوئية، فيمكن إذن وفق قانون هابل؛ تقدير عمر الكون = (سرعة الضوء x مليون)\ معدل الابتعاد = ١٢,٥ (١٠-١٥) بليون سنة على الأقل، وأقصى مسافة كونية: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية، وإذا كانت مادة الكون في الماضي مُكَدَّسَة في حيز ضئيل؛ فلا بد فيزيائيا أن تصدر إشعاعًا يعكس حرارة هائلة، واكتشف بنزياس وولسن هذا الإشعاع عام ١٩٧٣ وسمي بالخلفية الإشعاعية وتأيد أن للكون ابتداء، وفي عام ٢٠٠١ درس كارليس بينيت Charles Bennett فروقًا ضئيلة بالخلفية الإشعاعية؛ فقدر أن عمر الكون: ١٣,٧٥ بليون سنة، وأتاحت المواد المشعة المعروف معدل تحللها وسائل قياس بديلة، فلم يمض عام ٢٠٠١ إلا وقد فاجأ روجر كيريل Roger Cayrel وفريقه من عدة دول بعد دراسة عنصر مشع بنجم قديم أن عمر الكون على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة.

ومع تلاشي وهم أزلية المادة؛ رغم ميله للإلحاد اضطر الفيزيائي ستيفن هاوكنج Stephen Hawking إلى الاعتراف: "طالما أن للكون بداية فحتما لا بد من خالق"[١٩٨]، وأضاف: "ليس تاريخ العلم إلا التحقق التدريجي من أن الأحداث لم تقع بطريقة اعتباطية؛ بل تعكس ترتيب ضمني أكيد"[١٩٩]، وفي الكون بالفعل توجيه رشيد منذ البدء يستحيل أن تُنجزه صدفة؛ وإبداع في التصميم Design على كل المستويات، وكل مجالات العلوم تقول: لا فوضى No Chaos!، ورغم مشاركته في نظرية الكون السرمدي؛ قال ألفريد هويل Fred Hoyle: "تقول نظرية الانفجار الكبير بأن الكون قد نشأ نتيجة انفجار كبير، ونحن نعلم أن كل انفجار يبعثر المادة دون نظام، ولكن الانفجار الكبير عمل العكس، إذ عمل على جمع المادة بقدرة فريدة وتصميم رشيد لتشكيل المجرات والنجوم والتوابع ونشأة الإنسان على هذه الأرض"!.

---

[١٩٨] تاريخ موجز للزمن، ستيفن هوكنج (ص١٢٢).

[١٩٩] تاريخ موجز للزمن، ستيفن هوكنج (ص١٤٠).

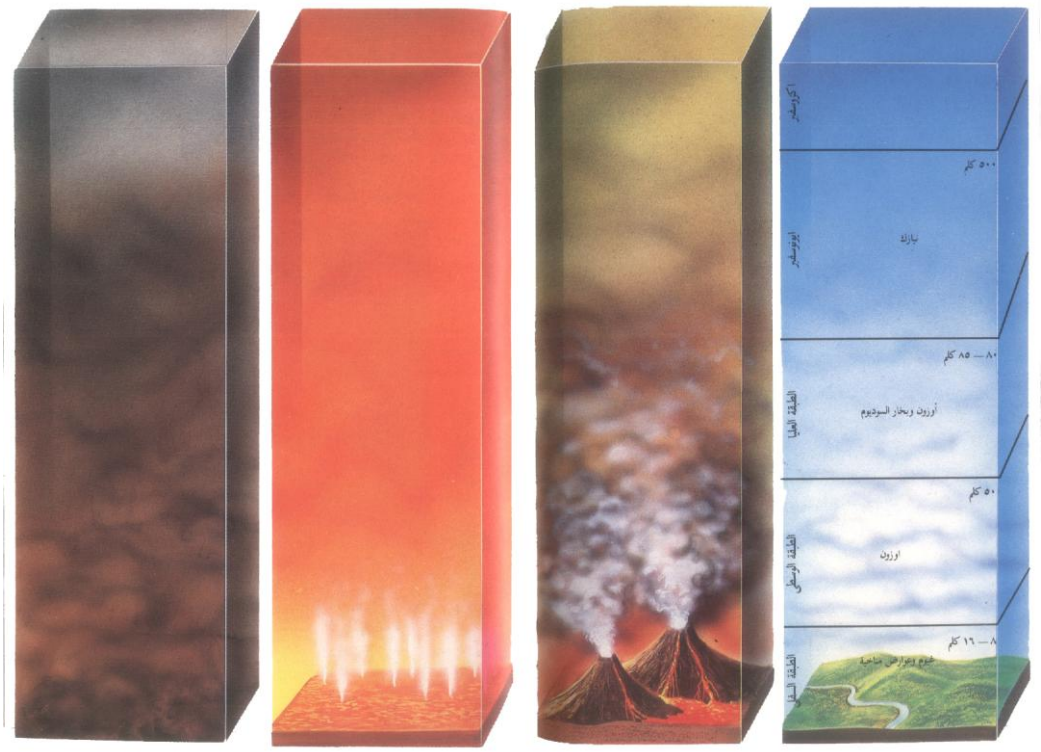

تكون الجو من غازات الأرض الأولية الملتهبة مع سطحها، وكان يتبدد حتى استقر منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة مع نشأة الغابات وإطلاقها للأكسجين والتميز إلى طبقات (الموسوعة العالمية العربية المصورة؛ ١٨: ٣٢٧٥).

ويَمْضِي بك التمثيل في الكتاب العزيز كاشفًا بالتصوير كأبلغ وسيلة للإيضاح خفايا التكوين التي لم يُدركها بشر إلا بعد توفر الوسائل والتقنيات في رائعة تهز الوجدان وتأخذ بالألباب: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيَ أَرْبَعَةِ أَيّامٍ سَوَآءً لّلسّآئِلِينَ. ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ. فَقَضَاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىَ فِي كُلّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيّنّا السّمَآءَ الدّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢، قال السمعاني: "قوله: (فِيَ أَرْبَعَةِ أَيّامٍ) أي في تمام أربعة أيام.. وهذا كالرجل يقول: ذهبت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وذهبت من بغداد إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً؛ أي في تمام خمسة عشر يومًا.. هذا كلام العرب، ومن طعن فيه لم يعرف كلام العرب"[٢٠٠]، وقد أورد الأعلام أن السماء التي تشكلت إلى طبقات بعد تشكيل الأرض هي دخان خرج منها عند تكونها فشكل الجو؛ يعني في آخر يومين من الأربعة وهو ما يوافق المعرفة أنها كانت ملتهبة؛ قال الماوردي أنه: "الدخان الذي جعله الله للأرض سماء"[٢٠١]، فكأن قوله تعالى: ﴿ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ قد فسره قوله تعالى: ﴿ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، وكليهما في النظم وارد بعد تشكل الأرض بغير سطح ولا جو، وقوله تعالى: ﴿ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾؛ معناه يماثل معنى قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وملازمة السماء المحلية أو الجو للأرض تعني سبق التبدد في التمثيل: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾، وهي نفس الملازمة: ﴿وَجَعَلْنَا السّمَآءَ سَقْفاً مّحْفُوظاً﴾ ٢١الأنبياء:٣٢، والإتيان قرين الحركة، ولك أن تتساءل مُتَعَجِّبًا: من أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأن السقف المحفوظ المصاحب للأرض في سيرها مكون من طبقات مُمَيَّزَة بخلاف التبدد عند التكوين!، ومن أعلمه غير المُبدع القدير وحده؛ بتكونه من دخان الأرض الملتهبة المتصاعد عند التكوين!.

---

[٢٠٠] أبو المظفر منصور المروزى السمعاني؛ تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م (٥\ ٤٢).

[٢٠١] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١\ ٩٢).

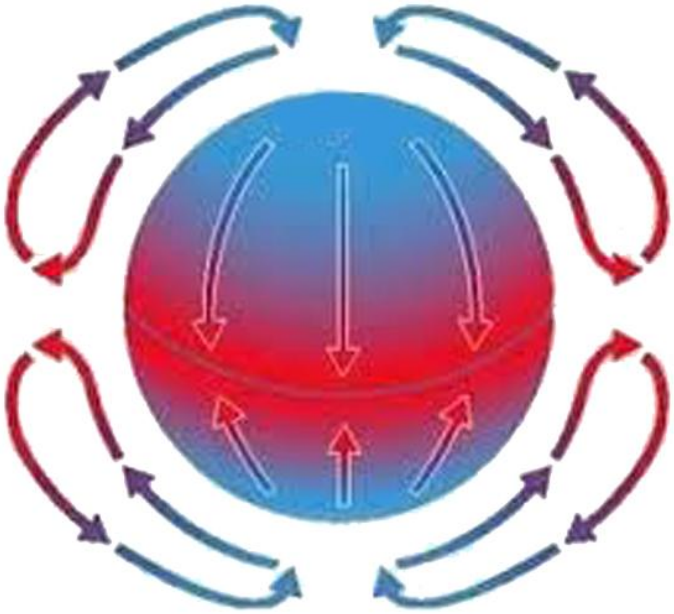

تصريف الرياح حول الأرض يشمل الدورة العامة للرياح؛
وكأنه نظام تكييف عالمي للحد من فرط الحرارة والبرودة.

فالكون إذن بالنسبة للمخاطب في القرآن الكريم هو (السماء والأرض) و(ما بينهما) أي الجو المُمَيَّز بتصريف الرياح والسحاب المسخر بينهما؛ وفق نظام يشمل الكوكب كله يشهد بتدبير لا تصنعه مصادفة يُعلنه قول المبدع القدير: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤، وفي مقام وصف الكون المنظور بالنسبة للمخاطب ورد تعبير (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا): ١٨ مرة، و(السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا): مرتين، و(الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا): مرة، فيكون مجموع ورود (وما بينهما): ٢١ مرة، وكلها مرتبة بتقديم السماء في الخلق على الأرض ويتبعها بالإبهام (ما بينهما)؛ إشارة إلى الجو الذي لا تميز العين طبقاته.

والاكتفاء بالتعبير عن الكون المنظور بلفظ (السماء) جمعًا وإفرادًا مع (الأرض) وبغير التعبير (ما بينهما)؛ يلحق الجو بالأرض في الخلق، ويؤيده أن الإنسان وإن كان على سطحها فهو ﴿فِي الأَرْضِ﴾ باعتبار أن الجو فوقه تابع لها ولاحق بها؛ نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ٧الأعراف:٢٤و٢٥، وآفاق الجو لا تُمَيِّزها العين فساغ عودة ضمير الجمع المؤنث (فَقَضَاهُنّ) على غير مذكور سابق في قوله تعالى: (فَقَضَاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)، ومثله ضمير (فَسَوّاهُنّ) في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٢البقرة:٢٩، وهكذا لو تأملت النصوص المتعلقة بخلق العالم؛ فستجد كل الأحداث مُرتبة بنفس الترتيب الذي كشفه العلم بعد عصر الوحي بأكثر من عشرة قرون، وما أجمله موضع فَصَّلَهُ آخر مما يدفع أي احتمال أن يكون القرآن صنعةً بشريةً، يقول العلي القدير: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "دل على ما ذكرهم من وحدانيته وقدرته بقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ}؛ الفلك: السفن..، ثم قال تعالى: {وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ} يعني به المطر..، ثم قال تعالى: {فَأَحْيَا الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}؛ وإحياؤها.. ما تجري به أنهارها وعيونها.. (و) ما ينبت به من أشجارها وزروعها؛ وكلا هذين سبب لحياة الخلق من ناطق وبُهْم، ثم قال تعالى: {وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ}: يعني جميع الحيوان.. سماه (دابة) لدبيبه عليها..، ثم قال تعالى: {وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ}..، ثم قال تعالى: {وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}؛ المسخر: المذلل..، وهذه الآية قد جمعت من آياته الدالة على وحدانيته وقدرته ما صار لذوي العقول مرشداً وإلى الحق قائداً؛ فلم يقتصر الله بنا على مجرد الإخبار حتى قرنه بالنظر والاعتبار"[٢٠٢].

وقال ابن عاشور: "مَوْقِعُ هَاتِهِ الْآيَةِ عَقِبَ سَابِقَتِهَا مَوْقِعُ الْحُجَّةِ مِنَ الدَّعْوَى؛ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَنَ أَنَّ الْإِلَهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَهِيَ قَضِيَّةٌ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُتَلَقَّى بِالْإِنْكَارِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَنَاسَبَ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ لِمَنْ لَا يَقْتَنِعُ؛ فَجَاءَ بِهَذِهِ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي لَا يَسَعُ النَّاظِرَ إِلَّا التَّسْلِيمُ إِلَيْهَا..، وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَاتِهِ الْآيَةِ إِثْبَاتُ دَلَائِلِ وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَلِذَلِكَ ذُكِرَتْ إِثْرَ ذِكْرِ الْوَحْدَانِيَّةِ لِأَنَّهَا إِذَا أُثْبِتَتْ بِهَا الْوَحْدَانِيَّةُ ثَبَتَ الْوُجُودُ بِالضَّرُورَةِ، فَالْآيَةُ صَالِحَةٌ لِلرَّدِّ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ دَهْرِيِّهِمْ وَمُشْرِكِهِمْ، وَالْمُشْرِكُونَ هُمُ الْمَقْصُودُ ابْتِدَاءً، وَقَدْ قَرَّرَ اللَّهُ فِي هَاتِهِ الْآيَةِ دَلَائِلَ كُلُّهَا وَاضِحَةٌ مِنْ أَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ وَهِيَ مَعَ وُضُوحِهَا تَشْتَمِلُ عَلَى أَسْرَارٍ يَتَفَاوَتُ النَّاسُ فِي دَرْكِهَا حَتَّى يَتَنَاوَلَ كُلُّ صِنْفٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ مِقْدَارَ الْأَدِلَّةِ مِنْهَا عَلَى قَدْرِ قَرَائِحِهِمْ وَعُلُومِهِمْ، وَالْخَلْقُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ وَاخْتِيرَ هُنَا لِأَنَّهُ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلِلْعِبْرَةِ أَيْضًا.. تَكْوِينِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنِّظَامِ الْجَامِعِ بَيْنَهَا؛ فَكَمَا كُلُّ مَخْلُوقٍ مِنْهَا أَوْ فِيهَا هُوَ آيَةٌ وَعِبْرَةٌ فَكَذَلِكَ مَجْمُوعُ خَلْقِهَا، وَلَعَلَّ الْآيَةَ تُشِيرُ إِلَى مَا يُعَبَّرُ عَنْهُ فِي عِلْمِ الْهَيْئَةِ بِالنِّظَامِ الشَّمْسِيِّ وَهُوَ النِّظَامُ الْمُنْضَبِطُ فِي أَحْوَالِ الْأَرْضِ مَعَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِالسَّمَاوَاتِ (في مواضع طبقًا للسياق)، والسَّماواتِ جَمْعُ سَمَاءٍ وَالسَّمَاءُ إِذَا أُطْلِقَتْ مُفْرَدَةً فَالْمُرَادُ بِهَا (في مواضع) الْجَوُّ الْمُرْتَفِعُ فَوْقَنَا الَّذِي يَبْدُو كَأَنَّهُ قُبَّةٌ زَرْقَاءُ.. وَذَلِكَ الْمُرَادُ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ) الْملك:٥..، (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً) الْبَقَرَة:٢٢، وَإِذَا جُمِعَتْ فَالْمُرَادُ (في مواضع) بِهَا (آفاق) أَجْرَامٌ عَظِيمَةٌ..، ولعلها هِيَ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْعَرْشُ الْعَظِيمُ، وَهَذَا السِّرُّ فِي جمع (السَّمَوَات) هُنَا وَإِفْرَادِ (الْأَرْضِ) لِأَنَّ الْأَرْضَ عَالَمٌ وَاحِدٌ..، وَالْمَعْنَى أَنَّ فِي خلق مَجْمُوعِ السَّمَوَاتِ مَعَ الْأَرْضِ آيَاتٍ..، وَالْآيَةُ فِي هَذَا الْخَلْقِ (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) آيَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ عَرَفَ أَسْرَارَ هَذَا النِّظَامِ وَقَوَاعِدَ الْجَاذِبِيَّةِ.. عَلَى وَجْهٍ لَا يَعْتَرِيهِ خَلَلٌ وَلَا خَرْقٌ..، قَالَ الْفَخْرُ: (كَانَ عُمَرُ بْنُ الْحُسَامِ يَقْرَأُ كِتَابَ الْمِجَسْطِيِّ عَلَى عُمَرَ الْأَبْهَرِيِّ؛ فَقَالَ لَهُمَا بَعْضُ الْفُقَهَاءِ يَوْمًا: مَا الَّذِي تَقْرَءُونَهُ، فَقَالَ الْأَبْهَرِيُّ أُفَسِّرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها) ق:٦، فَأَنَا أُفَسِّرُ كَيْفِيَّةَ بِنَائِهَا، وَلَقَدْ صَدَقَ الْأَبْهَرِيُّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَكْثَرَ تَوَغُّلًا فِي بِحَارِ الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ أَكْثَرَ عِلْمًا بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ)..، وَقَوْلُهُ: (وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ) تَذْكِيرٌ بِآيَةٍ أُخْرَى عَظِيمَةٍ لَا تَخْفَى على أحد من الْعُقَلَاءِ وَهِيَ.. اخْتِلَافُ حَالَتَيِ الْأَرْضِ فِي ضِيَاءٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا فِي الضِّيَاءِ مِنَ الْفَوَائِدِ لِلنَّاسِ وَمَا فِي الظُّلْمَةِ مِنَ الْفَوَائِدِ لَهُمْ لِحُصُولِ سُكُونِهِمْ وَاسْتِرْجَاعِ قُوَاهُمُ الْمَنْهُوكَةِ بِالْعَمَلِ، وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ لِخَاصَّةِ الْعُقَلَاءِ إِذْ يَعْلَمُونَ.. أَنَّهُ مِنْ آثَارِ دَوَرَانِ الْأَرْضِ حَوْلَ الشَّمْسِ..، وَالِاخْتِلَافُ افْتِعَالٌ مِنَ الْخَلْفِ؛ وَهُوَ أَن يجيء شَيْءٌ عِوَضًا عَنْ شَيْءٍ آخَرَ يَخْلُفُهُ فِي مَكَانِهِ..، وَقَدْ أُضِيفَ الِاخْتِلَافُ لِكُلٍّ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْلُفُ الْآخَرَ (فِي مَكَانِهِ)..، وَلِلِاخْتِلَافِ مَعْنًى آخَرُ هُوَ مُرَادٌ أَيْضًا؛ وَهُوَ تَفَاوُتُهُمَا فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ، فَمَرَّةً يَعْتَدِلَانِ وَمَرَّةً يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ؛ وَذَلِكَ بِحَسَبِ أَزْمِنَةِ الْفُصُولِ وَبِحَسَبِ أَمْكِنَةِ الْأَرْضِ..، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ مَوَاضِعِ الْعِبْرَةِ لِأَنَّهُ آثَارُ الصُّنْعِ الْبَدِيعِ..، فَفِي اخْتِيَارِ التَّعْبِيرِ بِالِاخْتِلَافِ هُنَا سِرٌّ بَدِيعٌ لِتَكُونَ الْعِبَارَةُ صَالِحَةً لِلْعِبْرَتَيْنِ، وَاللَّيْلُ اسْمٌ لِعَرَضِ الظُّلْمَةِ وَالسَّوَادِ الَّذِي يَعُمُّ مِقْدَارَ نِصْفٍ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ الَّذِي يَكُونُ غَيْرَ مُقَابِلٍ لِلشَّمْسِ؛ فَإِذَا حُجِبَ قُرْصُ الشَّمْسِ عَنْ مِقْدَارِ نِصْفِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ بِسَبَبِ التَّقَابُلِ الْكُرَوِيِّ؛ تَقَلَّصَ شُعَاعُ الشَّمْسِ عَنْ ذَلِكَ الْمِقْدَارِ مِنَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ فَأَخَذَ النُّورُ فِي الضَّعْفِ وَعَادَتْ إِلَيْهِ الظُّلْمَةُ الْأَصْلِيَّةُ الَّتِي مَا أَزَالَهَا إِلَّا شُعَاعُ الشَّمْسِ..، فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَيْ تَعَاقُبِهِمَا وَخَلْفِ أَحَدِهِمَا الْآخَرَ، وَمِنْ بَلَاغَةِ عِلْمِ الْقُرْآنِ أَنْ سَمَّى ذَلِكَ اخْتِلَافًا تَسْمِيَةً مُنَاسِبَةً لِتَعَاقُبِ الْأَعْرَاضِ عَلَى الْجَوْهَرِ..، فَأَوْمَأَ إِلَى أَنَّ اللَّيْلَ

---

[٢٠٢] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١ ٢١٦).

وَالنَّهَارَ.. عَرَضَانِ..، وَقَوْلُهُ: (وَالْفُلْكِ).. كَوْنِهَا آيَةً مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ؛ وَفِي كَوْنِهَا نِعْمَةً مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَجْرِي بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ..، فَجَرْيُ السُّفُنِ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ إِلْهَامِ اللَّهِ تَعَالَى الْإِنْسَانَ لِلتَّفَطُّنِ لِهَذَا التَّسْخِيرِ الْعَجِيبِ الَّذِي اسْتَطَاعَ بِهِ أَنْ يَسْلُكَ الْبَحْرَ كَمَا يَمْشِي فِي الْأَرْضِ..، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَ لِلْفُلْكِ الرِّيَاحَ..، وَأَمَّا كَوْنُهَا نِعْمَةً فَلِأَنَّ فِي هَذَا التَّسْخِيرِ نَفْعًا لِلتِّجَارَةِ وَالزِّيَارَةِ.. وَلِذَلِكَ قَالَ (بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ)..، وَالْفُلْكُ هُنَا جَمْعٌ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ فِي كَثْرَتِهَا، وَهُوَ وَمُفْرَدُهُ سَوَاءٌ فِي الْوَزْنِ..، فَاسْتَوَى فِي اللَّفْظِ الْمُفْرَدُ وَالْجَمْعُ..، (وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ).. وَإِسْنَادُ الْإِنْزَالِ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ الَّذِي أَوْجَدَ أَسْبَابَ نُزُولِ الْمَاءِ بِتَكْوِينِهِ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ عَلَى نِظَامٍ مُحْكَمٍ، وَالسَّمَاءُ الْمُفْرَدُ (هنا) هُوَ الْجَوُّ وَالْهَوَاءُ الْمُحِيطُ بِالْأَرْضِ.. وَفِي الْآيَةِ عِبْرَةٌ عِلْمِيَّةٌ لِمَنْ يَجِيءُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ جَعْلَ الْمَاءِ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ بُخَارَ الْمَاءِ يَصِيرُ مَاءً فِي الكرة الهوائية عِنْد مَا يُلَامِسُ الطَّبَقَةَ الزَّمْهَرِيرِيَّةَ..، وَقَدْ جَمَعَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) أُصُولَ عِلْمِ التَّارِيخِ الطَّبِيعِيِّ وَهُوَ الْمَوَالِيدُ الثَّلَاثَةُ: الْمَعْدِنُ وَالنَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ، زِيَادَةً عَلَى مَا فِي بَقِيَّةِ الْآيَةِ سَابِقًا وَلَا حَقًّا مِنَ الْإِشَارَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الرَّاجِعَةِ لِعِلْمِ الْهَيْئَةِ وَعِلْمِ الطَّبِيعَةِ وَعِلْمِ الْجُغْرَافِيَا الطَّبِيعِيَّةِ وَعِلْمِ حَوَادِثِ الْجَوِّ..، وَلِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ أَيْضًا مَوْضِعُ عِبْرَةٍ أَعْجَبُ وَمَوْضِعُ نِعْمَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ سَبَبَ تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ أَنَّ اللَّهَ أَحَاطَ الْكُرَةَ الْأَرْضِيَّةَ بِهَوَاءٍ خَلَقَهُ مَعَهَا؛ بِهِ يَتَنَفَّسُ الْحَيَوَانُ وَهُوَ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْكُرَةِ بَحْرِهَا وَبَرِّهَا مُتَّصِلٌ بِسَطْحِهَا وَيَشْغَلُ مِنْ فَوْقِ سَطْحِهَا ارْتِفَاعًا لَا يَعِيشُ الْحَيَوَانُ لَوْ صَعِدَ إِلَى أَعْلَاهُ، وَقَدْ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُؤَلَّفًا مِنْ غَازَيْنِ هَمَّا النِّيتْرُوجِينُ وَالْأُكْسُجِينُ..، وَلَمَّا كَانَتِ الْحَرَارَةُ مِنْ طَبْعِهَا أَنْ تُمَدِّدَ أَجْزَاءَ الْأَشْيَاءِ.. وَالْبُرُودَةُ بِالْعَكْسِ، كَانَ هَوَاءٌ فِي جِهَةٍ حَارَّةٍ.. وَهَوَاءٌ فِي جِهَةٍ بَارِدَةٍ.. وَقَعَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْهَوَاءَيْنِ فِي الْكَثَافَةِ، فَصَعِدَ الْخَفِيفُ وَهُوَ الْحَارُّ إِلَى الْأَعْلَى؛ وَانْحَدَرَ الْكَثِيفُ إِلَى الْأَسْفَلِ، وَبِصُعُودِ الْخَفِيفِ يَتْرُكُ فَرَاغًا يَخْلُفُهُ فِيهِ الْكَثِيفُ طَلَبًا لِلْمُوَازَنَةِ؛ فَتَحْدُثُ حَرَكَةٌ تُسَمَّى رِيحًا، فَإِذَا كَانَتِ الْحَرَكَةُ خَفِيفَةً لِقُرْبِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْهَوَاءَيْنِ سُمِّيَتِ الْحَرَكَةُ نَسِيمًا وَإِذَا اشْتَدَّتِ الْحَرَكَةُ وَأَسْرَعَتْ فَهِيَ الزَّوْبَعَةُ..، وَمِنْ فَوَائِدِ هَاتِهِ الرِّيَاحِ الْإِعَانَةُ عَلَى تَكْوِينِ السَّحَابِ وَنَقْلِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ وَتَنْقِيَةِ الْكُرَةِ الْهَوَائِيَّةِ مِمَّا يَحِلُّ بِهَا مِنَ الْجَرَاثِيمِ الْمُضِرَّةِ، وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ مَوْضِعُ عِبْرَةٍ وَنِعْمَةٍ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَدِ اخْتِيرَ التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ التَّصْرِيفِ هُنَا.. لِأَنَّ التَّصْرِيفَ تَفْعِيلٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْمُبَالَغَةِ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَنْشَأَ الرِّيحِ هُوَ صَرْفُ بَعْضِ الْهَوَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَصَرْفُ غَيْرِهِ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ.. (فهذا من) الْإِعْجَازُ الْعِلْمِيُّ..، وَجَمْعُ الرِّيَاحِ هُنَا لِأَنَّ التصريف اقْتَضى الْعدَد لِأَنَّهَا كُلَّمَا تَغَيَّرَ مَهَبُّهَا فَقَدْ صَارَتْ رِيحًا غَيْرَ الَّتِي سبقت، وقرأه الْجُمْهُورُ (الرِّيَاحِ) بِالْجَمْعِ وَقَرَأَهُ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ (الرِّيحِ) بِالْإِفْرَادِ عَلَى إِرَادَةِ الْجِنْسِ؛ وَاسْتِفَادَةِ الْعُمُومِ مِنَ اسْمِ الْجِنْسِ الْمُعَرَّفِ سَوَاءٌ كَانَ مُفْرَدًا أَوْ جَمْعًا سَوَاءٌ..، وَقَوْلُهُ: (وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ) عَطْفٌ عَلَى (وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ) أَوْ عَلَى (الرِّياحِ)، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَتَصْرِيفِ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ؛ أَيْ نَقْلِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ..، وَفِي ذَلِكَ أَيْضًا عِبْرَةٌ وَمِنَّةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، فَتَكْوِينُهُ عِبْرَةٌ لَهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَتَكَوَّنُ مِنْ تَصَاعُدِ أَبْخِرَةِ الْبِحَارِ وَرُطُوبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي تُبَخِّرُهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ..، إِلَّا أَنَّ بُخَارَ الْمَاءِ شَفَّافٌ غَازِيٌّ فَإِذَا جَاوَرَ سَطْحًا بَارِدًا ثَقُلَ وَتَكَاثَفَ فَصَارَ ضَبَابًا أَوْ نَدًى أَوْ سَحَابًا، وَإِنَّمَا تَكَاثَفَ لِأَنَّ أَجْزَاءَ الْبُخَارِ تَجْتَمِعُ فَتَقِلُّ قُدْرَةُ الْهَوَاءِ عَلَى حَمْلِهِ، ثُمَّ إِذَا تَكَامَلَ اجْتِمَاعُهُ نَزَلَ مَطَرًا، وَلِكَوْنِ الْبُخَارِ الصَّاعِدِ إِلَى الْجَوِّ أَكْثَرَ بُخَارِ الْبَحْرِ لِأَنَّ الْبَحْرَ أَكْثَرُ سَطْحِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ كَانَتِ السَّحْبُ أَكْثَرَ مَا تَتَكَوَّنُ مِنْ جِهَةِ الْبِحَارِ..، فَلَوْلَا الرِّيَاحُ تُسَخِّرُهُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لَكَانَ الْمَطَرُ لَا يَنْزِلُ إِلَّا فِي الْبِحَارِ، وَمَوْضِعُ الْمِنَّةِ فِي هَذَا فِي تَكْوِينِهِ حَتَّى يَحْمِلَ الْمَاءَ لِيُحْيِيَ الْأَرْضَ، وَفِي تَسْخِيرِهِ لِيَنْتَقِلَ، وَفِي كَوْنِهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ مُسَخَّرٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى يَتَكَامَلَ مَا فِي الْجَوِّ مِنَ الْمَاءِ فَيَثْقُلُ السَّحَابُ فَيَنْزِلُ مَاءً إِذَا لَمْ تَبْقَ فِي الْهَوَاءِ مَقْدِرَةٌ عَلَى حَمْلِهِ، قَالَ تَعَالَى: (وَيُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ) الرَّعْد:١٢، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) أَيْ دَلَائِلَ..، وَهَذَا الْوَجْهُ يَرْجِعُ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ بِالْعَالَمِ عَلَى الصَّانِعِ..، (و) الِاسْتِدْلَالُ بِهَاتِهِ الدَّلَائِلِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.. فَوَجْهُ دَلَالَةِ هَاتِهِ الْآيَاتِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ أَنَّ هَذَا النِّظَامَ الْبَدِيعَ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ وَذَلِكَ التَّدْبِيرَ فِي تَكْوِينِهَا.. كُلُّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لَهَا صَانِعًا حَكِيمًا مُتَّصِفًا بِتَمَامِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ.. فَالْمَعْنَى أَنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِلَّذِينَ سَجِيَّتُهُمُ الْعَقْلُ، وَهُوَ تَعْرِيضٌ بِأَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِآيَاتِ ذَلِكَ؛ لَيْسَتْ عُقُولُهُمْ بِرَاسِخَةٍ وَلَا هِيَ مَلَكَاتٌ لَهُمْ"[٢٠٣].

[٢٠٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢ ٧٦).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Creation of the universe

خلق الكون

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعاً لّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ٥٧الحديد:٢٥.
- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:٥و٦.
- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ٣٣الأحزاب:٧٢.
- ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.
- ﴿تَنزِيلاً مّمّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسّمَاوَاتِ الْعُلَى .الرّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىَ. لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثّرَىَ﴾ ٢٠طه:٤-٦.
- ﴿إِنّا زَيّنّا السّمَآءَ الدّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ. وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ٦٧الملك:٣-٥.
- ﴿إِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَات وَالأَرْضَ﴾ ٩التوبة:٣٦.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ ٧٠المعارج:١-٧.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٢.

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤.

- ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤٥الجاثية:٣-٥.

- ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ٧الأعراف:٢٤و٢٥.

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٩.

- ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٢٦الشعراء:٢٤.

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ١٥الحجر:٨٥.

- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ١٩مريم:٦٥.

- ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ٢٠طه:٦.

- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٩.

- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ ٣٠الروم:٨.

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٣٢السجدة:٤.

- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ ٣٧الصافات:٥.

- ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ ٣٨ص:١٠.

- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ٣٨ص:٦٦.

- ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٤٣الزخرف:٨٥.

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٤٤الدخان:٣٨.

- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٤٤الدخان:٧.

- ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ ٤٦الأحقاف:٣.

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ٥٠ق:٣٨.

- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٥المائدة:١٧.

- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ٥المائدة:١٨.
- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ٧٨النبأ:٣٧.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ٣٨ص:٢٧.
- ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢٦الشعراء:٢٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ. أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ٢البقرة:١٨٣-١٨٧.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

All"O you believe! the fasting is prescribed for you as it was prescribed for those before you, that you may become pious", "And that you fast, it is good for you; if you only know", "Therefore, everyone who is therein the (Ramadan) **month; he should fast", "Allah desires ease for you and HE desires not hardship for you** (not like people before you used to do)**", "And eat and drink until the white thread** (of light) **appears to you distinct from the black tread** (of darkness) **of the dawn. Then complete fasting till the nightfall".**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

يعلن بوذا في مذكراته بالمشقة على نفسه بوصاله الصيام ست سنوات؛ مكتفيا في اليوم ببندقة واحدة أو ورقة نبات.

كان الصيام ممارسة شاقة طلبًا لسكينة النفس بالتأمل وكبح جماح الشهوة والغضب بالتقشف وخرق حجاب الترف، في سفر المزامير يقول داود النبي عليه السلام (١٠٩: ٢٤): ركبتاي ارتعشتا من الصوم؛ ولحمي هزل عن سمن"[٢٠٤]، وما زال الصيام Fasting في الهند والصين ملازمًا لجلسات اليوجا Yoga والتأمل والاستبصار Meditation؛ وأثناء فترة الصيام يمتنع النُسَّاك الهندوس Hinduism حتى عن الكلام، والصيام عندهم تدريب للنفس كي تتخلص من تسلط رغبات السوء الجامحة؛ لذا يُعتبر ولادة جديدة للإنسان، وتدعو التعاليم في كتابهم المقدس "فيدا Vida" إلى الصيام؛ ولم يُتَرجم كتابهم المقدس من اللغة السنسكريتية إلا في القرن التاسع عشر، والبوذية Buddhism صنو الهندوسية في التأمل والصيام؛ ورائدها الزاهد بوذا Buddha (٥٦٣-٤٨٣ق.م)، ومن أقواله الحكيمة: "يأتي السَّلام من الداخل؛ فلا تبحث عنه في الخارج"، و"لن تُعاقب بسبب غضبك؛ بل غضبك هو العقاب"، ولكي يستنير وينال الحكمة ويصبح مُعَلِّمًا؛ واصل ست سنوات صائمًا تكفيه في يوم بندقة أو ورقة نبات، وفي مذكراته بيان بالمَشَقَة: "بلغ جسمي غاية الهزال والنحول لقلة ما أتناوله من طعام؛ حتى أصبحت أطرافي كعيدان الخيرزان وجذعي كحافر الجاموس"[٢٠٥].

---

[٢٠٤] العهد القديم؛ نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية.

[٢٠٥] الشبكة الدولية للمعلومات.

قد يشق بعض النساك في الهند على نفسه مبالغة في إنهاك الجسد لإسكات نزواته فيتخذ أوضاعا صعبة كالتعلق بشجرة أثناء التأمل والصيام ظنا منه أنها تُعين على إشراق الفكر.

والصيام حالة وجدانية ينقطع فيها الإنسان عن المُعتادات اليومية في الطعام والشراب ومقاربة النساء؛ تطهرًا وعبادةً وتدريبًا للنفس على مجابهة نزوات قد تضر، وهو في شريعة الإسلام مدة نهار لا تحد نشاط ولا تضر، والصفاء والوجل والتقوى والوجد ثمرة صيام واستغراق وخشوع في العبادة؛ تُستحضر فيها عظمة الجليل وقدرته فيهتز الوجدان ويقشعر الكيان ويتراجع استيلاء المشاغل والهموم وتطيب النفس ويستشعر الإنسان في معية جَابِلُهُ باللطف والاطمئنان.

وفي سياق بيان فضل الصيام وشيوعه في تاريخ الأمم؛ يقول العلي القدير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والتعبير: ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ورد مخصصًا بأهل الكتاب في أربعة مواضع: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ ٣آل عمران:١٨٦، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ٤النساء:١٣١، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ٥المائدة:٥، ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ ٥المائدة:٥٧، بينما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ ورد التعبير ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بلا تقييد فدل على الناس كلهم، قال الطبري: "(الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ): الناس كلهم"[٢٠٦]، وقال إبراهيم القطان: "الصيام عبادة قديمة جاءت بها الأديان السابقة سماوية وغيرها، (وثبت صيام) قدماء المصريين.. ومثلهم اليونان والرومان وكان.. في الديانة اليهودية وورد في الأناجيل ولا يزال الوثنيون من الهنود يصومون"[٢٠٧]، والمضمون التحريض على الصيام زهدًا وتنسكًا وقربى، فإذا كانت الطوائف الوثنية وأتباع الملل التي أصابها التحريف يصومون؛ فمن باب أولى أن تصوموا أنتم أيها المؤمنون.

---

[٢٠٦] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٣ ١٥٥).

[٢٠٧] إبراهيم القطان؛ تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١١ ١٠٠).

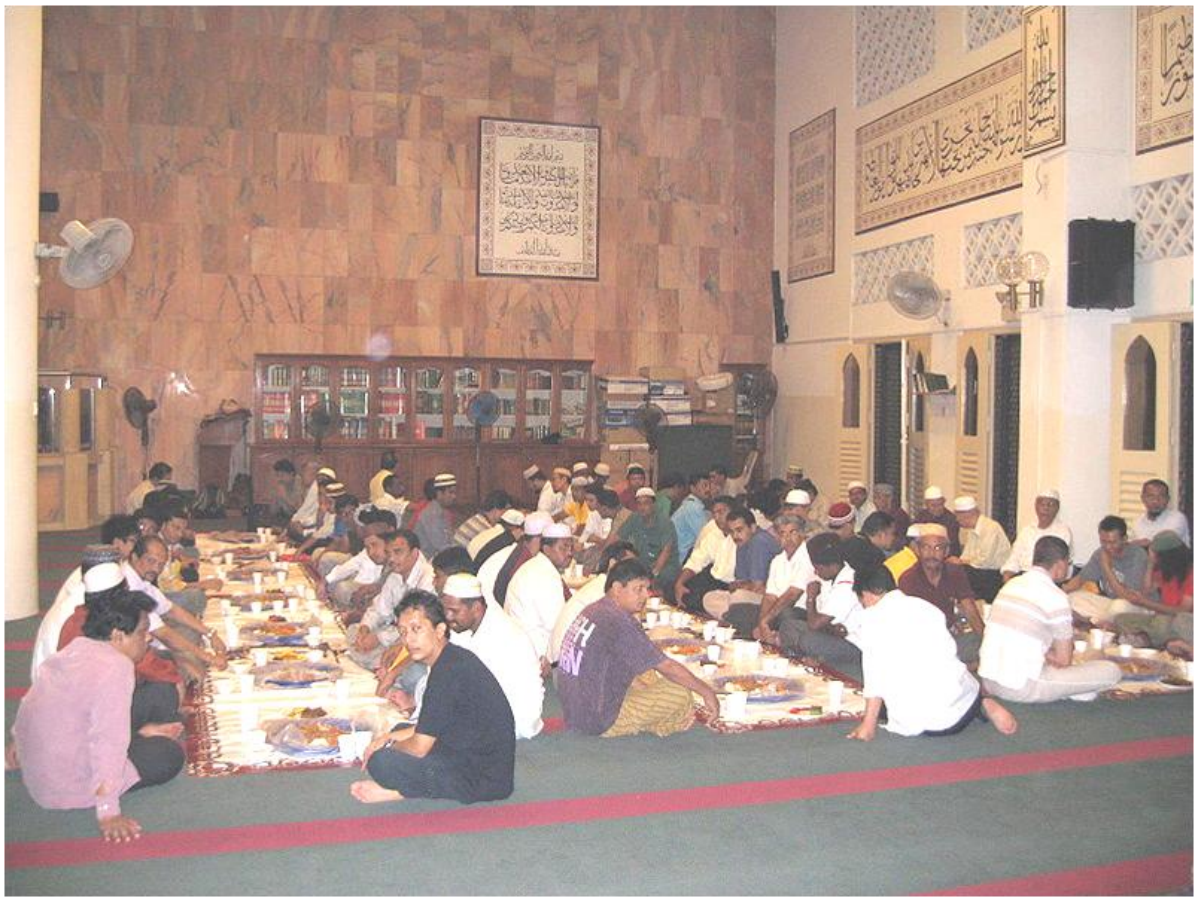

وبخلاف المشقة خلال الصيام وطول مدته يوميا وعدد أيامه ومحرمات الطعام؛ تميز الإسلام بالتخفيف والاعتدال، ومن بلاغة القرآن الكريم في مقام التخفيف؛ التعبير عن صيام رمضان بالتهوين قياسًا على حال الأمم قبل الإسلام، وكأنه يمر كأيام قليلة المدة اليومية للصيام وقليلة العدد، قال ابن عاشور: "الْمُرَادُ بِالْأَيَّامِ (في) قَوله: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾؛ شَهْرُ رَمَضَانَ عِنْدَ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْ رَمَضَانَ بِأَيَّامٍ وَهِيَ جَمْعُ قِلَّةٍ وَوَصَفَ بِمَعْدُودَاتٍ وَهِيَ جَمْعُ قِلَّةٍ أَيْضًا تَهْوِينًا لِأَمْرِهِ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ، وَالْمَعْدُودَاتُ كِنَايَةٌ عَنِ الْقِلَّةِ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْقَلِيلَ يُعَدُّ عَدًّا وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ: الْكَثِيرُ لَا يُعَدُّ"[٢٠٨]، والصيام في غير رمضان مندوب لا فريضة استزادة من فضائله؛ كستة أيام من شوال كل عام وثلاثة كل شهر والاثنين والخميس كل أسبوع، وكذلك صيام يوم عاشوراء كل سنة؛ وعلة اختياره نَصَّ عليها الحديث النبوي: عن عبد الله بن عباس (رضي الله تعالى عنهما) قال: "قدم رسول الله (ﷺ) المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح نجّى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه، فقال: أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه"، وفي رواية: "فصامه موسى شكراً فنحن نصومه"، وفي رواية أخرى: "فنحن نصومه تعظيماً له"؛ أخرجه البخاري (٤/ ٢٤٤) ومسلم (١١٣٠) وأبو داود (٢/ ٤٢٦) وابن ماجه (١/ ٥٥٢) والبيهقي (٤/ ٢٨٦).

والإسلام جامع لكل حكمة وكل فضيلة في سنن الأولين: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ٤النساء:٢٦، وصيام شهر كل عام فضيلة عظيمة النفع؛ فكانت فريضة على القادرين، ولم يكن معلومًا زمن تلقي الوحي أن الصيام من سنن الأولين؛ حيث كانت آثارهم غيب دفين، وقد كشفت الآثار والبرديات المُترجمة حديثًا أن قدماء المصرين وغيرهم من أهل الحضارات البائدة كانوا يصومون تَطَهُّرًا وتَنَسُّكًا قبيل أعياد توافق موعد حدث مُهم عندهم، ومن أنماط صيامهم ستة أيام كل عام، وثلاثة كل شهر، والاثنين والخميس كل أسبوع، والحدث الشهري المُمَيَّز في الإسلام هو موعد ظهور البدر؛ وتذكيرًا ببديع صُنع العَلِي القَدِير، ناسبه الاستعداد تَطَهُّرًا وتَنَسُّكًا، ولو كانت حكمة صيام الثلاثة أيام قبيل اكتمال البدر ترجع لمعادلة تأثير القمر على سوائل البدن؛ لاستلزمت صيام ثلاثة أيام بعده.

[٢٠٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢ ١٦١).

والصابئة المندائية Sabians Mandaeans صنو اليهود والنصارى في الصيام، وكتابهم المقدس يدعو للصيام واسمه جنزاربا Ginza Rba أي الكنز العظيم؛ ويعتقدون أنه يجمع صحف آدم إلى تعاليم النبي يحيى، وترجم من المندائية الآرامية عام ١٩٩٧[٢٠٩]، ويدعو كتاب الهندوس كذلك للصيام واسمه رج فيدا Rig Veda؛ أي الحكمة والمعرفة؛ وقد ترجم من السنسكريتية في القرن التاسع عشر وروجع حديثًا في ٢٠٠٨، وقد صام فيثاغورث Pythagoras (٥٨٠ – ٥٠٤ ق.م) باعتبار أن الصيام يساعد العمليات الفكرية، ودَوَّنَ أبُقراط Buqrat (٤٦٠ – ٣٧٧ ق.م) طرق الصيام وأشار إلى أهميته العلاجية، ومارس سقراط Socrates (٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م) الصيام، وكذلك أفلاطون Plato (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م)، وفي عهد البطالسة؛ كان أطباء الإسكندرية ينصحون مرضاهم بالصوم تعجيلاً بالشفاء، ووفق النقوش وأوراق البردي المترجمة حديثا من المصرية القديمة؛ كان النُسَّاك في المعابد يصومون ستة أسابيع في العام ويصوم الشعب أيام الأعياد، وفي القرن الخامس قبل الميلاد؛ سجل المؤرخ الإغريقي هيرودوت Herodotus (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) أن من المصريين القدماء من كان يَصُوم ثلاثة أيام كل شهر؛ تطهيرا للنفس وكبحًا للغضب، وبالإضافة للتطهر بالماء يوميا، كان على المُتَأَهِّل لتلقي علوم المعبد ليصبح كَاهنًا مُرْشِدًا؛ التَنَسُّك والصوم عدة أيام[٢١٠].

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن صوم ثلاثة أيام كل شهر يساعد على البقاء في صحة جيدة، وكلمة صوم العربية تناظرها في المصرية القديمة كلمة صاو أي امتنع أو كبح[٢١١]، وكان صيام الكهنة متميزًا عن صيام الشعب، فعلى المتقدم لخدمة المعبد صيام سبعة أيام متتالية قبل أن يُقبل للخدمة، وقد تمتد فترة الصيام إلى اثنين وأربعين يومًا، ويبدأ صيامهم من طلوع الشمس إلى غروبها؛ ويمتنعون عن تناول الطعام وكذلك معاشرة النساء[٢١٢]، وبالإضافة إلى الامتناع عن الطعام يشمل الصيام في البوذية الامتناع عن العمل[٢١٣]، وإقامة تماثيل آباء الهندوس وسواهم في حالة تأمل وصيام؛ إنما تعكس حال المؤسسين الأوائل للطوائف في بدء سلوكهم قبل أن ينشروا التعاليم ويحولهم الأتباع إلى مقدسين، ومن العادات أن أتباع شيفا يصومون الاثنين وأتباع فشنو يصومون الخميس، وتختلف أساليب الصيام ما بين الامتناع عن الطعام والشراب لمدة ٤٨ ساعة، أو الاكتفاء بوجبة واحدة في اليوم، أو عدم أكل أصناف معينة، ويصوم اليهود عدة أيام في العام؛ أهمها يوم الغفران للتكفير عن الخطية العامة، ويكون الصيام بالامتناع عن الأكل والشرب والجماع وارتداء الأحذية منذ غروب اليوم السابق عليه إلى غروب الشمس، وبعضهم يصوم تطوعًا الخميس والاثنين اعتقاداً بأنَّ موسى عليه السلام صعد جبل سيناء الخميس ونزل منه الاثنين[٢١٤].

وتشريع الصيام في كل الأديان والفلسفات التي عرفها الإنسان كاليهودية والمسيحية والمجوسية الزرادشتية والبوذية؛ شواهد تاريخية على أن التدين ميل فطري ودافع غريزي، وتؤيدها الأبحاث العلمية الحديثة باكتشاف أن الدافع للتدين والإيمان بوجود خالق خلف كل الوجود والأحداث؛ مقصد مصمم داخليا Built-in Design في مخ كل إنسان.

والإخبار بممارسة الأمم منذ القدم للصيام؛ يُوحي بأن العبادة نزوع فطري في أعماق الإنسان لحفظ سلامته، والتلميح لتعدد فوائد الصيام حتى كان دأب الأمم؛ أعقبه التصريح تأكيدًا: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، والخيرية في النظم مطلقة غير مقيدة؛ تفيد تعدد العلل فتشمل تقوية العزيمة والإرادة وصون الإنسان نفسيًا وجسمانيًّا، وفي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ إشارة إلى تجنب مغالاة بعض الأمم جعلت الصيام عسيرًا، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾؛ صريح في النهي عن الوصال وقصر فترة الصيام على نهار؛ وهي فترة مُحتملة ومُفيدة صحيًّا وبلا ضرر، وجاء عصر العلم وتطورت المعارف الطبية وكشفت الآثار عن خباياها وأتيحت كتب الأديان؛ فإذا بكل ما أخبر به القرآن هو الحق!.

---

[٢٠٩] كتاب جنزا ربا؛ ترجمه للعربية من المندائية يوسف متى قوزي وصبيح مدلول السهيري (١٩٩٧)؛ نشر مكتبة موسوعة العيون المعرفية لكتب الصابئة المندائيين.

[٢١٠] محمد صقر خفاجة؛ هيرودوت يتحدث عن مصر، مراجعة د. أحمد بدوى، ١٩٦٦.

[٢١١] قاموس د. بدوى وكيس، د. علاء الخراعي؛ التطور التاريخي للصيام.

[٢١٢] جيراردى، د. أحمد شلبى، د. نديم السيار.

[٢١٣] The RIG VEDA translated by Ralph & Griffith in 1889, updated by Peter Myers in 2008.

[٢١٤] الشبكة الدولية للمعلومات.

ووفق ما قاله د. لورنس ميكيني عميد المؤسسة الأمريكية لعلاج الاضطرابات الذهنية؛ قد بدأت الدراسات النفسية الدينية في ستينيات القرن الماضي، عندما ذهبت مجموعة من الباحثين إلى الهند لدراسة الموجات الكهربية للدماغ (EEG) لممارسين لليوجا، وفي عام ١٩٨٠ أطلق ميكيني على تلك الدراسات مصطلح الدراسات النفسية الدينية Neurotheology؛ ونشر عام ١٩٩٤ كتابه بنفس الاسم، ويقدم هذا العلم تأييده التام للحقيقة الجوهرية في الدين وهي أن الإيمان بالله غريزة ويحافظ على سلامة الإنسان، قال د. ميكيني: "ويكفي أننا قد أوجدنا طرقا عملية لقياس الأنشطة الفكرية؛ ولم يعد الإيمان بالله والمشاعر خلال الممارسات الدينية نشاطا فكريا غير قابل للتجربة والإثبات".

د. أندرو نيوبيرج Andrew Newberg
(Born in 1966)

وفي عام ٢٠٠١ قام د. أندرو نيوبيرج Andrew Newberg وفريقه بجامعة بنسلفانيا بتصوير المخ للمتطوعين أثناء الصيام والتأمل باعتباره ممارسة تعبدية بتقنية خاصة لأشعة إكس Magnetic Resonance Imaging (MRI) والنتيجة وفق ما أعلنها أن المخ مهيأ للميل بقوة نحو التدين "The Brain is hard-wired for Religion"، وأصبح بمقدور التجربة العملية أن تخبرنا كيف جعل الله التدين مطلب طبيعي كالطعام والشراب وبقية الاحتياجات المادية، وقال: "لقد اكتشفت الدراسات النفسية الدينية ثراء الدين بأرقي الأساليب العلمية لبلوغ الإنسان التوازن النفسي"، و"لقد تخيرنا عينة أثناء بلوغ المشاعر العميقة المصاحبة للتعبد قمة التركيز الذهني (تقابل الخشوع في الإسلام)، وباستخدام تقنية خاصة أمكن تحديد مناطق معينة في المخ تختص بالتركيز الفكري يزداد نشاطها أثناء ممارسة تلك الخبرة التأملية، لكن التغير الملحوظ في نشاط المنطقة المختصة بإدراك وجهة أجسامنا بالفراغ كان أكثر إدهاشا لنا، وقد يُفسر نشاط تلك المنطقة لماذا يشعر الذين بلغوا في صلواتهم درجة استغراق عميقة كأنهم قد فقدوا الوزن"، وقد يفسر أيضًا كيف يعمل الخشوع على كبح مشاعر الخوف والقلق والكآبة واليأس ويُريح ويمنح السكينة والاطمئنان.

قال د. بليتريني من جامعة بيزا في إيطاليا: "إن كل شيء نفعله أو نستشعره من نشاط بسيط كحركة إصبع إلى أعمق الانفعالات العاطفية الخبيئة بالنفس أو البادية مثل الغضب والحب؛ يؤثر على مراكز بالمخ فيرسم خريطة مميزة المعالم، ويصاحب كل شعور نموذج محدد يمكن تسجيله وتحليله كالتحاليل الطبية العضوية تماما، وهذا المجال الجديد لاستطلاع دخيلة الإنسان من عواطف ومشاعر وأفكار؛ ومدى تأثره بالاعتقاد الديني ساحر حقا، ويلجه الباحثون اليوم بحذر حريصين على المنهج العلمي في البحث والتحليل كبقية مجالات العلوم التجريبية"[٢١٥].

[٢١٥] الشبكة الدولية للمعلومات.

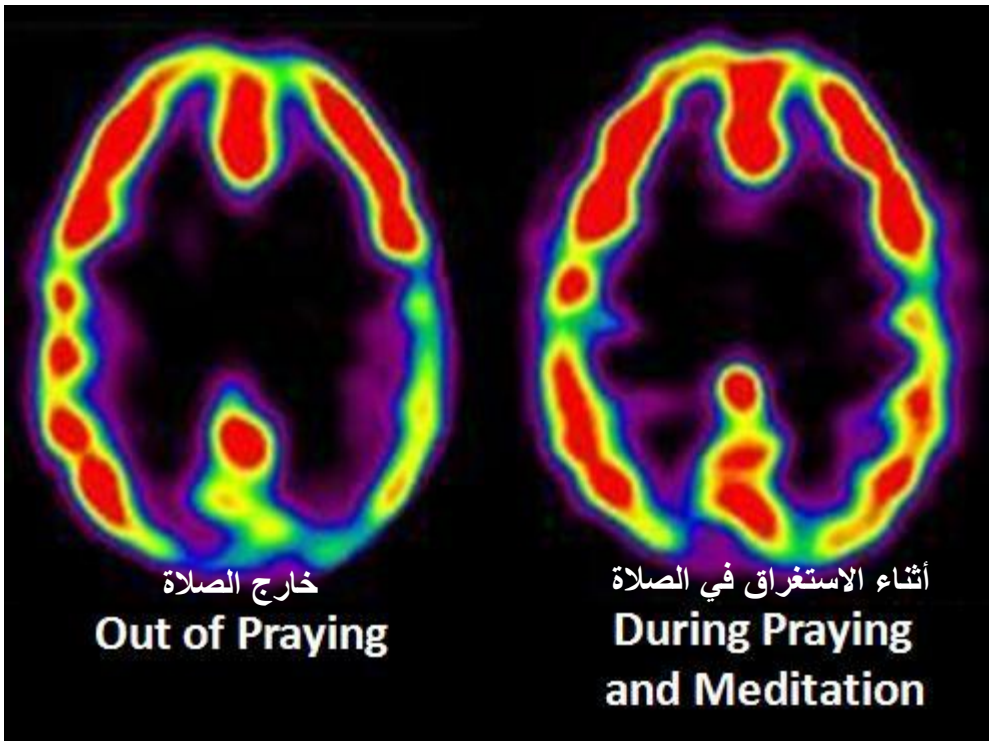

التصوير بالرنين المغناطيسي أثناء الاستغراق في العبادة؛ يكشف تأثر مناطق محددة في المخ.

وفي دراسة علم ١٩٨٧ على ٤١٤ مصاب بالصرع الناتج عن إثارة الفص الصدغي سجلت دوافع ملحة نحو العبادة وشعور بالوجد ونشوة الإيمان، وأكدت النتائج دراسة أخرى عام ١٩٩٩، وفي ١٥ أغسطس ٢٠١١ وجد د. بيرين بجامعة ميتشيجان أثناء دراسة المواظبين على العبادة من المصابين بصدمات الرأس معدل سرعة أعلى في إعادة التأهيل وشفاء العوارض الجسمية والنفسية، وفي تحليل ٤٢ دراسة حديثة وجد د. ماكلوف بجامعة دالاس أن معدل الوفيات لأسباب كأزمات القلب يقل بأعمال البر دوام الاستغراق في العبادة والتسليم بلا جزع لمفاجآت القدر.

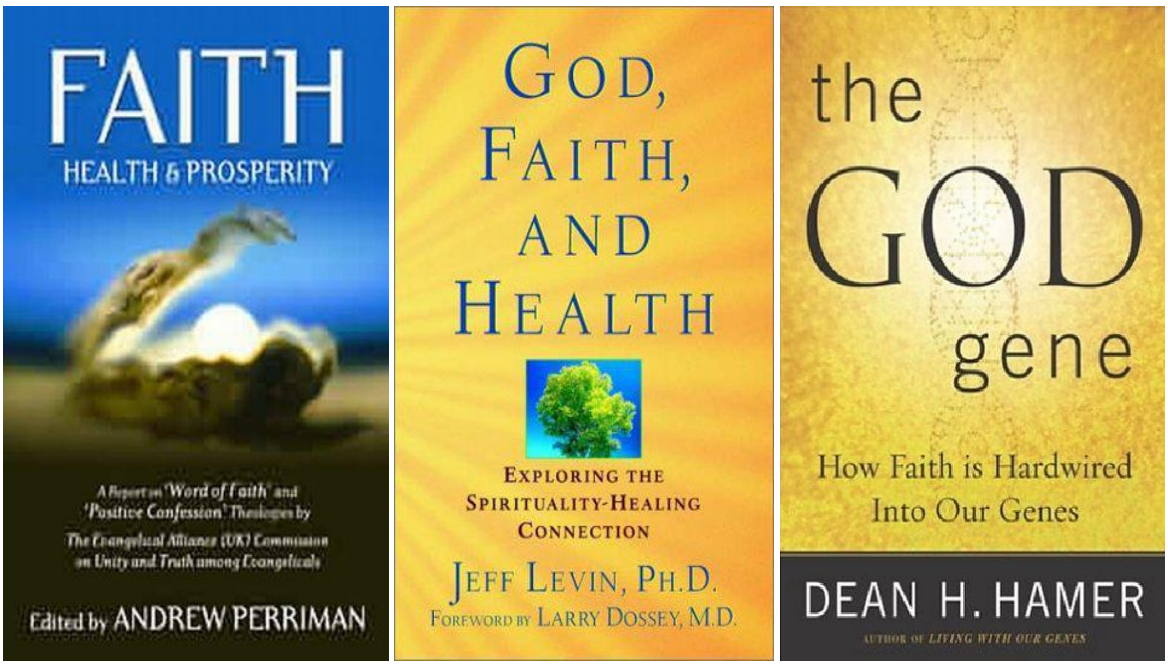

ونشرت حديثا عدة كتب تبين كيف أن الإيمان بالله تعالى فطرة مغروسة في جينات وراثية تؤثر على النفس البشرية؛ وتوظيف آلياتها بالعبادة طريق إلى الصحة والسعادة، منها كتاب "الإيمان بالله مغروس بقوة داخل جيناتنا" للمؤلف ديان همر، وكتاب "الإيمان والصحة" لجيف ليفن ولاري دوسي، وكتاب "الإيمان صحة وفلاح" لأندرو بريمان.

قال د. مايكل ماكلوف من جامعة دالاس بالولايات المتحدة الأمريكية: "يتأثر الوجدان النفسي بالعالم الخارجي ويؤثر في الجسد عضويا، ويمثل الإيمان والعبادة صمام أمان لتلك التأثيرات الطبيعية، وقد أفضت دراسته إلى أن الطبيعة البشرية مصممة بحيث تحفظها العبادة في توازن تام وتقيها الاضطراب"، وفي تحليل شمل ٤٢ دراسة ميدانية واسعة؛ وجد د. ماكلوف أن معدل الوفيات يقل بالاستغراق في الصلوات وبقية العبادات، وأن هذا التأثير الإيجابي مستقل عن عوامل أخرى مضرة بالصحة مثل تناول الخمور والتدخين، ولم يفت د. نيوبيرج أن يعلق على تلك النتيجة بقوله: "نحن لا ندري حتى الآن على وجه اليقين كيف يؤدي الإيمان العميق والاستغراق في العبادة إلى الحفاظ على سلامة النفس وصحة البدن ومكافحة المرض وتأخير الموت، ولكن معرفتنا لآليات عمل الجسم خاصة المخ؛ تؤهلنا للولوج لآفاق جديدة من البحث، كي نثبت يوما ما بحياد وجود تأثيرات عضوية للإيمان والعبادة؛ ندرك منها اليوم نقص عدد ضربات القلب وضغط الدم وتغير الهرمونات كماً ونوعاً والميل العصبي لتحقيق حالة من الهدوء والاسترخاء نتيجة الاستغراق، وقد تؤدي تلك العوامل مجتمعة إلى تنشيط جهاز المناعة"[٢١٦].

ومهمة التجارب في المجال النفسي الديني إذن هي اكتشاف آليات في المخ عند كل إنسان تدعوه للعبادة، وقابلة للتأثر والانفعال بالخشوع في العبادة ومن ثم حفظ وسلامة وصحة النفس والبدن، وهذه الآليات تصبح معدومة القيمة ولا عمل لها إذا لم توظفها العبادة؛ مما يؤكد أن الإيمان بالله مركوز في النفس ويؤيد صدق دعوة وتعاليم المرسلين؛ ويدحض ادعاء المشككين في أن جوهر الدين في الأصل من ابتداع المخلوقين، لكن تجارب نيوبيرج وأمثاله تقول لهم: "إما الرفعة ونيل السعادة والمتعة الحقيقية في العبادة؛ وإما الشقاء والجحيم"، ولو تأمل الباحثون في ذلك المجال العلمي الجديد؛ لوجدوا أن ما توصلوا إليه ليس إلا بعض ذخائر القرآن الكريم بصفته الكتاب الوحيد الجامع للتعاليم الأصلية للرسل الأولين؛ والداعي الوحيد لشريعة عالمية غير قومية تنسجم مع الفطرة السوية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١و٢، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ١٣الرعد:٢٨، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٧الإسراء:٨٢.

---

[٢١٦] الشبكة الدولية للمعلومات.

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٠يونس:٥، الحساب الفلكي على ضربين: (أولا) معرفة حقيقة الحركة المجردة للقمر بالنسبة لنجم بعيد ثابت كما يحسبها الفلكي لا كما تظهر للراصد من الأرض وهي تتحرك، ولا دخل لها في ظاهرة تباين أوائل الشهور باختلاف المناطق، (ثانيا) معرفة بداية أوائل الشهور بالنسبة للراصد الأرضي؛ وهي تساعد المعاينة في توقع موعد الرصد؛ لأنها استقراء لتسجيلات مواعيد سابقة تتكرر دوريًا، والأجهزة الحديثة لتحسين الرؤية كالمنظار وتلسكوب المرصد يزيد من نسبة اليقين، والمعاينة تتبع المناطق الجغرافية المتحدة إداريا وسياسيا؛ لأن الهلال إذا ظهر في أي منطقة فقد بدأ الشهر، وإذا كانت الشعوب الإسلامية موحدة إداريا وسياسيا لتوحدت بالمثل كل المناطق الجغرافية في إعلان بدايات الشهور، ولكن الحال في الوضع الراهن أن كل دولة محكومة بالرؤية في ظروفها الجغرافية؛ هذا إذا سلمنا أن رؤية الهلال تواتر ويقين لا توهم أو ادعاء أفراد بدافع منفعة؛ وأن الرؤية لا تتعارض مع موعد بدايات الشهور في السنوات السابقة، ولكن زوال الخلاف خاصة في رمضان وشهر الحج مرهون على الأقل حاليا؛ بتوحد الجهات الإسلامية المسئولة بمختلف البلدان في ترقب إعلان مراكز علمية مؤهلة رؤية الهلال في أي منطقة بالعالم، أو جعل مكة المكرمة مركز الرؤية باعتبارها مهبط الوحي؛ بالتواصل مع المراكز العالمية لرصد الهلال.

وقد يعتقد البعض ان الصيام يضعف من إمداد الخلايا الحية بحاجتها من الطاقة وبذلك تقل إنتاجية الصائم، ولكن المعطيات العلمية الحديثة تؤكد أن ذلك التصور مجرد وهم، فقد تبين ترافق الصيام كما يحدث في شهر رمضان المبارك مع حصول تغيرات هرمونية في جسم الصائم تهدف إلى المحافظة على تزويد خلايا الجسم بحاجتها من الطاقة الحيوية اللازمة للقيام بالوظائف الحيوية والفسيولوجية المختلفة، ويعمل هورمون الأنسولين على خفض الزيادة في سكر الدم (الجلوكوز) عقب الطعام ويقل منسوبه بعد ساعات من تناول وجبة السحور مع استنفاذ كمية السكر الزائدة في الدم وميله نحو الانخفاض، ولكن يبدأ حينئذ هرمون الجلوكاجون بالارتفاع ليضمن المحافظة على منسوب سكر الدم ضمن مستوياته الطبيعية من خلال القيام بعمليات تحلل الجليكوجين المخزن في الكبد والعضلات، وبعد استنفاد الجسم لمخزونه من الجليكوجين يبدأ الجسم بأكسدة الأحماض الدهنية في الشحوم المتراكمة في الأنسجة الدهنية لإنتاج الطاقة بفعل هرموني الجلوكاجون والكورتيزون، وفي المرحلة الثالثة مع استمرار الصيام لفترة طويلة تزيد عن المقرر شرعا والامتناع عن تناول الغذاء لتعويض الطاقة المستهلكة في العمليات الحيوية يزداد اعتماد الجسم على أكسدة الأحماض الدهنية وإنتاج الأجسام الكيتونية كمصدر للطاقة فيؤدي ارتفاع منسوبها في الدم وتراكمها في الجسم إلى حصول تغيرات سلبية على صحة الجسم وحيويته؛ كما يلجأ الجسم إلى تحليل بروتينات العضلات للحصول على الأحماض الأمينية المنتجة للجلوكوز مما يضعف الجسم ويسبب له الوهن والهزال، ولكن تحديد فترة الصيام في رمضان بمدة النهار مع الأمر بتأخير السحور وتعجيل الفطور يمنع دخول الجسم في المرحلة الثالثة من إنتاج الطاقة مع وصال الصيام وتجاوز حده الشرعي في المدة، ويحول دون تطور الأعراض السلبية المتمثلة في زيادة تركيز الأجسام الكيتونية وزيادة حموضة الدم ويحول دون اللجوء لاستخدام العضلات كمصدر للأحماض الأمينية المنتجة للجلوكوز؛ مما يمنع حصول الهزال وضمور العضلات وضعف الجسم، ويعجب الإنسان كيف أن التشريع الإسلامي قائم على العلم بالفطرة السوية وخفايا طبيعة الجسم حيث يعنى بكل خير للمؤمنين ويدفع عنهم كل شر قبل أن يتبين لأحد الحقائق الخفية للتكوين، فقد أمر بالصيام وهو ينشط العمليات الحيوية الداخلية وينظف الجسم من المواد المضرة المتراكمة؛ قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وتحديد المدة يمنع ضرر وصال الصيام؛ قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّىَ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، وقد أكدت السنة النبوية النهي عن الوصال صراحة في قوله ﷺ: "إياكم والوصال" – قالها ثلاث مرات - قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله؟ قال: "إنكم لستم في ذلك مثلي؛ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون"، وحدد مدة وصال الصيام لمن أراد بحيث لا تتجاوز نهارا وليلة وهي المدة التي تبدأ بعدها عمليات التخريب في الجسم نتيجة للصيام الطويل كما في قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تواصلوا؛ فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السَّحَر"[٢١٧].

[٢١٧] أخرجه البخاري (١٩٦٣) و(١٩٦٧) من طريق ابن الهاد، بهذا الإسناد، وهو في مسند أحمد (١١٠٥٥)، وصحيح ابن حبان (٣٥٧٧).

وفي دراسة علمية بعنوان "التغيرات الحيوية والفسيولوجية خلال الصيام في شهر رمضان"؛ كان ملخصها أن: "أبرز الأسباب التي تجعل من الصيام خلال شهر رمضان وسيلة فعالة للمحافظة على صحة الجسم: (١) أنه يعمل على إراحة أجهزة الجسم المختلفة؛ وخاصة الجهاز العصبي والجهاز الهضمي بعد فترات عمل طويلة، مما يفضي إلى تقويتها وزيادة كفاءتها، وأنه يعمل على إعادة عمليات الأيض والاستقلاب وإرجاعها لمساراتها الطبيعية. (٢) أنه يعد وسيلة فاعلة لتقليل وزن الجسم دون إحداث أي أضرار على صحة الجسم مثل تكون الأجسام الكيتونية، وهو ما يحصل في حالات الصوم الشديد المتبع في علاج أمراض السمنة وبعض الأمراض المرتبطة بالتغذية. (٣) أن التغير في وزن الجسم بعد الصيام يعتمد على ظروف الصيام كدرجة حرارة الجو ومستوى الجهد البدني المبذول وكميات الطاقة المتناولة والمصروفة والسلوك المعيشي للصائم. (٤) أن التغير في وزن الجسم وفي مكونات الدم المختلفة يعتمد أساسا على كمية ونوعية الغذاء المتناول؛ وخاصة فيما يتعلق بالسكريات البسيطة والمعقدة والدهون. (٥) أنه وبالرغم من كل الممارسات الخاطئة الغذائية وغير الغذائية المتبعة خلال الصيام، مثل الإكثار من تناول الطعام والشراب وكثرة النوم وعدم تناول وجبة السحور والاكتفاء بوجبة واحدة، فإن للصيام آثارًا إيجابية كثيرًة على صحة الجسم. (٦) أن الصيام يعد وسيلة فاعلة للتخلص من العادات السلبية؛ التغذوية منها وغير التغذوية، مثل التدخين وتكرار تناول الطعام والشراب والإدمان على تناول المنبهات، ومن ثم التخلص من الكثير من الأمراض التي ترتبط بهذه العادات، ويمكننا أن نستنتج مما سبق أن الصيام أشبه ما يكون بدورة طبية مجانية يتلقاها المسلم كل عام؛ فيعمل على صيانة أجهزة الجسم وترميمها والمحافظة عليها، ويساعد على إعادة عمليات الأيض والتمثيل الغذائي إلى مساراتها الطبيعية، وما الصيام إلا دليل وآية من آيات الله عز وجل الدالة على وحدانيته وقدرته، ودليل على صدق نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم"[٢١٨].

[٢١٨] معز الإسلام عزت فارس؛ التغيرات الحيوية والفسيولوجية خلال الصيام في شهر رمضان، قسم التغذية بكلية الصيدلة والعلوم الطبية جامعة البترا؛ ٢٠٠٥.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} بمعنى فرض عليكم الصيام، والصيام من كل شيء الإمساك عنه، ومن قوله تعالى: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً} أي صمتاً؛ لأنه إمساك عن الكلام..، إلا أن الصيام في الشرع: إنما هو إمساك عن محظورات الصيام في زمانه، فجعل الصيام من أوكد عباداته وألزم فروضه؛ حتى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصَّومَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِندَ اللهِ مَن رِيحِ المِسْكِ)، وإنما اختص الصوم بأنه له؛ وإن كانت كل العبادات له، لأمرين بَايَنَ الصومُ بِهِمَا سائِرَ الْعِبَادَاتِ؛ (أحدهما): أن الصوم منع من مَلاَذِّ النفس وشهواتها؛ ما لا يمنع منه سائر العبادات، و(الثاني): أن الصوم سر بين العبد وربه لا يظهر إلا له؛ فلذلك صار مختصاً به، وما سواه من العبادات ظاهر ربما فعله تصنّعاً ورياء، فلهذا صار أخص بالصوم من غيره، ثم قال تعالى: {كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} وفيه ثلاثة أقاويل: (أحدها): أنهم النصارى؛ وهو قول الشعبي والربيع وأسباط، و(الثاني): أنهم أهل الكتاب؛ وهو قول مجاهد، و(الثالث): أنهم جميع الناس، وهو قول قتادة، واختلفوا في موضع التشبيه بين صومنا وصوم الذين من قبلنا على قولين: (أحدهما): أن التشبيه في حكم الصوم وصفته لا في عدده؛ لأن اليهود يصومون من العتمة إلى العتمة ولا يأكلون بعد النوم شيئاً، وكان المسلمون على ذلك في أول الإسلام لا يأكلون بعد النوم شيئاً.. فأحل الله تعالى لهم الأكل والشرب؛ وهذا قول الربيع بن أنس، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بَيْنَ صَومِنَا وَصَومِ أهلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ)، و(القول الثاني): أن التشبيه في عدد الصوم..، وفي قوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.. معناه أن الصوم سبب يؤول بصاحبه إلى تقوى الله لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوة وإذهاب الشره؛ وهو معنى قول الزجاج، قوله عز وجل: {أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ} فيها قولان: (أحدهما): أنها أيام شهر رمضان التي أبانها من بعد؛ وهو قول ابن أبي ليلى وجمهور المفسرين، و(الثاني): أنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر؛ كانت مفروضة قبل صيام شهر رمضان ثم نسخت به؛ وهو قول ابن عباس وقتادة وعطاء، وهي الأيام البيض من كل شهر..، قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ} يعني مريضاً لا يقدر مع مرضه على الصيام، أو على سفر يشق عليه في سفره الصيام، {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} فيه قولان: (أحدهما): أنه مع وجود السفر يلزمه القضاء سواء صام في سفره أو أفطر؛ وهذا قول داود الظاهري، و(الثاني): أن في الكلام محذوفاً؛ وتقديره: فأفطر فعدة من أيام أخر؛ ولو صام في مرضه وسفره لم يعد لكون الفطر بهما رُخْصَة لا حتماً؛ وهذا قول الشافعي ومالك وأبي حنيفة وجمهور الفقهاء، ثم قال تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}؛ هكذا قرأ أكثر القراء، وقرأ ابن عباس ومجاهد: {وَعَلَى الَّذِينَ لاَ يَطِيقُونَهُ فدية}؛ وتأويلها: وعلى الذين يكلفونه فلا يقدرون على صيامه لعجزهم عنه؛ كالشيخ والشيخة والحامل والمرضع، فدية طعام مسكين ولا قضاء عليهم لعجزهم عنه، وعلى القراءة المشهورة فيها تأويلان: (أحدهما): أنها وردت في أول الإسلام؛ خيّر الله تعالى بها المطيقين للصيام من الناس كلهم بين أن يصوموا ولا يكفروا، وبين أن يفطروا ويكفروا كل يوم بإطعام مسكين؛ ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}، وقيل بل نسخ بقوله: {وَأَنْ تَصُومُوا خَيرٌ لَّكُم}؛ وهذا قول ابن عمر وعكرمة والشعبي والزهري وعلقمة والضحاك، و(الثاني): أن حكمها ثابت وأن معنى قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ}؛ أي كانوا يطيقونه في حال شبابهم، وإذا كبروا عجزوا عن الصوم لكبرهم، أن يفطروا؛ وهذا (قول) سعيد بن المسيب والسدي، ثم قال تعالى: {فَمَنْ تَطَوَّعَ خيراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ}؛ فيه تأويلان: (أحدهما): فمن تطوع بأن زاد على مسكين واحد فهو خير له؛ وهذا قول ابن عباس ومجاهد وطاووس والسدي، و(الثاني): فمن تطوع بأن صام مع الفدية فهو خير له؛ وهذا قول الزهري ورواية ابن جريج عن مجاهد، ثم قال تعالى: {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُم}؛ يحتمل تأويلين: (أحدهما): أن الصوم في السفر خير من الفطر فيه والقضاء بعده، و(الثاني): أن الصوم لمطيقه خير وأفضل ثواباً من التكفير لمن أفطر بالعجز، {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}؛ يحتمل وجهين: (أحدهما): إن كنتم تعلمون ما شَرَّعْتُه فيكم وَبَيَّنْتُه من دينكم، و(الثاني): إن كنتم تعلمون فضل أعمالكم وثواب أفعالكم..، قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ} أما الشهر فمأخوذ من الشهرة؛ ومنه قيل قد شهر فلان سيفه إذا أخرجه، وأما رمضان فإن بعض أهل اللغة يزعم أنه سمي بذلك لشدة ما كان يوجد فيه من الحر (رمض اشتد حره)..، و(الثاني): أنه بمعنى أنزل القرآن في فرض صيامه؛ وهو قول مجاهد، قوله تعالى: {هُدًى لِلنَّاسِ} يعني رشاداً..، {وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} أي بينات من الحلال والحرام وفرقان بين الحق والباطل"[٢١٩].

---

[٢١٩] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١\ ٢٣٥).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Dietetics

أغذية

المَوْضُوع Subject

Fasting

الصيام

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٧الأعراف:٣١.
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ ٩٧القدر:١-٥.
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٤٤الدخان:٣-٦.
- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٤النساء:٢٦.
- ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١و٢.
- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ١٣الرعد:٢٨.
- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٧الإسراء:٨٢.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠يونس:٥.
- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ١٧الإسراء:١٢.
- ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ٣آل عمران:١٨٦.
- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ٤النساء:١٣١.
- ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٥المائدة:٥.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٥المائدة:٥٧.
- ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ١٩مريم:٢٦.
- ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ

إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٢البقرة:١٩٦.

- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٤النساء:٩٢.
- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٥المائدة:٨٩.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ٥المائدة:٩٥.
- ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٥٨المجادلة:٣و٤.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ. أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ٢البقرة:١٨٣-١٨٧.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾
٢البقرة:٢٢٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ. نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢البقرة:٢٢٢و٢٢٣.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿الْمَحِيضِ﴾، ﴿أَذًى﴾، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

They ask you about menstruation: say; It is harmful; so keep away from (menstruation site of) **women during menstruation, and do not approach them until they are clean.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

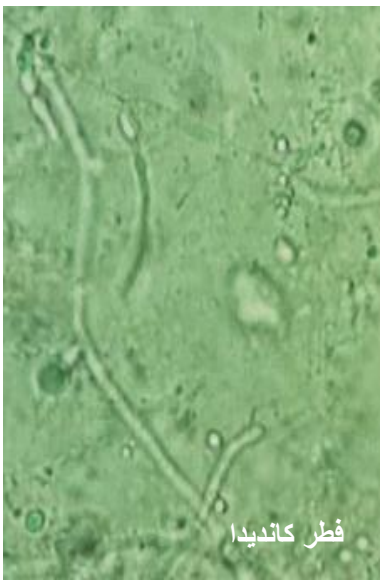

الطفيل المشعر وفطر كانديدا وأصناف من البكتريا يمكن أن تسبب التهاب مهبلي عند زيادة معدل تكاثرها.

لا فائدة تُرجى من رمي البذور في تربة لم يتم حرثها بعد؛ وبالمثل لا فائدة تُرجى من وقاع في فترة الحيض، بل الضرر قائم بكائنات دقيقة مُتَرَبِّصَة قد تُدفع للداخل؛ خاصة لفقد حموضة المهبل التي تحمي المجاري التناسلية منها، والدم والأنسجة المتهتكة بيئة خصبة لنمو العديد من الكائنات الدقيقة التي يُمكن أن تسبب التهابات للزوجة، وأهمها: الطفيل المشعر Trichomonas وفطر كانديدا Candida والبكتيريا Bacteria، وكائنات أخرى يُمكن أن تُصيب الزوج.

وقد تكون الحالة النفسية للزوجة غير مواتية؛ فينبغي مراعاة ظرفها لما قد يصيبها قبل الطمث من ألم وتوتر، وتعرف تلك الحالة بالمتلازمة السابقة للحيض Pre-menstrual Syndrome؛ وهي مجموعة من الأعراض النفسية والعاطفية والسلوكية والجسدية وتغيرات في المزاج مرتبطة بالحيض قد ترجع إلى التغيرات الهرمونية في تلك الفترة، وتبدأ قبل أيام من بدء الحيض عند بعض النساء؛ وقد تختفي مع بدء الحيض أو تستمر معه، وتتحسن الحالة المزاجية بعده، وتختلف الأعراض بين سيدة وأخرى، فقد تشتد عند البعض وتصبح حادة؛ بينما لا تكاد تُذكر عند البعض الآخر.

وبلطف يَرِد النهي عن وقاع غير مثمر وغير صحي: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾، إذن علة النهي هي الطهارة والحفاظ على الصحة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾، ومراعاة نفسية الزوجة علة إضافية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وتقتصر الإباحة على أي وقت طول مرحلة الطُهر وفقًا للفطرة السوية: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

والنص على الأذى في حالة المحيض يعني توفر أسباب الضرر للزوجين، فالرحم يكون في تلك الحالة متقرحاً لفقده بطانته الحامية فتقل مقاومة الرحم للميكروبات ويكون معرضا للإصابة بالالتهابات؛ خاصة مع المعلوم طبياً الآن من أن الدم والأنسجة المتهتكة هما أنسب البيئات لتكاثر الميكروبات، وأن مقاومة المهبل خلال فترة الحيض تكون في أدنى مستوى؛ حيث تقل درجة الحموضة الفعالة في مقاومة الميكروبات وتقل سماكة جدار المهبل، وقد يمتد الالتهاب إلى أعضاء حيوية كالكلية عبر مجرى البول، وقد تسبق الحيض حالة طبية تسمى العرض قبل المحيض Pre-menstrual syndrome؛ قد تكون الزوجة فيه أقل كفاءة في أداء عملها نتيجة للألم المصاحب لانقباض الرحم، وقد تشعر بصداع وفتور وتكون أقرب للاكتئاب أو الانفعال، وقد تميل إلى السهو والنسيان، وتجنب التزاوج فترة المحيض فطرة في الثدييات غير العاقلة؛ وهو توجيه يترقى بالإنسان ويقيه عواقب أيدتها العلوم الحديثة.

وعملية الحيض إذن مقدمة للحمل ولا يكون الوقاع مثمرا خلاله؛ وبالفعل يقع التبويض منتصف الدورات، ويعادل الخليط حموضة المهبل فتقل كفاءته في قتل الميكروبات، وتقل فاعلية المجاري التناسلية عن مقاومة البكتريا وتكون معرضة أكثر للالتهاب، والنتيجة تكوين وسط مناسب لتكاثر البكتريا، وقد تنتقل البكتريا إلى أعلى المجاري التناسلية في كل من الزوجين فتسبب أضرارا قد يكون أثرها مستديما، وقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُو أَذًى)؛ صريح في بيان إمكان الضرر، وإطلاق لفظ الأذى يجعله يعم الجنسين، وفي كل ما تكون عواقبه وخيمة صحيا واجتماعيا يدعو القرآن الكريم لتجنبه فيوافق المبدأ الطبي القائل: (الوقاية خير من العلاج)، وكالعادة في النظم التلطف في التوجيه في المسائل التي قد تجرح الحياء: (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ)، فمنع الاقتراب إذن من الزوجات مخصص بموضع الأذى وليس بإطلاق لكونه علة المنع بصريح التعبير، وما كان أحد يعلم زمن النبوة أن المحيض تصاحبه تأثيرات عضوية ونفسية تتطلب التلطف والتماس العذر المتضمن في تعبير (فَاعْتَزِلُوا)؛ أو يدرك أن الأنسجة المتهتكة والدماء هي بيئة للتعفن وأنسب لتكاثر البكتريا فيتجنب عواقبه بالتعبير: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ)!.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال محمد رشيد رضا: "وَالْمَحِيضُ هُوَ الْحَيْضُ الْمَعْرُوفُ: وَهُوَ الدَّمُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الرَّحِمِ.. فِي زَمَنٍ مَعْلُومٍ لِوَظِيفَةٍ حَيَوِيَّةٍ صِحِّيَّةٍ تُعِدُّ الرَّحِمَ لِلْحَمْلِ بَعْدَهُ إِذَا حَصَلَ التَّلْقِيحُ الْمَقْصُودُ مِنَ الزَّوْجِيَّةِ لِبَقَاءِ النَّوْعِ..، ﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ قَدَّمَ الْعِلَّةَ عَلَى الْحُكْمِ وَرَتَّبَهُ عَلَيْهَا لِيُؤْخَذَ بِالْقَبُولِ مِنَ الْمُتَسَاهِلِينَ الَّذِينَ يَرَوْنَ الْحَجْرَ عَلَيْهِمْ تَحَكُّمًا؛ وَيُعْلَمَ أَنَّهُ حُكْمٌ لِلْمَصْلَحَةِ لَا لِلتَّعَبُّدِ كَمَا عَلَيْهِ الْيَهُودُ، وَالْمُرَادُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْقُرْبِ النَّهْيُ عَنْ لَازِمِهِ الَّذِي يُقْصَدُ مِنْهُ وَهُوَ الْوِقَاعُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ تَرْكُ غِشْيَانِ نِسَائِهِمْ زَمَنَ الْمَحِيضِ؛ لِأَنَّ غِشْيَانَهُنَّ سَبَبٌ لِلْأَذَى وَالضَّرَرِ، وَإِذَا سَلِمَ الرَّجُلُ مِنْ هَذَا الْأَذَى فَلَا تَكَادُ تَسْلَمُ مِنْهُ الْمَرْأَةُ..، عَلَى أَنَّ أَخْذَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَهُوَ الضَّرَرُ مُقَرَّرٌ فِي الطِّبِّ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْعُدُولِ عَنْهُ..، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ الطُّهْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ انْقِطَاعُ دَمِ الْحَيْضِ وَهُوَ مَا لَا يَكُونُ بِفِعْلِ النِّسَاءِ، وَأَمَّا التَّطَهُّرُ فَهُوَ مِنْ عَمَلِهِنَّ وَهُوَ يَكُونُ عَقِبَ الطُّهْرِ..، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ الْأَمْرُ التَّكْوِينِيُّ؛ أَيْ: فَأْتُوهُنَّ مِنَ الْمَأْتَى الَّذِي بَرَأَ اللهُ تَعَالَى الْفِطْرَةَ عَلَى الْمَيْلِ إِلَيْهِ وَمَضَتْ سُنَّتُهُ بِحِفْظِ النَّوْعِ بِهِ وَهُوَ مَوْضِعُ النَّسْلِ"[٢٢٠].

وقال ابن عاشور: "الْأَذَى: الضُّرُّ الَّذِي لَيْسَ بِفَاحِشٍ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الِاسْتِثْنَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ ٣آل عمران:١١١..، وَقَدْ أَثْبَتَ أَنَّهُ أَذًى مُنَكَّرٌ.. فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْأَذَى.. لِلرَّجُلِ وَلِلْمَرْأَةِ..، فَرُبَّمَا.. اسْتَحَالَ إِلَى عُفُونَةٍ تُحْدِثُ أَمْرَاضًا مُعْضِلَةً..، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ تَفْرِيعُ الْحُكْمِ عَلَى الْعِلَّةِ..، وَهُوَ هُنَا كِنَايَةٌ عَنْ تَرْكِ مُجَامَعَتِهِنَّ..، وَالتَّقْدِيرُ: فِي زَمَنِ الْمَحِيضِ..، وَالْحَرْثُ مَصْدَرُ حَرَثَ الْأَرْضَ إِذَا شَقَّهَا بِآلَةٍ تَشُقُّ التُّرَابَ لِيُزْرَعَ فِي شُقُوقِهِ زَرِيعَةٌ أَوْ تُغْرَسَ أَشْجَارٌ..، وَالْحَرْثُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُرَادٌ بِهِ الْمَحْرُوثُ بِقَرِينَةِ كَوْنِهِ مَفْعُولًا لِفِعْلِ ﴿فَأْتُوا﴾..، وَتَشْبِيهُ النِّسَاءِ بِالْحَرْثِ تَشْبِيهٌ لَطِيفٌ..، وَقَدْ أُضِيفَ (أَنَّى) فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى جُمْلَةِ (شِئْتُمْ)..؛ فَالَّذِي يَتَبَادَرُ مِنْ مَوْقِعِ الْآيَةِ وَتُسَاعِدُ عَلَيْهِ مَعَانِي أَلْفَاظِهَا أَنَّهَا تَذْيِيلٌ وَارِدٌ بَعْدَ النَّهْيِ عَنْ قِرْبَانِ النِّسَاءِ فِي حَالِ الْحَيْضِ؛ فَتُحْمَلُ (أَنَّى) عَلَى مَعْنَى مَتَى وَيَكُونُ الْمَعْنَى فَأْتُوا نِسَاءَكُمْ مَتَى شِئْتُمْ إِذَا تَطَهَّرْنَ..، وَلَا مُنَاسَبَةَ تَبْعَثُ لِصَرْفِ الْآيَةِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى"[٢٢١].

وقال المراغي: "والخلاصة إنه يجب ترك غشيان النساء مدة الحيض لأنه سبب للأذى والضرر، وقد أثبت ذلك الطب الحديث، فقالوا إن الوقاع في زمن الحيض.. ربما أحدث التهابات..، (و) قد يحدث العقم في الذكر أو في الأنثى.. وكفى بهذا ضررًا، ومن ثمّ أجمع الأطباء المحدثون في بقاع المعمورة على وجوب الابتعاد عن المرأة في هذه المدة كما نطق بذلك القرآن الكريم..، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي فإذا اغتسلن من دم الحيض فأتوهن من المأتي الذي جبلت النفوس على الميل إليه ومضت سنة الله بحفظ النوع به؛ وهو موضع النسل..، ﴿نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي لا حرج عليكم في إتيان نسائكم بأى كيفية شئتم ما دمتم تقصدون الاستيلاد في الموضع الطبيعي..، وقد جاءت هذه الآية عقب سابقتها، كالبيان لها شارحة وجه الحكمة التي لأجلها شرع غشيان النساء، وهو حفظ بقاء النوع البشرى بالاستيلاد؛ كما يحفظ النبات بالزرع والحرث..، ومن ثمّ لا يحل لكم أن تأتوا النساء في زمن الحيض حيث لا استعداد لقبول الزرع..، ثم أوعد من يخالفون أمره فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾"[٢٢٢].

---

[٢٢٠] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٢ ٢٨٥).

[٢٢١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢ ٣٦٤).

[٢٢٢] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢ ١٥٧).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Menstruation

الحيض

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٣٤،**
- **﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ١٣الرعد:٨،**

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾
٢البقرة:٢٢٣.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ. نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢البقرة:٢٢٢و٢٢٣.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾، ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Your wives are a tilth-like for you (to cultivate your seeds-like offspring in their wombs)**. So approach your tilth as you will** (in the normal way beyond menstruation time for offspring goal)**, and prepare yourselves** (by dalliance to come to orgasm and satisfaction of you and your wives)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

الحيض أو الطمث Menstruation عملية دورية تتجدد فيها البطانة الداخلية للرحم؛ بالتخلص من البطانة القديمة لتخرج في العادة الشهرية للنساء مصحوبة ببعض الدماء وتحل محلها بطانة جديدة استعدادا لزرع جنين جديد، وتجديد السطح الداخلي للرحم إذن أشبه ما يكون بتجديد سطح تربة الحقل خلال عملية الحرث استعدادًا لبذر البذور.

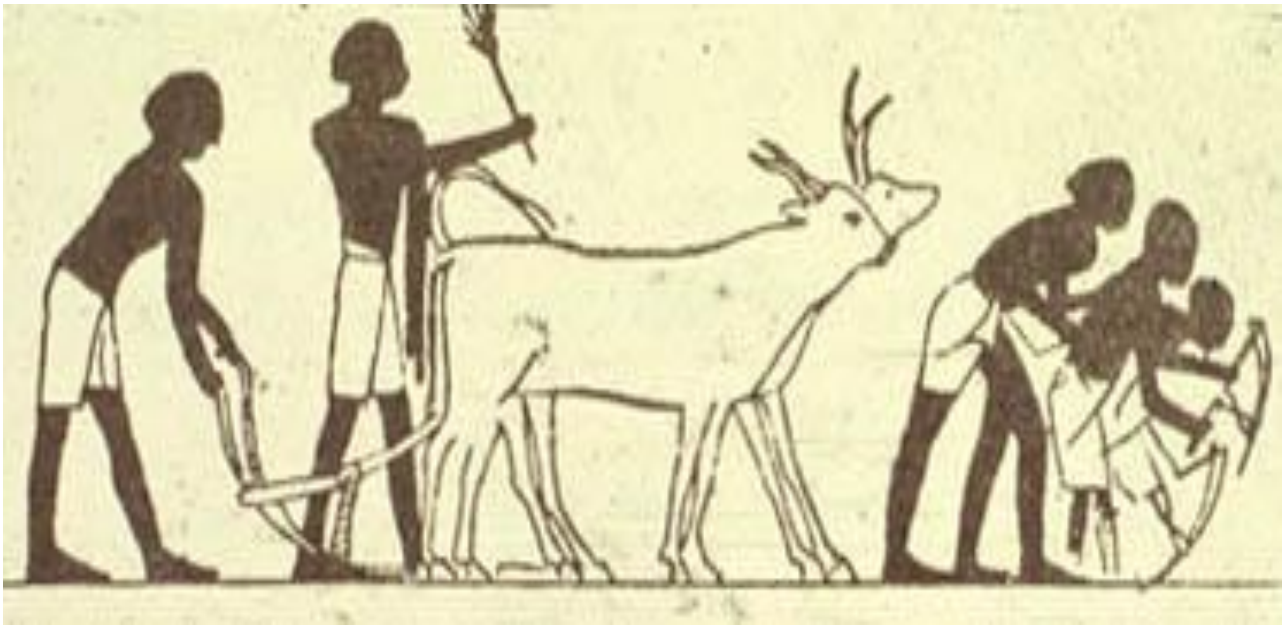

From an Ancient Egyptian Tomb (at Beni-Hasan dated 1920 B.C.).

والحرث Plowing عملية لازمت النشاط الزراعي للإنسان منذ استقراره حول الأنهار قديمًا ونشأة الحضارات، وتكشف النقوش الأثرية التي تركها المصريون القدماء استخدام الفأس يدويا؛ أو محراث خشبي تجره بقرتان للحرث، أما المعرفة بآلية الحيض بتجديد السطح الداخلي للرحم دوريا استجابة لمنظومة هرمونية فهي من نتاج العلوم الحديثة، ولذا فإن تشبيه مجهول وهو آلية الحيض بمعلوم وهو آلية الحرث هو بلا شك مأثرة عظيمة: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾!.

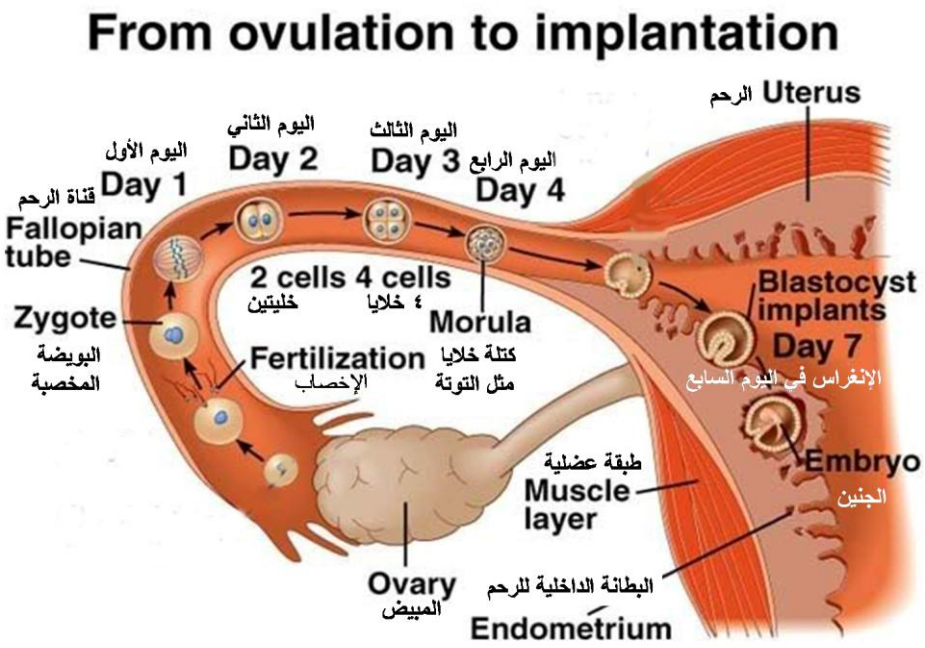

وعندما تكون الدورة الشهرية مُثمرة يحدث إخصاب البويضة في الثلث الخارجي لإحدى قناتي الرحم؛ ثم تَدفع الأهداب البويضة المُخَصَّبَة Fertilized Ovum باتجاه تجويف الرحم، وخلال ذلك تنقسم حتى تصبح بهيئة توته، ثم يظهر بداخلها تجويف فتسمى بالكيسة الأرومية Blastocyst؛ وهي التي تنغرس بعد حوالي أسبوع من الإخصاب.

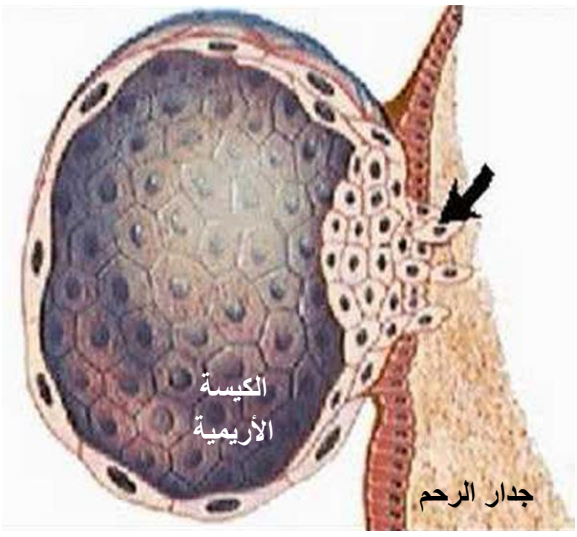

وفي عملية حرث الحقل تُقَلَّب التربة وتُنفش؛ وتُزَال الطبقة السطحية وتُسْتَبْدَل بتربة جديدة تهيئةً لغرس النبات، وبالمثل تُزَال الطبقة السطحية الداخلية للرحم في عملية الحيض تهيئةً لغرس البذرة الإنسانية؛ فالتشبيه إذن يتضمن الدلالة على أن غرس البرعم الإنساني النامي Blastocyst Implantation أشبه بغرس نامية بذرة في تربة الحقل.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن عاشور: "وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ تَفْرِيعُ الْحُكْمِ عَلَى الْعِلَّةِ..، وَهُوَ هُنَا كِنَايَةٌ عَنْ تَرْكِ مُجَامَعَتِهِنَّ..، وَالتَّقْدِيرُ: فِي زَمَنِ الْمَحِيضِ..، وَالْحَرْثُ مَصْدَرُ حَرَثَ الْأَرْضَ إِذَا شَقَّهَا بِآلَةٍ تَشُقُّ التُّرَابَ لِيُزْرَعَ فِي شُقُوقِهِ زَرِيعَةٌ أَوْ تُغْرَسَ أَشْجَارٌ..، وَالْحَرْثُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُرَادٌ بِهِ الْمَحْرُوثُ بِقَرِينَةِ كَوْنِهِ مَفْعُولًا لِفِعْلِ ﴿فَأْتُوا﴾..، وَتَشْبِيهُ النِّسَاءِ بِالْحَرْثِ تَشْبِيهٌ لَطِيفٌ..، وَقَدْ أُضِيفَ (أَنَّى) فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى جُمْلَةِ (شِئْتُمْ)..؛ فَالَّذِي يَتَبَادَرُ مِنْ مَوْقِعِ الْآيَةِ وَتُسَاعِدُ عَلَيْهِ مَعَانِي أَلْفَاظِهَا أَنَّهَا تَذْيِيلٌ وَارِدٌ بَعْدَ النَّهْيِ عَنْ قِرْبَانِ النِّسَاءِ فِي حَالِ الْحَيْضِ؛ فَتُحْمَلُ (أَنَّى) عَلَى مَعْنَى مَتَى وَيَكُونُ الْمَعْنَى فَأْتُوا نِسَاءَكُمْ مَتَى شِئْتُمْ إِذَا تَطَهَّرْنَ..، وَلَا مُنَاسَبَةَ تَبْعَثُ لِصَرْفِ الْآيَةِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى"[٢٢٣].

وقال محمد رشيد رضا: "الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ الْأَمْرُ التَّكْوِينِيُّ؛ أَيْ: فَأْتُوهُنَّ مِنَ الْمَأْتَى الَّذِي بَرَأَ اللهُ تَعَالَى الْفِطْرَةَ عَلَى الْمَيْلِ إِلَيْهِ وَمَضَتْ سُنَّتُهُ بِحِفْظِ النَّوْعِ بِهِ وَهُوَ مَوْضِعُ النَّسْلِ"[٢٢٤].

وقال المراغي: "﴿فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي فإذا اغتسلن من دم الحيض فأتوهن من المأتي الذي جبلت النفوس على الميل إليه ومضت سنة الله بحفظ النوع به؛ وهو موضع النسل..، ﴿نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي لا حرج عليكم في إتيان نسائكم بأى كيفية شئتم ما دمتم تقصدون الاستيلاد في الموضع الطبيعي..، وقد جاءت هذه الآية عقب سابقتها، كالبيان لها شارحة وجه الحكمة التي لأجلها شرع غشيان النساء، وهو حفظ بقاء النوع البشرى بالاستيلاد؛ كما يحفظ النبات بالزرع والحرث..، ومن ثمّ لا يحل لكم أن تأتوا النساء في زمن الحيض حيث لا استعداد لقبول الزرع..، ثم أوعد من يخالفون أمره فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾"[٢٢٥].

---

[٢٢٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢ ٣٦٤).

[٢٢٤] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٢ ٢٨٥).

[٢٢٥] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢ ١٥٧).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Menstruation

الحيض

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٣٤،**
- **﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ١٣الرعد:٨،**

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ٢البقرة:٢٢٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٢٦-٢٢٨.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾، ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And the divorced women shall look to themselves for three menstrual periods; and it is not lawful for them to conceal what Allah has created in their wombs; if they believe in Allah and the Last Day.

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

بقي الاعتقاد منذ أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) ولعدة قرون بفكرة التولد الذاتي للجنين من دم الحيض؛ بناء على توهم تولد العفن من غير سبب، وبعد اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر أعلن هارفي عام ١٦٥١ أن الأجنة إفرازات من الرحم لعدم تمكنه من رؤية المراحل الأولى لتكونها، ولكن اكتشاف جراف عام ١٦٧٢م لحويصلات في مبايض الأرانب؛ والتي سميت باسمه من بعد حويصلات جراف، بدت شبيهة لأجنة حديثة فجعلته يستبعد علاقتها بالرحم؛ ويعلن علاقتها بالمبيض الذي سماه خصية المرأة، وفي عام ١٨٦٤ اكتشف لويس باستير أن العفن سببه كائنات مجهرية دقيقة مُيزت فصائلها بأسماء متنوعة مما أدى إلى القضاء نهائيا على وهم التولد الذاتي للكائنات الحية، وهكذا أخذت المعرفة البشرية تتطور شيئاً فشيئاً حتى عُرف الكثير عن آلية الإنجاب، وعرفت علاقة دورة الحيض بدورة التبويض، وتأكد وقوع الإخصاب في منتصف الدورات، ولم يكن أحد يعلم زمن التنزيل شيئاً عن آلية التبويض والإنجاب؛ بل اعتبرت إمكانية الحمل قائمة فترة الحيض وإذا تم اجتنابها فهو للتوهم بأفضلية الابن ثمرة الطهر، ولم يكن أحد يعلم زمن الإخصاب ولا يدرك أن ظهور الحمل أسفل بطن الحامل موعده بعد ثلاث دورات، وأن الحركة الإرادية للجنين تبدأ بعد أربعة أشهر من إخصاب البويضة.

وفي تشريع في القرآن الكريم يتعلق بالحمل ويُغرض إلى التيقن من براءة الرحم قبل أن تتزوج المرأة بزوج آخر ويؤرخ لها بمواعيد محددة؛ يتبين أن تلك المواعيد تتفق تماما مع المواعيد الطبية لظهور علامات الحمل، ويوزع المواعيد بما يتناسب مع الحالة الاجتماعية، ففي حالة الطلاق يكتفي بمرور ثلاث دورات حيض اعتيادية؛ كأقل وقت تتحقق فيه براءة الرحم من الحمل؛ لإعطاء فرصة للمرأة أن يصونها زوج آخر، ومع توقف الحيض يتضح تضخم البطن بالفعل بعد مضي ثلاثة مواعيد حيض؛ أي ١٢ أسبوعًا أو ثلاثة أشهر، ومع توقف الحيض وتضخم البطن كعلامتين حين الحمل في حالة وفاة الزوج؛ العلامة الفارقة هي حركة الجنين حيث الاحتياط مطلوب حفاظا على الأنساب، والجنين يتحرك إراديا بالفعل في نفس الفترة المؤقتة؛ وهي أربعة أشهر وعشرة أيام منذ نهاية آخر حيض.

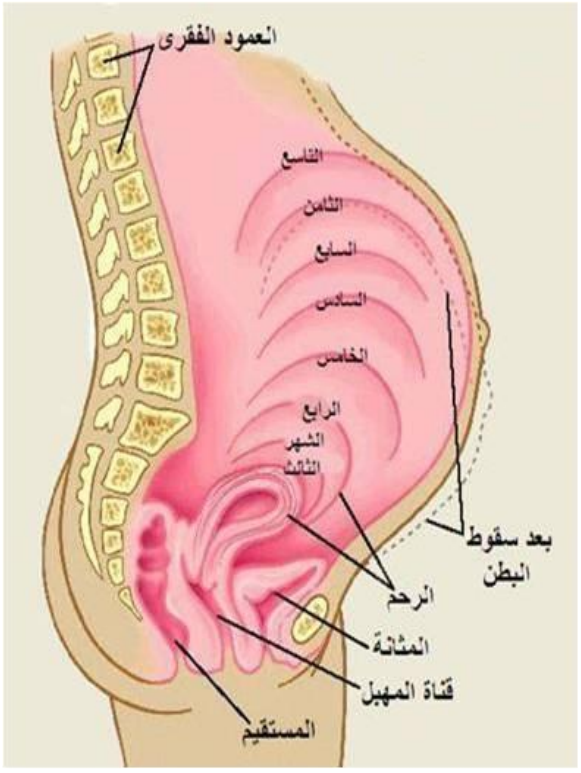

(١) حالة المطلقات ذوات دورات الحيض المنتظمة المعتادة؛ وقد ورد التعبير عنها بلفظ القروء: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ ٢البقرة:٢٢٨، والتربص يعني الترقب لموعد ظهور علامة على وقوع الحمل: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾، ومع انقطاع الحيض والعلامات الثانوية يتأكد الحمل بنمو الرحم وبروز البطن بعد ثلاث دورات عملاً بغالب طول الدورة؛ ووفق علم النساء متوسط دورة الحيض إحصائيا: ٢٨ يومًا؛ أي أربعة (٣-٥) أسابيع، وتطابق مدة القرء مع مدة الإحصاء يعني المعرفة بغالب أحوال النساء!.

و"القرء" في اللغة معناه دورة Cycle تبدأ بعلامة في موعد أو وقت معتاد تردده، ويخصصها سياق الآية بدورة الحيض في غالب النساء، قال ابن عطية: "القرء في اللغة الوقت المعتاد تردده (أي في دورة)، وقرء النجم وقت طلوعه؛ وكذلك وقت أفوله، وقرء الريح وقت هبوبها..، فالحيض على هذا يسمى قرءًا..؛ وكذلك.. يسمى الطهر قرءًا لأنه وقت معتاد تردده يعقب الحيض"[٢٢٦].

[٢٢٦] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤٢٢هـ (١\ ٣٠٤).

وقال الراغب: "قرأت المرأة: رأت الدم؛ وأقرأت: حاضت وصارت ذات قرء، والقرء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر، ولما كان اسماً للأمرين الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كل واحد منهما؛ لأن عادة العرب أن كل اسم موضوع لمعنيين معاً يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد، و(لكن) ليس هو اسماً للطهر مجرداً؛ بدلالة أن الطاهر التي لم تر الدم لا يقال لها ذات قرء، وكذا الحائض التي استمر بها الدم والنفساء لا يقال لهما ذلك، فقوله: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}، أي ثلاثة دخول من الطهر في الحيض (أي دورات)، وليس حقيقة هذا إلا ما قاله الشافعي.. في أنها إذا رأت الدم ثلاث مرات فقد انقضت عدتها، وجعل غيره حصول ثلاثة أطهار تتعقبها ثلاث حيض، (وعلى كل تقدير) صار القرء مستعاراً للوقت المنتظر.. كانتظار ذات الحيض للحيض"[٢٢٧].

وقال ابن عاشور: "وَالْقُرُوءُ جَمْعُ قَرْءٍ..، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنَّهُ مَوْضُوعٌ لِلِانْتِقَالِ مِنَ الطُّهْرِ إِلَى الْحَيْضِ؛ أَوْ مِنَ الْحَيْضِ إِلَى الطُّهْرِ، فَلِذَلِكَ إِذَا أُطْلِقَ عَلَى الطُّهْرِ أَوْ عَلَى الْحَيْضِ كَانَ إِطْلَاقًا عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْهِ؛ وَتَبِعَهُ الرَّاغِبُ..، وَكَوْنُ الطُّهْرِ الَّذِي طُلِّقَتْ فِيهِ هُوَ مَبْدَأَ الِاعْتِدَادِ هُوَ قَوْلُ جَمِيعِ الْفُقَهَاءِ مَا عَدَا ابْنَ شِهَابٍ؛ فَإِنَّهُ قَالَ: يُلْغَى الطُّهْرُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الطَّلَاقُ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ مِنَ الْقُرُوءِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ فُقَهَاءُ الْمَدِينَةِ وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْأَثَرِ أَنَّ الْقَرْءَ هُوَ الطُّهْرُ وَهَذَا قَوْلُ عَائِشَةَ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَابْنِ عُمَرَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ فِي أَوْضَحِ كَلَامَيْهِ وَابْنِ حَنْبَلٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ الطُّهْرُ الْوَاقِعُ بَيْنَ دَمَيْنِ، وَقَالَ عَلِيٌّ وَعُمَرُ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالثَّوْرِيُّ وَابْنُ أَبِي لَيْلَى وَجَمَاعَةٌ إِنَّهُ الْحَيْضُ، وَعَنِ الشَّافِعِيِّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ أَنَّهُ الطُّهْرُ الْمُنْتَقَلُ مِنْهُ إِلَى الْحَيْضِ"[٢٢٨]، "وَعُلِمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ} ٦٥الطلاق:١؛ أَنَّهُنَّ النِّسَاءُ الْمَدْخُولُ بِهِنَّ لِأَنَّ غَيْرَ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ لَا عِدَّةَ لَهُنَّ.. بِنَصِّ آيَةِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا} ٣٣الأحزاب:٤٩، وَهَذِهِ الْآيَةُ حُجَّةٌ لِمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَالْجُمْهُورِ؛ أَنَّ الْعِدَّةَ بِالْأَطْهَارِ لَا بِالْحَيْضِ، فَإِنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنْ يَكُونَ إِيقَاعُ الطَّلَاقِ عِنْدَ مَبْدَإِ الِاعْتِدَادِ، فَلَوْ كَانَ مَبْدَأُ الِاعْتِدَادِ هُوَ الْحَيْضُ لَكَانَتِ الْآيَةُ أَمَرًا بِإِيقَاعِ الطَّلَاقِ فِي الْحَيْضِ؛ وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ ذَلِكَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ لِحَدِيثِ عُمَرَ فِي قَضِيَّةِ طَلَاقِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ زَوْجَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى الْأَخْذِ بِهِ"[٢٢٩].

(٢) حالة فاقدات الحيض المُنتظم قبيل توقفه مع كبر السن وكذلك الصغيرات اللائي لم يحضن بانتظام بعد: {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} ٦٥الطلاق:٤، وقد ثبت طبيا أنه في نهاية فترة خصوبة المرأة يحدث اضطراب في الهرمونات المسئولة عن تنظيم دورات الحيض فتضطرب وتفقد الانتظام وتقع حالة من الارتياب في إمكان الإنجاب يلزمها الترقب، وعندما تبدأ الفتاة تجربة الحيض تكون منظومة الهرمونات غير منتظمة كذلك فيلزمها التيقن بالمثل، وإذا أدى ترقب موعد اتضاح علامات الحمل إلى تيقن وقوعه ببروز البطن مع انقطاع الحيض؛ فيلزم الانتظار حتى الوضع، وباعتبار المتوسط إحصائيا لدورة الحيض أربعة أسابيع؛ يكون موعد اتضاح بروز البطن ١٢ أسبوعًا أي ثلاثة أشهر، وبهذا تتأكد المعرفة بالغالب في أحوال النساء؛ مع المعرفة العلمية الحديثة بموعد اتضاح الحمل القائم على الإحصاء!.

(٣) حالة الإيلاء وهو القسم على عدم مقاربة الزوجة لغضب عارض يتطلب إطالة مدة الانتظار على أمل زواله؛ وإلا انتهى النزاع إلى الطلاق: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ٢البقرة:٢٢٦و٢٢٧، وبين الإيلاء والعزم على الطلاق مُهلة تُضاف إلى مدة الأربعة أشهر لتكون في جانب الاحتياط تحقيقًا لغرض براءة الأرحام، وهي تكافئ طبيا عمر الجنين عند تحركه إراديًّا.

---

[٢٢٧] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١\ ٤٦٥).

[٢٢٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢\ ٣٩٠).

[٢٢٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٨\ ٢٩٧).

(٤) حالة وفاة الزوج: وفيها يتطلب الأمر الاحتياط بالأخذ بالأجل الأكبر للتيقن من براءة الرحم بترقب موعد حركة الجنين إراديًّا كأهم علامة للحمل؛ حفاظًا على الأنساب ومراعاةً لمشاعر فراق لم يصاحبه غالبًا نزاع: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ٢البقرة:٢٣٤، وذلك في مقابل الطلاق حيث يتطلب التعجل والأخذ بالأجل الأقل للتيقن من براءة الرحم تجنبًا لتقييد مطلقة شابة غالبًا في حالة نزاع لم يعد يُرجى إصلاحه؛ ووفق المعلومات العلمية الحديثة: متوسط فترة الحمل إحصائيًّا هو ٢٦٦ يومًا؛ أي ٣٨ أسبوعًا أو تسعة أشهر، وتتضح الحركة الإرادية للجنين Quickening حول اليوم: ١٢٠ من الحمل؛ أي بعد: ١٧ أسبوعًا أو أربعة أشهر، قال د. كيث مور Keith Moore: "يُتَوَقَّع الوضع بعد ١٤٧ (+أو- ١٥) يوماً منذ اتضاح حركة الجنين"[٢٣٠]، فالمدة قبل يوم اتضاح حركة الجنين: ٢٦٦ - ١٤٧ = ١١٩ يومًا، أي أن يوم اتضاح حركة الجنين حول ١٢٠ يوما؛ يعني أربعة أشهر.

دورة الحيض النموذجية

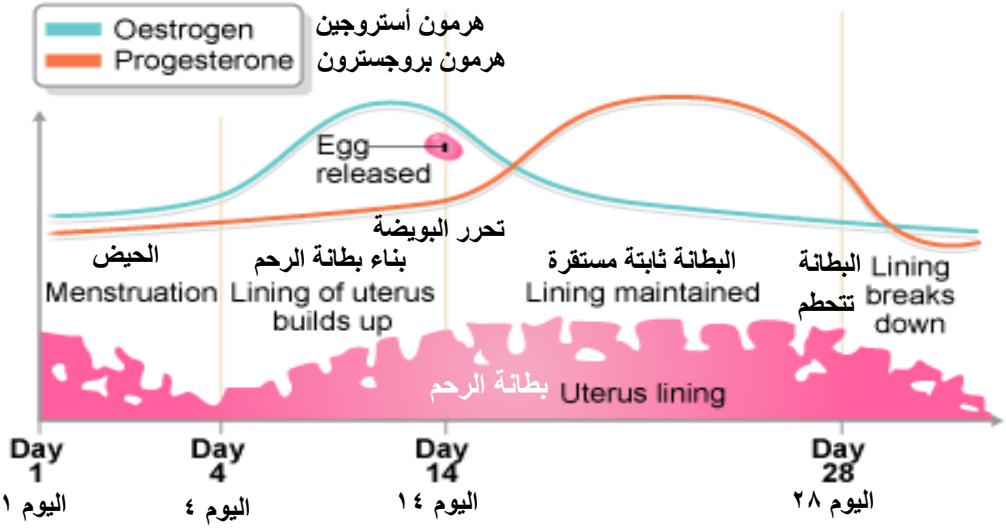

والثابت علميا أن العلاقة الزوجية أثناء الحيض غير مثمرة؛ مع إمكان وقوع الأذى وتعرض الزوجين للالتهابات، فظهرت حكمة النهي في الإسلام عن العلاقة الزوجية أثناء فترة الحيض: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ ٢البقرة:٢٢٢، ومتوسط دورة الحيض إحصائيا ٢٨ يومًا، والبويضة لا تعيش أكثر من يوم، وإخصابها لا يحدث إلا منتصف الدورة؛ أي أن بدء الحمل حول اليوم ١٤ من أول يوم حيض[٢٣١]، وحيث أن متوسط مدة الحيض: أربعة (٢-٦) أيام، وأن السماح بالعلاقة الزوجية في الإسلام يبدأ مع بداية الطهر؛ إذن التوقيت المناسب لبدء الحمل هو عشرة أيام منذ أول يوم في الطهر، ويكون موعد اتضاح حركة الجنين إراديًّا بعد آخر يوم في آخر حيض: أربعة أشهر وعشرة أيام، وتطابق الموعد علميًّا مع التشريع طبقًا لغالب أحوال النساء؛ يعني المعرفة حتمًا أن الحمل لا يقع إلا منتصف الدورات!.

---

[٢٣٠] The Developing Human, Keith L. Moore, Fourth ed.,1988, Saunders Comp., Toronto, P:9.

[٢٣١] د. وليام؛ علم الولادة، ١٩٩٤ (ص٤٩).

قال ابن عاشور: "جَعَلَ اللَّهُ عِدَّةَ الْوَفَاةِ مَنُوطَةً بِالْأَمَدِ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِي مِثْلِهِ الْجَنِينُ تَحَرُّكًا بَيِّنًا؛ مُحَافَظَةً عَلَى أَنْسَابِ الْأَمْوَاتِ.. جَعَلَ عِدَّةَ الطَّلَاقِ مَا (يكفي كي) يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَةِ الرَّحِمِ.. وَهُوَ الْأَقْرَاءُ..؛ لِأَنَّ الْمُطَلِّقَ يَعْلَمُ حَالَ مُطَلَّقَتِهِ.. وَمِنْ قُرْبَانِهِ إِيَّاهَا قَبْلَ الطَّلَاقِ..، (و) الْعُلُوقُ لَا يَخْفَى؛ فَلَوْ أَنَّهَا ادَّعَتْ عَلَيْهِ نَسَبًا وَهُوَ يُوقِنُ بِانْتِفَائِهِ كَانَ لَهُ فِي اللِّعَانِ مَنْدُوحَةٌ، أَمَّا الْمَيِّتُ فَلَا يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ فَجُعِلَتْ عِدَّتُهُ أَمَدًا مَقْطُوعًا بِانْتِفَاءِ الْحَمْلِ فِي مِثْلِهِ؛ وَهُوَ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرِ وَالْعَشَرَةُ (أيام)"[٢٣٢].

وقد شدد القرآن الكريم على التيقن من استكمال مدة العدة بالأمر الصريح: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ ٦٥الطلاق:١، وأتبع ذلك بما يكشف أن الإصلاح غرض أصيل في تشريع العدة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ ٦٥الطلاق:١، ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ ٦٥الطلاق:١، وكشف قصد المراجعة والإصلاح كذلك قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ ٢البقرة:٢٢٨، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ ٤النساء:٣٥، فأغراض التشريع إذن متعددة ليست مقصورة على براءة الرحم، والعلة الأولى للعدة في سن الإنجاب بعد المفارقة بالطلاق أو الوفاة؛ هي منع اختلاط الأنساب، لذا لا عدة بلا معاشرة، ومن المقاصد الإصلاح وحفظ الأسرة من الانهيار وضمان المأوى الصالح لتربية الأبناء، ولأن علل تشريع متعددة؛ فالمعرفة إذن بنفي الحمل بوسائل معملية حديثة لا يعني توقف العمل بالتشريع، قال ابن عاشور: "جُعِلَتْ عِدَّةُ الْمُطَلَّقَةِ الْحَامِلِ مَنْهَاةً بِوَضْعِ الْحَمْلِ لِأَنَّهُ لَا أَدَلَّ عَلَى بَرَاءَةِ الرَّحِمِ مِنْهُ، إِذِ الْغَرَضُ الْأَوَّلُ مِنَ الْعِدَّةِ تَحَقُّقُ بَرَاءَةِ الرَّحِمِ مِنْ وَلَدٍ لِلْمُطَلِّقِ أَوْ ظُهُورِ اشْتِغَالِ الرَّحِمِ بِجَنِينٍ لَهُ، وَضُمَّ إِلَى ذَلِكَ غَرَضٌ آخَرُ هُوَ تَرَقُّبُ نَدَمِ الْمُطَلِّقِ وَتَمْكِينُهُ مِنْ تَدَارُكِ أَمْرِهِ بِالْمُرَاجَعَةِ، فَلَمَّا حَصَلَ الْأَهَمُّ أُلْغِيَ مَا عَدَاهُ؛ رَعْيًا لِحَقِّ الْمَرْأَةِ فِي الِانْطِلَاقِ مِنْ حَرَجِ الِانْتِظَارِ"[٢٣٣].

ويستند تَرَقُّب حركة الجنين على العمر الجنيني؛ لا دورات الحيض المتباينة المدة، فناسبه تحديد العدة بمدة ثابتة، فالموعد إذن ثابت لا يختلف تبعًا لطول الدورات أو قصرها، وباعتبار مبدأ الاعتداد وفاة الزوج فلن تقل مدة الاعتداد عن مدة تشريع العدة وستكون الزيادة احتياط، وبانتهاء مدة الترقب تكون كل دلائل براءة الرحم قد اتضحت، أو كل العلامات الأساسية للحمل إذا وقع، وهي: الانقطاع المتكرر للحيض وبروز أسفل البطن والحركة الإرادية للجنين، بينما يستند ترقب بروز البطن على إحصاء موعد دورات الحيض؛ وهي تختلف من امرأة لأخرى ومن دورة لأخرى، لكن التشريع استبدلها عند توقف الحيض أو عدم انتظامه بمدة مماثلة تستند على إحصاء ثلاثة أشهر قمرية ثابتة المدة.

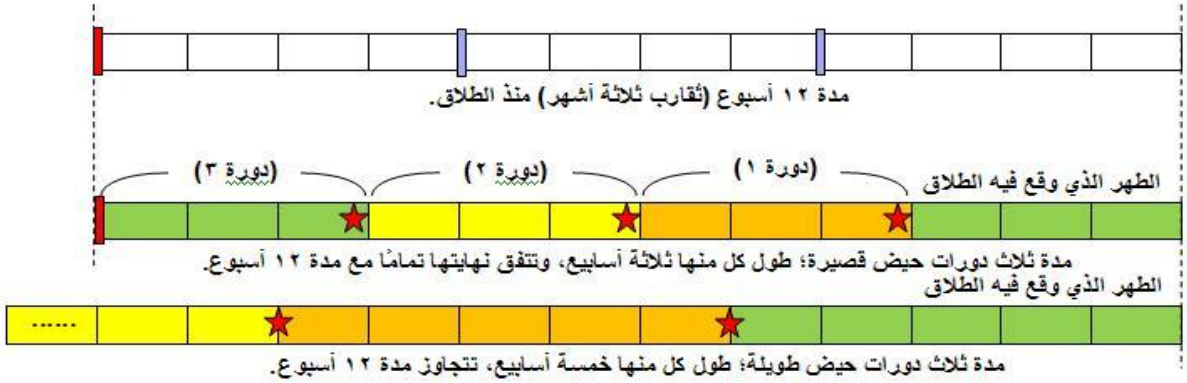

ولتحقيق مقصد براءة الرحم ببروز البطن؛ الأنسب ترجيح ما يكون في جانب الاحتياط، وبافتراض وقوع الطلاق في أول مدة طهر لا تُحتسب، ففي أطول دورة حيض (٥ أسابيع) يتجاوز موعد استكمال ٣ دورات مدة الثلاثة أشهر؛ فكان في جانب الاحتياط، وفي أقصر دورة (٣ أسابيع): يُطابق موعد نهاية ٣ دورات مدة الثلاثة أشهر، فتشريع العدة يكون على هذا قائم على المعرفة بكل حالات النساء؛ وصالح لتحقيق الغرض مهما اختلف طول الدورات!.

[٢٣٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢ ٤٤٢).
[٢٣٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٨ ٣٢٠).

ورغم التباين في اجتهادات الفقهاء فإن براءة الأرحام متحققة في كل الأحوال؛ لأن الحمل يعتبر بأدنى قرينة؛ ولذا قالوا: "الحد مبناه على الإسقاط؛ والعدة على الاحتياط"، أي تُدرء الحدود بالشبهات فلا يعاقب بريء؛ بينما يُعتبر الحمل بالشبهة فلا تختلط الأنساب، واعتبار أي من قرائن الحمل يمنع ذوات الدورات القصيرة من الإفلات، وخاصة مع تكرر انقطاع الحيض عند موعده، وكل اجتهاد يتجاوز مدة العدة فهو في جهة الاحتياط، ولن يحدث حمل وفق تقدير الله تعالى لوظيفة الإنجاب إلا بوقاع مثمر في منتصف الدورات، والفقهاء يحددون بداية الاعتداد منذ وقوع الفراق؛ أي الطلاق أو وفاة الزوج، فإذا تخلف الفرق عن يوم الوقاع المثمر ظهر الحمل قبل نهاية العدة ومدة التخلف احتياط، وإذا وافق الوقاع المثمر بدء الفراق؛ ظهر الحمل وتطابقت مواعيد علاماته مع مواعيد الاعتداد!.

إن تشريع العدة في القرآن الكريم ليس له نظير في كل حضارات العالم القديم وفي كل مدونات الأديان، وأحكام العدة عالمية باقية لأنها توافق طبيعة التكوين الواحدة لتؤيد أن نبوة محمد ﷺ خاتمة، ويكفي التطابق التام بين مواعيد ظهور علامات الحمل القاطعة كما قررها العلم الحديث ومواعيد الاعتداد التي جاءت بها النصوص كبينة على التنزيل؛ لأن الدلالات العلمية وخاصة الرقمية حاسمة لا تحتاج لقريحة ذات ذوق مخصوص لتدركها، لذا فمواعيد العدة في القرآن الكريم درس فريد في المعرفة والتوحيد يكفي وحده ليقطع بنتيجة أكدتها ثلاثة مواضع بنفس الألفاظ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ٣٩الزمر:١، ٤٥الجاثية:٢، ٤٦الأحقاف:٢.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ} أي مدة ثلاثة قروء، واختلفوا في الأقراء على قولين: أحدهما: هي الحِيَضُ؛ وهو قول عمر وعليّ وابن مسعود وأبي موسى ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي ومالك وأبي حنيفة وأهل العراق..، والثاني: هي الأطهار؛ وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهري وأبان بن عثمان والشافعي وأهل الحجاز..، واختلفوا في اشتقاق القرء على قولين: أحدهما: أن القرء الاجتماع؛ ومنه أخذ اسم القرآن لاجتماع حروفه، وقيل: قد قرأ الطعام في شدقه وقرأ الماء في حوضه إذا جمعه..؛ وهذا قول الأصمعي والأخفش والكسائي والشافعي..، والقول الثاني: أن القرء الوقت؛ لمجيء الشيء المعتاد مجيئه لوقت معلوم ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم، وكذلك قالت العرب: أَقْرَأَتْ حاجة فلان عندي؛ أي دنا وقتها وحان قضاؤها، وأَقْرَأَ النجم إذا جاء وقت أُفوله وقرأ إذا جاء وقت طلوعه..، وقيل: أقرأت الريح إذا هبت لوقتها..، {وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ}: فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أنه الحيض؛ وهو قول عكرمة والزهري والنخعي، والثاني: أنه الحمل؛ قاله عمر وابن عباس، والثالث: أنه الحمل والحيض؛ قاله عمر ومجاهد، {إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} وعيد من الله لهن"[٢٣٤].

وفي تفسير الجلالين: "{والمطلقات يتربصن} أي لينتظرن {بِأَنْفُسِهِنَّ} عَنْ النِّكَاح {ثَلَاثَة قُرُوء} تَمْضِي مِنْ حِين الطَّلَاق، جَمْع قَرْء بِفَتْحِ الْقَاف وَهُوَ الطُّهْر أَوْ الْحَيْض؛ قَوْلَانِ، وَهَذَا فِي الْمَدْخُول بِهِن أما غيرهن فلا عدة عليهم لِقَوْلِهِ {فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّة}، وَفِي غَيْر الْآيِسَة وَالصَّغِيرَة فَعِدَّتهنَّ ثَلَاثَة أَشْهُر، وَالْحَوَامِل فَعِدَّتهنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلهنَّ"[٢٣٥].

وقال القاسمي: "(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ)؛ هذا أمر للمطلقات بأن.. تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ثم تتزوج إن شاءت، وأريد بالمطلقات المدخول بهن من ذوات الأقراء..؛ أما غير المدخولة فلا عدّة عليها لقوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ) الأحزاب:٤٩، وأما التي لم تحض فعدتها ثلاثة أشهر لقوله تعالى: (وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) الطلاق:٤، وأما الحامل فعدتها وضع الحمل لقوله تعالى: (وَأُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) الطلاق:٤..، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله..، وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل توكيد، ولو قيل (ويتربص المطلقات) لم يكن بتلك الوكادة..، (وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ) أي المطلقات (أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحامِهِنَّ) من الحيض أو الولد؛ استعجالا في العدة أو إبطالا لحقّ الزوج في الرجعة، (إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ) أي إن جرين على مقتضى الإيمان به المخوف من ذاته (وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) المخوف من جزائه، ودلّ هذا على أن المرجع في هذا إليهنّ، لأنه أمر لا يعلم إلّا من جهتهن..، فرد الأمر إليهن وتوعدن فيه لئلا يخبرن بغير الحقّ..، (وَبُعُولَتُهُنَّ) أي: أزواجهن؛ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ أي برجعتهنّ..، (فِي ذلِكَ) أي في زمان التربص..، أما أذا انقضت مدة التربص فهي أحقّ بنفسها، ولا تحلّ له إلّا بنكاح مستأنف بوليّ وشهود ومهر جديد؛ ولا خلاف في ذلك، (إِنْ أَرادُوا) أي بالرجعة (إِصْلاحاً)"[٢٣٦].

---

[٢٣٤] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١\ ٢٩٠).

[٢٣٥] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٤٩).

[٢٣٦] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٢\ ١٣٣).

وقال المراغي: "(وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ) أي وحرائر النساء اللاتي يطلقن وهنّ من ذوات الحيض، فلسن يائسات انقطع عنهنّ الحيض؛ ولا صغيرات لم يصلن إلى سن الحيض، ينتظرن ثلاث حيض بعد الطلاق حتى يتزوّجن، ليظهر أنهنّ غير حوامل، وفي قوله (بأنفسهنّ) إشارة إلى أنه يجب عليهنّ أن يملكن رغبتهنّ في الزواج ويكبتن جماح شهواتهنّ إلى إتمام تلك المدة..، وإلى أنهنّ يستطعن امتلاكها والتربص اختيارا، إلى ما في هذا من التعظيم والتبجيل لهنّ إذ لم يؤمرن بذلك أمرا صريحا، ثم بين سبحانه حكمة هذا التربص بالزواج ضمن حكم آخر؛ فقال: (وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحامِهِنَّ) أي ولا يحل للنساء أن يكتمن ما خلق الله في الأرحام من ولد إذا علمن به أو حيض ليطلن عدتهنّ، وقد فشا ذلك الآن في المطلقات اللاتي لا يجدن الأزواج؛ لأن القضاة يفرضون لهنّ النفقة ما دمن في العدة، فهنّ يكتمن الحيض جهد المستطاع استدامة لهذه النفقة، وقد جرت المحاكم الآن على أن تكون أقصى العدة سنة قمرية كما هو رأى للإمام مالك رضى الله عنه. وكانت المرأة في الجاهلية تتزوج أحيانا بعد فراق رجل ثم يظهر أنها حبلى من الأول، فتلحق الولد بالثاني، فلما جاء الإسلام حرّم هذا لما فيه من ضروب الغش والبهتان بنفي الولد عن قوم هو منهم وإلحاقه بمن ليس منهم، وأمر أن تعتد بعد فراق زوجها لتظهر براءة الرحم من الحمل، (إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أي إذا كن صادقات في الإيمان بالله الذي أنزل الحرام والحلال لمصلحة عباده؛ وباليوم الآخر الذي يجازى فيه كل عامل على ما عمل، ولا يخفى ما في هذا من التهديد الشديد والوعيد، (وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلِكَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً) أي إن بعل المرأة أحق بإرجاعها إلى العصمة الأولى في مدة العدة إذا قصد إصلاح ذات البين وحسن المعاشرة، أما إذا قصد من المراجعة مضارتها ومنعها من التزوج حتى تكون كالمعلقة؛ فلا هو يعاشرها معاشرة الأزواج بالحسنى ولا يمكّنها من التزوج بغيره، فهو آثم بينه وبين ربه بهذه المراجعة، (أي).. لا يُباح للرجل أن يردّ مُطلقته إلى عصمته إلا إذا أراد إصلاح ذات البين ونية المُعاشرة بالمعروف..، لأنه قد يندم على طلاقها ويرغب في مراجعتها؛ ولاسيما إذا أنجبا أولادا فتتغلب عاطفة تربيتهم وكفالتهم بين الزوجين على عاطفة الغضب العارضة، وهذا الطلاق الذي يملك فيه الرجل حق المراجعة ما دامت المرأة في العدة يسمى طلاقا رجعيا..، ولما كانت إرادة الإصلاح بردّ المرأة إلى العصمة إنما تؤتى ثمرها إذا قام كل منهما بالحقوق التي ينبغي عليه أن يؤديها؛ ذكر ذلك سبحانه بعبارة هي على إيجازها تعتبر دستورا في معاملة كل من الزوجين للآخر، وهو مساواة الرجل للمرأة في سائر الحقوق..، أي إن للرجل حقوقا وعليه واجبات يؤديها للمرأة؛ وللمرأة مثل ذلك..، ، فليس من العدل ولا من المصلحة أن يتحكم أحد الجنسين في الآخر ويستذله..، والخلاصة إن الإسلام رفع النساء إلى درجة لم يرفعهنّ إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع الماضية، بل لم تصل إليها أمة من الأمم التي بلغت شأوا بعيدا فى الحضارة والمدنية"[٢٣٧].

[٢٣٧] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢ ١٦٤).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Embryology

علم الأجنة

المَوْضُوع Subject

Signs of Pregnancy

علامات الحمل

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ ٦٥الطلاق:١.
- ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ٦٥الطلاق:٤.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ٣٣الأحزاب:٤٩.
- ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٢٨.
- ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٣٤.
- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ. لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ. وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٣٥-٢٣٧.
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ ٢البقرة:٢٢٢.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ٢البقرة:٢٣٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٣٣و٢٣٤.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾، ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

And those of you who die and leave wives behind them, they (the wives) **shall wait** (as regards their marriage again) **for four months and ten days.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

وفق المصطلحات الوصفية في القرآن الكريم وعلم الأجنة Embryology يمر الإنسان بجملة أطوار تكوينية: (أولا): النطفة الأمشاج Zygot: الأمشاج أي المختلطة العناصر الوراثية من الجنسين، وتتكون عند الإخصاب Fertilization بتلقيح حوين منوي يحتوي على نصف عدد الفتائل الوراثية Chromosomes في خلية إنسان بالغ للبويضة التي تحتوي على النصف الآخر؛ في الثلث الخارجي لقناة الرحم، فتتكون أول خلية بشرية تحتوى على كامل الفتائل الوراثية (٢٣ زوجا)، ورغم تضاعف عدد الخلايا خلال الانتقال وحتى الغرس بالرحم في نهاية الأسبوع الأول؛ يظل الجنين الحديث الخلق بهيئة نطفة (قطرة ماء) كروية الشكل مجهرية لا ترى بالعين المجردة، (ثانيا): الجنين الشبيه بالعلقة leech-like Embryo: يستمر هذا الطور حتى نهاية الأسبوع الثالث؛ وهو يماثل العلقة في الشكل الطولي كالدودة والعيش في سائل والتعلق والتغذي على دماء كائن آخر وانعدام عمل الجهاز الدوري، (ثالثا) الجنين الشبيه بالمضغة Chew-like Embryo: هذه مرحلة تكوين أوليات الأعضاء، وتبدأ منذ بداية الأسبوع الرابع وتنتهي بنهاية السادس، ويكون الجنين أشبه ما يكون من حيث الشكل بكتلة طعام ممضوغة لاكتها الأسنان؛ حيث ينحني نتيجة نمو أسرع ناحية الظهر، وتظهر عليه انبعاجات كأنها علامات الأسنان نتيجة تكوين أوليات الفقرات، (رابعا): العظام والعضلات: تكوين أوليات الهيكل معلم بارز في تاريخ الكائن البشري حيث تبدأ الهيئة البشرية في الاتضاح مع تكون العظام في الأسبوع السابع وتتضح أكثر مع تنامي العضلات في الثامن؛ وبنهايته تتكامل جميع أوليات الأعضاء وتنتهي المرحلة الجنينية Embryonic Stage، (خامسا) الحُمَيل Fetus: تبدأ هذه المرحلة مع بدء الأسبوع التاسع وتستمر حتى الولادة بعد حوالي ٢٦٦ يوما منذ تخصيب البويضة، وتسمى بمرحلة الحميل، وتتصف بالنمو وتعديل الهيئة وبدء وظائف الأعضاء في العمل، ومن الأحداث المهمة فيها اتضاح مظاهر الذكورة في الشهر الثالث نتيجة لإفراز هرمون الذكورة وإلا بقي المظهر الموحد في الجنسين حتى تتضح الأنوثة في الرابع، وتتضح حركة الجنين إراديا بنهاية فترة أربعة أشهر؛ علامة أكيدة على الحياة الواعية.

تتضح الهيئة البشرية تماما ويبدأ تميز علامات الذكورة بعد انتهاء الأسبوع الثامن من الحمل.

وتعجب أن يصف القرآن الكريم قبل اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر أطوار الجنين في منظومة دلالية تتكامل بلا اختلاف رغم تعدد المواضع وتتابع الأحداث الجسام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤، وفي مقابل دلالة حرف (الفاء) في التعبير (فخلقنا، فكسونا) على الترتيب والتعقيب بغير مُهلة؛ فإن الأداة (ثم) تقتضي المُهلة فتفيد تأخر مظاهر تكون إدراكه واتضاح حركته الإرادية بمدة أكبر نسبيا في مرحلة لاحقة تلت مرحلة تخليق أوليات الأعضاء التي انتهت باكتمال أوليات الهيكل العظمي والعضلات، والثابت علميا بالفعل أنه قريب الشهرين تكون كل أوليات الأعضاء قد اكتملت بينما يتأخر اتضاح حركة الجنين إلى أربعة أشهر؛ حيث يمكن رصد انتظام دوري للحركة يعكس وجود فترات منتظمة من النوم واليقظة علامة على بدء المخ أداء وظائفه وتكاملها مع العضلات، قال ابن كثير: "{ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} أَيْ: ثُمَّ نَفَخْنَا فِيهِ الرُّوحَ فَتَحَرَّكَ وَصَارَ {خَلْقًا آخَرَ}؛ ذَا سَمْعٍ وَبَصَرٍ وَإِدْرَاكٍ وَحَرَكَةٍ وَاضْطِرَابٍ {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}"[٢٣٨].

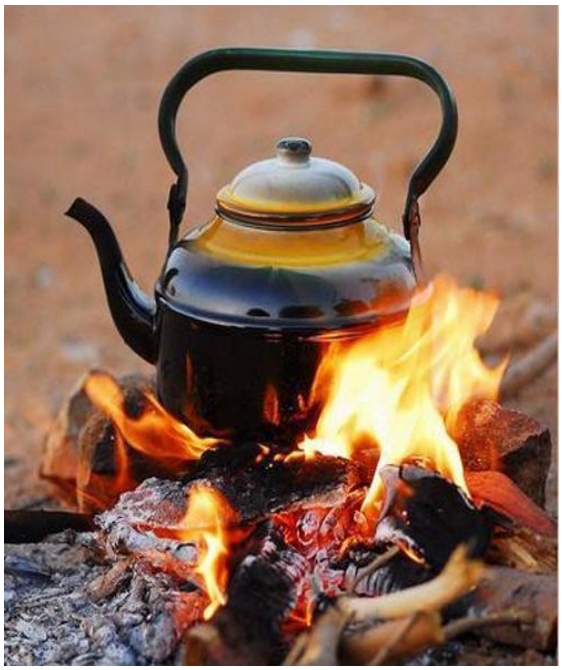

تأجج نيران الحطب بالنفخ وتحرك ألسنة اللهب مشهد معلوم في بيئة العرب، وقد يتحرك غطاء الإناء بلا محرك مرئي.

والأصل في دلالة لفظ (النفخ) في بادية العرب زمن التنزيل هو دفع هواء النَّفَس ليشتعل الحطب وتتأجج النيران؛ وكَأَنَّ روحًا من الفم أوقدته وبثت في ذلك الحطب المُهَيَّأ للاشتعال حركة وحياة، فاستعيرت صورة النفخ لِبَثِّ الملكات العقلية والحركة الإرادية في الجنين، وكأن الوعي والحركة أشبه باشتعال؛ ما يلبث أن يتضاعف توقده ويتجلى تأججه.

[٢٣٨] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٥\ ٤٦٦).

ويرد التعبير عن المعنوي تمثيلاً بالمحسوس؛ قال الألوسي في: "﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾١٥الحجر:٢٩؛ النفخ في العُرف إجراء الريح من الفم أو غيره في تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها، والمراد هنا تمثيل إفاضة ما به الحياة بالفعل (والحركة) على المادة القابلة.. وليس هناك نفخ حقيقةً، وقال حجة الإسلام: عَبَّرَ بالنفخ الذي يكون سببًا لاشتعال فتيلة..؛ كما يكون سببًا لاشتعال الحطب..، وقد يُكنى بالسبب عن الفعل المُستفاد الذي يحصل منه على سبيل المجاز"[٢٣٩]، وفَسَّرَ مضمون المَثَل بقوله: "نفخ الروح فيه.. إعطائه قوة العلم والعمل"[٢٤٠]، وبعبارة طبية: نشأة الإدراك وبدء الحركة الإرادية، فهو إذن من بديع التشبيه وروائع التمثيل كما هي عادة القرآن الكريم في إيثار التعبير بالتصوير!.

قال النيسابوري في: "ليس ثم نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل..؛ ولا خلاف في أن الإضافة في قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ١٥الحجر:٢٩؛ للتشريف والتكريم؛ مثل ﴿ناقة الله﴾ ٧الأعراف:٧٣"[٢٤١]، وقال الاستانبولي في: "﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ١٥الحجر:٢٩؛ أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية..؛ كما في الجنين الذي أتى عليه أربعة أشهر، فلا بد لنفخ الروح من هذه التسوية..، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل"[٢٤٢]، واتفق معهم الجمع الغفير على أن تعبير نفخ الروح تمثيل لبث الحياة الإنسانية والحركة والإرادة عند تمام أربعة أشهر.

وفي قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ ٣٢السجدة:٧-٩؛ يُمكن حمل بدء الوظائف الإدراكية والإرادية على سبيل البيان والتفسير لنفخ الروح كتعبير عن الحركة والوعي، وأبرز معالم الوعي: نشأة وظائف السمع والبصر والجهاز العاطفي Limbic System، وأبرز معالم الإرادة: اتضاح الحركة الإرادية دليلاً على بث الحياة الواعية، والالتفات من ضمير الغيبة: (نَسْلَهُ، وسَوَّاهُ، وَنَفَخَ فِيهِ) إلى ضمير الخطاب: (وَجَعَلَ لَكُمُ)؛ تجسيد لتلك النقلة الهائلة!.

وقد رصدت أجهزة الموجات فوق الصوتية حديثًا بعض حركات إرادية للجنين كمص الأصبع ابتداء من الأسبوع السادس عشر؛ وأمكن رصد بعض حركات فردية للعضلات في وقت مبكر، وبعد الأسبوع السابع عشر (أربعة أشهر) تكون الحركات الإرادية المنسقة بين الجهاز العصبي والعضلي قد اتضحت نتيجة للتكامل الوظيفي، قال ابن القيم: "فإن قيل الجنين قبل نفخ الروح فيه؛ هل كان فيه حركة وإحساس أم لا؟ قيل: كان فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات؛ ولم تكن حركة نموه واغتذائه بالإرادة، فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسيته وإرادته إلى حركة نموه واغتذائه"[٢٤٣].

وقال العثيمين: "الروح لا نستطيع أن نعرف كنهها وحقيقتها.. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٨٥، فينفخ.. الروح في هذا الجنين فيبدأ يتحرك، لأن نماءه الأول كنماء الأشجار بدون إحساس، (و) بعد أن تنفخ فيه الروح يكون آدمياً يتحرك، ولهذا إذا سقط الحمل من البطن قبل أربعة أشهر دفن في أي مكان من الأرض بدون تغسيل ولا تكفين ولا صلاة عليه..؛ لأنه ليس آدميًّا، وبعد أربعة أشهر إذا سقط يجب أن يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في المقابر؛ لأنه صار إنساناً..، على كل حال هذا الجنين في بطن أمه يتطور حتى يكون بشراً؛ ثم يأذن الله عز وجل له بعد المدة التي أكثر ما تكون عادة تسعة أشهر فيخرج إلى الدنيا"[٢٤٤].

وقال القرطبي: "لم يختلف العلماء أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما، وذلك تمام أربعة أشهر ودخوله في الخامس..، وذلك لتيقنه (تيقن وقوع النفخ) بحركة الجنين في الجوف، وقد قيل إنه الحكمة في عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشر، وهذا الدخول في الخامس؛ يحقق براءة الرحم ببلوغ هذه المدة إذا لم يظهر حمل"[٢٤٥].

---

[٢٣٩] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧ ٢٨١).

[٢٤٠] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١١٢ ٢١٦).

[٢٤١] أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري؛ التَّفْسِيرُ البَسِيْط، تحقيق ١٥ رسالة دكتوراه، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ (١٤ ٢٢٠).

[٢٤٢] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي؛ روح البيان، دار الفكر بيروت (١٨ ٥٧).

[٢٤٣] محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية؛ التبيان في أقسام القرآن، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت (ص٣٥١).

[٢٤٤] محمد بن صالح بن محمد العثيمين؛ تفسير جزء عم، إعداد فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا بالرياض، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م (ص٢٥٨).

[٢٤٥] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٢ ٧).

ويُمكن للجنين سماع الأصوات في بداية الشهر الخامس؛ أي بعد مرور أربعة أشهر أو ١٧ أسبوع من بدء الحمل، وإذا حسبت البداية من أول يوم طهر بعد آخر يوم من آخر حيض في أغلب النساء؛ تُضاف عشرة أيام للأربعة أشهر، ويتفق هذا مع الاحتياط بتحديد أكبر مدة لتشريع عدة المتوفى عنها زوجها استبراءً للرحم بعد اتضاح كل علامات الحمل؛ خاصة حركة الجنين إراديًّا Quickening، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ٢البقرة:٢٣٤، والأصل منع العلاقة الزوجية في الحيض، ويبدأ الطهر بعد أربعة (٢-٦) أيام حيض، وطول دورة الحيض أربعة (٣-٥) أسابيع، ويقع التبويض منتصفها، وقابلية البويضة للإخصاب لا تتجاوز يوم؛ لذا يقع الحمل في الدورة الوسطية بعد عشرة أيام في الطهر، إذن يكون موعد اتضاح حركة الجنين بعد أربعة أشهر منذ نشأته، قال د. كيث مور Keith Moore: "يُتَوَقَّع الوضع بعد ١٤٧ (+أو- ١٥) يوماً منذ اتضاح حركة الجنين"[٢٤٦]، فالمدة قبل يوم اتضاح حركة الجنين: ٢٦٦ - ١٤٧ = ١١٩ يومًا، إذن اتضاح حركة الجنين حول ١٢٠ يوما؛ يعني أربعة أشهر.

قال ابن عاشور: "جَعَلَ اللَّهُ عِدَّةَ الْوَفَاةِ مَنُوطَةً بِالْأَمَدِ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِي مِثْلِهِ الْجَنِينُ تَحَرُّكًا بَيِّنًا؛ مُحَافَظَةً عَلَى أَنْسَابِ الْأَمْوَاتِ..، جَعَلَ عِدَّةَ الطَّلَاقِ مَا (يكفي كي) يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَةِ الرَّحِمِ.. وَهُوَ الْأَقْرَاءُ..؛ لِأَنَّ الْمُطَلِّقَ يَعْلَمُ حَالَ مُطَلَّقَتِهِ.. وَمِنْ قُرْبَانِهِ إِيَّاهَا قَبْلَ الطَّلَاقِ..، (و) الْعُلُوقُ لَا يَخْفَى؛ فَلَوْ أَنَّهَا ادَّعَتْ عَلَيْهِ نَسَبًا وَهُوَ يُوقِنُ بِانْتِفَائِهِ كَانَ لَهُ فِي اللِّعَانِ مَنْدُوحَةٌ، أَمَّا الْمَيِّتُ فَلَا يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ فَجُعِلَتْ عِدَّتُهُ أَمَدًا مَقْطُوعًا بِانْتِفَاءِ الْحَمْلِ فِي مِثْلِهِ؛ وَهُوَ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرِ وَالْعَشَرَةُ (أيام)"[٢٤٧].

ويستند تَرَقُّب حركة الجنين على العمر الجنيني؛ لا دورات الحيض المتباينة المدة، فناسبه تحديد العدة بمدة ثابتة، فالموعد إذن ثابت لا يختلف تبعًا لطول الدورات أو قصرها، وباعتبار مبدأ الاعتداد وفاة الزوج فلن تقل مدة الاعتداد عن مدة تشريع العدة وستكون الزيادة احتياط، وبانتهاء مدة الترقب تكون كل دلائل براءة الرحم قد اتضحت، أو كل العلامات الأساسية للحمل إذا وقع، وهي: الانقطاع المتكرر للحيض وبروز أسفل البطن والحركة الإرادية للجنين.

دورة الحيض النموذجية

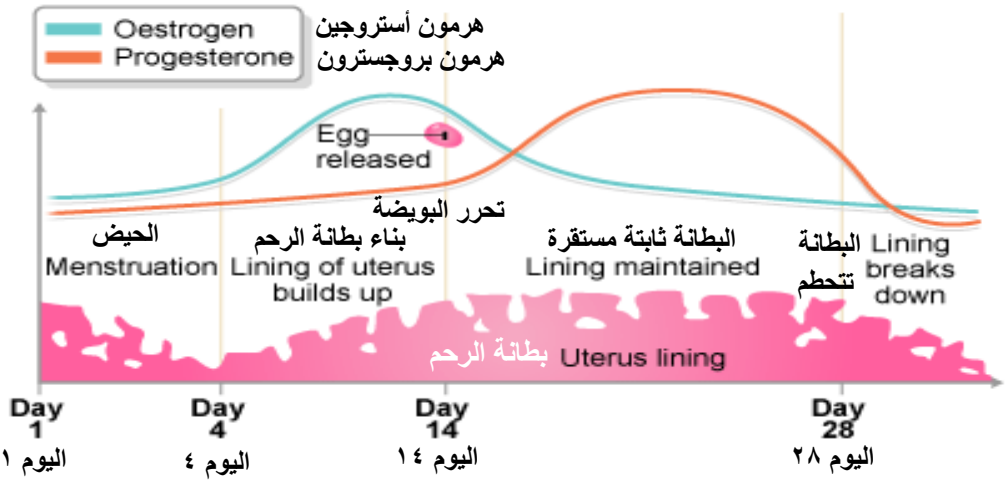

فالثابت علميا أن العلاقة الزوجية أثناء الحيض غير مثمرة؛ مع إمكان وقوع الأذى وتعرض الزوجين للالتهابات، فظهرت حكمة النهي في الإسلام عن العلاقة الزوجية أثناء فترة الحيض: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ ٢البقرة:٢٢٢، ومتوسط دورة الحيض إحصائيا ٢٨ يومًا، والبويضة لا تعيش أكثر من يوم، وإخصابها لا يحدث إلا منتصف الدورة؛ أي أن بدء الحمل حول اليوم ١٤ من أول يوم حيض[٢٤٨]، وحيث أن متوسط مدة الحيض: أربعة (٢-٦) أيام، وأن السماح بالعلاقة الزوجية في الإسلام يبدأ مع بداية الطهر؛ إذن التوقيت المناسب لبدء الحمل هو عشرة أيام منذ أول يوم في الطهر، ويكون موعد اتضاح حركة الجنين إراديًّا بعد آخر يوم في آخر حيض: أربعة أشهر وعشرة أيام، وتطابق الموعد علميًّا مع التشريع طبقًا لغالب أحوال النساء؛ يعني المعرفة حتمًا أن الحمل لا يقع إلا منتصف الدورات!.

---

[٢٤٦] The Developing Human, Keith L. Moore, Fourth ed.,1988, Saunders Comp., Toronto, P:9.

[٢٤٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢ ٤٤٢).

[٢٤٨] د. وليام؛ علم الولادة، ١٩٩٤ (ص٤٩).

ورغم التباين في اجتهادات الفقهاء فإن براءة الأرحام متحققة في كل الأحوال؛ لأن الحمل يعتبر بأدنى قرينة؛ ولذا قالوا: "الحد مبناه على الإسقاط؛ والعدة على الاحتياط"، أي تُدرء الحدود بالشبهات فلا يعاقب بريء؛ بينما يُعتبر الحمل بالشبهة فلا تختلط الأنساب، واعتبار أي من قرائن الحمل يمنع ذوات الدورات القصيرة من الإفلات، وخاصة مع تكرر انقطاع الحيض عند موعده، وكل اجتهاد يتجاوز مدة العدة فهو في جهة الاحتياط، ولن يحدث حمل وفق تقدير الله تعالى لوظيفة الإنجاب إلا بوقاع مثمر في منتصف الدورات، والفقهاء يحددون بداية الاعتداد منذ وقوع الفراق؛ أي الطلاق أو وفاة الزوج، فإذا تخلف الفرق عن يوم الوقاع المثمر ظهر الحمل قبل نهاية العدة ومدة التخلف احتياط، وإذا وافق الوقاع المثمر بدء الفراق؛ ظهر الحمل وتطابقت مواعيد علاماته مع مواعيد الاعتداد!.

إن تشريع العدة في القرآن الكريم ليس له نظير في كل حضارات العالم القديم؛ وفي كل مدونات الأديان، وأحكام العدة عالمية وباقية لأنها توافق طبيعة التكوين الواحدة للنساء؛ تأييدًا لنبوة محمد ﷺ، ويكفي التطابق التام بين مواعيد ظهور علامات الحمل القاطعة كما قررها العلم الحديث ومواعيد الاعتداد التي جاءت بها النصوص كبينة على التنزيل؛ لأن الدلالات العلمية وخاصة الرقمية حاسمة لا تحتاج لقريحة ذات ذوق مخصوص لتدركها، لذا فمواعيد العدة في القرآن الكريم درس فريد في المعرفة والتوحيد يكفي وحده ليقطع بنتيجة أكدتها ثلاثة مواضع بنفس الألفاظ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ٣٩الزمر:١، ٤٥الجاثية:٢، ٤٦الأحقاف:٢.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً} يعني بالتربص زمان العِدّة في المتوَّفى زوجُها، وقيل في زيادة العشرة على الأشهر الأربعة ما قاله سعيد بن المسيب وأبو العالية أن الله تعالى ينفخ الروح في العشرة، ثم ذكر العشر بالتأنيث تغليباً لليالي على الأيام إذا اجتمعت؛ لأن ابتداء الشهور طلوع الهلال ودخول الليل، فكان تغليب الأوائل.. أوْلى..، والإحْدَادُ: الامتناع من الزينة والطيب..، ثم قال تعالى: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيكُم فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} فإن قيل: فما المعنى في رفع الجناح عن الرجال في بلوغ النساء أجلهن؟ ففيه جوابان؛ (أحدهما): أن الخطاب تَوَجّه إلى الرجال فيما يلزم النساء من أحكام العِدّة، (فإذا بلغن أجلهن) ارتفع الجناح عن الرجال في الإنكار عليهن وأخذهن بأحكام عددهن، و(الثاني): أنه لا جناح على الرجال في نكاحهن بعد انقضاء عِدَدِهن، ثم قوله تعالى: {فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف} تأويلان؛ (أحدهما): من طيب وتزْين ونقلة من مسكن؛ وهو قول أبي جعفر الطبري، و(الثاني): النكاح الحلال؛ وهو قول مجاهد"[٢٤٩].

وفي تفسير الجلالين: "{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ} يَمُوتُونَ {مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ} يَتْرُكُونَ {أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ} أَيْ لِيَتَرَبَّصْنَ {بِأَنْفُسِهِنَّ} بَعْدهمْ عَنْ النِّكَاح {أَرْبَعَة أَشْهُر وَعَشْرًا} مِنْ اللَّيَالِي، وَهَذَا فِي غَيْر الْحَوَامِل أَمَّا الْحَوَامِل فَعِدَّتهنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلهنَّ.. {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلهنَّ} انْقَضَتْ مُدَّة تَرَبُّصهنَّ {فَلَا جُنَاح عَلَيْكُمْ} أَيّهَا الْأَوْلِيَاء {فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسهنَّ} مِنْ التَّزَيُّن"[٢٥٠].

وقال الراغب الأصفهاني: "وظاهر الآية يقتضي تسوية الحكم في الحرة والأمة كما قال الأصم..، ويقتضي أن لا فرق بين المسلمة والذمية كما قال الشافعي..، وهذا الحكم فيمن لا تكون ذات حمل متفق عليه، فأما في ذات الحمل.. عدتها أن تضع حملها..، قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر: تعتد به من يوم يموت، وعلي والحسن: من يوم يأتيها الخبر، وقال الشعبي: إذا قامت البينة على موته فالعدة من يوم يموت؛ وإلا فمن يوم يأتيها الخبر"[٢٥١].

---

[٢٤٩] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١ ٣٠٢).

[٢٥٠] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٥١).

[٢٥١] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ٤٨٥).

وقال ابن عاشور: "قَوْلُهُ: (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ) خَبَرُ (الَّذِينَ).. فَهُنَّ أَزْوَاجُ الْمُتَوَفِّينَ..، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عِدَّةَ الْوَفَاةِ مَنُوطَةً بِالْأَمَدِ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِي مِثْلِهِ الْجَنِينُ تَحَرُّكًا بَيِّنًا؛ مُحَافَظَةً عَلَى أَنْسَابِ الْأَمْوَاتِ، فَإِنَّهُ جَعَلَ عِدَّةَ الطَّلَاقِ مَا (يكفي كي) يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَةِ الرَّحِمِ.. وَهُوَ الْأَقْرَاءُ.. لِأَنَّ الْمُطَلِّقَ يَعْلَمُ حَالَ مُطَلَّقَتِهِ مِنْ طُهْرٍ وَعَدَمِهِ؛ وَمِنْ قُرْبَانِهِ إِيَّاهَا قَبْلَ الطَّلَاقِ وَعَدَمِهِ، وَكَذَلِكَ الْعُلُوقُ (الحمل) لَا يَخْفَى، فَلَوْ أَنَّهَا ادَّعَتْ عَلَيْهِ نَسَبًا وَهُوَ يُوقِنُ بِانْتِفَائِهِ؛ كَانَ لَهُ فِي اللِّعَانِ مَنْدُوحَةٌ، أَمَّا الْمَيِّتُ فَلَا يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ، فَجُعِلَتْ عِدَّتُهُ أَمَدًا مَقْطُوعًا بِانْتِفَاءِ الْحَمْلِ فِي مِثْلِهِ؛ وَهُوَ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرِ وَالْعَشَرَةُ..، فَمَا بَيْنَ اسْتِقْرَارِ النُّطْفَةِ فِي الرَّحِمِ إِلَى نَفْخِ الرُّوحِ فِي الْجَنِينِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ..، جُعِلَتِ الْعَشْرُ اللَّيَالِي الزَّائِدَةَ عَلَى الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ، لِتَحَقُّقِ تَحَرُّكِ الْجَنِينِ تَحَرُّكًا بَيِّنًا، فَإِذَا مَضَتْ هَذِهِ الْمُدَّةُ حَصَلَ الْيَقِينُ بِانْتِفَاءِ الْحَمْلِ إِذْ لَوْ كَانَ ثَمَّةَ حَمْلٌ لَتَحَرَّكَ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ يَتَحَرَّكُ لِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ؛ وَزِيدَتْ عَلَيْهَا الْعَشْرُ احْتِيَاطًا..، وَعُمُومُ (الَّذِينَ).. يَقْتَضِي عُمُومَ هَذَا الْحُكْمِ فِي الْمُتَوَفَّى عَنْهُنَّ، سَوَاءٌ كُنَّ حَرَائِرَ أَمْ إِمَاءً، وَسَوَاءٌ كُنَّ حَوَامِلَ أَمْ غَيْرَ حَوَامِلَ، وَسَوَاءٌ كُنَّ مَدْخُولًا بِهِنَّ أَمْ غَيْرَ مَدْخُولٍ بِهِنَّ، فَأَمَّا الْإِمَاءُ.. لَمْ يَقُلْ بِمُسَاوَاتِهِنَّ لِلْحَرَائِرِ فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ إِلَّا الْأَصَمُّ..، وَإِنَّ إِجْمَاعَ فُقَهَاءِ الْإِسْلَامِ عَلَى تَنْصِيفِ عِدَّةِ الْوَفَاةِ فِي الْأَمَةِ الْمُتَوَفَّى زَوْجُهَا لَمِنْ مُعْضِلَاتِ الْمَسَائِلِ الْفِقْهِيَّةِ..، نَرَى.. أَنَّ حِكْمَةَ عِدَّةِ الْوَفَاةِ هِيَ تَحَقُّقُ الْحَمْلِ أَوْ عَدَمُهُ، فَلْنَنْقُلِ النَّظَرَ إِلَى الْأَمَةِ نَجِدْ فِيهَا وَصْفَيْنِ: الْإِنْسَانِيَّةُ وَالرِّقُّ، فَإِذَا سَلَكْنَا إِلَيْهِمَا طَرِيقَ تَخْرِيجِ الْمَنَاطِ؛ وَجَدْنَا الْوَصْفَ الْمُنَاسِبَ لِتَعْلِيلِ الِاعْتِدَادِ الَّذِي حِكْمَتُهُ تَحَقُّقُ النَّسَبِ هُوَ وَصْفُ الْإِنْسَانِيَّةِ إِذِ الْحَمْلُ لَا يَخْتَلِفُ حَالُهُ بِاخْتِلَافِ أَصْنَافِ النِّسَاءِ وَأَحْوَالِهُنَّ الِاصْطِلَاحِيَّةُ أَمَّا الرِّقُّ فَلَيْسَ وَصْفًا صَالِحًا لِلتَّأْثِيرِ فِي هَذَا الْحُكْمِ..، فَالْوَجْهُ أَنْ تَكُونَ عِدَّةُ الْوَفَاةِ لِلْأَمَةِ كَمِثْلِ الْحُرَّةِ، وَلَيْسَ فِي تَنْصِيفِهَا أَثَرٌ، وَمُسْتَنَدُ الْإِجْمَاعِ قِيَاسٌ مَعَ وُجُودِ الْفَارِقِ، وَأَمَّا الْحَوَامِلُ فَالْخِلَافُ فِيهِنَّ قَوِيٌّ فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ عِدَّتَهُنَّ مِنَ الْوَفَاةِ وَضْعُ حَمْلِهِنَّ، وَهُوَ قَوْلُ مَالك، عُمَرَ وَابْنِهِ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ..، وَعِنْدِي أَنَّ الْحُجَّةَ لِلْجُمْهُورِ تَرْجِعُ إِلَى.. أَنَّ حِكْمَةَ عِدَّةِ الْوَفَاةِ هِيَ تَيَقُّنُ حِفْظِ النَّسَبِ، فَلَمَّا كَانَ وَضْعُ الْحَمْلِ أَدَلَّ شَيْءٍ عَلَى بَرَاءَةِ الرَّحِمِ كَانَ مُغْنِيًا عَنْ غَيْرِهِ..، وَإِنَّمَا اهْتَمَّ بِالْمَقْصِدِ الشَّرْعِيِّ وَهُوَ حِفْظُ الْأَنْسَابِ..، وَقَوْلُهُ: (فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أَيْ إِذَا انْتَهَت الْمدَّة الْمعينَة بِالتَّرَبُّصِ..، فَلَا تُضَايِقُوهُنَّ بِالزِّيَادَةِ عَلَيْهِ..، وَأُضِيفَ الْأَجَلُ إِلَيْهِنَّ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ مَشَقَّةَ هَذَا الْأَجَلِ عَلَيْهِنَّ، وَمَعْنَى الْجُنَاحِ هُنَا: الْحَرَجُ، لِإِزَالَةِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ فِي نُفُوسِ النَّاسِ مِنِ اسْتِفْظَاعِ تَسَرُّعِ النِّسَاءِ إِلَى التَّزَوُّجِ بَعْدَ عِدَّةِ الْوَفَاةِ وَقَبْلَ الْحَوْلِ، فَإِنَّ أَهْلَ الزَّوْجِ الْمُتَوَفَّى قَدْ يَتَحَرَّجُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَنَفَى اللَّهُ هَذَا الْحَرَجَ، وَقَالَ: (فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ) تَغْلِيظًا لِمَنْ يَتَحَرَّجُ مِنْ فِعْلِ غَيْرِهِ..، وَهَذَا مِنَ الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ الَّتِي لَا يَتَنَبَّهُ لَهَا إِلَّا الْبُلَغَاءُ»"[٢٥٢].

[٢٥٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢ ٤٤١).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Embryology

علم الأجنة

المَوْضُوع Subject

Signs of Pregnancy

علامات الحمل

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ ٦٥الطلاق:١.**

- **﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ٦٥الطلاق:٤.**

- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ٣٣الأحزاب:٤٩.**

- **﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٢٨.**

- **﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٣٤.**

- **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ ٢البقرة:٢٢٢.**

- **﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ. لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ. وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٣٥-٢٣٧.**

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ ٢البقرة:٢٥٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٢البقرة:٢٥٦و٢٥٧.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿لَا إِكْرَاهَ﴾، ﴿فِي الدِّينِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

There is no compulsion in religion. Verily, the Right Path has become distinct from the wrong path; so whosoever refuses to be led by those who transgress and believes in ALLAH, has surely grasped a strong handle that will never break.

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

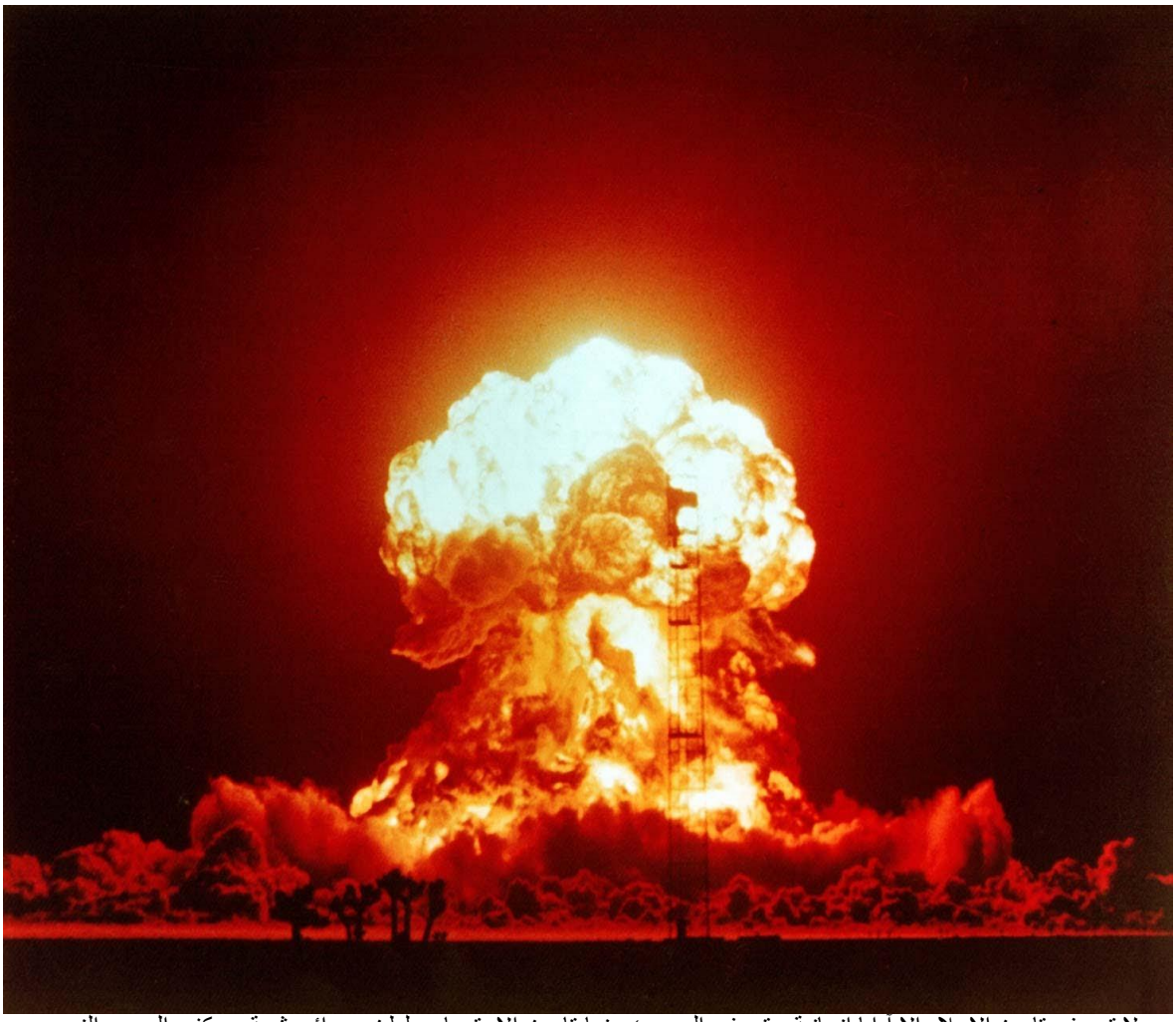

لا تجد في تاريخ الإسلام إلا آدابا إنسانية حتى في الحرب؛ بينما تاريخ الاستعمار ملطخ بجرائم بشعة، ويكفي الهجوم النووي على هيروشيما وناجازاكي عام ١٩٤٥ حيث قضى في لحظة على آلاف الأبرياء أطفالا وشيوخا ونساء وتم تشويه كل البقية.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ٢البقرة:٢٥٦؛ نص كافي لدفع الاتهام الباطل بأن إرغام الناس بالعنف أساسه القرآن، ولا شك أن الاعتداء على الأبرياء يرفضه الإسلام حتى ولو كان مجرد ترويع لآمن؛ فما بالك بالقنابل الذكية والذرية!، وإذا أردت أن تعرف أغراض الحرب وآدابها فسيكفيك أن تطالع القرآن الكريم بنفسك وتقارنه بما فعل المستعمرون من إبادة عنصرية واستهانة بمدنيين أبرياء، أبادتهم وشوهت من بقي حيا عندما ألقت طائراتهم الغازيَة قنبلتين نوويتين؛ ناهيك عن أسلحة إبادة جماعية تستخدم اليوم ضد المسلمين بذريعة الإرهاب، لكن غرض الحرب في الإسلام الدفاع ورد الاعتداء؛ لا العدوان، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنّ اللهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٢البقرة:١٩٠، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفّرَنّ عَنْهُمْ سَيّئَاتِهِمْ﴾ ٣آل عمران:١٩٥، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفّةً﴾ ٩التوبة:٣٦، وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنّ اللهَ عَلَىَ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقّ﴾ ٢٢الحج:٣٩و٤٠، وفي كل تلك النصوص تجد علة القتال دفع العدوان والتهجير والظلم، ففي قوله تعالى (يُقَاتَلُونَ) وقوله (بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) وقوله (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقّ) بيان للشروط المسوّغة للحرب في الإسلام تحمل عليها أمثالها في كل زمان، وأي دعوة سلام يا ترى كدعوة الإسلام إلى بر الأقارب غير المسلمين ووصالهم!؛ قال تعالى: ﴿لاّ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنّ اللهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ٦٠الممتحنة:٨.

ظلت المنطقة العربية تحت السيطرة الرومانية سبعة قرون؛ إلى أن استردها المسلمون وحرروا الناس من نير العبودية في معركة اليرموك عام ٦٣٦م، فمن كان المعتدي ابتداءً! وهل هدم المسلمون يومئذٍ صومعة أو كنيسة!.

استمع إلى ربعي بن عامر مخاطبًا بعزة رستم قائد جيش الفرس: "نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".

وأي دعاية كاذبة تلك؛ أن القرآن الكريم يدعو لإجبار الناس بحد السيف ويكرههم لدخول الإسلام، بينما القرآن الكريم يعلن بجلاء أنه لا إكراه في الدين، ولكن المغرضون قد أَبَوْا إلاَّ أن يمضوا في مخطط التغريب والعلمانية وتأجيج نيران الطائفية وتغليب الأقلية، والغرض محو الهوية الإسلامية وتحويل المسلمين إلى رعايا وعبيد؛ فكيف يسمعون وقد صموا الآذان!، قال أبو شهبة: "إن الإسلام إنما غزى القلوب وأسر النفوس بسماحة تعاليمه في العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات، وآدابه في السلم والحرب، وسياسته الممثلة في عدل الحاكم وإنصاف المحكومين، والرحمة الفائقة والإنسانية المهذبة في الغزوات والفتوح، إنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ فلا عجب أن أسرعت إلى اعتناقه النفوس واستجابت إليه الفطرة السليمة وتحملت في سبيله ما تحملت، فاستعذبت العذاب واستحلت المر واستسهلت الصعب وركبت الوعر، وضحت بكل عزيز وغالٍ في سبيله..، (و) إن تشريع الجهاد في الإسلام لم يكن لإرغام أحد على الدخول في الإسلام كما زعموا؛ وإنما كان للدفاع عن العقيدة وتأمين سبلها ووسائلها وتأمين المعتنقين للإسلام، وردِّ الظلم والعدوان، وإقامة معالم الحق، ونشر عبادة الله في الأرض، فلما تمالأ المشركون على المسلمين أمرهم الله بقتالهم عامة..، قال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾؛ قال: كان رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين لا يكره أحداً في الدين؛ فأبى المشركون إلا أن يقاتلوه، فاستأذن الله في قتالهم فأذن له، ومعنى: ﴿لا إكراه في الدين﴾؛ أي دين الإسلام ليس فيه إكراه عليه، وقال سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىَ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٠يونس:٩٩، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ١٨الكهف:٢٩، فالآية نص في أن من اختار الإيمان فباختياره ومن اختار الكفر فباختياره فلا إكراه، ولكن مع هذا التخيير فالله سبحانه يحب الإيمان ويرضاه ويدعو إليه، ويكره الكفر ويحذر منه، ونصوص القرآن حافلة في هذا المعنى..، فالآية بنصها تخيير؛ ولكنه تخيير يستلزم تهديداً ووعيداً لا محالة؛ في حال اختيار الكفر على الإيمان، وهي نصوص صريحة في عدم الإكراه على الإسلام، فهل بعد هذه الحجج الدامغة يتقوَّل متقوّل على الإسلام زاعماً أنه قام على السيف والإكراه!"[٢٥٣]، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوّ اللهِ وَعَدُوّكُمْ﴾ ٨الأنفال:٦٠؛ فلا مستند فيه لمصطلح الإرهاب الذي تسوقه الأبواق اليوم ذريعة للعدوان وتمزيق بلاد المسلمين؛ لأن النص الكريم لا يدعو للاعتداء، وإنما يُنَبِّه إلى أن سهام المُتَرَبِّصين غادرة لا تؤمن؛ ويدعو إلى ترهيب الأعداء حتى لا يعتدوا على رعايا بلاد الإسلام.

---

[٢٥٣] السيرة النبوية للشيخ محمد أبو شهبة.

أكبر عملية إبادة جماعية ومجازر مروعة في التاريخ لشعوب الهنود الحمر الذين استقبلوا الغزاة بالهدايا مسالمين.

وإذا أردت أن تُقارن هذه الأخلاق الإنسانية في الإسلام بما فعلوه؛ فسيهولك ما وقع خلال الحروب الصليبية من فظائع، وما وقع في تاريخ الهنود الحمر حتى أبيدوا واحتلت أرضهم؛ مهددين بالمدافع وبمخالفة المسيح عليه السلام إن هم هموا وحملوا حجرًا للدفاع، واليوم حلال للتنصير أن يستبيح البلدان الإسلامية مستغلا الضعفاء؛ حرام على المسلم التفوه وإلا أدت به تهمة الأصولية للهلاك، ولكن بالأخلاق الإنسانية قد حارب المسلمون على مر التاريخ أكثر من عدو تفوق عليهم في العدد والعدة وكان نصر الله حليفهم، قال د. إحسان هندي: "يعترف بهذا الفضل صراحة كثير من الكتاب والمفكرين والفقهاء الأوروبيين المعاصرين مثل البارون دوتوب De Taube في محاضرة له ألقاها في أكاديمية القانون الدولي بلاهاي عام ١٩٢٦ وبالحرف الواحد: (إن أهمية الإسلام عموماً في تطوير الحضارة ضمن حوض البحر الأبيض المتوسط تجعلنا نقبل الاعتراف بأن العالم الإسلامي قد ساهم بتشكيل بعض نظم قانون الحرب وعاداته بين شعوب أوروبا، حيث أن هذه الشعوب وجدت لدى أعدائها الذين ناصبتهم العداء أثناء الحروب الصليبية قواعد جاهزة تتعلق بإعلان الحرب والتمييز بين المقاتلين وغير المقاتلين، ومعاملة المرضى والجرحى وأسرى الحرب وتقسيم الغنائم الحربية، ومنع بعض وسائل الإضرار بالعدو)، وأوضح مثال على ذلك نجده في سلوك السلطان صلاح الدين الأيوبي في معاملته لأسرى الحرب الصليبيين..، وأوجز الخليفة أبو بكر عندما صاغ أهم مبادئ القانون الإنساني المعاصر في وصيته التي وجهها إلى قائده أسامة بن زيد حين قال مخاطباً إياه وجنده: (أيها الناس قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا وتغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكل، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)"[٢٥٤].

ولك أن تتأمل الدعوة إلى الرحمة بالأسير في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىَ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ ٧٦الإنسان:٨، وروي عن النبي ﷺ النهى عن قتل النساء والصبيان، ونص الفقهاء أن من لا يقاتل لا يجوز قتله لأنهم في حكم النساء والصبيان كالأعمى والمعتوه والمقعد والفلاحين وأصحاب الصوامع، وإذا لم تكن معاقل فلا يجوز قطع الشجر وتخريب العامر كالبيوت وقتل المواشي والتحريق؛ فأين هذا مما يمارسه العنصريون اليوم! إن في ذلك شهادة كافية للإسلام بالسبق في مجال أخلاق الحرب؛ قبل أن تُبرم حديثا الاتفاقيات الدولية المنظمة للحرب في مؤتمري لاهاي للسلام عامي ١٨٩٩م و١٩٠٧م وقبل اتفاقيات جنيف عام ١٩٤٩م لحماية ضحايا الحرب!.

---

٢٥٤ مقال للدكتور إحسان هندي في المجلة الدولية للصليب الأحمر بعنوان أثر الثقافة والأخلاق والدين في القانون الدولي الإنساني، والنص الأصلي بالفرنسية ضمن مقال للدكتور ادمون رباط يحمل عنوان: La Theorie du Droit International musulman" Revue Egyptienne du Droit International.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}.. ذلك في أهل الكتاب، لا يُكْرَهُون على الدين إذا بذلوا الجزية؛ قاله قتادة..، (أو): أنها نزلت في الأنصار خاصة، كانت المرأة منهم.. لا يعيش لها ولد، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّده..، وهذا قبل الإسلام، فلما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالت الأنصار: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس..، (أو): أنها منسوخة بفرض القتال؛ قاله ابن زيد"[٢٥٥].

وفي تفسير الجلالين: "{لَا إكْرَاه فِي الدِّين} عَلَى الدُّخُول فِيهِ {قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْد مِنْ الْغَيّ} أَيْ ظَهَرَ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَات أَنَّ الْإِيمَان رُشْد وَالْكُفْر غَيّ..، {فَمَنْ يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ} الشَّيْطَان أَوْ الْأَصْنَام وَهُوَ يُطْلَق عَلَى الْمُفْرَد وَالْجَمْع {وَيُؤْمِن بِاَللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ} تَمَسَّكَ {بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} بِالْعَقْدِ الْمُحْكَم؛ {لَا انْفِصَام} انْقِطَاع {لَهَا وَاَللَّه سَمِيع} لِمَا يُقَال {عَلِيم} بِمَا يُفعل"[٢٥٦].

وقال ابن عاشور: "اسْتِئْنَاف بياني نَاشِئٌ عَنِ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٤٤، إِذْ يَبْدُو لِلسَّامِعِ أَنَّ الْقِتَالَ لِأَجْلِ دُخُولِ الْعَدُوِّ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَبُيِّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَا إِكْرَاهَ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ..، وَتَعْقِيبُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ بِهَاتِهِ الْآيَةِ بِمُنَاسَبَةِ أَنَّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ السَّابِقَةُ مِنْ دَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَعَظَمَةِ الْخَالِقِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ شَوَائِبِ مَا كَفَرَتْ بِهِ الْأُمَمُ، مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَسُوقَ ذَوِي الْعُقُولِ إِلَى قَبُولِ هَذَا الدِّينِ الْوَاضِحِ الْعَقِيدَةِ، الْمُسْتَقِيمِ الشَّرِيعَةِ، بِاخْتِيَارِهِمْ دُونَ جَبْرٍ وَلَا إِكْرَاهٍ، وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْعَلَ دَوَامَهُمْ عَلَى الشِّرْكِ بِمَحَلِّ السُّؤَالِ: أَيَتْرُكُونَ عَلَيْهِ أَمْ يُكْرَهُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَكَانَتِ الْجُمْلَةُ اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا، وَالْإِكْرَاهُ الْحَمْلُ عَلَى فِعْلٍ مَكْرُوهٍ..، وَالدِّينُ.. هُوَ هَنَا مُرَادٌ بِهِ الشَّرْعُ، وَالتَّعْرِيفُ فِي الدِّينِ لِلْعَهْدِ؛ أَيْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَنَفْيُ الْإِكْرَاهِ خَبَرٌ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، وَالْمُرَادُ نَفْيُ أَسْبَابِ الْإِكْرَاهِ فِي حُكْمِ الْإِسْلَامِ، أَيْ لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى اتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ قَسْرًا..، دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى إِبْطَالِ الْإِكْرَاهِ عَلَى الدِّينِ بِسَائِرِ أَنْوَاعِهِ، لِأَنَّ أَمْرَ الْإِيمَانِ يَجْرِي على الِاسْتِدْلَال، والتمكين مِنَ النَّظَرِ، وَبِالِاخْتِيَارِ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ قِتَالُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»..، فَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَاسْتِخْلَاصِ بِلَادِ الْعَرَبِ.، فَلَمَّا تَمَّ مُرَادُ اللَّهِ مِنْ إِنْقَاذِ الْعَرَبِ مِنَ الشِّرْكِ وَالرُّجُوعِ بِهِمْ إِلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَمِنْ تَخْلِيصِ الْكَعْبَةِ مِنْ أَرْجَاسِ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْ تَهْيِئَةِ طَائِفَةٍ عَظِيمَةٍ لِحَمْلِ هَذَا الدِّينِ وَحِمَايَةِ بَيْضَتِهِ، وَتَبَيَّنَ هَدْيُ الْإِسْلَامِ وَزَالَ مَا كَانَ يَحُولُ دُونَ اتِّبَاعِهِ مِنَ الْمُكَابَرَةِ، وَحَقَّقَ اللَّهُ سَلَامَةَ بِلَادِ الْعَرَبِ مِنَ الشِّرْكِ كَمَا وَقَعَ فِي خُطْبَةِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»، لَمَّا تَمَّ ذَلِكَ كُلُّهُ أَبْطَلَ اللَّهُ الْقِتَالَ عَلَى الدِّينِ وَأَبْقَى الْقِتَالَ عَلَى تَوْسِيعِ سُلْطَانِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ..: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ٩التوبة:٢٩، وَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْآيَةُ نَاسِخَةً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ آيَاتِ الْقِتَالِ؛ مِثْلِ قَوْلِهِ قبلها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ ٩التوبة:٧٣، عَلَى أَنَّ الْآيَاتِ النَّازِلَةَ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ؛ (أَحَدُهَا): آيَاتٌ أَمَرَتْ بِقِتَالِ الدِّفَاعِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ ٩التوبة:٣٦، وَقَوْلِهِ: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ٢البقرة:١٩٤، وَهَذَا قِتَالٌ لَيْسَ لِلْإِكْرَاهِ عَلَى الْإِسْلَامِ بَلْ هُوَ لِدَفْعِ غَائِلَةِ الْمُشْرِكِينَ، (النَّوْعُ الثَّانِي): آيَاتٌ أَمَرَتْ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَالْكُفَّارِ وَلَمْ تُغَيَّ بِغَايَةٍ؛ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

---

[٢٥٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١ ٣٢٧).

[٢٥٦] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٥٦).

إِطْلَاقُهَا مُقَيَّدًا بِغَايَةِ آيَةِ: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ٩التوبة:٢٩، وَحِينَئِذٍ فَلَا تُعَارِضُهُ آيَتُنَا هَذِهِ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، (النَّوْعُ الثَّالِثُ): مَا غُيِّيَ بِغَايَةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ٢البقرة:١٩٣، فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ مَنْسُوخًا بِهَاتِهِ الْآيَةِ؛ وَآيَةِ: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ٩التوبة:٢٩، كَمَا نُسِخَ حَدِيثُ «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ»، هَذَا مَا يَظْهَرُ لَنَا فِي مَعْنَى الْآيَةِ.. وَلِأَهْلِ الْعِلْمِ قَبْلَنَا فِيهَا قَوْلَانِ؛ (الْأَوَّلُ): قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَسُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ ٩التوبة:٧٣، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْرَهَ الْعَرَبَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَقَاتَلَهُمْ وَلَمْ يَرْضَ مِنْهُمْ إِلَّا بِهِ.. (الْقَوْلُ الثَّانِي): إِنَّهَا مُحْكَمَةٌ وَلَكِنَّهَا خَاصَّةٌ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَقَتَادَةُ وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ هِيَ خَاصَّةٌ بِأَهْلِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُمْ لَا يُكْرَهُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ إِذَا أَدَّوُا الْجِزْيَةَ؛ وَإِنَّمَا يُجْبَرُ عَلَى الْإِسْلَامِ أَهْلُ الْأَوْثَانِ، وَإِلَى هَذَا مَالَ الشَّافِعِيُّ؛ فَقَالَ: إِنَّ الْجِزْيَةَ لَا تُؤْخَذُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ..، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْأَنْصَارِ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنْهُمْ مِقْلَاتًا- أَيْ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ- تَنْذُرُ إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَأَسْلَمُوا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ يَهُودًا؛ فَقَالُوا: لَا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا بَلْ نُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وَقَالَ السُّدِّيُّ: نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو حُصَيْنٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ بْنِ عَوْفٍ وَلَهُ ابْنَانِ، جَاءَ تُجَّارٌ مِنْ نَصَارَى الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَعَوْهُمَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ فَتَنَصَّرَا وَخَرَجَا مَعَهُمْ، فَجَاءَ أَبُوهُمَا فَشَكَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَلَبَ أَنْ يَبْعَثَ مَنْ يَرُدُّهُمَا مُكْرَهَيْنِ؛ فَنَزَلَتْ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وَلَمْ يُؤْمَرْ يَوْمَئِذٍ بِالْقِتَالِ ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِآيَاتِ الْقِتَالِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِنَفْيِ الْإِكْرَاهِ نَفْيُ تَأْثِيرِهِ فِي إِسْلَامِ مَنْ أَسْلَمَ كُرْهًا فِرَارًا مِنَ السَّيْفِ، عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ٤النساء:٩٤، وَهَذَا الْقَوْلُ تَأْوِيلٌ فِي مَعْنَى الْإِكْرَاهِ وَحَمْلٌ لِلنَّفْيِ عَلَى الْإِخْبَارِ دُونَ الْأَمْرِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالدِّينِ التَّوْحِيدُ.. وَإِنَّ نَفْيَ الْإِكْرَاهِ نَهْيٌ، وَالْمَعْنَى لَا تُكْرِهُوا السَّبَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِأَنَّهُنَّ أَهْلُ دِينٍ وَأَكْرِهُوا الْمَجُوسَ مِنْهُمْ وَالْمُشْرِكَاتِ، وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾؛ وَاقِعٌ مَوْقِعَ الْعِلَّةِ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.. والرشد.. الْهُدَى وَسَدَادُ الرَّأْيِ، وَيُقَابِلُهُ الْغَيُّ وَالسَّفَهُ وَالْغَيُّ الضَّلَالُ.. وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ بِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَظُهُورِهِ فِي بَلَدٍ مُسْتَقِلٍّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ"[٢٥٧].

[٢٥٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٣ ٢٥).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Theology

أديان

المَوْضُوع Subject

War Ethics

آداب الحرب في الإسلام

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوَاْ إِنّ اللهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٢البقرة:١٩٠.**
- **﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفّرَنّ عَنْهُمْ سَيّئَاتِهِمْ﴾ ٣آل عمران:١٩٥.**
- **﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفّةً﴾ ٩التوبة:٣٦.**
- **﴿أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنّ اللهَ عَلَىَ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقّ﴾ ٢٢الحج:٣٩و٤٠.**
- **﴿لاّ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرّوهُمْ وَتُقْسِطُوَاْ إِلَيْهِمْ إِنّ اللهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ٦٠الممتحنة:٨.**
- **﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّىَ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٠يونس:٩٩.**
- **﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ١٨الكهف:٢٩.**
- **﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ١٠٩الكافرون:٦.**
- **﴿وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوّ اللهِ وَعَدُوّكُمْ﴾ ٨الأنفال:٦٠.**
- **﴿وَيُطْعِمُونَ الطّعَامَ عَلَىَ حُبّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ ٧٦الإنسان:٨.**

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ ٢البقرة:٢٦٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ٢البقرة:٢٦١-٢٦٧.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾، ﴿وَابِلٌ﴾، ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

The example of those who give their money seeking for ALLAH delight out of sincere conviction; is like a garden on hummock and a cloudburst falls on it, so it doubles its yield of harvest. And if a cloudburst is not available; (even) **dew is sufficient** (for yielding a harvest)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

وردت الآية الكريمة في سياق جملة وصايا تتعلق بالإنفاق في سبيل الله كمثال تصاحبه ثلاثة أمثله في الموضوع؛ (الأول): يتعلق بمضاعفة الأجر كما لو أن سنبلة أنتجت سبع سنابل وكل سنبلة تضاعف محتواها فبلغ مائة حبة؛ فأفاد أن أقصى ما يجب أن تحتويه السنبلة بحسن الفلاحة هو خمسين حبة؛ وهو كذلك بالفعل[٢٥٨]: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ٢البقرة:٢٦١.

و(الثاني): يبين أن الإنفاق رئاء الناس أو برديء الثمر أو بإتباعه بالمن والأذى يُضيع الأجر مع الحاجة الماسة إليه، كما لو أن أحدهم له بستان مثمر وهو على وشك الرحيل وذريته ما زالوا صغارًا لا يقدرون على كسب العيش بعد، فأصابها إعصار تضاعف تدميره بنار صاعقة أحرقته، فأضاع نفسه وذريته وفقد كل الأجر، فالتمثيل وصف الأعاصير الدوارة Hurricane التي لا وجود لها بأرض العرب وكشف تلازم الصواعق مع العواصف الرعدية Thunderbolt: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢البقرة:٢٦٦، وقد أُستشكل أن تُصاحب العواصف والأعاصير أية ظواهر نارية باعتبار أنها دوامات مكونة أساسا من ماء مثلج وبَرَدْ، حيث لم يُعرف إلا حديثًا أن الدور الأساس في تكوين الشرارة النارية وصدور الصاعقة الحارقة يرجع إلى البَرَدْ Hail.

و(الثالث) مثله: حجر صلد غشاه تراب أغرى بإمكان زراعته وجني الثمر؛ وأتاه مطر غزير أزاله فضاع الأمل ولم يبق إلا الحجر الصلد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ ٢البقرة:٢٦٤.

أما ما كان خالصًا لله تعالى وبطيب خاطر بلا بُخل وتتردد فأجره عظيم؛ كما لو أن بستانًا على مرتفع من الأرض يُنتج أحسن الثمر، ويهبط فائض الري للسهل فلا يفسده، وأتاه هطول غزير كفى حاجته فتضاعف ثمره، وإذا لم يأته المطر كافح الجفاف وكفاه البلل والندى لينتج ثمر: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٦٥، فالجانب المعنوي بالتمثيل هو أن المحسن يُنفق تقربًا لله مهما كانت قدرته؛ وهو تعالى يُضاعف أجره وفق نيته وقدرته، والجانب الحِسّي هو أن النبات يَستدعي آليات تُمكنه من تجنب الجفاف؛ كما أن المُحسن يبذل كامل طاقته حين العَوَز، ولا مجال لوصول النَّدَى إلى الجذور العميقة؛ فلم يَبْقَ إلا أوراق النبات لامتصاص ما تَجَمَّعَ عليها من قطرات الماء.

---

[٢٥٨] الموسوعة العالمية ويكيبيديا؛ القمح.

ومن المعاني الضمنية؛ أن المال عطاء رباني كالماء، والربوة رفعة عما يَدَنّس الزرع المُقابل في التمثيل للحسنات، والتمثيل بالربوة المرتفعة عن سطح الأرض إحكام في البيان لأنها استبعدت دور المياه الجوفية في إمداد النبات بالماء، وفي حالة ندرة المطر والزَّخَّات غير الكافية أو امتناعه؛ لم يَبْقَ سوى النَّدَى المُتَجَمِّع على الأوراق ليمد النبات بالماء.

والسحاب بخار ماء متجمع قطرات قد يُرسلها مطرًا، وقد تكون قطرات المطر كثيفة متتابعة وكبيرة سريعة بهيئة وابل cloudburst؛ وهي تنتج ثمر وفير، وفي الجو المشبع ببخار الماء إذا انخفضت درجة حرارة الهواء والأجسام يتكون الضباب والندى؛ كما لو أن السحاب قد أطل بشخصه ليلامس تربة الحقل وأوراق النبات تَحَنُّنًا خشية الجفاف، وكلمة طل إذن من دقيق التعبير وبديع التصوير في القرآن الكريم، وطيف دلالتها إذن واسع؛ يشمل المطر الخفيف ذو القطرات غير الكثيفة والبالغة الضآلة بهيئة رذاذ Drizzle يبلل سطح الأرض، ويشمل الندى Dew والضباب Fog.

قال ابن فارس: "طَلَّ: الطَّاءُ وَاللَّامُ يَدُلُّ عَلَى أُصُولٍ ثَلَاثَةٍ؛ أَحَدُهَا: غَضَاضَةُ الشَّيْءِ وَنَضَارَتُهُ، وَالْآخَرُ: الْإِشْرَافُ، وَالثَّالِثُ: إِبْطَالُ الشَّيْءِ، فَالْأَوَّلُ الطَّلُّ: وَهُوَ أَضْعَفُ الْمَطَرِ؛ إِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يُحَسِّنُ الْأَرْضَ..، وَمِنَ الْبَابِ فِي مَعْنَى الْقِلَّةِ وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الطَّلِّ قَوْلُهُمْ: مَا بِالنَّاقَةِ طَلٌّ أَيْ مَا بِهَا لَبَنٌ؛ يُرَادُ وَلَا قَلِيلٌ مِنْهُ..، وَالْبَابُ الْآخَرُ: الطَّلَلُ؛ وَهُوَ مَا شَخَصَ مِنْ آثَارِ الدِّيَارِ، يُقَالُ لِشَخْصِ الرَّجُلِ طَلَلُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَطَلَّ عَلَى الشَّيْءِ؛ إِذَا أَشْرَفَ..، وَأَمَّا إِبْطَالُ الشَّيْءِ فَهُوَ إِطْلَالُ الدِّمَاءِ وَهُوَ إِبْطَالُهَا..؛ يُقَالُ: طَلَّ دَمُهُ.. إِذَا أُهْدِرَ"[٢٥٩]، وقال الزبيدي: "الطَّلُّ: الْمَطَرُ الضَّعِيفُ أو أَخَفُّ الْمَطَرِ كما في الْمُحْكَمِ، أو أَضْعَفُهُ كما في الصَّحاحِ، قال الرَّاغِبُ: وهو مالَهُ أَثَرٌ قَلِيلٌ؛ ومنهُ قولُهُ تَعالى: (فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وابِلٌ فَطَلٌّ)، أو هو النَّدَى الذي يَنْزِلُ من السَّماءِ في الصَّحْوِ، أو هو فَوْقَهُ ودُونَ الْمَطَرِ"[٢٦٠]، "وطُلَّتِ الأَرْضُ بالضَّمِّ طَلًّا: نَزَلَ عَلَيْها الطَّلُّ..، والطَّلَّةُ: الرَّوْضَةُ بَلَّهَا الطَّلُّ أي النَّدَى.. وأَطَلَّ عَلَيْهِ أي أَشْرَفَ.. وحَقِيقَةُ أَطَلَّ عليه أَوْفَى عليه.. بَشَخْصِهِ.. (و) يَوْمٌ طَلٌّ: ذُو طَلّ؛ أي رَطْبٌ، وأَرْضٌ طَلَّةٌ ومَطْلُولَةٌ: طَلَّها النَّدَى.. والمُطَلَّلُ..: الضَّبَابُ"[٢٦١]، وفي المعجم الوسيط: "الطل.. المطر الْخَفِيف يكون لَهُ أثر قَلِيل؛ وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: {فَإِن لم يصبهَا وابل فطل}، والندى الَّذِي ترسله عروق الشّجر إِلَى غصونها"[٢٦٢].

---

[٢٥٩] أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (١٣ ٤٠٥).

[٢٦٠] محمّد أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (١٢٩ ٣٧٧).

[٢٦١] محمّد أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (١٢٩ ٣٧٩).

[٢٦٢] مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة (١٢ ٥٦٤).

تنمو الأشجار فوق الروابي وقمم الجبال اعتمادا على المطر؛ ويمكن لبعضها الاستفادة من الرذاذ الخفيف وحتى الندي.

والضباب قطرات ماء تكونت ببلوغ الهواء درجة التكاثف، أما الندى فيتكون عندما يتكاثف بخار الماء على سطح الأرض وعلى أوراق النبات عندما تبرد ليلاً وتفقد درجة حرارتها بالإشعاع، وتبلغ البرودة نقطة التكاثف عند توفر رطوبة كافية؛ فتتكون قطرات الندي على الأجسام، وكأن سحب السماء قد أطلت إلى الأرض إطلالة لامست سطحها، ولم يُعرف إلا حديثًا أن أوراق النبات يُمكنها امتصاص الماء وحتى السماد؛ ويتحرك الماء في الاتجاه العكسي للجذور، وقد استغلت هذه الظاهرة اليوم في الري بالرش والتغذية الورقية في مناطق الاستزراع الواسعة في الأراضي الرملية.

استغلت المعرفة بأن بعض الماء يمكن أن يمتص من أسطح الزرع
في الري بالرش والتغذية الورقية في مناطق الاستزراع الواسعة.

وقدرة الأوراق على امتصاص الماء قليلة بالنسبة للجذور؛ لكنها نالت مؤخرًا الاهتمام، وترجع أول إشارة إلى عام ١٩٣٨ عندما ذكر ميللر Miller ملاحظة بأن كميات مُعتبرة من الماء يُمكن أن تمتصها أوراق عدة أنواع من النباتات، وأن البشرة Cuticle عندما تَتَرَطَّب تُصبح شبه منفذة للماء؛ مع احتمال امتصاص الماء أيضا خلال المسامات Lenticels على جذوع الأشجار، وبعض شقوق في اللحاء Bark؛ وحتى خلال الجروح الملتئمة للورقة Leaf Scars، وفي عام ١٩٥٧ درس ستون Stone كمية الندى التي يمكن أن تمتصها النباتات وأهميتها الاقتصادية في توفير الماء، وفي عام ١٩٥٥ كشف ستون وفويل Stone & Fowells أن التجارب في الدفيئة الزجاجية Greenhouse أظهرت أن الندى قد زاد من قدرة شجيرات الصنوبر على البقاء حية، وتوصل دوفديفاني Duvdevani عام ١٩٦٤ وجندل Gindel عام ١٩٧٣ إلى أن الندى ليس مهما للإبقاء على حياة بعض النباتات فقط؛ ولكنه مهم أيضا في نمو بعضها كالحشائش والأشجار الخشبية، ووجد جيندل أن أشجار الصنوبر الحلبي Aleppo Pine يُمكنها حتى أن تمتص الرطوبة Moisture من الهواء، وفي عام ١٩٧٥ وجد سودزوكي Sudzuki أن بعض الأشجار التي تنمو في صحراء تشيلي حيث كمية الأمطار لا تكاد تُذكر تستفيد من بخار الماء Water Vapor الذي تمتصه الأوراق لتبقى حية[٢٦٣].

[٢٦٣] Paul Kramer & Theodore Koziowski, Physiology of Woody Plants, Illinois, Academic press, p. 446 & 447.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في المنتخب: "حال الذين ينفقون أموالهم طلباً لمرضاة الله وتثبيتاً لأنفسهم على الإيمان، كحال صاحب بستان بأرض خصبة مرتفعة يفيده كثير الماء وقليله، فإن أصابه مطر غزير أثمر مثلين، وإن لم يصبه المطر الكثير بل القليل فإنه يكفى لإثماره لجودة الأرض وطيبها، فهو مثمر في الحالتين، فالمؤمنون المخلصون لا تبور أعمالهم، والله لا يخفى عليه شئ من أعمالكم"[٢٦٤]، قال الماوردي: "{كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ}.. الموضع المرتفع من الأرض..، {أَصَابَهَا وَابِلٌ}.. المطر الشديد.. الكثير..، {فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ} وإنما خص الربوة لأن نبتها أحسن وريعها أكثر..، والأُكُل بالضم: الطعام لأن من شأنه أن يؤكل، ومعنى ضعفين: مثلين؛ لأن ضعف الشيء مثله زائداً عليه (أي هو ومثله معه)..، {فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ} الطل: الندى؛ وهو دون المطر..، وزرع الطل أضعف من زرع المطر وأقل ريعاً، وفيه وإن قل تماسكٌ ونَفْعٌ ، فأراد بهذا ضرب المثل: أن كثير البر مثل زرع المطر كثير النفع، وقليل البر مثل زرع الطل قليل النفع، ولا تدع قليل البر إذا لم تفعل كثيره، كما لا تدع زرع الطل إذا لم تقدر على زرع المطر"[٢٦٥]، وقال الراغب الأصفهاني: "يُقال لكل ما زاد وعلا ربا؛ ومنه الربا، والطل.. الندى، وطلت الأرض أصابها طل..، بين تعالى أن المنفق ماله.. ينبغي أن يكون قاصدا به.. ابتغاء مرضاة الله.. بتثبيت النفس أي رياضتها لأداء الأمانات وبذل المعونات..، فإن النفوس ما لم ترض لم تسمح؛ إذ هي مجبولة على الشح..، وببذل الصدقة وفعل الخير يتطهر (الإنسان) ويتزكى؛ ولهذا قال: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}..، وبين أن مثل نفوس المنفقين أموالهم على هذا الوجه كمثل روضة بربوة فشبه نفوسهم بالروضة وما يأتيهم من التوفيق والهداية من جهة الله بسبب الأنفاق بما يأتي الروضة من الوابل والطل، وشبه تزكية النفوس بزكاة الأكل..، وتخصيص الربوة لأن تأثير الشمس فيها أكثر"[٢٦٦].

وفي التفسير الوسيط: "{ابْتِغَآءَ مَرْضَاةِ اللهِ}: طلبًا لرضا الله سبحانه، {وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ}: أي وتثبيتًا للبذل والإنفاق في أنفسهم، حتى يكون ذلك عادة..، {جَنَّةٍ}: الجنة البستان، {بِرَبْوَةٍ}: الربوة المكان المرتفع عن الأرض، {فَآتَتْ أُكُلَهَا}: أعطت مأكُولها وثمرها، {ضِعْفَيْنِ}: مثلين؛ أي مثلَىْ ما كان يعهد منها، أو مثلي ما يعطيه غيرها عادة، {وَابِلٌ}: مطر عظيم القطر، {فَطَلٌّ}: مطر خفيف صغير القطر وهو الرذاذ..، (والمثل) بيان جزاء الإنفاق في سبيل الله، ومعناه: ومثل إنفاق المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في وجوه البِرّ طلبا لمرضاة الله تعالى وتثبيتًا للبذل من أنفسهم؛ حتى يصبح الإنفاق في سبيل الله عادة لنفوسهم وطبيعة فطرية لها، فلا يترددوا في وضع صدقاتهم في مواضعها الجديرة بها كلما دعا داع إلى ذلك؛ مثل هذا الإنفاق كمثل بستان بمكان مرتفع من الأرض، تجود فيه الأشجار وتزكو الثمار؛ أنعم الله عليه بالماء الغزير فزاد ذلك في خصبه وضاعف من ثماره، فأعطى أصحابه من الثمار ضعفين لطيب تربته وغزارة مائه..، {فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ} فرذاذ يكفيها لتجود بثمرها، فهي في كلتا الحالتين مثمرة نافعة، وهذا مثل ضربه الله تعالى للطائعين المنفقين في سبيل الله بحسب نياتهم ونفقاتهم، فكلما حسنت نياتهم وزاد بذلهم في نفقاتهم في سبيل الله؛ تضاعف ثوابهم كما يتضاعف ثمر البستان المرتفع الطيب التربة الغزير المطر، وإن حسنت نياتهم وقَلَّ بذلهم وإنفاقهم في سبيل الله..؛ أثيبُوا كذلك على قدر بذلهم ونياتهم، كما يثمر البستان المرتفع الخصب الذي يصيبه الطل ويسقى نباته المطر القليل، قال الآلوسي: وخلاصة هذا التشبيه أن نفقات هؤلاءِ زاكية عند الله، لا تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت بحسب تفاوت ما يوازنها من الإخلاص والتعب وحب المال والإيصال إلى الأحوج التقي وغير ذلك..، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}: للإيذان بأنه مطلع على أعمالهم، فيعلم قلتها وكثرتها، وإخلاصهم فيها إن أخلصوا ودرجة هذا الإخلاص، ويعلم رياءَهم فيها إن لم يخلصوا ودرجة هذا الرياءِ، وأنه يجازي كلًّا على حسب حاله، ففي هذه الجملة: ترغيب للمنفقين في الإخلاص ووعيد للمرائين وتحذير لهم من عاقبة الرياء."[٢٦٧].

---

[٢٦٤] لجنة من علماء الأزهر؛ المنتخب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر، مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر؛ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م (١١ ٦٣).

[٢٦٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١ ٣٤٠).

[٢٦٦] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ٥٥٧).

[٢٦٧] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١١ ٤٥٥).

وقال ابن عاشور: "عُطِفَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالهم فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ عَلَى مَثَلُ الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ؛ لِزِيَادَةِ بَيَانِ مَا بَيْنَ الْمَرْتَبَتَيْنِ مِنَ الْبَوْنِ، وَتَأْكِيدًا لِلثَّنَاءِ عَلَى الْمُنْفِقِينَ بِإِخْلَاصٍ، وَتَفَنُّنًا فِي التَّمْثِيلِ، فَإِنَّهُ قَدْ مَثَّلَهُ فِيمَا سَلَفَ بِحَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ.، فَلَمَّا مَثَّلَ حَالَ الْمُنْفِقِ رِئَاءً.، أُعِيدَ تَمْثِيلُ حَالِ الْمُنْفِقِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ بِمَا هُوَ أَعْجَبُ فِي حُسْنِ التَّخَيُّلِ فَإِنَّ الْأَمْثَالَ تُبْهِجُ السَّامِعَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ تركيبا.. وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَقَاصِدِ التَّشْبِيهِ.، (ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً).. أَيْ مُبْتَغِينَ مَرْضَاةَ اللَّهِ.، وَ(التَّثْبِيتُ) تَحْقِيقُ الشَّيْءِ وَتَرْسِيخُهُ؛ وَهُوَ تَمْثِيلٌ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِكَبْحِ النَّفْسِ عَنِ التَّشَكُّكِ وَالتَّرَدُّدِ، أَيْ أَنَّهُمْ يَمْنَعُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ التَّرَدُّدِ فِي الْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَلَا يَتْرُكُونَ مَجَالًا لِخَوَاطِرِ الشُّحِّ؛ وَهَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ ثَبَتَ قَدَمُهُ أَيْ لَمْ يَتَرَدَّدْ وَلَمْ يَنْكِصْ، فَإِنَّ إِرَاضَةَ النَّفْسِ عَلَى فِعْلِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهَا لَهَا أَثَرٌ فِي رُسُوخِ الْأَعْمَالِ حَتَّى تَعْتَادَ الْفَضَائِلَ وَتَصِيرَ لَهَا دَيْدَنًا.، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَثْبِيتًا تَمْثِيلًا لِلتَّصْدِيقِ أَيْ تَصْدِيقًا لِوَعْدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصًا فِي الدِّينِ لِيُخَالِفَ حَالَ الْمُنَافِقِينَ فَإِنَّ امْتِثَالَ الْأَحْكَامِ الشَّاقَّةِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ تَصْدِيقٍ لِلْآمِرِ بِهَا.، وَيَجِيءُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ فِي تَفْسِيرِ التَّثْبِيتِ مَعْنًى أَخْلَاقِيٌّ جَلِيلٌ أَشَارَ إِلَيْهِ الْفَخْرُ؛ وَهُوَ مَا تَقَرَّرَ فِي الْحِكْمَةِ الْخُلُقِيَّةِ أَنَّ تَكَرُّرَ الْأَفْعَالِ هُوَ الَّذِي يُوجِبُ حُصُولَ الْمَلَكَةِ الْفَاضِلَةِ فِي النَّفْسِ، بِحَيْثُ تَنْسَاقُ عَقِبَ حُصُولِهَا إِلَى الْكَمَالَاتِ بِاخْتِيَارِهَا وَبِلَا كُلْفَةٍ وَلَا ضَجَرٍ.، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ تَصِيرُ الْآيَةُ تَحْرِيضًا عَلَى تَكْرِيرِ الْإِنْفَاقِ، وَمُثِّلَ هَذَا الْإِنْفَاقُ بِجَنَّةٍ بِرُبْوَةٍ.، فالهيأة الْمُشَبَّهَةُ هِيَ النَّفَقَةُ.. والهيأة الْمُشَبَّهَةُ بِهَا هِيَ هيأة الْجَنَّةِ الطَّيِّبَةِ الْمَكَانِ الَّتِي جَاءَهَا التَّهْتَانُ (أمطار متكررة) فَزَكَا ثَمَرُهَا وَتَزَايَدَ.. أَوْ أَصَابَهَا طَلٌّ فَكَانَتْ دُونَ ذَلِكَ، وَالْجَنَّةُ مَكَانٌ مِنَ الْأَرْضِ ذُو شَجَرٍ كَثِيرٍ بِحَيْثُ يُجَنُّ أَيْ يستر الْكَائِنَ فِيهِ فَاسْمُهَا مُشْتَقٌّ مِنْ جَنَّ إِذَا سَتَرَ، وَأَكْثَرُ مَا تُطْلَقُ الْجَنَّةُ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى ذَاتِ الشَّجَرِ الْمُثْمِرِ الْمُخْتَلِفِ الْأَصْنَافِ، فَأَمَّا مَا كَانَ مَغْرُوسًا نَخِيلًا بَحْتًا فَإِنَّمَا يُسَمَّى حَائِطًا، وَالْمُشْتَهَرُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مِنَ الشَّجَرِ الْمُثْمِرِ غَيْرِ النَّخِيلِ هُوَ الْكَرْمُ وَثَمَرُهُ الْعِنَبُ أَشْهَرُ الثِّمَارِ فِي بِلَادِهِمْ بَعْدَ التَّمْرِ، فَقَدْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ وَالطَّائِفِ، وَمِنْ ثِمَارِهِمُ الرُّمَّانُ، فَإِنْ كَانَ النَّخْلُ مَعَهَا قِيلَ لَهَا جَنَّةٌ.، هَذَا مَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ كَلَامِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ.، وَ(الرَّبْوَةُ).. مَكَانٌ مِنَ الْأَرْضِ مُرْتَفِعٌ دُونَ الْجُبَيْلِ.، وَتَخْصِيصُ الْجَنَّةِ بِأَنَّهَا فِي رَبْوَةٍ لِأَنَّ أَشْجَارَ الرُّبَى تَكُونُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا وَأَزْكَى ثَمَرًا؛ فَكَانَ لِهَذَا الْقَيْدِ فَائِدَتَانِ إِحْدَاهُمَا قُوَّةُ وَجْهِ الشَّبَهِ كَمَا أَفَادَهُ قَوْلُ ضِعْفَيْنِ، وَالثَّانِيَةُ تَحْسِينُ الْمُشَبَّهِ بِهِ الرَّاجِعُ إِلَى تَحْسِينِ الْمُشَبَّهِ فِي تَخَيُّلِ السَّامِعِ، وَ(الْأُكُلُ).. هُوَ فِي الْأَصْلِ مَا يُؤْكَلُ وَشَاعَ فِي ثِمَارِ الشَّجَرِ.، وَقَوْلُهُ: (ضِعْفَيْنِ).. أَيْ آتَتْ أُكُلَهَا مُضَاعَفًا.، وَقَوْلُهُ: (فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ) أَيْ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا مَطَرٌ غَزِيرٌ كَفَاهَا مَطَرٌ قَلِيلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا دُونَ الضِّعْفَيْنِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْإِنْفَاقَ لِابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللَّهِ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُتَفَاوِتٌ عَلَى تَفَاوُتِ مِقْدَارِ الْإِخْلَاصِ فِي الِابْتِغَاءِ وَالتَّثْبِيتِ كَمَا تَتَفَاوَتُ أَحْوَالُ الْجَنَّاتِ الزَّكِيَّةِ فِي مِقْدَارِ زَكَائِهَا؛ وَلَكِنَّهَا لَا تُخَيِّب صَاحِبَهَا"[٢٦٨].

[٢٦٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٣ ٥٠).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Botany

علم النبات

المَوْضُوع Subject

Plant's Leaf

ورقة النبات

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٦١.**
- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ٢البقرة:٢٦٤.**
- **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٦٥.**
- **﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢البقرة:٢٦٦.**

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّة مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ٢البقرة:٢٦٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢البقرة:٢٦١-٢٦٦.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿جَنَّةٌ﴾، ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾، ﴿فِيهِ نَارٌ﴾، ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

All Would any of you wish to have a garden with date-palms and vines, with rivers flowing underneath, and all kinds of fruits for him therein, while he is stricken with old age, and his children are weak (not able to look after themselves)**, then it is struck with a fiery whirlwind, so that it is burnt?**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لا يدري الصحيح البدن عادة بقيمة صحته حتى يذوق المرض، وبالمثل لا يستشعر الإنسان بقيمة ما منحه الله تعالى من نعم حتى تصيبه الكوارث، والجو نعمة عظيمة حيث جعل الأرض مؤهلة لنشأة الحياة قبل مجيء الإنسان، وظواهر الطقس تُساهم بنصيب كبير في الكوارث؛ فقد أودت كوارث الطقس بحياة ثلاثة أرباع المليون شخص خلال الثلاثين سنة الماضية، وضربت مثلا بنغلادش عام ١٩٧٢ وراح ضحيتها ٢٢٠ ألف شخص وضربتها عام ١٩٩١ وراح ضحيتها ١٤٠ ألف شخص نتيجة الفيضانات التي سببتها، وفي عام ٢٠٠٣ وحده تكبدت أمريكا خسائر بلغت ١١ مليار دولار، وإعصار كاترينا الذي حدث في ٢٩ أغسطس ٢٠٠٥ وألحق الدمار بثلاث ولايات أمريكية هي لويزيانا وأريزونا والمسيسيبى يعد الأسوأ في تاريخ أمريكا، فقد أدى إلى نزوح أكثر من مليون شخص وأضر بصناعة النفط وبلغ عدد المنكوبين والضحايا الآلاف وأعقبه إعصار ريتا ويتوقع المزيد، وطبقا لتسجيلات موسم الأعاصير في منطقة الأطلنطي الذي يمتد بين شهري يونيو ونوفمبر لا تكون بالغة الشدة غالبا، ولكن مع تغير المناخ تزايد معدل حدوثها واشتدت قوتها فبدت الأحداث هذا الموسم وكأنها حرب تأديبية قاسية تكتسح جنودها من الأعاصير والطوفان الشواطئ الأمريكية بلا مقاومة، ونتيجة لانتشار الفوضى وأعمال السلب والنهب عقب إعصار كاترينا اضطرت الحكومة الأمريكية لإرسال ٤٠ ألف جندي إلى المناطق المنكوبة واسترجعت ٣٠٠ طيار من مهمات بالخارج وقبلت مساعدات دول نامية كسيريلانكا، وكأن الأعاصير تقول وهي تزمجر مخلفة الخراب خلفها: "لا يمتنع من قدر الله تعالى شيء حتى ولو كان أقوى الدول"، ولم تفلح الدول المتقدمة في منع الأعاصير رغم النجاح في رصدها بالأقمار الصناعية قبل وصولها.

وهكذا تنبه الكوارث الإنسان من حين لآخر بالقدرة على سلب نعم تحيطه وتذكره بعجزه أمام قدر لا يملك دفعه؛ وبخراب أكبر وهول أعظم أنذر به الأنبياء، فقشرة الأرض تحت قدميه تطفو فوق بحر هائج يغلي بالحمم التي تذيب حرارتها أصلب الصخور، وتترصد به في الفضاء أرتال كالطير الأبابيل لترجمه بالحجارة، وقد تنقلب النعمة محنة وتصبح الجو مصدر الكارثة فيزمجر بالأعاصير، وهكذا تتلاحق النذر مع كل نازلة لتعلن عن تدبير قوة أكبر لا يعجزها شيء؛ ومشيئة أعظم لا يدفعها احتياط بشر، وتعجب أن يصرح القرآن الكريم أن الريح يمكنها تدمير العمران في وقت لا يعرف أحد عن قدرتها شيئا كما نعلم اليوم، يقول العلي القدير: ﴿فَأَمّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدّ مِنّا قُوّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّ اللّهَ الّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِيَ أَيّامٍ نّحِسَاتٍ لّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىَ وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ﴾ فصلت:١٥و١٦.

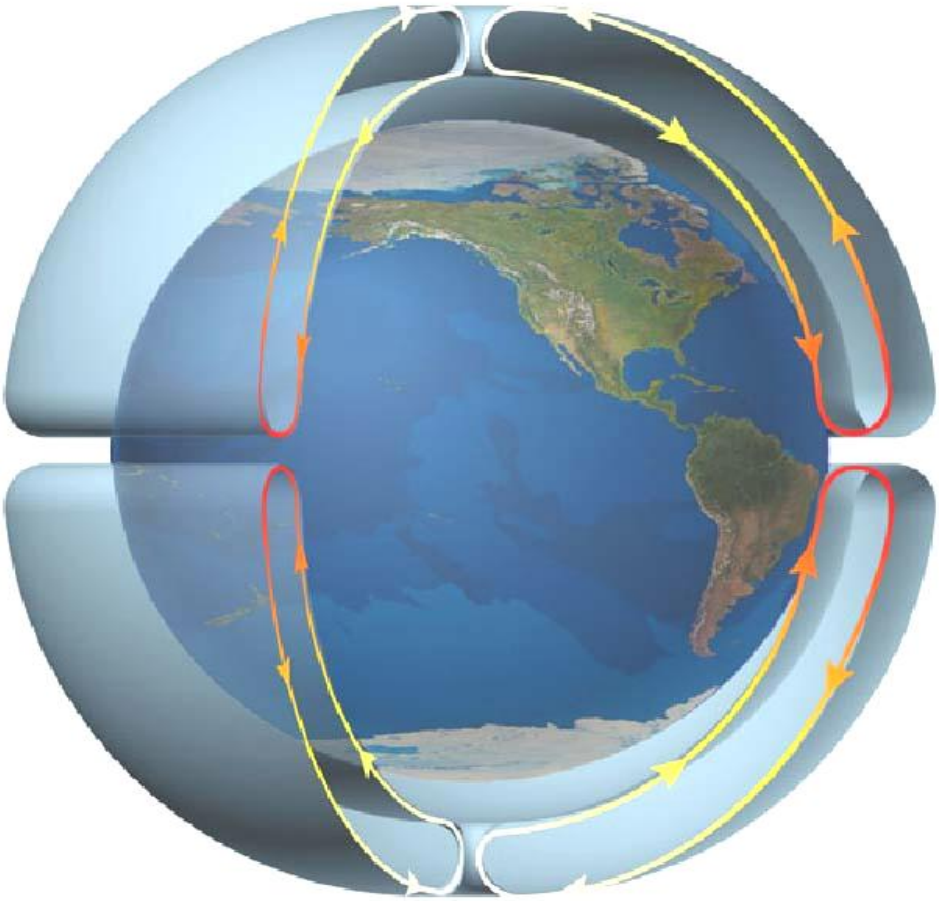

الدورة العامة للرياح حول الأرض.

والرياح هواء متحرّك، وقد تهب بلُطف أو بسرعة وعُنف لدرجة تجعلها تدمر المباني الخشبية وتقتلع الأشجار، والرياح القوية يُمكنها أن تضرب سطح المحيط وتولد أمواجًا عاتية يُمكن أن تحطم الزوارق وتضر بمنشآت السواحل، وبإمكان الرياح كعامل مؤثر من عوامل التعرية أن تُبلي الصخر وتغير ملامح الأرض على المدى الطويل، والرياح جزء من الطقس؛ فاليوم الحار الرطب قد يتحول فجأة إلى بارد إذا ما هبّت الرياح من منطقة باردة، والسحب المُحَمَّلة بالمطر والبرق قد تتكون حيث يلتقي الهواء البارد بالهواء الحار الرطب، وتُسمى الرياح وفقًا للاتجاه الذي تهب منه؛ فعلى سبيل المثال تهب الرياح الشرقية من الشرق إلى الغرب والرياح الشمالية تهب من الشمال إلى الجنوب، وتحدث الرياح نتيجة التسخين غير المتساوي للغلاف الجوي عن طريق الطاقة المنبعثة من الشمس، فالهواء الذي يعلو المناطق الحارة يتمدد ويرتفع ويحل محله هواء من المناطق الأبرد، وتسمى هذه العملية دورة، وتسمى الدورة فوق الأرض بكاملها بالدورة العامة بينما تسمى الدورات النسبية الصغرى والتي يُمكن أن تتسبب في حدوث تغيرات في الرياح يومًا بعد يوم بالدورات النسبية الشاملة للرياح؛ أما الرياح التي من المُمكن أن تحدث في مكان واحد فقط فإنها تُسمّى الرِّياح المحليَّة.

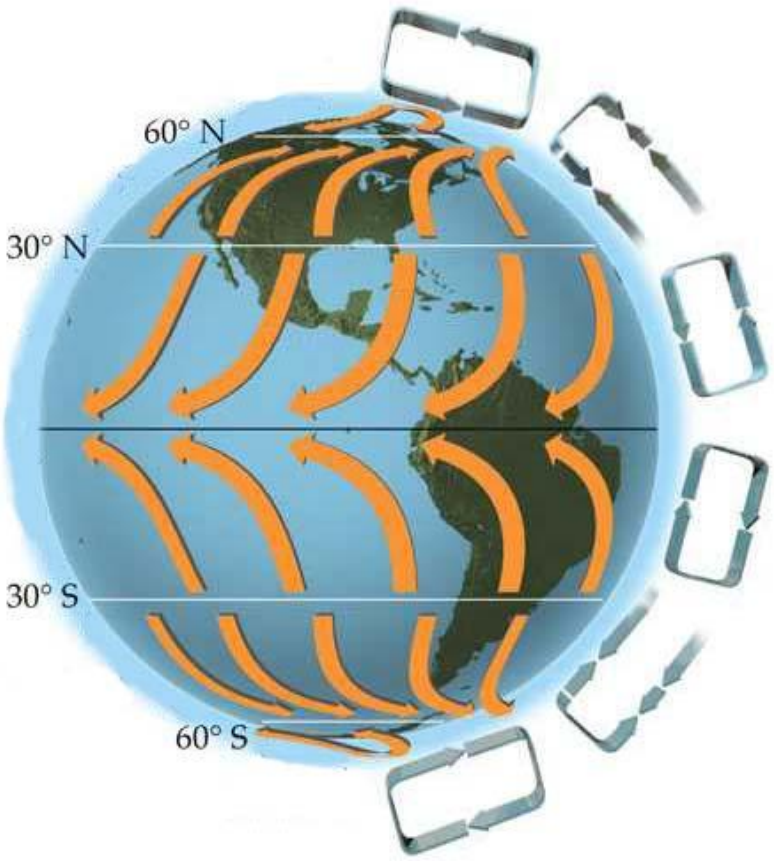

وتحدث الدورة العامة للرياح فوق قطاعات كبيرة من سطح الأرض، وتُسمّى الرياح السائدة، وتتنوع هذه الرياح باختلاف خط العرض؛ فبالقرب من خط الاستواء يرتفع الهواء الساخن إلى ما يقرب من ١٨ كم فيتحرك الهواء الأبرد ليحل محله في نطاقين من الرياح السائدة يقعان بين خط الاستواء وخطيّ عرض ٣٠° شمالاً وجنوباً وتُسمّى الرياح في هذه المناطق بالرياح التجارية، وسبب التسمية؛ اعتماد التجار عليها قديما في إبحار السفن التجارية، ولا تهب الرياح التجارية في اتجاه عمودي تماما على خط الاستواء بسبب حركة الأرض حول نفسها عكس عقارب الساعة ومعها الجو، وحركة الأرض تجر الجو معها فيتأخر عنها مما يدفع الهواء المتحرك غربا في كل من الشمال والجنوب، ويعود بعض الهواء الذي ارتفع عند خط الاستواء إلى سطح الأرض بين خطي عرض ٣٠ °شمالاً وجنوبًا من خط الاستواء فتضعف الرياح عند الحزامين لأن حركة الريح رأسية نحو الأسفل، ويُقال أن سبب تسمية تلك المناطق بعروض الخيل هو أن عددًا كبيرًا من الخيول قد نَفَقَتْ على ظهر السفن الشراعية التي توقفت عن الحركة فيها بسبب شدة ضعف الرياح.

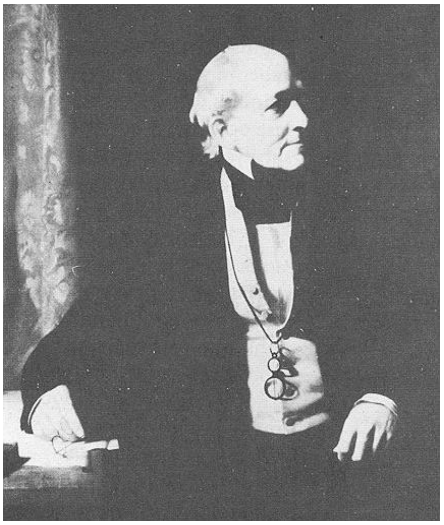

فرانسيس بوفورت Francis Beaufort (١٧٧٤-١٨٥٧)

وقد صنف فرانسيس بوفورت Francis Beaufort (١٧٧٤-١٨٥٧) عام ١٨٠٥ الرياح تبعا لشدتها وتأثيرها على السفن الشراعية إلى درجات، ثم عُدِّل الجدول لاحقًا وفقًا لسرعة الريح والتأثيرات على اليابسة، وطبقًا لمقياس بيفورت المتدرج Beaufort's Scale المعتمد لدى المنظمة العالمية للأرصاد الجوية World Meteorological Organization وجد بعض الباحثين أنه يلتقي مع تصنيفات الريح التي ذكرها القرآن على النحو التالي؛ (درجة صفر): هواء هادئ Calm سرعته دون ٢ كم/ساعة ويكون البحر كالمرآة، ويقابلها قوله تعالى: "إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ" الشورى:٣٣، و(درجة ١): وهي ريح خفيف Light air سرعته ٢-٧ كم/ساعة، ويقابلها قوله تعالى: "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ" ص:٣٦.

و(درجة ٢): نسيم خفيف Light breeze سرعته ٧-١٣ كم/ساعة ويمكن الإحساس به على الوجه والشعور بحفيف ورق الشجر، و(درجة ٣): نسيم لطيف Gentle breeze سرعته ١٣-٢٠ كم/ساعة ويجعل الأعلام ترفرف، ويقابلان قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ" يونس:٢٢، و(درجة ٤): نسيم معتدل Moderate breeze سرعته ٢٠-٣٢ كم/ساعة ويجعل الأغصان الصغيرة تتمايل، وينسجم مع قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ" الروم:٤٦، وقوله تعالى: "وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ" الحجر:٢٢.

و(درجة ٥): نسيم منعش Fresh breeze سرعته ٣٢-٤١ كم/ساعة ويجعل الأشجار الصغيرة تتمايل، ويقابلها قوله تعالى: "كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ" إبراهيم:١٨، و(درجة ٦): نسيم قوي Strong breeze سرعته ٤١-٥٢ كم/ساعة؛ ويجعل الأغصان الكبيرة تتمايل، و(درجة ٧): دون الهبوب Near gale سرعته ٥٢-٦٣ كم/ساعة ويكاد يجعل السير صعبا في مواجهته، ويقابلهما قوله تعالى: "فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ" الإسراء:٦٩، و(درجة ٨): هبوب Gale سرعته ٦٣-٧٦ كم/ساعة ويصعب السير في مواجهته، و(درجة ٩): هبوب قوي Strong gale سرعته ٧٦-٨٩ كم/ساعة ويجعل الألواح الخشبية تتطاير، ويقابلهما قوله تعالى: "جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ" يونس:٢٢، و(درجة ١٠): عاصفة Storm سرعتها ٨٩-١٠٤ كم/ساعة تقتلع الأشجار وتتلف بعض المباني، و(درجة ١١): عاصفة عنيفة Violent storm سرعتها ١٠٤-١١٩ كم/ساعة وتسبب تلف شديد للمباني، ويقابلهما قوله تعالى: "وَأَمَا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ" الحاقة:٦و٧، و(درجة ١٢): إعصار Hurricane سرعته تزيد عن ١١٩ كم/ساعة ويسبب دمارًا هائلاً تبعا لسرعته وربما حرائق، ويقابله قوله تعالى: "فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت" البقرة :٢٦٦، ولا يصدر هذا التوافق العجيب بين التقسيم العلمي المعاصر للرياح وبين أنواعها في القرآن إلا عن علم؛ خاصة أن هذا التنويع مع بيان خصائص كل نوع وفق شدته وآثاره لا تجده في أي كتاب آخر يُنسب للوحي غير هذا الكتاب الكريم!.

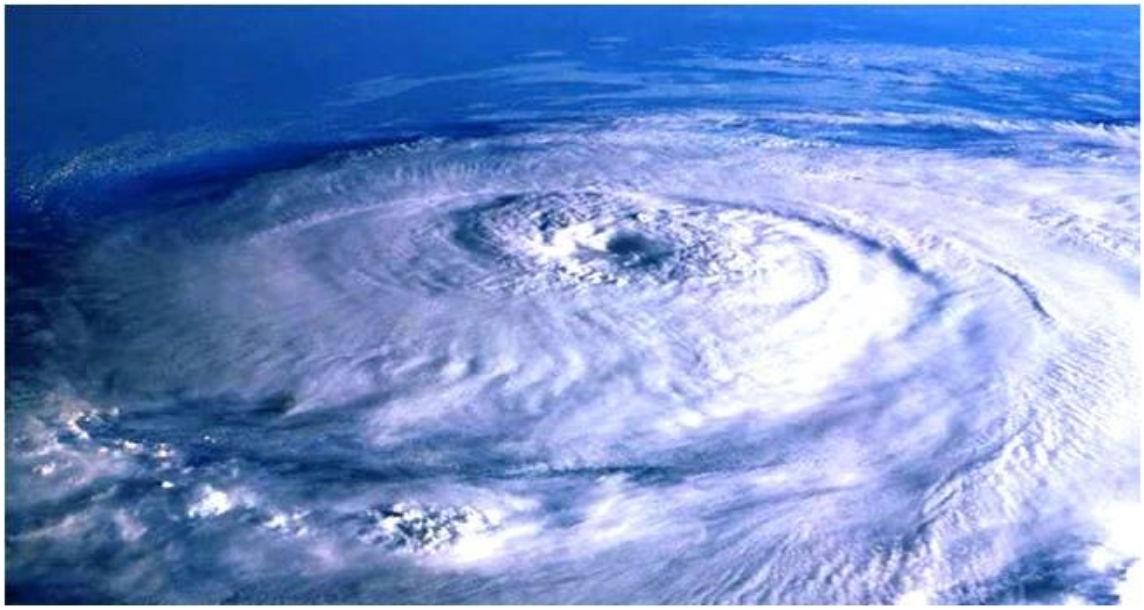

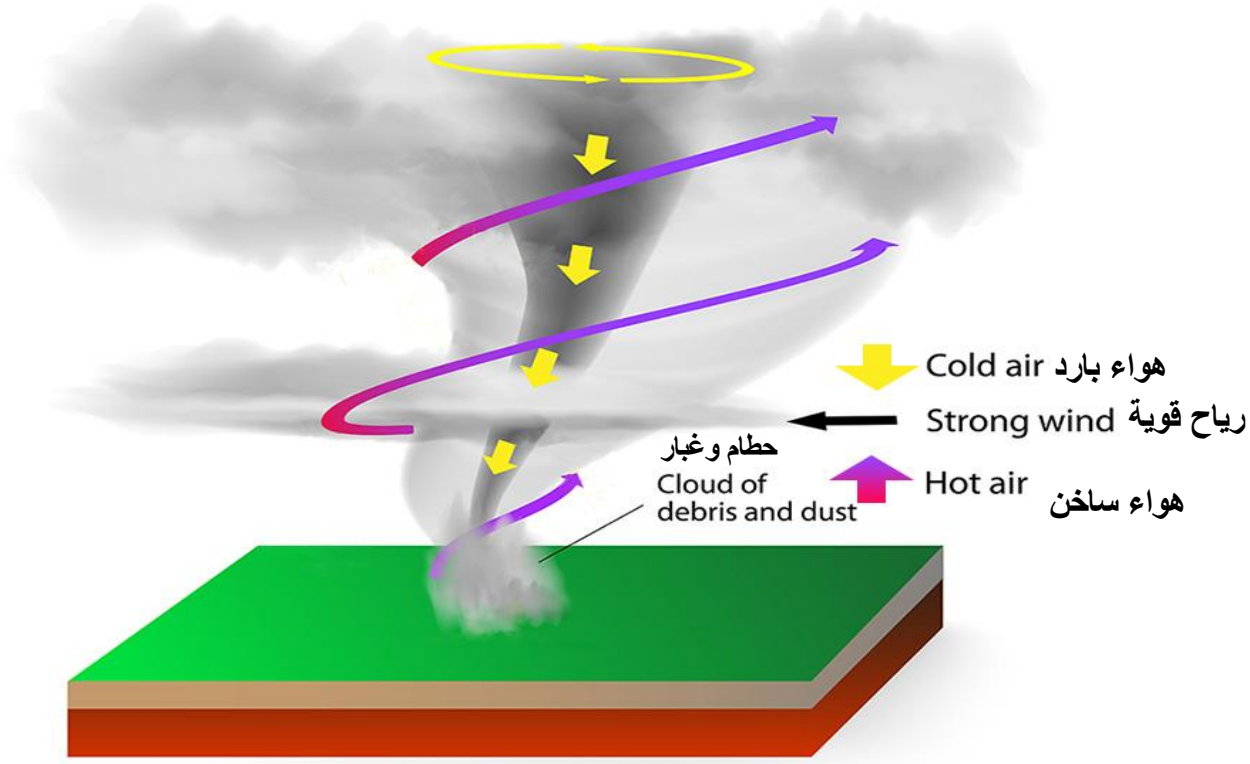

والإعصار رياح دوارة شديدة ووسطها منخفض الضغط، وقد تمتد أطرافها لتصل إلى ٨٠٠ كيلومتر ويصل ارتفاعها إلى ١٦ كيلومتر، وقد تجمع عدة سحب رعدية ممطرة، ورغم أن السرعة قد تصل عند أطرافها إلى مئات الكيلومترات في الساعة؛ لكن المركز المسمى عين الإعصار يظل في غاية الهدوء ويخلو من السحب، وعندما يتحرك الإعصار فوق مياه المحيطات فإن سرعة الريح عند الأطراف تؤثر على حركة المياه فتنشأ الأمواج العالية المدمرة التي قد يصل ارتفاعها إلى عدة أمتار، وتتكون الأعاصير بسبب التسخين غير المتساوي للهواء وماء المحيطات في المناطق الاستوائية وعند صعود الهواء المتخلخل والمشبع بالماء إلى أعلى تديره التيارات العلوية بنفس اتجاه دوران الماء عند نزوله نحو فتحة حوض غسيل الأيدي، وكلما مر بمنطقة بحرية دافئة تغذيه يزداد قوة ولكن عند مروره باليابسة فإنه يفقد بعض من قوته مقابل ما يلحق بتلك المنطقة من أضرار، وهكذا ينشأ الإعصار كمنخفض جوي Depression يدفع الهواء حوله للدوران بسرعة، وعندما تزيد سرعة الريح عن ١١٩ كيلومتر في الساعة يطلق عليها إعصار Tornado، ويُسمى محليا بمنطقة الأطلنطي هاريكان Hurricane؛ إله الأعاصير عند الهنود الحمر، وفي المحيط الهادي يُسمى سيكلون Cyclone؛ وهي كلمة إغريقية الأصل تعني رياح دوارة، ويسمى إعصار الجزء الغربي من المحيط الهادي بالقرب من الفلبين والصين وبنغلادش تيفون Typhoon وأصلها كلمة طوفان العربية.

والإعصار قد يصاحبه رعد وبرق فيسمى بالإعصار الرعدي Thunderstorms إذا دخلت في تكوينه سحب مشحونة كهربيًّا، وهو من أشد الأعاصير عنفًا وضراوةً؛ وقد تزيد الصواعق من شدة المأساة بإشعال الحرائق ومضاعفة الدمار، وتلك المعرفة العلمية الحديثة تطابق قوله تعالى: "فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت" البقرة :٢٦٦.

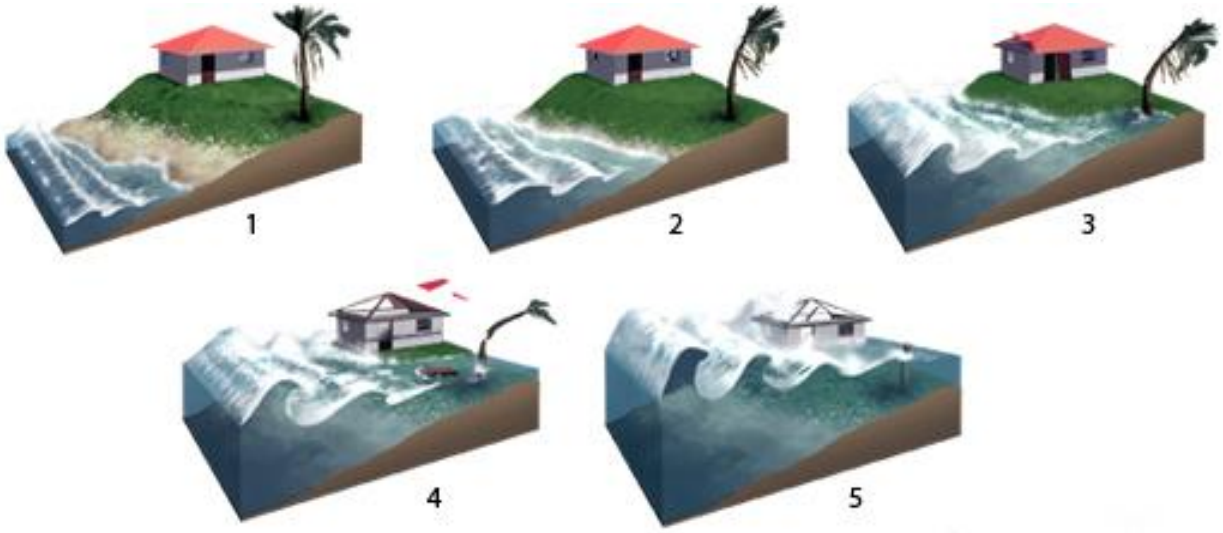

ووفق مقياس سافير سيمسون Saffir-Simpson تقسم الأعاصير إلى ٥ درجات تبعا لسرعة الريح عند طرف الإعصار؛ الفئة الأولى من ١١٩ إلى ١٥٣ كم في الساعة والثانية من ١٥٤ إلى ١٧٧ كم في الساعة والثالثة من ١٧٨ إلى ٢٠٩ كم في الساعة والرابعة من ٢١٠ إلى ٢٤٩ كم في الساعة والخامسة ٢٥٠ كم في الساعة وأكثر، والأعاصير التي تضرب سواحل أمريكا ومنطقة الكاريبي تنشأ في معظمها عند سواحل أفريقيا بالقرب من خط الاستواء بسبب تسخين المحيطات، وينطلق الإعصار من مناطق تكونه في المحيطات بسرعة غالبا دون ٣٠ كم في الساعة ليهاجم اليابسة وينشر الخراب، ومتوسط عمره حوالي عشرة أيام تقريبا وقد يستمر نشطا ومرتحلا لمدة ثلاثة أسابيع، وإذا توفرت رياح أفقية قوية تنقله من منطقة إلى أخرى؛ قد لا يؤثر غالبًا على منطقة بعينها إلا لمدة يوم أو يومين.

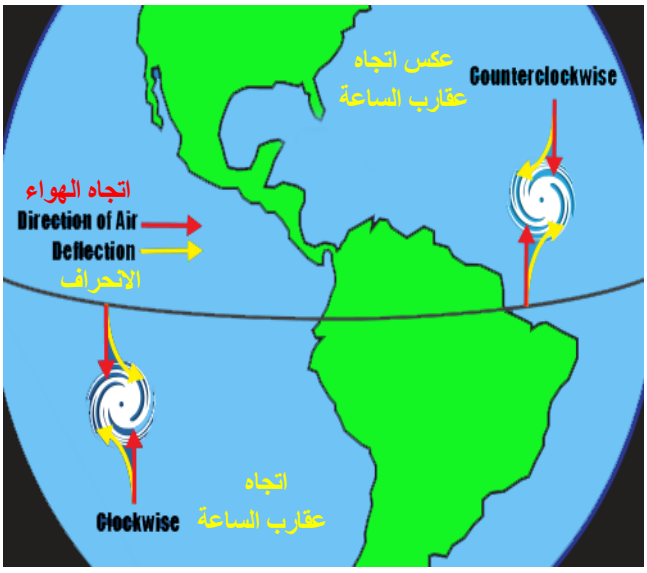

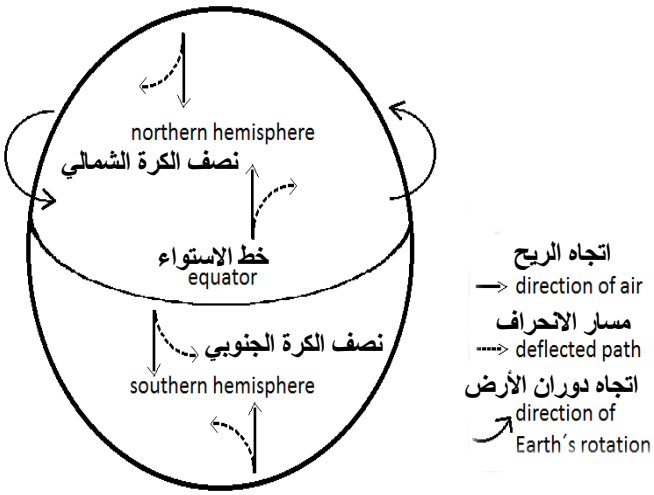

ومن أجل أن يتكون الإعصار يلزم ألا تقل درجة حرارة مياه المحيط عن ٢٦,٥ درجة مئوية ولعمق لا يقل عن ٥٠ مترًا؛ مع توفر رياح سطحية رافعة ورياح قوية في أعالي الجو تدير الإعصار، ومع حركة الأرض حول محورها ينشأ التفاف للرياح شمال خط الاستواء عكس اتجاه عقارب الساعة من الغرب إلى الشرق، ودورانها بالعكس جنوب خط الاستواء مع اتجاه عقارب الساعة من الشرق إلى الغرب وفقا لما يسمى بتأثير كوريولس Coriolis Effect.

ونتيجة لتزايد درجة حرارة الكوكب بسبب تراكم المخلفات الصناعية بالجو خاصة ثاني أكسيد الكربون يتوقع أن تزداد نسبة وشدة الأعاصير، وأول من بدأ بتسمية العواصف كان عالم أرصاد أسترالي؛ إذ كان يسمي هذه العواصف المدمرة بأسماء سياسيين لا يحبهم، واعتبارا من عام ١٩٥٣ أعطيت أسماء مؤنثة للأعاصير ربما تمنيا أن تكون هادئة قليلة الشراسة، ونظرا لكثرة الأعاصير شرق الولايات المتحدة اعتمد المركز الوطني للأعاصير في ميامي قائمة أسماء للتمييز؛ يُعاد استخدامها كل ست سنوات، وابتداء من عام ١٩٧٩ تم تطبيق نظام الأسماء المذكرة والمؤنثة بالتناوب بحيث يتبع كل اسم مؤنث باسم مذكر؛ إذ لا دخل للأماني بالأعاصير، فأعلن عن إعصار إملي Emily وهو اسم مؤنث بعد إعصار دينيس Dennis وهو اسم مذكر، وبعد إملي فرانكلين Franklin، وقد سبق إعصار دينيس ثلاثة أعاصير أخرى في عام واحد لم تشتهر وهي أرلين Arlene وبرت Bret وسيندي Cindy، وفي القائمة رصيد لتسميات أخرى عديدة جاهزة تحت الطلب؛ إذ أصبحت كأنها حرب صريحة موجهة ضد أمريكا: Jose, Irene, Harvey, Gert ، Wilma, Vince, Tammy, Stan, Rita, Philippe, Ophelia, Nate, Maria, Lee, Katrina, وقد تحذف بعض الأسماء في حالة تسببها في أضرار كبيرة، فمثلا لن تسمى أي عاصفة بعد اليوم باسم أندرو Andrew أو هيوجو Hugo لأنهما من بين الأعاصير الأكثر تخريبا، فإعصار أندرو عام ١٩٩٢ قد بلغت سرعة رياحه ٢٨١ كم في الساعة؛ وتسبب وحده في خسائر فادحة للولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا كان الساحل الغربي لأمريكا خاصة مدينة سان فرانسيسكو في انتظار زلازل مدمرة بحذاء صدع سان أندرياس San Andreas Rift والشمال والوسط مهددان بثوران بركان يلوستون Yellowstone، فإن الشرق والجنوب تاريخه أيضا مفعم بالكوارث التي تسببها الأعاصير، ففي عام ١٩٠٠ ضرب إعصار جالفستون تكساس وقتل ٨ آلاف شخص، وفي عام ١٩١٥ تعرضت نيواورليانز أكبر مدن لويزيانا لضربة إعصار خلفت ٢٧٥ قتيلا، وفي عام ١٩١٩ استهدف إعصار فلوريدا وتكساس وقتل ٢٨٧ شخصا، وفي عام ١٩٢٨ لقي نحو ٢٥٠٠ شخص حتفهم في فلوريدا في إعصار أثار أمواجا هائلة، وفي عام ١٩٣٥ وقع إعصار يوم عيد العمال واكتسح فلوريدا وخلف ٤٠٨ قتلى، وفي عام ١٩٥٤ ضرب الإعصار هازيل كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية فقتل ٩٥ شخصا، وفي عام ١٩٥٧ ضرب إعصار أودري جنوب غرب لويزيانا وتكساس فقتل ٣٩٠ شخصا، وفي عام ١٩٦١ ضرب إعصار كارلا تكساس وقتل ٤٦ شخصا، وفي عام ١٩٦٥ تلقت نيواورليانز ضربة من الإعصار بيتسي فغمر المدينة بالمياه والوحل وقتل ٧٥ شخصا، وفي عام ١٩٦٩ قتل إعصار كاميللي ٢٥٦ شخصا في مسيسيبي وفرجينيا ولويزيانا، وفي عام ١٩٧٢ قتل إعصار إجنس ١٢٢ شخصا عندما ضرب فلوريدا وتحرك نحو شمال شرق أمريكا، وفي عام ١٩٨٩ اكتسح إعصار هوجو كارولينا الجنوبية وقتل ٣٢ شخصا، وفي عام ١٩٩٢ شق إعصار أندرو طريقه عبر ولايتي فلوريدا ولويزيانا تاركا ٢٩ قتيلا ومسببا دمارا هائلا وخسائر مادية فادحة، وفي عام ٢٠٠٤ ضرب إعصار إيفان ولايتي فلوريدا وألاباما فقتل ٢٥ شخصا وسانده إعصار تشارلي بقتل ٢٣ شخصا آخرين.

وسجل إعصار نانسي في شمال غرب المحيط الهادي في ١٢ سبتمبر عام ١٩٦١ أكبر سرعة حيث بلغت رياحه ٣٤٢ كم/الساعة، وسجل إعصار تب في أكتوبر عام ١٩٧٩ أكبر امتداد حيث بلغ نصف قطره ١١٠٠كم، بينما سجل إعصار تريسي بأستراليا في ديسمبر عام ١٩٧٤ أقل امتداد حيث بلغ نصف قطره ٥٠ كم، وسجل إعصار باثرست باي بأستراليا عام ١٨٩٩ أعلى موجة حيث بلغ ارتفاعها ١٣ مترا، وسجل إعصار "جون" في شهري أغسطس وسبتمبر عام ١٩٩٤ أطول عمرا حيث استمر لمدة ٣١ يوما، وسجل إعصار بنجلادش عام ١٩٧٠ أكبر خسارة بشرية حيث بلغت الوفيات حوالي ٣٠٠ ألف وفاة على أقل تقدير، بينما سجل إعصار أندرو عام ١٩٩٢ والذي أصاب جزر ألباهاما وولايتي فلوريدا ولويزيانا الأمريكيتين أكبر خسارة مادية حيث بلغت حوالي ٢٦,٥ بليون دولار أمريكي.

وقد كشفت دراسة حديثة أن عدد الأعاصير المدمرة مثل كاترينا وأندرو قد تزايد خلال العقود القليلة الماضية وعزت سبب هذا التزايد إلى ظاهرة الاحتباس الحراري، كما بينت أن عدد الأعاصير الشديدة قد ارتفع من ١١ إعصارا سنويا إبان السبعينيات إلى ١٩ إعصارا منذ العام ١٩٩٠، واستنادا للمبدأ القائل بأن المحيطات هي سبب التغيرات المناخية التي تحدث على اليابسة قال بيتر وبستر من معهد جورجيا للتكنولوجيا أن بخار الماء الناتج من ارتفاع درجة حرارة مياه المحيطات هو بمثابة الوقود الذي يعجل من سرعة الأعاصير، وأعلن أن معدل درجة حرارة مياه أسطح البحار قد ارتفعت درجة مئوية بين العامين ١٩٧٠ و٢٠٠٤، وحذر غريغ هولاند من المركز القومي لأبحاث المناخ بأن من المحتمل أن تشهد السنوات المقبلة تزايدا في أعاصير تشبه في خطورتها وقوتها الإعصار كاترينا والإعصار أندرو، وأجمع الباحثون على أن ارتفاع درجات الحرارة على أسطح البحار سببها الاحتباس الحراري، ولاحظوا أن ١٧١ إعصارا شديدا قد ضربت المنطقة شرق الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي ١٩٧٥ و١٩٨٩ وأن العدد ارتفع إلى ٢٦٩ في الفترة الممتدة من عام ١٩٩٠ إلى عام ٢٠٠٤، وقد اعترفت كذلك أكاديمية العلوم الوطنية الأمريكية بوجود علاقة بين النشاط البشرى الذي يؤدى إلى انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون وبين ظاهرة الانحباس الحراري وما تسببه من آثار مدمرة للبيئة، وأصدرت كل من وزارتي الطاقة والتجارة الأمريكيتين تقريراً مشتركاً يتضمن اعترافاً صريحا بالأضرار التي يمكن أن تلحق بكوكب الأرض بسبب الاحتباس الحراري، وتشكل أوربا واليابان وأمريكا الشمالية مجتمعة ما يقرب من ١٥ % من سكان العالم إلا أنهم مسئولون عن حوالي ثلثي (٦٦ %) غاز ثاني أكسيد الكربون الذي تطلقه المصانع، وأما الولايات المتحدة الأمريكية التي لا يزيد عدد سكانها عن ٥ % من سكان العالم فهي مسئولة وحدها عن ربع تلك الكمية (٢٥ %)، أي أن أقل من ٢٠ % من سكان العالم يتسببون في إطلاق أكثر من ٩٠ % منها، ولكن العواقب الوخيمة تنال الكل على حد سواء ولا تميز بين من أطلقها ومن لم يطلقها؛ فالخراب يطال الجميع.

وإذا ارتفعت درجة حرارة الكوكب نتيجة لتراكم مخلفات المصانع خاصة في البلدان المتقدمة تلك فمن المحتمل أن تزداد حرارة سطح المحيطات في المناطق الاستوائية فتتضاعف الأعاصير وتزداد عنفا ويذوب جليد القطبين ويرتفع مستوى سطح البحر ليدمر مدن الشواطئ، وقد أصبح تركيز ثاني أكسيد الكربون في الجو حاليا أعلى بحوالي ٣٢ % مما كان عليه قبل بداية الثورة الصناعية حوالي عام ١٧٥٠، وقد تضاعفت موجات الحر في معظم بلدان العالم في أواخر القرن العشرين بما لم يسبق له مثيل طوال الألفية الماضية، ووفقا لسجلات المنظمة العالمية للأرصاد الجوية شهد الأعوام الأخيرة موجات حر قاسية، وأما موجة الحر عام ١٩٩٨ فلم يشهدها صيف خلال السنوات الألف الماضية منذ عام ١٨٦١، ويقدر معدل ارتفاع درجة الحرارة في الفترة منذ عام ١٩٧٦ حتى عام ٢٠٠٥ بثلاثة أمثال معدله للسنوات المائة الماضية، ووفقا لتقرير اللجنة الدولية للتغييرات المناخية التابعة للأمم المتحدة قد ارتفع مستوى مياه البحار من ٩ إلى ٢١ سم (٠,٣-٠,٧ قدم) في مقابل ارتفاع في درجة الحرارة يتراوح بين ٠,٤ إلى ٠,٨ درجة مئوية، واعتبر ذلك أعلى ارتفاع لدرجة الحرارة تعرض له كوكب الأرض منذ ألف عام مما ينذر بتوالي الكوارث بنسق متصاعد.

ويتوقع الخبراء أن يزداد ارتفاع سطح البحر إلى ٨٨ سنتمتراً بحلول عام ٢١٠٠ الأمر الذي يهدد حياة ١٠٠ مليون إنسان يعيشون على أراضي منخفضة؛ ناهيك عن تزايد الإصابة ببعض الأمراض كالملاريا نتيجة لتزايد تكاثر البعوض الناقل لها في الجو الحار، وقد نبهت هذه التحذيرات الدول للتداعي إلى الاجتماع في محاولة لتجنب الخطر من خلال اتفاقيات ملزمة كان أبرزها معاهدة كيوتو Kyoto Protocol الذي وافقت عليه كل الدول الصناعية الكبرى إلا الولايات المتحدة الأمريكية ذات المسئولية الأعظم في تخريب المناخ، ولكن مع توالي الأعاصير وتزايد عنفها يوما بعد آخر يدفع سكانها الأبرياء الثمن، وكل ذي حس إنساني تؤلمه المشاهد المروعة يواسي المنكوبين وينتظر غد تتكاتف فيه أيدي الجنس البشري جميعا للعيش بسلام وبناء عالم يخلو من العنصرية البغيضة والمؤامرات على شعوب البلدان المتوقفة عن النمو نتيجة الأطماع الاستعمارية، ويأمل اليوم على الأقل أن يُستجاب لتحذيرات الخبراء، والعجيب أن تلك التحذيرات تتفق تماما مع ما سبق وقرره القرآن من أن الفساد في البر والبحر قد ينجم عن النشاط البشري في قوله تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" الروم:٤١.

وقد بدأت الحكومة الأمريكية عام ١٩٦٢ في القيام بأبحاث حول إمكانية إيقاف الأعاصير قبل وصولها إلى اليابسة إلا أن المشروع قد توقف عام ١٩٨٣ دون التوصل إلى أية نتائج، وقد رأى عالم أمريكي اسمه هيوولوبي أنه بالإمكان إيقافها بإحراق كميات من البترول قريبا منها لتطلق السخام وبسبب لونه الأسود يقوم بامتصاص حرارة الشمس وتكوين تيارات صاعدة تعطل سير الإعصار؛ أو بوضع مرآة ضخمة في الفضاء تعكس أشعة الشمس عليه لتقوم بنفس المهمة، إلا أن كل تلك الأفكار لم تجد قبولا حتى الآن وما زالت الأعاصير الحلزونية تدور وتدور معها رحى الخسائر.

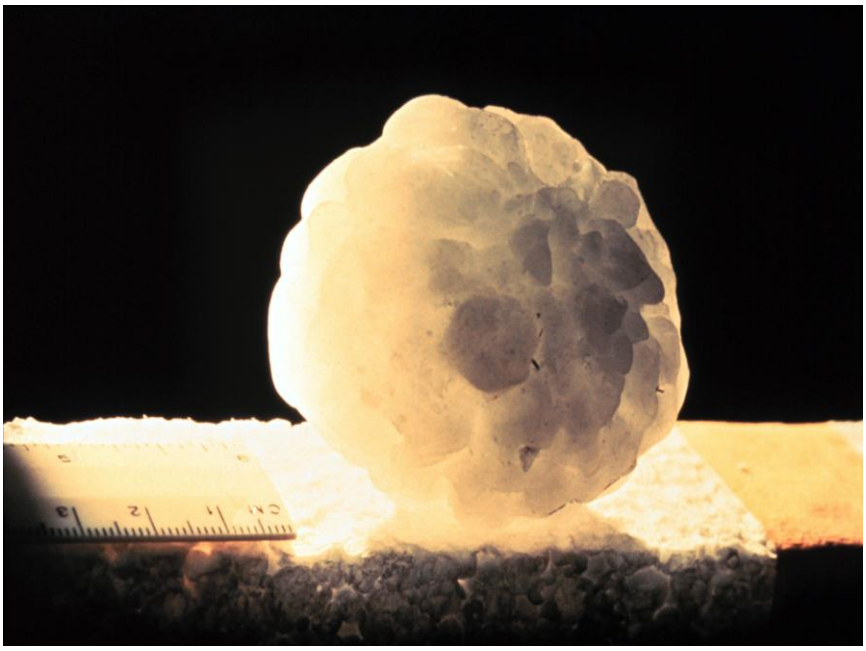

قطعة برد يصل قطرها إلى ٦سم؛ تشكلت من التحام عدة قطع من البرد.

وأعاصير النار Fire whirl أسرعها وأعنفها وتتسبب في إحراق الغابات، وترافقها ضربات برق وزخات مطر وبَرَد، ويدخل في تركيبها سحب ركام عملاقة أشبه بالجبال تتميز بالبَرَد؛ وقد تبين أن تحول بخار الماء إلى بَرَد هو المسئول عن تولد شحنات الكهرباء المسببة للبرق؛ وهو صريح قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣؛ حيث يعود ضمير (بَرْقِهِ) لأقرب مذكور وهو: (بَرَدٍ)!.

وقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ٢البقرة:٢٦٦؛ وارد في سياق الوعيد لمن وهبه القدير مال وفير ويصحب صدقته مَنْ وأذى ومراءاة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ٢البقرة:٢٦٤؛ فمصيره ضياع حسناته؛ وهو أحوج ما يكون إليها في الآخرة، فحاله أشبه بصاحب بستان ميسور الحال تستر أشجاره الباسقة من كثافتها ما دونها؛ وهو مدلول كلمة (جَنَّةٌ)، وفيها أشجار النخيل والأعناب دائمة الإثمار؛ فضلا عن ثمار كثيرة سواها، ويتدفق الماء تحت أشجارها؛ فلا تحتاج عناء في ريها، وهو كذلك في أشد الحالات من الاحتياج لبستانه المُثمر ولا يملك بديلاً لكبره وضعف عياله، فإذا ببستانه يحترق ويضيع ماله، والمُذهل أن يُرجع النظم الحريق للدوامة النارية؛ أشد الأعاصير تدميرًا وموطنها الأطلنطي والمحيط الهادي، وليس بأرض العرب سوى الزوبعة whirlwind؛ تثير الغبار وبلا نار!.

بوب سيمسون Bob Simpson

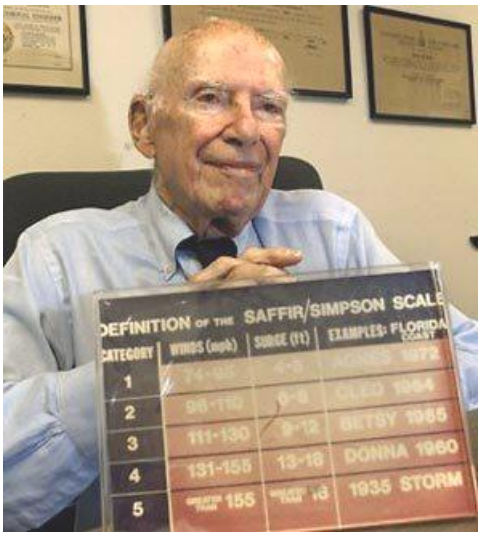

هربرت سافير Hebert Saffir

ولم تُصنف الأعاصير حسب شدتها وقيمة سرعتها عند أطرافها سوى عام ١٩٧٣؛ بعد إعلان هربرت سافير Hebert Saffir وبوب سيمسون Bob Simpson لمقياس سافير سيمسون Saffir-Simpson، ولم تُدرس العواصف الرعدية Thunderstorm أو دوامات النار Fire whirl الحارقة إلا منذ عقود قليلة[٢٦٩]؛ فكيف إذن!.

[٢٦٩] Wikipedia; the free Encyclopedia.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله تعالى: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ} وهي البستان، {مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} لأنه من أنفس ما يكون فيها، {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} لأن أنفسها ما كان ماؤها جارياً، {وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ}.. فكان أضعف أملاً وأعظم حسرة، {وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ} لأنه على الضعفاء أحَنّ وإشفاقه عليهم أكثر، {فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} وفي الإعصار قولان؛ أحدهما: أنه السَّمُوم الذي يقتل؛ حكاه السدي، والثاني: الإعصار ريح تهب من الأرض إلى السماء كالعمود تسميها العامة الزوبعة.. وإنما قيل لها إعصار لأنها تَلْتَفُّ كالتفاف الثوب المعصور، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الأَيَاتِ} يحتمل وجهين؛ أحدهما: يوضح لكم الدلائل، والثاني: يضرب لكم الأمثال، {لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} يحتمل وجهين؛ أحدهما: تعتبرون.. والثاني: تهتدون..، واختلفوا في هذا المثل الذي ضربه الله في الحسرة لسلب النعمة؛ من المقصود به؟ على ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه مثل للمرائي في النفقة ينقطع عنه نفعها (وهو) أحوج ما يكون إليها؛ قاله السدي، والثاني: هو مثل للمفرِّط في طاعة الله لملاذّ الدنيا يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى؛ قاله مجاهد، والثالث: هو مثل للذي يختم عمله بفساد؛ وهو قول ابن عباس"[٢٧٠].

وقال المراغي: "أي هل يود الإنسان أن تكون له جنة معظم أشجارها الكرم والنخل وهما أجلّ الأشجار وأكثرها نفعا؛ حاوية لأنواع أخرى من الثمرات، تجرى فيها الأنهار..؛ علّق بها آماله ورجا أن ينتفع بها عياله وقد أصابه الكبر وأقعده عن الكسب وله ذرية ضعفاء.. ولا مورد له غير هذه الجنة، وبينما هو على تلك الحال إذا بجنته قد أصابها إعصار فأحرقها بما فيه من سموم النار؛ وهو أحوج ما يكون إليها، وبقي هو وأولاده حيارى لا يدرون ماذا هم فاعلون"[٢٧١].

وقال ابن عاشور: "﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢البقرة:٢٦٦؛ اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ أَثَارَهُ ضَرْبُ الْمَثَلِ الْعَجِيبِ لِلْمُنْفِقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ، وَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرُبْوَةٍ إِلَى آخِرِ مَا وُصِفَ مِنَ الْمَثَلَيْنِ، وَلَمَّا أُتْبِعَ بِمَا يُفِيدُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ لِلْمُنْفِقِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى، ثُمَّ أُتْبِعَ بِالنَّهْيِ عَنْ أَنْ يُتْبِعُوا صَدَقَاتِهِمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، اسْتَشْرَفَتْ نَفْسُ السَّامِعِ لِتَلَقِّي مَثَلٍ لَهُمْ يُوَضِّحُ حَالَهُمُ الذَّمِيمَةَ كَمَا ضُرِبَ الْمَثَلُ لِمَنْ كَانُوا بِضِدِّ حَالِهِمْ فِي حَالَةٍ مَحْمُودَةٍ، (فقد) ضَرَبَ اللَّهُ هَذَا مَثَلًا لِمُقَابِلِ مَثَلِ النَّفَقَةِ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ وَالتَّصْدِيقِ؛ وَهُوَ نَفَقَةُ الرِّيَاءِ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ هُوَ حُصُولُ خَيْبَةٍ وَيَأْسٍ فِي وَقْتِ تَمَامِ الرَّجَاءِ وَإِشْرَافِ الْإِنْتَاجِ، فَهَذَا مُقَابِلُ قَوْلِهِ: (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ) الْبَقَرَة: ٢٦٥، وَقَدْ وَصَفَ الْجَنَّةَ بِأَعْظَمِ مَا يَحْسُنُ بِهِ أَحْوَالُ الْجَنَّاتِ وَمَا يُرْجَى مِنْهُ تَوَفُّرُ رَيْعِهَا، ثُمَّ وَصَفَ صَاحِبَهَا بِأَقْصَى صِفَاتِ الْحَاجَةِ إِلَى فَائِدَةِ جَنَّتِهِ، بِأَنَّهُ ذُو عِيَالٍ فَهُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَى نَفْعِهِمْ وَأَنَّهُمْ ضُعَفَاءُ أَيْ صِغَارٌ..، وَقَدْ أَصَابَهُ الْكِبَرُ فَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى الْكَسْبِ غَيْرَ تِلْكَ الْجَنَّةِ، فَهَذِهِ أشدّ (أَحْوَال) الْحِرْصِ..، فَحَصَلَ مِنْ تَفْصِيلِ هَذِهِ الْحَالَةِ أَعْظَمُ التَّرَقُّبِ لِثَمَرَةِ هَذِهِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا كَانَ الْمُعْطِي صَدَقَتَهُ فِي تَرَقُّبٍ لِثَوَابِهَا، (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ) أَيْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ تَقْلَعُ الشَّجَرَ وَالنَّبَاتَ، فِيهَا نَارٌ أَيْ شِدَّةُ حَرَارَةٍ وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِرِيحِ السَّمُومِ، فَإِطْلَاقُ لَفْظِ نَارٍ عَلَى شِدَّةِ الْحَرِّ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ، فَأَحْرَقَتِ الْجَنَّةَ أَيْ أَشْجَارَهَا، أَيْ صَارَتْ أَعْوَادُهَا يَابِسَةً، فَهَذَا مُفَاجَأَةُ الْخَيْبَةِ فِي حِينِ رَجَاءِ الْمَنْفَعَةِ، وَالِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ: (أَيَوَدُّ) اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَتَحْذِيرٍ..، والهيأة الْمُشَبَّهَةُ محذوفة وَهِيَ هيأة الْمُنْفِقِ نَفَقَةً مُتْبَعَةً بِالْمَنِّ وَالْأَذَى..، وَقَوْلُهُ: (كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ) تَذْيِيلٌ، أَيْ كَهَذَا الْبَيَانِ الَّذِي فِيهِ تَقْرِيبُ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ؛ بَيَّنَ اللَّهُ نُصْحًا لَكُمْ، رَجَاءَ تَفَكُّرِكُمْ فِي الْعَوَاقِبِ حَتَّى لَا تَكُونُوا عَلَى غَفْلَةٍ"[٢٧٢].

---

[٢٧٠] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١ ٣٤١).

[٢٧١] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٣ ٣٧).

[٢٧٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٣ ٥٣).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Meteorology

علم الأرصاد الجوية

المَوْضُوع Subject

Fire whirl (Tornado)

العاصفة النارية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ٢البقرة:٢٦٦.

- ﴿فَأَمّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدّ مِنّا قُوّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّ اللّهَ الّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِيَ أَيّامٍ نّحِسَاتٍ لّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىَ وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ﴾ فصلت:١٥و١٦.

- ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا. وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا. فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ ٧٧المرسلات:١-٤.

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ. إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ. أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ ٤٢الشورى:٣٢-٣٤.

- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ٣٨ص:٣٦.

- ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ١٠يونس:٢٢.

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٣٠الروم:٤٦.

- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ١٥الحجر:٢٢.

- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ ١٤إبراهيم:١٨.

- ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا. أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا. أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ١٧الإسراء:٦٧-٦٩.

- ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ١٠يونس:٢٢.

- ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ٦٩الحاقة:٦و٧.

- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ. تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ ٥٤القمر:١٨-٢٠.

- ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ٤١فصلت:١٥و١٦.

- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٣٠الروم:٤١.

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣.

- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ ٧٨النبأ:١٤-١٦.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٤النساء:٥٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٤النساء:٥٤-٥٦.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾، ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾، ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Surely; those who disbelieve in Our (Revelation) **Signs** (Intransigently)**, We shall burn them in Fire. As often as their skins are roasted through, We shall change them for other skins that they may continue to taste the punishment. Truly, Allah is Ever Most Powerful All Wise.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

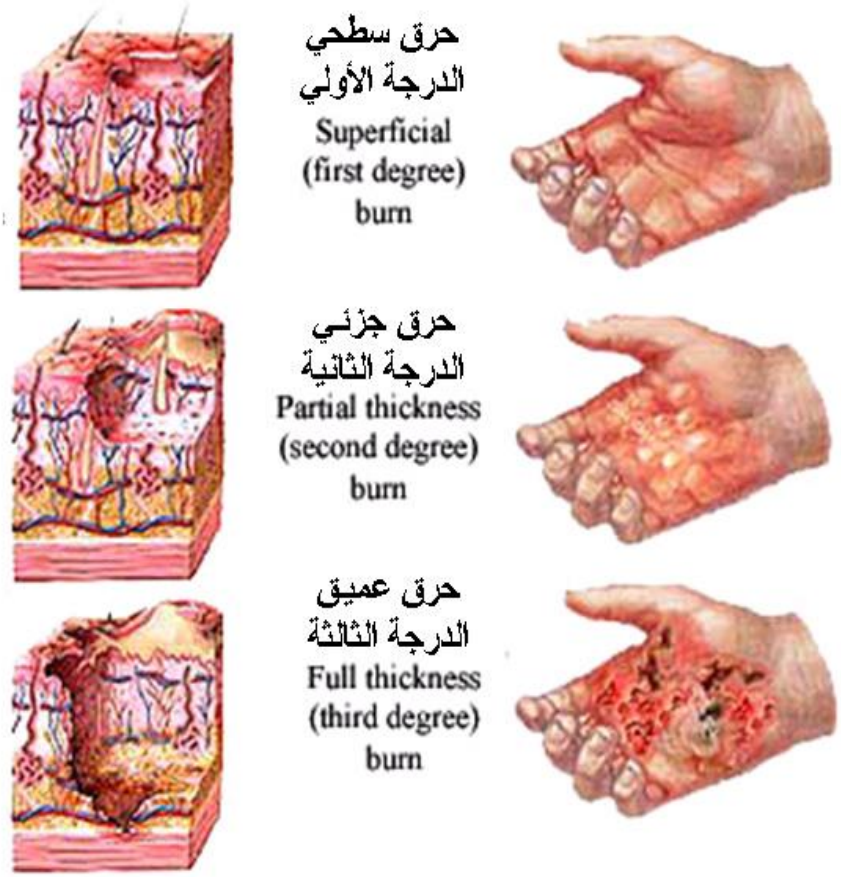

يتكون الجلد مجهريًا من ثلاث طبقات: البشرة والأدمة والنسيج تحت الجلد، وفي حالة الحروق تدمر تكوينات الجلد، وعلى حسب إصابة الطبقات الثلاث تقسم الحروق إلى درجات ثلاث: سطحي وجزئي وعميق، وفي الدرجة الثانية تصل الإصابة للأدمة ويعاني المصاب من فرط إحساس وآلام شديدة نتيجة لإثارة النهايات العصبية المكشوفة، وفي الدرجة الثالثة تحترق كل الطبقات ويشعر المصاب بخدر ويتوقف الإحساس بالألم نتيجة تحطم النهايات العصبية؛ ولا سبيل لإعادته إلا بتبديل الجلد بآخر حي، وما كان لبشر زمن النبوة إدراك هذه الحقيقة إلا بوحي من الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ٤النساء:٥٦.

وقد كان الاعتقاد السائد قبل عصر الكشوف العلمية أن الجسم كله حساس للآلام، ولم يكن واضحاً لأحد أن هناك نهايات عصبية متخصصة في الجلد لنقل الأحاسيس والألم حتى كُشف حديثا دور النهايات العصبية وتبين أن الجلد هو العضو الأهم لاحتوائه على العدد الأكبر منها، وقد قام الدكتور هيد Head بتقسيم الإحساس الجلدي إلى مجموعتين: إحساس أساسي Protopathic ويختص بالإحساس بالألم ودرجة الحرارة الشديدة؛ وإحساس دقيق Epicritic ويختص بتمييز اللمس الخفيف والفرق البسيط في درجة الحرارة، وكل إحساس منهما: يعمل بنوع مختلف من الوحدات العصبية المجهرية، ومع تجدد الأعصاب في الجروح يعود الإحساس الأساسي سريعا بعد حوالي شهر ونصف، أما الإحساس الدقيق فقد يتأخر إلى عامين وقد لا يعود نهائيا، والنهايات العصبية في الجلد تخصصية الوظيفة؛ كل منها مخصص بإحساس محدد مثل اللمس والضغط والحرارة والبرودة والألم، وتسمى النهايات العصبية في الجلد بمسميات مختلفة تبعا لمن اكتشفها أو قام بدراستها؛ مثل جسيمات مايسنر Meissner وجسيمات ميركل Merkel وبصيلات كروز Krause واسطوانات روفيني Ruffini، وقد أثبت التشريح النسيجي أن الألياف العصبية الخاصة بالألم والحرارة متقاربة ومع اشتداد الحرارة يتحول الإحساس بالحرارة إلى ألم.

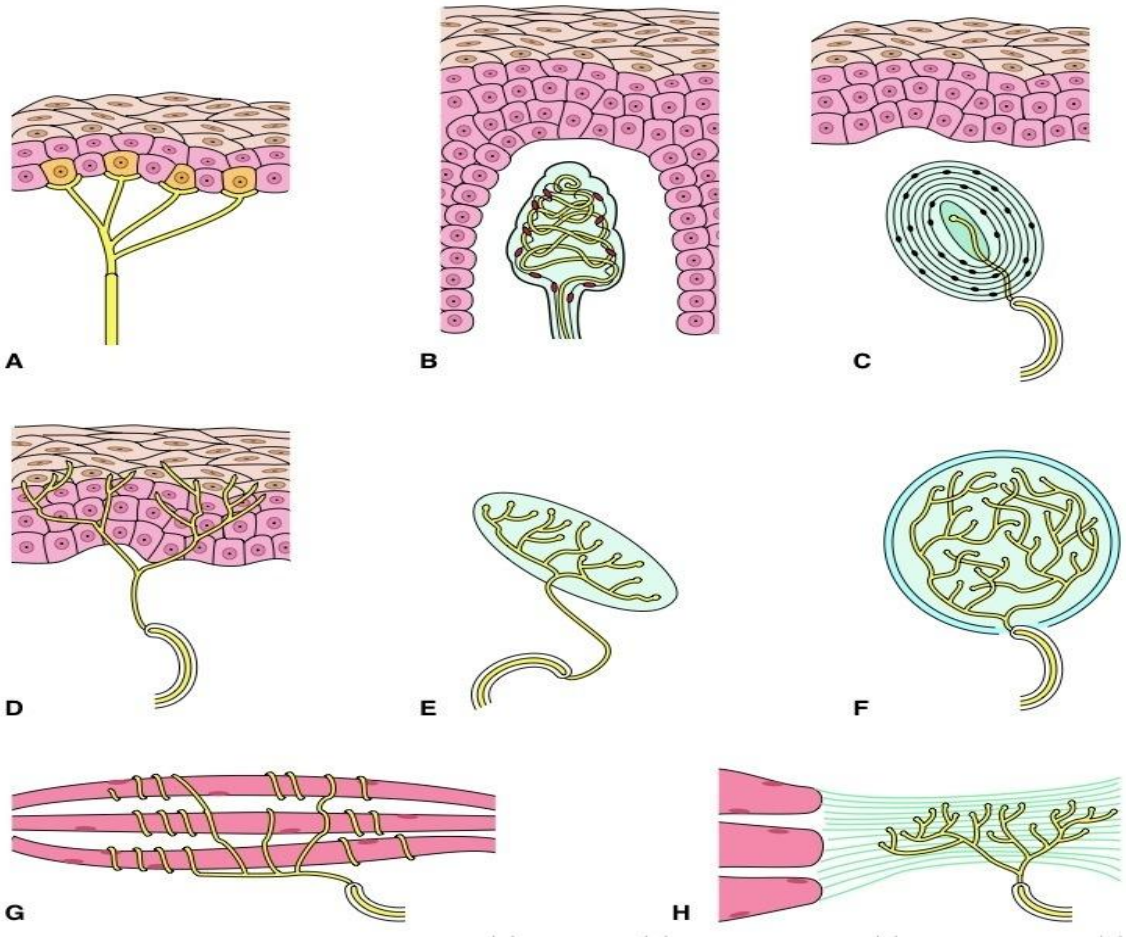

A. Merkel disk أقراص ميركل
B. Meissner corpuscle جسيمات ميسنر
C. Pacinian corpuscle جسيمات باتشيني
D. Free nerve endings نهايات عصبية حرة
E. Ruffini corpuscle اسطوانات روفيني
F. Krause end bulb (cold receptor) بصيلات كروز
G. Neuromuscular spindle المغزل العصبي العضلي
H. Golgi tendon organ عضو جولجي بالأوتار العضلية

والنهايات العصبية المُسماة جسيمات ميسنر Meissner's Corpuscles تخصصها استشعار اللمس والاهتزاز، وأقراص ميركل Merkel's Discs؛ تخصصها استشعار اللمس والضغط، وجسيمات باتشيني Pacinian corpuscles تخصصها استشعار الضغط والاهتزاز، ونهايات عصبية تحيط بالشعرة وتختص باستشعار حركتها، وبصيلات كروز Krause End Bulbs؛ تخصصها استشعار البرودة، واسطوانات روفيني Ruffini's cylinders تخصصها استشعار الحرارة، وتستشعر النهايات العصبية الحرة Free Nerve Endings المؤثر المؤلم والحرارة.

وتوجد مستقبلات تستشعر تغير الضغط بالأنسجة العميقة وتنقل الإحساس للمخ ببطء مقارنة ببقية المستقبلات، وتشمل جسيمات باتشيني Pacinian Corpuscles بالعضلات والمفاصل، وتتواجد جسيمات رافيني Ruffini's corpuscle التي بالأنسجة العميقة وتحت جلد الأصابع وتستشعر تغير الشد ومن ثم يُستشعر وضع الأصابع، وتعمل أيضًا كمستقبلات حرارية Thermo-receptors؛ ولذا يفقد المصاب الإحساس بالألم في الحروق الشديدة[٢٧٣].

[٢٧٣] Wikipedia, the free encyclopedia: Bulbous corpuscle

والدلالة واضحة لا تحتاج تأويل على وجود تركيبات دقيقة في الجلد تقوم بوظيفة الإحساس؛ وإذا دمرت باحتراق الجلد بحيث ينضج كاملا يتعطل نقل الإحساس؛ ولا سبيل لإعادته سوى بتبديل الجلد التالف بآخر سليم يجدد وظيفة استشعار الألم، وهي عاقبة يستحقها المُكابر أمام تلك الحقيقة الساطعة في التعبير التصويري البليغ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ٤النساء:٥٦.

والسياق يتعلق بآيات ودلائل الوحي الذي نزل بأرض العرب تحقيقًا لدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام وبنفس مبدأ التوحيد؛ رسالته من قبل في الكتاب: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ٤النساء:٥٤، وورث الرسالة بني إسرائيل نسل إبراهيم كذلك: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ ٤النساء:٥٥، فالمكابرة للحسد؛ عندما أشرق الوحي بأرض العرب ساطعًا بالدلائل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ٤النساء:٥٤، والتعبير (الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا) أي الآيات الساطعة بالحق في القرآن الكريم تعريضًا بالمعرضين من بني إسرائيل، والتعبير (سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا) وعيد بذوق عقاب ألم الحريق، والجلود محل استشعاره تحديدًا: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ)، فالدلالة صريحة أن الجلود هي التي تستشعر الألم، وكلمة (نَضِجَتْ) تعني اكتمل احتراقها؛ ودمرت مكونات الإحساس، والتعبير (بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) صريح بأن إعادة الاستشعار بالألم تطلبت جلد جديد لم تدمر مكوناته، وكان نصيب المعرضين كبرًا فضلا عن الجهل بخفايا التكوين؛ أن أعرض عنهم البيان المعجز وتحدث عنهم بالغيبة!،

والنظم يكتفي بالأهم في مقام بيان أشد المناطق إحساسا في الجلد؛ فيفرد الوجه واليد وأطراف الأصابع: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ النَّارُ﴾ المؤمنون:١٠٤، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الفرقان:٢٧، ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ﴾ آل عمران:١١٩، ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ الأنفال:١٢، ويكشف عن جود مستقبلات للألم مثل الجلد في الأغشية خارج تجويف الأمعاء: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ٤٧محمد:١٥، ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ ٢٢الحج:١٩و٢٠، وعندما ترد جملة أعضاء يحفظ النظم الترتيب وفق درجة الإحساس وعدد المستقبلات والمساحة الممنوحة بالدماغ مطابقًا الواقع تمامًا، فتعطى العناية الأكبر بتقديم الأهم وظيفةً والممنوح أكبر مساحة بالدماغ؛ فتقدم الوجوه والجباه ومقدمة الجسم وتؤخر المنطقة الخلفية؛ والمعلوم أن الظهر أقل ثراء في الأعصاب الحسية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ محمد:٢٧، ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ الأنفال:٥٠. ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ الأنبياء:٣٩، ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ ٩التوبة:٣٥، وظاهرة الاكتفاء بالعضو الأهم والحفاظ على الرتبة في النظم بما يتفق مع الواقع المستور؛ لا يمكن نسبتها للمصادفة، خاصة مع تثنية النبأ وتكريره والتواتر بلا استثناء رغم تباين المقامات واختلاف الوظائف والأعضاء!.

قال الدكتور سالم عبد الله المحمود: "توجد (في الجلد).. خلايا تتأثر بالبيئة الخارجية، وهي مخصصة لحاسة اللمس وتشتمل على جسيمات مايسنر MEISSNERS CORPUSCLES وجسيمات ميركل MERKELS CORPUSCLES، (وجسيمات باتشيني Pacinian corpuscles وتنقل الإحساس بالضغط إلى المخ)، وبصيلات كروز KRAUSE END BULBES وهي مخصصة للإحساس بالبرودة، واسطوانات روفيني RUFFINI CYLINDERS وهي مخصصة للإحساس بالحرارة، ونهايات الأعصاب الحرة وهي مخصصة للإحساس بالألم..،(و)الجلد هو من أهم أجزاء جسم الإنسان إحساساً بالألم نظراً لأنه الجزء الأغنى بنهايات الأعصاب الناقلة للألم والحرارة.. (و) لو استعرضنا درجات الحروق التي يصاب بها الإنسان لوجدنا أن هناك حروقاً من الدرجة الأولى وحروقاً من الدرجة الثانية.. ثم حروقا من الدرجة الثالثة.. ولو ألقينا نظرة إلى ما يصيب الجلد نتيجة لهذه الأنواع الثلاثة من الحروق لوجدنا أن حروق الدرجة الأولى تصيب طبقة البشرة القرنية وتظهر على هيئة التهاب جلدي.. وفي هذه الحالة يحدث انتفاخ وألم بسيط لأن الحرق من الدرجة الأولى يصيب خلايا الطبقة السطحية، ومن المعتاد أن ظاهرة الاحمرار والانتفاخ والألم تختفي خلال يومين أو ثلاثة أيام.. وإذا طالت الإصابة ما تحت الطبقة السطحية من الجلد صنفت من الدرجة الثانية.. وهي تنقسم إلى قسمين: سطحي وعميق،(و)يحدث في حالة الحروق السطحية من الدرجة الثانية أن طبقة البشرة (ظاهر الجلد) تنضج وكذلك الأدمة - طبقة باطن الجلد- التي تحت البشرة، ويحدث في هذه الحالة انفصال طبقة البشرة عن طبقة الأدمة ، وتتجمع مواد مفرزة أو نتحات مابين هاتين الطبقتين.. ويعاني المصاب في هذه الحالة من آلام شديدة وزيادة مفرطة في الإحساس بالألم نتيجة لإثارة النهايات العصبية المكشوفة، ويبدأ التئام الجلد خلال أيام قد تصل إلى أربعة عشر يوماً نتيجة لعملية التجدد والانقلاب التي تحدث في الجلد، ولو انتقلنا إلى حروق الدرجة الثالثة لوجدنا أن طبقة الجلد تصاب بكاملها، وربما تصل الإصابة إلى العضلات أو العظام، ويفقد الجلد مرونته ويصبح قاسياً وجافاً.. وفي هذه الحالة فإن المصاب لا يحس بالألم كثيراً لأن نهايات الأعصاب تكون قد تلفت بسبب الاحتراق..، ولقد كشف العلم الحديث أن النهايات العصبية المتخصصة للإحساس بالحرارة وآلام الحريق لا توجد بكثافة إلا في الجلد، وما كان بوسع أحد من البشر قبل اختراع المجهر وتقدم علم الأنسجة وعلم وظائف الأعضاء أن يعرف هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً مضت"[٢٧٤].

٢٧٤ الإحساس بالألم - الدكتور سالم عبد الله المحمود وفضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني - من منشورات هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال البغوي: "(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) يَعْنِي: الْيَهُودَ، (يَحْسُدُونَ النَّاسَ) قَالَ قَتَادَةُ: الْمُرَادُ بِالنَّاسِ الْعَرَبُ حَسَدَهُمُ الْيَهُودُ عَلَى النُّبُوَّةِ؛ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: أَرَادَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ..، وَقِيلَ: حَسَدُوهُ عَلَى النُّبُوَّةِ؛ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْفَضْلِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ"[٢٧٥].

وقال القاسمي: "(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً) أي عظيمة هائلة، (كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) أي احترقت احتراقا تامّا (بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ) أي ليدوم لهم؛ وذلك أبلغ في العذاب للشخص لأن إحساسه لعمل النار في الجلد الذي لم يحترق أبلغ من إحساسه لعملها في المحترق..، (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً) لا يمتنع عليه ما يريد، (حَكِيماً) فيما يقضيه ومنه هذا التبديل"[٢٧٦]؛ أي أن حكمة تبديل الجلد المحترق بآخر حي هي (ليذوقوا العذاب) بتجدد الإحساس.

وقال الطبري: "هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلَّذِينَ أَقَامُوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْكُفَّارِ بِرَسُولِهِ، يَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ: إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آيَاتِي ، يَعْنِي مِنْ آيَاتِ تَنْزِيلِهِ وَوَحْيِ كِتَابِهِ، وَهِيَ دَلَالَاتُهُ وَحُجَجُهُ عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهِ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ {سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا} النساء:٥٦؛ يَقُولُ: سَوْفَ نُنْضِجُهُمْ فِي نَارٍ يُصْلَوْنَ فِيهَا: أَيْ يُشْوَوْنَ فِيهَا {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ} النساء:٥٦؛ يَقُولُ: كُلَّمَا انْشَوَتْ بِهَا جُلُودُهُمْ فَاحْتَرَقَتْ {بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} النساء:٥٦، يَعْنِي: غَيْرَ الْجُلُودِ الَّتِي قَدْ نَضِجَتْ فَانْشَوَتْ.، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} النساء:٥٦؛ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَ مُحْتَرِقَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تُعَادُ جَدِيدَةً، وَالْأُولَى كَانَتْ قَدِ احْتَرَقَتْ فَأُعِيدَتْ غَيْرَ مُحْتَرِقَةٍ، فَلِذَلِكَ قِيلَ غَيْرُهَا.، احْتَرَقَتِ الْجُلُودُ ثُمَّ أُعِيدَتْ جَدِيدَةً بَعْدَ الِاحْتِرَاقِ.، وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ: {لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} النساء:٥٦؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ لِيَجِدُوا أَلَمَ الْعَذَابِ وَكَرْبِهِ وَشِدَّتِهِ بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُكَذِّبُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَيَجْحَدُونَهَا.، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} النساء:٥٦، يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ عَزِيزًا فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ مِنْ خَلْقِهِ؛ لَا يَقْدِرُ عَلَى الِامْتِنَاعِ مِنْهُ أَحَدٌ أَرَادَهُ بِضُرٍّ، وَلَا الِانْتِصَارِ مِنْهُ أَحَدٌ أَحَلَّ بِهِ عُقُوبَةً، حَكِيمًا فِي تَدْبِيرِهِ وَقَضَائِهِ"[٢٧٧].

وقال محمد رشيد رضا: "قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ)، وَتَوَعَّدَ مَنْ صَدَّ عَنْهُ بِسَعِيرِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ فَصَّلَ هَذَا الْوَعِيدَ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا)..، وَالْوَعِيدُ إِنَّمَا هُوَ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ..، وَقَدِ ابْتَدَأَ الْآيَةَ بِذِكْرِ (الَّذِينَ كَفَرُوا)؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْوَعِيدَ لَيْسَ خَاصًّا بِأُولَئِكَ الْكُفَّارِ مِنَ الْيَهُودِ (فحسب)، وَالْمُرَادُ بِآيَاتِ اللهِ هُنَا مَا يَدُلُّ عَلَى حَقِّيَّةِ دِينِهِ مُطْلَقًا، وَيَدْخُلُ فِيهَا الْقُرْآنُ دُخُولًا أَوَّلِيًّا؛ لِأَنَّهُ أَدَلُّ الدَّلَائِلِ وَأَظْهَرُ الْآيَاتِ وَأَوْضَحُهَا، وَ(نُصْلِيهِمْ نَارًا) مَعْنَاهُ نَجْعَلُهُمْ يَصْلَوْنَهَا، أَيْ: يَدْخُلُونَهَا وَيُعَذَّبُونَ بِهَا.، (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ (محمد عبده): نُضْجُ الْجُلُودِ هُوَ نَحْوُ نُضْجِ الثِّمَارِ وَالطَّعَامِ؛ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ فَقْدِ التَّمَاسُكِ الْحَيَوِيِّ وَالْبُعْدِ عَنِ الْحَيَاةِ، وَإِنَّمَا تَتَبَدَّلُ لِأَنَّ النُّضْجَ يُذْهِبُ الْقُوَّةَ الْحَيَوِيَّةَ الَّتِي بِهَا الْإِحْسَاسُ، فَإِذَا بَقِيَتْ نَاضِجَةً يَقِلُّ الْإِحْسَاسُ بِمَا يَمَسُّهَا أَوْ يَزُولُ؛ لِذَلِكَ تَتَبَدَّلُ بِهَا جُلُودًا حَيَّةً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ، لِأَنَّ الذَّوْقَ وَالْإِحْسَاسَ يَصِلُ إِلَى النَّفْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَيَاةِ فِي الْجِلْدِ، وَمِنْ هُنَا قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِتَبْدِيلِ الْجُلُودِ دَوَامُ الْعَذَابِ، فَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ أَوْ كِنَايَةٌ عَنْ دَوَامِ الْإِحْسَاسِ بِالْعَذَابِ..، أَقُولُ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ نُضْجَ الْجُلُودِ مِنَ الْعَذَابِ إِنْ كَانَ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا؛ يَكُونُ هُوَ أَثَرُ لَفْحِ النَّارِ بِسَمُومِهَا لِأَهْلِ تِلْكَ الدَّارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ) ٢٣المؤمنون:١٠٤، وَمَتَى لُفِحَ الْجِلْدُ مِرَارًا يَبْطُلُ إِحْسَاسُهُ وَيَنْفَصِلُ عَنِ الْبَشَرَةِ وَيَتَرَبَّى تَحْتَ جِلْدٍ آخَرَ؛ (تمثيلاً للغيب بما) هُوَ مُشَاهَدٌ فِي الدُّنْيَا.. (أو) أَنَّ هَذَا اسْتِعَارَةٌ عَنِ الدَّوَامِ وَعَدَمِ الِانْقِطَاعِ.، يَعْنِي.. الْمَقْصُودُ (فِي هذه الصورة البيانية) دَوَامُ الْعَذَابِ وَعَدَمُ انْقِطَاعِهِ.، وَيُؤَيِّدُ.. أَنَّ النَّفْسَ هِيَ الَّتِي تَذُوقُ الْعَذَابَ كَلِمَةُ (لِيَذُوقُوا)؛ وَلَمْ يَقُلْ لِتَذُوقَ أَيِ الْجُلُودُ (فهي إذن أداة استشعار فحسب)..، (و) الْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِ الذَّوْقِ الْإِخْبَارُ بِأَنَّ إِحْسَاسَهُمْ بِذَلِكَ الْعَذَابِ.. يَكُونُ كَإِحْسَاسِ الذَّائِقِ.. مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ (مستمر) لَا يَدْخُلُ فِيهِ.. زَوَالٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ الِاحْتِرَاقِ..، (إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) أَيْ إِنَّهُ تَعَالَى غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ؛ حَكِيمٌ فِي فِعْلِهِ"[٢٧٨].

---

[٢٧٥] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (١١ ٦٤٦).

[٢٧٦] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٣ ١٧٥).

[٢٧٧] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٧ ١٦٣).

[٢٧٨٢٧٨] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٥ ١٣٣).

وفي تفسير مجمع البحوث: "المعنى: إنَّ الَّذِينَ جحدوا آياتنا الدالَّةَ على ألوهيتنا، والمنزلة على أنبيائنا عليهم الصلاة والسلام، وفي مقدمتها القرآن الكريم: الذي هو آخر الكتب وأوفاها وأوضحها دلالة، {سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا}: أي سوف ندخلهم نارا هائلة يوم القيامة، {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ}: أي كلما احترقت جلودهم، وتعطلت عن الإحساس بالألم؛ {بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا}: أي جلودا جديدة أخرى؛ ليستمر عذابهم ويدوم لهم بها وذوقهم لها؛ لأنهم كانوا مصرين على الكفر..، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا}: أي.. لا يعجزه شيء ولا يستعصى عليه أمر؛ حكيم في أفعاله"[٢٧٩].

وقال ابن عاشور: "(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً) تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ لِجَمِيعِ الْكَافِرِينَ، فَهِيَ أَعَمُّ مِمَّا قَبْلَهَا، فَلَهَا حُكْمُ التَّذْيِيلِ، وَلِذَلِكَ فُصِلَتْ، وَالْإِصْلَاءُ: مَصْدَرُ أَصْلَاهُ، وَيُقَالُ: صَلَاهُ صَلْيًا، وَمَعْنَاهُ شَيُّ اللَّحْمِ عَلَى النَّارِ..، (ومنه) قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) النِّسَاء:١٠، وَقَوْلُهُ: (فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا).. النِّسَاء:٣٠،.. ونَضِجَتْ بلغت نِهَايَة الشّيء، يُقَالُ: نَضِجَ الشِّوَاءُ إِذَا بلغ حدّ الشّيء، وَيُقَالُ: نَضِجَ الطَّبِيخُ إِذَا بَلَغَ حَدَّ الطَّبْخِ، وَالْمَعْنَى: كُلَّمَا احْتَرَقَتْ جُلُودُهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا حَيَاةٌ وَإِحْسَاسٌ؛ بَدَّلْنَاهُمْ، أَيْ عَوَّضْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا، وَالتَّبْدِيلُ يَقْتَضِي الْمُغَايِرَةَ.. فَقَوْلُهُ: (غَيْرَها) تَأْكِيدٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ فِعْلُ التَّبْدِيلِ..، وَقَوْلُهُ: (لِيَذُوقُوا الْعَذابَ) تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: (بَدَّلْناهُمْ)؛ لِأَنَّ الْجِلْدَ هُوَ الَّذِي يُوَصِّلُ إِحْسَاسَ الْعَذَابِ إِلَى النَّفْسِ.. فَلَوْ لَمْ يُبَدَّلِ الْجِلْدُ بَعْدَ احْتِرَاقِهِ لَمَا وَصَلَ عَذَابُ النَّارِ إِلَى النَّفْسِ، وَتَبْدِيلُ الْجِلْدِ مَعَ بَقَاءِ نَفْسِ صَاحِبِهِ لَا يُنَافِي الْعَدْلَ لِأَنَّ الْجِلْدَ وَسِيلَةُ إِبْلَاغِ الْعَذَابِ وَلَيْسَ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتعذيب..، وَقَوْلُهُ: (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً) وَاقِعٌ مَوْقِعَ التَّعْلِيلِ لِمَا قَبْلَهُ، فَالْعِزَّةُ يَتَأَتَّى بِهَا تَمَامُ الْقُدْرَةِ فِي عُقُوبَةِ الْمُجْتَرِئِ عَلَى اللَّهِ، وَالْحِكْمَةُ يَتَأَتَّى بِهَا تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ فِي إِصْلَائِهِمُ النَّارَ"[٢٨٠].

وقال المراغي: "(نصليهم): نشويهم بالنار، يقال شاة مصلية أي مشوية، و(نضجت): احترقت وتهرأت..، من قولهم نضج الثمر واللحم نضجًا..، (ليذوقوا العذاب): أي ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع؛ كما تقول للعزيز: أعزك الله: أي أدام لك العز وزادك فيه، والعزيز هو القادر الغالب على أمره؛ والحكيم: هو المدبر للأشياء وفق الحكمة والصواب..، والآيات: الأدلة التي ترشد إلى أن هذا الدين حق، ومن أجلّها القرآن لأنه أول الدلائل وأظهر الآيات وأوضحها، والكفر بها يعم إنكارها والغفلة عن النظر فيها وإلقاء الشبهات والشكوك مع العلم بصحتها عنادا وحسدا..، (والإيضاح أنه) بعد أن ذكر عز اسمه في الآية السالفة أن ممن دعوا إلى التصديق بالأنبياء فريقا نأى وأعرض عن إتباع الحق، ثم توعد من أعرض بسعير جهنم؛ فَصَّلَ هنا الوعيد بذكر أحوال الفريقين وما يلاقيه كل منهم من الجزاء يوم القيامة: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً) أي إن الله تعالى قد أعد لمن جحد بآياته التي أنزلها على أنبيائه نارا مسعرة تشويهم وتحرق أجسامهم حتى تفقدها الحس والإدراك، (كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها) أي كلما فقدت التماسك الحيوي وبعدت عن الحس والحياة بدلها جلودا أخرى حية تشعر بالألم وتحس بالعذاب، قال الدكتور عبد العزيز إسماعيل باشا عليه سحائب الرحمة فى كتابه (الإسلام والطب الحديث): والحكمة في تبديل جلود الكفار؛ أن أعصاب الألم هي في الطبقة الجلدية، وأما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية فالإحساس فيها ضعيف، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذي لا يتجاوز الجلد يحدث ألما شديدا؛ بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد إلى الأنسجة، لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألما كثيرا، فالله يقول لنا إن النار كلما أكلت الجلد الذي فيه الأعصاب نجدده كي يستمر الألم بلا انقطاع ويذوقوا العذاب الأليم، وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الإنسان..، ثم ذكر السبب فيما تقدم فقال: (لِيَذُوقُوا الْعَذابَ) ليدوم لهم ذوق العذاب، لأن الإحساس يصل إلى النفس بواسطة الحياة في الجلد..، وفى التعبير (ليذوقوا) إيماء إلى أن إحساسهم بذلك العذاب يكون كإحساس الذائق (قوي ومستمر).. لا يدخل فيه نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق..، ثم أكد سابق الكلام وبين علته فقال: (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً)، أي إنه تعالى عزيز قادر لا يمتنع عليه شيء مما توعد به أو وعد؛ حكيم يعاقب من يعاقبه وفق الحكمة، ومن حكمته أن ربط الأسباب بالمسببات"[٢٨١].

---

[٢٧٩] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٢ ٨٣٢).

[٢٨٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٥ ٨٩).

[٢٨١] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٥ ٦٦).

وقال الشعراوي: "(نصليهم) من الاصطلاء..، وكلنا يعرف أن نار الدنيا حين تحرق شيئاً ينتهي إلى عدم، وحين ينتهي إلى عدم إذن فلا يوجد ألم!.. (ولكن) نار الدنيا تحرق وتنتهي المسألة؛ أما نار الآخرة فإنها عذاب سرمدي دائم مكرر: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ العذاب}، فإذا ما حرّقت الجلود فإن جلوداً أخرى ستأتي..، فالألم ليس للعضو بل للنفس الواعية؛ بدليل أننا عندما ارتقينا في الطب قلنا إن النفس الواعية نستطيع أن نخدرها بحيث يحدث الألم ولا تشعر به..، وهكذا تجد أن الجلود.. آلة لتوصيل العذاب.. توصل لهم العذاب..، إذن فقوله: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ العذاب}؛ أي أن الجلود تبدل وتنشأ جلود أخرى من نفس مادتها توصل العذاب للنفس الواعية..، وكل هذه الآيات الكونية لم يعط الله أسرارها إلا بقدر ما تتسع العقول، وترك في كتابه ما يدل على ما يمكن أن تنتهي إليه العقول الطموحة بالبحث العلمي، وعندما نتعرف نحن المسلمين على اكتشاف علمي جديد في الكون نقول: إن القرآن قد أشار له؛ لكن قبل ذلك لا يصح أن نقول ذلك حتى لا يكذب الناس هذا الكتاب المعجز، فسبحانه القائل: {بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ} يونس:٣٩"[٢٨٢]، "لذلك فعندما يبتكر العقل البشري شيئاً جديداً نقول له: أنت لم تبتكر؛ بل اكتشفت فقط..، والبشرية عندما تكتشف شيئاً جديداً، نقول لهم: القرآن مسّها وجاء بها، فيقولون: عجباً هل فعل القرآن ذلك منذ أربعة عشر قرناً، على الرغم من أنه نزل ليخاطب أمة أمية وجاء على لسان رسول أميّ!. ونقول: نعم، والآية التي نحن بصددها فيها هذا: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا} النساء:٥٦،.. أرادوا أن يعرفوا كيف نحسّ؟.. ثم انتهوا إلى أن الإحساس إنما ينشأ بشعيرات (مستقبلات) حسية (في).. الجلد..؛ بدليل أن ربنا أوضح: أنه عندما يحترق الجلد يمتنع الإحساس؛ فأنا أبدل لهم الجلد ليستمر الإحساس: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ}، أي صارت محترقة احتراقاً تاما وتعطلت عن الإحساس بالألم؛ آتيهم بجلد آخر لأديم عليهم العذاب، لأنه هو الذي سيوصل للنفس الواعية فتتألم، إذن فالآية مسّت قضية علمية معملية، لو أن القرآن تعرض لها بصراحة وجاء بصورة في الإحساس تقول: يا بني آدم محلّ (استقبال) الإحساس عندكم الجلد؛ لما فهموا شيئاً، لكنه تركها لتنضج في العقول على مهل..، فتكون علّة التبديل للجلود التي أحرقت بجلود جديدة كي يدوم العذاب"[٢٨٣]، "لأن الجلود إذا نضجتْ وتفحَّمت امتنع الحِسُّ، وبالتالي امتنعتْ إذاقة العذاب، إذن: العلة من تبديل الجلود تجديد الحسِّ ليذوقوا العذاب إذاقةً مستديمة..، (وقد) توالت البحوث للتعرف على مناط الحسِّ في الإنسان أيْن هي؟ إلى أن انتهت تلك الأبحاث إلى ما أخبر به القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، من أن الجلد هو.. (أهم عضو لاستقبال) الإحساس في الإنسان..، (فمتى عرفت) هذه النظريات العلمية الدقيقة؟ ومَنْ أخبر بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؟ إنه لَوْنٌ من ألوان الإعجاز القرآني للعرب ولغيرهم"[٢٨٤]، إذن: لم يكن الإسلام معجزة لقومه فقط بل لكل الدنيا، ويتحقق دائماً قول الحق سبحانه: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفاق وفي أَنفُسِهِمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحق} فصلت:٥٣"[٢٨٥].

[٢٨٢] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٤\ ٢٣٣٢).

[٢٨٣] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٤\ ٢٣٣٦).

[٢٨٤] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٤\ ٨٧٦٣).

[٢٨٥] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٢\ ٧٣٩٥).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Skin Nerve Endings

النهايات العصبية بالجلد

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٤النساء:٥٤-٥٦.

- ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ ٢٢الحج:١٩و٢٠.

- ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ١٨الكهف:٢٩.

- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ٤٧محمد:١٥.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٥المائدة:٦.

- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٠٣و١٠٤.

- ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ. سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ ١٤إبراهيم:٤٩و٥٠.

- ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ٥٤القمر:٤٧و٤٨.

- ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٠.

- ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ٣٩الزمر:٢٤.

- ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ ٣٣الأحزاب:٦٦.

- ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٣٤.

- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٢٧.

- ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٣آل عمران:١١٩.
- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ٨الأنفال:١٢.
- ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ٤٧محمد:٢٧.
- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ٨الأنفال:٥٠.
- ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٩.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ٩التوبة:٣٤و٣٥.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ٤النساء:١٧١.

Paragraph الفَقْرَة

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ٤النساء:١٧١.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿ثلاثة﴾، ﴿اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

O people of the Scripture (particularly Christians)**, do not transgress the limits of your religion, and do not say about Allah except the truth** (as revealed before in the Scripture)**. Verily, the Messiah, Jesus,** (the) **son of Mary, was only a Messenger of Allah, and a fulfillment of HIS word which He has sent down to Mary and a mercy from Him. So believe in Allah and His Messengers** (by the same message)**, and say not, They are three** (of Trinity)**. Desist; it will be better for you. Verily, Allah is the only One** (Unique and Only) **God. Holy is He far above having a son.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ٤النساء:١٧١؛ جملة دلالات وإيحاءات، ففي المناداة بأهل الكتاب تخصيص بالنصارى؛ لأنهم هم الذين ضموا أسفار بني إسرائيل لأسفارهم في كتاب واحد، ومجامعهم هي التي حادت عن دعوة الرسل للتوحيد Monotheism الخالص واستحدثوا بدعة التثليث Trinity، وهم دعاة الغلو في تأليه المسيح وأمه عليهما السلام.

كل من حضر مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥م الذي قرر تأليه المسيح من رعايا الإمبراطورية الرومانية الوثنية المعتقد.

والاستفتاح بكلمة (الْكِتَابِ) فيه دعوة إلى تفتيش مدونات بني إسرائيل ومأثورات النصارى للتحقق من زيف التثليث، ومن دعوة المسيح عليه السلام إلى التوحيد الخالص؛ وعبوديته لله تعالى وحده وبراءته من فرية الشركة معه، ونجد وفق مصادر النصارى ذاتها التي تمت ترجمتها بحروف المطابع ونشرها للعامة حديثًا أن عقيدة التثليث قد تطورت بالتدريج في البيئة الوثنية الرومانية التي كانت سائدة إلى القرن الرابع بعد وفاة المسيح؛ وكان الخلاف قد دب بين مؤيد للتوحيد وأن عيسى عليه السلام كان نبيًا كسابقيه وبين المتأغرقين بتأليه العظماء، وخشي الإمبراطور قسطنطين على تمزق الإمبراطورية فدعا جمع من الرعايا القساوسة لمؤتمر نيقية الأول عام ٣٢٥م، وانحاز قسطنطين إلى رأي ٣١٨ متأغرق في أن المسيح ابن الله على الحقيقة لا المجاز من أصل ١٨٠٠ أسقف؛ (نسبة أقل من ١٨%)، ورأى ١٥٠ أسقفا من بعد في مؤتمر القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م أن يضيفوا الروح لتكتمل أطراف التثليث، وهكذا اختلطت دعوة التوحيد التي نادي بها المسيح مع طقوس رومانية ورتب كهنوتية وأردية وصور وتماثيل مقدسة لم يعرفها المسيح، ومسيحية متأغرقة؛ ونهب وإبادة شعوب باسم الصليب والمسيح!.

وتلك الطقوس بلغاتها البائدة لم يتحدث بها المسيح وإنما كانت تعاليمه بالآرامية لغة أهل فلسطين بينما كل الأناجيل الحالية مترجمة عن اليونانية لغة البيزنطيين، ولم يكن في زمنه تثليث ولا صلبان ولا زعم أكل لحمه وشرب دمه في طقس قربان، ففي زعم الكهنة الكاثوليك والأرثوذكس أن من يتناول الخبز ويشرب الخمر متوهمًا أكل لحم المسيح وشرب دمه يتحد معه روحيا باعتباره إلها ويترقي في المرتبة؛ بينما يرى البروتستانت طقس القربان هذا دجل واختلاق وكفر، ورغم غلو الطائفة بتأليه المسيح بلغ امتهانه في رسومهم وتقاليدهم وضع الشوك على رأسه وحمله لصليب خشبي ليصلب عليه ودق مسامير معدنية في أطرافه وتعليقه بين لصين حتى مات، فكيف يليق أن يعلق الإله على خشبة ويصرخ ويتألم؛ خاصة أن في أسفارهم: "المعلق ملعون من الله" تثنية: ٢١/ ٢٣.

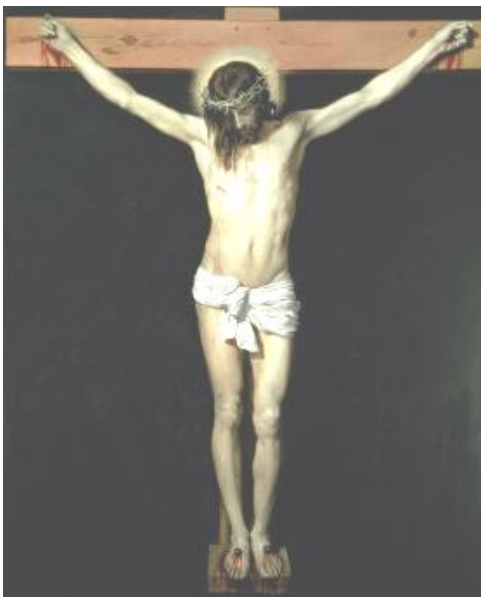

وإذا كان المسيح هو الإله كما يزعمون؛ فلمن وَجَّه إذن صرخته على الصليب يائسًا: (إلهي إلهي لماذا تركتني) متى: ٢٧\ ٤٦، هل كان حقًا هو المسيح؛ أم حمل عنه المأساة أحد الأتباع المخلصين!، وأين ذهب إيمانه إذا كان قد ارتضى طواعية تخليص البشر من خطيئة أبو البشر؛ إذا كان على أحد أن يحمل ذنب ارتكبه إنسان آخر سواه!.

قال شنودة بابا الأرثوذكس Pope Shenouda III: "لقد كتب العهد القديم في فترة ٢٥٠٠ سنة بواسطة ٤٠ كاتباً يختلفون تماماً في صفاتهم، فمنهم الفلاسفة مثل موسى النبي، ومنهم الراعي البسيط جامع الجميز مثل عاموس، والقائد الحربي يشوع، وساقي الملك نحميا، ومنهم أشعياء رجل القصور، ودانيال رئيس الوزراء، وسليمان الملك وصاحب الحكمة..، كما اختلف الكتاب عن بعضهم في ظروف تسجيل الوحي الإلهي؛ فموسى سجل أسفاره في البرية، أما أراميا فسجلها في ظلمة الجب، أما دواد النبي فكتب مزاميره عند سفوح التلال وهو يرعى خرافه، والبعض كتب وهو في شدة الفرح، والبعض الآخر وهو في قمة الألم والسجن والقيود مثل.. بولس".

هذا هو إذن السبب في التناقض والاختلاف في الأسفار والذي لا يقع فيه الوحي، في ٢صمويل ٢٤\ ٢٤: اشترى داود البيدر والبقر بخمسين شيكل من الفضة؛ ولكن فى ا أخبار ٢١\ ٢٥: الثمن ست مائة شيكل ذهب، وفي ٢ صمويل ٢٣\ ٨: يوشيب قتل ثمانمائة دفعة واحدة؛ وانخفض عددهم في ١ أخبار ٢١\ ٢٥: إلى ثلاثمائة فقط، وفي ٢ صمويل ١٧\ ٢٥: أن عماس ابن يثرا إسرائيلي، ولكن فى ا أخبار ٢\ ١٧: يقول أن يثرا إسماعيلي (عربي)، وفي ٢ صمويل ١٤\ ٢٧: يقول إنه ولد لأبشالوم ثلاثة بنين وبنت واحدة اسمها ثامار؛ ولكن فى ٢ صمويل نفسه ١٨\ ١٨ نسى الكاتب ذلك وقال أن أبشالوم ليس له ابن، وفي ٢ صمويل ١١\ ٣: اسم أم سليمان عليه السلام بثشبع بنت اليعام؛ وفى ١ أخبار ٣\ ٥: اسمها بثشوع بنت عميئيل، وفي إحصاء أحمد ديدات في كتابه: "خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس".

وقال الأب الفرنسي أسطفان شربنتييه في كتابه (ص٨): "دليل إلى قراءة الكتاب المقدس" المنشور في ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٨٢ ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي إلى العربية، وتقديم الأب أنطوان أودو اليسوعي أستاذ الكتاب المقدس بجامعة القديس يوسف في بيروت: "إن الكتاب المقدس لاسيما العهد القديم كتاب محير، نعلم قبل أن نفتحه أنه الكتاب المقدس عند اليهود والمسيحيين ونتوقع أن نجد فيه كلام الله غير ممزوج بأي شيء.. وعندما نفتحه نجد فيه.. روايات لا نستطيع أن نقرأها بصوت مرتفع دون أن نخجل.. وفضائح أخلاقية.. مبغضة للنساء".

وأضاف الأب أسطفان مصرحا بالدخيل على الأسفار: "أدخل على الكتاب تنقيحات أخرى.. حوالي السنة ٤٠٠ أي في الشريعة.. أو التوراة وكانوا يشعرون بأمانتهم لأفكار موسى، أو بعبارة أخرى كانوا على يقين من أن القوانين التي يسنونها هي التي لو عاش موسى في ذلك الزمان لسنها؛ فجعلوها على لسانه في صيغة خطب ألقاها قبل وفاته".

ويستند دعاة التثليث على فقرة وردت في إنجيل متى الإصحاح ٢٨ العدد ١٩ منسوبة للمسيح عليه السلام: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"، ولكن المحققون قد أثبتوا أن هذه الفقرة مختلقة؛ فضلا على أنها تتحدث عن ثلاث ذوات مختلفة وليس ثالوث أقدس تجمعه ذات واحدة، فلم ترد في الأناجيل الثلاثة الأخرى على أهميتها في العقيدة، وغير موجودة بإنجيل متى العبري، يقول ويلز: "لا يوجد دليل على أن حواريي المسيح اعتنقوا التثليث"، ويقول أدولف هرنك: "صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الآب والابن والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها وجود في عصر الرسل..، (وحتى) بولس لا يعلم شيئاً عن هذا"، والحواري بطرس يقول: "أوصانا أن نكرز للشعب" أعمال: ١٠/ ٤٢؛ أي لليهود فقط ، والمسيح نفسه يقول: "لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ" متى: ١/ ٢٤، والعبارة تتفق مع منهج بولس في التساهل في شريعة موسى في دعوة غير اليهود، والنص في الإنجيل العبري: اذهبوا وتلمذوهم ليُنفذوا كل ما أوصيتكم به إلى الأبد، والذي ترجم متى من العبرانية إلى اليونانية غير معروف، قال جيروم: من المحتمل أن يكون إنجيل الناصريين.. هو الأصل العبراني لإنجيل متى ثم طرأت عليه توسعة وتعديل، فأين الإلهام هنا في عمل الكتبة والمترجمين وقد حرفوا الأصل!.

وتحمل الأسفار ثقافات كُتابها، فقد اعتقد مثلا كتبة الأسفار أن يعقوب قد صارع الإله حرفيا على النحو الذي نراه حاليا في المصارعة الحرة في التليفزيون؛ وليس بمعنى أن الله قد اختبره ونجح، وكما يزعمون كان الإله كعادته كل ليلة قد نزل ليتجول على الكوكب فلم يستطع الإفلات طيلة الليل حتى أوشكت الشمس على الشروق وحان موعد عودته إلى السماء إلا أن لبى طلب يعقوب أن يباركه، وبالمثل اعتقد كتبة الأناجيل بحرفية تعبير (ابن الله) بمعنى ولده؛ وليس بمعنى عبودية المسيح لله ورعايته تعالى له، فمهد زعم إلوهية المسيح لنشأة معتقد التثليث، وتجنبا لإظهار الإله وهو يسترضي يعقوب ليفلته عندما حان الشروق موعد صعوده للسماء ليدير شئون الكون رسم الفنانون رفيقه في المصارعة ملاكًا، ولكن آباء الكنيسة أصروا على حرفية التعبير؛ كما أصروا على حرفية تعبير ابن الله فجعلوا النبي إلها على طريقة الوثنيين، هذه هي الصورة التي يقدمها معتقد التثليث اليوم اختلط فيه الوهم بالواقع وأصبح المجاز حقيقةً، وتكشف الرسوم معتقدهم أن الملاك رفيق يعقوب في المصارعة أنثى في معتقدهم وكأنهم شهود عيان للواقعة، فلا تعجب إذن وقد زعموا ما هو أعظم إفكًا بإنجاب الذات العلية ولدًا، وعلى نهجهم سار عرب الجاهلية؛ ولكن القرآن الكريم قال: تكذبون: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ. أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ. وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ٣٧الصافات:١٤٩-١٥٢.

ويكفي أن أقوال المسيح عليه السلام في مأثور أهل الكتاب تكشف كم بَعُدَت المسيحية المتأغرقة عن المسيحية الحق؛ حيث يُعلن المسيح نفسه عبوديته لله تعالى وحده وأنه ليس إلا رسول كسابقيه، فقد قيل أنه: "قضى الليل كله في الصلاة لله" لوقا: ٦ ١٢، وأنه: "كان يعتزل في البراري ويصلي" لوقا: ٥ ١٦، وأنه قال: "لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" متى: ٤ ١٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله" يوحنا: ١٣ ١٦، وعندما سُئِل: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟" متى: ٢٢ ٣٦، قال: "الرب إلهنا رب واحد" مرقس: ١٢ ٢٩، وقال: "هذه هي الوصية الأولى والعظمى" متى: ٢٢ ٣٨، وقال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" متى: ٥ ١٧، وقد أعلن مرارا أنه ليس إلا رسول لله كسابقيه: "ليعلم العالم أنك أرسلتني" يوحنا: ١٧ ٢٣، وقال: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا.. لا أطلب مشيئتي بل مشيئة.. الذي أرسلني" يوحنا: ٥ ٣٠، وقال: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" يوحنا: ١٢ ٤٤، وقال: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" يوحنا: ٥ ٢٤، ولما دعاه أحدهم صالحًا قال: "ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" متى: ١٩ ١٧، ومرقس: ١٠ ١٨، ولوقا: ١٨ ١٩، تلك أقوال المسيح عليه السلام تخزي من يتهمه بأنه دعي يوما للتثليث خاصة مع قوله المسلط سيفًا على رقاب السائرين على درب الطائفية لا يعون أين يقودهم الطريق: "من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يُدينه؛ الكلام الذي تكلمت به هو يُدينه في اليوم الأخير" يوحنا: ١٢ ٤٨؛ فهل من مُعتبر فطين لينجو قبل فوات الأوان!.

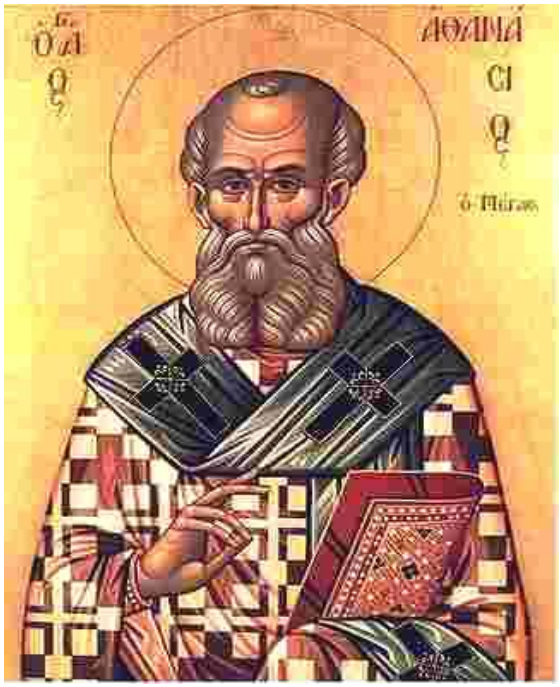

اثناسيوس السكندري
(٢٩٥م - ٣٧٣م)

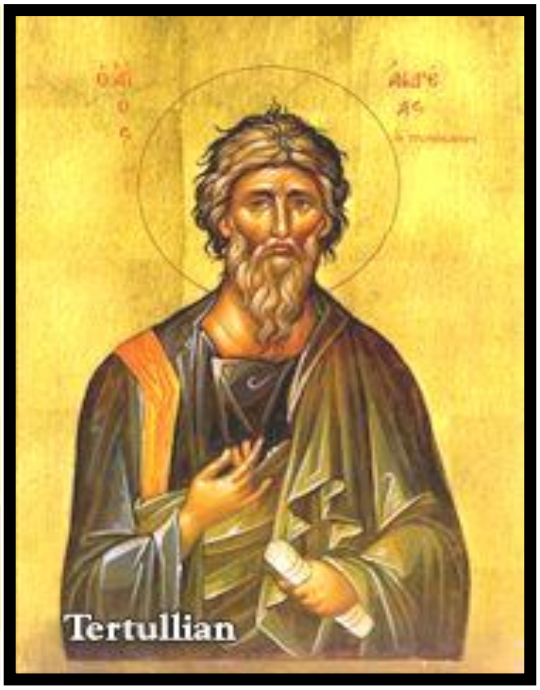

ترتليان Tertullian
(١٥٥ أو ١٦٠م – ٢٢٥م)

فمن أين جاء التثليث طالما لم يصرح به عيسى عليه السلام؛ وإنما دعي إلى التوحيد، ويجيب قاموس الكتاب المقدس قائلا: "الكلمة نفسها (التثليث) أو (الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها.. ترتليان Tertullian في القرن الثاني للميلاد (من حوالي ١٥٥م أو ١٦٠م إلى حوالي ٢٢٥م) .. وأخيراً ظهر اثناسيوس السكندري (٢٩٥م - ٣٧٣م).. واضعاً أساس العقيدة.. التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية..، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا"، فمن هو ترتليان هذا حتى يُعتمد قوله بالتثليث إلى اليوم؟، ويجيب الموقع المسيحي (بيت الله الحي) بقوله: "هو أحد أتباع مونتانوس Montanus الذي ادعى النبوة في نهاية القرن الثاني، وبعد أن كثر أتباعه كان يؤكد أنه هو الله نفسه"، وبهذا شهدت المصادر المسيحية نفسها بأن مصدر التثليث ليس عيسى عليه السلام الداعي إلى الوحدانية؛ وإنما رعايا البيئة الرومانية الوثنية.

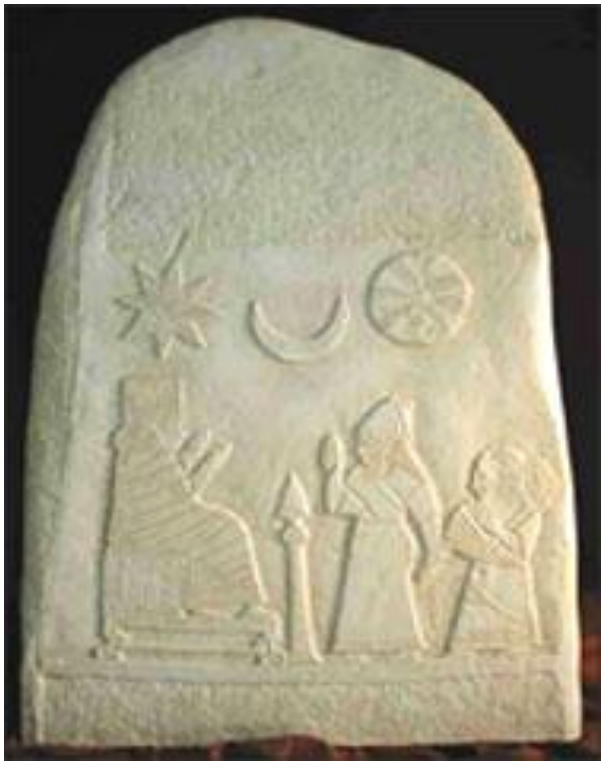

والتثليث طابع الوثنيات؛ فالحفريات المكتشفة حديثا في مدينة أور تظهر نقش للثلاثي الوثني المقدس: الشمس والقمر يمثلان الأب وزوجت؛ وثالثهما الزهرة يمثل الابن، وهو نفس الثالوث الذي حدثنا عنه القرآن الكريم على لسان إبراهيم مستدرجا قومه في محاورة جدلية تحمل علما بالوقائع؛ قبل أن تخرج الحفريات من تحت الركام ويعاينها نظر.

Brahma of Hindus, the pagan trinity.
ثالوث براهما معبود الهندوس؛ إله واحد بثلاثة أوجه.

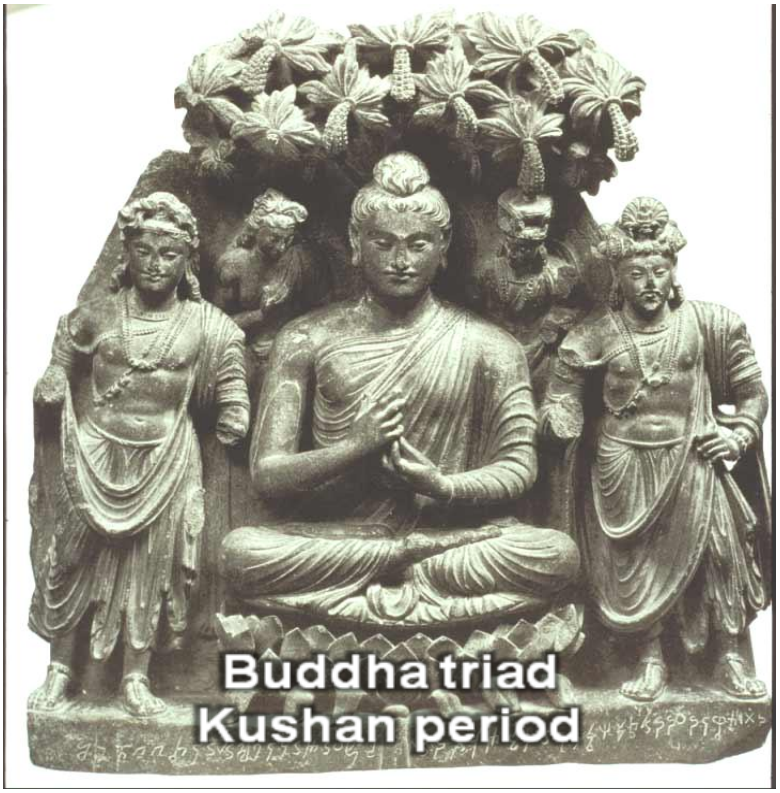

التثليث البوذي من آثار فترة الكوشان في الهند.

Brahma (the Creator and the first God of the trimurti), along with Vishnu and Shiv.

تثليث براهما وفشنو وشيفا.

Palmyrene deities Aglibôl (Moon God), Beelshamên (Supreme God),
Malakbêl (Sun God) on display at the Louvre Museum.
مجسم للتثليث من آثار حضارة سورية قديمة محفوظ بمتحف اللوفر،

وجاءت الكشوف الأثرية لتثبت أن أصل دعوة عيسى عليه السلام هو التوحيد؛ لكن السلطة الرومانية الوثنية المُعتقد حاربت دعوة التوحيد الخالص وحرقت ما استطاعت من المدونات الأصلية، لهذا لم تخرج ترجمة لفائف قمران التي اكتشفت في القرن الماضي وفيها ما يشكك في المعتقدات الحالية عند اليهود والنصارى، وبالمثل كان الفلاح المصري محمد السمان أول من اكتشف عام ١٩٤٥ بعض مخطوطات مخبأة في جرة خزفية بالقرب من نجع حمادي، وسميت المجموعة بمخطوطات نجع حمادي Nag Hammadi library، وهي تشهد بأن دعوة عيسى هي التوحيد.

وهكذا تحقق نبأ القرآن الكريم في براءة عيسى عليه السلام من فرية شرك التثليث، وَصِدْقِه في جمع النصارى أسفار الأزمنة قبل عيسى عليه السلام وبعده في كتاب واحد حيث دعاهم (أَهْلَ الْكِتَابِ)، وتحقق نبأه في تأليههم أمه قبل أن ندرك أن بعضهم ما زال حتى اليوم يتعبد تماثيلها،: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥المائدة:١١٦و١١٧، والمضمون أن المسيح عليه السلام بريء من الشرك مع الله تعالى؛ وأن التثليث دخيل ومخالف لرسالة جميع الأنبياء.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن عاشور: "خِطَابٍ مُوَجَّهٍ إِلَى النَّصَارَى خَاصَّةً، وَخُوطِبُوا بِعُنْوَانِ أَهْلِ الْكِتَابِ تَعْرِيضًا بِأَنَّهُمْ خَالَفُوا كِتَابَهُمْ، وَقَرِينَةُ أَنَّهُمُ الْمُرَادُ هِيَ قَوْلُهُ: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ) إِلَى قَوْلِه: (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ) ٤النساء:١٧٢، فَإِنَّهُ بَيَانٌ لِلْمُرَادِ مِنْ إِجْمَالِ قَوْلِهِ: (لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)، وَابْتُدِئَتْ مَوْعِظَتُهُمْ بِالنَّهْيِ عَنِ الْغُلُوِّ لِأَنَّ النَّصَارَى غَلَوْا فِي تَعْظِيمِ عِيسَى فَادَّعَوْا لَهُ بُنُوَّةَ اللَّهِ، وَجَعَلُوهُ ثَالِثَ الْآلِهَةِ، وَالْغُلُوُّ: تَجَاوُزُ الْحَدِّ الْمَأْلُوفِ..، وَغُلُوُّ أَهْلِ الْكِتَابِ تَجَاوُزُهُمُ الْحَدَّ الَّذِي طَلَبَهُ دِينُهُمْ مِنْهُمْ، فَالْيَهُودُ طُولِبُوا بِاتِّبَاعِ التَّوْرَاةِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِمْ؛ فَتَجَاوَزُوهُ إِلَى بِغْضَةِ الرُّسُلِ كَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَالنَّصَارَى طُولِبُوا بِاتِّبَاعِ الْمَسِيحِ فَتَجَاوَزُوا فِيهِ الْحَدَّ إِلَى دَعْوَى إِلَهِيَّتِهِ أَوْ كَوْنِهِ ابْنَ اللَّهِ، مَعَ الْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..، وَمَعْنَى الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ هُنَا: أَنْ يَقُولُوا شَيْئًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ دِينِهِمْ، فَإِنَّ الدِّينَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُتَلَقَّى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ..، فَجَعَلُوا عِيسَى ابْنًا لِلَّهِ وَمَرْيَمَ صَاحِبَةً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ..، وَوَصْفُ الْمَسِيحِ بِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ؛ وَصْفٌ جَاءَ التَّعْبِيرُ بِهِ فِي الْأَنَاجِيلِ، فَفِي صَدْرِ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةَ، والكلمة كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ) ثُمَّ قَالَ: (وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا)، وَقَدْ حَكَاهُ الْقُرْآنُ وَأَثْبَتَهُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِنْجِيلِيَّةِ، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ أَثَرُ كَلِمَةِ اللَّهِ؛ وَالْكَلِمَةُ هِيَ التَّكْوِينُ، وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ فِي الِاصْطِلَاحِ بِكُنْ..، وَوَصْفُ عِيسَى بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِتَكْوِينِهِ التَّأْثِيرُ الظَّاهِرُ الْمَعْرُوفُ فِي تَكْوِينِ الْأَجِنَّةِ، فَكَانَ حُدُوثُهُ بِتَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ..، وَمَعْنَى (أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ): أَوْصَلَهَا إِلَى مَرْيَمَ..، وَقِيلَ: الرُّوحُ النَّفْخَةُ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي النَّفْسَ رُوحًا وَالنَّفْخَ رُوحًا..، أَيْ أَنَّ قُصَارَى مَا وَقَعَ لَدَيْكُمْ مِنْ كَلَامِ الْأَنَاجِيلِ هُوَ وَصْفُ الْمَسِيحِ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَبِرُوحِ اللَّهِ؛ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَا يُؤَدِّي إِلَى اعْتِقَادِ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ وَأَنَّهُ إِلَهٌ..، وَأُرِيدَ بِالرُّسُلِ جَمِيعُهُمْ، أَيْ لَا تَكْفُرُوا بِوَاحِدٍ مِنْ رُسُلِهِ..، فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ) الْمَائِدَة:٧٣، وَفِي آيَةِ..: (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) الْمَائِدَة:١١٦..، وَالتَّثْلِيثُ أَصْلٌ فِي عَقِيدَةِ النَّصَارَى كُلِّهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي كَيْفِيَّتِهِ..، كَانَ الْعِلْمُ يَوْمَ تَدْوِينِ الْأَنَاجِيلِ مُكَلَّلًا بِالْأَلْفَاظِ الِاصْطِلَاحِيَّةِ لِلْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الرُّومِيَّةِ، فَلَمَّا اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِمُ الْمَعَانِي أَخَذُوا بِالظَّوَاهِرِ فَاعْتَقَدُوا أَنَّ الْأَرْبَابَ ثَلَاثَةٌ..، وَقَارَبُوا عَقِيدَةَ الشِّرْكِ..، ثُمَّ نَشَأَتْ فِيهِمْ عَقِيدَةُ الْحُلُولِ، أَيْ حُلُولِ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ بِعِبَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، ثُمَّ اعْتَقَدُوا اتِّحَادَ اللَّهِ بِالْمَسِيحِ، فَقَالُوا: اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ، هَذَا أَصْلُ التَّثْلِيثِ عِنْدَ النَّصَارَى..، وَظَهَرَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ رَاهِبٌ اسْمه آريوس قَالَ بِالتَّوْحِيدِ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَكَانَ فِي زَمَنِ قسطنطينوس سُلْطَانِ الرّوم بَانِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ.. (الذي)، رَأَى مُخَالَفَةَ مُعْظَمِ الرُّهْبَانِ لَهُ فَأَرَادَ أَنْ يُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ، فَجَمَعَ مَجْمَعًا مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ مِنَ التَّارِيخِ الْمَسِيحِيِّ، وَكَانَ فِي هَذَا الْمَجْمَعِ نَحْوُ أَلْفَيْ عَالِمٍ مِنَ النَّصَارَى فَوَجَدَهُمْ مُخْتَلِفِينَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَوَجَدَ أَكْثَرَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ عَلَى قَوْلٍ وَاحِدٍ: ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ عَالِمًا؛ فَأَخَذَ قَوْلَهُمْ وَجَعَلَهُ أَصْلَ الْمَسِيحِيَّةِ وَنَصَرَهُ..، وَاتَّفَقَ قَوْلُهُمْ عَلَى أَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ اتَّحَدَتْ بِجَسَدِ عِيسَى وَتَقَمَّصَتْ فِي نَاسُوتِهِ أَيْ إِنْسَانِيَّتِهِ وَمَازَجَتْهُ امْتِزَاجَ الْخَمْرِ بِالْمَاءِ، فَصَارَتِ الْكَلِمَةُ ذَاتًا فِي بَطْنِ مَرْيَمَ، وَصَارَتْ تِلْكَ الذَّاتُ ابْنًا لِلَّهِ تَعَالَى، فَالْإِلَهُ مَجْمُوعُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ الْأَبُ ذُو الْوُجُودِ، وَالثَّانِي الِابْنُ ذُو الْكَلِمَةِ أَيِ الْعِلْمِ، وَالثَّالِثُ رُوحُ الْقُدُسِ..، وَقَدْ بَسَطْتُ هَذَا لِيُعْلَمَ حُسْنُ الْإِيجَازِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ)، وَإِتْيَانِهِ عَلَى هَذِهِ الْمَذَاهِبِ كُلِّهَا، فَلِلَّهِ هَذَا الْإِعْجَازُ (الغَيْبِي)..، فَكَلِمَةُ (سُبْحَانَهُ) تُفِيدُ قُوَّةَ التَّنْزِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى غَلَطِ مُثْبِتِيهِ، فَإِنَّ الْإِلَهِيَّةَ تُنَافِي الْكَوْنَ أَبًا وَاتِّخَاذَ ابْنٍ لِاسْتِحَالَةِ الْفَنَاءِ وَالِاحْتِيَاجِ وَالِانْفِصَالِ وَالْمُمَاثَلَةِ لِلْمَخْلُوقَاتِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْبُنُوَّةُ تَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ هَذِهِ الْمُسْتَحِيلَاتِ لِأَنَّ النَّسْلَ قَانُونٌ كَوْنِيٌّ لِلْمَوْجُودَاتِ لِحِكْمَةِ اسْتِبْقَاءِ النَّوْعِ..، وَقَوْلُهُ: (وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا) تَذْيِيلٌ، وَالْوَكِيلُ الْحَافِظُ، وَالْمُرَادُ هُنَا حَافِظُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ أَيِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا"[٢٨٦].

---

[٢٨٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٦ ٥٠).

وقال الماوردي: "قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ} فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب للنصارى خاصة، والثاني: أنه خطاب لليهود والنصارى؛ لأن الفريقين غلوا في المسيح، فقالت النصارى: هو الرب، وقالت اليهود: هو لغير رشدة (أي مجهول النسب؛ يتهمون أمه في التلمود)، وهذا قول الحسن. والغلو: مجاوزة الحد ومنه غلاء السعر إذا جاوز الحد في الزيادة، وغلا في الدين إذا فرط في مجاوزة الحق. {وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ} يعني في غلوهم في المسيح، {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ} رداً على مَنْ جعله إلهاً، أو لغير رشدة أو ساحراً، {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَآ إِلَى مَرْيَمَ} في كلمته ثلاثة أقاويل: أحدها: لأن الله كَلَّمَه حين قال له كن، وهذا قول الحسن وقتادة، الثاني: لأنه بشارة الله التي بشر بها؛ فصار بذلك كلمة الله، والثالث: لأنه يهتدي به كما يهتدي بكلام الله، {وَرُوحٌ مِّنْهُ} فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: سُمِّي بذلك لأنه رُوح من الأرواح، وأضافه الله إلى نفسه تشريفاً له، والثاني: أنه سُمِّي روحاً لأنه يحيا به الناس كما يُحْيَون بالأرواح، والثالث: أنه سُمِّي بذلك لنفخ جبريل عليه السلام لأنه كان ينفخ فيه الروح بإذن الله، والنفخ يُسَمَّى في اللغة روحاً؛ فكان عن النفخ فسمي به {فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ: ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ} في الثلاثة قولان: أحدهما: هو قول النصارى أب وابن وروح القدس؛ وهذا قول بعض البصريين، والثاني: هو قول من قال: آلهتنا ثلاثة؛ وهو قول الزجاج"[٢٨٧].

وقال الراغب: "خاطب بذلك النصارى فيما يدعونه من الافتراء على الله وعيسى..، وسماه كلمة الله كقوله: (ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ) قيل: بشارة الله..، وسماه روحا لقوله: (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا)، وقيل: لأنه كان يحي الناس إحياء الروح، وقيل: لأنه سبب للحياة الأخروية، كما أن الروح سبب للحياة الدنيوية، وقال: (انتهوا خيرا لكم). قيل: فيه الوجهان المقدمان، وقيل: (انتهوا خيرا لكم)، وقوله: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)، عنى غناه عن الأولاد، وبقوله: (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) أنه القائم بحفظ الأشياء، والولد يحتاج إليه ليكون وكيلا لأبيه؛ وهو تعالى مستغن، لأنه هو الحافظ لكل شيء"[٢٨٨].

[٢٨٧] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١\ ٥٤٦).

[٢٨٨] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٤\ ٢٣٨).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Theology

أديان

المَوْضُوع Subject

Trinity

التثليث

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ. فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ٢البقرة:٧٨و٧٩.**

- **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ٣آل عمران:٦٤.**

- **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٩التوبة:٣٠و٣١.**

- **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ٤النساء:٨٢.**

- **﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا. وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٤النساء:١٥٦-١٥٨.**

- **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ٤النساء:١٧١.**

- **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ٥المائدة:٧٧.**

- **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ٥المائدة:٧٣-٧٥.**

- **﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥المائدة:١١٦و١١٧.**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ٥المائدة:٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٥المائدة:٦.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿فَاغْسِلُوا﴾، ﴿وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾، ﴿وَامْسَحُوا﴾، ﴿بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

O you who believe; when you stand up for Prayer, wash your faces and your arms up to the elbows, and wipe (by wet hands over) **your heads and** (wash) **your feet up to the ankles.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

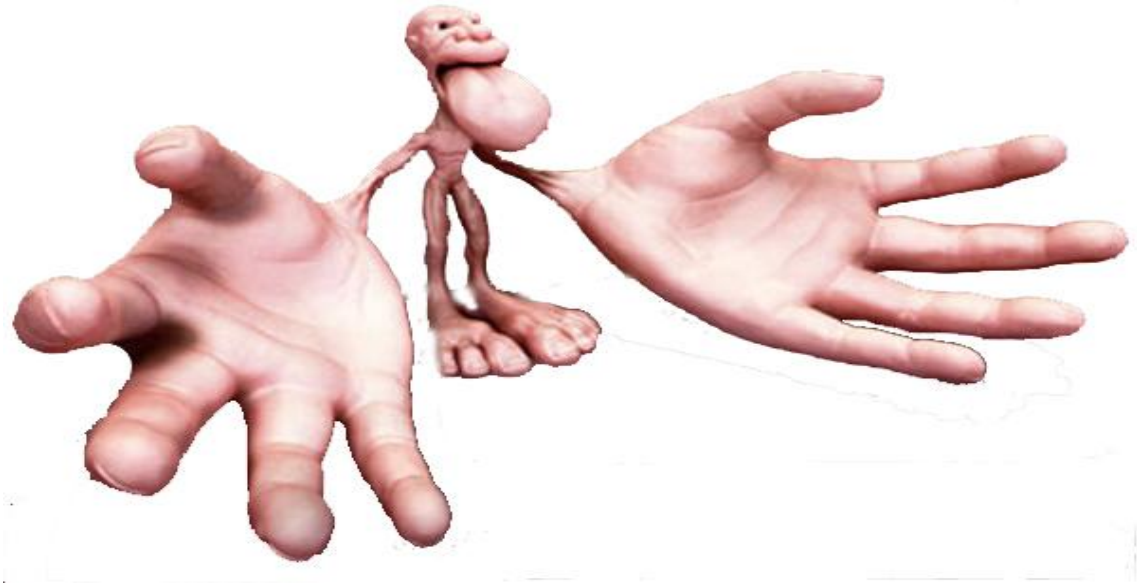

تتفق كثافة المستقبلات والأعصاب الحسية في كل منطقة بالجلد مع المساحة التي تمثلها والممنوحة لها في المنطقة الحسية بقشرة المخ، وتمثل كل مناطق الجلد فيما يُعرف باسم الإنسان الحسي Sensory Homunculus، وهو يُظهر أن أكثر المناطق إحساسا منطقة الوجه خاصة اللسان والشفتين واليدين خاصة أطراف الأصابع؛ ثم القدمين.

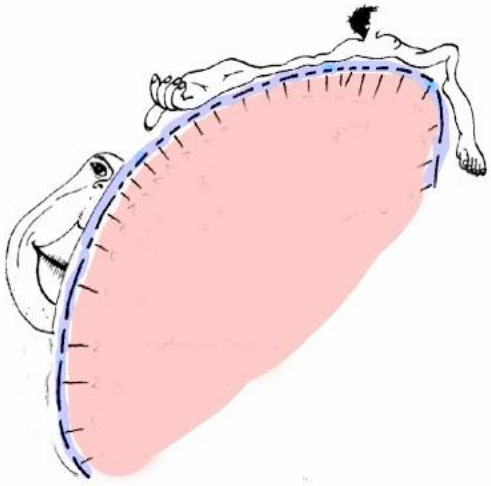

وأحد أركان الفَصَاحَة إعطاء العناية للأهم في موضوع السياق إذا اشترك مع غيره في الذِّكْر؛ فَيُقَدَّم في الكلام، وقد يُكتفي به إيجازًا فَيُخْتَار وحده للتعبير عن موضوع السياق، وبمقياس البلاغة قد بلغ القرآن الكريم أوج الفَصَاحَة، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ٥المائدة:٦؛ قُدِّمَت الوجوه والأيدي على الرءوس والأرجل واختصتا بالغسل مُقابل المسح، والسياق يتعلق بمناطق الجلد، وهو عضو استقبال الإحساس حيث يجب الغسل والمسح؛ بينما مركز الإحساس بالمخ، فجاء الترتيب بالنظم بنفس الترتيب التشريحي بالمخ؛ حيث يسبق موضع الوجه موضع اليد وتتبعهما الرأس ثم الرِّجْل، وجاء موافقًا للأهمية الوظيفية حيث تُمْنَح منطقة الإحساس التي تمثل العضو الأكثر نفعًا مستقبلات أوفر ومساحة أكبر، وناسبها مجيء الغسل مُختصًّا بالوجه ثم اليد؛ أسبق من المسح مُختصًّا بالرأس ثم الرِّجْل، والفارق كمية الماء فحسب، والقراءة (وأرجِلكم) بالخفض تُوهم إشراكها مع الرءوس في المسح؛ و(أرجلكم) بالنصب تُلحقها بالوجوه والأيدي، والواقع أن الأرجل بالفعل مُمثلة بمنطقة الإحساس بالمخ بمساحة كبيرة؛ أقرب للوجوه والأيدي مِن التي تمثل الرءوس.

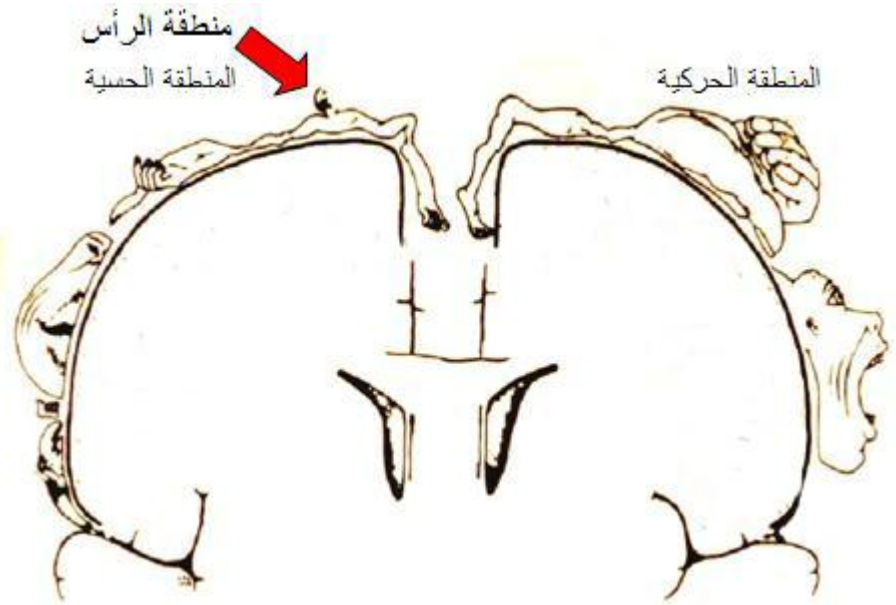

وبنفس قاعدة الحفاظ على الرتبة والأهمية في الترتيب؛ يرد ترتيب أعضاء الحركة في النظم بنفس الترتيب المخبوء في المخ؛ الوجه أولاً ممثلاً بالفم واللسان ثم اليد ثم القدم: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٣٦يس:٦٥، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٤النور:٢٤، والفارق البارز بين المنطقة الحسية بالمخ والمنطقة الحركية هو تميز المنطقة الحسية بوجود الرأس بين اليد والقدم، وبحسب الظاهر يتراءى أن منطقة الرأس امتداد للوجه؛ لكنها وردت في النظم بنفس ترتيبها في المنطقة الحسية بالمخ.

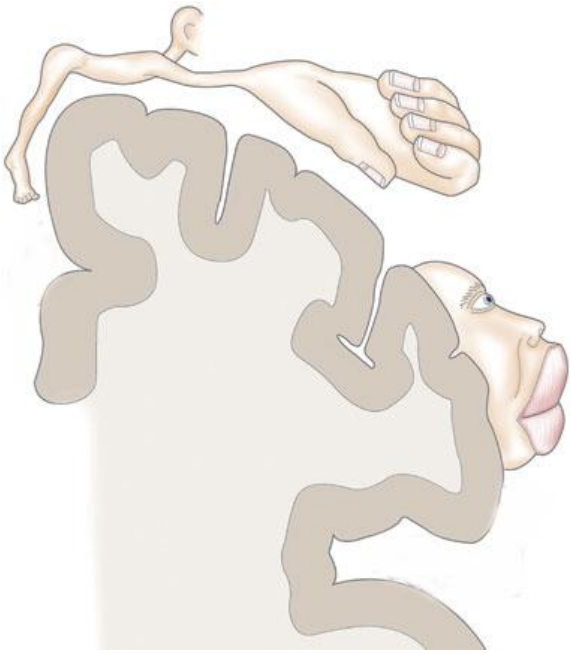

وتتفاوت مناطق الجلد في درجة استقبال الإحساس وغزارة الأعصاب والمساحة الممنوحة في المخ، والنظم يجعل الأولوية في التقديم للوجه والجبهة خاصة، ويتفق تأخير الظهور مع إنها أقل ثراء في درجة الإحساس؛ ويكاد الجذع ألا يكون له ذكر إلى جانب الوجه واليد: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ٤٧محمد:٢٧، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ٨الأنفال:٥٠، ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ٢١الأنبياء:٣٩، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ ٩التوبة:٣٤و٣٥.

وفي مواضع الإيجاز اكتفي النظم بالوجوه والأيدي بنفس الترتيب التشريحي بالمخ وكثافة الأعصاب الحسية والأهمية الوظيفية: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ ٤النساء:٤٣، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ ٥المائدة:٦، والصعيد الطيب ليس كالماء إذا كان الغرض التطهير فحسب؛ لكنه مع التشريع أفاد مضمونًا علميًّا بالحفاظ على الرتبة.

وفي مواضع تطلبت غاية الإيجاز اكتفي النظم بالأهم الذي أولاه الاهتمام وأصر على تقديمه في كل النصوص؛ وهو الوجوه أو الأيدي وأطراف الأصابع خاصة، وتتعدد النصوص التي اكتفت بذكر الوجه في سياق إيقاع أشد الألم: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ ٢٣المؤمنون:١٠٤، ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ ١٤إبراهيم:٥٠، ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ ٢٥الفرقان:٣٤، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ ٥٤القمر:٤٨، ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ٣٣الأحزاب:٦٦، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ٢٧النمل:٩٠، ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ٣٩الزمر:٢٤، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ ١٨الكهف:٢٩.

وفي سياق إيقاع أشد الألم اكتفي النظم كذلك باليد خاصة الأنامل أو البنان؛ وهما أطراف الأصابع أكثر منطقتين في الجلد إحساسًا واعتبارا في المخ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٢٧، ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ٣آل عمران:١١٩، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ٨الأنفال:١٢.

وتشترك الأمعاء مع مناطق الجلد في وظيفة الإحساس نتيجة وجود المستقبلات الحسية بكثرة في منطقة المساريقا Mesentery بين الطبقة الخارجية للأمعاء والصفاق المحيط بها والمُسمى الغشاء البريتوني Peritoneum؛ وهذا التكوين يجعل داخل الأمعاء في حماية من الألم؛ ويحدث الإحساس بالألم فقط إذا بلغت المؤثرات المساريقا بقطع الأمعاء، ويتخير النظم لإيقاع أشد الألم فعل التقطيع للأمعاء عقابًا للمُكابرين: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ٤٧محمد:١٥؛ بينما المستقبلات في حالة الجلد داخله تحترق باحتراقه فيزول الألم؛ فناسبه عدول النظم إلى تجديده لإيقاع أشد الألم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ٤النساء:٥٦، ويجمع النظم بين البطون والجلود في سياق إيقاع أشد الألم ببلوغ الماء المغلي البطون وكسوته للجلود: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ ٢٢الحج:١٩و٢٠، وعندما يتعرض الإنسان لألم شديد قد يفقد الوعي كوسيلة للدفاع عن النفس، لكن النظم احتاط وقطع عنهم هذه المِنَّة مُبَالَغَةً في الإيلام: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ ٣٥فاطر:٣٦.

فحفظ الرُّتْبَة في النظم تشريحيًّا ووظيفيًّا وموافقة الواقع المخبوء بالمخ ليست عارضة؛ تخص الإحساس فحسب، وإنما هي ظاهرة بلاغية عامة في نظم القرآن الكريم؛ سواء ذُكِرَ حرف الواو الدال على العطف أو لم يُذكر، ولا يمكن نسبتها للصدفة خاصة مع التثنية والحفاظ عليها بلا استثناء رغم تباين المقامات واختلاف الأعضاء، ولا توجد ظاهرة الحفاظ على الرتبة بما يوافق الحقائق الخفية في أي كتاب يُنسب اليوم للوحي غير القرآن الكريم، وما كان بوسع بشر قبل اختراع المجهر وتقدم علم التشريح أن يعرف هذه الحقائق مما يؤكد أن القرآن الكريم هو الحق كلام الله تعالى.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

وفي تفسير الجلالين: "{يأيها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا قُمْتُمْ} أَيْ أَرَدْتُمْ الْقِيَام {إلَى الصَّلَاة} وَأَنْتُمْ مُحْدِثُونَ؛ {فَاغْسِلُوا وُجُوهكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إلَى الْمَرَافِق} أَيْ مَعَهَا كَمَا بَيَّنَتْهُ السُّنَّة، {وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ} الْبَاء لِلْإِلْصَاقِ أَيْ أَلْصِقُوا الْمَسْح بِهَا مِنْ غَيْر إسَالَة مَاء، وَهُوَ اسْم جِنْس فَيَكْفِي أَقَلّ مَا يَصْدُق عَلَيْهِ؛ وَهُوَ مَسْح بَعْض شَعْره، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيّ، {وَأَرْجُلكُمْ} بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى أَيْدِيكُمْ وَبِالْجَرِّ عَلَى الْجِوَار، {إلَى الْكَعْبَيْنِ} أَيْ مَعَهُمَا كَمَا بَيَّنَتْهُ السُّنَّة وَهُمَا الْعَظْمَانِ النَّاتِئَانِ فِي كُلّ رِجْل عِنْد مَفْصِل السَّاق وَالْقَدَم، وَالْفَصْل بَيْن الْأَيْدِي وَالْأَرْجُل الْمَغْسُولَة بِالرَّأْسِ الْمَمْسُوح يُفِيد وُجُوب التَّرْتِيب فِي طَهَارَة هَذِهِ الْأَعْضَاء؛ وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيّ، وَيُؤْخَذ مِنْ السُّنَّة وُجُوب النِّيَّة فِيهِ كَغَيْرِهِ مِنْ الْعِبَادَات"[٢٨٩].

وقال ابن كثير: "وَقَوْلُهُ: {وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} قُرِئَ: {وَأَرْجُلَكُمْ} بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ}..، وَهَذِهِ قِرَاءَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي وُجُوبِ الْغَسْلِ كَمَا قَالَهُ السَّلَفُ، وَمِنْ هَاهُنَا ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى وُجُوبِ التَّرْتِيبِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ؛ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ حَيْثُ لَمْ يَشْتَرِطِ التَّرْتِيبَ..، وَالْوَاوُ لَا تَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ، وَقَدْ سَلَكَ الْجُمْهُورُ فِي الْجَوَابِ.. طُرُقًا، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْآيَةُ دَلَّتْ عَلَى وُجُوبِ غَسْلِ الْوَجْهِ ابْتِدَاءً عِنْدَ الْقِيَامِ إِلَى الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهِ بِفَاءِ التَّعْقِيبِ، وَهِيَ مُقْتَضِيَةٌ لِلتَّرْتِيبِ..، وَالْآيَةُ دَلَّتْ عَلَى وُجُوبِ غَسْلِ الْوَجْهِ ابْتِدَاءً، فَوَجَبَ التَّرْتِيبُ فِيمَا بَعْدَهُ..؛ حَيْثُ لَا فَارِقَ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا نُسَلِّمُ أَنَّ الْوَاوَ لَا تَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ؛ بَلْ هِيَ دَالَّةٌ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ طَائِفَةٍ مِنَ النُّحَاةِ وَأَهْلِ اللُّغَةِ وَبَعْضِ الْفُقَهَاءِ، ثُمَّ نَقُولُ بِتَقْدِيرِ تَسْلِيمِ كَوْنِهَا لَا تَدُلُّ عَلَى الترتيب اللغوي: هي دَالَّةٌ عَلَى التَّرْتِيبِ شَرْعًا فِيمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُرَتَّبَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا طَافَ بِالْبَيْتِ خَرَجَ مِنْ بَابِ الصَّفَا وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} الْبَقَرَةِ:١٥٨، ثُمَّ قَالَ: (أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ) لَفْظُ مُسْلِمٍ وَلَفْظُ النَّسَائِيِّ: (ابْدَءُوا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ)، وَهَذَا لَفْظُ أَمْرٍ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ؛ فَدَلَّ عَلَى وُجُوبِ الْبُدَاءَةِ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ مَعْنَى كَوْنِهَا تَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ شَرْعًا..، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى هَذِهِ الصِّفَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ..، أَدْخَلَ الْمَمْسُوحَ بَيْنَ الْمَغْسُولَيْنِ؛ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى إِرَادَةِ التَّرْتِيبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ..: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ.. ثُمَّ قَالَ: (هَذَا وُضُوءٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِهِ)، قَالُوا: فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ تَوَضَّأَ مُرَتِّبًا فَيَجِبُ التَّرْتِيبُ، أَوْ يَكُونَ تَوَضَّأَ غَيْرَ مُرَتِّبٍ فَيَجِبُ عَدَمُ التَّرْتِيبِ وَلَا قَائِلَ بِهِ؛ فَوَجَبَ.. (الترتيب)، وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ الْأُخْرَى وَهِيَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: {وَأَرْجُلِكُمْ} بِالْخَفْضِ؛ فَقَدِ احْتَجَّ بِهَا الشِّيعَةُ فِي قَوْلِهِمْ بِوُجُوبِ مَسْحِ الرِّجْلَيْنِ لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَسْحِ الرَّأْسِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ مَا يُوهِمُ الْقَوْلَ بِالْمَسْحِ..، فَهَذِهِ آثَارٌ غَرِيبَةٌ جِدًّا وَهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَسْحِ هُوَ الْغَسْلُ الْخَفِيفُ.. (لأن) السُّنَّةَ الثَّابِتَةَ فِي وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ بِالْخَفْضِ إِمَّا عَلَى الْمُجَاوَرَةِ..، (أو) مَحْمُولَةٌ عَلَى مَسْحِ الْقَدَمَيْنِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِمَا الْخُفَّانِ..؛ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ..: الْمُرَادَ بِذَلِكَ الْغَسْلُ الْخَفِيفُ كَمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ، وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَالْوَاجِبُ غَسْلُ الرِّجْلَيْنِ فَرْضًا لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْآيَةِ وَالْأَحَادِيثِ..، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ جَرِيرٍ.. كَلَامَهُ فِي تَفْسِيرِهِ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ يَجِبُ دَلْكُ الرِّجْلَيْنِ مِنْ دُونِ سَائِرِ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ؛ لِأَنَّهُمَا يَلِيَانِ الْأَرْضَ وَالطِّينَ.. فَأَوْجَبَ دَلْكَهما لِيَذْهَبَ مَا عَلَيْهِمَا وَلَكِنَّهُ عَبَّرَ عَنِ الدَّلْكِ بِالْمَسْحِ..، (و) هُوَ يُحَاوِلُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي قَوْلِهِ: {وَأَرْجُلَكُمْ} خَفْضًا عَلَى الْمَسْحِ وَهُوَ الدَّلْكُ، وَنَصْبًا عَلَى الْغَسْلِ، فَأَوْجَبَهُمَا أَخْذًا بِالْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ وَهَذِهِ..، وَلَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ آمِرًا بِغَسْلِ الرِّجْلَيْنِ كَمَا فِي قِرَاءَةِ النَّصْبِ..، الْوَاجِبُ.. حَمْلُ قِرَاءَةِ الْخَفْضِ عَلَيْهَا"[٢٩٠].

---

[٢٨٩] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص١٣٧).

[٢٩٠] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٣ ٥١).

وقال الراغب: "قوله (إِذَا قُمتُم) : إذا أردتم ولو لم يكن معناه ذلك لم يكن لذكره فائدة، وقال بعضهم: الآية تقتضى الترتيب؛ لأن الفاء في قوله (فَاغسلُوا): تقتضي ترتيب غسل الوجه على القيام، فإذا ثبت ترتيب الوجه على القيام ثبت في غيره لأن أحداً لم يفصل، وليس ذلك بشيء فإن الفاء وإن كانت تقتضي الترتيب فإنما اقتضى ذلك في الجملة لا في البعض، ولم يقتضي ترتيب الأعضاء والمأمور بغسلها بعضاً على بعض، والأظهر أن الترتيب اقتضاه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ابدءوا بما بدأ الله به)، وفعله الذي فعله تبياناً للآية، وقد رتب ثم قال: (هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به)..، وظاهر الآية تقتضي مسح الرِجل لولا ما روي في ذلك من الأخبار سواء قرئ بالنصب أو بالجر"[٢٩١].

وقال المراغي: "جمهور المسلمين على أن الطهارة لا تجب على من قام إلى الصلاة إلا إذا كان محدثا؛ أي (إذا قمتم إلى الصلاة) محدثين (فاغسلوا)..، وهذا التقييد مستفاد من السنة العملية..، ومن ذلك يعلم أن الوضوء لكل صلاة عزيمة وهو الأفضل، وإنما يجب على من أحدث. وآخر الآية يدل على ذلك، فإنه ذكر الحدثين ووجوب التيمم على من لم يجد الماء بعدهما فعلم منه أن من وجده وجب عليه أن يتطهر به عقبهما، ولو كانت الطهارة واجبة لكل صلاة لما كان لهذا معنى، والخلاصة إن الوضوء لا يجب إلا على المحدث، وإنما يستحب تجديده لكل صلاة..، (وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ).. قال الشافعي يكفى أقل ما يصدق عليه اسم المسح ولو شعرة، وقال مالك يحب مسح الكل أخذا بالاحتياط، وأوجب أبو حنيفة مسح الربع، لأن المسح إنما يكون باليد وهى تستوعب مقدار الربع فى الغالب..، (وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ).. أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، ويؤيده عمل النبي صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة..، والخلاصة إن غسل الرجلين المكشوفتين ومسح المستورتين هو الثابت بالسنة المتواترة المبينة للقرآن، والموافق لحكمة هذه الطهارة"[٢٩٢].

وقال الشنقيطي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، فِي قَوْلِهِ: وَأَرْجُلَكُمْ ثَلَاثُ قِرَاءَاتٍ: وَاحِدَةٌ شَاذَّةٌ، وَاثْنَتَانِ مُتَوَاتِرَتَانِ، أَمَّا الشَّاذَّةُ: فَقِرَاءَةُ الرَّفْعِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْحَسَنِ ؛ وَأَمَّا الْمُتَوَاتِرَتَانِ: فَقِرَاءَةُ النَّصْبِ، وَقِرَاءَةُ الْخَفْضِ، أَمَّا النَّصْبُ: فَهُوَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ، وَابْنِ عَامِرٍ، وَالْكِسَائِيِّ، وَعَاصِمٍ فِي رِوَايَةِ حَفْصٍ مِنَ السَّبْعَةِ، وَيَعْقُوبَ مِنَ الثَّلَاثَةِ، وَأَمَّا الْجَرُّ: فَهُوَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ، وَحَمْزَةَ، وَأَبِي عَمْرٍو، وَعَاصِمٍ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ، أَمَّا قِرَاءَةُ النَّصْبِ: فَلَا إِشْكَالَ فِيهَا، لِأَنَّ الْأَرْجُلَ فِيهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى الْوُجُوهِ، وَتَقْرِيرُ الْمَعْنَى عَلَيْهَا: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ، وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ، وَإِنَّمَا أُدْخِلَ مَسْحُ الرَّأْسِ بَيْنَ الْمَغْسُولَاتِ مُحَافَظَةً عَلَى التَّرْتِيبِ، لِأَنَّ الرَّأْسَ يُمْسَحُ بَيْنَ الْمَغْسُولَاتِ؛ وَمِنْ هُنَا أَخَذَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وُجُوبَ التَّرْتِيبِ فِي أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ حَسْبَمَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْجَرِّ: فَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِجْمَالٌ، وَهُوَ أَنَّهَا يُفْهَمُ مِنْهَا الِاكْتِفَاءُ بِمَسْحِ الرِّجْلَيْنِ فِي الْوُضُوءِ عَنِ الْغَسْلِ كَالرَّأْسِ، وَهُوَ خِلَافُ الْوَاقِعِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ فِي الْوُضُوءِ وَالتَّوَعُّدِ بِالنَّارِ لِمَنْ تَرَكَ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ)، اعْلَمْ أَوَّلًا، أَنَّ الْقِرَاءَتَيْنِ إِذَا ظَهَرَ تَعَارُضُهُمَا فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ لَهُمَا حُكْمُ الْآيَتَيْنِ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ قِرَاءَةَ: وَأَرْجُلَكُمْ، بِالنَّصْبِ صَرِيحٌ فِي وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ فِي الْوُضُوءِ، فَهِيَ تُفْهِمُ أَنَّ قِرَاءَةَ الْخَفْضِ إِنَّمَا هِيَ لِمُجَاوَرَةِ الْمَخْفُوضِ مَعَ أَنَّهَا فِي الْأَصْلِ مَنْصُوبَةٌ بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ النَّصْبِ، وَالْعَرَبُ تَخْفِضُ الْكَلِمَةَ لِمُجَاوَرَتِهَا لِلْمَخْفُوضِ، مَعَ أَنَّ إِعْرَابَهَا النَّصْبُ، أَوِ الرَّفْعُ..، وَجَمَعَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بَيْنَ قِرَاءَةِ النَّصْبِ وَالْجَرِّ بِأَنَّ قِرَاءَةَ النَّصْبِ يُرَادُ بِهَا غَسْلُ الرِّجْلَيْنِ، لِأَنَّ الْعَطْفَ فِيهَا عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَيْدِي إِلَى الْمَرَافِقِ، وَهُمَا مِنَ الْمَغْسُولَاتِ بِلَا نِزَاعٍ، وَأَنَّ قِرَاءَةَ الْخَفْضِ يُرَادُ بِهَا الْمَسْحُ مَعَ الْغَسْلِ، يَعْنِي الدَّلْكَ بِالْيَدِ..، وَالظَّاهِرُ أَنَّ حِكْمَةَ هَذَا فِي الرِّجْلَيْنِ دُونَ غَيْرِهِمَا؛ أَنَّ الرِّجْلَيْنِ هُمَا أَقْرَبُ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ إِلَى مُلَابَسَةِ الْأَقْذَارِ لِمُبَاشَرَتِهِمَا الْأَرْضَ فَنَاسَبَ ذَلِكَ أَنْ يُجْمَعَ لَهُمَا بَيْنَ الْغَسْلِ بِالْمَاءِ وَالْمَسْحِ؛ أَيِ الدَّلْكِ بِالْيَدِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي التَّنْظِيفِ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْمُرَادُ بِقِرَاءَةِ الْجَرِّ الْمَسْحُ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْخُفِّ، وَعَلَيْهِ فَالْآيَةُ تُشِيرُ إِلَى الْمَسْحِ عَلَى الْخُفِّ فِي قِرَاءَةِ الْخَفْضِ"[٢٩٣].

---

[٢٩١] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٤ ٢٨٢).

[٢٩٢] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٦ ٦١).

[٢٩٣] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (١١ ٣٣٠).

وقال ابن عاشور: "وَقَوْلُهُ: (وَأَرْجُلَكُمْ) قَرَأَهُ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَيَعْقُوبَ بِالنَّصْبِ عَطْفاً عَلَى (وَأَيْدِيَكُمْ)، وَتَكُونُ جملَة (وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ) مُعْتَرِضَةً بَيْنَ الْمُتَعَاطِفَيْنِ، وَكَأَنَّ فَائِدَةَ الِاعْتِرَاضِ الْإِشَارَةُ إِلَى تَرْتِيبِ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي التَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ أَنْ يَدُلَّ عَلَى التَّرْتِيبِ الْوُجُودِيِّ، فَالْأَرْجُلُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَغْسُولَةً إِذْ حِكْمَةُ الْوُضُوءِ وَهِيَ النَّقَاءُ وَالْوَضَاءَةُ وَالتَّنَظُّفُ وَالتَّأَهُّبُ لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى تَقْتَضِي أَنْ يُبَالَغَ فِي غَسْلِ مَا هُوَ أَشَدُّ تَعَرُّضًا لِلْوَسَخِ فَإِنَّ الْأَرْجُلَ تُلَاقِي غُبَارَ الطُّرُقَاتِ.. وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِمُبَالَغَةِ الْغَسْلِ فِيهَا، وَقَدْ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ لِلَّذِي لَمْ يُحْسِنْ غَسْلَ رِجْلَيْهِ (وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ)، وَقَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ وَخَلَفٌ بِخَفْضِ (وَأَرْجُلِكُمْ)، وَلِلْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ تَأْوِيلَاتٌ: مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِظَاهِرِهَا فَجَعَلَ حُكْمَ الرِّجْلَيْنِ الْمَسْحَ دُونَ الْغَسْلِ؛ وَرُوِيَ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَعِكْرِمَةَ وَالشَّعْبِيِّ وَقَتَادَةَ"[٢٩٤].

وقال الشعراوي: "أطلق غَسْل الوجه؛ لأنه لا يختلف عليه أحد، وحدَّد الأيدي إلى المرافق، لأن الأيدي يُختلف في تحديدها، فاليد قد تكون إلى الرُّسْغ أو إلى المرفق أو إلى الكتف؛ لذلك حددها الله تعالى لأنه سبحانه يريدها على شكل مخصوص، وكذلك في قوله تعالى: {وامسحوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكعبين} المائدة:٦، فالرأس يناسبها المسْح لا الغَسْل، والرِّجْلاَن كاليد لا بُدَّ أنْ تُحَدَّد. فإذا لم يوجد الماء أو تعذَّر استعماله شرع لنا سبحانه التيمم، فقال تعالى: {فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فامسحوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ} النساء:٤٣، والتيمم يقوم مقام الوضوء، من حيث هو استعداد للصلاة ولقاء الحق سبحانه وتعالى، وقد يظن البعض أن الحكمة من الوضوء الطهارة والنظافة، وكذلك التيمُّم؛ لذلك يقترح بعضهم أن نُنظّف أنفسنا بالكولونيا مثلاً، نقول: ليس المقصود بالوضوء أو التيمم الطهارة أو النظافة؛ بل المراد الاستعداد للصلاة وإظهار الطاعة والانصياع لشرع الله تعالى، وإلا كيف تتم الطهارة أو النظافة بالتراب؟"[٢٩٥]، و"نلحظ أنه تعالى عند الوجه قال {فاغسلوا وُجُوهَكُمْ} المائدة:٦، دون أن يحدد للوجه حدوداً، لماذا؟ لأن الوجه لا خلافَ عليه بين الناس، لكن في الأيدي قال: {وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المرافق} المائدة:٦، فحدد اليد إلى المرفق؛ لأنها محل خلاف، فمن الناس مَنْ يقول الأيدي إلى الكتف ومنهم مَنْ يقول إلى المرفق ومنهم مَنْ يقول: هي كف اليد، لذلك حدَّدها ربنا عَزَّ وَجَلَّ ليُخرِجنا من دائرة الخلاف في غَسْل هذا العضو، ولو تركها سبحانه وتعالى دون هذا التحديد لكانَ الأمر فيها مباحاً؛ يغسل كل واحد يده كما يرى، كذلك في الرأس قال سبحانه: {وامسحوا بِرُؤُوسِكُمْ} المائدة:٦، وتركها لاحتمالات الباء التي يراها البعض للإلصاق أو للتعدية أو للتبعيض، إذن: حين ترى مخالفاً لك في مثل هذه الأمور لا تتهمه؛ لأن النص أجاز له هذا الاختلاف وأعطاه كما أعطاك حقَّ الاجتهاد"[٢٩٦].

[٢٩٤] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٦\ ١٢٨).
[٢٩٥] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٤\ ٨٤٠٨).
[٢٩٦] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٦\ ١٠٠٢٨).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Sensory Area of the Brain

منطقة الإحساس بالمخ

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ٥المائدة:٦.**
- **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٣٦يس:٦٥.**
- **﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٤النور:٢٤.**
- **﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ٤٧محمد:٢٧.**
- **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ٨الأنفال:٥٠.**
- **﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ٢١الأنبياء:٣٩.**
- **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ ٩التوبة:٣٤و٣٥.**
- **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ ٤النساء:٤٣.**
- **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ ٥المائدة:٦.**
- **﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ ٢٣المؤمنون:١٠٤.**
- **﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ ١٤إبراهيم:٥٠.**
- **﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ ٢٥الفرقان:٣٤.**
- **﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ ٥٤القمر:٤٨.**
- **﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ٣٣الأحزاب:٦٦.**
- **﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ٢٧النمل:٩٠.**
- **﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ٣٩الزمر:٢٤.**
- **﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ ١٨الكهف:٢٩.**
- **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٢٧.**

- ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ٣آل عمران:١١٩.
- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ٨الأنفال:١٢.
- ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ٤٧محمد:١٥.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ٤النساء:٥٦.
- ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ ٢٢الحج:١٩و٢٠.
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ ٣٥فاطر:٣٦.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٦و٩٧.

Paragraph الفَقْرَة

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ. فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٥-٩٧.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾،
﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، ﴿جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

(He is the One) who makes the (recurrent) **cleavage of the daybreaks** (hence your activities begin daily)**, and HE** (is the One who) **made the night for resting** (of you)**, and the sun and moon** (apparent motions) **for** (your) **reckoning precisely** (of the time)**. Such is the Well-Designed Order of the Almighty; the Omniscient. And He is the One who made the** (apparently fixed) **stars to guide you** (by knowing the right direction) **during the darkness** (of the night during your travelling)**, on the land and sea. We have explained in detail the evidences for people who** (can be) **aware.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

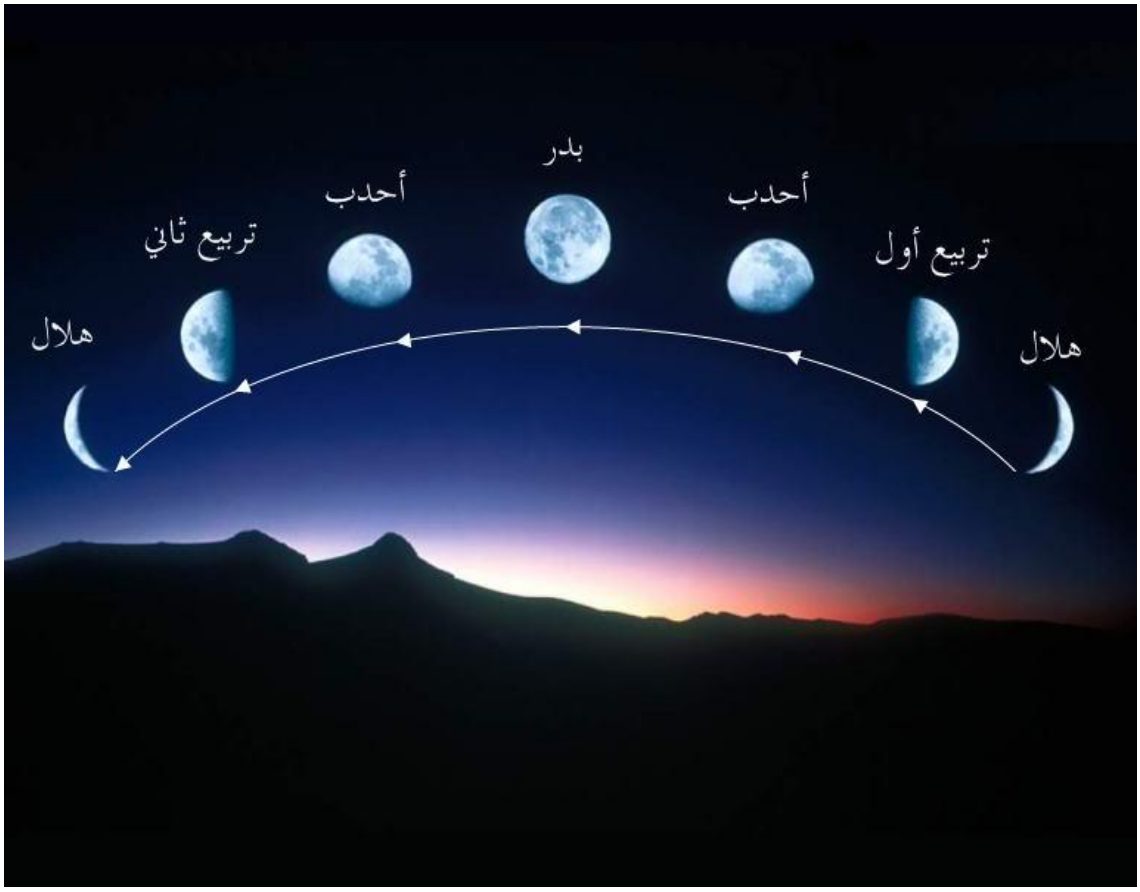

في قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٦و٩٧؛ الخطاب مُوجه للعرب في سياق الامتنان مُلفتا النظر لما ينالوا من نِعَمِهِ تعالى عليهم بظواهر فلكية يُعاينوها وتُعينهم، فيبدأ نشاطهم مع انبلاج الصبح يوميًّا بَفَلَقِ الليل عن النهار؛ فناسب مجيء كلمة (فَالِقُ) باسم الفاعل الدال على الصفة اللازمة تعبيرًا عن التجدد يوميًّا، وناسب مجيء كلمة (الْإِصْبَاحِ) مُفرد مزيد بالألف بصيغة اسم الجنس الدال على الجمع تعبيرًا عن دوام تتابع إشراق الشمس يوميًّا، واقتضت الرحمة اقتران النشاط نهارًا بالسكون ليلا للراحة الجسدية ليكتمل الامتنان، واقتضى بيان تنظيم النشاط ذكر الحركات الظاهرية الدورية للشمس والقمر بدقة عالية تكفي للنشاط والتأريخ بالتقويم والتنبؤ بالأحداث الفلكية، والدورية دليل على التقدير لنظام مَقْصُود يستحيل أن تصنعه صُدفة لا تتكرر، واقتضى إمكان النشاط البشري ليلا بالارتحال للتجارة برًّا وبحرًّا استيفاء النعمة بإمكان الاهتداء بالنجوم على الاتجاه، وبهذا كشف النص بتفصيل معهود العرب في النشاط اليومي؛ واستوعب مظاهر النِّعْمَة بالتأهيل لأسباب كسب أرزاقهم.

وفي النص؛ الظواهر الفلكية مبنية على الظاهر وفق ما يُعاينون بقرينة النسبة إليهم بكلمة: (لَكُمُ)، وهي تجعل الحركة اليومية والسنوية للشمس والشهرية للقمر وثبات النجوم أحداثًا ظَاهِرِيَّة؛ فالتعبير: (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا)؛ بيان لحركة ظاهرية دوريَّة، بينما السياق غير مُقَيَّد بالنسبة لهم في التعبير: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٥؛ فيَنْصَرِف للحركة الفعلية: كُل جرم في مدار يخُصه، ولو تَجَرَّد النص إذن من النسبة إلى الناس لَدَلَّ على الحركة الفِعْلِية.

صورة فضائية التقطتها ناسا لشروق الشمس على طرف كوكب الأرض؛ ويبدو فيها ظلام الفضاء الكوني يُغشى الشمس ويعلو طبقة الغلاف الجوي حيث يبدو طرف جهة النهار المواجهة للشمس.

وفي قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ ٧الأعراف: ٥٤؛ إذا حملنا النهار على الغلاف الجوي للأرض لوجود عوالق تعكس الضوء، وحملنا تغشية الليل لطبقة النهار على تغطيته بظلام الفضاء المُشبه بالليل بجامع الظلمة بقرينة التعبير: (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا)، تتفق التغطية مع الحقيقة؛ والمعنى أن الله تعالى جعل ظلمة الفضاء تغطي الجو المحيط بالأرض وتلاحقه دومًا لتحل محله حثيثًا أي بسرعة، وبهذا يتفق البيان البليغ بتلطف مع المعرفة الفلكية المُؤكَّدَة بحركة الأرض العاجلة في مدارها بانتظام حول الشمس، والتعبير البليغ عن طاعة الأجرام الفلكية الكبار للتقدير بنصبها مفعولاً به: (الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ) كالمواشي تدور مُسَخَّرَات بسواقي الحقول مُغَطَّاة العينين بلا إرادة ذاتية؛ يُقَيِّد سيرها بالحركة الفعلية في مداراتها لا تملك اختيار.

وفي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٦النحل: ١٢؛ دَلَّ لفظ (لَكُمُ) المنسُوب للناس على الحركة الظاهرية للمسخرات المنصوبة مفعولاً به: (اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ)، ومُيزت (النُّجُومُ) بحركتها الفعلية في مداراتها؛ وقرينة خروجها عن الحركة الظاهرية هي الضم مبتدأ والتعبير باسم الفاعل (مُسَخَّرَاتٌ) بيانًا للحركة الدائبة، وكأنه قيل: فالنجوم أعظم وهي مسخرات بالمثل كُلٌ في مداره بخلاف ما تبدو لكم ثوابت، وعند العقلاء لا تصنع الأجرام مهما عظمت نفسها وهي تتحرك بانتظام؛ فكيف إذن بصدفة لا تتكرر بانتظام!، وهو مقتضى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)، قال ابن كثير: "وَالنُّجُومَ الثَّوَابِتَ وَالسَّيَّارَاتِ فِي أَرْجَاءِ السَّمَوَاتِ.. كُلٌّ مِنْهَا يَسِيرُ فِي فَلَكِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ؛ يَسِيرُ بِحَرَكَةٍ مُقدرة لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا يُنْقِصُ مِنْهَا، وَالْجَمِيعُ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَتَسْخِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَتَسْيِيرِهِ، كَمَا قَالَ..: {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ٧الأعراف: ٥٤، وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أَيْ: لَدَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ، لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ وَيَفْهَمُونَ حُجَجَهُ"[٢٩٧].

[٢٩٧] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٤ ٥٦١).

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ ٢٢الحج:١٨؛ ورد التعبير (وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) تفصيل لسجود (مَنْ فِي الْأَرْضِ) مع تمييز ومدح النُخْبَة الطائعة من العقلاء في الأرض؛ وذم النخبة الأشقياء المنبوذين بيانًا للفارق الكبير في المصير، وكأن الفحوى هي أن الطاعة سنة الوجود، أما سجود (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ) فإشارة للحركة الفعلية تصويرًا بالسجود بجامع الطاعة للتقدير، والنص مطلق غير مقيد بالنسبة إلى الناس، وهو

تفصيل لسجود (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ)، و(مَنْ) للعقلاء في سياق المدح أنسب لبيان نُخْبَة العقلاء من (مَا) لغير العقلاء؛ كأنه يُلَمِّح إلى أن عناقيد النجوم وتوابعها من الكواكب عوالم كعالمنا الأرضي ليست خلاءً من نُخْبَة من العقلاء.

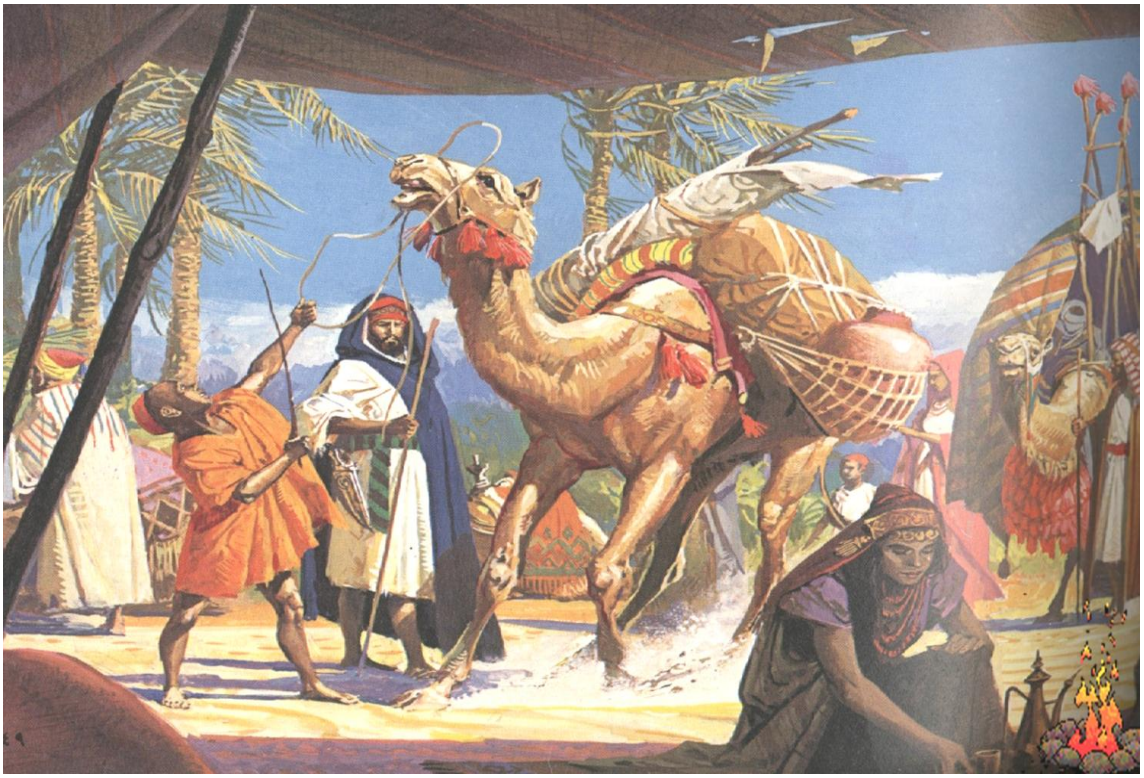

كان تجار العرب ينزلون عن الرواحل في منازل معلومة كعلامات للمسافات على طول الطريق ذهابًا وإيابًا للراحة والتزود بالماء والزاد إلى أن يعودوا لمستقر لهم حيث بدأت الرحلة.

وقد وافق القرآن الكريم بهذا مبدأ النسبية Relativity في وصف حركة الأجسام، حيث حدد المرجع Reference بمن تُنسب إليه الحركة الظاهرية؛ وإلا بقيت الدلالة على أصلها وأفادت الحركة الفعلية في المنازل النجومية، وهي قاعدة في النظم وفق القرائن، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠يونس:٥؛ التعبير (عَدَدَ السِّنِينَ) متعلق بالدورات الظاهرية باعتبار الشهر حوالي: ٢٩,٥ يومًا؛ ويُسمى فلكيًّا بالشهر (الاقتراني) القمري Lunar (Synodic) Month، والعطف بحرف الواو الدال على المغايرة بتعبير (وَالْحِسَابَ)؛ يُخرجه من الدورة الظاهرية إلى الدورة الفعلية للقمر بالنسبة إلى المنازل النجومية والتي تتم في حوالي: ٢٧ يومًا وثلث، وتسمى فلكيًّا بالشهر النجمي Sidereal Month، وهو ظاهر حركة القمر بالنسبة إلى المنازل النجومية: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ٣٦يس:٣٩.

بالنسبة للمنازل النجمية يبدأ القمر دورته هلالا وينتهي لنفس هيئة العود المقوس الذي يحمل التمر وهو هلال آخر الشهر بإجماع المفسرين؛ والفارق فترة المحاق.

و(الْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) هو الشمروخ الأصفر برأس النخلة البالغ التقوس الذي يحمل التمر تشبيهًا بهلال آخر الشهر، والشهر القمري يزيد بالفعل عن المدة من هلال أول الشهر إلى هلال آخره؛ بمدة تُقَارب مدة المُحاق حيث يختفي القمر.

قال أطفيش: "{والقَمَر قدَّرناه منازل} أي صيرنا محل سيره.. منازل.. أي قدرناه ذا منازل، ويجوز أن يكون.. قدرنا له.. و(منازل) ظرف؛ أي قدرنا سيره في منازل..، ومنازله ثمانية وعشرون، والمنزل عبارة عما يقطعه القمر في يوم وليلة (بالنسبة للنجوم خلفه)، وذلك أنه يختفي ليلتين من أخر الشهر.. وذلك تقريب فأسقطوا يومين، وذلك عند العرب وسكان البدو.. ويبقى ثمانية وعشرون، وقسموا دور الفلك عليه، فكان.. نصيب كل برج منه منزلتان وثلث..، (ولكن) القمر يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يوما وثلث..، وليس كل منزلا نجما واحدا؛ بل بعضها نجم وبعضها اثنان وبعضها ثلاثة وأكثر..، ولا يخفى أن الشهر ثلاثون أو تسعة وعشرون بحسب الرؤية (لا بحسب دورة المنازل)" [٢٩٨]، وقال الفاروقي: "وتحقيقه أنّ العرب وأهل البدو.. لا دراية لهم في الحساب..، وإنّما قلنا إنّ أيام سير القمر ثمانية وعشرون تقريبا لأنّها بالحقيقة سبعة وعشرون يوما وثلث يوم، فلهذا جعل حكماء الهند المنازل سبعة وعشرين فحذفوا الثلث لأنّه ناقص عن النصف كما هو مصطلح أهل الحساب"[٢٩٩]، وقال ابن عاشور: "(الْحِسَابَ): مَصْدَرٌ.. مَعْطُوفٌ عَلَى (عَدَدَ السِّنِينَ)، أَيْ وَلِتَعْلَمُوا الْحِسَابَ، وَلَمَّا اقْتَصَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مَعْرِفَةِ عَدَدِ السِّنِينَ (بحسب الظاهر لا الحركة الفعلية)؛ تَعَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحِسَابِ حِسَابُ (دورة منازل) الْقَمَرِ"[٣٠٠].

وتعبير (وَالْحِسَاب) إذن ليس مقصودًا به الشهر القمري؛ بحيث يكون ندًّا للرؤية الظاهرية لهلال أول الشهر، والأليق حمله وفق القرائن على حساب الخاصة من الناس لدورته الفلكية في منازله النجومية تأكيدًا لدوريتها، وأما الجداول الفلكية فهي مُساندة لرؤية الهلال لأنها تسجيل لمواعيده الدورية السابقة بحيث يُمكن التنبؤ بها بدقة كالخسوف.

---

٢٩٨ محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش، تفسير أطفيش تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٨ ٣٦١).

٢٩٩ محمد بن علي الفاروقي التهانوي؛ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم؛ تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان بيروت؛ ١٩٩٦م (١٢ ١٦٥٥).

٣٠٠ محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١١ ٩٤).

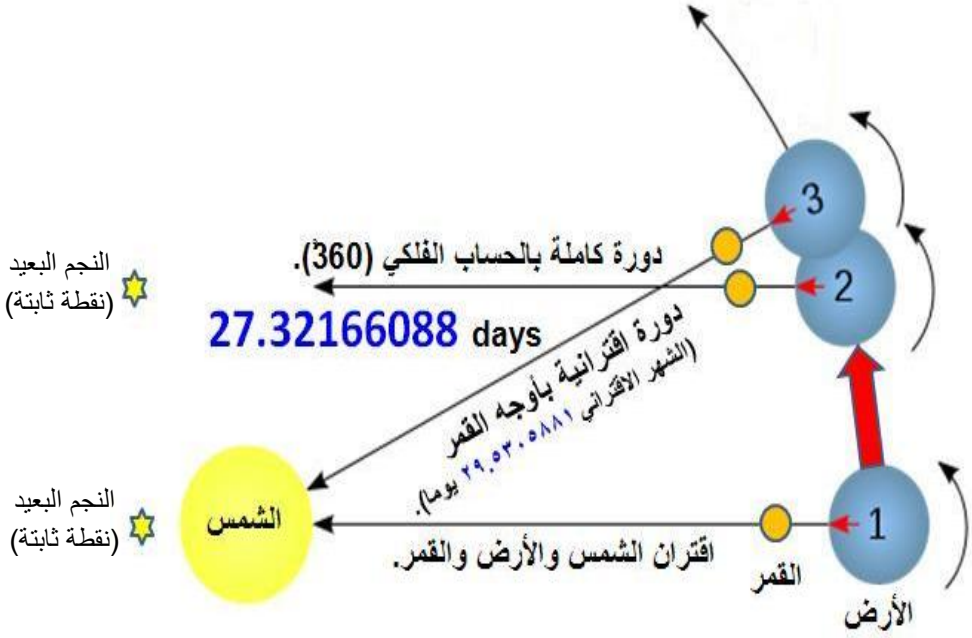

والتفسير الفلكي لزيادة الشهر القمري عن النجمي هو أن القمر يتم دورة كاملة بالنسبة لنجوم بعيدة (ثوابت)، بينما المُراقب الأرضي يُعاين عودة هلال أول الشهر؛ بعد أن تكون الأرض قد تحركت به في مدارها حول الشمس لتُضيف زيادة في الشهر القمري، ومثله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ١٧الإسراء:١٢؛ وإذا حملنا (آيَةَ اللَّيْلِ) على علامته وهي القمر و(آيَةَ النَّهَارِ) على الشمس؛ فيدل التعبير (لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) على أن للقمر دورة ظاهرية ينبني عليها عد السنين وحركة فعلية في مداره يحسبها الخاصة أي الفلكيين، مع التلميح إلى أن للشمس بالمثل حركة فعلية في مدار يخصها تجري فيه؛ بخلاف الحركة اليومية والسنوية المرصودة انعكاسًا لحركة الأرض حولها.

وصريح النبأ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٣٦يس:٣٨؛ هو أن للشمس مدار يخصها تجري فيه بسرعة كبيرة، والتعبير بالجري لا يُناسب الحركة الظاهرية نحو الغرب والتي لا تكاد تُلحظ، ولا قرينة تجعله منسوبا إلى الناس، وبهذا تتفق الدلالة مع الحركة الفعلية العاجلة للشمس في مدارها المُكتشف حديثًا حول مركز المجرة بسرعة قُدرت بحوالي: ٢٤٠ كم\ ثانية، وتقطعه في فترة تُسمى السنة الكونية قُدرت بحوالي: ٢٥٠ مليون سنة أرضية، والتعبير بالمُستقر ناسب طول مدارها؛ حيث تُرصد ظاهريًا مستقرة نتيجة الأبعاد الهائلة للنجوم والمجرات، وهي في الحقيقة تجري عاجلة، تشبيهًا بالرحلات الطويلة لقوافل الإبل لتمكث زمنًا طويلاً، إلى أن تعود لمُستقرها حيث بدأت.

وهكذا عندما ترد في النص قرينة تنسب وصف الحركة إلى الناس: ﴿جَعَلَ لَكُمُ لِتَهْتَدُواْ بِهَا هُمْ يَهْتَدُونَ﴾؛ نجده متعلقًا بالحركة الظاهرية المُعاينة: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الأنعام:٩٧، ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ النحل:١٦، والنجوم ظاهريًّا علامات ثوابت يَهتدي بها الرَّحال في القفار والبَحَّار في الأسفار مثل المعالم الجغرافية كالجبال، وعندما يخلو من نسبة الحركة للناس نجده متعلقًا بالحركة الفعلية: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الرعد:٢، وفاطر:١٣، والزمر:٥، فالشمس تجري وكذلك القمر وكل حشود النجوم في الفضاء بحركة ذاتية؛ كُلٌّ في فلك أو مدار Orbit مقدر السرعة والأجل: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيَ إِلَىَ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لقمان:٢٩، ولفظ (كُلّ) يلزمه إضافة تُبَيِّنُه؛ فتقول (كل الأزهار جميلة)، قال ابن عطية: "والشمس والقمر في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب..، أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر..، و(كُلٌّ) لفظة تقتضي الإضافة ظاهرة أو مقدرة"[٣٠١]، وفي (كُلّ يَجْرِيَ) جاء التنوين عِوَضًا عن الإضافة، قال القاسمي: "التنوين في لفظ (كُلٌّ) عوض عن الإضافة (للأجرام) والمعنى كل واحد من (أجرام السماء كالشمس والقمر) في فلك خاص به يسبح بذاته"[٣٠٢].

وقال الخازن: "قال ابن عباس: أراد بالأجل المُسمى درجاتهما ومنازلهما؛ يعني أنهما يجريان في منازلهما (بالنسبة للنجوم).. إلى غاية (تتم فيها الدورة) ينتهيان إليها ولا يجاوزانها، وتحقيقه أن الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرًا خاصًا إلى جهة بمقدار خاص من السرعة والبطء في الحركة"[٣٠٣]، وقال الألوسي: "كُلٌّ من الشمس والقمر يَجْرِي يسير في المنازل.. لِأَجَلٍ مُسَمًّى أي وقت معين (يتم فيه دورته).."، كما في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٨-٤٠..، وهو المروي عن ابن عباس، وقيل: أي كل يجري لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ التكوير:١و٢؛ وهذا مُراد مجاهد من تفسير الأجل المسمى بالدنيا، قيل: والتفسير الحق ما روي عن الحبر؛ وأما الثاني فلا يناسب.. التسخير والتدبير، ثم إن غايتهما متحدة (بنهاية الدنيا) والتعبير بكل يجري صريح في التعدد"[٣٠٤]، وقال الألوسي: "فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها"[٣٠٥]، وأن: "للثوابت حركة"[٣٠٦].

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى في ١٣٧٦هـ.

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المتوفى في ١٩٧٣.

[٣٠١] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤٢٢هـ (١٣ ٢٩٢).

[٣٠٢] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١١ ٢١٢).

[٣٠٣] علاء الدين علي بن محمد الخازن؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٣ ٤).

[٣٠٤] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧ ٨٦).

[٣٠٥] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٢٣ ٢٣٩).

[٣٠٦] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٦ ٦٧).

قال السعدي: "{وَكُلٌّ} من الشمس والقمر والنجوم {فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}؛ أي: يترددون (كالسابح) على الدوام"[٣٠٧]، وقال ابن عاشور: "المراد تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الأجرام؛ وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن"[٣٠٨].

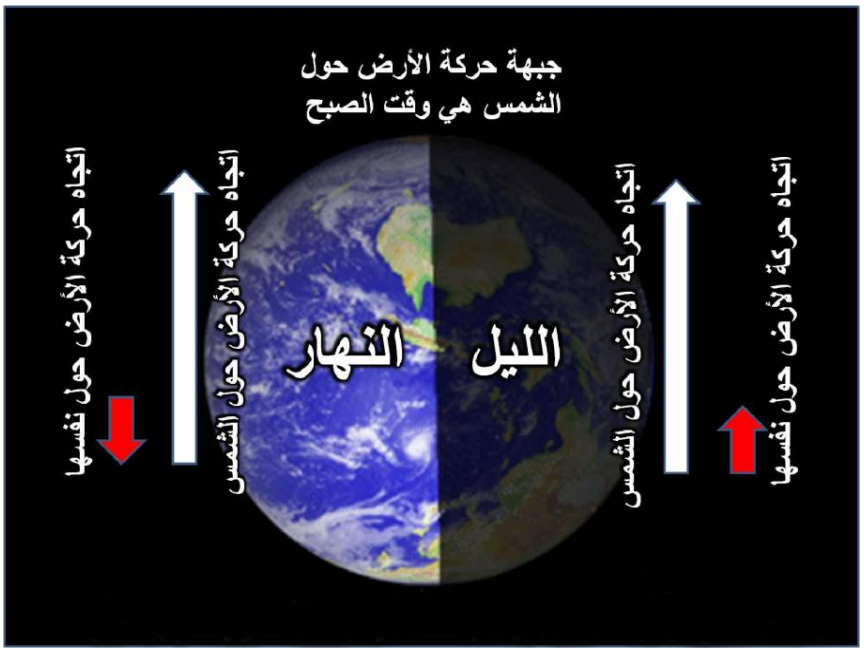

وفي التعبير: (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)؛ نفي سبق الليل للنهار وهما جهتي الأرض فيدل على حركة الأرض في مدارها، وتقديم الليل في مقام الحركة يعني أن الحركة جهته أسرع، وفلكيًّا بالفعل جهة الليل أسرع؛ لأن سرعة الأرض حول نفسها في نفس اتجاه سرعتها حول الشمس فيضافان جهة الليل؛ بعكس جهة النهار.

---

[٣٠٧] عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (ص٦٩٦).

[٣٠٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٣\ ٢٦).

والتمييز بين الظواهر المرئية والحركة الفعلية للأجرام الفلكية قاعدة مُطَّرِدَة في القرآن الكريم والعبرة بالقرائن، في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ البقرة:١٨٩؛ الأهلة مواقيت العرب، وفي عُرفهم موعد الحج كل سنة قمرية؛ والنص إذن متعلق بالحركة الظاهرية للقمر، وباعتبار ما يُخَيَّل إلينا في ظاهر الحس تبدو الأرض لنا ساكنة لا تدور بنا حول نفسها ولا حول الشمس، والأجرام السماوية هي التي تمر علينا يوميًّا سنويًّا بانتظام، ولكن القرآن الكريم يُعلن صريحًا أن الناس هم المارون على المعالم السماوية وهم على ظهرها كالدابة تتحرك بهم كما يمرون على المعالم الأرضية وهم على ظهور الدواب تحملهم ولا يعتبرون بآيات التقدير وحسن التدبير ووحدانية القدير في الكون كله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ١٢يوسف:١٠٥.

قال محمد حسين: "المرور على الشيء.. موافاته ثم تركه.. فالمرور على الآيات السماوية والأرضية مشاهدتها (والتحرك أمامها) واحدة بعد أخرى (ثم تجاوزها)، والمعنى أن هناك آيات كثيرة.. تدل بوجودها والنظام البديع الجاري فيها على توحيد ربهم، وهم يشاهدونها واحدة بعد أخرى تتكرر عليهم، والحال أنهم معرضون عنها لا ينتبهون، ولو حُمِلَ قوله: (يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) على التصريح دون الكناية؛ كان من الدليل على ما تنبني عليه الهيأة الحديثة من حركة الأرض وضعًا (حول نفسها) وانتقالاً (حول الشمس)، فإنا نحن المارون على الأجرام السماوية بحركة الأرض (يوميًّا وسنويًّا ونحن على ظهرها).. لا بالعكس؛ على ما يُخَيَّل إلينا في ظاهر الحس"[٣٠٩].

الشيخ طنطاوي جوهري
(١٨٧٠-١٩٤٠)

وقال طنطاوي جوهري: "أرضنا (إذن) دائرة غير دائرة؛ نحن نراها ساكنة (لأننا فوقها) ولكنها دائرة (حول نفسها وحول الشمس) لا تهدأ"[٣١٠]، "ومن جملة سيارات شمسنا هذه الأرض التي نحن عليها والقمر ملتزم بها ويدور عليها ومعها على الشمس"[٣١١]، إذن: "دوران الأرض حول الشمس ليس غير مخالف للقرآن فحسب؛ بل له منه دلائل"[٣١٢].

[٣٠٩] السيد محمد حسين؛ الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الثالثة؛ ١٩٧٣ (١١\ ١٤٦).
[٣١٠] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢٤\ ٢١٩).
[٣١١] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ (١٦\ ٢١).
[٣١٢] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٦\ ٢١).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{فَالِقُ الإِصْبَاحِ}.. إضاءة الفجر.. خالق نور النهار.. ضوء الشمس بالنهارو {وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً}.. كل متحرك بالنهار يسكن فيه.. كل حي يأوي فيه إلى مسكنه، {وَالشَّمْسَ والْقَمَرَ حُسْبَاناً}.. جعلهما سبباً لمعرفة حساب الشهور والأعوام"[٣١٣]، وفي تفسير الجلالين: "{فَالِقِ الْإِصْبَاحِ} مَصْدَر بِمَعْنَى الصُّبْح أَيْ شَاقّ عَمُود الصُّبْح وَهُوَ أَوَّل مَا يَبْدُو مِنْ نور النهار عن ظلمة الليل، {وجاعل اللَّيْل سَكَنًا} تَسْكُن فِيهِ الْخَلْق مِنْ التَّعَب، {وَالشَّمْس وَالْقَمَر حُسْبَانًا} حِسَابًا لِلْأَوْقَاتِ.. أَيْ يَجْرِيَانِ بِحُسْبَانٍ..، {ذَلِكَ} الْمَذْكُور {تَقْدِير الْعَزِيز} فِي مُلْكه {الْعَلِيم} بِخَلْقِهِ {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُوم لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَات الْبَرّ وَالْبَحْر} فِي الْأَسْفَار {قَدْ فَصَّلْنَا} بَيَّنَّا {الْآيَات} الدَّلَالَات عَلَى قُدْرَتنَا {لِقَوْمٍ يعلمون} يتدبرون"[٣١٤]، وقال ابن جزي: "(فالِقُ الْإِصْباحِ) أي الصبح؛ فهو مصدر سمي به الصبح، ومعنى فلقه: أخرجه من الظلمات.، (سَكَناً) أي يسكن فيه عن الحركات ويُستراح، (حُسْباناً) أي يعلم بهما حساب الأزمان والليل والنهار"[٣١٥].

وقال الخطيب: "وفي قوله تعالى: (فالِقُ الْإِصْباحِ) مقابلة بين فلق النواة التي تخرج منها أجنّة الحياة ومواليدها، من عالم النبات، وبين فلق الإصباح، أي الصبح الذي يتفتق من تفتّقه الحياة، التي يستولى عليها سلطان النهار، ويغذيها ضوء الإصباح.. فهذه الكائنات المتحركة فى ضوء الإصباح، والمنتشرة على بساط ضوئه فى النهار، هى المواليد التي تفتح عنها الضوء، وبعث فيها الدفء والحياة، كما يتفق الحبّ والنوى عن هذه الحياة التي تتمثل فى عالم النبات، وقوله تعالى: (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً) هو فى مقابل: (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) حيث يكون الليل همودا وسكونا أشبه بالموت الذي يسبق الحياة.، وقوله سبحانه: (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْباناً) أي وجعل الشمس والقمر ليتعرف بهما على حساب الأيام والشهور.، فالحسبان، هو الحساب والتقدير، وقوله تعالى: (ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) إشارة إلى أن وضع هذه المخلوقات.. وتسخيرها على هذا الوجه الذي تقوم به في الحياة؛ هو من تدبير الله ومن تقدير حكمته وسلطان علمه وعزته.، (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ).، فمن مبدعات القدرة الإلهية هذه النجوم.. وهى علامات للسائرين ليلا في البر أو البحر.، والمراد بالظلمات هنا ليس هو الظلام الذي يلبس الوجود فى الليل (فحسب)، وإنما هي هذا التيه الذي يستولى على راكب البحر أو راكب الصحراء أو نحوها في الليل؛ حيث لا يعرف الإنسان أين يتجه.، والنجوم هي المعالم التي تكشف لراكب البحر أو الصحراء طريقه وتشير له إلى متجهه.، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: (وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) النحل:١٦"[٣١٦].

---

[٣١٣] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٢\ ١٤٧).

[٣١٤] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص١٧٨).

[٣١٥] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١\ ٢٧٠).

[٣١٦] عبد الكريم يونس الخطيب؛ التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي بالقاهرة (١٤\ ٢٤٥).

وقال محمد رشيد رضا: "فَلَقُ الْإِصْبَاحِ عِبَارَةٌ عَنْ فَلْقِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَشَقِّهَا بِعَمُودِ الصُّبْحِ الَّذِي يَبْدُو فِي جِهَةِ مَطْلَعِ الشَّمْسِ مِنَ الْأُفُقِ.. وَلِذَلِكَ سُمِّيَ فَجْرًا فَإِنَّ الْفَجْرَ بِمَعْنَى الْفَلْقِ..، وَاللهُ تَعَالَى هُوَ (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ) بِنُورِ الشَّمْسِ.. الَّذِي هُوَ مَظْهَرُ جَمَالِ الْوُجُودِ، وَمَبْدَأُ زَمَنٍ.. مُضِيِّهِمْ فِي تَجَلِّي النَّهَارِ إِلَى مَا يُسِّرُوا لَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ..، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.. جَعْلُ النَّهَارِ وَقْتًا لِلْحَرَكَةِ بِالسَّعْيِ لِلْمَعَاشِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ لِلْمَعَادِ، وَقَدْ صَرَّحَ بِنَوْعَيِ الْفَائِدَتَيْنِ فِي آيَاتٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ٢٨القصص:٧٣، فَهَذِهِ الْآيَةُ عَلَى إِيجَازِهَا جَامِعَةٌ لِلْفَوَائِدِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ، وَفِيهَا اللَّفُّ وَالنَّشْرُ[٣١٧]، أَيْ لِتَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ وَتَطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنْ فَضْلِ اللهِ فِي النَّهَارِ..، وَمِنَ الْآيَاتِ الْمُصَرِّحَةِ بِذِكْرِهِمَا مَا قُرِنَ بِالتَّذْكِيرِ بِفَائِدَتِهِمَا الدُّنْيَوِيَّةِ فَقَطْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) ٧٨النبأ:١٠و١١، وَمِنْهَا مَا قُرِنَ بِالتَّذْكِيرِ بِفَائِدَتِهِمَا الدِّينِيَّةِ فَقَطْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) ٢٥الفرقان:٦٢، فَيَا لَلَّهِ مِنْ إِيجَازِ الْقُرْآنِ وَبَلَاغَتِهِ فِي (دِقَّةِ) عِبَارَتِهِ!، قَرَأَ عَاصِمٌ وَالْكِسَائِيُّ (وَجَعَلَ اللَّيْلَ) بِالْفِعْلِ الْمَاضِي، وَقَرَأَهُ الْجُمْهُورُ بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ (وَجَاعِلُ) وَرَسْمُهُمَا فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ وَاحِدٌ..، وَالثَّانِيَةُ تَتَنَاسَبُ السِّيَاقَ وَالنَّسَقَ بِعَطْفِ الِاسْمِ عَلَى الِاسْمِ؛ وَهُوَ الْأَصْلُ الَّذِي لَا يُخْرَجُ عَنْهُ فِي الْفَصِيحِ إِلَّا لِنُكْتَةٍ..، وَالسَّكَنُ.. السُّكُونُ وَمَا يُسْكَنُ فِيهِ مِنْ مَكَانٍ كَالْبَيْتِ وَزَمَانٍ كَاللَّيْلِ، وَكَذَا مَا يُسْكَنُ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَا اخْتَارَهُ الْكَشَّافُ هُنَا قَالَ: السَّكَنُ مَا يَسْكُنُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ أَيْ وَغَيْرُهُ وَيَطْمَئِنُّ اسْتِئْنَاسًا بِهِ وَاسْتِرْوَاحًا إِلَيْهِ.. وَاللَّيْلُ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ الْمُتْعَبُ بِالنَّهَارِ لِاسْتِرَاحَتِهِ فِيهِ..، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ وَجَعَلَ اللَّيْلَ مَسْكُونًا فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ: (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) ٢٨القصص:٧٣..، وَالْمُرَادُ بِالسُّكُونِ فِيهِ مَا يَعُمُّ سُكُونَ الْجِسْمِ وَسُكُونَ النَّفْسِ؛ أَمَّا سُكُونُ الْجِسْمِ فَبِرَاحَتِهِ مِنْ تَعَبِ الْعَمَلِ بِالنَّهَارِ، وَأَمَّا سُكُونُ النَّفْسِ فَبِهُدُوءِ الْخَوَاطِرِ وَالْأَفْكَارِ، وَاللَّيْلُ زَمَنُ السُّكُونِ لِأَنَّهُ لَا يَتَيَسَّرُ فِيهِ مِنَ الْحَرَكَةِ وَأَنْوَاعِ الْأَعْمَالِ مَا يَتَيَسَّرُ فِي النَّهَارِ..، فَأَكْثَرُ الْأَحْيَاءِ مِنْ إِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ تَتْرُكُ الْعَمَلَ وَالسَّعْيَ فِي اللَّيْلِ وَتَأْوِي إِلَى مَسَاكِنِهَا؛ لِلرَّاحَةِ الَّتِي لَا تَتِمُّ وَتَكْمُلُ إِلَّا بِالنَّوْمِ الَّذِي تَسْكُنُ بِهِ الْجَوَارِحُ وَالْخَوَاطِرُ بِبُطْلَانِ حَرَكَتِهَا الْإِرَادِيَّةِ، كَمَا تَسْكُنُ بِهِ الْأَعْضَاءُ الرَّئِيسِيَّةُ سُكُونًا نِسْبِيًّا بِقِلَّةِ حَرَكَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ، فَتَقِلُّ نَبَضَاتُ الْقَلْبِ..، وَيُبْطِئُ التَّنَفُّسُ وَيَقِلُّ ضَغْطُ الدَّمِ.. وَيَضْعُفُ الشُّعُورُ حَتَّى يَكَادَ يَكُونُ مَفْقُودًا، فَيَسْتَرِيحُ الْجِهَازُ الْعَصَبِيُّ..، فَالْعَمَلُ الْعَقْلِيُّ يُجْهِدُ الدِّمَاغَ؛ وَالْعَضَلِيُّ يُجْهِدُ الْأَعْضَاءَ الْعَامِلَةَ، فَتَزْدَادُ الْحَرَارَةُ وَيَكْثُرُ الِاحْتِرَاقُ بِحَسَبِ كَثْرَةِ الْعَمَلِ وَتَكُونُ الْحَاجَةُ إِلَى الرَّاحَةِ بِالنَّوْمِ..، (و) جَعْلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا..؛ فَإِنَّ حَاجَةَ النَّاسِ إِلَى مَعْرِفَةِ حِسَابِ الْأَوْقَاتِ لِعِبَادَاتِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَتَوَارِيخِهِمْ لَا تَخْفَى..، وَعِنْدَ خَوَاصِّ الْعُلَمَاءِ مِنْ ذَلِكَ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ، وَعُلَمَاءُ الْفَلَكِ وَالتَّقَاوِيمِ مُتَّفِقُونَ فِي هَذَا الْعَصْرِ عَلَى أَنَّ لِلْأَرْضِ حَرَكَتَيْنِ، حَرَكَةٌ تَتِمُّ فِي ٢٤ سَاعَةً وَهِيَ مَدَارُ حِسَابِ الْأَيَّامِ؛ وَحَرَكَةٌ تَتِمُّ فِي سَنَةٍ وَبِهَا يَكُونُ اخْتِلَافُ الْفُصُولِ وَعَلَيْهَا مَدَارُ حِسَابِ السِّنِينَ الشَّمْسِيَّةِ..، (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) أَيْ ذَلِكَ الْجَعْلُ الْعَالِي الشَّأْنِ، الْبَعِيدُ الْمَدَى فِي الْإِبْدَاعِ وَالْإِتْقَانِ..؛ عَلَى مَا ذَكَرَ مِنْ سَبَبِ اخْتِلَافِ الْأَيَّامِ وَالْفُصُولِ وَتَقْدِيرِ السِّنِينَ الشَّمْسِيَّةِ، وَمِنْ تَشَكُّلَاتِ الْقَمَرِ الَّتِي نَعْرِفُ بِهَا الشُّهُورَ الْقَمَرِيَّةَ، هُوَ تَقْدِيرُ الْخَالِقِ الْغَالِبِ عَلَى أَمْرِهِ فِي تَنْظِيمِ مُلْكِهِ، الَّذِي وَضَعَ الْمَقَادِيرَ وَالْأَنْظِمَةَ الْفَلَكِيَّةَ وَغَيْرَهَا بِمَا اقْتَضَاهُ وَاسِعُ عِلْمِهِ، فَهَذَا النِّظَامُ وَالْإِبْدَاعُ مِنْ آثَارِ عِزَّتِهِ وَعِلْمِهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَيْسَ فِي مُلْكِهِ جُزَافٌ وَلَا خَلَلٌ: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) ٥٤القمر:٤٩، (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ).. الْمُرَادُ بِالنُّجُومِ.. الَّتِي تُرَى صَغِيرَةً بَعْدَ التَّذْكِيرِ بِبَعْضِ فَضْلِهِ فِي النَّيِّرَيْنِ الْأَكْبَرَيْنِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ..، وَكَانَتِ الْعَرَبُ فِي بَدَاوَتِهَا تُؤَقِّتُ بِطُلُوعِ النَّجْمِ لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ الْحِسَابَ..، وَفِي الظُّلُمَاتِ هُنَا وَجْهَانِ ظُلُمَاتُ اللَّيْلِ بِالْبَرِّ وَالْبَحْرِ.. أَوْ مُشْتَبِهَاتِ الطُّرُقِ شَبَّهَهَا بِالظُّلُمَاتِ قَالَهُ فِي الْكَشَّافِ، وَكَانَ اهْتِدَاؤُهُمْ بِالنُّجُومِ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا مَعْرِفَةُ الْوَقْتِ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ مِنَ السَّنَةِ، وَالثَّانِي مَعْرِفَةُ الْمَسَالِكِ وَالطُّرُقِ وَالْجِهَاتِ..، وَهَاهُنَا يَذْكُرُ الْمُفَسِّرُونَ النَّهْيَ عَنْ عِلْمِ النُّجُومِ الَّذِي يَزْعُمُ أَهْلُهُ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِهِ مَا سَيَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْأَحْدَاثِ قَبْلَ حُدُوثِهَا..، وَالصَّوَابُ أَنَّ الْمَذْمُومَ هُوَ تِلْكَ الْأَوْهَامُ الَّتِي يَزْعُمُونَ مَعْرِفَةَ الْغَيْبِ بِهَا دُونَ عِلْمِ الْهَيْئَةِ الْفَلَكِيَّةِ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ مِنْ آيَاتِ قُدْرَةِ اللهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ مَا لَا يُعْرَفُ مِنْ عِلْمٍ آخَرَ، وَقَدِ اتَّسَعَ هَذَا الْعِلْمُ فِي عَصْرِنَا هَذَا بِمَا اسْتَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنَ الْمَرَاصِدِ الْمُقَرِّبَةِ لِلْأَبْعَادِ..، وَلَعَلَّ كَثْرَةَ الْآيَاتِ فِي عَالَمِ السَّمَاءِ هِيَ نُكْتَةُ تَذْيِيلِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) سَوَاءٌ أُرِيدَ بِهَا آيَاتُ التَّنْزِيلِ أَوْ آيَاتُ التَّكْوِينِ..، وَإِنْ أُرِيدَ الثَّانِي فَوَجْهُهُ أَظْهَرُ، وَهُوَ أَنَّ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى عِلْمِ اللهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ وَفَضْلِهِ عَلَى خَلْقِهِ، لَا يَسْتَخْرِجُهَا مِنَ النَّظَرِ فِي النُّجُومِ إِلَّا الَّذِينَ يَعْلَمُونَ، أَيْ أَهْلُ الْعِلْمِ بِهَذَا الشَّأْنِ؛ الَّذِينَ يَقْرِنُونَ الْعِلْمَ بِالِاعْتِبَارِ"[٣١٨].

---

[٣١٧] مصطلح اللف والنشر عند المشتغلين باللغة يعني ذكر شيئين يتبعهما متعلقين يلتف كل واحد ليعود على أحد الشيئين.

[٣١٨] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٧ ٥٢٧).

وقال ابن عاشور: "وَالْفَلْقُ: شَقٌّ وَصَدْعُ بَعْضِ أَجْزَاءِ الشَّيْءِ عَنْ بَعْضٍ، وَالْمَقْصُودُ الْفَلْقُ الَّذِي تَنْبَثِقُ مِنْهُ وَشَائِجُ النَّبْتِ وَالشَّجَرِ وَأُصُولُهَا، فَهُوَ مَحَلّ الْعِبْرَةِ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ..، وَجُمْلَةُ: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ.. تَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ بَيَانِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْجُمْلَةِ قَبْلَهَا وَهُوَ الْفَلْقُ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْهُ نَبْتًا أَوْ شَجَرًا نَامِيًا ذَا حَيَاةٍ نَبَاتِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتِ الْحَبَّةُ وَالنَّوَاةُ جِسْمًا صُلْبًا لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا نَمَاءَ..، وَقَدْ جِيءَ بِجُمْلَةِ: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) فِعْلِيَّةً لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ يَتَجَدَّدُ وَيَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ آنٍ، فَهُوَ مُرَادٌ مَعْلُومٌ وَلَيْسَ عَلَى سَبِيلِ الْمُصَادَفَةِ وَالِاتِّفَاقِ..، وَالْإِشَارَةُ بِذَلِكُمْ لِزِيَادَةِ التَّمْيِيزِ وَلِلتَّعْرِيضِ بِغَبَاوَةِ الْمُخَاطَبِينَ الْمُشْرِكِينَ لِغَفْلَتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْإِلَهِيَّةِ..، وَالْأَفْكُ (بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ) مَصْدَرُ أَفَكَهُ يَأْفِكُهُ..، إِذَا صَرَفَهُ عَنْ مَكَانٍ أَوْ عَنْ عَمَلٍ، أَيْ فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ..، وَالْإِصْبَاحُ (بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ) فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ أَصْبَحَ الْأُفُقُ؛ إِذَا صَارَ ذَا صَبَاحٍ، وَقَدْ سَمَّى بِهِ الصَّبَاحَ وَهُوَ ضِيَاءُ الْفَجْرِ فَيُقَابِلُ اللَّيْلَ..، وَفَلْقُ الْإِصْبَاحِ اسْتِعَارَةٌ لِظُهُورِ الضِّيَاءِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، فَشَبَّهَ ذَلِكَ بِفَلْقِ الظُّلْمَةِ عَنِ الضِّيَاءِ، كَمَا اسْتُعِيرَ لِذَلِكَ أَيْضًا السَّلْخُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) ٣٦يس:٣٧.، فَإِنَّ فَلْقَ اللَّيْلِ عَنِ الصُّبْحِ أَبْدَعُ فِي مَظْهَرِ الْقُدْرَةِ وَأَدْخَلُ فِي الْمِنَّةِ بِالنِّعْمَةِ، لِأَنَّ الظُّلْمَةَ عَدَمٌ وَالنُّورَ وُجُودٌ، وَالْإِيجَادُ هُوَ مَظْهَرُ الْقُدْرَةِ..، وَفَلْقُ الْإِصْبَاحِ نِعْمَةٌ.. عَلَى النَّاسِ لِيَنْتَفِعُوا بِحَيَاتِهِمْ وَاكْتِسَابِهِمْ (الأرزاق)..، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ فَلَقَ الْإِصْبَاحَ بِقُدْرَتِهِ نِعْمَةً مِنْهُ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ، وَلَمْ يَجْعَلِ النُّورَ مُسْتَمِرًّا فِي الْأُفُقِ فَجَعَلَهُ عَارِضًا مُجَزَّءًا أَوْقَاتًا لِتَعُودَ الظُّلْمَةُ إِلَى الْأُفُقِ رَحْمَةً مِنْهُ بِالْمَوْجُودَاتِ لِيَسْكُنُوا بَعْدَ النَّصَبِ وَالْعَمَلِ فَيَسْتَجِمُّوا رَاحَتَهُمْ، وَالسَّكَنُ.. هُوَ مَا يُسْكَنُ إِلَيْهِ..، وَتُسَمَّى الزَّوْجَةُ سَكَنًا وَالْبَيْتُ سَكَنًا قَالَ تَعَالَى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً) النَّحْل:٨٠، فَمَعْنَى (جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) أَنَّهُ جُعِلَ لِتَحْصُلَ فِيهِ رَاحَةُ النَّفْسِ مِنْ تَعَبِ الْعَمَلِ..، وَعَطَفَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ عَلَى اللَّيْلِ بِالنَّصْبِ رَعْيًا لِمَحَلِّ اللَّيْلِ لِأَنَّهُ فِي مَحَلِّ الْمَفْعُولِ لِجَاعِلٍ.. وَالْعَطْفُ عَلَى الْمَحَلِّ شَائِعٌ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ..، وَالْحُسْبَانُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ حَسَبَ (بِفَتْحِ السِّينِ).. أَيْ جَعَلَهَا حِسَابًا، أَيْ عَلَامَةَ حِسَابٍ لِلنَّاسِ يَحْسُبُونَ بِحَرَكَاتِهَا أَوْقَاتَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشُّهُورِ وَالْفُصُولِ وَالْأَعْوَامِ، وَهَذِهِ مِنَّةٌ عَلَى النَّاسِ وَتَذْكِيرٌ بِمَظْهَرِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَلِذَلِكَ جُعِلَ لِلشَّمْسِ حُسْبَانٌ كَمَا جُعِلَ لِلْقَمَرِ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأُمَمِ يَحْسُبُونَ شُهُورَهُمْ وَأَعْوَامَهُمْ بِحِسَابِ سَيْرِ الشَّمْسِ بِحُلُولِهَا فِي الْبُرُوجِ وَبِتَمَامِ دَوْرَتِهَا (الظاهرية) فِيهَا، وَالْعَرَبُ يَحْسُبُونَ (بدورة تغير وجوه) الْقَمَرَ..؛ وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ..، وَإِنَّمَا اسْتَقَامَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ بِجَعْلِ اللَّهِ حَرَكَاتِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ (دورية) عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ لَا يَخْتَلِفُ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ دَلَائِلِ عِلْمِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَهَذَا بِحَسَبِ مَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ..، وَلَوِ اطَّلَعُوا عَلَى أَسْرَارِ ذَلِكَ النِّظَامِ الْبَدِيعِ (فلكيا) لَكَانَتِ الْعِبْرَةُ بِهِ أَعْظَمَ، وَالْإِخْبَارُ عَنْهُمَا بِالْمَصْدَرِ.. فِي مَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، أَيْ حَاسِبَيْنِ، وَالْحَاسِبُ هُمُ النَّاسُ بِسَبَبِ (ظاهر حركة) الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ..، وَالتَّقْدِيرُ: وَضَعَ الْأَشْيَاءَ عَلَى قَدْرٍ مَعْلُومٍ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) الْفُرْقَان:٢، وَ(الْعَزِيزُ): الْغَالِبُ الْقَاهِرُ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ حَقًّا لِأَنَّهُ لَا تَتَعَاصَى عَنْ قُدْرَتِهِ الْكَائِنَاتُ كُلُّهَا، وَ(الْعَلِيمُ) مُبَالَغَةٌ فِي الْعِلْمِ، لِأَنَّ وَضْعَ الْأَشْيَاءِ عَلَى النِّظَامِ الْبَدِيعِ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ عَالِمٍ عَظِيمِ الْعِلْمِ..، (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ).. وَهَذَا تَذْكِيرٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَبِعَظِيمِ خِلْقَةِ النُّجُومِ وَبِالنِّعْمَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ نِظَامِ سَيْرِهَا (اليومي والسنوي)؛ إِذْ كَانَتْ هِدَايَةً لِلنَّاسِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ يَهْتَدُونَ بِهَا، وَقَدْ كَانَ ضَبْطُ حَرَكَاتِ النُّجُومِ وَمَطَالِعِهَا وَمَغَارِبِهَا مِنْ أَقْدَمِ الْعُلُومِ الْبَشَرِيَّةِ ظَهَرَ بَيْنَ الْكَلْدَانِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ الْقُدَمَاءِ، وَذَلِكَ النِّظَامُ هُوَ الَّذِي أَرْشَدَ الْعُلَمَاءَ إِلَى تَدْوِينِ عِلْمِ الْهَيْئَةِ، وَالْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِلَهِيَّةِ..، لِأَنَّ كَوْنَ خَلْقِ النُّجُومِ مِنَ اللَّهِ وَكَوْنَهَا مِمَّا يُهْتَدَى بِهَا لَا يُنْكِرُهُ الْمُخَاطَبُونَ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجْرُوا عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ مِنْ إِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَالنُّجُومُ جَمْعُ نَجْمٍ..، الْجِسْمُ الْكُرَوِيُّ الْمُضِيءُ فِي الْأُفُقِ لَيْلًا الَّذِي يَبْدُو لِلْعَيْنِ صَغِيرًا..، و(جَعَلَ) هُنَا بِمَعْنَى خَلَقَ..، و(لَكُمُ) مُتَعَلِّقٌ بِجَعَلَ وَالضَّمِيرُ لِلْبَشَرِ كُلِّهِمْ..، وَالْمُرَادُ بِالظُّلُمَاتِ: الظُّلْمَةُ الشَّدِيدَةُ، فَصِيغَةُ الْجَمْعِ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي الْقُوَّةِ، وَ.. الشَّائِعَ أَنْ يُقَالَ ظُلُمَاتٌ وَلَا يُقَالُ ظُلْمَةٌ..، (كما في) قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ) الْبَقَرَة:١٧، وَإِضَافَةُ (ظُلُماتِ) إِلَى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ عَلَى مَعْنَى (فِي) لِأَنَّ الظُّلُمَاتِ وَاقِعَةٌ فِي هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ؛ أَيْ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي السَّيْرِ فِي الظُّلُمَاتِ..، وَجُمْلَةُ: (قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ) مُسْتَأْنَفَةٌ لِلتَّسْجِيلِ وَالتَّبْلِيغِ وَقَطْعِ مَعْذِرَةِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا..، وَجَعَلَ التَّفْصِيلَ (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) تَعْرِيضًا بِمَنْ لَمْ يَنْتَفِعُوا مِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ..، وَالْعِلْمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِدْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ..، وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ هُمُ الَّذِينَ انْتَفَعُوا بِدَلَائِلِ الْآيَاتِ؛ وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) الْأَنْعَام:٩٩"[٣١٩].

---

[٣١٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٧ ٣٨٨).

وقال القاسمي: "قوله تعالى: (فالِقُ الْإِصْباحِ).. أي: شاقّه عن ظلمة الليل، (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً) أي: صيّر الظلام يسكن إليه، ويطمئن به، استرواحا من تعب النهار. أو يسكن فيه الخلق، أي: يقرّوا ويهدئوا (من السكون)؛ وهو الأظهر لقوله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ١٠يونس:٦٧، وقرئ (وجاعل الليل)، (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْباناً) أي: على أدوار مختلفة لتحسب بهما الأوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات؛ كما.. في قوله: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ) يونس:٥، (ذلِكَ) أي التسيير بالحساب المعلوم (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) أي الغالب على أمره، (الْعَلِيمِ) بتدبيرهما ومراعاة الحكمة في شأنهما..، وفي (العزة) معنى القهر، أي: الذي قهرهما بجعلهما مسخرين، لا يتيسر لهما إلا ما أريد بهما، كما قال: (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ) الأعراف:٥٤، ومعنى القدرة الكاملة أيضا، قال الرازيّ: (الْعَزِيزِ) إشارة إلى كمال قدرته، و(الْعَلِيمِ) إشارة إلى كمال علمه، ومعناه أن تقدير أجرام الأفلاك بصفاتها المخصوصة وهيأتها المحدودة وحركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة في البطء والسرعة لا يمكن تحصيله إلا بقدرة كاملة متعلقة بجميع الممكنات وعلم نافذ في جميع المعلومات..، وذلك تصريح بأن حصول هذه الأحوال والصفات ليس بالطبع والخاصة؛ وإنما هو بتخصيص الفاعل المختار..، (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) أي في ظلمات الليل في طرق البر والبحر، (قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ) أي: بينا الآيات على قدرته تعالى وحكمته واليوم الآخر، (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أي وجه الاستدلال بها.. على معرفة الصانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه واستحقاقه العبادة وحده"[٣٢٠].

[٣٢٠] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٤ ٤٤٠).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Celestial Objects Relative Motion

نسبية حركة الأجرام الفلكية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٦و٩٧.
- ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٥.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.
- ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ ٧الأعراف:٥٤.
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٦النحل:١٢.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠يونس:٥.
- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ١٧الإسراء:١٢.
- ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٣آل عمران:٢٧.
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ٣آل عمران:١٩٠.
- ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٦الأنعام:١٣.
- ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ ١٠يونس:٦.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ١٠يونس:٦٧.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٣الرعد:٣.
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ١٤إبراهيم:٣٣.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٣.
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٢٢الحج:٦١.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٨٠.
- ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٤.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٤٧.
- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٦١و٦٢.
- ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٧النمل:٨٦.

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ. وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٢٨القصص:٧١-٧٣.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ٣٠الروم:٢٣.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٣١لقمان:٢٩.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ٣٥فاطر:١٣.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ٣٩الزمر:٥.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ٤٠غافر:٦١.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ٤١فصلت:٣٧.
- ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤٥الجاثية:٥.
- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ ٥٢الطور:٤٩.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٥٧الحديد:٦.
- ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ٧٣المزمل:٢٠.
- ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ ٧٨النبأ:٩-١٣.
- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ. وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ. وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ. لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ٨٤الإنشقاق:١٦-١٩.
- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ٩١الشمس:١-٤.
- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ٩٢الليل:١، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ٩٢الليل:٢.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ ١٣الرعد:٢.
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ١٤إبراهيم:٣٣.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ٢٢الحج:١٨.
- ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٦١.
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٥و١٦.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ ١٣الرعد:٢.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ٦الأنعام:٩٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٨.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

It is He Who has created you from a undifferentiated one Body (a phenotype gender)**, then** (each sex of them becomes) **a resident** (for awhile on the earth)**, subsequently embedded in a depot** (the tomb to the day of recreation)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

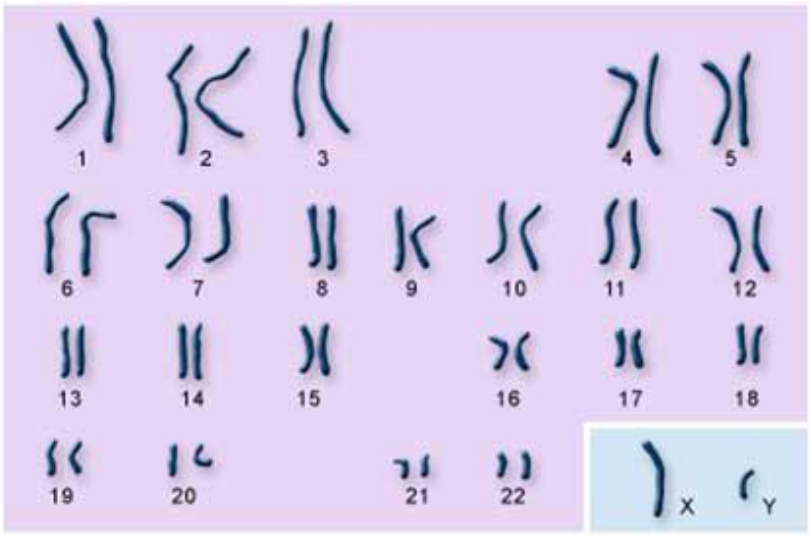

وتتضمن المورثات في الخريطة الوراثية جميع الخصائص الجسدية للإنسان المُقبل كطوله ولون بشرته وشعره؛ وهي مرتبة في سلاسل مزدوجة تكون الفتائل (الصبغيات)، وتتلاحم كل فتيلتين بحيث تتقابل كل صفتين متماثلتين من الأبوين كُلٍّ منها إما سائدة أو متنحية في أزواج مُتداخلة مُتناظرة Matched Pairs داخل نواة أول خلية للإنسان، ويصدُق عليها الوصف: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا. إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:١و٢، فلم يكُن يُسمى إنسانًا حتى تكونت البُويضة المُخصبة، والوصف: (نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) بليغ حيث دل إفراد كلمة (نُطْفَةٍ) على هيأتها وضآلتها تمثيلاً بقطرة واحدة من كمية ضئيلة من الماء تمثل المني Semen، ودل الجمع (أَمْشَاجٍ) على وصف تركيبها من أزواج مُتداخلة مُتناظرة؛ وكونها أخلاط وراثية من الأبوين وفق تعبير المُفسرين.

وباتحاد البويضة مع حوين منوي تنتج أول خلية بشرية تحمل ٤٤ فتيلة وراثية بدنية بالإضافة لزوج فتائل وراثية؛ إما بهيئة (X Y) وبها مُخطط مشروع تشكيل الذكر مستقبلاً، أو (X X) وبها مُخطط تشكيل الأنثى، والمميز إذن لجنس الجنين هو المني، وهو ظاهر النبأ: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦؛ وكلمة (تُمْنَى) تخصيص بالذكر، والتعبير (نُطْفَةٍ) أي قطرة؛ فيه تشبيه للمني عديد المُكونات بالماء عديد القطرات، ويؤيده النبأ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٣٩، وهو أيضًا صريح الدلالة في أن المني هو المُميز للزوجين الذكر والأنثى.

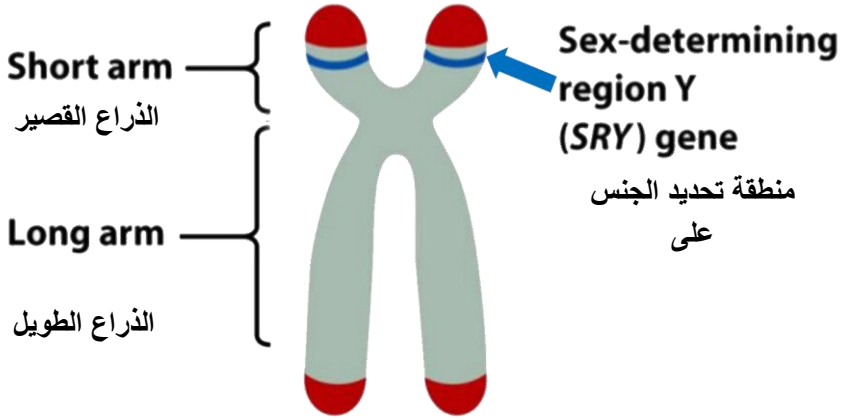

Y chromosome (Y) الفتيلة الوراثية

ويقبع الجين المسئول عن تحديد خصائص الذكورة على طرف الذراع القصير للفتيلة الجنسية الذكرية (Y)، وتسمى بمنطقة تحديد الجنس Sex Determining Region of Y Chromosome (SRY)، وهو جين سائد Dominant مهمته تحويل الغدة التناسلية في كل جانب إلى خصية تنتج هرمون الذكورة Testosterone وهرمون مثبط لقناة مولر Anti-Mullerian Hormone (AMH)، ومهمة هرمون الذكورة تشكيل الأعضاء التناسلية الذكرية الداخلية ومنع تطور الأثداء؛ ونتيجة لنشاط إنزيم خاص ينشأ هرمون (داي هيدرو تستوستيرون Dihydro-testosterone) أكثر فعالية من هرمون الذكورة مهمته تشكيل الأعضاء التناسلية الخارجية في الذكر، وإذا لم تنشأ الخصية يحدث العكس وتتكون الأعضاء التناسلية الأنثوية بشكل تلقائي Default Pathway وتضمر قناة وولف، ويُنتج المبيض هرمون الأنوثة Estrogen ومهمته تكميل تطور قناة مولر والخصائص الأنثوية الثانوية مثل نضوج الثدي عند البلوغ.

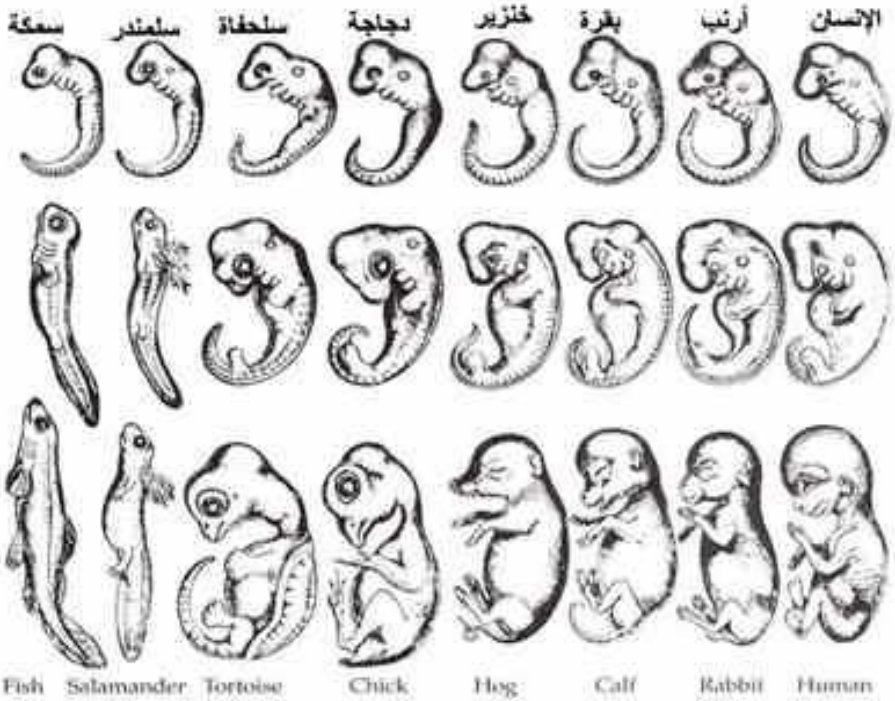

وفي المراحل الجنينية الأولى للجنسين في الإنسان تكون الهيأة الخارجية واحدة؛ ومتماثلة مع أجنة الحيوانات، ومع بدء نشاط الخصية يبدأ تميز جنس الجنين الإنساني الذكر باتضاح علامة الذكورة بظهور العضو التناسلي بعد المرحلة الجنينية Embryonic Stage التي تكتمل بنهاية ثمانية أسابيع من عمر الجنين منذ تكون البويضة المُخصبة Zygote، وتتأكد الذكورة Masculinity في بداية الشهر الثالث نتيجة لإفراز هرمون الذكورة Testosterone من الخصيتين طبقًا للتعليمات المُقدرة بالمُوَرِّثَات Genes الحاملة لبرنامج تصميم أعضاء الإنسان المُقبل وجنسه؛ وإلا تأكد التأنيث Feminization في الشهر الرابع؛ واستمر الجنين بنسق هيئة التأنيث المُفترضة ابتداءً Default mode، ومهمة هرمون الذكورة منع تطور أثداء الذكور؛ فتبقى ضامرة كبصمة تشهد بمرحلة ذات أو نفس واحدة في الجنسين.

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٩و١٩٠؛ المُدهش أن يدل النص الكريم صريحًا على مرحلة جنينية كانت فيها الذات الإنسانية في الجنسين (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)، ويُرجع تميز الزوجين الذكر والأنثى إلى فترة التخليق بالأرحام!.

والصَّادِم تفسير التعبير: (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)؛ بآدم وزوجه عليهما السلام فتلحقهما تهمة الشرك؛ استنادًا لحديث تفسيري يَحْجُر على المعنى الصريح للآية بزعم أنهما استجابا لإيحاء الشيطان فسموا ابنهما عبد الحارث، أي عبد الشيطان، والمحققون من علماء الحديث قالوا: حديث غريب المتن موقوف وضعيف السند، فقد رواه الترمذي تفسيرًا للآية وقال: "غريب"[٣٢١]، وفي ميزان الاعتدال: "حديث مُنكر"[٣٢٢]، وفي ذخيرة الحفاظ: "حَدِيث لما حملت حَوَّاء كَانَ لَا يعِيش لَهَا ولد، فَقَالَ لَهَا الشَّيْطَان سميه عبد الْحَارِث فَإِنَّهُ يعِيش فَكَانَ ذَلِك من وَحي الشَّيْطَان.. وَهُوَ ضَعِيف"[٣٢٣]، وقال شعيب الأرناءوط: "إسناده ضعيف"[٣٢٤]، وقال عبد القادر الأرناؤوط: "الحسن (أحد الرواة).. لم يسمع من سمرة؛ فالحديث ضعيف، وقد أخرجه الحافظ ابن كثير وأَعَلَّهُ من ثلاثة وجوه؛ (الأول): أن عمر بن إبراهيم (أحد الرواة).. لا يُحتج به..، (الثاني): أنه قد روي قول سمرة نفسه ليس مرفوعًا كما قال ابن جرير.. (الثالث): أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا؛ فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا لما عَدَلَ عنه..، قال ابن جرير..: {جعلا له شركاء فيما آتاهما} قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم..، قال الحسن: عُنِيَ بِهَا ذُرِّيَة آدم ومن أَشْرَكَ منهم بعده..، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فَسَّرَ الآية بذلك؛ وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حُملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عَدَلَ عنه.. ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يَدُلُّك على أَنَّهُ موقوف على الصحابي، ويُحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب؛ من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه"[٣٢٥]، وحُكْم الألباني: "ضعيف"[٣٢٦].

والتعبير (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) وارد ضمن زُمرة دلالية تُشير كل القرائن أنها في معرض بيان دليل على التوحيد والاقتدار في أن جنين كل إنسان كان نفس واحدة غير مُتميزة الجنس؛ ثم تميز لجنسين بعد اتضاح الهيئة الإنسانية، في قوله تعالى: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) ٣٩الزمر:٦، يتعلق السياق ببيان سبق التقدير والاقتدار في تمييز جنسي الإنسان في الأرحام؛ وبالمثل أجنة الأنعام؛ أي جنسي مواشي أربعة ذكورًا وإناثًا؛ هي الغنم (الضأن) والمعز والإبل والبقر، فالنفس الواحدة هي الأصل المُشترك لجنسي الإنسان وهي غير متميزة الجنس فناسبها تعبير الخلق بمعنى الإنشاء، والنفس الواحدة مؤنثة وزوجها مُذكر، وإذن قد تَفَرَّع منها شكلا زوجها الذكر فناسبه تعبير الجعل بمعنى التحويل، فالتشكيل الذكري إذن حدث عارض يبدأ به التمييز بين الجنسين؛ نتيجة عمليات حيوية لا يتطلبها الشكل الأنثوي.

---

[٣٢١] مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير؛ جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وتعليق أيمن صالح، مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م (١٢ ١٤٢).

[٣٢٢] شمس الدين أبو عبد الله قَايْماز الذهبي؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م (١٣ ١٧٩).

[٣٢٣] أبو الفضل الشيباني المعروف بابن القيسراني؛ ذخيرة الحفاظ، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف بالرياض؛ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م (١٤ ١٩٧١).

[٣٢٤] صهيب عبد الجبار؛ المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، تعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط في الحاشية؛ ٢٠١٣ (١٧ ٢٢١).

[٣٢٥] مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير؛ جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وتعليق أيمن صالح، مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م (١٢ ١٤٢).

[٣٢٦] أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الأشقودري الألباني؛ ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي (ص٦٨٧).

والنفس الإنسانية واحدة في الأصل من حيث تميز الجنس شكلاً؛ فإذا لم تتضح ذكورة الجنين في موعدها تتأكد الأنوثة، وبالإضافة إلى أن التعبير (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يصف كيانًا مؤنثًا؛ فقرائن السياق تدفع حمله على آدم عليه السلام، فالتعبير: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) يتعلق بالأجنة؛ وتفرضه الوحدة الموضوعية بيانًا لموضع نشأة النفس الواحدة بلفظ (خَلَقَكُمْ)، والخطاب مُوَجَّه لكل بالغ من الجنسين لبيان كيفية تكونه من كيان غير متميز ليصبح ذكرًا أو أنثى يتزاوجان ويُنجبان، والجُملة الاعتراضية: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) لبيان أن القُدرة المُبدعة شملت جنسي الأنعام بنفس الأطوار، والتعبير: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ) تأكيد لكون تلك المواشي في البادية نعمة نفيسة تَتَطَلَّب شُكر المُنعم، قال ابن عاشور: "(وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ).. هَذَا اعْتِرَاضٌ بَيْنَ جُمْلَةِ (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ) وَبَيْنَ (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ) لِمُنَاسِبَةِ أَزْوَاجِ الْأَنْعَامِ لِزَوْجِ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ؛ وَأُدْمِجَ فِي هَذَا الِاسْتِدْلَالِ امْتِنَانٌ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ لِلنَّاسِ"[٣٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ ١٦النحل:٧٢؛ صريح في أن الجعل أزواجًا ذُكورًا وإناثًا من الأنفس البشرية ذاتها يؤكده التعبير: (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً)، ومثله قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ ٤٢الشورى:١١؛ صريح في أن تميز الأزواج ذكورًا وإناثًا يتم من الأنفس البشرية ذاتها، وكذلك تنشأ الأنعام أزواجًا بنفس الأطوار، فكليهما ينشآن بنفس الآلية؛ أي في هذا الجعل، وهو مُقتضى التعبير: (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ)، في تفسير الجلالين: "{وَمِنْ الْأَنْعَام أَزْوَاجًا}: ذُكُورًا وَإِنَاثًا، {يَذْرَؤُكُمْ}..: يَخْلُقُكُمْ {فِيهِ}: فِي الْجَعْل الْمَذْكُور؛ أَيْ يُكَثِّرُكُمْ بِسَبَبِهِ بِالتَّوَالُدِ، وَالضَّمِير لِلْأَنَاسِيِّ وَالْأَنْعَام"[٣٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦؛ صريح في بيان القُدرة المُفزعة التي مَيَّزَت الجنسين بالأرحام من نفس واحدة غير متميزة الجنس أساسها نطفة واحدة من ماء مهين لا يُعتبر، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ٦الأنعام:٩٨؛ التعقيب: (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) يعني في الدنيا بعد الولادة ثم يُستودع بالقبر ليُسترد حيًّا للحساب، وهو يجعل تميز الجنسين مَحْصُورًا في الأرحام، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ٤النساء:١؛ صريح في بيان سبق التقدير والاقتدار في خلق كل إنسان وتميز الجنسين رجالاً ونساءً بنفس الآلية الواحدة التي تتكرر مع كل جنين يتكون في الأرحام لتشهد بوحدانية الصانع، وبالمثل تَنْطِق النُّصُوص بأن التميز أزواج حدث جنيني تسبقه هيئة واحدة غير متميزة الجنس: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ٣٥فاطر:١١، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٣٩.

وما أصرح قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ ٤٩الحجرات:١٣؛ في الدلالة على أن أصل أفراد الناس ذكورًا وإناثًا هو عناصر وراثية من الأبوين؛ ذكر وأنثى، فالآلية إذن واحدة تؤكد وحدانية الصانع، والخطاب بالجمع: (خَلَقْنَاكُمْ)؛ للبالغين، أي عندما كانوا أجنة في بطون أمهاتهم، والمضمون أن أصل كل منهم ذكر وأنثى بالتنكير والإبهام بلا تصريح بلفظ آدم مع وروده ٢٥ مرة تصريحًا، فتكلف حمله على آدم اجتهاد؛ والأولى الالتزام بظاهر النص، وهو أن كل إنسان نتاج المُشاركة الوراثية من الأبوين؛ بقرينة بيان تكون النطفة الأمشاج أصل كل إنسان من عناصر وراثية مُناصفةً من الأبوين: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:٢، قال القرطبي: "﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ ٤٩الحجرات:١٣..، بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى.. (وقد) ذَهَبَ قَوْمٌ مِنَ الْأَوَائِلِ إِلَى أَنَّ الْجَنِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ وَيَتَرَبَّى فِي رَحِمِ الْأُمِّ وَيَسْتَمِدُّ مِنَ الدَّمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ..، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْخَلْقَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ لِهَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهَا نَصٌّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ"[٣٢٩].

---

[٣٢٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٣\ ٣٣٢).

[٣٢٨] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٦٣٩).

[٣٢٩] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١٦\ ٣٤١).

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٩و١٩٠؛ حمل: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) على آدم عليه السلام فيه إشكال كبير بنسبة الشرك لنبي مُصطفى كريم؛ ولا يستقيم حمل المؤنث: (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) على المُذكر آدم، وكلمة (تَغَشَّاهَا) تعبير عن التزاوج لا يجرح حياء؛ أي تغشي الذكر الأنثى، وتعكس صيغة التَّفَعُّل (تَغَشَّاهَا) مُجَاهَدَة، وكل الضمائر في: (مِنْهَا، زَوْجَهَا، إِلَيْهَا، تَغَشَّاهَا) تعود إلى (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)، لكن حمل النفس الواحدة على آدم يقلب الوضع بجعل الأنثى هي التي تتغشى الذكر؛ وهو معنى سقيم، وتعود الضمائر في: (دَعَوَا، رَبَّهُمَا، آتَيْتَنَا، آتَاهُمَا، جَعَلَا) إلى مُثنى فيُفضي لمخالفة صريح النص في أن من أشرك جماعة: (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)؛ فالمُثنى إذن ضُرِبَ مثلاً للجماعة.

قال ابن كثير: "صَحَّ ضَرْبُ مَثَلِ الْجَمَاعَةِ بِالْوَاحِدِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ ٣٣الأحزاب:١٩، أَيْ: كَدَوَرَانِ عَيْنَيِ الَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ٣١لقمان:٢٨، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ٦٢الجمعة:٥"[٣٣٠]، وقال أبو زهرة: "نُقِلَ عن القفال في تأويل هذه الآية؛ أنه تعالى ذكر هذه القصة على سبيل ضرب المثل، والمُراد (أنه تعالى) خَلَقَ كل واحد منكم من نفس واحدة؛ وجَعَلَ من جنسها زوجها إنسانًا (يساويها) في الإنسانية..، وعلى هذا الكلام يكون المعنى: إن الله تعالى خَلَقَ نفسًا واحدةً تلتقي عندها (شكلاً) كل الأنفس؛ (فجميعها) مُتشابهة مُتشاكلة"[٣٣١].

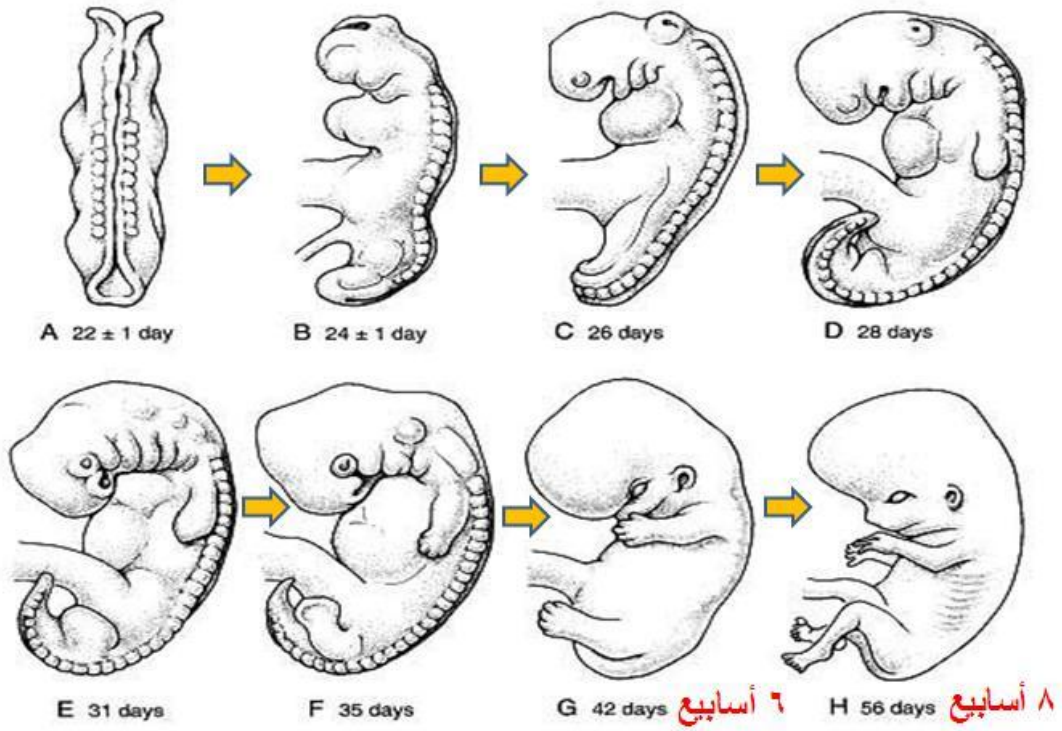

ويُوحِي التعبير: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) بحالة تميزت فيها إنسانية الجنين ولم يتميز فيها جنسه بعد؛ أو بالأحرى لم تظهر عليه بعد علامة الذكورة، باعتبار أن الفعل المُتوقع بعد اكتساب الشكل الإنساني هو التحول لهيئة ذكر: (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)، وإيجاز التعبير اكتفاءً بذكر تميز جنس الذكر أولاً يقتضي في المُقابل تكون الجنس المؤنث لاحقًا، ودل عليه تأنيث ضمير: (زَوْجَهَا)، وبالفعل يكتسب الجنين الشكل الإنساني بعد مرور ستة أسابيع من عمره؛ مع تكون الهيكل العظمي والعضلي في الأسبوعين السابع والثامن، ويبدأ تميز جنس الذكر بظهور الأعضاء الخارجية للتناسل بعد الأسبوع الثامن نتيجة لإنتاج هرمون الذكورة من الخصية، وأما المبيض فيُخَزِّن كل البُويضات استعدادًا لمرحلة البلوغ.

---

[٣٣٠] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ١٨٧).

[٣٣١] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٣ ١٥٧٥).

والسبيل إذن لتَفَهُّم المعنى هو بحمل التعبير (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) على كيان إنساني للجنين ذو هيأة واحدة في الجنسين لم يتميز جنسه بعد، ويبدأ التميز بعد تكامل اتضاح الهيئة الإنسانية، وحمل التعبير على سبيل ضرب المثل للمجموع الإنساني بكل زوجين؛ بيانًا لوحدة تصميم تناسل الإنسان وكل زوجين من الحيوان؛ كبرهان للعاقل على وحدانية الصانع.

تتضح علامة الذكورة بظهور العضو التناسلي الذكري بعد انتهاء الأسبوع الثامن.

قال أبو جعفر النحاس: "روي عن عكرمة أنه قال: لم يخص بهذا آدم وحواء..، والتقدير على هذا الجنس (البشري) كله؛ أي خلق كل واحد منكم {من نفس واحدة} و{جعل منها} أي من جنسها زوجها، {فلما تغشاها} على الجنس (البشري) كله، وكذا {دعوا} يراد به الجنسان الكافران، ثم حمل {فتعالى الله عما يشركون} على معنى الجميع، فهذا أولى والله أعلم من أن يُنسب إلى الأنبياء عليهم السلام مثل هذا"، و"المعنى خلق لكم من جنسكم أزواجا..، ومثله قوله جل وعز {هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها}..، أي جعل من جنسها زوجها، ودل هذا على الجنسين جميعا، ويكون الضمير في قوله تعالى {جعلا له شركاء فيما آتاهما} يعود على الجنسين، والضمير في قوله: {يشركون}؛ يعود على الجنسين لأنهما جماعة"[٣٣٢]، و"(جَعَلا لَهُ) قيل: يعني الذكر والأنثى الكافرين؛ ويعني به الجنسين، ودل على هذا: (فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)؛ ولم يقل: يشركان، فهذا قول حسن، وقيل: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ).. من هيئة واحدة وشكل واحد، (وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها) أي من جنسها، (فلمّا تغشّاها) يعني الجنسين، وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء في الآية ذكر"[٣٣٣].

وقال الثعلبي: "قال قوم من أهل العلم إن هذا راجع إلى المشركين من ذرية آدم..، ويدل عليه ما روى معمر عن الحسن قال: عني بهذا من أشرك من ذرية آدم ولم يكن يعنى آدم، وروى قتادة عنه قال: هم اليهود والنصارى..، وقال ابن كيسان هم الكفار جعلوا لله شركاء.. وقال عكرمة لم يخص بها آدم ولكن جعلها عامة لجميع بني آدم..، قال الحسين بن الفضل: وهذا محبب إلى أهل النظر لما في القول الأول من إلصاق العظائم بنبي الله آدم عليه السلام، ويدل عليه جمعه في الخطاب حيث قال {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} ثمّ قال {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا}.. فلما تغشى الرجل منكم امرأته"[٣٣٤].

---

[٣٣٢] أبو جعفر النحاس؛ معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى؛ ١٤٠٩هـ (٥\ ٢٥٢).

[٣٣٣] أبو جعفر النحاس؛ إعراب القرآن، تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤٢١هـ (٢\ ٨٤).

[٣٣٤] أبو إسحاق أحمد الثعلبي؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي بيروت؛ ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م (٤\ ٣١٦).

وقبل أن تُطالع عين جنس وليد؛ يسبق القرآن الكريم بتَلَطُّف لا يلفت عن الغرض وبأسلوب بديع مُفْعَم بالمضامين ويصف كيفية تميز جنس الجنين في ظلمات البطون، من ذات أو نفس واحدة غير مُتميزة الجنس شكلاً وتركيبًا؛ كأصل واحد مشترك للجنسين، وتبقى الأثداء في صدور الذُّكُور ضامرةً بلا غرض إرضاع كبصمة تنطق بوحدة الأصل، ولا يفوت البيان المُعجز أن يُثني على الشاكرين ويروي للنابهين قصة الغافلين عن دلائل سبق التقدير ووحدانية القدير!.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

(١) خُلاصَة تَفسِيَة:

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله تعالى): "تجد المرأة التي لا يأتيها الولد تأتي إلى قبر الولي الفلاني..، فتقول: يا سيدي فلان أرزقني ولداً..، وفي قوله: {فلما آتاهما} نقد لاذع أن يجعلا في هذا الولد شريكا.. و(لكن).. الآية وحدها دالة على أن قوله {خلقكم من نفس واحدة} أي من جنس واحد وليس فيها تعرض لأدم وحواء بوجه من الوجوه، ويكون السياق فيهما جاريا على الأسلوب العربي الفصيح الذي له نظير في القرآن كقوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ}؛ أي من جنسهم، وبهذا التفسير الواضح البين يسلم الإنسان من إشكالات كثيرة، أما على القول.. بأن المراد بقوله تعالى {من نفس واحدة}.. آدم {وجعل منها زوجها} حواء؛ فيكون معني الآية خلقكم من آدم وحواء..، وهذا التفسير منطبق على المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وسنبين.. وجه ضعفه وبطلانه..، وأما قوله تعالى: {فتعالى الله عما يشركون}؛ فجمع لأن المراد بالمثنى اثنان من هذا الجنس فصح أن يعود الضمير إليهما مجموعًا، كما في قوله تعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا}؛ ولم يقل اقتتلتا لأن الطائفتين جماعة، و(المروي) عن ابن عباس في الآية قال: (لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة؛ لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل..، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعانه فخرج ميتاً)..، وذُكر معناه عن الحسن، لكن الصحيح أن الحسن رحمه الله قال: إن المراد بالآية غير آدم وحواء، وإن المراد بها المشركون من بني آدم، كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله في تفسيره وقال: (أما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء؛ وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته)، وهذه القصة باطلة من وجوه؛ (الوجه الأول): أنه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم، وهذا من الأخبار التي لا تتلقى إلا بالوحي، وقد قال ابن حزم عن هذه القصة إنها رواية خرافة مكذوبة موضوعة، (الوجه الثاني): أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء؛ لكان حالهما إما أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه، فإن قلنا ماتا عليه كان ذلك أعظم من قول بعض الزنادقة..، فمن جوز موت أحد من الأنبياء على الشرك فقد أعظم الفرية، وإن كانا تابا من الشرك فلا يليق بحكمة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما ولا يذكر توبتهما منه، فيمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله الخطيئة من آدم وحواء وقد تابا ولم يذكر توبتهما، والله تعالى إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ورسله ذكر توبتهم منها كما في قصة آدم نفسه حين أكل من الشجرة وزوجه وتابا من ذلك، (الوجه الثالث): أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء، (الوجه الرابع): أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم يطلبون منه الشفاعة فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصية؛ ولو وقع منه الشرك لكان اعتذاره به أقوى وأولى وأحرى، (الوجه الخامس): أن في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال: (أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة)، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء وإنما يأتي بشيء يقرب قبول قوله، فإذا قال: (أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة) فسيعلمان علم اليقين أنه عدو لهما فلا يقبلان منه صرفاً ولا عدلاً، (الوجه السادس): أن في قوله في هذه القصة (لأجعلن له قرني إيل)، إما أن يصدقا أن ذلك ممكن في حقه فهذا شرك في الربوبية لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله؛ أو لا يصدقا فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه، (الوجه السابع): قوله تعالى: (فتعالى الله عما يشركون) بضمير الجمع؛ ولو كان آدم وحواء لقال (عما يشركان)، فهذه الوجوه تدل على أن هذه القصة باطلة من أساسها وأنه لا يجوز أن يعتقد في آدم وحواء أن يقع منهما شرك بأي حال من الأحوال، والأنبياء منزهون عن الشرك مبرؤون منه باتفاق أهل العلم، وعلى هذا فيكون تفسير الآية كما أسلفنا أنها عائدة إلى بني آدم الذي أشركوا شركاً حقيقياً؛ فإن منهم مشركاً ومنهم موحداً"[٣٣٥].

---

[٣٣٥] محمد بن صالح بن محمد العثيمين؛ مجموع الفتاوى والرسائل، جمع فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن؛ ١٤١٣هـ (١١٠ ٨٨٨).

(٢) تَارِيخ مَجِيد للمُفَسّرِين:

قال القرطبي: "قال قوم إن هذا راجع إلى جنس الآدميين، والتبيين عن حال المشركين من ذرية آدم عليه السلام، وهو الذي يعول عليه، فقوله: {جعلا له} يعني الذكر والأنثى الكافرين؛ ويعنى به الجنسان، ودل على هذا {فتعالى الله عما يشركون} ولم يقل: يشركان، وهذا قول حسن، وقيل المعنى {هو الذي خلقكم من نفس واحدة} من هيئة واحدة وشكل واحد {وجعل منها زوجها} أي من جنسها، {فلما تغشاها} يعني الجنسين، وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء ذكر في الآية، فإذا آتاهما الولد صالحا سليما سويا كما أراداه صرفاه عن الفطرة إلى الشرك فهذا فعل المشركين..، قال عكرمة: لم يخص بها آدم ولكن جعلها عامة لجميع الخلق بعد آدم، وقال الحسين بن الفضل: وهذا محبب إلى أهل النظر؛ لما في القول الأول من المُضاف من العظائم بنبي الله آدم"[٣٣٦].

وقال ابن عطية: "قال قوم إن المعنى في هذه الآية التبيين عن حال الكافرين؛ فعدد النعم التي تعم الكافرين.. وذلك أنه قال مخاطباً لجميع الناس: {هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها}..، فهذه نعمة تخص كل أحد..، ثم جاء قوله: {فلما تغشاها}؛ إلى آخر الآية وصفاً لحال الناس واحداً واحداً..، فإذا آتاهم الله الولد صالحاً سليماً كما (أراداه) صرفاه عن الفطرة إلى الشرك..، (وقد قيل).. إن الآية.. في أدم وحواء..؛ قال القاضي أبو محمد: وهذا تحكم لا يساعده اللفظ..، (و) الآية.. إنما الغرض منها تعديد النعمة في الأزواج وفي تسهيل النسل والولادة..، (و) قوله {فتعالى الله عما يشركون} المراد بالضمير فيه المشركين، والمعنى في هذه الآية فلما آتى الله هذين الإنسانين صالحاً أي سليماً ذهبا به إلى الكفر..، وهي بينة على هذا التأويل..، وقلقة على قول من يقول إن الآية.. في آدم وحواء"[٣٣٧].

وقال ابن العربي: "الْمُرَادَ بِهَذَا جِنْسُ الْآدَمِيِّينَ؛ فَإِنَّ حَالَهُمْ فِي الْحَمْلِ وَخِفَّتِهِ وَثِقَلِهِ (كذلك).. صِفَةٍ (عامة) وَاحِدَةٍ..؛ إذَا ثَقُلَ عَلَيْهِمْ نَذَرُوا..، فَإِذَا وُلِدَ لَهُمْ.. الْوَلَدُ جَعَلُوا فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ شُرَكَاءَ فِي تَسْمِيَتِهِ وَعَمَلِهِ؛ حَتَّى إنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَنْسُبُهُ إلَى الْأَصْنَامِ وَيَجْعَلُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ وَعَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَشْبَهُ بِالْحَقِّ وَأَقْرَبُ إلَى الصِّدْقِ وَهُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ وَعُمُومُهَا الَّذِي يَشْمَلُ جَمِيعَ مُتَنَاوَلَاتِهَا، وَيَسْلَمُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ عَنْ النَّقْصِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِجُهَّالِ الْبَشَرِ؛ فَكَيْفَ بِسَادَتِهِمْ وَأَنْبِيَائِهِمْ!"[٣٣٨].

وقال السمعاني: "{جعلا له شركاء فيما آتاهما}..، هذا في جميع بني آدم، قال عكرمة: وكأن الله يخاطب به كل واحد من الخلق بقوله: {هو الذي خلقكم من نفس واحدة} يعني: خلق كل واحد..، {وجعل منها زوجها}: أي جعل من جنسها زوجها {ليسكن إليها}؛ يعني كل زوج إلى زوجته..، وهذا قول حسن في الآية"[٣٣٩].

وقال النيسابوري: "قوله..: {جعلا} يعني آدم وحوّاء {له شركاء}.. (إلى) تمام القصة، وقد زيفها النقاد..، ولا قائل بإمكان نسبته إلى آدم، فعند ذلك ذكر العلماء في تأويله وجوهاً، أحدها: أن هذا مَثَل؛ فكأنه تعالى يقول (هو الذي خلقكم)؛ أي كل واحد منكم (من نفس واحدة) وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية يسكن أي تلك النفس، فَذَكَّر بعدما أَنَّث.. لأن الذَكَر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويطمئن إليها..، {دعوا} أي الزوج والزوجة..، فقالا {لئن آتيتنا صالحاً} ولداً قد صلح بدنه.. ذكراً..، لأن الذكورة.. (مطلب مُعتاد)"[٣٤٠].

وقال محمد رشيد رضا: "الْقَرِينَةُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا بِالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ آدَمَ قَوْلُهُ: (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)؛ بِالتَّنْكِيرِ، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَقُولَ: (وَبَثَّ مِنْهُمَا جَمِيعَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ)..، وَقَدْ أَبْهَمَ اللهُ تَعَالَى هَاهُنَا أَمْرَ النَّفْسِ الَّتِي خُلِقَ النَّاسُ مِنْهَا وَجَاءَ بِهَا نَكِرَةً فَنَدَعُهَا عَلَى إبْهَامِهَا..، وَأَقُولُ زِيَادَةً فِي الْإِيضَاحِ: إذَا كَانَ جَمَاهِيرُ الْمُفَسِّرِينَ فَسَّرُوا النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ هُنَا بِآدَمَ فَهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا ذَلِكَ مِنْ نَصِّ الْآيَةِ وَلَا مِنْ ظَاهِرِهَا بَلْ مِنَ الْمَسْأَلَةِ الْمُسَلَّمَةِ عِنْدَهُمْ؛ وَهِيَ أَنَّ آدَمَ أَبُو الْبَشَرِ، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مِثْلِ هَذَا التَّعْبِيرِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) ٧الأعراف:١٨٩، فَقَدْ ذَكَرَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهَا ثَلَاثَةَ تَأْوِيلَاتٍ: التَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ مَا ذَكَرَهُ عَنِ الْقَفَّالِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى سَبِيلِ ضَرْبِ الْمَثَلِ، وَالْمُرَادُ (أنه تعالى): خَلَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ

---

[٣٣٦] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (٧\ ٣٣٩).

[٣٣٧] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤٢٢هـ (٢\ ٤٨٧).

[٣٣٨] القاضي محمد أبو بكر بن العربي الاشبيلي؛ أحكام القرآن، تعليق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (٢\ ٣٥٥).

[٣٣٩] أبو المظفر منصور المروزى السمعاني؛ تفسير القرآن، المحقق ياسر إبراهيم وغنيم عباس غنيم، دار الوطن الرياض؛ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م (٢\ ٢٤٠).

[٣٤٠] نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري؛ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه بيروت؛ ١٤١٦هـ (٣\ ٣٥٩).

وَاحِدَةٍ؛ وَجَعَلَ مِنْ جِنْسِهَا زَوْجَهَا إِنْسَانًا (يُسَاوِيهَا) فِي الْإِنْسَانِيَّةِ..، (و) ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ يَأْبَى أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالنَّفْسِ آدَمَ.. لِمَا ذَكَرَهُ مِنْ.. تَنْكِيرِ مَا بَثَّهُ مِنْهَا وَمِنْ (تنكير) زَوْجِهَا"[٣٤١]، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: "(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) أَيْ: خَلَقَكُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ أَوْ (هيئة) وَاحِدَةٍ صَوَّرَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) سُكُونًا زَوْجِيًّا، أَيْ: جَعَلَ لَهَا زَوْجًا مِنْ جِنْسِهَا فَكَانَا زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى..؛ كَمَا أَنَّهُ خَلَقَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ٥١الذاريات:٤٩..، وَنَعْلَمُ أَيْضًا كَيْفَ يَتَكَوَّنُ فِي الْأَرْحَامِ كُلٌّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى) ٥٣النجم:٤٥و٤٦، وَلَكِنَّنَا لَا نَدْرِي كَيْفَ ازْدَوَجَتِ النَّفْسُ الْأُولَى بَعْدَ وَحْدَتِهَا فَكَانَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى.، اللهُ تَعَالَى (إذن) خَاطَبَ النَّاسَ فِي عَصْرِ التَّنْزِيلِ بِمِثْلِ مَا حَكَاهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ نَشْأَةِ جِنْسِهِمْ فِي كَوْنِهِ تَعَالَى خَلَقَ لَهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ..: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) ٣٠الروم:٢١، فَهَذَا الْمَعْنَى عَامٌّ لَا خَاصٌّ بِالْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ، عَبَّرَ التَّنْزِيلُ عَنْ مَيْلِ الزَّوْجِ الْجِنْسِيِّ إِلَى جِنْسِهِ هُنَا.. بِالسُّكُونِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا بَلَغَ سِنَّ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ اضْطِرَابًا خَاصًّا؛ لَا يَسْكُنُ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِزَوْجٍ مِنْ جِنْسِهِ..، ذَلِكَ الِاقْتِرَانُ.. لَا تَكْمُلُ حَيَاتُهُمَا الْجِنْسِيَّةُ الْمُنْتِجَةُ إِلَّا بِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَهُ: (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ).. الْغِشَاءُ غِطَاءُ الشَّيْءِ الَّذِي يَسْتُرُهُ مِنْ فَوْقِهِ..، و(تَغَشَّاهَا) أَتَاهَا كَغَشْيِهَا، وَيَزِيدُ مَا تُعْطِيهِ صِيغَةُ التَّفَعُّلِ مِنْ جُهْدٍ، وَهُوَ كِنَايَةٌ نَزِيهَةٌ عَنْ أَدَاءِ وَظِيفَةِ الزَّوْجِيَّةِ، تُشِيرُ إِلَى أَنَّ مُقْتَضَى الْفِطْرَةِ وَأَدَبَ الشَّرِيعَةِ فِيهَا السِّتْرُ، وَلَفْظُ النَّفْسِ مُؤَنَّثٌ فَأُنِّثَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ، وَلَفْظُ الزَّوْجِ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَلِهَذَا ذُكِرَ هُنَا فَاعِلُ التَّغْشِيَةِ وَأُنِّثَ مَفْعُولُهُ، أَيْ فَلَمَّا تَغَشَّى الزَّوْجُ الَّذِي هُوَ الذَّكَرُ الزَّوْجَ الَّتِي هِيَ الْأُنْثَى (حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا) أَيْ عَلِقَتْ مِنْهُ وَهُوَ الْحَبَلُ..، (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) أَيْ: فَلَمَّا أَعْطَاهُمَا وَلَدًا صَالِحًا لَا نَقْصَ فِي خَلْقِهِ وَلَا فَسَادَ فِي تَرْكِيبِهِ؛ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِي إِعْطَائِهِ أَوْ فِيمَا أَعْطَاهُ..، (فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أَيْ: تَعَالَى شَأْنُهُ عَنْ شِرْكِهِمْ..؛ وَجَمَعَ الضَّمِيرَ هُنَا بَعْدَ تَثْنِيَتِهِ الْأَفْعَالَ قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِيهِ بِالزَّوْجَيْنِ الْجِنْسُ لَا فَرْدَيْنِ مُعَيَّنَيْنِ.، وَالْآيَةُ.. بَيَانٌ لِحَالِ الْبَشَرِ فِيمَا طَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنْ نَزَغَاتِ الشِّرْكِ..، الْمُرَادُ (إذن بالزوجين) جِنْسَيِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى لَا يُقْصَدُ فِيهِ إِلَى مُعَيَّنٍ، وَكَأَنَّ الْمَعْنَى وَاللهُ أَعْلَمُ: خَلَقَكُمْ جِنْسًا وَاحِدًا وَجَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ مِنْكُمْ أَيْضًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهِنَّ، فَلَمَّا تَغَشَّى الْجِنْسُ الَّذِي هُوَ الذَّكَرُ الْجِنْسَ الْآخَرَ (أشركا تغليبًا)..؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) ١٩مريم:٦٦، (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) ٨٠عبس:١٧، (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) ١٠٣العصر:٢، وَأَمَّا الْإِشْكَالُ.. فَهُوَ مَا رُوِيَ.. مِنْ أَنَّ الْآيَةَ فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ..، لِأَنَّ فِيهِ طَعْنًا صَرِيحًا فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَرَمْيًا لَهُمَا بِالشِّرْكِ، وَلِذَلِكَ رَفَضَهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ، وَتَكَلَّفَ آخَرُونَ فِي تَأْوِيلِهَا بِمَا تُنْكِرُهُ اللُّغَةُ..، وَإِنَّمَا الَّذِي يَصِحُّ أَنْ يُذْكَرَ وَيُبَيَّنَ بُطْلَانُهُ، فَهُوَ الرِّوَايَاتُ الَّتِي انْخَدَعَ بِهَا وَلَا يَزَالُ يَنْخَدِعُ بِهَا الْكَثِيرُونَ، وَعُمْدَتُنَا فِي تَمْحِيصِهَا وَبَيَانِ عِلَلِهَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فَقَدْ قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ.. (للنفس الواحدة وزوجها): (عَنَى بِهَا ذُرِّيَّةَ آدَمَ وَمَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ).. وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ وَأَوْلَى مَا حُمِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ..، لَيْسَ الْمُرَادُ (إذن) مِنْ هَذَا السِّيَاقِ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللهُ: (فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)"[٣٤٢]، "أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) ٤النساء:١؛ فَمَعْنَاهُ.. يَظْهَرُ.. بِحَمْلِ النَّفْسِ عَلَى الْجِنْسِ وَإِعَادَةِ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ؛ بِمَعْنَى أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ..، ثُمَّ خَلَقَ لَهَا زَوْجَهَا مِنْ جِنْسِهَا، وَمَعْنَاهُ الْمُرَادُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ لِتِلْكَ النَّفْسِ الَّتِي هِيَ آدَمُ زَوْجًا مِنْهَا وَهِيَ حَوَّاءُ، قَالُوا: إِنَّهُ خَلَقَهَا مِنْ ضِلْعِهِ الْأَيْسَرِ وَهُوَ نَائِمٌ؛ وَذَلِكَ مَا صُرِّحَ بِهِ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ قَارِئِ الْقُرْآنِ، وَهُنَاكَ قَوْلٌ آخَرُ.. أَنَّ مَعْنَى (خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) خَلَقَهُ مِنْ جِنْسِهَا فَكَانَ مِثْلَهَا (في الطبيعة)، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) ٣٠الروم:٢١، وَقَوْلُهُ: (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) ١٦النحل:٧٢؛ وَقَوْلُهُ: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ ٤٢الشورى:١١؛ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) ٩التوبة:١٢٨، وَقَوْلُهُ: (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) ٣آل عمران:١٦٤..، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ عِبَارَةِ الْآيَةِ الَّتِي نُفَسِّرُهَا وَعِبَارَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ؛ فَالْمَعْنَى فِي الْجَمِيعِ وَاحِدٌ، وَمَنْ ثَبَتَ عِنْدَهُ أَنَّ حَوَّاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ فَهُوَ غَيْرُ مُلْجَأٍ إِلَى إِلْصَاقِ ذَلِكَ بِالْآيَةِ وَجَعْلِهِ تَفْسِيرًا لَهَا وَإِخْرَاجِهَا عَنْ أُسْلُوبِ أَمْثَالِهَا مِنَ الْآيَاتِ، هَذَا وَإِنَّ فِي (النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ) وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّهَا

---

[٣٤١] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٤\ ٢٦٥).

[٣٤٢] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٩\ ٤٣١).

الْأُنْثَى؛ وَلِذَلِكَ أَنَّثَهَا حَيْثُ وَرَدَتْ، وَذَكَّرَ زَوْجَهَا الَّذِي خُلِقَ مِنْهَا.. فَقَالَ: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) ٧الأعراف:١٨٩، وَخَلْقُ زَوْجِهَا مِنْهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا ذَاتِهَا وَأَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِهَا (البشري)..، أَفْرَادُهَا زَوْجَيْنِ..، كَأَنَّهُ قِيلَ: مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَنْشَأَهَا وَابْتَدَأَهَا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا..، (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) ٤النساء:١؛ أَقُولُ: وَفِيهِ اكْتِفَاءٌ؛ أَيْ: وَنِسَاءً كَثِيرًا..، نَكَّرَ (رِجَالًا)؛ (وَنِسَاءً) وَأَكَّدَ هَذَا بِقَوْلِهِ: (كَثِيرًا)؛ إِشَارَةً إِلَى.. أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالتَّثْنِيَةِ فِي قَوْلِهِ: (مِنْهُمَا) آدَمَ وَحَوَّاءَ بَلْ كُلَّ زَوْجَيْنِ..، يَقُولُ: إِنَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَهَذَا إِجْمَالٌ فَصَّلَهُ بِبَيَانِ كَوْنِهِ خَلَقَ مِنْ جِنْسِ تِلْكَ النَّفْسِ زَوْجًا لَهَا وَجَعَلَ النَّسْلَ مِنَ الزَّوْجَيْنِ كِلَيْهِمَا؛ فَجَمِيعُ سَلَائِلِ الْبَشَرِ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ زَوْجَيْنِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى..، وورد التعبير عن جعل الزوج من النفس الواحدة بلفظ: ثم؛ لإفادة) التَّرْتِيبَ..: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ٣٩الزمر:٦..، فَكَوْنُهُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ لَا يُنَافِي كَوْنَ هَذَا الْجِنْسِ (البشري) خُلِقَ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى..، وَأَيْضًا فَلَمَّا ثَبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ كَانَ قَادِرًا أَيْضًا عَلَى خَلْقِ حَوَّاءَ مِنَ التُّرَابِ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي خَلْقِهَا مِنْ ضِلْعٍ مِنْ أَضْلَاعِ آدَمَ!"[٣٤٣].

وقال أبو زهرة: "(يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ).. عموم الخطاب لمن يعقلون..، فكلمة الناس تشمل كل بني الإنسان..، فهو يثبت أن الأصل هو (نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) كلهم يرجعون إليها..، وهذا النص يشبه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ٤٩الحجرات:١٣، بيد أن النص الذي نتحدث عنه يُثبت أن الذكر والأنثى من طبيعة واحدة..، نبههم سبحانه وتعالى إلى.. وحدة التكوين الإنساني، فالكل ينتهي إلى نفس واحدة هي الجنس العام الجامع..؛ صنوانًا مُفرعة من أرومة واحدة..، وقد ذكر هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ٧الأعراف:١٨٩..، والمُراد خَلَقَ كل واحد منكم من نفس واحدة؛ وجَعَلَ من جنسها زوجها إنسانا يُساويها في الإنسانية..، وإن كثيرين من المُفسرين قالوا إن المراد من جنسها أي من طبيعتها..، مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ٣٠الروم:٢١، ومثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ ١٦النحل:٧٢، وقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ ٤٢الشورى:١١..، يدل (هذا) الكلام على أن طبيعة المرأة من طبيعة الرجل"[٣٤٤].

وقال سيد قطب: "(نَفْسٍ وَاحِدَةٍ): ذات طبيعة واحدة، وذات خصائص واحدة؛ خصائص تميزها عن بقية الخلائق، كما أنها تجمع كل أفرادها في إطار تلك الخصائص، فالنفس الإنسانية واحدة في جميع الملايين المنبثين في الأرض في جميع الأجيال وفي جميع البقاع؛ وزوجها كذلك منها، فالمرأة تلتقي مع الرجل في عموم الخصائص البشرية رغم كل اختلاف في تفصيلات هذه الخصائص؛ مما يشي بوحدة التصميم الأساسي لهذا الكائن البشري: الذكر والأنثى، ووحدة الإرادة المبدعة لهذه النفس الواحدة بشقيها، وعند الإشارة إلى خاصية الزوجية في النفس البشرية ترد الإشارة إلى هذه الخاصية في الأنعام كذلك؛ مما يشي بوحدة القاعدة في الأحياء جميعا: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) ٣٩الزمر:٦، والأنعام الثمانية.. هي الضأن والمعز والبقر والإبل؛ من كُلّ: ذكر وأنثى..، فهي ثمانية في مجموعها..، والتعبير يُعبر عن.. وحدة خاصية الزوجية في الناس والأنعام.. (ويبين نشأتها خلال) مراحل الخلق للأجنة في بطون أمهاتها: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ)؛ من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام إلى الخلق الواضح فيه عنصر البشرية"[٣٤٥]؛ وكلها مراحل تسبق اتضاح جنس الجنين؛ أهو ذكر أم أنثى.

[٣٤٣] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٤\ ٢٧٠).

[٣٤٤] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (٣\ ١٥٧٣).

[٣٤٥] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي؛ في ظلال القرآن، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السابعة عشر؛ ١٤١٢هـ (٥\ ٣٠٣٩).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Embryology

علم الأجنة

المَوْضُوع Subject

Embryo Sex Differentiation

تميز جنين الجنين

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ٣٩الزمر:٦.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ ١٦النحل:٧٢.
- ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ ٤٢الشورى:١١.
- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ٦الأنعام:٩٨.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ٤النساء:١.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ٣٥فاطر:١١.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٣٩.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ٤٩الحجرات:١٣،
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:٢.
- ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ ٣٣الأحزاب:١٩.
- ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ٣١لقمان:٢٨.
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ٦٢الجمعة:٥.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ٣٠الروم:٢١.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ ١٦النحل:٧٢.
- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٩.
- ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ١٩مريم:٦٦.
- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ٣آل عمران:١٦٤.
- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ٩التوبة:١٢٨.
- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ٨٠عبس:١٧.
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ١٠٣العصر:٢.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٩و١٩٠.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٩.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ. وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٨و٩٩.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾، ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾، ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾، ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾، ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And, He is the One Who sends down water (rain) **from** (the clouds in) **the sky** (atmosphere)**; whereby We produce** (seedling of) **all kinds of plants. Then, out of which We produce a Green Material** (the Chlorophyll in the green foliage)**, from that** (material) **We produce** (many crops such as) **the thick-clustered grain** (as the ear of wheat)**, palm trees with hanging clusters, and gardens of grapes, olives and pomegranate; each similar** (in kind)**, yet dissimilar** (in variety and taste)**. Note their fruits as they grow and ripen. Verily these are signs for people who believe.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في سياق بيان أطوار الإنبات؛ جُعِلَ صبغ أخضر أساس الثمار: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٩، والمعلوم حاليًّا أن صبغ اليخضور أو الكلوروفيل Chlorophyll الموجود كحبيبات في الأوراق الخضراء؛ هو بالفعل أساس بناء الثمار خلال عملية التمثيل الضوئي Photosynthesis، وخلال عملية التمثيل الضوئي تتكون المواد السكرية البسيطة كالجلوكوز وكل المواد البنائية المعقدة كالنشويات والبروتينات والدهون التي يتكون منها جسم النبات، وهذه المواد هي أيضًا أساس سلسلة غذاء الإنسان والحيوان، وكلمة الكلوروفيل (أي اليخضور) يونانية الأصل مشتقة من كلمة كلوروس Chloros وتعني أخضر وفيلون Phyllon وتعني ورقة؛ وهو نفس معنى الخضاب (خَضِرًا) في ورقة النبات، ففي الآية الكريمة؛ أقرب مذكور يسبق الضمير في التعبير: (نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا)؛ هو (خَضِرًا) ؛ فيعني أن الخضاب الأخضر الناشئ عقب عملية الإنبات هو المسئول عن تكوين الثمار، وهي حقيقة يستحيل أن يعرفها بشر زمن النبوة!.

وفي القرآن وعلوم الأرض: "لأشعة الشمس تأثير على الحياة من خلال تكوين مادة اليخضور (الكلوروفيل)، فتنتقل طاقة الشمس إلى جسم النبات بعملية التمثيل الضوئي، إذ تمتص خلاياه المحتوية على المادة الخضراء في النبات الكلوروفيل ثاني أكسيد الكربون من الجو، وبتفاعل هذا الغاز مع الماء الذي يمتصه النبات تنتج المواد الكربوهيدراتية بتأثير الطاقة المستمدة من ضوء الشمس، ومن ثم يتكون الخشب.. ومن هذا الخشب يتكون الفحم النباتي المستعمل في الوقود، إذ بإحراق هذا الفحم تنطلق الطاقة المدخرة فيه، وما الفحم الحجري (والبترول) إلا نباتات وأشجار نشأت ونمت ثم دفنت..، وتحولت بالتحلل الجزئي على مدى ملايين السنين إلى الفحم الحجري تحت تأثير فعل العوامل الجيولوجية"[٣٤٦].

[٣٤٦] محمد سميح عافية؛ القرآن وعلوم الأرض، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م (ص١٣٥).

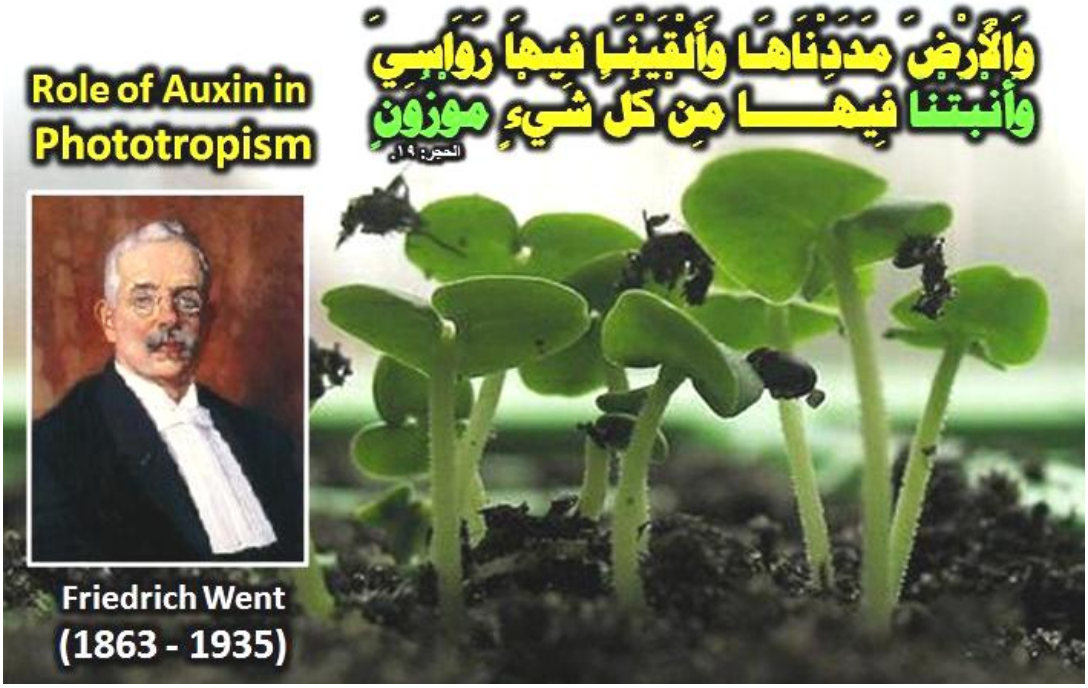

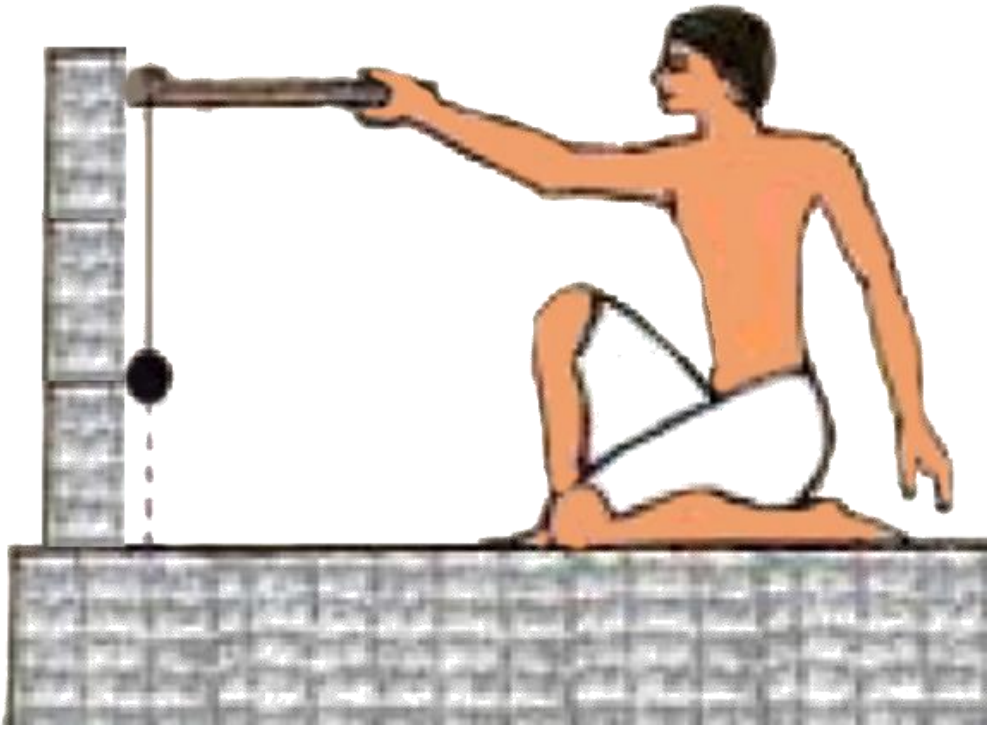

وتبدأ عملية الإنبات Germination مع تشرب البذرة المدفونة في التربة للماء فتنتفخ وينشق غلافها ويبدأ جنين النبات بداخلها في النمو لينبثق جذر أولي غض يتجه للأسفل ليتشبث بالتربة طلبًا للماء والغذاء؛ بينما تنبثق ساق أولية غضة تتجه للأعلى طلبًا للضوء والهواء، وتسمى النبتة حينئذٍ بادرة، وكانت آلية توجه الجذر للأسفل والساق للأعلى مجهولة حتى النصف الأول من القرن العشرين عندما اكتشف فريدرخ وينت Friedrich Went دور هرمون الأوكسين Auxin في انتحاء النامية للأعلى عكس الجاذبية والجذر للأسفل ليصبح النبات قائمًا وموزونًا؛ ويخص القرآن الظاهرة بعملية الإنبات للبادرة اللينة: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ ١٥الحجر:١٩، والأنسب للمقام حمل التشبيه على ميزان البناء لا الأثقال؛ لبيان نمو البادرة اللينة بلا علم منها باستقامة ضد الجاذبية، وهو حال البادرة حين الإنبات حيث تنمو باستقامة وكأنها على علم بقوانين الفيزياء؛ ولا يصلح للتشبيه إلا ميزان البناء.

وكلمة (وَأَنْبَتْنَا) تجعل الوصف (مَوْزُونٍ) حين الإنبات، وهو يعني قائم باستقامة، وهذا هو حال البادرة اللينة القائمة باستقامة بتقدير الله تعالى كأن النبات موزون بميزان البناء، قال القيرواني: "{وَأَنْبَتْنَا فِيهَا} أي في الأرض، {مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ}.. قال مجاهد: مُقَدَّر.. كَأَنَّهُ مَوْزُون"[٣٤٧]، وقال النحاس: "عن ابن عباس (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال أي معلوم (التقدير)، وكذلك.. قال أبو صالح وعكرمة أي مقدور، وقال مجاهد أي مقدر بقدر؛ معناه مُقدر.. فكأنه موزون، وقيل أراد بموزون ما يُوْزَن (بالميزان)"[٣٤٨]، وقال محمد الخطيب: "موزون بميزان التقدير.. أو.. مما يُوزن"[٣٤٩]، والمعنى إذن أن النبات يكون في حالة إنباته كبادرة لينة قائمًا باستقامة كما لو كان موزونًا بميزان البناء عكس جاذبية الأرض.

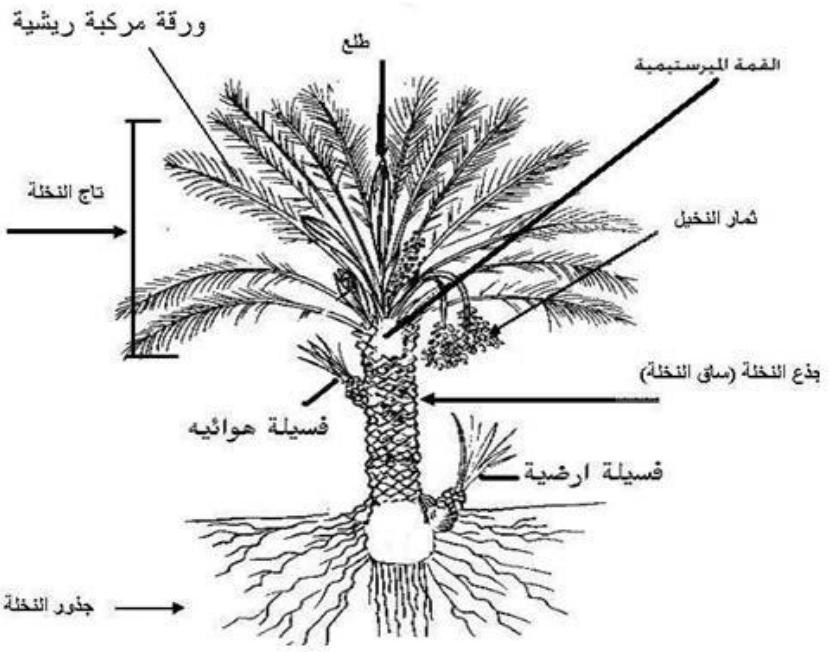

وتبدو النخلة خشنة جافة؛ إلا أن أعلاها غض لين ينبثق منه التاج مصدر كل الأجزاء والحامل للأوراق والثمار، ويُسمى القمة الميرستيمية، وإذا قُطِع ماتت النخلة كما لو قُطع أصل الجذور، والبادرة الطرية اللينة المُقَدَّرَة للنمو رأسيًّا تنبثق من براعم قمة النخلة؛ ومن الفسائل التي قد تكون هوائية تنبع من الجذع أو أرضية تنبع من قاعدة النخلة أو أصولها إذا كانت صنوان مشتركة الأصول، فالنخلة قد تكون مفردة غير صنوان إذا كانت نتيجة زرع فسيلة واحدة؛ وقد يتضاعف إثمارها إذا نمت من فسائلها نخلات بجانبها وأصبحت الأصول مشتركة، وقطع القمة النَّامِيَة اللَّيِّنَة أو اللِّينَة يُهلك النخلة حتى بدون قطع الجذور؛ وكذلك قطع الفسائل اللَّيْنِةَ، فاللَّيِّنَة إذن هي أساس نمو النخلة وموضع إهلاكها.

---

[٣٤٧] أبو محمد مكي حَمّوش القيرواني؛ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، جامعة الشارقة، أ. د: الشاهد البوشيخي؛ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م (١٦\ ٣٨٧٣).

[٣٤٨] أبو جعفر النحاس؛ معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى؛ ١٤٠٩هـ (١٤\ ١٧).

[٣٤٩] محمد بن محمد عبد اللطيف بن الخطيب؛ أوضح التفاسير، المطبعة المصرية، الطبعة السادسة، ١٣٨٣هـ - فبراير ١٩٦٤م (١\ ٣١٣).

أشجار نخيل أصابت قممها اللينة آفة تُسمى سوسة النخيل أدت إلى هلاكها الجماعي.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ ٥٩الحشر:٥؛ عَدَلَ النظم عن كلمة (نخلة) إلى (لِينَةٍ)؛ وهي تتفق مع أنها القمة اللينة النامية أو الفسيلة الطرية موضع النمو والأصل، أما كلمة (قَائِمَةً) أي باستقامة فهي قرينة تُدَعم وصف النبات بأنه موزون على الاستقامة؛ كأنه موزون بميزان البناء،

وفي التعبير: (أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) عَدَلَ النظم إلى الجمع (أُصُولِهَا)، والنخلة نتاج زرع فسيلة أصلها الجذري واحد؛ والتي نمت فسائلها لنخلات جانبها صنوان أقرباء مشتركة الأصول، قال ابن كثير: "الصِّنْوَانُ هِيَ الْأُصُولُ الْمُجْتَمِعَةُ فِي مَنْبَتٍ وَاحِدٍ.. وَغَيْرُ الصِّنْوَانِ مَا كَانَ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ.. وَمِنْهُ سُمِّيَ عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ"[٣٥٠]، والصنوان مضاعف الثمر، فكأن التعبير حث على عدم قطع النخيل حتى ولو كان مجرد فسيلة من نخيل صنوان مشترك الأصول؛ خاصة أن الأداة (أَوْ) قد لا ترد للتخيير وإنما للترجيح؛ قال ابن عاشور: "فيه إيماء إلى أن ترك القطع أولى"[٣٥١]، وفي التعبير دفع لاتهام اليهود للمسلمين بالإفساد؛ ورفع للتأثم عمن قطع بعضها خلال حصار حصون يهود بني النضير، فأذن الله تعالى فيما قطعوه؛ حيث كان من دواعي الحرب وليس للإفساد فأبطل زعم اليهود، والوصف بكلمة لينة الأخص بالقمة والفسيلة وبأنها قائمة؛ تأكيد لنموها باستقامة كميزان البناء بعكس الأجزاء اليابسة.

---

[٣٥٠] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٤\ ٤٣١).

[٣٥١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٨\ ٧٧).

ومن الشواهد على أن قلب النخلة في قمتها اللينة الذي ينمو وحده باستقامة؛ هو أن النخلة إذا أميلت وهي صغيرة حين نموها حتى تيبست، فستبقى مائلة وستظل قمتها اللينة النامية وحدها متجهة باستقامة نحو العلاء بالأوراق الخضراء، وحتى إذا قطع جذرها وكان جذعها متصلاً بالتربة والماء؛ فستظل قمتها النامية الخضراء متجهة نحو العلاء.

وفي البذرة غذاء مخزون يكفي البادرة لتتكون؛ وحالما تكتسب الأوراق اللون الأخضر تبدأ بتصنيع الغذاء بنفسها، ولم تُعرف الآلية إلا حديثًا، في عام ١٨٠٤ نشر دي سواسير أن هناك نوعين من التبادل الغازي في النبات، أحدهما في الضوء والآخر في الظلام، وأن الأجزاء الخضراء في وجود الضوء تمتص ثاني أكسيد الكربون وتُطلق الأوكسجين.

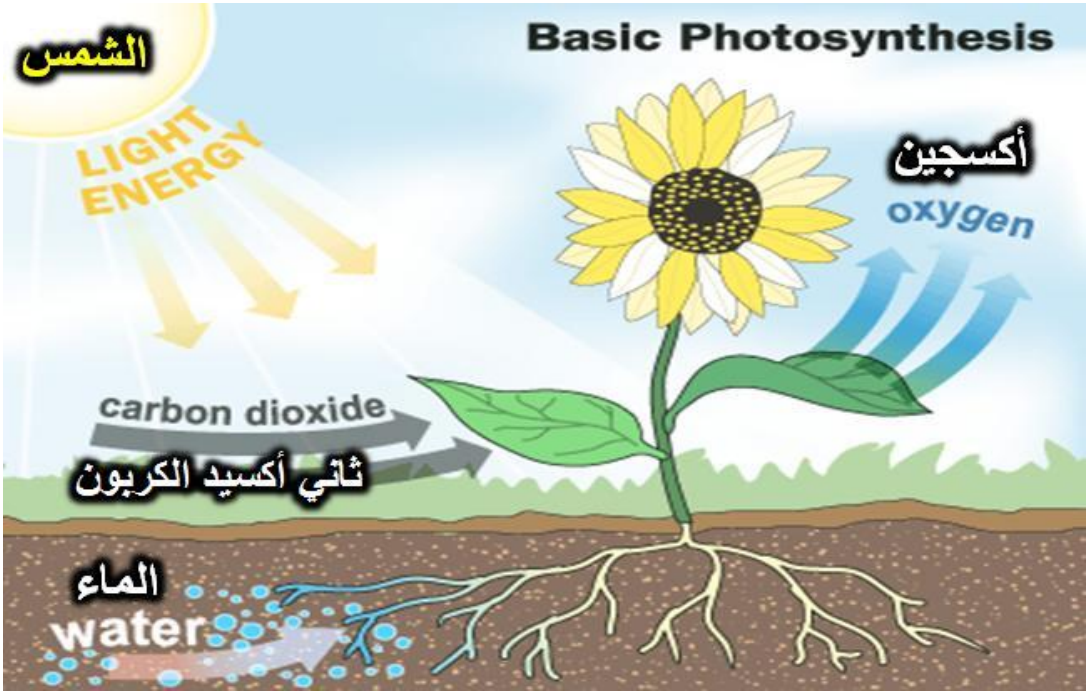

وفي عام ١٩٤٢م قال ماير: إن المصدر النهائي للطاقة المُستخدمة في كل من النبات والحيوان هي الشمس؛ فإن الطاقة الضوئية التي تصدرها الشمس تتحول إلى طاقة كيماوية عندما تمتصها النباتات في عملية التمثيل الضوئي.

وفي عام ١٩٦١ قال جلاس إن المركب الأكثر أهمية في تحويل الطاقة الضوئية إلى طاقة كيميائية لإنتاج كافة الثمار وتصنيع الغذاء هو الصبغة الخضراء؛ والتي توجد داخل حوافظ في الأوراق الخضراء للنباتات تُسمى البلاستيدات.

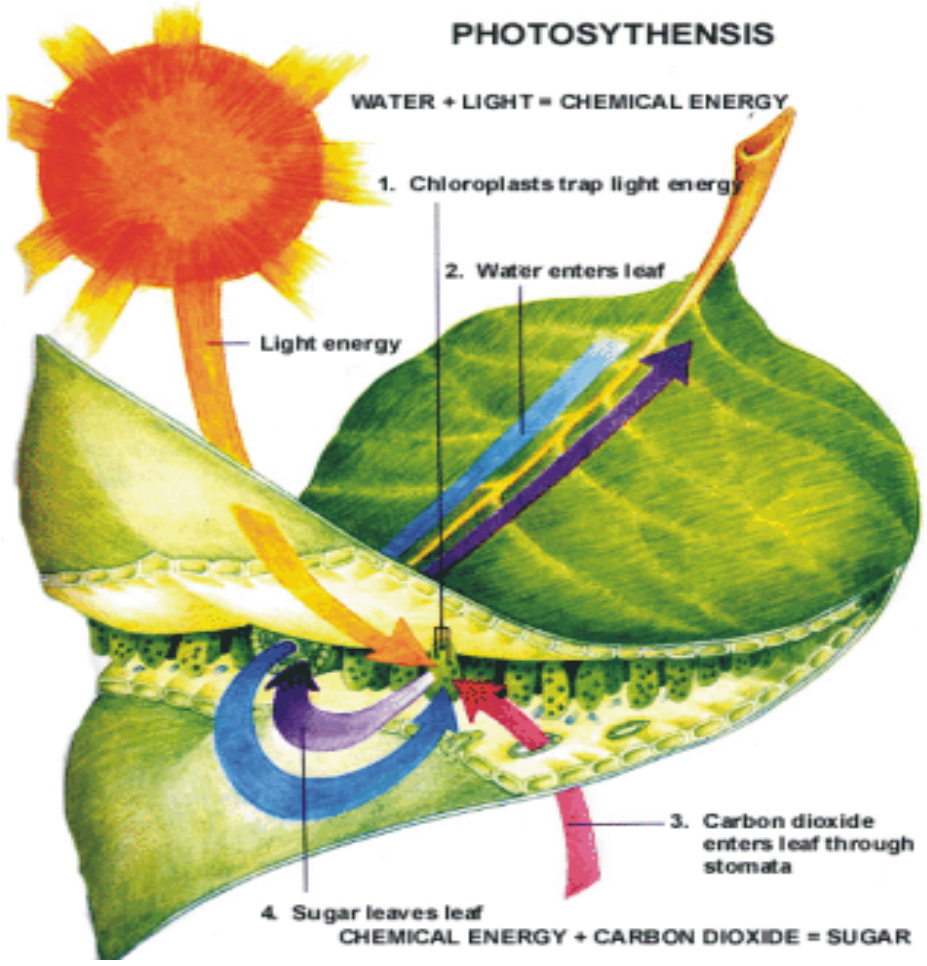

الحقيقة العلمية إذن والمكتشفة حديثا تخبر بأن أوراق النبات الخضراء بها مادة خضراء هي مصانع الثمار والغذاء، فعن طريق تلك المادة الخضراء التي تسمى كلوروفيل؛ تصنع ورقة النبات الغذاء خلال عملية تسمى بالتمثيل الضوئي بتحويل الماء وثاني أكسيد الكربون مع إشعاع الشمس إلى مواد عضوية تتجلى في إنتاج مختلف أنواع الحبوب والثمار.

وفي الموسوعة العربية العالمية: "التركيب الضوئي: عملية إنتاج الطعام التي تحدث في النباتات الخضراء وهي الوظيفة الأساسية لأوراق النباتات؛ (حيث) تستخدم النباتات الخضراء الطاقة من الضوء، لتركيب ثاني أكسيد الكربون مع الماء، لصنع السكر، والمركبات الكيميائية الأخرى. وكل طعامنا يأتي من هذا النشاط الهام المتمثل في تحويل الطاقة في النباتات الخضراء. وفي هذه العملية يتم تحويل طاقة الضوء إلى طاقة كيميائية تخزن في الطعام الذي تنتجه النباتات الخضراء، وتأكل الحيوانات النباتات، ونأكل نحن المنتجات الحيوانية وكذلك النباتات. يمتص خِضَابْ أخضر يسمى اليَخضُوْر (الكلوروفيل) الضوء المستخدم في التركيب الضوئي، وتحتوي كل خلية إنتاج طعام في ورقة النبات على اليَخضُوْر في جسيمات صغيرة تسمى حبيبات اليَخضُوْر، وفي حبيبات اليَخضُوْر تتسبب طاقة الضوء في تفتيت الماء المسحوب من التربة وتحويله إلى هيدروجين وأكسجين في سلسلة من الخطوات المعقدة، ويمتزج الهيدروجين مع ثاني أكسيد الكربون الموجود في الهواء، مكونين سكراً بسيطاً. ويتم إطلاق الأكسجين من جزئيات الماء أثناء العملية. ومن السكر، بالإضافة إلى النيتروجين، والكبريت، والفوسفور، من التربة، يمكن للنباتات الخضراء أن تُنتج النشا، والدهن، والبروتين والفيتامينات ومركبات معقدة أخرى ضرورية للحياة، ويوفر التركيب الضوئي الطاقة الكيميائية المطلوبة لإنتاج هذه المركبات، وهناك أنواع من البكتيريا والطحالب يمكنها أن تحفظ طاقة الضوء وتستعملها لصنع الطعام، تحتوي بكتيريا التركيب الضوئي على سبيل المثال؛ على اليخضور في جسيمات دقيقة تسمى الخلايا الملونة، وفي هذه الخلايا تتحد مركبات غير الماء بثاني أكسيد الكربون لتكوّن سكرًا، ولا ينطلق عن هذا غاز الأكسجين، وتحوِّل النباتات الخضراء ثاني أكسيد الكربون والماء إلى غذاء وأكسجين، وتحرق النباتات والحيوانات الطعام بتوحيده مع الأكسجين لإطلاق الطاقة للنمو وغيره من النشاطات، هذه العملية التي تدعى التنفس هي عكس التركيب الضوئي، فالأكسجين يُستهلك وينتج ثاني أكسيد الكربون والماء، ثم تستخدم النباتات ثاني أكسيد الكربون مع الماء لإعطائنا طعامًا أكثر وأكسجين، وتحافظ دورة عملية التركيب الضوئي والتنفس على التوازن الطبيعي في الأرض لثاني أكسيد الكربون والأكسجين"[٣٥٢].

٣٥٢ الموسوعة العربية العالمية؛ عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International، شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم ومؤلف ومترجم ومحرر ومراجع علمي ولغوي ومخرج فني ومستشار ومؤسسة من جميع البلاد العربية.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ٣٦يس:٨٠؛ تصريح بأن الشجر الأخضر خاصة يختزن طاقة تُستخدم كوقود؛ والبترول والفحم وقود كالحطب في البادية ناتج عن تحلل شجر مطمور.

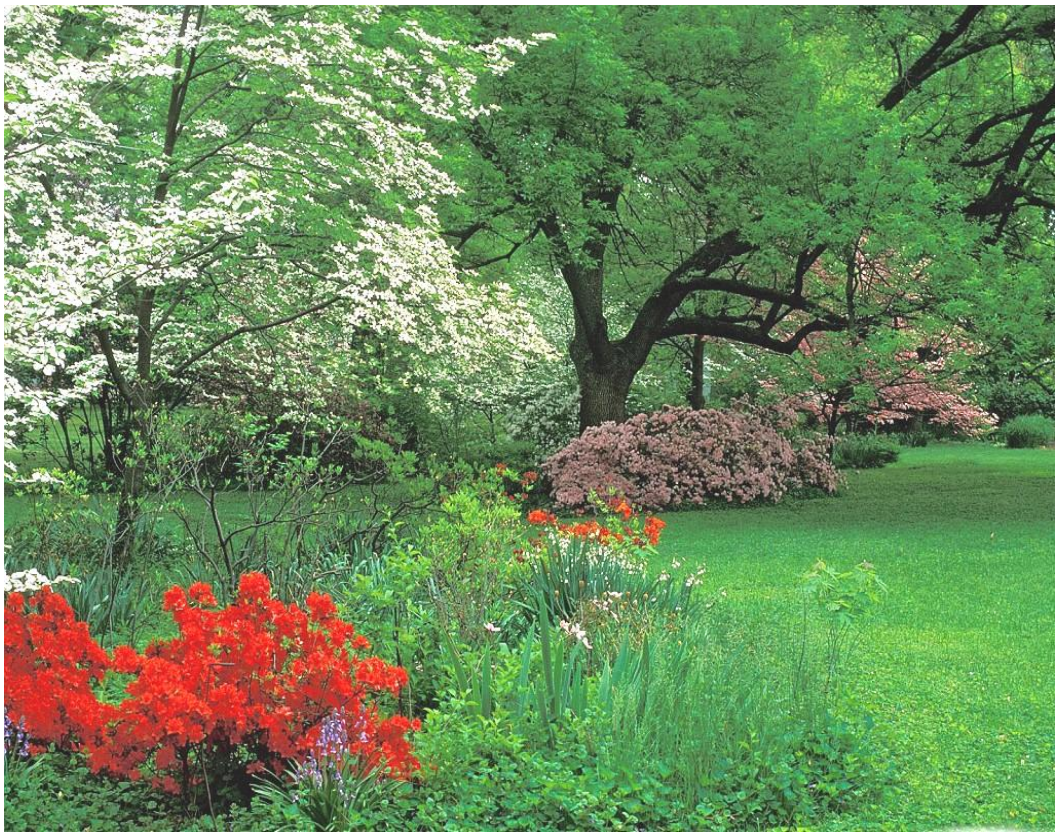

الصبغ الأخضر إذن هو مصنع الثمار وغذاء الإنسان ومواشيه ومصدر الوقود والبهجة في النظر، والعبرة أن التقدير ينطق بالقصد وقدرة القدير؛ ويُوجب على الفطين الانتباه للمصير والاستعداد ليوم الرحيل: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ. وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ٥٠ق:٧-١١.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٦الأنعام:١٤١؛ بيان بنعمة تنوع الثمار إلى حد أن النوع الواحد قد يتشابه في وجه مع نوع آخر يشبهه ولا يتشابه في وجوه أخرى كالطعم واللون والرائحة والحجم؛ فناسب بيان التنوع الوصف: (مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ)، ونظيره: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٩؛ وفيه ترتيب للمراحل وتفصيل وتصريح بدور صبغ الخضر في عملية الإثمار وإنتاج تنوعات لا حصر لها من الأرزاق؛ فناسبه إضافة أنواع كالحبوب واستغراق في بيان النعمة، فكثرة الحب ناسبها الوصف (مُتَرَاكِبًا)، والعناقيد الحاملة للتمر ناسبها الوصف (وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ)؛ وبالفعل من أنواع النخيل ثمر في متناول اليد، والمبالغة في بيان كثرة الأنواع وشدة التنوع بلغت حد الاشتباه في تعيين الفروق في بعض الحالات مع إمكان تمييز الأنواع في حالات أخرى فناسبه الوصف (مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ).

وفي المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة: "الإشعاع الشمسي هو مصدر الحرارة والضوء، والضوء شرط أساسي لنمو معظم النباتات الطبيعية، وتعد أشعة الشمس أحد العوامل الرئيسية ذات التأثير المباشر في النباتات الطبيعية، إذ إن الأوراق والأنسجة الخضراء تعتمد على طاقة الشمس في تحويل المواد التي تستخلصها جذور النبات من التربة إلى مواد كربوهيدراتية، وتعرف عملية التحويل هذه بعملية التمثيل الضوئي..، قدر الله سبحانه وتعالى أن تعتمد النباتات وكذا الإنسان والحيوانات في غذائها على ما ينتجه النبات في مصانعه الخضراء، وهذه المصانع الخضراء يخرجها النبات بأمر ربه عند بداية نموه وتسمى في كتب العلوم النباتية البلاستيدات الخضراء والتي تحتوي على الكلوروفيل الذي عبّر عنه القرآن بالخضر، حيث يقوم بالاستفادة من الطاقة الضوئية ويحولها إلى طاقة كيمائية ينتج عنها تكوين الحبوب والثمار المختلفة وسائر أجزاء النبات التي نراها في الحدائق والبساتين، ويدلنا القرآن على هذه الحقائق في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) الأنعام:٩٩..، (فَأَخْرَجْنا مِنْهُ): أي من الماء؛ وقيل من النبات، (خَضِراً): أي شيئا غضّا أخضر، (نُخْرِجُ مِنْهُ): أي من الخضر، (حَبًّا مُتَراكِباً): أي بعضه على بعض، (وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها) الطلع: غلاف يشبه الكوز ينفتح عن حبّ منضود فيه مادة إخصاب النخلة، (قِنْوانٌ): جمع قنو وهو العذق الذي هو عنقود النخل، (وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ): أي وأخرجنا جنات من أعناب، (والزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ)؛ (مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ): متشبها ورقها مختلفا ثمرها، وقيل متشابه في المنظر مختلف في المطعم، (انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ): أي انظروا بأعينكم نظر اعتبار لا نظر الإبصار المجرد عن التفكير، ونبه على حالين: بالابتداء وهو وقت ابتداء الإثمار، والانتهاء وهو وقت نضجه، أي كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وكيف يعود نضيجا مشتملا على منافع، والثمر في اللغة: جني الشجر، (وَيَنْعِهِ): نضجه؛ يقال: ينع وأينع إذا نضج..، إذًا فهذه المصانع الخضراء تخرج من النبات عند بدء نموه، والنبات يخرجه الماء من بذوره وأصوله، فالله سبحانه وتعالى أنزل من السماء ماء فأخرج به نبات كل شيء وأخرج من النبات هذه المصانع الخضراء التي منها تخرج المواد الغذائية التي تتكون منها الحبوب والثمار؛ بل وسائر أجزاء النبات"[٣٥٣].

[٣٥٣] محمد محمود محمدين وطه عثمان الفراء؛ المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، دار المريخ، الطبعة الرابعة (ص٣٠٤).

أما قوله تعالى: (انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)، فكلمة (يَنْعِهِ) تصف الحالة إذا أينع الثمر وطاب للقُطاف؛ تنويهًا لجمال النباتات الخضراء وبهجة النظر؛ خاصة حين ينضج الثمر ويتهيأ للآكلين، واللون المقارب إلى لون أوراق الشجر يظل محتكرا حث الشعور على الراحة والاسترخاء والابتهاج، ومن الطريف أن تغيير لون أحد جسور لندن المشهور بكثرة الانتحار من اللون الأغبر للأخضر قد سد شهية معظم المنتحرين، والنص يشير أيضًا إلى أنها عمليات مُقَدَّرَة في المورثات تتكرر كالإنبات؛ بينما الصدفة عابرة لا تتكرر بانتظام ولا تصنع ثمارًا ناضجة للآكلين على الدوام.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال جوهري: "(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ) بالماء، (نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) أي نبت كل صنف من النبات..، (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ) من النبات (خَضِرًا) شيئا أخضر؛ يقال أخضر وخضر..، (نُخْرِجُ مِنْهُ) من الخضر، (حَبًّا مُتَرَاكِبًا).. المسمى بالكوز في الذرة وكسنبل القمح، (وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ).. أي قريبة من المتناول كائنة من طلع النخل، وقوله (وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ).. (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ).. أي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الطعم واللون والقدر (الحجم) والهيئة، وترى ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرها مختلف، (انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ) أي إذا أخرج ثمره كيف يختلف زهره ولونه وأوقات طواف الحشرات على الزهرات وكيف يختلف نوع النبات باختلاف الأزهار.. (وَيَنْعِهِ) أي نضجه.. (إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) والآيات أي العلامات للمؤمنين في هذا المقام لا حصر لها؛ فهي علم النبات، وما كشفه الكاشفون وما درسه الدارسون"[٣٥٤].

وفي منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: "الآية الكريمة.. توضح معنى علميا وهو أن الماء ينبت البذور؛ فتخرج أجنة النبات من دور الركود، وتخصص أجزاء منه للأوراق في إنتاج المادة الخضراء، وهى اللازمة لتكوين المادة الغذائية داخل عروق النبات؛ فتتكون البذور والثمار.. فالجذير يمتص الماء وما فيه من أملاح ذائبة في الأرض، والوريقات الخضر تقوم بعمليتي التنفس والتمثيل الخضري، وتعرف هذه العملية بالتمثيل الكربوني؛ يدخل ثاني أكسيد الكربون من الجو إلى النبات عن طريق الثغور، فيقابل المادة الخضراء والماء، وتتكون من الكربون مواد الغذاء بفعل الحرارة والضوء..، وجود المادة الخضراء والماء والحرارة، ينتج عنها تغييرات تنتهي بتكوين المواد الغذائية، ولا يتم إلا في الضوء، ولذا فهي تسمى أيضا بالتمثيل الضوئي، ولا يُمكن لأي تركيبات أو أجهزة أن تقوم بمثل ما تقوم به ورقة خضراء في أي نبات. والمادة الخضراء .. هي ما أشارت إليه الآية الكريمة بكلمة {خَضِراً}، وإخراج هذا (الخَضِر) أي المادة الخضراء يأتي بعد إخراج النبات من الماء..، إخراج الحب والثمر المتباين والمختلف حجما وشكلا، بين قمح وعنب ورمان وزيتون ... الخ. قال تعالى: {نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ}، والحبّ المتراكب كالسنابل وأمثالها، والقنوان جمع (قنو)، وهو الفرع الصغير، وفي النخلة هو العذق الذي يحمل الثمر..، {انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ} .. لا يقول هنا: كلوا من ثمره إذا أثمر، ولكن يقول: {انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ}، لأن المجال هنا جمال وإمتاع؛ كما أنه مجال تدبر في آيات الله وبدائع صنعته"[٣٥٥].

وقال القاسمي: "(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً) أي: من السحاب، لقوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ) الواقعة:٦٨-٦٩، وسمي السحاب سماء؛ لأن العرب تسمي كل ما علا سماء، (فَأَخْرَجْنا بِهِ) التفت إلى التكلم إظهارا لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله أي: فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء، مع وحدته، (نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ) أي صنف من أصناف النبات والثمار المختلفة الطعوم والألوان، كقوله تعالى: (يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) الرعد:٤، (فَأَخْرَجْنا مِنْهُ) أي من النبات؛ يعني أصوله (خَضِراً) أي: شيئا غضّا أخضر، يُقال: أخضر وخَضِر..، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة..، أي نخرج من ذلك الخضر (حَبًّا مُتَراكِباً)؛ أي متراكما بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والأرز"[٣٥٦].

---

[٣٥٤] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤ ٨١).

[٣٥٥] حامد صادق قنيبي؛ مملكة النبات كما يعرضها القرآن ويصفها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الحادية عشر - العدد الثالث - ربيع الأول ١٣٩٩هـ (ص١١١)، والإحالة إلى: عبد الرزاق نوفل، الله والعلم الحديث، الناشرون العرب القاهرة؛ ١٩٧١م (ص٤٧٥).

[٣٥٦] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٤ ٤٤٤).

وقال الرازي: "قَوْلُهُ: (فَأَخْرَجْنَا) صِيغَةُ الْجَمْعِ، واللَّهِ وَاحِدٌ فَرْدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَّا أَنَّ الْمَلِكَ الْعَظِيمَ إِذَا كَنَّى عَنْ نَفْسِهِ فَإِنَّمَا يُكَنِّي بِصِيغَةِ الْجَمْعِ..، وَنَظِيرُهُ..: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) الدخان:٣، (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً) نوح:١، (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) الحجر:٩، أَمَّا قَوْلُهُ: (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً)؛ فَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَى خَضِرٍ كَمَعْنَى أَخْضَرَ، يُقَالُ اخْضَرَّ فَهُوَ أَخْضَرُ وَخَضِرٌ"[٣٥٧]، وفي رسائل كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض: "تُعرف جميع النباتات الخضراء بأنها ذاتية التغذية؛ حيث تحتوي على يخضور (كلوروفيل)، يُمَكِّنُهَا من اقتناص ضوء الشمس واستخدامه في إنتاج الغذاء والمواد الأخرى التي تحتاج إليها في النمو، وتعرف الأنواع الأخرى من النباتات (غير الخضراء) بأنها غير ذاتية التغذية، وتفتقر إلى اليخضور (الكلوروفيل) ولا تستطيع إنتاج غذائها؛ وقد تكون متطفلة أو رمّية"[٣٥٨].

وقال ابن عاشور: "وَ(مِنْ) فِي قَوْلِهِ: (مِنَ السَّماءِ) ابْتِدَائِيَّةٌ لِأَنَّ مَاءَ الْمَطَرِ يَتَكَوَّنُ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ الْعُلْيَا الزَّمْهَرِيرِيَّةِ عِنْدَ تَصَاعُدِ الْبُخَارِ الْأَرْضِيِّ إِلَيْهَا؛ فَيَصِيرُ الْبُخَارُ كَثِيفًا وَهُوَ السَّحَابُ ثُمَّ يَسْتَحِيلُ مَاءً، فَالسَّمَاءُ اسْمٌ لِأَعْلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ حَيْثُ تَتَكَوَّنُ الْأَمْطَارُ..، (فَأَخْرَجْنا بِهِ) عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ؛ وَالْبَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ جَعَلَ اللَّهُ الْمَاءَ سَبَبًا لِخُرُوجِ النَّبَاتِ..، وَالْمَعْنَى: فَأَخْرَجْنَا بِالْمَاءِ مَا يَنْبُتُ مِنْ أَصْنَافِ النَّبْتِ..، وَهَذَا التَّعْمِيمُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا مُخْتَلِفَةُ الصِّفَاتِ وَالثَّمَرَاتِ وَالطَّبَائِعِ وَالْخُصُوصِيَّاتِ وَالْمَذَاقِ، وَهِيَ كُلُّهَا نَابِتَةٌ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ، وَذَلِكَ آيَةٌ عَلَى عِظَمِ الْقُدْرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣الرعد:٤، وَالْخَضِرُ: الشَّيْءُ الَّذِي لَوْنُهُ أَخْضَرُ، يُقَالُ: أَخْضَرُ وَخَضِرٌ.. وَالْقِنْوُ: عُرْجُونُ التَّمْرِ كَالْعُنْقُودِ لِلْعِنَبِ وَيُسَمَّى الْعِذْقَ..، وَالطَّلْعُ: وِعَاءُ عُرْجُونِ التَّمْرِ الَّذِي يَبْدُو فِي أَوَّلِ خُرُوجِهِ.. مُغْلَقًا عَلَى الْعُرْجُونِ..، و(دانِيَةٌ) قَرِيبَةٌ. وَالْمُرَادُ قَرِيبَةُ التَّنَاوُلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (قُطُوفُها دانِيَةٌ) الحاقة:٢٣،..، وَقَوْلُهُ: (مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ).. أَيْ بَعْضُهُ مُشْتَبَهٌ وَبَعْضُهُ غَيْرُ مُتَشَابِهٍ.. وَالتَّشَابُهُ: التَّمَاثُلُ فِي حَالَةٍ مَعَ الِاخْتِلَافِ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْأَحْوَالِ، أَيْ بَعْضُ شَجَرِهِ يُشْبِهُ بَعْضًا وَبَعْضُهُ لَا يُشْبِهُ بَعْضًا، أَوْ بَعْضُ ثَمَرِهِ يُشْبِهُ بَعْضًا وَبَعْضُهُ لَا يُشْبِهُ بَعْضًا، فَالتَّشَابُهُ مِمَّا تَقَارَبَ لَوْنُهُ أَوْ طَعْمُهُ أَوْ شَكْلُهُ مِمَّا يَتَطَلَّبُهُ النَّاسُ مِنْ أَحْوَالِهِ عَلَى اخْتِلَافِ أميالهم، وَعدم التَّشَابُهُ مَا اخْتَلَفَ بَعْضُهُ عَنِ الْبَعْضِ الْآخَرِ..، وَالْمَقْصُودُ مِنَ التَّقْيِيدِ بِهَذِهِ الْحَالِ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ بِالْقَصْدِ وَالِاخْتِيَارِ لَا بِالصُّدْفَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَ هَذِهِ الْحَالَ مِنْ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: (نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً)، فَإِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مُشْتَبَهٌ وَغَيْرُ مُتَشَابِهٍ..، وَجُمْلَةُ: (انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ) بَيَانٌ لِلْجُمَلِ الَّتِي قَبْلَهَا؛ الْمَقْصُودُ مِنْهَا الْوُصُولُ إِلَى مَعْرِفَةِ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ..، وَالْمَأْمُورُ بِهِ هُوَ نَظَرُ الِاسْتِبْصَارِ وَالِاعْتِبَارِ"[٣٥٩].

---

[٣٥٧] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١٣\ ٨٢).

[٣٥٨] عبد المجيد بن محمد الوعلان؛ الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة ماجستير إشراف أ. عبد الكريم بن محمد الحميدي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض؛ ١٤٣٢هـ-١٤٣٣هـ (ص٥٢٢).

[٣٥٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٧\ ٣٩٨).

وقال القماش: "من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالي خلق الحب والنوي والجنين.. يشغل حيزا ضيقا، أما باقي جسم الحبة أو النواة فيتكون من مواد مكتنزة غير حية، وعندما يتنبه الجنين ويبدأ في الإنبات تتحول هذه المواد المكتنزة إلي حالة صالحة لتغذية الجنين، ويبدأ في النمو، وتتكون الخلايا الحية حتى تنتقل الحبة النابتة من طور الإنبات إلي طور البادرة فيبدأ النبات في الاعتماد علي غذائه من الأملاح المذابة في ماء التربة التي يمتصها الجذير مع ما تكونه الأوراق الخضراء من مواد كربوايدراتية كالسكريات والنشويات في وجود ضوء الشمس، وعندما تتم دورة حياة النبات تتكون الثمار وبداخلها الحب أو النوي من جديد"[٣٦٠]، "والمتأمل لهذه الآية يجد نقطة مفصلية حاسمة؛ هذه النقطة هي حلقة الوصل بين نزول الماء وإخراج كل الثمرات..، ما أسماه الله في الآية (خضرا)، فهذا الخضر هو ما يسميه العلم الحديث الكلوروفيل..، وبالتأمل في الحقائق العلمية التي كشفها العلم الحديث عن الكلوروفيل نجد أنه بالفعل هو حلقة الوصل بين تجميع المواد الخام، الماء والهواء الذي يمثله غاز ثاني أكسيد الكربون والتراب.. و.. الطاقة الضوئية من الشمس، من ثم.. قيامها بصنع الحبوب والثمار والخضار والنخيل والزيتون والأعناب وغيرها التي ذكرت في الآية..، وبذلك يقوم الكوروفيل بصنع الكربوهيدرات والتي تعتبر اللبنة الأولى التي يصنع منها كل العناصر الغذائية..، (حيث) تقوم حبة القمح التي بدأت تتبرعم بامتصاص مزيد من العناصر الموجودة في التربة وتضيفها إلى الكربوهيدرات، فإذا امتصت أكسجين وإضافته للكربوهيدرات تشكل الدهون، وإذا امتصت نتروجين وأضافته للكربوهيدارت تشكل البروتين، وإذا أضافت فوسفوراً أو كبريتاً تشكل أنواعا مختلفة من البروتينات والدهون، ومن ثم بعد ذلك تشكل الفيتامينات والإنزيمات في عشبة القمح وسنابلها بنفس الطريقة"[٣٦١]، "وخلق الخلية الحية من عناصر الأرض الميتة هو أعظم صور إخراج الحي من الميت.. ومن صور ذلك أيضا قدرة الخالق المبدعة.. لتحويل عناصر الأرض وجزيئات الماء والهواء.. بتقدير من الله تعالي إلي مواد حية كما يحدث في عملية التمثيل الضوئي التي تقوم بها النباتات الخضراء فتأخذ عناصر الأرض والماء من التربة، وتأخذ ثاني أكسيد الكربون من الجو والطاقة من الشمس في وجود صبغة خضراء تعرف باسم اليخضور.. لتكوين الكربوهيدرات من مثل السكر والنشا.. وهي مواد.. تعد مكونات أساسية في بناء مختلف أجزاء النبات وفي طعام كل من الإنسان والحيوان"[٣٦٢].

وقال النابلسي: "كلُّ شيءٍ نأكله على نحوٍ مباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ؛ إنما أصْلُه مِن النباتِ الأخضرِ، فإذا أكلتَ اللحمَ؛ فاللحمُ نَبَتَ من العشبِ، فهذا الخروفُ أكَلَ العشبَ فَنَمَا جسمُه، فأكلتَ أنتَ لحمَه، فغذاؤُك على نحو مباشر وغير مباشر أساسُه النباتُ الأخضرُ، قال تعالى: {الذي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشجر الأخضر نَاراً فَإِذَآ أَنتُم مِّنْه تُوقِدُونَ} يس:٨٠، لقد حار العلماءُ في كلمةِ {الأخضر} هنا، كيف يكونُ الشجرُ أخضرَ وكيف يُجْعَل وقوداً؟ ولا يكون الشجرُ وقوداً إلا إذا كان يابساً، فلماذا قال تعالى: {مِّنَ الشجر الأخضر}؟ قال بعض العلماء: إن كلمةَ {الأخضر} إشارةٌ علميةٌ إلى أنَّ هذا الشجرَ ما كان له أنْ يكونَ شجراً لولا أوراقُه الخضراءُ، فالأوراقُ الخضراءُ أساسُ وجودِه بل إنَّ نموَّ النباتِ يعتمدُ على حادثةٍ اسمُها.. التمثيلُ الضوئيُّ، فلا نباتَ بلا ضوءٍ ولا نباتَ بلا شمسٍ ولا نباتَ بلا ماءٍ، فالماءُ والشمسُ وغازُ الفحمِ الذي أودعه اللهُ في الجوِّ هو سببُ نموِّ النباتِ، وما أوراقُ الأشجارِ إلا معاملُ تصنعُ موادَّ النباتِ الأساسيةَ والموادَّ العضويةَ"[٣٦٣]، و"يُقال إنَّ أعظمَ معملٍ صَنَعَه الإنسانُ؛ لا يرقَى إلى ما يجري داخلَ الورقةِ الخضراءِ، فماذا في الورقة؟ إنّ في الورقةِ مادةً اسمُها اليخضورُ؛ إذا تعرّضَتْ هذه المادةُ لأشِعَّةِ الشمسِ تَحَوَّلَتْ جزيئاتُ اليخضورِ إلى مُفاعلٍ حراريٍّ جبَّارٍ يقومُ بشطرِ جزيئاتِ الماءِ التي في الورقةِ، وإذا انشطرتْ جزيئاتُ الماءِ التي في الورقةِ تَحَلَّلَتْ إلى أوكسجين وإلى هيدروجين..، قال الله تعالى: {الذي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشجر الأخضر نَاراً فَإِذَآ أَنتُم مِّنْه تُوقِدُونَ} يس:٨٠، وكلمةُ {الأخضر} تفيدُ اليخضورَ؛ لأنّ هذه الورقةَ في كلِّ شجرةٍ معملٌ عظيمٌ، يؤدِّي عملاً جباراً لا يستطيعُ الإنسانُ تصوُّرَهُ"[٣٦٤].

---

[٣٦٠] عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَمَّاش؛ الحَاوِى فى تَفْسِيرِ القُرْآنِ الْكَرِيمِ، دَولَةُ الإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ (٢٤٣/ ٤٦).

[٣٦١] عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَمَّاش؛ الحَاوِى فى تَفْسِيرِ القُرْآنِ الْكَرِيمِ، دَولَةُ الإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ (١٠١/ ١٧٨).

[٣٦٢] عبد الرحمن بن محمد القماش؛ جامع لطائف التفسير، دولة الإمارات العربية (١٢/ ٢٦٩).

[٣٦٣] محمد راتب النابلسي؛ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (٦٨\٢).

[٣٦٤] محمد راتب النابلسي؛ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١١٨\٢).

وقال أبو زهرة: "أخرج الله تعالى به نبات كل شيء أي كل صنف من أصناف النبات من قمح، وشعير، وذرة، وأرز، وسمسم، وغير ذلك من أنواع الحبوب والبقول، وغيرها وهو منوع مختلف وإن اتحدت الأرض واتحد السقي؛ ولذا قال تعالى..: (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) ١٣الرعد:٤"[٣٦٥]، وقال عطية سالم: "الجذع الذي على وجه الأرض خشب ولا تستطيع أن تكسره بالفأس، وفي رأس النخلة تجد الجمار تأكله بأسنانك، وتجد الماء، وتجد العسل في الرطبة، من أين جاء هذا؟: إنما جاء من الماء الذي في الأرض، وما الذي رفعه وضخه إلى أعلى؟ ذلك الجريد، وكذلك أوراق الشجر الخضراء التي تقوم بعملية التمثيل الضوئي (بواسطة) الكلوروفيل كما يسمونه تجذب الماء إلى أعلى؛ مثل الموتور الذي يدفع الماء إلى أعلى العمارة"[٣٦٦]، ولبيان سياق المبالغة في تعدد الثمار؛ وقال محمد رشيد رضا: "(مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ)..، وَالْحَقُّ أَنَّ بَيْنَ الصِّيغَتَيْنِ فَرْقًا، فَمَعْنَى اشْتَبَهَا الْتَبَسَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ مِنْ شِدَّةِ الشَّبَهِ بَيْنَهُمَا، وَمَعْنَى تَشَابَهَا أَشْبَهَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ وَلَوْ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ وَالصِّفَاتِ؛ فَهَذَا أَعَمُّ مِمَّا قَبْلَهُ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ بَعْضَ مَا ذُكِرَ يَتَشَابَهُ وَلَا يَشْتَبِهُ، وَبَعْضُهُ يَتَشَابَهُ حَتَّى يَشْتَبِهَ"[٣٦٧]، وللتمييز بين مقام بيان زهو الثمار وجمالها وإبداعات أشكالها وبين مقام بيان فائدتها كغذاء قال: "اخْتِلَافِ الْمَقَامِ فِي الْآيَتَيْنِ قَالَ فِي آيَةِ: (انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ)، وَقَالَ.. (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ)..، (مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ)..، (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ)"[٣٦٨]: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٦الأنعام:١٤١، ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ. لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ ٣٦يس:٣٣-٣٥، وقال أحمد حطيبة: "على الإنسان أن يعلم أن النفس الذي يتنفسه من الأشياء الضارة، مثل ثاني أكسيد الكربون، فيجعله الله نفعاً لغيره، فيأخذه النبات بالنهار، ويُخرج الأوكسجين لكي تتنفسه أنت، والذي يتسبب في ذلك؛ هي الطاقة الشمسية وضوء الشمس مع الأوراق الخضراء التي في النبات"[٣٦٩].

وقال الصابوني: "{وَهُوَ الذي أَنزَلَ مِنَ السمآء مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ} أي أنزل من السحاب المطر فأخرج به كل ما ينبتُ من الحبوب والفواكه والثمار والبقول والحشائش والشجرَ، قال الطبري: أي أخرجنا به ما ينبتُ به كل شيء وينمو عليه ويصلح {فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً} أي أخرجنا من النبات شيئاً غضّاً أخضر {نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً} أي نُخرج من الخضر حباً متراكباً بعضُه فوق بعض كسنابل الحنطة والشعير قال ابن عباس: يريد القمح والشعير والذرة والأرز، {وَمِنَ النخل مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ} أي وأخرجنا من طلع النخل، والطلعُ أول ما يخرج من التمر في أكمامه عناقيد قريبة سهلة التناول، قال ابن عباس: يريد العراجين التي قد تدلّت من الطلع دانيةً ممن يجتنيها، {وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ} أي وأخرجنا بالماء بساتين وحدائق من أعناب، {والزيتون والرمان مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} أي وأخرجنا به أيضاً شجر الزيتون وشجر الرمان مشتبهاً في المنظر وغير متشابه في الطعم، قال قتادة: مشتبهاً ورقُه مختلفاً ثمرُه، وفي ذلك دليل قاطع على الصانع المختار العليم القدير، {انظروا إلى ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ} أي انظروا أيها الناس نظر اعتبار واستبصار إلى خروج هذه الثمار من ابتداء خروجها إلى انتهاء ظهورها ونضجها كيف تنتقل من حال إلى حال في اللون والرائحة والصغر والكبر، وتأملوا ابتداء الثمر حيث يكون بعضه مراً وبعضه مالحاً لا يُنتفع بشيء منه، ثم إذا انتهى ونضج فإنه يعود حلواً طيباً نافعاً مستساغ المذاق، فسبحان القدير الخلاّق!، {إِنَّ فِي ذلكم لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أي إن في خلق هذه الثمار والزروع مع اختلاف الأجناس والأشكال والألوان لدلائل باهرة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يصدّقون بوجود الله، قال ابن عباس: يصدّقون أن الذي أخرج هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى"[٣٧٠].

---

[٣٦٥] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٥\ ٢٦٠٥).

[٣٦٦] عطية بن محمد سالم؛ شرح بلوغ المرام، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، رقم الجزء هو رقم الدرس (٢١٩/ ١٢ ترقيم الشاملة).

[٣٦٧] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٧\ ٥٣٥).

[٣٦٨] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٨\ ١١٦).

[٣٦٩] أحمد حطيبة؛ تفسير أحمد حطيبة، دروس مفرغة نشرها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس، والصفحات ترقيم موقع المكتبة الشاملة (١١٧٩\ ٥).

[٣٧٠] محمد علي الصابوني؛ صفوة التفاسير، دار الصابوني بالقاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (١\ ٣٧٩).

وفي مباحث في التفسير الموضوعي: "بالرغم من تقدم العلوم في شتى الميادين في الكيمياء والفيزياء والفضاء وعلوم الحيوان والنبات إلا أن هنالك بعض الأوليات التي يراها الإنسان في حياته ويلمسها من حوله لكنه عاجز عن فهمها حق الفهم، ومن هذه الأشياء قضية التمثيل الضوئي؛ لم يستطع العلم بعد مئات السنين من التجارب والأبحاث، وبعد إنفاق الأموال الطائلة وبعد أن انقطع لهذه الأبحاث آلاف العلماء، لم يتمكنوا من الوصول إلى ما تقوم به ورقة خضراء في نبات حي، فهذه الورقة تمتص أشعة الشمس وتخزنها وتبقي بها حياتها، وبالرغم من أن الإنسان يعتمد في حياته اعتمادًا كاملًا على الشمس التي تمده بالطاقة والتي تسبب كل مظاهر الحياة من حوله، والتي بدونها لا تقوم حياته، فهي أساس الحياة النامية في كل حقل وكل غابة وهي سبيل تكون الفحم والبترول وهي سبب المطر وأصل تساقط المياه، بالرغم من كل ذلك لم يستطع الإنسان أن يمتص أشعة الشمس ويخزنها لاستعماله في حاجته؛ سواء كان هذا التخزين داخل جسمه كما تفعل الورقة الخضراء أو في مكان آخر، ويعترف العلم أن ذلك حلم صعب التحقيق؛ إن لم يكن من المستحيل، يقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} الأنعام:٩٩، ويقول جل جلاله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ} يس:٨٠"[٣٧١]، إن شأن عالم النبات كشأن عالم الإنسان والحيوان عالم قائم بذاته في طريقة نموه وتكاثره وازدهاره واضمحلاله، وكل ذلك حسب سنن قائمة خلقها الله سبحانه وتعالى فيه بعنايته وسخرها لمصالح الإنسان، وحيثما أجال الإنسان بصره رأى نعم الله تحيطه وعناية الله تكلؤه وآلاؤه تغمره: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} عبس:٢٤-٣٢، إننا حيث أجلنا النظر في أنحاء الكون الفسيح، وفي أصناف المخلوقات نلمس العناية الربانية بهذه المخلوقات، وإبداع الصنعة فيها ودقة النظام والتناسق والانسجام مع وظيفتها التي وجدت من أجلها، ومع غيرها التي تشاركها في المهمة والمصير وكلها (في نظر الفطين) تُمَجِّد من شأن الخالق المُهيمن المُدبر وتُسبحه: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} الإسراء: ٤٤"[٣٧٢].

[٣٧١] مصطفى مسلم؛ مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، الطبعة الرابعة؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (ص١٤١).

[٣٧٢] مصطفى مسلم؛ مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، الطبعة الرابعة؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (ص١٤١).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Botany

علم النبات

المَوْضُوع Subject

Chlorophyll

اليخضور

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ ١٥الحجر:١٩.**
- **﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ ٥٩الحشر:٥.**
- **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ٣٦يس:٨٠.**
- **﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ. وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ٥٠ق:٧-١١.**
- **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٦الأنعام:١٤١.**
- **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٩.**
- **﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ الواقعة:٦٨-٦٩.**
- **﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣الرعد:٤.**
- **﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ عبس:٢٤-٣٢.**
- **﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ. لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ. سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٦يس:٣٣-٣٦.**

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ٦الأنعام:١٢٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ٦الأنعام:١٢٥و١٢٦.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Whomsoever Allah intends that He would guide him (to the right way)**; He will open his** (own mind to think; making his) **chest to feel happiness by Islam. And Whomsoever He intends that He would guide him away; He will make his chest to shrink with rapid and shallow breathing (dyspnea); as if he is ascending in the sky** (like the case of a lost one in a thick forest in an impended death)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

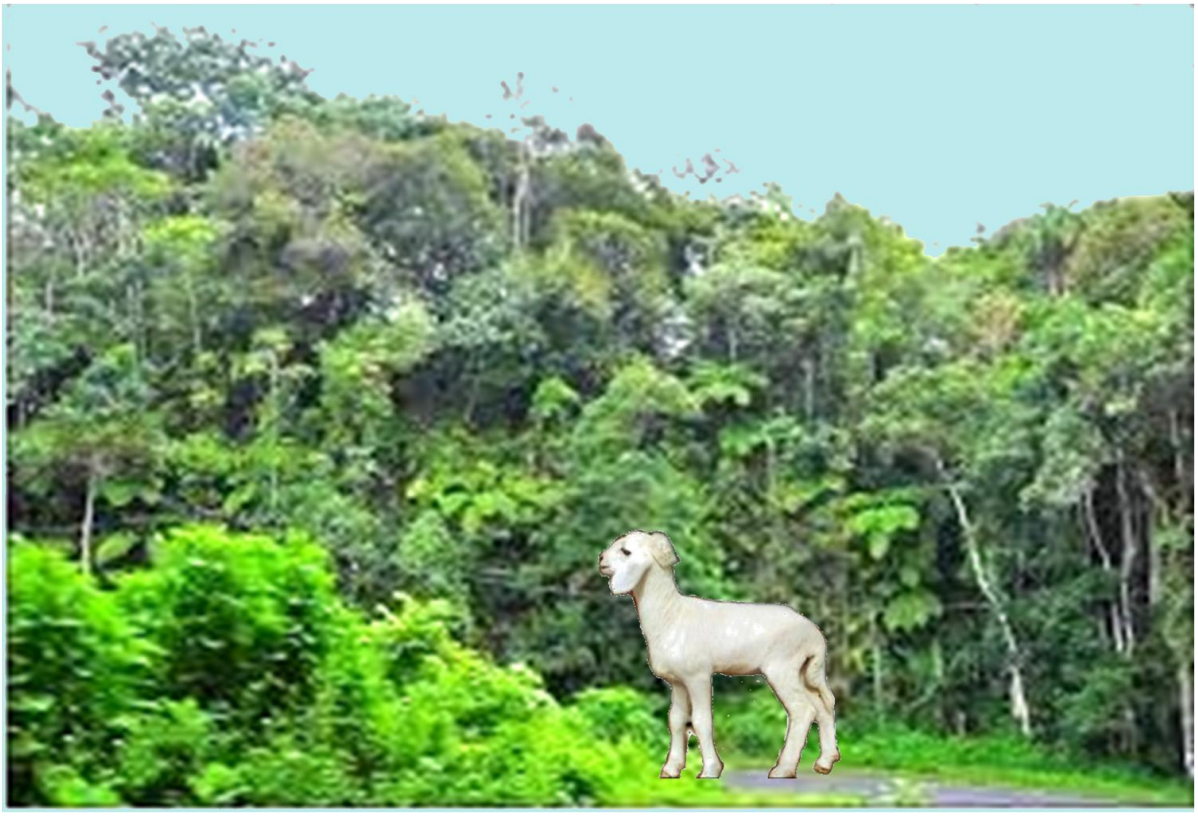

إذا فارقت شاة القطيع وهي ما زالت رضيعة لم تَقْوَ بعد أن تقتات الأعشاب ودلفت إلى حَرَجَة كثيفة الأشجار وضلت طريق العودة؛ فستبذل كل جهد لعلها تجد منفذاً وستظل تتخبط وتتسارع أنفاسها من الإعياء حتى تفقد الوعي وتهلك، هذه الصورة الحسية من تسارع الأنفاس أشبه بالمحاولات الأولى للإنسان للصعود إلى أعالي الجو حتى احتاط وتَزَوَّد بالأكسوجين خاصة؛ لئلا يضيق صدره ويُصاب بعوارض الجوع للهواء لندرته في أعالي الجو: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ١٢٥الأنعام:٦، والمشقة التي كان يَتَكَلَّفَهَا الرواد الأوائل عند محاولتهم التسلل نحو السماء قبل التَّسَلُّح باحتياطات كافية؛ تؤكد قراءة كلمة (يَصَّعَّدُ) بالتشديد تزايد شدتها بالارتفاع، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى؛ وهو هنا الضيق بالصعود، والوصف بالضيق على ظاهره حيث ينكمش الصدر لتناقص ضغط الهواء مع الارتفاع، والحرج تشبيه بشاة حبستها حَرَجَة بجامع اضطراب الوظائف كاللهث قبل فقدان الوعي، والوصفان: (ضَيِّقًا حَرَجًا) مُتلازمان بالضرورة جامعان؛ فضيق الصدر وصف تشريحي، والحرج وصف وظيفي لبيان العوز للأكسجين Hypoxia قبيل الاختناق Asphyxia.

قال القرطبي: "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْحَرَجُ مَوْضِعُ الشَّجَرِ الْمُلْتَفِّ..، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ مَكَانٌ.. حَرِجٌ وَحَرَجٌ أَيْ ضَيِّقٌ كثير الشجر"[٣٧٣]، وقال محمد رشيد رضا: "يَجِدُ صَدْرَهُ (ضَيِّقًا حَرَجًا).. ذَا حَرَجٍ شَدِيدٍ.. قِيلَ.. هُوَ أَضْيَقُ الضِّيقِ، وَجَعَلَهُ الرَّاغِبُ وَغَيْرُهُ مُشْتَقًّا مِنَ الْحَرَجَةِ الَّتِي هِيَ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفُّ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ بِحَيْثُ لَا يَتَّسِعُ لِلزِّيَادَةِ"[٣٧٤]، وقال المراغي: "والحرج: شديد الضيق؛ من الحَرَجَة وهى الشجر الكثير المُلتف بعضه ببعض بحيث يصعب الدخول فيه"[٣٧٥].

---

[٣٧٣] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (٧ ٨١).

٣٧٤ محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٨ ٣٧).

[٣٧٥] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٨ ٢١).

وعامة الحيوانات الداجنة والبرية تدرك الخطر ولا تدخل لترعى من شجرة في حَرَجَة كثيفة خشية الضيق والهلاك، قال ابن كثير: "قَوْلُهُ تَعَالَى {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}..؛ الْأَكْثَرُونَ: {ضَيِّقًا} بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ وَكَسْرِهَا.. وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: {حَرِجًا} بِفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ.. قِيلَ..: بِمَعْنَى الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى {حَرَجًا} بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالرَّاءِ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا يَتَّسِعُ لِشَيْءٍ مِنَ الْهُدَى وَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مَا يَنْفَعُهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَلَا يَنْفُذُ فِيهِ، وَقَدْ سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ..: مَا الْحَرَجَةُ؟ قَالَ هِيَ الشَّجَرَةُ تَكُونُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ لَا تَصِلُ إِلَيْهَا رَاعِيَةٌ وَلَا وَحْشِيَّةٌ..، وَقَالَ الْعَوْفِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَجْعَلُ اللَّهُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ضَيِّقًا؛ وَالْإِسْلَامُ؛ وَاسِعٌ وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} الْحَجّ:٧٨، يَقُولُ: مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ ضِيقٍ"[٣٧٦].

وقال محمد رشيد رضا: "وَقَدْ ثَبَتَ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالِاخْتِبَارِ الْفِعْلِيِّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ.. أَنَّ الطَّيَّارَاتِ وَالْمَنَاطِيدَ الَّتِي تُحَلِّقُ فِي الْجَوِّ تَصِلُ إِلَى حَيْثُ يَخِفُّ ضَغْطُ الْهَوَاءِ وَيَسْتَحِيلُ حَيَاةُ النَّاسِ..، وَهُمْ يَصْنَعُونَ أَنْوَاعًا مِنْهَا يَضَعُونَ فِيهَا مِنْ أُوكْسِجِينِ الْهَوَاءِ مَا يَكْفِي اسْتِنْشَاقُهُ وَتَنَفُّسُهُ لِلْحَيَاةِ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ الْعُلْيَا وَيَصْعَدُونَ فِيهَا، وَقَدْ أُشِيرَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ إِلَى مَا يَكُونُ لِلتَّصْعِيدِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مِنَ التَّأْثِيرِ فِي ضِيقِ الصَّدْرِ مِنْ عُسْرِ التَّنَفُّسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) ٦الأنعام:١٢٥"[٣٧٧].

وقال المراغي: ""أي فمن كان أهلا بإرادة الله وتقديره لقبول دعوة الإسلام الذي هو دين الفطرة والهادي إلى طريق الحق والرشاد؛ وجد لذلك في نفسه انشراحا واتساعا بما يشعر به قلبه من السرور فلا يجد مانعا من النظر.. فيما ألقى إليه (من دلائل التوحيد)، فيتأمله.. وتتضح له دلالته؛ فتتوجه إليه إرادته..، (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ)؛ أي إن من فسدت فطرته بالشرك وتدنست نفسه بالآثام والذنوب يجد في صدره ضيقا أيما ضيق إذا طُلب إليه التأمل فيما يدعى له من دلائل التوحيد والنظر في الآفاق والأنفس..، ويكون مثله مثل من صعد في الطبقات العليا في جو السماء، إذ يشعر بضيق شديد في التنفس، وكلما صعد في الجو أكثر شعر بضيق أشد حتى إذا ما ارتفع (أكثر).. شعر بتخلخل الهواء ولم يستطع سبيلا إلى البقاء؛ فإن هو قد بقي فيها مات اختناقا، وخلاصة ذلك: إن الله ضرب مثلا لضيق النفس المعنوي يجده من دُعي إلى الحق وقد ألف الباطل وركن إليه؛ بضيق التنفس الذي يجده من صعد بطائرة إلى الطبقات العليا من الجو حتى لقد يشعر بأنه أشرف على الهلاك، وهو لا محالة هالك إن لم يتدارك نفسه وينزل من هذا الجو إلى طبقات أسفل، سبحانك ربى نطق كتابك الكريم بقضية لم يتفهم سرها البشر ولم يفقه معرفة كنهها إلا بعد أن مضى على نزولها نحو أربعة عشر قرنا، و(مع) تقدم فن الطيران الآن؛ علم الطيارون بالتجربة صدق ما جاء في كتابك، ودل على صحة ما ثبت في علم الطبيعة من اختلاف الضغط الجوى في مختلف طبقات الهواء، وقد عُلِمَ الآن أن الطبقات العليا أقل كثافة في الهواء من الطبقات التي هي أسفل منها، وأنه كلما صعد الإنسان إلى طبقة أعلى شعر بالحاجة إلى الهواء وبضيق في التنفس نتيجة لقلة الهواء الذي يحتاج إليه؛ حتى لقد يحتاجون أحيانا إلى استعمال جهاز التنفس ليساعدهم على السير في تلك الطبقات (العليا)، وهذه الآيات وأمثالها لم يستطع العلماء أن يفسروها تفسيرا جليا لأنهم لم يهتدوا لسرها، وجاء الكشف الحديث وتقدم العلوم فأمكن شرح مغزاها وبيان المراد منها بحسب ما أثبته العلم، ومن هذا صح قولهم الدين والعلم صنوان لا عدوّان، وهكذا كلما تقدم العلم أرشد إلى إيضاح قضايا خفي أمرها على المتقدمين من العلماء والمفسرين"[٣٧٨].

وقال عافية: "ينتهي الغلاف الجوي المحيط بالأرض عند ارتفاع نحو ألف كيلو متر فوق سطح الأرض، وتتناقص كثافة هذا الغلاف الجوي سريعا بالارتفاع، وذلك أن أكثر من نصف وزن الغلاف كله يتركز في الستة كيلومترات الأولى..، ٩٩% من كتلته توجد في الجزء الممتد من سطح الأرض حتى ارتفاع نحو ٢٠ كيلو مترا، يشعر الإنسان بضيق الصدر مع الارتفاع ويكاد يختنق على ارتفاع نحو ١٢ كيلوا مترًا، وصدق الله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام:١٢٥"[٣٧٩].

---

[٣٧٦] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٣ ٣٣٦).

[٣٧٧] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١١٢ ١١٥).

[٣٧٨] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٨ ٢٥).

[٣٧٩] محمد سميح عافية؛ القرآن وعلوم الأرض، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م (ص٣٣).

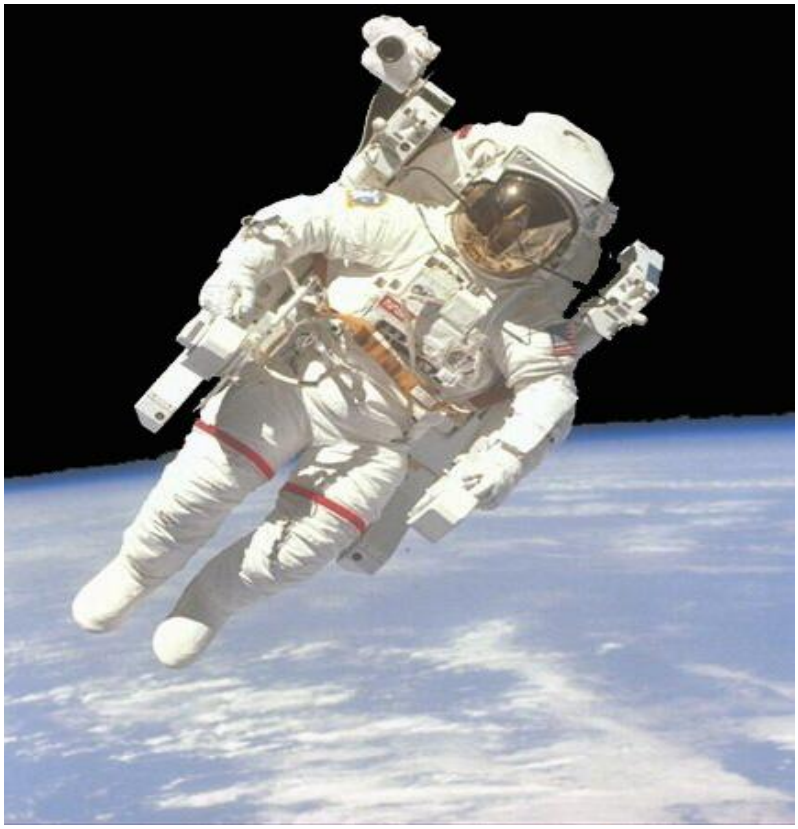

وقال الشعراوي: "ومن آيات الإعجاز القرآني في مسألة الضيق، قوله تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السمآء} الأنعام:١٢٥، فمن أين عرف محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ً أن مَنْ يصعِّد في السماء يضيق صدره! وهل صَعَد أحد إلى السماء في هذا الوقت وجَرَّب هذه المسألة! ومعنى ضيق الصدر أن حيِّز الرئة التي هي آلة التنفس يضيق بمرض أو مجهود زائد أو غيره، ألاَ ترى أنك لو صعدتَ سُلَّماً مرتفعاً تنهج، معنى ذلك أن الرئة وهي خزينة الهواء لا تجد الهواء الكافي الذي يتناسب والحركة المبذولة؛ وعندها تزداد حركة التنفس لتُعوِّض نَقْص الهواء، والآن وبعد غزو الفضاء عرفنا مسألة ضيق التنفّس في طبقات الجو العليا؛ مما يضطرهم إلى أخذ أنابيب الأكسجين وغيرها من آلات التنفس"[٣٨٠]، "وهنا يقول سبحانه: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} الحجر:٩٧، ومعنى ضيق الصدر أنْ يقِلّ الهواء الداخل عَبْر عملية التنفُّس إلى الرئتين؛ فمن هذا الهواء تستخلص الرئتان الأوكسجين وتطرد ثاني أوكسيد الكربون، ويعمل الأكسجين على أنْ يُؤكسِدَ الغذاء لِينتجَ الطاقة؛ فإنْ ضاق الصَّدْر صارت الطاقة قليلة، والمثَل يتضح لِمَنْ يصعدون السُّلَّم العالي لأيّ منزل أو أيّ مكان؛ ويجدون أنفسهم ينهجون، والسبب في هذا النهجَ (تسارع الأنفاس) هو أن الرئة تريد أنْ تُسرِع بالتقاط كمية الهواء أكبر من تلك التي تصل إليها، فيعمل القلب بشدة أكثر (ويزداد النبض) كي يُتيح للرئةِ أن تسحبَ كمية أكبر من الهواء، أما مَنْ يكون صدره واسعاً فهو يسحب ما شاء من الهواء الذي يتيح للرئة أن تأخذَ الكمية التي تحتاجها من الهواء، فلا ينهج صاحب الصدر الواسع، فكأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ً حين كان يُكذِّبه أحد أو يستهزئ به أحد؛ كان يضيق صَدْره فتضيق كمية الهواء اللازمة للحركة، ولذلك يُطمئِنه الحق سبحانه أن مَدَده له لا ينتهي، وأنت تلحظ عملية ضيق الصدر في نفسك حين يُضايقك أحد فتثور عليه؛ فيقول لك: لماذا يضيق صدرك؟ وَسِّع صدرك قليلاً، والحق سبحانه يقول..: {فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ} الأنعام:١٢٥؛ أي: يُوسّع صدره وتزداد قدرته على فَهْم المعاني التي جاء بها الدين الحنيف، ويقول أيضاً: {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السمآء} الأنعام:١٢٥، وهنا نجد أن الحق سبحانه يشرح عملية الصعود وكأن فيها مجاهدةً ومكابدةً..، وقد ثبت أن الإنسان كلما صعد إلى أعلى في الفضاء (فوق طبقات الغلاف الجوي للأرض) فلن يجد هواء"[٣٨١].

---

[٣٨٠] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٥/ ٩٤٣٧).

[٣٨١] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٣/ ٧٧٨٤).

وأضاف الشعراوي قائلاً: "المسألة المتعلقة بقوله: {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً} نعلم عنها أن الصدر هو محل التنفس، والرئة تأخذ الأوكسجين وتطرد ثاني أوكسيد الكربون، وعندما يصاب الإنسان بنوبة برد نراه وهو يجد صعوبة في التنفس، كأن حيّز الصدر صار ضيقاً، فلا يدخل الهواء الكافي لتشغيل الرئتين، ويحاول الإنسان أن يعوض بالحركة ما فاته فينهج، ويشخص الأطباء ذلك بأن المريض يريد أن يأخذ ما يحتاجه إليه من الهواء فينهج؛ لأن الحيّز قد ضاق، وكذلك عندما يصعد الإنسان سلماً، ينهج أيضاً؛ لأن الصعود يحتاج إلى مجهود، لمعاندة جاذبية الأرض، فالأرض لها جاذبية تشد الإنسان، ومن يصعد إنما يحتاج إلى قوة ليتحرك إلى أعلى ويقاوم الجاذبية، إننا نجد نزول السلم مريحاً؛ لأن في النزول مساعدة للجاذبية، لكن الصعود يحتاج إلى جهد أكثر، فإذا ضاق الصدر فمعنى ذلك أن حيز الصدر لم يعد قادراً على أن يأخذ الهواء بالتنفس بطريقة تريح الجسم، ولذلك يقال: (فلان صدره ضيق) أي أن التنفس يجهده إجهاداً بحيث يحتاج إلى هواء أكثر من الحجم الذي يسعه صدره: {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كأنما يصعّد في السماء}..، وعرفنا أن الهبوط سهل؛ لأن الجاذبية تساعد عليه..، والذي يتعب هو أن يصعد الإنسان، لأنه سيعاند الجاذبية، وهو بذلك يحتاج إلى قوتين: قوة للفعل في ذاته والقوة الثانية لمعاندة الجاذبية: {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السمآء} وذلك (من الجانب المعنوي في التمثيل لحال المُكابر) بسبب مشقات التكليف؛ لأنه لم يدخلها بعشق، فلا يدخل إلى مشقات التكليف بعشق إلا المؤمن فهو الذي يستقبل هذه التكاليف بشرح صدر وانبساط نفس وتذكر بما يكون له من الجزاء على هذا العمل، والذي يسهل مشقة الأعمال حلاوة تصور الجزاء عليها؛ فالذي يجتهد في دروسه إنما يستحضر في ذهنه لذة النجاح وآثار هذا النجاح في نفسه مستقبلاً وفي أهله، أما الذي لا يستحضر نتائج ما يفعل فيكون العمل شاقاً عليه: {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السمآء} الأنعام:١٢٥..، من (إذن) الذي كان يدرك أن الذي يصعد في الجو يتعب ويحتاج إلى مجهودين: الأول للعمل والثاني لمناهضة الجاذبية؛ ولذلك يضيق صدره!"[٣٨٢].

فالدلالة إذن صريحة على أن طبقات الجو تتمايز بتناقص الهواء بالصعود لتعني أن الفضاء فوقها خلاء من الهواء، قال الدكتور فؤاد دمشقي: "قد وضعت تصانيف عديدة للغلاف الجوي ولكن القرآن الكريم صنف طبقات الغلاف الجوي.. بحسب الوظيفة، وبالرجوع إلى طبقات الجو المكتشفة حديثاً؛ نجد فقط سبع طبقات وظيفية متمايزة"[٣٨٣].

العدد	اسم النطاق أو الطبقة	الارتفاع (فوق مستوى سطح البحر)	الخصائص
١	الطبقة المناخية Troposphere (نطاق التغيرات الجوية)	من ٦ كم عند القطبين إلى ١٨ كم عند خط الاستواء.	يحوي ٨٥ % من كتلة الجو، ويقل الضغط بالارتفاع وكذلك درجة الحرارة لتبلغ ٦٠ درجة مئوية تحت الصفر عند قمته، ويختص بالرياح والسحب.
٢و٣	الطبقة فوق المناخية Stratosphere تتخللها طبقة الأوزون Ozone Layer	٥٠ كم، وتتخللها طبقة الأوزون على ارتفاع بين ٢٠ و٣٠ كم.	تقوم طبقة الأوزون بحجب نسبة كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وينخفض الضغط الجوي حتى يصل إلى ٠.٠١ ضغط جوي عند قمة النطاق.
٤	النطق المتوسط Mesosphere	٥٠ – ٨٥ كم	يشارك في الحماية من النيازك، ودرجة الحرارة أعلاه حوالي ٩٠ درجة مئوية تحت الصفر.
٥و٦	النطق الحراري Thermosphere يتخلله نطق التأين Ionosphere	يبلغ ارتفاع أكثر من ٥٠٠ كم، ونطق التأين حوالي ٤٠٠ كم.	ترتفع أعلاه درجة الحرارة، وتحدث فيه ظاهرة الشفق القطبي، ودوره مهم في الاتصالات اللاسلكية لأنه يعكس موجات الراديو، ويعقبه النطاق الخارجي Exosphere الذي يصل لأكثر من ١٠٠٠ كم؛ لكن الهواء يكاد يكون منعدما لدرجة أن تنطلق ذرة غازية عند أسفله نحو ١٠ كم قبل أن تصطدم بذرة غازية أخرى؛ ويتزايد التخلخل إلى أن يتصل بالفضاء الخارجي (*).
٧	نطاق الغلاف المغناطيسي Magnetosphere	يمتد لحوالي ٥٠ ألف كم، وارتفاع الحزام الداخلي حوالي ٢٠٠٠ كم.	يقوم بدور الحماية من الرياح الشمسية الخطيرة.

(*) موسوعة ويكيبيديا العالمية والشبكة الدولية.

الطبقات الوظيفية للغلاف الجوي: أربع طبقات رئيسة يتخللها طبقتين فرعيتين؛ بالإضافة إلى الغلاف المغناطيسي.

وطبقات الجو سبع: أربع طبقات رئيسة تتخللها طبقتان فرعيتان والكل ست طبقات؛ بالإضافة للغلاف المغناطيسي الذي يحمينا من الرياح الشمسية الخطيرة، وتمتد آخر طبقة Exosphere حيث لا يوجد هواء يذكر لأكثر من ١٠٠٠ كم، ورد في موسوعة ويكيبيديا: "تُصبح جزيئات الهواء نادرة الوجود في طبقة إكسوسفير إلى حد إنها تُعد غير موجودة، فمثلاً عند أسفلها من الممكن أن تنطلق ذرة غازية نحو ١٠ كيلومتر قبل أن تصطدم بذرة غازية أخرى"[٣٨٤].

---

[٣٨٢] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (ص٩٠٣).

[٣٨٣] د. فؤاد دمشقي؛ مقال بعنوان: "معجزة طبقات الغلاف الجوي السبع"، موقع د. فؤاد دمشقي.

[٣٨٤] موسوعة ويكيبيديا العالمية.

قال د. مصطفى مسلم: "يخبرنا القرآن الكريم عن حالة الذين يضيقون ذرعا بهدايات الإسلام ووعيده وإنذاره، يشبه حالتهم عند سماعها بحالة من يصعد في السماء وذلك في قوله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) الأنعام:١٢٥، قال المفسرون: إن الآية الكريمة تشير إلى أن حالة الكفار عند سماع الإسلام كحالة من يزاول أمرا غير ممكن لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة، فكأن الكافر في نفوره من الإسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود إلى السماء، فحاله كحال من يزاول ما لا يقدر عليه، وهذا الفهم مُحتمل من حيث ظاهر الآية، ولم يكن يتصور قبل صعود الإنسان في الفضاء أكثر من ذلك؛ إلا أن آفاقا جديدة فتحت في دلالة الآية الكريمة عندما صعد الإنسان في الفضاء وعرف تأثير الضغط الجوي على أجهزة الإنسان الداخلية، يقول العلم الحديث في هذا الصدد: إن الله سبحانه وتعالى جعل الضغط في داخل الجسم متناسبا تماما مع الضغط الجوي المحيط بالجسم، وقدر قياس هذا الضغط بما يساوي وزن ستة وسبعين سنتمترا من الزئبق، ففي الأحوال الاعتيادية للإنسان ليس هنالك أي تغلب من الضغط الداخلي على الخارجي ولا العكس، وبعد اكتشاف الوسائل الحديثة للارتفاع في أجواء السماء؛ فقد لاحظوا مدى التأثير عند الصعود بهذا الضغط وما يرافقه من انقباض وضيق في الصدر وآلام مبرحة في الرأس والأذنين وجميع المناطق الحساسة في الجسم، وكلما ارتفع في الجو تخلخل الضغط الجوي (وتغلب) الضغط الداخلي واشتد هذا الضيق والشعور بالاختناق، وإذا ما استمر الإنسان في الصعود يأتي الوقت الذي يكون فيه هلاكه المحتم، لذا يضطر رواد الفضاء والطيارون الذين يحلقون عاليا في الأجواء إلى استخدام الألبسة المجهزة الخاصة بهذه الحالات، والتفسير العلمي لهذه الظواهر هو: (١) كلما ارتفع الإنسان في الجو انخفض الضغط الجوي وتغلب عليه الضغط الداخلي للإنسان، (٢) تخلخل الهواء وعدم وجود الأوكسجين الكافي للتنفس، (٣) برودة الجو وعدم حفظ درجة الحرارة بنسبة معينة، (٤) يصل الإنسان عند الخروج من الغلاف الجوي إلى انعدام الوزن وهي مرحلة دقيقة خطيرة، وكل هذه الظواهر تؤدي إلى تغير في وظائف أعضاء الإنسان الداخلية؛ فالغازات في المعدة والأمعاء تتمدد وتسبب تقلصات عنيفة، وقد يؤدي تمدد هذه الغازات إلى انتفاخ يدفع الحجاب الحاجز إلى أعلى فيضغط على القلب والرئتين مما يسبب الإغماء أو الاختناق في الحالات الشديدة، ويختل نظام الدورة الدموية؛ فقد تنفجر بعض العروق والأغشية في الجسم كغشاء الطبل في الأذنين والإصابة برعاف شديد..، هذه هي الحالة التي يشبه بها القرآن الكريم حالة الذين يضيقون ذرعا بسماع آيات القرآن وهدايات الإسلام، إنها كحالة من يصعد في السماء من شعور بالضيق والاختناق: (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ)، هكذا تنكشف الحجب عن الآيات المُعجزة كلما تقدم العلم وتطور على مر العصور"[٣٨٥].

[٣٨٥] د مصطفى مسلم؛ مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم بدمشق، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م (ص٢٢٦).

وقال د. زغلول النجار: "تُحاط الأرض بغلاف غازي.. يتناقص ضغطه من نحو الكيلو جرام علي السنتيمتر المربع عند مستوي سطح البحر إلي واحد من المليون من ذلك في الجزء العلوي منه..، (و) نطاق التغيرات الجوية نطاق الطقس.. نطاق قليل السمك، يلامس الأرض مباشرة، ويمتد من مستوي سطح البحر إلي ارتفاع١٦ إلي١٧ كيلو مترا فوق خط الاستواء، ويتناقص سمكه إلي ما بين٦ و٨ كيلو مترات فوق القطبين..، (و) يقسم الغلاف الغازي للأرض من حيث مواءمته للحياة الأرضية إلي النطق التالية: (١) نطاق المواءمة الكاملة للحياة الأرضية: ويمثل الجزء الغازي.. الذي يمتد.. إلي ارتفاع في الغلاف الغازي للأرض لا يتعدي الثلاثة كيلو مترات فوق مستوي سطح البحر..، (٢) نطاق شبه المواءمة للحياة الأرضية: ويمتد هذا النطاق من ارتفاع ثلاثة كيلومترات فوق مستوي سطح البحر إلي ارتفاع ستة عشر كيلو مترا فوق ذلك المستوي ويقترب في منتصفه من أعلي قمم الأرض ارتفاعا(٨٨٤٨ مترا) ويتميز بنقص تدريجي في نسبة الأوكسجين، وتناقص الضغط بمعدلات ملحوظة، ويمكن للإنسان العيش في الأجزاء السفلي من هذا النطاق بصعوبة فائقة لصعوبة التنفس، والخلل الذي يعتري بعض وظائف أعضاء جسده نتيجة لانخفاض الضغط الجوي فتبدو عليه أعراض نقص الأوكسجين Hypoxia، وأعراض انخفاض الضغط الجوي Dysbarism، (٣) نطاق استحالة وجود الإنسان بغير عوامل وقائية كاملة: ويمتد من ارتفاع ستة عشر كيلو مترا فوق مستوي سطح البحر إلي نهاية الغلاف الغازي للأرض، وهو نطاق يستحيل بقاء الإنسان فيه بغير عوامل كافية للوقاية من مخاطر هذا النطاق..، ويتم ذلك بتزويده بحلل مشابهة لحلل رواد الفضاء المزودة بأجهزة كاملة لدعم حياة الإنسان في مثل هذه البيئات الخطرة..، والحلل التي يرتديها رواد الفضاء في داخل مركباتهم الفضائية المكيفة بظروف موائمة لطبيعة الإنسان هي حلل محكمة غاية الإحكام غير منفذة للهواء ولا للأشعة الكونية ومليئة بالهواء المضغوط بالقدر المطلوب لسلامة جسم الإنسان، وتتم مراقبة الضغط داخل تلك الحلل بأجهزة ضغط يمكن التحكم فيها بواسطة صمامات خارجية، ومزودة بجيوب لتجميع إفرازات الجسم والسوائل الخارجة منه، وتسمح في الوقت نفسه بالوصول إلي الجسد لمعالجته بالحقن الطبية اللازمة في حالات الضرورة..، (و) إذا تجاوز الإنسان ارتفاع الثمانية كيلومترات فوق مستوي سطح البحر فإنه يتعرض لمشكلات عديدة منها صعوبة التنفس لنقص الأوكسجين وتناقص ضغط الهواء، وهو مرض يسميه المتخصصون في طب الطيران باسم مرض عوز الأوكسجين Hypoxia ومنها مشكلات انخفاض الضغط الجوي والذي يسمي باسم خلل الضغط الجوي Dysbarism وتحت هذين العارضين لا يستطيع جسم الإنسان القيام بوظائفه الحيوية، فتبدأ في التوقف الوظيفة تلو الأخرى، وهنا يمكن تفسير ضيق الصدر الذي يمر به الإنسان عند الصعود إلي تلك المرتفعات بغير استعدادات وقائية كافية، فيبدأ بالشعور بالإجهاد الشديد، والصداع المستمر، والشعور بالرغبة في النوم، ونتيجة للنقص في الضغط الجوي تبدأ الغازات المحبوسة في داخل أنسجة الجسم وتجاويفه المختلفة في التمدد من مثل الجهاز التنفسي من الرئتين والقصبة الهوائية وتشعباتهما والأنف، والجيوب الأنفية، والجهاز الدوري من القلب والأوردة والشرايين، والجهاز السمعي خاصة الأذن الوسطي، والجهاز الهضمي من مثل المعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة، خاصة القولون، والفم والأسنان والأضراس واللثة مما يؤدي إلي آلام شديدة في كل أجزاء الجسم، وإلي ضغوط شديدة علي الرئتين والقلب وإلي تمزق خلاياهما وأنسجتهما، ويسبب الشعور بضيق الصدر وحشرجة الموت. كذلك تبدأ الغازات الذائبة في جميع سوائل الجسم وأنسجته في الانفصال والتصاعد إلي خارج حيز الجسد، وأهمها غاز النيتروجين الذي يصل حجمه في جسم الفرد البالغ إلي نحو اللتر موزعة بين الدم وأنسجة الجسم المختلفة، وتخرج هذه الغازات علي هيئة فقاعات تندفع إلى الخارج بسرعة فائقة مما يزيد من تمزق الخلايا والأنسجة، وإلي حدوث آلام مبرحة بكل من الصدر والمفاصل، وإلي ضيق شديد في التنفس نتيجة لتصاعد فقاعات النيتروجين من أنسجة الرئتين، ومن داخل الشعيرات الدموية، ومن الأنسجة المحيطة بها ومن الجلد ومن أنسجة وخلايا الجهاز العصبي، فتتأثر رؤية الشخص، ويختل توازنه، ويصاب بصداع شديد، ثم إغماء كامل أو صدمة عصبية أو بشلل جزئي أو كلي وزرقة بالجسم تنتهي بالوفاة بسبب توقف كل من القلب والرئتين، وانهيار الجهاز العصبي، وفشل كامل في وظائف بقية أعضاء الجسم..: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) الأنعام:١٢٥، وهذه حقائق لم يدركها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين وإن بدأ يتحسسها منذ نهاية القرن الثامن عشر، وورودها في كتاب الله الذي أنزل قبل أربعة عشر قرنا علي نبي أمي؛ صلي الله وسلم وبارك عليه، في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين؛ مما يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم كان موصولا بالوحي؛ ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض"[٣٨٦].

[٣٨٦] زغلول راغب محمد النجار؛ مقال منشور بموقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

كارك فلهلم شيله Carl Wilhelm Scheele
(١٧٤٢ – ١٧٨٦)

جوزيف بريستلي Joseph
Priestley (١٧٤٢ – ١٧٨٦)

كان كارك فلهلم شيله Carl Wilhelm Scheele (١٧٤٢ - ١٧٨٦) هو أوّل من اكتشف الأكسجين كغاز مستقلّ، وكان ذلك سنة ١٧٧١؛ إلّا أنّه لم ينشر أبحاثه إلّا سنة ١٧٧٧، وفي سنة ١٧٧٤ قام جوزيف بريستلي Joseph Priestley (١٧٣٣ - ١٨٠٤) وبشكل منفصل باكتشاف الغاز أيضاً أثناء البحث في آليّة عمليّة الاحتراق.

أنطوان لافوازييه Antoine de
Lavoisier (١٧٤٣ - ١٧٩٤)

وعلى الرغم من اكتشاف الأكسجين؛ إلّا أنّ دوره في الاحتراق لم يكن قد فُـهِمَ بعد، إلى أن أتى أنطوان لافوازييه Antoine de Lavoisier (١٧٤٣ - ١٧٩٤) وأعلن سنة ١٧٧٤ أنه مهم للحياة يساعد على التنفس والاحتراق، ولم يُعرف أن الهواء طبقة محدودة فوق سطح الأرض إلا عام ١٦٤٨؛ عندما أعلن بليز باسكال Blaise Pascal (١٦٢٣ – ١٦٦٢) أنّ الضغط الجوي يتناقص بالارتفاع؛ ولم يُعرف أن الجو طبقات لكل منها خصيصة تميزه إلا لاحقًا، واصطلحت هيئة الطيران الدولية حديثًا على أن أعلى مستوى للمجال الذي يمكن للطائرات التحليق فيه بأمان دون التعرض لخطر اختناق الركاب نتيجة تخلخل الهواء هو ١٠٠ كم فوق سطح البحر؛ وسمته خط كارمن Karman line، ولا شك إذن أن المعرفة العلمية المُدَّخَرة خلال التذكير بالنِّعَم والدعوة لوحدانية المُنْعِم سبحانه؛ هي تحقيق لوعد جزم به القرآن الكريم نُصرةً للدين الحق: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في منشورات جامعة المدينة المنورة: "وقد ثبت بالمشاهدة والاختبار الفعلي أن الطيارات والمناطيد..؛ تصل إلى حيث يخف ضغط الهواء ويستحيل حياة الناس فيها، وهم يصنعون أنواعًا منها يضعون فيها من الأكسجين وكذا وكذا، وقد أشير في الكتاب العزيز إلى ما يكون للتصعيد في جو السماء من التأثير في ضيق الصدر بقوله: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام:١٢٥"[٣٨٧].

وقال ابن عطية: "وقوله تعالى (كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ): أي كأن هذا الضَّيِّق الصدر يحاول الصعود في السماء..؛ حاول الإيمان أو فكر فيه ويجد صعوبته عليه كصعوبة الصعود في السماء، قال بهذا التأويل ابن جريج وعطاء الخراساني والسدي، وقال ابن جبير: المعنى لا يجد مسلكا إلا صعدا من شدة التضايق، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي «يصعد» بإدغام التاء من يتصعد في الصاد، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر «يصّاعد» بإدغام التاء من يتصاعد في السماء، وقرأ ابن كثير وحده «يصعد»، وقرأ ابن مسعود والأعمش وابن مصرف «يتصعد» بزيادة تاء، وفِي السَّماءِ يريد من سفل إلى علو في الهواء، قال أبو علي: ولم يرد السماء المظلة بعينها..، وتحتمل الآية أن يكون التشبيه بالصاعد في عقبة كئود كأنه يصعد بها الهواء، ويَصَّعَّدُ معناه يعلو، ويَصَّعَّدُ معناه يتكلف من ذلك ما يشق عليه..، و«يصاعد» في المعنى مثل «يصعد»، وقوله تعالى: (كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ)..؛ قال أهل اللغة الرِّجْسَ يأتي بمعنى العذاب ويأتي بمعنى النجس، وحكي الطبري عن مجاهد أنه قال: الرِّجْسَ كل ما لا خير فيه"[٣٨٨].

وقال أطفيش: "قرأ ابن عباس فقال: هل ها هنا أحد من بنى بكر؟ قال رجل: نعم، قال: ما الحرجة فيكم؟ قال: الوادى الكثير الشجر المُشتبك الذى لا طريق فيه..، ولو فسرنا ضيقاً بما فسرنا به حرجا وحرجا بما فسرنا به ضيقا لجاز؛ لأن الحرج الضيق والجمع بينهما تأكيد، والآية نصت أن الإيمان والضلال بمشيئة الله، وكسر رائه قراءة نافع وعاصم من رواية أبى بكر عنه، وقرأه الباقون بفتحها مصدراً أخبر به عن الجثة المبالغة كأنه نفس الضيق؛ أو بتقدير مضاف، أي إذا حرج أو بمعنى الوصف، وقيل المفتوح والمكسور كلاهما وصف، والأظهر ما ذكرته..، {كأنَّما يصَّعَّدُ} يتصعد يتفعل من الصعود بتكلف، أبدلت التاء صاداً وسكنت وأدغمت فى الصاد، أي يعالج ويتكلف الصعود بجسده، {في السَّماء} أي في جهة السماء، فهو على ظاهره لأنه يوقع تكلف الصعود في تلك الجهة والدخول فيها، والمعنى أن متابعة الحق عنده صعبة شديدة متعذرة كصعوبة وشدة وتعذر الصعود إلى السماء في الهواء بلا دَرَج، فهو لا يؤمن كما لا يصعد في السماء، ويجوز كون في بمعنى إلى، ويجوز أن يراد بالسماء جهتها بلا استشعار وصولها، وأن يراد بالتصعد في السماء التصعد إلى أعلى عقبة كئود صعبة لا تتيسر، ويجوز أن يكون المعنى أنه ليس يستشعر أن الإسلام صعب متعذر كالصعود للسماء؛ بل مجرد أنه بعيد عن الإيمان كبعد الصعود إلى السماء، وقرأ شعبة وابن مسعود يتصعد بفتح التاء والصاد وتشديد العين، وهى أصل القراءة الأولى، وقرأ عاصم من رواية أبى بكر عنه يَصَّاعَد ألف بعد الصاد المشددة وتخفيف العين، أصله يَتَصَاعَد بتاء قُلِبَت صاداً وأدغمت في الصاد، وهؤلاء القراءات الثلاث فيها مبالغة والصيغة فيهن لتكلف الشيء، وقرأ ابن كثير يَصْعَد بإسكان الصاد وهو مضارع الثلاثي، وقرئ يُصْعِد بضم الياء وإسكان الصاد وكسر العين مضارع أصعد بمعنى صَعَدَ، وكأن للتشبيه"[٣٨٩].

---

٣٨٧ مناهج جامعة المدينة العالمية؛ الدخيل في التفسير، جامعة المدينة العالمية، كود المادة: GUQR5333 (ص٣٢٣).

٣٨٨ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (٢/ ٣٤٣).

٣٨٩ محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش؛ هميان الزاد إلى دار المعاد، موقع التفاسير، ترقيم الشاملة (٧/ ٣٩٧).

وفي رسالة بجامعة بغداد: "ورد التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم في غير ما موضع وكثر لإيضاح المعانّي من خلال تشخيصها وتجسيدها، ففي قوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ} الأنعام:١٢٥، قال البقاعي..: ({كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ} أي يتكلف هذا الشخص في قبول الهداية الصعود {فِي السَّمَاءِ}.. فكلما أصعدته حركته الاختيارية أهبطته حركته الطبيعية القسرية..، مَثَّلَ اللهُ سبحانه حال الضال بحال المضطرب؛ وأخبر انّه ألزم هذا الاضطراب كل من لا يؤمن)، فالبقاعي يُشبه من ضل وكان قلبه مختوما على الكفر بالإنسان الذي يُرفع إلى طبقات الجو العليا فيضيق صدره من قلة الهواء ويختنق كلما سمع بالإسلام، وقد شبه المعقول وهو عدم قبول الإسلام والضيق النفسي؛ بالمحسوس وهو صعود الإنسان إلى مكان شاهق وشعوره بالاختناق، ويذهب ابن جزي فيقول..: (أي كأنما يحاول الصعود إلى السماء وذلك غير ممكن؛ فكذلك يصعب عليه الإيمان..، والملاحظ على تفسير ابن جزي انه فسر الشيء بنفسه، وعدم إبراز الصورة المطلوبة من التشبيه؛ بل انه يربط استحالة الصعود إلى السماء باستحالة الإيمان، وهذا المعنى لم يشهد به البقاعي؛ لأنّ القصد من الصورة هو تصوير الضيق والضجر الذي يصيب صدر الضال فمثله كمثل ذلك الذي يرفع إلى مكان شاهق فيكاد يضيق نفسه ويختنق وهو دلالة على الضيق والضجر، ويذهب أبو حيان في تفسيره للآية بما ذهب إليه ابن جزي وهي استحالة الصعود إلى السماء معتمداً قول الزمخشري فيقول: (والجملة التشبيهية معناها كأنما يزاول أمراً غير ممكن؛ لأنّ صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة)، إنَّ المناقشة العلمية الدقيقة تدلنا على أنّ عدم القدرة على التنفس في الأماكن العالية والضيق.. والوصول إلى مرحلة الاختناق تُرجّح قول البقاعي الذي أورده في التشبيه السابق، فالمقتضى البلاغي من هذا التشبيه هو بيان حال الضال الذي لا يصل إلى قلبه الإيمان، أو تجسيد حالة الكفر النفسية وتوضيحها ورسمها بصورة تتمثل في النفوس وتتكشف، وهكذا نجد أنّ البقاعي ينطلق في تفسيره من منطلق أكثر عمقاً من غيره من المفسرين مع كونه متأخرا عنهم، فهو يغوص في المعانّي البلاغية والنفسية التي يعانّيها الكافر"[٣٩٠].

وفي بحث بالجامعة الإسلامية: "من الآيات التي فيها إشارة علمية.. قوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ} الأنعام:١٢٥، وتشير هذه الآية الكريمة إلى ظاهرة نقصان الأوكسجين في طبقات الجو العليا؛ فيتأثر الجسم نتيجة ذلك، وقد أثبت العلم الحديث أنه كلما ارتفعنا في الجو قَلَّ الضغط الجوي؛ وبالتالي (يقل..) الأوكسجين، ويعد عنصر الأوكسجين أهم عناصر الهواء المستنشق..، وأما ظاهرة (الحرج) الواردة في الآية الكريمة فهو الذي يمثله الارتفاع الحرج الذي يهبط فيه الضغط (للمستوى الحرج)..، وهنا حتى استنشاق الأوكسجين الصافي.. لا يفي بتاتاً بحاجة الجسم (لبلوغ الضغط أدنى مستوى مُحتمل)..، ويقسم العلماء مراحل أعراض ظاهرة نقص الأوكسجين إلى أربعة مراحل..: (١) مرحلة عدم التغيير من مستوى سطح البحر إلى الارتفاع ١٠,٠٠٠ قدم؛ وفي هذه المرحلة لا توجد أعراض لنقص الأوكسجين، ولا تتأثر الرؤية بالنهار، (٢) مرحلة التكافؤ الفسيولوجي من ارتفاع ١٠,٠٠٠ قدم إلى ١٦,٠٠٠ قدم، وتعمل أجهزة التكافؤ الفسيولوجي في هذه المرحلة على عدم ظهور أعراض نقص الأوكسجين؛ إلا إذا.. قام الفرد بمجهود جسماني في هذه الظروف فتبدأ عملية التنفس في الازدياد عدداً وعمقاً ويزيد النبض وضغط الدم..، (٣) مرحلة الاختلال الفسيولوجي من ارتفاع ١٦,٠٠٠ قدم إلى ٢٥,٠٠٠ قدم، وفي هذه المرحلة لا تفي أجهزة التكافؤ الفسيولوجي بالمطلوب ولا تستطيع توريد الكمية الكافية من الأوكسجين للأنسجة، وهنا يبدأ ظهور الأعراض، وفي هذه المرحلة نجد تفسيراً واضحاً لضيق الصدر الذي يشعر به الإنسان عندما يصعد إلى هذه الارتفاعات كما يحدث عند الطيارين..، (٤) المرحلة الحرجة من ارتفاع ٢٥٠٠٠ قدم فأعلى، وفي هذه المرحلة يفقد الإنسان الوعي تمامًا"[٣٩١].

---

[٣٩٠] عقيد خالد حمودي محيي العزاوي؛ الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد؛ ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م (ص٢).

[٣٩١] د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي؛ الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلم، كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بحث مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه تحت رعاية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد؛ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية في الفترة من ١٤٢١/٦/٤هـ وإلى ١٤٢١/٦/٧هـ (ص٥٥).

وقال العاني: "(كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ).. هذا تمثيل لشدة ضيق الصدر..، (و) فيها إيذان بأمر آخر وهو أن أوكسجين الهواء ينقص في طبقات الجو؛ وكلما ارتفع تناقص، وأن الإنسان إذا صعد لتلك الطبقات ولو بالطائرة أو غيرها من الآلات المحدثة..؛ يشعر فيها بعوارض الاختناق من صعوبة التنفس..، وقد يؤدي ذلك إلى الموت"[٣٩٢].

وفي مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: "قال الله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام:١٢٥..؛ يشير سبحانه وتعالى في معنى هذه الآية أنه من يرد الله هدايته للحق يوسع صدره حتى يقبله بصدر منشرح، أما من يرد الله إضلاله يجعل صدره ضيقاً أشد ما يكون الضيق ويتكلف ما لا يطيقه.. كما يتكلف من يريد الصعود إلى السماء..، للهواء ضغط؟ نعم إن له ضغطا مادام له وزن، وكلما ازداد وزنه ازداد ضغطه، وإذا ارتفعت إلى أعلى قل وزن الهواء عن سطح الأرض؛ فضغط الهواء على قمة جبل أقل بكثير من ضغط الهواء عند قاعدته، وأول من أكتشف أن للهواء ضغطا هو العالم تورشيلي، ولكن متى كان ذلك؟ كان ذلك في منتصف القرن السابع عشر تقريبا؛ كشف أن للهواء ضغطاً قاسه وقدره بما يساوي وزن ستة وسبعين سنتيمتر من الزئبق، وكان كشف تورشيلي هذا خطوة تلتها خطوات؛ إذ عكف العلماء على دراسة الهواء وغازاته ثم حاولوا قياس ارتفاعه ومعرفة مقدار تخلخله، واستعانوا أخيراً بأحدث وسائلهم.. لمعرفة الحقيقة كاملة..، فوقفت دونهم صعاب تغلبوا عليها بالعلم ومن بين الصعاب مسألتان أشار إليهما كتاب الله.. (الأولى) صعود الإنسان في السماء، (الثانية) ما يحدث للإنسان في أثناء هذا الصعود، ويصحب الصعود في الجو أربع ظواهر: (١) قلة الضغط، (٢) قلة الأوكسجين، (٣) برودة الجو وتقلب درجة الحرارة، (٤) انعدام الوزن إذا تغلغل الإنسان في الفضاء، فكلما ارتفع الإنسان قل الضغط فتخلخل الهواء؛ وهذا يسبب للإنسان ضيقاً في التنفس يمتد كلما زاد الارتفاع، وقد يؤدي نقص الضغط إلى تمدد الغازات في معدة الطيار وأمعائه فيسبب له تقلصات عنيفة، وهناك أيضاً حدوث انتفاخ يدفع الحجاب الحاجز إلى أعلى فيضغط على القلب والرئتين مما يسبب الإغماء للطيار أحيانا، وكذلك يكون الطيار معرضاً لنوبات حادة من السعال لأن الهواء في الارتفاع الشاهق تنقصه الكثافة الكافية لتنظيف قناة التنفس من المواد المهيجة لها، وينتج عن قلة الضغط ظاهرة أخرى: فكلما ارتفع الإنسان إلى أعلى نقص الضغط الجوي؛ على حين يظل الضغط الداخل للجسم كما هو، فيختل التوازن بين الضغطين: (أ) الضغط الداخلي للجسم الذي يظل دون تغير، (ب) الضغط الخارجي للهواء الذي يأخذ في التناقص تدريجيا، فإذا وصل الإنسان إلى ارتفاع عظيم لم يصبح في الإمكان حفظ التوازن بين هذين الضغطين فينبثق الدم من فتحات الأنف والفم وتنفجر طبلة الأذن إلى الخارج ويصحب ذلك اختناق ثم وفاة أكيدة، هذا إذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة، ومن بين ما اهتدى إليه العلماء لتجنب هذا؛ رداء الضغط العالي الذي تدخل عليه باستمرار تحسينات جديدة، وهذه الظواهر هي التي حدثت في تجربة تيسانييه عند صعوده.. في بالون سنة ١٨٧٥..، وأشد ما يصيب الإنسان عند الصعود (كثيرًا) فقد قوة التمييز..، وهذه الظاهرة تأتي بغتة وبدون سابق إنذار، أما الأوكسجين وهو الغاز الذي لا يمكن للإنسان أن يحيا بدونه؛ فهو (يكاد) يختفي.. من الجو على بعد ٦٧ ميلا وينتج من قلة الأكسجين عدم أكسدة الدم، ومن ثم عدم حدوث حرارة في الجسم مما يسبب للجسم إعياء وضعفاً وتصيبه برودة يتقلص لها جسمه ويقشعر لها بدنه، هذا فوق تقلب درجة الحرارة من برودة تفوق زمهرير المنطقة المتجمدة؛ إلى درجة حرارة أعلى بكثير..، وهذه (الدلالة العلمية) التي احتوتها الآية القرآنية لم يفطن إليها العلم إلا حينما جاب أجواء الفضاء ببالوناته وطائراته، ولذلك فالطائرات التي ترتفع إلى علو شاهق لابد أن تكون محكمة البناء يلبس طياروها ملابس مزدوجة بينها أجهزة كهربية لتدفئتهم فتدرأ عنهم برودة الجو كما لابد أن يلبس الطيار على فمه وأنفه قناعا ليمده بالأكسجين، فكلمة العلم قد التقت هي والقرآن الكريم، نعم التقيا بعد أن ظل العلم تائها في بيدائه باحثا متقصيا يهتدي وقتا ويتعثر أوقاتًا حتى عرف الحق بعد أن قضى في تجاربه القرون الطوال"[٣٩٣].

---

[٣٩٢] عبد القادر بن ملّا العاني؛ بيان المعاني، مطبعة الترقي بدمشق، الطبعة الأولى؛ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م (٣\ ٤٠٢).

[٣٩٣] حامد حسين قدير؛ معجزات القرآن العلمية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الرابعة عشرة، العددان: ٥٥و٥٦؛ ١٤٠٢هـ (ص١٨٠).

وقال النابلسي: "قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السمآء كذلك يَجْعَلُ الله الرجس عَلَى الذين لاَ يُؤْمِنُونَ} الأنعام:١٢٥، هذه الآيةُ مِن دلائلِ الإعجازِ العلميّ في القرآنِ الكريمِ؛ ومِن دلائلِ نبوَّةِ النبي عليه الصلاة والسلام، فقدْ أثبتَ علمُ طبِّ الطيرانِ والفضاءِ أنَّ تعرُّضَ الإنسانِ للارتفاعاتِ العاليةِ عندما يصعدُ مِن سطحِ الأرضِ إلى الطبقاتِ العُلْويَةِ في السماءِ يُحدِث له أعراضاً عضويةً، تتدرَّج من الشعورِ بالضيقِ الذي يتركَّزُ في منطقةِ الصدرِ حتى يصلَ إلى المرحلةِ الحرجةِ التي ذكرَها القرآنُ الكريمُ: {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السمآء} ، وذلك أنه كلّما استمرَّ في الارتفاعِ انخفضَ الضغطُ الجوي، ونقَصَ الأكسجينُ، إنّ الإنسانَ إذا ارتفعَ عن مستوى سطحِ البحرِ إلى عشرةِ آلافِ قدمٍ لمْ يشعرْ بشيءٍ مِن أعراضِ نقصِ الأكسجين وخفْضِ الضغطِ، أمّا إذا تجاوزَ عشرةَ آلافِ قدمٍ إلى ستةَ عشر ألف قدمٍ، فإننا نجد عندئذٍ ما زوَّد اللهُ به الجسمَ من أجهزةٍ تتكافأُ مع هذا التبدُّلِ في الضغطِ وفي نقصِ الأكسجين، فإذا بقيَ في هذا المكانِ بين عشرة آلاف قدم وستة عشر ألف قدمٍ يزدادُ نبْضُ قلبِه ووجيب رئتيه ويرتفعُ ضغطُه من أجلِ أن توفِّرَ هذه الأجهزةُ للجسمِ حاجتَها مِن الأكسجين، أما إذا تجاوزَ الإنسانُ ستة عشر ألف قدم إلى خمسة وعشرين فإنّ أجهزةَ الجسمِ عندئذ لا تفي بغرضِها في هذا الارتفاع المفاجئ، فما الذي يحصلُ؟ تظهرُ أعراضٌ؛ في مقدّمتِها ضيقُ الصدرِ: {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السمآء}، أمّا إذا ارتفعَ خمسة وعشرين ألف قدم فأكثر فإنّه يفقدُ الوعيَ عندئذٍ تماماً، لذلك فإنّ الطائرةَ التي تحلّقُ على ارتفاعِ أربعين ألف قَدَمٍ تكونُ مضغوطةً ثمانيةَ أمثالِ الهواءِ الذي عليها حين تكون على سطحِ الأرضِ؛ مِن أجْلِ أنْ يكونَ الضغطُ الجويُّ في الطائرةِ موافقاً لما هو عليه حين يكون على سطحِ الأرضِ، وإلا غابَ الرُّكّابُ عن الوعيِ تماماً، وهذه الآيةُ مِن أدلةِ الإعجازِ العلميّ في القرآنِ الكريمِ؛ ومِن أدلةِ نبوَّةِ النبيّ عليه الصلاة والسلام، هذه أعراضُ نقصِ الأكسجين، فماذا عن أعراضِ انخفاضِ الضغطِ؟ قال العلماءُ: إنَّ كلَّ الغازاتِ في الجسمِ تتمدَّد مع انخفاضِ الضغطِ، ومع تمدُّدِها تتمزَّقُ الأنسجةُ والأجهزةُ، وتتهتَّكُ الرئتان، ويتهتَّك القولون، وتتهتَّك الأذنُ الوُسطى، فإنّ انخفاضَ الضغطِ له آثارٌ خطيرةٌ؛ منها آلامُ البطنِ التي لا تُحْتَمَلُ، ولا سيَّما آلامُ القولونِ، وكذا آلامُ الرئتين، وآلامُ الأذنِ، وآلامُ المفاصلِ، هذه كلُّها أعراضُ نقصِ الضغطِ، فهل صعدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى السماءِ فقال هذا الكلامَ؟ هل صعِدَ أحدٌ في حياته؟ هل ركبَ الطائرةَ أحدٌ في حياتِه حتى وصفَ هذه الأعراضَ؟ يقول الله عز وجل: {فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السمآء} ، لذلك قال سيدنا علي رضي الله عنه: (فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ آيَاتٌ لَمَّا تُفَسَّرْ)، بعْدَ أنْ تقدَّم العلمُ، وركبَ الإنسانُ الطائرةَ والمنطادَ، وصعدَ بهما في طبقاتِ الجوِّ العليا كشفَ هذه الحقائقَ، وحينما تركبُ الطائرةَ لا تشعرُ بشيءٍ مِن هذا القبيلِ، لأنّ أجهزةَ الطائرةِ قد ضَغَطَت الهواءَ ثمانيةَ أمثالٍ، ليكونَ الضغطُ الجويُّ ونسبةُ الأكسجين موافقةً لِمَا هي عليه في سطحِ الأرض، فلو تعطلتْ أجهزةُ الضغط فجأةً في الجوِّ فلا بدَّ للطيارِ أنْ يهبطَ اضطراراً لئلا يموتَ الرُّكابُ، وهذا معنى قولِه تعالى: {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السمآء}، وقد عُرِضَ بحثٌ عنوانه: الضغوطُ العاليةُ، وبدأ بتعريفِ وَحْدة الضغط، وهو الضَّغطُ الجويُّ الذي يساوي ألفاً وثلاثةً وثلاثين غراماً على السنتمتر المربع، وهو وزنُ ستة وسبعين سنتمتراً مكعباً مِن الزئبق، هذا الضغطُ الجويُّ هو وحدةُ قياسِ الضغطِ، ونعلمُ أنّ مساحةَ جسمِ الإنسانِ مِن مترٍ إلى مترين، حيث يتحمَّل ضغطاً فوْقَه من عشرةٍ إلى عشرين طناً دون أنْ يشعرَ، ونحن جميعاً في قاعِ بحرٍ ملؤُه الهواءُ، وكلٌّ منّا يحملُ فوقَه مِن عشرةٍ إلى عشرين طناً من الضغطِ الجويّ"[٣٩٤].

وفي مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية: "في حالة نقصان كمية الأكسيجين تحدث تغييرات كيميائية في الجسم؛ فيقوم الجسد بمضاعفة كمية التنفس لعله يأخذ أكبر قدر ممكن منه ويتخلص من الفضلات ويشعر المريض بأشياء أهمها ضيق في الصدر، واكتشف العلماء أخيرا أنه في الارتفاعات الشاهقة تنقص كمية هذا الغاز، ووجد أن مقدار توتره عند سطح البحر ١٠٠ ملم وعند ارتفاع ٨٠٠٠ متر لا يزيد عن ٢٥ ملم حيث يتعسر تبادله مع كريات الدم الحمراء فيصعب التنفس مما يجعل الشخص غير المتمرس يفقد وعيه في خلال دقيقتين ثم يموت، وهنا نستشعر قوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} الأنعام:١٢٥"[٣٩٥].

---

[٣٩٤] محمد راتب النابلسي؛ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١٢\ ٤٥).

[٣٩٥] مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية؛ موقع الجامعة على الإنترنت، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء، ترقيم الشاملة (١٢٠\ ٢٩٩).

وقال مالك بن نبي: "منذ اكتشاف الطبقات العليا بفضل الطيران والبالونات؛ استطعنا أن ندرك ظاهرة عضوية تنتج عن تمدد الهواء، إذ يشعر الصاعد في العلو ببعض الصعوبة في التنفس؛ ويحس بالضيق والانقباض، لقد اقتبست الفكرة القرآنية من هذه الظاهرة استعارة بارعة؛ فيقول القرآن: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام:١٢٥، وربما أمكننا أن نجزم بأن تسلق الجبال قد لفت نظر هواة التسلق إلى هذه الظاهرة حتى قبل ارتياد الطبقات الجوية، فضلاً عن أن الآية لا تستخدم في الموازنة تعبير الصعود في الجبال؛ بل تستخدم صراحة تعبير الصعود في السماء، ونضيف إلى هذا أن مهد العبقرية العربية بلد ذو سطح منبسط وسهول واسعة لا يفيد المرء منها تجربة أو فكرة في تسلق الجبال، فنحن مجبرون أن نقرر هنا أيضاً اتفاقاً رائعاً للفكرة القرآنية مع الواقع العلمي"[٣٩٦].

وقال الساعاتي: "تقرأ مثل قوله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ) الأنعام:١٢٥، فتصور هذه الآية الكريمة في النفس العادية ذلك المعنى الفطري السهل، وتمثل لها ذلك الضال رجلا منهوكا مُتْعَبًا قد بهرت أنفاسه وتقطع نياط قلبه مما حمل من أعباء الضلال؛ كأنما عليه أن يقاسى في مرارة متجددة هول صعود السماء، والآية بهذا المعنى الفطري تحدث في تلك النفس العامية ما قصدته إليه من تأثير في تقبيح صورة الضلال والإبعاد عنه، وهذه الآية نفسها تثير في النفس العلمية ذلك المعنى الكوني الذي أيده البحث وأثبته العلم من تخلخل طبقة الهواء كلما علا الإنسان عن سطح الأرض، وفناء.. الأوكسجين وهو العنصر الصالح للتنفس؛ فتنقطع بذلك أنفاسه ويقف عن التنفس صدره فيزول عنه معنى الحياة جملةً، بل إن الضغط الهوائي ليختل توازنه على جنبات جسمه باطنها وظاهرها؛ فتنفجر عروقه ويسيل في الفضاء دمه مهدورًا، والآية بهذا المعنى العلمي تحدث الأثر المقصود لها كذلك من تقبيح صورة الضلال وإبعاد الناس عنه، هذا معنى من معاني الإعجاز لم يتفق لغير القرآن الكريم: (وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) النساء:٨٢"[٣٩٧].

[٣٩٦] مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي؛ الظاهرة القرآنية، دار الفكر بدمشق، الطبعة الرابعة؛ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م (ص٢٨٨).

[٣٩٧] حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي؛ نظرات في كتاب الله، دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة؛ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م (ص٣٦١).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Meteorology

الأرصاد الجوية

المَوْضُوع Subject

Atmospheric Pressure

الضغط الجوي

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢البقرة:٢٢.**
- **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:١٢٥.**
- **﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى. تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ ٢٠طه:٢-٤.**
- **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.**
- **﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.**
- **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.**
- **﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٣٣.**
- **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.**
- **﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.**

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٦الأنعام:١٤٥.

Paragraph الفقرة

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ٦الأنعام:١٤٥و١٤٦.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿مَيْتَةً﴾، ﴿دَمًا مَسْفُوحًا﴾، ﴿لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾، ﴿رِجْسٌ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Say; I find not in what has been revealed to me anything forbidden to be eaten by an eater who desires to eat it, unless it be a dead animal or blood poured forth, or the flesh of swine for that surely is impure.

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

جاء عصر العلم في القرون الثلاثة الأخيرة ليدرك بعض الوجوه في منهيات التشريع الإسلامي الذي حفظ سلامة أتباعه قرونا قبل اكتشاف المجاهر، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ ٦الأنعام:١٤٥؛ جاء العلم ليفسر لنا أضرار تلك المحرمات ويشرح التدرج في الضرر الموافق للترتيب في النظم: الميتة حيث تنمو البكتريا، ثم الدم حيث تنمو البكتريا أسرع خاصة مع كثرته، وأخيرا الخنزير حيث تجتمع في بدنه جملة أخطار صحية لا يزيلها تطهير!.

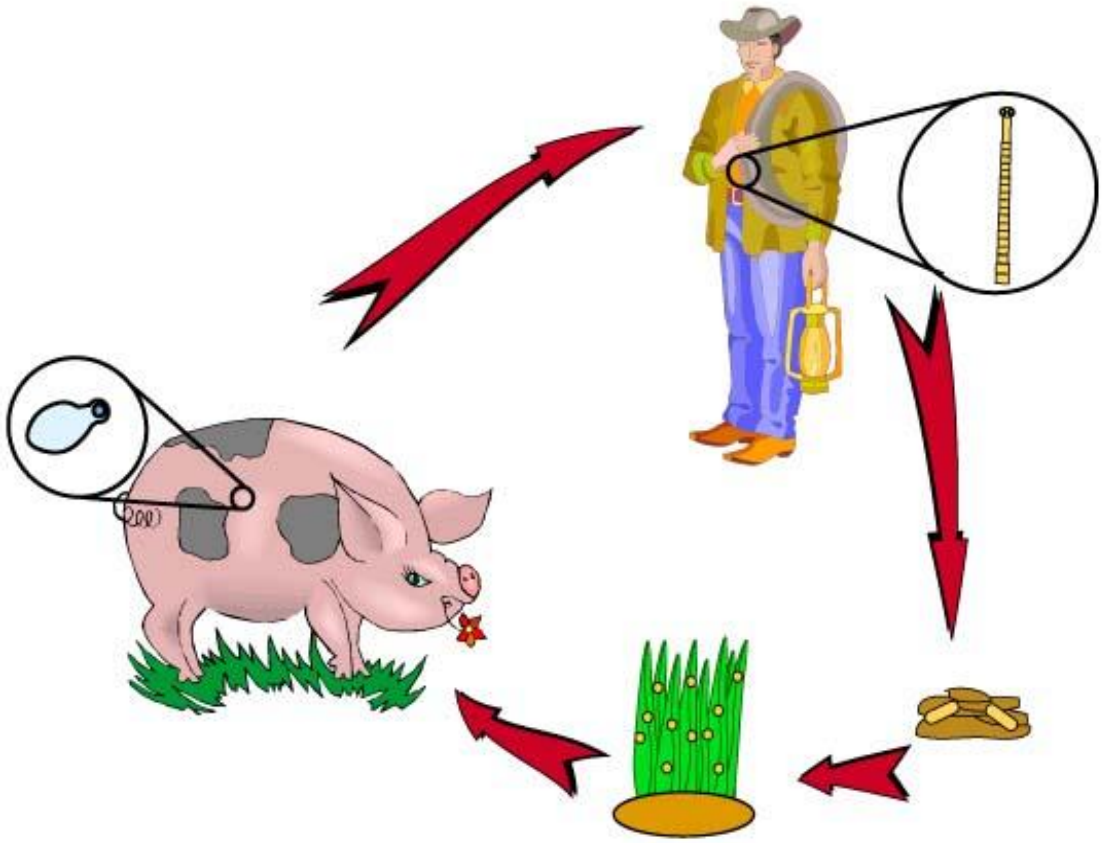

فالخنزير مأوى للعديد من الطفيليات والبكتريا والفيروسات يصدرها إلى الإنسان والحيوان؛ وبعضها يخص الخنزير وحده لا يسببها سواه، منها طفيل الزحار البلنتيدي Balantidium Dysentery والشعرينيات الحلزونية Trchinella Spiralis، وشريطية الخنزير Taenia Solium، والديدان المثانية Cysticercosis.

وبعضها ما يسببه كذلك يصنف ضمن أمراض كثيرة مشتركة بين الإنسان والحيوان Zoonoses، منها سلالات عديدة من الأنفلونزا Influenza، وطفيل الفاشيولا في الصين Fasciolopsis Buski، وثعبان البطن Ascaris، ويكثر وجود مرض الزحار البلنتيدي Balantidiasis عند رعاة الخنازير ومخالطيهم وقد ينتشر بصورة وبائية في مساحات واسعة كما حدث في إحدى جزر المحيط الهادي بعد إعصار نشر روث الخنازير، ويوجد مرض الزحار البلنتيدي حيث توجد مزارع الخنزير خاصة في ألمانيا وفرنسا والفلبين وفنزويلا، وبعضها بلدان متقدمة صناعيا معارضًا الإدعاء بإمكان التغلب على قذارته بوسائل تقنية حديثة تجعل تحريم أكل لحمه بلا مستند[٣٩٨].

[٣٩٨] الشبكة الدولية للمعلومات.

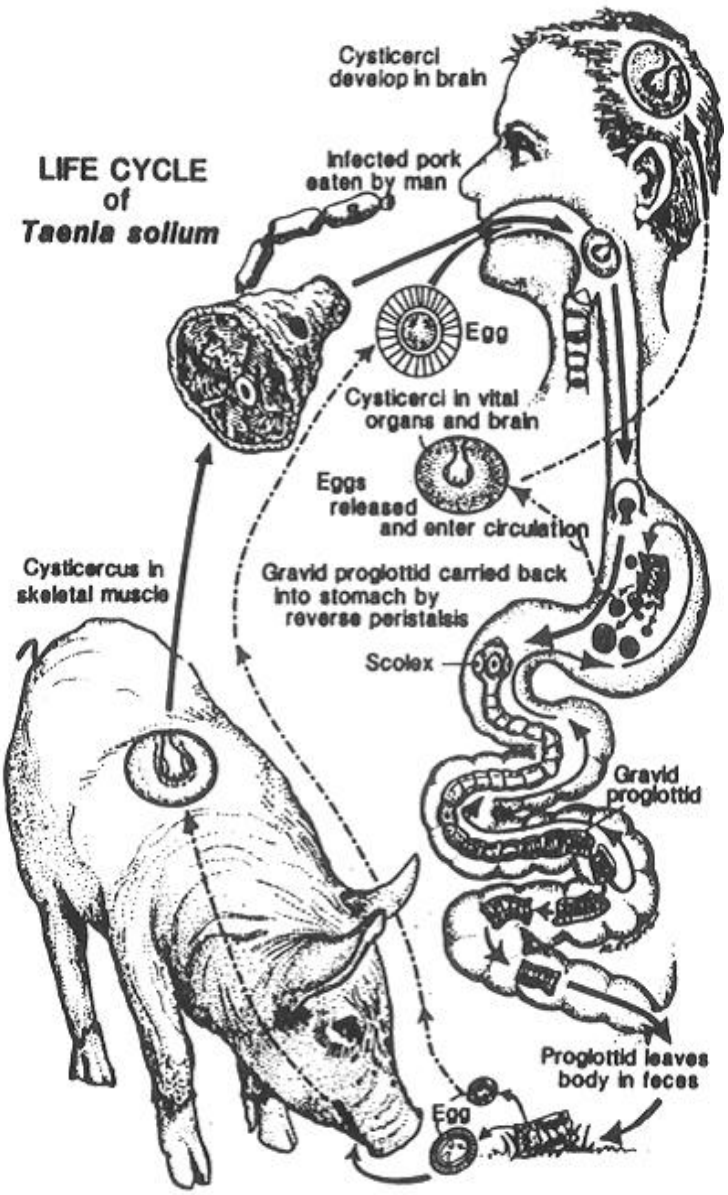

ولحم الخنزير هو المصدر الوحيد لإصابة الإنسان بمرض خطير هو الدودة الشريطية المسننة Taenia Solium، وتحدث الإصابة بمرض الشعرينيات الحلزونية Trichinellosis نتيجة أكل لحم عضلات خنزير مصابة حيث تنخر الأنثى جدار الأمعاء لتضع اليرقات والتي تصل إلى حوالي ١٠ ألف يرقة، وتنتقل اليرقات خلال الدم إلى العضلات لتتحول إلى حويصلات معدية، وأما الإصابة بشريطية الخنزير فتنجم بعد تناول عضلات خنزير مصابة، وتنمو الدودة في أمعاء الإنسان وقد يبلغ طولها سبعة أمتار ولها رأس ذو أشواك تسبب تهتكا في جدار الأمعاء وفقر دم شديد، ولها أربعة ممصات وعنق يولد أسلات خنثى كأنها حيوانات مستقلة قد تبلغ الألف، وفي كل منها تتولد أكثر من ألف بيضة، وتحدث الإصابة بالديدان المثانية Cysticercosis إذا تناول الإنسان طعاما ملوثا بالبيض لتخرج اليرقات وتنتقل في الدم لأي عضو بالجسم؛ وتقدر الخطورة تبعا لأهمية العضو، ولا يحدث هذا المرض مطلقا نتيجة الإصابة بدودة شريطية البقر Taenia Saginata غير ذات الأشواك في الرأس والأقل ضررا[٣٩٩].

والخنزير حيوان جلال يأكل الرمم وسيء الطباع، وقد دفع النفور منه عند الوثنيين إلى اعتباره قاتلا لرموز الخير؛ فروت الأساطير أنه قتل حورس عند المصريين القدماء، وأدون (بعل) عند الكنعانيين، وأدونيس عند الإغريق، وأتيس في آسيا الصغرى، واعتبر رعي الخنازير في مصر القديمة من أحط المهن؛ ولم يكن يقوم بها إلا المعدمون، ولا يدخل راعي الخنازير الهيكل، ولا يتزوج إلا من بنات أمثاله، وعلى من يلمس خنزيرا أن يغتسل[٤٠٠].

---

[٣٩٩] الشبكة الدولية للمعلومات.

[٤٠٠] الشبكة الدولية للمعلومات.

وأكل لحم الخنزير محرم عند أهل الكتاب كذلك بالنص الصريح في تعاليم العهد القديم؛ وإن خالفوها، وإن قام النهي عنه على كونه غير مجتر وإن كان مشقوق الحافر بخلاف الأرنب الذي صنفوه مجترا أي عديد المعدة كالبقر؛ بينما هو بمعدة واحدة، وبخلاف الجمل الذي صنفوه غير مشقوق الحافر؛ أي بأصبع واحدة، بينما هو بأصبعين وظافرين، في سفر اللاويين Leviticus (١١: ٣-٨): في كل ما شق ظلفا وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فإياه تأكلون. إلا هذه فلا تأكلوها؛ مما يجتر ومما يشق الظلف: الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم. والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم. والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم. والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم. من لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا إنها نجسة لكم"، وفي سفر التثنية Deuteronomy (١٤: ٦-٨): "وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفا وتقسمه ظلفين وتجتر فإياها تأكلون. إلا هذه فلا تأكلوها؛ مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم: الجمل والأرنب والوبر لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفا فهي نجسة لكم. والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم؛ فمن لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا"[٤٠١].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ ٦الأنعام:١٤٥؛ النهي عن أكل لحم الخنزير لا تقوم علته على تصنيف مخالف للواقع؛ وإنما كونه جلال آكل للقاذورات ومصدر للأذى والضرر في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾؛ والرجس كلمة جامعة شملت التعبير عن كل سيء يصيب من يقاربه بالأذى والوباء، فجمعت معاني القذارة والدنس والنجاسة والأذى والضرر (Filth, dirt, grime, pollution; obscenity, vulgarity; corruption)، وتأكيدا للضرر قد ورد النهي عن أكل لحمه وتناول شيء منه كطعام في ثلاثة مواضع أخرى؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٢البقرة:١٧٣، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٦النحل:١١٥، وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ ٥المائدة:٣، ويعم التحريم كل ما يؤكل فيشمل الشحم؛ وتحريمه وحده على اليهود يؤكد أن الأصل دخوله مع اللحم كطعام، يقول تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ٦الأنعام:١٤٦، فتحريم لحم الخنزير إذن يحرم الشحم؛ حتى كعلف لحيوان يأكله إنسان، وقد أيدت الأحداث المعاصرة القرآن الكريم؛ ويكفي مرض الحمى القلاعية كمثال.

والحمى القلاعية مرض يصيب المواشي، والقلاع أو الخراع مرض عرفه العرب كطفح وتشقق بمنطقة الفم قد يؤدي لهلاكها، ولم تجد المصادر الحديثة إلا أن تسمي الحالة بأعراضها كذلك بطريقة تكاد تماثل المصادر العربية ، حيث أطلقت عليها مرض القدم والفم Foot-and-Mouth Disease، أو مرض الحافر والفم Hoof-and-Mouth، والمرض شديد الخطر سريع الانتشار سببه فيروس، ويصيب الحيوانات مشقوقة الحافر Cloven-Hoofed كالبقر والجاموس والأغنام والماعز والخنازير، وكذلك الحيوانات البرية مثل الغزلان والظباء والثيران الوحشية والتي قد تمثل مستودعاً لتصدير المرض من حين لآخر إلى الحيوانات الأليفة، وأما الجمال وأشباهها مثل اللاما فهي أقل تعرضاً، والخيول لا تصاب ولكن يمكنها نقل الفيروس العالق بها بين المزارع ومثلها الكلاب والقطط والفئران والطيور والإنسان، ومرض القلاع غير مرض جنون البقر Mad Cow الذي يصيب أدمغة الأبقار فتبدو الأنسجة العصبية مثقبة كالإسفنج، ومن هنا جاءت تسميته بالإصابة الدماغية الأسفنجية في البقر Bovine Spongiform Encephalopathy، وهو مرض يجعل سلوك البقرة شاذاً قبل أن يقضي عليها، ومرض الحمى القلاعية من أهم الأمراض الوبائية في المواشي لما له من تأثير اقتصادي شديد؛ نتيجة لتدمير مزارع الحيوانات وتعطيل تجارة اللحوم والألبان ومنتجاتهما[٤٠٢].

---

[٤٠١] ترجمة سميث وفانديك Smith & Van Dyke VSD، منشورات كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية مصر.

[٤٠٢] الشبكة الدولية للمعلومات.

وأصابت نوبة تايوان في مارس عام ١٩٩٧م فامتنعت اليابان عن استيراد أي شيء منها يشتبه في نقله للمرض، وأصيبت الصين في أبريل عام ١٩٩٩م وذبح في مدينة شانغهاي وما حولها حوالي ٢٠٠٠ رأس، وأعلنت كوريا في ٢٧ مارس ٢٠٠٠ عن ظهور الوباء فهبطت صادراتها من اللحوم والألبان، وكانت النوبة الأخيرة التي أصابتها عام ١٩٣٤م، وفي ٢٣ أغسطس عام ٢٠٠٠م أبلغت البرازيل عن بعض الحالات المصابة بعد آخر إصابة عام ١٩٩٣م، وفي مدى السنوات الأخيرة أصابت نوبات الوباء روسيا وإيطاليا وأستراليا وتركيا والشرق الأوسط واليابان ويوغسلافيا وفرنسا وكوريا والباكستان وسيريلانكا ونيبال وبنجلاديش والهند التي رفضت ذبح الأبقار المريضة للاعتقاد بقدسيتها.

ولقد ذاقت الولايات المتحدة الأمريكية الوباء ٩ مرات كان أبلغها عام ١٩١٤م حيث غزا الوباء ٢٢ ولاية وكان آخرها عام ١٩٢٩م في ولاية كاليفورنيا، وآخر نوبة في أوروبا عام ١٩٨٩م، وفي بريطانيا قد سجل المرض للمرة الأولى عام ١٨٣٩م، وكانت آخر نوبة في بريطانيا عام ١٩٦٧م أصيب خلالها حوالي ٢٠٠٠ حيوان، أما العدوى الوبائية عام ٢٠٠١ فكانت أكثر سرعة في الانتشار وأبلغ عنفاً مما ألحق بالاقتصاد البريطاني أضراراً ليست باليسيرة، وأصاب في المقام الأول العاملين في تجارة الحيوانات الحية واللحوم والألبان والصناعات ذات العلاقة، وإذا ظهر المرض في مجموعة مزارع متقاربة تعزل تماماً ويحجر على المنطقة حولها بعمق حوالي ٢٠ كم، فالحجر الصحي خلال الأوبئة يفرض قيوداً على المزارع القريبة من مصدر الوباء ويحد من نشاط العاملين في تجارة الحيوانات الحية واللحوم والألبان ومنتجاتهما فيقل الإنتاج وربما يفقد السوق الخارجي، وقد أعلنت الجهات المختصة في الولايات المتحدة الأمريكية في مارس عام ٢٠٠١ منع استيراد الحيوانات الحية واللحوم وجميع ما يتعلق بهما من دول الاتحاد الأوروبي.

واللقاح بالأمصال يقلل نسبة المرض لكنه لا يمنع العدوى، والحيوانات التي حصلت على المصل يصعب تمييزها عن الحيوانات الحاملة للمرض؛ حيث توجد الأجسام المناعية في كليهما، ولذا عند إجراء الفحص المناعي على الحيوانان المستوردة ستكون النتيجة إيجابية كذلك في الحيوان الحاصل على المصل؛ وسيعتبر كذلك حاملاً للفيروس.

وبيت القصيد؛ أن نوبة الوباء عام ٢٠٠١ في بريطانيا قد تبين أن المتهم الخفي فيها والذي أخجل المدافعين عنه هو الخنزير؛ نظراً لطبيعته الأصيلة في تناول الرمم والفضلات الملوثة بخلاف المواشي كالأغنام والماعز والبقر والإبل، والقصة كما يرويها المسئولون البريطانيون هي استقدام مطعم صيني في شمال بريطانيا لحوماً ملوثة من الشرق بطريقة غير رسمية واستعمال فضلات الطعام كغذاء للخنازير في مزرعة قريبة؛ فانتشر منها الوباء إلى كل بريطانيا، وأعلنت معظم الدول النفير العام، وبلغ عدد الضحايا من المواشي أكثر من ألف رأس قبل نهاية الأسابيع السبعة الأولى، وتم التخلص من حوالي ١,٥ مليون حيوان وحوالي ٠,٥ مليون مشتبه فيه، وبلغ عدد المزارع المصابة أكثر من ٦٠٠ مزرعة وفق الإحصاءات الرسمية؛ وخرج الوباء عن السيطرة وفقاً لبعض المختصين، كانت أياما من القلق والترقب عاشتها دول الاتحاد الأوروبي، وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي قامت بكل حيلة لمنع دخول فيروس الحمى القلاعية خلسة إليها، هي إذن حرب شنها الخنزير خائن مناصريه، وقد استدعت بريطانيا بالفعل قوات من الجيش للمشاركة في التخلص من الحيوانات المريضة والمشتبه فيها واستخدمت المعدات الثقيلة لحفر قبور جماعية وحرق وطمر جثث المواشي النافقة والمقتولة، وقامت قوات الجيش بمذبحة جماعية بمنطقة واحدة لحوالي ٤٠٠ ألف رأس[٤٠٣]، ولو تجنب المربون وتجار اللحوم في الغرب الخنازير مصدرة الأوبئة؛ واكتفوا بالمواشي النظيفة لأمكن تجنب الكارثة.

وفي القرن السابع الميلادي يوم نزل القرآن الكريم؛ لم يكن يعلم أحد على نحو ما سجلته المراجع الطبية اليوم وأكدته الأحداث من أضرار الخنزير، فمن أين إذن ذلك التشريع الناجع في حماية الأتباع واستئصال أذاه بالوقاية!، يقول العلي القدير: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقّ قُل لّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لّكُلّ نَبَإٍ مّسْتَقَرّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام ٦٦و٦٧.

---

[٤٠٣] الشبكة الدولية للمعلومات.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً} يعني أن ما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام لم يحرمه الله تعالى ولا أوحى إليَّ بتحريمه، ثم بيَّن المحرَّم على وجه الاستثناء لأن نفي التحريم خرج مخرج العموم؛ فقال: {إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً} وهي التي خرجت روحها بغير ذكاة، {أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً} يعني مهراقاً مصبوباً..، {أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ} يعني نجساً حراماً، {أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} يعني ما ذبح للأوثان والأصنام ، سماه فسقاً لخروجه عن أمر الله، فإن قيل: لم اقتصر هنا على تحريم هذه الأربعة وقد ذكر.. المنخنقة والموقوذة والمتردية؟ قيل: لأن هذا كله من جملة الميتة فذكره هناك مفصلاً وها هنا في الجملة، وفي هذه الآية قولان؛ (أحدهما): أنها مشتملة على جميع المحرمات فلا يحرم من الحيوان ما عدا هذا المذكور فيها؛ وهذا قول ابن عباس وعائشة، و(الثاني): أنا تشتمل على تحريم ما تضمنته وليست مستوعبة لجميع المحرمات، لما جاءت به السنة من تحريم كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير؛ وهذا قول الجمهور..، قوله عز وجل: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} هذا التحريم على الذين هادوا إنما هو تكليف بلوى وعقوبة، فأول ما ذكره من المحرمات عليهم {كُلَّ ذِي ظُفُرٍ}، وفيه ثلاثة أقاويل، (أحدها): أنه ما ليس منفرج الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط؛ قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي، و(الثاني): أنه عنى أنواع السباع كلها، و(الثالث): أنه كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب، ثم قال: {وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا}؛ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها شحوم الثَّرْب (الضلوع) خاصة؛ قاله قتادة، و(الثاني): أنه كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم؛ قاله ابن جريج، و(الثالث): أنه شحم الثرب والكلى؛ قاله السدي وابن زيد، ثم قال: {إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا} يعني شحم الجنب وما علق بالظهر فإنه لم يحرم عليهم.، {ذَالِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ} يحتمل وجهين؛ (أحدهما): ببغيهم على موسى عليه السلام فيما اقترحوه وعلى ما خالفوه، و(الثاني): ببغيهم على أنفسهم في الحلال الذي حرموه. {وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} فيما حكاه عنهم وحرمه عليهم"[٤٠٤]، وقال المراغي: "بين ما حرم من المآكل في الآية الكريمة: «قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ»، فما عدا هذا فهو مباح بشرط أن يكون طيبا.. (و) لا يتعلق به حق الغير، وبيانه أن المحرم قسمان: (١) محرم لذاته لا يحل إلا للمضطر، (٢) محرم لعارض"[٤٠٥].

وفي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ ٥المائدة:٣؛ قال ابن عاشور: "(وَالْمُنْخَنِقَةُ) هِيَ الَّتِي عَرَضَ لَهَا مَا يَخْنُقُهَا، وَالْخَنْقُ: سَدُّ مَجَارِي النَّفَسِ بِالضَّغْطِ عَلَى الْحَلْقِ أَوْ بِسَدِّهِ، وَقَدْ كَانُوا يَرْبِطُونَ الدَّابَّةَ عِنْدَ خَشْبَةٍ فُرُبَّمَا تَخَبَّطَتْ فَانْخَنَقَتْ وَلَمْ يَشْعُرُوا بِهَا، وَلَمْ يَكُونُوا يَخْنُقُونَهَا عِنْدَ إِرَادَةِ قَتْلِهَا؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ هُنَا: (الْمُنْخَنِقَةُ) وَلَمْ يُقَلِ الْمَخْنُوقَةُ بِخِلَافِ قَوْلِهِ (وَالْمَوْقُوذَةُ)..، وَحِكْمَةُ تَحْرِيمِ الْمُنْخَنِقَةِ أَنَّ الْمَوْتَ بِانْحِبَاسِ النَّفَسِ يُفْسِدُ الدَّمَ بِاحْتِبَاسِ الْحَوَامِضِ الْفَحْمِيَّةِ الْكَائِنَةِ فِيهِ فَتَصِيرُ أَجْزَاءُ اللَّحْمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الدَّمِ مُضِرَّةً لِآكِلِهِ، (وَالْمَوْقُوذَةُ): الْمَضْرُوبَةُ بِحَجَرٍ أَوْ عَصًا ضَرْبًا تَمُوتُ بِهِ دُونَ إِهْرَاقِ الدَّمِ، وَهُوَ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ وَقَذَ إِذَا ضَرَبَ ضَرْبًا مُثْخِنًا، وَتَأْنِيثُ هَذَا الْوَصْفِ لِتَأْوِيلِهِ بِأَنَّهُ وَصْفُ بَهِيمَةٍ، وَحِكْمَةُ تَحْرِيمِهَا تُمَاثِلُ حِكْمَةَ تَحْرِيمِ الْمُنْخَنِقَةِ، (وَالْمُتَرَدِّيَةُ): هِيَ الَّتِي سَقَطَتْ مِنْ جَبَلٍ أَوْ سَقَطَتْ فِي بِئْرٍ تَرَدِّيًا تَمُوتُ بِهِ، وَالْحِكْمَةُ وَاحِدَةٌ، (وَالنَّطِيحَةُ)..: النَّطْحُ ضَرْبُ الْحَيَوَانِ ذِي الْقَرْنَيْنِ بِقَرْنَيْهِ حَيَوَانًا آخَرَ، وَالْمُرَادُ الَّتِي نَطَحَتْهَا بَهِيمَةٌ أُخْرَى فَمَاتَتْ، وَتَأْنِيثُ النَّطِيحَةِ مِثْلُ تَأْنِيثِ الْمُنْخَنِقَةِ..، (وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ): أَيُّ بَهِيمَةٍ أَكَلَهَا السَّبُعُ، وَالسَّبُعُ كُلُّ حَيَوَانٍ يَفْتَرِسُ الْحَيَوَانَ كَالْأَسَدِ وَالنَّمِرِ وَالضَّبُعِ وَالذِّئْبِ وَالثَّعْلَبِ، فَحُرِّمَ عَلَى النَّاسِ كُلُّ مَا قَتَلَهُ السَّبُعُ لِأَنَّ أَكِيلَةَ السَّبُعِ تَمُوتُ بِغَيْرِ سَفْحِ الدَّمِ غَالِبًا"[٤٠٦].

---

[٤٠٤] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٢ ١٨١).

[٤٠٥] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢ ٤٣).

[٤٠٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٦ ٩١).

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٦الأنعام:١٤٥؛ قال ابن عاشور: "الْمَسْفُوحُ: الْمَصْبُوبُ السَّائِلُ، وَهُوَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَذْبَحِ وَالْمَنْحَرِ. أَوْ مِنَ الْفَصْدِ فِي بَعْضِ عُرُوقِ الْأَعْضَاءِ فَيَسِيلُ، وَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ يَأْكُلُونَ الدَّمَ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَوْدَاجِ الذَّبِيحَةِ أَوْ مِنْ مَنْحَرِ الْمَنْحُورَةِ وَيَجْمَعُونَهُ فِي مَصِيرٍ أَوْ جِلْدٍ وَيُجَفِّفُونَهُ ثُمَّ يَشْوُونَهُ، وَرُبَّمَا فَصَدُوا مِنْ قَوَائِمِ الْإِبِلِ مُفَصَّدًا فَأَخَذُوا مَا يَحْتَاجُونَ مِنَ الدَّمِ بِدُونِ أَنْ يَهْلِكَ الْبَعِيرُ، وَرُبَّمَا خَلَطُوا الدَّمَ بِالْوَبَرِ وَيُسَمُّونَهُ (الْعِلْهِزَ)؛ وَذَلِكَ فِي الْمَجَاعَاتِ، وَتَقْيِيدُ الدَّمِ بِالْمَسْفُوحِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى الْعَفْوِ عَنِ الدَّمِ الَّذِي يَنْزِّ مِنْ عُرُوقِ اللَّحْمِ عِنْدَ طَبْخِهِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ الِاحْتِرَازُ عَنْهُ.. وَقَوْلُهُ: (فَإِنَّهُ رِجْسٌ) جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمَعْطُوفَاتِ، وَالضَّمِيرُ قِيلَ: عَائِدٌ إِلَى لَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَالْأَظْهَرُ أَنْ يَعُودَ إِلَى جَمِيعِ مَا قَبْلَهُ، وَإِنَّ إِفْرَادَ الضَّمِيرِ عَلَى تَأْوِيلِهِ بِالْمَذْكُورِ، أَيْ فَإِنَّ الْمَذْكُورَ رِجْسٌ.. وَالرِّجْسُ: الْخَبِيثُ وَالْقَذَرُ.. فَإِنْ كَانَ الضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَى لَحْمِ الْخِنْزِيرِ خَاصَّةً فَوَصْفُهُ بِرِجْسٍ تَنْبِيهٌ عَلَى ذَمِّهِ. وَهُوَ ذَمٌّ زَائِدٌ عَلَى التَّحْرِيمِ، فَوَصْفُهُ بِهِ تَحْذِيرٌ مِنْ تَنَاوُلِهِ. وَتَأْنِيسٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِتَحْرِيمِهِ، لِأَنَّ مُعْظَمَ الْعَرَبِ كَانُوا يَأْكُلُونَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ بِخِلَافِ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ فَمَا يَأْكُلُونَهَا إِلَّا فِي الْخَصَاصَةِ، وَخَبَاثَةُ الْخِنْزِيرِ عَلِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَهُ. وَتَبَيَّنَ أَخِيرًا أَنَّ لَحْمَهُ يَشْتَمِلُ عَلَى ذَرَّاتٍ حَيَوَانِيَّةٍ مُضِرَّةٍ لِآكِلِهِ أَثْبَتَهَا عِلْمُ الْحَيَوَانِ وَعِلْمُ الطِّبِّ. وَقِيلَ: أُرِيدَ أَنَّهُ نَجِسٌ لِأَنَّهُ يَأْكُلُ النَّجَاسَاتِ وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ لِأَنَّ بَعْضَ الدَّوَابِّ تَأْكُلُ النَّجَاسَةَ وَتُسَمَّى الْجَلَّالَةَ وَلَيْسَتْ مُحَرَّمَةَ الْأَكْلِ فِي صَحِيحِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَإِنْ كَانَ الضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَى الثَّلَاثَةِ بِتَأْوِيلِ الْمَذْكُورِ كَانَ قَوْلُهُ: فَإِنَّهُ رِجْسٌ تَنْبِيهًا عَلَى عِلَّةِ التَّحْرِيمِ وَأَنَّهَا لِدَفْعِ مَفْسَدَةٍ تَحْصُلُ مَنْ أَكْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. وَهِيَ مَفْسَدَةٌ بَدَنِيَّةٌ. فَأَمَّا الْمَيْتَةُ فَلِمَا يَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ جِسْمُ الْحَيَوَانِ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ التَّعَفُّنِ، وَلِأَنَّ الْمَرَضَ الَّذِي كَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ قَدْ يَنْتَقِلُ إِلَى آكِلِهِ. وَأَمَّا الدَّمُ فَلِأَنَّ فِيهِ أَجْزَاءً مُضِرَّةً. وَلِأَنَّ شُرْبَهُ يُورِثُ ضَرَاوَةً، وَالْفِسْقُ: الْخُرُوجُ عَنْ شَيْءٍ. وَهُوَ حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْإِيمَانِ، أَوِ عَنِ الطَّاعَةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَلِذَلِكَ يُوصَفُ بِهِ الْفِعْلُ الْحَرَامُ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ سَبَبًا لِفِسْقِ صَاحِبِهِ عَنِ الطَّاعَةِ. وَقَدْ سَمَّى الْقُرْآنُ مَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فِسْقًا.. فَصَارَ وَصْفًا مَشْهُورًا لِمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ أَتْبَعَهُ بِقَوْلِهِ: أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ. فَتَكُونُ جُمْلَةُ: (أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) صِفَةً أَوْ بَيَانًا لِفِسْقاً، وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ تَحْرِيمَ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ لَيْسَ لِأَنَّ لَحْمَهُ مُضِرٌّ بَلْ لِأَنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ بِاللَّهِ"[٤٠٧].

والخنزير محرم لذاته مع الميتة والدم المسفوح وما أهل به لغير الله تعالى؛ والعلة هي النجاسة والقذارة مقدمة الأمراض، وأما المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فهو تفصيل لأحوال ميتة لسبب عارض غير الموت الذاتي، قال المراغي: "بَيَّنَ ما حرم من المآكل في الآية الكريمة: «قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ»، فما عدا هذا فهو مباح بشرط أن يكون طيبا.. (و) لا يتعلق به حق الغير، وبيانه أن المحرم قسمان: (١) محرم لذاته لا يحل إلا للمضطر، (٢) محرم لعارض"[٤٠٨]، وقال ابن عاشور: "قَوْلِهِ تَعَالَى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)؛ فَذَكَرَ أَرْبَعَةً لَا تَعْمَلُ الذَّكَاةُ فِيهَا شَيْئًا وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُنْخَنِقَةَ وَالْمَوْقُوذَةَ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا هُنَا؛ لِأَنَّهَا تُحَرَّمُ فِي حَالِ اتِّصَالِ الْمَوْتِ بِالسَّبَبِ لَا مُطْلَقًا، فَعَضُّوا عَلَى هَذَا بِالنَّوَاجِذِ"[٤٠٩].

---

[٤٠٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٨-أ/ ١٣٦).

[٤٠٨] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٢\ ٤٣).

[٤٠٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٦\ ٩٣).

وقال الرازي: "لَمَّا بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِالْوَحْيِ؛ قَالَ: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ) أَيْ عَلَى آكِلٍ يَأْكُلُهُ، وَذَكَرَ هَذَا لِيُظْهِرَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ هُوَ بَيَانُ مَا يَحِلُّ وَيَحْرُمُ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ، ثُمَّ ذَكَرَ أُمُورًا أَرْبَعَةً؛ (أَوَّلُهَا): الْمَيْتَةُ، وَ(ثَانِيهَا): الدَّمُ الْمَسْفُوحُ، وَ(ثَالِثُهَا): لَحْمُ الْخِنْزِيرِ فَإِنَّهُ رِجْسٌ، وَ(رَابِعُهَا): الْفِسْقُ وَهُوَ الَّذِي أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً) إِلَّا هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ مُبَالَغَةٌ فِي بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَحْرُمُ إِلَّا هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ..، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ فَبَيَّنَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْمَكِّيَّةِ أَنَّهُ لَا مُحَرَّمَ إِلَّا هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِأَنْ قَالَ فِي سورة النحل: (إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلا عادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) النحل:١١٥، وَكَلِمَةُ (إِنَّمَا) تُفِيدُ الْحَصْرَ، فَقَدْ حَصَلَتْ لَنَا آيَتَانِ مَكِّيَّتَانِ يَدُلَّانِ عَلَى حَصْرِ الْمُحَرَّمَاتِ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، فَبَيَّنَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ أَيْضًا أَنَّهُ لَا مُحَرَّمَ إِلَّا هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ، فَقَالَ: (إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) البقرة:١٧٣، وَكَلِمَةُ (إِنَّمَا) تُفِيدُ الْحَصْرَ فَصَارَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْمَدَنِيَّةُ مُطَابِقَةً لِتِلْكَ الْآيَةِ الْمَكِّيَّةِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ (إِنَّمَا) تُفِيدُ الْحَصْرَ، فَكَلِمَةُ (إِنَّما) فِي الْآيَةِ الْمَدَنِيَّةِ مُطَابِقَةٌ لِقَوْلِهِ: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً) إِلَّا كَذَا وَكَذَا فِي الْآيَةِ الْمَكِّيَّةِ، ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ قَوْلَهُ تَعَالَى: (أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ) الْمَائِدَة:١، وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: (إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ) هُوَ مَا ذَكَرَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ بِقَلِيلٍ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَما أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ) المائدة:٣، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَقْسَامُ الْمَيْتَةِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَعَادَهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْكُمُونَ عَلَيْهَا بِالتَّحْلِيلِ، فَثَبَتَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا كَانَتْ مُسْتَقِرَّةً عَلَى هَذَا الْحُكْمِ وَعَلَى هَذَا الْحَصْرِ (في الأربعة محرمات)، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَيَلْزَمُكُمْ فِي الْتِزَامِ هَذَا الْحَصْرِ تَحْلِيلُ النَّجَاسَاتِ وَالْمُسْتَقْذَرَاتِ، وَيَلْزَمُ عَلَيْهِ أَيْضًا تَحْلِيلُ الْخَمْرِ، وَأَيْضًا فَيَلْزَمُكُمْ تَحْلِيلُ الْمُنْخَنِقَةِ وَالْمَوْقُوذَةِ وَالْمُتَرَدِّيَةِ وَالنَّطِيحَةِ مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكَمَ بِتَحْرِيمِهَا، قُلْنَا: هَذَا لَا يَلْزَمُنَا مِنْ وُجُوهٍ؛ (الْأَوَّلُ): أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: (أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا حَرَّمَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ لِكَوْنِهِ نَجِسًا؛ فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ النَّجَاسَةَ عِلَّةٌ لِتَحْرِيمِ الْأَكْلِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ نَجِسٍ يَحْرُمُ أَكْلُهُ، وَإِذَا كَانَ هَذَا مَذْكُورًا فِي الْآيَةِ كَانَ السُّؤَالُ سَاقِطًا، وَ(الثَّانِي): أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ) الْأَعْرَاف:١٥٧، وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَحْرِيمَ كُلِّ الْخَبَائِثِ، وَالنَّجَاسَاتُ خَبَائِثُ، فَوَجَبَ الْقَوْلُ بِتَحْرِيمِهَا، (الثَّالِثُ): أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْمِعَةٌ عَلَى حُرْمَةِ تَنَاوُلِ النَّجَاسَاتِ، فَهَبْ أَنَّا الْتَزَمْنَا تَخْصِيصَ هَذِهِ السُّورَةِ بِدَلَالَةِ النَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ فِي بَابِ النَّجَاسَاتِ، فَوَجَبَ أَنْ يَبْقَى مَا سِوَاهَا عَلَى وَفْقِ الْأَصْلِ تَمَسُّكًا بِعُمُومِ كِتَابِ اللَّهِ فِي الْآيَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْآيَةِ الْمَدَنِيَّةِ، فَهَذَا أَصْلٌ مُقَرَّرٌ كَامِلٌ فِي بَابِ مَا يَحِلُّ وَمَا يَحْرُمُ مِنَ الْمَطْعُومَاتِ، وَأَمَّا الْخَمْرُ فَالْجَوَابُ عَنْهُ: أَنَّهَا نَجِسَةٌ فَيَكُونُ مِنَ الرِّجْسِ فَيَدْخُلُ تَحْتَ قَوْلِهِ: (رِجْسٌ)، وَتَحْتَ قَوْلِهِ: (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ)، وَأَيْضًا ثَبَتَ تَخْصِيصُهُ بِالنَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ مِنْ دِينِ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم في تحريمه، وبقوله تعالى: (فَاجْتَنِبُوهُ) المائدة:٩٠، وَبِقَوْلِهِ: (وَإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما) الْبَقَرَة:٢١٩، وَالْعَامُّ الْمَخْصُوصُ حُجَّةٌ فِي غَيْرِ مَحَلِّ التَّخْصِيصِ، فَتَبْقَى هَذِهِ الْآيَةُ فِيمَا عَدَاهَا حُجَّةً، وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَيَلْزَمُ تَحْلِيلُ الْمَوْقُوذَةِ وَالْمُتَرَدِّيَةِ وَالنَّطِيحَةِ؛ فَالْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ؛ (أَوَّلُهَا): أَنَّهَا مَيْتَاتٌ فَكَانَتْ دَاخِلَةً تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَ(ثَانِيهَا): أَنَّا نَخُصُّ عُمُومَ هَذِهِ الْآيَةِ بِتِلْكَ الْآيَةِ، وَ(ثَالِثُهَا): أَنْ نَقُولَ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ مَيْتَةً دَخَلَتْ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ؛ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَيْتَةً فَنُخَصِّصُهَا بِتِلْكَ الْآيَةِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: الْمُحَرَّمَاتُ مِنَ الْمَطْعُومَاتِ أَكْثَرُ مِمَّا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَمَا وجهها؟ أجابوا عنه من وجوه؛ (أَحَدُهَا): أَنَّ الْمَعْنَى لَا أَجِدُ مُحَرَّمًا مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُهُ مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَغَيْرِهَا إِلَّا مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَ(ثَانِيهَا): أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ وَقْتَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ لَمْ يَكُنْ تَحْرِيمٌ غَيْرُ مَا نَصَّ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثُمَّ وُجِدَتْ مُحَرَّمَاتٌ أُخْرَى بَعْدَ ذَلِكَ، وَ(ثَالِثُهَا): هَبْ أَنَّ اللَّفْظَ عَامٌّ؛ إِلَّا أَنَّ تَخْصِيصَ عُمُومِ الْقُرْآنِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ جَائِزٌ، فَنَحْنُ نُخَصِّصُ هَذَا الْعُمُومَ بِأَخْبَارِ الْآحَادِ، وَ(رَابِعُهَا): أَنَّ مُقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ نَقُولَ إِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي الْقُرْآنِ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يُحَرِّمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا سِوَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَمَّا بَيَّنَ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ؛ بَيَّنَ أَنْ عِنْدَ الِاضْطِرَارِ يَزُولُ ذَلِكَ التَّحْرِيمُ"[٤١٠].

[٤١٠] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١٣\ ١٦٨).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Dietetics

أغذية

المَوْضُوع Subject

Swine Flesh

لحم الخنزير

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٢البقرة:١٧٣.**
- **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٦النحل:١١٥.**
- **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ ٥المائدة:٣.**
- **﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ ٦الأنعام:١٤٥.**
- **﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ٦الأنعام:١٤٦.**

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾
الأعراف:٣١.٧

Paragraph الفَقْرَة

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف:٣١-٣٣.٧

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

And eat and drink, but be not immoderate; Surely, HE (Allah) **does not love those who are immoderate** (the gluttons)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف:٣١و٣٢، وفي الحديث الشريف: (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بدَّ فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) رواه الإمام أحمد والترمذي.

وفي قوله تعالى: (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)، وقوله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)؛ تعريض بالرهبانية في العبادة والغلو في الزهد والانقطاع عن الحياة، وفيه توجيه نحو السعي على الرزق، وجاء التوجيه: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) ناهيا عن الإسراف؛ فالمضمون إذن هو الاعتدال، والقاعدة أن كل فضيلة دعي إليها الإسلام مصلحة دينًا ودنيا؛ وكل رزيلة مضرة، فتعين أن الإسراف في الطعام مضرة.

وطلب الغذاء إشباع لغريزة مهمتها الحفاظ على صحة البدن، والتمتع بالطعام مباح؛ على أن تقوية البدن والحفاظ على صحته في القرآن الكريم ليس غرضًا في حد ذاته وإنما لأداء أمانة المخلوق لخالقه وللحفاظ على صحة العبادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ البقرة: ١٦٨، وإذا كان إشباع الغرائز هو الغرض؛ فلا فارق إذن بين إنسان وُهِبَ عقلا وعرف واجبه وحيوان لا يدرك لوجوده غرض، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ محمد:١٢، ودين الإسلام ليس دين رهبانية وفي الحديث الشريف: (إن الله لم يبعثني بالرهبانية)؛ وإنما الإسلام عبادة وعمل، ولا يقطع العابد عن الحياة، ولا يمنع عن طيب الطعام والكساء، وإنما يدعو إلى الاعتدال وينهى عن التقتير وعن التباهي والإسراف.

ومن عواقب النهم على جهاز الهضم: التخمة وعسر الهضم وتوسع المعدة، والوجبة الكبيرة مقدمة للشعور بألم الذبحة الصدرية عند المصابين بأمراض الأوعية القلبية بسبب نقص تروية القلب بالدماء وتوجيهها نحو الأمعاء عقب الوجبات، وتناول الدهون بكثرة يعرض للإصابة بتصلب الشرايين Arteriosclerosis، وتناول اللحوم بكثرة يعرض ذوي الاستعداد الوراثي للإصابة بداء الملوك أو النقرس Gout، والسمنة Obesity تحد من نشاط الفرد وتقلل من إنتاجه، وهي مقدمة للإصابة بجملة أمراض عديدة؛ منها داء البول السكري Diabetes Mellitus وارتفاع ضغط الدم Hypertension، وجلطات القلب والمخ وهي حالات قد تؤدي للموت، والسمنة أو البدانة تؤدي إلى خلل في التمثيل الغذائي Metabolism واضطراب الغدد الصماء نتيجة لتراكم الشحوم، ولم يعد مجهولا أن للبدانة عواقب وخيمة على جسم الإنسان حتى أن إحدى شركات التأمين الأمريكية تقرر وفقا للإحصائيات أنه كلما طال حزام البطن كلما كان العمر قصيرا نتيجة الإصابة بالأمراض، ومرض البول السكري يصيب الشخص البدين أكثر من العادي، ونتيجة للبدانة تحل الدهون محل بعض خلايا عضلة القلب مما يؤثر بصورة مباشرة على وظيفته، وهكذا قد تؤدي السمنة لأمراض القلب وسكري النمط الثاني وصعوبات التنفس أثناء النوم؛ وبعض حالات السرطان، وتعد السمنة سبباً رئيسياً للموت المبكر على مستوى العالم أجمع، وهي تشهد شيوعاً أو انتشاراً متزايداً بين فئات الراشدين والأطفال، وتعتبر السمنة واحدةً من أكثر مشكلات الصحة العامة في القرن الحادي والعشرين خطورة.

ووفق موسوعة ويكيبيديا العالمية: السمنة Obesity حالة طبية تتراكم فيها الدهون الزائدة بالجسم فتؤثر سلبًا على الصحة؛ مؤديةً بذلك إلى انخفاض نتيجة المشاكل الصحيةٍ، وفق التعريفات التي نشرتها منظمة الصحة العالمية عام ٢٠٠٠، وهي تختلف قليلا وفق أجناس الشعوب، وتشخص الحالة بقياس الخصر أو مؤشر كتلة الجسم، وهو عبارة عن الوزن بالكيلوغرامات مقسومًا على مربع طول الجسم بالأمتار: {الوزن كجم\ مربع الطول متر}.

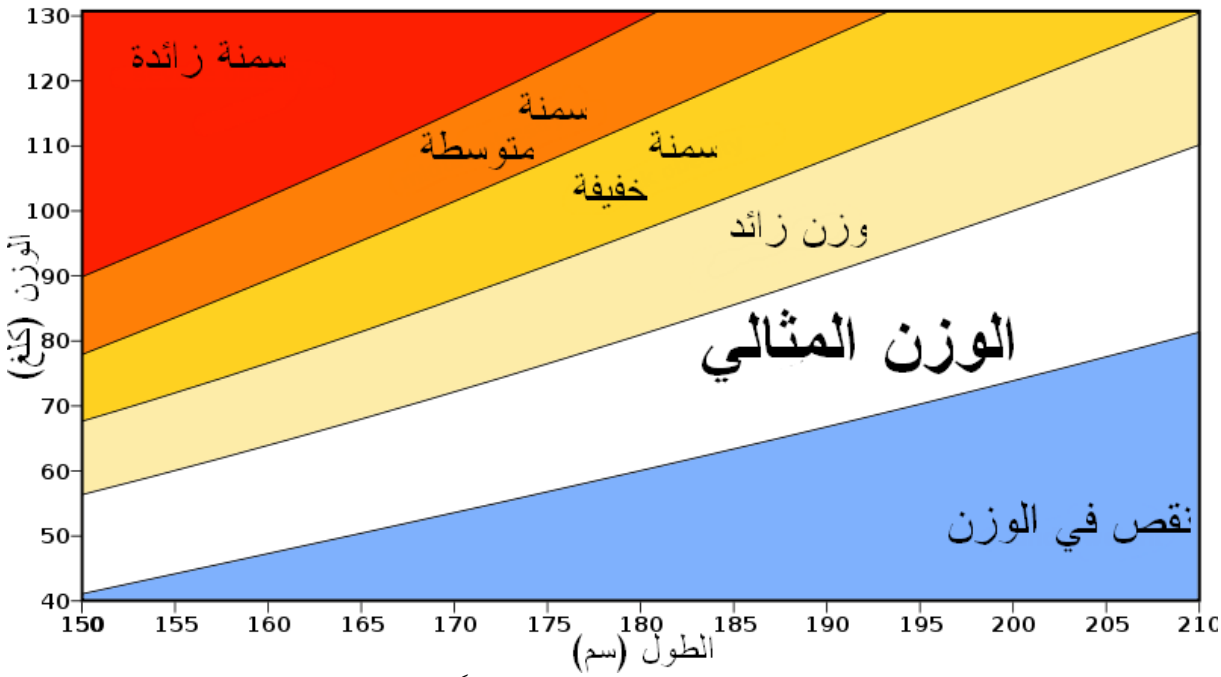

وتشخص الحالة وفق تجاوز مؤشر النسبة الطبيعية نقصًا أو زيادةً؛ أقل من ١٥: نقص حاد جدا، من ١٥ إلى ١٦: نقص حاد، من ١٦ إلى ١٨,٥: نقص في الوزن، من ١٨,٥ إلى ٢٥: وزن طبيعي، من ٢٥ إلى ٣٠: زيادة في الوزن، من ٣٠ إلى ٣٥: سمنة خفيفة، من ٣٥ إلى ٤٠: سمنة متوسطة، أكثر من ٤٠: سمنة مفرطة، ويعتبر الشخص سمينًا إذا كان مؤشر كتلة الجسم أكثر من ٣٠ كجم/ متر مربع، وحينئذٍ يكون أكثر عرضة للأمراض.

وتنتُج السمنة من سعراتٍ حراريةٍ زائدةٍ نتيجة قابلية جينية وبطء عمليات الأيض Metabolism بحيث يزداد الوزن مع أن كمية الأكل قليلة، وقلةٍ في النشاط البدني، واضطرابات الغدد الصماء، وبعض الأمراض النفسية، وقد حددت دراسة أُجريت عام ٢٠٠٦ عواملٍ أخرى أسهمت في زيادة معدلات السمنة؛ مثل: النوم غير الكافي، وملوثاتٍ بيئيةٍ تؤثر على التمثيل الغذائي للدهون، وتناقص معدلات التدخين لأن التدخين يقلل الشهية، والاستخدام المتزايد للأدوية التي يمكن أن تتسبب في زيادة الوزن (مثل مضادات الذهان)، والحمل في عمر متأخر قد يؤدي إلى قابلية الإصابة بالسمنة عند الأطفال المولودين، والتزاوج المختلط الذي يؤدي إلى تركيز متزايد للعوامل الوراثية المؤدية للسمنة، كما توصلت بعض الدراسات الإحصائية إلى أن ٨٠% من ذرية أي أبوين يعانيان من السمنة جاءت مصابةً بالسمنة، ومن ناحيةٍ أخرى فإن أقل من ١٠% من ذرية أي أبوين يتمتعان بالوزن الطبيعي جاءت مصابة بالسمنة.

ويمكن تعريف السّعر الحراري بأنه كميّة الطاقة الناتجة عن كِمّية معينةٍ من الطعام؛ فكلما حصلت على كمّية أكبر من السْعرات الحرارية عما تحتاجُه فإنَّ الكمية الزَّائدة تتحول إلى دهون، وتخزن على هيئة شحوم بالجسم، أما إذا أكلت كمّية من الغذاء تحتوي على سُعَرَات أقل مما تَحَتاجه فإن الجسم يُحوّل جزءًا من دهنه إى طاقة، فمثلاً عندما تأكل ٣,٥٠٠ سعر حراري زيادة عما تحتاجه، فسوف يتحول هذا إلى ٠,٥ كجم دهن سواء أكان ذلك خلال أيام أم أسابيع، وبالعكس لو أكلت كمية تقل عن ٣,٥٠٠ سعر حراري عما تحتاجه؛ فإن الجسم يَفْقد ٠,٥ كجم من الدهن المخزون.

وفي نهايات التسعينات من القرن العشرين كان الأوروبيون يتناولون نحو ٣٣٩٤ سعراً حرارياً للفرد الواحد؛ وفي المناطق النامية بآسيا بلغ المتوسط ٢٦٤٨ سعراً حرارياً للفرد، وبلغ في إفريقيا ٢١٧٦ للفرد، وفي عام ١٩٩٦ حققت الولايات المتحدة أكبر معدل استهلاكٍ وصل إلى ٣٦٥٤ سعراً حرارياً للفرد، وتزايد عام ٢٠٠٣ حتى وصل إلى ٣٧٥٤، وفي المقابل؛ تزايدت معدلات السمنة من سنة ١٩٧١ إلى سنة ٢٠٠٠ في الولايات المتحدة من ١٤,٥% إلى ٣٠,٩%.

ويتمثل العلاج الأول للسمنة في إتباع حميةٍ غذائيةٍ وممارسة التمارين الرياضية، ولتدعيم مثل تلك الأنشطة؛ أو في حالة فشل هذا العلاج؛ فربما يكون من الممكن تعاطي أدوية التخسيس لتقليل الشهية أو لمنع امتصاص الدهون، إلا أنه في الحالات المتقدمة قد يتم إجراء جراحةٍ بإزالة جزء من المعدة أو يتم وضع بالون داخل المعدة للتقليل من حجمها أو تقليل طول الأمعاء؛ مما يؤدي إلى شبع مبكر، وخفض القدرة على امتصاص المواد الغذائية من الطعام، ويمكن تقسيم الحميات الغذائية الهادفة إلى إنقاص الوزن إلى أربع فئات هي: حمية منخفضة الدهون، حمية منخفضة الكربوهيدرات، حمية منخفضة السعرات الحرارية، وحمية منخفضة السعرات الحرارية جداً، وقد توصلت دراسة إلى أنه لا يوجد اختلاف بين ثلاثةٍ من أنواع الحمية الرئيسية (منخفض السعرات، منخفض الكربوهيدرات، ومنخفض الدهون)، حيث أحدثت هذه الأنواع الثلاثة نقصاً في الوزن بين ٢ و٤ كيلوجرامات في جميع الدراسات، في حين تؤدي الحميات الغذائية المنخفضة جداً في السعرات الحرارية إلى خسارةٍ في الوزن تتراوح بين ١,٥ و٢,٥ كيلوجرامات في المتوسط، لكنها تعرض الجسم للجوع الشديد، وقد تصاحبها أعراض جانبية ضارة، مثل تقلص كتلة العضلات، وزيادة مخاطر الإصابة بالنقرس، واختلال توازن الأملاح بالجسم، ومن ثم فلا يوصَى باستخدام هذا النوع من الحميات الغذائية بشكل عام، وإن كان ولابد فينبغي أن تتم المراقبة عن كثب والمتابعة لهؤلاء الأفراد الذين يقومون بممارسة هذا النوع من الحميات الغذائية من قِبَل طبيبٍ مختص تحسبا للمضاعفات.

وخلاصة القول إذن أن الإفراط في تناول الطعام هو الطريق الأساسي إلى السمنة والتأثر بعواقبها الوخيمة، وفي كلمات قليلة أوجز القرآن الكريم القاعدة الصحية في الغذاء التي ينادي بها الطب الحديث: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)؛ ففي الإفراط في الطعام إذن مضرة، وقد حملت الأخبار تفسير تلك المضرة داعية للاعتدال عن النبي ﷺ وصحبه الكرام، ففي الحديث الشريف: (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بدَّ فاعلاً، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) رواه الإمام أحمد والترمذي، وعن عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنهم أجمعين): (إياكم والبطنة في الطعام فإنها مفسدة للجسم مورثة للسقم)، فمضمون التوجيه إذن أن الشره آفة تسوق الأمراض وتؤذي الجسم، ويكفي بعض ما يحصيه الطب الحديث من عواقب السمنة، وقد يتجه البعض لاستخدام العقاقير لإنقاص الوزن لكنها قد تسبب آثار جانبية مضرة، والسبيل الأمثل للوقاية هو ما سبق وقرره القرآن الكريم داعيًا لنفس القاعدة الصحية التي ينادي بها الطب الحديث: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)!.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ} يعني ما أحله الله لكم، ويحتمل أن يكون هذا أمر بالتوسع في الأعياد، {وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: لا تسرفوا في التحريم؛ قاله السدي، والثاني: معناه لا تأكلوا حراماً فإنه إسراف، قاله ابن زيد، والثالث: لا تسرفوا في أكل ما زاد على الشبع فإنه مضر، وقد جاء في الحديث: (أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ البردة)؛ يعني التخمة، ويحتمل تأويلاً رابعاً: لا تسرفوا في الإنفاق، وقوله: {إِنَّهُ لاَ يحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} يحتمل وجهين؛ أحدهما: لا يحب أفعالهم في السرف، والثاني: لا يحبهم في أنفسهم لأجل السرف"[٤١١].

وقال ابن جزي: "(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا) الأمر فيهما للإباحة، لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل، (وَلا تُسْرِفُوا) أي لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجموع في هذه الآية، وقيل: لا تسرفوا بأكل الحرام: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٧الأعراف:٣٢، إنكار لتحريمها هو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل، وكان بعض العرب إذا حجوا يجرّدون الثياب ويطوفون عراة، ويحرّمون الشحم واللبن، فنزل ذلك ردّا عليهم"[٤١٢].

وفي تفسير مجمع البحوث الإسلامية: "{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ}: أي لا تمنعوا أيها المؤمنون أنفسكم مما طاب ولذَّ من الطعام، الذي أحله الله لكم، {وَلَا تَعْتَدُوا}: أي لا تتجاوزوا الحَدَّ بتحريم حلال أو تحليل حرام أو إسراف في طعام، قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}، {وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} ٥المائدة:٨٨، أي تمتعوا بأنواع الرزق من أكل وشرْب ولباس وغير ذلك من الطيبات التي أحلها الله تعالى، وخص الأكل بالذكر لأنه معظم مقاصد الرزق"[٤١٣]، "{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا}: هنا أكثر علم الصحة والاقتصاد ملخصا موجزا في بضع كلمات، والمعنى: وكلوا واشربوا ما طاب لكم ولا تسرفوا بالتعدى إلى الحرام أو بتحريم الحلال أو الإفراط فيه، {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} ؛ قيل: كان أهل الجاهلية يحرمون الدسم وما زاد على القوت الضرورى أيام حجّهم تعظيما له فنزلت هذه الآية لإباحة ذلك والنهي عن الإسراف، والظاهر أن الآية قاعدة عامة تتناول الحجَّ وغيره، نزلت ناهية عن الإفراط والشرَه في الطعام والشراب؛ فإن في ذلك أضرارا كثيرة، أخرج أبو نعيم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال: (إِيَّاكم والبطنة من الطعام والشراب؛ فإنها مَفْسَدة للجسد مورثة للسَّقَم مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما فإنه أَصلح للجسد وأَبْعَدُ عَن السرف، وإن الله ليبغض الحبر السمين. وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه)، وإنما يكره الله الحبر السمين؛ لأن المطلوب من أهل العلم التقلل في الطعام والشراب وإيثار الآخرة على الدنيا وطلب السلامة للجسد، أما العالِم المسرف في طعامه وشرابه المستكثر من الدسم؛ فهو مؤْثر لشهوة بطنه مهتم بدنياه عن آخرته، فلذا يكرهه الله تعالى لأنه بذلك أسوأُ قدوة لغيره، ولعل الغرض: أن الله يكره له ذلك؛ لا أنه يبغضه فعلا، فإن الله لا يبغض سوى أهل المعاصي، وقد أجمع الأَطباءُ قديما وحديثا على أن المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواءِ، وأن الدواء قلَّما ينفع مع عدم الحمّية، وكثيرا ما اعتمد حكماءُ الهند على حمية المريض أياما؛ فَيَصِحُّ جسمه بدون علاج آخر"[٤١٤].

---

[٤١١] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٢١٨\٢).

[٤١٢] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (٢٨٧\١).

[٤١٣] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١١٤٥\٣).

[٤١٤] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٤١٠\٣).

وقال محمد رشيد رضا: "فَمَنْ جَعَلَ شَهْوَةَ بَطْنِهِ أَكْبَرَ هَمِّهِ فَهُوَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ، وَمَنْ بَالَغَ فِي الشِّبَعِ وَعَرَّضَ مَعِدَتَهُ وَأَمْعَاءَهُ لِلتُّخَمِ فَهُوَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ، وَمَنْ أَنْفَقَ فِي ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ طَاقَتِهِ، وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِذُلِّ الدَّيْنِ أَوْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، فَهُوَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ، وَمَا كَانَ الْمُسْرِفُ مِنَ الْمُتَّقِينَ"[٤١٥]، "وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٦الأنعام:١٤١، فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ: تَقْدِيرُ الْأَوَّلِ: كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تُسْرِفُوا فِي الْأَكْلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى..: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٧الأعراف:٣١، وَهُوَ فِي مَعْنَى..: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٥المائدة:٨٧، فَالْإِسْرَافُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ وَالِاعْتِدَاءُ كَذَلِكَ، وَالْحَدُّ الَّذِي يُنْهَى عَنْ تَجَاوُزِهِ إِمَّا شَرْعِيٌّ كَتَجَاوُزِ الْحَلَالِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا إِلَى الْحَرَامِ، وَإِمَّا فِطْرِيٌّ طَبْعِيٌّ وَهُوَ تَجَاوُزُ حَدِّ الشِّبَعِ إِلَى الْبِطْنَةِ الضَّارَّةِ، (الْوَجْهُ الثَّانِي) لَا تُسْرِفُوا فِي الصَّدَقَةِ أَيْ فِي أَمْرِهَا، قَالَ السُّدِّيُّ: أَيْ لَا تُعْطُوا أَمْوَالَكُمْ وَتَقْعُدُوا فُقَرَاءَ.. (الْوَجْهُ الثَّالِثُ) أَنَّ النَّهْيَ عَامٌّ يَشْمَلُ الْإِسْرَافَ فِي أَكْلِ الْإِنْسَانِ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ سَرَفٍ، وَفِي إِنْفَاقِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ صَدَقَةٍ وَغَيْرِهَا، فَالْإِسْرَافُ مَذْمُومٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ.. وَهَذَا لَا يَمْنَعُ دَلَالَةَ اللَّفْظِ بِعُمُومِهِ مَعَ صَرْفِ النَّظَرِ عَنْ مَوْقِعِهِ عَلَى النَّهْيِ عَنْ كُلِّ إِسْرَافٍ، وَنَاهِيكَ بِتَعْلِيلِ النَّهْيِ بِكَوْنِهِ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. وَقَدْ وَصَفَ اللهُ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ٢٥الفرقان:٦٧، وَقَالَ: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ١٧الإسراء:٢٦، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ ١٧الإسراء:٢٩"[٤١٦]، والغرض: "مَنْعُ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَإِبْطَالُ جَعْلِهِ تَعْذِيبًا لِلنَّفْسِ؛ بِإِبَاحَةِ الطَّيِّبَاتِ وَالزِّينَةِ بِدُونِ إِسْرَافٍ وَلَا كِبْرِيَاءَ..: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٧الأعراف:٣١و٣٢، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ ٤النساء:١٧١، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ ٥المائدة:٧٧، وَفِي هَذَا النَّهْيِ اعْتِبَارٌ لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالِانْتِهَاءِ عَنِ الْغُلُوِّ بِأَنَّ دِينَهُمْ دِينُ الرَّحْمَةِ وَالْيُسْرِ..، وَهِيَ مِصْدَاقُ تَسْمِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ (بسبب) قِلَّةُ تَكَالِيفِهِ وَسُهُولَةُ فَهْمِهَا..، وَكَانَ هَذَا أَعْظَمَ أَسْبَابِ قَبُولِ النَّاسِ لَهُ، وَلَكِنَّ الْفُقَهَاءَ أَكْثَرُوا التَّكَالِيفَ بِآرَائِهِمُ الِاجْتِهَادِيَّةِ حَتَّى صَارَ الْعِلْمُ بِهَا مُتَعَسِّرًا، وَالْعَمَلُ بِهَا مُتَعَذِّرًا، (فضلا عن) انْقِسَامُ التَّكْلِيفِ إِلَى عَزَائِمَ وَرُخَصٍ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُرَجِّحُ جَانِبَ الرُّخَصِ، وَابْنُ عُمَرَ يُرَجِّحُ الْعَزَائِمَ. وَالنَّاسُ دَرَجَاتٌ فِي التَّقْصِيرِ وَالتَّشْمِيرِ وَالِاعْتِدَالِ، فَيُوَافِقُ الْبَدَوِيَّ السَّاذَجَ وَالْفَيْلَسُوفَ الْحَكِيمَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الطَّبَقَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ٣٥فاطر:٣٢..، (و) نُصُوصُ الْكِتَابِ وَهَدْيُ السُّنَّةِ مُرَاعًى فِيهِمَا دَرَجَاتُ الْبَشَرِ فِي الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ وَضَعْفِهَا، فَالْقَطْعِيُّ مِنْهَا هُوَ الْعَامُّ، وَغَيْرُ الْقَطْعِيِّ تَتَفَاوَتُ فِيهِ الْأَفْهَامُ، فَيَأْخُذُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْهُ بِمَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِرُّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِ عَلَى اجْتِهَادِهِ..، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤٣، وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الْفَرَائِضَ الدِّينِيَّةَ الْعَامَّةَ فِيهِ وَالْمُحَرَّمَاتِ الدِّينِيَّةَ الْعَامَّةَ لَا يَثْبُتَانِ إِلَّا بِنَصٍّ قَطْعِيٍّ يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَالْأَوَّلُ مَذْهَبُ الْحَنَفِيَّةِ وَأَمَّا الثَّانِي وَهُوَ التَّحْرِيمُ فَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ أَيْضًا، وَأَمَّا الْآيَاتُ الظَّنِّيَّةُ الدَّلَالَةِ، وَالْأَحَادِيثُ الْأُحَادِيَّةُ الظَّنِّيَّةُ الرِّوَايَةِ أَوِ الدَّلَالَةِ، فَهِيَ مَوْكُولَةٌ إِلَى اجْتِهَادِ مَنْ يَثْبُتُ عِنْدَهُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ الشَّخْصِيَّةِ، وَإِلَى اجْتِهَادِ أُولِي الْأَمْرِ فِي الْأَحْكَامِ الْقَضَائِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ السِّيَاسِيَّةِ"[٤١٧].

---

[٤١٥] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٧\ ٢٥).

[٤١٦] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٨\ ١٢١).

[٤١٧] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١١\ ٢١٦).

وقال المراغي: "من جعل شهوة بطنه أكبر همه كان من المسرفين، ومن بالغ فى الشبع وعرّض معدته وأمعاءه للتّخمة كان من المسرفين، ومن أنفق في ذلك أكثر من طاقته وعرّض نفسه لذل الدين أو أكل أموال الناس بالباطل فهو من المسرفين والله يقول (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)، والخلاصة أن هدى القرآن في الطيبات هو ما تقتضيه الفطرة السليمة المعتدلة من التمتع بها مع الاعتدال والتزام الحلال، والاعتدال هو الصراط المستقيم الذي يقل سالكه، فكثير من الناس يحيدون عنه ويميلون في التمتع إلى جانب الإفراط والإسراف، ويكونون كالأنعام بل أضل لأنهم يجنون على أنفسهم حتى قال بعض الحكماء إن أكثر الناس يحفرون قبورهم بأسنانهم، وقليلون منهم ينحرفون إلى جانب التفريط والتقتير إما اضطرارا لبؤسهم وعدمهم وإما اختيارا كالزهاد والمتقشفين، وسبيل الاعتدال سبيل شاقة على النفوس، عسرة على سالكها، كلها تدل على فضيلة العقل ورجحانه"[٤١٨]، "(وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) أي كلوا مما رزقكم الله من غير إسراف في الأكل كما قال في آية أخرى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)، وقال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ، وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)، والاعتداء والإسراف: مجاوزة الحد، والحد الذي ينهى الله عن تجاوزه إما شرعى كتجاوز الحلال من الطعام والشراب وما يتعلق بهما إلى الحرام، وإما فطرى طبعي وهو تجاوز حد الشبع إلى البطنة الضارة"[٤١٩].

[٤١٨] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٧ ١٣).

[٤١٩] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٨ ٥٣).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

obesity

السمنة

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٣١و٣٢.**

- **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ البقرة: ١٦٨.**

- **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ محمد:١٢.**

- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ. إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٢البقرة:١٧٢و١٧٣.**

- **﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢البقرة:١٨٧و١٨٨.**

- **﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ ٤النساء:٤.**

- **﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ٤النساء:٦.**

- **﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٥المائدة:٤.**

- **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٦الأنعام:١٤١.**

- **﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ٧الأعراف:٨٠، ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ ٧الأعراف:٨١.**

- **﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٠يونس:١٢.**

- ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ١٠يونس:٨٣.
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ. ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٧-٩.
- ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ. الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ٢٦الشعراء:١٥١و١٥٢.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ
آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾
٧الأعراف:١٣٣.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ. وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ. فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ. وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ ٧الأعراف:١٣٢-١٣٧.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾، ﴿وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾، ﴿وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ﴾، ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

So, WE sent upon them the Flood, and (its sequel); the locust and lice (to destruct their crops)**, and the** (after flood swamps) **frogs** (that attract snakes and their deadly bites) **and the** (parasite manifested by the human urine) **blood** (to destruct their bodies)**, self-explained Signs; but they behaved proudly (**remained arrogant**) and were a criminal people.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

على ضفاف النيل نشأت الحضارة المصرية القديمة؛ وكان يحكمها ملوكًا أشداء أسسوا جيوشًا يخشاها الأعداء.

وفي عهد الإمبراطورية امتد حكم مصر من جنوب تركيا لقرب منابع النيل، ويُرى حاكم مصر في عربته الملكية يحقق الانتصارات التاريخية ويُخضع الممالك للإمبراطورية؛ وتُرى في يده أسورة ذهبية شعار النبلاء والأسرة الملكية.

وكان النهر هو مصدر الثروات من المواشي والزراعات؛ خاصة بالدلتا منطقة الأنهار حيث تكثر التفرعات.

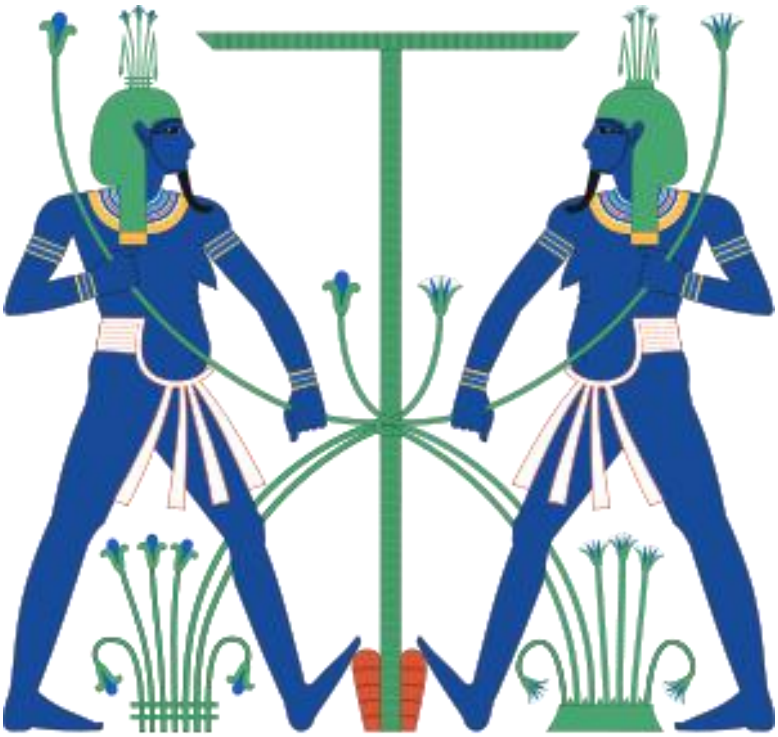

وجسدت النقوش نهر النيل مصدر الخيرات بشخصين يمثلان مصر العليا (الصعيد) ومصر السفلى (الدلتا)؛ يقدمان النبات رمزًا للخصب والنماء، وبينهما مقياس النيل رمزا للفيضان، وسموا النهر حابي جالب السعادة، وفي ترجمة عن المصرية القديمة لأحد التراتيل الوثنية: "حابي أبو الآلهة الذي يغذي ويطعم ويجلب المئونة لمصر، الذي يهب كل فرد الحياة ويجلب مجيئه البهجة لكل إنسان"، ومع رصد ظهور نجم الشعري في بداية كل صيف كانت تُقام الأعياد وتقرب القرابين، ويسعى الكهنة لقياس ارتفاع الفيضان لتقدير الضرائب على المزارعين.

واكتشفت حتى الآن على الأقل ٢٠ مقياسا لفيضان النيل، والصورة لمقياس متدرج في جزيرة فيلة بأسوان.

وتعددت أشكال مقاييس الفيضان على مر القرون؛ وهذا مقياس يرجع للقرن الخامس ميلادي اكتشف عام ٢٠١٠.

وكانت سجلات مناسيب الفيضان تعتبر وثائق رسمية ملكية تحفظ في المعابد والقصر الملكي؛ ومن الآثار بإيطاليا حجر باليرمو؛ ومسجل عليه ٦٣ سجلا للفيضانات، ويرجع للأسرة الخامسة في الألف الثالث قبل الميلاد.

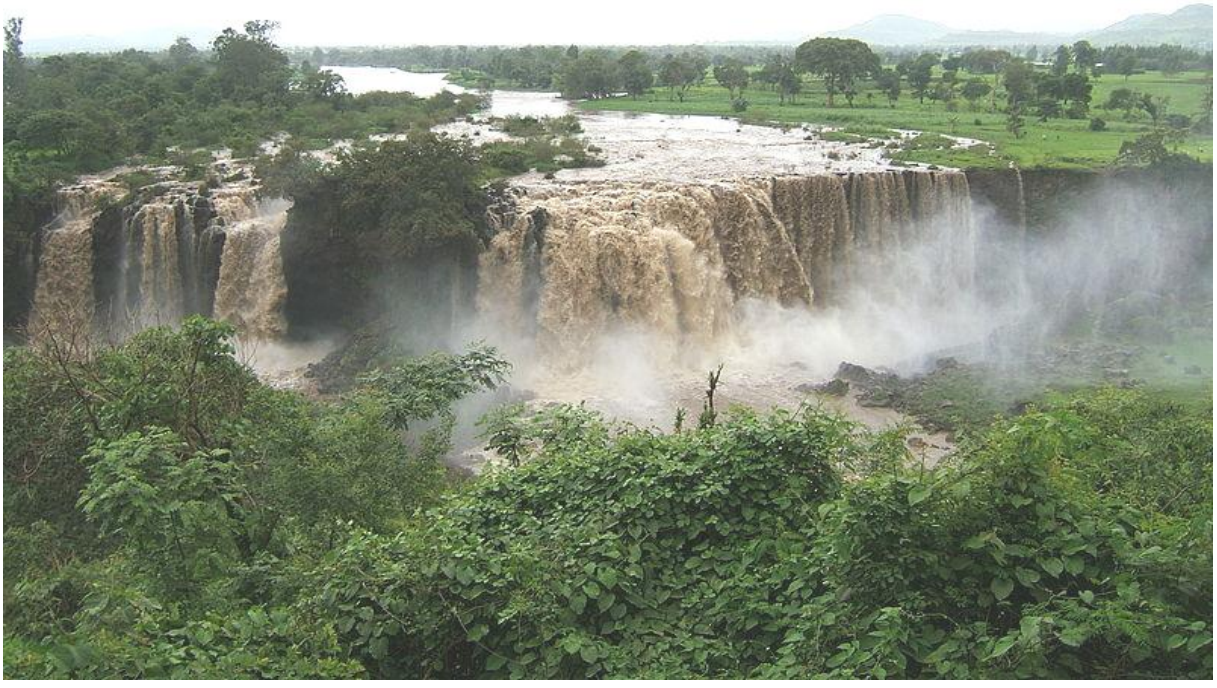

و

المصدر الأساسي الموسمي لمياه النيل (٨٠- ٨٥%) هو منابع هضبة إثيوبيا حيث ينشأ النيل الأزرق، بينما لا يضيف النيل الأبيض القادم من أواسط أفريقيا إلا نسبة قليلة لمياه النيل شبه ثابتة لا تكاد تتغير طول السنة.

وكمية الأمطار التي تسقط على مرتفعات أثيوبيا غير ثابتة؛ لا سنويا ولا موسميا؛ وكان فرط زيادتها أو فرط نقصها يمثل كارثة عظمى لمصر، والعادة أن تزايدها موسميًّا يسبب فيضان مصر كل صيف؛ فيكثر الزرع ويعم الرخاء.

وتتميز منطقة دلتا النيل بوفرة الفروع والتفرعات حتى أنها كانت تسمى بأرض الأنهار، وهي أرض خصبة للزراعة حتى قيل أن اسم مصر معناه في الأصل: الأرض الخصبة السوداء؛ لوفرة الطمي أساس الزراعة والبناء.

كان النيل إذن هو سر حضارة مصر القديمة ومصدر أموالها وثرواتها وقُوَّتِهَا العسكرية حتى أنها كونت إمبراطورية؛ خاصة أنه يجري تحت الأقدام في منطقة الأنهار الأكثر انحدارا فلا يحتاج لرفعه سوى لوسائل بسيطة.

فكان يكفي للمزارع استخدام الشادوف لرفع الماء لمستوى الحقل؛ بسبب جريانه في متناول الأيدي تحت الأقدام.

ويكشف القرآن ستر ماضي الزمان على لسان فرعون إمام الجبابرة الوثنيين باستنصاره بقومه وتذكيرهم بعظمته؛ لوفرة الماء وقربه تحت الأقدام، وليس فرعان في دلتا النيل أو نهران كما هو الحال اليوم؛ بل أنهار: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ٤٣الزخرف:٥١.

قال ابن عاشور: "(الْأَنْهَارُ): فُرُوعُ النِّيلِ..، لِأَنَّهَا لِعِظَمِهَا جُعِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِثْلُ نَهَرٍ فَجُمِعَتْ عَلَى أَنْهَارٍ؛ وَإِنَّمَا هِيَ (فروع) لِنَهَرٍ وَاحِدٍ هُوَ النِّيلُ..، فَاسْمُ الْإِشَارَةِ فِي قَوْلِهِ: وَهذِهِ الْأَنْهارُ إِشَارَةً إِلَى تَفَارِيعِ النِّيلِ الَّتِي تَبْتَدِئُ قُرْبَ الْقَاهِرَةِ فَيَتَفَرَّعُ النِّيلُ بِهَا (حاليا) إِلَى فَرْعَيْنِ عَظِيمَيْنِ فَرْعُ دِمْيَاطَ وَفَرْعُ رَشِيدٍ، وَتُعْرَفُ بِالدِّلْتَا..، (و) كَانَ (يوجد للنيل أيضًا فيها فرع) يُدْعَى فَرْعُ تَنِيسَ لِأَنَّ تَنِيسَ كَانَتْ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ وَغَمَرَهَا الْبَحْرُ..، فَالْإِشَارَةُ إِلَى.. فُرُوعِهِ الْمَشْهُورَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كَأَنَّهَا مُشَاهَدَةٌ لِعُيُونِهِمْ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (تَجْرِي مِنْ تَحْتِي).. يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ النِّيْلَ يَجْرِي فِي مَمْلَكَتِهِ مِنْ بِلَادِ أَصْوَانَ إِلَى الْبَحْرِ؛ فَيَكُونُ فِي تَحْتِي اسْتِعَارَةً لِلتَّمَكُّنِ مِنْ تَصَارِيفِ النِّيلِ"[٤٢٠].

والتصريح: (يَا قَوْمِ)؛ قد يعني وجود سواهم فيستدعي التساؤل؛ لماذا استنصر بهم خاصة، هل كانوا من نخبة قومه من أمراء جيشه غرباء من الوثنيين الجبارين وحلوا بأرض الأنهار بمصر؛ موطن نبوة إدريس وحكمة لقمان!، والتعبير: (تَجْرِي)؛ يدل على وفرة ماء النيل بالدلتا منطقة الأنهار؛ لشدة الانحدار في مصر السفلى عن العليا في الصعيد، والتعبير (مِنْ تَحْتِي) كقوله تعالى (تجري من تحتهم الأنهار)؛ لبيان وفرة الماء، وسهولة الحُصُول عليه بلا مشقة تُذكر، قال ابن أبي زمنين: "(تجري من تحتي) أَي فِي ملكي"[٤٢١]، وقال سيد طنطاوي: "تجرى تحت قدمي.. (في) مُلكي.. أي أفلا تبصرون عظمتي"[٤٢٢]؛ وكأنه استخفافا بقومه الوثنيين يتهم النبي موسى وأتباعه بقلب نظام الحكم الآمن المستقر حيث ينعم الأمراء والأثرياء بخيرات مصر وإلا فقد الناس الأمان؛ كما هي الحجة الواهية للمتجبرين والمُتألهين.

---

[٤٢٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٥\ ٢٢٩).

[٤٢١] أبو عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنين؛ تفسير القرآن العزيز، تحقيق حسين بن عكاشة ومحمد الكنز، الفاروق الحديثة بالقاهرة؛ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م (١٤\ ١٨٨).

[٤٢٢] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (١١٣\ ٨٨).

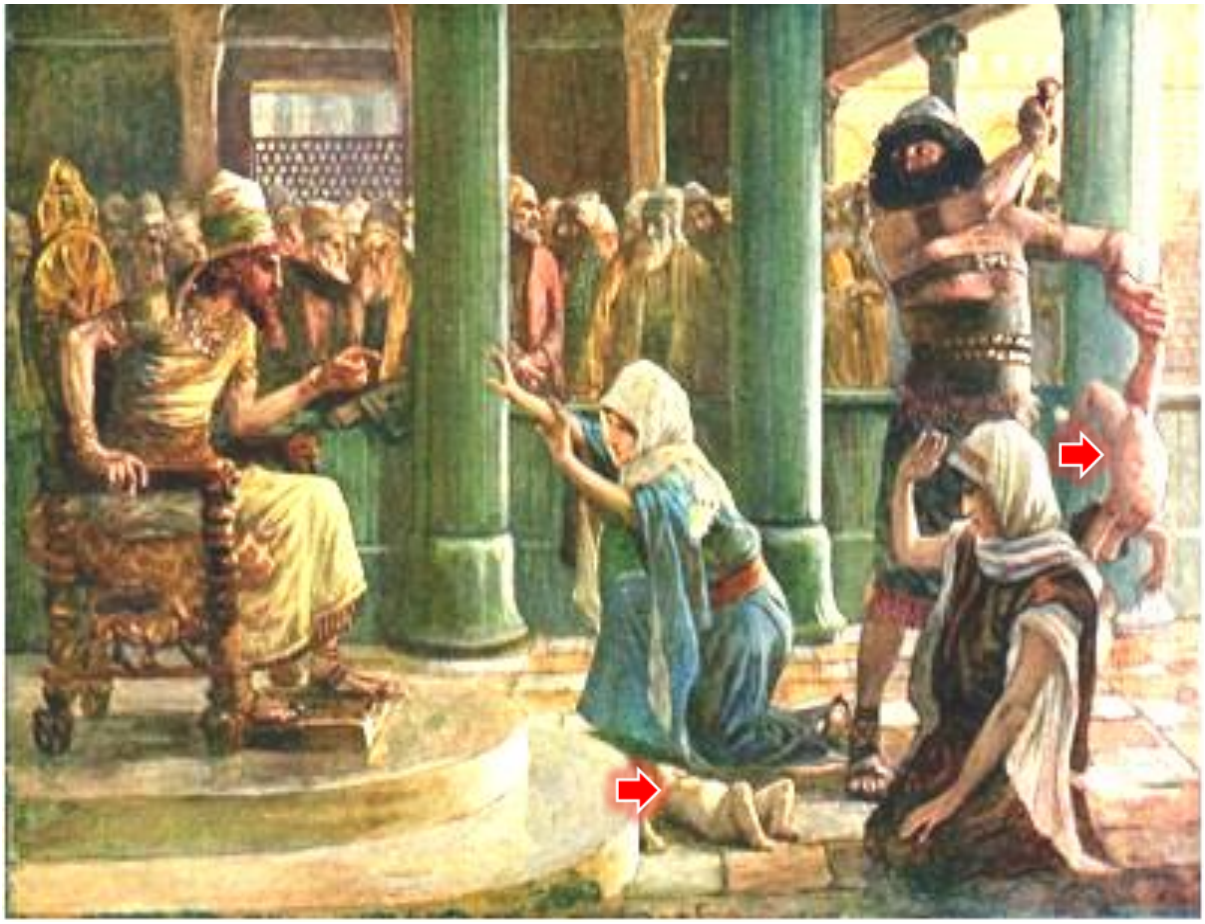

ولك أن تتخيل مجلس فرعون ومشاهد التجبر والاستعلاء والبطش حتى بأطفال رعايا مستضعفة؛ بإعلان القرآن على لسانه أنه الإله الأوحد إمام الجبارين: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ٢٨القصص:٣٨، ويحتمل أنه قالها استعلاء واستكبارًا بيانا لعظمة ملكه لا أنه الخالق نِدًّا لله تعالى بقرينة أن تسمية العظماء بالآلهة وأبناء الآلهة كان معتادًا لأغراض كالتعظيم والتوقير والسيادة؛ كما ورد في آثار القدامى وكتابات الأحبار في الأسفار، يُؤثر عن الملك السومري شولجي (٢٠٢٩-١٩٨٢ ق م) قوله بأنه إله بمعنى الملك العظيم: "أنا ملك (كل الجهات)..؛ وإله كل البلاد"، وأطلق داود لقب آلهة على كل شعبه توقيرًا بمعنى أنهم ربَّانِيِّين (مزامير: ٨٢ ٦): "أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؛ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ"، وورد في الأسفار كذلك قول الله تعالى لموسى (الخروج: ٧ ١): "أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ"، أي ذو سيادة وغلبة بالحجة بحيث تُعْجِز فرعون وتدفع بطشه بآيات لا يقدر على الإتيان بها أو دفعها سوى رب العالمين.

وتلطف العلي القدير بموسى حين إعداده لمواجهة فرعون؛ بإذهاب خوفه وتثبيته وتسكين روعه، وأراه آيتان تدلان على قدرته تعالى ويُرهبان فرعون عن البطش به: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى. وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ ٢٠طه:١٩-٢٢، وهكذا في مقام تسكين روعه وإزالة خوفه؛ أصبحت العصا في تعبير القرآن مجرد حية، أي أفعى صغيرة لا تكاد تُخيف،

بينما في مقام الترهيب في مجلس فرعون وأمام حاشيته؛ أصبحت العصا في التعبير البليغ ثعبان رهيب؛ أي أفعى عملاقة مُرعبة: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ ٢٦الشعراء:٣٢و٣٣.

Hamsa hand; Hamesh Hand.

وبقيت آية اليد في مأثور اليهود بطلسم اليد حمش أي خمس؛ رمزا لقدرة الرب تعالى لتحمي حاملها كما حمت موسى من بطش الجبارين، وشاعت باسم عند العوام إلى عهد قريب باسم خمسة وخميسة للتحصين ضد الحسد.

عنخ Ankh

والسحر في أعين العامة ليس إلا حيلة وتخييل؛ وقد شاعت الطلاسم والتعاويذ في البيئة المصرية القديمة للإيحاء بالتحصين، وهذا طلسم مفتاح الحياة عنخ بهيئة رجل باسط ذراعيه دوما لا يموت؛ فاستخدم لإطالة العمر، كانت آية اليد والعصا إذن ترهيب لفرعون وحاشيته حتى يكفوا أيديهم عن البطش بموسى؛ خاصة أن السحر كان عند المصريين القدماء يقين؛ لذا سارع فرعون باتهام موسى بأنه ساحر عليم؛ ليحرض حاشيته من الأمراء عليه: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ٢٦الشعراء:٣٤و٣٥، وأمام آية اليد والعصا في مجلس فرعون رددت الحاشية خلفه مقالته حرفيًّا؛ وهكذا الحاشية من الأمراء والأعيان على مر الزمان؛ إلا أن يكون من بينهم رَجُلٌ رشيد: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ. قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ٧الأعراف:١١٠.

Tutankhamun (1334-1325 B.C.)

سوار ذهبي عليه تعويذة الخنفساء (الجعران) التي تنشط كل صباح وتبدأ في دفع كرات الروث لبث الحياة كل صباح للإنسان، ووجوده في مقبرة توت عنخ آمون بين كنوزه يؤكد شيوع السوار لنبلاء الرجال في المملكة.

Ramesses II Reigned (1279 BC – 1212 BC).

واكتشف سواري رمسيس الثاني عام ١٩٠٦ بتل بسطة بالدلتا (بوباستيس)، وهما ذهب خالص مطعم باللازورد.

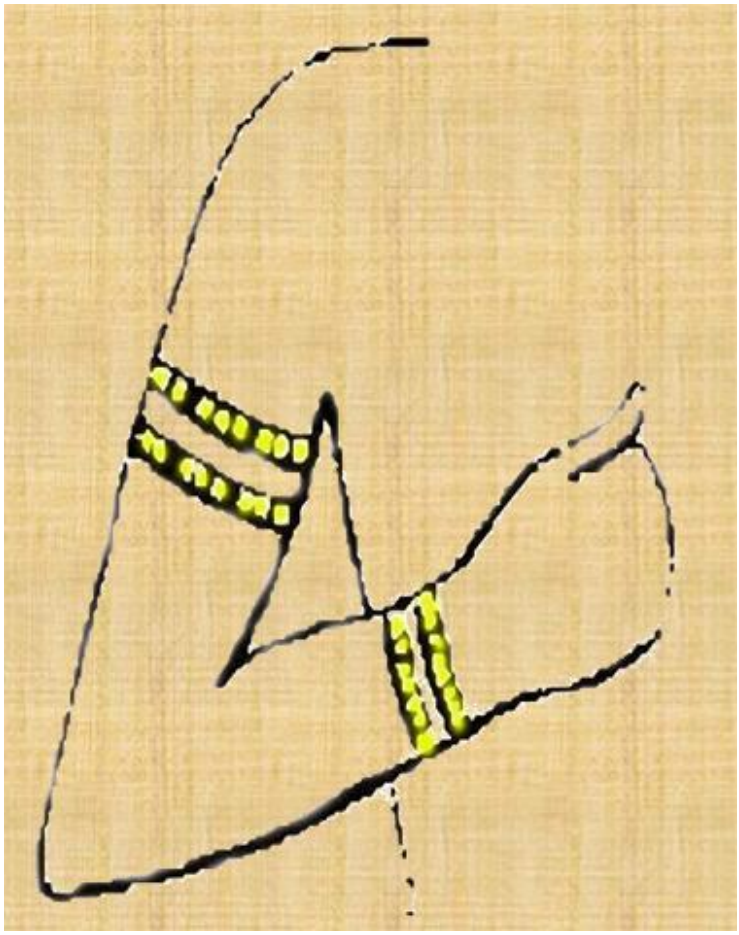

وكُشِفَت العديد من الأساور الذهبية المُطعمة بالجواهر التي ترجع لعصر الإمبراطورية المصرية في الفترة من القرن السادس عشر ق.م إلى القرن الحادي عشر ق.م. (١٥٧٠ــــ١٠٧٠ ق.م)، وتغطي الأسرات الملكية: ١٨ و١٩ و٢٠، ويُعد رمسيس الثاني من أشهر ملوك هذه الدولة، وهي تدل على انتشار السحر والطلاسم والتعاويذ، ومن المُعجز إذن أن يُعلن القرآن الكريم على لسان فرعون في حواره مع موسى عليه السلام أنه لا يملك حتى سواراً واحدا من الذهب الذي يلبسه عنوانًا للثروة والسلطة: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ. أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ. فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ. فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ٤٣الزخرف:٥١-٥٤.

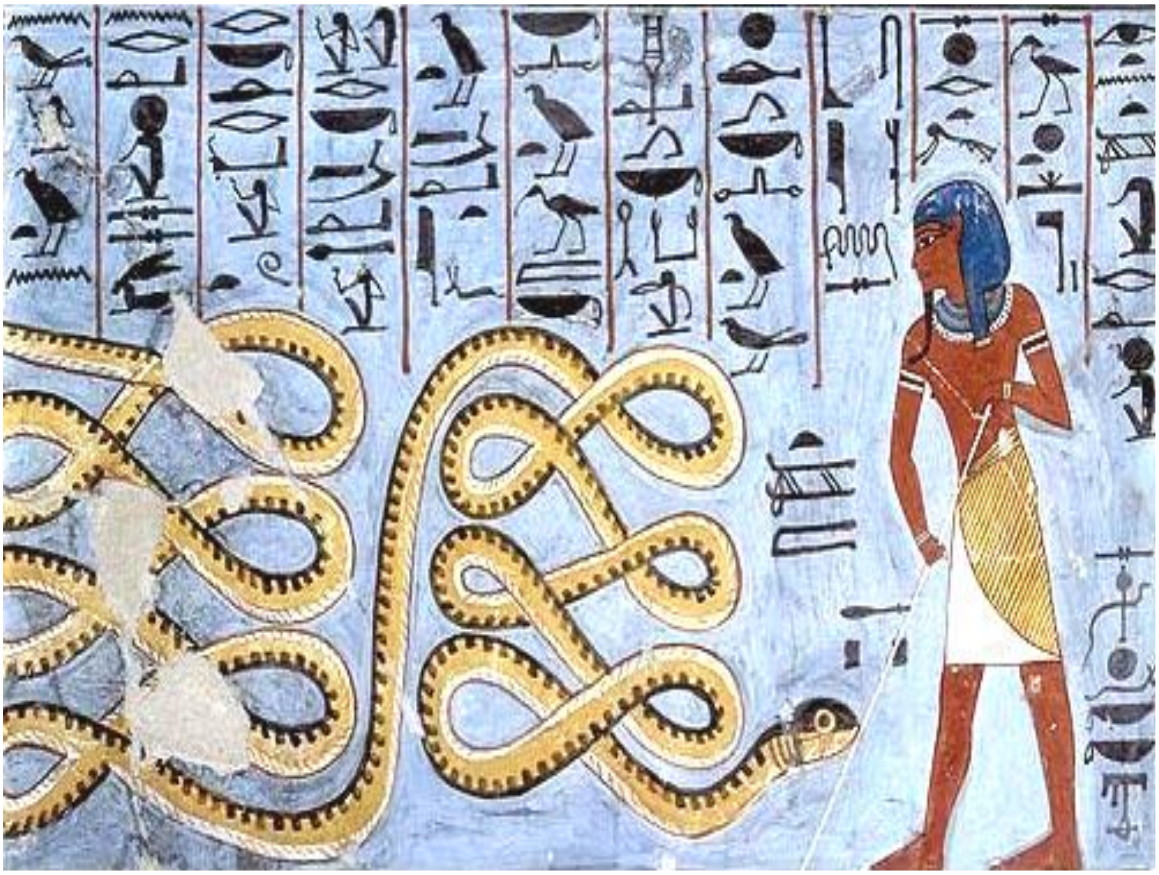

وكان الثعبان مصدر رعب هائل للمصريين القدماء؛ وقد حاكوا حوله الأساطير؛ ووفق النقوش الأثرية كان الثعبان أبو فيس الذي كان يعيش في أحراش ومستنقعات الدلتا رمزا للشر، لكونه ينبثق من الظلام فجأة ليلدغ ويُميت.

بينما كان القط رفيقًا أمينًا للمصريين القدماء؛ وكان يُطارد الأفاعي في مستنقعات الدلتا؛ فاعتبروه من المقدسين.

وكانت القطط تُكَفَّن وتُحَنَّط وتُصنع لها التماثيل؛ خاصة في بوباستيس Bubastis (تل بسطة قرب الزقازيق حاليا)، وفي عام ١٨٦٠ أُعلن عن اكتشاف حوالي ١٨٠ ألف تابوت للقطط بعضها مطلي بالذهب ومزين بالأحجار الكريمة، أما الضفادع التي كانت تنتشر بالمستنقعات عقب فيضان النيل صيفًا؛ فهي جالبة الخطر لكونها الغذاء المُفضل للثعابين.

وكانت دلائل نبوة موسى تِسْع تحديدًا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ١٧الإسراء:١٠١، وباستثناء آيتي ترهيب فرعون وهما اليد البيضاء والعصا التي تحولت لثعبان وشقت البحر؛ يتبقى سبع آيات كلها ابتلاءات مصدرها الأنهار أو فروع دلتا النيل، وكأن النوائب كانت من جنس ما تَفَاخَر به فرعون؛ تلميحًا إلى أنها كانت سبع بعدد الأنهار.

فليس النيل مصدرا للخير على الدوام، فقد كانت مصر تُعاني من سنوات جفاف لفرط نقصانه، امتدت لسبع سنين زمن يوسف عليه السلام، فهو إذن مُسَخَّر لا يملك لغيره نفعًا ولا ضُرًّا؛ فكيف إذن يناله التقديس دون العلي القدير!.

وفي سنين الجفاف تجدب الحقول وتنقص الثمرات وتنفق المواشي وينضب مخزون الغذاء ويموت الناس جوعًا.

بردية إيبور Papyrus Ipuwer

ويكشف النظم الكريم ستر الماضي الدفين؛ مخبرًا عن علم بما كانت تُعانيه مصر في تلك السنين الشداد؛ خاصة من نقص الثمرات: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ١٣٠الأعراف:، نقصت الثمرات إذن وانتشر الجوع والخراب؛ والمضمون أنها سنوات جفاف عجاف شداد أكلن مخزون الطعام، وكأن بردية إيبور Papyrus Ipuwer ترجمة حرفية لنبأ القرآن الكريم: "أصاب الدمار البلاد؛ ضرب الجفاف.. مصر وعم الخراب..، خربت الأشجار وماتت؛ ما عادت تثمر وما عادت الأرض تخرج (حتى) الكلأ، وبكت مصر، انعدمت مصادر العيش، خلت (حتى) القصور من القمح والشعير..؛ وانعدمت الحبوب في كل مكان، لا شيء هنا؛ لا ثمار ولا عشب؛ لا شيء سوى الجوع..، حتى مواشينا بكت.. ونَاحَت"، وللفطين إذن أن يسأل: كيف سبق القرآن الكريم بالنبأ!.

وبقية النوائب السبع التي تَجَلَّت عهد فرعون تتعلق أيضًا بالفيضان؛ حيث تتدفق المياه كالطوفان من فَرْط الفيضان لتُغرق الحقول وتُشيع الخراب، وتتبعها جملة أضرار بيئية وصحية لم تُعرف علاقتها إلا حديثا بالبرك والمستنقعات التي تنتشر عقب الطوفان: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ ١٣٣الأعراف:.

وقد تنجو القرى إذا كانت المساكن على روابي مُرتفعة عن مستوى الحقول لتحميها؛ وإلا طالتها مياه الفيضان.

وفي الصيف عقب الفيضان تكثر البرك والمستنقعات في منطقة فروع الدلتا؛ وتصاحبها زيادة الجراد والحشرات والدوييبات والديدان والهوام؛ فيهلك ما بقي من زرع وينفذ مخزون الحبوب ويُصَاب الناس بالأمراض.

ففي البرك تنمو الحشائش، فتغري الجراد ليهاجر من أواسط أفريقيا سنويا ليُدمر مئونة البلاد؛ وكأنه على ميعاد.

أسراب الجراد Grasshoppers flocks

ويتجمع الجراد كل صيف ويتجه صوب مصر في أسراب؛ قد تكون من الكثرة بحيث تصعب من كثافتها الرؤية.

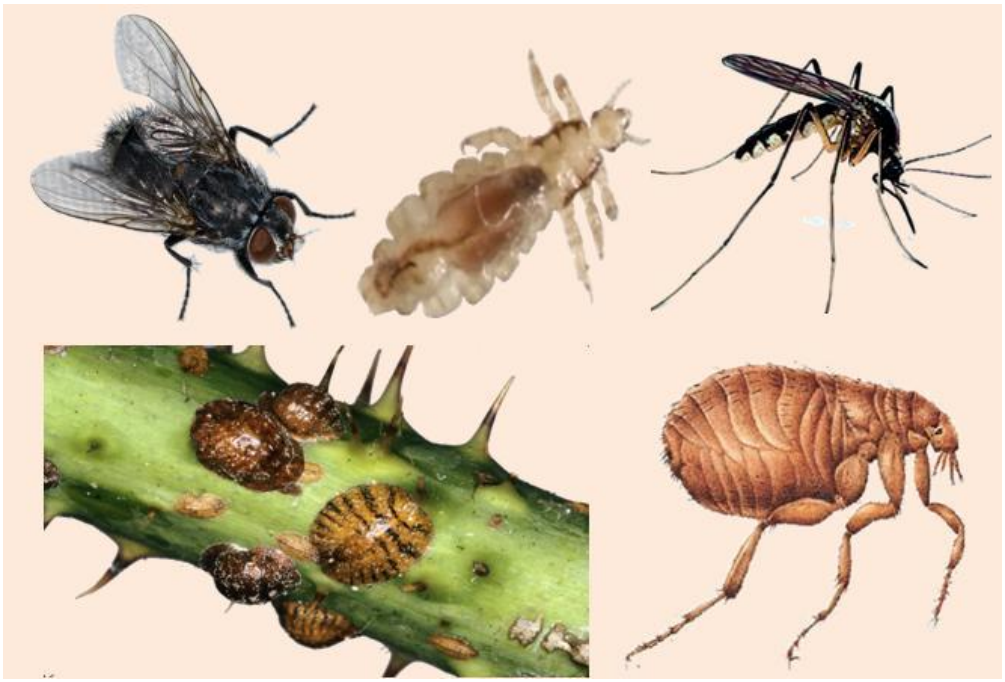

وتتزامن مع أسراب الجراد كذلك حشرات ودويبات تكثر كل صيف أشبه ما تكون بِقُمَّل الرأس في الضآلة والإيذاء؛ مثل البعوض والذباب والسوس، تُهاجم المحاصيل وتُخرب مخزون الغذاء وتُهاجم الناس فتجلب الأمراض.

ومع كثرة المستنقعات عقب فرط الفيضان تكثر الضفادع فتجلب الأفاعي لتتغذى عليها ومعها خطر اللدغ والموت.

والضفادع هي الغذاء الأوفر والمُفضل للأفاعي؛ مصدر الرعب للمصري القديم والخطر المُتخفي بأحراش الدلتا، فناسب أن تتخفى بالنظم؛ ووردت مَسْتُورة تعبيرًا عن الشيء بلازمه، والأفاعي عند قدماء المصريين لازمها الضفادع.

والتعبير (آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) و(مُفَصَّلَاتٍ) يعني لمن خاطبهم موسى عليه السلام داعيًا لوحدانية الإله؛ فيدل على معرفَتِهم الوثيقة بتلازم الضفادع والأفاعي قبل أن تُكتشف آلهة الأشمونين الثمانية ورؤوسَهم ضفادع وأفاعي متلازمين.

قال الشعراوي: "والمراد بالآيات التسع هنا هي الآيات الخاصة بفرعون؛ لأن كثيرين يخلطون بين معجزات موسى إلى فرعون، ومعجزاته إلى بني إسرائيل، إذن: فقوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} الإسراء:١٠١؛ هي الآيات التي أُرسِل بها إلى فرعون وقومه، وهي: العصا التي انقلبتْ حية واليد التي أخرجها من جيبه بيضاء..، وأَخْذ آل فرعون بالسنين ونَقْصٍ من الأموال والأنفس والثمرات..، (و) الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم، هذه تسع

آيات خاصة بما دار بين موسى وفرعون، أما المعجزات الأخرى مثل العصا التي ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ونتق الجبل فوقهم كأنه ظُلَّة وإنزال المنِّ والسَّلْوى عليهم؛ فهذه آيات خاصة ببني إسرائيل"[٤٢٣].

بردية إيبرس Ebers Papyrus

وبالمثل كشفت البرديات معرفَتَهم الوثيقة بمرض واسع الانتشار؛ نسبوه للتبول والاستحمام بالماء الراكد، علامته تَقَاطُر الدم ليُعكر صفو مياه الشرب؛ وكَأَنَّ النهر من كثرته قد تحول إلى دم، في بردية إيبرس وصف دقيق لمرض البلهارسيا البولية؛ المُتوطن حتى الآن بمصر، وهو وصف يكاد ينطبق على المعرفة الطبية الحديثة بالمرض.

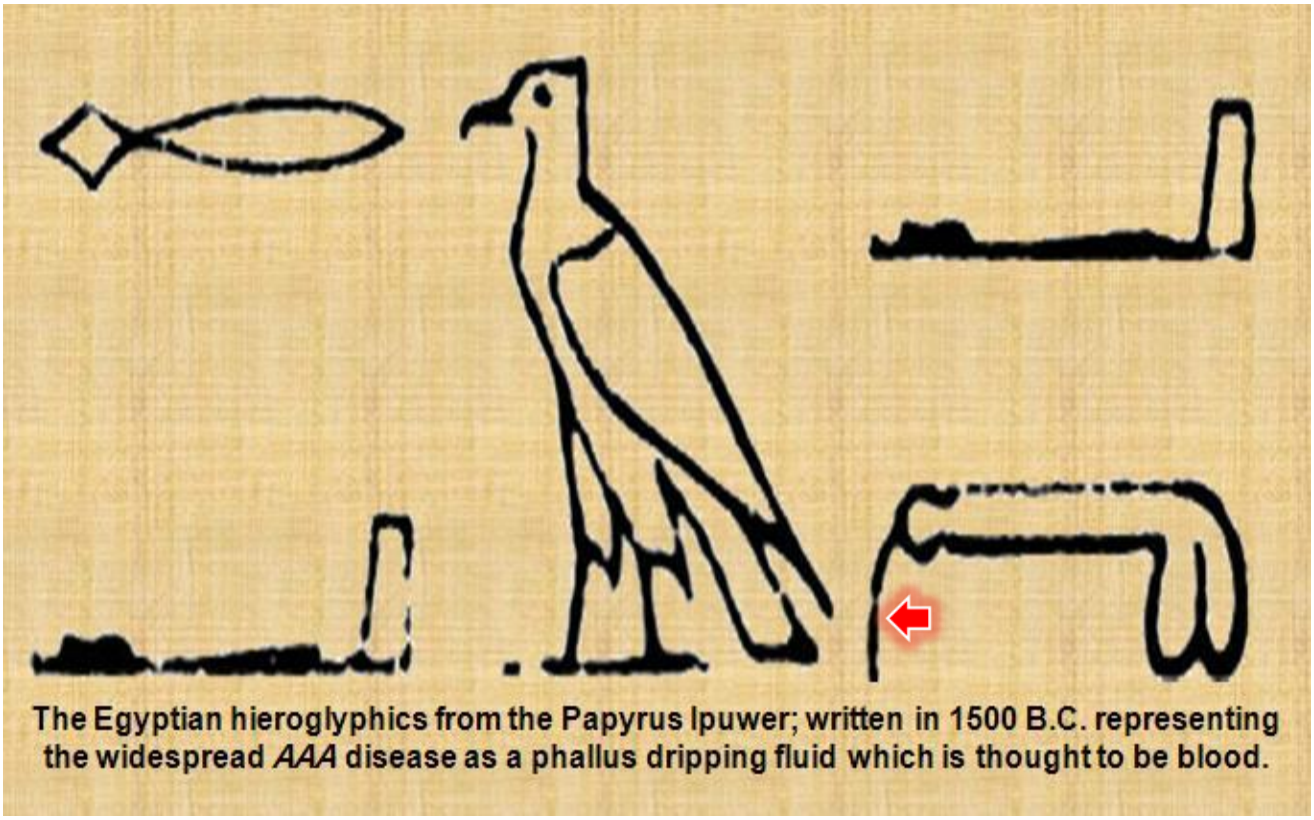

كتبت بردية إيبور عام ١٥٠٠ ق.م. ويصور الرسم الهيروغليفي انتشار مرض آآه AAA علامته سائل يعتقد أنه الدم يتقاطر من فتحة البول.

[٤٢٣] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (ص٢١١٤).

ووفق بردية إيبور Papyrus Ipuwer؛ أمكن للمصري القديم مشاهدة دودة البلهارسيا، وسَجَّل أنها ترجع للماء الراكد؛ وسماها حَرَرُت Hrrw، وسمى المرض آآَه AAA؛ وكأنها من التأوه نتيجة المرض، وبالكاد يُمكن رؤية الدودة بالعين المجردة، حيث يبلغ طول الذكر ٨-١٥مم وعرضه ١مم؛ بينما الأنثى أطول: ١٢-٢٠مم وأقل عرضًا: ٠,٢مم.

وفي عام ١٩١٠ اكتشف أرموند روفر البويضات المُتكلسة للبلهارسيا بمومياوات يرجع تاريخها لعام ١٢٠٠ ق.م.

The stagnant water-borne Schistosomiasis has been
detected in 5 April 2011 in the ancient Egyptians mummies.

وفي ٥ أبريل ٢٠١١ اكتشفت الديدان المتكلسة للبلهارسيا وليدة الماء الراكد في مومياوات المصريين القدماء.

ووجدت حفريات قواقع البلهارسيا بكثرة في مصر، ولا تعيش إلا في الماء الراكد، وكانت تُشارك الضفادع في المُستنقعات، وهي العائل الوسيط لنقل طفيل المرض وعلامته تبول الدم، تنقله بالاستحمام فيه وينتقل إليها بالتبول فيه، واكتشافها بمصر دليل إضافي على أن طفيل مرض الدم أو التبول الدموي كان شائعا في مصر القديمة.

وفي أسفار أهل الكتاب: "قال الرب لموسى (قل لهارون خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين على أنهارهم وعلى سواقيهم وعلى آجامهم وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دَمًا، فيكون دم في كل أرض مصر؛ في الأخشاب وفي الأحجار)، ففعل موسى وهارون هكذا كما أمر الرب؛ رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر أمام عيني فرعون وأمام عيون عبيده فتحول كل الماء الذي في النهر دمًا، ومات السمك الذي في النهر وانتن النهر فلم يقدر المصريون أن يشربوا ماء من النهر، وكان الدم في كل أرض مصر (سفر الخروج Exodus: ٧ ١٧-٢١)[٤٢٤].

قال أبو زهرة: "(وَالدَّمَ) قالوا: إن النيل صار ماؤه دَمًا ومات السمك فيه فأصبح لا يُسْقِي؛ بل يُميت.. (ولكن)، لم نَرَ فيه حديثًا صحيحًا يُذعن المُفَسِّر لمثله و.. صريح اللفظ أنه الدَّم (المعروف في أجسام البشر).. ويصح تفسير الدم (إذن) بمرض أصيبوا به.. (علامته).. نزيف"[٤٢٥]، وقال أبو بكر الجزائري: "الطوفان: الفيضانات المُغْرِقَة، والجراد: معروف بأكل الزرع..، والقمل: جائز أن يكون القَمْل المعروف.. (أو) السُوس في الحبوب، والضفادع..: حيوان.. المُستنقعات، والدم..: معروف قد يكون دم.. نزيف"[٤٢٦]، وقال العثيمين: "وأما الدم فالصواب فيه أنه نزيف يخرج من أبدانهم"[٤٢٧]، وفي تفسير المُنتخب: "أنزل الله عليهم مزيدًا من المصائب و(اشتدت زمانهم) النوائب: بالطوفان الذي يغشى أماكنهم، وبالجراد الذي يأكل ما بَقِيَ من نبات أو شجر، وبالقُمَّل وهو حشرة تُفسد الثمار وتقضى على الحيوان والنبات، وبالضفادع التي تنتشر (كل صيف) فتُنَغِّص عليهم حياتهم..، وبالدم الذي.. يشمل البول الدموي بسبب البلهارسيا"[٤٢٨].

---

[٤٢٤] ترجمة سميث وفانديك Smith & Van Dyke VSD، نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية بمصر.

[٤٢٥] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٦ ٢٩٣٦).

[٤٢٦] جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (١٢ ٢٢٦).

[٤٢٧] محمد بن صالح بن محمد العثيمين؛ فتاوي نور على الدرب (١٥ ٢).

[٤٢٨] لجنة من علماء الأزهر؛ المنتخب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر، مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر؛ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م (ص٢٢٦).

وهكذا يَنْصُر القَدِير الضُعَفَاء ويُهلك المُتَجَبِّرين سفاكي دماء الضحايا الأبرياء؛ بما لا يرد على الخواطر من أسباب: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ١٠يونس:٩٠و٩١،

وعمت الفوضى والعويل مصر على فقد الجنود وأمراء الجيش وموت فرعون في ظروف غير مُتَوَقَّعَة، وشاغب المُتربصون قائلين: أساطير الأولين؛ حتى فاجأتهم البرديات التي كانت دفينة زمن خاتم النبيين فألجمت ألسنة المشككين، اكتشفت بردية إيبور Papyrus Ipuwer في منفيس مطلع القرن ١٨، ويحتفظ بها متحف ليدن بهولندا، وترجع لعصر الإمبراطورية المصرية، وكشفت ترجمتها عام ١٩٠٨عن معجزة للقرآن الكريم؛ وكأنها شاهد عيان: "هَامَ أولاد الأمراء يتخبطون بين الجدران؛ ها هم أولاد الأمراء مُلْقَونَ في الشوارع..، كثيرون هم الذين يُودِعُوَن إخوانَهم التراب..، في كل مكان أنين ونواح وبكاء.. (و) ها هو الفرعون قد فُقِد في ظروفٍ لم يحدث مثلُهَا (من قبل)".

كان المصريون القدماء يُسمون مجرى النهر أترو-عا؛ أي النهر العظيم، ويسمون تفرعاته في الدلتا تحته بالأنهار، وهي أخصب منطقة لتوفر ماء وطمي النيل، فتباهى فرعون بملك الأنهار التي تجري تحته بمصر السفلى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ٤٣الزخرف:٥١، وفي مقابل سبع نوائب ترجع لفروع النيل، ترد على لسان فرعون بلفظ الجمع (أنهار) فتعني أن فروع النيل كانت سبع.

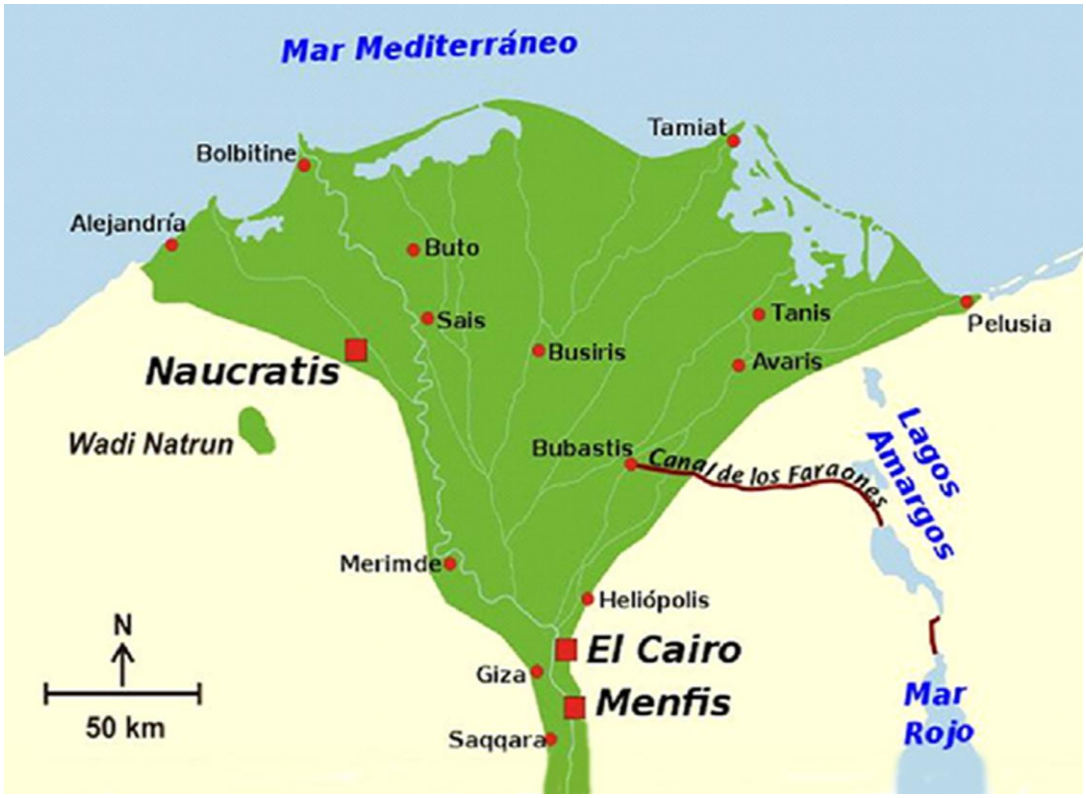

The Nile in the past had seven distributaries; one of them was extending to the red sea (Sesostris canal).

وبالفعل كشفت البحوث الجيولوجية والتصوير بالأقمار الصناعية أن فروع النيل كانت في زمن المصريين القدماء سبع فروع، مع شبكة واسعة من القنوات المحفورة؛ منها قناة تربط النيل بالبحر الأحمر (قناة سيزوستريس).

فروع النيل القديمة السبعة

(١) البيلوزي (Pelusiac).
(٢) التانيتي (Tanitic).
(٣) المنديسي (Mendesian).
(٤) الفاتميتي وهو فرع دمياط الآن (Phatmitic).
(٥) السبنتيني (Sebennytic).
(٦) البُلبتي (Bolbitinic).
(٧) الكانوبي وهو فرع رشيد الآن (Canopic).

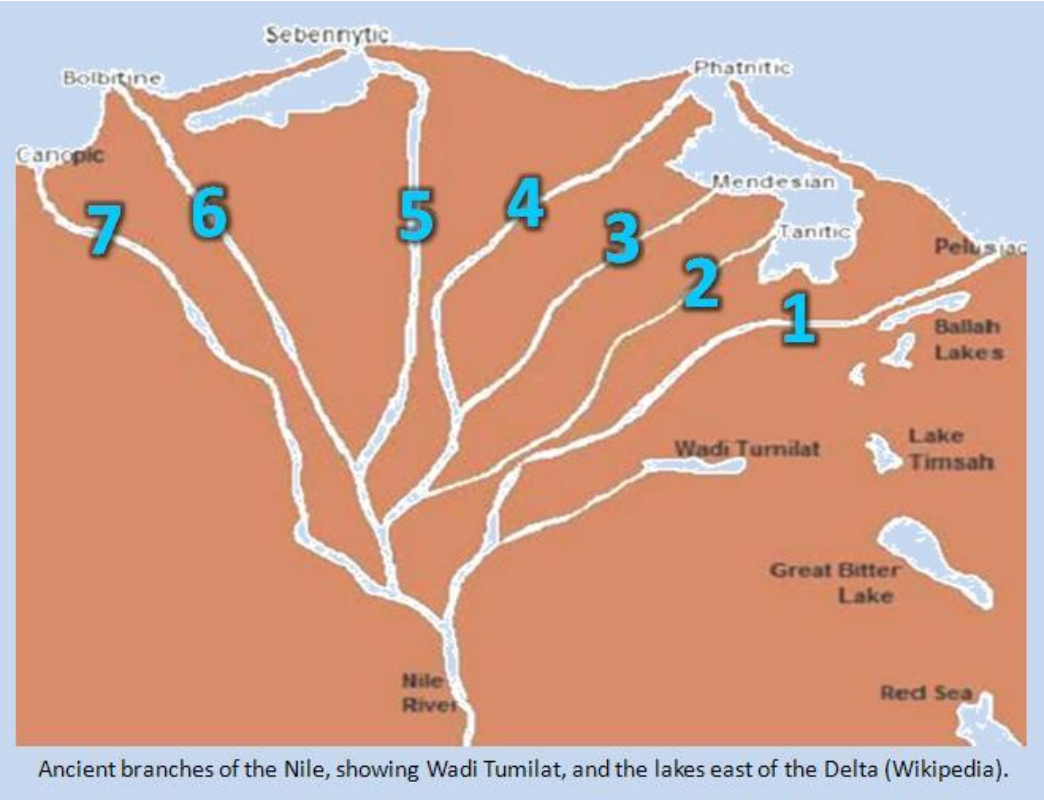

Ancient branches of the Nile, showing Wadi Tumilat, and the lakes east of the Delta (Wikipedia).

Personal drawing, based upon image found in *The Exodus Enigma* (1985) by Ian Wilson, page 46, London: Wiedenfeld & Nicolson.

تَلَطُّف في البيان لا يلفت عن غرض؛ وإعجاز يخشع له العقل ويرتجف الوجدان، وهؤلاء الذين يُنكرون على القرآن الإنباء بغيب طواه الزمان لأمم سادت ثم بادت؛ يهرفون بما لا يعرفون: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ١٢يوسف:١١١.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ} أما الطوفان ففيه ستة أقاويل؛ أحدها: أنه الغرق بالماء الزائد؛ قاله ابن عباس، والثاني: أنه الطاعون؛ قاله مجاهد، والثالث: أنه الموت؛ قاله عطاء، وروت عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطُّوفَانُ الْمَوْتُ)، والرابع: أنه أمر من الله طاف بهم؛ وهو مروي أيضاً عن ابن عباس، والخامس: أنه كثرة المطر والريح..، والسادس: أنه عذاب من السماء..، {وَالْقُمَّلَ} فيه خمسة أقاويل؛ أحدها: أنه الدبَى وهو صغار الجراد لا أجنحة له، والثاني: أنه السوس الذي في الحنطة؛ قاله ابن عباس، والثالث: البراغيث، قاله ابن زيد، والرابع: القردان؛ قاله أبو عبيدة، والخامس: هو دواب سود صغار؛ قاله الحسن وسعيد بن جبير..، وواحد القمل قملة، وأما الضفادع فواحدها ضفدع وهو مشهور، وقيل إنه كان يوجد في فراشهم وآنيتهم ويدخل في ثيابهم فيشتد أذاه لهم، وأما الدم ففيه قولان؛ أحدهما: أن ماء شربهم كان يصير دماً عبيطاً، فكان إذا غرف القبطي من الماء صار دماً وإذا غرف الإسرائيلي كان ماء، والثاني: أنه (نزيف مثل) رعاف كان يصيبهم، قاله زيد بن أسلم، {ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ} فيها قولان؛ أحدهما: مبينات لنبوة موسى، والثاني: مفصل بعضها عن بعض لأن هذه الآيات لم تجتمع في وقت واحد بل كانت تأتي شهراً بعد شهر فيكون في تفرقتها مع الإنذار إعذار؛ وكان بين كل آيتين شهر، {فَاسْتَكْبَرُواْ} فيه وجهان؛ أحدهما: عن الانزجار بالآيات، والثاني: عن الإيمان بموسى، {وَكَانُواْ قَوماً مُجْرِمِينَ} فيه وجهان؛ أحدهما: كافرين، والثاني: متعدّين، قوله عز وجل: {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيهِمُ الرِّجْزُ} فيه قولان؛ أحدهما: أنه العذاب؛ قاله الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد، والثاني: هو الطاعون أصابهم فمات به من القبط سبعون ألف إنسان؛ قاله سعيد بن جبير، {قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: بما تقدم إليك به أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك، والثاني: ما هداك به أن تفعله في قومك؛ قاله السدي، والثالث: أن ذلك منهم على معنى القسم كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم، {لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ} هذا قول قوم فرعون، ويحتمل وجهين؛ أحدهما: لنصدقنك يا موسى أنك نبي، والثاني: لنؤمنن بك يا الله أنك إله واحد، {فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون} قوله عز وجل: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ} يحتمل وجهين؛ أحدهما: يستقلون، والثاني: يستذلون وهم بنو إسرائيل، {مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا} فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: يريد الشرق والغرب؛ قاله ابن عيسى، والثاني: أرض الشام ومصر؛ قاله الحسن، والثالث: أرض الشام وحدها شرقها وغربها؛ قاله قتادة، {الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} فيه قولان؛ أحدهما: بالخصب، والثاني: بكثرة الأنهار والأشجار والثمار، {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ} فيها قولان؛ أحدهما: أن تمام كلمة الحسنى ما وعدهم من هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض بقوله: {عَسَى رَبُّكُم أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُم وَيَسْتَخْلِفَكُم} وسماها الحسنى لأنه وعد بما يحبون، والثاني: هو قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِنَ لَهُم فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ} القصص:٥و٦، وفي قوله: {بِمَا صَبَرُواْ} وجهان؛ أحدهما: بما صبروا على أذى فرعون، والثاني: بما صبروا على طاعة الله"[٤٢٩].

[٤٢٩] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٢ ٢٥١).

وقال الماوردي أيضًا: "قوله تعالى {ولقد آتينا موسى تسْع آيات بيناتٍ} فيها أربعة أقاويل، أحدها: أنها يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم آيات مفصلات؛ قاله ابن عباس، الثاني: أنها نحو من ذلك إلا آيتين منهن إحداهما الطمس والأخرى الحجر؛ قاله محمد بن كعب القرظي، الثالث: أنها نحو من ذلك وزيادة السنين ونقص من الثمرات؛ وهو قول الحسن، الرابع: ما روى صفوان بن عسال عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قوماً من اليهود سألوه عنها فقال: (لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى السلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفرُّوا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدُوا في السبت) فقبلوا يده ورجله، {فاسأل بني إسرائيل} وفي أمره بسؤالهم وإن كان خبر الله أصدق من خبرهم ثلاثة أوجه؛ أحدها: ليكون ألزم لهم وأبلغ في الحجة عليهم، الثاني: فانظر ما في القرآن من أخبار بني إسرائيل فه سؤالهم؛ قاله الحسن، الثالث: إنه خطاب لموسى عليه أن يسأل فرعون في إطلاق بني إسرائيل؛ قاله ابن عباس، وفي قوله {إني لأظنك يا موسى مسحوراً} أربعة أوجه، أحدها: قد سُحرت لما تحمل نفسك عليه من هذا القول والفعل المستعظمين، الثاني: يعني ساحراً لغرائب أفعالك، الثالث: مخدوعاً، الرابع: مغلوباً؛ قاله مقاتل، {وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً} فيه خمسة أوجه؛ أحدها: مغلوباً؛ قاله الكلبي ومقاتل..، الثاني: هالك؛ وهو قول قتادة، الثالث: مبتلى؛ قاله عطية، الرابع: مصروفاً عن الحق؛ قاله الفراء، الخامس: ملعوناً؛ قاله أبان بن تغلب..، قوله عز وجل: {فأراد أن يستفزهم من الأرض} وفيه وجهان؛ أحدهما: يزعجهم منها بالنفي عنها؛ قاله الكلبي، الثاني: يهلكهم فيها بالقتل، ويعني بالأرض مصر وفلسطين والأردن، قوله عز وجل: {فإذا جاءَ وعد الآخرة} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: وعد الإقامة وهي الكرة الآخرة؛ قاله مقاتل، الثاني: وعد الكرة الآخرة في تحويلهم إلى أرض الشام، الثالث: نزول عيسى عليه السلام من السماء؛ قاله قتادة، {جئنا بكم لفيفاً} فيه تأويلان؛ أحدهما: مختلطين لا تتعارفون؛ قاله رزين، الثاني: جئنا بكم جميعاً من جهات شتى؛ قاله ابن عباس وقتادة مأخوذ من لفيف الناس"[٤٣٠].

وقال ابن جزي: "(تِسْعَ آياتٍ بينات) الخمس منها الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، والأربع انقلاب العصا حية وإخراج يده بيضاء، وحل العقدة من لسانه وفلق البحر، وقد عد فيها رفع الطور فوقه وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الأخر، وقد عد فيها أيضا السنون والنقص من الثمرات، روي أن بعض اليهود سألوا النبي صلّى الله عليه وسلّم عنها فقال: (ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشي ببريء إلى السلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا في السبت)، (فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ) أي اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا، والآية على هذا خطاب لمحمد صلّى الله عليه وسلّم، وقال الزمخشري: إن المعنى قلنا لموسى اسأل بني إسرائيل من فرعون أي أطلب منه أن يرسلهم معك، فهو كقوله: (أن أرسل معنا بني إسرائيل)، فلا يرد قوله اسأل لموسى على إضمار القول، وقال أيضا: يحتمل أن يكون المعنى: اسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك، وهذا أيضا على أن يكون الخطاب لموسى؛ والأول أظهر"[٤٣١].

وقال المراغي: "كثر استعمال الأخذ في العذاب كقوله: (وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)، و(آل فرعون): قومه وخاصته وأعوانه في أمور الدولة، وهم الملأ من قومه ولا يستعمل هذا اللفظ إلا فيمن يختص بالإنسان بقرابة قريبة كما قال عز اسمه (وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ) أو بموالاة ومتابعة في الرأي كما قال (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ)، والسنون واحدها سنة: وهى بمعنى الحول ولكن أكثر ما تستعمل فى الحول الذي فيه الجدب كما هنا بدليل نقص الثمرات..، والدم.. (نزيف مثل) الرعاف..، (وَلَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) أي إنه تعالى أخذ آل فرعون بالجدب وضيق المعيشة لعلهم يتذكرون ضعفهم أمام قوة الله وعجز ملكهم العالي الجبار وعجز آلهتهم، ليرجعوا عن ظلمهم لبنى إسرائيل ويجيبوا دعوة موسى عليه السلام، إذ قد دلت التجارب على أن الشدائد ترقّق القلوب وتهذب الطباع، وتوجه النفوس إلى مناجاة الرب سبحانه والعمل على مرضاته والتضرع له دون غيره من المعبودات متى اتخذوها وسائل إليه وشفعاء عنده، فإن لم تجد المصائب في تذكر المولى وبلغ الأمر بالناس أن يشركوا به حتى في أوقات الشدائد فهم في خسران مبين وضلال بعيد، وكذلك كان دأب آل فرعون بعد أن أنذرهم موسى عليه

---

[٤٣٠] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٣\ ٢٧٧).

[٤٣١] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١\ ٤٥٥).

السلام"[٤٣٢]، "(فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَالْجَرادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ) أي فأرسلنا عليهم عقوبة على جرائمهم تلك المصائب والنكبات، وهى آيات بينات على صدق رسالة موسى، إذ قد توعّدهم بوقوع كل واحدة منها على وجه التفصيل، لتكون دلالتها على صدقه واضحة لا تحتمل تأويلا بأنها وقعت لأسباب لا ارتباط لها برسالته، فاستكبروا عن الإيمان بها لرسوخهم في الإجرام والإصرار على الذنوب وإن كانوا يعتقدون صدق دعوته وصحة رسالته، وقد عدد سبحانه هنا من الآيات خمسا وفى سورة الإسراء تسعا وهى: (١) الطوفان فقد نزلت عليهم أمطار أغرقت أرضهم وأتلفت زرعهم وثمارهم، وجاء وصفها في التوراة، ففي الفصل التاسع في سفر الخروج..: (ها أنا ممطر في مثل هذا الوقت من غد بردا عظيما جدا لم يكن مثله في مصر منذ يوم أسست إلى الآن)، ثم ذكر فيها وقوع البرد مع نزول نار من السماء، ووصف عظمته وشموله لجميع بلاد مصر، وأن فرعون طلب موسى وهارون واعترف لهما بخطئه وطلب مهما أن يشفعا إلى الرب ليكفّ هذه النكبة عن مصر ووعدهما بإطلاق بني إسرائيل وجاء في ختام هذا الفصل: (فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه إلى الرب فكفّت الرعود ولم يعد المطر يهطل على الأرض)، (٢) الجراد.. (٣) القمّل: وهو صغار الذباب؛ وقد جاء فى التوراة إن البعوض والذباب كان من الضربات العشر التي ضرب الرب بها فرعون وقومه..، (٤) الضفادع.. (٥) الدم: فقد كانت مياه المصريين تتحول إلى دم..، هذه هي الآيات الخمس التي أيد الله بها رسوله موسى عليه السلام وليس فيها ما ينفى ما في التوراة ولا ما يؤيدها، وعلينا أن نقف عند ما أثبته القرآن فحسب دون زيادة عليه. (وَقالُوا يا أَيُّهَا السَّاحِرُ) أي وقالوا يا أيها العالم الماهر، وكانوا يسمون العلماء سحرة ويوقرونهم ويعظمونهم ولم يكن السحر صفة ذم عندهم، وقد يكونون نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم، (ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ) أي ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما أخبرتنا من عهده إليك أنا إن آمنا به كشفه عنا، (إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ) أي إنا لمؤمنون بما جئت به إن حدث ذلك، ونحو ذلك ما جاء فى سورة الأعراف من قولهم: (لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ)، ثم بين ما حدث منهم بعد دعوة موسى وكشف العذاب فقال: (فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ) أي فدعانا فكشفنا عنهم العذاب فلم يؤمنوا ونقضوا العهد، وقد كان هذا ديدنهم مع موسى، يعدونه في كل مرة أن يؤمنوا به إذا كشف عنهم الرجز، ثم ينقضون ما عاهدوا الله عليه، ونحو الآية ما جاء في سورة الأعراف من قوله: (فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَالْجَرادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ. وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ. فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ)، ثم أخبر سبحانه عن تمرد فرعون وعتوّه وعناده؛ فقال: (وَنادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قالَ: يا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) أي إنه جمع قومه ونادي فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيها وجرى الأنهار المنبثقة من نهر النيل تحت قصوره وتحت جنانه وضياعه، ثم أكد هذا بقوله: (أَفَلا تُبْصِرُونَ) ذلك وتستدلون به على قوة ملكي وعظم قدري وضعف موسى عن مقاومتي لما فيه من فقر وعىّ وحصر، (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِينُ) أي بل أنا ولا شك خير بما لي من السعة في المال والجاه والملك العريض من هذا المهين الحقير الذي لا يكاد يفصح عما يريد، إذ كان في لسانه حبسه في صغره فعابه بها، وهو لا يعلم أن الله استجاب سؤله حين قال: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي) فحل عقدة لسانه كما جاء في قوله: (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى)، قال الحسن البصري: إنه قد بقي منها شىء لم يسأل زواله، وإنما سأل زوال ما يمنع الإبلاغ والإفهام..، والأشياء الخلقية لا يعاب المرء بها ولا يذم، لكنه أراد الترويج على رعيته وصدهم عن الإيمان به، ونحو الآية قوله: (فَحَشَرَ فَنادى. فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى. فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى)، ثم ذكر شبهة مانعة له من الرياسة، وهى أنه لا يلبس لبس الملوك، فلا يكون رئيسا ولا رسولا لتلازمهما في زعمه فقال: (فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) أي فهلا ألقى ربّ موسى عليه أساور من ذهب؛ إن كان صادقا كما جرت عادتهم بذلك"[٤٣٣].

[٤٣٢] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٩ ٤٠).

[٤٣٣] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٩ ٤٣).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Egyptology

مصريات

المَوْضُوع Subject

Nile advantages & disadvantages

مزايا ومساوئ النيل

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ١٤إبراهيم:٦.
- ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ ٢٦الشعراء:١١.
- ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٦الشعراء:١٦.
- ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ ٢٦الشعراء:٤٤.
- ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ٢٧النمل:١٢.
- ﴿كَدَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٨الأنفال:٥٢.
- ﴿كَدَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ٨الأنفال:٥٤.
- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ١٠يونس:٧٥.
- ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ١٠يونس:٨٣.
- ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ١٠يونس:٨٨.
- ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ ١١هود:٩٧.
- ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ٢٠طه:٢٤.
- ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ٢٠طه:٤٣.
- ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:٤٦.
- ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ٢٨القصص:٣٢.
- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ٢٨القصص:٤.
- ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ٢٨القصص:٦.
- ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ٢٨القصص:٨.
- ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٨القصص:٩.
- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ٢البقرة:٤٩.
- ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ٢البقرة:٥٠.

- ﴿كَدَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٣آل عمران:١١.
- ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ٤٠غافر:٢٤.
- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ٤٠غافر:٢٨.
- ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ ٤٠غافر:٣٧.
- ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ٤٠غافر:٤٥.
- ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ٤٠غافر:٤٦.
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٣الزخرف:٤٦.
- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ ٤٤الدخان:١٧.
- ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٤٤الدخان:٣١.
- ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ٥١الذاريات:٣٨.
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ ٥٤القمر:٤١.
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ٦٦التحريم:١١.
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ٧٣المزمل:١٥.
- ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ٧٩النازعات:١٧.
- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ٧الأعراف:١٠٣.
- ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ٧الأعراف:١٠٩.
- ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ٧الأعراف:١١٣.
- ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ ٧الأعراف:١٢٧.
- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ٧الأعراف:١٣٠.
- ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ٧الأعراف:١٤١.
- ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ٨٥البروج:١٨ (ت: ١).
- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٦الشعراء:٢٣.
- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ٢٦الشعراء:٥٣.
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ ١٠يونس:٧٩.
- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ١٠يونس:٩٠.
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ ١٧الإسراء:١٠١.
- ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ ١٧الإسراء:١٠٢.
- ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ ٢٠طه:٦٠.
- ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ ٢٠طه:٧٨.
- ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ ٢٠طه:٧٩.

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ٢٨القصص:٣٨.
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ٤٠غافر:٢٦.
- ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ٤٠غافر:٢٩.
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ٤٠غافر:٣٦.
- ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ٤٣الزخرف:٥١.
- ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ ٦٩الحاقة:٩.
- ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ ٧٣المزمل:١٦.
- ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٧الأعراف:١٠٤.
- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٧الأعراف:١٢٣.
- ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ ٧الأعراف:١٣٧.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾
الأعراف:١٧٥و١٧٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ. مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعراف:١٧٥-١٧٨.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾، ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

And recite (Prophet Muhammad) **to them** (all) **the story of the one whom We gave him Our Proofs, but he sloughed** (strip) **them off** (as if he removed his own protective skin as in slaughterhouse)**. So; the Satan** (evil incarnate) **followed him up and he became one of those who went astray. And If We had willed; We could have elevated** (exalted) **him thereby, but he insisted to clung to the ground and followed his own evil lust. His similitude** (after removal of his skin) **is like that of the dog; if you attack him; it would be panting, or you leave it; it would be** (still) **panting.**

Note:

Dog skin has no enough eccrine sweat glands to get rid of its excessive body heat, but man can get rid of its excessive heat by sweating, so man in the similitude became panting like dog by loss of sweating after skin loss.

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

توجد في جلد الإنسان غدد عرقية تختص بتنظيم درجة الحرارة Eccrine Sweat Glands، ولا توجد في جلد الكلب هذه الغدد التي تختص بتنظيم درجة الحرارة؛ وإنما غدد تختص بتمييز رائحة الكلاب Apocrine Sweat Glands، ولذا لا يملك إلا اللهاث Panting حتى ولو لم يُخرج لسانه ليعرض أكبر مساحة حيث تخرج الحرارة مع بخار الماء، فهو لاهث على الدوام سواء بذل جهدا أو سكن، ويصور القرآن الكريم حال من يفر أمام دلائل الوحي وينسلخ من فطرة الإيمان بهالك؛ انسلخ من جلده الواقي ليصبح كالكلب بلا عرق ولا يملك إلا اللُهاث فضلا عن كونه حيوانًا لا يعقل.

ولكن لماذا يعرق الإنسان؟؛ تأمل ستجد نفس النتيجة لجميع الظواهر والكائنات؛ وراء كل منها غرض حكيم مقصود يشهد بعلم الله تعالى وقدرته وحسن تدبيره وعنايته بالخلق، فمع النشاط العضلي خاصة مع شدة القيظ أيام الصيف تتولد حرارة زائدة فتنشط غدد بالجلد وتفرز العرق وبتبخره تنخفض درجة الحرارة وكأنها على علم مُسبق بحقائق علم الفيزياء، وحتما قيامها بالمهمة الصائبة بلا وعي منها ولا عقل يوجه للصواب يشي بالقُدرة المُبدعة المُفزعة!.

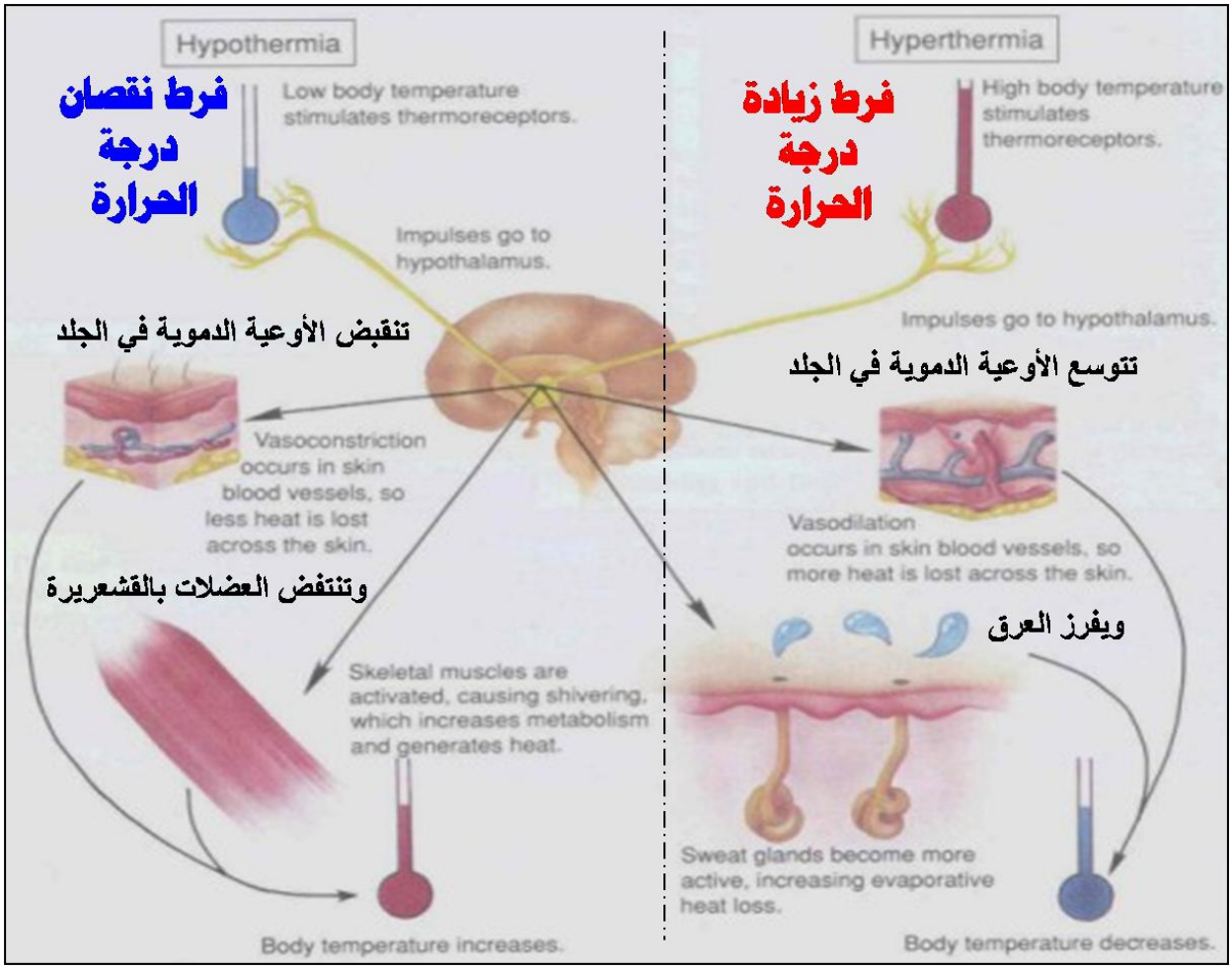

وجهاز تنظيم درجة الحرارة في جسم الإنسان على أعلى درجة من الإتقان بحيث يحافظ على ثبات درجة حرارة الجسم حول قيمة وسطية فرط تجاوزها سواء بالزيادة أو النقص قد يميت، فإذا ارتفعت نشطت آليات لتخفيضها وإذا انخفضت نشطت آليات أخرى لرفعها للمستوى المقدر، والنرد لا يأتي دوما بنفس النتيجة ولكن جهاز تنظيم الحرارة مقدر الوظيفة سلفا فكيف إذن يرد مجرد هاجس أن يُصنع ويعمل بكفاءة في كل إنسان صدفة!، والمعدل الطبيعي المُقدر سلفًا لكل إنسان حوالي: ٣٧ درجة مئوية (٩٨,٥ درجة فهرنهيت)، وعند فرط زيادة الحرارة Hyperthermia بتجاوز تلك الحدود الطبيعية تنشط مستقبلات حسية Thermo-receptors مُعدة خصيصا لتنقل تحذيرات كهربية إلى مركز المراقبة الحرارية في المخ ويقع تحديدا في منطقة تحت المهاد Hypothalamus، وعلى الفور يستنفر مركز المراقبة كل جهاته التابعة في الجسم للعمل وبدورها تتجاوب بحكمة بلا تدبير منها أو وعي ذاتي، فتتوسع الأوعية الدموية بالجلد والنتيجة العملية ترشدك للحكمة؛ وهي زيادة الحرارة المفقودة مباشرة عن طريق الجلد، ناهيك أن يُعد الجلد كله مسبقًا لتلك المهمة فيزداد نشاط غدد العرق لتفرز كميات أكبر ومع تبخر العرق تنخفض الحرارة، وعند فرط نقص الحرارة Hypothermia تعمل آليات أخرى على المحافظة على رفع درجة الحرارة، فتنقبض الأوعية الدموية في الجلد ويقل تعريض الجسم لمزيد من فقد الحرارة، وترتجف العضلات الإرادية لا إراديا بالقشعريرة Shivering فتتسارع عملية احتراق المواد الغذائية داخلها فتنتج كميات أكبر من الحرارة، هذا أحد أنظمة التوازن Homeostasis للحفاظ على الحياة، وجهاز مُتقن التصميم مُبرمج سلفًا بقصد يستحيل أن تصنعه مصادفة؛ أرأيت القصد في كل تقدير وبديع صنع القدير!.

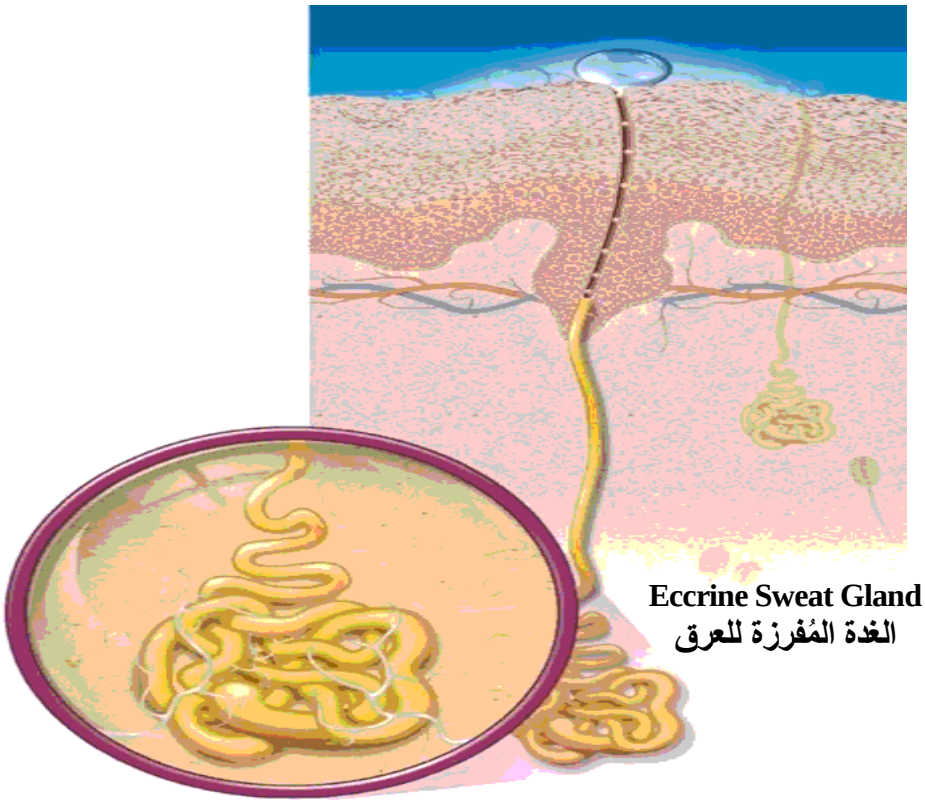

Eccrine Sweat Gland
الغدة المُفرزة للعرق

وإذا قيست قدرة المؤسسات بعدد موظفيها؛ فقد بلغت كفاءة الغدد العرقية Eccrine Sweat Glands أن تقوم ٢-٤ مليون غُدة مُعدة سلفًا للطوارئ، ومُوظفة مُسبقا بوعي لمهمة مقصودة؛ وهي خفض فرط الزيادة في درجة الحرارة.

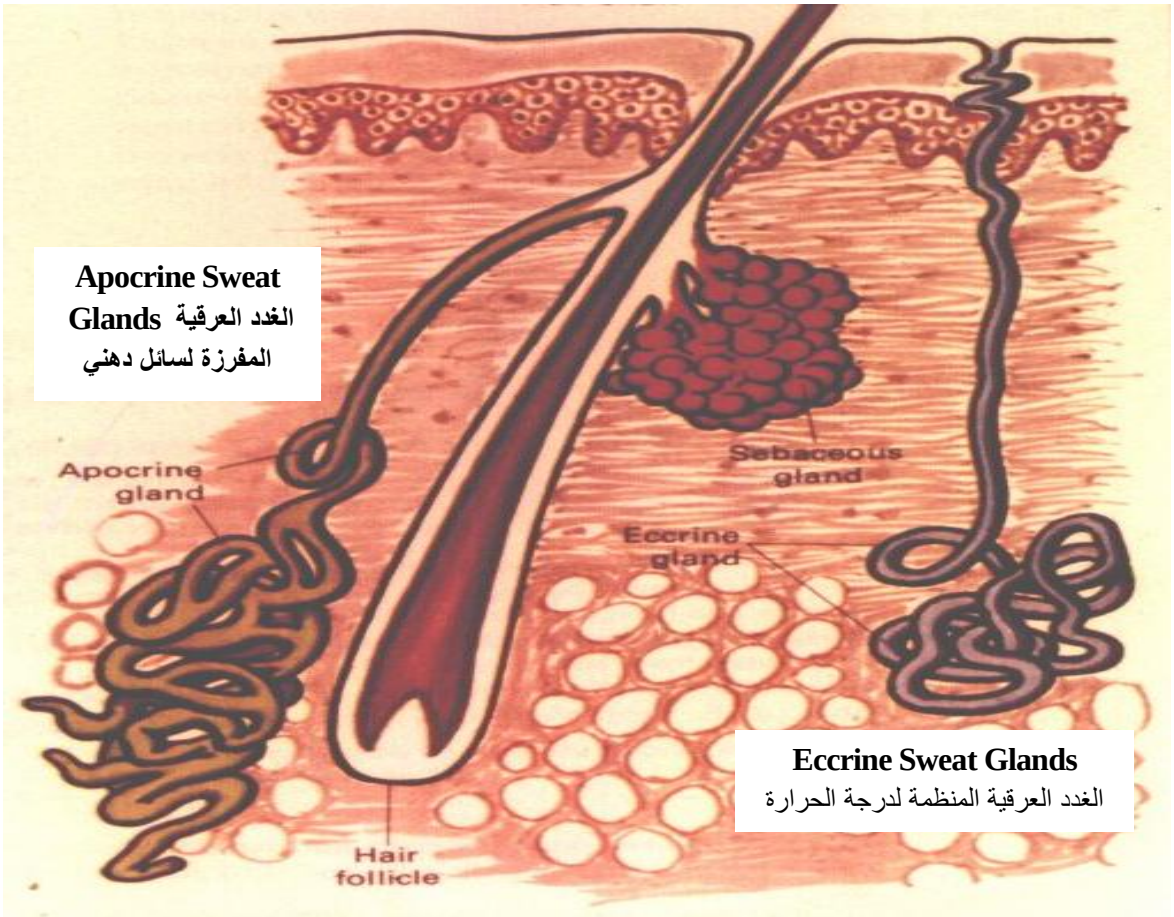

وتنتشر الغدد المُفرزة للعرق بجسم الإنسان وتصبه مباشرة على سطح الجلد، وتوجد غدد ليس لها علاقة بتنظيم درجة الحرارة بالعانة والثديين وتحت الإبطين؛ وتصب سائل دُهني بجراب الشعرة تحلله البكتريا فيُصدر رائحة مُميزة.

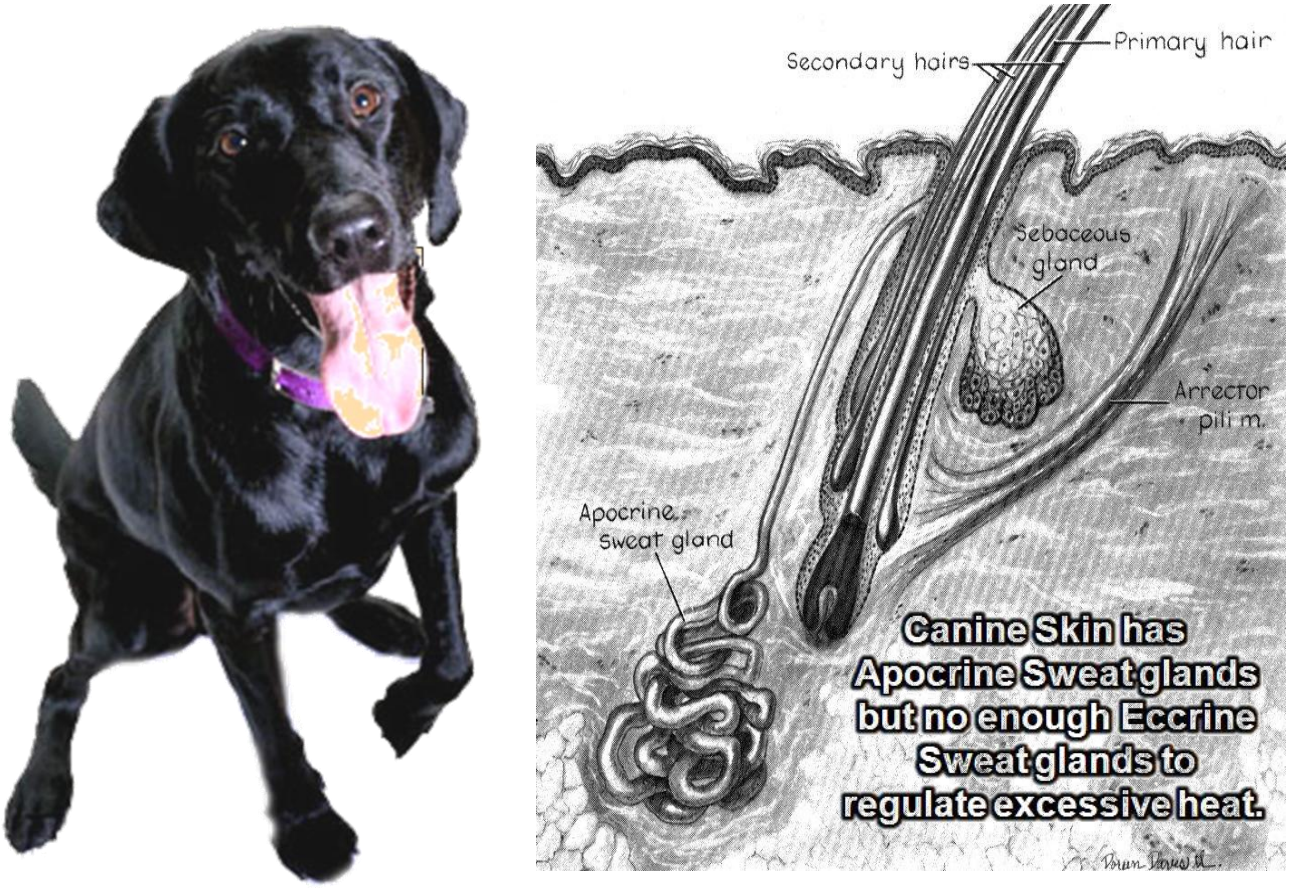

Panting of the dogs is the mechanism for reduction of the excessive heat.
لهاث الكلاب هو الآلية لإنقاص الحرارة الزائدة.

وتوجد في جلد الكلب غدد تُنتج روائح تُميز الكلاب Apocrine Sweat Glands، ولا توجد غدد عرقية كافية لتنظيم درجة الحرارة Eccrine Sweat Glands؛ وإن وجدت أسفل أقدام الكلب وحول الفم بعض غدد عرق تقوم بمهمة الترطيب ولا تأثير يُذكر لها على خفض درجة الحرارة، ولذا لا يملك الكلب إلا اللهاث Panting لإخراج الحرارة الزائدة الناتجة عن العمليات الحيوية في جسمه، وذلك بتبخر بخار الماء أثناء تنفسه وإخراج لسانه لتعريض مساحة أكبر.

واللهاث أنفاس سريعة تتضاعف فجأة عشر مرات، من ٣٠ ـ ٤٠ لتبلغ ٣٠٠-٤٠٠ مرة\ دقيقة مع إخراج اللسان، وتشبيه الفاقد لجلده بالكلب جامعه تسارع الأنفاس، قال ابن جزي: "اللهث هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات مع الحر والتعب؛ وهي حالة دائمة للكلب، ومعنى (إن تحمل عليه) إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره؛ (أو تتركه) دون أن تحمل عليه، فهو يلهث على كل حال، ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضال؛ وإن لم تعظه فهو ضال، فضلالته على كل حال كما أنّ لهث الكلب على كل حال"[٤٣٤].

[٤٣٤] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١١\ ٣١٣).

أثناء الراحة يلهث الكلب ويُخرج لسانه من حين لآخر.

ومع العدو يشتد لُهاث الكلب؛ فهو في كل الأحوال لاهث سواء بذل جهدًا أو سكن.

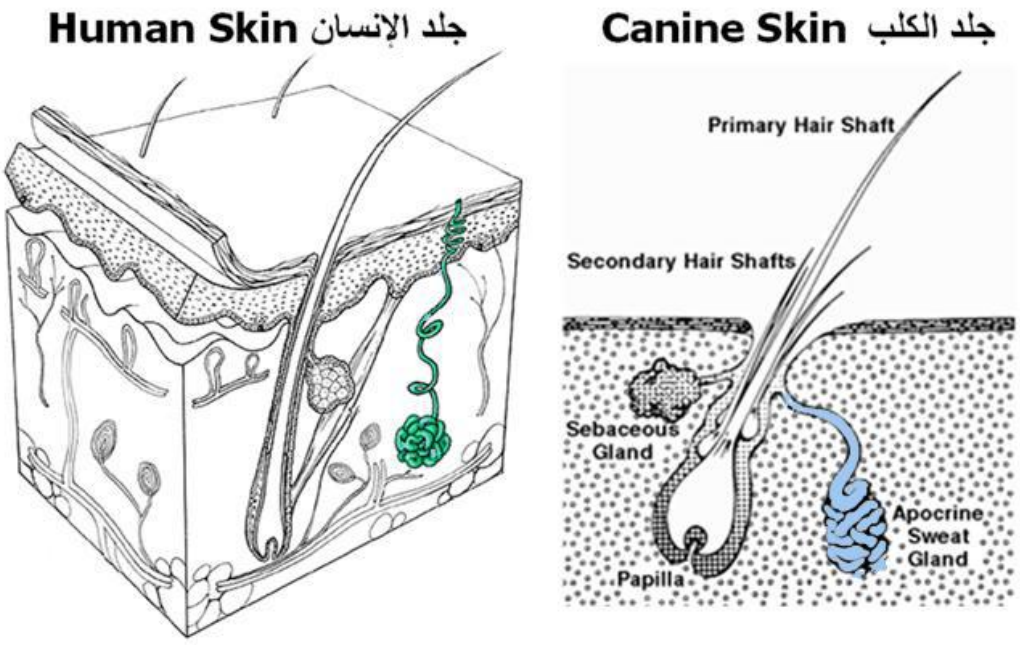

وجلـــــد الإنســـان

يتميز عن جلد الكلب بوجود الغدد العرقية المُنَظِّمَة لدرجة الحرارة، وإذا سُلِخ جلد الإنسان سيفقد تلك الغدد فيصبح كالكلب الذي يفقدها ابتداءً ولا يملك إلا اللهاث بذل جهدا أو سكن، والعجيب أن القرآن الكريم لم يَتَخَيَّر سوى الكلب في لهثه على الدوام بذل جهدا أو سكن؛ لتمثيل حالة المُعاند في مكابرته على الدوام أمام دلائل الوحي، وهو مثال قد يتفهمه كل إنسان؛ لكن المُدهش أن النَّظم الكَريم لم يُشَبِّهُهُ بالكلب حتى سَلَخ عنه جلده ليُصبح تمامًا كالكلب: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ٧الأعراف:١٧٥و١٧٦، والمعنى المُدَّخَر قبل اكتشاف المجهر؛ أن انسلاخ جلد الإنسان يُفقده تركيب له نفس وظيفة اللُّهَاث عند الكلب.

قال ابن عاشور: "وَالِانْسِلَاخُ حَقِيقَتُهُ خُرُوجُ جَسَدِ الْحَيَوَانِ مِنْ جِلْدِهِ حِينَمَا يُسْلَخُ عَنْهُ جِلْدُهُ، وَالسَّلْخُ إِزَالَةُ جِلْدِ الْحَيَوَانِ الْمَيِّتِ عَنْ جَسَدِهِ"[٤٣٥]، وقال ابن القيم: "(فَانْسَلَخَ مِنْها) أي خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها، وفارقها

[٤٣٥] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٩ ١٧٣).

فراق الجلد يُسلخ عن اللحم، ولم يقل: (فسلخناه منها) لأنه هو الذي تسبب إلى انسلاخه منها بإتباعه هواه"[٤٣٦]، والتمثيل يُجَسِّد عِنَاد يبلغ حد اختيار الموت على الحياة؛ وإذن يفيض التعبير بمضامين تصويرية يَتَمَلاَّهَا الخيال ولا يَمَل.

يقول العلي القدير: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ. مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٧الأعراف:١٧٥-١٧٨، ولهاث المُعاند حالة حسية تجسد حالة معنوية هي المُكابرة والعناد على الدوام، والوصف عائد على من يفر مبتعدًا عن الهدى وعظته أو تركته بيانًا للعناد على الدوام؛ فالعناد حالة معنوية شخصتها حالة حسية تصدق على كل متعامي عن دلائل الوحي، وجلد الكلب خالي من الغدد العرقية التي تقوم بتلطيف حرارة جسمه فلا يملك إلا اللهاث على الدوام؛ وكذا المُنسلخ من جلده يفقد الغدد العرقية فيصبح كالكلب لاهث على الدوام، وفي التعقيب: ﴿ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ تصريح بالتَرَفُّع عن مُعتاد القصة إلى تمثيل يُشَخِّص العناد وسوء المصير؛ ويُعَرِّض بالسامع ليتجنب نفس المصير.

وجلد الإنسان هو أكبر عضو في الجسم، وإذا عاينا قطاعًا مجهريًّا في الجلد؛ سنجد أن من أهم تكويناته هي: الغدد العرقية والعضلة الناصبة للشعرة وتتقلص في بعض الأحوال كالبرد والخشية والفزع والمفاجآت، ولا يتوقع قبل اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر أن يتضمن أي مصدر الحديث تصريحًا أو تلميحًا عن تلك التكوينات الدقيقة، ولكن القرآن الكريم منذ القرن السابع الميلادي في ثنايا لفت الانتباه إلى مصير الإنسان والإنذار بيوم الحساب يعرض لها بتلطف مبينا وظائفها في بساطة بلا تكلف مع عمق أغوار لا تفوت المحققين عند اكتشاف الحقيقة، ناهيك عن بلاغة تجسد المعنويات بِحِسِّيَّات تُرَسِّخ المضمون في الأذهان؛ وروائع تصويرية في البيان توقظ الشعور وتهز الوجدان.

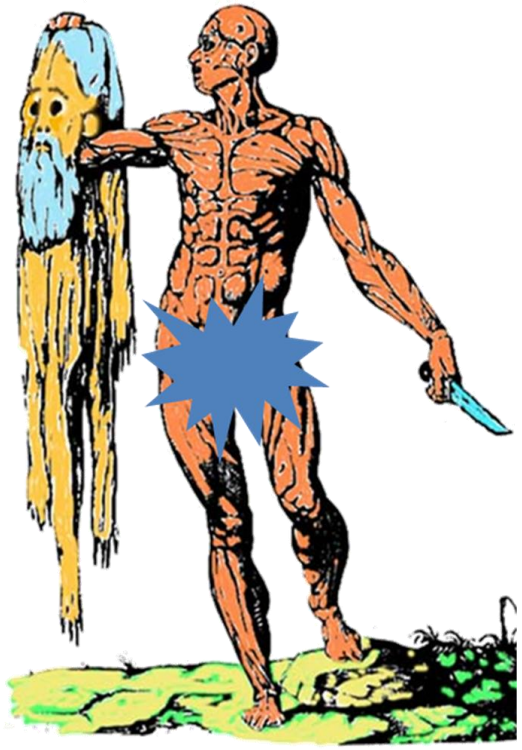

مشهد المسلوخ الجلد المُتعري البدن نموذج شاخص يجسد حال المُتعري السريرة المُعرض عن دلائل الوحي فاقد الوقاية بالإيمان؛ كمن سلخ نفسه فلم يُهلك إلا نفسه.

وفي معرض ازدراء المُكابر بعد اتضاح البينة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ٧الأعراف:١٧٥و١٧٦؛ اشتمل العرض على جملة من بدائع التصوير تكشف خفايا النفوس وتجسد السلوك، فمشهد المُنسلخ الجلد المُتعري بلا وقاية يُجَسِّد فقدان الإيمان، والفعل (انْسَلَخَ) يصف الساعي لهلاك نفسه بذبيحة تُسلخ، حيث طمع الشيطان فيه كأسد أطمعته فريسة فافترسها، والغافل أسير هواه لا يستجيب كالأصم، ميت لاصق بالأرض

[٤٣٦] محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، تفسير ابن القيم (التفسير القيم)، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال بيروت، ١٤١٠ هـ (ص٢٩٢).

بلا حركة تنُم عن حياة، أشبه بجيفة مزقها سبع، ولكن: أيسلخ عاقل جلده الواقي ليهلك! هكذا المُتجرد من الإيمان مُتعري الباطن، إن قامت عليه حجة لا يستجيب وإن غفل عنها لا يتوقف عن الفرار ساعيًا لمهلكه من العناد.

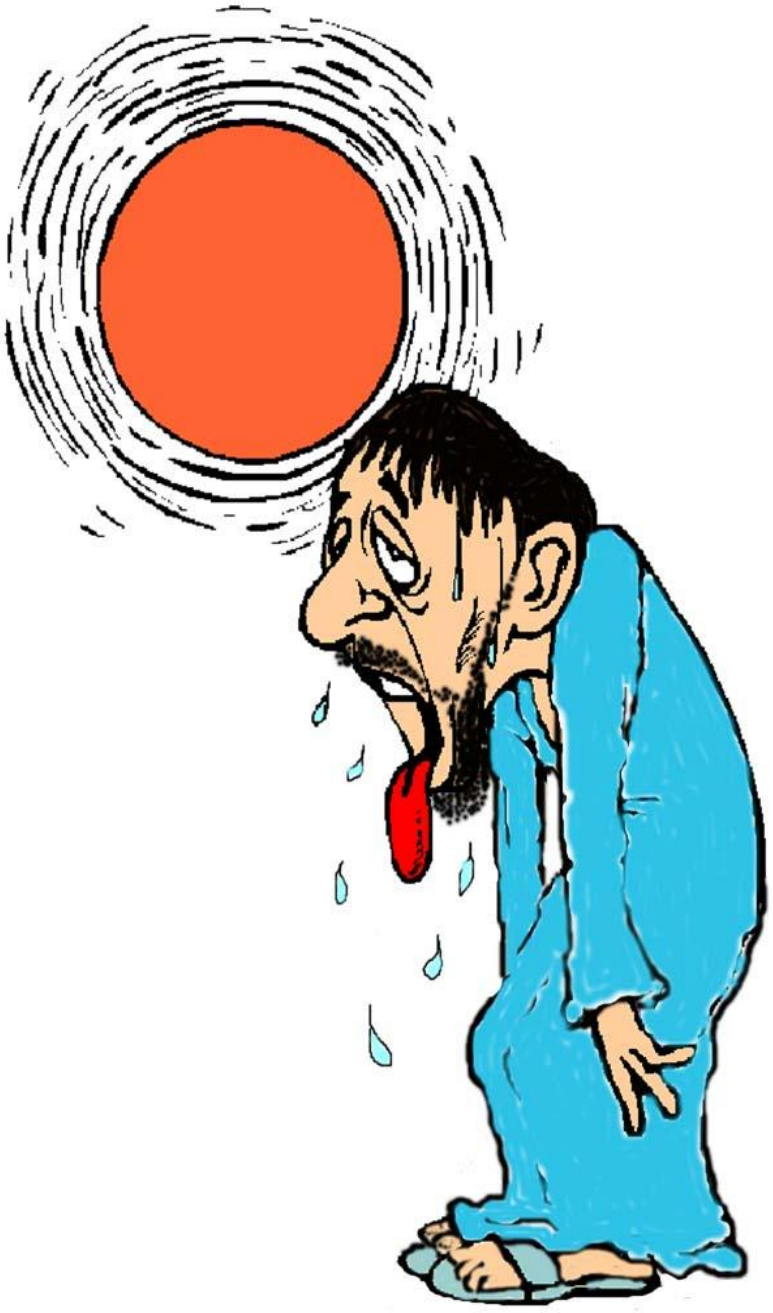

ويثير التمثيل في المخيلة مشهد هارب يتصبب عرقًا في يوم صيف قائظ وتتلاحق أنفاسه؛ قد ناله الإعياء من العدو والحر فارًا من أمان العشيرة ساعيًا للضلال في البيداء والتعرض للضواري والموت كمن تَرَدَّي من شاهق، فلا يستجيب لواعظ ولا يسترد رشده يتمسك بالحطام ويلتصق بالرغام؛ مُتهالك هالك كجيفة لم يتبق فيها علامة حياة، ولا يقف التمثيل بك عند تصوير تلاحق أنفاسه باللهاث بيانا للفرار من الحق؛ وإنما لا يُبقي له بعد سلخه لجلده إلا اللهاث فحسب وسَلَبَهُ العرق؛ فأصبح كالكلب في الطبيعة كما في اللهاث، قال أبو السعود: "الأظهرُ أنه تشبيهٌ للهيئة المنتزَعَة مما اعتراه بعد الانسلاخ.. بالهيئة المنتزعةِ مما ذكر من حال الكلب"[٤٣٧]؛ حيث أصبح لا يملك إلا اللهاث بفقدانه جلده بما فيه من تراكيب كحالَ الكلب لاهث على الدوام سواء أهجته فبذل جهدًا أو تركته، وهكذا يتملك النظم المخيلة وتتلاحق المشاهد؛ ولا تدري أيٍّ منها تختار، فكلها روائع تُجسد حال المُعَاند وهلاكه المحتوم عن اختيار تجسيدًا للعناد.

[٤٣٧] أبو السعود العمادي؛ تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي بيروت (١٣ ٢٩٣).

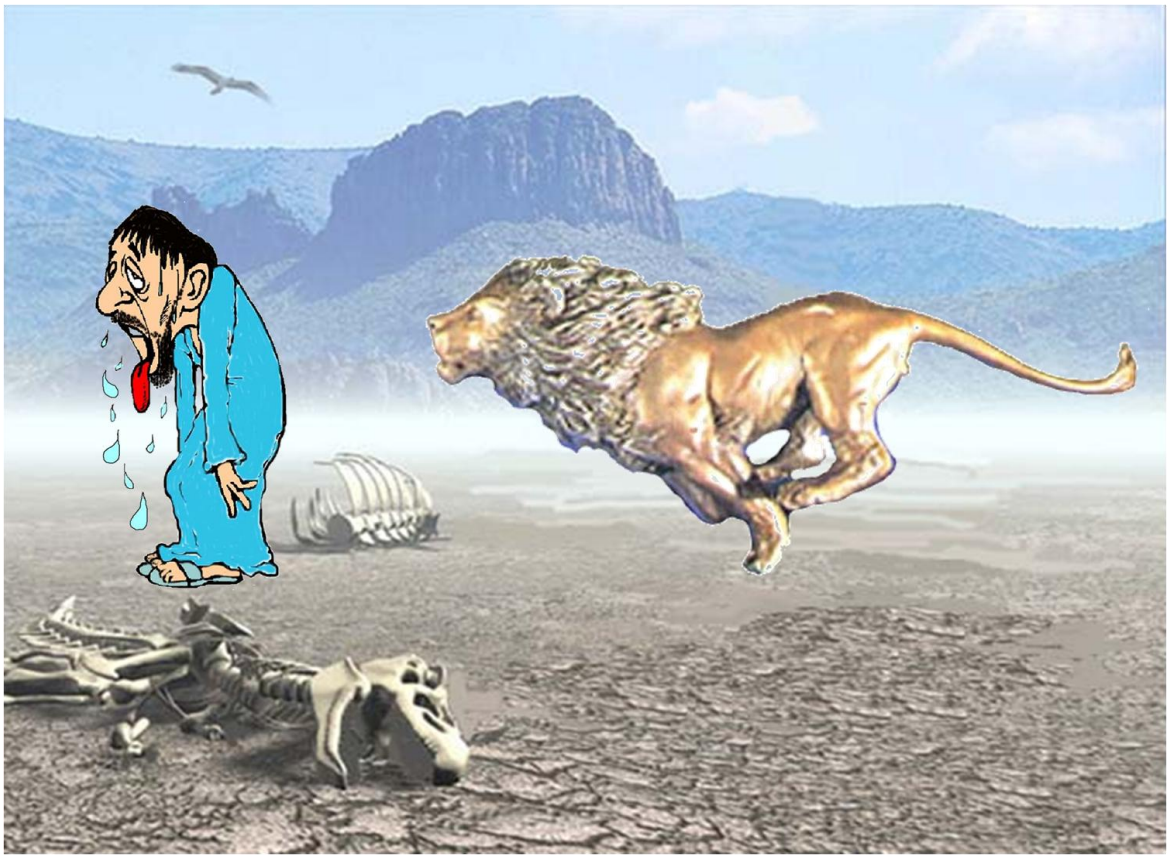

وهكذا ينقلك التمثيل إلى القفار لتُعَاين ذلك الهارب من الحق لتفترسه الضواري (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)؛ فقد اختار لنفسه الهلاك على الأمان والسلامة ولا يُسَلِّم بعد إدراك وعلم بدلائل الحق، وهو أبلغ تصوير لشدة العناد.

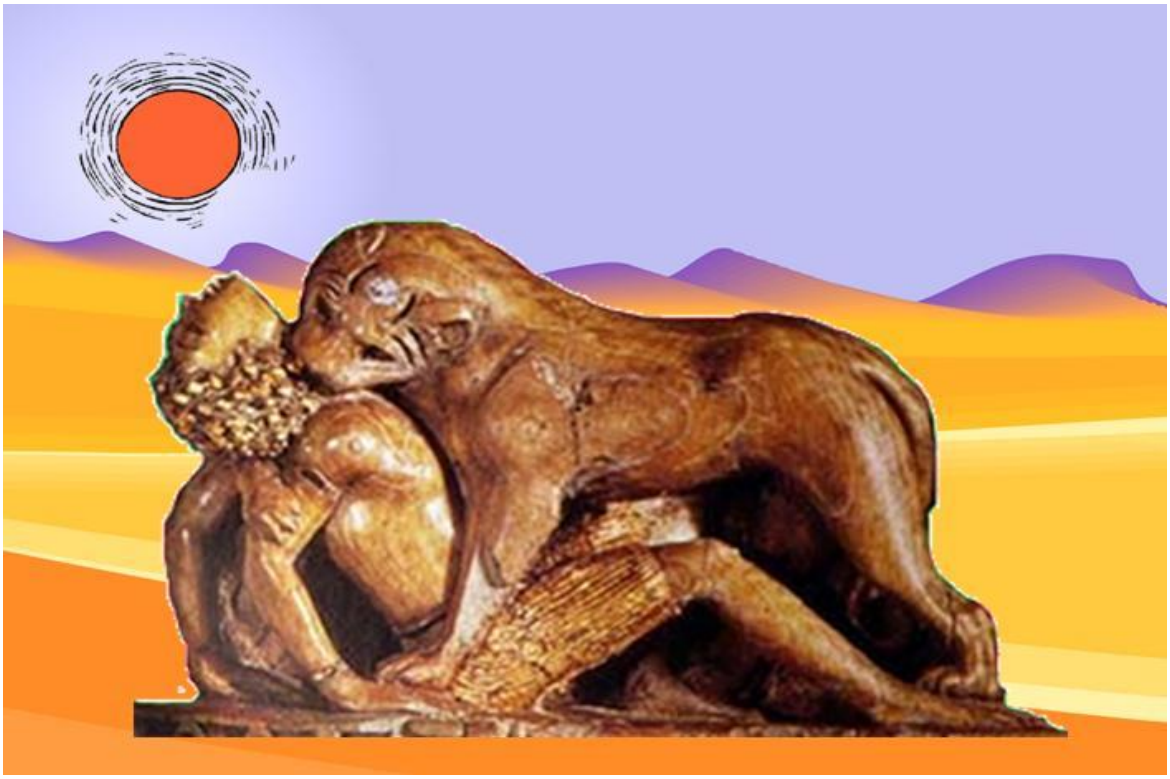

قال ابن القيم: "فلما انسلخ من آيات الله ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته: (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ): (أي) العاملين بخلاف علمهم الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافة كعلماء السوء.. قال (تعالى): (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا)؛

فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد (صفة) العالم؛ فإن هذا كان من العلماء، وإنما هي بإتباع الحق وإيثاره وقصد مرضاة الله، فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه؛ ولم يرفعه الله بعلمه ولم ينفعه به، نعوذ بالله من علم لا ينفع"[٤٣٨].

[٤٣٨] محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، تفسير ابن القيم (التفسير القيم)، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال بيروت، ١٤١٠ هـ (ص٢٩٢).

وتَتَدَاخَل المَشَاهِد في رَوْعَةٍ أذهلت أساطين البيان؛ تُجَسِّد هلاك المُعاند لدلائل الوحي، وسقوطه بعد رفعة كمن تَرَدَّي من شاهق فهلك وتَخَطَّفَتْهُ الجوارح: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ١٧٦الأعراف:، وكأنه قِيل: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ٢٢الحج:٣١.

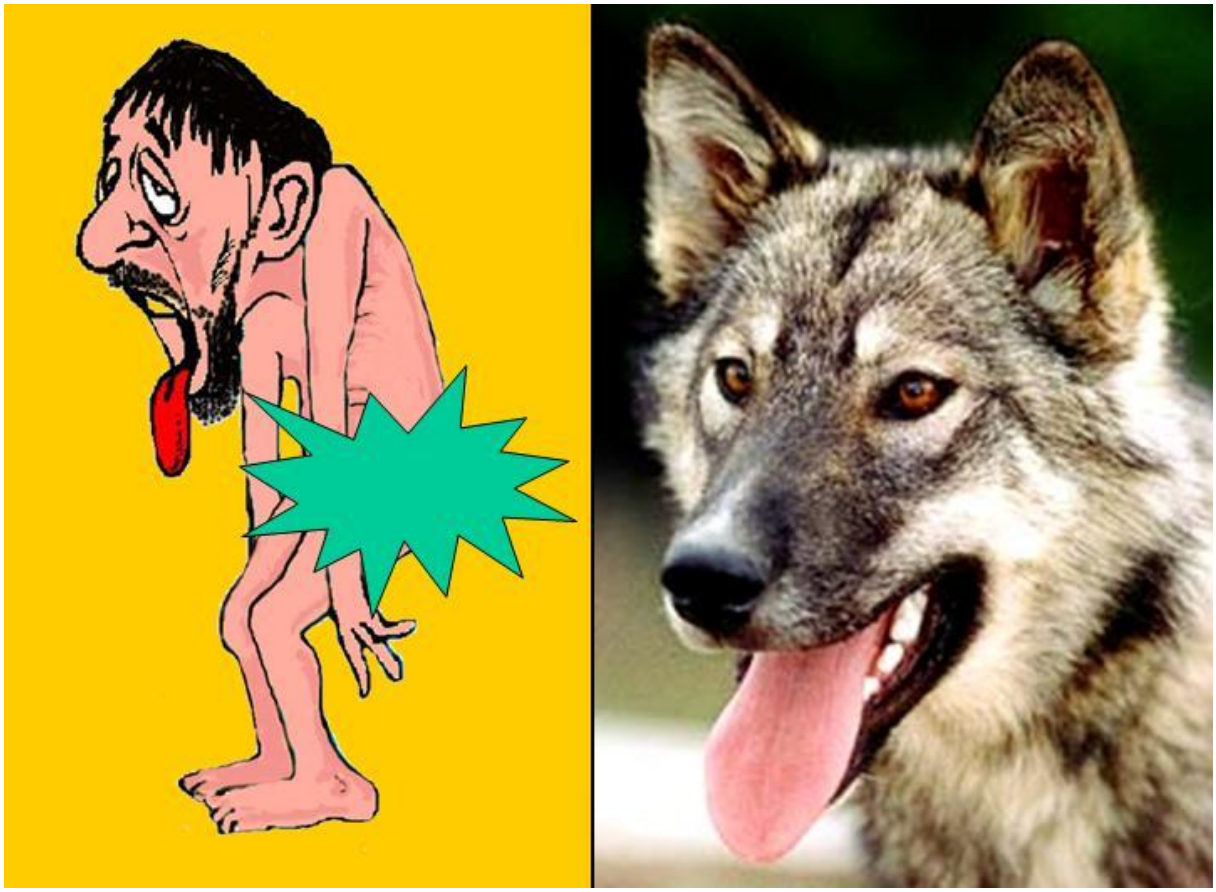

لم يقع تشبيه المُكابر بالكلب في النظم إلا بعد سلخ جلده وفقدان غدد العرق؛ فأصبح كالكلب بجامع اللّهاث خاصة.

وهكذا اشتمل العرض على جملة مشاهد يجسد كل منها هلاك ذلك المُعرض عن الحقيقة بعد معاينة الدليل بيانا لهلاكه يوم الحساب؛ أولها مشهد المنسلخ الجلد المُتعري بلا وقاية تصويرا لفاقد الإيمان، والسلخ لا يكون إلا لجلد الذبائح، ومشهده كفريسة أطمعت الشيطان بغوايته فأتبعها كالأسد وافترسه، ومشهد المتردي من شاهق بلا مستند يبقيه ساميا فهلك، ومشهد الأسير هواه كميت لاصق بالأرض بلا حركة تنم عن حياة، أيفر عاقل من طريق النجاة ليضل ويهلك!، إنه ليس مجرد فرار فحسب وإنما هو مشهد تلمح فيه كذلك إيغالاً في الإعراض عن الحقيقة بإطالة اللسان نيلاً من الحقيقة، وكأنه تعالى يقول: "أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَـئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً" الأحزاب:١٩، وهكذا المُكابر نافر من الحجة يفر كالحمر رهبةً من لبؤة جوعى، ولو طاردته حجة سيظل دوما لاهثا من الفرار؛ ولن يضر النبوة الخاتمة علو نباحه، وهكذا في خضم هذه الروائع التي تجسد طوية هذا المسلوخ الجلد يتألق النظم ويشبهه بالكلب، وفيه تلميح إلى أن الكلب فاقه ببقائه على فطرته لم يفقد جلده وعلى طبيعته لا يملك إلا اللُّهاث سواء بذل جهدا أو سكن؛ حتى ولو لم يُخرج لسانه لأن جلده يخلو من الغدد العرقية.

قال الرازي: "هو عام فيمن عرض عليه الهدى فأعرض.. وهو قول قتادة وعكرمة وأبي مسلم.. وهذا يقع على كل كافر لم يؤمن بالأدلة وأقام على الكفر..، واللهث هو أن الكلب إذا ناله الإعياء عند شدة العدو وعند شدة الحر فإنه يدلع لسانه..، واعلم أن هذا التمثيل ما وقع بجميع (أحوال) الكلاب وإنما وقع بالكلب اللاهث.. قال تعالى (ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا) فعم بهذا التمثيل جميع المكذبين بآيات الله..، فحصل التمثيل بينهم وبين الكلب.. لأنهم.. بقوا على الضلال في كل الأحوال مثل هذا الكلب الذي بقي على اللهث في كل الأحوال.. صاروا في التمثيل.. بمنزلة الكلب اللاهث"[٤٣٩].

[٤٣٩] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١٥\ ٤٠٦).

والتعريف في لفظ (الكلب) للجنس، وبالفعل يلازم اللهاث جميع أفراد أسرة الكلبيات Family Canidae؛ من الجنسين، وتبلغ هذه الأسرة اثنين وثلاثون نوعًا 32 Species؛ ضمن رتبة آكلات اللحوم Order Carnivores.

والكلب الدانمركي العملاق Great Dane هو أطول الأنواع ويبلغ ارتفاعه حوالي ١٠٠ سنتيمتر ولا يكاد اللهاث أن يُفارقه، وكذلك الكلب الإنجليزي القزم Yorkshire Terrier أقصرها حيث يبلغ ارتفاعه حوالي ٦,٥ سنتيمتر فقط، وكذلك كل أنواع الحيوانات الكلبية Canine Animals كالذئب والنمر والأسد فهي تلهث جميعا من حين لآخر خاصة عند العدو، وبهذا كشفت الأيام مغزى تشبيه المسلوخ الفاقد لجلده بجنس الكلب، فبفقده جلده الواقي تجسيدا لفقده الإيمان وإبطاله التفكير الواعي كأنه بلا عقل يصبح كالكلب الذي يفتقر للعرق ولا يملك إلا اللُهاث؛ فضلا عن كونه حيوانًا بلا عقل.

لقد كان نصيب المُعرض عن دلائل التنزيل أن أعرض عنه البيان المُعجز فتحدث عنه بالغيبة والإبهام، فلم يستحق في ساحة المحاكمة بتهمة التجرد من الفطرة السوية أن يُذكر له اسمًا وانزوي في طرف قفص الاتهام في ركن المخيلة مُهانًا لا يستطيع أن يُداري سوأته ولا يملك دفاعا عن جريمته، واستسلم مُرغما إلى الحكم بإعدامه عدة مرات بطرق مُتنوعة ليكون مثلاً لأمثاله، يقول العلي القدير: (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ الْعَالِمُونَ) العنكبوت:٤٣.

قال سيد قطب: "قد كانت آيات الهدي.. مُتلبسة بفطرتهم..ح ثم إذا هم ينسلخون منها.. هابطون من مكان الإنسان إلي مكان الحيوان..، وكانوا من فطرتهم.. في أحسن تقويم فإذا هم ينحطون منها إلي أسفل سافلين..، وهل أسوأ من الانسلاخ والتعَرّي من الهدي مَثَلاً!.. وهل يظلم إنسان نفسه كما يظلمها من يصنع بها هكذا!.. يُعريها من الغطاء الواقي والدرع الحامية ويدعها غرضًا للشيطان.. وبعد.. فهل هو (إذن) نبأ يُتلي أم.. مَثَلٌ يُضرب في صورة النبأ!"[٤٤٠]، وقال الطبري: "{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} الأعراف:١٧٦..؛ إِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ لِتَرْكِهِ الْعَمَلَ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي آتَاهَا إِيَّاهُ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: سَوَاءٌ وُعِظَ أَوْ لَمْ يُوعَظْ فِي أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ أَمْرَ رَبِّهِ، كَمَا سَوَاءٌ حُمِلَ عَلَى الْكَلْبِ وَطُرِدَ أَوْ تُرِكَ فَلَمْ يُطْرَدْ فِي أَنَّهُ لَا يَدَعُ اللَّهَثَ فِي كِلْتَا حَالَتَيْهِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ.. لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} الأعراف:١٧٦؛ فَجَعَلَ ذَلِكَ مَثَلَ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَاثَ لَيْسَ فِي خِلْقَةِ كُلِّ مُكَذِّبٍ..، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لَهُمْ..، لِسَائِرِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ مَثَلُ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} الأعراف:١٧٦، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَذَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبْتُهُ لِهَذَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِنَا وَأَعْلَامِنَا وَأَدِلَّتِنَا؛ فَسَلَكُوا فِي ذَلِكَ سَبِيلَ هَذَا الْمُنْسَلِخِ مِنْ آيَاتِنَا الَّذِي آتَيْنَاهَا إِيَّاهُ فِي تَرْكِهِ الْعَمَلَ بِمَا آتَيْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ} الأعراف:١٧٦، فَإِنَّهُ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاقْصُصْ يَا مُحَمَّدُ؛ هَذَا الْقَصَصَ الَّذِي قَصَصْتُهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا..، لِيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ فَيَعْتَبِرُوا وَيُنِيبُوا إِلَى طَاعَتِنَا..، فَيَعْلَمُوا حَقِيقَةَ أَمْرِكَ وَصِحَّةَ نُبُوَّتِكَ..؛ وَفِي عِلْمِكَ بِذَلِكَ وَأَنْتَ أُمِّيٌّ لَا تَكْتُبُ وَلَا تَقْرَأُ وَلَا تَدْرُسُ الْكُتُبَ، وَلَمْ تُجَالِسْ أَهْلَ الْعِلْمِ، (فهو يتضمن) الْحُجَّةُ الْبَيِّنَةُ لَكَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ وَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ مَا عَلِمْتَ مِنْ ذَلِكَ وَحَالُكَ الْحَالُ الَّتِي أَنْتَ بِهَا إِلَّا بِوَحْيِ مِنَ السَّمَاءِ..، الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ} الأعراف:١٧٧، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِ اللَّهِ وَأَدِلَّتِهِ"[٤٤١]، والآن قل لي بربك: أهي بلاغة في التمثيل وفصاحة في النظم وإحكام في البيان فحسب أم إخبار بالغيب؛ أم أنهما لا يفترقان برهانًا على الوحي!.

[٤٤٠] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي؛ في ظلال القرآن، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السابعة عشر؛ ١٤١٢هـ (١٣\١٣٩٧).

[٤٤١] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١١٠\٥٨٨).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه بلعام بن عوراء، واختلفوا فيه فقيل كان من اليمن وقيل كان من الكنعانيين وقيل من بني صال بن لوط؛ قاله ابن عباس وابن مسعود، والثاني: أنه أمية بن أبي الصلت الثقفي؛ قاله عبد الله بن عمرو، والثالث: أنه من أسلم من اليهود والنصارى ونافق؛ قاله عكرمة، وفي الآيات التي أوتيها ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه اسم الله الأعظم الذي تجاب به الدعوات؛ قاله السدي وابن زيد، والثاني: أنها كتاب من كتب الله؛ قاله ابن عباس، والثالث: أنه أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه؛ قاله مجاهد، وهو غير صحيح لأن الله لا يصطفي لنبوته إلا من يعلم أن لا يخرج عن طاعته إلى معصيته، وفي قوله: {فَانسَلَخَ مِنهَا} وجهان؛ أحدهما: فانسلخ من العلم بها لأنه سيسلب ما أوتي منها بالمعصية، والثاني: أنه انسلخ منها أي من الطاعة بالمعصية مع بقاء علمه بالآيات حتى حكي أن بلعام رُشي على أن يدعو على قوم موسى بالهلاك فسها فدعا على قومه فهلكوا، {فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن الشيطان صيره لنفسه تابعاً بإجابته له حين أغواه، والثاني: أن الشيطان متبع من الإنس على ضلالته من الكفر، والثالث: أن الشيطان لحقه فأغواه، يقال اتبعت القوم إذا لحقتهم وتبعتهم إذا سرت خلفهم؛ قاله ابن قتيبة، {فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} فيه وجهان؛ أحدهما: من الهالكين، الثاني: من الضالين، قوله عز وجل: {وَلَو شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا} فيه وجهان؛ أحدهما: يعني لأمتناه فلم يكفر، والثاني: لحلنا بينه وبين الكفر فيصير إلى المنزلة المرفوعة معصومًا؛ قاله مجاهد، {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ} أي ركن إليها، وفي ركونه إليها وجهان؛ أحدهما: أنه ركن إلى أهلها في استنزالهم له ومخادعتهم إياه، والثاني: أنه ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله، وقد بين ذلك قوله تعالى: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}، ثم ضرب مثله بالكلب {إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} وفي تشبيهه بالكلب اللاهث وجهان؛ أحدهما: لدناءته ومهانته، الثاني: لأن لهث الكلب ليس بنافع له"[٤٤٢].

وقال الألوسي: "حقيقة السلخ كشط الجلد وإزالته بالكلية عن المسلوخ عنه، ويقال لكل شيء فارق شيئا على أتم وجه انسلخ منه، وفي التعبير به ما لا يخفى من المبالغة، واستأنس بعضهم بهذه الآية؛ لأن العلم لا ينزع من الرجال حيث قال سبحانه وتعالى: (فَانْسَلَخَ مِنْها) ولم يقل عز شأنه (فانسلخت منه)، (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ) أي لحقه وأدركه؛ كما قال الراغب بعد أن لم يكن مدركا له لسبقه بالإيمان والطاعة، وقال الجوهري يقال: أتبعت القوم إذا سبقوك فلحقتهم، وكأن المعنى جعلتهم تابعين لي بعد ما كنت تابعا لهم، وفيه حينئذ مبالغة في اللحوق؛ إذ جعل كأنه إمام للشيطان والشيطان يتبعه وهو من الذم بمكان، ونظيره..: وكان فتى من جند إبليس فارتقى به الحال حتى صار إبليس من جنده، وصرح بعضهم بأن معناه استتبعه؛ أي جعله تابعا له..، أي أتبعه خطواته، وقرء (فاتبعه) من الافتعال، (فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ) فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان مهتديا..، والمثل بمعنى الصفة كما قال غير واحد فصفته كصفة الكلب، وقيل المراد أنه كالكلب في الخسة (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ) أي شددت عليه وطردته (يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ) على حاله (يَلْهَثْ)، أي إنه دائم اللهث على كل حال، واللهث إدلاع اللسان بالنفس الشديد وذلك طبع في الكلب لا يقدر على نغص الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبه وانقطاع فؤاده بخلاف سائر الحيوانات؛ فإنها لا تحتاج إلى النفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة إلا عند التعب والإعياء، وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية بأن يقال: فصار مثله كمثل إلخ للإيذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استمراره عليها، والخطاب في فعلي الشرط لكل أحد ممن له حظ من الخطاب؛ فإنه أدخل في إشاعة فظاعة حاله"[٤٤٣].

---

[٤٤٢] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٢ ٢٧٩).

[٤٤٣] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٥ ١٠٤).

وفي تفسير الجلالين: "{وَاتْلُ} يَا مُحَمَّد، {عَلَيْهِمْ} أَيْ الْيَهُود، {نَبَأَ} خَبَر، {الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} خَرَجَ بِكُفْرِهِ كَمَا تَخْرُج الْحَيَّة مِنْ جِلْدهَا، وَهُوَ بلعم بْن بَاعُورَاءَ مِنْ عُلَمَاء بَنِي إسْرَائِيل؛ سُئِلَ أَنْ يَدْعُو عَلَى مُوسَى وَأُهْدِيَ إلَيْهِ شَيْء فَدَعَا فَانْقَلَبَ عَلَيْهِ وَانْدَلَعَ لِسَانه عَلَى صدره، {فأتبعه الشيطان} فأدركه فصار قرينه {فكان من الغاوين}، {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ} إلَى مَنَازِل الْعُلَمَاء، {بِهَا} بِأَنْ نُوَفِّقهُ لِلْعَمَلِ، {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ} سَكَنَ، {إِلَى الْأَرْض} أَيْ الدُّنْيَا؛ وَمَالَ إلَيْهَا، {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} فِي دُعَائِهِ إلَيْهَا فَوَضَعْنَاهُ (من الوضاعة)، {فَمَثَله} صفته {كَمَثَلِ الْكَلْب إنْ تَحْمِل عَلَيْهِ} بِالطَّرْدِ وَالزَّجْر، {يَلْهَث} يَدْلَع لِسَانه، {أَوْ} إنْ {تَتْرُكهُ يَلْهَث} وَلَيْسَ غَيْره مِنْ الْحَيَوَان كَذَلِكَ، وَجُمْلَتَا الشَّرْط حَال أَيْ لَاهِثًا ذَلِيلًا بِكُلِّ حَال، وَالْقَصْد التَّشْبِيه فِي الْوَضْع وَالْخِسَّة بِقَرِينَةِ الْفَاء الْمُشْعِرَة بِتَرْتِيبِ مَا بَعْدهَا عَلَى مَا قَبْلهَا مِنْ الْمَيْل إلَى الدُّنْيَا وَاتِّبَاع الْهَوَى، وَبِقَرِينَةِ قَوْله {ذَلِكَ} الْمَثَل، {مَثَل الْقَوْم الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَص} عَلَى الْيَهُود، {لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} يَتَدَبَّرُونَ فِيهَا فيؤمنون، {سَاءَ} بِئْسَ {مَثَلًا الْقَوْم} أَيْ مَثَل الْقَوْم {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسهمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ} بِالتَّكْذِيبِ، {من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون}"[٤٤٤].

وقال المراغي: "ضرب المثل للمكذبين بآياته المنزلة على رسوله؛ بعد أن أيدها بالأدلة العقلية والكونية، وهو مثل من آتاه الله آياته فكان عالما بها قادرا على بيانها والجدل بها، لكنه لم يؤت العمل مع العلم؛ بل كان عمله مخالفًا لعلمه فسلبها، لأن العلم الذي لا يعمل به لا يلبث أن يزول؛ فأشبه الحية تنسلخ من جلدها وتخرج منه وتتركه على الأرض..، (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها) أي واتل على اليهود ذلك النبأ العجيب، نبأ ذلك الذي آتيناه حجج التوحيد وأفهمناه أدلته حتى صار عالما بها فانسلخ منها وتركها وراءه ظهريا ولم يلتفت إليها ليهتدى بها، وفى التعبير بالانسلاخ إيماء إلى أنه كان متمكنا منها ظاهرا لا باطنا،(فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ) أي وبعد أن انسلخ منها باختياره؛ لحقه الشيطان فأدركه وتمكن من الوسوسة له، إذ لم يبق لديه من نور البصيرة ولا أمارات الهداية ما يحول بينه وبين قبول وسوسته وسلوك فهمه، فصار من الضالين المفسدين، والخلاصة إنه أوتى الهدى فانسلخ منه إلى الضلال؛ ومال إلى الدنيا فتلاعب به الشيطان وكانت عاقبته البوار والخذلان وخاب فى الآخرة والأولى، وفى الآية عبرة وموعظة للمؤمنين وتحذير لهم من إتباع أهوائهم حتى لا ينزلقوا في مثل تلك الهوة التي انزلق إليها صاحب المثل بحبه للدنيا وركونه إلى شهواتها ولذاتها، (وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها) أي ولو أردنا أن نرفعه بتلك الآيات والعمل بها إلى درجات الكمال والعرفان لفعلنا، بأن نخلق له الهداية خلقا ونلزمه العمل بها طوعًا أو كرهًا، إذ لا يعجزنا ذلك؛ ولكنه مخالف لسنتنا، (وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ) أي ولكنه ركن إلى الدنيا ومال إليها وجعل كل حظه من حياته التمتع من (لذاتها) الجسدية، ولم يوجّه إلى الحياة الروحية عزمًا..، (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) أي إن هذا الرجل كالكلب في صفته هذه وهى أقبح حالاته وأخسها، فهو لإخلاده وميله إلى الدنيا وإتباعه هواه يكون كذلك فى أسوأ حال..، (ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا) أي ذلك المثل البالغ الحد في الغرابة مثل هؤلاء القوم الذين جحدوا بآياتنا واستكبروا عنها جهلا بها وتقليدا للآباء والأجداد..، (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) أي فاقصص أيها الرسول الكريم قصص ذلك الرجل الذي تشبه حاله حال أولئك المكذبين بما جئت به من الآيات البينات رجاء أن يتفكروا..، وفى الآية إيماء إلى تعظيم ضرب شأن تلك الأمثال في الإقناع..، كما أن فيها رمزًا إلى تعظيم شأن التفكر وأنه مبدأ العلم والسبيل للوصول إلى الحق..، ولم يعيّن الكتاب الكريم اسم من ضرب به المثل ولا جنسه ولا وطنه ولا جاء في السنة الصحيحة شيء من ذلك، فلا حاجة لنا في.. بيانه، ولرواة التفسير بالمأثور روايات كثيرة في شأنه..، وذكر البستاني في دائرة المعارف العربية ملخص قصة بلعام ثم قال: وبعض مفسري الكتاب المقدس المدققين ذهب إلى أن قصة بلعام المدرجة في سفر العدد من الإصحاح ٢٢-٢٤ دخيلة، وعلى الجملة فهذه الروايات الإسرائيلية لا يعتدها كما لم يعتد بها ابن جرير"[٤٤٥].

---

[٤٤٤] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٢٢١).

[٤٤٥] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٩ ١٠٦).

وقال محمد رشيد رضا: "(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ): هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا أَيَّدَهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ، وَهُوَ مَثَلُ مَنْ آتَاهُ اللهُ آيَاتِهِ فَكَانَ عَالِمًا بِهَا حَافِظًا لِقَوَاعِدِهَا وَأَحْكَامِهَا، قَادِرًا عَلَى بَيَانِهَا وَالْجَدَلِ بِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ الْعَمَلَ مَعَ الْعِلْمِ، بَلْ كَانَ عَمَلُهُ مُخَالِفًا لِعِلْمِهِ تَمَامَ الْمُخَالَفَةِ، فَسُلِبَهَا؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي لَا يُعْمَلُ بِهِ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَزُولَ، فَأَشْبَهَ الْحَيَّةَ الَّتِي تَنْسَلِخُ مِنْ جِلْدِهَا وَتَخْرُجُ مِنْهُ وَتَتْرُكُهُ عَلَى الْأَرْضِ؛ وَيُسَمَّى هَذَا الْجِلْدُ الْمِسْلَاخَ، أَوْ كَانَ فِي التَّبَايُنِ بَيْنَ عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ كَالْمُنْسَلِخِ مِنَ الْعِلْمِ التَّارِكِ لَهُ؛ كَالثَّوْبِ الْخَلَقِ يُلْقِيهِ صَاحِبُهُ وَالثُّعْبَانُ يَتَجَرَّدُ مِنْ جِلْدِهِ حَتَّى لَا تَبْقَى لَهُ بِهِ صِلَةٌ..، فَحَاصِلُ مَعْنَى الْمَثَلِ: أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ تَعَالَى الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ عَلَى إِيضَاحِهَا بِالْحُجَجِ وَالدَّلَائِلِ، كَالْعَالِمِ الَّذِي حُرِمَ ثَمَرَةَ الِانْتِفَاعِ مِنْ عِلْمِهِ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا لَمْ يَنْظُرْ فِي الْآيَاتِ نَظَرَ تَأَمُّلٍ وَاعْتِبَارٍ وَإِخْلَاصٍ..، (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) التِّلَاوَةُ: الْقِرَاءَةُ وَإِلْقَاءُ الْكَلَامِ الَّذِي يُعَادُ وَيُكَرَّرُ لِلِاعْتِبَارِ بِهِ، وَالضَّمِيرُ فِي (عَلَيْهِمْ) لِلنَّاسِ الْمُخَاطَبِينَ بِالدَّعْوَةِ؛ وَأَوَّلُهُمْ كُفَّارُ مَكَّةَ، وَالسُّورَةُ مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: لِلْيَهُودِ؛ لِأَنَّ الْمَثَلَ تَابِعٌ لِقِصَّةِ مُوسَى فِي السُّورَةِ، وَالنَّبَأُ: الْخَبَرُ الَّذِي لَهُ شَأْنٌ، وَهَذَا الَّذِي آتَاهُ اللهُ آيَاتِهِ مِنْ مُبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ، لَمْ يُبَيِّنِ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ عَنْهُ اسْمَهُ وَلَا جِنْسَهُ وَلَا وَطَنَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَا دَخْلَ لَهَا فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الْآيَاتِ لِبَيَانِهِ، وَانْسِلَاخُهُ مِنْهَا: تَجَرُّدُهُ وَانْسِلَالُهُ مِنْهَا وَتَرْكُهُ إِيَّاهَا بِحَيْثُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا لِاهْتِدَاءٍ وَلَا اعْتِبَارٍ وَلَا عَمَلٍ، وَالتَّعْبِيرُ بِالِانْسِلَاخِ الْمُسْتَعْمَلِ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي خُرُوجِ الْحَيَّاتِ وَالثَّعَابِينِ أَحْيَانًا مِنْ جُلُودِهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنْهَا ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا، (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) أَيْ: فَتَرَتَّبَ عَلَى انْسِلَاخِهِ مِنْهَا بِاخْتِيَارِهِ أَنْ لَحِقَهُ الشَّيْطَانُ، فَأَدْرَكَهُ وَتَمَكَّنَ مِنَ الْوَسْوَسَةِ لَهُ، إِذْ لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ مِنْ نُورِ الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ مَا يَحُولُ دُونَ قَبُولِ وَسْوَسَتِهِ، وَأَعْقَبَ ذَلِكَ أَنْ صَارَ مِنَ الْغَاوِينَ، أَيِ الْفَاسِدِينَ الْمُفْسِدِينَ، (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) أَيْ: وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَرْفَعَهُ بِتِلْكَ الْآيَاتِ إِلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ وَالْعِرْفَانِ، الَّتِي تُقْرَنُ فِيهَا الْعُلُومُ بِالْأَعْمَالِ: (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) ٥٨المجادلة: ١١، لَفَعَلْنَا بِأَنْ نَخْلُقَ لَهُ الْهِدَايَةَ خَلْقًا، وَنَحْمِلَهُ عَلَيْهَا طَوْعًا أَوْ كُرْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُعْجِزُنَا، وَإِنَّمَا هُوَ مُخَالِفٌ لِسُنَّتِنَا، (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) أَيْ: وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ التَّسَفُّلَ الْمُنَافِيَ لِتِلْكَ الرِّفْعَةِ بِأَنْ أَخْلَدَ وَمَالَ إِلَى الْأَرْضِ وَزِينَتِهَا، وَجَعَلَ كُلَّ حَظِّهِ مِنْ حَيَاتِهِ التَّمَتُّعَ بِمَا فِيهَا مِنَ اللَّذَائِذِ الْجَسَدِيَّةِ، فَلَمْ يَرْفَعْ إِلَى الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ رَأْسًا، وَلَمْ يُوَجِّهْ إِلَى الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ الْخَالِدَةِ عَزْمًا، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يُرَاعِ فِيهِ الِاهْتِدَاءَ بِشَيْءٍ مِمَّا آتَيْنَاهُ مِنْ آيَاتِنَا، وَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُنَا فِي خَلْقِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ بِأَنْ يَكُونَ مُخْتَارًا فِي عَمَلِهِ الْمُسْتَعِدِّ لَهُ فِي أَصْلِ فِطْرَتِهِ، لِيَكُونَ الْجَزَاءُ عَلَيْهِ بِحَسَبِهِ، وَأَنْ نَبْتَلِيَهُ وَنَمْتَحِنَهُ بِمَا خَلَقْنَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مِنَ الزِّينَةِ وَالْمُسْتَلَذَّاتِ..، (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) اللَّهْثُ بِالْفَتْحِ وَاللَّهَاثُ بِالضَّمِّ: التَّنَفُّسُ الشَّدِيدُ مَعَ إِخْرَاجِ اللِّسَانِ، وَيَكُونُ لِغَيْرِ الْكَلْبِ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ أَوِ الْعَطَشِ، وَأَمَّا الْكَلْبُ فَيَلْهَثُ فِي كُلِّ حَالٍ، سَوَاءٌ أَصَابَهُ ذَلِكَ أَمْ لَا، وَسَوَاءٌ حَمَلْتَ عَلَيْهِ تُهَدِّدُهُ بِالضَّرْبِ أَمْ تَرَكْتَهُ وَادِعًا آمِنًا، وَهَذَا الرَّجُلُ صِفَتُهُ كَصِفَةِ الْكَلْبِ فِي حَالَتِهِ هَذِهِ، وَهِيَ أَخَسُّ أَحْوَالِهِ وَأَقْبَحُهَا، وَالْمُرَادُ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ إِخْلَادِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَاتِّبَاعِ هَوَاهُ فِي أَسْوَأِ حَالٍ، خِلَافًا لِمَا كَانَ يَبْغِي مِنْ نِعْمَةِ الْعَيْشِ وَرَاحَةِ الْبَالِ، فَهُوَ فِي هَمٍّ دَائِمٍ مِمَّا شَأْنُهُ أَنْ يَهْتَمَّ بِهِ، وَمَا شَأْنُهُ أَلَّا يَهْتَمَّ بِهِ مِنْ صَغَائِرِ الْأُمُورِ وَخَسَائِسِ الشَّهَوَاتِ، كَدَأْبِ عُبَّادِ الْأَهْوَاءِ وَصِغَارِ الْهِمَمِ تَرَاهُمْ كَاللَّاهِثِ مِنَ الْإِعْيَاءِ وَالتَّعَبِ، وَإِنْ كَانَ مَا يَعْنُونَ بِهِ، وَيَحْمِلُونَ هَمَّهُ حَقِيرًا لَا يُتْعِبُ وَلَا يُعْيِي، وَلَا تَرَى أَحَدًا مِنْهُمْ رَاضِيًا بِمَا أَصَابَهُ مِنْ شَهَوَاتِهِ وَأَهْوَائِهِ، بَلْ يَزِيدُ طَمَعًا وَتَعَبًا كُلَّمَا أَصَابَ سِعَةً وَقَضَى أَرَبًا..، (ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أَيْ: ذَلِكَ الْأَمْرُ الْبَعِيدُ الشَّأْوِ فِي الْغَرَابَةِ هُوَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا مِنَ الْجَاحِدِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَالْمُقَلِّدِينَ الْجَاهِلِينَ، كَذَّبُوا لِظَنِّهِمْ أَنَّ الْإِيمَانَ بِهَا يَسْلُبُهُمْ مَا يَفْخَرُونَ بِهِ مِنَ الْعِزَّةِ وَالْعَظَمَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ لِغَيْرِهِمْ، وَيَحُطُّ مِنْ قَدْرِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمُ الَّذِينَ قَلَّدُوهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ، وَيَحُولُ دُونَ تَمَتُّعِهِمْ بِمَا يَشْتَهُونَ مِنْ لَذَّاتِهِمْ، فَلِهَذَا الظَّنِّ الْبَاطِلِ لَمْ يَنْظُرُوا فِي الْآيَاتِ نَظَرَ تَفَكُّرٍ وَاسْتِقْلَالٍ، وَتَبَصُّرٍ وَاسْتِدْلَالٍ، بَلْ نَظَرُوا إِلَيْهَا لَا فِيهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ أَنَّ اتِّبَاعَهَا يَحُطُّ مِنْ أَقْدَارِهِمْ، وَيُعَدُّ اعْتِرَافًا بِضَلَالِ سَلَفِهِمُ الَّذِينَ يَفْخَرُونَ بِهِمْ..، فَكَانَ مَثَلُهُمْ مَثَلَ الَّذِي أُوتِيَ الْآيَاتِ فَانْسَلَخَ مِنْهَا، وَذَلِكَ لَا يَعِيبُ الْآيَاتِ؛ وَإِنَّمَا يَعِيبُ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ الَّذِينَ حَرَمَهُمْ سُوءُ اخْتِيَارِهِمُ الِانْتِفَاعَ بِهَا"[٤٤٦].

[٤٤٦] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٩\ ٣٣٩).

وقال أبو زهرة: "هذا مثل ضربه الله تعالى لمن تهديه فطرته إلى الحق، ولمن يرى الآيات بينة واضحة تغمره بنورها، وتسبغ عليه كما يسبغ الثوب على لابسه، فينسلخ منها ويخلعها ويتبعه الله تعالى الشيطان فيكون من الغاوين، وقال تعالى في ذلك: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)، (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) أي اذكر لهم نبأ الذي آتيناه آياتنا، والنبأ الخبر ذو الخطر والشأن، وكان خطره وشأنه في أنه قد جاءته الآيات بينة قد غمرته بالنور وصارت كأنها اللباس السابغ الذي لَا يفارقه، ولكنه تعمد أن يخرجها من ملابسه وجسمه، وينسلخ: أي يخرج منها كما تخرج الذبيحة من إهابها (جلدها)، وإنه إذ فعل ذلك يكون قد سلك سبيل الضلال وسار فيه، (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) أي فجعله الله يتبع الشيطان؛ لأنه إذا انسلخ من الآيات السابغة المنيرة قد اتجه إلى الضلال، فأتبعه الله للشيطان وصار تابعا له؛ لأنه ترك رحمة الرحمن بترك آياته، ومن ترك رحمة الله؛ أدخله الله تعالى حظيرة الشيطان وصار من أتباعه، وإن في هذا النص القرآني المصور لمن يغوى ويضل عدة مجازات، تبدو فيما يأتي: أولا أنه شبه الآيات النيرة الدالة بالثياب السابغة التي تلازم الشخص ولا تنفك عنه حتى يخلعها، وثانيا أنه شبه تركها وعدم الأخذ بها بالانسلاخ منها، فشبه تركه لها بالانسلاخ والذي هو خاص بسلخ الشاة الذبيحة فيتعرى كما تتعرى الشاة، وثالثا أنه عبر عن إتباع الهوى والتردي في مهالكه بـ (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) لأن السبب هو سيطرة الهوى، والهوى هو باب الشيطان الذي يدخل منه إلى القلوب، فعبر باسم المسبب وأراد السبب وهو إتباع الهوى، وإن إتباع الهوى أو الشيطان يؤدي إلى الضلالة لَا محالة، ولذا قال تعالى: (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)، أي من الضالين، فغوى معناها ضل بسبب إتباع الشهوات، وقد قلنا: إن هذا مثل من تحيط به آيات الله التي تدعم فطرته التي فطر الناس عليها، فلا يلتفت إلى دلالتها، ويتركها منسلخا عما تدعو إليه كما ينسلخ اللابس من ثوبه الذي يستره، ويجمله، وينحط إلى مهاوي الشيطان، هذا؛ وإن كتب التفسير في هذه الآية مملوءة بأساطير يهودية لم تثبت بسند صحيح يصلح تفسيرا للقرآن، ولذلك ضربنا عن ذكرها صفحًا، ذلك أنهم زعموا أن قوله تعالى: (نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) يتعرض لقصة شخص معين، فاستعانوا بالإسرائيليات، ليعلموا من هو، والحقيقة أنه ليس بشخص معين، إنما هو تصوير لمن تأتيه الآيات السابقات بالنور فيتركها، وزعموا أن قوله تعالى: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ) ففهموا من هذا أنها قصة لها أشخاص ورجال وحوادث، فاستعاروها من بني إسرائيل، وهذا لَا يساعده النص، إنما النص في قصص المثل ذاته، ولذلك قال تعالى: (ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).، وقد صور الله تعالى حال ذلك الذي تأتيه آيات الله نيرة سابغة فينسلخ منها فقال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) أي إن ذلك الذي انسلخ من آيات الله تعالى وقد أسبغها الله تعالى عليه؛ لو شاء الله لرفعه بها إلى أعلى الدرجات لو سلك سبيله، واتجه إليه ولم ينسلخ عنها؛ ولذا قال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) لو شئنا له أن يهتدي رفعناه بها إلى مقام المؤمنين الصادقين، لو كان قد سلك سبيلنا ولم يرفض نعمة البيان وإسباغ الآيات، ولكنه أخلد إلى الأرض وسكن فيها بنزواتها وأهوائها وشهواتها، واتبع هواه، فلم يسيطر على شهواته، وكان عبدا لها، فاستوي عنده البينات والظلام، ولذلك مثله الله تعالى بالكلب الذي يندلع لسانه لاهثا دائما، فقال تعالت كلماته: (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ)، أي إن حاله كحال الكلب المندلع لسانه، إن تحمل عليه بأن تهيجه ينبح مندلعا لسانه، وإن تتركه من غير تهييج ينبح مندلعا لسانه أيضا، أي إن أولئك الذين ينسلخون من الآيات التي ينعم الله تعالى عليهم ببيانها يستوي عندهم البيان والترك بل إنهم يضلون دائما، إن ضلالهم في حال البيان أشد وأوغل، فالجامع بين المشبه والمشبه به هو البقاء على حال سوء دائما، سواء أكان البيان أم لم يكن، وقد شبههم الله تعالى بالكلب، في أقبح صوره، وهي الحال التي يكون فيها خارج اللسان يسيل فيها لعابه، وهي أقبح مناظره؛ ولذا قال تعالى: (ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)، أي تلك الحال التي قصصناها وبيناها، حال الذين كذبوا بآياتنا نقدوا تفكيرهم وتقديرهم للأمور، فلم يعرفوا الفرق بين النور الذي تجيء به الآيات هادية مرشدة، وبين الظلام الذي يعمهون فيه متحيرين، وكانت حالهم لحال هذا الحيوان في أقبح صوره، إذا كانت هذه حالهم، ومآل أمرهم، (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ) الفاء كما ترى للإفصاح، ومعنى القصص: اذكر حالهم وخبرهم، فإنه يصور حالهم (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)، أي لعل هذا التصوير الذي تقصه عليهم يحملهم على التنبه في حالهم العقلية التي ينزلون فيها إلى الحيوان الذي لَا يدري الفرق فيما يعمل، فيتفكرون ويتدبرون الآيات ولا يتسلخون منها، ولقد بين الله تعالى سوء حالهم، فقال: (سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ)"[٤٤٧].

---

[٤٤٧] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٦ ٣٠٠٦).

وقال ابن جزي: "(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا)؛ قال ابن مسعود: هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعيا إلى الله؛ فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل، وأضل الناس بذلك، وقال ابن عباس: هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون؛ سألوا من بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى، فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة، ودعا عليه موسى، فالآيات التي أعطيها على هذا القول: هي اسم الله الأعظم، وعلى قول ابن مسعود هي ما علمه موسى من الشريعة، وقيل: كان عنده من صحف إبراهيم، وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي: هو أمية بن أبي الصلت، وكان قد أوتي علما وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر؛ ثم رجع عن ذلك ومات كافرا، وفيه قال النبي صلّى الله عليه وسلّم كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم، فالآية على هذا ما كان عنده من العلم، والانسلاخ عبارة عن البعد والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد، (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) أي لرفعنا منزلته بالآيات التي كانت عنده؛ (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله، (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ) أي صفته كصفة الكلب، وذلك غاية في الخسة والرداءة، (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) اللهث هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات مع الحر والتعب؛ وهي حالة دائمة للكلب، ومعنى إن تحمل عليه إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره؛ أو تتركه دون أن تحمل عليه، فهو يلهث على كل حال، ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضال؛ وإن لم تعظه فهو ضال، فضلالته على كل حال كما أنّ لهث الكلب على كل حال، وقيل: إنّ ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهثه حقيقة، (ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أي صفة المكذبين كصفة الكلب في لهثه، وكصفة الرجل المشبه به لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا وإن تركوا لم يهتدوا، وشبههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم، كما أنّ الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات، (سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ).. للاختصاص والحصر"[٤٤٨].

وقال أحمد حطيبة: "قال سبحانه: {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ} يس:٣٧؛ وهذا التعبير الدقيق في كتاب الله سبحانه وتعالى؛ يرينا هذه الآية العظيمة، (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) كأن هذا ينسلخ من ذاك، فيبدو للناس الليل ويظهر للناس النهار على ما يريهم الله سبحانه تبارك وتعالى، يقول أهل العلم: إن الليل يحيط بالأرض من كل مكان، والنهار جزء بسيط إذا قورن بالليل الذي يحيط بالكرة الأرضية من كل مكان، والجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض، فحينما تنعكس أشعة الشمس على هذا الهواء المحيط بالأرض في الجزء المواجه للشمس إذا بهذا الجزء مضيء، والأرض تدور؛ فإذا دارت فكأنه ينسلخ عنها هذا الجزء من النهار ويصير ليلاً في المكان الذي دارت إليه، وهكذا لا تزال تدور ويتعاقب فيكم الليل والنهار بمثل ذلك، وهذا لا يكون إلا والأرض على هيئة الدوران، {يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ} الزمر:٥، فالكرة الأرضية كالكرة تدور، وفي أثناء دورانها يتعاقب عليها الليل والنهار، وينسلخ النهار من الليل على ما يريد الله سبحانه وتعالى، {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ} يس:٣٧، الكون كله ليل وجزء من الكون وهو الهواء الذي فوق الأرض يظهر فيه النهار، ثم ينسلخ بدوران الأرض كما ينسلخ الجلد من فوق الضحية التي تذبحها، قال الله سبحانه: {فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ} يس:٣٧؛ فالجزء الذي كان مضيئاً من الأرض دار فانسلخ منه نهاره فهم مظلمون الآن"[٤٤٩].

---

[٤٤٨] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١١ ٣١٢).

[٤٤٩] أحمد حطيبة؛ تفسير أحمد حطيبة، دروس مفرغة نشرها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس، والصفحات ترقيم موقع المكتبة الشاملة (١٣١٤ ٢).

وقال الشعراوي: "الله سبحانه وتعالى يريد أن يعطينا خبر هؤلاء فيقول: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا}، والنبأ هو الخبر المهم وله جدوى اعتبارية ويمكن أن ننتفع به وليس مطلق خبر؛ ولذلك يقول سبحانه وتعالى عن اليوم الآخر: {عَمَّ يتساءلون عَنِ النبأ العظيم} النبأ:١و٢، كما يقول: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا}؛ كأن هذا النبأ كان مشهوراً جداً، ويُقال: إنه قد قيل في ابن بعوراء أو أمية بن أبي الصلت أو عامر الراهب أو هو واحد من هؤلاء، والمهم ليس اسمه، المهم أنّ إنساناً آتاه الله آياته ثم انسلخ من الآيات، فبدلاً من أن ينتفع بها صيانة لنفسه وتقرباً إلى ربه {فانسلخ مِنْهَا} واتبع هواه ومال إلى الشيطان، وكلمة (انسلخ) دليل على أن الآيات محيطة بالإنسان إحاطة قوية لدرجة أنها تحتاج جبروت معصية لينسلخ الإنسان منها؛ لأن الأصل في السلخ إزاحة جلد الشاة عنها، فكأن ربنا يوضح أنه سبحانه وتعالى أعطى الإنسان الآيات فانسلخ منها، وهذا يعني أن الآيات تحيط بالإنسان كما يحيط الجلد بالجسم ليحفظ الكيان العام للإنسان؛ لأن هذا الكيان العام فيه شرايين وأوردة ولحم وشحم وعظام، وجعل الله التكاليف الإيمانية صيانة للإنسان، ولذلك سُمي الخارج عن منهج الله فاسقاً؛ مثله مثل الرطبة من البلح، فبعد أن تضرب الشمس البلحة يتبخر منها بعض من الماء، فتنكمش ثمرة البلحة داخل قشرتها وتظهر الرطبة من القشرة، ولذلك سمي الخارج عن المنهج فاسقاً من فسوق الرطبة عن قشرتها، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول هنا: {آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا}، وكان يجب ألا يغفل عنها، لأن الإتيان نعمة جاءت ليحافظ الإنسان عليها، لكن الإنسان انسلخ من الآيات، ونعرف جميعاً ثوب الثعبان وهو على شكل الثعبان تماماً، ويغير الثعبان جلده كل فترة، ولا ينخلع من الجلد القديم إلا بعد أن يكون الجلد الذي تحته قد نضج وصلح لتحمل الطقس والجو، وكذلك حين يندلق سائل ساخن على جلد الإنسان؛ تلحظ تورم المنطقة المصابة وتكون بعض المياه فيها، ولو أفرغ الإنسان هذه المياه تصاب هذه المنطقة بالتهاب، أما إذا تركها فهي تحمي المنطقة المصابة إلى أن يتربى الجلد تحتها وتجف وتنفصل عن الجسم، وكذلك نعلم أن الشاة مثلاً لا تسلخ نفسها، بل نحن نسلخها والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧، فكأن الليل كان مجلداً ومغلفاً بالنهار"[٤٥٠]، أي كطبقة الجلد الرقيقة تغطي بدن ظلام الكون المعبر عنه بالليل بجامع الظلمة، و"يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ٩التوبة:٥، و(انسلخ) يعني انقضت وانتهت الأشهر الحرم، ومادة (سلخ) و(انسلخ) تدور كلها حول نزع شيء ملتصق بشيء، فتقول: سلخت الشاة؛ أي نزعت الجلد عن اللحم، والجلد يكون ملتصقا باللحم شديداً، فكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أن الأشهر الحرم هي زمان، والزمان ظرف، فالناس مظروفون في الزمان والمكان، فكأن الأشهر الحرم تحيطهم كوقاية لهم،،، فإذا مرت الأشهر الحرم تزول هذه الوقاية عنهم بعد أن كانت ملتصقة بهم، والانسلاخ له معنيان: فمرة يُقال ينسلخ الشيء عن الشيء، ومرة يُقال: ينسلخ الشيء من الشيء، ولذلك تجد في القرآن الكريم تبارك وتعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} الأعراف:١٧٥، وهذه الآية الكريمة التي نزلت في ابن باعوراء الذي أعطاه الله العلم والحكمة والآيات، ولكنه تهاون فيها وتركها، فكأنه هو الذي انسلخ بإرادته وليست هي التي انسلخت منه، وصار بذلك مقابلاً للشاة (عكسها)، ونحن نسلخ جلد الشاة من الشاة، والحق سبحانه وتعالى أيضا يقول: {وَآيَةٌ لَّهُمُ اليل نَسْلَخُ مِنْهُ النهار} يس: ٣٧، فكأن الليل مثل الذبيحة، ثم يأتي النهار فيسلخ منه الظلمة وبزيلها عنه ويأتي بالضياء، فكأن الليل ثوب أسود يأتي عليه ثوب أبيض هو النهار، فإذا جاء ميعاد الليل رفع الثوب الأبيض أو سلخ النور عن ظلمة الليل؛ لتصبح الدنيا مليئة بظلام الليل، وكأن النور هو الذي يطرأ على الظلمة فيكسوها بياضا، أي أن الضوء هو الذي يأتي ويذهب، بينما الظلمة موجودة، فإذا جاءها ضوء الشمس صارت نهارا، وإذا انسلخ منها صارت ليلاً"[٤٥١].

---

[٤٥٠] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٧ ٤٤٥٤).

[٤٥١] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٨ ٤٨٧٤).

وقال طنطاوي: "قوله تعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا)؛ أي: اقرأ على قومك يا محمد ليعتبروا ويتعظوا خبر ذلك الإنسان الذي آتيناه آياتنا بأن علمناه إياها وفهمناه مراميها، فانسلخ من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة أو الحية من جلدها، والمراد أنه خرج منه بالكلية بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره، ولم ينتفع بما اشتملت عليه من عظات وإرشادات، وحقيقة السلخ كشط الجلد وإزالته بالكلية عن المسلوخ عنه، ويقال لكل شيء فارق شيئا على أتم وجه انسلخ منه، وفي التعبير به ما لا يخفى من المبالغة وقوله: (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) أي: فلحقه الشيطان وأدركه فصار هذا الإنسان بسبب ذلك من زمرة الضالين الراسخين في الغواية؛ مع أنه قبل ذلك كان من المهتدين، وفي التعبير بقوله (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) مبالغة في ذم هذا الإنسان وتحقيره، جعل كأنه إمام للشيطان والشيطان يتبعه..، قال الجمل: أتبعه فيه وجهان؛ أحدهما،: بمعنى أدركه ولحقه؛ وهو مبالغة في حقه حيث جعل إماما للشيطان، وثانيهما..: فأتبعه الشيطان خطواته، أي جعله تابعا لها، وقوله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) كلام مستأنف مسوق لبيان ما ذكر من الانسلاخ وما يتبعه، والضمير في قوله (لَرَفَعْنَاهُ) يعود إلى الشخص المعبر عنه بالاسم الموصول (الَّذِي)، والضمير في قوله (بِهَا) يعود إلى الآيات..، (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ)، أخلد إلى الأرض أي ركن إليها، وأصل الإخلاد اللزوم للمكان من الخلود، أي: ولو شئنا لرفعنا هذا الإنسان إلى منازل الأبرار بسبب تلك الآيات؛ ولكنه هو الذي ركن إلى الدنيا واطمأن بها..، أي: أن مقتضى هذه الآيات أن ترفع صاحبها إلى أعلى عليين، ولكن هذا المقتضى عارضه مانع وهو إخلاد من أوتى هذه الآيات إلى الأرض وإتباعه للهوى..، قال الآلوسى: وما ألطف نسبة إتيان الآيات والرفع إليه تعالى ونسبة الانسلاخ والإخلاد إلى العبد، مع أن الكل من الله تعالى..، وقوله (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ)؛ اللهث: إدلاع اللسان بالنفس الشديد، يقال: لهث الكلب يلهث،، لهثا ولهاثا؛ إذا أخرج لسانه في التنفس، والمعنى: فمثل هذا الإنسان الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها وأصبح إيتاء الآيات وعدمها بالنسبة له سواء، مثله كمثل الكلب إن شددت عليه وأتبعته لهث، وإن تركته على حاله لهث أيضا، فهو دائم اللهث في الحالين، لأن اللهث طبيعة فيه؛ وكذلك حال الحريص على الدنيا المعرض عن الآيات بعد إيتائها، إن وعظته فهو لإيثاره الدنيا على الآخرة لا يقبل الوعظ، وإن تركت وعظه فهو حريص أيضا على الدنيا وشهواتها، والإشارة في قوله (ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ) إلى وصف الكلب أو إلى المنسلخ من الآيات، أي: ذلك المثل البعيد الشأن في الغرابة مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من الجاحدين المستكبرين المنسلخين عن الهدى بعد أن كان في حوزتهم، وقوله (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) أي: إذا ثبت ذلك؛ فاقصص على قومك أيها الرسول الكريم المقصوص عليك من جهتنا لعلهم يتفكرون فينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال، والفاء في قوله (فَاقْصُصِ) لترتيب ما بعدها على ما قبلها، و(القصص) مصدر بمعنى اسم المفعول واللام فيه للعهد،، أي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم أو رجاء لتفكرهم، وقوله: (ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا) استئناف مسوق لبيان كمال قبحهم،، و(ساءَ) بمعنى بئس وفاعلها مضمر، و(مَثَلًا) تمييز مفسر له، والمخصوص بالذم قوله تعالى: (الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا)، أي: ساء مثلا مثل أولئك القوم الذين كذبوا بآياتنا حيث شبهوا بالكلاب؛ إما في استواء الحالتين في النقصان وأنهم ضالون وعظوا أم لم يوعظوا، وإما في الخسة، فإن الكلاب لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن خير الهدى والعلم وأقبل على هواه صار شبيها بالكلب، وبئس المثل مثله،، وقوله: (وَأَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُونَ) معطوف على (كَذَّبُوا) داخل معه في حكم الصلة بمعنى أنهم جمعوا بين أمرين قبيحين: التكذيب وظلمهم أنفسهم، أو منقطع عنه بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم وحدها بارتكابهم تلك الموبقات والخطيئات، فإن العقوبة لا تقع إلا عليهم لا على غيرهم، هذا؛ والذي ذهب إليه المحققون من العلماء أن هذه الآيات الكريمة المثل فيها مضروب لكل إنسان أوتى علما ببعض آيات الله ولكنه لم يعمل بمقتضى علمه، بل كفر بها ونبذها وراء ظهره وصار هو والجاهل سواء، وقيل: إن الآيات الكريمة واردة في شخص معين، واختلفوا في هذا المعين،، والذي نراه أن الرأي الأول الذي عليه المحققون من المفسرين هو الراجح، وأن هؤلاء الذين ذكروا يندرجون تحته، لأنه لم يرد نص صحيح يعين اسم الذي وردت الآيات في حقه، فوجب أن نحملها على أنها وارد في شأن كل من علم الحق فأعرض عنه واتبع هواه، ثم يعقب القرآن على هذا المثل ببيان أن الهداية والضلال من الله؛ وأن هناك أقواما،، قد خُلقوا لجهنم بسبب إيثارهم طريق الشر على طريق الخير"[٤٥٢].

---

[٤٥٢] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (١٥ ٤٣٦).

وقال ابن عاشور: "شَأْنُ الْقَصَصِ الْمُفْتَتَحَةِ بِقَوْلِهِ: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) أَنْ يُقْصَدَ مِنْهَا وَعْظُ الْمُشْرِكِينَ بِصَاحِبِ الْقِصَّةِ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: (ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)..، وَيَحْصُلُ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا تَعْلِيمٌ مِثْلُ قَوْلِهِ: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ) يُونُس:٧١، (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ) الشُّعَرَاء:٦٩، (نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِ) الْقَصَص:٣، وَنَظَائِرُ ذَلِكَ، فَضَمِيرُ (عَلَيْهِمْ) رَاجِعٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ وُجِّهَتْ إِلَيْهِمُ الْعِبَرُ وَالْمَوَاعِظُ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَصَّتْ عَلَيْهِمْ قَصَصَ الْأُمَمِ مَعَ رُسُلِهِمْ، عَلَى أَنَّ تَوْجِيهَ ضَمَائِرِ الْغَيْبَةِ إِلَيْهِمْ أُسْلُوبٌ مُتَّبَعٌ فِي مَوَاقِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ..، فَهَذَا مِنْ قَبِيلِ رَدِّ الْعَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ..، فَالضَّمِيرِ الْمَجْرُور بعلي عَائِدٌ إِلَى مَعْلُومٍ مِنَ السِّيَاقِ وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَكَثِيرًا مَا يَجِيءُ ضَمِيرُ جَمْعِ الْغَائِبِ فِي الْقُرْآنِ مُرَادًا بِهِ الْمُشْرِكُونَ كَقَوْلِهِ: (عَمَّ يَتَساءَلُونَ) النبأ:١، وَالنَّبَأُ الْخَبَرُ الْمَرْوِيُّ، وَظَاهِرُ اسْمِ الْمَوْصُولِ الْمُفْرَدِ أَنَّ صَاحِبَ الصِّلَةِ وَاحِدٌ مُعَيَّنٌ، وَأَنَّ مَضْمُونَ الصِّلَةِ حَالٌ مِنْ أَحْوَالِهِ الَّتِي عُرِفَ بِهَا، وَالْأَقْرَبُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ هَذَا النَّبَأِ مِمَّنْ لِلْعَرَبِ الْمَامٌ بِمُجْمَلِ خَبَرِهِ، فَقِيلَ الْمَعْنِيُّ بِهِ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ، وَرُوِيَ هَذَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بن العَاصِي، بِأَسَانِيدَ كَثِيرَةٍ عِنْدَ الطَّبَرِيِّ، وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّفْسِيرِ هُوَ الْأَشْهَرُ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِ ذَلِكَ أَنَّ أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيَّ كَانَ مِمَّنْ أَرَادَ اتِّبَاعَ دِينِ غَيْرِ الشِّرْكِ طَالَبًا دِينَ الْحَقِّ، وَنَظَرَ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ فَلَمْ يَرَ النَّجَاةَ فِي الْيَهُودِيَّةِ وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ، وَتَزَهَّدَ وَتَوَخَّى الْحَنِيفِيَّةَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، وَأُخْبِرَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ نَبِيًّا فِي الْعَرَبِ، فَطَمِعَ أَنْ يَكُونَهُ، وَرَفَضَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَحَرَّمَ الْخَمْرَ، وَذَكَرَ فِي شِعْرِهِ أَخْبَارًا مِنْ قَصَصِ التَّوْرَاةِ، وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ إِلْهَامَاتٌ وَمُكَاشَفَاتٌ وَكَانَ يَقُولُ: كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفِيَّةِ زُورٌ، وَلَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ فِي أُمُورٍ إلهية، فَلَمَّا بعث مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسِفَ أَنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ الرَّسُولُ الْمَبْعُوثُ فِي الْعَرَبِ، وَقَدِ اتَّفَقَ أَنْ خَرَجَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَأَقَامَ هُنَالِكَ ثَمَانِ سِنِينَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ فَوَجَدَ الْبَعْثَةَ، وَتَرَدَّدَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ وَرَجَعَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فَلَمْ يُؤمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَدًا، وَرَثَى مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَخَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ بِلَادِ قَوْمِهِ فَمَاتَ كَافِرًا، وَكَانَ يَذْكُرُ فِي شِعْرِهِ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ وَاسْمَ اللَّهِ وَأَسْمَاءَ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ)، وَرُوِيَ عَنْ أُمَيَّةَ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا مَرِضَ مَرَضَ مَوْتِهِ (أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ حَقٌّ، وَلَكِنَّ الشَّكَّ يُدَاخِلُنِي فِي مُحَمَّدٍ)، فَمَعْنَى (آتَيْناهُ آياتِنا) أَنَّ اللَّهَ أَلْهَمَ أُمَيَّةَ كَرَاهِيَةَ الشِّرْكِ، وَأَلْقَى فِي نَفْسِهِ طَلَبَ الْحَقِّ، وَيَسَّرَ لَهُ قِرَاءَةَ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْحَنِيفِيَّةَ، فَلَمَّا انْفَتَحَ لَهُ بَابُ الْهُدَى وَأَشْرَقَ نُورُ الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ كَابَرَ وَحَسَدَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَلَا جَرَمَ أَنْ كَانَتْ حَالُهُ أَنَّهُ انْسَلَخَ عَنْ جَمِيعِ مَا يُسِرَّ لَهُ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ عِنْدَ إِبَّانِ الِانْتِفَاعِ، فَكَانَ الشَّيْطَانُ هُوَ الَّذِي صَرَفَهُ عَنِ الْهُدَى فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، إِذْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ بِمُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ نَزَلَتْ فِي أَبِي عَامِرِ بْنِ صَيْفِيٍّ الرَّاهِبِ، وَاسْمُهُ النُّعْمَانُ الْخَزْرَجِيُّ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالرَّاهِبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِأَنَّهُ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَبِسَ الْمُسُوحَ وَزَعَمَ أَنَّهُ عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ، فَلَمَّا قدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ دَخَلَ علي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (يَا مُحَمَّدُ مَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ، قَالَ جِئْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ فَإِنِّي عَلَيْهَا، فَقَالَ النَّبِي لَسْتَ عَلَيْهَا لِأَنَّكَ أَدْخَلْتَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا، فَكَفَرَ وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ يُحَرِّضُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى قتال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَخْرُجُ مَعَهُمْ، إِلَى أَنْ قَاتَلَ فِي حُنَيْنٍ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَلَمَّا انْهَزَمَتْ هَوَازِنُ يَئِسَ وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَمَاتَ هُنَالِكَ، وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ، وَكَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقَالُ لَهُ: بَلْعَامُ بْنُ بَاعُورَ، وَذَكَرُوا قِصَّتَهُ فَخَلَطُوهَا وَغَيَّرُوهَا وَاخْتَلَفُوا فِيهَا، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ بِلْعَامَ هَذَا كَانَ مِنْ صَالِحِي أَهْلِ مَدْيَنَ وَعَرَّافِيهِمْ فِي زَمَنِ مُرُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَرْضِ مُوَابَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ عَنْ حَالِ الصَّلَاحِ، وَذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي سِفْرِ الْعَدَدِ مِنَ التَّوْرَاةِ فِي الْإِصْحَاحَاتِ ٢٢ و٢٣ و٢٤، فَلَا يَنْبَغِي الِالْتِفَاتُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ لِاضْطِرَابِهِ وَاخْتِلَاطِهِ، وَالْإِيتَاءُ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِلْإِطْلَاعِ وَتَيْسِيرِ الْعِلْمِ مِثْلُ قَوْلِهِ (وَآتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ) الْبَقَرَة:٢٥١، وَالْآيَاتُ دَلَائِلُ الْوَحْدَانِيَّةِ الَّتِي كَرَّهَتْ إِلَيْهِ الشِّرْكَ وَبَعَثَتْهُ عَلَى تَطَلُّبِ الْحَنِيفِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ، أَوْ دَلَائِلِ الْإِنْجِيلِ عَلَى صِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنِّسْبَةِ لِلرَّاهِبِ أَبِي عَامِرِ بْنِ صَيْفِيٍّ، وَالِانْسِلَاخُ حَقِيقَتُهُ خُرُوجُ جَسَدِ الْحَيَوَانِ مِنْ جِلْدِهِ حِينَمَا يُسْلَخُ عَنْهُ جِلْدُهُ، وَالسَّلْخُ إِزَالَةُ جِلْدِ الْحَيَوَانِ الْمَيِّتِ عَنْ جَسَدِهِ، وَاسْتُعِيرَ فِي الْآيَةِ لِلِانْفِصَالِ الْمَعْنَوِيِّ، وَهُوَ تَرْكُ التَّلَبُّسِ بِالشَّيْءِ أَوْ عَدَمِ الْعَمَلِ بِهِ، وَمَعْنَى الِانْسِلَاخُ عَنِ الْآيَاتِ الْإِقْلَاعُ عَنِ الْعَمَلِ بِمَا تَقْتَضِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْآيَاتِ أَعْلَمَتْهُ بِفَسَادِ دِينِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَتْبَعَهُ.. بِمَعْنَى لَحِقَهُ غَيْرَ مُفْلِتٍ؛ كَقَوْلِهِ: (فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ) الصافات:١٠، (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) طه:٧٨..، وَالْمُرَادُ بِالْغَاوِينَ: الْمُتَّصِفِينَ بِالْغَيِّ وَهُوَ الضَّلَالُ، (فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ).. فالانسلاخ على الْآيَاتِ أَثَرٌ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، وَإِذَا أَطَاعَ الْمَرْءُ الْوَسْوَسَةَ تَمَكَّنَ الشَّيْطَانُ مِنْ مَقَادِهِ، فَسَخَّرَهُ وَأَدَامَ إِضْلَالَهُ، وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ ب (فَأَتْبَعَهُ) فَصَارَ بِذَلِكَ فِي زُمْرَةِ الْغُوَاةِ الْمُتَمَكِّنِينَ مِنَ الْغِوَايَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها) أَفَادَ أَنَّ تِلْكَ الْآيَاتِ شَأْنُهَا أَنْ تَكُونَ سَبَبًا لِلْهِدَايَةِ وَالتَّزْكِيَةِ، لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ التَّوْفِيقَ وَعَصَمَهُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَفِتْنَتِهِ فَلَمْ يَنْسَلِخْ عَنْهَا، وَهَذِهِ عِبْرَةٌ لِلْمُوَفَّقِينَ لِيَعْلَمُوا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي تَوْفِيقِهِمْ، فَالْمَعْنَى: وَلَوْ شِئْنَا لَزَادَ فِي الْعَمَلِ بِمَا آتَيْنَاهُ مِنَ الْآيَاتِ فلرفعه الله بِعِلْمِه، وَالرِّفْعَةُ مُسْتَعَارَةٌ لِكَمَالِ النَّفْسِ وَزَكَائِهَا، لِأَنَّ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةَ تُخَيَّلُ صَاحِبَهَا مُرْتَفِعًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، أَيْ لَو شِئْنَا لَاكْتَسَبَ بِعَمَلِهِ بِالْآيَاتِ فَضْلًا وَزَكَاءً وَتَمَيُّزًا بِالْفَضْلِ، فَمَعْنَى (لَرَفَعْناهُ) لَيَسَّرْنَا لَهُ الْعَمَلَ بِهَا الَّذِي يُشْرُفُ بِهِ، وَقَدْ وَقَعَ الِاسْتِدْرَاكُ عَلَى مَضْمُونِ قَوْلِهِ: (وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها) بِذِكْرِ مَا يُنَاقِضُ تِلْكَ الْمَشِيئَةَ الْمُمْتَنِعَةَ، وَهُوَ الِاسْتِدْرَاكُ بِأَنَّهُ انْعَكَسَتْ حَالُهُ فَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ، أَيْ رَكَنَ وَمَالَ إِلَى الْأَرْضِ، وَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ لِحَالِ الْمُتَلَبِّسِ بِالنَّقَائِصِ وَالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، بِحَالِ مَنْ كَانَ مُرْتَفِعًا عَنِ الْأَرْضِ فَنَزَلَ مِنِ اعْتِلَاءٍ إِلَى أَسْفَلَ، فَبِذِكْرِ الْأَرْضِ عُلِمَ أَنَّ الْإِخْلَادَ هُنَا رُكُونٌ إِلَى السُّفْلِ أَيْ تَلَبُّسٌ بِالنَّقَائِصِ وَالْمَفَاسِدِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى تَرْجِيحُ مَا يَحْسُنُ لَدَى النَّفْسِ مِنَ النَّقَائِصِ الْمَحْبُوبَةِ،

عَلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْحَقُّ وَالرُّشْدُ، فَالِاتِّبَاعُ مُسْتَعَارٌ لِلِاخْتِيَارِ وَالْمَيْلِ، وَالْهَوَى شَاعَ فِي الْمَحَبَّةِ الْمَذْمُومَةِ الْخَاسِرَةِ عَاقِبَتُهَا، وَقَدْ تَفَرَّعَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ تَمْثِيلُهُ بِالْكَلْبِ اللَّاهِثِ، لِأَنَّ اتِّصَافَهُ بِالْحَالَةِ الَّتِي صَيَّرَتْهُ شَبِيهًا بِحَالِ الْكَلْبِ اللَّاهِثِ تَفَرَّعَ عَلَى إِخْلَادِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَاتِّبَاعِ هَوَاهُ، فَالْكَلَامُ فِي قُوَّةِ أَنْ يُقَالَ: وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ فَصَارَ فِي شَقَاءٍ وَعِنَادٍ، كَمَثَلِ الْكَلْبِ..، وَاسْتِعْمَالُ الْقُرْآنِ لَفْظَ الْمَثَلِ بَعْدَ كَافِ التَّشْبِيهِ مَأْلُوفٌ بِأَنَّهُ يُرَادُ بِهِ تَشْبِيهُ الْحَالَةِ بِالْحَالَةِ..، فَلِذَلِكَ تَعَيَّنَ أَنَّ التَّشْبِيهَ هُنَا لَا يَخْرُجُ عَنِ الْمُتَعَارَفِ فِي التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ، فَهَذَا الضَّالُّ تَحَمَّلَ كُلْفَةَ اتِّبَاعِ الدِّينِ الصَّالِحِ وَصَارَ يَطْلُبُهُ فِي حِينٍ كَانَ غَيْرَ مُكَلَّفٍ بِذَلِكَ فِي زَمَنِ الْفَتْرَةِ فَلَقِيَ مِنْ ذَلِكَ نَصَبًا وَعَنَاءً، فَلَمَّا حَانَ حِينُ اتِّبَاعِ الْحَقِّ ببعثة مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَمَّلَ مَشَقَّةَ الْعِنَادِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ فِي وَقْتٍ كَانَ جَدِيرًا فِيهِ بِأَنْ يَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَائِهِ لِحُصُولِ طِلْبَتِهِ فَكَانَتْ حَالَتُهُ شَبِيهَةً بِحَالَةِ الْكَلْبِ الْمَوْصُوفِ بِاللَّهَثِ، فَهُوَ يَلْهَثُ فِي حَالَةِ وُجُودِ أَسْبَابِ اللَّهَثِ مِنَ الطَّرْدِ وَالْإِرْهَابِ وَالْمَشَقَّةِ وَهِيَ حَالَةُ الْحَمْلِ عَلَيْهِ، وَفِي حَالَةِ الْخُلُوِّ عَنْ ذَلِكَ السَّبَبِ وَهِيَ حَالَةُ تَرْكِهِ فِي دَعَةٍ وَمُسَالَمَةٍ، وَالَّذِي يُنَبِّهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى هُوَ قَوْلُهُ أَوْ تَتْرُكْهُ، وَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ حَالَةٌ تصلح للتَّشْبِيهِ بِهَا فِي الْحَالَتَيْنِ غَيْرُ حَالَةِ الْكَلْبِ اللَّاهِثِ، لِأَنَّهُ يَلْهَثُ إِذَا أَتْعَبَ وَإِذَا كَانَ فِي دَعَةٍ، فَاللَّهَثُ فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِ، وَهَذَا التَّمْثِيلُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ اللَّهَثَ حَالَةٌ تُؤْذِنُ بِحَرَجِ الْكَلْبِ مِنْ جَرَّاءِ عُسْرٍ تَنَفُّسِهِ عَنِ اضْطِرَابٍ بَاطِنِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِاضْطِرَابٍ بَاطِنِهِ سَبَبٌ آتٍ مِنْ غَيْرِهِ، فَمَعْنَى (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ) إِنْ تُطَارِدْهُ وَتُهَاجِمْهُ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَمْلِ الَّذِي هُوَ الْهُجُومُ عَلَى أَحَدٍ لِقِتَالِهِ، يُقَالُ حَمَلَ فُلَانٌ عَلَى الْقَوْمِ حَمْلَةً شَعْوَاءَ أَوْ حَمْلَةً مُنْكَرَةً، وَقَدْ أَغْفَلَ الْمُفَسِّرُونَ تَوْضِيحَهُ، وَأَغْفَلَ الرَّاغِبُ فِي (مُفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ) هَذَا الْمَعْنَى لِهَذَا الْفِعْلِ، فَهَذَا تَشْبِيهُ تَمْثِيلٍ مُرَكَّبٌ مُنْتَزَعَةٌ فِيهِ الْحَالَةُ الْمُشَبَّهَةُ وَالْحَالَةُ الْمُشَبَّهُ بِهَا مِنْ مُتَعَدِّدٍ، وَلَمَّا ذُكِرَ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ فِي شَقِّ الْحَالَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا، تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ لَهَا مُقَابِلٌ فِي الْحَالَةِ الْمُشَبَّهَةِ، وَتَتَقَابَلُ أَجْزَاءُ هَذَا التَّمْثِيلِ بِأَنْ يُشَبَّهَ الضَّالُّ بِالْكَلْبِ، وَيُشَبَّهَ شَقَاؤُهُ وَاضْطِرَابُ أَمْرِهِ فِي مُدَّةِ الْبَحْثِ عَنِ الدِّينِ بِلَهَثِ الْكَلْبِ فِي حَالَةِ تَرْكِهِ فِي دَعَةٍ، تَشْبِيهَ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ، وَيُشَبَّهَ شَقَاؤُهُ فِي إِعْرَاضِهِ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ عِنْدَ مَجِيئِهِ بِلَهَثِ الْكَلْبِ فِي حَالَةِ طَرْدِهِ وَضَرْبِهِ تَشْبِيهَ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ، وَقَدْ أَغْفَلَ هَذَا الَّذِينَ فَسَّرُوا هَذِهِ الْآيَةَ فَقَرَّرُوا التَّمْثِيلَ بِتَشْبِيهِ حَالَةٍ بَسِيطَةٍ بِحَالَةٍ بَسِيطَةٍ فِي مُجَرَّدِ التَّشْوِيهِ أَوِ الخسة، فيؤول إِلَى أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْكَلْبِ إِظْهَارُ خِسَّةِ الْمُشَبَّهِ، كَمَا دَرَجَ عَلَيْهِ فِي (الْكَشَّافِ)، وَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمُرَادَ لَمَا كَانَ لِذِكْرِ (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) كَبِيرُ جَدْوَى، بَلْ يَقْتَصِرُ عَلَى أَنَّهُ لِتَشْوِيهِ الْحَالَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا، لِتَكْتَسِبَ الْحَالَةُ الْمُشَبَّهَةُ تَشْوِيهًا، وَذَلِكَ تَقْصِيرٌ فِي حَقِّ التَّمْثِيلِ، وَالْكَلْبُ حَيَوَانٌ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ ذُو أَنْيَابٍ وَأَظْفَارٍ كَثِيرُ النَّبْحِ فِي اللَّيْلِ قَلِيلُ النَّوْمِ فِيهِ كَثِيرُ النَّوْمِ فِي النَّهَارِ، يَأْلَفُ مَنْ يُعَاشِرُهُ وَيحرس مَكَانَهُ مِنَ الطَّارِقِينَ الَّذِينَ لَا يَأْلَفُهُمْ، وَيَحْرُسُ الْأَنْعَامَ الَّتِي يُعَاشِرُهَا، وَيَعْدُو عَلَى الذِّئَابِ، وَيَقْبَلُ التَّعْلِيمَ، لِأَنَّهُ ذَكِيٌّ، وَيَلْهَثُ إِذَا أَتْعَبَ أَوِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ، وَيَلْهَثُ بِدُونِ ذَلِكَ، لِأَنَّ فِي خِلْقَتِهِ ضِيقًا فِي مَجَارِي النَّفَسِ يَرْتَاحُ لَهُ بِاللَّهَثِ، وَجُمْلَةُ: (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْكَلْبِ، وَالْخِطَابُ فِي تَحْمِلْ وَتَتْرُكْ لِمُخَاطَبٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ، وَالْمَعْنَى إِنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ حَامِلٌ أَوْ يَتْرُكْهُ تَارِكٌ، وَاللَّهَثُ: سُرْعَةُ التَّنَفُّسِ مَعَ امْتِدَادِ اللِّسَانِ لِضِيقِ النَّفَسِ..، وَالْمَصْدَرُ اللَّهَثُ بِفَتْحِ اللَّامِ وَالْهَاءِ وَيُقَالُ اللُّهَاثُ بِضَمِّ اللَّامِ..، (ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)، جُمْلَةٌ مُبَيِّنَةٌ لِجُمْلَةِ: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا الْآيَتَيْنِ، وَالْمِثَالُ الْحَالُ أَيْ ذَلِكَ التَّمْثِيلُ مَثَلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْقُرْآنِ، تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ، لِأَنَّ حَالَةَ الْكَلْبِ الْمُشْتَبَهِ شَبِيهَةٌ بِحَالِ الْمُكَذِّبِينَ وَلَيْسَتْ عَيْنَهَا، وَالْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى الَّذِي آتَيْنَاهُ آياتنا، وَهُوَ صَاحِبُ الْقِصَّةِ، هُوَ مَثَلُ الْمُشْرِكِينَ، لِأَنَّهُمْ شَابَهُوهُ فِي أَنهم أَتَوا الْقُرْآنَ فَكَذَّبُوا بِهِ، فَكَانَتْ حَالُهُمْ كَحَالِ ذَلِكَ الْمُكَذِّبِ، وَالْأَظْهَرُ أَنْ تَكُونَ الْإِشَارَةُ إِلَى الْمَثَلِ فِي قَوْلِهِ: (كَمَثَلِ الْكَلْبِ) أَيْ حَالُ الْكَلْبِ الْمَذْكُورَةِ كَحَالِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ فِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَوَدُّونَ مَعْرِفَةَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَيَتَمَنَّوْنَ مُسَاوَاةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، فَكَانُوا بِذَلِكَ فِي عَنَاءٍ وَحَيْرَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ بِكِتَابٍ مُبِينٍ انْتَقَلُوا إِلَى عَنَاءٍ مُعَانَدَتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتابُ لَكُنَّا أَهْدى مِنْهُمْ) الْأَنْعَام:١٥٧، وَهَذَا تَأْوِيلُ مَا رُوِيَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ آيَةَ (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا) إِلَى آخِرِهَا نَزَلَتْ فِي قُرَيْشٍ، وَفَرَّعَ عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) أَيِ اقْصُصْ هَذِهِ الْقِصَّةَ وَغَيْرَهَا، وَهَذَا تَذْيِيلٌ لِلْقِصَّةِ الْمُمَثَّلِ بِهَا يَشْمَلُهَا وَغَيْرَهَا مِنَ الْقَصَصِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ فِي الْقَصَصِ تَفَكُّرًا وَمَوْعِظَةً، فَيُرْجَى مِنْهُ تَفَكُّرُهُمْ وَمَوْعِظَتُهُمْ، لِأَنَّ لِلْأَمْثَالِ وَاسْتِحْضَارِ النَّظَائِرِ شَأْنًا عَظِيمًا فِي اهْتِدَاءِ النُّفُوسِ بِهَا وَتَقْرِيبِ الْأَحْوَالِ الْخَفِيَّةِ إِلَى النُّفُوسِ الذَّاهِلَةِ أَوِ الْمُتَغَافِلَةِ، لِمَا فِي التَّنْظِيرِ بِالْقِصَّةِ الْمَخْصُوصَةِ مِنْ تَذَكُّرِ مُشَاهَدَةِ الْحَالَةِ بِالْحَوَاسِّ، بِخِلَافِ التَّذْكِيرِ الْمُجَرَّدِ عَنِ التَّنْظِيرِ بِالشَّيْءِ المحسوس"[٤٥٣].

---

[٤٥٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٩ ١٧٣).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Sweat Glands

الغدد العرقية

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ٢٢الحج:٣١.
- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ. مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٧الأعراف:١٧٥-١٧٨.
- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ ٥المائدة:٢٧-٣١.
- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ. فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ١٠يونس:٧١-٧٣.
- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ. وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ. رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ. وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ. وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ. وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ. وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ. يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٢٦الشعراء:٦٩-٨٩.
- ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ ٣آل عمران:٤٤.
- ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ. وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٦الأنعام:٣٣-٣٥.
- ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧.
- ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١١هود:٤٩.

- ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١١هود:١٢٠.
- ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ ١٢يوسف:١٠٢.
- ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ ٢٠طه:٩٩.
- ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٨القصص:٣.
- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ. حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ ٥٤القمر:٤و٥.
- ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٩التوبة:٥.
- ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ. يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ٣٨ص:٢١-٢٦.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ٩التوبة:٣٨.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٩و١٩٠.

Paragraph الفَقْرَة

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٩-١٩١.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾، ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ﴾، ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

He (is the One who) **has created** (everyone of) **you** (in the womb by the same design)**: from one** (common) **being** (for male & female; although having human form but no external sign of masculinity yet)**, and He** (is the One who) **transformed it (in form) to be her** (future) **husband** (while she became a female inactively as a default mode) **to find tranquility with her. And then by** (sexual) **contact with her; she became pregnant; by a light load** (initially) **that she can hardly notice, except when the load gets heavier, and then they pray to Allah their Lord: "If You give us a good** (healthy) **baby; we will certainly be among the thankful ones". But when He gave them a good baby; they associate with Him partners in** (creation of) **what He gave them** (this is the story of human generations with Him after all gifts)**. But exalted is Allah; far above what they associate with Him.**

لمحات بيانيّة وعِلْميّة

Eloquent & Scientific Hints

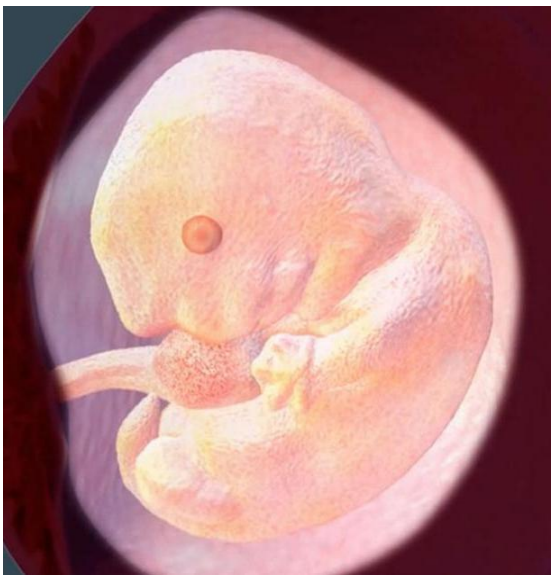

في الأسبوع السابع من عمر جنين الإنسان تتميز الأعضاء الجنسية الداخلية، وبعد الأسبوع الثامن تكون الهيأة الإنسانية قد اتضحت تمامًا، ويبدأ تميز جنس الذكر في الاتضاح كذلك بتكون الأعضاء التناسلية الخارجية، وفي كل الأطوار الأولى تتماثل أجنة الجنسين، وتكون الهيأة واحدة في الذكر والأنثى؛ إلى أن تتضح الهيئة الإنسانية، والذات الإنسانية للجنين المتماثلة الهيأة في الجنسين تُسَمَّى بمرحلة عدم تمايز الجنس Gender Indifferent Stage.

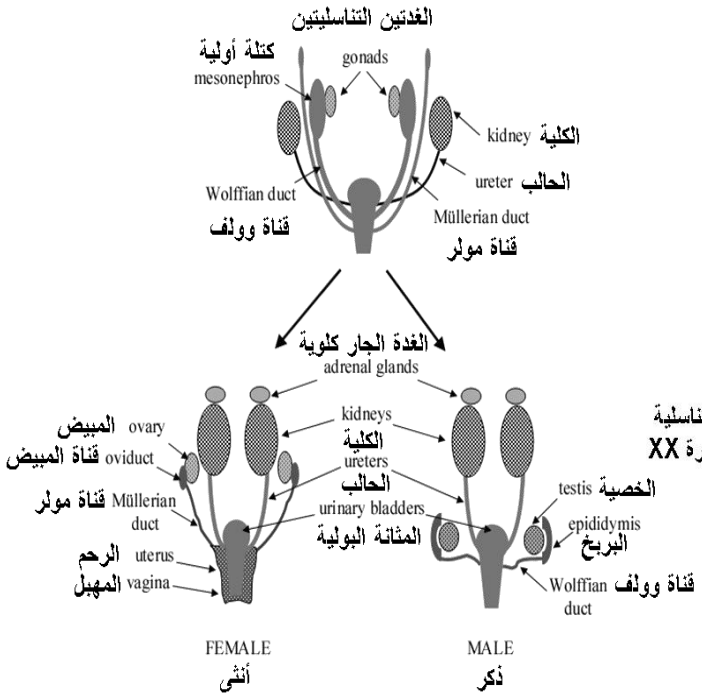

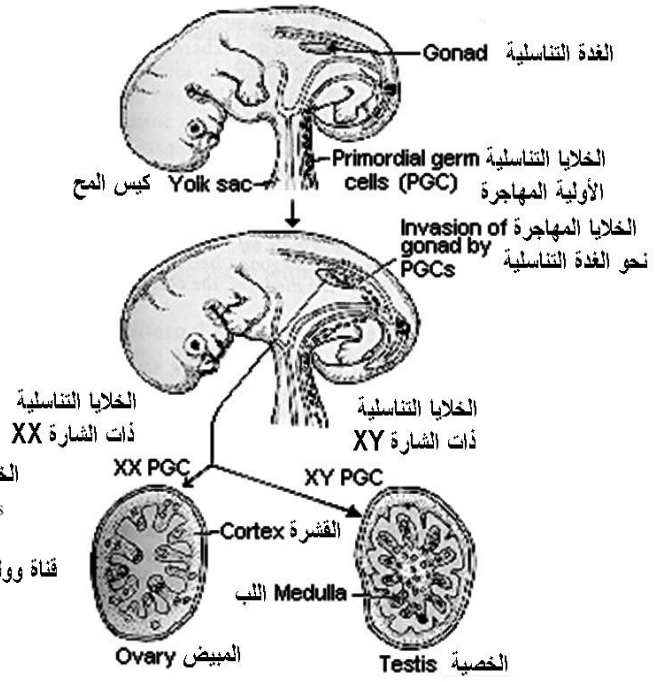

وتتكون الأعضاء الجنسية الداخلية للجنسين الذكر والأنثى من قناتين في كل جانب من تجويف البطن: (١) قناة وولف Wolffian duct وتتكون منها كافة الأعضاء الجنسية الداخلية في الذكر؛ وتشمل الحويصلات المنوية Seminal Vesicles والبربخ Epididymis والوعاء الناقل Vas Deference، (٢) قناة مولر Mullerian Duct وتتكون منها كافة الأعضاء الجنسية الداخلية في الأنثى؛ وتشمل الرحم وقناتيه وعنق الرحم ومنطقة أعلى المهبل.

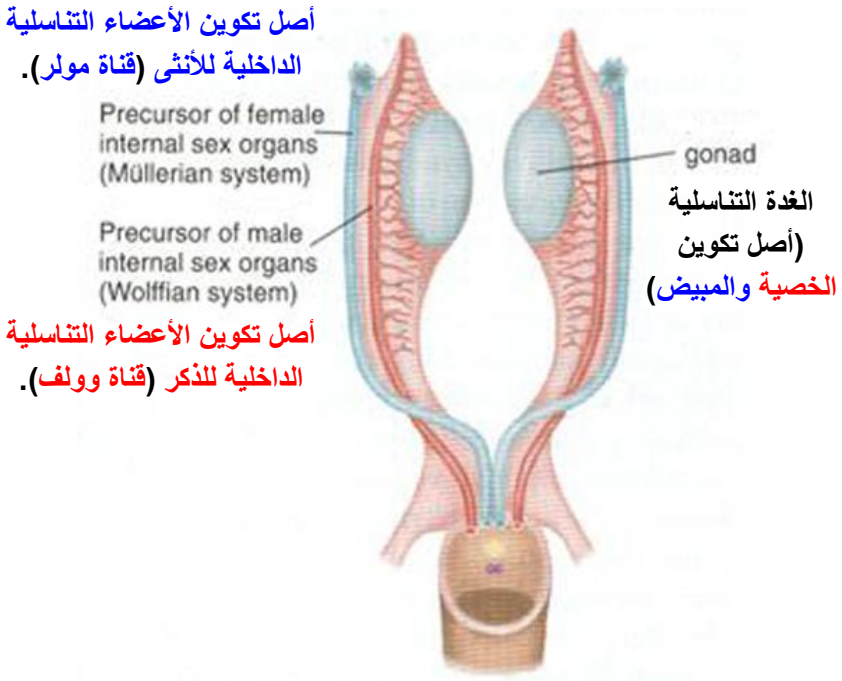

وتتكون الغُدة التناسلية Gonad في الأسبوع الخامس من عمر الجنين، وتتحول في الأسبوع السابع إما إلى خصية في الذكر أو إلى مبيض في الأنثى، فهي البنية الأصلية المشتركة للذكر والأنثى، وفي تلك المرحلة الجنينية تكون أصول الأعضاء التناسلية الداخلية صنوان واحدة في الجنسين، ولا يمكن تمييز جنس الجنين من الشكل الخارجي.

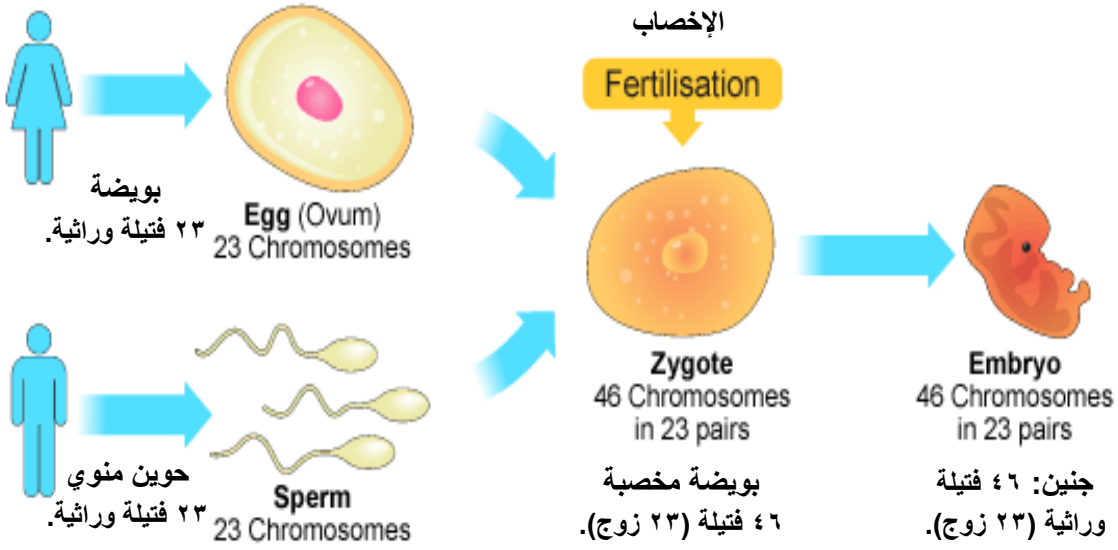

ويبدأ تاريخ الإنسان بتلقيح البويضة بالمحتويات الوراثية للحوين المنوي خلال عملية الإخصاب Fertilization، وحينئذ تتحدد جميع المعلومات التوجيهية اللازمة لتنفيذ مشروع الجنين المُقبل؛ وفق خصائص مُقدرة تميز كل فرد، وتحتوي البويضة Ovum على ٢٢ فتيلة وراثية جسدية Autosome وفتيل وراثي جنسي Sex Chromosome بهيئة (X)؛ بينما يحتوي الحوين المنوي Sperm على ٢٢ فتيلة وراثية جسدية بالإضافة إلى فتيلة وراثية جنسية؛ إما بهيئة (Y) أو بهيئة (X)، وتحتوي كل فتيلة وراثية على عدد كبير من الوحدات تُسمى مُورثات أو جينات Genes.

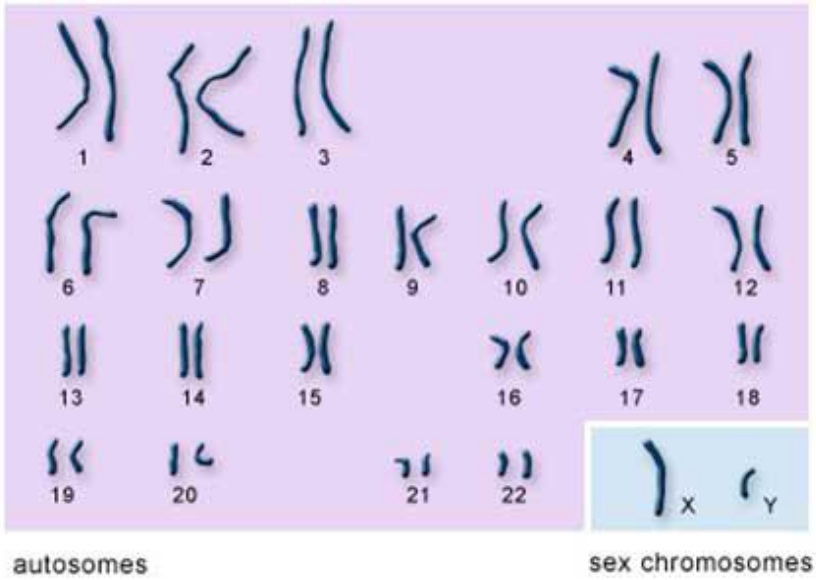

فتائل وراثية جنسية فتائل وراثية جسمية

وتتضمن المورثات في الخريطة الوراثية جميع الخصائص الجسدية للإنسان المُقبل كطوله ولون بشرته وشعره؛ وهي مرتبة في سلاسل مزدوجة تكون الفتائل (الصبغيات)، وتتلاحم كل فتيلتين بحيث تتقابل كل صفتين متماثلتين من الأبوين كُلٍّ منها إما سائدة أو متنحية في أزواج مُتداخلة مُتناظرة Matched Pairs داخل نواة أول خلية للإنسان، ويصدُق عليها الوصف: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا. إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:١و٢، فلم يكُن يُسمى إنسانًا حتى تكونت البُويضة المُخصبة، والوصف: (نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) بليغ حيث دل إفراد كلمة (نُطْفَةٍ) على هيأتها وضآلتها تمثيلاً بقطرة واحدة من كمية ضئيلة من الماء تمثل المني Semen، ودل الجمع (أَمْشَاجٍ) على وصف تركيبها من أزواج مُتداخلة مُتناظرة؛ وكونها أخلاط وراثية من الأبوين وفق تعبير المُفسرين.

وباتحاد البويضة مع حوين منوي تنتج أول خلية بشرية تحمل ٤٤ فتيلة وراثية بدنية بالإضافة لزوج فتائل وراثية؛ إما بهيئة (X Y) وبها مُخطط مشروع تشكيل الذكر مستقبلاً، أو (X X) وبها مُخطط تشكيل الأنثى، والمميز إذن لجنس الجنين هو المني، وهو ظاهر النبأ: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦؛ وكلمة (تُمْنَى) تخصيص بالذكر، والتعبير (نُطْفَةٍ) أي قطرة؛ فيه تشبيه للمني عديد المُكونات بالماء عديد القطرات،

ويؤيده النبأ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٣٩، وهو أيضًا صريح الدلالة في أن المني هو المُميز للزوجين الذكر والأنثى.

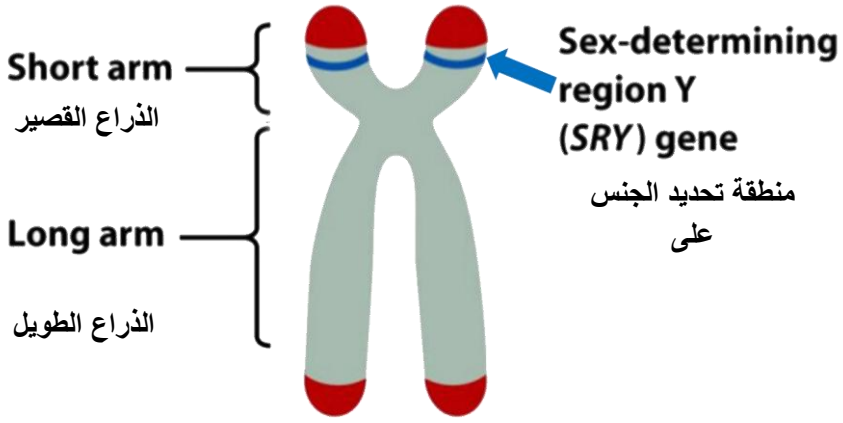

Y chromosome الفتيلة الوراثية (Y)

ويقبع الجين المسئول عن تحديد خصائص الذكورة على طرف الذراع القصير للفتيلة الجنسية الذكرية (Y)، وتسمى بمنطقة تحديد الجنس Sex Determining Region of Y Chromosome (SRY)، وهو جين سائد Dominant مهمته تحويل الغدة التناسلية في كل جانب إلى خصية تنتج هرمون الذكورة Testosterone وهرمون مثبط لقناة مولر Anti-Mullerian Hormone (AMH)، ومهمة هرمون الذكورة تشكيل الأعضاء التناسلية الذكرية الداخلية ومنع تطور الأثداء؛ ونتيجة لنشاط إنزيم خاص ينشأ هرمون (داي هيدرو تستوستيرون Dihydro-testosterone) أكثر فعالية من هرمون الذكورة مهمته تشكيل الأعضاء التناسلية الخارجية في الذكر، وإذا لم تنشأ الخصية يحدث العكس وتتكون الأعضاء التناسلية الأنثوية بشكل تلقائي Default Pathway وتضمر قناة وولف، ويُنتج المبيض هرمون الأنوثة Estrogen ومهمته تكميل تطور قناة مولر والخصائص الأنثوية الثانوية مثل نضوج الثدي عند البلوغ.

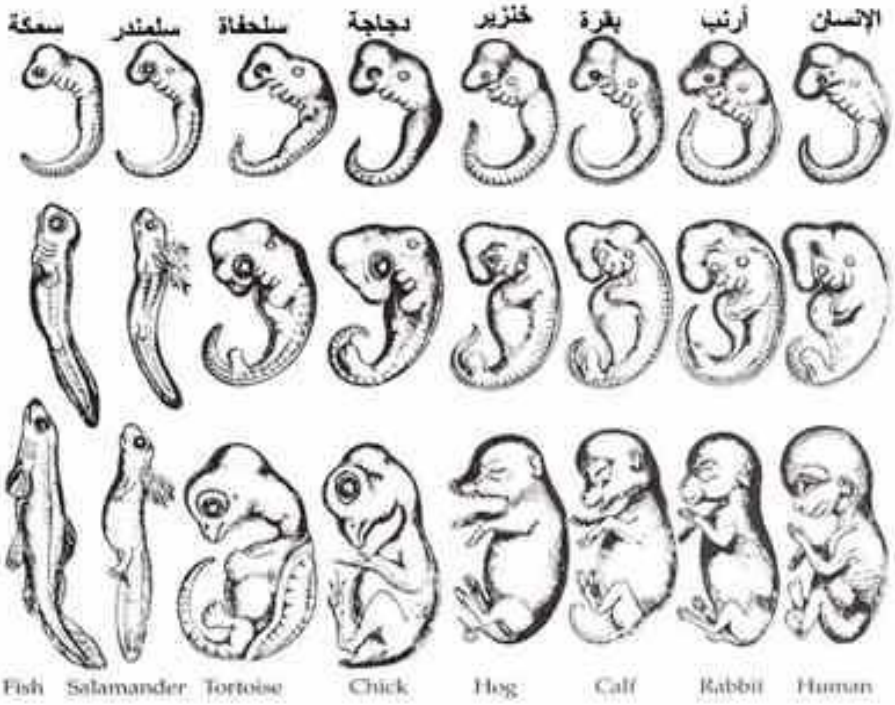

وفي المراحل الجنينية الأولى للجنسين في الإنسان تكون الهيأة الخارجية واحدة؛ ومتماثلة مع أجنة الحيوانات، ومع بدء نشاط الخصية يبدأ تميز جنس الجنين الإنساني الذكر باتضاح علامة الذكورة بظهور العضو التناسلي بعد المرحلة الجنينية Embryonic Stage التي تكتمل بنهاية ثمانية أسابيع من عمر الجنين منذ تكون البويضة المُخصبة Zygote، وتتأكد الذكورة Masculinity في بداية الشهر الثالث نتيجة لإفراز هرمون الذكورة Testosterone من الخصيتين طبقًا

للتعليمات المُقدرة بالمُوَرِّثَات Genes الحاملة لبرنامج تصميم أعضاء الإنسان المُقبل وجنسه؛ وإلا تأكد التأنيث Feminization في الشهر الرابع؛ واستمر الجنين بنسق هيئة التأنيث المُفترضة ابتداءً Default mode، ومهمة هرمون الذكورة منع تطور أثداء الذكور؛ فتبقى ضامرة كبصمة تشهد بمرحلة ذات أو نفس واحدة في الجنسين.

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٩و١٩٠؛ المُدهش أن يدل النص الكريم صريحًا على مرحلة جنينية كانت فيها الذات الإنسانية في الجنسين (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)، ويُرجع تميز الزوجين الذكر والأنثى إلى فترة التخليق بالأرحام!.

والصَّادِم تفسير التعبير: (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)؛ بآدم وزوجه عليهما السلام فتلحقهما تهمة الشرك؛ استنادًا لحديث تفسيري يَحْجُر على المعنى الصريح للآية بزعم أنهما استجابا لإيحاء الشيطان فسموا ابنهما عبد الحارث، أي عبد الشيطان، والمحققون من علماء الحديث قالوا: حديث غريب المتن موقوف وضعيف السند، فقد رواه الترمذي تفسيرًا للآية وقال: "غريب"[٤٥٤]، وفي ميزان الاعتدال: "حديث مُنكر"[٤٥٥]، وفي ذخيرة الحفاظ: "حَدِيث لما حملت حَوَّاء كَانَ لَا يعِيش لَهَا ولد، فَقَالَ لَهَا الشَّيْطَان سميه عبد الْحَارِث فَإِنَّهُ يعِيش فَكَانَ ذَلِك من وَحي الشَّيْطَان.. وَهُوَ ضَعِيف"[٤٥٦]، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده ضعيف"[٤٥٧]، وقال عبد القادر الأرناؤوط: "الحسن (أحد الرواة).. لم يسمع من سمرة؛ فالحديث ضعيف، وقد أخرجه الحافظ ابن كثير وأَعَلَّهُ من ثلاثة وجوه؛ (الأول): أن عمر بن إبراهيم (أحد الرواة).. لا يُحتج به..، (الثاني): أنه قد روي قول سمرة نفسه ليس مرفوعًا كما قال ابن جرير.. (الثالث): أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا؛ فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا لما عَدَلَ عنه..، قال ابن جرير..: {جعلا له شركاء فيما آتاهما} قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم..، قال الحسن: عُنِيَ بِهَا ذُرِّيَة آدم ومن أَشْرَكَ منهم بعده..، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فَسَّرَ الآية بذلك؛ وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حُملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عَدَلَ عنه.. ولاسيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يَدُلُّك على أَنَّهُ موقوف على الصحابي، ويُحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب؛ من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه"[٤٥٨]، وحُكْم الألباني: "ضعيف"[٤٥٩].

والتعبير (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) وارد ضمن زُمرة دلالية تُشير كل القرائن أنها في معرض بيان دليل على التوحيد والاقتدار في أن جنين كل إنسان كان نفس واحدة غير مُتميزة الجنس؛ ثم تميز لجنسين بعد اتضاح الهيئة الإنسانية، في قوله تعالى: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) ٣٩الزمر:٦، يتعلق السياق ببيان سبق التقدير والاقتدار في تمييز جنسي الإنسان في الأرحام؛ وبالمثل أجنة الأنعام؛ أي جنسي مواشي أربعة ذكورًا وإناثًا؛ هي الغنم (الضأن) والمعز والإبل والبقر، فالنفس الواحدة هي الأصل المُشترك لجنسي الإنسان وهي غير متميزة الجنس فناسبها تعبير الخلق بمعنى الإنشاء، والنفس الواحدة مؤنثة وزوجها مُذكر، وإذن قد تَفَرَّع منها شكلا زوجها الذكر فناسبه تعبير الجعل بمعنى التحويل، فالتشكيل الذكري إذن حدث عارض يبدأ به التمييز بين الجنسين؛ نتيجة عمليات حيوية لا يتطلبها الشكل الأنثوي، والنفس الإنسانية واحدة في الأصل من حيث تميز الجنس شكلاً؛ فإذا لم تتضح ذكورة الجنين في موعدها تتأكد الأنوثة، وبالإضافة إلى أن التعبير (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يصف كيانًا مؤنثًا؛ فقرائن السياق تدفع حمله على آدم عليه السلام، فالتعبير: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) يتعلق بالأجنة؛ وتفرضه الوحدة الموضوعية بيانًا لموضع نشأة النفس الواحدة بلفظ (خَلَقَكُمْ)، والخطاب مُوَجَّه لكل بالغ من الجنسين لبيان كيفية تكونه من كيان غير متميز ليصبح ذكرًا أو أنثى يتزاوجان ويُنجبان، والجُملة الاعتراضية: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) لبيان أن القُدرة المُبدعة شملت جنسي الأنعام بنفس الأطوار، والتعبير: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ) تأكيد لكون تلك المواشي في البادية نعمة نفيسة تَتَطَلَّب شُكر المُنعم، قال ابن عاشور: "(وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ

---

[٤٥٤] مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير؛ جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وتعليق أيمن صالح، مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م (١٢ ١٤٢).

[٤٥٥] شمس الدين أبو عبد الله قَايْماز الذهبي؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م (١٣ ١٧٩).

[٤٥٦] أبو الفضل الشيباني المعروف بابن القيسراني؛ ذخيرة الحفاظ، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف بالرياض؛ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م (١٤ ١٩٧١).

[٤٥٧] صهيب عبد الجبار؛ المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، تعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط في الحاشية؛ ٢٠١٣ (١٧ ٢٢١).

[٤٥٨] مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير؛ جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وتعليق أيمن صالح، مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م (١٢ ١٤٢).

[٤٥٩] أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الأشقودري الألباني؛ ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي (ص٦٨٧).

أَزْوَاجٍ).. هَذَا اعْتِرَاضٌ بَيْنَ جُمْلَةِ (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ) وَبَيْنَ (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ) لِمُنَاسِبَةِ أَزْوَاجِ الْأَنْعَامِ لِزَوْجِ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ؛ وَأُدْمِجَ فِي هَذَا الِاسْتِدْلَالِ امْتِنَانٌ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ لِلنَّاسِ"[٤٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ ١٦النحل:٧٢؛ صريح في أن الجعل أزواجًا ذُكورًا وإناثًا من الأنفس البشرية ذاتها يؤكده التعبير: (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً)، ومثله قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ ٤٢الشورى:١١؛ صريح في أن تميز الأزواج ذكورًا وإناثًا يتم من الأنفس البشرية ذاتها، وكذلك تنشأ الأنعام أزواجًا بنفس الأطوار، فكليهما ينشآن بنفس الآلية؛ أي في هذا الجعل، وهو مُقتضى التعبير: (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ)، في تفسير الجلالين: "{وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا}: ذُكُورًا وَإِنَاثًا، {يَذْرَؤُكُمْ}..: يَخْلُقُكُمْ {فِيهِ}: فِي الْجَعْلِ الْمَذْكُورِ؛ أَيْ يُكَثِّرُكُمْ بِسَبَبِهِ بِالتَّوَالُدِ، وَالضَّمِيرِ لِلْأَنَاسِيِّ وَالْأَنْعَامِ"[٤٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦؛ صريح في بيان القُدرة المُفزعة التي مَيَّزَت الجنسين بالأرحام من نفس واحدة غير متميزة الجنس أساسها نطفة واحدة من ماء مهين لا يُعتبر، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ٦الأنعام:٩٨؛ التعقيب: (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) يعني في الدنيا بعد الولادة ثم يُستودع بالقبر ليُسترد حيًّا للحساب، وهو يجعل تميز الجنسين مَحْصُورًا في الأرحام، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ٤النساء:١؛ صريح في بيان سبق التقدير والاقتدار في خلق كل إنسان وتميز الجنسين رجالاً ونساءً بنفس الآلية الواحدة التي تتكرر مع كل جنين يتكون في الأرحام لتشهد بوحدانية الصانع، وبالمثل تَنْطِق النُّصُوص بأن التميز أزواج حدث جنيني تسبقه هيئة واحدة غير متميزة الجنس: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ٣٥فاطر:١١، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٣٩.

وما أصرح قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ ٤٩الحجرات:١٣؛ في الدلالة على أن أصل أفراد الناس ذكورًا وإناثًا هو عناصر وراثية من الأبوين؛ ذكر وأنثى، فالآلية إذن واحدة تؤكد وحدانية الصانع، والخطاب بالجمع: (خَلَقْنَاكُمْ)؛ للبالغين، أي عندما كانوا أجنة في بطون أمهاتهم، والمضمون أن أصل كل منهم ذكر وأنثى بالتنكير والإبهام بلا تصريح بلفظ آدم مع وروده ٢٥ مرة تصريحًا، فتكلف حمله على آدم اجتهاد؛ والأولى الالتزام بظاهر النص، وهو أن كل إنسان نتاج المُشاركة الوراثية من الأبوين؛ بقرينة بيان تكون النطفة الأمشاج أصل كل إنسان من عناصر وراثية مُناصفةً من الأبوين: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:٢، قال القرطبي: "﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ ٤٩الحجرات:١٣..، بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى.. (وقد) ذَهَبَ قَوْمٌ مِنَ الْأَوَائِلِ إِلَى أَنَّ الْجَنِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ وَيَتَرَبَّى فِي رَحِمِ الْأُمِّ وَيَسْتَمِدُّ مِنَ الدَّمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ..، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْخَلْقَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ لِهَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهَا نَصٌّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ"[٤٦٢].

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٩و١٩٠؛ حمل: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) على آدم عليه السلام فيه إشكال كبير بنسبة الشرك لنبي مُصطفى كريم؛ ولا يستقيم حمل المؤنث: (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) على المُذكر آدم، وكلمة (تَغَشَّاهَا) تعبير عن التزاوج لا يجرح حياء؛ أي تغشي الذكر الأنثى، وتعكس صيغة التَّفَعُّل (تَغَشَّاهَا) مُجَاهَدَة، وكل الضمائر في: (مِنْهَا، زَوْجَهَا، إِلَيْهَا، تَغَشَّاهَا) تعود إلى (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)، لكن حمل النفس الواحدة على آدم يقلب الوضع بجعل الأنثى هي التي تتغشى الذكر؛ وهو معنى سقيم، وتعود الضمائر في: (دَعَوَا، رَبَّهُمَا، آتَيْتَنَا، آتَاهُمَا، جَعَلَا) إلى مُثنى فيُفضي لمخالفة صريح النص في أن من أشرك جماعة: (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)؛ فالمُثنى إذن ضُرِبَ مثلاً للجماعة.

---

[٤٦٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٣\ ٣٣٢).

[٤٦١] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٦٣٩).

[٤٦٢] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١٦\ ٣٤١).

قال ابن كثير: "صَحَّ ضَرْبُ مَثَلِ الْجَمَاعَةِ بِالْوَاحِدِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ ٣٣الأحزاب:١٩، أَيْ: كَدَوَرَانِ عَيْنَيِ الَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ٣١لقمان:٢٨، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ٦٢الجمعة:٥"[٤٦٣]، وقال أبو زهرة: "نُقِلَ عن القفال في تأويل هذه الآية؛ أنه تعالى ذكر هذه القصة على سبيل ضرب المثل، والمُراد (أنه تعالى) خَلَقَ كل واحد منكم من نفس واحدة؛ وجَعَلَ من جنسها زوجها إنسانًا (يساويها) في الإنسانية..، وعلى هذا الكلام يكون المعنى: إن الله تعالى خَلَقَ نفسًا واحدةً تلتقي عندها (شكلاً) كل الأنفس؛ (فجميعها) مُتشابهة مُتشاكلة"[٤٦٤].

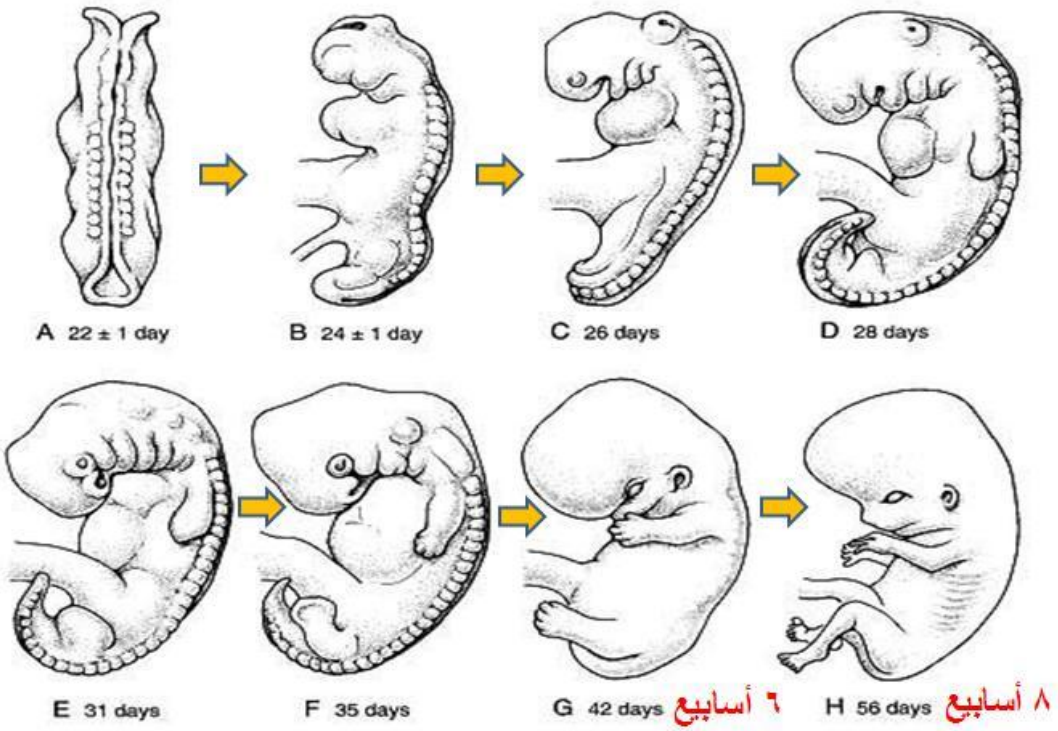

ويُوحِي التعبير: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) بحالة تميزت فيها إنسانية الجنين ولم يتميز فيها جنسه بعد؛ أو بالأحرى لم تظهر عليه بعد علامة الذكورة، باعتبار أن الفعل المُتوقع بعد اكتساب الشكل الإنساني هو التحول لهيئة ذكر: (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)، وإيجاز التعبير اكتفاءً بذكر تميز جنس الذكر أولاً يقتضي في المُقابل تكون الجنس المؤنث لاحقًا، ودل عليه تأنيث ضمير: (زَوْجَهَا)، وبالفعل يكتسب الجنين الشكل الإنساني بعد مرور ستة أسابيع من عمره؛ مع تكون الهيكل العظمي والعضلي في الأسبوعين السابع والثامن، ويبدأ تميز جنس الذكر بظهور الأعضاء الخارجية للتناسل بعد الأسبوع الثامن نتيجة لإنتاج هرمون الذكورة من الخصية، وأما المبيض فيُخَزِّن كل البُويضات استعدادًا لمرحلة البلوغ.

والسبيل إذن لتَفَهُّم المعنى هو بحمل التعبير (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) على كيان إنساني للجنين ذو هيأة واحدة في الجنسين لم يتميز جنسه بعد، ويبدأ التميز بعد تكامل اتضاح الهيئة الإنسانية، وحمل التعبير على سبيل ضرب المثل للمجموع الإنساني بكل زوجين؛ بيانًا لوحدة تصميم تناسل الإنسان وكل زوجين من الحيوان؛ كبرهان للعاقل على وحدانية الصانع.

---

[٤٦٣] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ١٨٧).

[٤٦٤] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٣ ١٥٧٥).

تتضح علامة الذكورة بظهور العضو التناسلي الذكري بعد انتهاء الأسبوع الثامن.

قال أبو جعفر النحاس: "روي عن عكرمة أنه قال: لم يخص بهذا آدم وحواء..، والتقدير على هذا الجنس (البشري) كله؛ أي خلق كل واحد منكم {من نفس واحدة} و{جعل منها} أي من جنسها زوجها، {فلما تغشاها} على الجنس (البشري) كله، وكذا {دعوا} يراد به الجنسان الكافران، ثم حمل {فتعالى الله عما يشركون} على معنى الجميع، فهذا أولى والله أعلم من أن يُنسب إلى الأنبياء عليهم السلام مثل هذا"، و"المعنى خلق لكم من جنسكم أزواجا..، ومثله قوله جل وعز {هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها}..، أي جعل من جنسها زوجها، ودل هذا على الجنسين جميعا، ويكون الضمير في قوله تعالى {جعلا له شركاء فيما آتاهما} يعود على الجنسين، والضمير في قوله: {يشركون}؛ يعود على الجنسين لأنهما جماعة"[٤٦٥]، و"(جَعَلا لَهُ) قيل: يعني الذكر والأنثى الكافرين؛ ويعني به الجنسين، ودل على هذا: (فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)؛ ولم يقل: يشركان، فهذا قول حسن، وقيل: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ).. من هيئة واحدة وشكل واحد، (وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها) أي من جنسها، (فلمّا تغشّاها) يعني الجنسين، وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء في الآية ذكر"[٤٦٦].

وقال الثعلبي: "قال قوم من أهل العلم إن هذا راجع إلى المشركين من ذرية آدم..، ويدل عليه ما روى معمر عن الحسن قال: عني بهذا من أشرك من ذرية آدم ولم يكن يعنى آدم، وروى قتادة عنه قال: هم اليهود والنصارى..، وقال ابن كيسان هم الكفار جعلوا لله شركاء.. وقال عكرمة لم يخص بها آدم ولكن جعلها عامة لجميع بني آدم..، قال الحسين بن الفضل: وهذا محبب إلى أهل النظر لما في القول الأول من إلصاق العظائم بنبي الله آدم عليه السلام، ويدل عليه جمعه في الخطاب حيث قال {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} ثمّ قال {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا}.. فلما تغشى الرجل منكم امرأته"[٤٦٧].

---

[٤٦٥] أبو جعفر النحاس؛ معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى؛ ١٤٠٩هـ (٥\ ٢٥٢).

[٤٦٦] أبو جعفر النحاس؛ إعراب القرآن، تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤٢١هـ (٢\ ٨٤).

[٤٦٧] أبو إسحاق أحمد الثعلبي؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي بيروت؛ ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م (٤\ ٣١٦).

وقبل أن تُطالع عين جنس وليد؛ يسبق القرآن الكريم بتَلَطُّف لا يلفت عن الغرض وبأسلوب بديع مُفْعَم بالمضامين ويصف كيفية تميز جنس الجنين في ظلمات البطون، من ذات أو نفس واحدة غير مُتميزة الجنس شكلاً وتركيبًا؛ كأصل واحد مشترك للجنسين، وتبقى الأثداء في صدور الذُّكُور ضامرةً بلا غرض إرضاع كبصمة تنطق بوحدة الأصل، ولا يفوت البيان المُعجز أن يُثني على الشاكرين ويروي للنابهين قصة الغافلين عن دلائل سبق التقدير ووحدانية القدير!.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

(١) خُلاصَة تَفسِيَة:

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله تعالى): "تجد المرأة التي لا يأتيها الولد تأتي إلى قبر الولي الفلاني..، فتقول: يا سيدي فلان أرزقني ولداً..، وفي قوله: {فلما آتاهما} نقد لاذع أن يجعلا في هذا الولد شريكا.. و(لكن).. الآية وحدها دالة على أن قوله {خلقكم من نفس واحدة} أي من جنس واحد وليس فيها تعرض لأدم وحواء بوجه من الوجوه، ويكون السياق فيهما جاريا على الأسلوب العربي الفصيح الذي له نظير في القرآن كقوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ}؛ أي من جنسهم، وبهذا التفسير الواضح البين يسلم الإنسان من إشكالات كثيرة، أما على القول.. بأن المراد بقوله تعالى {من نفس واحدة}.. آدم {وجعل منها زوجها} حواء؛ فيكون معني الآية خلقكم من آدم وحواء..، وهذا التفسير منطبق على المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وسنبين.. وجه ضعفه وبطلانه..، وأما قوله تعالى: {فتعالى الله عما يشركون}؛ فجمع لأن المراد بالمثنى اثنان من هذا الجنس فصح أن يعود الضمير إليهما مجموعًا، كما في قوله تعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا}؛ ولم يقل اقتتلتا لأن الطائفتين جماعة، و(المروي) عن ابن عباس في الآية قال: (لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة؛ لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل..، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعانه فخرج ميتاً)..، وذُكر معناه عن الحسن، لكن الصحيح أن الحسن رحمه الله قال: إن المراد بالآية غير آدم وحواء، وإن المراد بها المشركون من بني آدم، كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله في تفسيره وقال: (أما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء؛ وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته)، وهذه القصة باطلة من وجوه؛ (الوجه الأول): أنه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم، وهذا من الأخبار التي لا تتلقى إلا بالوحي، وقد قال ابن حزم عن هذه القصة إنها رواية خرافة مكذوبة موضوعة، (الوجه الثاني): أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء؛ لكان حالهما إما أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه، فإن قلنا ماتا عليه كان ذلك أعظم من قول بعض الزنادقة..، فمن جوز موت أحد من الأنبياء على الشرك فقد أعظم الفرية، وإن كانا تابا من الشرك فلا يليق بحكمة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما ولا يذكر توبتهما منه، فيمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله الخطيئة من آدم وحواء وقد تابا ولم يذكر توبتهما، والله تعالى إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ورسله ذكر توبتهم منها كما في قصة آدم نفسه حين أكل من الشجرة وزوجه وتابا من ذلك، (الوجه الثالث): أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء، (الوجه الرابع): أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم يطلبون منه الشفاعة فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصية؛ ولو وقع منه الشرك لكان اعتذاره به أقوى وأولى وأحرى، (الوجه الخامس): أن في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال: (أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة)، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء وإنما يأتي بشيء يقرب قبول قوله، فإذا قال: (أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة) فسيعلمان علم اليقين أنه عدو لهما فلا يقبلان منه صرفاً ولا عدلاً، (الوجه السادس): أن في قوله في هذه القصة (لأجعلن له قرني إيل)، إما أن يصدقا أن ذلك ممكن في حقه فهذا شرك في الربوبية لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله؛ أو لا يصدقا فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه، (الوجه السابع): قوله تعالى: (فتعالى الله عما يشركون) بضمير الجمع؛ ولو كان آدم وحواء لقال (عما يشركان)، فهذه الوجوه تدل على أن هذه القصة باطلة من أساسها وأنه لا يجوز أن يعتقد في آدم وحواء أن يقع منهما شرك بأي حال من الأحوال، والأنبياء منزهون عن الشرك مبرؤون منه باتفاق أهل العلم، وعلى هذا فيكون تفسير الآية كما أسلفنا أنها عائدة إلى بني آدم الذي أشركوا شركاً حقيقياً؛ فإن منهم مشركاً ومنهم موحداً"[٤٦٨].

---

[٤٦٨] محمد بن صالح بن محمد العثيمين؛ مجموع الفتاوى والرسائل، جمع فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن؛ ١٤١٣هـ (١١٠/ ٨٨٨).

(٢) تَارِيخ مَجِيد للمُفَسّرِين:

قال القرطبي: "قال قوم إن هذا راجع إلى جنس الآدميين، والتبيين عن حال المشركين من ذرية آدم عليه السلام، وهو الذي يعول عليه، فقوله: {جعلا له} يعني الذكر والأنثى الكافرين؛ ويعنى به الجنسان، ودل على هذا {فتعالى الله عما يشركون} ولم يقل: يشركان، وهذا قول حسن، وقيل المعنى {هو الذي خلقكم من نفس واحدة} من هيئة واحدة وشكل واحد {وجعل منها زوجها} أي من جنسها، {فلما تغشاها} يعني الجنسين، وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء ذكر في الآية، فإذا آتاهما الولد صالحا سليما سويا كما أراداه صرفاه عن الفطرة إلى الشرك فهذا فعل المشركين..، قال عكرمة: لم يخص بها آدم ولكن جعلها عامة لجميع الخلق بعد آدم، وقال الحسين بن الفضل: وهذا محبب إلى أهل النظر؛ لما في القول الأول من المُضاف من العظائم بنبي الله آدم"[٤٦٩].

وقال ابن عطية: "قال قوم إن المعنى في هذه الآية التبيين عن حال الكافرين؛ فعدد النعم التي تعم الكافرين.. وذلك أنه قال مخاطباً لجميع الناس: {هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها}..، فهذه نعمة تخص كل أحد..، ثم جاء قوله: {فلما تغشاها}؛ إلى آخر الآية وصفاً لحال الناس واحداً واحداً..، فإذا آتاهم الله الولد صالحاً سليماً كما (أراداه) صرفاه عن الفطرة إلى الشرك..، (وقد قيل).. إن الآية.. في أدم وحواء..؛ قال القاضي أبو محمد: وهذا تحكم لا يساعده اللفظ..، (و) الآية.. إنما الغرض منها تعديد النعمة في الأزواج وفي تسهيل النسل والولادة..، (و) قوله {فتعالى الله عما يشركون} المراد بالضمير فيه المشركين، والمعنى في هذه الآية فلما آتى الله هذين الإنسانين صالحاً أي سليماً ذهبا به إلى الكفر..، وهي بينة على هذا التأويل..، وقلقة على قول من يقول إن الآية.. في آدم وحواء"[٤٧٠].

وقال ابن العربي: "الْمُرَادَ بِهَذَا جِنْسُ الْآدَمِيِّينَ؛ فَإِنَّ حَالَهُمْ فِي الْحَمْلِ وَخِفَّتِهِ وَثِقَلِهِ (كذلك).. صِفَةٍ (عامة) وَاحِدَةٍ..؛ إذَا ثَقُلَ عَلَيْهِمْ نَذَرُوا..، فَإِذَا وُلِدَ لَهُمْ.. الْوَلَدُ جَعَلُوا فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ شُرَكَاءَ فِي تَسْمِيَتِهِ وَعَمَلِهِ؛ حَتَّى إنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَنْسُبُهُ إلَى الْأَصْنَامِ وَيَجْعَلُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ وَعَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَشْبَهُ بِالْحَقِّ وَأَقْرَبُ إلَى الصِّدْقِ وَهُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ وَعُمُومُهَا الَّذِي يَشْمَلُ جَمِيعَ مُتَنَاوَلَاتِهَا، وَيَسْلَمُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ عَنْ النَّقْصِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِجُهَّالِ الْبَشَرِ؛ فَكَيْفَ بِسَادَتِهِمْ وَأَنْبِيَائِهِمْ!"[٤٧١].

وقال السمعاني: "{جعلا له شركاء فيما آتاهما}..، هذا في جميع بني آدم، قال عكرمة: وكأن الله يخاطب به كل واحد من الخلق بقوله: {هو الذي خلقكم من نفس واحدة} يعني: خلق كل واحد..، {وجعل منها زوجها}: أي جعل من جنسها زوجها {ليسكن إليها}؛ يعني كل زوج إلى زوجته..، وهذا قول حسن في الآية"[٤٧٢].

وقال النيسابوري: "قوله..: {جعلا} يعني آدم وحوّاء {له شركاء}.. (إلى) تمام القصة، وقد زيفها النقاد..، ولا قائل بإمكان نسبته إلى آدم، فعند ذلك ذكر العلماء في تأويله وجوهاً، أحدها: أن هذا مَثَل؛ فكأنه تعالى يقول (هو الذي خلقكم)؛ أي كل واحد منكم (من نفس واحدة) وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية يسكن أي تلك النفس، فَذَكَّر بعدما أَنَّث.. لأن الذَكَر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويطمئن إليها..، {دعوا} أي الزوج والزوجة..، فقالا {لئن آتيتنا صالحاً} ولداً قد صلح بدنه.. ذكراً..، لأن الذكورة.. (مطلب مُعتاد)"[٤٧٣].

---

[٤٦٩] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (٧\ ٣٣٩).

[٤٧٠] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤٢٢هـ (٢\ ٤٨٧).

[٤٧١] القاضي محمد أبو بكر بن العربي الاشبيلي؛ أحكام القرآن، تعليق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (٢\ ٣٥٥).

[٤٧٢] أبو المظفر منصور المروزى السمعاني؛ تفسير القرآن، المحقق ياسر إبراهيم وغنيم عباس غنيم، دار الوطن الرياض؛ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م (٢\ ٢٤٠).

[٤٧٣] نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري؛ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤١٦هـ (٣\ ٣٥٩).

وقال الرازي: "لا نسلم أن النفس الواحدة هي آدم؛ وليس في الآية ما يدل عليه..، (و) التكليف بالتقوى.. عام في حق جميع العالمين، وإذا كان لفظ الناس عاما في الكل.. كان القول بالتخصيص في غاية البعد..، (و) المراد من قوله: {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} أي من جنسها، وهو كقوله تعالى: {والله جَعَلَ لَكُمْ مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} وكقوله: {إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مّنْ أَنفُسِهِمْ} وقوله: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مّنْ أَنفُسِكُمْ}..، فلما ثبت أنه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان قادرا أيضا على خلق حواء من التراب، وإذا كان الأمر كذلك؛ فأي فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم!"، و"المروي.. {هُوَ الذى خَلَقَكُمْ مّن نَّفْسٍ واحدة}.. هي نفس آدم {وجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} أي حواء خلقها الله من ضلع آدم عليه السلام..، واعلم أن هذا التأويل فاسد ويدل عليه وجوه: (الأول): أنه تعالى قال: {فتعالى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ}؛ وذلك يدل على أن الذين أتوا بهذا الشرك جماعة، (الثاني): أنه تعالى قال بعده: {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ}؛ وهذا يدل على أن المقصود من هذه الآية الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى..، (الثالث): لو كان المراد إبليس لقال: (أيشركون من لا يخلق شيئاً) ولم يقل (ما لا يخلق شيئاً) لأن العاقل إنما يذكر بصيغة (من) لا بصيغة (ما)، (الرابع): أن آدم عليه السلام كان أشد الناس معرفة بإبليس؛ وكان عالماً بجميع الأسماء كما قال تعالى: {وَعَلَّمَ ءادَمَ الأسماء كُلَّهَا} فكان لا بد وأن يكون قد علم أن اسم إبليس هو الحرث، فمع العداوة الشديدة التي بينه وبين آدم ومع علمه بأن اسمه هو الحرث كيف سمى ولد نفسه بعبد الحرث! وكيف ضاقت عليه الأسماء حتى أنه لم يجد سوى هذا الاسم!، (الخامس): أن الواحد منا لو حصل له ولد.. فجاءه إنسان ودعاه إلى أن يُسميه بمثل هذه الأسماء لزجره وأنكر عليه أشد الإنكار؛ فآدم عليه السلام مع نبوته وعلمه الكثير.. وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لأجل وسوسة إبليس كيف لم يتنبه لهذا القدر!..، (السادس): أن بتقدير أن آدم عليه السلام سماه بعبد الحرث..، كان هذا قولاً بأن آدم عليه السلام اعتقد أن لله شريكاً في الخلق والإيجاد والتكوين وذلك يوجب الجزم بتكفير آدم؛ وذلك لا يقوله عاقل، فثبت بهذه الوجوه أن هذا القول فاسد ويجب على العاقل المسلم أن لا يلتفت إليه، إذا عرفت هذا فنقول: في تأويل الآية وجوه صحيحة سليمة خالية عن هذه المفاسد..، ما ذكره القفال فقال: إنه تعالى ذكر هذه القصة على تمثيل ضرب المثل وبيان أن هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم وقولهم بالشرك، وتقدير هذا الكلام كأنه تعالى يقول: هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية، فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل دعا الزوج والزوجة ربهما لئن آتيتنا ولداً صالحاً سوياً لنكونن من الشاكرين لآلائك ونعمائك، فلما آتاهما الله ولداً صالحاً سوياً جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما..، ثم قال تعالى: {فتعالى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ}؛ أي تنزه الله عن ذلك الشرك، وهذا جواب في غاية الصحة والسداد..، (و) قوله: {نَّفْسٍ واحدة} المشهور أنها.. آدم، وقوله: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} المراد حواء..، خلقها من ضلع من أضلاع آدم..، وأقول هذا الكلام مشكل لأنه تعالى لما كان قادراً على أن يخلق آدم ابتداء فما الذي حملنا على أن نقول أنه تعالى خلق حواء من جزء أجزاء آدم!..، وأيضاً الذي يقال: إن عدد أضلاع الجانب الأيسر أنقص من عدد أضلاع الجانب الأيمن فيه مؤاخذة تنبي عن خلاف الحس والتشريح..، نقول..: ليس المراد بذلك الفرد المعين بل.. المراد خلق.. من النوع الإنساني (زوجها الذكر)..، إنساناً (مثلها)"[٤٧٤].

وقال محمد رشيد رضا: "قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ (الشيخ محمد عبده)..: الْقَرِينَةُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا بِالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ آدَمَ قَوْلُهُ: (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)؛ بِالتَّنْكِيرِ، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ (أن المراد آدم) أَنْ يَقُولَ: (وَبَثَّ مِنْهُمَا جَمِيعَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ)..، وَقَدْ أَبْهَمَ اللهُ تَعَالَى هَاهُنَا أَمْرَ النَّفْسِ الَّتِي خُلِقَ النَّاسُ مِنْهَا وَجَاءَ بِهَا نَكِرَةً فَنَدَعُهَا عَلَى إِبْهَامِهَا..، وَأَقُولُ زِيَادَةً فِي الْإِيضَاحِ: إِذَا كَانَ جَمَاهِيرُ الْمُفَسِّرِينَ فَسَّرُوا النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ هُنَا بِآدَمَ فَهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا ذَلِكَ مِنْ نَصِّ الْآيَةِ وَلَا مِنْ ظَاهِرِهَا بَلْ مِنَ الْمَسْأَلَةِ الْمُسَلَّمَةِ عِنْدَهُمْ؛ وَهِيَ أَنَّ آدَمَ أَبُو الْبَشَرِ، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مِثْلِ هَذَا التَّعْبِيرِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) ١٧الأعراف:١٨٩، فَقَدْ ذَكَرَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهَا ثَلَاثَةَ تَأْوِيلَاتٍ: التَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ مَا ذَكَرَهُ عَنِ الْقَفَّالِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى سَبِيلِ ضَرْبِ الْمَثَلِ، وَالْمُرَادُ (أنه تعالى): خَلَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؛ وَجَعَلَ مِنْ جِنْسِهَا زَوْجَهَا إِنْسَانًا (يُسَاوِيهَا) فِي الْإِنْسَانِيَّةِ..، (و) ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ يَأْبَى أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالنَّفْسِ آدَمَ.. لِمَا ذَكَرَهُ مِنْ.. تَنْكِيرِ مَا بَثَّهُ مِنْهَا وَمِنْ (تنكير) زَوْجِهَا"[٤٧٥]، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: "(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) أَيْ: خَلَقَكُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ أَوْ (هيئة) وَاحِدَةٍ صَوَّرَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، (وَجَعَلَ

---

[٤٧٤] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٣\ ٤٥٨).

[٤٧٥] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٤\ ٢٦٥).

مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) سُكُونًا زَوْجِيًّا، أَيْ: جَعَلَ لَهَا زَوْجًا مِنْ جِنْسِهَا فَكَانَا زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) ٤٩الحجرات:١٣، كَمَا أَنَّهُ خَلَقَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ٥١الذاريات:٤٩..، وَنَعْلَمُ أَيْضًا كَيْفَ يَتَكَوَّنُ فِي الْأَرْحَامِ كُلٌّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى) ٥٣النجم:٤٥و٤٦، وَلَكِنَّنَا لَا نَدْرِي كَيْفَ ازْدَوَجَتِ النَّفْسُ الْأُولَى بَعْدَ وَحْدَتِهَا فَكَانَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى..، اللهُ تَعَالَى (إذن) خَاطَبَ النَّاسَ فِي عَصْرِ التَّنْزِيلِ بِمِثْلِ مَا حَكَاهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ نَشْأَةِ جِنْسِهِمْ فِي كَوْنِهِ تَعَالَى خَلَقَ لَهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ..: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) ٣٠الروم:٢١، فَهَذَا الْمَعْنَى عَامٌّ لَا خَاصٌّ بِالْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ، عَبَّرَ التَّنْزِيلُ عَنْ مَيْلِ الزَّوْجِ الْجِنْسِيِّ إِلَى جِنْسِهِ هُنَا.. بِالسُّكُونِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا بَلَغَ سِنَّ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ اضْطِرَابًا خَاصًّا؛ لَا يَسْكُنُ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِزَوْجٍ مِنْ جِنْسِهِ..، ذَلِكَ الِاقْتِرَانُ.. لَا تَكْمُلُ حَيَاتُهُمَا الْجِنْسِيَّةُ الْمُنْتِجَةُ إِلَّا بِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَهُ: (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ).. الْغِشَاءُ غِطَاءُ الشَّيْءِ الَّذِي يَسْتُرُهُ مِنْ فَوْقِهِ..، و(تَغَشَّاهَا) أَتَاهَا كَغَشْيِهَا، وَيَزِيدُ مَا تُعْطِيهِ صِيغَةُ التَّفَعُّلِ مِنْ جُهْدٍ، وَهُوَ كِنَايَةٌ نَزِيهَةٌ عَنْ أَدَاءِ وَظِيفَةِ الزَّوْجِيَّةِ، تُشِيرُ إِلَى أَنَّ مُقْتَضَى الْفِطْرَةِ وَأَدَبَ الشَّرِيعَةِ فِيهَا السِّتْرُ، وَلَفْظُ النَّفْسِ مُؤَنَّثٌ فَأُنِّثَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ، وَلَفْظُ الزَّوْجِ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَلِهَذَا ذُكِرَ هُنَا فَاعِلُ التَّغَشِّي وَأُنِّثَ مَفْعُولُهُ، أَيْ فَلَمَّا تَغَشَّى الزَّوْجُ الَّذِي هُوَ الذَّكَرُ الزَّوْجَ الَّتِي هِيَ الْأُنْثَى (حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا) أَيْ عَلِقَتْ مِنْهُ وَهُوَ الْحَبَلُ..، وَهُوَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ الْعَهْدِ خَفِيفًا لَا تَكَادُ الْمَرْأَةُ تَشْعُرُ بِهِ..، (فَمَرَّتْ بِهِ) أَيْ.. اسْتَمَرَّتْ فِي أَعْمَالِهَا وَقَضَاءِ حَاجَتِهَا مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا اسْتِثْقَالٍ، (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) أَيْ حَانَ وَقْتُ ثِقَلِ حَمْلِهَا وَقُرْبِ وَضْعِهَا، (دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)، أَيْ: تَوَجَّهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى رَبِّهِمَا يَدْعُوَانِهِ فِيمَا انْحَصَرَ هَمُّهُمَا فِيهِ بَعْدَ تَمَامِ الْحَمْلِ عَلَى سَلَامَةٍ؛ بِأَنْ يُعْطِيَهُمَا وَلَدًا صَالِحًا، أَيْ سَوِيًّا تَامَّ الْخَلْقِ يَصْلُحُ لِلْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الْبَشَرِيَّةِ النَّافِعَةِ..، (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) أَيْ: فَلَمَّا أَعْطَاهُمَا وَلَدًا صَالِحًا لَا نَقْصَ فِي خَلْقِهِ وَلَا فَسَادَ فِي تَرْكِيبِهِ؛ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِي إِعْطَائِهِ أَوْ فِيمَا أَعْطَاهُ..، (فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أَيْ: تَعَالَى شَأْنُهُ عَنْ شِرْكِهِمْ..؛ وَجَمَعَ الضَّمِيرَ هُنَا بَعْدَ تَثْنِيَتِهِ الْأَفْعَالَ قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِيهِ بِالزَّوْجَيْنِ الْجِنْسُ لَا فَرْدَيْنِ مُعَيَّنَيْنِ..، وَالْآيَةُ.. بَيَانٌ لِحَالِ الْبَشَرِ فِيمَا طَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنْ نَزَغَاتِ الشِّرْكِ..، الْمُرَادُ (إذن بالزوجين) جِنْسَيِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى لَا يُقْصَدُ فِيهِ إِلَى مُعَيَّنٍ، وَكَأَنَّ الْمَعْنَى وَاللهُ أَعْلَمُ: خَلَقَكُمْ جِنْسًا وَاحِدًا وَجَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ مِنْكُمْ أَيْضًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهِنَّ، فَلَمَّا تَغَشَّى الْجِنْسُ الَّذِي هُوَ الذَّكَرُ الْجِنْسَ الْآخَرَ (أشركا تغليبًا)..؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) ١٩مريم:٦٦، (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) ٨٠عبس:١٧، (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) ١٠٣العصر:٢، وَأَمَّا الْإِشْكَالُ.. فَهُوَ مَا رُوِيَ.. مِنْ أَنَّ الْآيَةَ فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ..، لِأَنَّ فِيهِ طَعْنًا صَرِيحًا فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَرَمْيًا لَهُمَا بِالشِّرْكِ، وَلِذَلِكَ رَفَضَهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ، وَتَكَلَّفَ آخَرُونَ فِي تَأْوِيلِهَا بِمَا تُنْكِرُهُ اللُّغَةُ..، وَإِنَّمَا الَّذِي يَصِحُّ أَنْ يُذْكَرَ وَيُبَيَّنَ بُطْلَانُهُ، فَهُوَ الرِّوَايَاتُ الَّتِي انْخَدَعَ بِهَا وَلَا يَزَالُ يَنْخَدِعُ بِهَا الْكَثِيرُونَ، وَعُمْدَتُنَا فِي تَمْحِيصِهَا وَبَيَانِ عِلَلِهَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فَقَدْ قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ.. (للنفس الواحدة وزوجها): (عَنَى بِهَا ذُرِّيَّةَ آدَمَ وَمَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ).. وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ وَأَوْلَى مَا حُمِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ..، لَيْسَ الْمُرَادُ (إذن) مِنْ هَذَا السِّيَاقِ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللهُ: (فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)"[٤٧٦]، "أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) ٤النساء:١؛ فَمَعْنَاهُ.. يَظْهَرُ.. بِحَمْلِ النَّفْسِ عَلَى الْجِنْسِ وَإِعَادَةِ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ؛ بِمَعْنَى أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ..، ثُمَّ خَلَقَ لَهَا زَوْجَهَا مِنْ جِنْسِهَا، وَمَعْنَاهُ الْمُرَادُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ لِتِلْكَ النَّفْسِ الَّتِي هِيَ آدَمُ زَوْجًا مِنْهَا وَهِيَ حَوَّاءُ، قَالُوا: إِنَّهُ خَلَقَهَا مِنْ ضِلْعِهِ الْأَيْسَرِ وَهُوَ نَائِمٌ؛ وَذَلِكَ مَا صُرِّحَ بِهِ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ قَارِئِ الْقُرْآنِ، وَهُنَاكَ قَوْلٌ آخَرُ.. أَنَّ مَعْنَى (خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) خَلَقَهُ مِنْ جِنْسِهَا فَكَانَ مِثْلَهَا (في الطبيعة)، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) ٣٠الروم:٢١، وَقَوْلُهُ: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) ١٦النحل:٧٢؛ وَقَوْلُهُ: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ ٤٢الشورى:١١؛ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) ٩التوبة:١٢٨، وَقَوْلُهُ: (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) ٣آل عمران:١٦٤..، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ عِبَارَةِ الْآيَةِ الَّتِي نُفَسِّرُهَا وَعِبَارَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ؛ فَالْمَعْنَى فِي الْجَمِيعِ وَاحِدٌ، وَمَنْ

[٤٧٦] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٩ ٤٣١).

ثَبَتَ عِنْدَهُ أَنَّ حَوَّاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ فَهُوَ غَيْرُ مُلْجَأٍ إِلَى إِلْصَاقِ ذَلِكَ بِالْآيَةِ وَجَعْلِهِ تَفْسِيرًا لَهَا وَإِخْرَاجِهَا عَنْ أُسْلُوبِ أَمْثَالِهَا مِنَ الْآيَاتِ، هَذَا وَإِنَّ فِي (النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ) وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّهَا الْأُنْثَى؛ وَلِذَلِكَ أَنَّثَهَا حَيْثُ وَرَدَتْ، وَذَكَّرَ زَوْجَهَا الَّذِي خُلِقَ مِنْهَا.. فَقَالَ: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) ٧الأعراف:١٨٩، وَخَلْقُ زَوْجِهَا مِنْهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا ذَاتِهَا وَأَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِهَا (البشري)..، أَفْرَادُهَا زَوْجَيْنِ..، كَأَنَّهُ قِيلَ: مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَنْشَأَهَا وَابْتَدَأَهَا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا..، (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) ٤النساء:١؛ أَقُولُ: وَفِيهِ اكْتِفَاءٌ؛ أَيْ: وَنِسَاءً كَثِيرًا..، نَكَّرَ (رِجَالًا)؛ (وَنِسَاءً) وَأَكَّدَ هَذَا بِقَوْلِهِ: (كَثِيرًا)؛ إِشَارَةً إِلَى.. أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالتَّثْنِيَةِ فِي قَوْلِهِ: (مِنْهُمَا) آدَمَ وَحَوَّاءَ بَلْ كُلَّ زَوْجَيْنِ..، يَقُولُ: إِنَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَهَذَا إِجْمَالٌ فَصَّلَهُ بِبَيَانِ كَوْنِهِ خَلَقَ مِنْ جِنْسِ تِلْكَ النَّفْسِ زَوْجًا لَهَا وَجَعَلَ النَّسْلَ مِنَ الزَّوْجَيْنِ كِلَيْهِمَا؛ فَجَمِيعُ سَلَائِلِ الْبَشَرِ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ زَوْجَيْنِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى..، وورد التعبير عن جعل الزوج من النفس الواحدة بلفظ: ثم؛ لإفادة) التَّرْتِيبَ..: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ٣٩الزمر:٦..، فَكَوْنُهُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ لَا يُنَافِي كَوْنَ هَذَا الْجِنْسِ (البشري) خُلِقَ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى..، وَأَيْضًا فَلَمَّا ثَبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ كَانَ قَادِرًا أَيْضًا عَلَى خَلْقِ حَوَّاءَ مِنَ التُّرَابِ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي خَلْقِهَا مِنْ ضِلْعٍ مِنْ أَضْلَاعِ آدَمَ!"[٤٧٧].

وقال أبو زهرة: "(يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ).. عموم الخطاب لمن يعقلون..، فكلمة الناس تشمل كل بني الإنسان..، فهو يثبت أن الأصل هو (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) كلهم يرجعون إليها..، وهذا النص يشبه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ٤٩الحجرات:١٣، بيد أن النص الذي نتحدث عنه يُثبت أن الذكر والأنثى من طبيعة واحدة..، نبههم سبحانه وتعالى إلى.. وحدة التكوين الإنساني، فالكل ينتهي إلى نفس واحدة هي الجنس العام الجامع..؛ صنوانًا مُفرعة من أرومة واحدة..، وقد ذكر هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ٧الأعراف:١٨٩..، والمُراد خَلَقَ كل واحد منكم من نفس واحدة؛ وجَعَلَ من جنسها زوجها إنسانا يُساويها في الإنسانية..، وإن كثيرين من المُفسرين قالوا إن المراد من جنسها أي من طبيعتها..، مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ٣٠الروم:٢١، ومثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ ١٦النحل:٧٢، وقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ ٤٢الشورى:١١..، يدل (هذا) الكلام على أن طبيعة المرأة من طبيعة الرجل"[٤٧٨].

وقال سيد قطب: "(نَفْسٍ وَاحِدَةٍ): ذات طبيعة واحدة، وذات خصائص واحدة؛ خصائص تميزها عن بقية الخلائق، كما أنها تجمع كل أفرادها في إطار تلك الخصائص، فالنفس الإنسانية واحدة في جميع الملايين المنبثين في الأرض في جميع الأجيال وفي جميع البقاع؛ وزوجها كذلك منها، فالمرأة تلتقي مع الرجل في عموم الخصائص البشرية رغم كل اختلاف في تفصيلات هذه الخصائص؛ مما يشي بوحدة التصميم الأساسي لهذا الكائن البشري: الذكر والأنثى، ووحدة الإرادة المبدعة لهذه النفس الواحدة بشقيها، وعند الإشارة إلى خاصية الزوجية في النفس البشرية ترد الإشارة إلى هذه الخاصية في الأنعام كذلك؛ مما يشي بوحدة القاعدة في الأحياء جميعا: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) ٣٩الزمر:٦، والأنعام الثمانية.. هي الضأن والمعز والبقر والإبل؛ من كُلّ: ذكر وأنثى..، فهي ثمانية في مجموعها..، والتعبير يُعبر عن.. وحدة خاصية الزوجية في الناس والأنعام.. (ويبين نشأتها خلال) مراحل الخلق للأجنة في بطون أمهاتها: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ)؛ من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام إلى الخلق الواضح فيه عنصر البشرية"[٤٧٩]؛ وكلها مراحل تسبق اتضاح جنس الجنين؛ أهو ذكر أم أنثى.

---

[٤٧٧] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٤\ ٢٧٠).

[٤٧٨] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٣\ ١٥٧٣).

[٤٧٩] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي؛ في ظلال القرآن، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السابعة عشر؛ ١٤١٢هـ (٥\ ٣٠٣٩).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Embryology

علم الأجنة

المَوْضُوع Subject

Embryo Sex Differentiation

تميز جنين الجنين

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ٣٩الزمر:٦.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ ١٦النحل:٧٢.
- ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ ٤٢الشورى:١١.
- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ٦الأنعام:٩٨.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ٤النساء:١.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ٣٥فاطر:١١.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٣٩.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ٤٩الحجرات:١٣،
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:٢.
- ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ ٣٣الأحزاب:١٩.
- ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ٣١لقمان:٢٨.
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ٦٢الجمعة:٥.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ٣٠الروم:٢١.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ ١٦النحل:٧٢.
- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٩.
- ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ١٩مريم:٦٦.
- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ٣آل عمران:١٦٤.
- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ٩التوبة:١٢٨.
- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ٨٠عبس:١٧.
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ١٠٣العصر:٢.

- **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٩و١٩٠.**

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ١٨الأنفال:١٢.

الفَقْرَة Paragraph

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ١٨الأنفال:١٢و١٣.

كَلِمَات إِرْشَادِيَّة keywords

﴿فَاضْرِبُوا﴾، ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة) Translation

All I will cast terror into the hearts of those who have disbelieved, so strike them over the necks, and smite over all their fingertips.

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

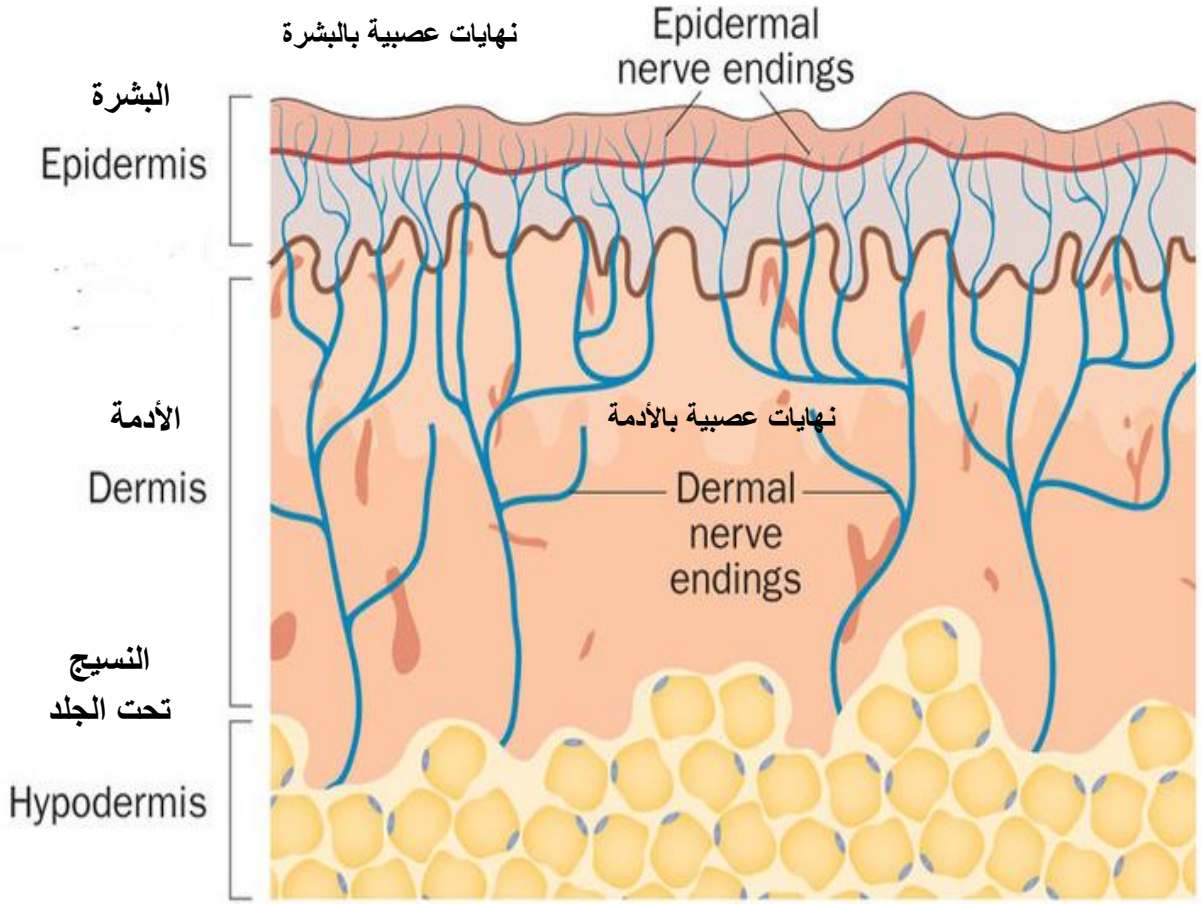

يتكون الجلد مجهريًا من ثلاث طبقات: البشرة والأدمة والنسيج تحت الجلد، ويوجد بسطح الأدمة بروزات صغيرة تسمى الحليمات وتحوي نهايات أعصاب اللمس Touch، وهي تكثر بصفة خاصة في أطراف أصابع اليدين، ووظيفة المستقبلات الحسيّة التقاط الإشارات المحيطة ونقلها للمراكز العصبيّة، والشائع أن آلية التعرّف على الأشياء باللمس كالتالي: يقوم جلد الإنسان بالإحساس بالمؤثّرات الخارجية عن طريق المستقبلات الحسيّة، والنهايات العصبية Nerve Endings تمثل هذه المستقبلات وتكمن مهمّتها بالتقاط الإشارات الحسيّة، بعدها يتم نقل الإشارات إلى قشرة الدماغ حيث يتم معالجتها مركزيا ومعرفة الصفات الشكليّة للجسم الملموس؛ وهكذا يستطيع الإنسان الاستيعاب باللمس.

والجهاز الحسي الجسدي Somato-sensory System جزء من الجهاز العصبي مسئول عن عمليات الإحساس كاللمس والضغط والألم والحرارة والبرودة، وأما الحس الجسدي العميق Proprioception فيستشعر المكان ومستقبلات اللمس Sensory Receptors نهايات عصبية خلاياها موجودة في عقد Nuclei بالنخاع الشوكي؛ وتنطلق منها الإشارة بسرعة عبر المشابك العصبية Synapses إلى منطقة المهاد Thalamus في جذع المخ Brain Stem ومنها إلى القشرة الحسية Sensory Cortex في الجانب المقابل من الجسم، وتتناسب مساحة تمثيل المنطقة وكثافة المستقبلات مع أهميتها الوظيفية؛ ويعبر عن تباين كثافة المستقبلات تبعًا لحساسية المناطق برسم ما يسمى بالإنسان الحسي Sensory Homunculus؛ ويُمثل فيه كف اليد والأصابع خاصة أضخم كثيرًا من الجذع.

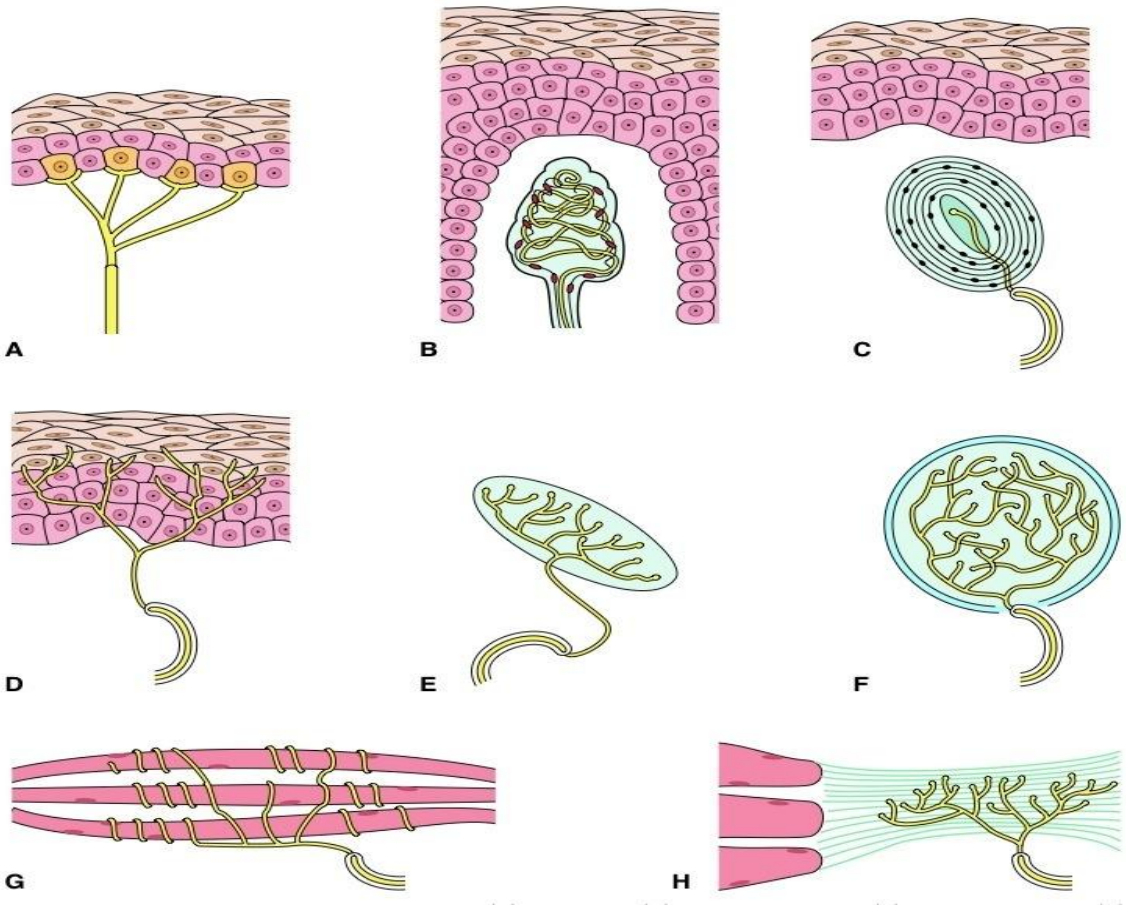

A. Merkel disk أقراص ميركل
B. Meissner corpuscle جسيمات ميسنر
C. Pacinian corpuscle جسيمات باتشيني
D. Free nerve endings نهايات عصبية حرة
E. Ruffini corpuscle اسطوانات روفيني
F. Krause end bulb (cold receptor) بصيلات كروز
G. Neuromuscular spindle المغزل العصبي العضلي
H. Golgi tendon organ عضو جولجي بالأوتار العضلية

والنهايات العصبية المُسماة جسيمات ميسنر Meissner's Corpuscles تخصصها استشعار اللمس والاهتزاز، وأقراص ميركل Merkel's Discs؛ تخصصها استشعار اللمس والضغط، وجسيمات باتشيني Pacinian corpuscles تخصصها استشعار الضغط والاهتزاز، ونهايات عصبية تحيط بالشعرة وتختص باستشعار حركتها، وبصيلات كروز Krause End Bulbs؛ تخصصها استشعار البرودة، واسطوانات روفيني Ruffini's cylinders تخصصها استشعار الحرارة، وتستشعر النهايات العصبية الحرة Free Nerve Endings المؤثر المؤلم والحرارة.

وأطراف أصابع Fingertips اليد خاصة شديدة الحساسية بحيث يعتمد عليها الكفيف في قراءة النصوص باللمس بطريقة الحروف البارزة التي اخترعها المكفوف لويس بريل Louis Braille، فهي غنية جدا بالنهايات العصبية؛ وهي أكثر منطقة بالجلد قدرة على تمييز الأجسام، فيمكنها بدقة تحديد الشكل والحجم والثقل والملمس للجسم الملموس؛ بينما منطقة الظهر أقل المناطق في كثافة النهايات العصبية وأقل قدرة على تمييز الإحساس باللمس والشعور بالألم، ومقارنة بالمناطق ذات الشعر؛ الشعور بالألم مضاعف في المناطق الخالية من الشعر، وهي راحة اليد وباطن القدم خاصة أطراف الأصابع، وقد تصيب جروح الأطراف الحادة للورق البشرة أساسًا لأطراف الأصابع ذات الكثافة الأكبر من النهايات العصبية؛ لذا قد تتسبب في آلام مبرحة غير متوقعة والنزيف محدود[٤٨٠].

وفي تقرير طبي يفسر سبب الألم الشديد بالقدم عند ارتطام أصابعها بجسم صلب كإحدى قطع الأثاث الصلبة أو نتيجة الأطراف الحادة للورق؛ ورد أن أول الأسباب يعود إلى أن نهايات أصابع القدمين تشكل حاجزاً دفاعياً أولياً للجسم البشري مثل نظيرتها باليدين، وتدق هذه الأصابع ناقوس الخطر لحماية الجسم عند التعرض لأي جسم حاد أو زلق أو مرتفع الحرارة، وتحتوي أطراف أصابع القدمين على عدد كبير من النهايات العصبية وإن كانت اقل من أطراف اليدين، لذا تعرضها للاصطدام بالأجسام الصلبة سينتج عنه آلاماً شديدة، وثاني الأسباب أن أصابع القدم محاطة بطبقة رقيقة من الجلد مما يجعل الحماية للنهايات العصبية في الأصابع ضعيفة بالمقارنة مع أجزاء أخرى من الجسم، وكذلك لا توجد أنسجة دهنية أو عضلية تغمر العظام في أصابع القدم لتخفيف الآثار الناتجة عن الصدمات[٤٨١].

---

[٤٨٠] *James L. Culberson*, Biology Encyclopedia, Touch

[٤٨١] الشبكة الدولية للمعلومات.

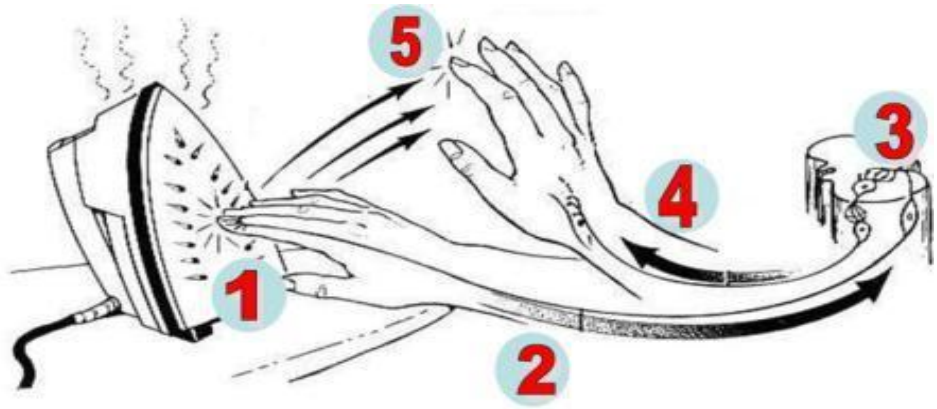

١ الإصابة تحدث لليد (لسع)
٢ إنتقال المعلومة عن طريق الأعصاب الحسية
٣ وصولها للجهاز العصبي
٤ الجهاز العصبي يصدر أمرا للعضلات يمر خلال الأعصاب الحركية
٥ إنقباض العضلات وإبتعاد اليد

وتحدث ردة فعل فجائية غير واعية بإبعاد اليد أو القدم عند الألم الحاد كلسع مكواة؛ والمعروف أنها نتيجة معالجة فورية في محطات بالنخاع الشوكي قبل أن تبلغ الإشارة مراكز الإدراك بالمخ، وفي عام ٢٠١٤ أثبت أندرو بروزنسكي Andrew Pruszynski ورولاند جوهانسن Roland Johansson أن الإشارات العصبية من أطراف الأصابع يُمكن أن تُعالج جزئيا بنفس النمط في محطات بالنخاع الشوكي قبل أن تصل إلى المخ لمساعدته على معالجة أشمل[٤٨٢].

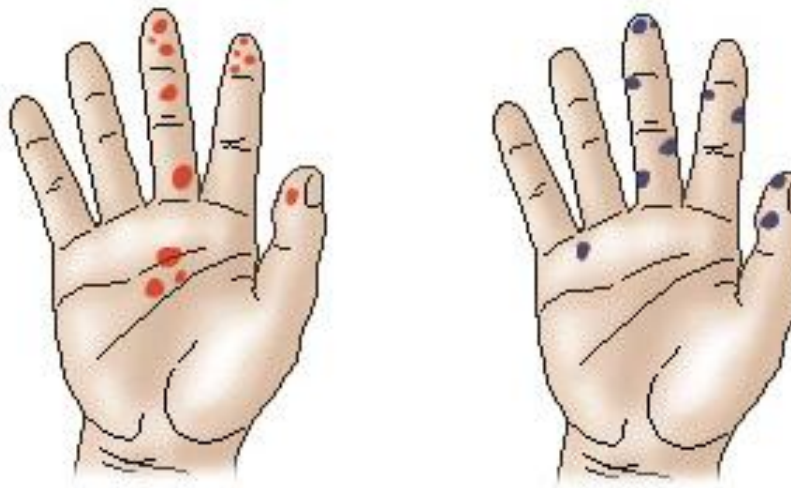

مستقبلات ميسنر — مستقبلات ميركل

وتوجد المستقبلات الحسية بكثافة بأطراف أصابع اليد؛ خاصة جسيمات ميسنر Meissner's Corpuscles وأقراص ميركل Merkel's Discs، لذا تعطي معلومات متناهية الدقة عن المنبه المحسوس حتى لو كان تأثيره في مساحة ضئيلة من الجلد؛ بخلاف بقية المناطق التي تعطى إحساسًا عامًّا عن الجسم الملموس، وتوجد كذلك مستقبلات تستشعر تغير الضغط والشد بالأنسجة العميقة وتنقل الإحساس للمخ ببطء مقارنة ببقية المستقبلات بأطراف الأصابع، وتشمل جسيمات باتشيني Pacinian Corpuscles بالعضلات والمفاصل، وجسيمات رافيني Ruffini's corpuscle التي تتواجد بالأنسجة العميقة وتحت جلد الأصابع خاصة وتستشعر تغير الشد ومن ثم يُستشعر وضع الأصابع، وتعمل أيضًا كمستقبلات حرارية Thermo-receptors؛ لذا يفقد المصاب الإحساس بالألم في الحروق العميقة، وتتواجد بكثافة كبيرة بأطراف الأصابع حيث يُعتقد أنها تنقل كذلك الإحساس بانزلاق الأجسام[٤٨٣].

[٤٨٢] Pruszynski, J. A. & Johansson, R. S. (2014). Edge-orientation processing in first-order tactile neurons. *Nature Neurosci.*

[٤٨٣] Wikipedia, the free encyclopedia: Bulbous corpuscle

كان لاختيار ضرب أطراف الأصابع إذن حكمة أعمق حيث أضافت عقاب الألم المبرح فوق تعجيز العدو وحرمانه من مسك السيف مجددًا، فهي أكثف منطقة بالمستقبلات الحسية الشديدة الحساسية وبإصابتها يبلغ الألم أقصاه: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ٨الأنفال:١٢، ووردت أطراف الأصابع أيضًا في تعبير تصويري يؤكد أن المنطقة شديدة الحساسية من الجلد هي أطراف الأصابع التي يعضها المنافق تعبيرًا عن الغيظ: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ٣آل عمران:١١٩.

والنظم يكتفي بالأهم في مقام بيان أشد المناطق إحساسا في الجلد؛ فيفرد الوجه واليد وأطراف الأصابع: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ المؤمنون:١٠٤، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الفرقان:٢٧، ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾ آل عمران:١١٩، ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ الأنفال:١٢، وعندما ترد جملة أعضاء يحفظ النظم الترتيب وفق درجة الإحساس وعدد المستقبلات والمساحة الممنوحة بالدماغ مطابقًا الواقع تمامًا، فتعطى العناية الأكبر بتقديم الأهم وظيفةً والممنوح أكبر مساحة بالدماغ؛ فتقدم الوجوه والجباه ومقدمة الجسم وتؤخر المنطقة الخلفية؛ والمعلوم أن الظهر أقل ثراء في الأعصاب الحسية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ محمد:٢٧، ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ الأنفال:٥٠. ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ الأنبياء:٣٩، ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ ٩التوبة:٣٥، وظاهرة الاكتفاء بالعضو الأهم والحفاظ على الرتبة في النظم بما يتفق مع الواقع المستور؛ لا يمكن نسبتها للمصادفة، خاصة مع تثنية النبأ وتكريره والتواتر بلا استثناء رغم تباين المقامات واختلاف الوظائف والأعضاء!.

وفي قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ٧٥القيامة:٣و٤؛ خصص لفظ (بَنَانَهُ) أطراف الأصابع لتمييز كل إنسان، فوافق موضع البصمة Fingerprint التي طبقت لتمييز كل إنسان، قال المراغي: "بلى نحن قادرون على ذلك وأعظم منه؛ فنحن قادرون على أن نسوى بنانه.. أطراف يديه ورجليه"[٤٨٤]، وفي سياق بيان أشد المواضع حساسيةً وإيلامًا؛ ورد لفظ (بَنَانَهُ) للدلالة كذلك على أطراف أصابع الأيدي والأرجل Fingertips: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ٨الأنفال:١٢، قال البغوي: "وَالْبَنَانُ جُمَعُ بَنَانَةٍ؛ وَهِيَ أَطْرَافُ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ"[٤٨٥]، فمن لم يَطَله القتل يناله أقصى ألم بضرب أطراف أصابع يديه وقدميه، وجعل ضربها بديلاً يوازي القتل؛ قرينة أنها في غاية التحسس للألم، ولا يكفي إذن التعجيز عن قبض السيف لتبرير اختيار أطراف الأصابع لإنزال العقوبة لأنها تشمل أصابع القدم؛ وإنما الجامع الإيلام،

وفي سياق الإيلام: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٢٧؛ اكتفي باليد، وفي سياق أكثر تخصيصا: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ٣آل عمران:١١٩؛ اختيرت أطراف أصابع اليدين خاصة بلفظ (الأنامل) لأن الإنسان لا يقضم أطراف أصابع قدميه، والصورة البيانية تجسد غاية غيظ المنافق بعضه ليديه؛ وتخصص موضع أهم مناطق حاسة اللمس واستشعار الألم.

---

[٤٨٤] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢٩\ ١٤٦).

[٤٨٥] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (١٣ ٣٣٥).

وفي نفس السياق: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ ٤٧محمد:٤، قال مخلوف: "أثخنتموهمْ: أوْسعتموهمْ قتلا وجراحا و أسرًا"[٤٨٦]، وإيلام الجراح عام لا يحدد منطقة يكثر فيها الإحساس؛ بخلاف التخصيص في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾، فقد اختيرت أطراف الأصابع نصًّا كأكثر المناطق إحساسًا، والدلالة إذن أن أطراف الأصابع هي أشد المناطق حساسيةً واستشعارًا بحاسة اللمس؛ وهو ما ثبت حديثًا بالفعل!.

[٤٨٦] حسنين محمد مخلوف؛ كلمات القرآن تفسير وبيان (ص٥٧).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الخازن: "الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سبب لإعزاز الدين..، عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه..، فأنزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ..، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين..، (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله، وقيل: هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله..، قال عكرمة: يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق. وقال الضحاك: معناه فاضربوا الأعناق.. وقيل: معناه فاضربوا على الأعناق فتكون فوق بمعنى على (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) يعني كل مفصل. وقال ابن عباس: يعني الأطراف وهي جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن الإنسان أن يبين ما يريد أن يعمله بيديه وإنما خصت بالذكر من دون سائر الأطراف لأجل أن الإنسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب، وقيل: إنه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الأعضاء وبضرب البنان وهو أضعف الأعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد. وقيل: أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الإنسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الإنسان عن الحرب لأن بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فإذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله..، وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة؛ السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية"[٤٨٧].

وقال الطبري: "وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: {فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} الأنفال:١٢، فَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهُ: فَاضْرِبُوا الْأَعْنَاقَ..، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: فَاضْرِبُوا الرُّءُوسَ..، وَاعْتَلَّ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِأَنَّ الَّذِي فَوْقَ الْأَعْنَاقِ الرُّءُوسُ، وَقَالُوا: وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ تَقُولَ: فَوْقَ الْأَعْنَاقِ فَيَكُونَ مَعْنَاهُ الْأَعْنَاقَ..، وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: فَاضْرِبُوا عَلَى الْأَعْنَاقِ. وَقَالُوا: «عَلَى» و «فَوْقَ» مَعْنَاهُمَا مُتَقَارِبَانِ، فَجَازَ أَنْ يُوضَعَ أَحَدُهُمَا مَكَانَ الْآخَرِ. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَلِّمَهُمْ كَيْفِيَّةَ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَضَرْبِهِمْ بِالسَّيْفِ أَنْ يَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ مِنْهُمْ وَالْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ، وَقَوْلُهُ: {فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} الأنفال:١٢؛ مُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ الرُّءُوسُ، وَمُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ فَوْقَ جِلْدَةِ الْأَعْنَاقِ، فَيَكُونَ مَعْنَاهُ: عَلَى الْأَعْنَاقِ وَإِذَا احْتَمَلَ ذَلِكَ صَحَّ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ الْأَعْنَاقُ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ مُحْتَمِلًا مَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّأْوِيلِ، لَمْ يَكُنْ لَنَا أَنْ نُوَجِّهَهُ إِلَى بَعْضِ مَعَانِيهِ دُونَ بَعْضٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، وَلَا حُجَّةَ تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِهِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِضَرْبِ رُءُوسِ الْمُشْرِكِينَ وَأَعْنَاقِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ؛ أَصْحَابَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ شَهِدُوا مَعَهُ بَدْرًا، وَأَمَّا قَوْلُهُ: {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} الأنفال:١٢؛ فَإِنَّ مَعْنَاهُ: وَاضْرِبُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عَدُوِّكُمْ كُلَّ طَرَفٍ وَمِفْصَلٍ مِنْ أَطْرَافِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ، وَالْبَنَانُ: جَمْعُ بَنَانَةٍ، وَهِيَ أَطْرَافُ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ"[٤٨٨].

وقال الزيد: "وقوله {فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} الأنفال:١٢؛ قال عكرمة: يعني الرؤوس لِأَنَّهَا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَعْنَاهُ فَاضْرِبُوا الْأَعْنَاقَ..، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ} مُحَمَّدٌ:٤، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ فَاضْرِبُوا عَلَى الْأَعْنَاقِ، فَوْقَ بِمَعْنَى عَلَى، {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} الأنفال:١٢، قَالَ عَطِيَّةُ: يَعْنِي كُلَّ مُفْصَلٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَالضَّحَّاكُ: يَعْنِي الْأَطْرَافَ، وَالْبَنَانُ جُمَعُ بَنَانَةٍ وَهِيَ أَطْرَافُ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ والرجلين"[٤٨٩].

---

[٤٨٧] علاء الدين علي بن محمد الخازن؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١\ ٢٩٦).

[٤٨٨] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١١\ ٦٩).

[٤٨٩] عبد الله بن أحمد بن علي الزيد؛ مختصر تفسير البغوي، دار السلام بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ (١\ ٣٤٤).

وقال محمد رشيد رضا: "(فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) أَيْ: فَاضْرِبُوا الْهَامَ وَافْلِقُوا الرُّءُوسَ أَوِ اضْرِبُوا عَلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَطِّعُوا الْأَيْدِيَ ذَاتَ الْبَنَانِ الَّتِي هِيَ أَدَاةُ التَّصَرُّفِ فِي الضَّرْبِ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ مُتَعَيِّنٌ فِي حَالِ هُجُومِ الْفَارِسِ مِنَ الْكُفَّارِ عَلَى الرَّاجِلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا لَمْ يَسْبِقْ هَذَا إِلَى قَطْعِ يَدِهِ قَطَعَ ذَاكَ رَأْسَهُ، وَالْبَنَانُ جَمْعُ بَنَانَةٍ وَهُوَ أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ، مُقْتَضَى السِّيَاقِ أَنَّ وَحْيَ اللهِ لِلْمَلَائِكَةِ قَدْ تَمَّ بِأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِتَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَصْرُ فِي قَوْلِهِ عَنْ إِمْدَادِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ ٣آل عمران:١٢٧، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ٣آل عمران:١٢٣-١٢٨، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ).. بَدْءُ كَلَامٍ خُوطِبَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنُونَ تَتِمَّةً لِلْبُشْرَى، فَيَكُونُ الْأَمْرُ بِالضَّرْبِ مُوَجَّهًا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ قَطْعًا، وَعَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ الَّذِينَ جَزَمُوا بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تُقَاتِلْ يَوْمَ بَدْرٍ تَبَعًا لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْآيَاتِ، وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا مِمَّا أُوحِيَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، وَتَأَوَّلَهُ هَؤُلَاءِ بِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِأَنْ يُلْقُوا هَذَا الْمَعْنَى فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِلْهَامِ، كَمَا كَانَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُهُمْ، وَيُلْقِي فِي قُلُوبِهِمْ ضِدَّهُ بِالْوَسْوَاسِ، وَلَا يُرَدُّ عَلَى الْأَوَّلِ مَا قِيلَ مِنْ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِلَّا إِذَا كَانَ الْخِطَابُ قَدْ وُجِّهَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ الْقِتَالِ، وَالسُّورَةُ قَدْ نَزَلَتْ بَعْدَهُ؛ لِأَنَّ نُزُولَ السُّورَةِ بِنَظْمِهَا وَتَرْتِيبِهَا بَعْدَهُ لَا يُنَافِي حُصُولَ مَعَانِيهَا قَبْلَهُ وَفِي أَثْنَائِهِ، فَإِنَّ الْبِشَارَةَ بِالْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ وَمَا وَلِيَهُ قَدْ حَصَلَ قَبْلَ الْقِتَالِ، وَأَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ ذَكَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِهِ بِإِنْزَالِ السُّورَةِ بِرُمَّتِهَا تَذْكِيرًا بِمِنَنِهِ، وَلَوْلَا هَذَا لَمْ تَكُنْ لِلْبِشَارَةِ تِلْكَ الْفَائِدَةُ، وَالْخِطَابُ فِي السِّيَاقِ كُلِّهِ مُوَجَّهٌ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ فِيهَا وَحْيَهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ بِمَا ذَكَرَ عَرَضًا، وَقَدْ غَفَلَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى الْأَلُوسِيُّ تَبَعًا لِغَيْرِهِ وَادَّعَى أَنَّ الْآيَةَ ظَاهِرَةٌ فِي قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ رِوَايَاتٌ ضَعِيفَةٌ تَدُلُّ عَلَى قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَعْبَأِ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَلَمْ يَجْعَلْهَا حَقِيقَةً أَنْ تُذْكَرَ، وَلَوْ لِتَرْجِيحِ غَيْرِهَا عَلَيْهَا، وَمَا أَدْرِي أَيْنَ يَضَعُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عُقُولَهُمْ عِنْدَمَا يَغْتَرُّونَ بِبَعْضِ الظَّوَاهِرِ وَبَعْضِ الرِّوَايَاتِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي يَرُدُّهَا الْعَقْلُ، وَلَا يُثْبِتُهَا مَا لَهُ قِيمَةٌ مِنَ النَّقْلِ، فَإِذَا كَانَ تَأْيِيدُ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالتَّأْيِيدَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي تُضَاعِفُ الْقُوَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ، وَتَسْهِيلُهُ لَهُمُ الْأَسْبَابَ الْحِسِّيَّةَ كَإِنْزَالِ الْمَطَرِ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْفَوَائِدِ لَمْ يَكُنْ كَافِيًا لِنَصْرِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِقَتْلِ سَبْعِينَ وَأَسْرِ سَبْعِينَ حَتَّى كَانَ أَلْفٌ وَقِيلَ آلَافٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَاتِلُونَهُمْ مَعَهُمْ فَيَفْلِقُونَ مِنْهُمُ الْهَامَ، وَيَقْطَعُونَ مِنْ أَيْدِيهِمْ كُلَّ بَنَانٍ، فَأَيُّ مَزِيَّةٍ لِأَهْلِ بَدْرٍ فُضِّلُوا بِهَا عَلَى سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّنْ غَزَوْا بَعْدَهُمْ، وَأَذَلُّوا الْمُشْرِكِينَ وَقَتَلُوا مِنْهُمُ الْأُلُوفَ! وَبِمَاذَا اسْتَحَقُّوا قَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا، وَفِي كُتُبِ السِّيَرِ وَصْفٌ لِلْمَعْرَكَةِ عُلِمَ مِنْهُ الْقَاتِلُونَ وَالْآسِرُونَ لِأَشَدِّ الْمُشْرِكِينَ بَأْسًا فَهَلْ تُعَارَضُ هَذِهِ الْبَيِّنَاتُ النَّقْلِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ بِرِوَايَاتٍ لَمْ يَرَهَا شَيْخُ الْمُفَسِّرِينَ ابْنُ جَرِيرٍ حَرِيَّةً بِأَنْ تُنْقَلَ، وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنُ كَثِيرٍ مِنْهَا إِلَّا قَوْلَ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: "كَانَ النَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ يَعْرِفُونَ قَتْلَى الْمَلَائِكَةِ مِمَّنْ قُتِلُوا بِضَرْبِ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، وَعَلَى الْبَنَانِ، مِثْلَ سِمَةِ النَّارِ قَدْ أُحْرِقَ بِهِ"، وَمِنْ أَيْنَ جَاءَ الرَّبِيعُ بِهَذِهِ الدَّعْوَى؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي رُؤِيَ مِنَ الْقَتْلَى بِهَذِهِ الصِّفَةِ؟ وَكَمْ عَدَدُ مَنْ قَتَلَ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّبْعِينَ، وَعَدَدُ مَنْ قَتَلَ أَهْلُ بَدْرٍ غَيْرَ مَنْ سُمُّوا وَقَالُوا قَتَلَهُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؟، كَفَانَا اللهُ شَرَّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي شَوَّهَتِ التَّفْسِيرَ وَقَلَبَتِ الْحَقَائِقَ حَتَّى إِنَّهَا خَالَفَتْ نَصَّ الْقُرْآنِ نَفْسَهُ، فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي إِمْدَادِ الْمَلَائِكَةِ: (وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ)؛ وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ تَقُولُ بَلْ جَعَلَهَا مُقَاتِلَةً، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يُمْكِنْ قَتْلُهُمْ إِلَّا بِاجْتِمَاعِ أَلْفٍ أَوْ أُلُوفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ خَصَّهُمُ اللهُ بِمَا ذَكَرَ مِنْ أَسْبَابِ النُّصْرَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ!، أَلَا إِنَّ فِي هَذَا مِنْ شَأْنِ تَعْظِيمِ الْمُشْرِكِينَ وَرَفْعِ شَأْنِهِمْ وَتَكْبِيرِ شَجَاعَتِهِمْ وَتَصْغِيرِ شَأْنِ أَفْضَلِ أَصْحَابِ الرَّسُولِ وَأَشْجَعِهِمْ؛ مَا لَا يَصْدُرُ عَنْ عَاقِلٍ إِلَّا وَقَدْ سُلِبَ عَقْلُهُ لِتَصْحِيحِ رِوَايَاتٍ بَاطِلَةٍ لَا يَصِحُّ لَهَا سَنَدٌ، وَلَمْ يُرْفَعْ مِنْهَا إِلَّا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ذَكَرَهُ الْأَلُوسِيُّ وَغَيْرُهُ بِغَيْرِ سَنَدٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ لَمْ يَحْضُرْ غَزْوَةَ بَدْرٍ لِأَنَّهُ كَانَ صَغِيرًا، فَرِوَايَاتُهُ عَنْهَا حَتَّى فِي الصَّحِيحِ مُرْسَلَةٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ غَيْرِ الصَّحَابَةِ حَتَّى عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ وَأَمْثَالِهِ"[٤٩٠].

---

[٤٩٠] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٩\ ٥٠٩).

وقال الشنقيطي: "وقوله: {فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ}؛ المأمور بالضرب في قوله: {فَاضْرِبُواْ}.. فيه وجهان..؛ (أحدهما): أن المأمور به الملائكة..، و(القول الثاني): أن المأمور بقوله: {فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ}؛ المسلمون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله: {فَوْقَ الأَعْنَاقِ}؛ المراد بالفوقية هنا فيه أوجه..، أما الذين قالوا: إن لفظة (فوق) زائدة وأن المراد: فاضربوا الأعناق، واستدلوا بقوله: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ} محمد:٤؛ فهذا القول لا يجوز أن يقال به في القرآن، لأن لفظًا جاء في القرآن لا ينبغي لأحد أن يحكم عليه بأنه زائد لا معنى له، وقال بعض العلماء: (فوق) هنا بمعنى (على) العرب تقول: ضربته على عنقه، وضربته فوق عنقه..، أي: فاضربوهم فوق الأعناق، أي: فاضربوهم على الرقاب، وهذا قول ليس ببعيد، وقال بعض العلماء: المراد بما فوق الأعناق؛ الرؤوس؛ لأن الرأس فوق العنق، قال: ومعناه فاضربوا رؤوسهم، والعرب معلوم أنها في الحرب تبادر لضرب الرؤوس..، أي: فاضربوا رؤوسهم وفَلِّقُوا هامهم..، وهذا معنى قوله: {فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} الأنفال:١٢..، والتحقيق أن البنان أطراف الأصابع..، لأن الرجل إذا ضرِبَت أطراف.. أصابعِهِ بالسيف لا يقدر أن يحمل سيفًا.. من جاءه قدر على قتله، فالضرب الذي عُلِّمُوه على نوعين: إصابة المقاتل، وإصابة.. الأطراف التي تمنع صاحبها من أن يفعل شيئًا..، وما زعمه بعض علماء العربية من أن المراد بالبنان هنا يصدق بجميع المفاصل وبالوجه والعينين، هو خلاف التحقيق المعروف من اللغة؛ لأن المعروف في اللغة: أن البنان أطراف الأصابع، بعضهم يقول: أطراف أصابع اليد؛ وبعضهم يقول: تدخل فيه أطراف أصابع الرِّجْل، والإطلاق المشهور: إطلاق البنان على أطراف أصابع اليد"[٤٩١].

وقال الهرري: "ومعنى: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ}؛ أي: فاضربوا الأعناق وما فوقها، وهي الرؤوس، ومعنى {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}؛ أي: واضربوا أطراف أصابع اليدين، سميت بذلك، لأنّ بها صلاح الأشياء التي يمكن الإنسان أن يعملها بيديه، وإنما خصّت بالذكر دون سائر الأطراف لأجل أن الإنسان بها يقاتل، وبها يمسك السلاح.. وقيل: إنه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الأعضاء، وبضرب البنان وهو أضعف الأعضاء، فيدخل في ذلك كلّ عضو..، وقيل: أمرهم بضرب الرأس، وفيه إهلاك الإنسان، وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الإنسان عن الحرب؛ لأنه بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به، فإذا قطعت بنانه تعطّل عن ذلك كلّه"[٤٩٢].

[٤٩١] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، تحقيق خالد عثمان السبت، دار عالم الفوائد بمكة المكرمة، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٦هـ (٤\ ٥٥٠).

[٤٩٢] محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري؛ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م (١٠\ ٣٥٠).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Fingertips

أطراف الأصابع

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ٨الأنفال:١٢.

- ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٤٧محمد:٤.

- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ. لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ٣آل عمران:١٢٣-١٢٨.

- ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٠٢-١٠٤.

- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٢٧.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ٣آل عمران:١١٨-١٢٠.

- ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ٤٧محمد:٢٧.

- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ٨الأنفال:٥٠.

- ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٩.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ٩التوبة:٣٤و٣٥.

- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ٧٥القيامة:٣و٤.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾
١٠يونس:١٩.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٠يونس:١٨و١٩،

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا﴾، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

All And people were (in Religion) **but one nation** (of Islamic Monotheism)**, then they differed, and If it were not for a predetermined word from your Lord, they would have been judged immediately regarding that wherein they differ.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٠يونس:١٩؛ فيه تهديد شديد للمخالفين لنداء الوجود كله بقدرة الله تعالى وجلاله وعظمته ووحدانيته، والاختلاف سمة الضلال والتخبط؛ والائتلاف سمة الهدى المُستنير والطريق المستقيم بلا عوج، فاقتضى الاختلاف والتفرق عقب الائتلاف والوحدة إرسال الأنبياء: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٢البقرة:٢١٣، كان الناس إذن على فطرة الإيمان فتنازعتهم الأهواء وحاد أكثرهم عن الطريق، هذا هو النبأ الذي وثقته الكشوف العلمية والأثرية حديثًا؛ وأثبتت أن التوحيد Monotheism ميراث عريق وأن التدين نزوع فطري وأن مبدأ كل نبوة وحكمة منذ القدم واحد لم يتبدل، فافتراء الإلحاد Atheism إذن بالزعم بأن التوحيد تطور المخيلة في صناعة الدين؛ خيبة وفضيحة!.

وإذا كان منشأ الناس منطقة واحدة وقومية واحدة ولغة واحدة؛ فالمُختار هو منطقة عامرة بالأنهار، والمنطقة المُرشحة بامتياز هي منطقة "العالم القديم" أو "الشرق الأوسط"؛ باعتبارها أرض الأنهار ومهد الحضارات والديانات، وقد توصلت الدراسات الحديثة بالفعل إلى أن اللغات السامية ترجع إلى لغة أصلية واحدة تُسمى باللغة السامية الأم Proto-Semitic، وهي عبارة عن لغة افترض علماء اللغويات أنها كانت موجودة منذ أكثر من ٦٠٠٠ سنة، وهي نفس فترة وجود اللغة الهندو-أوروبية الأم، وذلك تطبيقا للتسلسل المنطقي حيث يبدأ التفرع من لغة أم واحدة تنقسم تدريجيا إلى لهجات ثم لغات مستقلة تبقى بينها صلة قرابة، وهو ما ينطبق على اللغات السامية التي تتشابه فيما بينها؛ وهذا التشابه يكون ملحوظًا أكثر كلما كانت المجموعات اللغوية تنتمي إلى مناطق جغرافية متقاربة، واللغات السامية القديمة تتشابه فيما بينها، ومنها: لغات الهلال الخصيب كالأكادية والكنعانية والعبرية والآرامية والفينيقية، ولغات القرن الإفريقي كالأمهرية والجعزية، والعربية الجنوبية في فترة ممالك سبأ ومعين وحمير ومملكة أكسوم بالحبشة وكوش بالنوبة، والعربية الشمالية وتشمل اللحيانية والثمودية والديدانية والعربية الحديثة، وتميل اللغات المنشقة عن اللغة السامية الأم إلى تحويل الأصوات الأصلية إلى أصوات مشابهة في المخرج، وجميع اللغات السامية قامت بإبدال الأصوات ويشمل ذلك الإبدال أصوات العلة والذي يُستثنى منه اللغة العربية التي حافظت عليه بشكل تام[٤٩٣].

[٤٩٣] ويكيبيديا الموسوعة العالمية.

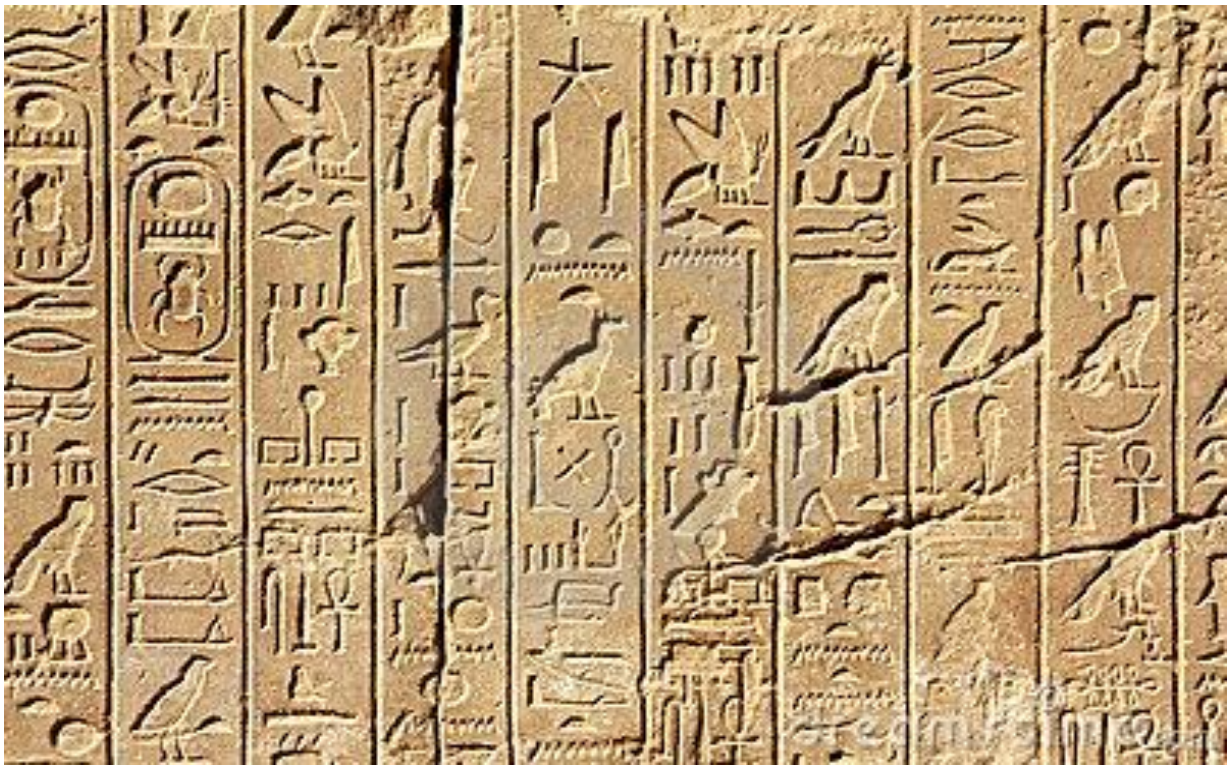

والهيروغليفية Hieroglyphics نظام كتابة وليست لغة؛ والكلمة تعني "النقش المقدس" وهي تصوير رمزي متعلق بالاعتقاد الديني، وتطورت بمصر للكتابة الشعبية الهيراطيقية ثم الديموطيقية ثم اختلطت باليونانية فنشأ الخط القبطي، وطورها قوم ساميون إلى الخط السيناوي الأولي ومنه استُنبطت كل نظم الكتابة الأبجدية المعروفة في العالم تقريبًا البائدة منها والباقية؛ وعلى رأسها الكتابة اليونانية القديمة والقبطية والرومانية، وكذلك كتابة كل اللغات الأوروبية[٤٩٤].

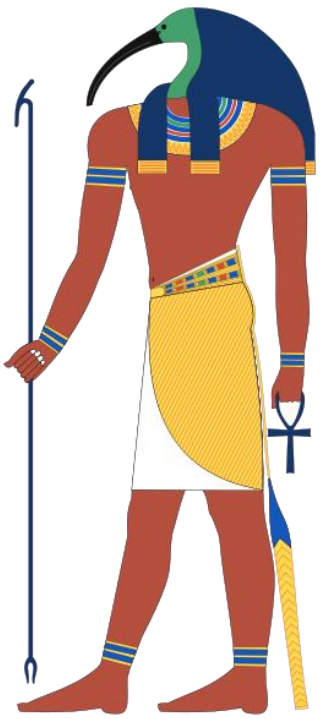

ومع التفرق في اللغات وكثرة الهجرات الكبيرة ومخالطة الشعوب المجاورة؛ ظهر الاختلاف في المعتقد الديني، ومع توفر الكثير من المكتشفات الأثرية وإمكان ترجمة النقوش القديمة الرمزية الدلالة أمكن التوصل إلى معرفة الأصل، فالطائر يُحلِّق في الأعالي لتنكشف له التخوم، والحكيم يطير كذلك مع أفكاره في صفاء الأعالي لاستنباط حكمة الأشياء، هكذا صورت النقوش الأثرية المصرية القديمة المكتشفة في المعابد والمقابر؛ الحكيم تُحوت Thoth بشكل طائر، رمزًا يُجَسَّد اعتباره رسولاً للإله ذو معرفة روحية وطهارة؛ وكأنه طائر يُحَلِّق في الآفاق ليطالع حكمة الرب المبثوثة في كل أرجاء الوجود ويهبط بالحكمة ليبثها للناس؛ فتنير دروب الغافلين وتوقظ وجدانهم ليوم الحساب[٤٩٥]، وليس سعي الحكمة إذن إلا استبصار حكمة الرب المُتَجَلِّيَة في خَلقِه؛ والتي يَهبَها للإنسان الجدير بفهم حكمته، فاستجاب نوابغ منذ القدم لنداء الوجود بالتوحيد وسَجَّلُوا ابتهالات تُمَجِّد الرب، وتَفْنَى اليَّد الكاتبة وتبقى الحكمة خالدة، وإن خَفِيَت عن العَوَام وأَسرَى التقليد وجمود الإلف والاعتِيَاد؛ فَأقدِرِي العَجَب والانبِهَار ببديع صنع الرب، تلك بعض ما في الوثائق من حكمة تحوت أحد حكماء مصر قديمًا؛ وقد عاش على أقل تقدير منذ خمسة آلاف عام قبل الميلاد[٤٩٦].

---

[٤٩٤] ويكيبيديا الموسوعة العالمية.

[٤٩٥] http://www.michaelmandeville.com/library/egypt/thothpro.htm

[٤٩٦] متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة ثيموثي فريك وبيتر غاندي ترجمة عمر الفاروق عمر ٢٠٠٢، هرمس المثلث العظمة أو النبي إدريس لويس مينار ترجمة عبد الهادي عباس، هرميس الحكيم الترجمة الدقيقة الكاملة لأقدم تعاليم دينية منسوبة لمثلث العظمة، قدماء المصريين أول الموحدين د. نديم السيار.

وافتُتِنَ الإغريق بحكمة المصريين القدماء؛ وتمثَّلوا تُحوت المُرْسَل بالحكمة بمعبودهم هرمس Hermes؛ والمُحَلِّق عاليا في السماء بهيئة الكوكب عطارد كاشفًا الآفاق، أو كطائر البوم الذي اعتقدوا أنه يدير رأسه لكل الجهات فيُمكنه رؤية المُخْتَفِي خلف رأسه، وهذا هو أيضًا حال الإنسان الحكيم؛ الذي لا يطلق رأيًا إلا بعد أن ينظر في الأمر بِرُمَّتِه من كل جوانبه فيرى ما لا يراه سواه؛ وكذلك كان تُحوت، والمُرْسَل بالحكمة هو أكمل عقل لمعرفة الله تعالى وأكمل مُعَلِّم ومُرْشِد إليه، وتمييزًا عن معبودهم؛ سمُّوه هرمس مثلث العظمة Hermes Trismegistus، أي العظيم ثلاثا؛ تكريمًا لمعرفته السَّامِيَة، وثلاثي القوة؛ لأنه لم يكتف في رؤية العالم حوله بعينين فحسب كالعوام، وإنما أضاف إليهما عينًا ثَالِثَةً هي عين البَصِيرَة؛ أي التَّفَكُّر في الخلق واستبصار المَغزَى الكَامِن بالاستدلال على جلال الخالق، وثلاثي التعليم؛ لأنه كان يصف الله تعالى بثلاث صفات أساسية جامعة؛ أنه: أزلي (وسواه عارض عابر؛ فهو إذن الخالق)، حي (قيوم قادر؛ يُدَبِّر شئون خلقه)، حكيم (في كل تدبيره؛ بعلم محيط بكل الجوانب)، أي فريد الصفات واحد أَحَدْ لا مَثِيلَ لقدرته مُنَزَّه تعالى عن صفات المخلوقين، وهو تعالى مَالِك النَّوَاصِي؛ وفَاطِر المُهَج ومُوَجِّه المَقَاصِد، والمُلهِم للاختراع والإبداع والفنون والصناعات، وهو واهب حكمة التوحيد[٤٩٧].

والحكيم تحوت تعليمه ثلاثي يوجز كل صفات كمال الإله المتجلية فيما خلق في كل جوانب العالم الأربع؛ وقد نُسبت إليه معارف في الفلك والحساب والهندسة والكتابة؛ وقيل أنه المرجع الأول لإبداع تصميم الشكل الهرمي المثلث الجوانب على قاعدة مربع يتجه كل ضلع منه لإحدى الجهات الأربع للعالم، وهي حال الأهرامات الثلاثة الكبرى بالجيزة وتوائمها الثلاثة الصغرى جوارها؛ وكأن كل جانب مثلث الشكل يرمز لصفة جامعة من صفات الله الثلاثة؛ وتتوحد الجوانب في نقطة وحيدة كأنها تنطق بأن الإله واحد أحد لا شريك معه، وهو الطابع الشائع لأهرامات مصر التي تبلغ ٩٧ هرمًا، ونفس طابع قمم مسلاتها الباقية التي تبلغ ٧٨ مسلة؛ وأخرى غير مكتملة وجدت بأسوان وتكشف براعة النحاتين[٤٩٨].

ووفق القاموس الماسوني ترجح أهمية المثلث لرمزيته على الإلوهية Deity عند الأمم قديمًا، واعتباره عند اليهود هيكل مقدس لمربع داخله يرمز لأربعة حروف عبرية YHWH تشير إلى اسم الرب يهوه Tetragrammaton[٤٩٩]، واتخذ الماسون حديثًا الهرم المثلث الجوانب شعارًا عليه عين العناية الإلهية Providence (all-seeing) eye of God، وفي المأثور الهندوسي يرمز المثلثين المتقابلين إلى الإله الخالق العَلِي الصِّفَات؛ وبداية الخلق والحياة على الأرض[٥٠٠].

---

[٤٩٧] متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة ثيموثي فريك وبيتر غاندي ترجمة عمر الفاروق عمر ٢٠٠٢، هرمس المثلث العظمة أو النبي إدريس لويس مينار ترجمة عبد الهادي عباس، هرميس الحكيم الترجمة الدقيقة الكاملة لأقدم تعاليم دينية منسوبة لمثلث العظمة، قدماء المصريين أول الموحدين د. نديم السيار.

[٤٩٨] ويكيبيديا؛ الموسوعة العالمية.

[٤٩٩] http://www.masonicdictionary.com/triangle.html

[٥٠٠] الشبكة العالمية للمعلومات.

والشكل الهرمي المثلث الجوانب على قاعدة مربع هو أيضًا نفس طابع الأهرامات في السودان التي تربو أعدادها على ٢٤٠ هرمًا ويوجد بكل منها معبد مُلحق ينطق بأنها رمز للعبادة، فيقف أكثر من ٩٨ هرمًا على طول الشريط النيلي بالولاية الشمالية، وفي منطقة البجرواية يقف ١٤٠ هرما يعود تاريخها إلى العهد المَرَوِي (٩٠٠ ق. م - ٣٥م)، ويرى باحثون أن تاريخ الأهرام والمعابد طبقا للكتابات الهيروغليفية على جدرانها؛ يمتد منذ بواكير الحضارة الإنسانية وحتى حوالي ألفي عام قبل الميلاد، وذلك في مناطق كانت تُمَثِّل عُمق دُويلات النُّوبَة ومملكة كوش في الزمان القديم[٥٠١]، قال الأثري المصري د. زهي حواس: "جاء في مذهب خلق الكون الخاص بمدينة أون (عين شمس حاليًا)؛ أن الإله أتوم ظهر علي التل الأزلي الذي اتخذ شكل هرم مدبب القمة وعليه صورة طائر يرمز لأتوم كناية عن بداية الخلق والحياة"[٥٠٢].

---

[٥٠١] ويكيبيديا؛ الموسوعة العالمية.

[٥٠٢] د. زاهي حواس؛ قضايا وآراء: قصة أهرام مصر خوفو والهريم الذهبي، جريدة الأهرام العدد: ٤١٩٢٨، ٥ رجب ١٤٢٢هـ-٢٢سبتمبر ٢٠٠١م (باختصار).

وأسند الإغريق إلى الحكيم المصري القديم الذي سموه هرمس؛ كل التعاليم، وقد تكون ثمرة معارف أجيال من الحكماء المُعَلِّمِين ولشهرته نسبوها جميعًا إليه، ومتون هرمس تُسمَّى بالهرمسيات Corpus Hermeticum؛ وقد كُتِبَت بالهيروغليفية التي اندثرت حوالي القرن الرابع قبل الميلاد؛ ولم تُعرف مُجَدَّدًا إلا بعد اكتشاف حجر رشيد عام ١٧٩٩ وإمكان ترجمة النقش، وجَمَع المُتون كهنة الإسكندرية زمن مجد الإغريق؛ وصاغوها باليونانية وتُرجمت مؤخرًا للإنجليزية ومنها للعربية، وهي دليل تاريخي كافي على أن التَّوحِيد نهج الحكمة منذ القدم، ومن مواعظ هرمس التي تُدَلِّل على عراقة الإيمان بوحدانية الله تعالى وقدرته: "تأمل لِلَحظَة كيف تَأَتَّى لك أن تُخلق في الرحم، فَكِّر في صُنع القادر، وابحث عن الصَّانع الذي أبدع جمال صور (الخلق)، فمن ذا الذي أدار حدقة عينيك، ومن ذا الذي فتح أنفك وفمك وأذنيك، ومن ذا الذي مد أربطتك وربطها ببعضها، ومن ذا الذي أنشأ عظامك وكسى لحمك بالجلد، ومن ذا الذي سوى أصابعك وبسط قدميك، ومن ذا الذي شَكَّلَ قلبك وَجَوَّفَ رئتيك، ومن ذا الذي جعل جمالك ظاهرًا وأخفي قبح أمعاءَك، كم من الصَّنائع صُنِعَت وكم من الأعمال أُبْدِعَت لتجسيد المخلوق الإنساني، فلا التماثيل ولا التصاوير تَحْدُث من تلقاء ذاتها دون عمل ناحت أو راسم؛ أفلا يكون لهذا العمل المُتَعَالِي من خَالِق (مُفرد واحد)!"[٥٠٣].

[٥٠٣] متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة ثيموثي فريك وبيتر غاندي ترجمة عمر الفاروق عمر ٢٠٠٢، هرمس المثلث العظمة أو النبي إدريس لويس مينار ترجمة عبد الهادي عباس، هرميس الحكيم الترجمة الدقيقة الكاملة لأقدم تعاليم دينية منسوبة لمثلث العظمة، قدماء المصريين أول الموحدين د. نديم السيار.

ويُحَاوِل هرمس في متونه لفت انتباهنا لِنَتَيَقَّظ ونرتجف خَشيةً بِحُسن صُنع المُبدِع القَدِير، ويُرَدِّد الدعوة لتأمل الكون المُرَوِّع الضَّخَامَة بِدَهشَةٍ وانبِهَار وتَوَاضُعٍ أمام عملٍ بديع رائع؛ مُنَظَّم ومُرَتَّب بِحِكمَةٍ واقتدار، لا تُفَسِّر حفظ نظامه صدفة عمياء؛ وإنما إرادة نافذة ذات قصد منذ الابتداء، فكل الأجرام الفلكية تُشرق وتَأفُل بانتظام؛ ولا حضور دائم لأي منها لترعى شأنًا أو تؤثر في كيان، فهي إذن مُقَدَّرَة المسير مُوَجَّهَة، تنطق بمُقتدر حكيم وعليم خَطَّ لكل منها مسارًا وحدد المدة لتقطعه، والنَّاظِر في الوجود المُتَرَابِط الأحداث في تكامل وتناسق وتناغم وانسجام؛ وتلاؤم وتآلف، والمُحكم الترتيب المُنَظَّم بقوانين وَاحِدَة وشَامِلَة وصَارِمَة؛ إذا لم يلتفت إلى ضرورة وجود مشيئة مُقَدِّرَة ومُدَبِّرَة وقَاهِرَة وغير مُتَحَيِّزَة بمكان؛ لا يُدرِكهَا بَصَر، خلف كل هذا الإبداع والعناية والرعاية التي ينطق بها كل وجود أو حدث؛ فقد فَاتَهُ المَغزَى الكَامِن وغَفَلَ عن الافتقار للصَّانِع، وصَارَ أسيرًا كالعَوَام لمتطلباته المَادِّيَة؛ مُقَصِّرًا في تَوظِيف مَلَكَة التَّفَكُّر والاستِبصَار التي ميزت الإنسَان عن الحيوان، وبهذا يُحاول هرمس أن يُعيدنا لمشاعر الطفولة الغَضَّة والإحساس بالتواضع والرَّهبَة والخُشُوع؛ أمام عجائب الوُجود النَّاطقة بجلال المُبدِع القَدِير!.

والإله الخالق يُدعَى بالهيروغليفية آتوم Atum، ومعناه: الكامل أو التام؛ أي مُطلق القدرة، وتأملات هرمس تُوجزها متونه: "آتوم.. هو أعظم من أن يُطلق عليه اسم آتوم (أي تعجز اللغة عن التعبير عن صفاته بالكلمات)، هو الخفي المُتَجَلِّي (بصفاته الحسنى) في كل شيء، تُعرف كينونته بالفكر وحده؛ وتُدركه عيوننا في (شواهد) الآفاق..، هو الجوهر الكامن في كل شيء..، آتوم كامل (الصفات)..؛ ويُحيط (علمه) بكل شيء، هو الواحد الذي ليس كمثله شيء"، ومن النبوءات الهرمسية: "الحكمة الخالصة هي الجهد الروحي (الفكري) في التأمل المستمر للوصول إلي معرفة الإله الواحد آتوم، لكن سيأتي زمان لا يطلب فيه أحد بذل جهد في الحكمة بطهارة قلب ووعي..؛ آه يا مصر، لن يبقي من دينك شيء سوي لغو فارغ (شكليات بلا جوهر)..، لن يبقي شيء يُروي عن حكمتك إلا علي شواهد القبور القديمة، سيتعب الناس (بفقدها)..؛ ويكفون عن رؤية الكون كشيء جدير بالعَجَب المُقَدَّس، ولسوف تُصبح الروحانية (الحكمة) التي هي أعظم بركات الله مُهَدَّدَة بالفناء..، ولا.. يكون العَالَم جديرًا بالحب كمعجزة؛ من خلق آتوم.. ولا كشاهد عظيم علي فضله..، (معجزةً) تُذكِّي في مشاهدها الإجلال والحمد..، ولا تُسمع ولا تُصَدَّق كلمات تبجيل وثناء (للإله)؛ تتجه إلى السماء"[٥٠٤]، وتَدَبُّر الوجود إذن هو السبيل لأَعلَى مَرَاتِب العِبَادَة؛ لأن المُتَأَمِّل يُوقِن بعظمة المُبْدِع ويَتَعَرَّف من جمال الصَّنْعَة على جَلَال الصَّانع، ويُكَرِّم القرآن الكريم مَن تَأَمَّل فَتيقظ ووَعَي بالمَغزَى الكَامِن؛ وخشع في عبادة الصانع، عبادةً بالفكر تخشع معها الجوارح: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ٣آل عمران:١٩١.

---

[٥٠٤] متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة ثيموثي فريك وبيتر غاندي ترجمة عمر الفاروق عمر ٢٠٠٢، هرمس المثلث العظمة أو النبي إدريس لويس مينار ترجمة عبد الهادي عباس، هرميس الحكيم الترجمة الدقيقة الكاملة لأقدم تعاليم دينية منسوبة لمثلث العظمة، قدماء المصريين أول الموحدين د. نديم السيار.

وتَرِد في القرآن الكريم تعبيرات تتضمن الدلالة على فطرية الإيمان بالله تعالى؛ وأنه غريزة مغروسة في أعماق النفس مجبول عليها كل إنسان، فلفظ "الكفر" يعني التغطية على مكنون؛ كتغطية الزُّرَّاع لبذور ينبغي أن تُثمر، ولفظ "الشرك" يعني اصطناع شريك مُفتَعل لا ينفي وجود الأصل، وتتحقق النَّجَاة والخَلاص إذن بالمعرفة بالخالق المُدَبِّر وراء كل المظاهر المُعَايَنَة؛ سعيًا وراء الحقيقة الكامنة خلف كل وجود أو حدث، لا اكتِفَاءً فحسب باكتشاف العلاقات والقوانين والتَّوَقُّف عن التَّأَمُّل والبحث أعمق من الأسباب المَادِّيَّة الظَّاهِرَة، والتَأَمُّل يدفع عن الوجود إيجاده عبثًا بلا غرض، فكل حدث مُوَجَّه بإتقان Perfectly-Directed ليحقق غرضًا Goal خَطَّته إرادة مقتدرة عليمة قاهرة؛ ولا يَتَخَلَّف عن موعده، وكل كيان مُوسِر التفاصيل؛ مُصَمَّم على أحسن حال Well-Designed، ليقوم بوظيفة مُقَدَّرَة في تكامل مع سواه؛ مثل الزوجين الذكر والأنثى يتكاملان تشريحيًّا ووظيفيًّا ونفسيًّا، والغرض هو الحفاظ على النوع، فالأكيد الذي لا لبس فيه والذي شهدت به الحكمة قديمًا وكل مجالات العلم حديثًا؛ وجود نظام Order، فأين إذن الفوضى Chaos؛ لِتَغفَل الأذهان عن مظاهر الجلال وشواهد الكمال، فكل ذرة في الكون تنطق بجلال الله وكل تكوين، ويَرَى الحكيم رحمته وفضله في كل حدث يَمُر؛ ويُعاين قدرته تعالى في كل نَازِلَة!.

وإلحاقًا بمبدأ التوحيد؛ آمنت مصر منذ القدم ببعث الأجساد للحساب، حيث تُنفَخ فيها الأرواح ويُجَر الإنسان إلى ميزان العدل الذي ينتظر إلى جانبه وحش ترهيبًا، ويوزن قلبه مقابل ريشة طائر لمعرفة كونه طاهرًا خفيفًا كريشة أم مثقلاً بالذنوب؛ فإن خف قلبه نجا وإلا فالهلاك الأبدي، وفي القرآن الكريم الكتاب الجامع لكل حق؛ تنويهًا لحكمة أمم بائدة وكشفًا لنقوش طوي معناها الزمان ورسوم غامضة، تُوزن الأعمال الصالحة في المقابل ترغيبًا بميزان العدل والقسط لبيان دقة الحساب: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٤٧، إنها إذن حكمة سَجَّلَهَا التاريخ ونَوَّهَ إليها القرآن الكريم تردد على مسامع الفطين قائلةً: تيقظ تأمل وتدبر؛ انتبه واعتبر، واستعد للمصير: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٠٢و١٠٣.

والإيمان بالله الخالق العظيم؛ الواحد والوحيد (الأحد) وبعثه لِعِبَادُه يوم القيامة للحساب، اقتضى حفظ أجساد الموتى، فبرع الكهنة في مصر قديمًا في فن التحنيط Mummification، وكانت كل الأحشاء تُستخرج وتحفظ في أربعة جرار تسمى بالكانوبية نسبةً إلى مدينة كانوب؛ موضع أبو قير حاليًا، ويُترك القلب باعتباره مُمَثِّلاً للضمير، واعتقدوا أن الروح عند الموت تُغَادِر الجسد بهيئة طائر[٥٠٥]؛ يَحمِل مَلاَمِح الرَّاحِل ويحفظ كل ذكرياته وأعماله، وعند الحساب يلاقيه بكل ما عَمِل قيدًا في عنقه كقيد الأسرى العبيد؛ لا فكاك منه، ومن باب التمثيل المُتَضَمِّن العلم بمُعتَقَد الروح المُجَسَّدَة كطائر، والذي طوته السنون؛ يُنَوِّه القرآن الكريم مُعَبِّرًا عن عمل الإنسان في حياته بطائر، وعن امتناع الفكاك يوم القيامة من حساب الله تعالى له، كحال العبد الأسير المُقَيَّد بأساور

[٥٠٥] ويكيبيديا؛ الموسوعة العالمية.

الحديد في العنق؛ حيث لا فِكَاك: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا. اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ١٧الإسراء:١٣و١٤.

ويَتَّضِح أن الدَّخِيل قد لازم قبل الإسلام مبدأ التوحيد؛ أصل دعوة الأنبياء والحكماء، فشوهه أو كاد أو حَرَفَهُ بالعمد إلى نقيض وجهته من تَرِكَة المُوَحِّدِين في معرفة الرب؛ فضلا عن سوء التأويل وسهو الناسخ واللبس في الترجمة، وتحولت معايشة التجربة التعبدية الذاتية إلى طقوس شكلية وتقليد بارد، ولِحِكمَةٍ؛ كتب هرمس متونه بخط هيروغليفي لا شعبي، وأخفاها مُدَّخَرَة لقادم الأيام، فعادة الشعوب رفع الحكيم إلى مكانة سامية؛ وبتطاول الزمان يتحول الاحترام لتقديس، ويصبح القبر مزارًا ومعبدًا يعج بالكهان، وتعمل المخيلة لتنسج الأساطير فيختلط الدخيل ببقية مُشَوَّهَة من الأصل، ومجاراة العُرف في تبجيل العظماء مَجَازِيًّا يَصطَنِعهُ المُزَوِّرون والمسيئون التأويل شذوذًا في اعتقاد المُقَلِّدِين المخدوعين، كما حدث مع تعبير البُنُوَّة: "ابن الله"؛ في حين أن الأسفار تنعي بشدة على المُتَأَخِّرِين المُدَّعِين الحكمة مخالفة مبدأ التوحيد؛ إرث النبوة والحكمة: "إنهم بلا عذر.. لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم.. وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى..، وعبدوا المخلوق دون الخالق!" الرسالة إلى رومية ١١ ٢٠-٢٥ :Romans (Rom)[٥٠٦].

وتَأَلِيه العُظماء، أو الانتساب للإله بتعبير البُنُوَّة؛ مسلك شائع في تاريخ الأمم، ففي مصر قديمًا زعم الكهنة إمكان حلول الإله في أجساد الملوك؛ فأحاطوهم بالأساطير، وأصبح كونهم آلهة مُتَأَنِّسَة أمرًا مألوفًا عند الرَّعِيَّة، فَشُيِّدَت لَهُم المعابد وقُدِّمَت لتماثيلهم العَطَايَا والقَرَابين وأُلِّفَت الأناشيد لتمجيدهم، ولم يكن أوزوريس Osiris وزوجته إيزيس Isis وابنهما حورس Horus وأختها نفتيس Nephthys في الأصل سوى أسرة ملك محبوب اغتاله أَخٍ له مفرط الطموح طامع في السلطة، فحُكِيَت عنهم الأساطير وضَمَّهم الكهنة لقائمة الآلهة الخالدين، ويُؤثر عن الملك السومري شولجي (٢٠٢٩-١٩٨٢ ق. م) قوله مجازيًّا: "أنا ملك الأحياء الأربعة (أركان الدنيا)؛ وإله كل البلاد، والابن المولود لِنَنْ سُونْ (معبود قومي)"؛ وخاطبه قائلا: "ليس لي أب؛ أنت أبي"، وكان الأتباع يعتقدون أيضا أن فيثاغورث (٥٨٠-٥٠٠ ق.م) ابن الإله[٥٠٧]، وتفيض الأسفار بتأليه الأشخاص مَجَازِيًّا؛ قال الله لموسى (الخروج ٧ ١): "أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ"، ومضمون التمثيل أن يجعله ذو سلطة تُرهب فرعون وتدفع بطشه، وقال لموسى عن هارون (الخروج: ٤ ١٦): "هُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ، وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهًا"، وأطلق داود لقب الآلهة وأبناء الله على كل شعبه بقوله (المزامير: ٨٢ ٦): "أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؛ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ"، وهذا هو الذي استشهد به عيسى عندما قال لأحبار يهود عصره (يوحنا: ١١ ٣٤-٣٦): "أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؛ إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ.، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الأَبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: أَنِّي ابْنُ اللهِ!"[٥٠٨]، ولكن البنوة لله تعالى المُعتاد إطلاقها على سبيل المجاز؛ قد أدت إساءة تفسيرها حرفيًّا من بعد إلى نهش الوثنية لمُعتَقَد التوحيد؛ حتى أعاد الإسلام إلى التوحيد بهاءه من جديد.

والتعبير المجازي يُحمَل على فحوى الكلام لا ظاهر اللفظ، ومنه: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ ١٨الكهف:٧٧؛ أي آيل للسقوط، لا أنه ذو إرادة على ظاهر اللفظ، ويُحمل على زمن الحدث ومعهود بيئة أَوَّل المخاطبين وإرثهم الثقافي وتصوراتهم الذهنية؛ لا زمن المُطَالِع للمكتوب من بعد ومعهود بيئته، ومنه: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ ٣٧الصافات:٦٤و٦٥، والتشبيه قائم على المعهود الذهني لا على واقع مُشَاهَد لرءوس الشياطين، والمضمون التهويل في التقبيح، ويَرِد لفظ القلب كتعبير رمزي عن الضمير أو تمثيل للملكات العقلية؛ بيانًا للمكانة لا المكان، ويَرِد تعبير البُنُوَّة بيانًا للإيمان والصلاح: "أولاد الله؛ أي المؤمنون" يوحنا ١١ ١٢، وأيضًا: "طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ" متى ٥ ٩، وأيضًا: "لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ؛ فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ" رِسَالَةُ بُولُسَ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ ٨ ١٤، وتدعو الأسفار بكل وضوح إلى عبادة الله الخالق تعالى

---

[٥٠٦] الكتاب المقدس؛ نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية بمصر.

[٥٠٧] ويكيبيديا؛ الموسوعة العالمية.

[٥٠٨] الكتاب المقدس؛ نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية بمصر.

وحده من بين كافة الآلهة الزائفة المزعومة؛ وإلى التَقَرُّب إليه تعالى بالطاعات: "الرَّبَّ إِلهَكُمْ هُوَ إِلهُ الآلِهَةِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ الإِلهُ الْعَظِيمُ الْجَبَّارُ الْمَهِيبُ.. الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي؛ إِيَّاهُ تَعْبُدُ وَبِهِ تَلْتَصِقُ" تثنية ١١ ١٧-٢٠[٥٠٩].

ولغرض مَا حجبت الترجمة العربية لمتون هرمس نَصٌّ ذو مغزًى لافت؛ يُحتسب من البِشَارَات بِمَقْدِم عهد جديد يتخطى حدود مصر ويَسُود العالم كله، يَتَجَدَّد فيه الإيمان ويَتَجَلَّى التوحيد: "ولكن عندما تنزل كل هذه النوازل..؛ فإن الله المُعَلِّم (مصدر الحكمة) الرَّحِيم..، سوف يَقْضِى بأن تَمُر هذه البلايا وتَنْتَهِي..، سوف يدعو الله كل الذين ضَلُّوا عن هُدَاهُ!؛ للعودة إلى الطريق المستقيم..، وهكذا يُعِيد اللهُ العَالَم إلى سيرته الأولى.. سوف تَرْتَفِع إليه أصوات المؤمنين به في تلك الأيام بالتَّسْبِيح والدُّعَاء..، يقضى بعظمته وجبروته بأن تعود الطبيعة إلى رونقها السابق..، هكذا قضى الله؛ وهكذا قضت مشيئته الأبدية"، وفاضت كلماته بالدَّعَوَات والابتَهَالات والتَضَرُّعَات: "أدعوك آتوم بِخَشيَةٍ وتبجِيلٍ، مُتَوَسِّلاً ألا أضل طريق تلك المعرفة التي أبدعتها (أي وهبتها لي)؛ حتى أُرسِل النور لأولئك الذين مازالوا في ظلام..، طلبت منهم القيام حتى يتلقوا بذور الحكمة؛ التي أود أن أغرسها في نفوسهم بتلك التعاليم"، وقَصَّ تجربته الفكرية؛ أو كما سماها الروحية: "لقد كنت الشاهد من خلال العقل الواعي علي ما خَفِيَ في السماء (حيث عالم الرفعة والطهارة والصفاء والخلود)؛ وبالتَّأَمُّل وصلت إلي معرفة الحقيقة، وصببتها في هذه المتون..، سجلتُ في هذه المتون أسرار الإله.. بحروف مصرية مُقَدَّسَة في أمشاق (مقاطع كتابية؛ خراطيش) على هذه الصخور وأخفيتها (كنزًا مُدَّخَرًا) لعَالَم المستقبل؛ الذي سوف يُحَاوِل الإنسان فيه البحث عن حكمتنا (التوحيدية) المقدسة"[٥١٠].

ومرت القرون إلى أن جدد النبوءة يوحنا المعمدان، وهو النبي يحيى بن زكريا في الإسلام؛ ونبي الصابئة المندائية صاحب كتابهم تعاليم يحيى (دراشة أد يهيا)، والذي قام بتعميد ابن خالته عيسى عليهما السلام بتطهيره في نهر الأردن، وسجلت الأسفار نبوءته بقوله لقومه مبشرًا ومهددًا بالنبي القادم: "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات..، يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة..، والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر؛ فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني؛ الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه" إنجيل متى ٣: ١٠و١١ Matthew Mt، ويُفَسِّر مُعاصره النبي عيسى عليه السلام مثل الشجرة للأمة القادمة التي تتسلم لواء التوحيد وتثمر تقوى وصلاح؛ بمثل يكشف حال النبي المنتظر المؤيد بالدلائل، وهو حجر المنتصف أعلى الأبواب الرومانية المقوسة الذي تستند على جانبيه بقية الحجارة كلها: "قال لهم يسوع: «أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية؛ من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا؟ لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه» إنجيل متى: ٢١ ٤٢-٤٤ Matthew Mt[٥١١].

تعاليم هرمس (الحكيم تُحوت) هي إذن خلاصة لتأملات عميقة لمست الحقيقة وأدركت جوهر الموجودات؛ فنطقت بوحدانية الله تعالى، سماه الفرس: أنبجهد، والصابئة: دنانوخ، واليهود: أخنوخ؛ وهي كلمة تعني المُلْهَم، وفي أسفارهم أنه سلك طريق الإيمان بالله تعالى الواحد الأحد وعبادته وحده حَتَّى تَقَبَّلَهُ تعالى بإحسان وأخذه عنده نحو العلاء طاهرًا سَامِيًا مُقَرَّبًا ومُكَرَّمًا: "سلك أخنوخ مع الله؛ ولم يوجد بعد لأن الله أخذه" التكوين ٥ ١٨-٢٥[٥١٢]، وورد في التراث الإسلامي استنتاج أنه النبي إدريس لعبارة القرآن الكريم في بيان حياته وخاتمته: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ١٩مريم:٥٦و٥٧، وتَمَثَّلَه البعض أيضا بالنبي يوسف مُستَوطِن مصر ووارث حكمة الأولين، وعلى نفس الدرب التوحيدي لهرمس سارت على طول التاريخ المكتوب أفواج من ورثة الحكمة؛ فتعددت الهرامسة خُدَّام كلمة الرب، وظل أشهرهم هرمس الأول فنال لقب: "هرمس الهرامسة"[٥١٣].

---

[٥٠٩] الكتاب المقدس؛ نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية بمصر.

[٥١٠] متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة ثيموثي فريك وبيتر غاندي ترجمة عمر الفاروق عمر ٢٠٠٢، هرمس المثلث العظمة أو النبي إدريس لويس مينار ترجمة عبد الهادي عباس، هرميس الحكيم الترجمة الدقيقة الكاملة لأقدم تعاليم دينية منسوبة لمثلث العظمة، قدماء المصريين أول الموحدين د. نديم السيار.

[٥١١] الكتاب المقدس؛ نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية بمصر.

[٥١٢] الكتاب المقدس؛ نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية بمصر.

[٥١٣] ويكيبيديا؛ الموسوعة العالمية.

وقد أشار القرآن الكريم إلى كثيرين ساروا منذ القدم على درب التوحيد؛ وليسوا بأنبياء أصحاب كتاب، ومنهم لقمان الحكيم وذو القرنين ومؤمن آل فرعون وزوجة فرعون وملكة سبأ والعبد الصالح معلم موسى والفتية أصحاب الكهف، ولِكُلٍّ من المُوَحِّدِين في التاريخ قصة فريدة ذات تفاصيل؛ ولكن تُوَحِّدهُم جميعًا مأثرة التوحيد؛ مهما تباينت اللغات واختلفت الثقافات، والقول إذن بأن القدامى كلهم عُبَّاد وَثَن؛ تخمين، فالشرك بتعدد الآلهة في مصر لم يُخفِ تَمَامًا مبدأ وحدانية الله تعالى، فتصفه مخطوطة هاريس بأنه وحده تعالى "الإله الصانع"؛ أي بخلاف كل الآلهة المُصطَنَعَة المُزَيَّفَة، وتوجد مسلة في برلين كانت بممفيس، وترجع لعصر الأسرة التاسعة عشرة، تصفه نقوشها بأنه تعالى: "الوحيد الحي"، وأخرى بأنه: "الوحيد الخالد"[٥١٤]؛ أي الواحد الأَحَد، وتنزيل الأوصاف البشرية إذن على الله تعالى تَصوِير لِمُلاَمَسَة الحقيقة دون عَنَاء؛ يُعلِن عن عجز اللغة عن بيان كمال صفاته العَلِيَّة بالكلمات.

وهكذا شاع التوحيد قديمًا قبل دعوة أخناتون لتوحيد آتون (Itn, Aten, Aton)، وكلمة أتون قد تعني مقر رب الشمس أو الشمس مظهره المرئي؛ يعني كرمز يتمثل فيها نعمة الله لإصدارها البركات للأمم وليس لمصر فحسب، وكما رسمتها النقوش تنشر أشعتها بهيئة أيادي تشكل هرمًا ثلاثي الجوانب يعلوه قرص الشمس، وفي تمثيل قبل الملك أخناتون للإله بالشمس في بهاء آياته تصريح بالتشبيه ينفي أنها خالقة: "مضيء في السماء وكائن كالشمس"[٥١٥].

وظهور اسم آتون بدأ منذ عهد أمنحتب الثالث (١٣٩١-١٣٥٣ ق.م)؛ وتجلى في عهد أمنحتب الرابع: أخناتون (١٣٥٣-١٣٣٦ ق.م)، ولا يتخذ آتون أي مظهر حيواني أو آدمي ويصور فقط بهيئة قرص الشمس وقد بدت أشعتها على شكل الأذرع ذات الأيدٍ، وقد ظهر آتون بهذه الصورة في لوحات كثيرة عُثر عليها في منطقة تل العمارنة بمصر، وقد ثار الجدل حول ما إذا كانت عبادة آتون قد انصبت على الشكل المادي لقرص الشمس ذاته؛ أم أن هذا الشكل قد عُبد لكونه رمزًا للقوة الكامنة خلف القرص باعتبار الرب الخالق والواهب الحياة للوجود كله خفي عن الأنظار، وآتون هو المعبود

[٥١٤] ويكيبيديا؛ الموسوعة العالمية.
[٥١٥] ويكيبيديا؛ الموسوعة العالمية.

الوحيد الذي سُجِّل اسمه داخل خراطيش الملوك تبجيلاً، ومن أجل الانفصال عن طيبة وكهنة آمون ذوى النفوذ القوى؛ شيَّد أخناتون تل العمارنة وجعلها عاصمة له، وبعد أن توفى رجعت عبادة آمون، ولعل أهم ما خرجت به عقيدة آتون عند الأثريين على اقل تقدير هو توحيد المعبودات في معبود واحد؛ إن لم تكن صدى لعبادة توحيدية خالصة[٥١٦].

واكتشفت ترنيمة آتون العظمى في مقبرة بتل العمارنة، وهي أنشودة توحيدية تعبدية تمجد الرب وتستعرض أعماله من تأليف أخناتون، وقد ورد فيها: "إنك الإله الواحد لا مثيل له، خلقت الأرض برغبتك منفردًا؛ فيها الناس والأنعام وكل الحيوانات، وكل ما على الأرض، وما يسير على أرجله، وكل ما يطير بجناحيه في السماء"، ومن ابتهالات أخناتون أيضًا: "أيها الواحد الأحد الذي لا إله غيره، خلقت الأرض على هواك (وفق إرادتك) أيها الواحد الأحد لك الخلق من ناس وحيوان ودابة"، ويتراءى لمَن يقرأ مزمور ١٠٤ المنسوب لداود أنه اقتباس لأنشودة أخناتون، والمعتقد أن المزامير كُتبت بعد سبي اليهود إلى بابل في القرن الأول قبل الميلاد، ويرى الباحث جيمس بريستد أن أنشودة أخناتون ودعوته لعبادة الإله الواحد جاءت في القرن ١٤ ق.م؛ بينما جاءت كتابة المزامير بعده بحوالي ٧٠٠ سنة[٥١٧].

واسم المعبود آمون يعني الخفي الذي لا يُرَى لكماله المطلق وتَنَزُّهه عن صفات خلقه، وقد أصبح هو الإله الأوحد الأكبر والأعلى والوجود كله تجليات لقدرته، وهو وصف للإله مذكور في متون الأهرام المكتشفة حديثًا بأنه: "القوة الخالقة"، وفي ترجمة د. هنرى بلوجش لبعض النقوش: "الإله واحد أحد؛ ليس لديه ثانٍ.. ولا شبيه له.. وهو خالق الكون وكل ما فيه"، وفي مناجاة ببردية بالمتحف البريطاني: "أنت الإله الأكبر؛ سيد السماء والأرض، خالق كل شيء، يا إلهي وربي وخالقي قَوِّ بصري وبصيرتي لأستشعر مجدك واجعل أذني صاغية (واعية) لأقوالك"![٥١٨].

وكان المؤرخ مانيتون كاهنًا في عهد بطليموس الثاني؛ أحد ملوك البطالمة والذي تولى الحكم عام ٢٨٥ ق.م، وكلفه بكتابة تاريخ مصر القديمة، واعتمد مانيتون على الوثائق التي خلفتها الحضارة المصرية في دور حفظ الوثائق بالمعابد بالإضافة وثائق الإدارات الحكومية وغيرها، وصَنَّفَ تاريخ حكام مصر القديمة إلى ٣١ أسرة ملكية ابتداء

---

[٥١٦] ويكيبيديا؛ الموسوعة العالمية.

[٥١٧] الشبكة الدولية للمعلومات.

[٥١٨] ويكيبيديا؛ الموسوعة العالمية.

من عصر الملك مينا موحد القطرين حوالي ٣١٠٠ ق.م وحتى غزو الإسكندر المقدوني لمصر عام ٣٣٢ ق.م، ويؤكد مانيتون أن مبدأ التوحيد هو لب عقائد المصريين القدماء؛ وأرجعه لنبوات قد سبقت عصر الأسرات كنبوة إدريس عليه السلام الذي كان يدعو لعبادة الله تعالى الواحد الأحد وإلى مكارم الأخلاق، ومن الوصايا المنسوبة إليه: "السعيد من نظر إلى (عيوب) نفسه، وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة"، و"الصبر مع الإيمان يورث الظَفَر"[٥١٩].

واستنادًا إلى ترجمة النقوش والبرديات تَوَصَّل الكثير من الأثريين إلى أن توحيد الله تعالى أساس الدين والعبادة منذ عصر ما قبل الأسرات في مصر القديمة، وأن آثارهم ورموزهم قد كشفت اصطباغها بالتوحيد؛ ملوكًا وكهنةً ورعيةً، قال الأثري الفرنسي جاستون ماسبيرو مدير المتحف المصري في نهاية القرن التاسع عشر: "إن المصريين القدماء كانوا أمة مخلصة في العبادة، فكانوا يرون (مجد) الله في كل مكان، فهامت قلوبهم في محبته، وانجذبت أفئدتهم إليه، واشتغلت أفكارهم به، ولازم لسانهم ذكره، وشُحِنَت كتبهم بمحاسن أفعاله"، وكتب والس بدج في مؤلفاته: "لقد أدرك المصريون بالفعل وجود إله ليس كمثله شيء Who had no like؛ ولم يكن له كفوًا أحد Who had no equal"[٥٢٠].

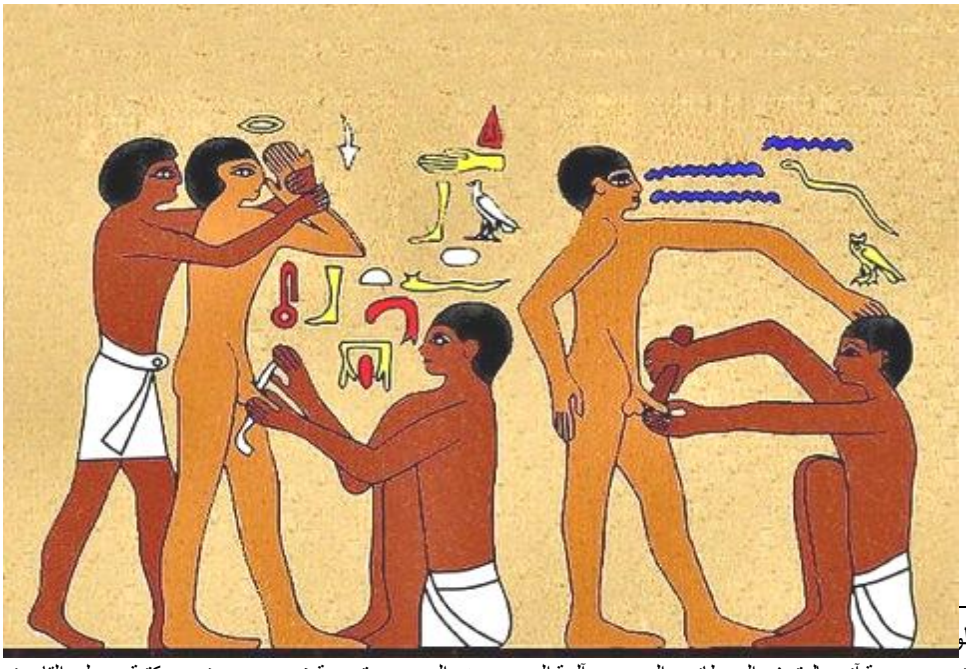

[٥١٩] الشبكة الدولية للمعلو

[٥٢٠] كتاب الموتى الفرعونى عن بردية آنى بالمتحف البريطانى والس بدج، آلهة المصريين؛ والس بدج، ترجمة محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

ومع الصيام تطهيرًا للنفس كان المصريون القدماء يمارسون الختان تطهيرًا للجسد، ومع الصلاة يتطهرون بالماء رمزًا للطهارة والنقاء، وفي مشهد تتويج الملك سيتى الأول في معبده بأبيدوس؛ تصوير لسكب الماء الطهور فوقه[٥٢١].

وبالإضافة لمبدأ التوحيد الثابت منذ القدم؛ نجد حتى المواعظ التي تدعو لحسن الخلق قد حيكت متماثلة رغم تباعد الأمكنة والأزمنة وتباين الظروف الاجتماعية المحيطة، وترد في القرآن الكريم نفس المبادئ الأخلاقية التي طوي ذكراها الزمان بيانًا للإحاطة بتاريخ مَرَّ واندثر أثره، من وصايا الحكيم أيمحوتب مهندس الملك زوسر، والمشرف على بناء أول هرم صخري منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة عصر الأسرة الملكية الثالثة؛ وهو هرم سقارة المدرج بهيئة سلم يتجه نحو السماء: "لا تسخر من الإنسان الذي به إعاقة، ولا تسخر من الذي فقد بصره، ولا تضحك من الرجل الذي عقله في يد الله (المريض العقلي)"، وفي القرآن الكريم نفس الوصية وأكثر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ ٤٩الحجرات:١١، واحتمل البعض أن الملك إيمحوتب هو النبي يوسف نفسه الذي جاء إلى مصر في هدوء وسلام؛ لا غازيًا طامعًا في سلطة، فوَهَبَه اللهُ تعالى السلطة؛ لأن اسم إيمحوتب يعني في الهيروغليفية: الذي جاء في سلام، وفي عصر الأسرة الرابعة (٢٥٧٥ - ٢٤٦٥ ق.م)؛ المأثور عن الحكيم كاجمني وزير الملك سنفرو: "اسلك طريق الاستقامة ...لئلا ينزل عليك غضب الإله.. (لأنه) قوي؛ وهو يحكم ويُدَبِّر العالم ويرزق البشر"، وفي عصر الأسرة الخامسة (٢٤٦٥-٢٣٢٣ ق.م)؛ المأثور عن الحكيم بتاح حتب في مواعظه لابنه وفق بردية إبريس جامع الوثائق القديمة: "بِيَد الإله مصير كل حي؛ ولا يجادل في هذا إلا الجاهل..، إن تدبير الخلق بيد الله الذي يحب خلقه..، لا تكونن متكبرا ولا تكونن منتفخ الأوداج (أي لا تُصَعِّر خَدَّكَ للناس كبرًا)..، إذا كنت عاقلا فَرَبِّي ابنك حسبما يُرضِي الإله ..، إن الابن المطيع يُحِبُّهُ الله..، واعلم أن بيت الزاني مآله الخراب..، وكل زانٍ لابد أن يكون ممقوتًا من الله لأنه مخالف للشرائع..، ومن خالف الشرائع والقوانين (الإلهية) نال شر الجزاء..، أَسِّس لنفسك بيتًا وأحب زوجتك فإنها حقل طيب لسيدها (وفي ترجمة أخرى: مثمر؛ أي حرث أو كالحرث)..، فهي هبة الإله الذي استجاب لدعائك فأنعم بها (عليك)، ولا تكفر بالنعمة التي وهبها الله لك..، فأنت مسئول عنها أمام الإله الأعظم..، والفضل في هذه النصائح يرجع للأجداد؛ لأن نصائحهم جديرة بالتقدير"، وفي عصر الأسرة السادسة (٢٣٢٣-٢١٥٠ ق.م): "أيها السيد المالك كل شيء؛ والذي لا نهاية (لواسع علمه وبالغ قدرته) ولا حد له"، وفي عصر الأسرة الثامنة (٢١٥٠-٢١٣٥ ق.م) تجعل بردية الحكيم آني العبودية حصرًا للخالق الخفي عن الأنظار؛ وتنفي التقديس عن المَنحُوتَات: "لا تسال عن صورة ربك؛ فهو ليس شمسًا في السماء أو طائرًا أو تمثالاً..، لا تبحث أسرار ملكوت ربك؛ فهي فوق مدارك العقول"، وفي ترجمة البردية: "اخلص لله في أعمالك لتتقرب إليه وتبرهن على صدق عبوديتك؛ حتى تنالك رحمته وتلحظك عنايته..، إذا صليت لله فلا تجهر بصلاتك..، لا تُغضب أمك لئلا ترفع يديها إلى الله فيستجيب دعاءها عليك..، واجعل نصب عينيك كيف حملتك أمك ووضعتك وكيف ربتك..، ولا تمش الخيلاء؛ فإن الله هو الذي يجعل من يشاء عظيمًا.. إذا استشارك أحد.. فأشر عليه بما تقتضيه الكتب المنزلة"[٥٢٢]، ويفيض القرآن الكريم بنفس المبادئ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ الإسراء:١١٠، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ العنكبوت:٨، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ لقمان:١٤، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لقمان:١٨.

ومن أقوال الحكيم آني أيضًا: "لا تتردد على محال الخمور احتراسًا من عواقبها الوخيمة؛ لأن لشارب الخمر فلتات يَسْتَفْظِع صدورها من نفسه متى أفاق، وهو دائما مُبتذل مُحتقر عند الناس؛ وحتى بين إخوانه الذين يشاركونه.. شروره.. يقفون قائلين ابعدوا هذا الأحمق..، إياك أن تميل إلى امرأة فتلعب بدينك وشرفك..، فإياك أن تصبو إليها لئلا توقع نفسك في حبائل الهلاك؛ فإن الشهوات طريق الموبقات..، إن ذلك الزنا لجرم عظيم..، لا تذهب إلى بيت إنسان بحرية؛

---

[٥٢١] الشبكة الدولية للمعلومات.

[٥٢٢] الشبكة الدولية للمعلومات.

بل ادخله فقط عندما يُؤْذَن لك"[٥٢٣]، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ﴾ المائدة: ٩١، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ طه: ١٣١، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: ٣٢، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ النور: ٢٧.

وفي عصر الأسرة العاشرة (-٢١٣٥ ق.م)؛ وفق ما ورد في ترجمة بردية مواعظ الحكيم خيتي (إختُوَى): "الله وراء الأجيال محيط بأعمالهم؛ لا تدركه أبصار الناس وهو يدرك ما يعملون، فاعبد الله..، والإله يقول إني أنا المنتقم؛ وسأعاقب كُلاً بذنبه، وعلى الإنسان أن يعمل ما يريد على ألا ينسى الحساب الأخير"[٥٢٤]، وهي أشبه ما تكون كذلك بما ورد في القرآن الكريم: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام: ١٠٣، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الزمر: ١٥، ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فصلت: ٤٠، أليس من نفس النبع إذن استقَت حكمة الأولين، والتي كانت غيبًا دفينًا يوم جاء القرآن الكريم كاشفًا لها ومُؤَيِّدًا ومُصَدِّقًا؛ قبل أن تبوح بها النقوش والبرديات!.

وفي عصر الأسرات ١١ و١٢ و١٣ (-٢١٣٥-١٦٥٠ ق.م)؛ وفق ترجمة بردية تشستربيتي جامع المخطوطات القديمة: "لا تعترض على الرب؛ فإنه يغضب على من يعترض عليه، ولا ترفع صوتك في المحراب؛ فإن الله يحب السكون"، وهي أشبه بنصائح لقمان الحكيم: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ لقمان: ١٧، ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان: ١٩، وفي عصر الأسرة الثامنة عشر (-١٥٥٠-١٢٩١ ق.م)؛ أوصى الملك تحوتمس الثالث (-١٤٧٩-١٤٢٦ ق.م) وزيره رخمي رع قائلا: "لا يرضى الرب بالتحيز، كن يقظا؛ فمنصب الوزير عماد الأرض كلها، فليس للوزير أن يستعبد الناس..، تصرف بالعدل؛ فالمحاباة يمقتها الرب..، كن عادلاً مع من تعرفه ومن لا تعرفه"، وعن الحكيم رخمي رع: "اسمعوا أنتم يا من في الوجود؛ إن الله يعلم ما في الأنفس"، وفي ترنيمة بالمتحف البريطاني عصر أَمِنْحُتُب (إمنوفيس) الثالث (-١٣٩١-١٣٥٣ ق.م) من الأسرة الثامنة عشر ووالد أخناتون: "أيها الخالق الذي لم يخلقك أحد، الواحد المنقطع القرين (النظير) في صفاتك، والراعي ذو القوة والبأس، والصانع الخالد في آثاره التي لا يحيط بها حصر"، وفي مناجاة: "إنك صانع مُصَوِّر.. دون أن تُصَوَّر مُنقَطِع القرين في صفاته (لم يكن لك كُفُوًا أحد)"[٥٢٥].

وفي عصر الأسرة العشرين (-١١٨٧-١٠٧٥ ق.م)؛ عاش الحكيم أمين موبي Amen Mope، ومن أقواله: (ما فائدة الملابس الجميلة؛ إذا كان الإنسان باغيًا أمام الله..، الكمال لله وحده والعجز من صفة الإنسان..، لا تغالط زميلك أو شريكك في الحساب؛ فَيُبغِضُكَ الله وتشتهر بالغدر والخيانة..، لا تقل أنا خالٍ من الذنوب؛ فإن الله وحده هو الذي يعرف المذنب والبريء..، إذا أذل الغني فقيرًا؛ أذله الله في الدنيا، وأذاقه عذاب النار في الآخرة..، إنه لسعيد من يصل إلى الدار الآخرة؛ وهو ناج في يد الله)، وتوصل إرمان سنة ١٩٢٤؛ أن سفر الأمثال في الأسفار والمنسوب إلى النبي سليمان؛ ما هو إلا ترجمة حرفية لأمثال الحكيم المصري القديم أمين موبي والتي اكتشفت برديتها حديثًا، قال برستد: "وجميع العلماء بكتاب العهد القديم الذين يُعتَد بآرائهم وأبحاثهم فيه يجزمون الآن بأن محتويات سفر الأمثال قد أخذت بالنص من حِكَم الحكيم المصري القديم أمين موبي؛ أي أن النسخة العبرانية هي ترجمة حرفية عن الأصل الهيروغليفي العتيق"[٥٢٦].

وفي عصر الأسرة الثلاثين (-٣٨٠-٣٣٢ ق.م)؛ عاش الحكيم بتوزيريس كبير كهنة الأشمونين بصعيد مصر، وسجل كتاباته حوالي ٣٥٠ ق.م، وقد نُقِشَت على مقبرته أقوالاً في التوحيد: "ألا ما أسعد من ملأت خشية الله قلبه"، وبعد عصر الأسرات قال أفلوطين المولود سنة ٢٠٥م: "الله هو الواحد The One، الذي صدرت عنه الموجودات.. هو علة كل ما

---

[٥٢٣] الشبكة الدولية للمعلومات.
[٥٢٤] الشبكة الدولية للمعلومات.
[٥٢٥] الشبكة الدولية للمعلومات.
[٥٢٦] الشبكة الدولية للمعلومات.

هو موجود"[٥٢٧]، فلم يتطور التوحيد إذن باجتهاد؛ وإنما هو نفس مبدأ وفيض الحكمة منذ فجر التاريخ، وما نجده من آثار تسمح قراءتها كنتاج للوثنية Paganism فإنما هي تراث طغاة الملوك وكهنتهم؛ إن لم تكن توحيدية دلالتها رمزية.

ومتون الأهرام اكتشفها جاستون ماسبيرو عام ١٨٨١؛ وتحوي أقدم النصوص التوحيدية، وترجع إلى ما قبل التاريخ (٦٠٠٠-٥٠٠٠ ق.م)، وهي تسجيل لمعتقدات حضارات بالغة القدم كالبداري ونقادة ومرمدة والمعادي وحلوان؛ وفيها: "إن الخالق لا يُمكن معرفة اسمه؛ لأنه فوق مدارك العقول"؛ أي هو أسمى من أن تراه عين أو أن تعبر عن جلاله لغة، ولذا وردت تسميته بصفات تشبيهية بالبشر مثل: "السيد المُطلق"، "المالك كل شيء"، فالدين إذن لم يبدأ بالتعدد وانتهى إلى التوحيد؛ وإنما استمر التوحيد كذلك منذ البدء، وفي كتاب الموتى قبل عصور الأسرات (٥٠٠٠-٣٢٠٠ ق.م)؛ يكثر الحديث عن التوحيد وذكر الله بالإفراد وعن البعث والحساب، وفيها يتبرأ الإنسان أمام جَابِلُه الواحد قائلا: "لم أرتكب ما يُغضب الإله، ولم أدنس نفسي في حرم الإله، ولم أعترض على إرادة الله"[٥٢٨]، وفي أسفار التكوين المصرية (الجبتانا)؛ نصوص بالغة القدم تجعل القول بأن تاريخ مصر كله وثنية؛ مجرد قراءة خاطئة لِحِكمَة رَمزِيَّة عَمِيقَة أساسها التوحيد[٥٢٩].

هذا هو أصل الديانة؛ وإن عَكَّرته أوهام الكُهَّان فتغيرت مَعَالِمُه مع الزَّمَان، وفي القرآن الكريم رَجَاء بتفويض مصير من وَرِثُوا بقية من حِكْمَة الأَوَّلِين لعلام الغيوب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ المائدة: ٦٩، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٦٢، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ٢٢الحج:١٧.

فليس مبدأ وحدانية الله تعالى حكرًا على المصريين القدماء؛ وإنما كانت آثارهم من النقوش والبرديات المترجمة أكثر، ورغم الغبش بقيت مَلاَمِح التوحيد في مأثور الأمم؛ كالصابئة المندائيين Sabians، ومطلع تعاليم كتابهم المقدس كنزاربا Ginza Rba؛ أي الكنز العظيم: "بأسماء الحي العظيم طَهَّرت يدي بالحق والصلاح؛ وشفتي بالإيمان بالحي العظيم الأوحد، لينطقا بكلام النور، وليكن ضميري نقيا ومؤمنا، الحي الأمجد فوق كل جلال"، وقالوا إنها: "ديانة أتباع آدم أبو البشر، وشيث بن آدم (شيتل)، وأنش (أنوش بن شيث)، وإدريس (دانوخت)، ونوح (نو)، وسام بن نوح (شوم)، وإبراهيم (بهرام)، ويهيا يهانا (يحيى بن زكريا)؛ أنبياء الله الحي الأوحد العظيم مباركة أسماءهم ومُبَجَّل اسم خالقهم"[٥٣٠].

ومثلهم المجوس الزرادشتيين Zoroastrians؛ والمجوس تعريب للكلمة الفارسية مكوس التي تعني مُفَسري الرُّؤَيا، وينتسبون للحكيم زرادشت، ويقوم اعتقادهم على الإيمان بإله أوحد خالق غير مخلوق وخالد يسمونه أهورا مزدا؛ أي الحكمة المضيئة، لأنه مصدر نور الهدى والتقوى والخير ويتحلى بصفات النور والعقل والطيب والحق والسلطان والخلود، والمُحَاسب يوم القيامة لينجّي الأنفس الطيبة حين بعث الأجساد والنهوض من الموت واجتياز البرزخ؛ ليهبهم حياة جديدة أبدية مليئة بالبهجة والسرور وخالية من الآلام، واعتقادهم راسخ بالجنة والنار والصراط وميزان الأعمال، والنار عندهم مقدسة لكونها تُمَثِّل رمزيًّا نور حكمة الإله الأوحد التي تسطع باليقين؛ يقول زرادشت في كتابهم المقدس الأفستا: "إني لأدرك أَنَّكَ أنت وحدك الإله وأنك الأوحد الأحد وإني من صحة إدراكي هذا أوقن تمام اليقين.. أنك أنت الإله الأوحد"[٥٣١]، وتجد ملامح صيحة التوحيد كذلك في كتب أديان قديمة مثل كتاب الهندوس البْهاغَافَاد غيتا ومعناه أنشودة

---

[٥٢٧] الشبكة الدولية للمعلومات.

[٥٢٨] متون الأهرام؛ جمال الغيطاني، دار الشروق، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

[٥٢٩] الجبتانا أسفار التكوين المصرية، علي علي الألفي.

[٥٣٠] كنزاربا؛ الكنز العظيم الكتاب المقدس للصابئة المندائيين، حسام هشام العيداني، مكتبة موسوعة العيون المعرفية لكتب الصابئة المندائيين.

[٥٣١] المعتقدات الدينية لدى الشعوب جفري بارندر ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام مراجعة د. عبد الفتاح مكاوي ١٩٩٣.

لله أو الرَّب[٥٣٢]، وفي تعاليم بُوذا الدَّامَابَادَا[٥٣٣] وتعاليم كونفوشيوس[٥٣٤]؛ وقد كان يرى بأن العصر الذهبي لكمال الإنسانية كان في الماضي![٥٣٥].

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج كثيرة لمُوَحِّدِين في التاريخ الإنساني؛ كان في مقدمتهم أنبياء كإسماعيل واليسع ويونس ولوط وذا الكفل: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنبياء:٨٥، ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام:٨٥و٨٦، ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ ص:٤٨، وضَرَبَ مثلاً بِإِلْيَاس مُحارب عبادة بَعل Baal؛ الوثن الفينيقي في بلاد كنعان وما كان يُجاورها: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ. أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ الصافات:١٢٣-١٣٢، فالتَّوحِيد حكمة القدامى، وإن خفت بَهَاؤُه بالابتعاد عن الأصل وذبلت نضارته بالتَحرِيفَ فتَطَلَّبَ الإصلاح والتَّجدِيد، وفي القرآن الكريم تصريح بفطرية الإيمان وعراقة التوحيد: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ يونس: ١٩، قال القنوجي: "المعنى أن الناس جميعاً ما كانوا: ﴿إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مُوَحِّدَة لله سبحانه..، لأن التوحيد.. مِلَّة قديمة اجتمع عليها الناس.. فِطرةً.. وأن الشرك..؛ جَهَالَات ابتدعها الغُوَاة، ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: أي فصار البعض كافرًا..، وبقي البعض على التَّوحِيد (الخالص)"[٥٣٦].

وقد وَرَدَ في القرآن الكريم أن رسالة كل الأنبياء على طول التاريخ الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده ونبذ الشرك والوثنيات: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ١٦النحل:٣٦، وعلى إثرهم أُلهِم الحكمة من ليسوا بأنبياء أصحاب كتاب كلقمان الحكيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ٣١لقمان:١٢، ومن المواعظ المنسوبة إليه: "يا بني اتخذ تقوى الله تجارةً؛ يأتيك الربح من غير بضاعة"، "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك؛ فإن الله ليحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء"، "يا بني لا تؤخر التوبة فأن الموت يأتي بغتة"[٥٣٧]، واقتضت الحكمة العمل بالتوحيد ميراث الأنبياء: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ٣١لقمان:١٣، قال الراغب الأصفهاني: "ومعنى الحكمة.. معرفة حقائق الأشياء..، وهي أعم من النبوة، فكل نبي حكيم؛ وليس كل حكيم نبيا..، (لأن) العلوم النبوية.. لا وصول إليها إلا بالوحي"[٥٣٨]، فالنبوة المصحوبة بكتاب مُقَدَّمَة على الاجتهاد؛ والجامع هو التوحيد الخالص، فناسب تمييز (الْكِتَاب) بوروده في مواضع مُقترِنًا بلفظ (الْحِكْمَة) ومُقَدَّمًا عليه، وناسب الاكتفاء بالحكمة في مقام التكريم لِتَعُم كل نداء بالتوحيد على مر التاريخ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ٢البقرة:٢٦٩، ويذخر التاريخ بحكماء ورثوا حكمة الأنبياء ونبذوا الشرك والوثنيات؛ لتشهد سلسلة متصلة الحلقات بأصل الدين، وأن توحيد الخالق هو في الحقيقة ميراث عريق!.

---

[٥٣٢] البْهاغَافَاد غيتا (الله أو الرب) أنشودة المولى تعريب د. سليم حداد.

[٥٣٣] الداماباذا كتاب بوذا.

[٥٣٤] المبادئ الخمسة للمعلم كونفوشيوس د. محمد علي جريشة.

[٥٣٥] الشبكة الدولية للمعلومات.

[٥٣٦] أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي؛ فتحُ البيان في مقاصد القرآن، مراجعة عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة صَيدَا بَيروت؛ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م (١٦ ٣٤).

[٥٣٧] الشبكة الدولية للمعلومات.

[٥٣٨] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ٥١٤).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{وَمَا كَانَ النَّاس إِلَّا أُمَّة وَاحِدَة}: عَلَى دِين وَاحِد وَهُوَ الْإِسْلَام مِنْ لَدُنْ آدَم إِلَى نُوح، وَقِيلَ مِنْ عَهْد إِبْرَاهِيم إِلَى عَمْرو بْن لُحَيّ، {فَاخْتَلَفُوا}: بِأَنْ ثَبَتَ بَعْض وَكَفَرَ بَعْض، {وَلَوْلَا كَلِمَة سَبَقَتْ مِنْ رَبّك} بِتَأْخِيرِ الْجَزَاء إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، {لَقُضِيَ بَيْنهمْ}: أَيْ النَّاس فِي الدُّنْيَا، {فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}: مِنْ الدِّين بِتَعْذِيبِ الْكَافِرِينَ"[٥٣٩].

وقال الماوردي: "{وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدً} في الناس ها هنا أربعة أقاويل؛ (أحدها): أنه آدم عليه السلام؛ قاله مجاهد والسدي، (الثاني): أنهم أهل السفينة؛ قاله الضحاك، (الثالث): أنهم من كان على عهد إبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي. (الرابع): أنه بنو آدم؛ قاله أُبي بن كعب، وفي قوله تعالى: {إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً} ثلاثة أوجه؛ (أحدها): على الإسلام حتى اختلفوا؛ قاله ابن عباس وأُبي بن كعب، (الثاني): على الكفر حتى بعث الله تعالى الرسل؛ وهذا قول قد روي عن ابن عباس أيضاً، (الثالث): على دين واحد؛ قاله الضحاك، {فَاخْتَلَفُواْ} فيه وجهان؛ (أحدهما): مؤمن وكافر؛ قاله أبي بن كعب، (الثاني): هو اختلاف بني بن آدم حين قَتل قابيل أخاه هابيل؛ قاله مجاهد، {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} فيه وجهان؛ (أحدهما): ولولا كلمة سبقت من ربك في تأجيلهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم من تعجيل العذاب في الدنيا؛ قاله السدي، (الثاني): ولولا كلمة سبقت من ربك في أن لا يعاجل العصاة إنعاماً منه يبتليهم به لقضى بينهم فيما فيه يختلفون بأن يضطرهم إلى معرفة المحق من المبطل؛ قاله عليّ بن عيسى"[٥٤٠].

وقال ابن عاشور: "﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٠يونس:١٩؛ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ.. وَمُنَاسَبَةُ الِاعْتِرَاضِ قَوْلُهُ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١٠يونس:١٨، لِأَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَاخْتِرَاعَ صِفَةِ الشَّفَاعَةِ لَهَا؛ هُوَ مِنَ الِاخْتِلَافِ الَّذِي أَحْدَثَهُ ضُلَّالُ الْبَشَرِ فِي الْعَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا فِي أَوَّلِ النَّشْأَةِ.، فَهِيَ مِمَّا يَشْمَلُهُ التَّوْبِيخُ.. وَصِيغَةُ الْقَصْرِ (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً)؛ لِلْمُبَالَغَةِ فِي تَأْكِيدِ الْخَبَرِ.. وَحَسَّنَ الْقَصْرَ هُنَا وُقُوعُهُ عَقِبَ الْجِدَالِ مَعَ الَّذِينَ غَيَّرُوا الدِّينَ الْحَقَّ وَرَوَّجُوا نِحْلَتَهُمْ بِالْمَعَاذِيرِ الْبَاطِلَةِ كَقَوْلِهِمْ: (هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللهِ) يُونُس:١٨..، (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى) الزمر:٣، بِخِلَافِ (عدم القصر في) آيَةِ..: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ ٢البقرة:٢١٣؛ فَإِنَّهَا وَقَعَتْ فِي سِيَاقِ الْمُجَادَلَةِ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ.. وَأَهْلُ الْكِتَابِ لَا يُنْكِرُونَ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، فَآيَةُ هَذِهِ السُّورَةِ تُشِيرُ إِلَى الْوَحْدَةِ الِاعْتِقَادِيَّةِ.. وَآيَةُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ تُشِيرُ إِلَى الْوَحْدَةِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي تَجْمَعُهَا الْحَنِيفِيَّةُ الْفِطْرِيَّةُ، وَلِذَلِكَ عَبَّرَ عَنِ التَّفَرُّقِ الَّذِي طَرَأَ عَلَيْهَا بِأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ النَّبِيئِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، ثُمَّ جَاءَ ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ عَرَضًا عَقِبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيهِ)..، وَأُرِيدَ بِهِ الِاخْتِلَافُ بَيْنَ أَتْبَاعِ الشَّرَائِعِ لِقَوْلِهِ: (وَما اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ)..، وَالنَّاسُ: اسْمُ جَمْعٍ لِلْبَشَرِ. وَتَعْرِيفُهُ لِلِاسْتِغْرَاقِ، وَالْأُمَّةُ: الْجَمَاعَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي لَهَا حَالٌ وَاحِدٌ فِي شَيْءٍ مَا، وَالْمُرَادُ هُنَا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ فِي الدِّينِ، وَالسِّيَاقُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهَا وَاحِدَةٌ فِي الدِّينِ الْحَقِّ وَهُوَ التَّوْحِيدُ لِأَنَّ الْحَقَّ هُوَ الَّذِي يُمْكِنُ اتِّفَاقُ الْبَشَرِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ ناشئ عَنْ سَلَامَةِ الِاعْتِقَادِ مِنَ الضَّلَالِ وَالتَّحْرِيفِ، وَالْإِنْسَانُ لَمَّا أُنْشِئَ عَلَى فِطْرَةٍ كَامِلَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ التَّكَلُّفِ، وَإِنَّمَا يُتَصَوَّرُ ذَلِكَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى دُونَ الْأَعْمَالِ، لِأَنَّهَا قَدْ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْحَاجَاتِ، فَإِذَا جَازَ أَنْ يَحْدُثَ فِي الْبَشَرِ الضَّلَالُ وَالْخَطَأُ فَلَا يَكُونُ الضَّلَالُ عَامًّا عَلَى عُقُولِهِمْ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ النَّاسَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً مُتَّفِقِينَ عَلَى التَّوْحِيدِ لِأَنَّ اللَّهَ لَمَّا فَطَرَ الْإِنْسَانَ فَطَرَهُ عَلَى عَقْلٍ سَلِيمٍ مُوَافِقٍ لِلْوَاقِعِ، وَوَضَعَ فِي عَقْلِهِ الشُّعُورَ بِخَالِقٍ وَبِأَنَّهُ وَاحِدٌ وَضْعًا جِبِلِّيًّا كَمَا وَضَعَ الْإِلْهَامَاتِ فِي أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ.، ثُمَّ إِنَّ الْبَشَرَ أَدْخَلُوا عَلَى عُقُولِهِمُ الِاخْتِلَافَ الْبَعِيدَ عَنِ الْحَقِّ بِسَبَبِ الِاخْتِلَاقِ الْبَاطِلِ وَالتَّخَيُّلِ وَالْأَوْهَامِ بِالْأَقْيِسَةِ الْفَاسِدَةِ، وَهَذَا مِمَّا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٩٥التين:٤-٦، فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِكَوْنِ النَّاسِ أُمَّةً وَاحِدَةً؛ الْوَحْدَةُ فِي الْحَقِّ، وَأَنَّ الْمَقْصُودَ مَدْحُ تِلْكَ

---

[٥٣٩] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٢٦٩).

[٥٤٠] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٢ ٤٢٨).

الْحَالَةِ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ فَسَادِ الشِّرْكِ وَإِثْبَاتُ خَطَأِ مُنْتَحِلِيهِ بِأَنَّ سَلَفَهُمُ الْأَوَّلَ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُمْ فِي فَسَادِ الْعُقُولِ، وَقَدْ كَانَ لِلْمُخَاطَبِينَ تَعْظِيمٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَسْلَافُهُمْ، وَلِأَنَّ صِيغَةَ الْقَصْرِ تُؤْذِنُ بِأَنَّ الْمُرَادَ إِبْطَالُ زَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ غَيْرَ ذَلِكَ.، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالنَّاسِ الْعَرَبُ خَاصَّةً بِقَرِينَةِ الْخِطَابِ، وَيَكُونَ الْمُرَادُ تَذْكِيرَهُمْ بِعَهْدِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ كَانَ هُوَ وَأَبْنَاؤُهُ وَذُرِّيَّتُهُمْ عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الزخرف:٢٦-٢٨، أَيْ فِي عَقِبِهِ مِنَ الْعَرَبِ؛ فَيَكُونُ التَّعْرِيفُ لِلْعَهْدِ، وَجُمْلَةُ: وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِخْبَارٌ بِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ، وَأَنَّ ذَلِكَ الِاخْتِلَافَ مَذْمُومٌ، وَأَنَّهُ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ إِمْهَالَ الْبَشَرِ إِلَى يَوْمِ الْجَزَاءِ لَأَزَالَهُمْ وَجْهَ الْفَصْلِ فِي اخْتِلَافِهِمْ باستئصال الْمُبْطِلِ وَإِبْقَاءِ الْمُحِقِّ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ أُجْمِلَتْ هُنَا وَأُشِيرَ إِلَيْهَا فِي.. قَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ ٤٢الشورى:١٤، وَالْأَجَلُ: هُوَ أَجَلُ بَقَاءِ الْأُمَمِ، وَذَلِكَ عِنْدَ انْقِرَاضِ الْعَالَمِ، فَالْقَضَاءُ بَيْنَهُمْ إِذَنْ مُؤَخَّرٌ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ، وَأَصْرَحُ مِنْ ذَلِكَ.. قَوْلُهُ..: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ. وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ١١هود:١١٧-١١٩"[٥٤١].

وقال: "وَالْأُمَّةُ: الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ اتَّحَدُوا فِي أَمْرٍ مِنْ عَظَائِمِ أُمُورِ الْحَيَاةِ كَالْمَوْطِنِ وَاللُّغَةِ وَالنَّسَبِ وَالدِّينِ..، فَتُفَسَّرُ الْأُمَّةُ فِي كُلِّ مَقَامٍ بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ إِضَافَتُهَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ تَكْوِينِهَا كَمَا يُقَالُ: الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَمَعْنَى كَوْنِهَا وَاحِدَةً أَنْ يَكُونَ الْبَشَرُ كُلُّهُمْ مُتَّفِقِينَ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِ الْحَقِّ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، فَآلَ الْمَعْنَى إِلَى: لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أَهْلَ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَكَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً مِنْ حَيْثُ الدِّينِ الْخَالِصِ، وَفُهِمَ مِنْ شَرْطِ (لَوْ) أَنَّ جَعْلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الدِّينِ مُنْتَفِيَةٌ، أَيْ مُنْتَفٍ دَوَامُهَا عَلَى الْوَحْدَةِ فِي الدِّينِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ وُجِدُوا فِي أَوَّلِ النَّشْأَةِ مُتَّفِقِينَ فَلَمْ يَلْبَثُوا حَتَّى طَرَأَ الِاخْتِلَافُ بَيْنَ ابْنَيْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً) الْبَقَرَة:٢١٣، وَقَوْلِهِ: (وما كانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا) يُونُس:١٩..، وَلَمَّا أَشْعَرَ الِاخْتِلَافُ بِأَنَّهُ اخْتِلَافٌ فِي الدِّينِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ الْعُدُولُ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، لِأَنَّ الْحَقَّ لَا يَقْبَلُ التَّعَدُّدَ وَالِاخْتِلَافَ، عَقَّبَ عُمُومَ (وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ) بِاسْتِثْنَاءِ مَنْ ثَبَتُوا عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ وَلَمْ يُخَالِفُوهُ بِقَوْلِهِ: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ)، أَيْ فَعَصَمَهُمْ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَفُهِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ الِاخْتِلَافَ الْمَذْمُومَ الْمُحَذَّرَ مِنْهُ هُوَ الِاخْتِلَافُ فِي أُصُولِ الدِّينِ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ اعْتِبَارُ الْمُخَالِفِ خَارِجًا عَنِ الدِّينِ..، فَإِذَا طَرَأَ هَذَا الِاخْتِلَافُ وَجَبَ عَلَى الْأُمَّةِ قَصْمُهُ وَبَذْلُ الْوُسْعِ فِي إِزَالَتِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مِنْ وَسَائِلِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ؛ بِالْإِرْشَادِ وَالْمُجَادَلَةِ الْحَسَنَةِ وَالْمُنَاظَرَةِ..، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ مِنْ ذَلِكَ الِاخْتِلَافِ، وَأَمَّا تَعْقِيبُهُ بِقَوْلِهِ: (وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ) فَهُوَ تَأْكِيدٌ بِمَضْمُونِ وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ..، ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ١١هود:١١٩..؛ وَالْكَلِمَةُ هُنَا بِمَعْنَى الْكَلَامِ، فَكَلِمَةُ اللَّهِ: تَقْدِيرُهُ وَإِرَادَتُهُ؛ أَطْلَقَ عَلَيْهَا كَلِمَةً مَجَازًا لِأَنَّهَا سَبَبٌ فِي صُدُورِ كَلِمَةِ (كُنْ) وَهِيَ أَمْرُ التَّكْوِينِ"[٥٤٢].

وقال: "(كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيهِ) اسْتِئْنَافٌ لِبَيَانِ أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَدْيَانِ أَمر كَانَ فِي الْبشر؛ الْحِكْمَة اقتضته، وَأنه قد ارْتَفَعَ ذَلِكَ وَرَجَعَ اللَّهُ بِالنَّاسِ إِلَى وَحْدَةِ الدِّينِ بِالْإِسْلَامِ.، بَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ هَذِه الْحَالة.. كَانَتْ حَاصِلَةً فِي الْأَزْمِنَةِ الْمُتَقَادِمَةِ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً قَائِمَةً عَلَى الْحَقِّ.، (و) أَفَادَتْ بَيَانَ حَالَةِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ كَيْفَ نَشَأَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ فِي الْحق مِمَّا لأجله تَدَارَكَهُمُ اللَّهُ بِبِعْثَاتِ الرُّسُلِ.، وَحَصَلَ مِنْ عُمُومِ ذَلِكَ تَعْلِيمُ الْمُسْلِمِينَ تَارِيخَ أَطْوَارِ الدِّينِ بَيْنَ عُصُورِ الْبَشَرِ بِكَلِمَاتٍ جَامِعَةٍ خُتِمَتْ بِقَوْلِهِ: (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ)، فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ كَوْنِهِمْ أُمَّةً وَاحِدَةً الْوَحْدَةَ فِي الْخَيْرِ وَالْحَقِّ وَهُوَ الْمُخْتَارُ.. فَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فَبَعَثَ لَهُمْ أَنْبِيَاءَ مُتَفَرِّقِينَ لِقَصْدِ تَهْيِئَةِ النَّاسِ لِلدُّخُولِ فِي دِينٍ وَاحِدٍ عَامٍّ، فَالْمُنَاسَبَةُ حَاصِلَةٌ مَعَ جُمْلَةِ (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) الْبَقَرَة:٢٠٨؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا خِطَابٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ، أَيِ ادْخُلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ كَوْنِ النَّاسِ أُمَّةً وَاحِدَةً الْوَحْدَةَ فِي الضلال وَالْكفر يكون اللَّهُ قَدْ نَبَّهَهُمْ أَنَّ بَعْثَةَ الرُّسُلِ تَقَعُ لِأَجْلِ إِزَالَةِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ الَّذِي يَحْدُثُ فِي قُرُونِ الْجَهَالَةِ، فَكَذَلِكَ انْتَهَتْ تِلْكَ الْقُرُونُ إِلَى الْقَرْنِ الَّذِي أَعْقَبَتْهُ بَعْثَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَكُونُ الْآيَةُ تَثْبِيتًا لِلْمُؤْمِنِينَ..، فَالْمَعْنَى أَنَّ الْإِسْلَامَ هَدَى إِلَى شَرِيعَةٍ تَجْمَعُ النَّاسَ كُلَّهُمْ..، وَالنَّاسُ.. أَيِ الْبَشَرِ كُلِّهِمْ..، وَالْأمة.. اسْمٌ

---

[٥٤١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١\ ١٢٦).

[٥٤٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢\ ١٨٧).

لِلْجَمَاعَةِ الَّذِينَ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ..، وَإِنَّمَا تَكُونُ الْجَمَاعَةُ أُمَّةً إِذَا اتَّفَقُوا فِي الْمَوْطِنِ أَوِ الدِّينِ أَوِ اللُّغَةِ أَوْ فِي جَمِيعِهَا..، وَالْوَحْدَةُ هُنَا: مُرَادٌ بِهَا الِاتِّحَادُ وَالتَّمَاثُلُ فِي الدِّينِ بِقَرِينَةِ تَفْرِيعِ: (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ)..، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الْحَقِّ وَالْهُدَى، أَيْ كَانَ النَّاسُ عَلَى مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ، وَبِهَذَا الْمَعْنَى رَوَى الطَّبَرِيُّ تَفْسِيرَهَا عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ مُخْتَارُ الزَّمَخْشَرِيِّ، قَالَ الْفَخْرُ: وَهُوَ مُخْتَارُ أَكْثَرِ الْمُحَقِّقِينَ قَالَ الْقَفَّالُ: بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَهُ: (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ)؛ إِلَى قَوْلِهِ: (فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)، لِأَنَّ تَفْرِيعَ الْخَبَرِ بِبِعْثَةِ النَّبِيِّينَ عَلَى الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ وَتَعْلِيلَ الْبَعْثِ بِقَوْلِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ؛ انْتَظَمَ مِنْ ذَلِكَ كَلَامٌ مِنْ بَلِيغِ الْإِيجَازِ، وَهُوَ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً فَجَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ لِيَدُومُوا عَلَى الْحَقِّ خَشْيَةَ انْصِرَافِهِمْ عَنْهُ؛ إِذَا ابْتَدَأَ الِاخْتِلَافُ يَظْهَرُ وَأَيَّدَهُمُ اللَّهُ بِالْكُتُبِ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَلَا جَرَمَ أَنْ يَكُونَ مَجِيءُ الرُّسُلِ لِأَجْلِ إِبْطَالِ اخْتِلَافٍ حَدَثَ، وَأَنَّ الِاخْتِلَافَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى بَعْثَةِ الرُّسُلِ هُوَ الِاخْتِلَافُ النَّاشِئُ بَعْدَ الِاتِّفَاقِ عَلَى الْحَقِّ كَمَا يَقْتَضِيهِ التَّفْرِيعُ عَلَى جُمْلَةِ: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ)، وَعَلَى صَرِيحِ قَوْلِهِ: (لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)، وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْقَرِينَةِ يَتَعَيَّنُ تَقْدِيرُ فَاخْتَلَفُوا بَعْدَ قَوْلِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً، لِأَنَّ الْبَعْثَةَ تَرَتَّبَتْ عَلَى الِاخْتِلَافِ لَا عَلَى الْكَوْنِ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَعَلَى هَذَا الْفَهْمِ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ)..، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الضَّلَالِ لَصَحَّ تَفْرِيعُ الْبَعْثَةِ عَلَى نَفْسِ هَذَا الْكَوْنِ بِلَا تَقْدِيرٍ، وَلَوْلَا أَنَّ الْقَرِينَةَ صَرَفَتْ عَنْ هَذَا لَكَانَ هُوَ الْمُتَبَادِرَ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: كَانَ مَنْ قَدَّرَ النَّاسَ فِي الْآيَةِ كَانُوا مُؤْمِنِينَ؛ قَدَّرَ فِي الْكَلَامِ فَاخْتَلَفُوا..، وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّقْدِيرَ قَوْلُهُ..: (وَما كانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا) ١٠يونس:١٩؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ اتِّحَادُ غَرَضِ الْآيَتَيْنِ، وَلِأَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ هُنَا عَنِ النَّاسِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً وَنَحْنُ نَرَى اخْتِلَافَهُمْ عَلِمْنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَدُومُوا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ التَّوْحِيدَ وَالْهُدَى وَالصَّلَاحَ هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا حِينَ خَلَقَهُمْ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَةُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ٧الأعراف:١٧٢، وَأَنَّهَا مَا غَشَّاهَا إِلَّا تَلْقِينُ الضَّلَالِ وَتَرْوِيجُ الْبَاطِلِ وَأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ النَّبِيئِينَ لِإِصْلَاحِ الْفِطْرَةِ..؛ وَأَنَّهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا لِإِكْمَالِ ذَلِكَ الْإِصْلَاحِ وَإِعَادَةِ النَّاسِ إِلَى الْوَحْدَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَالْهُدَى، وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ: (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا)..، وَعَنْ عَطَاءٍ وَالْحَسَنِ أَنَّ الْمَعْنَى كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً مُتَّفِقِينَ عَلَى الضَّلَالِ وَالشَّرِّ وَهُوَ يُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَعَلَيْهِ فَعَطْفُ قَوْلِهِ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ عَطْفٌ عَلَى اللَّفْظِ الظَّاهِرِ لَا تَقْدِيرَ مَعَهُ أَيْ كَانُوا كَذَلِكَ فَبَعَثَ اللَّهِ النَّبِيئِينَ فَيُعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ لِيُرْشِدُوا النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ بِالتَّبْشِيرِ وَالنِّذَارَةِ. فَالْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ إِظْهَارُ أَنَّ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ النَّبِيئِينَ قَدْ وَقَعَ فِيهِ التَّغْيِيرُ وَالِاخْتِلَافُ فِيمَا بُعِثُوا بِهِ وَأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْقُرْآنِ لِإِرْشَادِهِمْ إِلَى مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ بَيَانَ مَزِيَّةِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَفَضْلِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْبَيَانِ وَالْبُرْهَانِ، وَأَيًّا مَا كَانَ الْمُرَادُ فَإِنَّ فِعْلَ كَانَ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ فِي أَصْلِ مَعْنَاهُ.. فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي وَأَنَّ ذَلِكَ قَدِ انْقَطَعَ، إِذْ صَارَ النَّاسُ مُنْقَسِمِينَ إِلَى فِئَتَيْنِ فِئَةٍ عَلَى الْحَقِّ وَفِئَةٍ عَلَى الْبَاطِلِ، فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ الْوَحْدَةَ فِي الْحَقِّ فَقَدْ حَصَلَ ذَلِكَ فِي زَمَنٍ كَانَ الْغَالِبُ فِيهِ عَلَى النَّاسِ الرُّشْدَ وَالِاسْتِقَامَةَ وَالصَّلَاحَ وَالْإِصْلَاحَ فَلَمْ يَكُونُوا بِحَاجَةٍ إِلَى بِعْثَةِ الرُّسُلِ إِلَى أَنِ اخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ فَظَهَرَ فِيهِمُ الْفَسَادُ..، وَفِي تَفْسِيرِ الْفَخْرِ عَنِ الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ وَأَبِي مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيِّ أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فِي التَّمَسُّكِ بِالشَّرَائِعِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَصِفَاتِهِ وَاجْتِنَابِ الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ؛ وَحُجَّتُهُمَا عَلَى ذَلِكَ أَنَّ قَوْلَه: (النَّبِيِّينَ) جَمْعٌ يُفِيدُ الْعُمُومَ؛ أَيْ لِأَنَّهُ مُعَرَّفٌ بِاللَّامِ، فَيَقْتَضِي أَنَّ بِعْثَةَ كُلِّ النَّبِيئِينَ كَانَتْ بَعْدَ أَنْ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً؛ بِدَلِيلِ الْفَاءِ، وَالشَّرَائِعُ إِنَّمَا تُلُقِّيَتْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ كَوْنَ النَّاسِ أُمَّةً وَاحِدَةً شَيْءٌ سَابِقٌ عَلَى شَرَائِعِ الْأَنْبِيَاءِ؛ وَلَا يَكُونُ إِلَّا مُسْتَفَادًا مِنَ الْعَقْلِ، وَهُمَا يَعْنِيَانِ أَنَّ اللَّهَ فَطَرَ الْإِنْسَانَ فِي أَوَّلِ نَشْأَتِهِ عَلَى سَلَامَةِ الْفِطْرَةِ مِنَ الْخَطَأِ وَالضَّلَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٩٥التين:٤-٦، .. وَالَّذِي نَجْزِمُ بِهِ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي زَمَنٍ مِنْ أَزْمَانِ وُجُودِ النَّاسِ عَلَى الْأَرْضِ يَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْلِهِ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٣٨، .. (و) النَّاسُ أَبْنَاءُ أَبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ فَلَا جَرَمَ أَنْ كَانُوا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ أُمَّةً وَاحِدَةً لِأَنَّ أَبَوَيْهِمْ لَمَّا وَلَدَا الْأَبْنَاءَ الْكَثِيرِينَ وَتَوَالَدَ أَبْنَاؤُهُمَا تَأَلَّفَتْ مِنْهُمْ فِي أَمَدٍ قَصِيرٍ عَائِلَةٌ وَاحِدَةٌ خُلِقَتْ مِنْ مِزَاجٍ نَقِيٍّ فَكَانَتْ لَهَا أمزجة متماثلة ونشئوا عَلَى سِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَحْوَالِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا وَمَا كَانَتْ لِتَخْتَلِفَ إِلَّا اخْتِلَافًا قَلِيلًا لَيْسَ لَهُ أَثَرٌ يُؤْبَهُ بِهِ وَلَا يُحْدِثُ فِي الْعَائِلَةِ تَنَافُرًا وَلَا تُغَالُبًا..، فَالصَّلَاحُ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي خُلِقَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَدَامَ عَلَيْهِ دَهْرًا لَيْسَ بِالْقَصِيرِ، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَدُّ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، ذَلِكَ أَنَّ ارْتِدَادَ الْإِنْسَانِ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ إِنَّمَا عَرَضَ لَهُ بِعَوَارِضَ كَانَتْ فِي مَبْدَأِ الْخَلِيقَةِ قَلِيلَةَ الطُّرُوءِ أَوْ مَعْدُومَتَهُ..، الْبَشَرَ يَوْمَئِذٍ كَانُوا عَائِلَةً وَاحِدَةً

فِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ يَسِيرُ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ وَتَرْبِيَةٍ وَاحِدَةٍ وَإِحْسَاسٍ وَاحِدٍ فَمِنْ أَيْنَ يَجِيئُهُ الِاخْتِلَافُ؟..، الْبَشَرِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ صَلَاحٌ..، وَالْإِرْسَالُ بِالشَّرَائِعِ مُتَوَغِّلٌ فِي الْقِدَمِ.. (و) الْحَقَّ وَاحِدٌ لَا يُخْتَلَفُ فِيهِ إِلَّا عَنْ ضَلَالٍ أَوْ خَطَأٍ..، فَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لِإِبْطَالِ الِاخْتِلَافِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، ثُمَّ أَحْدَثَ اتِّبَاعُ الرُّسُلِ بِعْدَهُمْ اخْتِلَافًا آخَرَ وَهُوَ اخْتِلَافُ كُلِّ قَوْمٍ فِي نَفْسِ شَرِيعَتِهِمْ. وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا بَيَانُ عَجِيبِ حَالِ الْبَشَرِ فِي تَسَرُّعِهِمْ إِلَى الضَّلَالِ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ تَارِيخِيَّةٌ مِنْ تَارِيخِ الشَّرَائِعِ؛ وَتَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَالتَّعْرِيضُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ وَهُمْ أَشْهَرُ أَهْلِ الشَّرَائِعِ يَوْمَئِذٍ فِيمَا صَنَعُوا بِكُتُبِهِمْ مِنَ الِاخْتِلَافِ فِيهَا، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ اسْتِطْرَادِ الْقُرْآنِ فِي تَوْبِيخِ أَهْلِ الْكِتَابِ..، وَالضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ: (فِيهِ) يَجُوزُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْكِتَابِ؛ وَأَنْ يَعُودَ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْكِتَابُ، وَالْمَعْنَى عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ وَاحِدٌ..، وَالِاخْتِلَافُ فِي الْكِتَابِ ذَهَابُ كُلِّ فَرِيقٍ فِي تَحْرِيفِ الْمُرَادِ مِنْهُ مَذْهَبًا يُخَالِفُ مَذْهَبَ الْآخَرِ فِي أُصُولِ الشَّرْعِ لَا فِي الْفُرُوعِ، فَإِنَّ الِاخْتِلَافَ فِي أُصُولِهِ يُعَطِّلُ الْمَقْصُودَ مِنْهُ..، (و) الْمُخْتَلِفُونَ فِي مَقْصِدِ الْكِتَابِ هُمُ الَّذِينَ أُعْطُوا الْكِتَابَ لِيُزِيلُوا بِهِ الْخِلَافَ بَيْنَ النَّاسِ فَأَصْبَحُوا هُمْ سَبَبَ خِلَافٍ فِيهِ..، وَالْمَعْنَى تَشْنِيعُ حَالِ الَّذِينَ أُوتُوهُ بِأَنْ كَانُوا أَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْحَقِّ قَبْلَ مَجِيءِ الشَّرَائِعِ، لِأَنَّ أُولَئِكَ لَهُمْ بَعْضُ الْعُذْرِ بِخِلَافِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا بَعْدَ كَوْنِ الْكِتَابِ بِأَيْدِيهِمْ. وَقَوْلُهُ: (مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ).. الْبَيِّنَاتُ جَمْعُ بَيِّنَةٍ وَهِيَ الْحُجَّةُ وَالدَّلِيلُ. وَالْمُرَادُ بِالْبَيِّنَاتِ هُنَا الدَّلَائِلُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا الصَّدُّ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، وَهِيَ النُّصُوصُ الَّتِي لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَ مَدْلُولَاتِهَا أَعْنِي قَوَاطِعَ الشَّرِيعَةِ..، وَالْبَعْدِيَّةُ هُنَا: بَعْدِيَّةُ اعْتِبَارٍ لَمْ يُقْصَدْ مِنْهَا تَأَخُّرُ زَمَانِ الِاخْتِلَافِ عَنْ مَجِيءِ الْبَيِّنَاتِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، أَيْ أَنَّ الْخِلَافَ كَانَ فِي حَالَةٍ تَقَرَّرَتْ فِيهَا دَلَائِلُ الْحَقِّ فِي نُفُوسِ الْمُخْتَلِفِينَ..، وَالْمَعْنَى أَنَّ دَاعِيَ الِاخْتِلَافِ هُوَ التَّحَاسُدُ وَقَصْدُ كُلِّ فَرِيقٍ تَغْلِيطَ الْآخَرِ فَيُحَمِّلُ الشَّرِيعَةَ غَيْرَ مَحَامِلِهَا لِيُفْسِدَ مَا حَمَلَهَا عَلَيْهِ الْآخَرُ فَيُفْسِدُ كُلُّ فَرِيقٍ صَوَابَ غَيْرِهِ..، وَقَوْلُهُ: (بَيْنَهُمْ) مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: (بَغْياً) لِلتَّنْصِيصِ عَلَى أَنَّ الْبَغْيَ بِمَعْنَى الْحَسَدِ، وَأَنَّهُ ظُلْمٌ فِي نَفْسِ الْأُمَّةِ وَلَيْسَ ظُلْمًا عَلَى عَدُوِّهَا..، إِذِ الْمَقْصُودُ أَنَّ الْخِلَافَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ وَمُعَانِدِيهِ، وَلَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ قَبْلَ ظُهُورِ الدَّلَائِلِ الصَّارِفَةِ عَنِ الْخِلَافِ، وَلَا كَانَ ذَلِكَ الْخِلَافُ عَنْ مَقْصِدٍ حَسَنٍ بَلْ كَانَ بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ الْوَاحِدِ، مَعَ قِيَامِ الدَّلَائِلِ وَبِدَافِعِ الْبَغْيِ وَالْحَسَدِ. وَالْآيَةُ تَقْتَضِي تَحْذِيرَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيمَا وَقَعَتْ فِيهِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ مِنَ الِاخْتِلَافِ فِي الدِّينِ أَيْ فِي أُصُولِ الْإِسْلَامِ، فَالْخِلَافُ الْحَاصِلُ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ لَيْسَ اخْتِلَافًا فِي أُصُولِ الشَّرِيعَةِ، فَإِنَّهَا إِجْمَاعِيَّةٌ؛ وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ تَحْقِيقَهَا، وَلِذَلِكَ اتَّفَقَتْ أُصُولُهُمْ فِي الْبَحْثِ.. عَنْ مَقْصِدِ الشَّارِعِ.. وَاتَّفَقُوا فِي أَكْثَرِ الْفُرُوعِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي تَعْيِينِ كَيْفِيَّةِ الْوُصُولِ إِلَى مَقْصِدِ الشَّارِعِ..، أَمَّا لَوْ جَاءَ أَتْبَاعُهُمْ فَانْتَصَرُوا لِآرَائِهِمْ.. لَقَصْدِ تَرْوِيجِ الْمَذْهَبِ وَإِسْقَاطِ رَأْيِ الْغَيْرِ فَذَلِكَ يُشْبِهُ الِاخْتِلَافَ الَّذِي شَنَّعَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَحَذَّرَنَا مِنْهُ..، وَقَوْلُهُ: (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا).. فَالظَّاهِرُ عِنْدِي أَنَّ الْفَاءَ فَصِيحَةٌ لِمَا عُلِمَ مِنْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ التَّحْذِيرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الِاخْتِلَافِ ضَرُورَةَ أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا نَزَلَ لِهُدَى الْمُسْلِمِينَ لِلْحَقِّ فِي كُلِّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ؛ فَكَأَنَّ السَّامِعَ تَرَقَّبَ الْعِلْمَ بِعَاقِبَةِ هَذَا الِاخْتِلَافِ فَقِيلَ: دَامَ هَذَا الِاخْتِلَافُ إِلَى مَجِيءِ الْإِسْلَامِ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا..، فَقَدْ أَفْصَحَتْ عَنْ كَلَامٍ مُقَدَّرٍ..، وَالْمُرَادُ مِنَ (الَّذِينَ آمَنُوا) الْمُسْلِمُونَ لَا مَحَالَةَ، وَالضَّمِيرُ فِي (اخْتَلَفُوا) عَائِدٌ لِلْمُخْتَلِفِينَ كُلِّهِمْ..، وَفِي هَذَا إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ بِالْإِسْلَامِ لِإِرْجَاعِ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى التَّوْحِيدِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، أَوْ لِإِرْجَاعِهِمْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي جَاءَتِ الرُّسُلُ لِتَحْصِيلِهِ، فَاخْتَلَفَ أَتْبَاعُهُمْ فِيهِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُحَقِّقُوا بِأَفْهَامِهِمْ مَقَاصِدَ مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُمْ، فَحَصَلَ بِمَا فِي الْإِسْلَامِ مِنْ بَيَانِ الْقُرْآنِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ؛ وُضُوحُ الْحَقِّ وَالْإِرْشَادُ إِلَى كَيْفِيَّةِ أَخْذِهِ، فَحَصَلَ بِمَجِيءِ الْإِسْلَامِ إِتْمَامُ مُرَادِ اللهِ مِمَّا أُنْزِلَ مِنَ الشَّرَائِعِ السَّالِفَةِ، وَقَوْلُهُ: (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) تَذْيِيلٌ لِبَيَانِ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ..، فَكَمَا كَانَ الْبَشَرُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى هُدًى بَسِيطٍ ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ الضَّلَالَاتُ عِنْدَ تَحَرُّكِ الْأَفْكَارِ الْبَشَرِيَّةِ؛ رَجَعَ الْبَشَرُ إِلَى دِينٍ وَاحِدٍ.. وَهَذَا اتِّحَادٌ عَجِيبٌ، لِأَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ تَشَتُّتِ الْآرَاءِ وَالْمَذَاهِبِ، وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ ٣آل عمران:١٩"[٥٤٣].

[٥٤٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٩٨١٢).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Egyptology

علم الآثار المصرية

المَوْضُوع Subject

Monotheism in Ancient Egypt

التوحيد في مصر القديمة

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٠يونس:١٩.
- ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٢البقرة:٢١٣.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٥المائدة:٤٨.
- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ١١هود:١١٨و١١٩،
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٦النحل:٩٣.
- ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ. وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٩٢و٩٣.
- ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ. وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ. فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٥١-٥٣.
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٤٢الشورى:٨.
- ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ. وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٣الزخرف:٣٣-٣٥.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ٤٩الحجرات:١٣.
- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢البقرة:١٢٧-١٣٤.
- ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا

آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ. قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢البقرة:١٣٦-١٤١.

- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ٢البقرة:١٤٣.
- ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٣آل عمران:١٠٤، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ٣آل عمران:١٠٤و١٠٥.
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ٣آل عمران:١١٠.
- ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ٣آل عمران:١١٣.
- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ٤النساء:٤١.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٥المائدة:٤٨.
- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ٥المائدة:٦٦.
- ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٦الأنعام:١٠٨.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ١٠يونس:٦١.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ١٠يونس:٦١.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾، ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

No predestined future event before it exists; is hidden from your Lord; even the equivalent of an atom's weight, be it in the heavens or in the earth. Not even smaller than that or larger (is hidden from His absolute Knowledge)**; everything He decided to exist will certainly happen in his definite time; as if written in a perspicuous Book.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

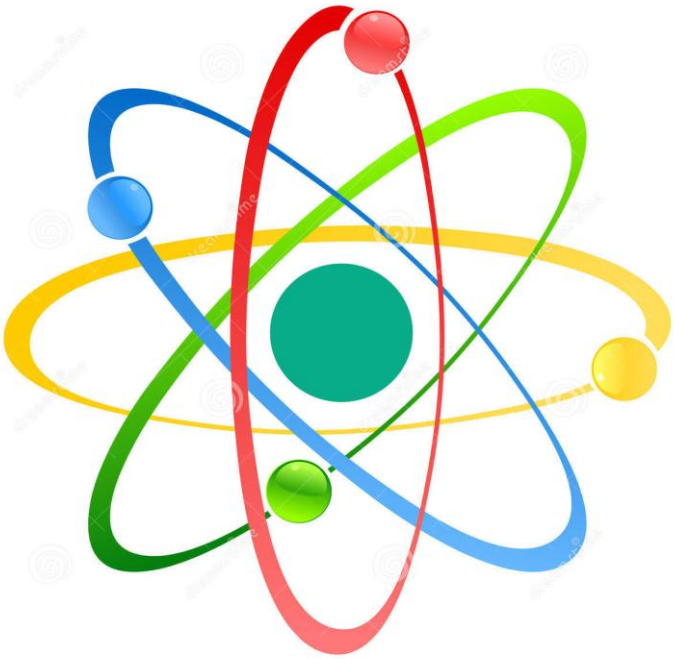

[١] تركيب الذرة

الذرة Atom؛ هي أصغر جزء أو أقل وحدة بناءٍ العنصر الكيميائي، والتي تُميزه عن بقية العناصر وتحتفظ بخصائصه الكيمائية، ويرجع أصل الكلمة الإنجليزية إلى الكلمة الإغريقية "أتوموس"؛ وتعني غير القابل للانقسام، إذ كان يُعتقد أنه ليس ثمة ما هو أصغر من الذرة، ولكن ثبت حديثًا وجود ما هو أصغر منها؛ حيث تتكون من سحابة من الشحنات السالبة (الإلكترونات) تدور حول نواة مُوجبة الشحنة صغيرة جدًا في المركز، وتتكون النواة من بروتونات موجبة الشحنة ونيوترونات مُتعادلة.

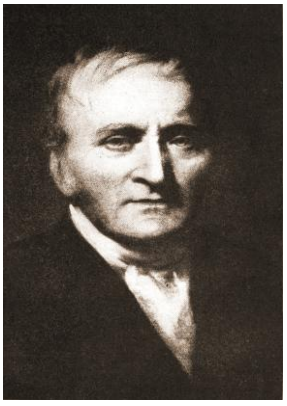

جون دالتون John Dalton
(١٧٦٦-١٨٤٤)

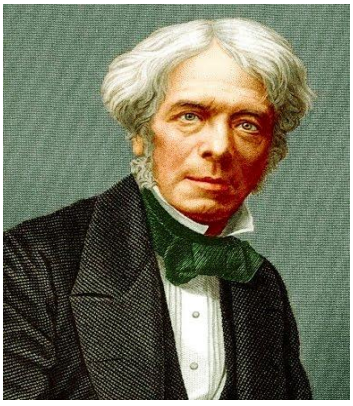

مايكل فراداي Michael Faraday
(١٧٩١-١٨٦٧)

جوزيف طومسون Joseph Thomson
(١٨٥٦-١٩٤٠)

في القرن التاسع عشر اعتقد جون دالتون John Dalton (١٧٦٦-١٨٤٤)؛ أن الذرة مُصمتة؛ ولا تقبل التجزئة، وتوصل مايكل فراداي Michael Faraday (١٧٩١-١٨٦٧) بتحليل بعض الأملاح إلى أن الذرات تحتوي على كهرباء، وفي ٣٠ أبريل عام ١٨٩٧؛ أدهش جوزيف طومسون Joseph Thomson (١٨٥٦-١٩٤٠) الأوساط العلمية بإعلانه أن الجُسيمات المُكونة لأشعة الكاثود هي أصغر حجماً بكثير من الذرات، وقد سُمى هذه الجسيمات بالإلكترونات، وأظهر اكتشاف الإلكترون أن المفهوم القديم عن الذرة، والذي ينطوي على أنها جسيم غير قابل للانقسام كان مفهوماً خاطئاً، وأدى إلى إثارة إشكال لدى الفيزيائيين، لأن الذرة مُتعادلة الشحنة؛ فأين الشحنة المُوجبة التي تُعادل شحنة الإلكترون السالبة؟.

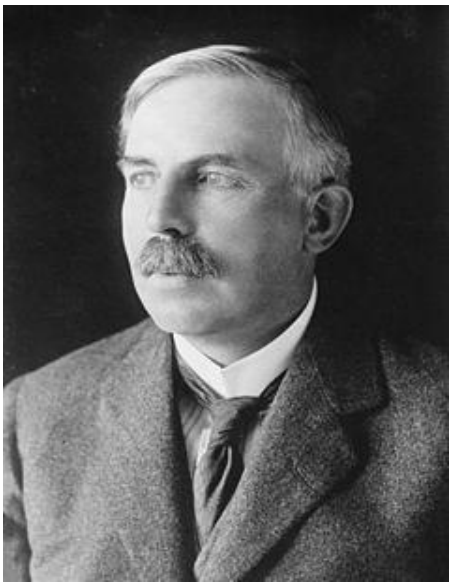

أرنست رذرفورد Ernest Rutherford
(١٨٧١-١٩٣٧)

وفي عام ١٩١١ افترض أرنست رذرفورد Ernest Rutherford (١٨٧١-١٩٣٧) النموذج النووي للذرة؛ مُعتبراً أن الذرة تتكون من كتلة صغيرة جداً وكثيفة جداً ذات شحنة مُوجبة تُسمى النواة؛ وتحتل مركز الذرة، وتحتوي نواة الذرة على جميع البروتونات، ولذا فان كتلة الذرة هي تعبير عن مجموع كتل البروتونات في نواتها؛ حيث أن قيمة كتل الإلكترونات صغيرة جداً، فهي قيم مهملة، كما أن شحنة النواة المُوجبة ترجع إلى تمركز البروتونات الموجبة بها، وتتوزع الإلكترونات في الذرة حول النواة بنفس الطريقة التي تتوزع بها الأجرام السماوية حول الشمس، وبما أن الذرة مُتعادلة كهربيًّا؛ لذا فعدد الإليكترونات السيارة يساوي عدد البروتونات بالنواة،

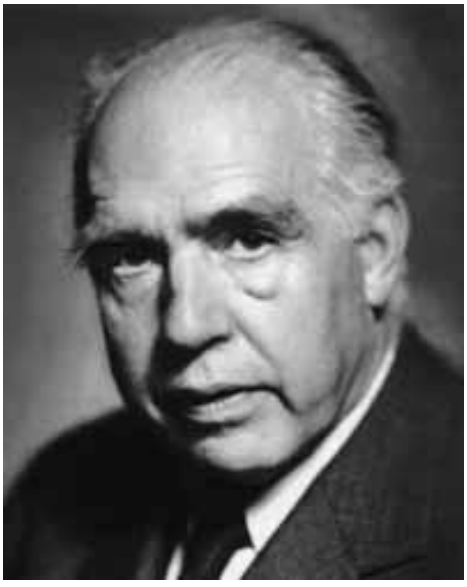

نيلز بور Niels Bohr
(١٨٨٥-١٩٦٢)

وفي عام ١٩١٣ اقترح نيلز بور Niels Bohr (١٨٨٥-١٩٦٢) أن الإلكترونات تدور حول النواة في مُستويات طاقة مُساوية لطاقة كل إلكترون في كل مستوى، فعند إعطاء الإلكترون كمية من الطاقة كالتسخين مثلاً؛ يكتسب الإلكترون طاقة إضافية وينتقل من مستوى طاقته إلى مستوى طاقة أكبر، ويكون الفرق بين طاقتي المستويين مُساوي للطاقة التي اكتسبها الإلكترون، وبعد مرور فترة زمنية مُتناهية في الصغر تقدر بجزء من مائة مليون جزء من الثانية؛ يفقد الإلكترون طاقته المُكتسبة على شكل إشعاع ضوئي، وقد سمى انتقاله إلى مستوى الطاقة الأقل بقفزة الكم للإلكترون، ولقد ساعد نموذج بور للذرة على تفسير الكيفية التي تتفاعل بها الذرات مع الضوء.

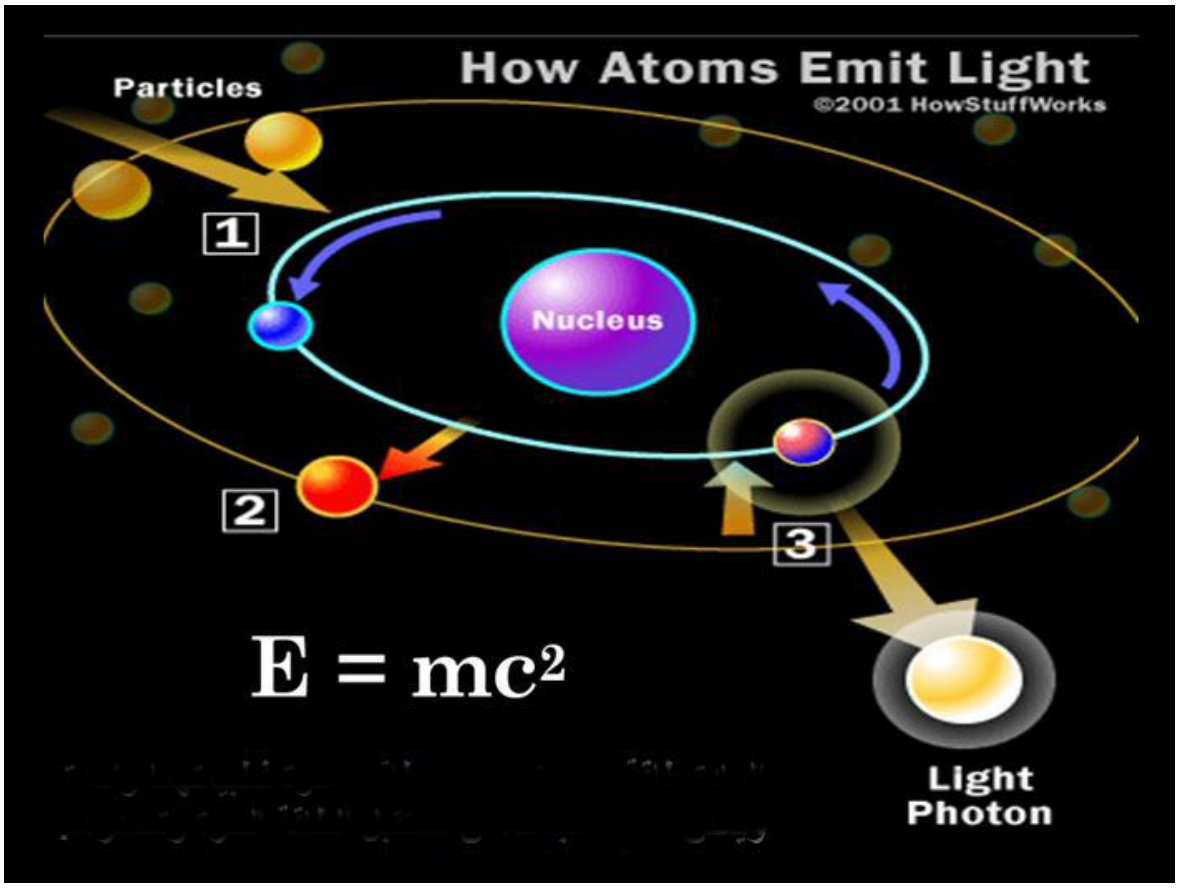

الذرة طاقة مُجمدة والقوى طاقات حرة؛ فطبيعتهما واحدة؛ ويُمكنها استقبال الطاقة لترفع مستوى الإلكترون، ثم تصدرها بهيئة ضوء، ويعود الإلكترون لمستواه الأول.

إرفين شرودنجر Erwin Schrödinger
(١٩٦١-١٨٨٧)

وفي عام ١٩٢٦م اقترح إرفين شرودنجر Erwin Schrödinger (١٩٦١-١٨٨٧) أن حركة الإلكترون البالغة السرعة حول النواة أشبه ما تكون بغيمة مشحونة أو مجال كهربي أكثر من كونه جسيم صلب؛ يُمكن تحديد موضعه، للذرة إذن أجزاء أصغر ونُعاين المواد جامدة ذات حيز نتيجة للحركة العاجلة؛ وكأن أصل كل شيء الاهتزاز والعجل في الخلاء.

وكلما غُصنا أكثر في المادة لنُلاقي الكيانات المادية الأصغر؛ لن يعود هناك فارق بين الوحدات الأساسية لبناء ذرة عنصر وآخر، فلا فرق بين بروتون في ذرة حديد وبروتون في ذرة نُحاس، والبروتونات والنيوترونات والإلكترونات هي نفس المُكونات الأساسية لجميع ذرات العناصر وكل الكواكب والنجوم والمجرات، وترجع الخصائص الكيمائية للذرة إلى عدد ما تحمله من جُسيمات أساسية والذي يُحدد وزنها الذري، فهي التي تصنع الفروق بين العناصر المُختلفة وبين الصُّور المُختلفة للعنصر نفسه؛ والتي تُسمى النظائر Isotopes، ولكن الجُسيمات الأساسية للذرة ليست نهاية المطاف في الضآلة؛ فكل كيان مادي دون الذرة يوجد ما هو أقل منه في تسلسل ينتهي إلى لبنة أولية واحدة مُهتزة بأقصى سرعة مُقدرة، فليس ثمة ما يُميزها سوى الحركة في عجل؛ هو أساس خلق الإنسان وجميع القُوى والمواد، تلك آخر صيحة في الفيزياء؛ توحيد كل شيء في البنية والأصل عند نشأة الكون في لبنة واحدة، هي أساس البناء كله[٥٤٤].

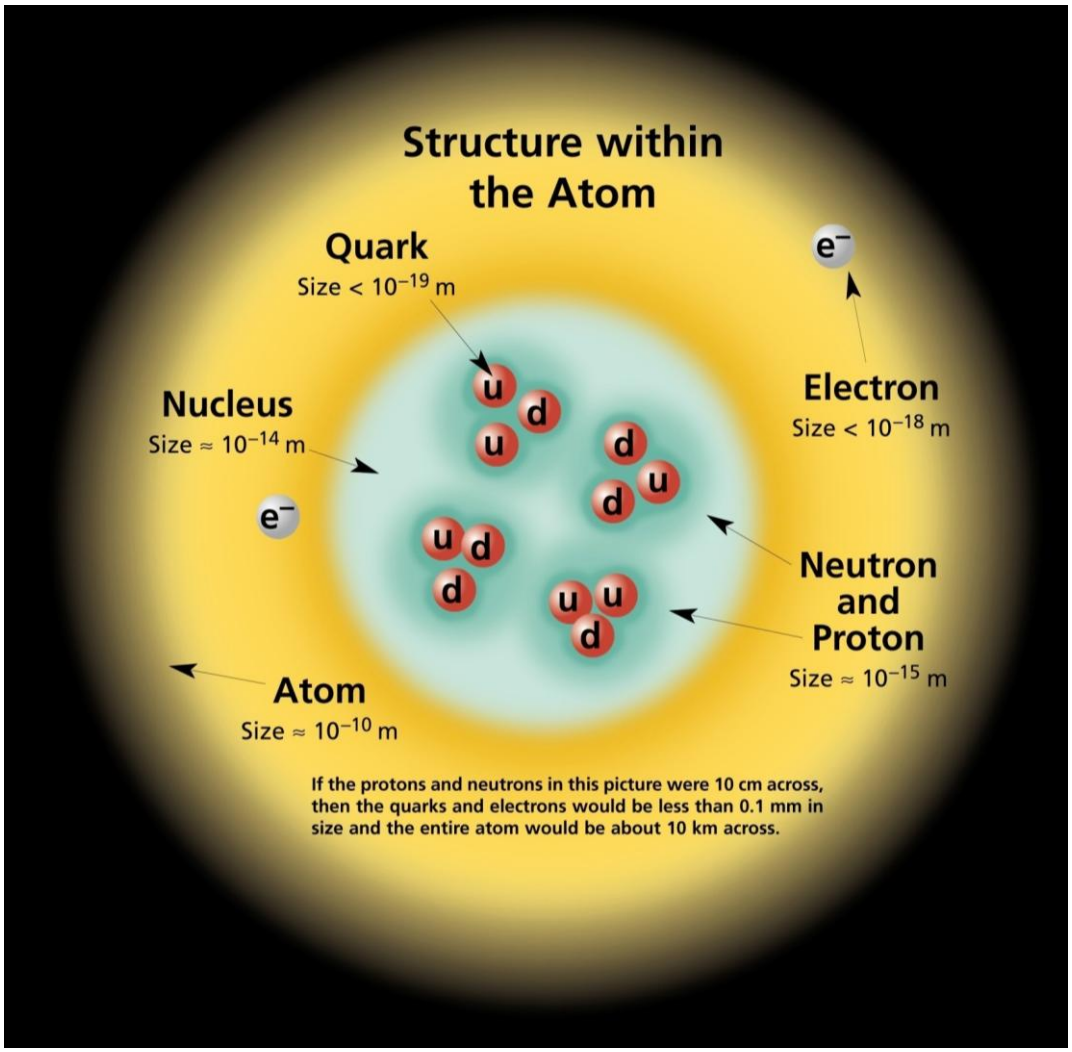

والذرة إذن أقل كيان يحفظ للمادة خصائصها الكيماوية؛ لكنها ليست نهاية المطاف في الضآلة، حيث تتركب من مُكونات داخلية أصغر منها؛ أعطيت أسماء للتمييز، وتتوحد فيها الخصائص العامة لما نُسميه مادة ذات حيز، ويتكون كل من البروتون والنيوترون كيانات أصغر من المادة؛ عبارة عن سفاسف وهُشاشات تُسمى كواركات Quarks، ولو افترضنا أن حيز الذرة بطول: ١٠ كم؛ فسيحتل كل من البروتون أو النيترون حيز بطول: ١٠ سم، وسيحتل كل من الإلكترون والكوارك حيز بطول حوالي: ٠,١ مم، ولكن الواقع أن حيز الذرة حوالي: ١٠قوة-١٠ متر، بينما تحتل النواة حيز بطول حوالي: ١٠قوة-١٤ متر، ويحتل كل من البروتون والنيوترون حيز حوالي: ١٠قوة-١٥ متر، أما الإلكترون فيحتل حيز بطول حوالي: ١٠قوة-١٨ متر، ويحتل الكوارك حيز حوالي: ١٠قوة-١٩ متر، وباقي الذرة كله فضاء.

[٥٤٤] Wikipedia International Encyclopedia

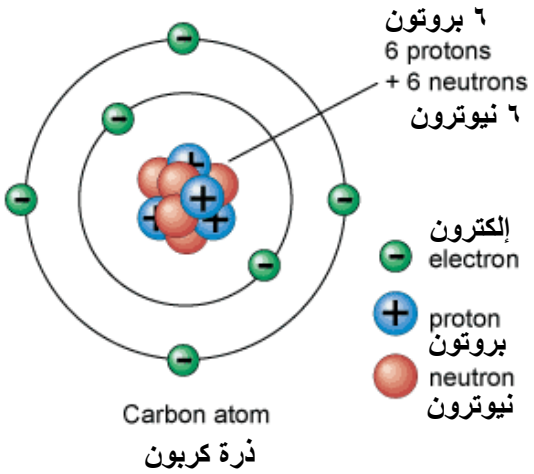

وإذن أقل وحدة للمادة فيزيائيًّا هو ذرة العناصر مُتناهية الثقل، وربما لم يعرف العرب سوى النمْلة او الهَبَاء تعريفا للذرة، ولكن القرائن تُرجح استخدام لفظ (ذرة) في القرآن الكريم بالمعنى الفيزيائي في مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ ٣٤سبأ:٢٢، فليس معهودًا وجود نملة في السماء؛ بينما تُوجد ذرة العناصر في الأرض والسماء، فهي وحدة بناء النُّجُوم والمجرات، والسياق ينفي أن يكون لهم أقل القليل من الشراكة في الخلق والتدبير بالكون؛ وذرة العناصر أقل بما لا يُقارن بنملة، والأنسب للسياق إذن في التمثيل بأقل القليل هو ذرة العناصر؛ ولا تليق النملة الأضخم كثيرًا لنفي الشراكة مع القدير.

حبة الخردل ضئيلة الحجم والثقل؛ لا يكاد يشعر الإنسان أن لها ثقل.

وفي سياق غاية القلة؛ شُبِّهَت أقل المادة بحبة خردل مُتناهية الثقل عِوَضًا عن الذرة بيانًا لعدل الله تعالى وواسع علمه وقدرته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ النساء: ٤٠،: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٤٧، ولكن الذرة اختصت دون حبة الخردل بوجود ما هو أصغر منها: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يونس: ٦١، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣،

وكأن حبة الخردل البالغة الضآلة المُتناهية الثقل؛ هي أقرب مثال في بيئة العرب زمن التنزيل للذَّرَّة الخفية عن الأنظار، وجزيئات المواد هي الأكبر في إطار الذرة وفق تعريف الفيزياء؛ والتعبير: ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ تمثيل لتدبير الحَيّ القَيُّوم وفق تقدير لكل الكائنات على كافة المستويات: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ الكهف: ١٠٩، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ٣١لقمان:٢٧، وهكذا يَتَّضِح أن التعبير بالتمثيل من بيئة العرب زمن التنزيل أسلوب مُفَضَّل؛ حتى إذا بلغه العَالِمُون بخفايا التكوين؛ عرفوا معناه وأدركوا مغزاه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت: ٤٣.

وضَرْبُ المثل بالذَّرَّة في القِلَّة والتصريح بوجود كيانات مادية أصغر منها؛ يتفق مع اكتشاف جسيمات تتألف منها الذرة، ويَتَضَمَّن لفظ ﴿أَصْغَرَ﴾ التَّدَرُّج في الصِّغَر؛ فلكل أصغر كيان أصغر منه، ونهاية المطاف إذن لبنة واحدة هي أساس الكون كله، وانتهت الفيزياء إلى أن نشأة الكون بحالة تَوَحُّد من مادة بناء أساسية واحدة Essential Building Matter؛ لبنتها واحدة في حالة أحدية وتفرد Singularity؛ تُعْلِن للفطين بأن القدير واحد أحد فرد صمد؛ لا مثيل لحكمته ولا نظير لقدرته.

ما أشبه التمرة بالذرة في وجود النواة، وبها تكوينات متدرجة الضآلة؛ هي الغشاء الرقيق حول النواة (القطمير)، ثم فتلة صغيرة في شق النواة (الفتيل)؛ وأخيرًا نقرة متناهية الضآلة واحدة تنشأ منها نخلة (النقير)، وبالمثل بالذرة جسيمات متدرجة الضآلة؛ آخرها لبنة واحدة متناهية الضآلة نشأ منها الكون.

وفي سياق بيان أقل كيان مَادِّي؛ ضُرِبَ المَثَل في القرآن الكريم بأقل من تمرة؛ بخلاف التمثيل بحبة الخردل أقل الحبوب المعروفة للعرب كمثال للذرة، وكأن أجزاء التمرة مثال لأجزاء الذرة: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ فاطر: ١٣؛ وهو غشاء رقيق يحيط بنواة التمرة، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء: ٧٧، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء: ٤٩؛ والإسراء: ٧١؛ والفتيل فتيلة بشق النواة أكثر ضآلة لأنه جزء من الغشاء، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء: ١٢٤، ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ النساء: ٥٣؛ وهو نقرة مُتناهية الضآلة بالكاد تراها العين في ظهر النواة مُقابل الشق، لكنها الأساس الذي تنشأ منه نخلة كاملة، والتمثيل بالتمرة ذات النواة يُناظر اكتشاف نواة للذرة بالمِثل، والتمثيل بأجزاء من التمرة بدون لفظ: (مثقال)؛ يتفق مع وجود أجزاء بالذرة لا يُدْرَكُ لها ثقل.

قال الخفاجي: "الفتيل مَثَلٌ يُضرب للحقارة؛ كالنقير للنقرة التي في ظهر النواة، والقطمير وهو قشرة النواة الرقيقة"، وقال القرطبي: "كِنَايَةٌ عَنْ تَحْقِيرِ الشَّيْءِ وَتَصْغِيرِهِ.. وَمِثْلُ هَذَا.. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء: ١٢٤، وَهُوَ النُّكْتَةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ؛ وَمِنْهُ تَنْبُتُ النَّخْلَةُ"، وقال ابن عطية: "لا شيء دُونَه في الصِّغَر"، والتمثيل بأجزاء تتدرج في الصِّغَر من تمرة إلى نقرة واحدة بالغة الضآلة، لكنها أساس تكوين نخلة كاملة؛ يتفق مع اكتشاف فصائل من جسيمات دون الذرة مُتَدَرِّجَةٌ في الصِّغَر تنتهي إلى لبنة واحدة عديمة الكتلة وبالغة الضآلة لا شيء دُونَها في الصِّغَر، ولكنها أساس الكون كله.

[٢] وحدة الكون برهان على وحدانية القدير

في سياق بيان تقدير كل شيء؛ يقول العلي القدير: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠، وجاءت الكلمة المُفردة (أَمْرُنَا) نظير (كُلَّ شَيْءٍ) فأفادت أن الأصل وأساس بنية كل شيء أمر واحد، يُقابله في الفيزياء: مادة أولية خام كانت تُسمى الهيولي، صنع منها القدير كل شيء؛ كالقطن تُصنع منه شتى الملابس، واللمح: وميض ضوء بالكاد تلمحه العين لسرعته، قال ابن فارس: "اللمح أصل يدل على لمع شيء"[٥٤٥]، وقال ابن سيده: "لَمَعَ الشيءُ: أَضَاء"[٥٤٦]، وفي بيان وجه التشبيه بومضة الضوء؛ قال الألوسي: "الغرض من التشبيه بيان سرعته"[٥٤٧]، وقال أبو حيان: "لَمَّا كَانَ أَسْرَعُ الْأَحْوَالِ وَالْحَوَادِثِ فِي عُقُولِنَا هُوَ لَمْحُ الْبَصَرِ ذَكَرَهُ.. بِكَوْنِهِ مِثْلَ لَمْحِ الْبَصَرِ فِي السُّرْعَةِ"[٥٤٨]، "تَشْبِيهٌ بِأَعْجَلِ مَا يُحَسُّ"[٥٤٩]، وقال الرازي: "اللَّمْحُ بِالْبَصَرِ مَعْنَاهُ (ضوء) الْبَرْقُ يَخْطَفُ بِالْبَصَرِ وَيَمُرُّ بِهِ.. وَذَلِكَ فِي غَايَةِ السُّرْعَةِ..؛ (بل) ونهاية السرعة"[٥٥٠]، وسرعة الأمر إذن كسرعة الضوء، قال الجزائري: "قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}؛ يُخبر تعالى.. عن علمه.. بسرعة كسرعة لمح البصر"[٥٥١]، والتعبير عن كل شيء بلفظ مُفرد (الأمر) يوافق أن الأصل عند خلق الكون مادة أساسية واحدة؛ تنويهًا بالأمر بكلمة (كُن)، والمُوجه للغير موجود كأنه موجود؛ بيانًا تصويريًّا للمشيئة العلية النافذة والقدرة المُطلقة المُبدعة.

---

[٥٤٥] أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٥\ ٢٠٩).

[٥٤٦] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (١٤ ٣٨٤).

[٥٤٧] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧\ ٤٣٥).

[٥٤٨] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٦\ ٥٧٣).

[٥٤٩] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٠\ ٤٩).

[٥٥٠] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٩\ ٣٣٠).

[٥٥١] جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (٥\ ٢١٩).

ولفظ (الْأَمْرَ) في مثل قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ السجدة: ٥، وقع مفعولاً به، يعني ما أمر الله تعالى به؛ وهو المأمور الذي كان عن أمره تعالى، أي ما أوجده ابتداء بقوله: (كُن)؛ أي أصل المادة والعُنصر الأول لها، قال الألوسي: "الأمر راجع إلى المُراد لا إلى الإرادة.. (أي) الأشياء المُرادة المُكونة"[٥٥٢]، يعني كما قال ابن تيميه: "مادة العالم وهيولاه المُتميزة عن صورته..؛ فإن هذه الصورة المُحدثة من الحيوانات والنبات والمعادن ليست قديمة باتفاق جميع العقلاء"[٥٥٣]، "وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقا لقوله (هذا خلق الله).. ولهذا يسمى المأمور به أمرا"[٥٥٤]، "والأمر الكوني كقوله..: (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر).. فهذا أمر تقدير كوني؛ لا أمر ديني شرعي"[٥٥٥]، "ولفظ الأمر يُراد به.. المفعول.. كما قال تعالى: (أتى أمر الله).. فهنا المراد به المأمور به؛ وليس المُراد به أمره الذي هو كلامه"[٥٥٦]، "و.. عن عمران بن حصين أن أهل اليمن سألوا النبي (عليه الصلاة والسلام) عن أول هذا الأمر.. فقال (كان الله ولم يكن شيء غيره)"[٥٥٧]، وقولهم (جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر) كان مُرادهم خلق هذا العالم.. فهذا الأمر إشارة إلى حاضر موجود..؛ وهو المأمور الذي كونه الله بأمره، وهذا مُرادهم"[٥٥٨]، "(و) ألفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول؛ فيسمى المأمور به أمرا... والمخلوق بالكلمة كلمة، فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمُراد به أنه خُلِقَ بكلمة.. كن..؛ وإلا فعيسى عليه السلام بشر..، وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه أمر الله؛ فالمراد أن الله كونه بأمره"[٥٥٩]، "وهذا قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها"[٥٦٠]، "وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر"[٥٦١].

---

[٥٥٢] روح المعاني ج١٤ص١٤٤.
[٥٥٣] الفتاوى لابن تيمية ج٢ص١٤٤.
[٥٥٤] دقائق التفسير ج١ص٣٢٥.
[٥٥٥] شفاء العليل ج١ص٢٨١.
[٥٥٦] الفتاوى ج٨ص٤١٢.
[٥٥٧] بيان تلبيس الجهمية ج١ص١٥٢.
[٥٥٨] الفتاوى ج١٨ص٢١٥.
[٥٥٩] الفتاوى ج١٧ص٢٨٣.
[٥٦٠] الفتاوى ج٤ص٢٢٧.
[٥٦١] شفاء العليل ج١ص٢٨٠.

[٣] تاريخ مجيد على درب التوحيد

حقق العلم قفزات هائلة لمعرفة طبيعة الكون وتطوره؛ فانتهى إلى التوحيد في البنية والنظام، في عام ١٦٧٦ نجح أولاس رومر Olas Roemer من تقديم أول دليل على أن سرعة الضوء محدودة غير لحظية وإن كانت هائلة، وفي عام ١٦٨٧ توصل إسحاق نيوتن Isaac Newton إلى قوانين حركة الأجسام ومفهوم الجاذبية كقوة واحدة تفسر سقوط تفاحة تجذبها الأرض كما تفسر جذب القمر نحوها فتمنع قوة الطرد المركزي سقوطه لِتَزَايِد سرعته كلما اقترب، وكأن الجاذبية تدفعه للحركة كسقطات متوالية، وبالمثل يجب أن تكون كل الأجرام السماوية حيث يتبع التابع الجسم المركزي ذي الكتلة الأكبر على بعد يحدده قانون الجاذبية؛ وبهذا توحدت الأرض والسماء وتأسست الفيزياء الكلاسيكية.

وفي عام ١٩٠٠ توصل ماكس بلانك Max Planck إلى أن الموجات تصدر عن الذرة بهيئة كميات متساوية متقطعة أجزاء متعاقبة سميت كمات Quanta؛ وسمى أقل مقدار للكم من الطاقة يثابت بلانك Planck Constant، وسمى أقل مسافة للكم الضوئي أي الذي تقطعه وحدة الضوء الفوتون Photon بمسافة بلانك Planck Distance؛ ومقدارها بالتقريب: ١٠ قوة -٣٨ كم، والزمن الذي لا يوجد أقل منه ويستغرقه الفوتون لينتقل بسرعة الضوء مسافة تعادل مسافة بلانك يُسمى بزمن بلانك Planck Time؛ وقيمته بالتقريب: ١٠ قوة -٤٣ ثانية، وتوصل بلانك كذلك إلى أن الموجات الكهربائية ما هي إلا وجه للمغناطيسية؛ فوحدهما معا تحت مُسمى الموجات الكهرومغناطيسية.

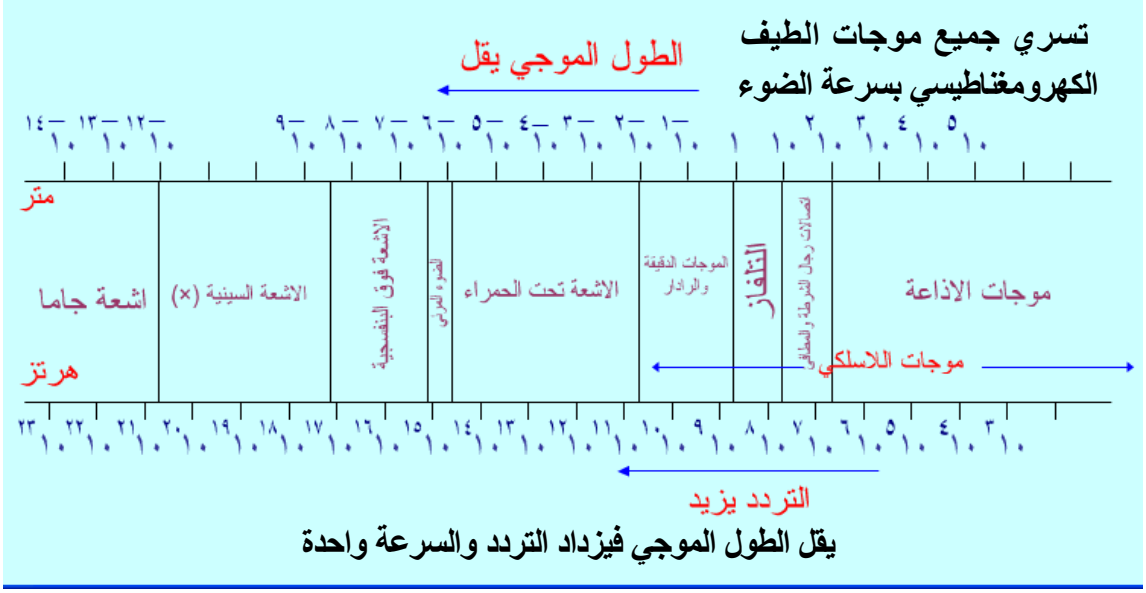

وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein مفاهيم النسبية الخاصة نافيًا وجود سكون في الكون لتنسب إليه حركة جسم فالكل يتحرك؛ لذا تُنسب حركة الجسم لآخر متحرك، إذن حركة كل الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المُطلقة Absolute فسُميت الثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، لأنها ثابتة مهما تحرك أي مراقب أو سكن، وهي سرعة الطيف الكهرومغناطيسي كله ويجب أن تكون سرعة أمواج الجاذبية كذلك، وكلما تزايدت سرعة جسم ذو كتلة لتقترب من سرعة الضوء تزايدت الكتلة وتضاءل طوله وقل الزمن، ومع بلوغ سرعته قيمة سرعة الضوء تُصبح الكتلة لا نهائية ويتلاشى الطول ويتوقف الزمن؛ لذا لا يبلغها سوى جسيم بلا كتلة، والموجة تنتقل عبر الفضاء بسرعة غير لحظية لا تتجاوز سرعة الضوء؛ وإذا اختفت الشمس كافتراض فجأة فلن نشعر في الأرض بالأثر لحظيًّا وإنما بعد دقائق بسبب سرعة الانتقال المحدودة، والعلاقة بين الكتلة وحركة جسيم بسرعة الضوء (c) ليتلاشى ويتحول إلى طاقة حرة لعلها قد استوحت فكرة أن الكتلة Mass (M) ما هي إلا طاقة Energy (E) مُكَدَّسَة مُجَسَّدَة، فأمكن التوصل إلى أنه يُمكن تحويل كتلة جسم M إلى طاقة E والعكس وفق علاقة ثابتة ($E = Mc^2$).

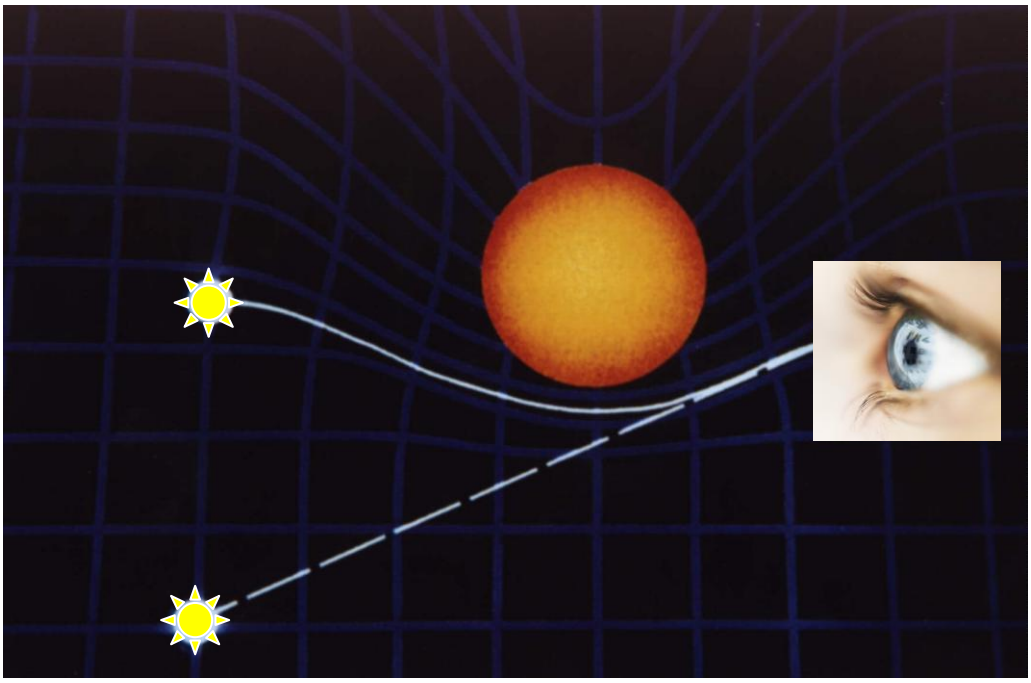

وفي عام ١٩١٥ نشر ألبرت أينشتاين نظرية النسبية العامة General Relativity؛ وطرح فيها فكرته الجريئة بإضافة الزمان كبعد رابع إلى أبعاد المكان (الطول والعرض والارتفاع)؛ لجعل طبيعة الفضاء نسيج زمكاني أشبه بشبكة الصيادين، فالمكان والزمان مرتبطان وكليهما نسبيان فضمهما أينشتاين معا بمصطلح الزمكان Space-Time تعبيرًا عن الفضاء؛ ويُحْدِث فيه كل جرم تقعرًا حسب ثقله، فالتقعر الذي تُحدثه الشمس في النسيج الكوني المَرِن أكبر من التقعر الذي تحدثه الأرض؛ فيؤدي لدورانها حول الشمس في أطراف التقعر الكبير الذي أحدثته على النسيج، فالنسيج الكوني المُنحني يفرض على الأرض بسبب الشمس أن تسير وفق ذلك الميلان فتبدو أنها مشدودة للشمس بقوة الجاذبية، والأرض إذن لا تدور حول الشمس لأنها تطلق قوة لتمسك بها؛ بل لأنها تسير في منحنيات النسيج الكوني، والفضاء المنحني Curved Space يُجْبِر مَسَار ضوء نجم يمر بجوار كتلة كبيرة كالشمس أن ينحني؛ وتحققت النبوءة برصد تقارب البُعد بين نجمين عند الكسوف لانحناء الضوء نحو الشمس، هذه المفاهيم هي أساس الفيزياء الحديثة.

وفي عام ١٩١٦ قدم كارل شوارتزشيلد Karl Schwarzschild فكرة الثقوب السوداء Black Holes استنادًا على مفهوم نسيج الفضاء الكوني الذي ينحني تحت تأثير الكتلة، فاقترح أن كتلة كبيرة ككتلة نجم ضخم إذا تكاثفت في مكان صغير فإنها ستحني النسيج الكوني لدرجة لا تسمح لشيء بالهروب من جذبه ولا حتى الضوء، وبقي الاعتقاد أنها مجرد نظرية؛ إلى أن تم رصد مادة متوهجة كأنها تُبتلع حول مناطق غير مرئية كمركز مجرتنا، فكسبت فكرة الكون المنحني مزيدًا من التأييد؛ وأعطت إيحاءً باحتمال أن الكون كان بالمثل في حيز ضئيل وتمدد.

وفي عام ١٩٢٢ اقترح ألكسندر فريدمان Alexander Friedmann فرضية تمدد الكون استنادًا لطبيعة النسيج الكوني وفق مفهوم النسبية العامة، وفي عام ١٩٢٧ أعطى جورج لومتر Georges Lemaître فرضية امتداد الكون من نقطة أولية كثيفة اسم: "افتراض الذرة الأولية"، وفي نفس العام أطلق عليها فريد هويل Fred Hoyle ساخراً في برنامج إذاعي في محطة B.B.C. الاسم الذي شاع لاحقًا: الانفجار الكبير Big Bang؛ لأنه كان يرفض أن للكون بداية، وقدم عام ١٩٤٩ مع توماس غولد وهيرمانبوندي نظرية الكون الأبدي أو الحالة الدائمة Steady State theory.

وفي عام ١٩٢٩ اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble أن المجرات البعيدة في طيف الضوء القادم منها منزاحة نحو الجانب الأحمر مما يعني أنها في ابتعاد تتناسب سرعته مع البعد وفق ثابت سمي بثابت هابل؛ كحالة صفير قطار تتضاغط الموجات بقدومه فيصبح حادًّا وتتخلخل مع ابتعاده وتسمى ظاهرة دوبلر Doppler phenomenon، فاستُنتج أن الكون قبل تمدده كان في الماضي منحصرًا في نقطة ضئيلة كثيفة يعكس شدة حرارتها إشعاع مميز؛ رصده أرنو بنزياس وروبرت ويلسون عام ١٩٦٤ من كل جهة فسمي الخلفية الإشعاعية Background Radiation، وتأكد أن للكون بداية وعمر محدود، وصحة التوسع والانتفاخ Inflation كالبالون؛ وإن شاع باسم الانفجار الكبير.

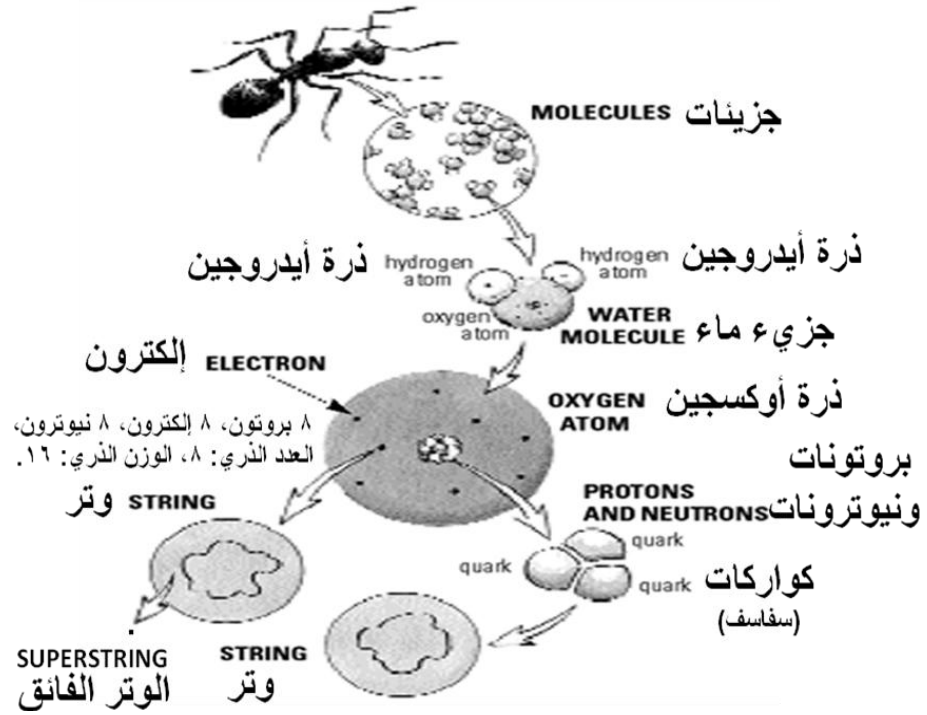

وفي عام ١٩٦١ اقترح موري غيل وكازوهيكو نيشيجيما أن النيوترونات والبروتونات الجسيمان الرئيسيان في نواة الذرة ليسا أقل شيء لا ينقسم؛ وإنما مصنوعان من لبنات سميت كواركات Quarks؛ أي سفاسف وهشاشات، وإذا ذهبنا بالمثل في أعماق الكوارك باتجاه الضآلة سنجد ما هو أقل منه، أي نتفه أو ندفة واحدة مهتزة من الطاقة بمقاييس بلانك في ضآلة الطاقة وزمن الاهتزاز والطول؛ أشبه بخيط أو بالأحرى وتر موسيقي متناهي الضآلة يهتز، وهكذا ظهرت الفكرة بأن بنية كل شيء أوتار تهتز؛ وأن منها ما يتشكل حلقات مُترابطة كنسيج القمصان المعدنية، وعلى هذا فدلالة كلمة الحبك على النسيج في وصف الكون لا تختص بالمستوى الكبير فحسب وإنما بنية جميع الذرات.

وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي طَوَّرَ جون شوارتز ومايكل غرين نظرية الأوتار Strings Theory، وفي خطوة أخرى نحو التوحيد Unification؛ قام إدوارد ويتن Edward witten في أواسط الثمانينات بتعديلها وأطلق عليها اسم نظرية الأوتار الفائقة M-Theory، وهي تجمع بين مجال ميكانيكا الكم في مجال الذرة والنسبية في المجال الكبير؛ وتُوَحِّد بين القُوَى والمواد وتصف المادة على أنها حالات اهتزاز متباينة لوتر أساسي واحد؛ كما يُعطي وتر الكمان أنغام متباينة باختلاف طوله، أي أن كل ما في هذا الكون من مادة أو طاقة أو شحنات هو في الواقع أوتار لكنها مهتزة بطرق مختلفة؛ وكأن الكون عبارة عن أنشودة مُتقنة مُوحدة الإيقاع وباختلاف اهتزاز الأوتار ينشأ تنويع لا يُعرف حَدُّه من بديع الكلمات، فتهافت الفيزيائيون عليها وسُميت نظرية كل شيء Theory of Everything، وكل تلك التسميات محاولات ضمن النموذج القياسي Standard Model المُستقر منذ عام ١٩٧٠ لفهم طبيعة الكون؛ والقائم على أن للكون بداية محددة في ظروف حرارة شديدة بردت مع التوسع فنشأت تنويعات الذرات وطبقات الأجرام.

ووفق النموذج القياسي تتكون المادة من كواركات هي لبنات البروتونات والنيترونات؛ في حين أن عائلة الليبتونات تضم مع الإلكترونات ما يُعرف باسم الإلكترون نيوترينو Electron Neutrino، وهو جسيم أولي لا يملك شحنة وكان قد افترض وجوده فولفغانغ باولي عام ١٩٣٠؛ واكتشفه فريق بقيادة فريدرك راينس وكلايد كوان عام ١٩٥٦، أما القوى الأربعة فهي الجاذبية Gravity والكهرومغناطيسية Electro-Magnetism والقوة النووية القوية Strong Force التي تقوم بضم مكونات نواة الذرة ومنعها من التبعثر بمعادلة أثر تنافر البروتونات الموجبة الشحنة، والقوة النووية الضعيفة Weak Force التي تقوم بكبح جماح أنوية الذرات الثقيلة المُشعة من الانشطار الذاتي فجأة.

وهكذا انتهت ملحمة الفيزياء إلى توحيد كل شيء في البنية والنظام من أصغر لبنة في الذرة إلى اللبنات العظام التي شيدت الكون؛ من المجموعة الشمسية إلى آخر أفق الكوازارات، فما نُسميه فضاء هو مجالات مادية طرائق صنعتها حولها كتل الأجرام الكونية، والفضاء إذن ليس فراغًا، وبنية الكون معارج تتموج وتتقوس وتنحني، وحتى الجسيمات دون الذرة تسبح كذلك في فضاء مادي كالسمكة تسبح في الماء، وكأن الكون كله خشبة مسرح تَعْرِض للفطين ملحمة الخلق المَحْبُوك بإتقان ونظام مقصود بلا عشوائية ولا مجال لمصادفة؛ لعله يدرك المغزى.

ولكن هويل نسب الحكمة والذكاء للنسيج وتجاهل من حاكه في كتابه: الكون الذكي The Intelligent Universe، وتبعه هاوكنج في كتابه: التصميم العظيم The Grand Design بقوله: لا دليل؛ وكأن الكون المهيب والتصميم الرائع ليس بدليل؛ وما هو إلا انتحار في مواجهة التيار الجارف للعلم نحو التوحيد؛ وبداية تجعل الكون عارض وعمره محدود، وخالف هويل نفسه في مقالة عام ١٩٨١ بقوله: "أن احتمال ظهور أشكال الحياة صدفة يُقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة؛ بتجميع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، وبالمثل خالف هاوكنج نفسه في كتابه: تاريخ موجز للزمن Brief History of Time؛ بقوله: "طالما أن للكون ابتداء؛ فحتمًا له خالق"[٥٦٢]، ووفق الموسوعة البريطانية فإن اختيار كل الأحماض الأمينية Amino Acids التي هي أساس تكوين البروتينات؛ لتكون عسراء الاتجاه صدفة بلا تدخل مقصود لإرادة مُوَجِّهَة؛ أشبه بقذف عملة معدنية في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على نفس الوجه!، ونشأة خلية حية واحدة إذن من ذاتها يُعد احتمالا مُستحيلا؛ مثل احتمال قيام قرد بكتابة تاريخ البشرية كله على آلة كاتبة بلا أخطاء.

ومن البديهي أن النظام Order لا تَصْنَعُهُ فوضى Chaos والصدفة لا تُفَسِّرُه؛ وإنما هو شاهد عدل على الخلق مهما كانت الكيفية، ولو كانت التغيرات غير مقصودة؛ فَلِمَ كانت دائمًا في اتجاه الأصلح لتبني الكون المنظوم المحبوك؛ والتنويع مع وحدة البنية يُعارض الإلحاد Atheism، وليس إلا مشيئة الخالق وسبق تقديره وحسن تدبيره بِعِلْم واقتدار، والفلسفة المادية الناكرة لمبدأ الخلق قد دحضتها كل ميادين العلم؛ وإلا انعدم ثبات القوانين، ومن يظل مُعتقدا بها عليه ألا يحسب نفسه من المُحققين، وقد رأي أينشتاين في صنع الله تعالى: النظام والقصد والحكمة والتناسق والبساطة والأناقة والجمال؛ وهي رؤى ثاقبة للكون المنظوم المُتقن المحبُوك، ولو كان وليد الصدفة ما كان نظام وآليات وقوانين على كافة المستويات، قال نيوتن: "إن هذا التكوين البديع في النظام الكوني يجب أن يُفهم منه القصد في التنظيم"، وقال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان".

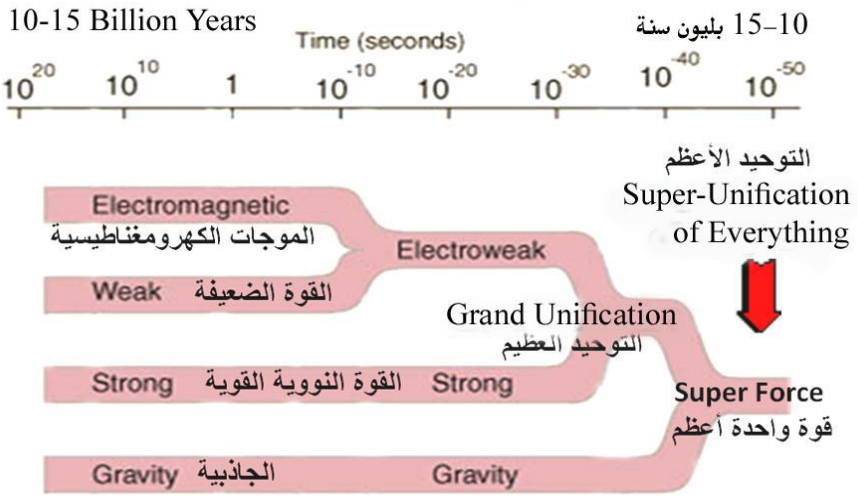

وفي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ كلمة (السَّمَاءِ) بالإفراد تعنى الكون كله باعتبار توحيد الابتداء كفضاء لم تميزه بعد عناقيد الأجرام سماوات؛ مادة خام واحدة صنع منها القدير كل شيء، وتوحدت فيها جميع القوى والمواد فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: Super-Unification of Everything؛ وتسمى القوة الأعظم Super Force، كان لإفراد لفظ (السَّمَاءِ) إذن في دلالته على الكون إشارة ضمنية على توحيد كل شيء في الأصل؛ وأكده إفراد لفظ الأمر: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)؛ تنويهًا للأمر بكلمة: (كُن).

[٥٦٢] Stephen Hawking, Brief History of Time, page 122.

الشيخ طنطاوي جوهري
(١٨٧٠-١٩٤٠)

قال طنطاوي جوهري: "(إفراد الأمر يعني أنه) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة، وتتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد، وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود؛ فهو صادر عن مادة أصلية واحدة"[٥٦٣]، فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس..، ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي..، (وقد) خلق اللهُ العالمَ من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"[٥٦٤].

ووفق نظرية الأوتار؛ كأن الوجود آلة ضخمة ذات وتر واحد يطول ويقصر فيصدر كل النغمات، لأن كل شيء مبرمج منظم وكأنه يصدح بأنشودة واحدة مقدرة الإيقاع؛ فمن إذن نظم إيقاع كل تلك الحشود!، قال طنطاوي جوهري: "(إذن) العالم كله على وتيرة واحدة (لأن طبيعة كل شيء واحدة)"[٥٦٥]، "فسبحان من شَكَّل الأشكال المُختلفة والألوان البديعة والأصل واحد"[٥٦٦]، "وإن الناس طُربوا لنغمات العود؛ لما فيها من النظام..، فأي فرق بين العود وبين نظام (الطبيعة)؟..، هذه نغمات لا يعقلُها إلا العالمون..، أفلا ترى أن هذه (نغمات) أرسلها الله في الطبيعة.. (كما لو أنها) العود الذي أنتج أحسن النغم!"[٥٦٧].

---

[٥٦٣] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١\ ١٨٠).
[٥٦٤] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١\١٤٦).
[٥٦٥] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٧\ ١٤٦).
[٥٦٦] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٩\١٠٨).
[٥٦٧] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٧\ ١١٩).

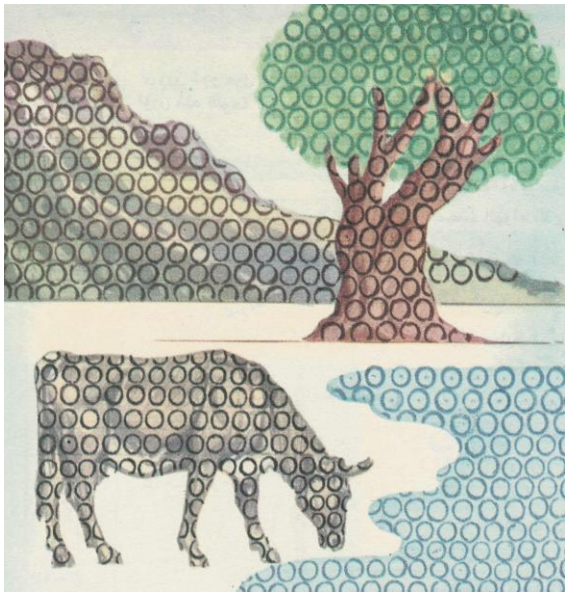
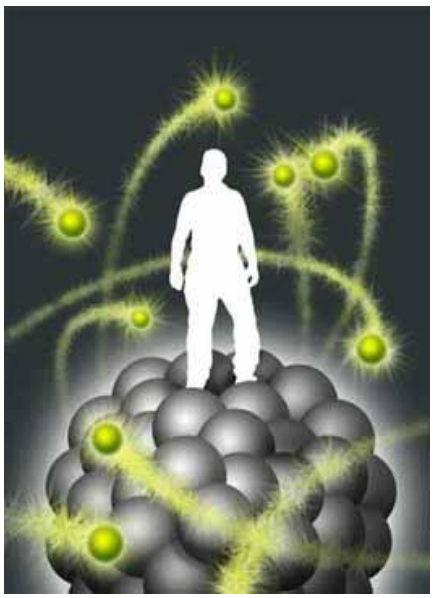

تتكون الذرات بأجسام كل الكائنات من نفس اللبنات، وأصلها جميعًا يرجع إلى لبنة أساسية واحدة؛ طبيعتها الحركة في عَجَل، خلق أخيرا منه الإنسان؛ على ظاهر اللفظ لا المجاز.

والتعبير المُذهل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ وصف الكون كله بأصله الأول؛ قوة واحدة عاجلة الحركة هي أساس بنية كل الأجسام، فأفاد أن الحركة في عجل طبيعة كل شيء، وأن الكون مُدَبَّر في نظام Order؛ ومأمُور ينطق بآمر يُدَبِّرُهُ، قال طنطاوي جوهري: "هذا النظام الجميل شاهد عدل على إله نظمه بعلمه وأحكمه بقدرته، فإن هذا العالم المُشاهد لا يُمكن أن يصدُر إلا عن إرادة؛ لأن المادة عمياء جاهلة والجاهل لا يعطي علمًا"[٥٦٨]، "إذن الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً..؛ طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً، ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلى لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس"[٥٦٩]، "فما هذا العالم كله إلا حركات"[٥٧٠]، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس"[٥٧١]، نشأ الإنسان إذن على رأس كل مخلوق؛ وطبيعته وأصل خلقته الحركة في عجل، وبخلاف بيان طبعه العجول: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ١٧الإسراء:١١؛ يكشف النبأ طبيعته وأصل خلقته: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

[٥٦٨] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢١\ ٢٥٩).
[٥٦٩] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٩٣\١٢٤).
[٥٧٠] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢٠\ ٣٢).
[٥٧١] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١١٥\ ١٨٨).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير مجمع البحوث: "{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}؛ المفردات: {فِي شَأْنٍ}: في أَمر تقصده، {كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا}: كنا رقباء مطلعين عليكم، {تُفِيضُونَ فِيهِ}: تخوضون وتندفعون فيه، وأَصل الإفاضة الاندفاع بكثرة أَو بقوة، {وَمَا يَعْزُبُ}: ولا يغيب، {مِثْقَالِ ذَرَّةٍ} المثقال: الوزن، والذرة: النملة والهباء، {كِتَابٍ مُبِينٍ}: المراد به اللوح المحفوظ أَو هو كناية عن علمه تعالى، ومعنى مبين بين واضح، التفسير: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} الآية؛ جاءَت هذه الآية إثر بيان دعوة المشركين إلى الإيمان بالقرآن، والفرح بما جاء فيه من آيات الحق، ليبين أَن الله يعلم حال الرسول مع قومه في تبليغهم أَمر ربه، وحال قومه معه في شأْن ما دعاهم إليه وأَنه سيجازى كلا حسب حاله، والمعنى: وما تكون يا محمد في شأن من شئون الإسلام، وما تتلو من شأْنك هذا من قرآن، ولا تعملون من عمل يا أيها الناس الذين بلغتكم دعوته، واستمعتم منه قرآن ربه، إلا كنا عليكم رقباء وحافظين، حين تخوضون في شأْن هذا القرآن وتندفعون في حقه بالباطل، وما يغيب عن علم ربك من شيء في وزن الهباء الدقيق؛ سواء أَكان ذلك الشيء الدقيق في الأرض أو في السماءِ، ولا أصغر من ذلك الهباء ولا أكبر منه إلا في علمه تعالى؛ لا يغيب عنه منه شيء، فكيف تخفى عليه تعالى أعمالكم، وكيف يغيب عنه كفركم"[٥٧٢].

وقال الألوسي: "(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ)؛ إخبار منه تعالى بعظيم اطلاعه سبحانه على الخواطر، وما يجري في الضمائر، فلا يخفى عليه جل شأنه خاطر ولا ضمير؛ (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)، ثم أخبر جل وعلا عن سلطان إحاطته على كل ذرة من العرش إلى ما تحت الثرى بقوله تبارك اسمه: (وَما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ) أي إن علمه سبحانه مُحيط بما في العالم السفلي والعلوي، فكل ذرة من ذراته داخلة في حيطة علمه؛ كيف لا وكلها قائمة به جل شأنه، ينظر إلى كل في كل آن نظر الحفظ والرعاية، ولولا ذلك لهلكت الذرات واضمحلت سائر الموجودات"[٥٧٣].

---

[٥٧٢] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (٤\ ١٠٩).

[٥٧٣] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٦\ ١٦٦).

وقال المراغي: "(وَما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ)؛ تفسير المفردات: الشأن: الأمر العظيم، وجمعه شئون، تقول العرب: ما شأن فلان، أي ما حاله، وأفاض في الشيء أو من المكان: اندفع فيه بقوة أو بكثرة، وعزب الرجل بإبله يعزب أي بعد وغاب في طلب الكلأ، والذرة: النملة الصغيرة، وبها يُضرب المثل في الصغر والخفة، وتُطلق على الدقيقة من الغبار الذي يرى في ضوء الشمس الداخل من الكوى إلى البيوت، والكتاب: هو اللوح المحفوظ المعنى الجملي: بعد أن بين سبحانه في سابق الآيات أن فضله على عباده كثير، وأن الواجب عليهم أن يشكروه بدوام طاعته وترك معصيته، وأن القليل منهم هم الشاكرون؛ قفي على ذلك بتذكيرهم بإحاطة علمه بشئونهم وأعمالهم؛ ما دق منها وما عظم في جميع ملكوت السموات والأرض، حتى يحاسبوا أنفسهم على تقصيرهم في ذكره وشكره وعبادته، الإيضاح: (وَما تَكُونُ فِي شَأْنٍ) أي وما تكون أيها الرسول الكريم في أمر من أمورك الهامة؛ خاصة كانت أو عامة مما تعالج بها شئون الأمة بدعوتها إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، إنذارا لها وتبشيرا وتعليما وعملا، (وَما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) أي وما تتلو من أجل ذلك الشأن من قرآن أنزل عليك تعبدا به أو تبليغا له، وفي التعبير بالشأن وهو الأمر ذو البال دلالة على أن جميع أموره صلى الله عليه وسلم كانت عظيمة حتى ما كان منها من مجرى العادات، لأنه صلى الله عليه وسلم كان فيها قدوة صالحة، وبعد أن خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم انتقل إلى خطاب الأمة كلها في شئونها وأعمالها فقال: (وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) أي ولا تعملون أي عمل، خيرا كان أو شرا، شكرا كان أو كفرا، وإن كان كمثقال الذرة، إلا كنا رقباء عليكم إذ تخوضون فيه، فنحفظه عليكم ونجازيكم به، (وَما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ) أي وما يبعد عن علمه ولا يخفى عليه أقل شيء يبلغ وزنه ثقل ذرة في الوجود السفلى والعلوي، وفى التعبير بالإفاضة دليل على أن ما يفيض الإنسان مهتمّا به مندفعا فيه؛ جدير بألا يغفل عن مراقبة ربه فيه واطلاعه عليه، وكذلك في التعبير بيعزب الدالّ على الخفاء والبعد؛ دليل على أن ما شأنه أن يغيب ويبعد عنا من أعمالنا لا يغيب عن علمه تعالى، وقدم ذكر الأرض لأن الكلام مع أهلها، ثم أكد سبحانه ما سبق وبيّن إحاطة علمه بكل شيء فقال: (وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ)؛ أي ولا شيء أصغر من الذرة مما لا تبصرونه من دقائق الكون وخفاياه، ولا أكبر من ذلك وإن عظم مقداره كعرشه تعالى، إلا وهو معلوم له ومحصى عنده في كتاب عظيم الشأن وهو الكتاب الذي كتب فيه مقادير الموجودات كلها إكمالا للنظام وبيانا لضبط جميع الأعمال، وفى معنى الآية قوله: (فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ. وَما لا تُبْصِرُونَ)، وفى ذلك إشارة إلى أن في الوجود أشياء لا تدركها الأبصار، وقد أثبت العلم الحديث بوساطة الآلات التي تكبّر الأشياء أضعافا مضاعفة (الميكروسكوبات) أن هناك أشياء لا يمكن رؤيتها إلا إذا كبرت عن حقيقتها آلاف المرات كالجراثيم (الميكروبات)، ولم تكن تخطر على البال في عصر التنزيل، وقد ظهرت للناس الآن فهي من روائع الإعجاز العظيمة الدالة على أنه من كلام العليم الخبير"[٥٧٤].

[٥٧٤] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١١\ ١٢٦).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Physics

علم الفيزياء

المَوْضُوع Subject

Atom Structure

تركيب الذرة

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ١٠يونس:٦١.
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣.
- ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ ٣٤سبأ:٢٢.
- ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٤٧.
- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ٣١لقمان:٢٧.
- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت: ٤٣.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ٣٥فاطر:١٣.
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ٤النساء:٧٧.
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ٤النساء:٤٩.
- ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٧١.
- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ٤النساء:١٢٤.
- ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ ٤النساء:٥٣.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ١٧الإسراء:١١.
- ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٤النساء:٤٠.
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٩٩الزلزلة:٧و٨.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي
وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ
وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ١١هود: ٤٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ. وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ١١هود: ٤١-٤٤.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾، ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾، ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

It was proclaimed; O earth swallow down your water, and O sky withhold (rain)**, and the** (excess) **water was reduced** (over the land)**, and the Decree** (of Allah) **was fulfilled** (destruction of Noah's people)**, as it** (the Ark) **came to rest on the** (mount) **Judi, and it was proclaimed; Cursed be the wrongdoing people.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لم تكن قصة نوح (عليه السلام) مع قومه سوى أسطورة عند الملاحدة، وقد ذكرها القرآن الكريم على وجه التفصيل، وبين أن جبل الجودي هو مستقرها، وأكد أنها آية محفوظة تشهد للقرآن بالوحي، واكتشفت السفينة بالفعل على الجودي؛ فأخزت الملاحدة وأسكتت الطاعنين في القرآن بتهمة الاقتباس من الأسفار لادعائها جبال أرارات وليس جبل الجودي.

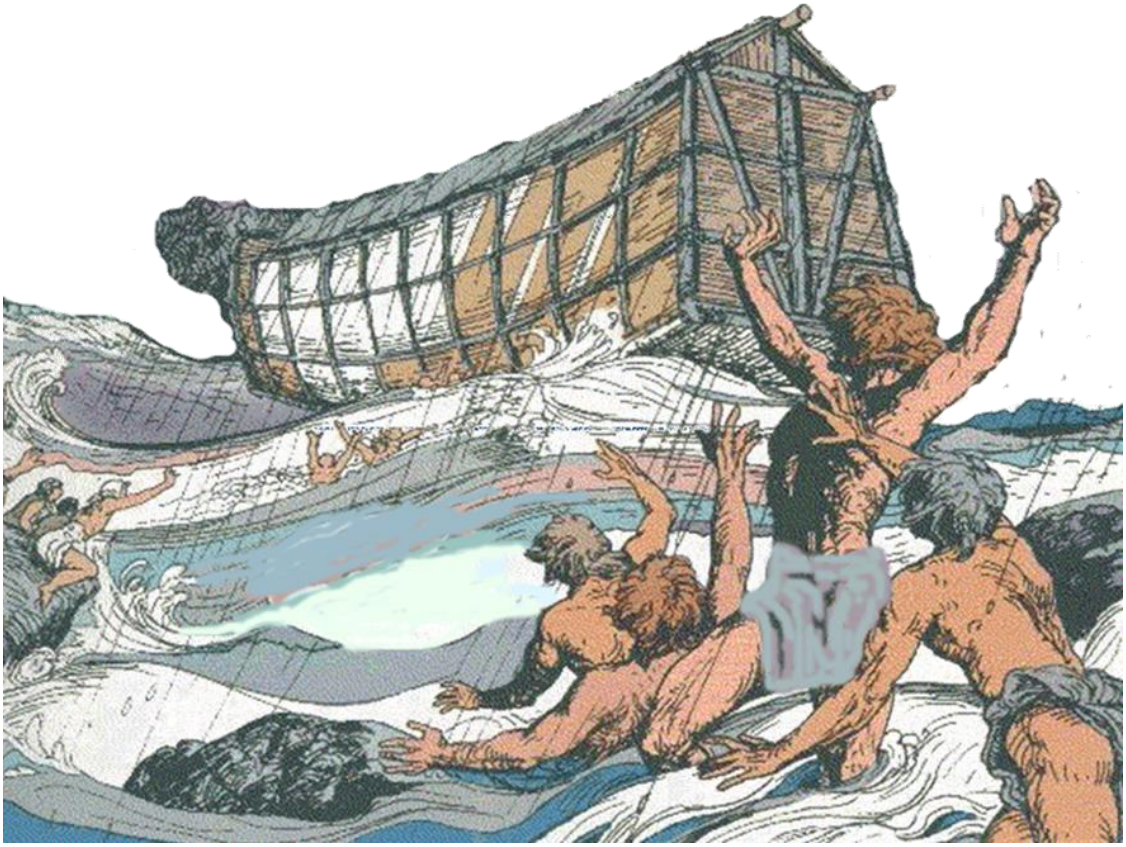

وإذا جمعت أطراف قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم فيمكنك تصور الأحداث على النحو التالي: ثارت البراكين كتنور كبير وهطل مطر غزير وانفجرت الأرض عيونا بماء وفير وتحولت السيول لفيضان كبير، وهاجت الأمواج وعلت لتصبح كالطود العظيم تكتسح أمامها كل عمران ولا تبقي للقاطنين من أثر، وفي خضم الأمواج العاتية امتدت العناية الرحيمة لتحمل هيكل كبير حوي قلة من العابدين لتبلغهم بسلام بر الأمان، ولم تحم من الغرق حتى الجبال من كانوا بالأمس منهم ساخرين، عاش القوم منعمين في جنات وارفات بغير منغصات لكنهم نسوا فضل المنعم الكريم وأصروا على عبادة جملة من الأوثان، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ نوح: ٢٣.

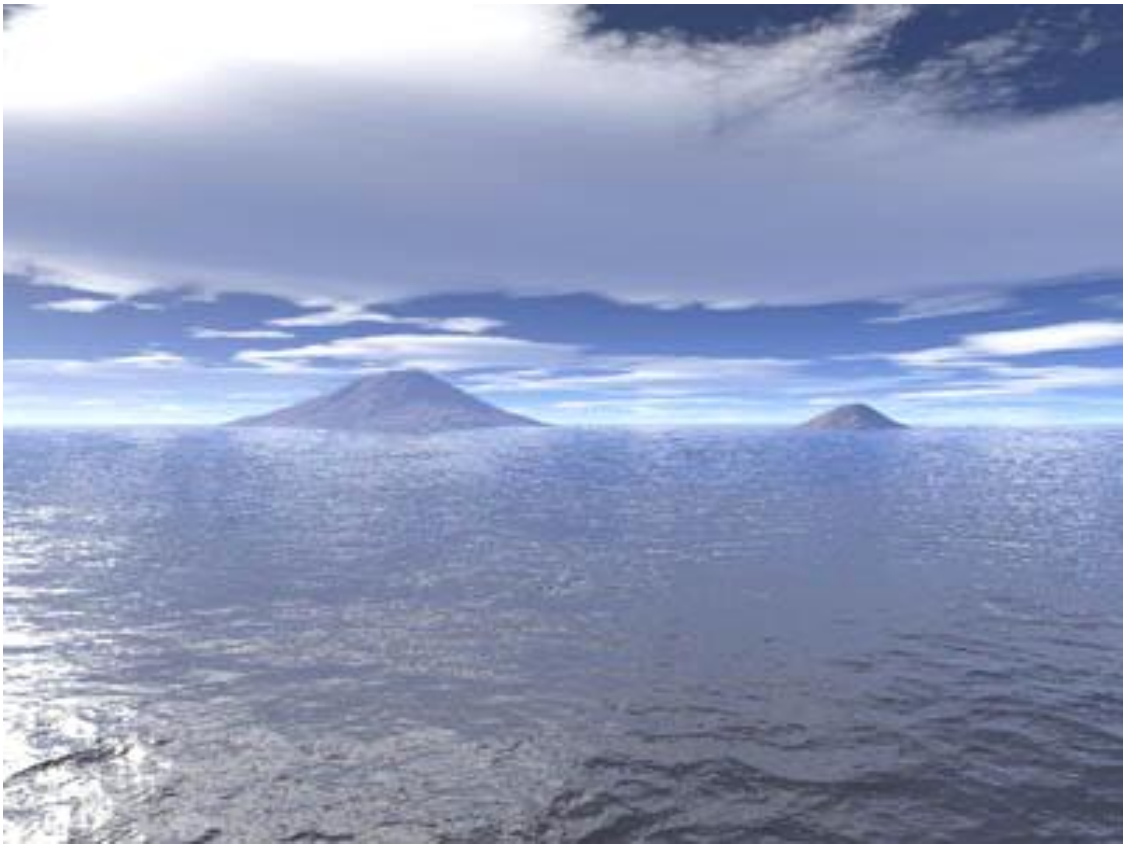

استخفوا بالتحذيرات فلم يحمهم من قدرة العلي وثن وكأن المنطقة لم تكن يوما مرتعا للمرح وساحة للتكبر والعناد، فما الذي حدث؟، إنه الطوفان العظيم The Great flood، حدث مأثور روته الحضارات القديمة ونقله كتبة الأسفار وتميز القرآن الكريم بدقة وصفه ومطابقته للكشوف بينة على الوحي، لم يتبق إلا سفينة يدفعها الطوفان لتستقر على سفح جبل آية للمعتبر في صنعها وسيرها وحفظها على علمه تعالى وقدرته، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ. فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ. فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى المَآءُ عَلَىَ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ. وَحَمَلْنَاهُ عَلَىَ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ. تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ. وَلَقَدْ تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ القمر: ٩ ـ ١٥، قال محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله (ت ١٣٩٣هـ): "ضمير المؤنث في (تَرَكْنَاهَا) عائد إلى (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) أي السفينة..، أي أبقينا سفينة نوح محفوظة..؛ لتكون آية تشهدها الأمم".

وفي مايو عام ١٩٤٨ كشفت الزلازل والأمطار عن آثار سفينة كبيرة متحجرة مطمورة في الرواسب الطينية على سفح جبل الجودي تحديدا في جنوب شرق تركيا بالقرب من حدودها مع سوريا والعراق؛ اكتشفها راعي غنم اسمه رشيد سرحان من قرية أوزنجيلي Uzengili الكردية القريبة من موقع السفينة، وفي أكتوبر عام ١٩٥٩ في أحد طلعات طيران الجيش التركي عاين الطيار دوروبينار Durupinar السفينة المطمورة وأبلغ القيادة، وفي العام التالي ١٩٦٠ أرسلت أول بعثة لمنطقة الأكراد الجبلية الوعرة بجنوب شرق تركيا لمعاينة السفينة على سفح جبل الجودي Mount Judi، ولا يُعقل أن توجد سفينة على جبل على ارتفاع حوالي ٢٠٠٠ متر من سطح البحر إلا أن يرفعها شيء؛ وليس في الأخبار والأسفار والقرآن سوى الطوفان، أثار الخبر دهشة كبيرة لأن قصة السفينة عند الملاحدة أسطورة، وأما الأسفار فقالت أنها على جبال أراراط Ararat؛ وقال القرآن الكريم بل الجودي Judi وصدق، في سفر التكوين: "وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء"، "واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط" إصحاح ٧ فقرة ١٩، وإصحاح ٨ فقرة ٤، وأراراط سلسلة بركانية متصلة ذات قمتين المسافة بينهما حوالي ١١ كم أدناهما ترتفع حوالي ٤٠٠٠ متر وأعلاهما تكسوها الثلوج وترتفع حوالي ٥٠٠٠ متر فوق سطح البحر، وهي أعلى قمة في تركيا، ويقع أرارات شرق تركيا بالقرب من حدود أرمينيا وإيران بينما يقع الجودي جنوب شرق قرب الموصل بالعراق وحدود سوريا، فمن أين إذن استمد القرآن هذا التحديد الدقيق مع بعد جزيرة العرب!.

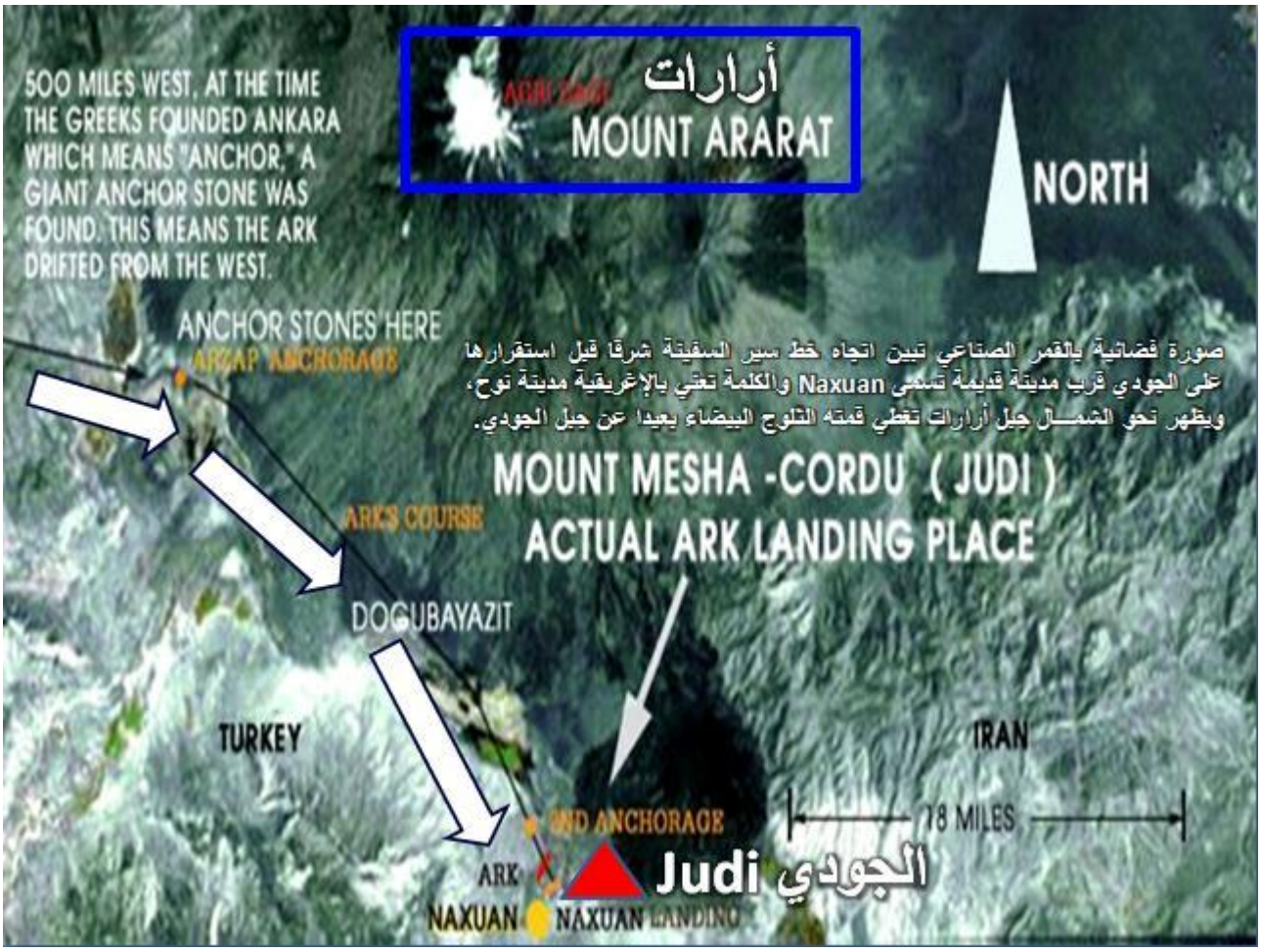
500 MILES WEST, AT THE TIME THE GREEKS FOUNDED ANKARA WHICH MEANS "ANCHOR," A GIANT ANCHOR STONE WAS FOUND. THIS MEANS THE ARK DRIFTED FROM THE WEST.
أرارات
MOUNT ARARAT
NORTH
ANCHOR STONES HERE
ARGAP ANCHORAGE
صورة فضائية بالقمر الصناعي تبين اتجاه خط سير السفينة شرقا قبل استقرارها على الجودي قرب مدينة قديمة تسمى Naxuan والكلمة تعني بالإغريقية مدينة نوح، ويظهر نحو الشمال جبل أرارات تغطي قمته الثلوج البيضاء بعيدا عن جبل الجودي.
MOUNT MESHA -CORDU (JUDI)
ACTUAL ARK LANDING PLACE
ARK'S COURSE
DOGUBAYAZIT
TURKEY
IRAN
78 MILES
2ND ANCHORAGE
ARK
الجودي Judi
NAXUAN
NAXUAN LANDING

BLACK SEA
Lake Sevan
Altintepe
Argishtikinili
Erebuni
EUPHRATES RIVER
ARAXES RIVER
MT. ARARAT
Lake Van
Tushpa
Maiatya
Cudi Dagh
Musasir
Lake Urmia
TIGRIS RIVER
Haran
Nineveh
ASSYRIA
ARARAT REPORT MAR/MAY 1989 NUMBER 21

الألواح الخشبية المتحجرة.

المسامير الحديدية لربط الألواح الخشبية

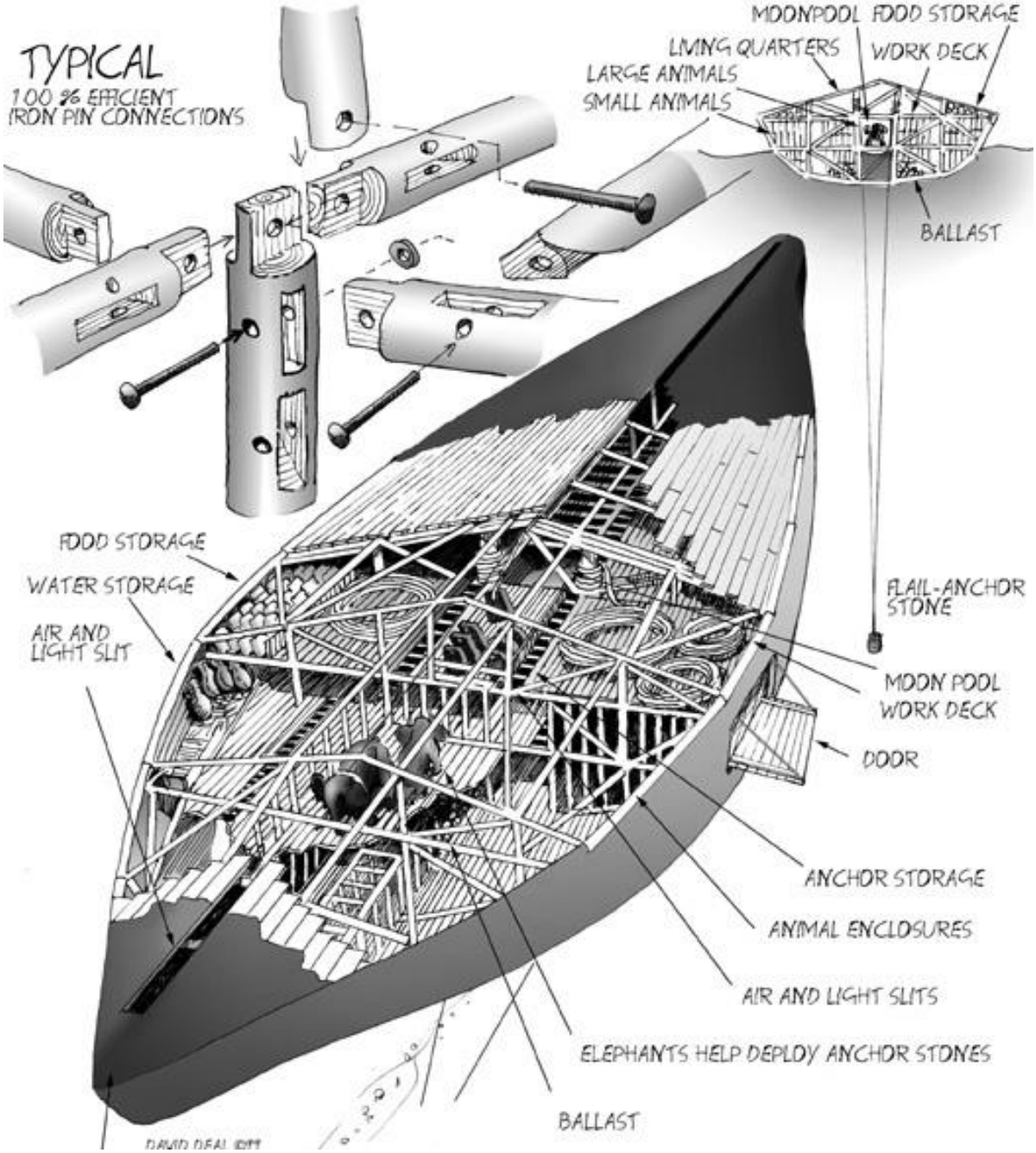

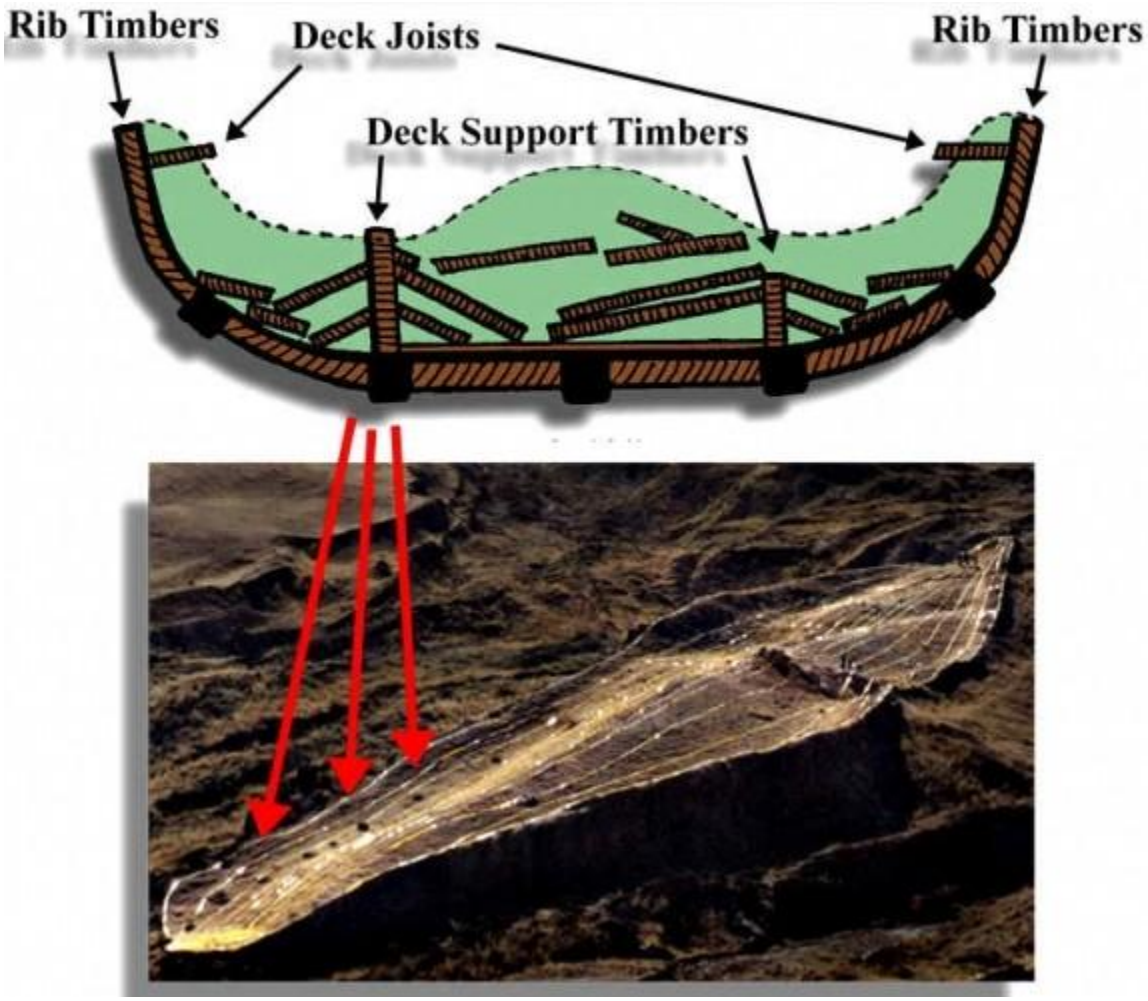
Rib Timbers
Deck Joists
Rib Timbers
Deck Support Timbers

Objects from within and Around the Site
"KPR"
(in the wall of the site)
Marine Fossils
Bivalve shell (Pectinidae), also fossilized tooth from a large herbivore
Marine fossils were found at an altitude of over 1,900 m in the mud flows around the site but none were observed within the site itself.
Fossilized Coral
(found 300 meters NW of site)
© 1995, 1998 Robert C. Michelson

وصدق القرآن الكريم في تصوير بليغ بديع يحلو في الآذان ويهز الوجدان: ﴿وَقِيلَ يَأَرْضُ ابْلَعِي مَآءَكِ وَيَسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِيَ الأمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيّ وَقِيلَ بُعْداً لّلْقَوْمِ الظّالِمِينَ﴾ هود:٤٤، ولم يبدأ الاهتمام الفعلي إلا عام ١٩٨٥ واستخدمت البعثات العلمية حتى مايو ٢٠٠٧ تقنيات حديثة فأكدت الدراسة نبأ القرآن الكريم، وأظهر التصوير بالرادار واستشعار المواد المعدنية تركيب السفينة من الداخل بهيئة تكوينات منتظمة غير طبيعية تؤكد أنها صنعة يد، وقد وجد الباحثون حفريات متحجرة حول السفينة لقواقع مياه عذبة ومياه مالحة ومرجان على ارتفاع لا توجد فيه بحار، واكتشفت بعض مسامير ربط الألواح الخشبية Rivets وهي عادة تطرق من الجهتين لمنع الانفلات، وتسمى اليوم براشيم Rivets وسماها القرآن الكريم "دُسُر" كاشفا وحده تركيب السفينة قبل أن يعرف أحد شيئا عن تلك المسامير، قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىَ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ القمر:١٣، وأوجز الشيخ مناع القطان رحمه الله تعالى (ت ١٤٢٠هـ) تفسير جمهور المفسرين بما يكاد يكون إجماعا بقوله: أي "وحملنا نوحاً ومن معه على سفينة مصنوعة من الخشب والمسامير".

ولم يؤيد المحققون تصور كتبة الأسفار أن السفينة اتسعت لكل أزواج الحيوانات الأليفة والمفترسة في كل كوكب الأرض وأن الطوفان عالمي، ولك أن ترجح أن شحنة الحيوانات والطيور كانت من معهود المواشي والأنعام بغرض التربية في الموطن الجديد وليست كل حيوانات الأرض؛ خاصة أن في القرآن لم يرسل نوح برسالة كافة الأنبياء إلا لقومه خاصة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىَ قَوْمِهِ إِنّي لَكُمْ نَذِيرٌ مّبِينٌ. أَن لاّ تَعْبُدُواْ إِلاّ اللّهَ إِنّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ هود ٢٥و٢٦، وتأخذك المشاهد غضة طرية في روعة وجلال تحشد في ذهنك شتى التصورات يشارك فيها نظم المقاطع وإيقاع الفواصل في تجسيد المضمون، قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الّذِينَ ظَلَمُواْ إِنّهُمْ مّغْرَقُونَ﴾ هود ٣٧، كانت صناعة السفينة إذن آية عظيمة على عناية الله استنفذ فيها نوح وفريقه كل مهارات عصره ولكنه بالوحي فاق عصره في التقنية، وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التّنّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الّذِينَ ظَلَمُواْ إِنّهُمْ مّغْرَقُونَ﴾ المؤمنون ٢٧.

والتنور هو موقد الخبز وهو من المُعتادات اليومية، وما أشبه ثورة البركان بتنور الحطب في الثوران وفوران الأبخرة، أيكون فوران التنور تمثيل خاصة أن الحدث يخص الأرض!، قال سيد قطب رحمه الله (ت ١٣٨٦ هـ): "تلك هي العلامة ليسارع نوح فيحمل في السفينة بذور الحياة "، و"تتفرق الأقوال حول فوران التنور وتبدو رائحة الإسرائيليات فيها.. وأقصى ما نملك أن نقوله: التنور الموقد.. (وفورانه بتفجر عيون ماء حار مضغوط) قد يكون.. بفوارة بركانية (من باب التشبيه والتمثيل)"، وقالوا في التفسير المراد بالتنور وجه الأرض، قاله ابن عباس وعكرمة والزهري وقال قتادة أعاليها، ويرجح التمثيل التصريح في التنزيل العزيز بتفجر الأرض عيونا لا تنور الحطب، قال تعالى: (وَفَجّرْنَا الأرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى المَآءُ عَلَىَ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) القمر:١٢، والمعلوم حاليا أن ارتفاع الحرارة نتيجة الأبخرة الحارة المُتكاثفة في الجو هي مصدر الأعاصير والمطر الغزير.

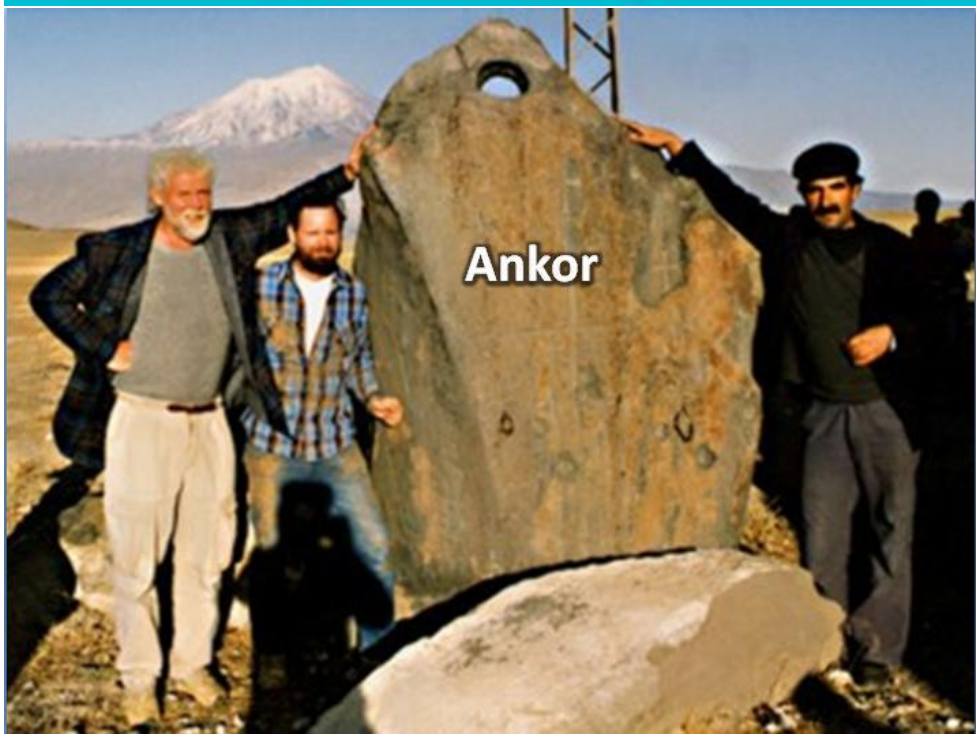

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنّ رَبّي لَغَفُورٌ رّحِيمٌ﴾ هود ٤١، كانت السفينة إذن آية ليس فحسب في صنعها وإنما أيضا في جريها في الموج بلا حاجة لأشرعة خاصة في ذلك الجو العاصف، وأما لفظ (مُرسَاها) فقد جاء عاما ليعني رسوها آمنة رغم جريها بمراسي تحفظ توازنها ورسوها سالمة عند وصولها بطرح مراسيها، وقد اعتاد القدماء استخدام مراسي حجرية تربط من أسفل السفينة بحبل لتستقر ويعرفوا العمق، وسفينة نوح من الضخامة بحيث تماثل حوالي نصف سفينة التيتانك الغارقة وليست بقليلة إلى جوار حاملة طائرات فلا بد أن مراسيها كبيرة، وفي عام ١٩٨٩ اكتشف فاسولد Fasold مرساة عند قرية قريبة من موقع السفينة تدعى كازان Kazan، وقد يصل طول المرساة ٢,٥ متر وتزيد الواحدة عن ٤ طن وتسمى بعدة لغات أنجر وأنقر وباليونانية أنقرة وهو نفس اسم المدينة التركية، وبديهي أن تلقي السفينة مراسيها قبيل وصولها الآمن إلى مشارف سفح جبل الجودي، وشيئا فشيئا اكتشفت المراسي تباعا لترسم خط السير، وقد اكتشف حتى الآن ١٣ مرساة كانت تعمل كأثقال لتثبيت السفينة وهي اليوم ترشد لخط السير نحو المناطق الجبلية الشرقية لتستقر السفينة قرب مدينة قديمة كانت تسمى ناكسوان Naxuan؛ وتعني بالإغريقية: مدينة نوح.

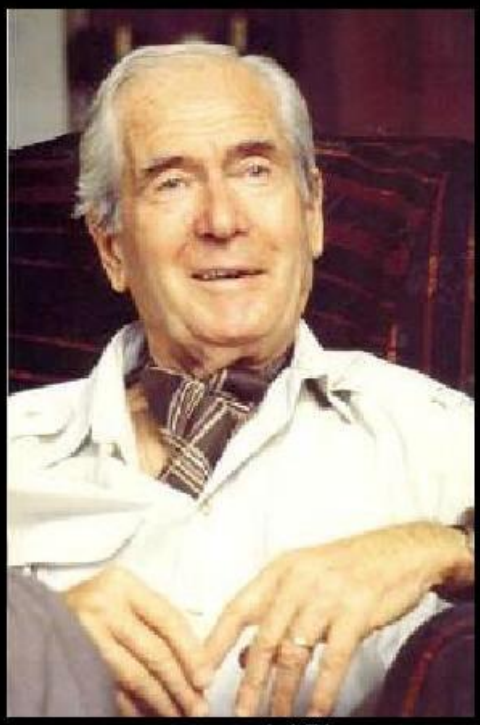

Dr. Ekrem Akurgal
Archaeologist

"At any rate, it is a ship, an ancient ship. It must be preserved."

ArkDiscovery.com

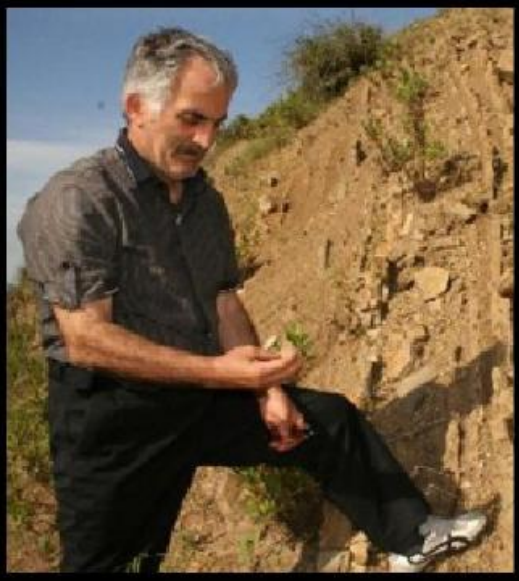

Dr. Salih Bayraktutan
Geologist

"Very similar to an ark in the dimensions, the length, the width and the height are very, very close to the figures given in the books."
History Channel

ArkDiscovery.com

وقال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَآءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ هود ٤٢و٤٣، والتعبير (في موج) يؤيد أنها ضمن حركته بلا حاجة لأشرعة، ولم يتبين لنا كم تكون الأمواج مُدمرة تطاول الجبال في النظر إلا مع موجات مد التسونامي وهي أيضا كلمة تعني الأمواج العاتية، وقد افترض فاسولد Fasold أن الفيضان الذي أغرق قوم نوح يرجع غالبا لحدث فلكي مثل سقوط قطعة مذنبية ضخمة تسبب في نشاط بركاني واسع ودفع مخزون المياه الجوفية وتحريك أمواج البحر لتدفع السفينة باتجاه المناطق الجبلية وتكتسح كل المناطق الساحلية وتدمرها، ووفق التوقعات الفلكية لو سقط في المحيط مذنب ثلجي بحجم ملعب كرة فسيؤدي إلى تخريب واسع لمعالم الساحل ومع تبخره نتيجة للاحتكاك وتحول الأبخرة الحارة لسحب يضيف مطرها الغزير والعواصف المُصاحبة مزيدا من التخريب.

ولا ننسى مشاهد ربع مليون ضحية عام ٢٠٠٤ نتيجة تسونامي زلزال فما بالك إذا نجمت الأمواج عن رجم نيزكي مُعتبر.

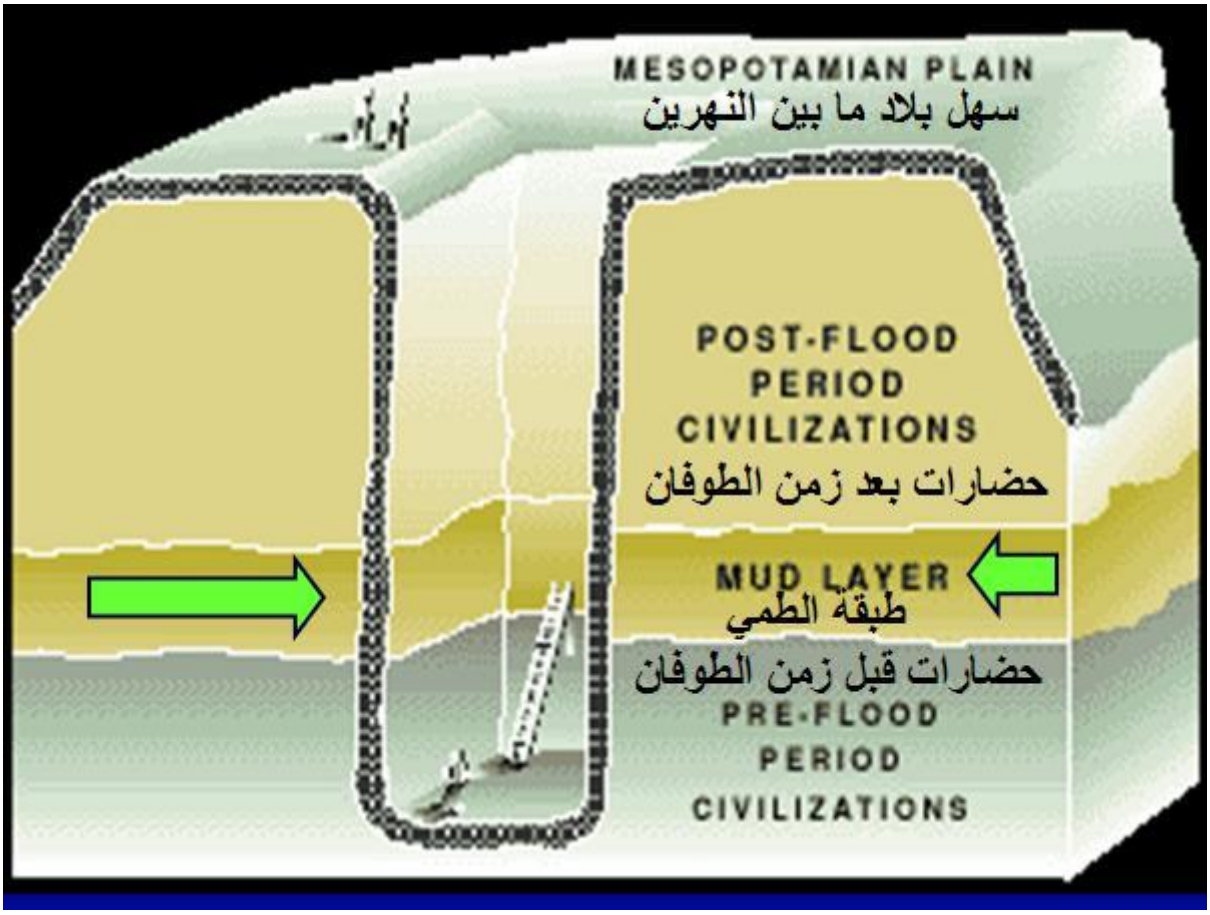
MESOPOTAMIAN PLAIN
سهل بلاد ما بين النهرين
POST-FLOOD
PERIOD
CIVILIZATIONS
حضارات بعد زمن الطوفان
MUD LAYER
طبقة الطمي
حضارات قبل زمن الطوفان
PRE-FLOOD
PERIOD
CIVILIZATIONS

N
BAGHDAD
BABYLON
MESOPOTAMIAN PLAIN
Tigris
Euphrates
UR
PERSIAN
GULF

وقد اكتشف باحثون على عمق كبير في البحر الميت حطام منطقة سكانية غارقة وقدموا أدلة على أن البحر الميت كان في الأصل بحيرة عذبة ونتيجة لحدث ضخم انفتحت القناة بينه وبين البحر الأبيض مما يرجح فرضية الرجم النيزكي، وقد أدت الأبحاث الجيولوجية في مناطق بلاد ما بين النهرين إلى اكتشاف طبقة من الطمي تفرق بين آثار حضارات قديمة تحتها وآثار حضارات أحدث فوقها مما يؤكد حدث "الطوفان العظيم" ويبرهن على الوحي في أوصاف القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتّقِينَ﴾ هود ٤٩، وهكذا لم تخبرنا روايات كتبة الأسفار قط عن نبأ حفظ السفينة آية للعالمين بينما أكده القرآن الكريم تأييدا لخاتم النبيين، قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وأَصْحَابَ السّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَآ آيَةً لّلْعَالَمِينَ﴾ العنكبوت ١٥، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مّدّكِرٍ﴾ القمر:١٥، وبعد؛ يقول العلي القدير: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوّلَهُ بَل لاّ يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مّثْلِهِ إِن كَانُواْ صَادِقِينَ﴾ الطور:٣٣و٣٤.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {وقيل يا أرض ابلعي ماءَك} جعل نزول الماء فيها بمنزلة البلع، ومعناه ابلعي الماء الذي عليك، فروى الحسن والحسين عليهما السلام أن بعض البقاع امتنع أن يبلع ماءه فصار ماؤه مراً وترابه سبخا، {ويا سماء أقلعي} أي لا تمطري، من قولهم أقلع عن الشيء إذا تركه، {وغيض الماء} أي نقص حتى ذهبت زيادته عن الأرض، {وَقضي الأمر} يعني بهلاك من غرق من قوم نوح، {وَاستوت} يعني السفينة، {على الجودي} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه جبل بالموصل (واكتشفت السفينة بالفعل قرب الموصل)؛ قاله الضحاك، الثاني: أنه جبل بالجزيرة؛ قاله مجاهد، قال قتادة: هو بباقردى من أرض الجزيرة، الثالث: أن الجودي اسم لكل جبل"[٥٧٥].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} المفردات: {وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي}: ويا سماءُ أمسكي عن المطر، والسماءُ هنا؛ السحاب، {وَغِيضَ الْمَاءُ}: أي نقص، {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ}: واستقرت السفينة على جبلٍ يُسمَّى بهذا الاسم، واختلف في موقعه،،، {بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}: أي هلاكا لهم، يقال: بَعُدَ بُعْدًا وَبَعْدًا، إذا بَعُدَ بحيث لا يرجى رجوعه، ثم استُعِير للهلاك، التفسير: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي}، بعد ما بيَّنت الآية السابقة شدة الطوفان وإغراقه لأهل الأرض، وأنه لم يعصم منه إلا من رحمه الله؛ وهم أهل السفينة التي صنعها لهم نوح؛ جاءَت هذه الآية لتبيّن انتهاءَ الطوفان بأمر الله، بعدما أهلك الله به الظالمين، والمعنى: أنه تعالى بعد إهلاكه الظالمين بالطوفان؛ أمر الأرض أن تكف عن الفوران وأن تبتلع ما على ظهرها من الماءِ الذي جاءَ به الطوفان، دون ما فيها من مياه البحار والمحيطات، وأمر السماءَ أن تكفَّ عن المطر، وتقلع عن إرساله مدرارًا، وظاهر الآية: أن الأرض والسماء نوديا حقيقة، وأنه تعالى خلق لهما إدراكا جعلهما أهلا لتقبُّل التكليف، وَلا يبعد ذلك على قدرة الله تعالى، ويشهد له قوله تعالى: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ}، ومن المفسِّرين من جعل ذلك تمثيلاً لكمال قدرة الله عليهما، وتمام انقيادهما لما يشاؤه فيهما، قال الإمام البيضاوى: نوديا بما يُنادى به أُولو العلم، وأُمرا بما يؤمرون به تمثيلاً لكمال قدرته، وانقيادهما لما يشاءُ تكوينه فيهما، بالآمر المُطاع الذي يأْمر المُنقاد لحكمه، المُبادر إلى امتثال أمره؛ مهابةً من عظمته، وخشيةً من أليم عقابه..، {وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ}: ونقص الماء حتَّى غاب في الأَرض بعد ما صدر أمر الله للسماء بالإقلاع والأَرض بالابتلاع وتنفيذهما مشيئته فيهما، وأنجز الأَمر الذي جاءَ الطوفان من أجله، وهو هلاك أُولئك الظالمين من نوح، وتطهير الأرض منهم، لينشأ جيل جديد من البشر على توحيد الله وطاعته، واستقرت السفينة بعد أن جف ظاهر الأَرض، على جبل اسمه الجودي، وقد اختلف الناس في بيان موقعه؛ فمنهم من قال: إنه بالموصل، ومنهم من قال: بالشام ومنهم من قال بآمل بمدّ الهمز وضمّ الميم، ومنذ عدة سنين نشر بالصحف، أَنهم وجدوا أَلواحا طويلة على جبل أرارت تشبه أَلواح سفينة كبرى، وقيل: إنها بقايا سفينة نوح، والله تعالى أَعلم بالحقيقة، {وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}: إذا قلت: بعدا لفلان، فأَنت تدعو عليه، فهو خاص بدعاءِ السوءِ، وكثيرا ما يستعار للدعاءِ بالهلاك كما هنا، والمعنى: وقيل من جهة الله تعالى: هلاكا لقوم نوح لكونهم ظالمين أَشد الظلم، ويقول العلامة البيضاوى، في وصف بلاغة الآية وفصاحتها ما يلي: "والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، وفي إيراد الإخبار على البناءِ للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وأَنه مُتعين في نفسه، مستغنٍ عن ذكره، إذ لا يذهب الوهم إلى غيره، للعلم بأَن مثل هذه الأَفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار"..، وقال الألوسي: هذه الآية بلغت من مراتب الإعجاز أَقاصيها، وجمعت من المحاسن ما يضيق عنه نطاق البيان، إلى آخر ما قال، هل شمل الطوفان جميع الأَرض؟ إذا قرأَنا قصة الطوفان في سور القرآن التي تحدثت عنه، نجد فيها أن الله تعالى جعله عقوبة لقوم نوح لغلوهم في الكفر، وإصرارهم عليه أحقابا ودهورا، وقوم نوح كانوا في إقليم من أقاليم الأَرض يعلمه الله، ولم يكونوا منتشرين في أرجائها كلها، فهل يبعثنا هذا على القول بأَن الطوفان لم يعم الأرض جميعا، بل كان قاصرًا على المنطقة التي كان يوجد فيها قوم نوح لعقابهم، وهل يشهد لصحة هذا الاستنتاج أَن الله تعالى قال هنا في آخر القصة: {وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}، كما يشهد له أن نوحا كان قريبا من جدّه

---

[٥٧٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٢ ٤٧٤).

لآدم عليهما السلام فالبشرية في عهده كانت محصورة في حيّزٍ ضيق من الأَرض؛ أم أَن الطوفان مع كونه عقوبة لقوم نوح فإنه كان لجميع أَنحاء الأَرض لحِكَمٍ يخص بعلمها الحكيم الخبير، ولم نجد لهذا السؤال جوابا حاسمًا يحمل على اعتقاد عمومه أَو خصوصه يقينا، والذي يجب اعتقاده هو عموم الطوفان للكافرين لقوله تعالى: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}، وقوله: {لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}، أَما عمومه لجميع بقاع الأَرض؛ فليس لدينا ما ينفيه على البت والقطع، لاحتمال النصوص لهذا العموم، ولأَنه قد وجدت بعض الأَصداف والأَسماك المتحجرة في أعالي الجبال، لأَن هذه الأَشياءَ لا تتكون إلاَّ في البحر، فلا بد أَن تكون هذه مخلفات طوفان عمَّ الأرض، وارتفع إلى أَعالي الجبال، سؤال؛ قد يقول قائل: ما ذنب الصغار الذين لم يبلغوا حد التكليف حتى يهلكهم الله بالطوفان؟ والجواب: أنه مجرد سبب لموتهم، وليس موتهم به عقوبة لهم، وأَي محذور في إماتة ميت لا ذنب له؟ وفي كل وقت يميت الله من هؤُلاء الصغار بأسباب وبغيرها عددا لا يحصى، فالخلق عباده، والملك له وحده يفعل فيه ما يشاءُ حسب حكمته العالية، فهو الحكيم الخبير"[٥٧٦].

وقال ابن جزي: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ. وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ. فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ. حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ. وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ. وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ١١هود:٣٦-٤٤، (فَلا تَبْتَئِسْ) أي فلا تحزن، (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) أي تحت نظرنا وحفظنا، (وَوَحْيِنا) أي وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك، (وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) أي لا تشفع لي فيهم، فإني قد قضيت عليهم بالغرق، (كُلَّما) يحتمل أن يكون جوابها (سَخِرُوا مِنْهُ)، أو قال إن تسخروا (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) تهديد، و(من يأتيه) منصوب بتعلمون (عَذابٌ يُخْزِيهِ) هو الغرق، والعذاب المقيم عذاب النار (حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا) غاية لقوله: (ويصنع الفلك)، (وَفارَ التَّنُّورُ) أي فار بالماء، وجعل الله تلك العلامة لنوح ليركب حينئذ في السفينة، والمُراد بالتنور: الذي يوقد فيه عند ابن عباس وغيره، وروي أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح، وقيل: التنور وجه الأرض، (قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) المُراد بالزوجين: الذكر والأنثى من الحيوان، وقرئ (من كل) بغير تنوين، فعمل احمل في (اثنين)، ومن قرأ بالتنوين عمل احمل في (زوجين)، وجعل (اثنين) نعت له على جهة التأكيد، (وَأَهْلَكَ) أي قرابتك، وهو معطوف على ما عمل فيه احمل، (إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) أي من قضي عليه بالعذاب؛ فهو مستثنى من أهله، والمُراد بذلك ابنه الكافر وامرأته وَمَنْ آمَنَ معطوف على أهلك، أي احمل أهلك ومن آمن من غيرهم، (وَما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) قيل: كانوا ثمانين، وقيل عشرة وقيل ثمانية، (وَقالَ ارْكَبُوا فِيها) الضمير في قال لنوح، والخطاب لمن كان معه، والضمير في فيها للسفينة، وروي أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب، واستقرت على الجودي يوم عاشوراء، (بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها) اشتقاق مجراها من الجري، واشتقاق مرساها من الإرساء، وهو الثبوت، أو من وقوف السفينة، ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو المكان، أو مصدرين، ويحتمل الإعراب من وجهين: أحدهما أن يكون اسم الله في موضع الحال من الضمير في اركبوا، والتقدير: اركبوا متبركين باسم الله أو قائلين بسم الله، فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها أو ظرفين للمكان، ويكون العامل فيه ما في قوله بسم الله من معنى الفعل في موضع خبر، ويكون قوله: (بسم الله) متصلا مع ما قبله، والجملة كلام واحد، والوجه الثاني: أن يكون كلامين فيوقف على اركبوا فيها ويكون بسم الله في موضع خبر، ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر أي إجراؤها وإرساؤها، ويكون بسم الله على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله ولكنه من كلام نوح؛ حسبما روي أن نوحا كان إذا أراد أن يجري بالسفينة قال بسم الله فتجري، وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتقف، (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ) روي أن الماء طبق ما بين السماء والأرض، فصار الكل كالبحر، قاله ابن عطية وهذا ضعيف، وأين كان الموج كالجبال على هذا، وصوّبه الزمخشري، وقال: كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الماء الجبال، (وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ) كان اسمه كنعان، وقيل: يام، وكان له ثلاث بنون سواه، وهم: سام وحام ويافث، ومنهم تناسل الخلق، (فِي مَعْزِلٍ) أي في ناحية، (لا عاصِمَ الْيَوْمَ

[٥٧٦] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٤ ١٩٧).

مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) يحتمل أربعة أوجه: أحدها أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم كذلك بمعنى الراحم، فالمعنى: لا عاصم إلا الراحم وهو الله تعالى، والثاني: أن يكون عاصم بمعنى ذي عصمة أي معصوم ومن رحم: بمعنى مفعول أي من رحم الله، فالمعنى لا معصوم إلا من رحمه الله، والاستثناء على هذين الوجهين متصل، والثالث أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم بمعنى المفعول، والمعنى لا عاصم من أمر الله، لكن من رحمه الله فهو المعصوم، والرابع عكسه والاستثناء على هذين منقطع، (ابْلَعِي ماءَكِ) عبارة عن جفوف الأرض من الماء، (أَقْلِعِي) أي أمسكي عن المطر، وروي أنها أمطرت من كل موضع منها، (وَغِيضَ الْماءُ) أي نقص، (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) أي تمّ وكمل، (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) أي استقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل، وَقِيلَ (بُعْداً) أي هلاكا، وانتصب على المصدر"[٥٧٧]

[٥٧٧] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١١ ٣٧٠).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Archeology

علم الآثار

المَوْضُوع Subject

Noah's Ark

سفينة نوح

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ. فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ. وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ. تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ. وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ٥٤القمر:٩-١٦.
- ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ. وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ ١١هود:٤٠-٤٣.
- ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ. قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ. تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١١هود:٤٤-٤٩.
- ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الّذِينَ ظَلَمُوَاْ إِنّهُمْ مّغْرَقُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٢٧،
- ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وأَصْحَابَ السّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَآ آيَةً لّلْعَالَمِينَ﴾ ٢٩العنكبوت:١٥،

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ١١هود:٨٢و٨٣.

Paragraph الفقرة

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ١١هود:٨١-٨٣.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً﴾، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

All (w)**. When** (the time of) **our judgment** (by a severe punishment) **came** (at the morning)**, we turned it** (their homeland) **upside down, and we showered it by** (devastating) **successive fiery stones that have unique marks** (distinguishes them from earth stones)**. Such rocks were designated by your Lord, and they** (astronomically) **are never far from those who do injustice.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

تَطُوف أعداد لا تُحصى من الكُتل النيزكية Meteoroids في سبيل مُقيم حول الشمس على أبعاد مختلفة ليست بالمقاييس الفلكية من الأرض ببعيد؛ خاصة في حزام الكويكبات Asteroid Belt بين كوكبي المريخ والمُشترى.

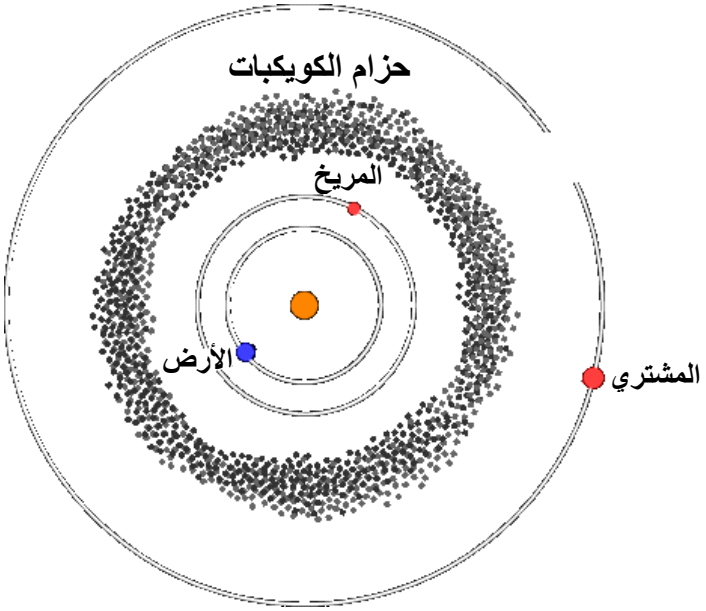

وهي تتباين كثيرًا في أشكالها وفي أحجامها؛ من حبات الرمل إلى كتل ضخمة قد يصل بعضها إلى حجم الجبال، ويُعتقد أنها بقايا مذنبات Comets تهشمت نتيجة صدامات بينها؛ وتخلت عن الأجزاء الجليدية وبقيت الأجزاء الصلبة، وأن المذنبات أنقاض كتل أصلية أقدم يعود تاريخها إلى فترة تكوين النظام الشمسي؛ ولكنها لم تكن كافية لتكوين كوكب.

والشهاب Meteor ظاهرة جوية تنجم عن احتراق وتبخر أتربة فضائية لا تزيد في الحجم عن حبة رمل؛ نتيجة الاحتكاك بالهواء على ارتفاع من حوالي١٢٠ إلى ٦٥ كم من سطح البحر، وتبدو الشهب ساطعةً كالسهام المارقة لمدة تُقارب ثانية واحدة ثم تختفي، لذا تُسمى شعبيًا بالنجوم المُنقضة Shooting Stars أو الساقطة Falling Stars، ولا يصل منها لسطح الأرض سوى رماد لا نُدرك أثره، وقبل سقوطه قد يُشكل أنوية تكاثف للسحب تُزيد من هطول المطر.

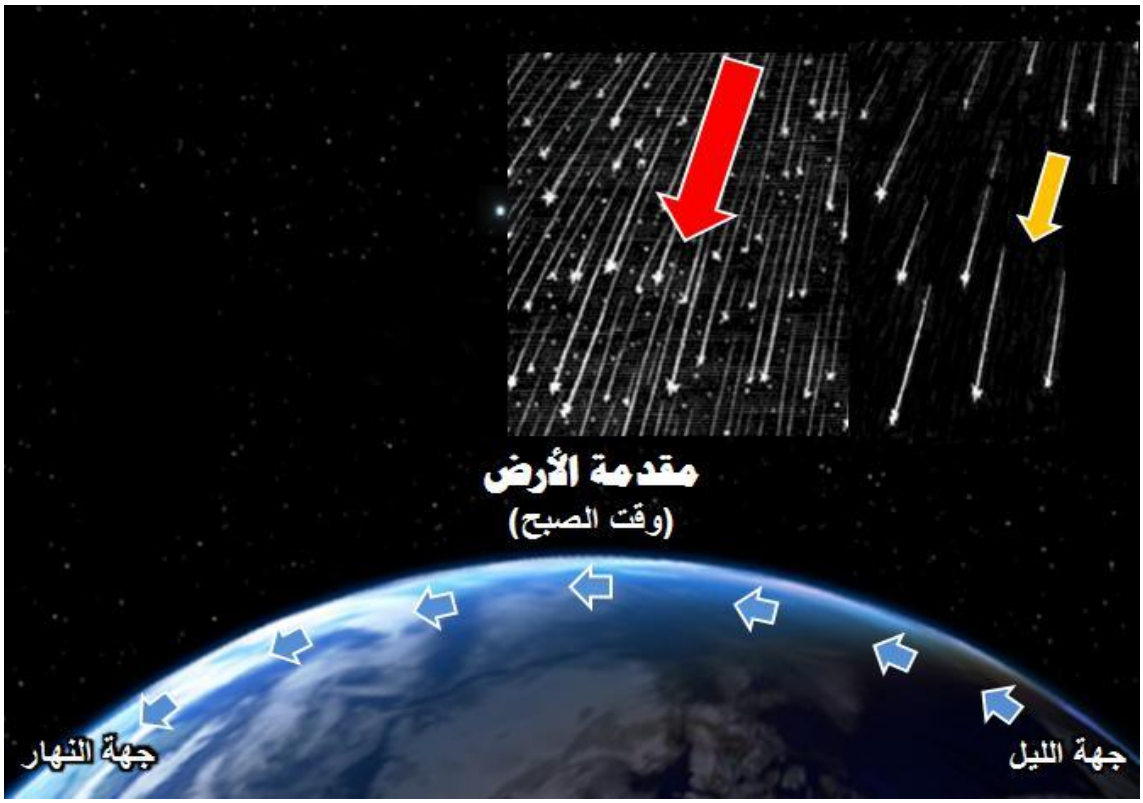

ويتزايد عدد الشهب وتتضاعف سرعتها بعد منتصف الليل؛ لتبلغ الذروة صباحًا قُبل أن يحجبها ضوء الشمس، والسبب أن فترة الصباح قبيل شروق الشمس تُمثل الجبهة التي تُواجه بها الأرض الفضاء أثناء دورانها حول الشمس، وأسرع الكتل النيزكية يتحرك في الفضاء بسرعة تبلغ حوالي: ٤٢ كمٍ ثانية، ويبلغ متوسط سرعة حركة الأرض في مدارها حوالي: ٣٠ كمٍ ثانية، وعند مؤخرة الأرض فترة المساء؛ تُطرح سرعة الأرض من سرعة النيزك فتبلغ سرعة النيزك المرصودة حوالي: ١٢ كمٍ ثانية، وعند المُواجهة فترة الصبح تبلغ سرعة السقوط حوالي: ٧٢ كمٍ ثانية.

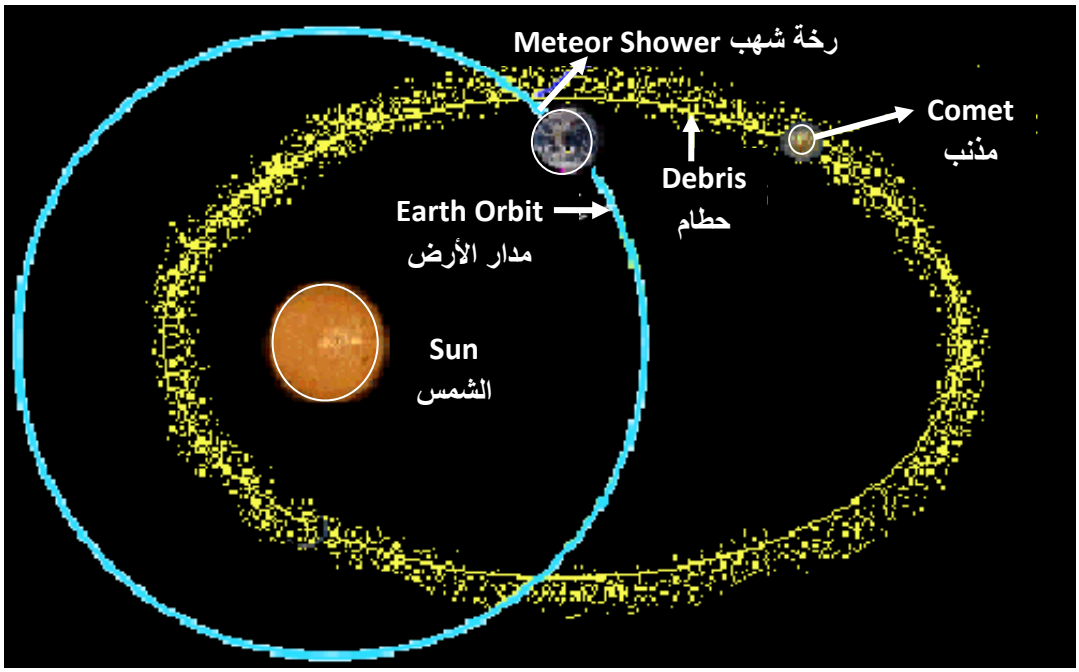

وتكثر الشهب دوريًّا كل عام عند تقاطع مدار الأرض مع مدار أحد المُذنبات حيث ينتشر على طوله حُطام Debris؛ في الغالب بهيئة أتربة وفتات كحبات الرمل؛ وتُسمى تلك الظاهرة زخات الشهب Meteor Shower، لذلك فإن كل زخة شهب منتظمة تحدث بسبب أحد المذنبات في أوقات محددة سنويا لارتباطها بتقاطع مدار الأرض مع مدار المذنب.

وتبدو تلك الزخات الدورية كأنها صادرة من كوكبة معينة فتسمى باسمها؛ مثل شهب البرشاويات Perseids التي تبدو أنها صادرة من كوكبة رأس الغول أو باللاتينية برشاوس Perseus؛ وتبلغ ذروتها في ١٢ أغسطس كل عام، ومصدرها حُطام مذنب اسمه سويفت-تتل Swift–Tuttle؛ اكتُشفاه عام ١٨٦٢ وتأكد توقع عودته عام ١٩٩٢، وكذلك تبدو زخات شهب الأسديات Leonids صادرة من برج الأسد Leo؛ وتبلغ ذروتها حوالي ١٤ نوفمبر كل عام، ومصدرها حُطام تناثر على مدار مذنب اسمه تيمبل-تاتل Tempel-Tuttle؛ اكتشفاه في العامين ١٨٦٥ و١٨٦٦، وشهب الجباريات نسبة إلى كوكبة الجبار التي كانت تسمى الجوزاء Orion؛ مصدرها تلاقي الأرض مع الحطام المنتشر على طول مدار المذنب هالي Halley؛ وتبلغ الزخة ذروتها عادةً بين يومي ٢٠ و٢٢ من أكتوبر كل عام، والمعدل المُعتاد لزخات الشهب هو ٢٠ شهابًا\ ساعة لنصف الكرة الشمالي؛ و٤٠ شهابًا\ ساعة لنصف الكرة الجنوبي، ومن المؤكد إذن أن المصدر الرئيس لهمرات الشهب هو المُذنبات؛ وكذلك خطر الرجوم؛ فأصلها يرجع إلى المذنبات، ويُلاحظ أن ذروة الزخات والعدد الأكبر من الشُهب الذي يدخل الجو يوميًّا يقع فترة الصبح؛ خاصة قُبيل شروق الشمس.

Jan Hendrik Oort
(1900-1992)

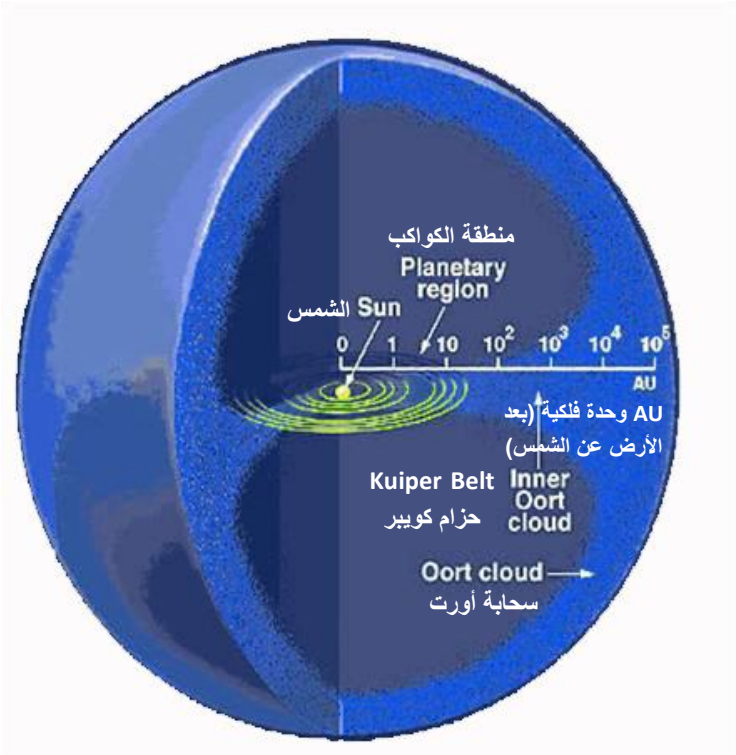

وفي عام ١٩٥٠ توصل أورت إلى وجود مليارات المذنبات Comets تسبح في جماعات على أقصى طرف النظام الشمسي لتُكون هالة كروية الشكل تُحيط به من كل جانب؛ وقد سميت من بعد باسم سحابة أورت Oort Cloud، والطرف الداخلي من تلك السحابة مُسطح بمستوى مدارات الكواكب غير كروي ويُسمى بحزام كويبر Kuiper Belt، ويُعتقد حاليًا أن المُذنبات التي تمتد مداراتها إلى عمق النظام الشمسي لتقترب من الكواكب ويمكن أن تتقاطع مداراتها مع مدار الأرض؛ مصدرها قرص مُنتشر واسعًا يتداخل مع النظام الشمسي فَسُمِّيَ بالقُرص المُبعثر Scattered Disk.

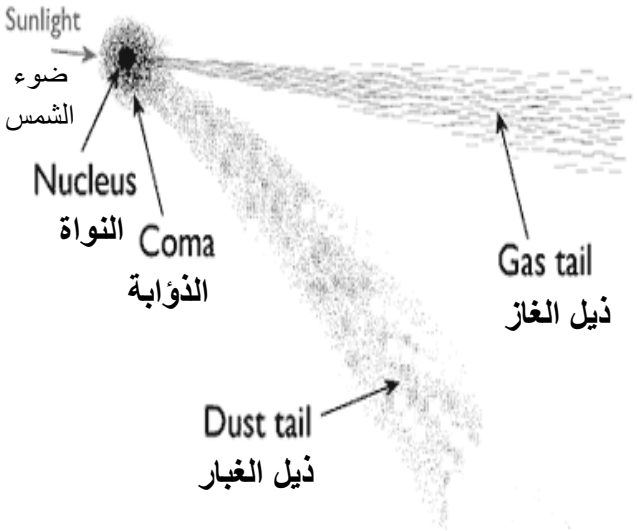

والجزء الرئيسي من المذنب هو النواة Nucleus، وفي عام ١٩٥٠ توصل فريد ويبل Fred Whipple إلى أنها كتلة جليدية هشة غير متماسكة تتركب من الغازات المتجمدة مثل جليد الماء وثاني أو كسيد الكربون والميثان والأمونيا؛ مخلوطة بجزيئات ترابية وبعض الفُتات، وقد يبلغ قطر النواة ١٥ كيلومتر، وقد يكون صغيرا في حدود كيلومتر واحد أو أقل، وعندما يقترب المذنب من الشمس تقوم حرارتها بتسخين النواة وإطلاق الغازات لتُكون حولها غلاف غازي يُسمى اللَّمَّة أو الذؤابة Coma، ويتحول الجليد الصلب إلى غازات مباشرة بدون التحول إلى سائل في عملية تسمى التسامي Sublimation، وأكثر ما يُميز المذنب هو الذيل Tail الذي يتكون خلفه نتيجة حرارة الشمس، وتدفع الرياح الشمسية الغبار والغاز في طريقها فتجعل اتجاه الذيل دوما عكس اتجاه الشمس، وقد يفترق الغاز عن الغبار فيبدو المذنب بذيلين، وقد وصل طول الذيل في مذنب هالي الذي ظهر عام ١٩٨٦ إلى ٦٥ مليون كيلومتر.

وقد توصل إدموند هالي Edmond Halley (١٦٥٦-١٧٤٢) إلى أن المُذنب الذي يُسمي باسمه حاليًا والذي شُوهد عام ١٦٨٢ هو نفسه الذي شوهد في عامي ١٥٣١ و١٦٠٧، فاستنتج أنه يدور حول الشمس بحيث يُمكن مشاهدته في فترات منتظمة، وتنبأ بأنه سيظهر مُجددًا في عام ١٧٥٨ بعد ٧٦ عامًا، وتحققت نبوءة هالي بالفعل.

وقد وقعت عدة لقاءات بين مركبات فضاء ومذنبات، فقد اقتربت مثلا مركبة الفضاء جيوتو مع مذنب هالي عام ١٩٨٦، واقتربت مركبة الفضاء ديب سبيس مع مذنب بوريللي عام ٢٠٠١، واقتربت مركبة الفضاء ستاردست مع مذنب وايلد عام ٢٠٠٤، وفي يوليو عام ٢٠٠٥ حملت مركبة الفضاء ديب إمباكت على متنها مقذوفًا وجهته باتجاه مذنب تمبل بسرعة بلغت ٣٧ ألف كيلومتر في الساعة؛ فأطلق كميات كبيرة من الغازات شكلت ذيلاً وراءه مباشرة.

لم يعد إذن خطر الرجوم النيزكية مجرد فرضية؛ خاصة بعد التأكد من وجود أرتال من المُذنبات والكتل النيزكية على مقربة من الأرض، ومع اقتراب مُذنب قد تنفصل قطعة منه أو يتناثر بعض الفتات ويسقط باتجاه الأرض رُجُومًا، وتُسمى الكتلة الساقطة نيزك Meteorite إذا كانت أكبر من الشهب بحيث يُمكنها بلوغ سطح الأرض بدون أن تتلاشي، وتختلف النيازك عن الشهب في أن عددها قليل وحجمها أكبر ونادرة الحدوث؛ ويُمكن أن تكون مصدرًا لخطر كبير، والدمار الذي يمكن أن تُحدثه النيازك أصبح من بديهيات العلوم الحديثة، ويُعتقد حاليا أن نيزكًا أو قطعة مذنبية كبيرة قد اصطدمت بالأرض منذ حوالي ٦٥ مليون سنة فأفنت الديناصورات كليًا ودمرت مُعظم أشكال الحياة؛ حتى في البحار، وقد أحصاها البعض اعتمادا على الحفريات بحوالي ٧٥٠ ألف نوع كائن حي؛ وكان الأكبر منها حجمًا هو الأكثر تأثرًا.

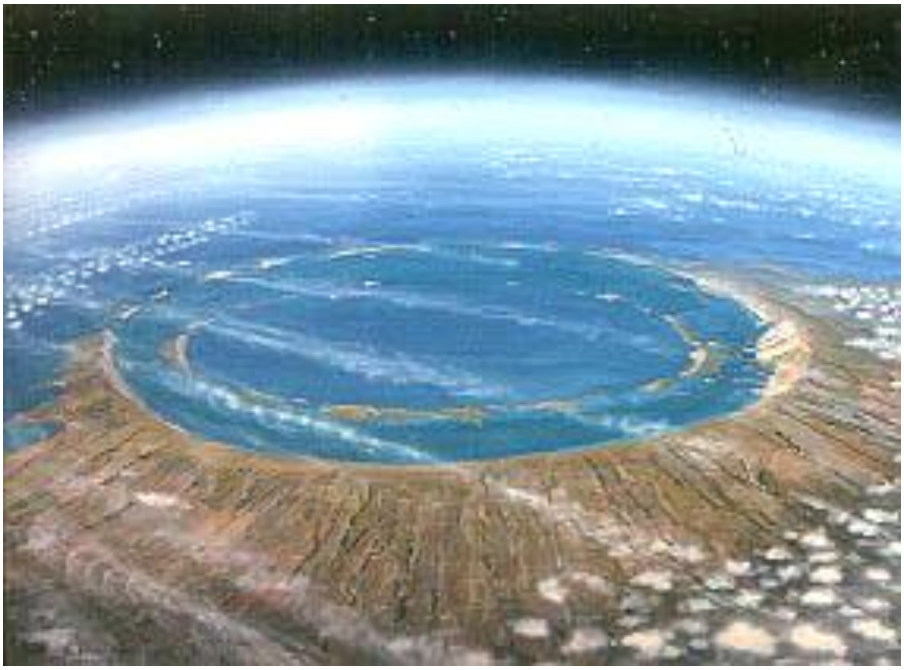

واكتشفت الأقمار الصناعية حُفرة ضخمة يزيد قطر فوهتها عن ٢٠٠ كم في يوكاتان Yucatan شرق المكسيك؛ عمرها كذلك حوالي ٦٥ مليون سنة، فاستنتج أنها نتاج صدام K/T Impact[٥٧٨] نيزك قطره حوالي ١٠ كم، وقدرت قوة الصدمة بحوالي ١٠٠ مليون ميجا طن[٥٧٩]، ويُعتقد أن مذنبًا عاصره قد صدم منطقة بحر العرب قطره حوالي ٤٠ كم.

وفي عام ١٩٠٨ صدمت قطعة مذنب منطقة تانجوسكا بسيبيريا؛ وسمي بصدام تانجوسكا Tunguska Impact، قدرت قوته بحوالي ١٥ ميجا طن، وقدر قطر قطعة المذنب بحوالي ٦٠ متر فقط، واستنتج أن معظمه تلاشى لهشاشته في الجو؛ وان التدمير ناتج عن موجة صدمية سمعت كدوي هائل، ورغم ضآلته نسبيًّا احترقت معظم الأشجار في دائرة تحيط بمركز الصدام بلغ قطرها ٥٠ كم، واقتلع الانفجار حوالي ٨٠ مليون شجرة صنوبر وسقطت جذوعها في اتجاه معاكس لمركز الصدام لتغطي مساحة ٢١٥٠ كم مربع، وقدرت طاقة الانفجار بحوالي ١٠٠٠ مرة قدر قنبلة هيروشيما.

---

[٥٧٨] الحقبة الثالثة من العصر الطباشيري Cretaceous-Tertiary (K-T).

[٥٧٩] ١ ميجا طن = قوة انفجار مليون طن مادة تي إن تي.

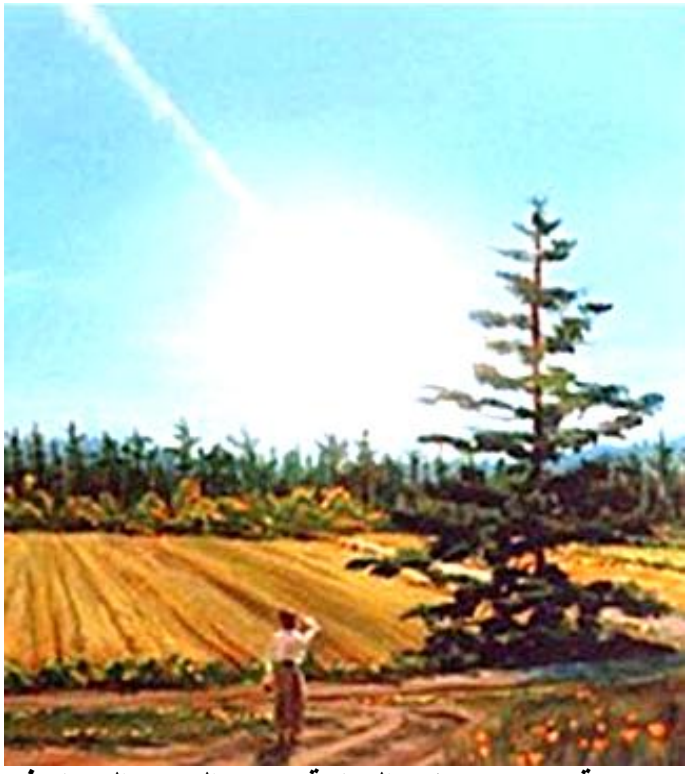

صبيحة يوم ٣٠ يونيو الساعة ٧:١٧ التمعت السماء فجأة فوق تانجوسكا، وشوهد الوميض على بعد ٤٠٠ كم، وسمع الانفجار على بعد آلاف الكيلومترات واهتزت البارومترات في كل أوروبا لتضاغط الهواء مع الموجة الصدمية، ونتيجة للصدام انطلقت على الفور سحابة دخان نارية؛ شوهدت وفق روايات الشهود على بعد حوالي ٥٠٠ كم.

ولو تأخر الصدام ٤ ساعات و٤٧ دقيقة؛ لدُمِّرَت مع حركة الأرض حول نفسها مدينة سانت بطرسبرج (لينينجراد).

وفي عام ١٩٢٧ سافرت أول بعثة علمية إلى غابات سيبيريا نحو مركز الصدام لاكتشاف الآثار المُتبقية للصدام، لكن البعثات الأولى لم تكتشف شيئًا، ثم تبين أن بحيرة شيكو Lake Cheko هي الفوهة وعرضها حوالي ٨ كم.

فقد أعطت دراسة الرواسب في قاع بحيرة شيكو نفس عمر حادثة تانجوسكا فأيدت أنها في الأصل فوهة نيزكية.

Dental Crown
(Zlobin, 1988)

وفي عام ١٩٨٨ جمع زلوبين Zlobin الكثير من النيازك؛ أميزها قطعة تُماثل طربوش الأسنان Dental Crown.

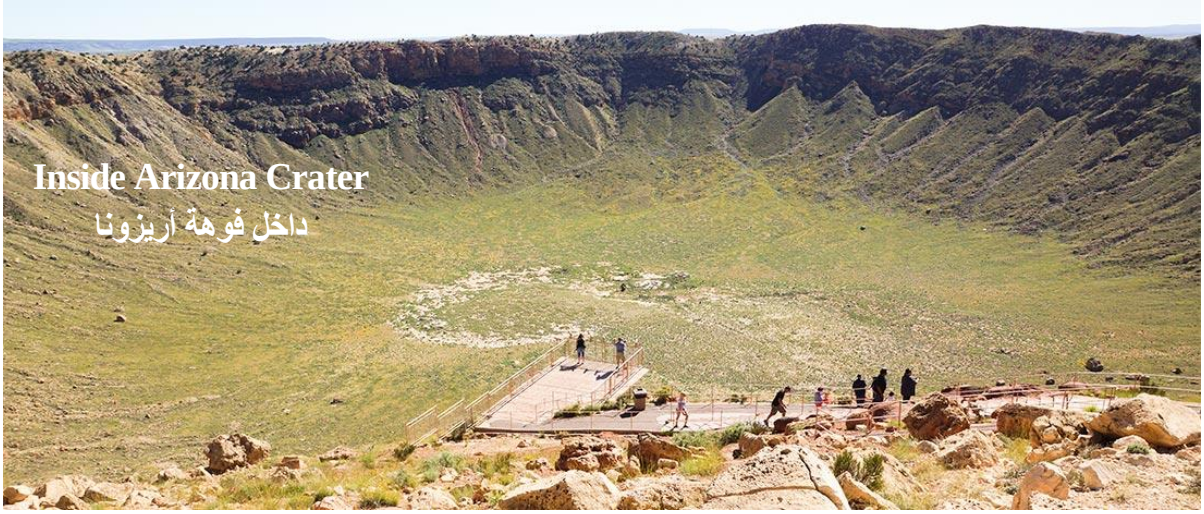

وقد أيدت الشواهد سقوط الرجوم الفضائية على طول تاريخ الأرض؛ فتركت آثارها فوهات وبحيرات ونيازك، وفوهة أريزونا Arizona Crater من أميز الفوهات المحفوظة جيدًا لجفاف المنطقة؛ ويبلغ عرضها ١,٦كم (١ ميل) وعمقها أكثر من ١٦٧,٦ متر (٥٥٠ قدم)، وقُدِّر عمرها بحوالي ٥٠ ألف سنة، وأنها نتجت عن كويكب قطره حوالي ٥٠ متر.

واكتشفت فوهة وولف كريك عام ١٩٤٧ في استراليا؛ قطرها ٨٨٠ متر وعمقها ٦٠ متر وعمرها ٣٠٠ ألف سنة.

وبحيرة بوسمتواي في غانا قطرها ١٠,٥ كم؛ وأصلها فوهة نيزكية تكونت منذ أكثر من ١,٣ مليون سنة.

والنوع الحديدي يتميز عن أحجار الأرض، وتُسمى النيازك لُقْيَة؛ وهي دليل ملمُوس على سقوط الرجوم.

والنوع الحجري مُميز، ويوجد نوع مختلط من الحديد والأحجار، وكلها مُعَلَّمَة بعلامات تُميزها عن حجارة الأرض.

وأكبر نيزك حديدي معروف حتى الآن موجود في ناميبيا ويسمى نيزك هوبا Hoba Meteorite، وهو قطعة واحدة كاملة معروضة للسائحين؛ طولها ٢,٧ متر، ووزنها أكثر من ٦٠ طن، وعمرها أكثر من ٨٠ ألف سنة.

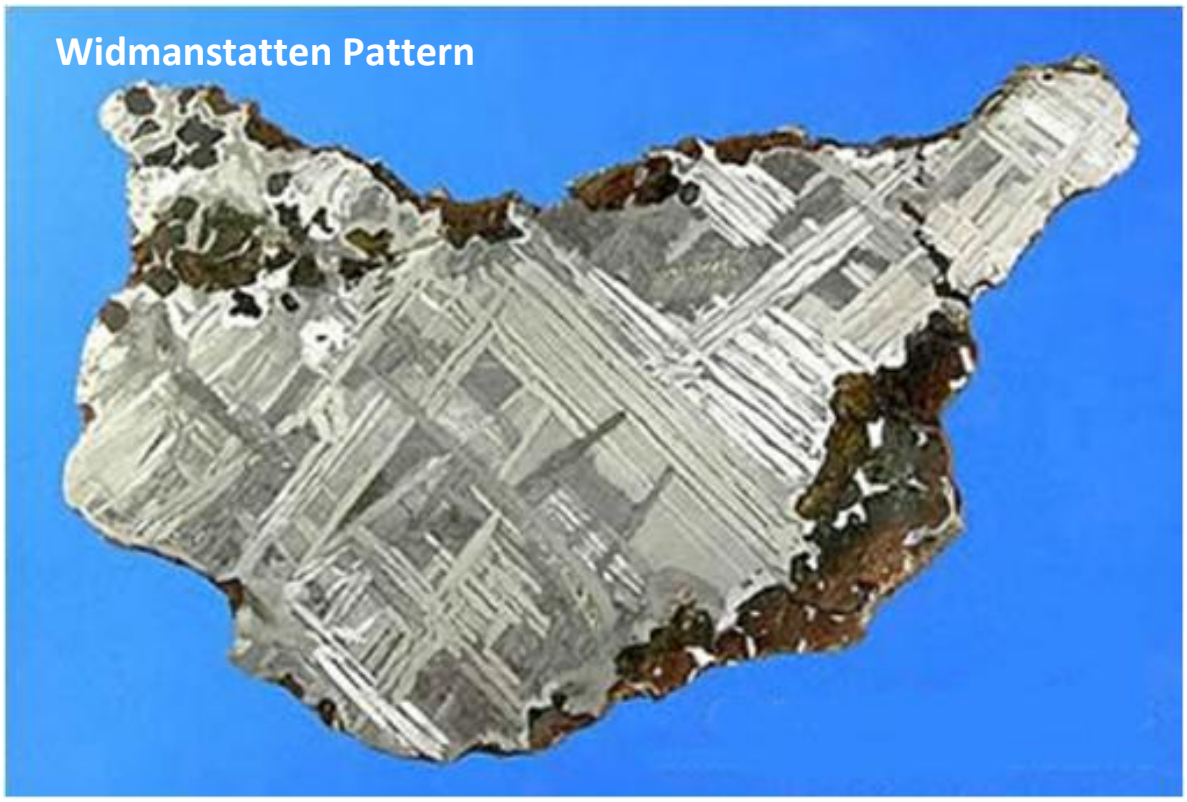

قطعة من مذنب حديدي سقط عام ١٩٦٧ قرب مدينة ماجادان Magadan في روسيا؛ وتتسم بخطوط مُميزة نتيجة الاحتكاك أثناء السقوط، ومن المُميزات العامة للنيازك إمكان جذب المغناطيس وتكون قشرة مُتفحمة نتيجة الاحتراق.

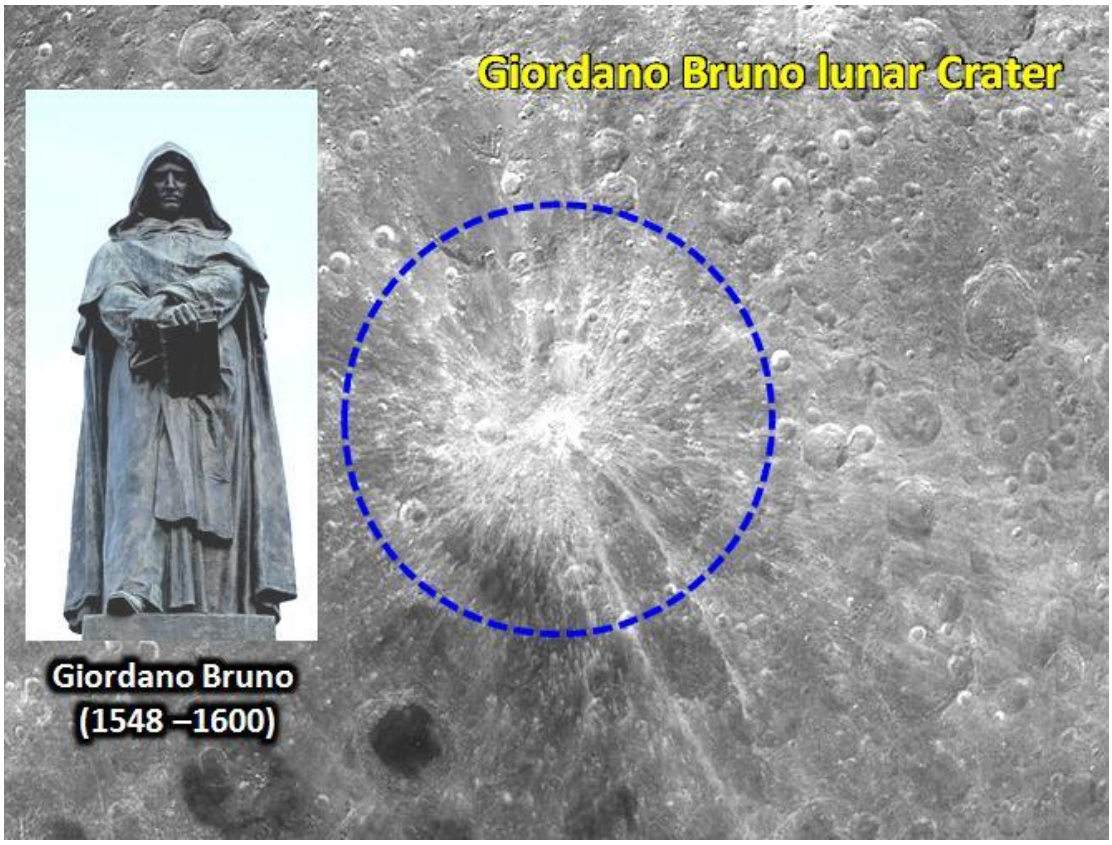

وكل الكواكب والأقمار أصابتها النيازك، ومن أشهر فوهات القمر فوهة جيوردانو برونو أعلى النصف الخلفي، وتمتد آثار الصدام لأكثر من ١٥٠ كم، وعمرها أقل من ٣٥٠ مليون سنة، وأخذت الاسم إحياءً لذكرى الفلكي الإيطالي الذي اتهمته الكنيسة بالهرطقة لمخالفته مفاهيم القساوسة بقوله بحركة الأرض، فأعدمته حرقا يوم ١٧ فبراير عام ١٦٠٠.

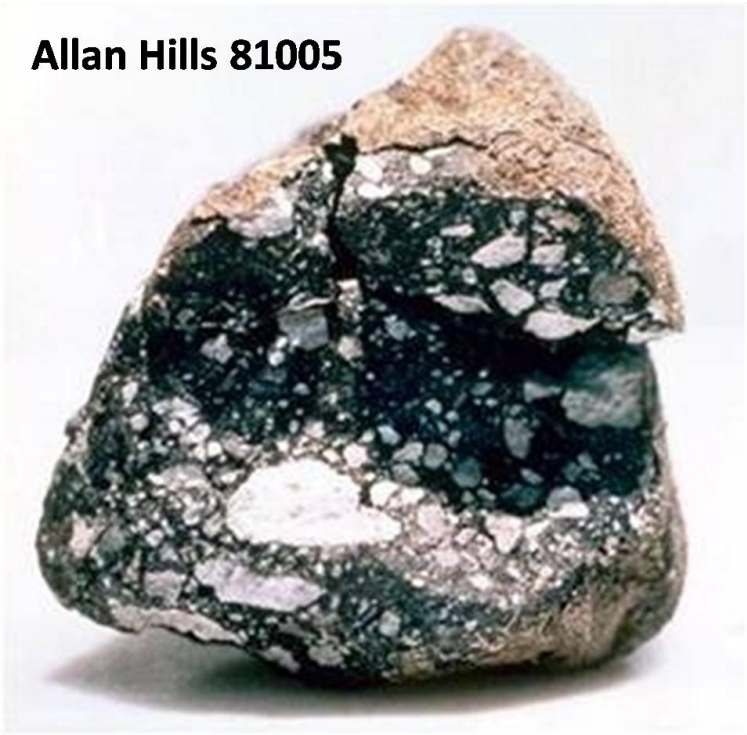

وفي عام ١٩٨١ عُثر على نيزك بالقطب الجنوبي؛ تبين أن تركيبه يُماثل الصخور التي أحضرتها رحلات أبوللو، فكان أول نيزك عُرف بأنه مُرتد من صدام نيزكي وقع على سطح القمر، واليوم قد عُرف حوالي ١٠٠ نيزك قمري.

وفي عام ١٩٨٤عُثر على نيزك بالقطب الجنوبي بحجم ثمرة بطاطس؛ تبين أنه يُطابق البيانات التي أرسلتها المسابر الفضائية من المريخ، فكان أول نيزك عُرف أنه مُرتد من صدام وقع بالمريخ، وحتى اليوم عُرف ١٢ نيزك مريخي.

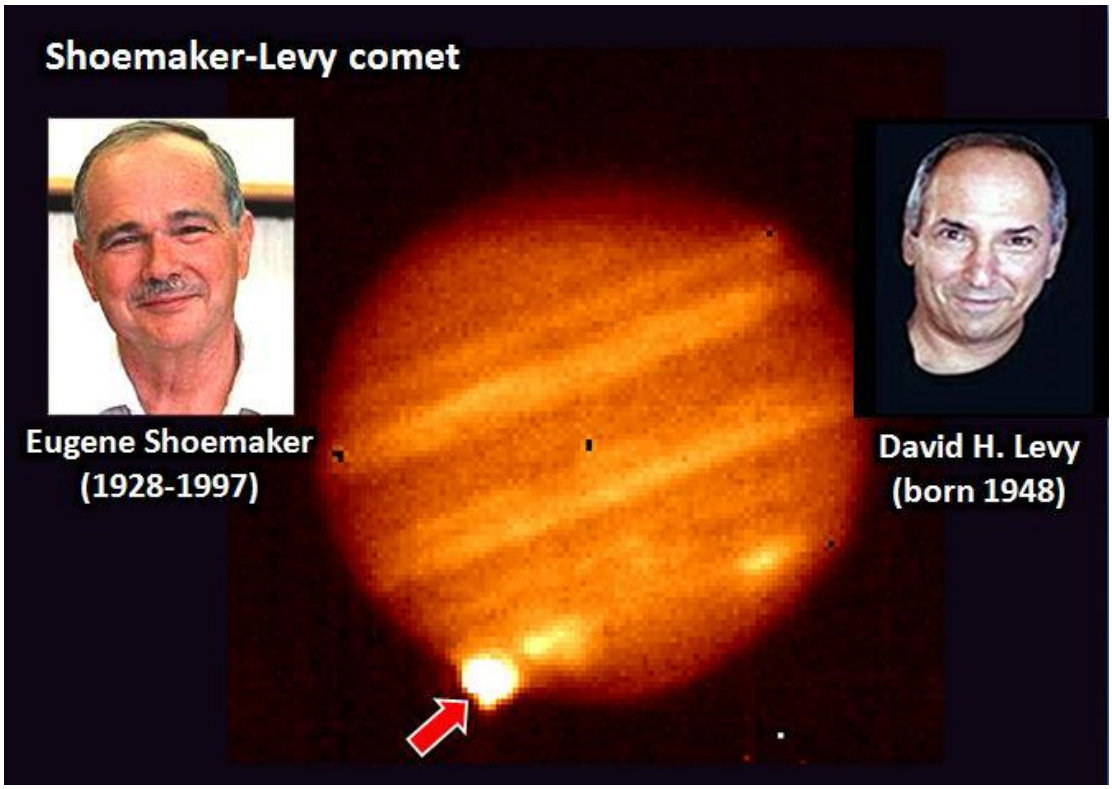

وفي عام ١٩٩٤ رصد الفلكيان شوميكر وليفي انفجارات على المشتري نتيجة تحطم مذنب قطره حوالي ١٠ كم وسقوطه قطعاً مُتعاقبة في أول وأكبر صدام معروف بين جسمين كبار في النظام الشمسي (٦٠٠٠ جيجا طن TNT).

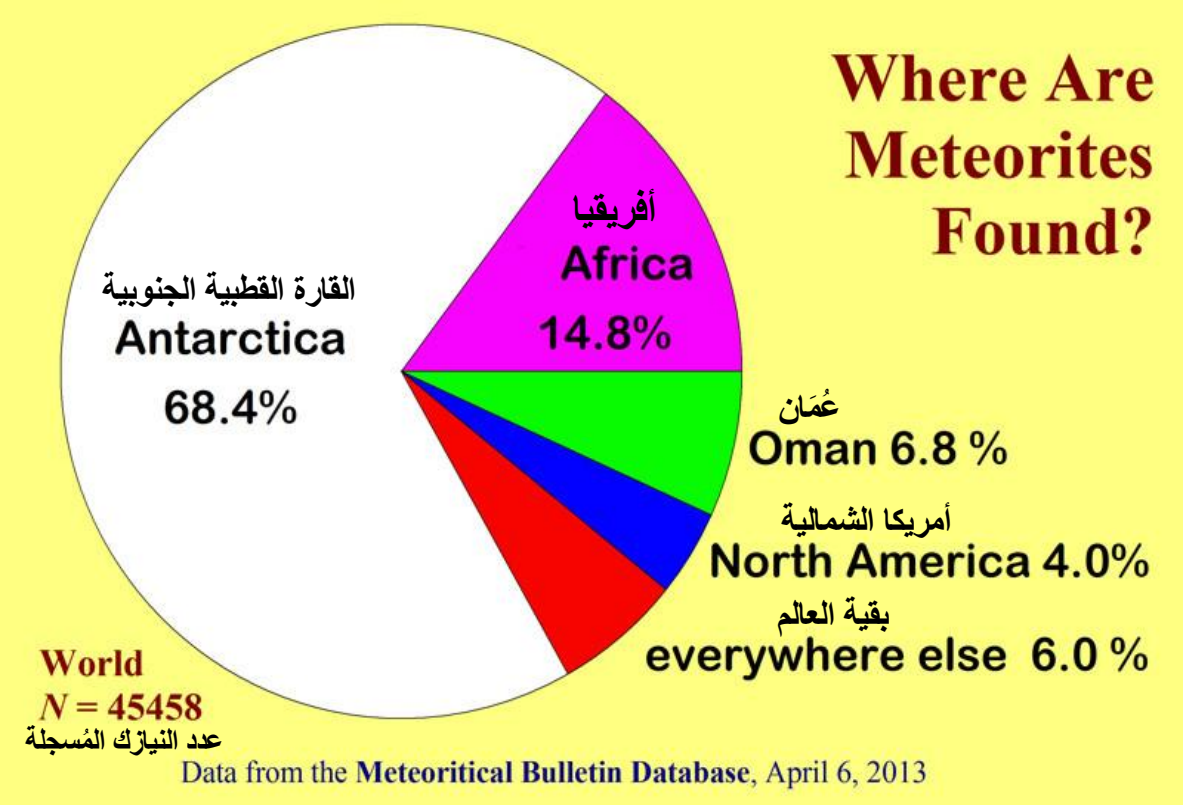

أما في الأرض؛ فوفق إحصاء ٢٠١٣ بلغ عدد النيازك المُسجلة حوالي ٤٥,٥ ألف أكثرها بالقارة القطبية الجنوبية.

إن وجود أسراب من الحجارة في السماء كالطير الأبابيل جماعات تلو أخرى حقيقة راسخة لا يرتاب فيها اليوم أحد، وخطر أحجار السماء إذن مُتوقع؛ وللمخيلة أن تتصور كيف يكون الدمار إذا أصابت الأرض قطعة مُذنبية ذات اعتبار.

وقد أعادت حادثة تانجوسكا القريبة العهد حادثة يوكاتان إلى الأذهان، وعملت أجهزة الكومبيوتر لتحسب مدى تدمير قوة صدمة أكبر بعدة ملايين من المرات؛ خاصة مع الهلاك الفجائي للديناصورات ومعظم الأحياء في نفس الوقت منذ حوالي ٦٥ مليون سنة، وهكذا نشأت فرضية الهلاك الفجائي لمعظم الأحياء على اليابسة وفي البحار نتيجة الصدام خاصة بانبعاث دخان بلغ المناطق العليا للجو وحجب ضوء الشمس مؤقتا فأصاب التمثيل الضوئي Photosynthesis للنبات وهلكت الحيوانات الكبيرة الحجم كالديناصورات لأنها أقل قدرة على احتمال قلة الأكسجين والطعام، وقد كانت هناك فرضيات أخرى مثل دخان البراكين؛ ولكن مع اكتشاف طبقة رسوبية في مناطق مختلفة من سطح الأرض عمرها حوالي ٦٥ مليون سنة كذلك، وتحتوي على الإيريديوم Iridium المُميز للرجوم النيزكية؛ تَرَجَّح هلاك الكثير من الكائنات الحية سابقًا خاصة الديناصورات بكارثة الدخان تلك، وإمكان وقوع كارثة الدخان كذلك في مستقبل الأرض.

وفي رواية ذكرها الطبري تتضمن تفسير ابن عباس لكارثة الدخان المُرتقبة بصدام مذنب: "عن عبد الله بن أبي مليكة قال غدوت على بن عباس ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت لم؟، قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب؛ فخشيت أن يكون الدخان قد طرق"[٥٨٠]، ولم يكن ابن عباس فلكيًا؛ وإنما استمد تلك المعرفة من قوله تعالى: "فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مّبِينٍ. يَغْشَى النَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ. أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مّبِينٌ. ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ. إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ" الدخان: ١٠-١٥، وفيه إنذار بكارثة تتكرر لا يعرفها قبل عصرنا إلا نبي؛ أبرز سماتها دخان يُحيط بالأحياء سببه صدام جسم سماوي بالأرض، وصاحبت ذلك الوصف العجيب الذي حار فيه الأولون جملة أوصاف تفرد بها القرآن تكشف وجود أسراب كالطير الأبابيل من حجارة قريبًا من الأرض؛ يُمكن أن تُدمر أي مكان على سطحها، وتروي بدقة مُذهلة واقعة السقوط النيزكي!.

[٥٨٠] تفسير محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ، دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ، ج٢٥ص١١٣.

فمنذ القرن السابع الميلادي يُطالعنا القرآن الكريم بصفته المُعجزة الخالدة في جملة مواضع بنبأ زُمر الرجوم النيزكية كالطير أسرابًا ترمي بحصى وحجارة صغار كالمطر، راويًا تدميرها أقوامًا في نصوص صريحة لا تختلف فيها الأفهام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ. إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ ٥٤القمر:٣٣و٣٤، ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٦٨، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ ٦٧الملك:١٧، قال ابن عاشور: "الْحَاصِبُ: الرَّامِي بِالْحَصْبَاءِ"[٥٨١].

وكلمة (حَاصِباً) نكرة فأفادت التعدد؛ وهي واردة بصيغة اسم الفاعل (حاصب)، فدلت على وجود أرتال من الحواصب تهدد برمي حجارة صغار، وكأنه تعالى قال: يكفي حاصبًا واحدًا يُسقط حصباء؛ لا كسفًا كبار ليسبب الدمار، وبيانًا لكثرة الحصباء التي يرميها حاصب واحد؛ يرد تمثيلها بكلمة (مَطَرًا): ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:٨٤، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ٢٦الشعراء:١٧٣، و٢٧النمل:٥٨.

والتعبير (حَاصِباً) مُفرد يدل على وجود ما يشبه رُمَاة السهام بالسماء؛ ويكفي أن يَرْمِي حاصبًا واحدًا حصباء؛ ليسبب الدمار، وتحوم المُذنبات حول النظام الشمسي من كل جانب فيما يُعرف بسحابة أورت Oort Cloud، ونتيجة للصدامات بينها يسبح الحطام أرتال كأنها الإبل المُؤَبَّلَة أو أسراب الطيور المُهاجرة: جماعات تلو أخرى، وتتكون أساسًا من الثلج خليط ماء وتراب وغازات متجمدة؛ ولذا تُسمى كُرات الثلج المُتسخة Dirty Snowball، والماء والتراب هُما مُكونات الطين: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ٥١الذاريات:٣٢-٣٤، ووصفت النصوص الرجم النيزكي: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ١٥الحجر:٧٣و٧٤، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ١١هود:٨٢و٨٣، والسجيل بالإبدال كالسجين، ولفظ (سِجِّيلٍ) تمثيل لبيان التهابها عند سقوطها نتيجة احتكاكها بالهواء، فتكون كأنها من سجين أي جهنم، وهو نفس وصف الحجارة التي رمتها أرتال كأسراب الطير جماعات أبابيل: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ١٠٥الفيل:٤.

[٥٨١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٥\ ١٦٢).

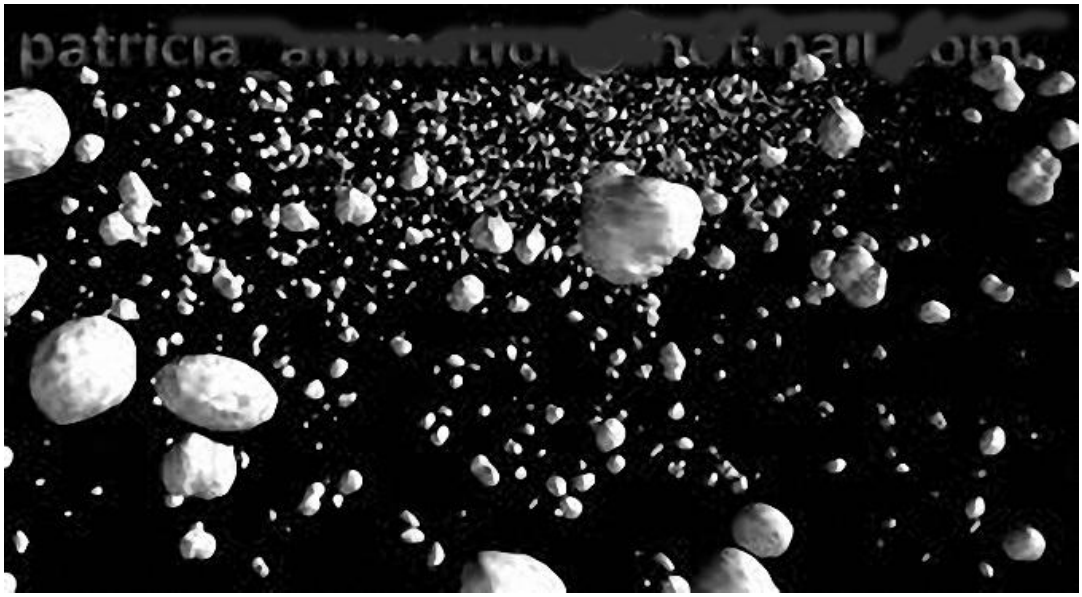

حزام النيازك وهالة المذنبات قطع مختلفة الأحجام تحوم في مجموعات متعاقبة؛ أشبه ما تكون بأسراب الطيور المُهاجرة.

وتسبح بالمثل بحزام الكويكبات Asteroids بين المريخ والمشتري زُمَر حجارة ليست من الأرض ببعيد؛ أفواجًا مُتتابعة كأسراب الطير أبابيل، قال الشوكاني: "﴿أَبَابِيلَ﴾.. يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَالْإِبِلِ الْمُوَبَّلَةِ..؛ جَمَاعَاتٍ فِي تَفْرِقَةٍ"[٥٨٢]، وقال القاسمي: "طوائف مُتفرقة يتبع بعضها بعضًا"[٥٨٣]، وقال محمد سيد طنطاوي: "والطير اسم جمع لكل ما من شأنه أن يطير.. وتنكيره للتنويع والتهويل، والأبابيل..: قيل هو جمع إبّالة؛ وهي حزمة الحطب الكبيرة، شبهت بها الجماعة من الطير في تضامنها وتلاصقها"[٥٨٤]، وقال الرازي: "الْجَمَاعَةُ مِنَ الطَّيْرِ بَعْدَ الْجَمَاعَةِ.. أَفْوَاجًا.. (و) السِّجِّيلُ حِجَارَةٌ مِنْ جَهَنَّمَ، فَإِنَّ سِجِّيلَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جهنم فأبدلت النون باللام"[٥٨٥]، وقال ابن عاشور: "وَالطَّيْرُ.. اخْتَلَفَ الْقَصَّاصُونَ فِي صِفَتِهِ اخْتِلَافًا خَيَالِيًّا..، (و) إِبَّالَةَ.. الْحُزْمَةُ الْكَبِيرَةُ مِنَ الْحَطَبِ؛ وَعَلَيْهِ فَوَصْفُ الطَّيْرِ بِأَبَابِيلَ عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ..، (ولفظ) سِجِّيلٌ.. قَدْ أَشَارَ إِلَى أَصْلِ مَعْنَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى..: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ ١١هود:٨٢..، ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ١٥الحجر:٧٤، فَتَعَيَّنَ أَنْ تَكُونَ الْحِجَارَةُ الَّتِي أُرْسِلَتْ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ؛ مِنْ جِنْسِ الْحِجَارَةِ (النَّارِيَّة) الَّتِي أُمْطِرَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ"[٥٨٦].

---

[٥٨٢] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٥\ ٦٠٥).

[٥٨٣] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٩\ ٥٤٣).

[٥٨٤] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (١٥\ ٥١١).

[٥٨٥] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٨\ ٢٩٨).

[٥٨٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٣٠\ ٥٥٠).

وسقوط قطع الحجارة كِسَفًا خطره أعظم، وقد وَرَدَ سقوط تلك الكِسَف في مقام التخويف وشدة التدمير؛ نحو: ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ٣٤سبأ:٩، ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٢٦الشعراء:١٨٧؛ ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ ٨الأنفال:٣٢، قالوها إنكارًا: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا.. ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ ١٧الإسراء:٩٠-٩٢، والتعبير (كَمَا زَعَمْتَ) صريح في أن الوحي هو مصدر النبأ.

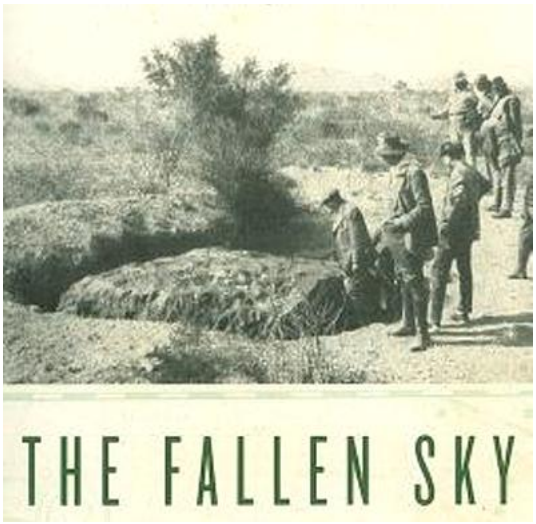

وفي عام ٢٠٠٩ نشر كريستوفر كوكينوس Christopher Cokinos كتابه عن تاريخ اكتشاف النيازك؛ وقرر أنه كان من أهم الإنجازات في العصر الحديث، وسمى كتابه: السماء الساقطة The Fallen Sky[٥٨٧]؛ أي التي يقع بعضها على الأرض، قال القطان: "ومن رحمته تعالى بِنَا أن سُقوط النيازك الكبير.. نادرُ الحدوث.. (و) يتم في الأماكن الخالية من السكان، وفي هذا تأييد وتصديق لقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٢الحج:٦٥"[٥٨٨]، "ولو كان الغلاف الجوي.. ألطف مما عليه الآن..؛ لسقطت على كل بقعة من الأرض وأحرقتها"[٥٨٩].

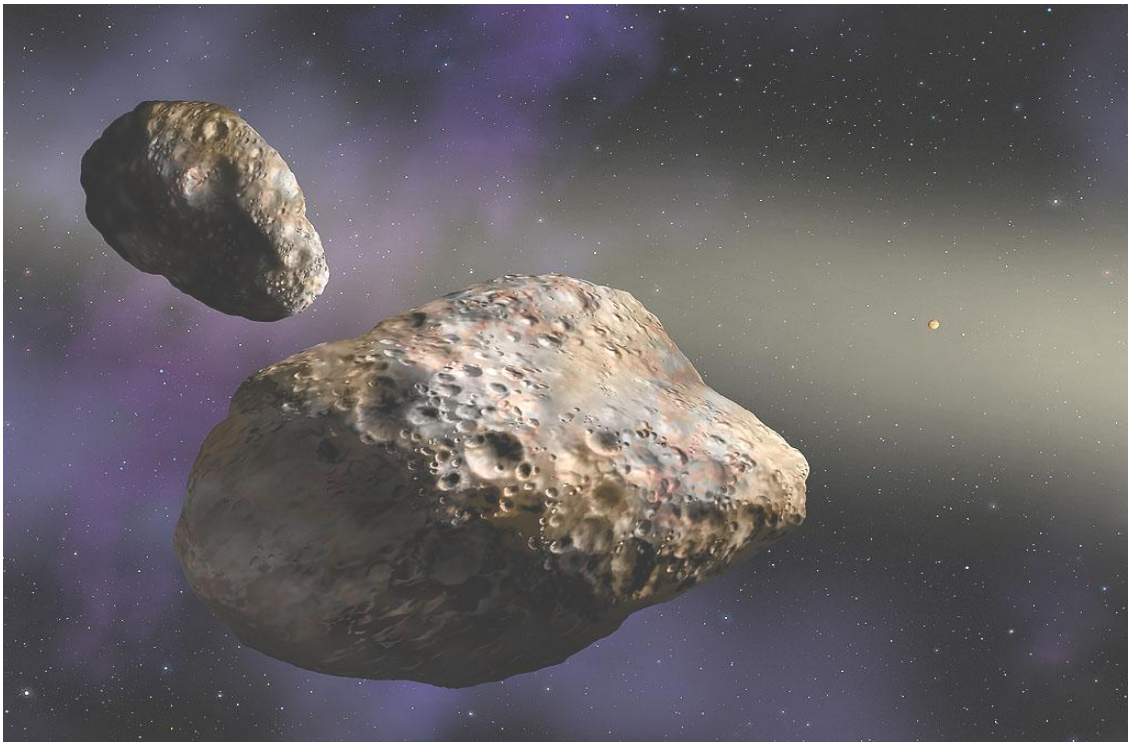

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ٣٤سبأ:٩، كلمة (كِسَفًا) واردة بالتنكير بيانًا لكثرتها، وهي في مُقابل الحصباء التي يرميها حاصبًا تعني قطعًا أكبر تتسع دلالتها لتشمل أحجامًا أضخم؛ فيكون الدمار أعظم والعذاب أشد؛ وهو الأنسب لمقام المُبالغة في العقوبة، قال الرازي: "كِسَفًا: أَيْ قِطَعًا بِالْعَذَابِ"[٥٩٠]، وأحجار السماء إذن متباينة الأحجام؛ شبهت بعضها بحصباء صغار وأخرى ذات أحجام متنوعة كبار قد تُماثل الجبال.

---

[٥٨٧] Wikipedia, the free encyclopedia, search word; (**Christopher Cokinos**).

[٥٨٨] إبراهيم القطان؛ تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٢ ٤٦٨).

[٥٨٩] إبراهيم القطان؛ تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١١ ٢٥٩).

[٥٩٠] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢١\٤٠٨).

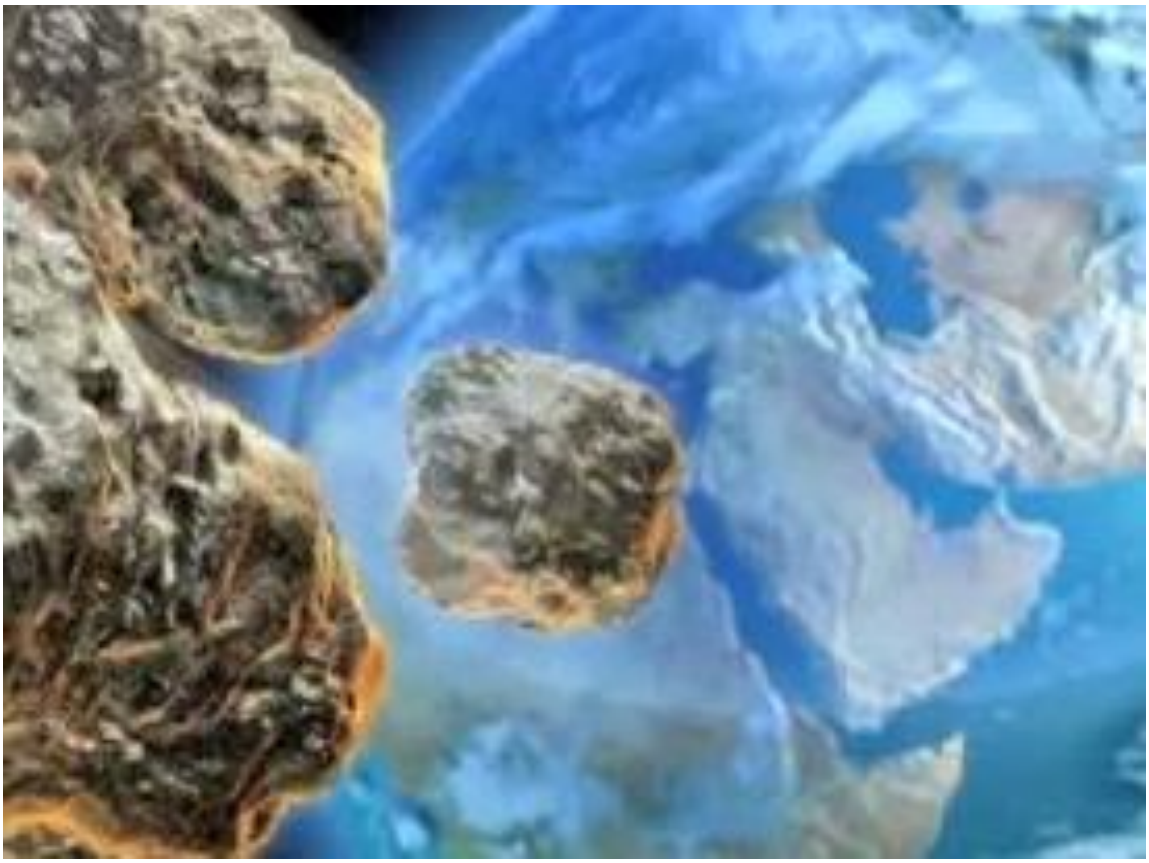

قال المُنتصر الكتاني: "قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ٣٤سبأ:٩..، إذا لم يَخَفْ من (أخطار) الأرض؛ ألم يَخَفْ من (أخطار) السماء، ونحن (نسمع اليوم عما) يقع منها من نيازك..، ألم يَخَفْ أن تقع عليه قطع من السماء فيصبح وكأنه لم يكن..، فالله يفعل ما يشاء وهو القادر على ما يشاء، وإذا شاء جل جلاله أن.. يُسقط عليهم قطعًا من السماء فيسحقهم سحقاً؛ من الذي يُعجزه ومن الذي يمنعُه (و) هو الذي لا يُغَالب!"[٥٩١].

وهكذا بتلطف لا يلفت عن غرض؛ أفاض القرآن الكريم في بيان أوصاف الصدام النيزكي Impact بما لم يرد في أي كتاب آخر يُنسب للوحي، فصرح بوجود حجارة السماء، وسجل تكذيب عرب الجاهلية لها وطلبهم إسقاطها عليهم إنكارًا، وهو نفس تكذيب أصحاب الأيكة شعيب عليه السلام وطلب إسقاطها عليهم إنكارًا؛ فكان عقابهم من جنس ما أنكروا: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٢٦الشعراء:١٧٦و١٧٧..؛ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ٢٦الشعراء:١٨٧-١٨٩، و(الظُّلَّةِ) غمامة أتربة وفتات نتيجة الصدام ترتفع في الجو حيث يتخلخل الهواء؛ فتنتشر عرضيًّا في أعلي الجو بهيئة الفطر أو التفجير النووي، وتُسقط كتل مُلتهبة في مساحة واسعة، وتبدو ظُلة الصدام للناظر كسحاب ركام: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ ٥٢الطور:٤٤.

وهو أيضًا نفس تكذيب مَدْيَن للنبي شعيب عليه السلام فكان عقابهم بالمثل من جنس ما كذبوا به: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ٢٩العنكبوت:٣٦و٣٧، و(الرَّجْفَةُ) زلزله سطح الأرض؛ وهي أحد مظاهر الصدام، فأثناء السقوط تتولد موجة صدمية Shockwave؛ تُسمع كدمدمة Rumble أو صيحة مُدوية لتضاغط الهواء أمام النيزك واختراق حاجز الصوت، ويعقبها تخلخل يُضاعف الدمار: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ ١١هود:٩٤و٩٥.

[٥٩١] محمد المنتصر بالله الزمزمي الكتاني؛ تفسير القرآن الكريم، دروس صوتية مفرغة، رقم الجزء هو رقم الدرس بترقيم الشاملة (١٢١٦ ٤).

فلم يعتبروا بالرجفة التي أصابت قبلهم ثمود نظير عنادهم: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ٧الأعراف:٧٣-٧٨، والرجفة ملازمة لصرخة الدمدمة وهدير قعقعة الارتطام في الكارثة التي قضت على مساكنهم وسوَّتْهَا بسطح الأرض: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ ٩١الشمس:١١-١٤.

وكان حال قوم لوط عليه السلام مثالاً وعبرةً: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ٥٤القمر: ٣٤، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ ١٥الحجر:٧٣-٧٦، ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ١١هود:٨١-٨٣.

والتعبير: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ١٥الحجر:٧٤؛ يُناظر: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ ١١هود:٨٢، فالموجة الصدمية التي تُسمع كصيحة مُدوية تسبق بالتدمير الإمطار بالأحجار، وخصهم بالعذاب: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ وشملهم بإطلاق الدمار: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، كما في التعبير: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ ٩١الشمس:١٤، فالتسوية بالأرض تدمير المُرتفع، وعَادَ ضمير ﴿فَسَوَّاهَا﴾ على غير مُعين للإيغال في النقمة بتدمير الديار؛ كما في التعبير: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ ١٥الحجر:٧٤؛ ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾١١هود:٨٢، أي هَوِي أسقف الديار بالصيحة قبل تغشيتها بالأحجار كالتعبير: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى. فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ ٥٣النجم:٥٣و٥٤، والتعبير: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٦النحل:٢٦، وبقيت آثار مساكنهم آية على الدمار: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ. وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾ ٢٩العنكبوت:٣٧و٣٨، ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٣٧الصافات:١٣٧و١٣٨، ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٤٠، ومثله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ٧الأعراف:٧٨ و٩١، ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ١١هود:٦٧، ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ١١هود:٩٤.

وأما وصف الحجارة بأنها (مُسَوَّمَةً) أي مُعَلَّمَة بعلامات تُميزها عن حجارة الأرض؛ فقد أفاض الفلكيون في بيانها، فنتيجة للاحتكاك بالهواء تحترق أسطح النيازك الحجرية التركيب وتتكون قشرة سوداء مُتفحمة، أما النيازك الحديدية فتتكون على أسطحها خُدُوش بهيئة خطوط مُميزة تُسمى بالألمانية أشكال فيدمانشتاتين Widmanstätten pattern، وأثناء السقوط قد يتفتت الرجم نتيجة الاحتكاك بالهواء فيصطدم قطعًا مُتناثرة في تتابع؛ وهو مُقتضى كلمة (مَنْضُودٍ).

والتعبير: (وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ)؛ أي مدار ثابت كالكواكب والنجوم، والضمير عائد على المذكور الوحيد: (حِجَارَةً) مثل التعبير: (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)، فالمضمون إذن أن الحجارة السماوية قريبة بالمقاييس الفلكية من الأرض، أي أنها تتهدد كوكب الأرض؛ أي تقع داخل عالمنا الكوكبي الأدنى من عوالم عناقيد النجوم على أبعاد تفوق الخيال، والارتطام يكون على أشده عندما تُواجه الأرض النيزك بجبهتها صباحًا فترة الشروق أثناء حركتها حول الشمس مُضيفة سرعتها نحوه إلى سرعته نحوها؛ بخلاف جهة الغروب المُقابلة حيث تُخصم سرعتها من سرعته فتقل قوة الارتطام، وهو ما يُفسر انتظار الصبح فترة الشروق ليتحقق أشد العذاب؛ حيث تبلغ قوة الارتطام أقصى مدى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ١١هود:٨١، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ ١٥الحجر:٦٦، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ ١٥الحجر:٧٣، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ٥٤القمر:٣٤، ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ ٥٤القمر:٣٨، والنص صريح في أن الرَّجم صباحًا مُستقر مُتواصل وأبلغ عذابًا، واختيار وقت الصبح في القرآن الكريم في مقام بلوغ العقوبة الذروة يُعد مُعجزة كبرى، ليس فحسب للدلالة على وجود أحجار في السماء؛ وإنما أيضًا للمعرفة بحركة الأرض في مدار ثابت يُمكن أن يتقاطع مع المدار المُقيم لتلك الرجوم!.

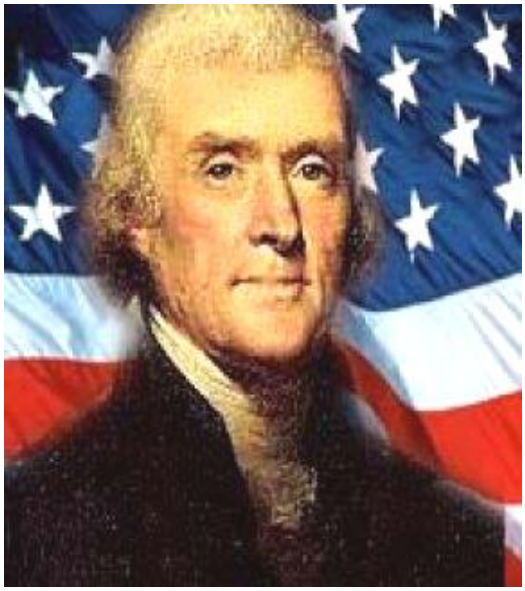

توماس جيفرسون Thomas Jefferson
(١٧٤٣ - ١٨٢٦)

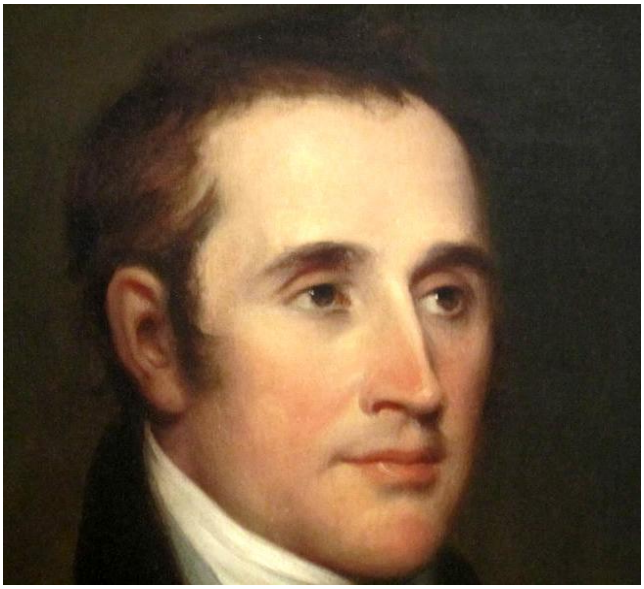

بنيامين سيليمان Benjamin Silliman
(١٧٧٩-١٨٦٤)

أجرى بنيامين سيليمان Benjamin Silliman (١٧٧٩-١٨٦٤) أول بحث علمي على نيزك سقط عام ١٨٠٧، وتَرْوِي المراجع الفلكية إنكار توماس جيفرسون Thomas Jefferson رئيس الولايات المتحدة الدولة الحديثة؛ وجود حجارة في السماء، واتهم البروفيسور سيليمان صاحب الفكرة بالكذب وأعرض عن ذكر اسمه وسماه يانكي a Yankee (أي ذلك المواطن ابن الولاية الشمالية: نيو إنجلند New England)، وعبارته: من السهل أن أعتقد أن ذلك البروفيسور يانكي مُمكن أن يكذب؛ أكثر من أَنَّ تلك الحجارة مُمكن أن تسقط من السماء (I would more easily believe that a Yankee professor would lie than that stones would fall from heaven)[٥٩٢]، ولكن البحوث تعاقبت وأصبح من اليقين الجازم أنها سماوية من خارج الغلاف الجوي للأرض، ولا يُمكن الإدعاء إذن بأن تِلْكُم الرَّوَائع في القرآن الكريم منذ القرن السابع الميلادي في الإنباء بحجارة السماء؛ معرفة بشرية أنجزتها القرائح، يقول العَلِي القَدِير: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٧-٣٩.

[٥٩٢] Wikipedia, the free encyclopedia, search word; (**meteoroid**).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ١١هود:٨٢و٨٣؛ قال الماوردي: "قوله عز وجل: {فلمّا جاء أمرُنا} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أنه أمر الله تعالى للملائكة، الثاني: أنه وقوع العذاب بهم، الثالث: أنه القضاء بعذابهم، {جعلنا عاليَها سافلَها}.. مؤتفكات قوم لوط.. جعل عاليها سافلها وأتبعها بحجارة من سجّيل حتى أهلكها وما حولها..، {وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل}.. (نارية كأنها) من جهنم واسمها سجين؛ فقلبت النُون لاماً..، {منضود} فيه تأويلان؛ أحدهما: قد نُضَّد بعضه على بعض، قال الربيع. الثاني: مصفوف؛ قاله قتادة..، {مسومة عند ربك}؛ والمسومة: المُعلّمة..، {عند ربك}.. في علم ربك؛ قاله ابن بحر..، {وما هي من الظالمين ببعيد}.. وعيد لكل ظالم؛ قاله الربيع"[٥٩٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى. فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ ٥٣النجم:٥٣و٥٤، ورد في تفسير الجلالين: "{وَالْمُؤْتَفِكَةَ} وَهِيَ قُرَى قَوْم لُوط، {أَهْوَى} أَسْقَطَهَا.. {فَغَشَّاهَا} مِنْ الْحِجَارَة بَعْد ذَلِكَ {مَا غَشَّى} أُبْهِمَ تَهْوِيلًا وَفِي هُود (جَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَة مِنْ سِجِّيل)، {فَبِأَيِّ آلَاء رَبّك} أَنْعُمه الدَّالَّة عَلَى وَحْدَانِيَّته وَقُدْرَته {تَتَمَارَى} تَتَشَكَّك"[٥٩٤].

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٥الحجر:٧٣-٧٧؛ قال الماوردي "{إنَّ في ذلك لآياتٍ للمتوسمين} فيه خمسة أوجه: أحدها: للمتفرسين؛ قاله مجاهد..، الثاني: للمعتبرين؛ قاله قتادة، الثالث: للمتفكرين؛ قاله ابن زيد، الرابع: للناظرين؛ قاله الضحاك..، الخامس: للمبصرين؛ قاله أبو عبيدة، قال الحسن: هم الذين يتوسمون الأمور؛ فيعلمون أن الذي أهلك قوم لوط قادر على أن يهلك الكفار..، {وإنها لبسبيل مقيم} فيه تأويلان: أحدهما؛ لهلاك (يترصد) دائم؛ قاله ابن عباس، الثاني: لبطريق مُعَلَّم، قاله مجاهد، يعني بقوله {وإنما} أهل مدائن قوم لوط وأصحاب الأيكة قوم شعيب..، {وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين} يعني في تكذيب رسول الله إليهم وهو شعيب، لأنه بعثَ إلى أمتين؛ أصحاب الأيكة وأهل مدين، فأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة، وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة التي احترقوا بنارها؛ قاله قتادة، وفي {الأيكة} ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنها الغيضة؛ قاله مجاهد، الثاني: أنه الشجر الملتف..؛ وهذا قول ابن جرير..، الثالث: أن الأيكة اسم البلد..؛ حكاه ابن شجرة..، {فانتقمنا منهم وإنهما لبإمامٍ مبينٍ} فيه تأويلان؛ أحدهما: لبطريق واضح؛ قاله قتادة، وقيل للطريق إمام لأن المسافر يأتم به حتى يصل إلى مقصده، الثاني: لفي كتاب مُستبين؛ قاله السدي، وإنما سمي الكتاب إماماً لتقدمه على سائر الكتب..، و(قيل): هو الكتاب بلغة حِمْيَر، ويعني بقوله {وإنهما} أصحاب الأيكة وقوم لوط..، {ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين} وهم ثمود قوم صالح، وفي {الحجر} ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه الوادي؛ قاله قتادة، الثاني: أنها مدينة ثمود؛ قاله ابن شهاب، الثالث: ما حكاه ابن جرير أن الحجر أرض بين الحجاز والشام"[٥٩٥].

وقال ابن جزي: "(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) ١١هود:٨١؛ أي وقت عذابهم الصبح..، (جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا) الضمير للمدائن..، (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً) أي على المدائن؛ والمراد أهلها..، (مِنْ سِجِّيلٍ) قيل..: من الآجر المطبوخ (بالنار)..، (مَنْضُودٍ) أي مضمُوم بعضه فوق بعض، (مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ) معناه: معلّمة بعلامة..، (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) الضمير للحجارة..؛ فهذا تهديد لهم أي ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم..، فالمعنى ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها؛ كقوله: (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) الفرقان:٤٠"[٥٩٦].

---

[٥٩٣] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٢\ ٤٩٢).

[٥٩٤] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٧٠٤).

[٥٩٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٣\ ١٦٧).

[٥٩٦] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١\ ٣٧٦).

وفي تفسير مجمع البحوث: "{إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ} ١١هود:٨١؛ إي فأسرع السير بأهلك تحت جنح الظلام كي تبتعد عن مواقع العذاب الذي تحدد الصبح وقتا لنزوله، {أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} ١١هود:٨١؛ أي إن موعد هلاكهم الصبح؛ وهو وقت قريب جدا، وكان الصبح ميقاتًا لهلاكهم لأنه وقت الدعة والراحة والهدوء؛ فيكون نزول العذاب بهم فيه أَشدَّ، {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} ١١هود:٨٢و٨٣..، المفردات: {أَمْرُنَا}: أي عذابنا أو الأمر به، وهو على الأول واحد الأمور؛ وعلى الثاني واحد الأوامر، {جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا}..: صار أعلاها إلى أسفل..، {سِجِّيلٍ}.. (مَنضُودٍ): متتابع بعضه إثر بعض، {مُسَوَّمَةً}: مُعلمة بعلامات تميزها..، التفسير: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ}: أي فلما جاء الوقت الذي أمرنا بوقوع العذاب فيه وهو الصبح؛ أو جاء العذاب الذي قدرنا نزوله بهم في الصبح، جعلنا ما كان عاليا من مباني القرى والمدن سافلا، وأنزلنا على أهل تلك القرى مطرًا من حجارة.. أنزلناها على هذه القرى متتابعة بعضها إثر بعض كتتابع المطر النازل من السماء، {مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ}.. أي هذه الحجارة التي أمطروا بها من السماء كانت معلمة ومميَّزة عند ربك بما يدل على أنها ليست من حجارة الأرض..، {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}: أي وليست تلك الحجارة الموصوفة بما ذكر ببعيدة من غيرهم من كل ظالم يأثم إثمهم ويظلم ظُلمهم"[٥٩٧].

وفيه: "{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ. وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ. فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ} ١٥الحجر:٧٢-٧٩؛ المفردات: (لَعَمْرُكَ): أي لحياتك؛ وهي صيغة قسم معناها أقسم بحياتك..، (سَكْرَتِهِمْ): أي غفلتهم الشديدة التي أشبهت السُّكر فجعلتهم كالسكارى..، (يَعْمَهُونَ): يترددون ويتحيرون، من العَمَه وهو في البصيرة كالعمى في البصر..، (الصَّيْحَةُ): الصوت الشديد المزعج، والمراد به العذاب الذي أهلكهم الله به؛ كما نقله ابن المنذر عن ابن جريج..، (مُشْرِقِينَ): داخلين في وقت شروق الشمس..، (لِلْمُتَوَسِّمِينَ): للمتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيءِ بِسمَتِهِ وعلامته، (أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ): أصحاب الْغَيْضَة وهي جماعة الشجر الكثيف الملتف، والمراد بها البقعة الكثيرة الأشجار المثمرة، (لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ): لفي طريق بيّن واضح يؤتمُّ به، التفسير: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) قيل: هذا قسم من الله تبارك وتعالى بحياة نبيه لوط عليه السلام: إن قومه لفي غفلة غامرة وضلالة منكرة، جعلتهم كالسكارى يتحيرون ويترددون، فكيف يستمعون للنصح، أو يستجيبون لداعي الهدى وهم في غوايتهم يتخبطون!، والمقصود من القسم تأكيد جهالتهم بعاقبة إعراضهم..، غافلون عما يصبّحهم من عذاب قريب لا ريب فيه؛ كما قال تعالى: (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) ١١هود:٨١، وقال قوم إنه قسم بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، وبه قال ابن جرير وابن كثير وجمهور من المفسرين وعلى رأسهم ابن عباس..، وعلى هذا تكون الضمائر في قوله: (إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) عائدة على قريش، غير أن القسم بحياة لوط عليه السلام أنسب بسياق القصة..، (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ)..: أي داخلون في وقت شروق الشمس..، (فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ): أي فجعلنا عالِي مدينتهم أو عالي قراهم سافلها؛ بأن دمرناها عليهم..، وفي سورة الذاريات: (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ. فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) ٥١الذاريات:٣١-٣٧، ولا ريب أنها حجارة صنعت من طين..، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ): أي إن في ذَلكَ العذاب الذي أحاط بقوم لوط فدمَّرهم لعلامات بينةً على أخذ الله للمجرمين، يعرفها أهل الفطنة الذين يدركون الأُمور بسِماتِها وعلاماتها؛ فيستدلون بها على حقائق الأشياء"[٥٩٨].

---

[٥٩٧] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٤ ٢٣١).

[٥٩٨] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٥ ٥٦٥).

وفيه: "{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} ١١هود:٩٤و٩٥، المفردات: {جَاثِمِينَ}: باركين على الركب من الجثوم..، {يَغْنَوْا فِيهَا}: كأن لم يقيموا فيها، يقال غنى بالمكان يغني أي أقام به وعاش في نعمة ورغد، {بُعْدًا}: هلاكًا..، التفسير: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ}.. المعنى: ولما جاءَ أمرنا بعذابهم نجينا رسولنا شعيب والذين آمنوا به وصدقوه واتبعوه..، ففازوا بالنجاة من الهلاك، {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ}: أي وأخذت الصيحةُ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي..، {فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ}: أي فأصبحوا من شدتها ميتين خامدين في أماكنهم، وهذه الصيحة هي التي عبر عنها.. بالرجفة؛ أي الزلزلة، ولعل الصيحة من روادف الرجفة (نتيجة سقوط الحجارة؛ لأنها)..، تُحدث تموجًا في الهواء يترتب عليه صفير وصياح؛ فلذا سميت بالصيحة..، {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا}: أي كأنهم لم يُقيموا في هذه الديار، ولم ينعموا بها ولم يتقلبوا في خيراتها وبركاتها..، {أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} أي: ألا هلاكًا كما هلك سابقوهم وهم ثمود قوم صالح، وإنما شبه هلاكهم بهلاك ثمود لأن عذاب كليهما كان بالصيحة"[٥٩٩].

وفيه: "{وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ. وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ. فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ١٥الحجر:٨٠-٨٤؛ المفردات: {الْحِجْرِ}: واد بين المدينة المنورة والشام، {أَصْحَابُ الْحِجْرِ}: هم ثمود وقوم صالح عليه السلام؛ ويسمون عاد الثانية، وأصل الحجر كل ما أُحيط بالحجارة ومنه حجرُ الكعبة، {الصَّيْحَةُ}: الصوت الشديد المزعج..، التفسير: {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ}..: الحجر هو الوادي الذي كانوا يسكنونه؛ ولا يزال معروفا بين المدينة والشام..، {وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ}: أي وأعلمناهم بحججنا البالغة الدالة على صدق صالح عليه السلام فيما دعاهم إليه من عبادة الله وحده..، {وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ}..: كانوا يقطعون حجارتها وينحتونها تسوية لها؛ ثم يبنون بها قصورهم ليعيشوا فيها آمنين..، [{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ}]، وفي سورة هود: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} ١١هود:٦٧، وفي سورة الأعراف: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} ٧الأعراف:٧٨، والرجفة هي الزلزلة، والصيحة (تُلازمها)..، تُحدث تموجًا في الهواء شديدًا يفضى إليها"[٦٠٠].

وقال الألوسي: "{إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} ١١هود:٨١-٨٣؛ {إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ} أي موعد عذابهم وهلاكهم..، وكأن هذا على ما قيل: تعليل للأمر بالإسراع؛ والنهي عن الالتفات المُشعر بالحث على الإسراع، وقوله سبحانه: {أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} تأكيد للتعليل، فإن قرب الصبح داع إلى الإسراع للتباعد عن مواقع العذاب..، ولعله إنما جعل ميقات هلاكهم الصبح لأنه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ أفظع..، وضمير {عالِيَها} و{سافِلَها} لمدائن قوم لوط المعلومة من السياق؛ وهي المؤتفكات..، وهو جعل العالي سافلاً..، ولم يعكس تهويلا للأمر وتفظيعًا للخطب لأن جعل عالِيَها الذي هو مقرهم ومسكنهم سافِلَها أشق من جعل سافلها عاليها..، والسجيل.. قيل: أصله من سجين وهو اسم لجهنم..؛ فأبدلت نونه لاما..، {مَنْضُودٍ}.. نُضد في الإرسال؛ يرسل بعضه إثر بعض كقطار الأمطار..، {مُسَوَّمَةً} أي عليها سيما يُعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض؛ قاله ابن جريج..، {عِنْدَ رَبِّكَ}.. عن أبي بكر الهذلي أنها معدة عنده سبحانه؛ أي الحجارة..، {مِنَ الظَّالِمِينَ} من كل ظالم، {بِبَعِيدٍ}.. فيه وعيد لأهل الظلم كافة..، وتذكير البعيد يُحتمل أن يكون على تأويل الحجارة بالحجر المراد به الجنس؛ أو إجرائه على موصوف مُذكر أي.. بمكان بعيد [كما قال تعالى: {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ} ١٥الحجر:٧٦]، فإنها وإن كانت في السماء..؛ إلا أنها إذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقًا بهم، فكأنها بمكان قريب منهم"[٦٠١].

---

[٥٩٩] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٤ ٢٤٢).

[٦٠٠] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٥ ٥٧١).

[٦٠١] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (٣٠٨١٦).

وقال الشعراوي: "(وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى. فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) ٥٣النجم:٥٣و٥٤، و(المؤتفكة) من الإفك وهو الكذب المتعمَّد، أي: قول نسبة كلامية تخالف الواقع، ولأن من يقول الإفك إنما يقلب الحقيقة إلى غير الحقيقة زعماً؛ ويقلب غير الحقيقة إلى ما يشبه الحقيقة، كذلك المؤتفكة؛ أي القرى التي جعل عاليها سافلها؛ فانقلبت فيها الأوضاع"[٦٠٢].

وقال الخطيب: "(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) ١٥الحجر:٧٣-٧٥؛ قوله تعالى: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) الضمير في (أخذتهم) يعود إلى قوم لوط، و(مشرقين) أي عند.. شروق الشمس، والصيحة، هي العذاب الذي أهلكوا به، قوله تعالى: (فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) هو بيان لآثار هذه الصيحة، وأنها (دمرت) القرية، فجعلت أعلاها أسفلها؛ أي أنها أتت على بنيانها فجعلته أرضا، ثم تبع ذلك مطر من حجارة موسومة..، قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) المتوسّمون هم الذين يستدّلون على حقائق الأشياء بالسّمات الظاهرة أو الخفية منها"[٦٠٣].

وقال ابن عاشور: "(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) ١١هود:٨١-٨٣..؛ الْمَوْعِدُ: وَقْتُ الْوَعْدِ..، وَالْمُرَادُ بِالْمَوْعِدِ هُنَا مَوْعِدُ الْعَذَابِ..، وَقَوْلُهُ: (جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) تَعُودُ الضَّمَائِرُ الثَّلَاثَةُ.. عَلَى الْقَرْيَةِ الْمَفْهُومَةِ مِنَ السِّيَاقِ..، وَالْمَعْنَى.. صَارَ عَالِيَ الْبُيُوتِ (أسقفها) سَافِلًا..، وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ جَعْلِ الْعَالِي سَافِلًا لِأَنَّهُ أَدْخَلُ فِي الْإِهَانَةِ، وَالسِّجِّيلُ: فُسِّرَ (تشبيهًا) بِوَادٍ نَارٍ فِي جَهَنَّمَ (بجامع الالتهاب)؛ يُقَالُ: سِجِّيلٌ بِاللَّامِ وَسَجِّينٌ بِالنُّونِ..، وَهُوَ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ، أَيْ بِحِجَارَةٍ كَأَنَّهَا مِنْ سِجِّيلِ جَهَنَّمَ..، وَقَدْ جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ: أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنَ السَّمَاءِ..، وَالْمَنْضُودُ: الْمَوْضُوعُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَالْمَعْنَى هُنَا أَنَّهَا مُتَتَابِعَةٌ مُتَتَالِيَةٌ فِي النُّزُولِ لَيْسَ بَيْنَهَا فَتْرَةٌ، وَالْمُرَادُ وَصْفُ الْحِجَارَةِ بِذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّ الْحِجَارَةَ لَمَّا جُعِلَتْ مِنْ سِجِّيلٍ (وهو لفظ مذكر)، أُجْرِيَ الْوَصْفُ (منضود المذكر) عَلَى سِجِّيلٍ، وَهُوَ يُفْضِي إِلَى وَصْفِ الْحِجَارَةِ لِأَنَّهَا مِنْهُ، وَالْمُسَوَّمَةُ: الَّتِي لَهَا سِيمَا؛ وَهِيَ الْعَلَامَةُ..، قَوْلِهِ: عِنْدَ رَبِّكَ.. تَقْدِيرُهُ إِيَّاهَا لَهُمْ، وَضَمِيرُ (وَما هِيَ) يَصْلُحُ لِأَنْ يَعُودَ إِلَى مَا عَادَتْ إِلَيْهِ الضَّمَائِرُ الْمَجْرُورَةُ قَبْلَهُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ؛ فَيَكُونُ الْمَعْنَى وَمَا تِلْكَ الْقَرْيَةُ بِبَعِيدٍ من الْمُشْرِكِينَ، أَيِ الْعَرَبِ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَذْهَبْ إِلَيْهَا فَيَنْظُرُ مَصِيرَهَا؛ فَالْمُرَادُ الْبُعْدُ الْمَكَانِيُّ، وَيَصْلُحُ لِأَنْ يَعُودَ إِلَى الْحِجَارَةِ؛ أَيْ وَمَا تِلْكَ الْحِجَارَةُ بِبَعِيدٍ، أَيْ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَرْمِيَ الْمُشْرِكِينَ بِمِثْلِهَا..، وَهَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُوَجَّهِ مَعَ صِحَّةِ الْمَعْنَيَيْنِ..، وَجُرِّدَ (بَعِيدٍ) عَنْ تَاءِ التَّأْنِيثِ مَعَ كَوْنِهِ خَبَرًا عَنِ الْحِجَارَةِ وَهِيَ مُؤَنَّثٌ لَفْظًا..، فَالشَّأْنُ أَنْ يُطَابِقَ مَوْصُوفَهُ فِي تَأْنِيثِهِ، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ قَدْ يُجْرُونَ فَعِيلًا.. بِمَعْنَى مَفْعُولٍ إِذَا جَرَى عَلَى مُؤَنَّثٍ غَيْرِ حَقِيقِيِّ التَّأْنِيثِ زِيَادَةً فِي التَّخْفِيفِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى..: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ٧الأعراف:٥٦، وَقَوْلِهِ: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) ٣٣الأحزاب:٦٣، وَقَوْلِهِ: (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) ٣٦يس:٧٨، إِنَّ قَوْلَهُ: (وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) ١٩مريم:٢٨؛ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، أَيْ بَاغِيَةٌ"[٦٠٤].

---

[٦٠٢] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١\ ٦٥٨٥).

[٦٠٣] عبد الكريم يونس الخطيب؛ التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي بالقاهرة (١٧\ ٢٥٣).

[٦٠٤] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢\ ١٣٣).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Meteorites

النيازك

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ١١هود:٨١-٨٣.**

- **﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى. فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ ٥٣النجم:٥٣و٥٤.**

- **﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ. وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ. فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ١٥الحجر:٧٢-٧٩.**

- **﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ الفرقان:٤٠.**

- **﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ. فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ٥١الذاريات:٣١-٣٧.**

- **﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ ١١هود:٩٤و٩٥.**

- **﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ. وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ. فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٥الحجر:٨٠-٨٤.**

- **﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ١١هود:٦٧.**

- **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ٧الأعراف:٧٨.**

- **﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مّبِينٍ. يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ. أَنَّىَ لَهُمُ الذِّكْرَىَ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مّبِينٌ. ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مّجْنُونٌ. إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ ٤٤الدخان:١٠-١٥.**

- **﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ. إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ ٥٤القمر:٣٣و٣٤.**

- **﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٦٨.**

- **﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ ٦٧الملك:١٧.**

- **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:٨٤.**

- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ٢٦الشعراء:١٧٣. و٢٧النمل:٥٨.
- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ١٠٥الفيل:٤.
- ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ٣٤سبأ:٩.
- ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٢٦الشعراء:١٨٧.
- ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ ٨الأنفال:٣٢.
- ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ١٧الإسراء:٩٠-٩٣.
- ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٢الحج:٦٥.
- ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ. وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ. وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ. قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ. فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ٢٦الشعراء:١٧٦-١٨٩.
- ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ ٥٢الطور:٤٤.
- ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ٧الأعراف:٧٣-٧٨.
- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا. إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا. فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا. وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ٩١الشمس:١١-١٥.
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ٥٤القمر: ٣٤.
- ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٦النحل:٢٦.
- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ. وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ٢٩العنكبوت:٣٦-٣٨.
- ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٣٧الصافات:١٣٧و١٣٨.

- ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٤٠.
- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ٧الأعراف:٧٨ و٩١.
- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ ١٥الحجر:٦٦.
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ٥٤القمر:٣٤.
- ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ ٥٤القمر:٣٨.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾
١٣الرعد:٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣الرعد:٣و٤.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾، ﴿قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

In the earth, (there are) **neighboring** (tectonic plates) **pieces** (above the semisolid mantle)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

اكتشف علماء الجيولوجيا حديثا أن القشرة الأرضية الصلبة مُقسمة بشبكة من الصدوع العميقة إلى ألواح قارية Tectonic Plates بهيئة قطع متجاورات تتسم بالصلابة وتطفو كالسفن الرواسي فوق محيط من دوامات الصهارة Magma، وتستقيم تلك الحقيقة مع دلالة جملة نصوص في القرآن الكريم يُمكن حملها على وصف السطح الصخري للكوكب بلفظ الأرض، مثل قوله تعالى: "وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ" الطارق:١٢، وقوله تعالى: (وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) الرعد:٤.

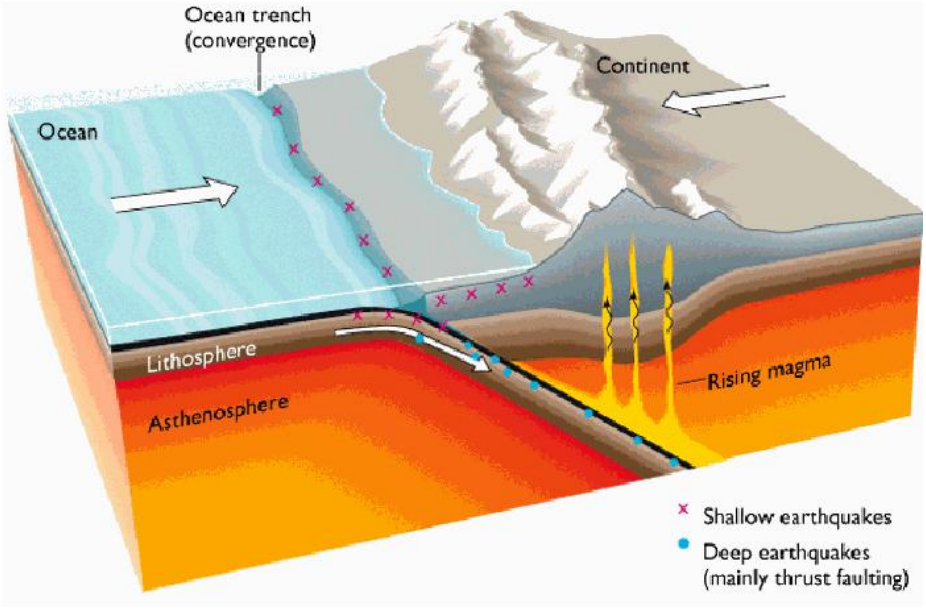

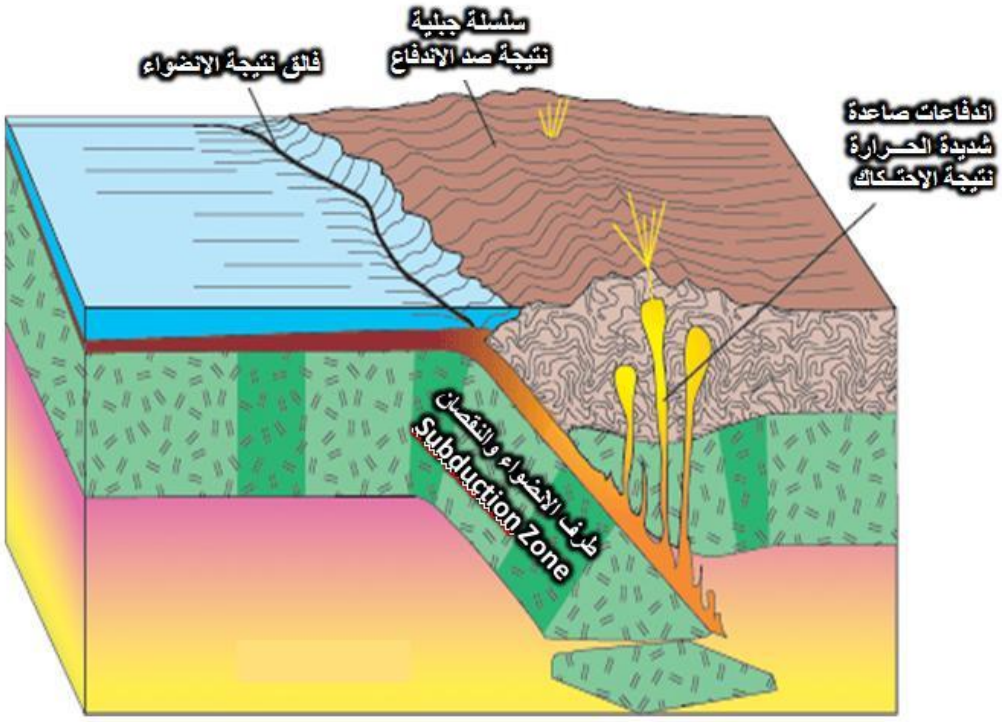

ولفظ (قِطَعٌ) لا يستقيم أن يوصف به إلا شيء صلب، وهو جيولوجيا ما يُميز سطح الكوكب Crust عن الدثار Mantle اللين دونه، وتصعد الحمم Lava من بين الألواح القارية في قيعان البحار العظمى لتضيف مادة جديدة إلى كل لوحين متجاورين، وبزيادة طرف ينقص اللوح من الطرف الآخر بالانثناء تحت اللوح المجاور، ولذا فالأرض الصلبة التي تحملنا فوق دوامات الحمم تنقص من أطرافها دوما، وفي قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) الرعد:٤١، وقوله تعالى: (أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ) الأنبياء:٤٤؛ يتسع المضمون ليشمل تلك الحقيقة العلمية التي لم يُدركها بشر إلا منذ عقود يسيرة بُرهانًا على الوحي، ولفظ (الأَرْضَ) هنا يصدق على السطح الصخري؛ ولا يستقيم صرفه لمعنى الكوكب لأن الشكل الكروي ممتد ولا طرف له، ولورود لفظ (أَطْرَافِهَآ) بالجمع؛ فهو يتضمن بيان تجزئة السطح الصخري إلى قطع مُتجاورات تفصلها صدوع وتحركها دوامات صهير الباطن التي تمور دوما وتدور بصريح قوله تعالى: (أَأَمِنتُمْ مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) الملك:١٦، ولفظ (الأَرْضَ) هنا يصدق بالمثل على السطح الصخري ولا يعني الكوكب لأن المورات والدوران واقع دون ما يدل عليه لفظ (الأَرْضَ) في النبأ، ويكشف لك المورات ضمنيا التهاب الباطن إلى حد إسالة الصخور، وتحرك دواماتها كأتون مسجور تتأجج نيرانه ويحجبها السطح الصخري وقيعان البحار كإناء، وهو صريح قوله تعالى: (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) الطور:٦.

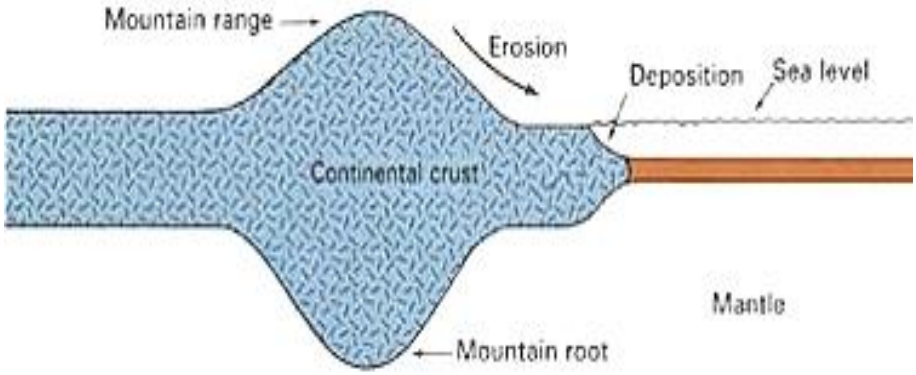

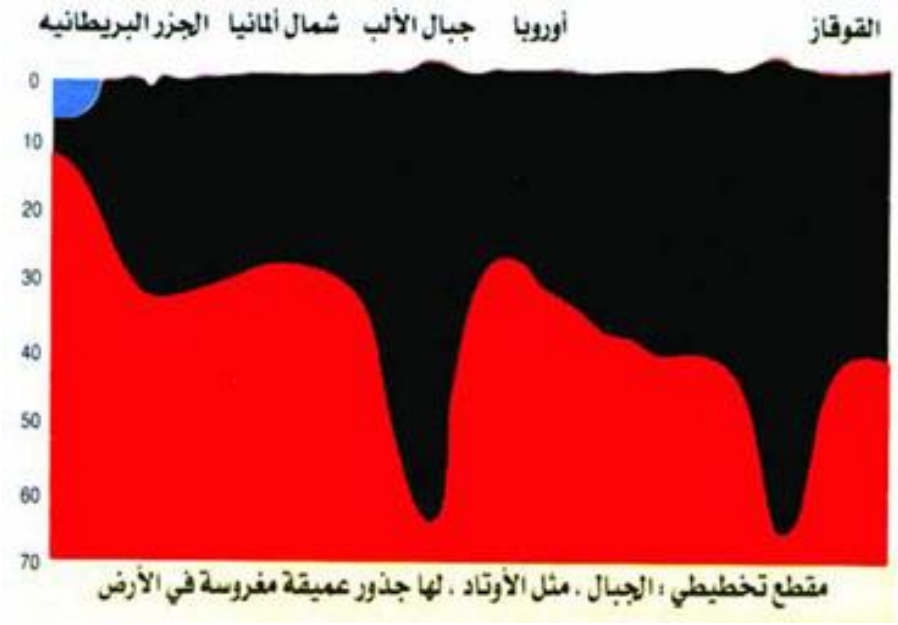

مقطع تخطيطي : الجبال . مثل الأوتاد . لها جذور عميقة مغروسة في الأرض

والقطع الصلبة للسطح الصخري والطافية فوق المحيط الأقرب إلى الليونة والأكثر كثافة أشبه ما تكون إذن بالسفن الرواسي، وهو نفس التمثيل في جملة نصوص يكشف كل منها جانبا من تاريخ سطح الكوكب وتمثل منظومة دلالية واحدة كأجزاء ساعة يؤدي كل منها دورا مستقلا، وبغير وحدة المصدر والمعرفة بخفايا التكوين يستحيل تضامنها في وحدة موضوعية بلا تعارض رغم تعدد الأوجه وتفرق المواضع وطول فترة التنزيل؛ ومنها قوله تعالى: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا) فصلت:١٠، وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) الرعد:٣، وقوله تعالى: (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ) النحل:١٥، وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ) الأنبياء:٣١، وقوله تعالى: (اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً) غافر:٦٤، وقوله تعالى: (أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ) النمل:٦١، ويمضي بك تنوع التعبير ليكشف لك تصوير الجبال بالأوتاد سر تثبيت الألواح القارية في قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) النبأ: ٦و٧، وهكذا إن شئت فهم المُراد في موضع فينصحك المُحققون باستيفاء كل المواضع لتتضح لك الدلالة بقولهم (القرآن يُفسر بعضه بعضا)؛ استنادا إلى وحدة المضمون؛ بخلاف التعارض فيما يُنسب إلى الوحي سواه كشاهد لا تُرد شهادته على التحريف.

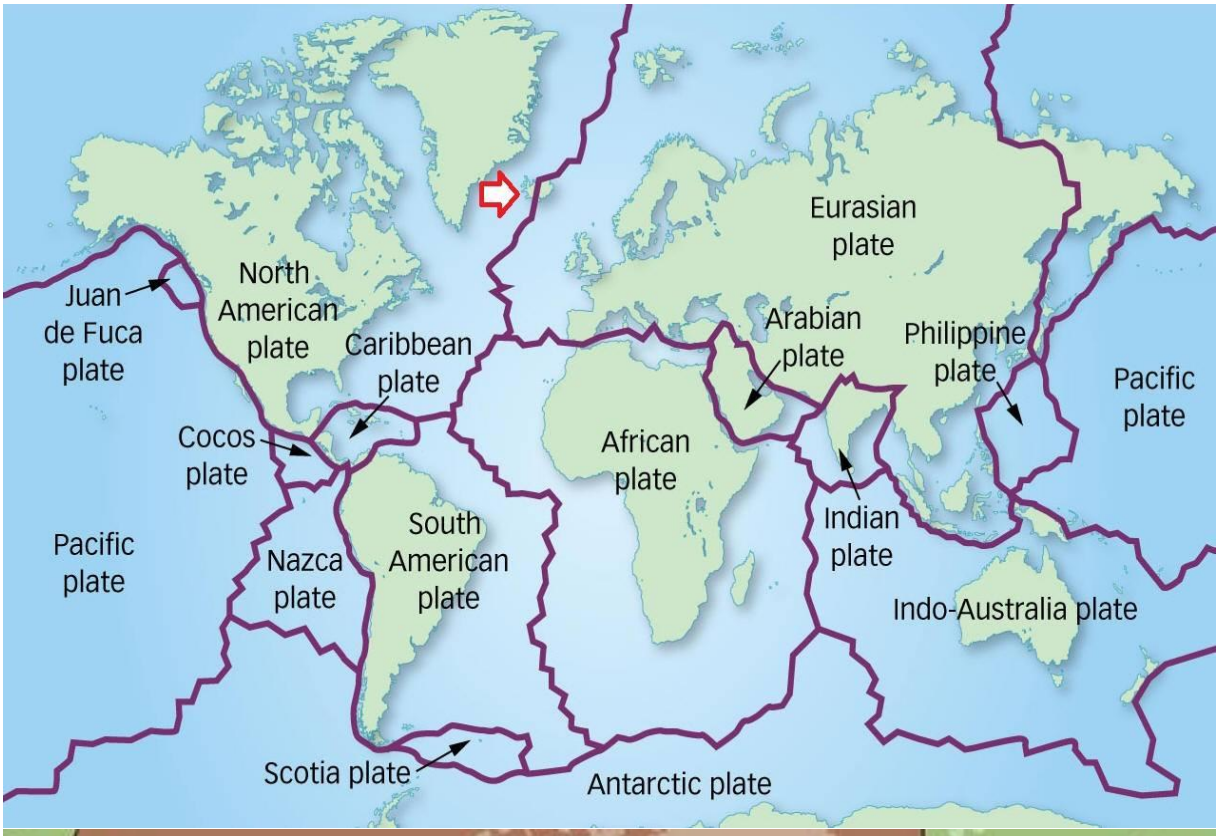

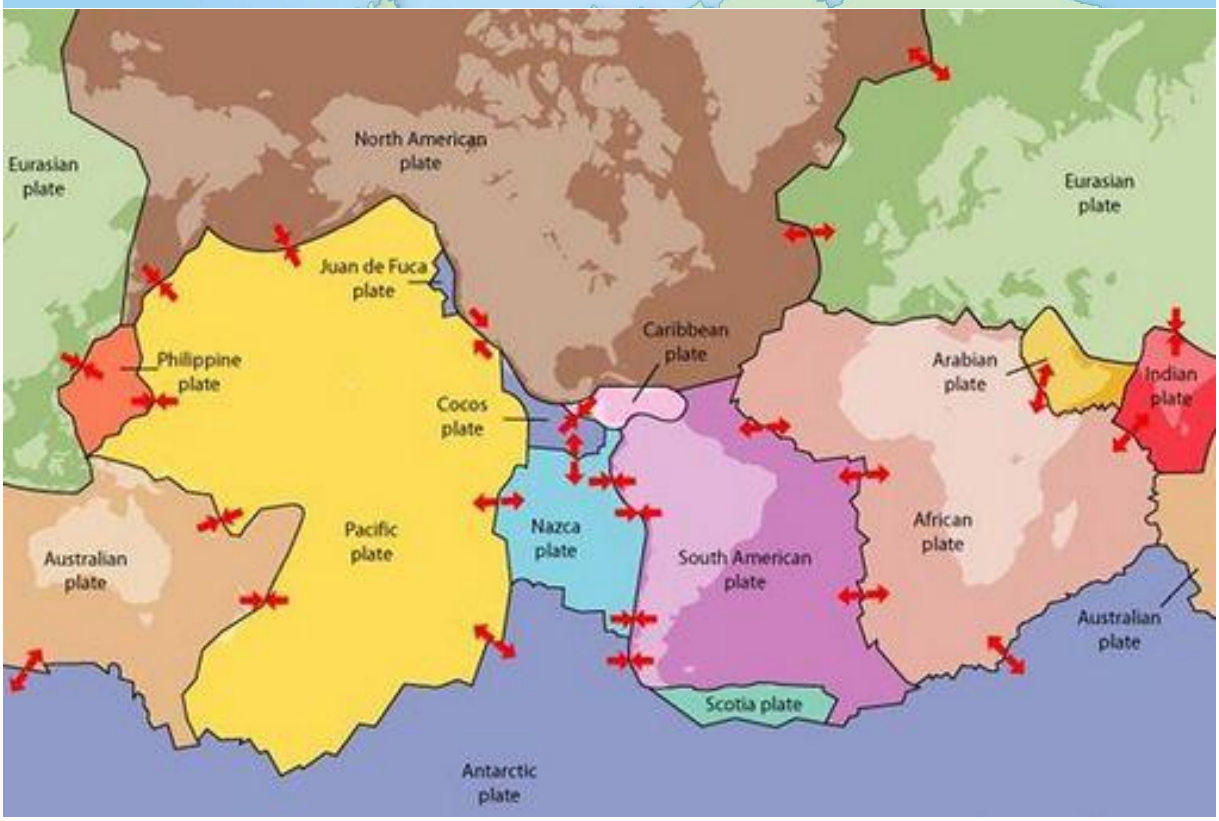

وقد اكتسبت نظرية انزياح القارات Continental drift تأييدا علميا واسعا منذ أن أعلنها ألفريد فيجنر Alfred Wegener عام ١٩١٢، ومضمونها أن القارات تولدت عن انقسام قارة أم Pangaea وسط محيط واحد Panthalassa بصدع عظيم منذ حوالي: ٢٥٠ مليون سنة، ثم امتدت اليابسة وتوزعت إلى قارات مازالت شابة تنزاح ببطء، ومع انقسامها تحول الصدع الأصلي إلى سلسلة جبال منتصف الأطلنطي Mid-Atlantic Ridge التي يبلغ طولها حوالي ١٦ ألف كم ويمتد معظمها بالقاع تحت سطح المحيط ونادرا ما تبرز كجزر بركانية، ومنتصف الأطلنطي مازال إلى اليوم يُمثل منطقة نشطة بركانياً تطرح حمم شديدة الحرارة؛ قد تبلغ درجة حرارتها ألف درجة مئوية.

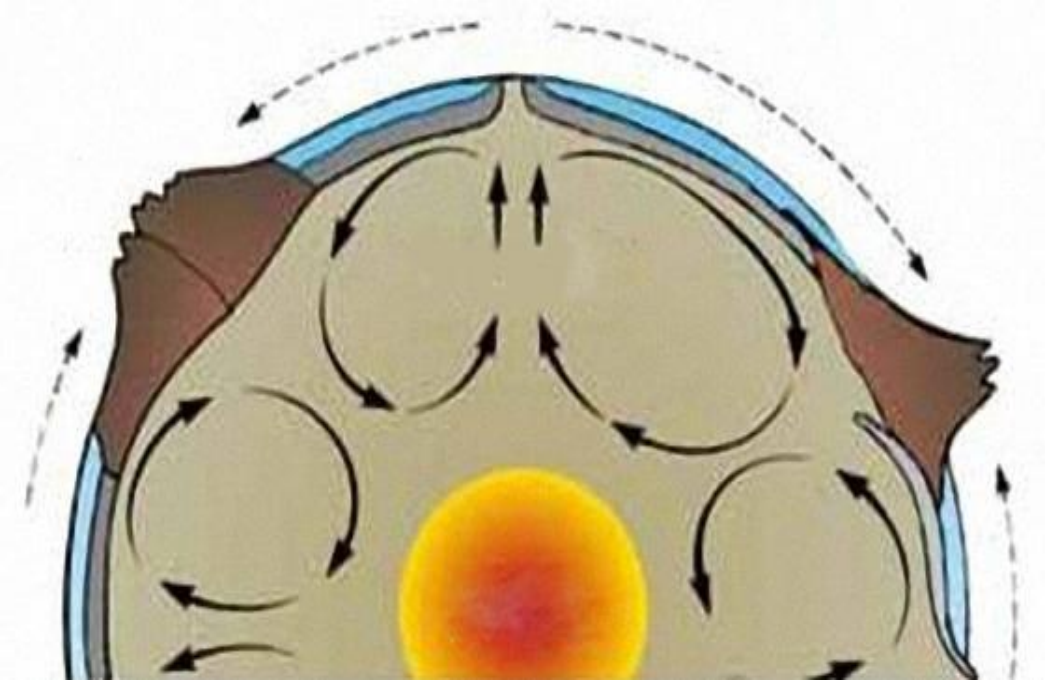

وظاهرة انزياح القارات المُميزة بالجبال تحت تأثير تيارات الصهارة دونها يُمكن تمثيلها بالمرور البطيء للسحاب تحت تأثير تيارات الهواء دونه؛ فسواء السحاب أو جبال القارات كليهما يتصف بتيارات حمل صاعدة وأخرى دافعة للانتقال في منظومة تعم الكوكب كله، ولن تفوتك الدلالة الصريحة إذن في قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرّ مَرّ السّحَابِ صُنْعَ اللهِ الّذِيَ أَتْقَنَ كُلّ شَيْءٍ) ٢٧النمل:٨٨، أرأيت كيف أن المعرفة بحصاد الثورة العلمية المحمومة اليوم خير معين لإدراك الدلالات العلمية المدخرة ذخيرة للقادمين في تعبير الكتاب الكريم!، ومهما حاول المتربص كيدًا افتعال الحيل واصطناع الذرائع لصرف صريح الدلالة عن حقيقة علمية واحدة مثل تأجج قيعان البحار بالنيران؛ فلن يناله سوى خزي تجاوز الإنصاف لأنها منظومة واحدة، فقبل عصر الكشوف العلمية يستحيل أن يدرك بشر بوجود الصدوع العميقة منتصف المحيطات Mid-Oceanic Rifts لأنها لم تُعرف إلا من خلال نظرية الألواح القارية Tectonic Plates أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي فحسب، وهكذا تفرد كل وصف ببيان وجه أو أكده بتثنية النبأ، إنه إذن إصرار مذهل خاصة في تناول مسائل علمية يفتقدها كل ما يُنسب للوحي سوى القرآن الكريم، وهو تحدي يجعل المُترصد مُترددا في الطعن؛ هذا إذا كان ضليعا بأساليب البيان مُلما بحقائق العلم، وأما من غلب دافعه للكيد حذره؛ فلا يستحق ملام على الهرف والمُهاترة.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {وهو الذي مَدّ الأرض} أي بسطها للاستقرار عليها؛ رداً على من زعم أنها مستديرة كالكرة (لا يستقيم حمل لفظ الأرض على الكوكب وإنما القشرة الأرضية)، {وجعل فيها رواسي} أي جبالاً؛ واحدها راسية، لأن الأرض ترسو بها، أي تثبت..، قال عطاء: أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس، {وأنهاراً} وفيها من منافع الخلق شرب الحيوان ونبات الأرض ومغيض الأمطار ومسالك الفلك، {ومِنْ كُلِّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين} أحد الزوجين ذكر وأنثى كفحول النخل وإناثها، كذلك كل النبات وإن خفي، والزوج الآخر حلو وحامض أو عذب ومالح أو أبيض وأسود أو أحمر وأصفر، فإن كل جنس من الثمار ذو نوعين، فصار كل ثمر ذي نوعين زوجين، وهي أربعة أنواع، {يغشي الليل النهار} معناه يغشي ظلمةَ الليل ضوءَ النهار، ويغشي ضوء النهار ظلمة الليل، قوله عز وجل: {وفي الأرض قطعٌ متجاورات} فيه وجهان: أحدهما: أن المتجاورات المدن وما كان عامراً، وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير عامر، الثاني: أي متجاورات في المدى مختلفات في التفاضل، وفيه وجهان؛ أحدهما: أن يتصل ما يكون نباته مراً، الثاني: أن تتصل المعذبة التي تنبت بالسبخة التي لا تنبت؛ قاله ابن عباس"[٦٠٥].

وقال الألوسي: "(وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ) فقلوب المحبين مجاورة لقلوب المشتاقين وهي لقلوب العاشقين وهي لقلوب الوالهين وهي لقلوب الهائمين وهي لقلوب العارفين وهي لقلوب الموحدين، وقيل: في أرض القلوب قطع متجاورات قطع النفوس وقطع الأرواح وقطع الأسرار وقطع العقول والأولى تنبت شوك الشهوات والثانية زهر المعارف والثالثة نبات كواشف الأنوار والرابعة أشجار نور العلم وفيها جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ أي أعناب العشق وَزَرْعٌ أي زرع دقائق المعرفة وَنَخِيلٌ أي نخل الإيمان صِنْوانٌ في مقام الفرق وَغَيْرُ صِنْوانٍ في مقام الجمع، وقيل: صنوان إيمان مع شهود وغير صنوان إيمان بدونه يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وهو التجلي الذي يقتضيه الجود المطلق وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ في الطعم الروحاني، وقيل: أشير أيضا إلى أن في أرض الجسد قطعا متجاورات من العظم واللحم والشحم والعصب وجنات من أشجار القوى الطبيعية والحيوانية والإنسانية من أعناب القوى الشهوانية التي يعصر منها هوى النفس والقوى العقلية التي يعصر منها خمر المحبة والعشق وزرع القوى الإنسانية ونخيل سائر الحواس الظاهرة والباطنة صنوان كالعينين والأذنين وغير صنوان كاللسان وآلة الفكر والوهم يسقى بماء واحد وهو ماء الحياة ونفضل بعضها على بعض في أكل الإدراكات والملكات كتفضيل مُدركات العقل على الحس والبصر على اللمس وملكة الحكمة على العفة"[٦٠٦].

[٦٠٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٣ ٩٢).

[٦٠٦] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (٧ ١٢٨).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Geology

علوم الأرض

المَوْضُوع Subject

Tectonic Plates

الألواح القارية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣الرعد:٣و٤.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ ١٥الحجر:١٩و٢٠.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٦النحل:١٥.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ ٢٠طه:٥٣و٥٤.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣١و٣٢.
- ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ٣١لقمان:١٠.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٠غافر:٦٤.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ٤٣الزخرف:١٠و١١.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٥٠ق:٧.
- ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ. وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٨و٤٩.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا. لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ٧١نوح:١٩و٢٠.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا. وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ ٧٧المرسلات:٢٥-٢٧.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨النبأ:٦و٧.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا. وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:١-٦.

- **﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٨٨.**

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ١٣الرعد:٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ. اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ١٣الرعد:٧-٩.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾، ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Allah knows everything about what every female bears; at the wombs contraction (during the female orgasm)**, likewise at their enlargement** (with pregnancy until the childbirth)**.**
And everything He does is perfectly measured.

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

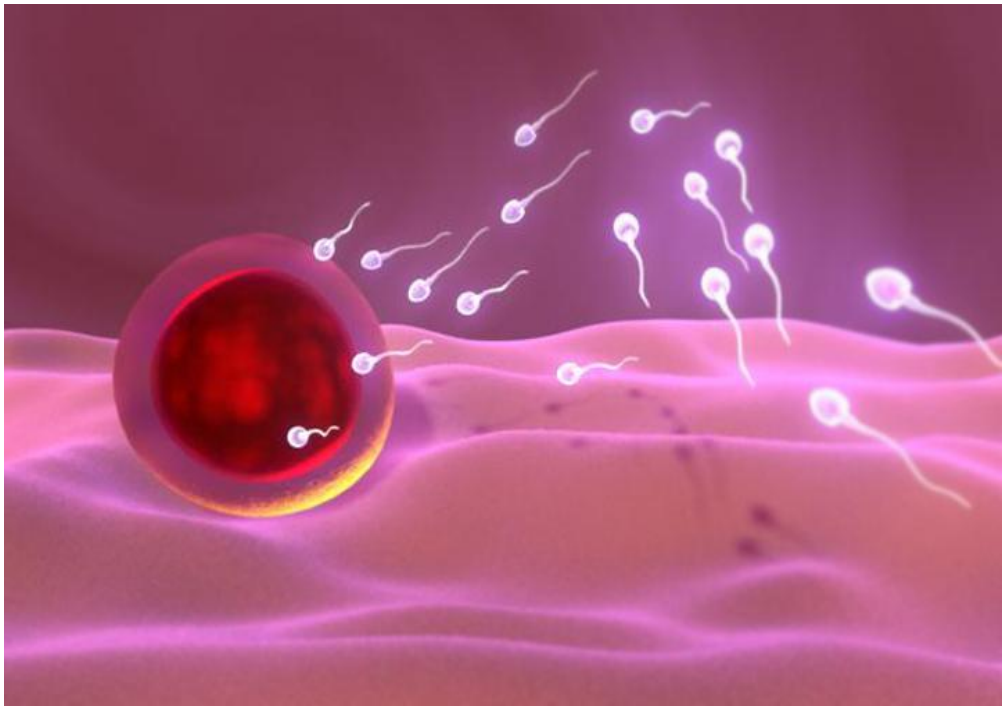

(١) الإنجاب تقدير رشيد:

يبدأ خلق الإنسان وفق القرآن الكريم بتكوين نطفة أمشاج: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:٢، وفي التفسير بإجماع: الأمشاج أخلاط من الزوجين، ووفق الطب: بويضة مُلَقَّحَة Fertilized Ovum (zygote) ذات أزواج وراثية تضاعفت من الزوجين؛ صنوان مُتماثلة Matched Pairs، تُسَمَّى صِبْغِيَّات Chromosomes.

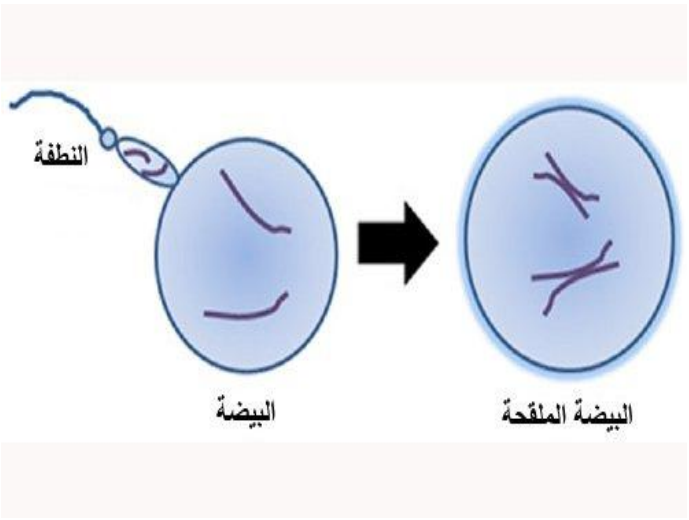

وتعبير نطفة Drop-like Being؛ يستقيم لوصف البويضة المُلقحة تشبيهًا بقطرة ماء بجامع الضآلة، ويستقيم أيضًا لوصف حوين منوي واحد يُماثل قطرة ماء؛ تشبيهًا للمني بالماء بجامع الضآلة وتَعَدُّد المُكَوِّنَات، ويَرِدْ للبيان بأن حوين منوي واحد يُختار من سلالة تنجح في عبور مفاوز الرحم؛ من مني يُمنى مهين لا يُعتبر حين لقاء الزوجين: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٣٩، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦، ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠-٢٣.

فتلك النطفة المُقَدَّر اختيارها من مني يُمنى؛ يستقبلها الرحم وينقلها إلى موضع اللقاء في الثلث الخارجي لقناة الرحم ليتم الإخصاب، وتدفع الأهداب النطفة الأمشاج نحو الرحم؛ المُسْتَقَر الأمين ليتكون الجنين ويتشكل في قرار مكين: ﴿أَلَمْ

نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠-٢٣، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤.

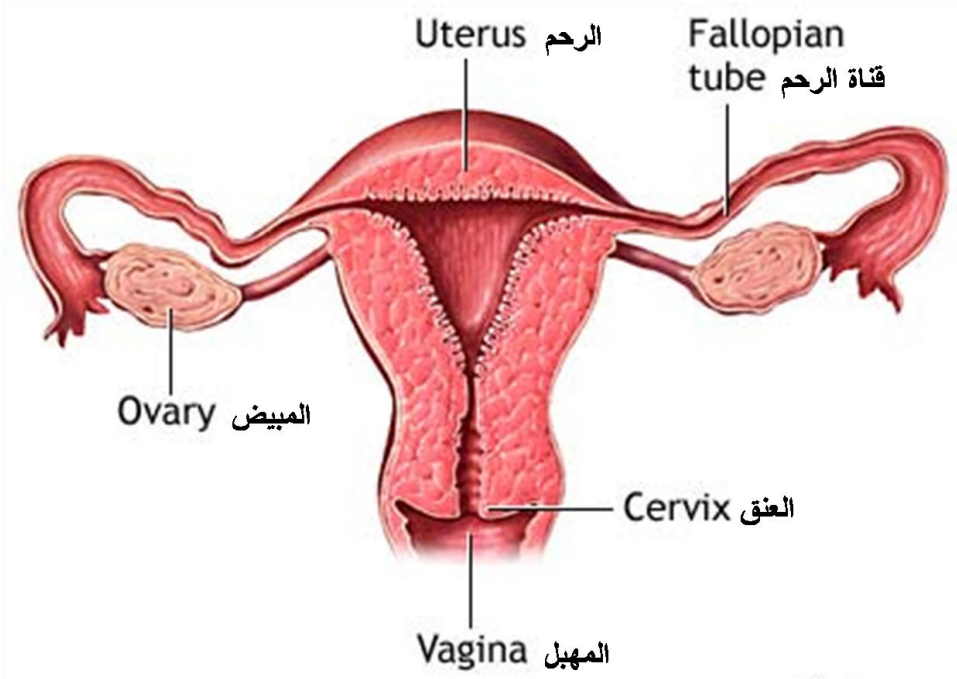

وأول عملية إذن في الإنجاب هي دفق المني؛ إشارة لطيفة إلى التزاوج أشبه بالتعريض بسمو بيان واحتشام، ويُناظرها غيض الرحم مُستقبلاً المني بالغور ليُفسح مكان، وبإيقاعات التقلص والانبساط ليَمْسِكُهُ؛ لئلا ينزل منه شيء، قال الإستانبولي: "اعلم أن رحم المرأة عضلة..، وهي على هيئة الكيس، ولها فم (عُنُق) بإزاء قُبلها، ولها قرنان (بُوقان) شبه الجناحين تجذب بهما النطفة (البويضة)، وفيها قوة الإمساك (الشفط)؛ لئلا ينزل من المنى شيء"[٦٠٧].

(٢) الإيقاعات الرحمية:

في دورة الحيض Menstrual Cycle؛ تحدث موجات من تقلص الرحم وانبساطه تُسمى الموجات الرحمية للبطانة الداخلية Endometrial Waves، تنتج عن الطبقة العضلية للرحم تحتها، وهي لا تُستشعر وتُناسب كل مرحلة، في النصف الأول Follicular phase يبلغ مُعَدَّلها Frequency: ١-٢ مرة كل دقيقة وتستغرق كل منها: ١٠-١٥ ثانية، وتكون الشِدَّة Amplitude قليلة، وباقتراب موعد التبويض Ovulation يزداد المُعَدَّل ليبلغ: ٣-٤ مرة في الدقيقة، وفي النصف الثاني luteal phase يقل المُعَدَّل وتقل الشدة، وهذا الدور للأرحام يُسَهِّل الإخصاب المُحتمل للبويضة الذي يحدث في منتصف دورة الحيض، وإذا لم يقع الحمل؛ يظل معدل الانقباضات منخفضًا ولكن الشدة تزداد كثيرًا لتبلغ حوالي ٤-٦ مرات قدر الشدة في النصف الأول للدورة، وقد تُسْتَشْعَر التقلصات؛ أو حتى تسبب ألمًا قبيل أو خلال فترة الحيض، وحينئذٍ تُسَمَّى الحالة تقلصات الحيض Menstrual Cramps؛ أو عُسْرُ الطَّمْث Dysmenorrhea[٦٠٨].

---

[٦٠٧] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي؛ روح البيان، دار الفكر بيروت (١٤ ٣٤٧).

[٦٠٨] Wikipedia: Uterine contraction.

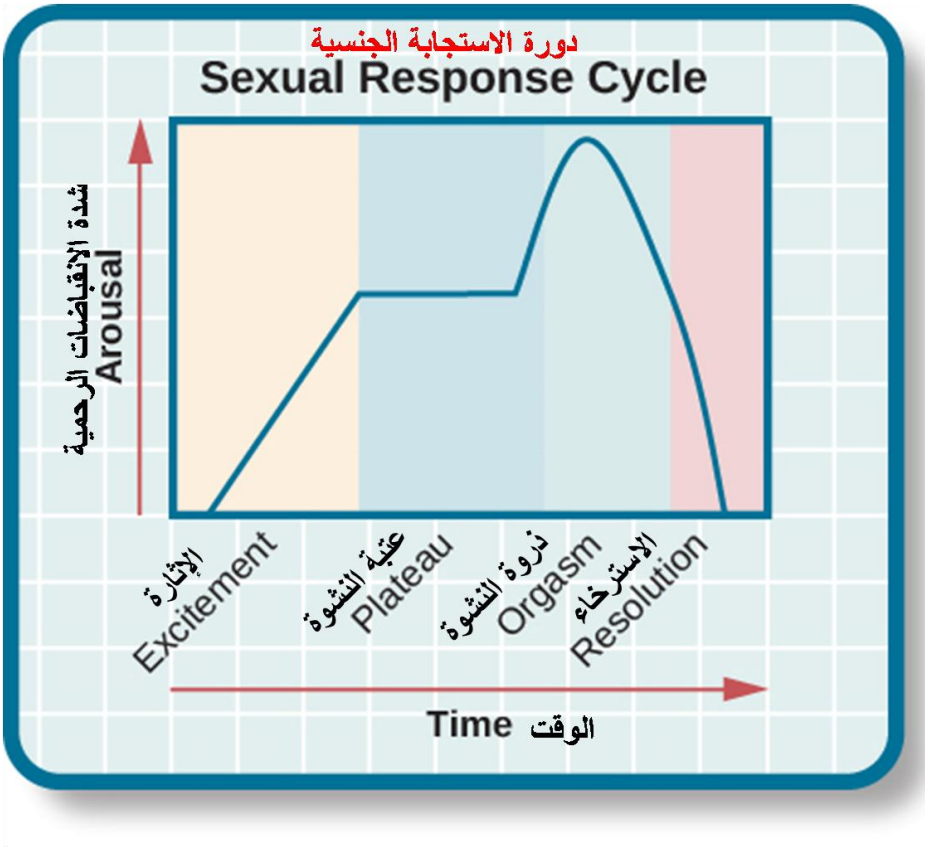

التزاوج **وخلال**

وحدوث رعشة الجماع ببلوغ ذروة النشوة الجنسية Orgasm؛ يزداد مُعدل وشدة نوبة تقلص وارتخاء الرحم، وقد تبلغ الشعور بالألم، ويُشارك الثلث الخارجي للمهبل الرحم في تلك التقلصات السريعة والقوية، مع توسع أعلاه Posterior Fornix، وتشارك كل عضلات الحوض فيها؛ مع تقلصات لا إرادية في الجسم كله، ويستغرق مجموع نوبة الانقباضات مدة قد تصل إلى: ١٨ ثانية؛ وتستغرق كل موجة أقل من ثانية، ولا يتقلص الرحم وينقص فقط بل يغُور للداخل، وكل هذا يمنع خروج المني ويعمل على سحبه للأعلى خلال عنق الرحم Cervix، وإذا لم تكُن العلاقة الزوجية حميمة وأصابها الفتور والنفور؛ من المُمكن أن يخرج المني ولا يكون الجماع مُثمرًا، وكل زوجة يُمكنها بلوغ ذروة النشوة عند التزاوج؛ طالما لم تؤثر حين العلاقة ظروف اجتماعية أو نفسية أو عاطفية، ولم تُوجد ظروف تصرف الانتباه أو أمراض؛ وراعى كل من الزوجين حق الآخر في التودد والمُلاطفة لبلوغ ذروة النشوة سويًّا، ولم تبلغها ثلث النساء الغربيات في إحصائية بسبب عوارض كسرعة القذف عند الذكر وتباطؤ الاستجابة عند الإناث[٦٠٩].

والنشوة يعقبها ارتخاء، وبخلاف الذكر قد تتكرر عند الأنثى مما يُساعد على سحب مني أكثر، فإذا وقع الإخصاب خفت التقلصات وقل مُعدلها؛ وينتظر الرحم حوالي أسبوع حتى تنزل البويضة المُلقحة لتجويفه فيبدأ نشاطه الإيقاعي من جديد بما يُسمى رقص الترحيب Welcoming Dance؛ فيسحبها لمنزل عُرسها في بطانة الرحم داخل قرار مكين، وإذا استقرت يستريح ويبدأ تزايده، وعند الولادة تشتد الانقباضات كثيرًا استعدادًا للوضع[٦١٠]، وحينئذٍ يتضح أكثر أن كل منطقة تقوم بالتقلص في دورها المُحَدَّد؛ فيتوسع العنق وتضغط القُبة لتدفع الجنين، والرحم إذن مُؤَهَّل للحمل منذ استقبال المني حيث يغُور وينكمش وينقص؛ وهكذا يغيض في نوبات تقلص واسترخاء؛ فيعمل بذلك عمل شفاطة الثدي بآلية مضخة السَّحب Pumping Action، لكنه لا يسحب إلا أصح الحوينات المنوية؛ حيث يُعرقل المُخاط في عنق الرحم المُشوهة.

---

[٦٠٩] The Female Orgasm By Dr. Sari Locker.

[٦١٠] The Female Orgasm By Dr. Sari Locker.

ويحدث الإخصاب إذا انتهى سباق الحوينات المنوية بفائز وحيد ينجح في اختراق كل الحواجز ويمر خلال قناة الرحم وتخترق رأسه جدار البويضة ليُفرغ محتواه الوراثي، وتتهادى البويضة المخصبة بعدئذٍ نحو تجويف الرحم تدفعها أهداب قناة الرحم حتى تنغرس في البطانة الداخلية؛ وتبدأ على الفور مرحلة تكوين الأعضاء **Embryogenesis** وتشكيل الهيئة **Morphogenesis**، وتنتهي بنهاية ثمانية أسابيع من عمر الجنين ليبدأ نموه وتعديل هيأته، وعندما يكون نضجه كافيا ليعيش خارج الرحم يبدأ عنق الرحم في التوسع مع تقلصات رحمية متزايدة الشدة تدفعه للخارج[٦١١].

وتتكون الدورة الجنسية **Sexual Cycle** في الجنسين من أربعة أطوار متتابعة؛ وهي: الإثارة **Excitement** وعتبة النشوة **Plateau** ورعشة الجماع ببلوغ ذروة النشوة الجنسية **Orgasm**، ثم الاسترخاء **Resolution**، وتصاحب رعشة الجماع في الأنثى تقلصات الرحم والجزء الأمامي للمهبل وعضلات الحوض والجسم كله، وقد تتكرر بخلاف الذكر، وقد تبلغ النوبة ١٨ ثانية وتستغرق كل موجة تقلص أقل من ثانية تبعًا لبلوغ الإثارة الذروة **Climax**[٦١٢].

وباستخدام تقنيات كالموجات فوق الصوتية **Sonography**؛ تأكد حديثًا أن عضلات الرحم لا تتوقف عن التقلص والاسترخاء، حيث تصيبها في حالة عدم الحمل تقلصات إيقاعية موجية **Rhythmic Peristaltic Contractions**؛ تختلف تبعًا للوظيفة المطلوبة فى وقتها المُعين بما يخدم غرض الإنجاب، وتبلغ هذه التقلصات أقصاها قبيل التبويض[٦١٣].

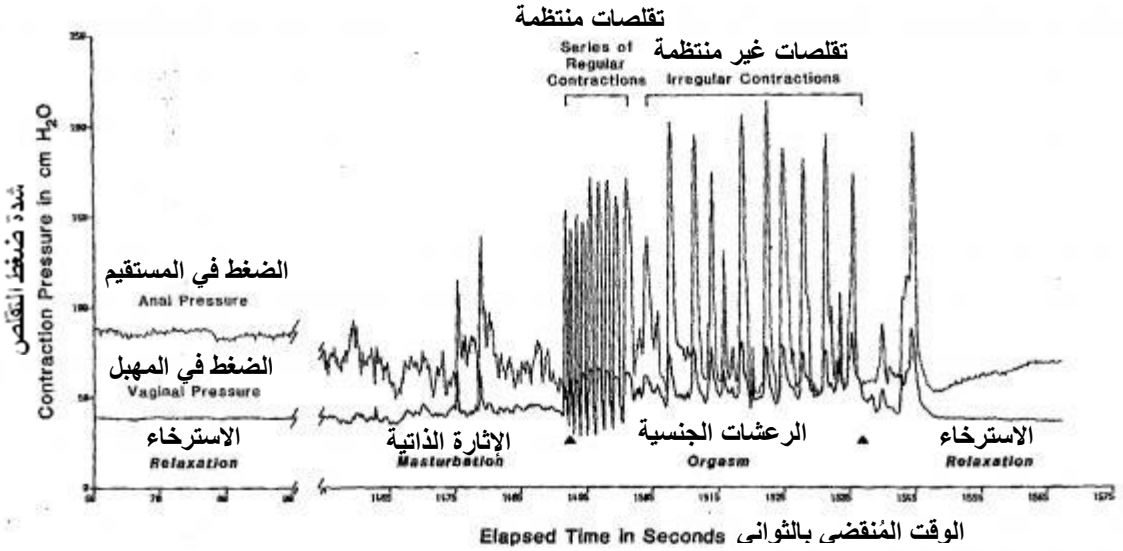

وقد أجريت في الثمانيات من القرن الماضي في جامعة مينيسوتا تجربتان على متطوعين لقياس الضغط بالمستقيم والمهبل وتسجيل شدة ومدة ومعدل التقلصات أثناء النشوة بالإثارة الذاتية، فتبين أن استجابة الذكور والإناث واحدة، وأن التقلصات التي تُصيب الذكور أثناء القذف؛ هي نفسها التي تُصيب الأرحام أثناء النشوة والرعشة الجنسية، وتبدأ الاستجابة بسلسلة من التقلصات المنتظمة والاسترخاء تبلغ حوالي ٦-١٥ تقلص لمدة ٢٠-٣٠ ثانية؛ وتُسمى النوع الأول لرعشات النشوة **Type I orgasms**، وقد تعقبها سلسلة غير منتظمة تُسمى النوع الثاني **Type II orgasms**[٦١٤]، وبينما يصل معظم الذكور لقمة الرعشة الجنسية بعد اللقاء الزوجي بحوالي دقيقة أو دقيقتين؛ فإن معظم النساء يحتجن لحوالي ٢٠-٣٠ دقيقة تمهيد وتقديم ليبلغن قمة النشوة"[٦١٥]، وهنا يتجلي مغزى التوجيه للذكور لعدم إهمال حقهن بإجادة التقديم لحصد النسل كالحرث: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ٢البقرة:٢٢٣.

---

[٦١١] Reproductive System: Facts, Functions and Diseases, by Kim Ann Zimmermann, Live Science Contributor. April 30, 2015 10:44pm ET

[٦١٢] Go Ask Alice. Violent orgasms

[٦١٣] Reproductive BioMedicine Online, Volume 14, Number 1, January 2007 , pp. 32-39(8)

[٦١٤] Male and Female Orgasm: Not So Different?; Dr. Alan Fogel, University of Utah in Salt Lake City.

[٦١٥] Masters, William H., Johnson, Virginia E. Human sexual response. Little, Brown and Company, Boston, 1966.

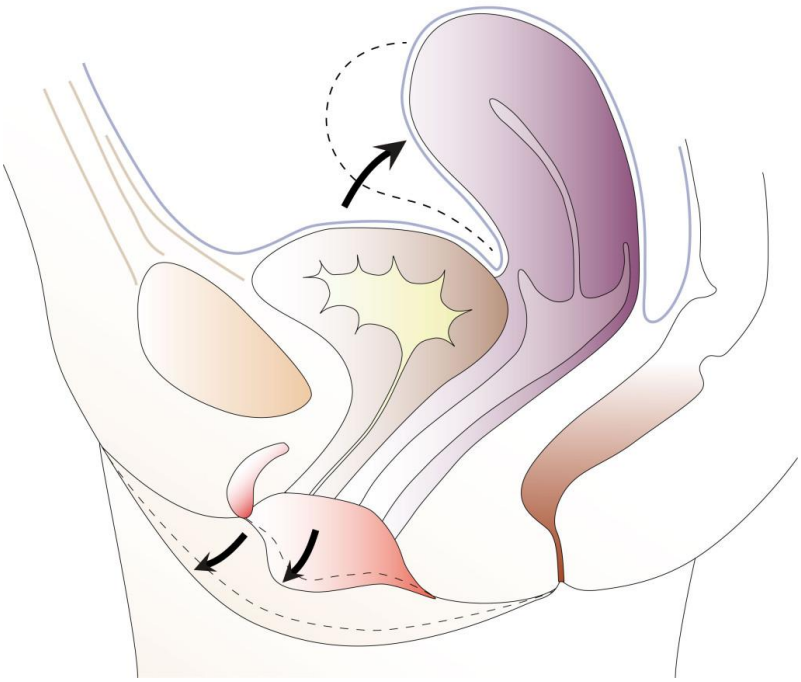

وأثناء الإثارة تحتقن الأنسجة الخارجية؛ ويترطب المهبل مُباشرة بعد حوالي ١٠-٣٠ ثانية، واستعدادًا لتسهيل الإيلاج يُفرز سائل شبه دهني من غدتين متخصصتين Bartholin's glands؛ يقع كل منهما على أحد جانبي مدخل المهبل، ويرتفع ضغط الدم ومعدل النبض ويتسع ويستطيل أعلى المهبل ويبدأ الرحم في الارتفاع والغور إلى الداخل[٦١٦].

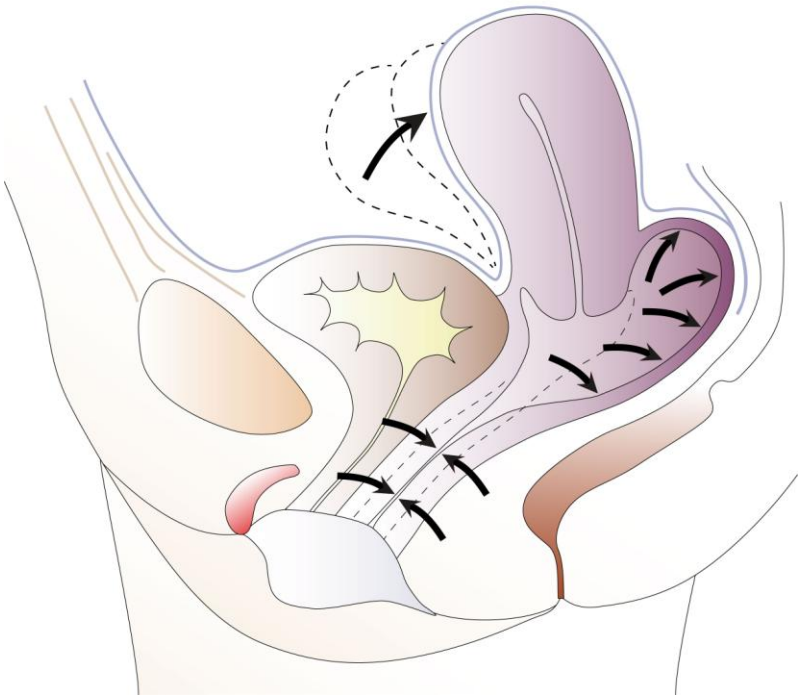

ومع بلوغ عتبة النشوة؛ يتضح احتقان الدم أكثر في الأعضاء الجنسية الخارجية، ويضيق الجزء الخارجي للمهبل بينما يتسع الجزء الداخلي ويغور مع الرحم، ويزداد أكثر ضغط الدم والنبض ومعدل تدفقه فتتورد الوجنتان[٦١٧].

[٦١٦] Masters, William H., Johnson, Virginia E. Human sexual response. Little, Brown and Company, Boston, 1966.

[٦١٧] Masters, William H., Johnson, Virginia E. Human sexual response. Little, Brown and Company, Boston, 1966.

أما رعشة النشوة الجنسية فهي استجابة وظيفية عاتية تتمثل في تقلصات لا إرادية عنيفة للرحم تصل لحوالي ١٥ تقلص؛ تصاحبها تقلصات عضلات الحوض والثلث الخارجي للمهبل؛ وتشنج بعض عضلات الجسم كالوجه واليدين، وأثناء الاسترخاء يعود الرحم إلى الحالة الأولى قبل الإثارة في غضون ٣-٤ دقائق؛ وتسترخي كذلك عضلات الجسم[٦١٨].

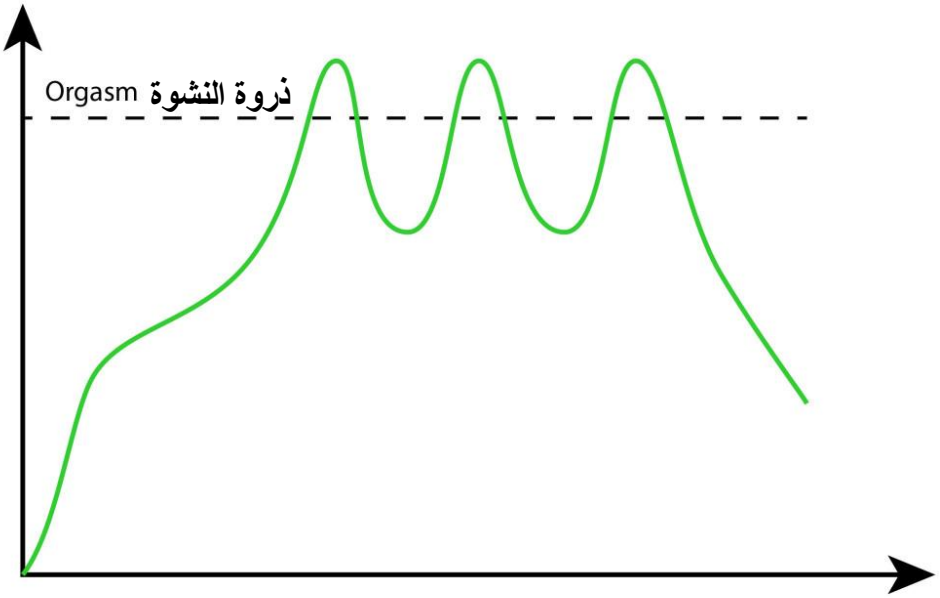

وبخلاف الذكر قد تكون عتبة النشوة في الأنثى جامحةً عصية على الاسترخاء؛ فتتكرر لا إراديا موجات النشوة[٦١٩].

فالرحم إذن يقوم بالمُهمة الصائبة في وقتها المُحَدَّد منذ الاستعداد لاستقبال المني وكأنه يؤدي معزوفة رائعة بإتقان، وتصدح الأهازيج، ويُشارك الرحم في المديح لمن يُشيد مشروع إنسان رشيد؛ بعلم شامل مُحيط وقدرة مهيبة مُفزعة!.

---

[٦١٨] Masters, William H., Johnson, Virginia E. Human sexual response. Little, Brown and Company, Boston, 1966.

[٦١٩] Masters, William H., Johnson, Virginia E. Human sexual response. Little, Brown and Company, Boston, 1966.

(٣) التأصيل الدلالي:

يقول العلي القدير: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ. اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ١٣الرعد:٧-٩، والنص الكريم تفرد بمضامين؛ وأوجز ما فصلته نصوص في منظومة تنوعت فيها بدائع البيان مع وحدة المضمون؛ تتكامل ولا تتعارض رغم طول فترة الوحي لتبلغ مدة ١٣ سنة في مكة المكرمة و١٠ سنوات في المدينة المنورة.

وفي الجملة: (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ)؛ لا احتمال أن (مَا) موصولة بمعنى: الله يعلم الذي تُغيضه الأرحام والذي تُزيده؛ لأنه يُلجئ للقول بالمجاز للتخلص من صريح إسناد الفعلين للأرحام، بخلاف قاعدة العمل بصريح النص إلا بقرينة صارفة للمجاز، ويتطلب عائد محذوف ينصرف إليه الفعلان؛ أدى تقديره لاختلاف كبير وتشعيبات في متاهات كمدة الحمل وعدد الأجنة، وكل ما قيل نحو أن الحمل يستمر خمس سنوات أو سبع وأن عدد الأجنة قد يبلغ أربعين؛ مُخالف لسياق النص وغير مُطابق للواقع، وأما حمل الغيض على السقط وإنهاء مشروع إنسان؛ فمُخالف لسياق بيان شمول علم الله تعالى بالمُقدر لإنسان سوي له مستقبل مُغيب وبعث وحساب، وغير بليغ لبيان سعة علمه تعالى ليشمل كل مُقدر له حتى ينتهي إما إلى جنة أو إلى نار، وإنما إسناد الفعلين صراحةً هو إلى الأرحام، فيجعل كل منهما فعل لازم، بمعنى أن الأرحام تغيض وتزداد بذاتها؛ وغير صريح في أنها تغيض وتزداد بفعل غيرها حتى يُحتمل أن كليهما مُتعدي، فلزم أن تكون دلالة (ما) مصدرية؛ بمعنى: الله يعلم غيض الأرحام كي يقع الحمل؛ ويعلم زيادتها حين يقع الحمل.

والأصوليون يُرَجِّحُون معنى الكلمة المُتعددة المعاني معجميًّا والمُتعددة المُتَعَلِّقَات والإيحَاءَات دلاليًّا؛ طِبْقًا للسياق، فإذا تَعَذَّر المُرَجِّح جَازَ إطلاق الدلالة لتشمل جميع وجوه اللفظ المُحتملة ومُتَعَلِّقَاته؛ والعبرة إذن بالقرائن المُخصصة، وفي الجملة: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى)؛ الأولوية حمل (مَا) على أنها مصدرية كذلك لوحدة النسق في تركيب النظم: (مَا تَحْمِلُ، مَا تَغِيضُ، مَا تَزْدَادُ)، بمعنى: الله يعلم حمل كل أنثى، فلزم أن تكون دلالة الجملة (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى) عامة تجعل علم الله تعالى شامل، والتعبير بالمصدر أليق لبيان الإحاطة بكل المتعلقات: الحمل والحامل والجنين المحمول.

وفي سياق الحمل لا يُقَال أن الأرحام تغيض وتزداد؛ إلا بالنسبة للمستوى المُعتاد في غير الحمل، فيفيد أنها تنقبض وتنكمش وتتقلص استعدادًا للحمل قبل ازديادها في الحمل، ويفيد العودة لمستواها الأول بعد خروج الوليد، قال أطفيش: "{وما تَغيضُ الأرْحامُ ومَا تزْدادُ}.. أي وغيض الأرحام وازديادها، والغيض.. يُستعمل مُتَعَدِّيًا كقوله تعالى: {وغِيضَ المَاءُ}؛ فالماء مفعول به ناب عن الفاعل، ولازِمًا نحو غاض الماء أي.. بنفسه وكذا ازداد.. (وهنا) إسناد الغيض والازدياد للأرحام.. فإسنادهما إلى الأرحام حقيقة"[٦٢٠]، وقال الألوسي: "فإن جعلتهما لازمين؛ لا يجوز أن تكون (مَا) موصولة.. وإسناد الفعلين كيفما كانا إلى الأرحام"[٦٢١]، وقال الإيجي: "(طالما) كانا لازمين تَعَيَّن أن تكون (مَا) مصدرية"[٦٢٢].

وقال الإستانبولي: "(اللَّهُ) وحده (يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى) أي حملها على أن (مَا) مصدرية والحمل بمعنى المحمول؛ أو ما تحمله من الولدان: ذكر أو أنثى.. سعيد أو شقي.. إلى غير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة، فمَا موصولة والعائد محذوف..، (وَما تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) أي نقص جميع الأرحام وزيادتها..؛ يُقال غاض المَاءُ يغيضُ غيضًا إذا قل (بنفسه).. فان كان لازمًا فالغيوض والزيادة لنفس الأرحام.. والأرحام جمع رحم؛ وهو مبيت للولد في البطن"[٦٢٣].

والاحتباك وجه من الإيجاز الذي هو عماد الفصاحة، وهو أن يُحذف من أول الكلام ما جاء نظيره أو مُقابله في آخره؛ ويُحذف من آخره ما جاء نظيره أو مقابله في أوله، ومأخذ التسمية من الحَبْك؛ وهو الشدّ والإحكام وإجادة صناعة الثوب، وسدّ ما بين خيوطه من الفُرج وإحكامه إحكامًا يمنع عنه خلل الصنعة؛ مع الحسن والرونق، والغيض والزيادة أحداث رحمية؛ والحمل أحداث عامة تخص الجنين وتشملهما، فَفُهِمَ مِنَ الْكَلَامِ مَعْنَى احْتِبَاك بِطَرِيقِ الْمُقَابَلَة بين ما يحدُث في الحمل للجنين والأرحام؛ وبين ما يحدث للأرحام على وجه التفصيل للعموم في الحمل.

---

[٦٢٠] محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش؛ هميان الزاد إلى دار المعاد، موقع التفاسير، ترقيم الشاملة (١٩ ٣١٩).

[٦٢١] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧ ١٠٢).

[٦٢٢] محمد بن عبد الرحمن الإيجي؛ تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م (١٢ ٢٦٣).

[٦٢٣] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي؛ روح البيان، دار الفكر بيروت (١٤ ٣٤٧).

ومن البلاغة ذكر مُتقدمين مع مُتأخرين؛ فيلتف كل من المُتأخرين ليعود على ما يُناسبه من المُتقدمين وينشر معناه، ويُسمى في مصطلح اللغويين باللف والنشر، وفي النبأ حالتان تخصان الأرحام: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾؛ وفي التعقيب حالتان تخصان الذات العلية: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾؛ فعادت الشهادة على الزيادة وعاد الغيب على غيض الأرحام حين غيض المني، والغيب المُطلق إذن المقصُور العلم به على الذات العلية هو مُستقبل الجنين قبل أن يُخلق؛ وهو نطفة من مني يُمنى حين تغيض الأرحام، أما بعد خلقه ونشأة الخريطة الوراثية؛ فلم تعد معرفة جنسه وخصائصه من الغيب المُطلق، وجاء الحديث في رواية البخاري مؤيدًا نسق القرآن الكريم في قصر الغيب المُطلق على الله تعالى في سياق أمور مُقدرة لم تقع بعد؛ منها غيض الأرحام دون ازديادها، أي والجنين لم يُخلق بعد: (مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ..)[٦٢٤].

وبخصوص العلم بمُستقبل جنين لم يُخلق بعد؛ ومُقدر له أن يُولد ويعيش ويموت ويُبعث ليُحاسب، وما زال نطفة تُدفق حين يغيض الرحم ليستقبلها؛ فللشيخ العثيمين كلام نفيس صريح؛ قال: "الأمور الغيبية في حال الجنين هي.. حياته وعمله ورزقه وشقاوته أو سعادته وكونه ذكراً أم أنثى قبل أن يُخلق، أما بعد أن يُخلق؛ فليس العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب، لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة..، (فهذا) يُحمل على أن اختصاص الله تعالى بعلمه ذلك إذا كان لم يُخلق، أما بعد أن يُخلق فقد يعلمه غيره، قال ابن كثير رحمه الله..: لا يعلم ما في الأرحام مما يُريد أن يخلُقه تعالى سواه؛ ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة.. ومن شاء من خلقه"[٦٢٥]، وقال: "من ادعى علم الغيب.. مُكذب لقول الله تعالى: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) ٢٧النمل:٦٥..، والشيء المُستند إلى أمر محسوس لا يُقال: إنه من علم الغيب..، ومثل هذا ما نُقل.. من كونهم يعلمون ما في الأرحام من ذكر أو أنثى.. فإن بعض الناس يظن أنه مُعارض لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) ٣١لقمان:٣٤، وفي الحقيقة أنه.. لا يُعارض هذه الآية؛ لأن قوله: (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ).. يقتضي العُموم، وهو شامل لكل ما يتعلق بهذا الجنين، ومن المعلوم أن أحداً لا يستطيع أن يدعي أنه يعلم أن هذا الجنين.. إذا خرج إلى الدنيا وعاش؛ هل يكون غنياً أو فقيراً وهل يكون صالحًا أو فاسدًا، وهل هو شقي أو سعيد، ثم لا يدعي أحد أنه يعلم: هل هو ذكر أو أنثى قبل أن يُخلق"[٦٢٦].

وتعبير غيض الأرحام لا يعني فقط النقص مقابل ازديادها؛ وإنما هو لفظ جامع لمعنى النقص والانكماش والتقلص مع الغور، قال ابن الأثير: "غَاضَ الْمَاءُ إِذَا غَارَ"[٦٢٧]، وقال الزبيدي: "غَاضَ الماءُ يَغِيضُ غَيْضاً.. قَلَّ ونَقَصَ أَو غارَ"[٦٢٨]، أما النضوب فيعني ذهاب الشيء وزواله الكامل، قال ابن سيده: "(قال) أَبُو زيد: نضب المَاء ينضب نضوباً ذهب..؛ وَمِنْه قيل للْمَاء إِذا ذهب نضب..، وَقَالَ: غاض المَاء يغيض غيضًا نقص..، وَأَعْطَاهُ غيضًا من فيض أَي قَلِيلا من كثير"[٦٢٩].

وسبق الغيض للزيادة وإفراد الحمل جعلهما حدثين مُتعاقبين في حملٍ واحد، والمَصْدَرُ (حَمْل) هو أَصل الفعل (تَحْمِلُ) ويعمل عمله؛ لكنه بخلاف الفعل يدل على الحدث بإطلاق غير مُقَيَّد بزمن، فناسب بيان إطلاق علمه تعالى غير مُقَيَّد بزمن ليشمل كل أحوال الحمل والجنين منذ استقبال المني إلى الوضع؛ وأحوال الرحم في هذا الحمل منذ غيضه إلى تمام ازدياده قبل الوضع، و(مَا) تشمل بدلالة إبهامها كل تفصيل يخص الجنين ومُستقبله ورحم الحامل، ويُلَمِّح ازدياد الرحم إلى ازدياد الجنين بالتجانس؛ وغيض الرحم إلى غيض المني تجَانُسًا حين يتقلص الرحم ويغور ليستقبله، وبخلاف ازدياد الرحم مع تتابع أطوار تخليق الجنين، مُحاطًا بسائل يحميه من الصدمات داخل أغشية ثلاث في قرار مكين؛ يُطابق الغيض نوبة تقلصات الرحم وغوره للداخل إذا بلغت الأنثى ذروة النشوة والرعشة الجنسية؛ لئلا ينزل من المني شيء.

---

[٦٢٤] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري؛ صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة؛ ١٤٢٢هـ (١٦ ٧٩).

[٦٢٥] محمد بن صالح بن محمد العثيمين؛ فتاوى أركان الإسلام، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ (ص٣٢).

[٦٢٦] أرشيف ملتقى أهل الحديث: ٤ (/٧٣ ٤٨٦).

[٦٢٧] مجد الدين أبو السعادات الشيباني ابن الأثير؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوى ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية بيروت؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (١٧ ٢٠١).

[٦٢٨] محمّد أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (١١٨ ٤٧١).

[٦٢٩] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (١٣ ٣٨).

(٤) التفصيل الدلالي:

يقول العلي القدير: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٢٢الحج:٧٠، قال ابن كثير: "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ كَمَالِ عِلْمِهِ بِخَلْقِهِ..، وَأَنَّهُ تَعَالَى عَلِمَ الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا قَبْلَ وُجُودِهَا..، عَلِمَ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَقَدَّرَهَا وَكَتَبَهَا..، فَمَا الْعِبَادُ عَامِلُونَ؛ قَدْ عَلِمَهُ تَعَالَى قَبْلَ ذَلِكَ..، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا"[٦٣٠]، وقال النيسابوري: "كل ما في السماء والأرض فِي كِتابٍ؛ قال أبو مسلم: أراد به الحفظ والضبط كالشيء المكتوب"[٦٣١]، وقال محمد رشيد: "الْكِتَابُ يُطْلَقُ عَلَى نِظَامِ الْخَلْقِ وَالتَّقْدِيرِ وَالسُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ ثَابِتٌ كَالشَّيْءِ الْمَكْتُوبِ الْمَحْفُوظِ الَّذِي لَا يُنْسَى"[٦٣٢]، وقال ابن عاشور: "جُعِلَتِ الْكِتَابَةُ تَمْثِيلًا لِعِلْمِ اللَّهِ بِالْمَعْلُومَاتِ عِلْمًا مُوَافِقًا لِمَا سَيَكُونُ؛ لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نَقْصَ، كَالشَّيْءِ الْمَكْتُوبِ؛ إِذْ لَا يَقْبَلُ زِيَادَةً وَلَا نَقْصًا، دُونَ الْمَقُولِ الَّذِي لَا يُكْتَبُ فَهُوَ لَا يَنْضَبِطُ"[٦٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٦الأنعام:٥٩، قال الرازي: "جَعَلَ لِلْغَيْبِ مَفَاتِيحَ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ؛ لِأَنَّ الْمَفَاتِيحَ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَا فِي الْخَزَائِنِ الْمُسْتَوْثَقِ مِنْهَا بِالْأَغْلَاقِ وَالْأَقْفَالِ..، فكذلك هاهنا.. الْمُرَادُ الْعِلْمَ بِالْغَيْبِ"[٦٣٤]، وقال الطبري: "فَإِنَّ عِنْدَهُ عِلْمُ مَا غَابَ عِلْمُهُ عَنْ خَلْقِهِ؛ فَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يُدْرِكُوهُ وَلَمْ يَعْلَمُوهُ..، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ عِنْدَهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ وَيَكُونُ؛ وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِمَّا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ وَذَلِكَ هُوَ الْغَيْبُ"[٦٣٥].

فالغيب إذن المقصور علمه على الله تعالى هو المُقدر حدوثه ولم يقع بعد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٥٧الحديد:٢٢، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ٣١لقمان:٣٤؛ جاء تعبير (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) في سياق غيبيات مُستقبليات؛ فَعَنَى العلم بالمُستقبل المقدُور ومثله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ ١٣الرعد:٨، أفاد بأن للجنين مُستقبل مقدور؛ وقبل أن يعيشُهُ يعلمُهُ اللهُ تعالى، فيعلم كل ما يتعلق بمشروع الإنسان المُقبل وحياته ومصيره مما ليس بمقدور بشر إدراكه فضلا عن الإحاطة بتفاصيله، قال ابن كثير: "لَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِمَّا يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَهُ اللَّهُ تَعَالَى سِوَاهُ..، وَكَذَلِكَ لَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا"[٦٣٦].

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ١٣الرعد: ٨؛ الحديث عن سنن التقدير في الخلق: (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)؛ ويخص سنة الحمل: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى)، والنص إذن متعلق بالأحوال العادية لا المَرَضِيَّة لبيان سبق التقدير كَسُنَّة عامة في الحمل، والتعبير: (مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى)؛ تنويه بالجنين المحمول؛ من حين لقاء الزوجين إلى الوضع، وناسبه (مَا) لغير العاقل ليشمل المني قبل الإخصاب، ومُقتضى التعبير (اللَّهُ يَعْلَمُ)؛ العلم المُطلق بحياة ومصير الإنسان المُقبل، من حين كان نطفة من مني يُمنى ليوم الجزاء، فشمل علمه تعالى مُستقبله قبل أن يُخلق ويصبح نطفة أمشاج من الأبوين؛ وبعد خلقه وهو يتشكل في الرحم ليُولد طفلاً.

والحمل غيب لا يُدرك قبل خلق الجنين من مني يُمنى، وأما بعد خلقه وتزايد الأرحام فهو مشهود يُمكن إدراكه، فناسبه التعقيب: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ١٣الرعد:٩؛ لبيان إطلاق علم الله تعالى ليشمل الغيب والجنين لم يُخلق بعد؛ والشهادة بظهور الحمل للزوجين، وناسبه تفصيل الحالين؛ ما قبل خلقه وما بعده: (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ)؛ لبيان سبق التقدير بإعداد الرحم لاستقبال المني عند التزاوج؛ وتزايده عند الحمل وتقديم كل متطلبات الجنين في موضع أمين.

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ ١٣الرعد: ٨؛ شمل العلم المُطلق بما تحمل كل أنثى؛ العلم بحاله عندما تغيض الأرحام وعندما تزداد أثناء الحمل، فإذن غيض الأرحام وزيادتها حدثين

---

[٦٣٠] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٥\ ٤٥٢).

[٦٣١] نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري؛ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤١٦هـ (٥\ ١٠٠).

[٦٣٢] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٠\ ٣٥٧).

[٦٣٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٣٠\ ٣٨٥).

[٦٣٤] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٣\ ١٠).

[٦٣٥] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٩\ ٢٨٣).

[٦٣٦] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٦\ ٣٥٢).

مُتتابعين ومُقَدَّرين يُواكبان تكوين وتطور الجنين، والصريح أن تكوين الإنسان يبدأ بنطفة واحدة من مني يُمنى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٣٨، وهذه النطفة حين تُمنى إنما هي تهيئةً للحمل في تاريخ كل إنسان يُواكبها غيض الأرحام؛ ويعقبه زيادتها حين الحمل، والاستنتاج إذن أن غيض الأرحام حدث يسبق الحمل؛ قبل إخصاب البويضة وتكوين النطفة الأمشاج من الزوجين.

وفي العبارة: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ ١٣الرعد: ٨؛ جملة (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى) مُتعلقها ما تحمله كل أنثى وهو الجنين، وجملة (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) مُتعلقها ما يحدث للأرحام، ويجمعهما علم الله بمستقبل ومصير إنسان لم يتكون بعد وتقديره تعالى لأحداث الحمل، ومن بليغ الكلام أن يُحذف من الجملة الأولى ما تُفيده الثانية والعكس؛ ويُسمى: الاحتباك، والتقدير: اللَّهُ يَعْلَمُ (بمُستقبل) مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى (من جنين)، وَ(يعلم تعالى بكل المُقدر له حين) مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ (قبل خلقه) وَ(حين) مَا تَزْدَادُ (مع تشكيله وحمله).

وفي النص: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ١٣الرعد: ٨؛ قد وُضعت كل كلمة في الموضع المُناسب لتؤدي دورًا في نسيج فريد مُترابط، والإيجاز مع استيفاء الدلالة عماد الفصاحة، والتعبير (اللَّهُ يَعْلَمُ) يُخصص المقام بالذات العلية، ويُطلق العلم ليفيد أن كل شيء مُقَدَّر قبل وقوعه لغرض رشيد مقصُود بحكمة تدفع العشوائية، ويتضمن بيان القدرة على وقوعه، وعموم النصوص في القرآن الكريم تؤكد كل تلك الإيحاءات، والتعبير (كُلُّ أُنْثَى)؛ أفاد الشمول وأكد أن التقدير مقصود، فالمصادفة فرضًا؛ لا تتكرر دومًا بانتظام باتجاه الأصوب، والتذييل (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)؛ قام بتأكيد التقدير ونفى الفوضى؛ ومثله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ٥٤القمر:٤٩،

والعُدُول إلى التعبير (مِقْدَارٍ) في سياق التقدير فيه تلميح إلى مقدار مدة الحمل؛ لبيان أنها أيضًا مُقدرة ذات أجل مُسمى وقَدَر معلُوم، ومثله التصريح: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ٢٢الحج:٥، ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠-٢٣، والعبارة (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى)؛ أفادت تعميم العلم الشامل لحياة ومصير كل جنين تحمله كل أنثى، وأما التفصيل: (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ)، لبيان العلم المطلق بمُستقبله حين يغيض رحم الأم وهو نُطفة؛ وحين زيادته وهو جنين، وكأن المضمون في سياق الحمل؛ هو بيان علم الله تعالى المُطلق بعموم حال كل إنسان على طول حياته وبعد مماته، وهو حتى ما زال نطفة لم يتخلق بعد حين يغيض الرحم لتبدأ أطوار التخليق بلقاء الزوجين وهو جنين حين يزداد الرحم، وأداة غير العاقل (مَا) في ثلاثة مواضع: إجمال العلم والتفصيل بغيض الأرحام وزيادتها؛ ناسبت حاله قبل خلقه وتشكيله، والوجه الأنسب للشمول أن (مَا) مصدرية، أي يعلم حمل كل أنثى وغيض الأرحام وزيادتها؛ والعلم بالحمل يشمل أيضًا العلم بالجنين المحمُول، والعلم بغيض الأرحام يشمل أيضًا غيض ماء التناسل فيها، وزيادة الأرحام تشمل زيادة ما فيها.

وضمير الفعل: (تَزْدَادُ)؛ عائد على مؤنث هو: (الْأَرْحَامُ)، والمعنى أنها تزداد مع الحمل؛ ومثله الفعل: (تَغِيضُ)، أي أنها تغيض تمهيدًا للحمل حين تدفق المني، والغيض يعني النقص والانكماش والغور مقابل الزيادة واتضاح الحمل، وناسبه جمع: (الْأَرْحَامُ) لبيان أن غيض الأرحام حين التزاوج وتزايدها عند الحمل سُنَّة شاملة لكل أنثى لغرض رشيد مقصُود يتحقق بالغيض عند التزاوج والتزايد عند الحمل، وإذن غيض الأرحام مُقَدَّر مُسبقًا قبل خلق الجنين ليقع الحمل، وقد أثبتت البحوث العلمية حديثًا بالفعل أن الأرحام مُعَدَّة عند التزاوج لتغور في تجويف الحوض وتتقلص وتنكمش وتقل وبانبساطها ينخفض الضغط فيها فيعمل على سحب الحوينات المنوية لتبلغ البويضة؛ ويقوم أحدها بتخصيب البويضة، والنبأ يتعلق بالآلية في كل أنثى في الأحوال العادية، ولا ينقض الإعداد وقوع حمل في ظروف غير عادية بدون تلك الآلية.

وصريح النُّصُوص الكريمة أن الإنسان يُخلق من نطفة من مني يُمنى؛ أشبه في الضآلة بقطرة من ماء مهين، فتدفق النطفة إذن حين لقاء الزوجين والمُقدر تشكيلها إنسانًا؛ تسبق خلقه وحمله في الرحم الموصُوف بالقرار المكين، ولَمَّا كانت زيادة الأرحام تتزامن مع خلقه حيث تُصبح النطفة ذات أخلاط وراثية أمشاج من الزوجين تتضاعف وتزداد؛ فيلزم أن غيض الأرحام قبل خلقه؛ وهو نطفة من مني يُمني عند لقاء الزوجين، وخصائصه وجنسه غيب عن كل بشر، وبالتعقيب: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ١٣الرعد:٩؛ تبلغ الفصاحة وبلاغة الخطاب الغاية بعودة أحد المذكورين اللاحقين وهو الغيب؛ على أحد المذكورين المُقدمين وهو غيض الأرحام، بينما الزيادة من عالم الشهادة بالنسبة للمخاطبين، والمعنى إذن أن أحداث حياة ومصير الإنسان الذي لم يُخلق بعد؛ معلُومة لله تعالى كما الشهادة، وغيب عن كل بشر.

والتعبير: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ٣١لقمان:٣٤؛ إذن إجمال يتضمن العلم بمُستقبل إنسان لم يُخلق بعد، والجملة الفعلية تناسب دوام العلم به قبل وجوده؛ والجملة الاسمية التي تبدأ بلفظ الجلالة: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ ١٣الرعد: ٨؛ تستدعي الوَجَل وتقصر على الذات العلية العلم بمستقبل جنين ومصيره من قبل خلقه، وكذلك كل الأحداث، ولا مجال إذن لشبهة إمكان معرفة جنس الجنين بعد خلقه بأسابيع لِتَضَمُّن النصوص العلم الشامل لله تعالى به قبل خلقه.

وكلمة (غيض) إذن من بليغ التعبير حيث دلَّت على أن الرحم عند لقاء الزوجين يتضاءل ويتقلص ويغور؛ وألمحت لتزامنه مع غيض ماء التناسل كغيض ماء البئر؛ كأنه قيل: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ ١١هود:٤٤؛ إلا أن السياق مُتعلق بتقدير أحداث الحمل، وأول عملية هي لقاء الزوجين، وعادة النظم التَّنَزُّه عن القول الصريح بما قد يجرح حياء إلى التلميح، وكلمة (غيض) جامعة؛ أفادت تقلص الرحم حال التزاوج وغوره كماء التناسل نحو العُمق، مثل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ٦٧الملك:٣٠، ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ ١٨الكهف:٤١.

والضمير بالتأنيث في (تَغِيضُ) و(تَزْدَادُ) عائد على مُؤنث هو المذكور اللائق الوحيد: (الْأَرْحَامُ)، فلا مجال إذن لصرف الزيادة والنقص لشيء آخر مبني على تصور خارج صريح النص؛ كالدماء ومدة الحمل التي تبلغ سنوات، وأفصح التعقيب: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ١٣الرعد:٩؛ عن أطلاق علمه تعالى ليشمل مصير كل إنسان؛ حين كان نطفة تُدفق لم يُخلق بعد وحين تشكله بالأرحام، فلا يصلح إذن حمل الدلالة على السِّقْط لإنسان مُقَدَّر التكوين والمستقبل؛ والسِّقْط لا مستقبل له ويُناقض سياق التقدير؛ أي في الأحوال الاعتيادية لا العرضية، ويدفعه مقام إطلاق القُدْرَة العَلِيَّة في تقدير الخِلْقَة السَّوِيَّة، فهو تعالى يعلم بالإنسان قبل أن ينشأ من طينة الأرض؛ وهو نطفة من مني يُمنى لم يُخلق بعد، وهو جنين يتشكل في الأرحام: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ ٥٣النجم:٣٢.

والبعث هو مغزى أنباء تخليق الإنسان خاصة لا الحيوان: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ ٣٥فاطر:١٨، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٤٠؛ وتنويه النظم إذن بالعناية بالإنسان وهو جنين والبعث والحساب؛ يجعل العلم بالغيب المُقدر مُتعلق به خاصة؛ لا الحيوان.

وأما العُدُول عن التعبير: (في الأرحام) إلى: (فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ)؛ كما في: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ٣٩الزمر:٦، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ١٦النحل:٧٨، فهو من روعة البيان والعلم بأسرار تكوين الإنسان؛ حيث يتم تلقيح البويضة خارج تجويف الرحم وكانت البطون مَحِلُّه.

والرحم إذن لا يتوقف عن العمل كأنه يعي ما عليه؛ ويتجلى غيضه في أحوال تتطلبه، وغيضه عند التزاوج عملية بالغة الأهمية، وحفظ النسل غرض مقصود بالتأكيد؛ ينطق بالتوجيه الرشيد وسبق التقدير وحُسن التدبير، قال الهرري: "والأرحام جمع رحم، وهو مبيت للولد في البطن ووعاؤه، واعلم أن رحم المرأة عضلة.. ولها فم بإزاء قبلها، ولها قرنان شبه الجناحين (بوقين) تجذب بهما النطفة (البويضة)، وفيها قوة الإمساك (الشفط) لئلا ينزل من المني شيء"[٦٣٧].

[٦٣٧] الشيخ محمد الأمين الهرري؛ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مراجعة د. هاشم محمد مهدي، دار طوق النجاة بيروت؛ ١٤٢١هـ-٢٠٠١م (١١٤ \ ١٨٤).

أطوار غيض الأرحام

(١) طور الإثارة

غور الرحم

1. Excitement phase

الرحم يغور ويرتفع نحو الداخل بعيدًا عن المهبل
Uterus elevates up and away from vagina

المثانة
Bladder

ظهور الترطيب المهبلي
Vaginal lubrication appears

تضخم البظر
Clitoris enlarges

تضخم الشفرين الداخليين
Inner labia swell

الشفران الداخليين
Outer labia

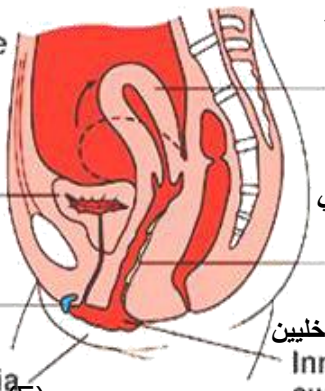

(٢) طور عتبة النشوة

2. Plateau phase

تمدد واستطالة الثلثين الداخليين للمهبل
Inner two-thirds of vagina expands and lengthens

Uterus fully elevated

الرحم مرتفع كاملاً

أقصى غور للرحم

تقلصات الثلث الخارجي للمهبل
Outer third of vagina forms orgasmic platform

البظر متقلص نحو الداخل
Clitoris retracts under hood

تضخم الشفران الداخليان
Inner labia increases in size and turn bright red

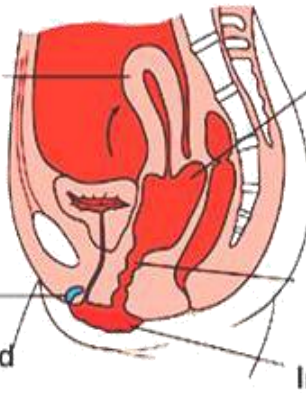

(٣) طور النشوة

3. Orgasm phase

تقلص ونقص الرحم

الرحم يتقلص
Uterus contracts

تقلص ارتعاشي لمدخل المهبل
Orgasmic platform contracts

تقلص عضلة المستقيم
Anal sphincter contracts

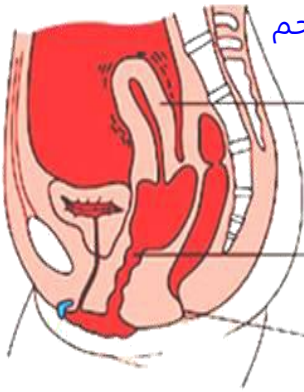

(٣) طور

4. Resolution phase

عودة الرحم لوضعه الطبيعي
Uterus shrinks, returns to its normal position

انخفاض عنق الرحم
Cervix drops to its unaroused position

عودة المهبل للوضع الطبيعي
Vagina returns to its unaroused position

عودة البظر لحجمه ووضعه الطبيعي
Clitoris returns to normal size and position

عودة الشفرين للحجم الطبيعي
Outer and inner labia return to normal size

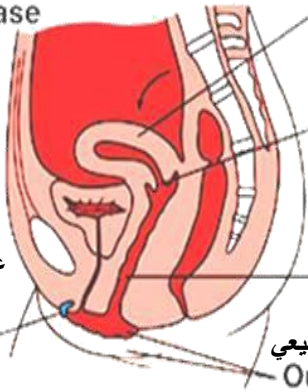

قال الشيخ الزنداني: "وإذن هناك نصوص قد بينت بجلاء أن الأمر المحجوب عن علم غير الله إنما هو في مرحلة ما قبل تكون الجنين، فعلمنا أن الأرحام قبل أن تزداد حتى يراها كل المحيطين بالحامل تُعاني من حالة تقلص وانكماش وغور ونقصان، وفي تلك الفترة حال الجنين المُرتقب محجوب عن علم غير الله تعالى..، (فهو إذن) مفتاح من مفاتيح الغيب يفتح على أبواب مغلقة (عن علم البشر)، ولا يملكه دون الخالق سبحانه أحد..، وأما حمل الغيض على دم الحيض (أو السقط) فلا يتفق مع كونه مفتاحا للغيب لأنه لن ينشأ منه جنين، وبإجماع علماء المسلمين مفتاح الغيب مُتعلق بالإنسان الذي سَيُخْلَق؛ وقد تقرر في علم الله تعالى أن له مُسْتَقْبَلاً مُغَيَّبًا، وليس دم الحيض (أو السقط) كذلك"[٦٣٨].

وقال محمد حسين: ""(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) الرعد:٨..؛ غَاضَ الشَّيْءُ وغَاضَهُ غيره..؛ قال تعالى: "(غِيضَ الْمَاءُ) ١١هود:٤٤، و(تَغِيضُ الأَرْحَامُ)..، وعلى هذا فالأنسب أن تكون الأمور المذكورة.. أعني قوله: (مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى) و(مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) إشارة إلى.. أعمال الأرحام في أيام الحمل (لإنجاب جنين سَوِي)؛ فما تحمله كل أنثى هو الجنين الذي.. تحفظه..، وأكثر المفسرين على أن المراد بما تغيض الأرحام الوقت الذي تنقصه الأرحام من مدة الحمل وهي تسعة أشهر، والمراد بما تزداد ما تزيد على ذلك، وفيه خلو عن شاهد يشهد عليه؛ فإن الغيض بهذا المعنى نوع من الاستعارة التي لا غنى لها عن القرينة..، ويروى عن بعضهم أن المراد بما تغيض الأرحام ما تنقص عن أقل مدة الحمل وهي ستة أشهر وهو السقط؛ وبما تزداد ما يولد لأقصى مدة الحمل..، وعن بعض آخر أن الغيض: النقصان من الأجل والازدياد: الازدياد فيه، ويَرُد على الوجهين ما أوردناه على سابقهما"[٦٣٩].

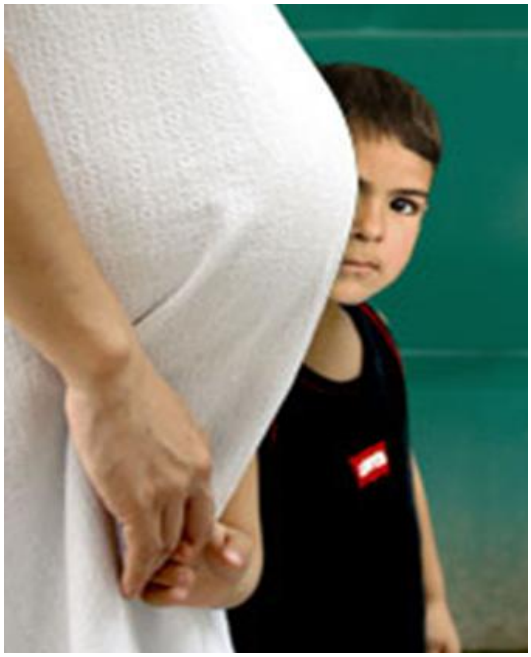

زيادة الأرحام من عالم الشهادة؛ خاصة عندما تُثقل الأم بالحمل.

وقال أحمد حطيبة: "{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} الرعد:٨؛ فإنه سبحانه يُزيد الرحم شيئاً فشيئاً حتى يكون هذا الجنين في الشهر التاسع، ثم يخرج هذا الجنين إلى الدنيا، وقوله: {وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ}؛ أي: ما تكون عليه من نطفة..، والإنسان معلوم أنه لا يعرف ما يكون من شأن هذه النطفة..؛ ولذا فإن علم الله سبحانه تبارك وتعالى لما في الأرحام؛ هو العلم المحيط بكل شئونها..، (و) كل أمور الحنين"[٦٤٠].

وقال ناصر مكارم: "(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ).. تُشير إلى.. حالات مختلفة للرحم أيّام الحمل.. (و) جملة (تَحْمِلُ) المقصُود منها الجنين"؛ وقد: "أشار القرآن المجيد مرارًا إلى مسألة الجنين وعجائب تكوينه ليكون أحد الأدلّة على التوحيد ومعرفة الله وعلمه المُطلق..، بحيث نستطيع أن نقول: إنّ أكبر درس للتوحيد ومعرفة الله كامنٌ في تكوين الجنين ومراحل تكامله..، فليس المقصُود من علمه بالذكر والأنثى فقط بل بكلّ خصائصه..، وعلى هذا فإنّ وجود هذا النظام الدقيق والمُعقّد للجنين ومراحل تكامله؛ لا يمكن أن يكون بدون صانع عالم وقدير"[٦٤١].

---

[٦٣٨] الأستاذ الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني؛ مدير جامعة الإيمان بصنعاء، مقالات في إعجاز القرآن الكريم.

[٦٣٩] محمد حسين المعروف بـالعلامة الطباطبائي؛ تفسير الميزان، موقع الكوثر، ترقيم المكتبة الشاملة (١١١ ١٦٢).

[٦٤٠] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة؛ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (٥ ١٢٣٥).

[٦٤١] نَاصِر مَكارم الشِيرازي؛ الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الموقع الرسمي للمؤلف (١٧ ٣٤٧).

وقال أبو زهرة: "(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ).. يعلم أدوار الحمل من.. وقت وضعه نطفة"[٦٤٢]، وقال المغامسي: "قال تعالى: (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ)؛ تغيض: أي تنقص..، والمُعَاصرون من العلماء يقولون: إن تفسير العلم الحديث للقرآن سلك بهذه المسألة مسلكاً آخر، وهي قضية وجود النطفة في الرحم..، فنقول: إن الله جل وعلا جعل الرحم مستقرًا للنطفة..؛ ويقول الله هنا: {وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ} الرعد:٨"[٦٤٣]، وقال أطفيش: "أي يعلم ما تحمله الأنثى قبل أن تحمله (و) في حال الحمل؛ على أي حال من أحواله الحاضرة والمُترقبة"[٦٤٤]، وقال الشيخ العثيمين: "يعني أثناء كونه نطفة..؛ قبل أن يُخلق..، لا يعلم ماذا سيكُون.. إلا الله سبحانه وتعالى"[٦٤٥].

والعُدول عن التصريح بالمصدر إلى الفعل المُضارع مُسْتَهَلاً بالأداة (مَا): (مَا تَحْمِلُ)؛ مُبالغة في إطلاق العلم بدلالة (مَا) على الإبهام المُستدعي الاستغراق لتشمل أحداث تَتَجَدَّد طول الحمل وتتكرر، وأيَّدها جمع (الأرْحامُ) ودلالة الشمول في (كُلُّ أُنْثَى)، لبيان سبق تقدير واحد بقصد الإنجاب؛ يَنْطِقُ بِطلاقة قُدْرَة العَلِي وعِلْمِه الشامل المُحيط ووَحْدَانِيَّتُهُ.

(٥) مغزى النبأ:

وحدانية الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ وبيان مظاهر قدرته تعالى؛ هي فحوى الخطاب، بسوق مشاهد الخلق وكشف خفايا التكوين؛ إنذارًا للمُعرض عن دلائل الحق وهدايةً للفطين، وهنا تنويه للبعث والحساب تهديدًا للمشركين على التعنت بطلب آية على قُدرة ووحدانيته العلي الكبير؛ بينما الآيات حولنا لا يُحصيها العَد، ويكفي كشف خفايا خلق الإنسان برهانًا للفطين على صدق خاتم النبيين: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ. اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ١٣الرعد:٧-٩.

قال أبو حيان: "مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا.. لَمَّا طَلَبَ الْكُفَّارُ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ آيَةٌ..؛ أَرْدَفَ ذَلِكَ بِذِكْرِ آيَاتِ عِلْمِهِ الْبَاهِرِ..، وَأَنَّ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ كَافِيَةٌ لِمَنْ تَبَصَّرَ..، مُنَاسَبَةُ ذَلِكَ (أيضًا) أَنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ إِنْكَارُهُمُ الْبَعْثَ.. نَبَّهَ على إحاطة عِلْمِهِ..، (وأنه) قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ مَا أَنْشَأَ..، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: قَصَّ فِي هَذَا الْمَثَلِ.. وَاحِدَةً مِنَ.. مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ..؛ (وهي) مَا تَحْمِلُهُ الْإِنَاثُ مِنَ النُّطْفَةِ..، وَهَذَا الْبَدْءُ يُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَى القادر عليها الإعادة"[٦٤٦].

---

[٦٤٢] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٧ ٣٩٠٥).

[٦٤٣] أبو هاشم صالح بن عوّاد المغامسي؛ تأملات قرآنية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٢٤ ٤).

[٦٤٤] محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش؛ هميان الزاد إلى دار المعاد، موقع التفاسير، ترقيم الشاملة (١٩ ٣١٩).

[٦٤٥] أرشيف ملتقى أهل الحديث: ٤ (/٧٣ ٤٨٦).

[٦٤٦] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (١٦ ٣٥٦).

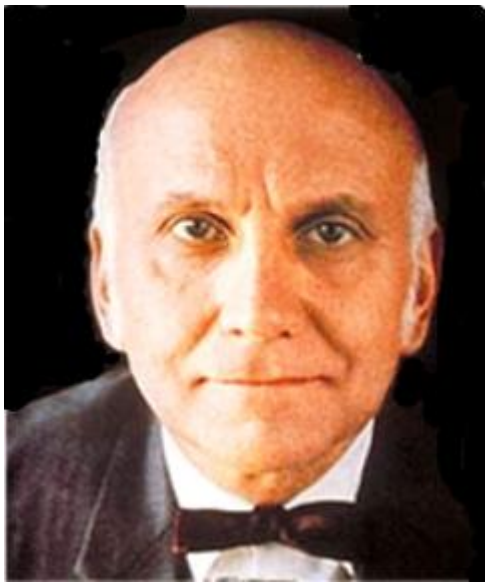

ويليام ماستر William Masters

(١٩١٥-٢٠٠١)

لم يعرف بشر قبل عام ١٩٦٦ بغيض الأرحام؛ إلا بعد إعلان نتائج أول دراسة في التاريخ قام بها ويليام ماستر William Masters (١٩١٥-٢٠٠١) وزوجته فرجينيا جونسون Virginia Johnson (١٩٢٥-٢٠١٣)، ونشراها بكتابيهما: الاستجابة الجنسية للبشر Human Sexual Response[٦٤٧]، ولا يُمكن إذن نسبة مضمُون نبأ القرآن الكريم بأن الأرحام مُقدرة لتغيض حين غيض المني قبل خلق الجنين وتزداد بعد خلقه؛ إلى أي مصدر بشري أو أي كتاب آخر يُنسب للوحي، وليس إذن إلا أن يكُون دليلاً مُدَّخَرًا للنَّابِهِين العَالِمِين بخفايا التكوين؛ على الوحي وصدق خاتم النبيين.

قال ابن عاشور: "(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) ١٣الرعد: ٨..، جُعِلَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي هَذَا الْمَوْقِعِ لِأَنَّ لَهَا مُنَاسَبَةً بِقَوْلِهِمْ: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) ١٣الرعد:٧، فَإِنَّ مَا ذُكِرَ فِيهَا مِنْ عِلْمِ اللَّهِ وَعَظِيمِ صُنْعِهِ صَالِحٌ لِأَنْ يَكُونَ دَلِيلًا (علميًّا)..، (فقد) ذُكِرَ مِنْ مَعْلُومَاتِ اللَّهِ مَا لَا نِزَاعَ فِي أَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ يَوْمَئِذٍ..، وَتَغِيضُ: تَنْقُصُ..، وَالْمِقْدَارُ..: أَي بِتَقْدِيرٍ، وَمَعْنَاهُ التَّحْدِيدُ وَالضَّبْطُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا مُفَصَّلًا.. بِطَرِيقَةِ التَّمْثِيلِ بِعِلْمِهِ بِالْجُزْئِيَّاتِ الْخَفِيَّةِ..: (وَما تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَما تَزْدادُ)"[٦٤٨].

ويَقْشَعِر الوِجْدَانْ ويَنْعَقِد اللِّسَان ويَسْكُت عَنِ الكَلاَمْ؛ مُصْغِيًا لِرَوَائِع البَيَان فِي غَمْرة تَجَلِّيَات قُدْرَة العَلِي ودَلاَئِل وَحْدَانِيَّتُه، وسَبْق القُرْآن لِحَقِيقَة كَشَفَهَا الزَّمَانْ؛ فِي بِيئَةٍ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَدْنَى اهْتِمَامْ بِخَفَايَا خَلْقِ الإِنْسَانْ، يقول العلي القدير: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٧-٣٩.

[٦٤٧] Wikipedia, the international encyclopedia.

[٦٤٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٣\ ٩٦).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

يقول العلي القدير: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ١٣الرعد:٨و٩، قال الماوردي: "قوله عز وجل: {الله يعلم ما تحمل كل أنثى} قال ابن أبي نجيح: يعلم أذكر هو أم أنثى، ويحتمل وجهاً آخر: يعلم أصالح هو أم طالح، {وما تغيض الأرحام وما تزداد} فيه خمسة تأويلات؛ أحدها: {وما تغيض الأرحام} بالسقط الناقص، {وما تزداد} بالولد التام؛ قاله ابن عباس والحسن، الثاني: {وما تغيض الأرحام} بالوضع لأقل من تسعة أشهر، {وما تزداد} بالوضع لأكثر من تسعة أشهر؛ قاله سعيد بن جبير والضحاك، وقال الضحاك: وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين وولدتني وقد خرجت سني، الثالث: {وما تغيض الأرحام} بانقطاع الحيض في الحمل، {وما تزداد} بدم النفاس بعد الوضع، قال مكحول: جعل الله تعالى دم الحيض غذاء للحمل، الرابع: {وما تغيض الأرحام} بظهور الحيض.. أيام على الحمل؛ وفي ذلك نقص في الولد، {وما تزداد} في مقابلة أيام الحيض من أيام الحمل؛ لأنها كلما حاضت على حملها يوماً ازدادت في طهرها يوماً، حتى يُستكمل حملها تسعة أشهر طهراً؛ قاله عكرمة وقتادة، الخامس: {وما تغيض الأرحام} من وَلَدَته قبل، {وما تزداد} من تَلِدُه من بعد؛ حكاه السدي وقتادة، {وكُلُّ شيءٍ عنده بمقدار} فيه وجهان؛ أحدهما: في الرزق والأجل؛ قاله قتادة، الثاني: فيما تغيض الأرحام وما تزداد؛ قاله الضحاك، ويُحتمل ثالثاً: أن كل شيء عنده من ثواب وعقاب بمقدار الطاعة والمعصية"[٦٤٩].

وقال الألوسي: "قوله تعالى: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى)..: (مَا) يُحتمل أن تكون مصدرية، أي يعلم حمل كل أنثى..، والحمل على هذا بمعنى المحمول، وأن تكون موصولة والعائد محذوف، أي الذي تحمله في بطنها من حين العلوق إلى زمن الولادة؛ لا بعد تكامل الخلق فقط..، وكما جُوِّز في (مَا) هذه الأوجه جُوِّزَت في (مَا) بعدها أيضا..، قيل في نظيره: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) ٣٥فاطر:١١، و٤١فصلت:٤٧، (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) أي.. في الجثة..؛ روي ذلك عن ابن عباس، وفي المدة..، قيل: إن الضحاك ولد لسنتين..، وإلى كون أقصى مدة الحمل أربع سنين؛ ذهب الشافعي، وعند مالك أقصاها خمس، وعند الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أقصاها سنتان؛ وهو المروي عن عائشة رضي الله عنها..، وما يُحكى أنه ولد لبعضهم أربعون في بطن واحدة كل منهم مثل الإصبع وأنهم عاشوا كلهم؛ فالظاهر أنه كذب، وقيل: المُراد نقصان دم الحيض وازدياده؛ رُوي ذلك عن جماعة، وفيه جُعل الدم في الرحم كالماء في الأرض؛ يغيض تارة ويظهر أخرى، وغاض جاء متعديا ولازما كنقص؛ وكذا ازداد..، فإن جعلتهما لازمين لا يجوز أن تكون (مَا) موصولة أو موصوفة لعدم العائد، وإسناد الفعلين كيفما كانا إلى الأرحام..، (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) بقدر.. كقوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) القمر:٤٩..، والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري..، (كأن الشيء موجود طالما قدره تعالى؛ وإن لم يُوجد بعد؛ فهو) علم بالنسبة إليه تعالى، وقيل: معنى عنده في حكمه، (عالِمُ الْغَيْبِ) أي الغائب عن الحس، (وَالشَّهادَةِ) أي الحاضر..، عبر.. بهما مبالغة، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن الغيب السر؛ والشهادة العلانية، وقيل: الأول المعدوم؛ والثاني الموجود..، (الْكَبِيرُ) العظيم الشأن؛ الذي كل شيء دونه، (الْمُتَعالِ) المستعلي على كل شيء في ذاته وعلمه وسائر صفاته سبحانه"[٦٥٠].

وفي تفسير مجمع البحوث: "المعنى: الله يحيط علمه بما تحمله الحوامل من مبدأ الحمل إلى زمن الولادة فلا يخفى عليه شيء مما يتعلق بذات الجنين أو صفاته..، (ومستقبله ومصيره): صالحًا أو طالحًا، أو شقيًا أو سعيدًا..، (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ): أي وكل شيءٍ في علم الله وتقديره..، (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)..: والتعبير عن الغائب والحاضر بالمصدر مُبالغة..، (الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ): الذي تعالى قدره وعظم شأنه؛ واستعلى على سواه؛ في ذاته وصفاته وأفعاله"[٦٥١].

---

[٦٤٩] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٣ ٩٦).

[٦٥٠] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧ ١٠٢).

[٦٥١] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٥ ٤١٤).

وقال أبو زهرة: "(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى): (ما) هنا قد تكون موصولة بمعنى الذي، ويكون السياق: الله جل جلاله يعلم الذي تحمله كل أنثى، والذي تغيض به الأرحام والذي تزداد، وكل شيء عنده بمقدار قدّره، وحدّه وعيّنه، يعلم ما تحمل كل أنثى من ذكورة وأنوثة، ومن حجمه وشكله.. وما قدر له من حياة سعيدة أم شقية، وإيمان.. واستقامة وفجور، وما يكون في قابله هاديا مهديا أو مقيتا شقيا، وغير ذلك مما يكون في حياته البدنية والنفسية وكل ما يتعلق به، يعلم أدوار الحمل من مضغة مخلقة وغير مخلقة، ومن وقت وضعه نطفة في قرار مكين؛ كما قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)، وبقوله سبحانه: (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ)، ويقول تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ)، يعلم الله تعالى ما تحمل كل أنثى من هذه الأطوار كلها طورا بعد طور، وما يعلمه الله هو علم الخالق لما خلق، ومهما يكن متعلقات (ما) في الأرحام؛ فالعلم عند الله علام الغيوب..، (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ): الأرحام جمع رحم، وهو وعاء الولد في بطن أمه الذي تلقى فيه النطفة..، ثم تصير علقة، ثم مضغة..، وتغيض أي تنقص، يستعمل لازما ومتعديا، ومنه غاض الماء، ويقال غضته أي نقصته، ومنه قوله تعالى في قصة الغرق لقوم نوح (وَغِيضَ الْمَاءُ)، و(تَزْدَادُ) فأخذه زائدًا، ومعنى هذا بالنسبة للحمل أن يكون الرحم خاليا من الولد أو يزداد فيه بالحمل ونموه، وتعدده، ويغيض بالخلو من الدم الذي يشتمل على خلايا التولد وامتلائه بهذا الدم، يكون التوالد من نطفة الرجل وخلايا المرأة، وخلاصة القول في هذا؛ أن الذكورة والأنوثة، وكل ما يخص التكوين الخلقي.. هو في علم الله، والله وحده الذي يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد، وإن ذلك كله بعلم الله تعالى وتسييره، ويسير على سنة مرسومة..، ولذا قال تعالى: (وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ)؛ أي كل شيء عنده بمقدار معلوم.. فأدواره مقدورة.. قدرها الله سبحانه وتعالى..، ولذا قال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)..، هو تأكيد ما تضمنته الآية السابقة من علمه بما في الأرحام منذ وجودها فيها ومكنونها وأدوارها وقابلها، وكان التأكيد بذكر عموم علمه للغائب والحاضر، والغيب مصدر غاب، وأطلق على ما يغيب حتى اشتُهر فيه مبالغة في غيبه عن الرؤية والحس، والشهادة من شهد بمعنى حضر، ثم أطلقت على ما هو حاضر محسوس، مبالغة في حضوره والحس به، والمعنى: عالمٌ بما يغيب عن الحس، وما هو محسوس حاضر، وقال (عالم) ولم يقل يعلم؛ للإشارة إلى أسمائه وأنه صفة ملازمة له سبحانه وتعالى، وذكر الغيب والشهادة لإثبات أن علمه واحد بالشاهد والمغيب على سواء؛ لأنه علم محيط لَا يفترق فيه شيء عن شيء، ووصف ذاته العلية بأنه.. (الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)؛ الكبير.. في قدرته وإرادته وكمال سلطانه وتدبيره..، (الْمُتَعَالِ) أي المُتسامي في صفاته.. فلا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)"[٦٥٢].

وقال القاسمي: "لفظ (مَا) في قوله تعالى: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى) مصدرية أو موصولة، أي: حملها أو ما تحمله من الولد على أي حالة هو من ذكورة وأنوثة..، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة، (وَما تَغِيضُ الْأَرْحامُ) أي: تنقص من الحمل، (وَما تَزْدادُ) أي: تأخذه زائدا، قال الزمخشري: ومما تنقصه الرحم وتزداده، عدد الولد فإنها تشمل على واحد. وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة، ويروى أن شريكا كان رابع أربعة في بطن أمه، ومنه جسد الولد فإنه يكون تامّا ومخدجًا (ولادته مُبكرة)، ومنه مدة ولادته فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها، ومنه الدم فإنه يقل ويكثر، (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ) أي: بقدر وحدّ لا يجاوزه.. كقوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ) القمر:٤٩، وقوله: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) الفرقان:٢..، (عالِمُ الْغَيْبِ) أي ما غاب عن الحس، (وَالشَّهادَةِ) أي ما شهده الحس، (الْكَبِيرُ) أي العظيم الشأن الذي كل شيء دونه، (الْمُتَعالِ) أي المُستعلي على كل شيء بقدرته"[٦٥٣].

وقال أطفيش: "{الله يعْلَم ما تحْمِل كلُّ أنثى}..؛ أي يعلم ما تحمله الأنثى قبل أن تحمله (و) في حال الحمل على أي حال من أحواله الحاضرة والمُترقبة..: {وما تَغيضُ الأرْحامُ وما تزْدادُ}..؛ أي وغيض الأرحام وازديادها، والغيض النقص، يستعمل متعديا كقوله تعالى: {وغيض الماء}؛ فالماء مفعول به ناب عن الفاعل، ولازما نحو: غاض الماء، أي نقص بنفسه، وكذا ازداد..، (و) إسناد الغيض والازدياد للأرحام..؛ فإسنادهما إلى الأرحام حقيقة،"[٦٥٤].

---

[٦٥٢] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٧ ٣٩٠٥).

[٦٥٣] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٦ ٢٦٢).

[٦٥٤] محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش؛ هميان الزاد إلى دار المعاد، موقع التفاسير، ترقيم الشاملة (١٩ ٣١٩).

وقال الرازي: "(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) ١٣الرعد: ٨؛ احْتَجَّ عَلَى كَوْنِهِ تَعَالَى عَالِمًا بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ.. لَفْظُ (مَا) فِي قَوْلِهِ: (مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى وَما تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَما تَزْدادُ)؛ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً (بمعنى الذي) وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً، فَإِنْ كَانَتْ مَوْصُولَةً فَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْوَلَدِ.. مِنَ الْأَحْوَالِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُتَرَقَّبَةِ.. ثم قال: (وَما تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَالْغَيْضُ هُوَ النُّقْصَانُ سَوَاءٌ كَانَ لَازِمًا أَوْ مُتَعَدِّيًا؛ يُقَالُ: غَاضَ الماء وغضته أَنَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَغِيضَ الْماءُ) هُودٍ: ٤٤، وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ وَمَا تَغِيضُهُ الْأَرْحَامُ إِلَّا أَنَّهُ حَذَفَ الضَّمِيرَ الرَّاجِعَ، وَقَوْلُهُ: (وَما تَزْدادُ) أَيْ تَأْخُذُهُ زِيَادَةً، تَقُولُ: أَخَذْتُ مِنْهُ حَقِّي وَازْدَدْتُ مِنْهُ كَذَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَازْدادُوا تِسْعاً) الْكَهْفِ:٢٥، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَا تَغِيضُهُ الرَّحِمُ وَتَزْدَادُهُ عَلَى وُجُوهٍ. الْأَوَّلُ: عَدَدُ الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّحِمَ قَدْ يَشْتَمِلُ عَلَى وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ وَعَلَى ثَلَاثَةٍ وَأَرْبَعَةٍ يُرْوَى أَنَّ شَرِيكًا كَانَ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ فِي بَطْنِ أُمِّهِ. الثَّانِي: الْوَلَدُ قَدْ يَكُونُ مُخَدَّجًا (ولادته مُبكرة)، وَقَدْ يَكُونُ تَامًّا، الثَّالِثُ: مُدَّةُ وِلَادَتِهِ قَدْ تَكُونُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَأَزْيَدَ عَلَيْهَا إِلَى سَنَتَيْنِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِلَى أَرْبَعَةٍ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَإِلَى خَمْسٍ عِنْدَ مَالِكٍ.. الرَّابِعُ: الدَّمُ فَإِنَّهُ تَارَةً يَقِلُّ وَتَارَةً يَكْثُرُ. الْخَامِسُ: مَا يَنْقُصُ بِالسَّقْطِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتِمَّ وَمَا يَزْدَادُ بِالتَّمَامِ، السَّادِسُ: مَا يَنْقُصُ بِظُهُورِ دَمِ الْحَيْضِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا سَالَ الدَّمُ فِي وَقْتِ الْحَمْلِ ضَعُفَ الْوَلَدُ وَنَقَصَ.. السَّابِعُ: أَنَّ دَمَ الْحَيْضِ فَضْلَةٌ تَجْتَمِعُ فِي بَطْنِ الْمَرْأَةِ فَإِذَا امْتَلَأَتْ عُرُوقُهَا مِنْ تِلْكَ الْفَضَلَاتِ فَاضَتْ وَخَرَجَتْ، وَسَالَتْ مِنْ دَوَاخِلِ تِلْكَ الْعُرُوقِ.. هَذَا كُلُّهُ إِذَا قُلْنَا إِنَّ كَلِمَةَ (مَا) مَوْصُولَةٌ، أَمَّا إِذَا قُلْنَا إِنَّهَا مَصْدَرِيَّةٌ؛ فَالْمَعْنَى: أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ حَمْلَ كُلِّ أُنْثَى وَيَعْلَمُ غَيْضَ الْأَرْحَامِ وَازْدِيَادَهَا.. وَأما قوله تَعَالَى: (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ) فَمَعْنَاهُ: بِقَدَرٍ وَاحِدٍ.. كَقَوْلِهِ: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ) الْقَمَرِ: ٤٩، وَقَوْلُهُ..: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) الْفُرْقَانِ:٢، وَاعْلَمْ أن قوله: (كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ)؛ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْعِنْدِيَّةِ الْعِلْمَ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ كَمِّيَّةَ كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْفِيَّتَهُ عَلَى الوجه الْمُفَصَّلِ الْمُبَيَّنِ.. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْعِنْدِيَّةِ أَنَّهُ تَعَالَى خَصَّصَ كُلَّ حَادِثٍ بِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ وَحَالَةٍ مُعَيَّنَةٍ بِمَشِيئَتِهِ الْأَزَلِيَّةِ وَإِرَادَتِهِ السَّرْمَدِيَّةِ.. ثم قال تَعَالَى: (عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ)؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يُرِيدُ علم ما غاب عن خَلْقُهُ وَمَا شَهِدُوهُ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: فَعَلَى هَذَا (الْغَيْبُ) مَصْدَرٌ يُرِيدُ بِهِ الْغَائِبَ، (وَالشَّهَادَةُ) أَرَادَ بِهَا الشَّاهِدَ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: الْغَائِبُ هُوَ الْمَعْلُومُ (لله تعالى وحده) وَالشَّاهِدُ هُوَ الْمَوْجُودُ، وَقَالَ آخَرُونَ: الْغَائِبُ مَا غَابَ عَنِ الْحِسِّ وَالشَّاهِدُ مَا حَضَرَ، وَقَالَ آخَرُونَ: الْغَائِبُ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْخَلْقُ، وَالشَّاهِدُ مَا يَعْرِفُهُ الْخَلْقُ، وَنَقُولُ: الْمَعْلُومَاتُ قِسْمَانِ: الْمَعْدُومَاتُ (التي لم تقع بعد) وَالْمَوْجُودَاتُ.. وَالْكُلُّ مَعْلُومٌ لِلَّهِ تَعَالَى.. وَهُوَ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ الْأَحْوَالِ عَلَى التَّفْصِيلِ.. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ عَقِيبَهُ قَوْلَهُ: (الْكَبِيرُ) وَهُوَ تَعَالَى يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ كَبِيرًا بِحَسَبِ الْجُثَّةِ وَالْحَجْمِ وَالْمِقْدَارِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَبِيرًا بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ.. ثُمَّ وَصَفَ تَعَالَى نَفْسَهُ بِأَنَّهُ (الْمُتَعَالِ) وَهُوَ الْمُتَنَزِّهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ.. فَهَذِهِ الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى كَوْنِهِ تَعَالَى مَوْصُوفًا بِالْعِلْمِ الْكَامِلِ وَالْقُدْرَةِ التَّامَّةِ.. وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ تَعَالَى قَادِرًا عَلَى الْبَعْثِ"[٦٥٥].

وقال المراغي: "الغيض: النقصان؛ يقال غاض الماء، وغضته كما قال (وَغِيضَ الْماءُ)، (بمقدار) أي بأجل لا يتجاوزه ولا ينقص عنه، والغائب: ما غاب عن الحس، والشاهد: الحاضر المشاهد، الكبير: العظيم الشأن، والمتعالي: المُستعلي على كل شيء..، (اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى) من ذكر أو أنثى، واحد أو متعدد، طويل العمر أو قصيره، كما قال: (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ)، وقال (وَيَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ)، (وَما تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) أي وما تنقصه الأرحام وما تزداده من عدد في الولد، فقد يكون واحدا وقد يكون اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة، ومن جسده فقد يكون تامّا وقد يكون ناقص.. مُخَدَّج (يولد مُبكرًا)، ومن مدة الحمل فقد تكون أقل من تسعة أشهر، وقد تكون تسعة إلى عشرة أشهر..، (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ) أي ولكل شيء ميقات معيّن لا يعدوه"[٦٥٦].

---

[٦٥٥] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٩\ ١٤).

[٦٥٦] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١١٣\ ٧٤).

وقال ابن عاشور: "(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) ١٣الرعد: ٨و٩..، جُعِلَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي هَذَا الْمَوْقِعِ لِأَنَّ لَهَا مُنَاسَبَةً بِقَوْلِهِمْ: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) ١٣الرعد:٧، فَإِنَّ مَا ذُكِرَ فِيهَا مِنْ عِلْمِ اللَّهِ وَعَظِيمِ صُنْعِهِ صَالِحٌ لِأَنْ يَكُونَ دَلِيلًا.. بِالتَّنْبِيهِ إِلَى مَا قَدْ يَخْفَى مِنْ دَقَائِقِ التَّكْوِينِ.. فَصِيغَ الْخَبَرُ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ الْمُفِيدِ لِلتَّجَدُّدِ وَالتَّكْرِيرِ لِإِفَادَةِ أَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ مُتَكَرِّرٌ مُتَجَدِّدُ التَّعَلُّقِ بِمُقْتَضَى أَحْوَالِ الْمَعْلُومَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ وَالْمُتَكَاثِرَةِ عَلَى نَحْوِ مَا قُرِّرَ فِي قَوْلِهِ: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ) الرَّعْد:٢، وَذُكِرَ مِنْ مَعْلُومَاتِ اللَّهِ مَا لَا نِزَاعَ فِي أَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ يَوْمَئِذٍ.، وَتَغِيضُ: تَنْقُصُ.، وَالْمِقْدَارُ..: أَيِ بِتَقْدِيرٍ، وَمَعْنَاهُ التَّحْدِيدُ وَالضَّبْطُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا مُفَصَّلًا..؛ بِطَرِيقَةِ التَّمْثِيلِ بِعِلْمِهِ بِالْجُزْئِيَّاتِ الْخَفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ)، وَجُمْلَةُ (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) تَذْيِيلٌ.. لِتَعْمِيمِ الْعِلْمِ بِالْخَفِيَّاتِ وَالظَّوَاهِرِ وَهُمَا قِسْمَا الْمَوْجُودَاتِ..، وَأَمَّا الشَّهَادَةِ فَهِيَ هُنَا مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، أَيِ الْأَشْيَاءُ الْمَشْهُودَةُ وَهِيَ الظَّاهِرَةُ الْمَحْسُوسَةُ؛ الْمَرْئِيَّاتُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ، فَالْمَقْصُودُ.. تَعْمِيمُ الْمَوْجُودَاتِ كَقَوْلِهِ: (فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ وَما لَا تُبْصِرُونَ) الحاقة:٣٨و٣٩، وَالْكَبِيرُ: مَجَازٌ فِي الْعَظَمَةِ؛ إِذْ قَدْ شَاعَ اسْتِعْمَالُ أَسْمَاءِ الْكَثْرَةِ وَأَلْفَاظِ الْكِبَرِ فِي الْعَظَمَةِ تَشْبِيهًا لِلْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ..، وَالْمُتَعَالِي: الْمُتَرَفِّعُ، وَصِيغَتِ الصِّفَةُ بِصِيغَةِ التَّفَاعُلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْعُلُوَّ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لَهُ.. أَيِ الرَّفِيعُ رِفْعَةً وَاجِبَةً لَهُ..، وَالْمُرَادُ بِالرِّفْعَةِ هَنَا الْمَجَازُ عَنِ الْعِزَّةِ التَّامَّةِ؛ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ مَوْجُودٌ أَنْ يَغْلِبَهُ أَوْ يُكْرِهَهُ، أَوِ الْمُنَزَّهُ عَنِ النَّقَائِصِ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ) النَّحْل:٣"[٦٥٧].

وقال الشنقيطي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى)؛ لَفْظَةُ (مَا) فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، أَيْ يَعْلَمُ الَّذِي تَحْمِلُهُ كُلُّ أُنْثَى، وَعَلَى هَذَا فَالْمَعْنَى: يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْوَلَدِ عَلَى أَيِّ حَالٍ هُوَ مِنْ ذُكُورَةٍ وَأُنُوثَةٍ.، وَسَعَادَةٍ، وَشَقَاوَةٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَقَدْ دَلَّتْ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى آيَاتٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ: (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) ٣١لقمان:٣٤؛ لِأَنَّ (مَا) فِيهِ مَوْصُولَةٌ بِلَا نِزَاعٍ، وَكَقَوْلِهِ: (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) ٥٣النجم:٣٢، وَقَوْلِهِ: (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) ٣آل عمران:٦، وَيُحْتَمَلُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَفْظَةَ (مَا) فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَصْدَرِيَّةً، أَيْ يَعْلَمُ حَمْلَ كُلِّ أُنْثَى بِالْمَعْنَى الْمَصْدَرِيِّ (أي أن المصدر: حَمْلَ)، وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ تَدُلُّ أَيْضًا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، كَقَوْلِهِ: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) ٣٥فاطر:١١، وَقَوْلِهِ: (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) ٤١فصلت:٤٧.، فِي.. هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ.. الْآيَةَ قَدْ يَكُونُ لَهَا وَجْهَانِ كِلَاهُمَا حَقٌّ، وَكِلَاهُمَا يَشْهَدُ لَهُ قُرْآنٌ، فَنَذْكُرُ الْجَمِيعَ.، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ عَلَى أَنَّ عِلْمَ مَا فِي الْأَرْحَامِ الْمَنْصُوصَ عَلَيْهِ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ، مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ هُوَ مَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِمَفَاتِحِ الْغَيْبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) ٦الأنعام:٥٩، الْخَمْسُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) ٣١لقمان:٣٤، وَالِاحْتِمَالَانِ الْمَذْكُورَانِ فِي لَفْظَةِ (مَا) مِنْ قَوْلِهِ: (يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى)؛ جَارِيَانِ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ)، فَعَلَى كَوْنِهَا مَوْصُولَةً فِيهِمَا؛ فَالْمَعْنَى يَعْلَمُ الَّذِي تَنْقُصُهُ وَتَزِيدُهُ، وَعَلَى كَوْنِهَا مَصْدَرِيَّةً؛ فَالْمَعْنَى يَعْلَمُ نَقْصَهَا وَزِيَادَتَهَا، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ: (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ)..، قِيلَ: الْغَيْضُ وَالزِّيَادَةُ يَرْجِعَانِ إِلَى الْوَلَدِ، كَنُقْصَانِ إِصْبَعٍ وَغَيْرِهَا، وَزِيَادَةِ إِصْبَعٍ وَغَيْرِهَا، وَقِيلَ: الْغَيْضُ: انْقِطَاعُ دَمِ الْحَيْضِ، وَمَا تَزْدَادُ: بِدَمِ النِّفَاسِ بَعْدَ الْوَضْعِ.، وَقِيلَ تَغِيضُ: تَشْتَمِلُ عَلَى وَاحِدٍ، وَتَزْدَادُ: تَشْتَمِلُ عَلَى تَوْأَمَيْنِ فَأَكْثَرَ.، مَرْجِعُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ؛ وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِمَا تَنْقُصُهُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِيدُهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَى تَغِيضُ: تَنْقُصُ، وَتَزْدَادُ أَيْ: تَأْخُذُهُ زَائِدًا، فَيَشْمَلُ النَّقْصَ الْمَذْكُورَ: نَقْصَ الْعَدَدِ، وَنَقْصَ الْعُضْوِ مِنَ الْجَنِينِ، وَنَقْصَ جِسْمِهِ إِذَا حَاضَتْ عَلَيْهِ فَتَقَلَّصَ، وَنَقْصَ مُدَّةِ الْحَمْلِ بِأَنْ تُسْقِطَهُ قَبْلَ أَمَدِ حَمْلِهِ الْمُعْتَادِ، كَمَا أَنَّ الِازْدِيَادَ يَشْمَلُ: زِيَادَةَ الْعُضْوِ، وَزِيَادَةَ الْعَدَدِ، وَزِيَادَةَ جِسْمِ الْجَنِينِ إِنْ لَمْ تَحِضْ وَهِيَ حَامِلٌ، وَزِيَادَةَ أَمَدِ الْحَمْلِ عَنِ الْقَدْرِ الْمُعْتَادِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ.، أَمَّا أَكْثَرُ أَمَدِ الْحَمْلِ فَلَمْ يَرِدْ فِي تَحْدِيدِهِ شَيْءٌ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَالْعُلَمَاءُ مُخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَكُلُّهُمْ يَقُولُ بِحَسَبِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ أَحْوَالِ النِّسَاءِ، فَذَهَبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّ أَقْصَى أَمَدِ الْحَمْلِ: أَرْبَعُ سِنِينَ، وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ الْمَشْهُورَتَيْنِ عَنْ مَالِكٍ، وَالرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ الْأُخْرَى عَنْ مَالِكٍ: خَمْسُ سِنِينَ، وَذَهَبَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّ أَقْصَاهُ: سَنَتَانِ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ، وَهُوَ مَذْهَبُ الثَّوْرِيِّ، وَبِهِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعَنِ اللَّيْثِ: ثَلَاثُ سِنِينَ،

---

[٦٥٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٣\ ٩٦).

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: سِتٌّ، وَسَبْعٌ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ: سَنَةٌ لَا أَكْثَرَ، وَعَنْ دَاوُدَ: تِسْعَةُ أَشْهُرٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ لَا أَصْلَ لَهَا إِلَّا الِاجْتِهَادُ، وَالرَّدُّ إِلَى مَا عُرِفَ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ"[٦٥٨].

وقال أحمد حطيبة: "{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} الرعد:٨؛ فإنه سبحانه يُزيد الرحم شيئاً فشيئاً حتى يكون هذا الجنين في الشهر التاسع، ثم يخرج هذا الجنين إلى الدنيا، وقوله: {وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ} الرعد:٨؛ أي: ما تكون عليه من نطفة.. وغاض الرحم..، والإنسان معلوم أنه لا يعرف ما يكون من شأن هذه النطفة؛ فلا يعرف هل سوف يعيش جنينها أم يموت، وإذا عاش هل سيكون شقياً أم سعيداً، وإذا كتب له الحياة فكم سوف يكون عمر هذا الإنسان في هذه الدنيا، وكيف سيكون عمله فيها..، وهل يوم القيامة سيكون من أهل الجنة أم من أهل النار؟، ولذا فإن علم الله سبحانه تبارك وتعالى لما في الأرحام هو العلم المحيط بكل شئونها..، (و) العلم المحيط بكل أمور الحنين..، فهو وحده يعلم ما في الأرحام، ويعلم كل شيء عن هذا الذي كُوِّن في رحم المرأة"[٦٥٩].

وقال المغامسي: "قال تعالى: {وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ} الرعد:٨، تغيض: أي تنقص..، والمُعاصرون من العلماء يقولون: إن تفسير العلم الحديث للقرآن سلك بهذه المسألة مسلكاً آخر، وهي قضية وجود النطفة في الرحم..، فنقول: إن الله جل وعلا جعل الرحم مستقراً للنطفة؛ لأن الله لما ذكر النطفة قال: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} المؤمنون:١٣؛ وهو الرحم الذي فيه يتكون المخلُوق، ويقول الله هنا: {وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ} الرعد:٨"[٦٦٠].

وقال ناصر مكارم: "(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى) في رحمها..، (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ) أي تَنْقُص..، (وما تزداد)..، تُشير إلى ثلاث حالات مختلفة للرحم أيّام الحمل.. (و) جملة (تَحْمِلُ) المقصُود منها الجنين"؛ أي حمل خفيف أول تكوينه، وقال: "أشار القرآن المجيد مراراً إلى مسألة الجنين وعجائب تكوينه ليكون أحد الأدلّة على التوحيد ومعرفة الله وعلمه المُطلق، وبالطبع فإنّ علم الأجنّة واحد من العلوم الحديثة وكان سابقاً عبارة عن معلومات أوّليّة محدودة ثمّ توسعت في هذا العصر. ولكن بتقدّم العلم والمعرفة حدثت قفزة في هذا المجال كشفت عن كثير من أسرار هذا العالم.. وعن كثير من عجائبه بحيث نستطيع أن نقول: إنّ أكبر درس للتوحيد ومعرفة الله كامنٌ في تكوين الجنين ومراحل تكامله..، وعندما تقول الآية السابقة: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى)؛ فليس المقصُود من علمه بالذكر والأنثى فقط بل بكلّ خصائصه..، وعلى هذا فإنّ وجود هذا النظام الدقيق والمعقّد للجنين ومراحل تكامله لا يمكن أن يكون بدون صانع عالم وقدير..، (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ).. تشير إلى أنّه ليس هناك شيء في العالم بدون.. حساب دقيق..، وأساساً فإنّ معنى حكمة الله هو أن يجعل لكلّ ما في الكون حدّاً ومقداراً ونظاماً، وكلّ ما حصلناه اليوم من أسرار الكون بواسطة العلوم يؤكّد هذه الحقيقة، وإذا ما قلنا: إنّ الله عالم الغيب والشهادة؛ فهو ما نعتبره نحن غيب وشهادة، أمّا هو؛ فَهُمَا عنده سواء"[٦٦١].

وقال محمد حسين: ""(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) الرعد:٨..؛ غَاضَ الشَّيْءُ وغَاضَهُ غيره؛ نحو نَقُصَ ونَقَّصَهُ غيره، قال تعالى: "(غِيضَ الْمَاءُ) ١١هود:٤٤، و(تَغِيضُ الأَرْحَامُ).. وعلى هذا فالأنسب أن تكون الأمور الثلاثة المذكورة في الآية أعني قوله: "ما تحمل كل أنثى" و "ما تغيض الأرحام" و "ما تزداد" إشارة إلى ثلاثة من أعمال الأرحام في أيام الحمل، فما تحمله كل أنثى هو الجنين الذي.. تحفظه..، وأكثر المفسرين على أن المراد بما تغيض الأرحام الوقت الذي تنقصه الأرحام من مدة الحمل و هي تسعة أشهر، و المراد بما تزداد ما تزيد على ذلك، وفيه خلو عن شاهد يشهد عليه فإن الغيض بهذا المعنى نوع من الاستعارة التي لا غنى لها عن القرينة..، ويروى عن بعضهم أن المراد بما تغيض الأرحام ما تنقص عن أقل مدة الحمل وهي ستة أشهر وهو السقط وبما تزداد ما يولد لأقصى مدة الحمل..، وعن بعض آخر أن الغيض: النقصان من الأجل، والازدياد: الازدياد فيه، ويَرُد على الوجهين ما أوردناه على سابقهما..، وقوله (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ): المقدار هو الحد الذي يحد به الشيء ويتعين..، فإذا كان الشيء محدودا بحد لا يتعداه.. عند الله و بأمره..؛ لا يغيب عن علمه شيء، كما قال: (إن الله على كل شيء شهيد) الحج:١٧، وقال: (ألا إنه بكل شيء محيط) السجدة:٥٤، وقال: (لا يعزب عنه مثقال ذرة) سبأ:٣..، فذيل الآية؛

---

[٦٥٨] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (١٢ ٢٢٣).

[٦٥٩] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة؛ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٢٣٥).

[٦٦٠] أبو هاشم صالح بن عوّاد المغامسي؛ تأملات قرآنية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٢٤ ٤).

[٦٦١] نَاصِر مَكارم الشِيرازي؛ الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الموقع الرسمي للمؤلف (١٧ ٣٤٧).

أعني قوله (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)، تعليل لصدرها؛ أعني قوله (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ)..: الله يعلم بكل شيء، ويقدر على كل شيء. ويخضع له كل شيء؛ فهو أحق بالربوبية"[٦٦٢].

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Wombs contraction

غيض الأرحام

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ. اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ١٣الرعد:٧-٩.
- ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ٣١لقمان:٣٤.
- ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ٣٥فاطر:١١ و ٤١فصلت:٤٧.
- ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ٣آل عمران:٦.
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٥٦الواقعة:٦٢.
- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ. أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ٥٦الواقعة:٥٨و٥٩.
- ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠-٢٣.
- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ ٨٦الطارق:٥و٦.
- ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ ٢٤النور:٤٥.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٤.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٤٠.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ٢٢الحج:٥.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ٣٥فاطر:١١.
- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ٧١نوح:١٣و١٤.
- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ١٦النحل:٤.
- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ ١٨الكهف:٣٧.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ٣٦يس:٧٧.

---

[٦٦٢] محمد حسين المعروف بـالعلامة الطباطبائي؛ تفسير الميزان، موقع الكوثر، ترقيم المكتبة الشاملة (١١١ ١٦٢).

- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦.
- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ٨٠عبس:١٧-٢٠.
- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٥٧الحديد:٢٢.
- ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ ٢البقرة:٢٢٨.
- ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ٣آل عمران:٦.
- ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ ٦الأنعام:١٤٣و١٤٤.
- ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ٢٢الحج:٥.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ٣١لقمان:٣٤.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٣٥فاطر:١١.
- ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ٤١فصلت:٤٧.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ ٤٩الحجرات:١٣.
- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦.
- ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ٩٢الليل:٣.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ٧الأعراف:١٨٩.
- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ٣٥فاطر:١٨.
- ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ١٩مريم:٢٢.
- ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ٢٢الحج:٢.
- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ ٣١لقمان:١٤.
- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٤٦الأحقاف:١٥.
- ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ٦٥الطلاق:٤.
- ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ ٦٥الطلاق:٦.
- ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ١١هود:٤٤.
- ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا. أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ ١٨الكهف:٤٠و٤١.
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ٦٧الملك:٣٠.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٠.
- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:١٠٦.
- ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٩.

- ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٣١.
- ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٨٢.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ٤النساء:٣٢.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ ٤النساء:٨٦.
- ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ ١٨الكهف:٤٥.
- ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٢.
- ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ٢٧النمل:٨٨.
- ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ٣٢السجدة:٧و٨.
- ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ٣٣الأحزاب:٢٧.
- ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ٣٣الأحزاب:٤٠.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ٥٤القمر:٤٩.
- ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ٦٥الطلاق:٣.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٤٠غافر:٦٧.
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٧٦الإنسان:٢.
- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ٨٠عبس:١٧-٢٠.
- ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ ٧٥القيامة:٣٧و٣٨.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤.
- ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ٧الأعراف:١٨٩.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ ٤٩الحجرات:١٣.
- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨٢الإنفطار:٦-٨.
- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٦النحل:٧٨.
- ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ٣٩الزمر:٦.
- ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ ٥٣النجم:٣٢.
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ٧٠المعارج:٣٩.
- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا. إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٧٦الإنسان:١و٢.
- ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ١٩مريم:٦٧.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ٦الأنعام:٢.
- ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ٢البقرة:٢٢٣.

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ١٣الرعد: ١٠و١١.

Paragraph الفَقْرَة

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ ١٣الرعد: ١٠-١٣.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾، ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾، ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾، ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

It is the same; whether anyone of you conceal his speech or declare it openly, whether he be hid by the night (side of the earth) **or walk forth freely by the day** (side of the earth)**; he always has guardians arranged in succession,** (particularly) **before him and behind him to protect him** (from a celestial harm)**,** (they have been prepared) **by the order of Allah** (no one else)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

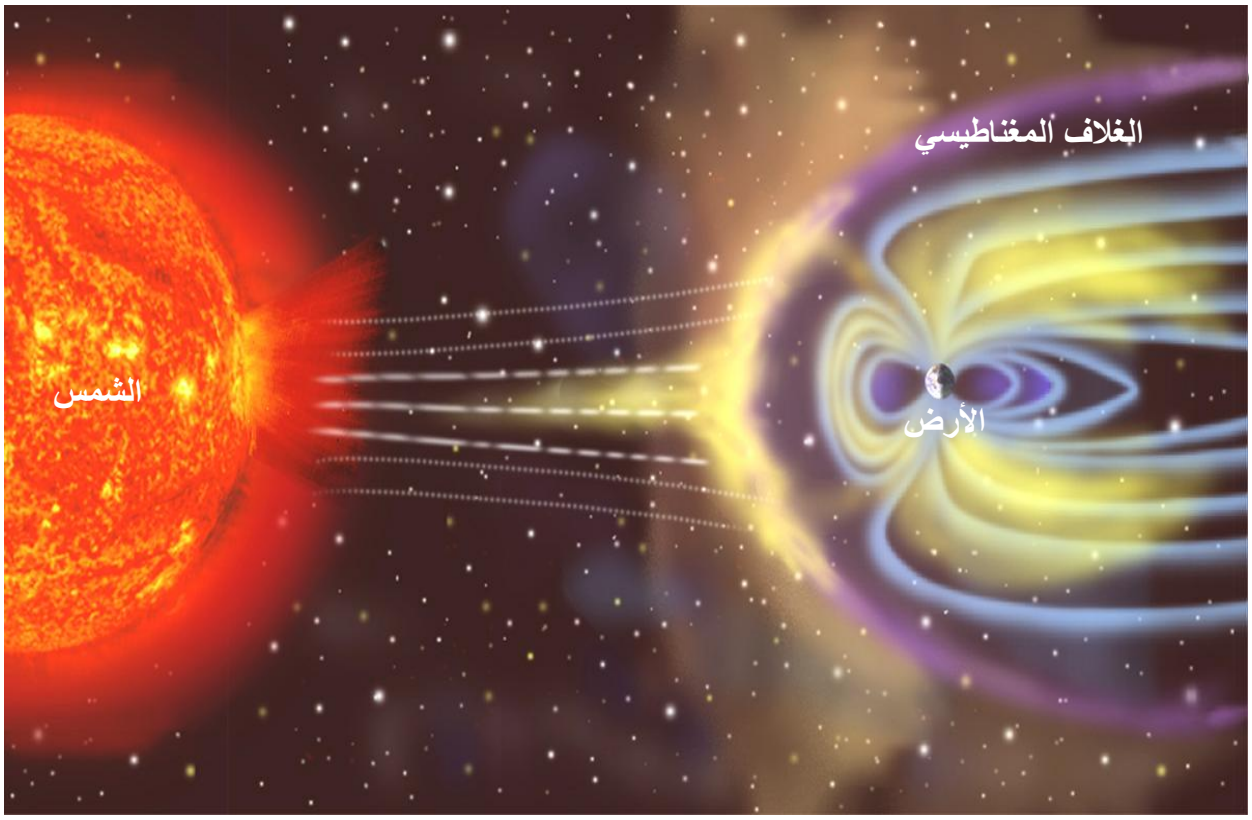

(١) الغلاف المغناطيسي:

فان ألن Van Allen
(١٩١٤-٢٠٠٦)

في عام ١٩٥٨ اكتشف فان ألن Van Allen (١٩١٤-٢٠٠٦) حزام من الإشعاعات الكونية بواسطة القمر الصناعي المستكشف١ (Explorers 1)، وقدّر ارتفاع الكثافة الإشعاعية العظمى عند حوالي ٦٠٠٠ كم؛ والذي يقارب نصف قطر الأرض، تلي ذلك إرسال قمر صناعي آخر (Explorer 3) فاكتشف حزام إشعاعات آخر سمي الحزام الإشعاعي الخارجي، وسميت بأحزمة فان ألن Van Allen Belts، وفي عام ١٩٥٩ سماها توماس جولد Thomas Gold (١٩٢٠-٢٠٠٤) الغلاف المغناطيسي للأرض Magnetosphere، وقد اكتشفت مؤخراً أحزمة أخرى تتشكل وتختفي تبعا للنشاط الشمسي، ففي عام ٢٠١٣ أعلنت وكالة ناسا للفضاء عن اكتشاف المجسات الفضائية لطبقة انتقالية ثالثة استمرت نحو شهر قبل أن تختفي، ويمتد الحزام الأول ما بين ١,١ و٣,٣ مرة قدر نصف قطر الأرض ويحتوي على بروتونات وأيونات أكسجين ونوى هليوم (جسيمات ألفا)، بينما يمتد الخارجي ما بين ٣-٩ مرات قدر نصف قطر الأرض، ويشغل معظمه إلكترونات تصل ذروة كثافتها عند ارتفاع يساوي ٤ مرات نصف قطر الأرض، ويتصف الحزام الأول باستقرار عالٍ بالمقارنة مع الاستقرار الضعيف للحزام الخارجي الذي يتغير تغيراً كبيراً وخاصة عند ذروة نشاط البقع الشمسية، وفي يوم ٢٦ فبراير عام ٢٠٠٨ تمكنت الأقمار الصناعية من رصد عاصفة شمسية من على بعد حوالي ثلث المسافة إلى القمر قبل حدوث الشفق القطبي بحوالي: ٩٦ ثانية، ويتعدى الاهتمام الحالي بالأحزمة الإشعاعية الفضول العلمي ليصل إلى ما يُمكن أن تسببه من أضرار شأنها شأن الإشعاعات الكونية الأخرى؛ على السفن الفضائية وما تحمله من أجهزة إلكترونية، بل وحتى على رواد الفضاء أنفسهم؛ إذا مكثوا كثيرًا حين تجاوزها.

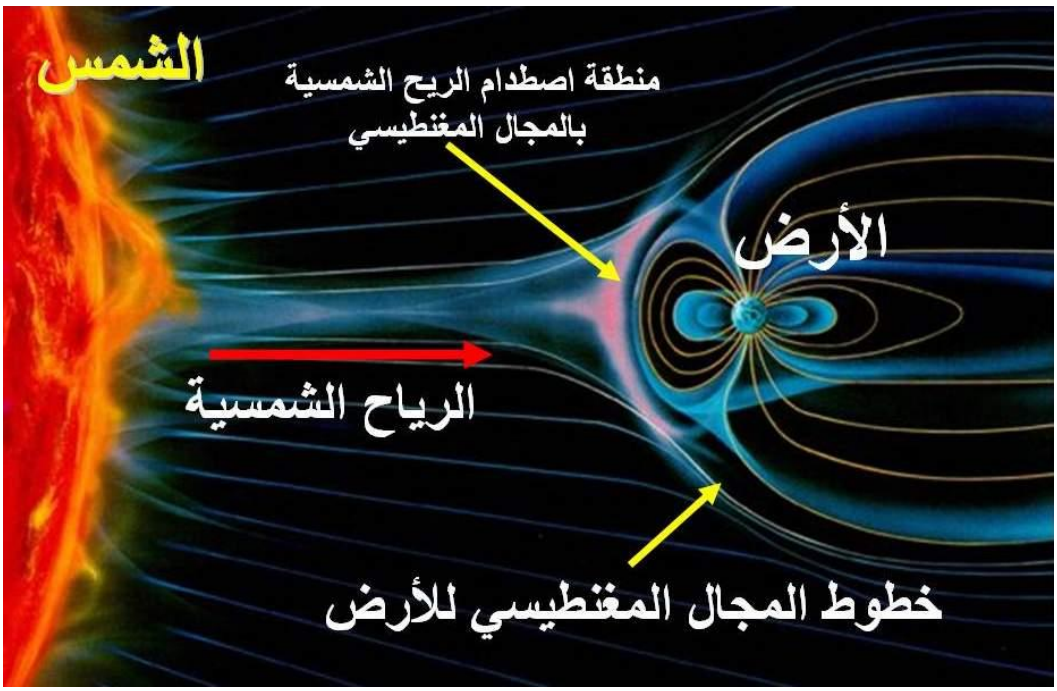

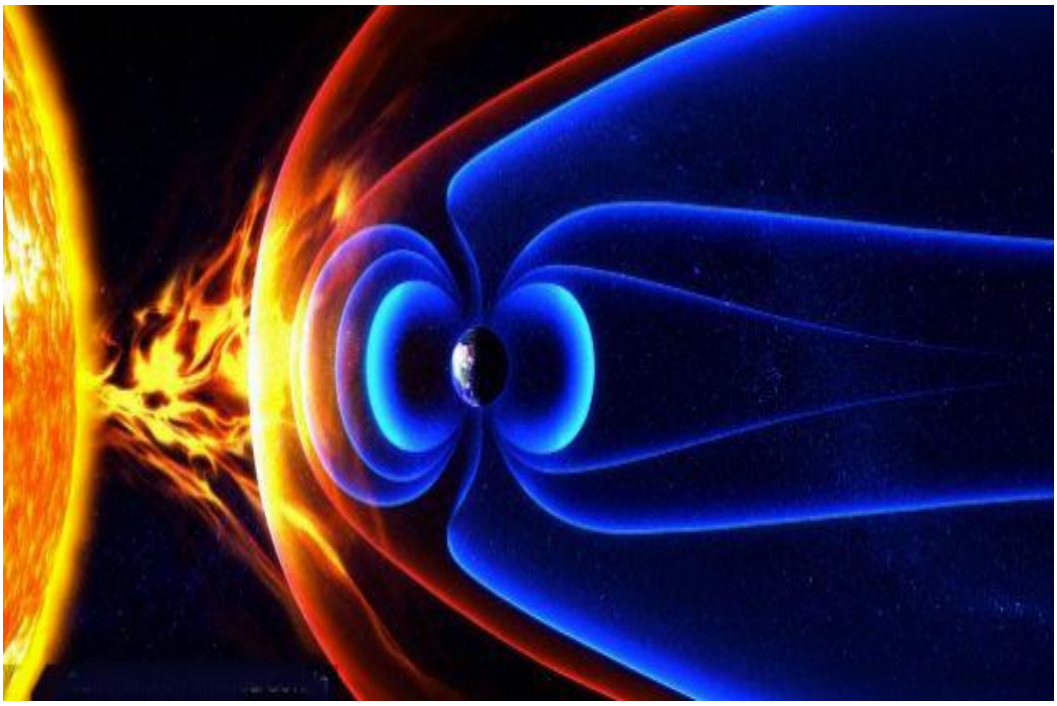

وحزام فان ألن عبارة عن طوق من الإشعاعات المؤينة عالية الطاقة مُكونة من الجسيمات المشحونة (بلازما)، وهو يُحيط بالأرض، ويقع في مصيدة قوى الحقل المغناطيسي الأرضي التي تتلاحق مُتعاقبة وتتشكل كجدر حافظة، ويتكون هذا الحزام من أيونات كالبروتونات مُوجبة الشحنة والإلكترونات سالبة الشحنة وينجم أساسا بسب الرياح الشمسية Solar Wind وكذلك الأشعة الكونية Cosmic Rays، ولا يتوزع هذا الحزام بشكل متناظر حول الأرض، ففي جهة النهار في مواجهة الشمس يتضاغط بسبب تأثير الرياح الشمسية؛ بينما في الطرف المقابل يتمدد إلى خلف القمر، ويتكون من قسمين خارجي وداخلي بينهما فجوة تدعى فجوة الحزام الإشعاعي Radiation-Belt Gap، وفي القسم الخارجي تتواجد فيه إلكترونات مشحونة نشطة، ويبلغ ارتفاعه حوالي: ١٣ ألف إلى ١٩ ألف كم فوق سطح الأرض، أما أكثر المناطق شدة في الحقل فتكون على ارتفاع حوالي: من ٤ إلى ٥ مثل قطر الأرض، أما الجزء الداخلي من حزام فان ألن فيحتوي على الإلكترونات والبروتونات ويبلغ ارتفاعه حوالي: ١٠ ألف إلى ١٣ ألف كيلومتر عن سطح الأرض، ويهبط أحياناً إلى: ٢٠٠ كيلومتر في بعض حالات النشاط الشمسي القوى، كما يحتوي الحزام على أنواع أخرى من الأنوية المشحونة مثل نواة الهليوم (جسيمات ألفا)، ويرتبط حزام فان ألن بظاهرة الشفق القطبي عندما تضرب الجسيمات المشحونة الجزء العلوي من الغلاف الجوي، وتتجنب المركبات الفضائية الطيران في المناطق العالية الإشعاع لأنها تتلف الألواح الشمسية وتؤثر على المعدات الالكترونية وحتى الرواد.

(٢) الشفق القطبي:

الشفق القطبي aurora هو مزيج من الألوان الخلابة، ويعرف أيضاً باسم الفجر القطبي أو الأضواء القطبية لأنه يزين سماء القطبين الشمالي والجنوبي للكرة الأرضية، ويرجع إلى الرياح الشمسية التي تدخل جو الأرض، وتحدث العواصف المغناطيسية الكبيرة خلال ذروة دورة البقع الشمسية التي تحدث كل أحد عشر سنة، والشفق القطبي يحدث في منطقة على شكل حلقة نصف قطرها يقرب من ٢٥٠٠ كم حول القطب المغناطيسي للأرض، والشفق القطبي يُرى كذلك في القارة القطبية الجنوبية وأمريكا الجنوبية ونيوزيلندا وأستراليا، ويظهر الشفق القطبي بهيئات مختلفة مثل توهج منتشر أو ستائر أو أقواس ويتغير باستمرار، وقد يستمر لفترة من الليل أو يمتد لفترة أطول خلال الليل، ويبدو بألوان مختلفة مثل الأخضر والأحمر والأزرق والأصفر والوردي والبنفسجي نتيجة تفاعل الأيونات المشحونة مع ذرات العناصر مثل الأكسجين والنيتروجين، والسبب الأساسي ينطوي على تفاعل الرياح الشمسية مع المجال المغنطيسي للأرض، ومسارات الجسيمات تشتبك باستمرار مع الأيونات المشحونة وتعمل كالمصيدة فتحجب خطرها عن الأحياء، وتلك المسارات ليست سيلا متصلا وإنما وحدات أو كمات من الطاقة يعقب بعضها بعضا؛ ولذا يليق وصفها بالمُعقبات بيانا لطبيعتها وحركتها العاجلة بلا تواني؛ وتشمل كل الكهرومغناطيسي، وتتدفق الخطوط المغناطيسية نحو القطب وتخرج من الجانب الآخر من جهة القطب المقابل وهكذا تتعاقب دوما في حركة عاجلة، فالأنسب لوصف تلك القوى لفظ مُعقبات؛ لأن كل خيط تتعاقب فيه وحدة تلو أخرى، وتكون أحزمة في صفوف في مواجهة خطر دقائق الرياح الشمسية، ويتم غمر الأرض باستمرار بدقائق الرياح الشمسية، والرياح الشمسية تصل الأرض بسرعة حوالي: ٤٠٠ كم\ ثانية، والمجال المغناطيسي للأرض يشكل عقبة في مواجهة تدفق تلك الرياح الشمسية عند ارتفاع يبلغ حوالي: ٧٠ ألف كم (١١ مرة قدر نصف قطر الأرض)، والسبب جسيمات سريعة تأتي مع الرياح الشمسية تدخل جو الأرض متتبعة خطوط المجال المغناطيسي، فتصطدم بذرات الهواء وتحثها على إصدار الأضواء القطبية.

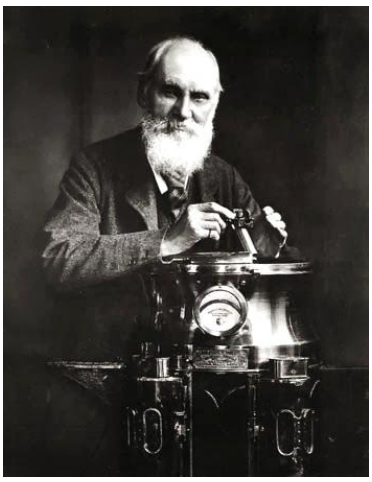

ريتشارد كارينجتون Richard C. Carrington (١٨٢٦-١٨٧٥)

كريستيان بيركيلاند Kristian Birkeland (١٨٦٧-١٩١٧)

وطبقًا للسجلات التاريخية في الولايات المتحدة وأوروبا واليابان وأستراليا وقع أكبر شفق يوم ٢٨ أغسطس عام ١٨٥٩؛ وتلاه بأيام نفس العام ثاني أكبر شفق يوم ٢ سبتمبر عقب ملاحظة توهج شمسي غير عادي في ١ سبتمبر في اليوم السابق، وفي عام ١٨٥٩ افترض ريتشارد كارينجتون Richard C. Carrington (١٨٢٦-١٨٧٥) أن التوهج الشمسي Solar Flare هو سبب الشفق، وفي عام ١٩١٠ افترض أرثر إدنجتون أن الشمس تصدر إلكترونات أو أيونات، وفي عام ١٩١٦ افترض كريستيان بيركيلاند Kristian Birkeland (١٨٦٧-١٩١٧) أن الشمس تصدر كلا النوعين من الشحنات؛ الكترونات سالبة مع أيونات موجبة، وفي عام ١٩١٩ أيده فريدريك ليندمان Frederick Lindemann (١٨٨٦-١٩٥٧)، وتأكد استنتاج كريستيان بيركلاند عام ١٩٦٧ بعد أن تم إرسال قمر صناعي إلى الفضاء وتم الحصول على نتائج حاسمة، ومن مجموع المُلاحظات والأرصاد باستخدام الأقمار الصناعية؛ تأكد أن سبب الشفق القطبي هو الثورات الشمسية.

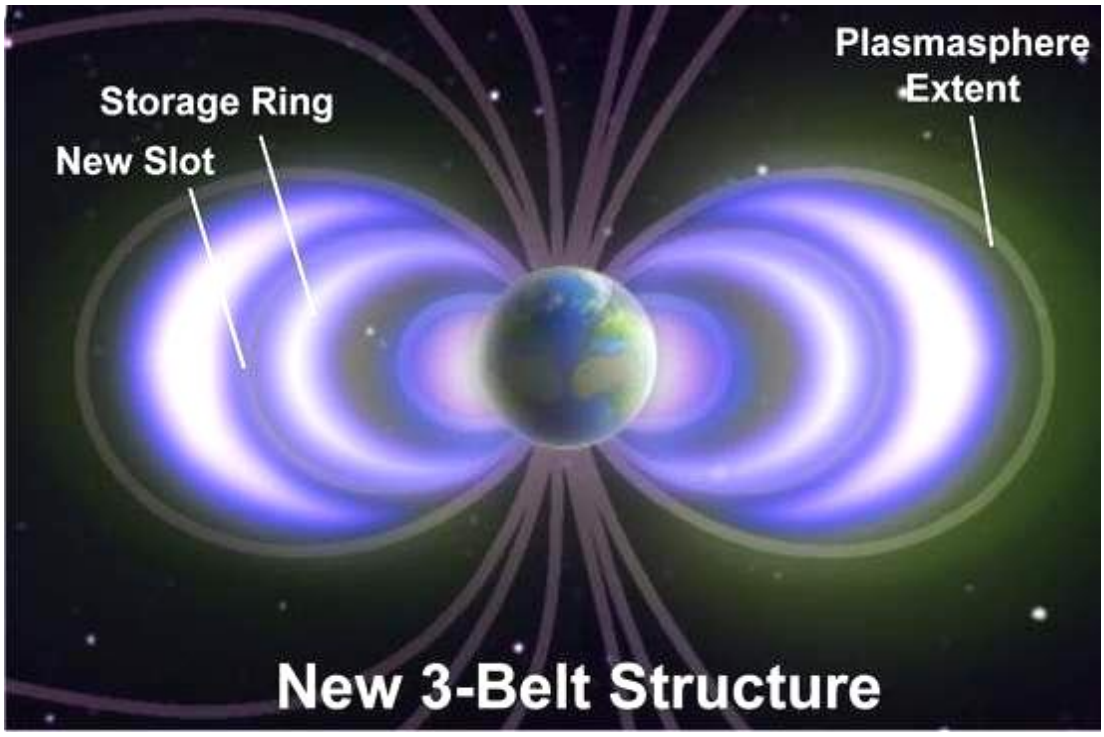

ويكثر الشفق القطبي وتزداد شدته في أوقات معينة كل عام نتيجة تغير ميل محور الأرض دوريا أما الرياح الشمسية، وقد يظهر الشفق القطبي كذلك في البلدان القريبة من القطب كالسويد والنرويج والدنمرك وألاسكا وشمال كندا وشمال روسيا، وقد تصاحبه أصوات طقطقة نتيجة تفريغ الشحنات الكهربية، درع غير مرئي يحفظ الأرض من قذائف سماوية قاتلة، وفي عام ٢٠١٢؛ كشفت المركبات الفضائية عن طبقة مؤقتة ثالثة بين الحزام الداخلي والخارجي.

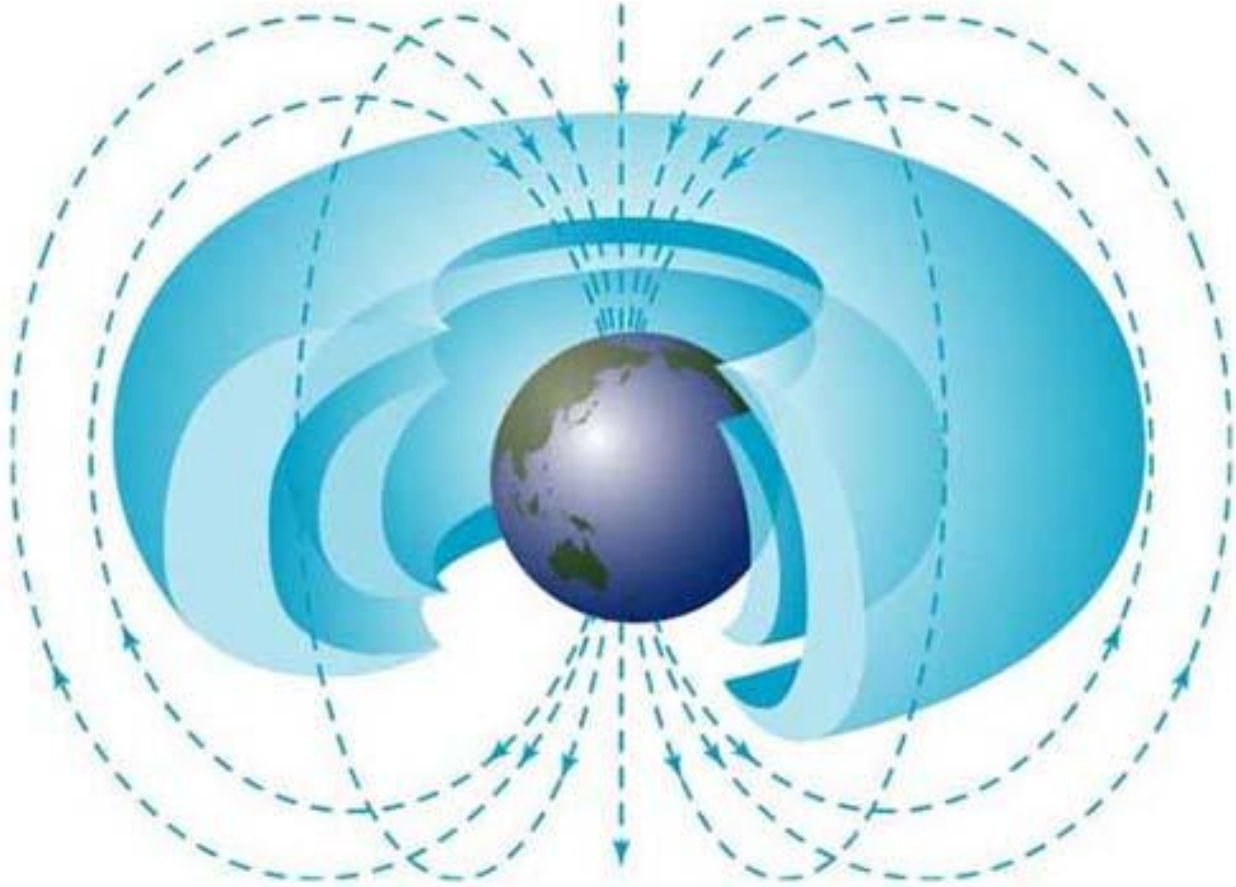

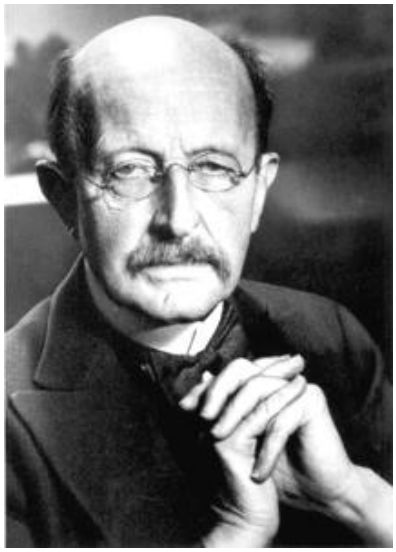

ماكس بلانك Max Planck
(١٩٤٧-١٨٥٨)

وفي عام ١٩٠٠ توصل ماكس بلانك Max Planck (١٩٤٧-١٨٥٨) إلى أن الموجات ليست سيلا مُتصلا وإنما كميات مُتعاقبة سُميت كمات Quanta؛ وأن الكهرباء وجه للمغناطيسية؛ فوحدهما معا تحت مُسمى الموجات الكهرومغناطيسية، وحقول الغلاف المغناطيسي إذن بنيتها مُعقبات؛ وحدات مُتماثلة ومُتحركة بسرعة الضوء في تلاحق وتعاقب، وتكون كذلك ما يُشبه السقف المرفوع بهيئة نطق أو جدر مُتعاقبة لتحمي أهل الأرض من جسيمات الشمس المشحونة القاتلة للخلايا الحية.

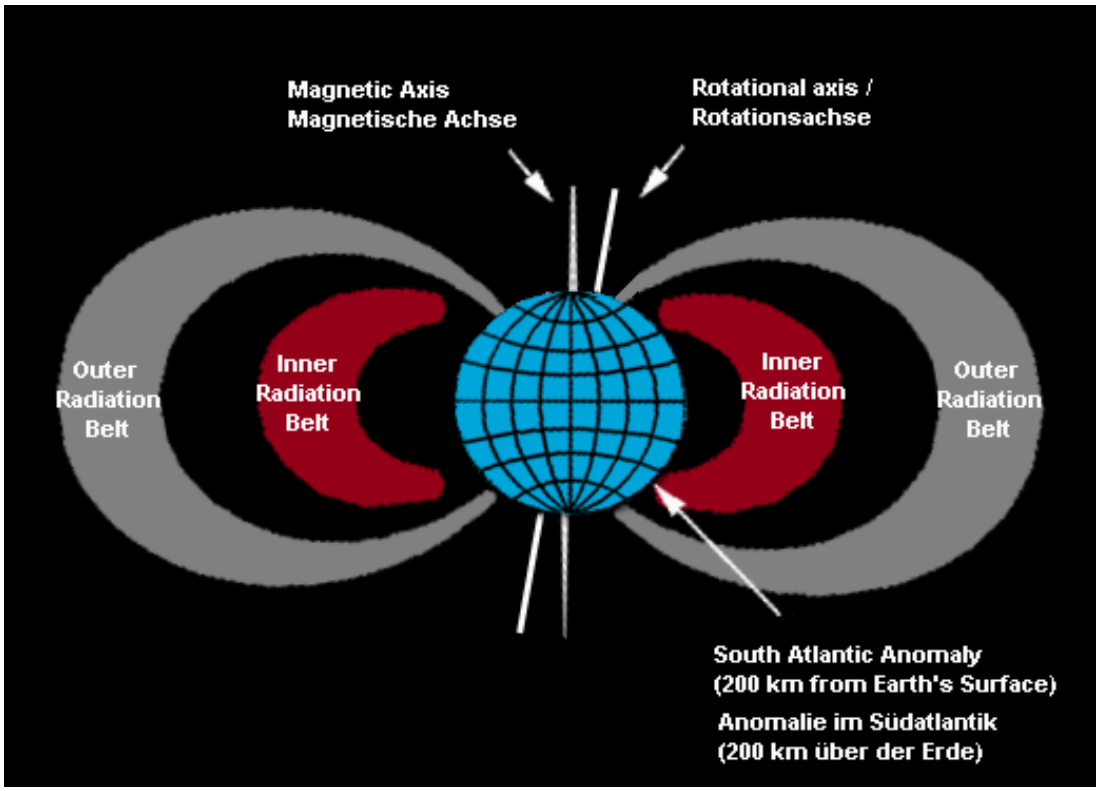

وهكذا عرف حديثا أن سبب الشفق القطبي هو تفاعل الرياح الشمسية Solar Wind مع الغلاف المغناطيسي للأرض Earth's Magnetosphere، مع تأين وإثارة مكونات الغلاف الجوي، ، ويصدها الغلاف المغناطيسي للأرض ويحرف مسارها ويمتص شحنتها فيبعد أذاها أن يصل إلى سطح الأرض فيبيد الحياة؛ وكأنه درع واقي يحفظ الأحياء، ونتيجة الصدام يعرقل الرياح الشمسية على ارتفاع يبلغ حوالي: ٧٠ ألف كم (١١ مرة قدر نصف قطر الأرض)؛ ويدفعها جانبًا منتجًا جبهة موجة صدم Bow Shock تبلغ: ١٢-١٥ ألف كم (١,٩-٢,٤ مرة قدر نصف قطر الأرض)، ويبلغ عرض الغلاف المغناطيسي في كل جانب من الأرض حوالي: ١٩٠ ألف كم (٣٠ مرة قدر نصف قطر الأرض)؛ ونتيجة ضغط الرياح الشمسية يمتد جهة الليل من الأرض إلى أكثر من أكثر من ٢٠٠ مرة قدر نصف قطر الأرض.

الشفق القطبي باللون الأخضر في سماء الاسكيمو

الشفق القطبي باللون الأحمر

الشفق القطبي باللون الأزرق

صورة فضائية للشفق القطبي بهيئة دائرة تُحيط بالقطب

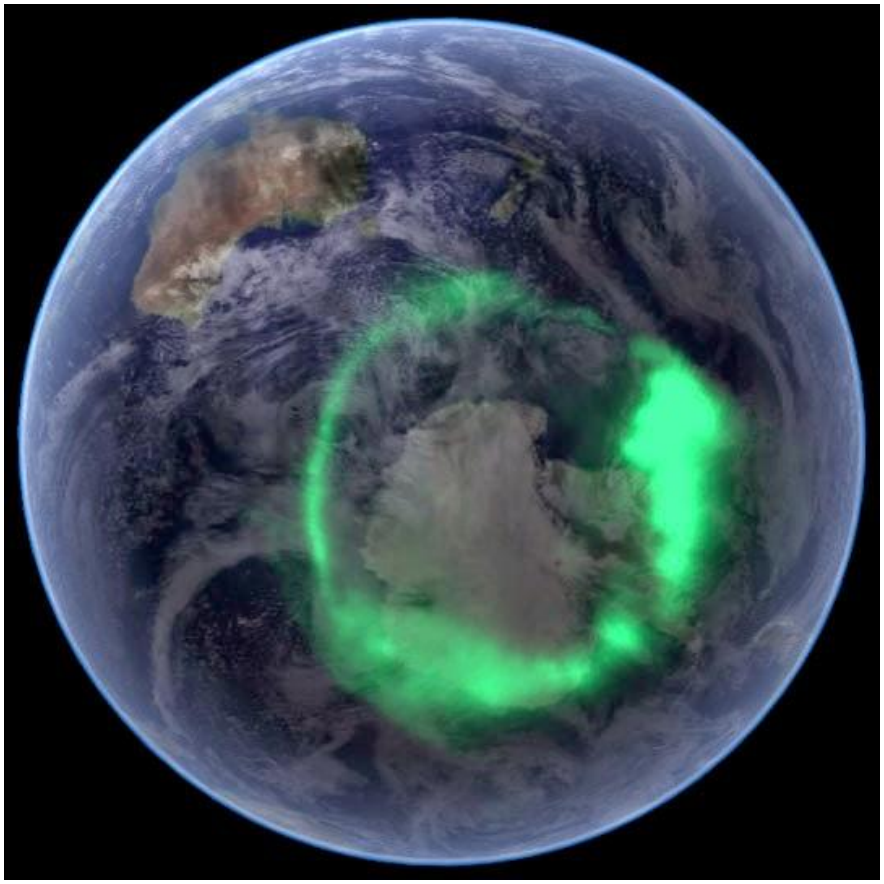

صورة فضائية للشفق حول القطب الجنوبي

الشفق القطبي باللون الأخضر

والشفق القطبي الناجم عن البروتون يلاحظ عادة في الارتفاعات السفلى من الجو في الليل القطبي الشتوي الذي يستمر حوالي ستة أشهر كل عام، وإذا روقب من الفضاء يبدو دائرة تُحيط بالقطب المغناطيسي نصف قطرها حوالي ٢٥٠٠ كم، ولذا يصعب أن تمس القطب الجغرافي لأن القطب المغناطيسي يبعد عنه في الوقت الراهن حوالي ٢٠٠٠ كم، وتبلغ العواصف المغناطيسية الأرضية Geomagnetic Storms ذروتها مع بلوغ دورة البقع الشمسية Sunspot Cycle ذروتها كل ١١ سنة، وفي القرن الماضي تمكن كارل ستورمر Carl Størmer (١٨٧٤-١٩٥٧) ومساعدوه من رصد أكثر من ١٢٠٠٠ شفق قطبي وتقدير الارتفاع، واكتشف أن معظم الضوء يصدر على ارتفاع بين ٩٠-١٥٠ كم من سطح الأرض، وفي أوقات يبلغ أكثر من ١٠٠٠ كم، وقد تبين أن الضوء الأحمر يصدر في الارتفاعات الأعلى نتيجة إثارة ذرات الأكسجين، ونتيجة لقلة تركيز الأكسجين يصعب رصد الضوء الأحمر إلا مع النشاط الشمسي الأعنف، أما اللون الأخضر فأكثر شيوعًا ويظهر عادة في الارتفاعات المنخفضة، ويُمكن لذرات النيتروجين المُستثارة بالرياح الشمسية المُساعدة بنقل الطاقة إلى ذرات الأكسجين لتُصدر اللون الأخضر، وقد يختلط اللون الأحمر مع الأخضر لإنتاج اللون الوردي أو المائل للاصفرار، والأكسجين يتواجد في أعالي الجو بهيئة الأوزون Ozone ثلاثي الذرة O_3؛ بينما جزيء الأكسجين ثنائي الذرة O_2، أما الأكسجين الذري Atomic Oxygen O فأكثر نشاطا كيميائيا ويقل تركيزه سريعًا في الجو دون ١٠٠ كم، لذا تبدو الحافة السفلى لستائر الشفق القطبي حادة، وفي الارتفاعات السفلى للجو يندر الأكسجين الذري وتغلب جزيئات النيتروجين خاصة المُؤينة فيصدر اللون الأزرق وقد يظهر اللون الأحمر أو البنفسجي عند الحافة السفلى لستائر الشفق القطبي خاصة عند اشتداد النشاط الشمسي.

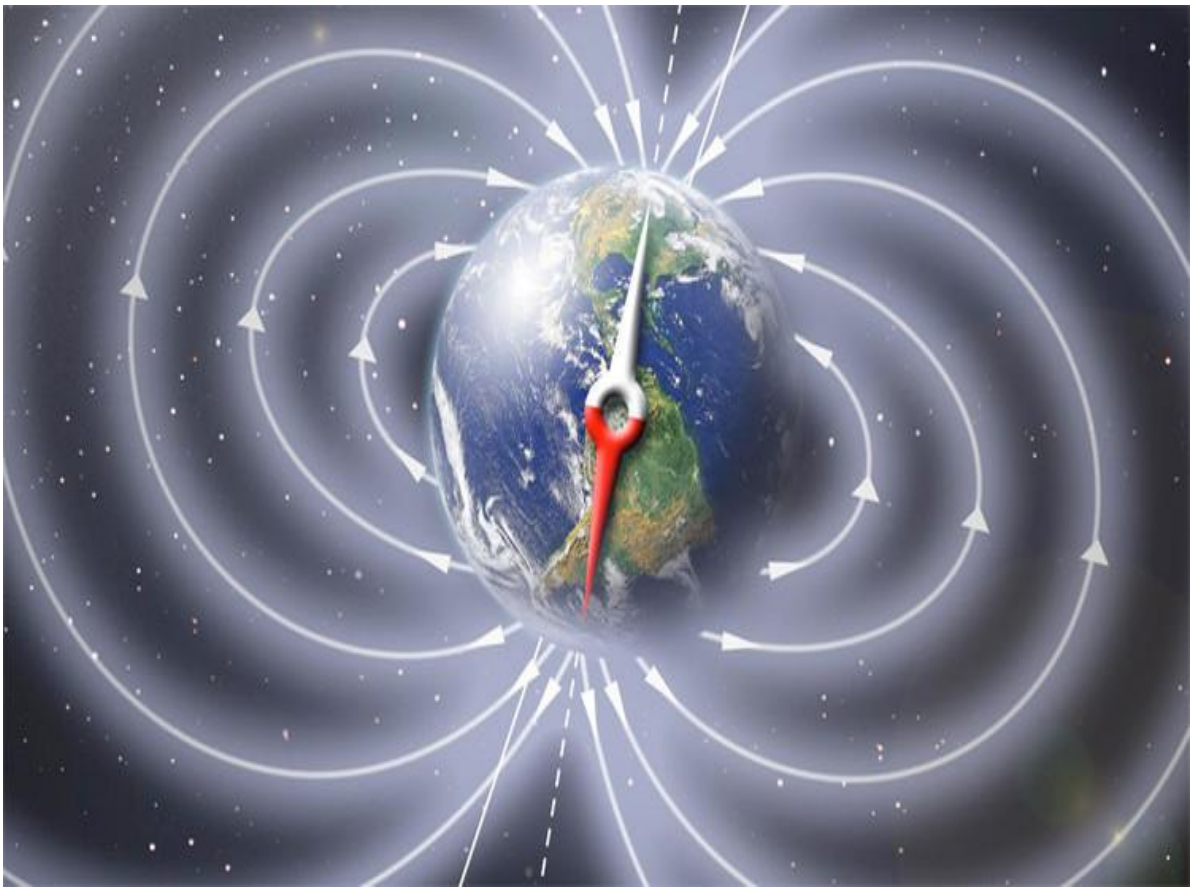

والمغناطيسية الأرضية Earth Magnetism ناشئة من تيارات كهربية تسري في القلب الخارجي السائل للأرض والمُكون من حديد مُنصهر شديد التوصيل، ينشأ عنها مجال مغناطيسي يُحيط بكوكب الأرض، وتبين البحوث الجيولوجية أن القطب الشمالي كان قطبا جنوبيا والقطب الجنوبي كان شماليا، ومن تلك الانقلابات انقلاب حدث قبل نحو: ٧٨٠ ألف سنة، ويلاحظ حدوث تغيرات طفيفة لموقع الأقطاب المغناطيسية الأرضية من عام إلى عام، وتنشأ حركة الحديد المنصهر من حرارة قلب الأرض التي تقدر بنحو: ٥٠٠٠ درجة مئوية، ويعمل المجال المغناطيسي للأرض على حماية الكائنات الحية من الرياح الشمسية التي تأتي إلى الأرض محملة بالجسيمات المشحونة الضارة، وعند اقتراب تلك الجسيمات إلى الأرض يزيحها المجال المغناطيسي إلى الفضاء بعيدا عن الأرض، وتظهر الأضواء القطبية في سماء القطب الشمالي وسماء القطب الجنوبي كضوء متموج بألوان زاهية متحركة، وسبب تلك الأضواء هو اصطدام الجسيمات المشحونة عالية السرعة والآتية من الشمس بذرات الهواء في طبقات الجو العليا، ويوجهها المجال المغناطيسي للأرض ويبعدها عن دخول جو الأرض، وفي نفس الوقت يوجه بعضا منها فيهبط على القطبين بعيدا عن الأماكن المسكونة. وبهذا يحمي المجال المغناطيسي للأرض الكائنات الحية من تلك الجسيمات الخارقة الضارة للحياة، فتظهر الأضواء القطبية Aurora، وهي تمتد عبر حيز يبعد نحو ١٠° إلى ٢٠° عن القطب المغناطيسي للأرض، وأثناء دورات النشاط الشمسي حيث تحدث عواصف مغناطيسية شديدة تؤثر على الأرض؛ قد يمتد ظهور تلك الأضواء القطبية إلى مناطق جنوبا من القطب الشمالي ومناطق شمالية بالنسبة للقطب الجنوبي.

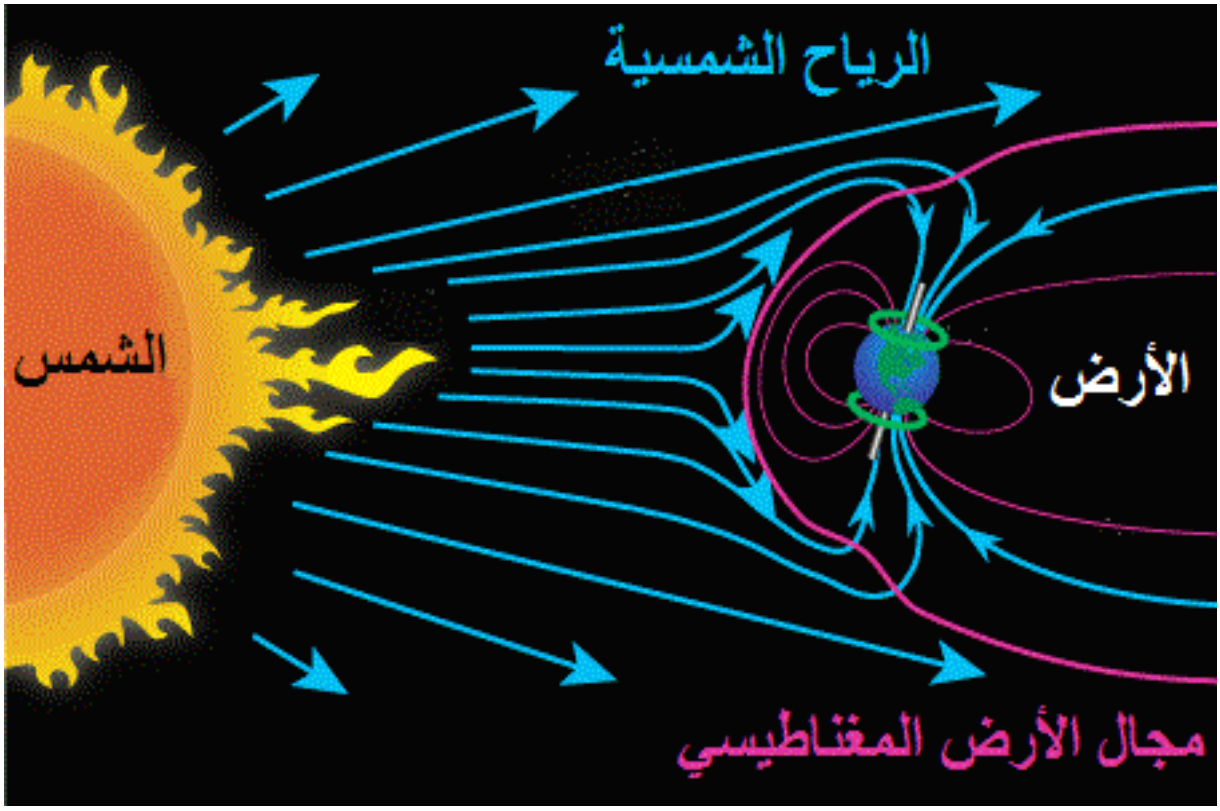

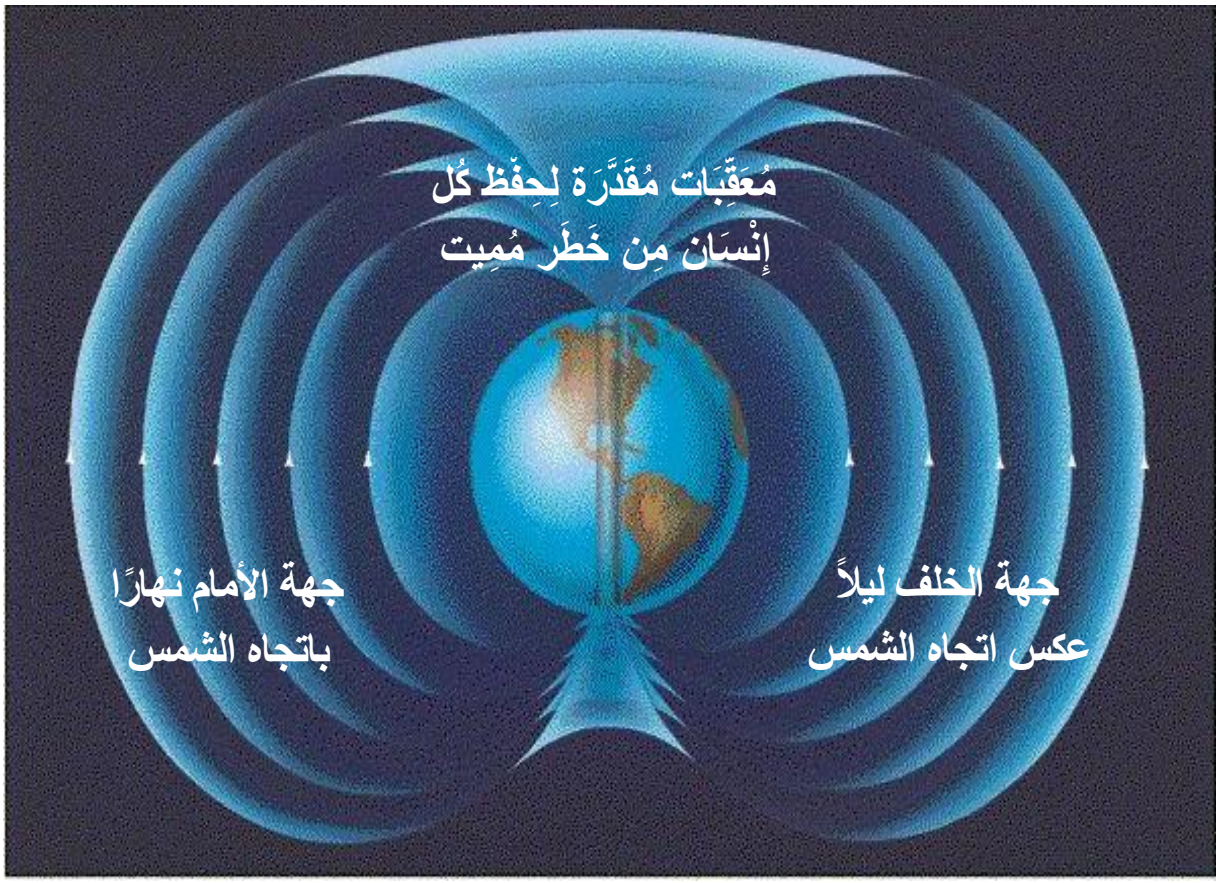

وهكذا تبين بيقين أن الغلاف المغناطيسي للأرض يحفظ كل إنسان على سطحها من خطر مُميت؛ على أي حال كان سواء ليلا أو حيث لا يُتوقع خطر نهارًا، وأن تركيبه وحدات مُعقبات وتشكيله نُطُق مُعقبات، فالصفة (مُعقبات) أوجزت تركيبه وتشكيله، وأنه مُحيط بكل أهل الأرض؛ خاصة من جهتي الأمام في مواجهة الشمس في النهار ومن جهة الخلف حيث الذيل في الليل، وأنه سُنَّة كونية مُقدرة بأمر الله تعالى وتقديره، وباختصار: كل إنسان له مُعقبات؛ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه، من أمر الله.

(٣) نبأ القرآن فسره الزمان:

في النبأ: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ ١٣الرعد:١٠-١٣؛ تفسير كلمة (مُعَقِّبَاتٌ) بالملائكة الحافظة للأعمال مُريح، حيث يُحيل الموضوع إلى غيب يستحيل التحقق منه فيقفل القضية، لكن الوعد الجازم بتحقق البشرية مع الزمان من أنباء الغيب: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣؛ لا ينبغي معه إهمال احتمال تعلق القضية بالسنن الكونية.

وقد ورد نبأ المُعقبات التي تُحيط بكل إنسان لتحفظه من خطر مجهول بتقدير ثابت مهما تتابعت أجيال البشرية؛ في سياق ذكر عناصر كونية تتعلق كلها بالغلاف الجوي توعدًا وبيانًا للتدبير: (الْبَرْقَ)، (السَّحَابَ الثِّقَالَ)، (الرَّعْدُ)، (الصَّوَاعِقَ)، وتلك المعالم الجوية المُفصحة عن تدبير سنن كونية؛ كافية لإعادة فتح القضية ونسبة المُعقبات لظاهرة جوية مُماثلة، خاصة أن التعبير (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) لا يتعلق بحفظ أعمال كل إنسان؛ وإنما بحفظه ذاته من خطر كوني يُصيبه بَدَنِيًّا، فيقتضي أن يكون ما يحفظه بالمثل تقدير لسُنة كونية تدفع الخطر عن البشرية؛ ولو شاء القدير ورفعها لتحقق الوعيد، وهي سنة عامة لأن (سَوَاءٌ مِنْكُمْ) أي كل أحد؛ فتعني الإحاطة بكل الناس على سطح الأرض خاصة من جهتي الأمام والخلف، ومعنى (مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أي بأمره؛ يعني بتقديره تعالى في مُلكه.

والنبأ: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ١٣الرعد:١٠و١١، مضمُونه أن: كل إنسان له مُعقبات؛ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه، من أمر الله، وهو حفظ من الهلاك لا تسجيل أعمال، ولو كان تفسير المُعقبات مقصورًا على الملائكة ما أجازوا سواها، ولكن ابن عباس وعكرمة وابن زيد قد اجتهدوا في حمل المُعقبات على أحوال من العالم المحسوس غير عالم الملائكة الغيبي، قال الماوردي: "قوله عز وجل: {له معقبات من بين يديه ومن خَلْفِه} فيها ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنهم حراس الأمراء يتعاقبون الحرس؛ قاله ابن عباس وعكرمة، الثاني: أنه ما يتعاقب من أوامر الله وقضائه في عباده؛ قاله عبد الرحمن بن زيد..، الثالث: أنهم الملائكة..؛ قاله مجاهد وقتادة..، وإن قيل.. إن المُعقبات ما يتعاقب من أمر الله وقضائه؛ ففي تأويل قوله تعالى: {يحفظونه من أمر الله}.. يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله؛ قاله الضحاك"[٦٦٣].

وفي النص مُزاوجة بين النعمة والوعيد بتحولها لنقمة؛ إذا شاء القدير: (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)، (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا)، (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ)، وبيان نعمة المُعقبات لازمه الوعيد بسلبها وبيان علمه تعالى بخفايا النفوس والأعمال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)، (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ)، وكأنه تعالى يؤكد نعمة المعقبات التي تحفظ الإنسان، فليحذر إذن أن تُسلب نعمته وتتحول إلى نقمة فينالَه الهلاك من حيث لا يحتسب، والحديث عام يشمل كل أهل الأرض.

وحتى عقود قليلة لم يُدرك أحد أن القوى المغناطيسية تجعله يعيش بفضل نظام حماية شديد البأس يُحيط بالأرض قدره الله تعالى ليتصدى للخطر من الأمام جهة النهار ومن الخلف جهة الليل؛ سواء كان نائمًا في ليلاً أو يسعى على رزقه نهارًا، فلا تتوانى قوى خفية عن التعاقب بأقصى سرعة والالتفاف دوريًّا والاصطفاف لتشكل حواجز مانعة من خطر مُميت، ولا تبعد تلك المُعَقِّبات التي تحفظ كل إنسان سواء همس أو جهر؛ عن قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ١٣الرعد:١٠و١١، والتعبير: (سَوَاءٌ مِنْكُمْ) قرينة الشمول لجميع الناس، والتعبير: (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قرينة سُنَّة كونية بتقديره تعالى، وتلك الدلالة الصريحة يشملها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.

---

[٦٦٣] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٣ ٩٨).

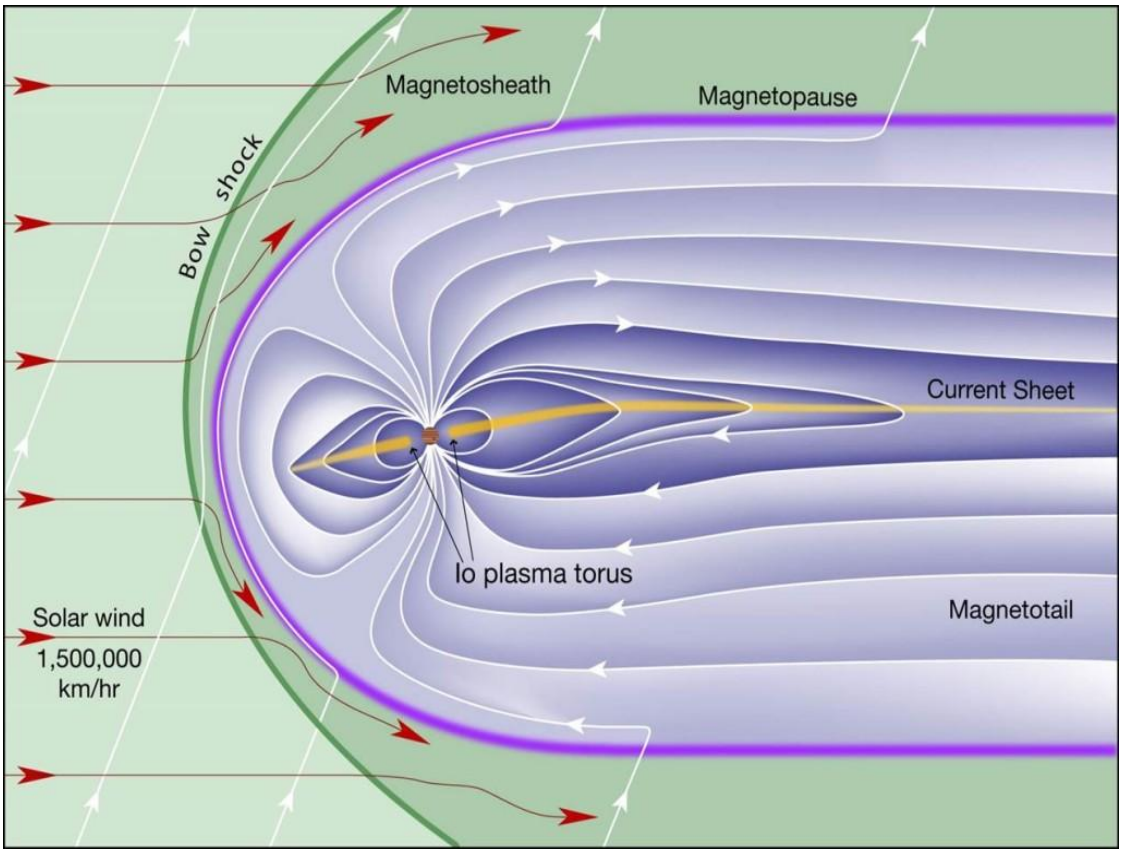

وفي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ٣٤سبأ:٢، وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ٥٧الحديد:٤؛ بيان بوجود أشعة غير مرئية مُتعاقبة الوُلُوج في الأرض والخروج منها؛ وكأنه وصف صريح لقوى المجال المغناطيسي للأرض؛ والجسيمات الأشباح Neutrinos التي تنزل من السماء؛ يُمكنها أن تخترق الكرة الأرضية وتخرج منها ولا يشعر بها أحد، فضلا عن بيان إشعاعات تغمر الفضاء، وتسري بانحناء وتعرج كمشية الأعرج بانحناء؛ بيانا لطبيعة الحركة في الفضاء.

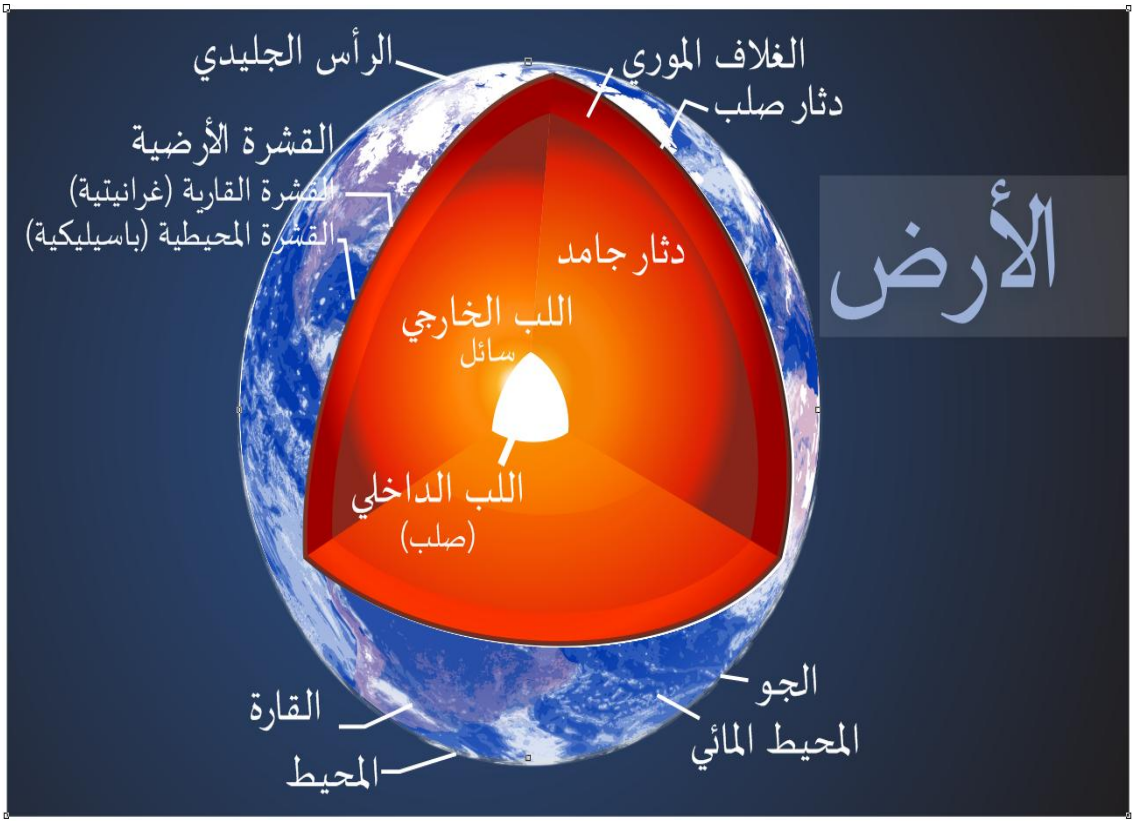

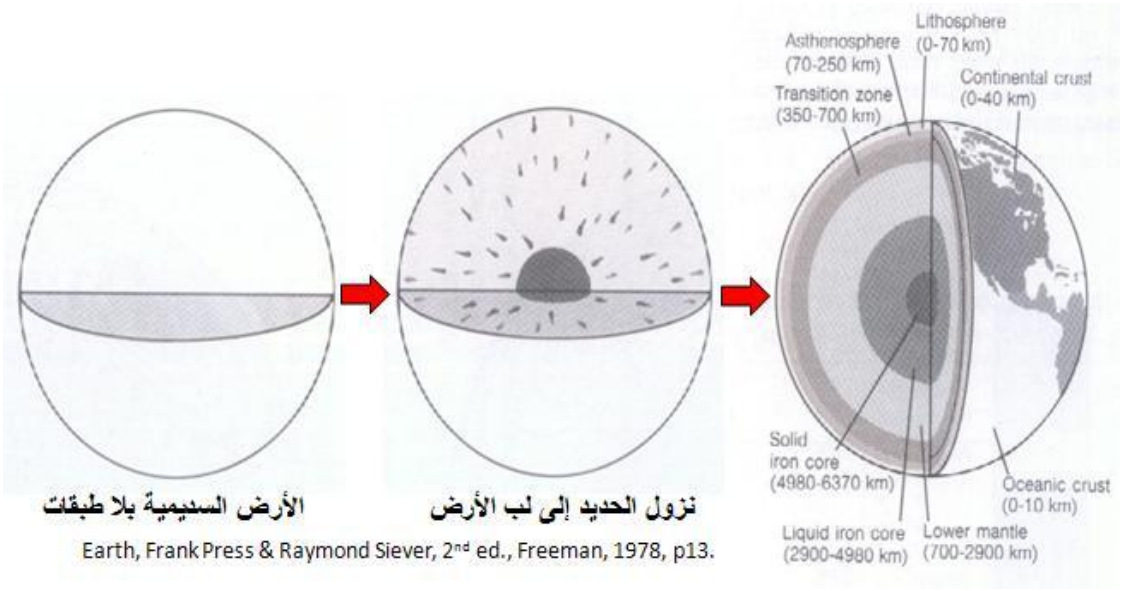

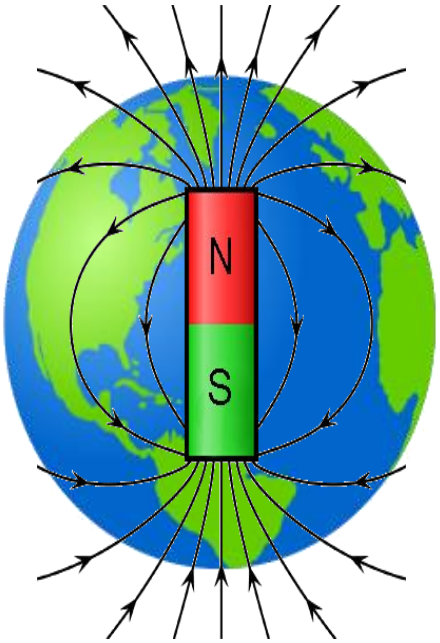

وفي حوالي العام ألف ميلادي اكتشف في الصين أن البوصلة تتجه إلى الشمال والجنوب، وفي عام ١٦٠٠ استنتج وليام جيلبرت William Gilbert (١٥٤٤-١٦٠٣) أن تلك الظاهرة يفسرها اعتبار كوكب الأرض مغناطيس كبير، وتأكد لاحقًا أنه يكون قبة لم يصنعها إنسان؛ تدفع أخطارًا خفية عن كل إنسان لتحفظه من الهلاك، ولا تفسر وجودها صدفة عمياء؛ ولا تفسير سوى أنها صنع القدير الذي أتقن كل شيء، وهذا الأتون الجبار والقلب العظيم من الحديد والذي نزل مُسبقًا إلي لب الأرض هو أساس الحقل المغناطيسي حولها، فالبأس الشديد في قتال مهيب مع الرياح الشمسية القاتلة في نطق وحواجز تُشكل قبة واقية أساسه ذلك الحديد، وتلك أعظم منفعة للناس أجمعين؛ فضلا عن منافع سواها كتعيين البوصلة للاتجاه منعًا للضلال، ولا يبعد هذا الاكتشاف عن قول العلي القدير: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ٥٧الحديد:٢٥.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ ٣٧الصافات:٦-١٠؛ كأنه نبوءة بإمكان تمرد الإنسان المسجُون على سطح الأرض بفعل جاذبيتها، ليفعل فعل مردة الشياطين في مخيلة الأولين وينطلق نحو الفضاء الرحيب، فيُعاين أن الأرض تُقذف بالشهب والإشعاعات الضارة، فيدفعها الله تعالى بتقديره ليحفظ كل الناس على الأرض بحرق الشهب في الجو، وقوى غير مرئية تقبض على الإشعاعات وتحول طاقتها لأضواء مرئية تُزين السماء عند القطبين كأضواء الكواكب دون آفاق النجوم، ونطق قوى الحفظ موضع عذاب دائم؛ إلا إذا أسرع الصاروخ العملاق كأنه شيطان مارد ومر بعجلة Acceleration؛ أي سرعة السرعة كأنه خطف الخطفة.

والطبقة المُقدرة لحفظ البشرية من الإشعاعات الضارة تتوهج وتُصدر أضواءً مرئية؛ كأضواء الشهب والنيازك المُلتهبة التي تتوهج وتُصدر كالمصابيح أضواء ذاتية، فشاركت ظاهرة الحفظ المصابيح السماوية في الزينة الليلية: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:١٢، ووظيفة الحفظ معطوفة على المصابيح بجامع فعل التزيين، واللائق بالمصابيح الشهب والنيازك التي تتوهج وتحترق في الجو وتصدر ضوء لامع في الليل؛ وليس النجوم بصريح قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ٦٧الملك:٥.

(٤) التحليل الدلالي:

النبأ: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ١٣الرعد:١٠و١١؛ حمله على الغيبيات الغير مُمكنة التحقق لا فائدة للاحتجاج به، فليست بأولى من الحسيات المُمكنة التحقق إنباءً بالغيب وآيةً على الوحي، ولم ترد الدلالة شاردة على ظاهرة طبيعية تحفظ كل إنسان من خطر الموت؛ وإنما ضمن منظومة دلالية وافية ترشد إلى تعيين تلك الظاهرة، وتكشف المزيد من خصائصها وتُبين سبب حدوثها.

وقرينة السياق على أن تلك المُعقبات غير المعلومة لبشر زمن الوحي ظاهرة تختص بالغلاف الجوي؛ هي ورودها ضمن ظواهر جوية مُماثلة: (الْبَرْقَ)، (السَّحَابَ)، (الرَّعْدُ)، (الصَّوَاعِقَ)، وسياق المن يجعلها إحدى خصائص سقف الأرض المحفوظ مَنًّا على الإنسان: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾٢١الأنبياء:٣٢.

والتعبير: (سَقْفًا مَحْفُوظًا)؛ قرينة الدلالة على الجو؛ لأن سقف البيت يحفظ ما دونه مما هو فوقه، ووصف الجو بلفظ (مَحْفُوظًا) يتفق مع المعرفة العلمية حديثًا بأنه كان يتبدد عند نشأته، وفي مقام المن يجعله السياق حماية ودفاع من أخطار كونية، والغلاف الجوي من أعظم نعم الله تعالى التي ميزت الأرض وجعلتها مؤهلة لنشأة الحياة قبل مجيء الإنسان، قال المقدم: "(السماء) تُطلق لغةً على السقف وغيره، والسحاب يُطلق عليه سماء، قال عز وجل: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} المؤمنون:١٨، السماء هنا المقصود بها: السحاب؛ لأنه يعلونا، أيضاً الغلاف الجوي سماء: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} الأنبياء:٣٢، فالغلاف الجوي سقف محفوظ يحفظ الأرض والكائنات الحية من الإشعاعات الضارة التي قد تُبيد الحياة"[٦٦٤].

وقال أحمد حطيبة: "قال تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} الأنبياء:٣٢؛ الغلاف الجوي للأرض..؛ جعله الله سبحانه وتعالى حافظاً لما تحته، فقد حفظ جو الأرض (الناس) من مصائب كثيرة جداً؛ منها الإشعاعات..، ومنها الحجارة الكثيرة.. فالله عز وجل يجعل هذه تخترق الغلاف الجوي؛ ليرينا آية من آياته، وهي أنه لو شاء لجعل هذه الملايين من الحجارة كلها تخترق الغلاف الجوي..، ولجعل الإشعاعات الضارة التي تخرج من الشمس تخترق الغلاف الجوي كذلك وتدخل علينا فتؤذينا، ولكن الله سبحانه جعل حولنا سقفاً محفوظاً يحفظ هذه الأرض وهو الغلاف الجوي"[٦٦٥].

والتعبير (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) لا يعني أن تلك المُعقبات تُعارض أمر الله تعالى، وإنما يعني أن تلك الظاهرة الجوية التي تُحيط بالأرض لتحفظ أهلها من خطر مُميت؛ هي من تقدير الله تعالى في العالم المحسوس لحفظ الحياة، وهذه أعظم المنافع للناس جميعًا: وفي تفسير الجلالين: "أي بأمره..، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} لَا يَسْلُبُهُمْ نِعْمَته {حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}"[٦٦٦]، وقال الماوردي: "تأويل قوله تعالى: {يحفظونه من أمر الله}.. يحفظونه بأمر الله؛ قاله مجاهد..، (أو) أنه على التقديم والتأخير؛ وتقديره: له معقبات من أمر الله تعالى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه..، (وهي) عامة في جميع الخلق؛ وهو قول الجمهور..، {إنَّ الله لا يغيرُ ما بقومٍ..}..، (أي) أن الله لا يغير ما بقوم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من معصية"[٦٦٧]؛ ويؤيده: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٨الأنفال:٥٣.

والتعبير: (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)؛ يكشف وظيفة تلك القوى التي تتعاقب دومًا حول الناس لتحفظهم من مخاطر خارجية تُحيط بهم، والتعبير: (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ)؛ يعني اصطفاف قوى الحفظ تلك في جبهة أمامية وجهة خلفية، وقوى الحفظ تلك تبدو متلألئة تزين السماء في ظاهرة الشفق القطبي التي تُماثل زينة السماء القُربى لاحتراق الرجوم؛ وهو صريح النبأ: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:١٢، والمصابيح هي الرجوم التي تهدد كل عابر خلال الغلاف الجوى نحو الفضاء الرحيب: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ. وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٦٧الملك:٥و٦.

---

[٦٦٤] محمد أحمد إسماعيل المقدم؛ تفسير القرآن الكريم، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، رقم الجزء هو رقم الدرس، ترقيم الشاملة (١٥\١٥٠).

[٦٦٥] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة؛ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٣\١٤).

[٦٦٦] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٣٢٣).

[٦٦٧] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٣\٩٧).

وترجع تلك الظاهرة الجوية ذات المنافع للناس جميعًا؛ إلى حركة الحديد في لب الأرض ليولد مجالا مغناطيسيا حولها، ويشتبك الغلاف المغناطيسي في معركة ضارية على مدار الساعة مع الأيونات المشحونة المُهاجمة حتى لا تطال الناس، وتُقاتل القوى المعقبات بضراوة في صفوف وحركة دائبة لتكون جبهة من أمام في مواجهة الغزاة تُقابلها خلفية مُمتدة، وفي النبأ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ٥٧الحديد:٢٥؛ كلمة (بَأْسٌ) تعني الشدة؛ وترد في الحرب والقتال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ ٢البقرة:١٧٧، قال الألوسي: "(وَحِينَ الْبَأْسِ) أي وقت القتال"[٦٦٨]، وقال الماوردي: "{وَحِينَ الْبَأْسِ} أي القتال"[٦٦٩]، وقال ابن جزي: "(وَحِينَ الْبَأْسِ) القتال"[٦٧٠]، وهو بالفعل قتال شديد، أما أهم المنافع للناس جميعا في دفع الخطر المُحدق بهم على الدوام؛ فيرجع إلى نزول الحديد إلى لب الأرض حين التكوين.

والتعبير التصويري الفريد بكلمة: (مُعَقِّبَاتٌ)؛ هو بحد ذاته مأثرة بلاغية؛ حيث تضمن معنى الكثرة وسرعة التلاحق والانتظام صفوف لدرء الخطر عن كل الناس، والوصف بالفعل يطابق الغلاف المغناطيسي؛ وكأنه أرتال جنود مجهزة ذوي بأس شديد في قتال دائم لا أمل للخطر في تجاوزها، وتصطف الجنود صفوف مُتعاقبة يتبع بعضها بعضًا لتكون حواجز مانعة، وكل رتل حشود لم يكُن يعلم بها بشر، وفي كل صف يتعاقب الأفراد، فتعقب القدم قدم تسبقها؛ ولا فرجة لينفذ دخيل.

قال القرطبي: "قال الْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ؛ وَالتَّعَقُّبُ الْعَوْدُ بَعْدَ الْبَدْءِ.. سُمِّيَ مُعَقِّبَاتٌ لِأَنَّهُنَّ عَادَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.. وَقَوْلُهُ: (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) أَيِ الْمُسْتَخْفِي بِاللَّيْلِ وَالسَّارِبِ بِالنَّهَارِ..، (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ).. مِنَ.. الْأَشْيَاءِ الْمُضِرَّةِ لُطْفًا مِنْهُ بِهِ..، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا..، وَعَلَى هَذَا (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أَيْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَبِإِذْنِهِ..، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعَافِيَةِ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ..، تَزُولُ عَنْهُمُ الْحَفَظَةُ الْمُعَقِّبَاتُ..، وَخَصَّهُمْ بِأَنْ قَالَ: (مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُعَايَنِينَ..، أَيْ لَيْسَ مِمَّا تُشَاهِدُونَهُ أَنْتُمْ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ؛ وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَابْنِ جُرَيْجٍ وَالنَّخَعِيِّ..، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ: الْمُعَقِّبَاتُ مَا يَتَعَاقَبُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَضَائِهِ فِي عِبَادِهِ، قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ؛ فَفِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ).. يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْمَوْتِ مَا لَمْ يَأْتِ أَجَلٌ؛ قَالَهُ الضَّحَّاكُ"[٦٧١].

---

[٦٦٨] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١١ ٤٤٥).

[٦٦٩] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١ ٢٢٧).

[٦٧٠] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١١ ١٠٨).

[٦٧١] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٩ ٢٩١).

وقال محمد حسين: "هذا الإنسان الذي يعلم به الله سبحانه في جميع أحواله هو الذي له معقبات من بين يديه ومن خلفه، وتعقيب الشيء إنما يكون بالمجيء بعده والإتيان من عقبه..، (أي) طافت عليه المعقبات حوله..، وقال يذكر الوسائط في هذا الأمر: (وإن عليكم لحافظين) الانفطار:١٠، فلولا حفظه تعالى إياها بهذه الوسائط التي سماها (حافظين) تارة و(معقبات) أخرى؛ لشمله الفناء من جهاتها وأسرع إليه الهلاك من بين أيديه ومن خلفه..، والمعنى أنه تعالى إنما جعل هذه المعقبات ووكلها بالإنسان يحفظونه بأمره من أمره، ويمنعونه من أن يهلك..، لأن سنته جرت أن لا يغير ما بقوم من الأحوال حتى يغيروا.. الشكر إلى الكفر والطاعة إلى المعصية والإيمان إلى الشرك؛ فيغير الله النعمة إلى النقمة..، فلو جرى قوم على استقامة الفطرة وآمنوا بالله وعملوا صالحا؛ أعقبهم نعم الدنيا والآخرة كما قال: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا) الأعراف:٩٦..، كما قال تعالى في نظير الآية: (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الأنفال:٥٣..، فقد بان من جميع ما تقدم أن معنى الآية على ما يعطيه السياق والله أعلم؛ أن لكل (أحد) من الناس على أي حال كان؛ معقبات.. من بين يديه ومن خلفه.. يحفظونه بأمر الله من أن يتغير حاله بهلاك أو فساد أو شقاء بأمر آخر من الله، وهذا الأمر الآخر الذي يغير الحال إنما يؤثر أثره إذا غير قوم ما بأنفسهم فعند ذلك يغير الله ما عندهم من نعمة ويريد بهم السوء، وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له لأنهم لا والي لهم يلي أمرهم من دونه حتى يرد ما أراد الله بهم من سوء، وقد تبين بذلك..؛ أن الآية كالبيان التفصيلي لما تقدم في الآيات السابقة من قوله: (وكل شيء عنده بمقدار)..، وهذه الآية تفصل القول في الإنسان أن له معقبات من بين يديه ومن خلفه موكلة عليه يحفظونه وجميع ما يتعلق به من أن يهلك أو يتغير عما هو عليه..، وهذا المعنى كما لا يخفى إنما يتم في النوع دون الشخص..، هذا بعض ما يعطيه التدبر في الآية الكريمة؛ وللمفسرين في تفسيرها اختلاف شديد من جهات شتى..، ومن ذلك اختلافهم في معنى المعقبات..، والتعقيب؛ هو أن يتبع آخر في مشيته كأنه يطأ عقبه أي مؤخر قدمه..، وقيل: المُراد بالمعقبات الحراس والشرط والمواكب الذين يعقبون الملوك والأمراء..، يحفظونهم من أمر الله؛ أي قضائه وقدره..، وهذا الوجه على سخافته لعب بكلامه تعالى..، وقيل: هو الحفظ من المضار، ومن ذلك اختلافهم في قوله: (من أمر الله)، فقيل: هو متعلق بقوله: (معقبات) وإن قوله: (من بين يديه ومن خلفه) وقوله: (يحفظونه) وقوله: (من أمر الله) ثلاث صفات لمعقبات..، وفساد أغلب هذه الوجوه ظاهر غني عن البيان، ومن ذلك اختلافهم في اتصال قوله: (له معقبات من بين يديه ومن خلفه..)..، والحق أنه متصل بقوله: (وكل شيء عنده بمقدار)؛ ونوع بيان له..، والحق أن قوله: (إن الله لا يغير ما بقوم..)، تعليل لما تقدمه من قوله: (يحفظونه من أمر الله)"[٦٧٢].

وقال أطفيش: "{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ} جمع مُعقبة (المُفرد مُذكر: مُعَقِّب)، والمُعقبة جماعة، فكأنه قيل: (له جماعات مُعقبات)"[٦٧٣]، وقال ناصر مكارم: "ما هي المعقّبات؟ المعقّبات.. جمع: (مُعقبة)، وهي بدورها جمع: (مُعَقّب)، ومعناها المجموعة التي تعمل بشكل مُتناوب ومُستمر.. (كي) يحفظوا (جنس) الإنسان في الليل والنهار ومن بين يديه ومن خلفه..، والمتغيّرات في السّماء.. مُحيطة بالإنسان..، وإذا ما أمعنّا النظر في هذه المسائل فسوف نجد أنّ هناك قوى مُحافظة تحفظ الإنسان في مقابل هذه الحوادث كالدرع الواقي..، تجعله يشعر أنّ كلّ ذلك ليس صدفة؛ وإنّما هناك قُوى مُحافظة تحميه"[٦٧٤].

---

[٦٧٢] محمد حسين المعروف بـالعلامة الطباطبائي؛ تفسير الميزان، موقع الكوثر، ترقيم المكتبة الشاملة (١١ ١٦٣).

[٦٧٣] محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش، تفسير أطفيش تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٤ ٤١٢).

[٦٧٤] نَاصِر مَكارم الشِيرازي؛ الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الموقع الرسمي للمؤلف (١٧ ٣٥٤).

وفي النبأ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ٦الأنعام:٦١، قال الماوردي: "يحتمل {حَفَظَةً} وجهين؛ أحدهما: حفظ النفوس من الآفات (بسنة كونية تُحيط بهم)، والثاني: حفظ الأعمال من خير وشر (بملائكة مُراقبين) ليكون العلم بإتيانها أزجر عن الشر وأبعث على الخير"[٦٧٥]؛ أي كبيان الإحاطة بالأعمال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ٥٠ق:١٦-١٨، ومثله في حفظ الأعمال قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ٨٢الإنفطار:١٠-١٢، قال الألوسي: "هم الكرام الكاتبُون المذكُورون في قوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ) الانفطار:١٠و١١، أو المعقبات المذكورة في قوله سبحانه: (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) الرعد:١١، وقيل: المُراد ما يشمل الصنفين، ويُقدر (أن) المحفُوظ (هو) الأعمال والأنفس؛ و(هو) الأعم"[٦٧٦].

وفي النبأ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ٨٦الطارق:١-٤؛ يتعلق السياق بأخطار سماوية تدفعها سنة كونية تحفظ البشرية، وإحصاء كل فرد يفيد الاستغراق والشمول لبيان حفظ كل إنسان من أخطار كونية تُحدق به ويدفعها القدير بتقدير، يحفظ كل إنسان من خطر كوني مُحدق؛ لا تفسره صُدفة وإنما مشيئة حكيمة وإرادة نافذة، قال الألوسي: "(عَلَيْهَا حَافِظٌ) أي مُهيمن ورقيب؛ وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى: (وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً) الأحزاب:٥٢..، وقيل: هو من يحفظ عملها من الملائكة عليهم السلام ويحصي عليها ما تكسب من خير أو شر؛ كما في قوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ) الانفطار:١٠و١١..، وقيل: هو من وُكل على حفظها والذب عنها..؛ كما في قوله تعالى: (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) الرعد:١١"[٦٧٧].

وفي النظم ثنائيات تُعرف بلاغيًّا باسم اللف والنشر، وإسرار القول ناسبه الليل، والجهر به ناسبه النهار، لأن الليل جهة السكون والنهار جهة النشاط والانتقال، والمعقبات الحافظة لكل إنسان من جهتين كذلك: من أمامه جهة النهار حين سعيه على الرزق؛ ومن خلفه جهة الليل، أي مُقابل الشمس في الواجهة وفي ذيل الأرض جهة الليل، بينما الملائكة الرُّقُباء على الإنسان والحافظة للأعمال في الجانبين عن يمينه وشماله وليسوا في الواجهة والخلف؛ لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ٥٠ق:١٧و١٨، وكلمة (مُعَقِّباتٌ) جمع الجمع مؤنث، بينما كلمة (الملائكة) في تعبير القرآن الكريم جمع مُذكر؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا..﴾ ٢البقرة:٣٠، ولم يقُل (قالت)، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ ٢البقرة:٣٤، ولم يقُل (فسجدت)، قال القرطبي: "قَالَ (مُعَقِّباتٌ) وَالْمَلَائِكَةُ ذُكْرَانٌ لِأَنَّهُ جَمْعُ مُعَقِّبَةٍ..؛ ثُمَّ (مُعَقِّبَاتٌ) جَمْعُ الْجَمْعِ"[٦٧٨]، وتُلفت المُخالفة في الجنس وكثرة الجموع لظاهرة كونية تحفظ البشر هي أليق بالتفسير؛ خاصة مع تطابق جميع الأوصاف.

---

[٦٧٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٦\ ١٢٣).

[٦٧٦] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٤\ ١٦٦).

[٦٧٧] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٥\ ٣٠٧).

[٦٧٨] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٩\ ٢٩١).

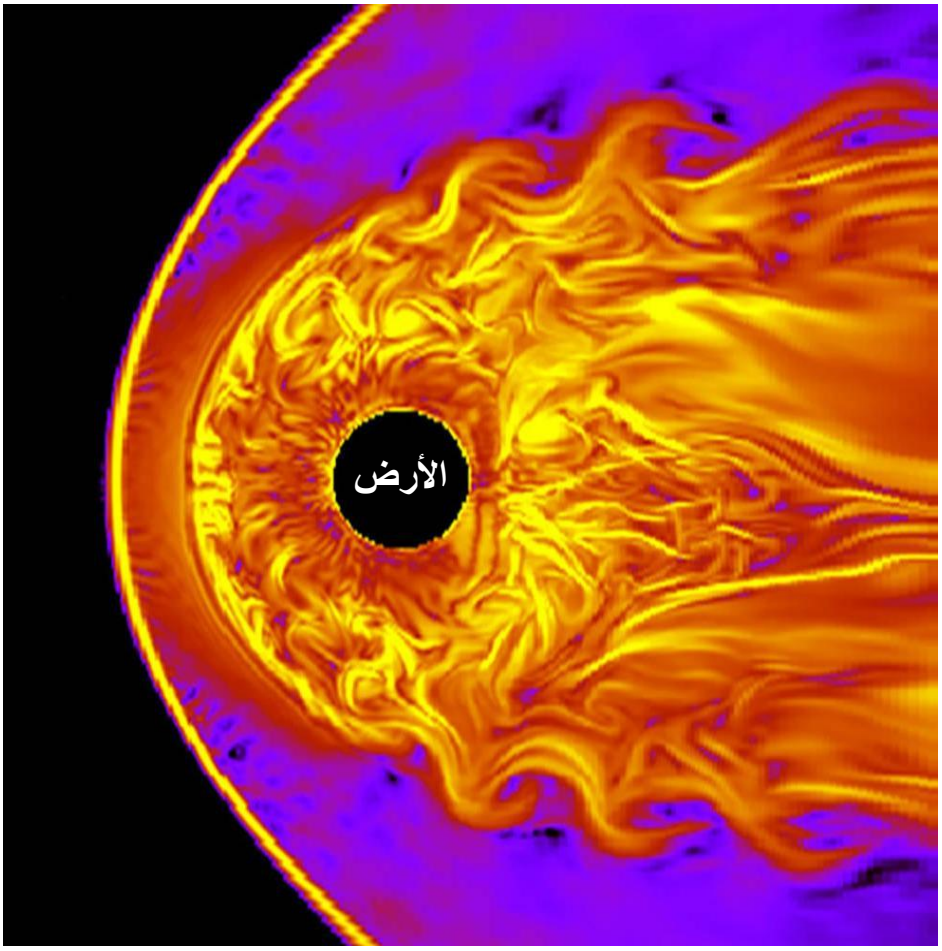

طبقة الغلاف المغناطيسي تشكل درعاً واقيا للأرض وتحمي كل كائن حي من الرياح الشمسية القاتلة.

ودلالة المصابيح في التعبير: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ ٤١فصلت:١٢؛ فسرها القرآن الكريم بالرجوم والشهب: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ٦٧الملك:٥، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٥الحجر:١٦-١٨، ووظيفة الحفظ: ﴿بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾؛ تنويه لنعمة إبعاد خطر الإشعاعات الضارة، والتلازم في الزينة مع الرجوم؛ تنويه بنعمة الجو كذلك في إبعاد خطر الرجوم، فكليهما تنويه لنعمة للغلاف الجوي، ولم يُعرف إلا حديثًا أن الغلاف المغناطيسي هو سبب تلألؤ الأضواء القطبية الخلابة؛ وأنه يحفظ الحياة على الأرض من خطر الرياح الشمسية، وليس التلطف في البيان إلا لإيصال حقائق مُدَّخَرَة لقادم الأيام بلا صدام مع معارف الأولين يلفت عن غرض الإيمان بوحدانية القدير والاستعداد ليوم الرحيل.

قال القاسمي: "ولا يخفى أن عدم الوجدان (العلم بوجود شيء) لا يدل على عدم الوجود..، كما أن عدم معرفة القدماء للميكروبات وللكهرباء التي تُشاهد الآن آثارها..؛ لم يكُن يدل على عدم وجودها إذ ذاك في (هذا) العالم..، (إذن) كل مسألة جاء بها القرآن حق؛ لا يُوجد في العلم الطبيعيّ ما يُكذبها، لأنه وحي (من) الله حقًّا؛ والحق لا يناقضه الحق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت:٥٣"[٦٧٩].

[٦٧٩] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٨ ٢٠١).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله تعالى: {سواءٌ منكم مَن أسَرَّ القول ومَن جَهَرَ به} إسرار القول: ما حدّث به نفسه، والجهر ما حَدّث به غيره، والمراد بذلك أنه تعالى يعلم ما أسره الإنسان من خير وشر، {ومَن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار} فيه وجهان: أحدهما: يعلم من استخفى بعمله في ظلمة الليل ومن أظهره في ضوء النهار. الثاني: يرى ما أخفته ظلمة الليل كما يرى ما أظهره ضوء النهار؛ بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل أحوال أهلهم..، قوله عز وجل: {له معقبات مِن بين يديه ومن خَلْفِه} فيها ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنهم حراس الأمراء يتعاقبون الحرس؛ قاله ابن عباس وعكرمة، الثاني: أنه ما يتعاقب من أوامر الله وقضائه في عباده؛ قاله عبد الرحمن بن زيد، الثالث: أنهم الملائكة، إذا صعدت ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل، وإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار؛ قاله مجاهد وقتادة، قال الحسن: وهم أربعة أملاك: اثنان بالنهار واثنان بالليل؛ يجتمعون عند صلاة الفجر، وفي قوله تعالى: {من بين يديه ومن خلفه} ثلاثة أوجه؛ أحدها: من أمامه ووراءه؛ وهذا قول من زعم أن المعقبات حراس الأمراء، الثاني: الماضي والمستقبل؛ وهذا قول من زعم أن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله تعالى وقضائه، الثالث: من هُداه وضلالِه؛ وهذا قول من زعم أن المعقبات الملائكة، {يحفظونَه من أمر الله} تأويله يختلف بحسب اختلاف المعقبات، فإن قيل بالقول الأول أنهم حراس الأمراء ففي قوله {يحفظونه} أي عند نفسه من أمر الله، ولا راد لأمره ولا دافع لقضائه؛ قاله ابن عباس وعكرمة، الثاني: أن في الكلام حرف نفي محذوف وتقديره: لا يحفظونه من أمر الله، وإن قيل بالقول الثاني إن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله وقضائه؛ ففي تأويل قوله تعالى {يحفظونه من أمر الله} وجهان؛ أحدهما: يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله؛ قاله الضحاك، الثاني: يحفظونه من الجن والهوام المؤذية ما لم يأت قدر؛ قاله أبو مالك وكعب الأحبار، وإن قيل بالقول الثالث: وهو الأشبه: أن المعقبات الملائكة ففيما أريد بحفظهم له وجهان؛ أحدهما: يحفظون حسناته وسيئاته بأمر الله، الثاني: يحفظون نفسه، فعلى هذا في تأويل قوله تعالى {يحفظونه من أمر الله} ثلاثة أوجه؛ أحدها: يحفظونه بأمر الله؛ قاله مجاهد، الثاني: يحفظونه من أمر الله حتى يأتي أمر الله؛ وهو محكي عن ابن عباس، الثالث: أنه على التقديم والتأخير وتقديره: له معقبات من أمر الله تعالى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه؛ قاله إبراهيم، وفي هذه الآية قولان؛ أحدهما: أنها عامة في جميع الخلق؛ وهو قول الجمهور، الثاني: أنها خاصة نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أزمع عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخو لبيد على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله عز وجل منهما وأنزل هذه الآية فيه؛ قاله ابن زيد، {إنَّ الله لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيّرُوا ما بأنفسِهم} يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن الله لا يغير ما بقوم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من معصية، الثاني: لا يغير ما بهم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة، {وإذا أراد الله بقومٍ سوءًا فلا مرد له} فيه وجهان؛ أحدهما: إذا أراد الله بهم عذاباً فلا مرد لعذابه، الثاني: إذا أراد بهم بلاء من أمراض وأسقام فلا مرد لبلائه، {وما لهم مِن دونه من وال} فيه وجهان؛ أحدهما: من ملجأ وهو معنى قول السدي، الثاني: يعني من ناصر"[٦٨٠].

---

[٦٨٠] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٣ ٩٧).

وقال القرطبي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَهُ مُعَقِّباتٌ) أَيْ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَإِذَا صَعِدَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ أَعْقَبَتْهَا مَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَقَالَ (مُعَقِّباتٌ) وَالْمَلَائِكَةُ ذُكْرَانٌ لِأَنَّهُ جَمْعُ مُعَقِّبَةٍ، يُقَالُ: مَلَكٌ مُعَقِّبٌ، وَمَلَائِكَةٌ مُعَقِّبَةٌ، ثُمَّ مُعَقِّبَاتٌ جَمْعُ الْجَمْعِ، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ (لَهُ مَعَاقِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ)، وَمَعَاقِيبُ جَمْعُ مُعْقِبٍ، وَقِيلَ لِلْمَلَائِكَةِ مُعَقِّبَةٌ عَلَى لَفْظِ الْمَلَائِكَةِ، وَقِيلَ: أُنِّثَ لِكَثْرَةِ ذَلِكَ مِنْهُمْ، نحو نسابة وعلامة وراوية، قال الْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَالتَّعَقُّبُ الْعَوْدُ بَعْدَ الْبَدْءِ، قَالَ الله تعالى: (وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ) النمل:١٠، أَيْ لَمْ يَرْجِعْ، وَفِي الْحَدِيثِ: (مُعَقِّبَاتٌ لَا يخيب قائلهن أو فاعلهن) فَذَكَرَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّكْبِيرَ، قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ: سُمِّينَ مُعَقِّبَاتٌ لِأَنَّهُنَّ عَادَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فِعْلُ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَقَدْ عَقَّبَ، وَالْمُعَقِّبَاتُ مِنَ الْإِبِلِ اللَّوَاتِي يَقُمْنَ عِنْدَ أَعْجَازِ الْإِبِلِ الْمُعْتَرِكَاتِ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِذَا انْصَرَفَتْ نَاقَةٌ دَخَلَتْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَقَوْلُهُ: (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) أَيِ الْمُسْتَخْفِي بِاللَّيْلِ وَالسَّارِبِ بِالنَّهَارِ، (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) اخْتُلِفَ فِي هَذَا الْحِفْظِ، فَقِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَوْكِيلُ الْمَلَائِكَةِ بِهِمْ لِحِفْظِهِمْ مِنَ الْوُحُوشِ وَالْهَوَامِّ وَالْأَشْيَاءِ الْمُضِرَّةِ، لُطْفًا مِنْهُ بِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ، خَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ أَبُو مِجْلَزٍ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: احْتَرِسْ فَإِنَّ نَاسًا مِنْ مُرَادٍ يُرِيدُونَ قتلك، فقال: إن مع كل رَجُلٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ مَا لَمْ يُقَدَّرْ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَدَرِ اللَّهِ، وَإِنَّ الْأَجَلَ حِصْنٌ حَصِينَةٌ، وَعَلَى هَذَا، (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أَيْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَبِإِذْنِهِ، فَ (مِنْ) بِمَعْنَى الْبَاءِ، وَحُرُوفُ الصِّفَاتِ يَقُومُ بَعْضُهَا مَقَامَ بَعْضٍ، وَقِيلَ: (مِنْ) بِمَعْنَى عَنْ، أَيْ يَحْفَظُونَهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَهَذَا قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ، أَيْ حِفْظُهُمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ، تَقُولُ: كَسَوْتُهُ عَنْ عُرْيٍ وَمِنْ عُرْيٍ، وَمِنْهُ قوله عز وجل: (أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) قريش:٤، أَيْ عَنْ جُوعٍ، وَقِيلَ: يَحْفَظُونَهُ مِنْ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ، حَتَّى لَا تَحِلَّ بِهِ عُقُوبَةٌ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعَافِيَةِ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ، فَإِنْ أَصَرُّوا حَانَ الْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ وَنَزَلَتْ بِهِمُ النِّقْمَةُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ الْحَفَظَةُ الْمُعَقِّبَاتُ، وَقِيلَ: يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْجِنِّ، قَالَ كَعْبٌ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِكُمْ مَلَائِكَةً يَذُبُّونَ عَنْكُمْ فِي مَطْعَمِكُمْ وَمَشْرَبِكُمْ وَعَوْرَاتِكُمْ لَتَخَطَّفَتْكُمُ الْجِنُّ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَخَصَّهُمْ بِأَنْ قَالَ: (مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُعَايَنِينَ، كَمَا قَالَ: (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) الإسراء:٨٥، أَيْ لَيْسَ مِمَّا تُشَاهِدُونَهُ أَنْتُمْ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ؛ وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَابْنِ جُرَيْجٍ وَالنَّخَعِيِّ، وَعَلَى أَنَّ مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ وَالْجِنِّ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَا تَقْدِيمَ فِيهِ وَلَا تَأْخِيرَ، وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّ الْمَعْنَى يَحْفَظُونَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: يَكْتُبُونَ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ، وَيَجُوزُ إِذَا كَانَتِ الْمُعَقِّبَاتُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ فِي (لَهُ) لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلْمُسْتَخْفِي، فَهَذَا قَوْلٌ، وَقِيلَ: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) يَعْنِي بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْفَظُهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَقَدْ جَرَى ذِكْرُ الرَّسُولِ فِي قوله: (لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ) الرعد:٧، أَيْ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ فِي أَنَّهُ لَا يَضُرُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ يَحْفَظُونَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ هَذَا إِلَى جَمِيعِ الرُّسُلِ، لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) الرعد:٧، أَيْ يَحْفَظُونَ الْهَادِيَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَقَوْلٌ رَابِعٌ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَةِ السَّلَاطِينُ وَالْأُمَرَاءُ الَّذِينَ لَهُمْ قَوْمٌ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ومن خلفهم يَحْفَظُونَهُمْ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا؛ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ، وَكَذَلِكَ قَالَ الضَّحَّاكُ: هُوَ السُّلْطَانُ الْمُتَحَرِّسُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الْمُشْرِكُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ نَفْيًا مَحْذُوفًا، تَقْدِيرُهُ: لَا يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيُّ، قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَمَنْ جَعَلَ الْمُعَقِّبَاتِ الْحَرَسَ فَالْمَعْنَى: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَلَى ظَنِّهِ وَزَعْمِهِ، وَقِيلَ: سَوَاءٌ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ فَلَهُ حُرَّاسٌ وَأَعْوَانٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ فَيَحْمِلُونَهُ عَلَى الْمَعَاصِي، وَيَحْفَظُونَهُ مِنْ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ وَعْظٌ، قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَهَذَا لَا يَمْنَعُ الرَّبَّ مِنَ الْإِمْهَالِ إِلَى أَنْ يُحِقَّ الْعَذَابَ، وَهُوَ إِذَا غَيَّرَ هَذَا الْعَاصِي مَا بِنَفْسِهِ بِطُولِ الْإِصْرَارِ فَيَصِيرُ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْعُقُوبَةِ، فَكَأَنَّهُ الَّذِي يُحِلُّ الْعُقُوبَةَ بِنَفْسِهِ، فَقَوْلُهُ: (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أَيْ مِنِ امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ: الْمُعَقِّبَاتُ مَا يَتَعَاقَبُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَضَائِهِ فِي عِبَادِهِ، قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَفِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) وَجْهَانِ؛ أَحَدُهُمَا يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْمَوْتِ مَا لَمْ يَأْتِ أَجَلٌ؛ قَالَهُ الضَّحَّاكُ، الثَّانِي يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْهَوَامِّ الْمُؤْذِيَةِ، مَا لَمْ يَأْتِ قَدَرٌ؛ قَالَهُ أَبُو أُمَامَةَ وَكَعْبُ الْأَحْبَارِ، فَإِذَا جَاءَ الْمَقْدُورُ خَلَّوْا عَنْهُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُعَقِّبَاتِ الْمَلَائِكَةُ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَاخْتَارَهُ النَّحَّاسُ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ) الْحَدِيثَ، رَوَاهُ الْأَئِمَّةُ، وَرَوَى الْأَئِمَّةُ عَنْ عَمْرٍو عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَرَأَ (مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَرُقَبَاءُ مِنْ خَلْفِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْفَظُونَهُ) فَهَذَا قَدْ بَيَّنَ الْمَعْنَى، وَقَالَ كِنَانَةُ الْعَدَوِيُّ: دَخَلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي عَنِ

الْعَبْدِ كَمْ مَعَهُ مِنْ مَلَكٍ؟ قَالَ: "مَلَكٌ عَنْ يَمِينِكَ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ وَآخَرُ عَنِ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ وَالَّذِي عَلَى الْيَمِينِ أَمِيرٌ عَلَى الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ فَإِذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْرًا وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً قَالَ الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ لِلَّذِي عَلَى الْيَمِينِ أَأَكْتُبُ قَالَ لَا لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى أَوْ يَتُوبُ إِلَيْهِ فَإِذَا قَالَ ثَلَاثًا قَالَ نعم اكتب أراحنا الله تعالى منه فَبِئْسَ الْقَرِينُ هُوَ مَا أَقَلَّ مُرَاقَبَتَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَقَلَّ اسْتِحْيَاءَهُ مِنَّا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ق:١٨، وَمَلَكَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) وَمَلَكٌ قَابِضٌ عَلَى نَاصِيَتِكَ فَإِذَا تَوَاضَعْتَ لِلَّهِ رَفَعَكَ وَإِذَا تَجَبَّرْتَ عَلَى اللَّهِ قَصَمَكَ، وَمَلَكَانِ عَلَى شَفَتَيْكَ وَلَيْسَ يَحْفَظَانِ عَلَيْكَ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَلَكٌ قَائِمٌ عَلَى فِيكَ لَا يَدَعُ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَّةُ فِي فِيكَ، وَمَلَكَانِ عَلَى عَيْنَيْكَ، فَهَؤُلَاءِ عَشْرَةُ أَمْلَاكٍ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ يَتَدَاوَلُونَ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ عَلَى مَلَائِكَةِ النَّهَارِ لأن ملائكة الليل ليسوا بملائكة النهار فَهَؤُلَاءِ عِشْرُونَ مَلَكًا عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ، وَإِبْلِيسُ مَعَ ابْنِ آدَمَ بِالنَّهَارِ وَوَلَدُهُ بِاللَّيْلِ)؛ ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ، قَالَ الْحَسَنُ: الْمُعَقِّبَاتُ أَرْبَعَةُ أَمْلَاكٍ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَاخْتِيَارُ الطَّبَرِيِّ: أَنَّ الْمُعَقِّبَاتِ الْمَوَاكِبُ بَيْنَ أَيْدِي الْأُمَرَاءِ وَخَلْفَهُمْ، وَالْهَاءُ فِي (لَهُ) لَهُنَّ..، وَقَالَ الْعُلَمَاءُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ أَوَامِرَهُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا قَضَى حُلُولَهُ وَوُقُوعَهُ بِصَاحِبِهِ، فَذَلِكَ لَا يَدْفَعُهُ أَحَدٌ وَلَا يُغَيِّرُهُ، وَالْآخَرُ قَضَى مَجِيئَهُ وَلَمْ يَقْضِ حُلُولَهُ وَوُقُوعَهُ، بَلْ قَضَى صَرْفَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالدُّعَاءِ وَالصَّدَقَةِ وَالْحِفْظِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يَقَعَ مِنْهُمْ تَغْيِيرٌ، إِمَّا مِنْهُمْ أَوْ مِنَ النَّاظِرِ لَهُمْ، أَوْ مِمَّنْ هُوَ مِنْهُمْ بِسَبَبٍ، كَمَا غَيَّرَ اللَّهُ بِالْمُنْهَزِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ بِسَبَبِ تَغْيِيرِ الرُّمَاةِ بِأَنْفُسِهِمْ، إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْ أَمْثِلَةِ الشَّرِيعَةِ، فَلَيْسَ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ لَيْسَ يَنْزِلُ بِأَحَدٍ عُقُوبَةٌ إِلَّا بِأَنْ يَتَقَدَّمَ مِنْهُ ذَنْبٌ، بَلْ قَدْ تَنْزِلُ الْمَصَائِبُ بِذُنُوبِ الْغَيْرِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سُئِلَ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ (قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً) أَيْ هَلَاكًا وَعَذَابًا، (فَلا مَرَدَّ لَهُ) وَقِيلَ: إِذَا أَرَادَ بِهِمْ بَلَاءً مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَسْقَامٍ فلا مرد لبلائه، وقيل: إذا أراد الله بقوم سوءا أعمى أَبْصَارَهُمْ حَتَّى يَخْتَارُوا مَا فِيهِ الْبَلَاءُ وَيَعْمَلُوهُ، فَيَمْشُونَ إِلَى هَلَاكِهِمْ بِأَقْدَامِهِمْ، حَتَّى يَبْحَثَ أَحَدُهُمْ عَنْ حَتْفِهِ بِكَفِّهِ، وَيَسْعَى بِقَدَمِهِ إِلَى إِرَاقَةِ دَمِهِ، (وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ) أَيْ مَلْجَأٍ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ السُّدِّيِّ، وَقِيلَ: مِنْ نَاصِرٍ يَمْنَعُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ"[٦٨١].

وقال محمد حسين: "قوله تعالى: "(سواءٌ منكم مَن أسرَّ القول ومَن جَهَرَ به ومَن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار) السرب بفتحتين والسروب الذهاب في حدور وسيلان الدمع والذهاب في مطلق الطريق..، فالسارب هو الذاهب في الطريق المُعلن بنفسه، والآية كالتفريع على الآية السابقة، أي إذا كان الله سبحانه عالما بالغيب والشهادة على سواء؛ فسواء منكم من أسر القول ومن جهر به أي بالقول، والله سبحانه يعلم بقولهما ويسمع حديثهما من غير أن يخفى عليه إسرار من أسر بقوله، وسواء منكم من هو مستخف بالليل يستمد بظلمة الليل وإرخاء سدولها لأن يخفى من أعين الناظرين، ومن هو سارب بالنهار ذاهب في طريقه مُتبرز غير مُخفي لنفسه؛ فالله يعلم بهما من غير أن يخفى المُستخفي بالليل بمكيدته، قوله تعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)..، ظاهر السياق أن الضمائر الأربع (لَهُ) (يَدَيْهِ) (خَلْفِهِ) (يَحْفَظُونَهُ) مرجعها واحد، ولا مرجع يصلح لها جميعا إلا ما في الآية السابقة؛ أعني الموصول في قوله: (مَن أسرَّ القول..)..، فهذا الإنسان الذي يعلم به الله سبحانه في جميع أحواله هو الذي له معقبات من بين يديه ومن خلفه، وتعقيب الشيء إنما يكون بالمجيء بعده والإتيان من عقبه، فتوصيف المُعقبات بقوله: (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) إنما يتصور إذا كان سائرا في طريق، ثم طافت عليه المعقبات حوله..، (و) قال تعالى: (الله حفيظ عليهم) الشورى:٦، وقال: (وربك على كل شيء حفيظ) سبأ:٢١، وقال يذكر الوسائط في هذا الأمر (وإن عليكم لحافظين): الانفطار:١٠، فلولا حفظه تعالى إياها بهذه الوسائط التي سماها (حافظين) تارة و(معقبات) أخرى؛ لشمله الفناء من جهاتها وأسرع إليه الهلاك من بين أيديه ومن خلفه، غير أنه كما أن حفظه بأمر من الله عز شأنه؛ كذلك فناؤه وهلاكه وفساده بأمر من الله، لأن المُلك لله لا يدبر أمره ولا يتصرف فيه إلا هو سبحانه..، وعلى هذا فهذه المعقبات كما يحفظونه بأمر الله كذلك يحفظونه من أمر الله، وعلى هذا ينبغي أن ينزل قوله..: (يحفظونه من أمر الله)، وبما تقدم يظهر وجه اتصال قوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، وأنه في موضع التعليل لقوله: (يحفظونه من أمر الله)، والمعنى أنه تعالى إنما جعل هذه المعقبات ووكلها بالإنسان يحفظونه بأمره من أمره، ويمنعونه من أن يهلك أو يتغير في شيء مما هو عليه، لأن سنته جرت أن لا يغير ما بقوم من الأحوال حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحالات الروحية، كأن يغيروا الشكر إلى الكفر والطاعة إلى المعصية والإيمان

---

[٦٨١] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٩ ٢٩١).

إلى الشرك؛ فيغير الله النعمة إلى النقمة والهداية إلى الإضلال والسعادة إلى الشقاء..، قوله: (إن الله لا يغير..) يدل بالجملة على أن الله قضى قضاء حتم بنوع من التلازم بين النعم الموهوبة من عنده للإنسان؛ وبين الحالات النفسية الراجعة إلى الإنسان الجارية على استقامة الفطرة، فلو جرى قوم على استقامة الفطرة وآمنوا بالله وعملوا صالحا؛ أعقبهم نعم الدنيا والآخرة كما قال: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا) الأعراف:٩٦، والحال ثابتة فيهم دائمة عليهم ما داموا على حالهم في أنفسهم، فإذا غيروا حالهم في أنفسهم غير الله سبحانه حالهم الخارجية بتغيير النعم نقما، ومن الممكن أن يستفاد من الآية العموم، وهو أن بين حالات الإنسان النفسية وبين الأوضاع الخارجية نوع تلازم؛ سواء كان ذلك في جانب الخير أو الشر، فلو كان القوم على الإيمان والطاعة وشكر النعمة؛ عمهم الله بنعمه الظاهرة والباطنة ودام ذلك عليهم حتى يغيروا فيكفروا ويفسقوا فيغير الله نعمه نقما، ودام ذلك عليهم حتى يغيروا فيؤمنوا ويطيعوا ويشكروا فيغير الله نقمه نعمًا..، ولكن ظاهر السياق لا يساعد عليه وخاصة ما تعقبه من قوله (وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له) فإنه أصدق شاهد على أنه يصف معنى تغييره تعالى ما بقوم حتى يغيروا، فالتغيير لما كان إلى السيئة كان الأصل أعني (ما بقوم) لا يُراد به إلا الحسنة..، على أن الله سبحانه يقول: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) الشورى:٣٠، فيذكر أنه يعفو عن كثير من السيئات فيمحو آثارها فلا ملازمة بين أعمال الإنسان وأحواله وبين الآثار الخارجية في جانب الشر بخلاف ما في جانب الخير كما قال تعالى في نظير الآية: (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الأنفال:٥٣، وأما قوله تعالى: (وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له)؛ فإنما دخل في الحديث لا بالقصد الأولي، لكنه تعالى لما ذكر أن كل شيء عنده بمقدار، وإن لكل إنسان معقبات يحفظونه بأمره من أمره ولا يدعونه يهلك أو يتغير أو يضطرب في وجوده والنعم التي أوتيها، وهم على حالهم من الله لا يغيرها عليهم حتى يغيروا ما بأنفسهم؛ وجب أن يُذكر أن هذا التغيير من السعادة إلى الشقاء ومن النعمة إلى النقمة أيضا من الأمور المحكمة المحتومة التي ليس لمانع أن يمنع من تحققها، وإنما أمره إلى الله؛ لا حظ فيه لغيره، وبذلك يتم أن الناس لا مناص لهم من حكم الله في جانبي الخير والشر، وهم مأخوذ عليهم وفي قبضته، فالمعنى: وإذا أراد الله بقوم سوء ولا يريد ذلك إلا إذا غيروا ما بأنفسهم من سمات معبودية ومقتضيات الفطرة فلا مرد لذلك السوء من شقاء أو نقمة أو نكال، ثم قوله: (وما لهم من دونه من وال) عطف تفسيري على قوله: (إذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له)، ويفيد معنى التعليل له فإنه إذا لم يكن لهم من وال يلي أمرهم إلا الله سبحانه لم يكن هناك أحد يرد ما أراد الله بهم من السوء، فقد بان من جميع ما تقدم أن معنى الآية على ما يعطيه السياق والله أعلم أن لكل من الناس على أي حال كان؛ معقبات.. من بين يديه ومن خلفه.. يحفظونه بأمر الله من أن يتغير حاله بهلاك أو فساد أو شقاء بأمر آخر من الله، وهذا الأمر الآخر الذي يغير الحال إنما يؤثر أثره إذا غير قوم ما بأنفسهم فعند ذلك يغير الله ما عندهم من نعمة ويريد بهم السوء، وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له لأنهم لا والي لهم يلي أمرهم من دونه حتى يرد ما أراد الله بهم من سوء، وقد تبين بذلك..؛ أن الآية كالبيان التفصيلي لما تقدم في الآيات السابقة من قوله: (وكل شيء عنده بمقدار)، فإن الجملة تُفيد أن للأشياء حدودا ثابتة لا تتعداها ولا تتخلف عنها عند الله حتى تعزب عن علمه، وهذه الآية تفصل القول في الإنسان أن له معقبات من بين يديه ومن خلفه موكلة عليه يحفظونه وجميع ما يتعلق به من أن يهلك أو يتغير عما هو عليه، ولا يهلك ولا يتغير إلا بأمر آخر من الله..، فإذا لم ينحرف النوع الإنساني عن مقتضى فطرته الأصلية ولا منحرف من الأنواع ظاهرا غيره جرى الكون على سعادته و نعمته ولم يعدم رشدا، وأما إذا انحرف عن ذلك وشاع فيه الفساد أفسد ذلك التعادل بين أجزاء الكون وأوجب ذلك هجرة النعمة واختلال المعيشة وظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم الله بعض ما عملوا لعلهم يرجعون، وهذا المعنى كما لا يخفى إنما يتم في النوع دون الشخص..، هذا بعض ما يعطيه التدبر في الآية الكريمة؛ وللمفسرين في تفسيرها اختلاف شديد من جهات شتى، من ذلك اختلافهم في مرجع الضمير في قوله: (له معقبات)، فمن قائل: إن الضمير راجع إلى (من) في قوله: (من أسر القول..)..، ومن قائل: إنه يرجع إليه تعالى؛ أي لله ملائكة معقبات من بين يدي الإنسان ومن خلفه يحفظونه، وفيه أنه يستلزم اختلاف الضمائر، على أنه يوجب وقوع الالتفات في قوله: (من أمر الله) من غير نكتة ظاهرة، ومن قائل: إن الضمير للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ والآية تذكر أن الملائكة يحفظونه، وفيه أنه كسابقه يستلزم اختلاف الضمائر والظاهر خلافه، على أنه يوجب عدم اتصال الآية بسوابقها ولم يتقدم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكر، ومن قائل: إن الضمير عائد إلى من هو سارب بالنهار، ومن ذلك اختلافهم في معنى المعقبات، فقيل: إن أصله المعتقبات؛ صار معقبات بالنقل والإدغام، يُقال:

اعتقبه إذا حبسه، واعتقب القوم عليه أي تعاونوا، ورُدَّ بأنه خطأ، وقيل: هو من باب التفعيل والتعقيب؛ هو أن يتبع آخر في مشيته كأنه يطأ عقبه أي مؤخر قدمه، فقيل: إن المُعقبات ملائكة يعقبون الإنسان في مسيره إلى الله لا يفارقونه، ويحفظونه..، وقيل: المعقبات كُتَّاب الأعمال من ملائكة الليل والنهار يعقب بعضهم بعضا، فملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وهم يعقبون ملائكة الليل؛ يحفظون على الإنسان عمله، وفيه: أنه خلاف ظاهر قوله: (له معقبات) على أن فيه جعل (يحفظونه) بمعنى يحفظون عليه، وقيل: المُراد بالمعقبات الحراس والشرط والمواكب الذين يعقبون الملوك والأمراء، والمعنى: أن لمن هو سارب بالنهار وهم الملوك والأمراء معقبات من الحراس والشرط يحيطون بهم ويحفظونهم من أمر الله، أي قضائه وقدره؛ توهمًا منهم أنهم يقدرون على ذلك، وهذا الوجه على سخافته لعب بكلامه تعالى، ومن ذلك اختلافهم في قوله: (من بين يديه ومن خلفه)، فقيل: إنه متعلق بمعقبات أي يعقبونه من بين يديه و من خلفه، وفيه أن التعقيب لا يتحقق إلا من خلف، وقيل: متعلق بقوله: (يحفظونه) وفي الكلام تقديم وتأخير والترتيب: يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله، وفيه عدم الدليل على ذلك، وقيل: متعلق بمقدر كالوقوع والإحاطة ونحوهما أو بنحو التضمين، والمعنى له معقبات يحيطون به من بين يديه ومن خلفه..، ومن جهة أخرى قيل: إن المراد بما بين يديه وما خلفه ما هو من جهة المكان، أي يحيطون به من قدامه وخلفه يحفظونه من المهالك و المخاطر، وقيل: المراد بهما ما تقدم من أعماله وما تأخر يحفظها عليه الملائكة الحفظ ويكتبونها ولا دليل على ما في الوجهين من التخصيص، و قيل: المراد بما بين يديه ومن خلفه ما للإنسان من الشئون الجسمية والروحية مما له في حاضر حاله وما خلفه وراءه..، ومن ذلك اختلافهم في معنى قوله: (يحفظونه)، فقيل هو بمعنى يحفظون عليه، وقيل: هو مطلق الحفظ، وقيل: هو الحفظ من المضار، ومن ذلك اختلافهم في قوله: (من أمر الله)، فقيل: هو متعلق بقوله: (معقبات) وإن قوله: (من بين يديه ومن خلفه) وقوله: (يحفظونه) وقوله: (من أمر الله) ثلاث صفات لمعقبات، وفيه أنه خلاف الظاهر، وقيل: هو متعلق بقوله: (يحفظونه) و(من) بمعنى الباء للسببية أو المصاحبة والمعنى يحفظونه بسبب أمر الله أو بمصاحبة أمر الله، وقيل: متعلق بيحفظونه و (من) للابتداء أو للنشأ، أي يحفظونه مبتدأ ذلك أو ناشئا ذلك من أمر الله، وقيل: هو كذلك لكن (من) بمعنى (عن)، أي يحفظونه عن أمر الله أن يحل به ويغشاه، وفسروا الحفظ من أمر الله بأن الأمر بمعنى البأس؛ أي يحفظونه من بأس الله، بأن يستمهلوا كلما أذنب ويسألوا الله سبحانه أن يؤخر عنه المؤاخذة والعقوبة أو إمضاء شقائه لعله يتوب ويرجع، وفساد أغلب هذه الوجوه ظاهر غني عن البيان، ومن ذلك اختلافهم في اتصال قوله: (له معقبات من بين يديه ومن خلفه..)، فقيل: متصل بقوله: (سارب بالنهار)..، وقيل: متصل بقوله: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أو قوله: (عالم الغيب و الشهادة)، أي كما يعلمهم جعل عليهم حفظة يحفظونهم، وقيل متصل بقوله: (إنما أنت منذر) الآية يعني أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) محفوظ بالملائكة، والحق أنه متصل بقوله: (وكل شيء عنده بمقدار)؛ ونوع بيان له..، ومن ذلك اختلافهم في اتصال قوله: (إن الله لا يغير ما بقوم..) فقيل: إنه متصل بقوله: (ويستعجلونك بالعذاب) الآية، أي أنه لا ينزل العذاب إلا على من يعلم من جهتهم بالتغيير، حتى لو علم أن فيهم من سيؤمن بالله أو من في صلبه ممن سيولد ويعيش بالإيمان؛ لم ينزل عليهم العذاب، وقيل: متصل بقوله: (سارب بالنهار) يعني أنه إذا اقترف المعاصي فقد غير ما به من سمة العبودية وبطل حفظه ونزل عليه العذاب، والقولان كما ترى بعيدان من السياق، والحق أن قوله: (إن الله لا يغير ما بقوم..)، تعليل لما تقدمه من قوله: (يحفظونه من أمر الله)"[٦٨٢].

[٦٨٢] محمد حسين المعروف بـالعلامة الطباطبائي؛ تفسير الميزان، موقع الكوثر، ترقيم المكتبة الشاملة (١١١ ١٦٣).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Meteorology

علم الأرصاد الجوية

المَوْضُوع Subject

Magnetosphere

الغلاف المغناطيسي

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ ١٣الرعد:١٠-١٣.
- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.
- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ٣٤سبأ:٢.
- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ٥٧الحديد:٤.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ٥٧الحديد:٢٥.
- ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ ٣٧الصافات:٦-١٠.
- ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:١٢،
- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ. وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٦٧الملك:٥و٦.
- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ٦الأنعام:٦١.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ٥٠ق:١٦-١٨.
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ٨٢الإنفطار:١٠-١٢.
- ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ٨٦الطارق:١-٤.
- ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٥الحجر:١٦-١٨.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ
الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ
وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾
١٣الرعد:١٢و١٣.

Paragraph الفقرة

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ. لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ١٣الرعد:١٢-١٤.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾، ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾، ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾، ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

He (is the One) **Who shows you the lightning; as a warn for fear** (from thunderbolts) **and as a sign for hope** (of the rainfall)**. And** (Who) **initiates the heavy clouds** (loaded by water)**. And the thunder** (Hymns) **declares His Glory; Praising to Him, and the angels also do so for awe of Him, and He sends the thunderbolts; by which He strikes whom HE wills. Yet they** (disbelievers) **argue about Allah, while HE is** (Supreme ;) **Mighty in** (awesome) **power.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

يَصْحُب البرق Lightning عادةً السحب الكثيفة المثقلة الغنية بالمطر والممتدة عاليًا كالجبال والتي تسمى بسحب الرُّكَام Cumulus، وقد يَصْحُب ظواهر أخرى كالعواصف الرعدية Thunderstorm والعواصف الترابية Dust Storms والثورات البركانية، ويصاحبه دوي أو دمدمة وقعقعة تسمى بالرعد Thunder، وومضات البرق عبارة عن تفريغ شحنة كهربية قد تقع داخل السحب أو بين سحابة وأخرى مشحونة بشحنة مخالفة، وقد تقع بين السحب المشحونة والهواء، وإذا بلغ البرق سطح الأرض فهو ينتخب الأجزاء المرتفعة لإفراغ شحنته مدمرًا كل جماد وصاعقًا كل حي؛ ولذا يسمى حينئذ صاعقة البرق Lightning bolt أو ضربة الرعد Thunderbolt.

ولم تكن طبيعة البرق معروفة حتى منتصف القرن الثامن عشر، وفي عام ١٧٥٢ أثبت الأمريكي بنيامين فرانكلين Benjamin Franklin (١٧٠٦-١٧٩٠) أنه عبارة عن شحنة كهربية حيث يمكنها توليد شرارة Spark إذا اقتربت من الأرض، والقصة الشائعة انه استخدم طائرة ورقية أثناء عاصفة رعدية ربط فيها مفتاحا معدنيا متصلا بطرف قرب سطح الأرض أثناء طيرانها عاليا فلاحظ تولد شرارة كهربية بين الطرف المعدني المتصل بالطائرة وبين الأرض، أعاد غيره التجربة مرات عديدة وكان بعضها مأساويًا، ففي عام ١٧٥٣ قام الفيزيائي السويدي رتشمان Richman بتجربة مماثلة لكن الشحنة الكهربية صعقته.

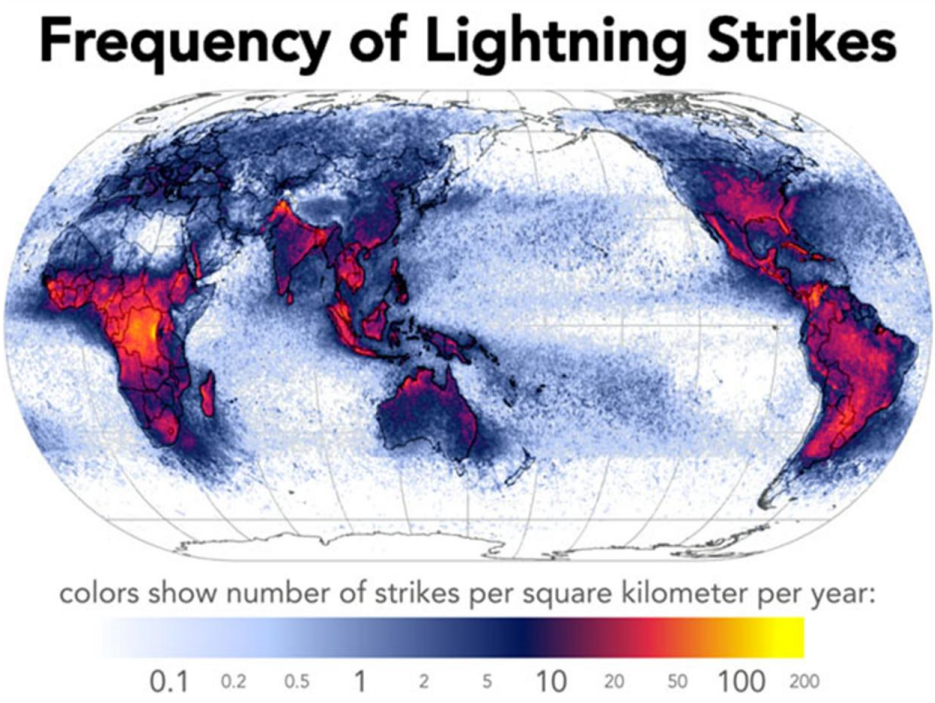

تحدث معظم ضربات البرق على اليابسة في المناطق الحارة، ويظهر اللون عددها سنويا لكل كيلومتر مربع.

والوسط الذي تتجمع فيه الغيوم؛ ترتفع فيه الرطوبة ويمتلئ بالشحنات الكهربية، واحتمال تلامس الشحنات المتعاكسة كبير؛ ولذا فإن البرق داخل الغيوم نفسها يمثل ثلاثة أرباع ضربات البرق، وحينئذ يرى المُراقب من سطح الأرض توهج خافت تحجبه طبقات السحب الكثيفة، وقد يحدث التفريغ الكهربي في أعلى الغيمة فتتكشف عتمة السحب الكثيفة للناظر بهيئة ظلمات متباينة الإعتام تحجب الوميض، وتحدث مُعظم ضربات البرق على اليابسة في المناطق ذات الحارة العالية لأنها ترفع بخار الماء أكثر ليتكثف ويكون السحب، ويأخذ البرق أشكالا عديدة بسبب انتشار الشرارة في كتل هوائية متباينة الضغط ودرجة الرطوبة؛ فيظهر بهيئة خط متعرج أو شريط ذي خطوط شبه متوازية، وإذا وصلت ضربة البرق إلى سطح الأرض فيعتمد خطرها على موضع تفريغ الشحنة، والأجسام المعدنية التي توضع فوق الأبنية العالية في المناطق التي تكثر فيها الصواعق وتسمى بموانع الصواعق لا تمنعها في الحقيقة؛ وإنما تقوم بتسريب الشحنة الكهربائية خلال موصلات معدنية نحو الأرض فتحرف مسارها وتدفع خطرها.

وتتكون العواصف الرعدية نتيجة سخونة سطح الأرض وتسخين الهواء الملامس فيرتفع عاليا بهيئة دوامات حاملاً بخار الماء ليتكثف في المناطق العليا الباردة في أعالي الغلاف الجوي للأرض؛ ويكون تجمعات من سحب الركام قد يصل ارتفاعها إلى حوالي ١٨ كم في المناطق الاستوائية، ولذا تقع فيها أكثر العواصف الرعدية وأعنفها، وتتميز سحب الركام بنزول المطر الغزير والبَرَدْ وحدوث البرق والصواعق، وقد يبلغ حجم حبة البَرَدْ حوالي ١٠ سم، ومع ازدياد حجمها تصبح أكثر تدميرًا نتيجة زيادة شدة الارتطام وتسبب خسائر أكبر للمنشآت والمحاصيل، ونادرًا قد تقرب من ١٥ سم عرضًا؛ فتزداد قوة تدميرها وتعرض حيوانات المزارع وحتى البشر للخطر.

ولم تكتمل بعد تجريبيًا دراسة كافة العوامل المُحتملة التأثير في عملية تكون الشحنات الكهربية في السحب والتي تدفع لوقوع البرق عند بلوغ الحد الحرج، فقد تدخل عدة عوامل كثيرة مؤثرة مثل درجة التشبع بالماء وقوة احتكاك قطرات الماء بالهواء وشدة الرياح؛ وربما يكون للرياح الشمسية المشحونة كهربيا تأثيرا ما، لكن تكون البرق يرجع أساسًا إلى تكون البَرَدْ Hail في أعلى السحب، فالبَرَدْ يتحرك دوريا للأعلى تأثير تيارات الحمل من الهواء الصاعد وللأسفل بزيادة وزنه نتيجة لاكتساب حباته طبقات جليدية في المنطقة العليا حيث تتدنى درجة الحرارة (قد تبلغ حوالي ٦٠ درجة تحت الصفر المئوي)، وتكتسب حبات البَرَدْ خلال حركته للأعلى الكترونات سالبة ويشحن أعلى السحابة بشحنة كهربية موجبة، وخلال حركته نحو الأسفل يشحن أسفل السحابة بشحنة سالبة.

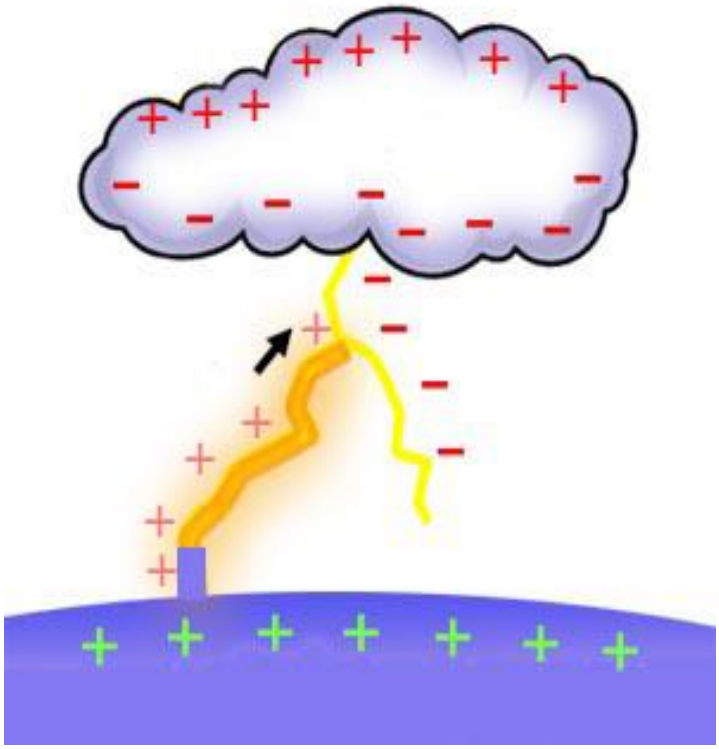

وعندما تجتمع الظروف المناسبة وتنضج السحابة تسعى الشحنة الكهربية السالبة في قاعدة السحابة لشحن الجو الرطب دونها بشحنة سالبة وتتوجه نحو الأرض يقودها ما يسمى الشعاع القائد Leader لضربة البرق، وينتقل في خطوات متدرجة كل منها قد يبلغ عشرات الأمتار، وقد تبلغ سرعة الشعاع القائد ٦٠ ألف متر\ثانية، وعلى بعد عشرات الأمتار من سطح الأرض تقابله الشحنة الموجبة صاعدة نحوه نتيجة التجاذب بين الشحنتين وتمتد نحو السحابة خلال نفس المسار في الهواء الذي مهده الشعاع القائد بتأيين الهواء بالشحنة السالبة؛ ولذا تسمى بالضربة المرتجعة Return stroke، وهي المسئول الأساسي (حوالي ٩٩%) عن تفريغ الشحنة الكهربية وتوليد الوميض الحاد أو لمح البرق Lightning flash، وسرعة الضربة المرتجعة في المسار الممهد بشحنة سالبة تزيد عن ١٠٠ ألف كم\ثانية؛ أي تقارب نصف سرعة الضوء، ونتيجة للشحنة الكهربية الهائلة التي تشق طريقها في الهواء يسخن فجأة في أجزاء قليلة من الثانية لتبلغ درجة حرارته حوالي ٢٠ ألف إلى ٣٠ ألف درجة مئوية؛ وهي درجة حرارة هائلة تزيد عن حوالي ثلاث إلى خمس مرات قدر حرارة سطح الشمس (حوالي ٦ آلاف درجة مئوية)، والتسخين الفجائي للهواء لدرجة الحرارة الهائلة تلك يولد موجة صدمية فوق صوتية Supersonic shock wave تُسمع كأصوات عاتية مرعبة متتابعة بهيئة دمدمة وقعقعة تسمى بالرعد Thunder نتيجة دوي الانفجار الذي تصاحبه موجة تمدد الهواء فجأة والموجة الارتدادية وترددهما مع صدى الصوت المنعكس على سطح الأرض والسحب في المنطقة من الجو وما يجاورها، ولأن لمح البرق ينتقل في الجو بسرعة الضوء (حوالي ٣٠٠ ألف كم\ثانية) بينما تنتقل موجات الرعد بسرعة الصوت (حوالي ٣٤٣ متر\ثانية عند مستوى سطح البحر) يُمكن تقدير بعد المصدر بمعرفة الفارق زمنيا بين الحدثين، وقد يحدث البرق ولا يُسمع الرعد لبعد المصدر، وقد يُسمع الرعد ولا يشاهد البرق لوقوعه داخل غيمة السحب.

وليست ضربات البرق إذا بلغت سطح الأرض خطرًا يمكن تجاهله حيث يحدث البرق حوالي ١٠٠ مرة كل ثانية، وفي اللحظة الواحدة تحدث حوالي ٢٠٠٠ عاصفة رعدية، وفي العام حوالي ٦ مليون عاصفة برقية Lightning storms، وتقوم الصاعقة بتفريغ تيار يبلغ أكثر من مائة مليون فولت على الأقل في كل مرة وقد يصل إلى ألف مليون فولت، فأنت إذن أمام قوة رهيبة تدخل في صلب العمليات المُقَدَّرَة لتوزيع المطر على سطح الكوكب، وفي ذات الوقت قد تكون تلك القوة الرهيبة مصدرًا لدمار هائل يحدث بصورة مفاجئة؛ وقد يصعب أن يدفعه احتياط.

ووميضات البرق ودمدمات الرعد رسائل لا يغيب مغزاها عن فطين؛ تشهد بتقدير مُسبق وتدبير لا تصنعه إلا مشيئة واحدة علية وقدرة إذا شاءت جعلت النعمة نقمة، وهي ظاهرة مُحَيِّرَة لم يعرف الإنسان تفسيرها إلا حديثًا، وتعجب أن يكشف القرآن الكريم سترها من بين كل الكتب التي تُنسب سواه للوحي بنصوص صريحة دليلاً على الوحي.

في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ الرعد:١٢و١٣؛ تصريح بالتلازم كما نعرفه اليوم بين البرق Lightening وسحاب الركام Cumulus المُعَبَّر عنه بالسحاب الثقال، وهو تعبير وصفي دقيق يلتقي مع المعرفة الحديثة بأن السحاب ثقيل الوزن ترفعه تيارات الحمل من أسفل؛ وأن سحاب الركام خاصةً هو أثقل أنواع السحب، والبرق يلتقطه البصر كومضات خاطفة أو لمح فهو إذن ظاهرة ضوئية مرئية للمراقبين؛ ناسبها خصَّه بالرؤية في التعبير: (يُرِيكُمُ الْبَرْقَ)، وقد يتحول البرق إلى صواعق تحرق أي شيء تطَاله من معالم سطح الأرض وتصعق الأحياء نتيجة الشحنة الكهربائية الهائلة، وخصُّ البرق بالرؤية بلا خطر سوى شدة اللمعان مع خص الصواعق بالإصابة بالخطر تمييز لكل منهما رغم الطبيعة الواحدة.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ النور:٤٣؛ تلازم حدوث البرق والبَرَدْ مع تكون سحب الركام خاصة، وربط النظم بين تكون البَرَدْ وامتدادها عاليًا مثل الجبال، ونسب صريحًا وقوع البرق إلى البَرَدْ، قال الشيخ الزنداني: "السبب في تكوين البرق هو البرد، فالبرد بتكوينه تتكون الشحنات الكهربائية الموجبة والسالبة، والله يبين لنا هذا؛ في القرآن الكريم: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ﴾.. الضمير يعود على ماذا؟.. فَيُصِيبُ.. بماذا؟ بالبرد..، (وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ)؛ يصرف ماذا؟.. البرد..، (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ) أي لمعان برق ماذا؟ برق البرد، فالبرق (سببه).. البرد، هل كان لدى النبي ﷺ أجهزة..؛ أم كان عنده العلم الذي جاءه من الله"!.

وقد يصحب البرق ما يُسمى بعواصف التورنادو الرعدية Tornadic thunderstorm التي تبدو بهيئة إعصار فيه نار، وقد أُستشكل أن تُصاحب العواصف والأعاصير أية ظواهر نارية باعتبار أنها دوامات مكونة أساسا من ماء مُثلج وبَرَدْ، حيث لم يُعرف إلا حديثًا جدًّا أن الدور الأساسي في تكوين الشرارة النارية وصدور البرق يرجع إلى البَرَدْ ذاته، ولذا لا مجال إذن لنسبة التعبير الوصفي في القرآن الكريم لبشر في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنّةٌ مّن نّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلّ الثّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرّيّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلّكُمْ تَتَفَكّرُونَ﴾ البقرة: ٢٦٦.

وفي أقل من نصف ثانية تحدث ٣-٤ ضربات برق نراها كلها في ومضة برق واحدة ولا ندرك مرور ورجوع البرق، والحقيقة أن الشعاع الكهربي يرجع باتجاه الغيمة لكن سرعة العملية تبدي لنا البرق وكأنه يتجه من الغيمة إلى الأرض فحسب، وتفيض دلائل النبوة في حديثه عليه الصلاة والسلام؛ ففي رواية مسلم: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين)، وتعجب كيف يُوصف البرق بالرجوع في زمن لم يُعاين مرور شحنته عائدةً للسحب بشر قبل اكتشاف تقنية التصوير السريع!، وكيف يُوصف الضوء بسرعة محدودة مُثِّلَت بطرفة العين في زمن المتبادر فيه أن الضوء سرعته لا نهائية قبل قياسها حديثًا!، قال المهندس الكحيل: "لم يكن أحد يتخيل أن للضوء سرعة..، وهذه هي أول إشارة نلمسها في الحديث الشريف إلى أن البرق يسير بسرعة محددة، (و) البرق ما هو إلا شرارة كهربائية.. (و) هنالك طورين رئيسيين لا يمكن لومضة البرق أن تحدث من دونهما أبداً؛ وهما طور المرور وطور الرجوع.. Return..، فمن الذي أخبره بأن العلماء بعده بأربعة عشر قرنًا سيستخدمون (نفس) هذه الكلمات..، (و) الزمن اللازم لحدوث البرق.. طرفة عين.. أجزاء قليلة من الثانية (كذلك)"!.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيّبٍ مّنَ السّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِيَ آذَانِهِم مّنَ الصّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنّ اللهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة:١٩و٢٠؛ لفظ (صَيّبٍ) يُنَاظر سحاب الركام بقرائن البرق والرعد والظلمات، وبقرينة ورود اللفظ متعلقا بالصواعق والبرد والبرق: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ ١٣الرعد:١٣، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣، وقد يدعي المُتَرَصّد اكتشاف هفوة سبق الرعد للبرق في النظم بخلاف الواقع، ولكن يفوته أن لفظ (ظُلُمَاتٌ) يعني درجات إعتام متباينة الكثافة تحجب وميض البرق؛ فيشير لوقوعه داخل سحاب الركام، والبرق الداخلي هو بالفعل أكثر الأنواع وقوعًا وله الأولوية في التقديم؛ ويليه البرق المرئي ثم الصواعق الأندر وقوعًا، فالترتيب إذن في النظم الفريد والواقع سواء، وتقديم البرق ضمنيًا بلفظ (ظُلُمَاتٌ) وتأخير لفظ (رَعْدٌ) يتفق كذلك مع الواقع؛ ويؤيده الترتيب تصريحًا في قوله تعالى: ﴿هُوَ الّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِىءُ السّحَابَ الثّقَالَ. وَيُسَبّحُ الرّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ الرعد:١٢و١٣، وليس الرعب من دوى الرعد حقيقةً بشيء إلى جانب خطر الصواعق الذي لا يُدفع حتى لو وُضعت كل الأصابع في الآذان، والبرق بشير ببركات المطر المؤجلة ونذير بالصواعق فناسب تقديم الخوف منها على الطمع في البركات بالتعبير (خَوْفاً وَطَمَعاً)، ويؤيده الترتيب في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزّلُ مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم: ٢٤، وهكذا بخلاف أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ يتفق الترتيب تمامًا في النظم والواقع.

لقد أذهل القرآن الكريم عند نزوله فرسان البيان وشهد بروائعه حتى المُكابرين، وتضمن دلائل على الوحي للناس أجمعين تكشفها الأيام حينًا بعد حين؛ فيستقر المضمون، قال تعالي: ﴿إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧و٨٨، وقال تعالي: ﴿لّكُلّ نَبَإٍ مّسْتَقَرّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٦٧، ولم يقل الأعلام أن إعجاز القرآن الكريم مقصورٌ فحسب على زمن التنزيل؛ فقد ذخر بوصف ظواهر كونية عديدة في مجالات علمية متنوعة لم تكن كيفيتها معلومة لبشر زمن التنزيل وهي اليوم دروس تعليمية بالجامعات، وليس تناولها مُعتادًا في أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ مع قابلية مطابقة الكشوف العلمية بوجه يستقيم مع الدلالات في البيئة العربية، فالألفاظ معلومة لكن الكيفية مجهولة؛ حملها بتلطف نظم فريد وادخرتها أمثال توافق مضامينها الواقع المستور زمن التنزيل كدلائل على الوحي للقادمين العالِمين بخفايا التكوين، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاّ الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣، ولذا كان القرآن نذيرًا لجيل التنزيل ومن بلغ على مر الأجيال قائما على الحجة بفريد النظم والعلم شهادةً من الله تعالى للنبوة وتأييدًا لرسالة التوحيد، يقول تعالى: ﴿قُلْ أَيّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيّ هَـَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَىَ قُل لاّ أَشْهَدُ قُلْ إِنّمَا هُوَ إِلَـَهٌ وَاحِدٌ وَإِنّنِي بَرِيءٌ مّمّا تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٩، وقد لفت الكتاب الكريم الانتباه للبرق كظاهرة كونية تبشر بالمطر وتنذر بالخطر لتشهد للفطين بقدرة الله تعالى ووحدانيته وسبق تقديره وبديع صنعه وحكيم تدبيره، وجاء النظم المُحكم شاهدًا بعلمه مُتَحَدِّيًا المُكابر بدلائل النبوة الخاتمة، يقول العلي القدير: ﴿بَلْ كَذّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّالِمِينَ﴾ يونس: ٣٩.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

وفي تفسير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: "ومن آياته أنه يريكم البرق من خلال السحب؛ لتشعروا بالخوف من الصواعق وتطمعوا في المطر أن ينزل من السماء لتحيى به الأرض بعد أن يبُست، إن في ذلك لدلالات لقوم يتدبَّرون الأمور فيفهمونها على وجهها"[٦٨٣]، و"إن الرعد خاضع لله سبحانه وتعالى خضوعاً مطلقاً، حتى أن صوته الذي تسمعون كأنه تسبيح له سبحانه بالحمد على تكوينه؛ دلالة على خضوعه، وكذلك الأرواح الطاهرة التي لا ترونها تسبِّح حامدة له، وهو الذي يُنْزِل الصواعق المُحرقة فيصيب بها من يريد أن تنزل عليه، ومع هذه الدلائل الظاهرة الدالة على قدرته سبحانه يجادلون في شأن الله سبحانه، وهو شديد القوة والتدبير في رد كيد الأعداء"[٦٨٤].

وفي تفسير مجمع البحوث الإسلامية: "{وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}؛ المعنى الإجمالي للآية: ومن آيات الربوبية والبعث أن يريكم الله البرق اللامع المنبعث من السحب الركامية خوفا من نزول الأمطار الكاسحة بسيلها أو من نزول الصواعق؛ وطمعا في مطر ينفع ولا يضر"[٦٨٥]، ونظيرها: "(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا): في هذه الآية الكريمة بيان لبعض الظواهر الكونية التي تنطق بكمال قدرته تعالى، وتبرز للحس عظيم صُنْعِهِ، فقد جاءَ فيها أَنه تعالى يرينا البرق لإخافتنا من آثاره التي قد تتمثل في صواعق حارقة، وبرق قوى يكاد عند انبعاثه يذهب بالأَبصار، ومطر غزير يشق على المسافر ويؤذيه، وقد ينفر منه المقيم ولا يبتغيه، كما يرينا البرق أَيضًا لإطماع عباده في غيث نافع يغيث الزرع ويُدرُّ الضرع وينشر الخصب والرخاءَ، قال الحسن: خوفا من صواعق البرق وطمعا في غيثه المُزيل للقحط، وقال قتادة: خوفا للمسافر يخاف مشقته وأَذاه وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله، (وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ): أَي السحب الممتلئة بالمطر، لذلك يعم نفعها ويعظم أَثرها، والثقال جمع ثقيلة لكثرة ما تحمل من ماء المطر، (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ): أَي أَن الرعد خاضع لله خضوعا تامًّا؛ شأْنه شأْن جميع الكائنات، فالتسبيح منه مجاز عن الخضوع، ويجوز أَن يكون تسبيحه تسبيحًا مقاليا ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إِذا سمع صوت الرعد يقول: "سبحان من يسبح الرعد بحمده" (١). وإِسناد يسبح إِلى مضاف محذوف كما يقول بعض المفسرين والتقدير ويسبح ملك الرعد، مخالف لظاهر النص الذي ينطق بأَن الرعد هو الذي يسبح..، وللملائكة كذلك تسبيح وتنزيه..، (وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ): أَي وتسبح الملائكة من هيبته تعالى وإِجلاله، (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ): أَي أَن الله سبحانه وتعالى ينزل الصواعق فيصيب من يشاءُ هلاكه من عباده فيهلكه، وقد تكون مظهرًا من مظاهر قدرته وجبروته، وهى في كلتا الحالتين آية من آيات الله تعالى، ولما نعى الله على المشركين عنادهم في اقتراح الآيات وإِنكارهم كون الذي جاءَ به الرسول من جنس الآيات، ولم يعتبروا بما شاهدوا من ظواهر هي آيات على قدرة الله؛ عقب ذلك ببيان طبيعتهم تسلية لرسوله، فقال سبحانه: (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ): أَي لا تحزن لما ترى منهم في شأْنك، فهم مع أمارات القدرة العظيمة ودلائل التوحيد الباهرة يجادلون في الله بادعاءِ الشركاءِ وإِثبات الأَولاد له تعالى وإِنكار البعث، ويلحون في استعجال العذاب، ومع سلطانه القاهر يمعنون في العناد والمكابرة، (وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ): أَي أَنه سبحانه شديد القوة على أَعدائه يأْخذهم أَخذ عزيز مقتدر فَيصيبُ مِنْهُم من يشاءُ وفق إِرادته"[٦٨٦].

---

[٦٨٣] لجنة من علماء الأزهر؛ المنتخب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر، مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر؛ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م (ص٦٠٥).

[٦٨٤] لجنة من علماء الأزهر؛ المنتخب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر، مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر؛ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م (ص٣٥٥).

[٦٨٥] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٨ ٤٣).

[٦٨٦] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٥ ٤١٨).

وقال ابن جزي: "(يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً) الخوف يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة، والطمع في المطر الذي يكون معه السَّحابَ الثِّقالَ؛ وصفها بالثقل لأنها تحمل الماء، (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) الرعد اسم ملك وصوته المسموع تسبيح، وقد جاء في الأثر: أن صوته زجر للسحاب، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك، (وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ) قيل: إنه إشارة إلى الصاعقة التي نزلت على أربد بن ربيعة الكافر وقتلته حين هم بقتل النبي صلّى الله عليه واله وسلّم هو وأخوه لأمه عامر بن الطفيل..، واللفظ أعم من ذلك، (وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللَّهِ) يعني الكفار..، (شَدِيدُ الْمِحالِ) أي شديد القوة، والمحال مشتق من الحيلة، فالميم زائدة، ووزنه مفعل، وقيل: معناه شديد المكر؛ من قولك: محل بالرجل إذا مكر به، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعال، وتأويل المكر على هذا القول كتأويله في المواضع التي وردت في القرآن"[٦٨٧].

وفي تفسير الجلالين: "{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْق خَوْفًا} لِلْمُسَافِرِينَ مِنْ الصَّوَاعِق {وَطَمَعًا} لِلْمُقِيمِ فِي الْمَطَر {وَيُنْشِئ} يَخْلُق {السَّحَاب الثِّقَال} بِالْمَطَرِ {وَيُسَبِّح الرَّعْد} هُوَ مَلَك مُوَكَّل بِالسَّحَابِ يَسُوقهُ مُتَلَبِّسًا، {بِحَمْدِهِ} أَيْ يَقُول سُبْحَان اللَّه وَبِحَمْدِهِ {و} يُسَبِّح {الْمَلَائِكَة مِنْ خِيفَته} أَيْ اللَّه، {وَيُرْسِل الصَّوَاعِق} وَهِيَ نَار تَخْرُج مِنْ السَّحَاب، {فَيُصِيب بِهَا مَنْ يَشَاء} فَتُحْرِقهُ؛ نَزَلَ فِي رَجُل بَعَثَ إلَيْهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَدْعُوهُ، فَقَالَ مَنْ رَسُولُ اللَّه؛ وَمَا اللَّه أَمِنْ ذَهَب هُوَ أَمْ مِنْ فِضَّة أَمْ نُحَاس؟، فَنَزَلَتْ بِهِ صَاعِقَة فَذَهَبَتْ بِقِحْفِ رَأْسه، {وَهُمْ} أَيْ الْكُفَّار {يُجَادِلُونَ} يُخَاصِمُونَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {فِي اللَّه وَهُوَ شَدِيد الْمَحَال} الْقُوَّة أَوْ الْأَخْذ"[٦٨٨].

وقال الماوردي: "{هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال} قوله عز وجل: {هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً} فيه ثلاثة تأويلات؛ أحدها: خوفاً للمسافر من أذيته وطمعاً للمقيم في بركته؛ قاله قتادة، الثاني: خوفاً من صواعق البرق وطمعاً في غيثه المزيل للقحط؛ قاله الحسن، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت الرعد قال: (اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك)، الثالث: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه، {وينشىء السحاب الثقال} قال مجاهد: ثقال بالماء، قوله عز وجل: {ويسبّح الرعد بحمده} وفي الرعد قولان؛ أحدهما: أنه الصوت المسموع؛ وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الرعد وعيد من الله فإذا سمعتموه فأمسكوا عن الذنوب)، الثاني: أن الرعد ملك؛ والصوت المسموع تسبيحه؛ قاله عكرمة، {والملائكة مِن خيفته} فيه وجهان، أحدهما: وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى؛ قاله ابن جرير، الثاني: من خيفة الرعد؛ ولعله قول مجاهد، {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء} اختلف فيمن نزل ذلك فيه على ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنها نزلت في رجل أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فأخذته صاعقة؛ قاله قتادة، الثاني: في أربد بن ربيعة، وقد كان همّ بقتل النبي صلى الله عليه وسلم مع عامر بن الطفيل؛ فتيبست يده على سيفه، وعصمه الله تعالى منهما، ثم انصرف فأرسل الله تعالى عليه صاعقة أحرقته..، الثالث: أنها نزلت في يهودي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرني عن ربك من أي شيء؛ من لؤلؤ أو ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته". الثاني: أن الرعد مَلَك والصوت المسموع تسبيحه؛ قاله عكرمة، {والملائكة مِن خيفته} فيه وجهان؛ أحدهما: وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى؛ قاله ابن جرير، الثاني: من خيفة الرعد؛ ولعله قول مجاهد..، {وهم يجادلون في الله} فيه وجهان؛ أحدهما: يعني جدال اليهودي حين سأل عن الله؛ من أي شيء هو؟ قاله مجاهد، الثاني: جدال أريد فيما همّ به من قتل النبي صلى الله عليه وسلم، قاله ابن جريج، {وهو شديد المِحالِ} فيه تسعة تأويلات، أحدها: يعني شديد العداوة؛ قاله ابن عباس، الثاني: شديد الحقد؛ قاله الحسن، الثالث: شديد القوة؛ قاله مجاهد، الرابع: شديد الغضب؛ قاله وهب بن منبه، الخامس: شديد الحيلة؛ قاله قتادة والسدي، السادس: شديد الحول؛ قاله ابن عباس أيضاً، السابع: شديد الإهلاك بالمحل وهو القحط؛ قاله الحسن أيضاً، الثامن: شديد الأخذ؛ قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، التاسع: شديد الانتقام والعقوبة؛ قاله أبو عبيدة"[٦٨٩].

---

[٦٨٧] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١\ ٤٠٢).

[٦٨٨] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٣٢٣).

[٦٨٩] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٣\ ١٠٠).

وقال الألوسي: "(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا) من الصاعقة (وَطَمَعًا) في الغيث؛ قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وأخرج أبو الشيخ عن الحسن أنه قال: خوفا لأهل البحر وطمعا لأهل البر، وعن قتادة خوفا للمسافر من أذى المطر وطمعا للمقيم في نفعه، وعن الماوردي خوفًا من العقاب وطمعا في الثواب، والمُراد من البرق معناه المُتبادر، وعن ابن عباس أن المراد به الماء فهو مجاز من باب إطلاق الشيء على ما يُقارنه غالبا..، قيل: في الكلام مُضاف مُقدر؛ وهو إرادة أي يريكم ذلك إرادة أن تخافوا وتطمعوا..، وقيل: الخوف والطمع موضوعان موضع الإخافة والأطماع..، وقيل: التعليل هنا مثله في لام العاقبة..، (وَيُنْشِئُ السَّحَابَ) أي الغمام المُنسحب في الهواء، (الثِّقَالَ) بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونه اسم جنس في معنى الجمع..، (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ) قيل: هو اسم للصوت المعلوم؛ والكلام على حذف مُضاف أي سامعو الرعد، أو الإسناد مجازي..، والباء في قوله سبحانه: (بِحَمْدِهِ) للملابسة..، أي يسبح السامعون لذلك الصوت ملتبسين بحمد الله تعالى فيضجون بسبحان الله والحمد لله..، وقيل: لا حذف ولا تجوز في الإسناد وإنما التجوز في التسبيح والتحميد..، وقيل: إنه مجاز مُرسل استعمل في لازمه، وقيل: الرعد اسم مَلَك؛ فإسناد التسبيح والتحميد إليه حقيقة..، والأشبه في الآية الحمل على الإسناد المجازي ليتلاءم الكلام، فإن الرعد في المتعارف يقع على الصوت المخصوص؛ وهو الذي يقرن بالذكر مع البرق والسحاب، والكلام في إراءة الآيات الدالة على القدرة الباهرة وإيجادها؛ وتسبيح ملك الرعد لا يُلائم ذلك، أما حمل الصوت المخصوص للسامعين على التسبيح والحمد فشديد الملاءمة جدا..، بكمال قدرته سبحانه جلت قدرته وجحود الإنسان ذلك..، والذي اختاره أكثر المحدثين كون الإسناد حقيقيا بناء على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب، والأخبار في ذلك كثيرة، واستشكل بأنه لو كان علما للملك لما ساغ تنكيره..، وأما السحاب فهو أبخرة متصاعدة قد بلغت في صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء..، (وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ) أي ويسبح الملائكة عليهم السلام من هيبته تعالى وإجلاله جل جلاله..، (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ).. والمراد بها هنا النار النازلة من السحاب مع صوت شديد فَيُصِيبُ سبحانه بِها مَنْ يَشاءُ أصابته بها فيهلكه..، وإذا اشتعل فلطيفُهُ ينطفئ سريعا وهو البرق وكثيفُهُ لا ينطفئ حتى يصل إلى الأرض وهو الصاعقة..، (وَهُمْ) أي الذين كفروا.. وأنكروا آياته؛ (يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ) حيث يكذبون ما يصفه الصادق به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالإلوهية وإعادة الناس ومجازاتهم، فالمراد بالمجادلة فيه تعالى المجادلة في شأنه سبحانه وما أخبر به عنه جل شأنه، وهي من الجَدَل (بفتحتين) أشد الخصومة، وأصله من الجَدْل (بالسكون) وهو فتل الحبل ونحوه؛ لأنه يقوي به ويشد طاقاته، وقال الراغب: أصل ذلك من جدلت الحبل أي أحكمت فتله كأن المتجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة..، (وَهُوَ) سبحانه وتعالى (شَدِيدُ الْمِحَالِ) أي المماحلة؛ وهي المكايدة من مَحَل بفلان.. إذا كاده وعرضه للهلاك، ومنه تَمَحَّل لكذا؛ إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه..، وقيل..: هو.. من الحول بمعنى القوة..، وقال ابن عرفة: هو الجدال..، وقيل: هو بمعنى الحقد وروي عن عكرمة وحملوه على التجوز..، وبهذا الحمل؛ لا يلزم إثبات الجسمية له تعالى"[٦٩٠].

[٦٩٠] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧ ١١١).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Meteorology

أرصاد جوية

المَوْضُوع Subject

Lightning

البرق

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿هُوَ الّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِىءُ السّحَابَ الثّقَالَ. وَيُسَبّحُ الرّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ ١٣الرعد:١٢و١٣.**
- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمّ يُؤَلّفُ بَيْنَهُ ثُمّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزّلُ مِنَ السّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣.**
- **﴿أَيَوَدّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنّةٌ مّن نّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلّ الثّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرّيّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللهُ لَكُمُ الاَيَاتِ لَعَلّكُمْ تَتَفَكّرُونَ﴾ ٢البقرة:٢٦٦.**
- **﴿أَوْ كَصَيّبٍ مّنَ السّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِيَ آذَانِهِم مّنَ الصّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنّ اللهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:١٩و٢٠.**
- **﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ ١٣الرعد:١٣.**
- **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزّلُ مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِي بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٣٠الروم:٢٤.**

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٣الرعد:١٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ ١٣الرعد:١٥و١٦.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾، ﴿وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

To Allah prostrate all who dwell in the heavens and the earth, willingly and unwillingly, and likewise do their shadows within the morning period and the afternoon periods.

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

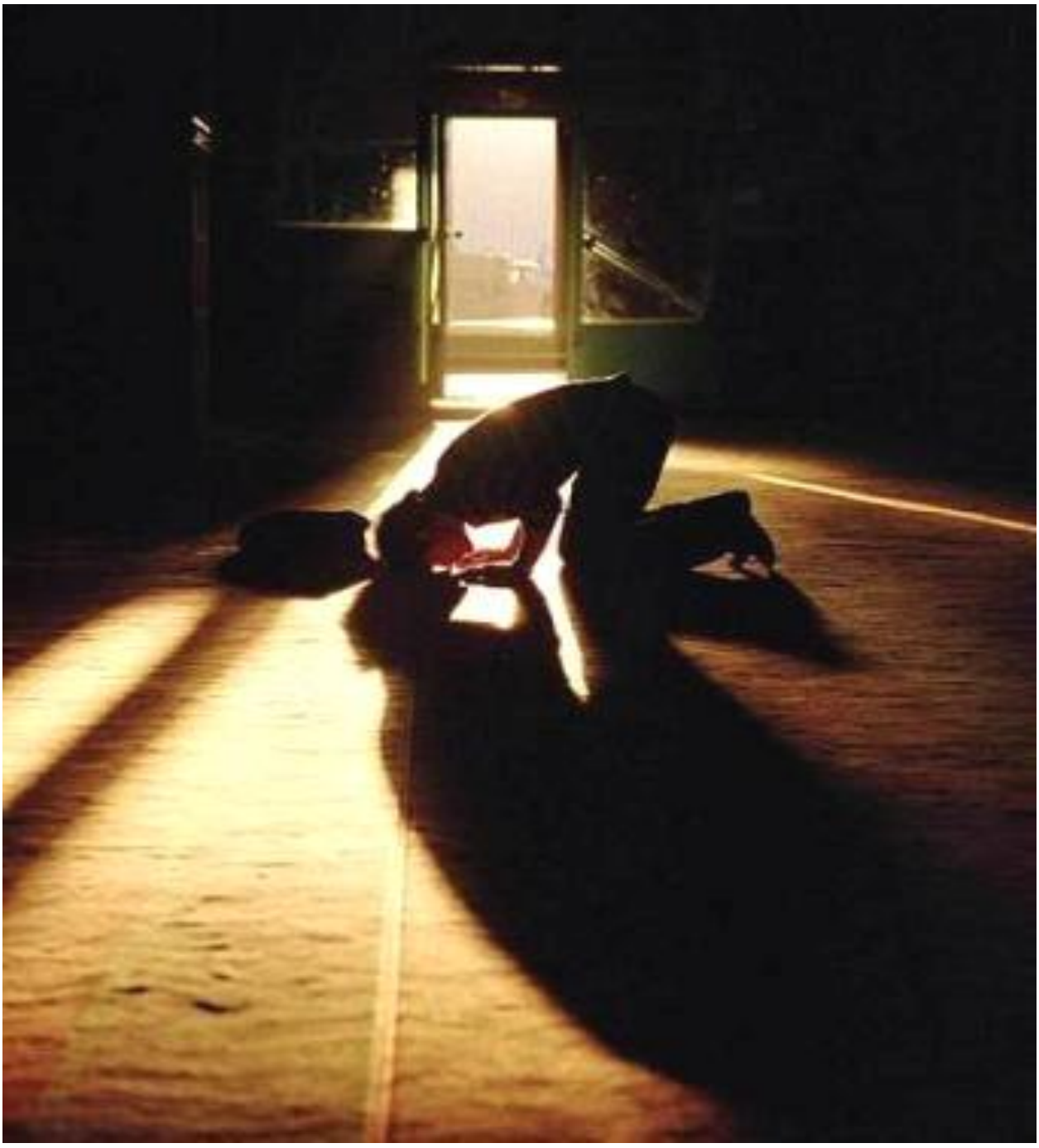

في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾؛ تصوير بديع تمثيلاً بالظلال بيانًا لغاية الخضوع لكونها مطروحة على الأرض على الدوام لا تنهض كأنها ساجدة طائعة كالعقلاء، والتعبير بكلمة (مَن) المختصة بالعقلاء في السماوات كما في الأرض صريح في وجود عابدين في السماوات، وأن لهم شموس وظلال تمتد على كواكب كأرضنا، ونتيجة لحركة كواكبهم حول شموسهم؛ لا ينقطع سجود ظلالهم لحظة واحدة.

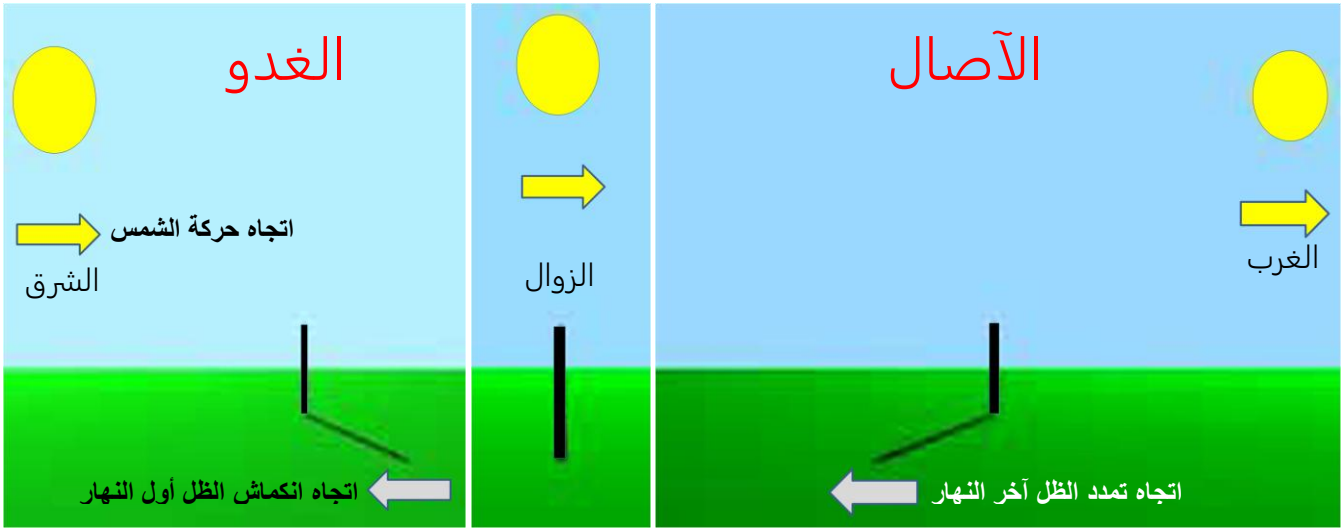

يتحول اتجاه الظل فترة الفيء بعد الزوال من الغرب صباحًا للشرق مساءً، والنهار وجه الأرض المقابل للشمس، ويمين وجهها صباح وشماله (يساره) مساء، ومع حركة الكرة الأرضية حول نفسها يحل المساء في الموقع الذي كان صباحًا؛ ويُمسي الأصيل آصال وشمائل.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا. ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٤٥و٤٦، وبعد منتصف النهار يبدأ الظل في الامتداد شرقا مع ميلان الشمس جهة الغروب، ويظهر بشروقها من جديد؛ فيبدأ الظل الممتد شرقا في الانكماش والتضاؤل شيئا فشيئا مع شروق الشمس حتى وقت الزوال، وحركة الظل انعكاس للحركة الظاهرية للشمس، وهي نعمة كبيرة؛ وإلا استمر لهيب الظهيرة وقيظ النهار الطويل صيفًا. والتعبير ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ لا يعني في حق الذات العلية المكان؛ وإنما المثل تصوير لامتداد الظل ليغمر الأفق آخر النهار وفق تقديره تعالى وانكماش الظل أوله، فهو قبل الظهيرة قصير وينكمش ببطء شيئا فشيئا؛ بينما يمتد بعد الظهيرة سريعًا حتى يكسو الأفق ويعم الظلام؛ والليل على هذا ليس سوى ظل الأرض، ونتيجة لحركة الكرة الأرضية حول نفسها تُمسي فترة الأصيل آصال، وهذا يتفق مع المخالفة بإيراد لفظ (الغدو) بصيغة المصدر؛ وإيراد لفظ (الآصال) بالجمع الصريح: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٣الرعد:١٥، ونحوه المخالفة بإيراد (الشمائل) بالجمع الصريح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ ١٦النحل:٤٨.

تتحرك الكرة الأرضية حول نفسها فيتغير موضع الوجه المقابل للشمس باستمرار، ويتحول الموضع يمين أول النهار (وقت الغدو) إلى شماله (يساره) آخر النهار (الأصيل)، وبتتابع مواضع الشمال تتعدد جهات الشمائل وأوقات الآصال.

فبعد الزوال عقب منتصف النهار يتحول اتجاه الظل من الغرب صباحًا إلى جهة الشرق مساءً؛ وهذا في العربية يُسَمَّى الفيء؛ أي الرجوع، والنهار هو وجه الأرض المقابل للشمس، ويمين وجهها صباح وشماله (يساره) مساء، ومع حركة الكرة الأرضية حول نفسها يحل المساء في الموقع الذي كان صباحًا؛ ويُمسي الأصيل آصال والشمال شمائل.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾؛ يصرح بوجود عوالم كعالمنا وأن في السموات نابهين عابدين؛ تنبطح ظلالهم في أرجاء الكون الرحيب على أسطح كواكب كأرضنا؛ فمن هو إذن الغافل عن جلال الله تعالى إلى جانب تلك العوالم الراشدة ليتمرد!؛ فالأولى بالعاقل أن يسجد للقدير مثلها.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال أبو زهرة:"قال تعالت كلماته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ من فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، والمراد من السجود في ظاهر القرآن؛ وكما قرر أكثر العلماء: الخضوع..، فالرياح تسير بأمره؛ والكواكب والنجوم مسخرات بأمره..، وإذا كان المراد الخضوع والانقياد فإن فيهم العقلاء وغير العقلاء، وقد نصّ على الظلال بالغدو والآصال ولا تعد من العقلاء..، (وإذن) عبر بمَن التي تدل على العقلاء.. من قبيل تغليب العقلاء..، وقد تُطلق (مَنْ) على العموم"[٦٩١]، "﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ٢٧النمل:٦٥، و﴿مَن﴾ هنا للعاقل"[٦٩٢].

وقال أحمد حطيبة: "﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ٢١الأنبياء:١٩..، ﴿مَن﴾ للعاقل، أي: له كل من يعقل في السماوات وكل من يعقل في الأرضين، وهنا غلب العقلاء وإلا فهو يملك سبحانه من يعقل ومن لا يعقل، وأحياناً يذكر (ما في السماوات) وأحياناً يذكر (من في السماوات)..، ثم قال: (وَمَنْ عِنْدَهُ).. (والعندية بمَن الثانية) للملائكة"[٦٩٣]، وبدلالة (الواو) إذن على المغايرة؛ الملائكة غير عقلاء السماوات الذين يدب كل جنس منهم على كواكب كأرضنا، قال تعالى: "﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ١٦النحل:٤٨و٤٩؛ قال أبو السعود: "﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ﴾ أي يرجع شيئاً فشيئاً..، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾.. أي عن جانبي كل واحد..؛ استُعير.. ذلك من يمين الإنسانِ وشمالِه، ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ حالٌ من الظلال؛ كقوله تعالى: ﴿وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، والمرادُ بسجودها تصرّفُها على مشيئة الله سبحانه.. في الامتداد والتقلص.. غيرَ ممتنعةٍ.. فيما سخرها له، وقوله تعالى ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي صاغرون منقادون..، والمعنى: ترجع الظلالُ من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارِها..؛ أو واقعةٌ على الأرض ملتصقةٌ بها على هيئة الساجد، والحالُ أن أصحابها.. منقادةٌ لحكمه تعالى..، وقيل المرادُ باليمين والشمائل يمينُ الفَلَكِ وهو جانبُه الشرقيُّ.. وشمالُه وهو جانبُه الغربيُّ..، فإن الظلال في أول النهار تبتدئ من الشرق واقعةً على الرُّبع الغربي من الأرض؛ وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعةً على الربع الشرقي منها"[٦٩٤]، وقال القاسمي: "﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: إخبار عن عظمته تعالى وسلطانه.. بأنه يُقاد لجلاله وإرادته وتصريفه المكونات بأسرها..؛ لا يقدرون أن يمتنعوا عليه، وكذا تنقاد له تعالى ظلالهم؛ حيث تتصف على مشيئته في الامتداد والتقلص"[٦٩٥]، وقال اطفيش: "أصل الغدو مصدر"[٦٩٦]، وقال ابن عجيبة: "إنما وَحَّد ﴿الْغُدُوِّ﴾.. (بينما).. ﴿الْآصَالِ﴾.. جمع أصيل"[٦٩٧]، وفي تفسير الجلالين: "﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: أَوَائِل النَّهَار وَأَوَاخِره"[٦٩٨]، وقال الرازي: "﴿وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.. (أي) كُلُّ شَخْصٍ سَوَاءٌ كَانَ مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا فَإِنَّ ظِلَّهُ يَسْجُدُ لِلَّهِ..، قَالَ الزَّجَّاجُ..: الْكَافِرَ يَسْجُدُ لِغَيْرِ اللَّهِ وَظِلُّهُ يَسْجُدُ لِلَّهِ..، (و) الْمُرَادَ مِنْ سُجُودِ الظِّلَالِ مَيَلَانُهَا مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ وَطُولُهَا بِسَبَبِ انْحِطَاطِ الشَّمْسِ وَقِصَرُهَا بِسَبَبِ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ، فَهِيَ مُنْقَادَةٌ مُسْتَسْلِمَةٌ فِي طُولِهَا وَقِصَرِهَا وَمَيْلِهَا مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ، وَإِنَّمَا خُصِّصَ ﴿الْغُدُوُّ وَالْآصَالُ﴾ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الظِّلَالَ إِنَّمَا تَعْظُمُ وَتَكْثُرُ فِي هذين الوقتين"[٦٩٩].

---

[٦٩١] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (٧\ ٣٩١٨).

[٦٩٢] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٠\ ٥٤٧٥).

[٦٩٣] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة؛ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٣ ٥).

[٦٩٤] أبو السعود العمادي؛ تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي بيروت (٥\ ١١٨).

[٦٩٥] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٦\ ٢٧٢).

[٦٩٦] محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش المتوفى سنة ١٣٣٢هـ؛ تفسير أطفيش تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٤\ ٤١٧).

[٦٩٧] العباس أحمد بن عجيبة الحسني النطواني المتوفى سنة ١٢٦٦هـ؛ تفسير ابن عجيبة البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المكتبة الشاملة (١٤\ ٢٤٦).

[٦٩٨] جلال الدين المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٢٢٦).

[٦٩٩] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٩\ ٢٦).

وقال ابن عاشور: "السُّجُودُ.. الْهَوِيُّ إِلَى الْأَرْضِ بِقَصْدِ الْخُضُوعِ..، وَالْعُمُومُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ (مَنْ).. يُرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ الْكَاثِرَةُ..، وَالْمُرَادُ بِالطَّوْعِ الِانْسِيَاقُ مِنَ النَّفْسِ تَقَرُّبًا وَزُلْفَى لِمَحْضِ التَّعْظِيمِ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ، وَبِالْكُرْهِ الِاضْطِرَارُ عِنْدَ الشِّدَّةِ وَالْحَاجَةِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ١٦النحل:٥٣..، أَيْ يَسْجُدُ من فِي السَّمَوَاتِ وَتَسْجُدُ ظِلَالُهُمْ..، وَمَعْنَى سُجُودِ الظِّلَالِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا.. وَاقِعَةً عَلَى الْأَرْضِ وُقُوعَ السَّاجِدِ"[٧٠٠]، "﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٨..، التَّفَيُّؤُ.. مِنْ فَاءَ الظِّلُّ فَيْئًا أَيْ عَادَ..، وَتَفَيُّؤُ الظِّلَالِ تَنَقُّلُهَا..، وَقَوْلُهُ: عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ..؛ أَيْ عَنْ جِهَاتِ الْيَمِينِ وَجِهَاتِ الشَّمَائِلِ..، وَأُفْرِدَ الْيَمِينُ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ جِنْسُ الْجِهَةِ كَمَا يُقَالُ الْمَشْرِقُ، وَجَمْعُ الشَّمَائِلِ مُرَادًا بِهِ تَعَدُّدُ.. جِنْسِ جِهَةِ الشِّمَالِ.. كَمَا قَالَ: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ ٣٧الصافات:٥، فَالْمُخَالَفَةُ بِالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ تَفَنُّنٌ..، وَجُمْلَةُ وَهُمْ داخِرُونَ.. (وردت) بِصِيغَةِ الْجَمْعِ الْخَاصَّةِ بِالْعُقَلَاءِ تَغْلِيبًا؛ لِأَنَّ فِي جُمْلَةِ الْخَلَائِقِ الْعُقَلَاءَ.. هُمُ الْجِنْسُ الْأَهَمُّ..، وَالدَّاخِرُ: الْخَاضِعُ الذَّلِيلُ؛ أَيْ دَاخِرُونَ لِعَظَمَةِ اللهِ تَعَالَى، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ١٦النحل:٤٩؛.. (يصرح بأن) فِي السَّماواتِ مَخْلُوقَاتٍ (عاقلة) غَيْرَ الْمَلَائِكَةِ"[٧٠١].

وقال ابن عجيبة: "﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ ٢٢الحج:١٨، (يَسْجُدُ لَهُ)..؛ أي ينقاد إليه انقيادًا تامًا (كل) مَنْ فِي السَّماواتِ.. وَمَنْ فِي الْأَرْضِ..، ويُحتمل أن تكون ﴿مَن﴾ عامة للعاقل وغيره"، وقال ابن عرفة: "﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ١٠يونس:٦٦؛ عَبَّرَ بمَن إما تغليبًا للعاقل؛ أو لأن العاقل أشرف"[٧٠٢].

[٧٠٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١٣\ ١١٠).

[٧٠١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١٤\ ١٦٨).

[٧٠٢] محمد ابن عرفة الورغمي؛ تفسير ابن عرفة (النسخة الكاملة)، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ٢٠٠٨م (١٢\ ٣٤٨).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Extra-Terrestrial Intelligence

الحياة الذكية خارج الأرض

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٣الرعد:١٥.**
- **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٩.**
- **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ١٧الإسراء:٤٤.**
- **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٧٠.**
- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ ٢٢الحج:١٨.**
- **﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢١الأنبياء:٤.**
- **﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ٢١الأنبياء:١٩و٢٠.**
- **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠.**
- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ ٢٤النور:٤١.**
- **﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٤النور:٤٥.**
- **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ٢٦الشعراء:٢٣و٢٤.**
- **﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ٢٧النمل:٢٥.**
- **﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ٢٧النمل:٦٥.**
- **﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ ٣٠الروم:٢٦.**
- **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٣٩الزمر:٦٨.**
- **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩.**
- **﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٥الجاثية:٣٦.**

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ.
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾
١٥الحجر:١٤و١٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ. وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.
كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ. لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ. وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ
فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ ١٥الحجر:١٠-١٥.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾، ﴿بَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، ﴿فَظَلُّوا فِيهِ﴾، ﴿يَعْرُجُونَ﴾،
﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾، ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

And even if We opened a gate above them into the heaven, through which they were ascending in a curved path therein in the midday, They will surely say: our eyes have been closed (as a result of the space darkness)**. Nay, all of us are a bewitched people.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

يوري جاجارين (١٩٣٤-١٩٦٨).

هبطت المركبة الروسية غير المأهولة لونا على سطح القمر للمرة الأولى في التاريخ في عام ١٩٥٩، ويوري جاجارين هو أول إنسان يستطيع الطيران نحو الفضاء على متن المركبة الروسية فوستوك ١ في ١٢ أبريل ١٩٦١، فألهب حماس الولايات المتحدة الأمريكية للسباق؛ واستطاعت وكالة ناسا NASA للفضاء الأمريكية تحقيق إنجاز إرسال ستة بعثات مأهولة إلى القمر، وكان أولها رحلة أبوللو ١١ في عام ١٩٦٩، وآخرها رحلة أبوللو ١٧ في عام ١٩٧٢، ثم تتابع إرسال سفن استكشاف فضائية تابعة لروسيا وأمريكا ووكالة الفضاء الأوروبية واليابان والصين والهند، ولم يعُد السفر إلى الفضاء مُجرد إشباع لرغبة الفضول العلمي؛ وإنما هو تسابُق للحصول على التقنية لاستعمار الفضاء.

وفي النبأ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ ١٤و١٥الحجر: ١٤و١٥؛ بيان تصويري يتضمن نبوءة بالخروج من سجن الأرض إلى رحاب الفضاء قبل عصر ارتياد الفضاء، والتعبير: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ) يقصر دلالة لفظ (بَابًا) على ما يُحيط بالأرض من أغلفة، والتعبير (مِنَ السَّمَاءِ) يجعل طبيعته أقرب لطبيعة الفضاء، وتخرج خطوط القوى المغناطيسية من الأرض لتبلغ ارتفاع يصل إلى أكثر من: ٦٠,٠٠٠ كم جهة النهار المُواجهة للشمس، ويبدأ رُكاب المركبة الفضائية مُعاينة ظلام ليل السماء فوق طبقة النهار بعد حوالي: ٢٠٠ كم[٧٠٣]؛ أي قبل الخروج من الباب في التمثيل بمسافة كبيرة؛ بعد تجاوز كل ما يُحيط بكوكب الأرض من أغلفة، وبسرعة الهروب من الأرض (١١,٢ كم\ ثانية) يقطع الصاروخ حيز تلك الأغلفة في مدة ليست بقليلة؛ ناسبها التعبير: (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ)، و(فَظَلُّوا) أي نهارًا؛ وحرف (الفاء) يعني التعقيب بلا مُهلة كبيرة، وضمير (فِيهِ) عائد إلى الباب؛ فأول العروج بالأغلفة، أما لفظ (يَعْرُجُونَ) فيفيد معنى الحركة بانحناء كمشية الأعرج بانحناء، والتشبيه يكشف طبيعة الحركة في السماء بانحناء؛ قبل أن يرد في الفيزياء مُصطلح الكون المنحني Curved Universe، باعتبار أن الفضاء ليس إلا طرائق مُنحنية؛ أي معارج.

[٧٠٣] د. محمد جمال الدين الفندي؛ الله والكون، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٧٦ (ص٢٣١).

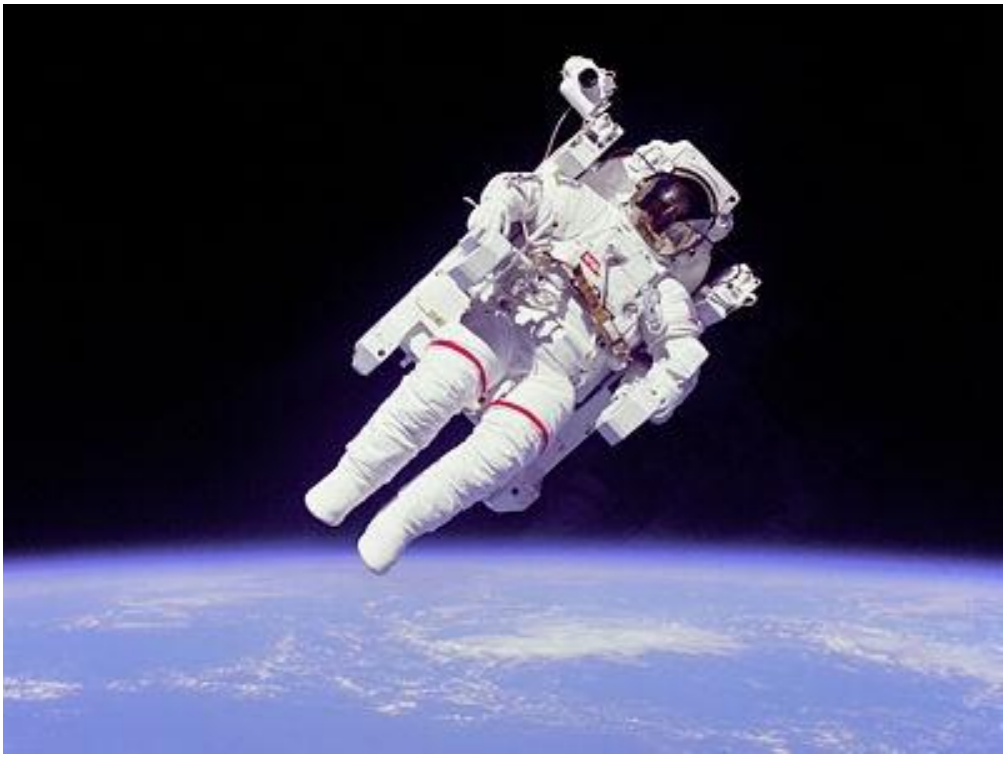

وأكدت كل الرحلات الفضائية أن الفضاء ليل مظلم والنهار ظاهرة محلية تختص بجو الأرض نتيجة عكس العوالق للضوء.

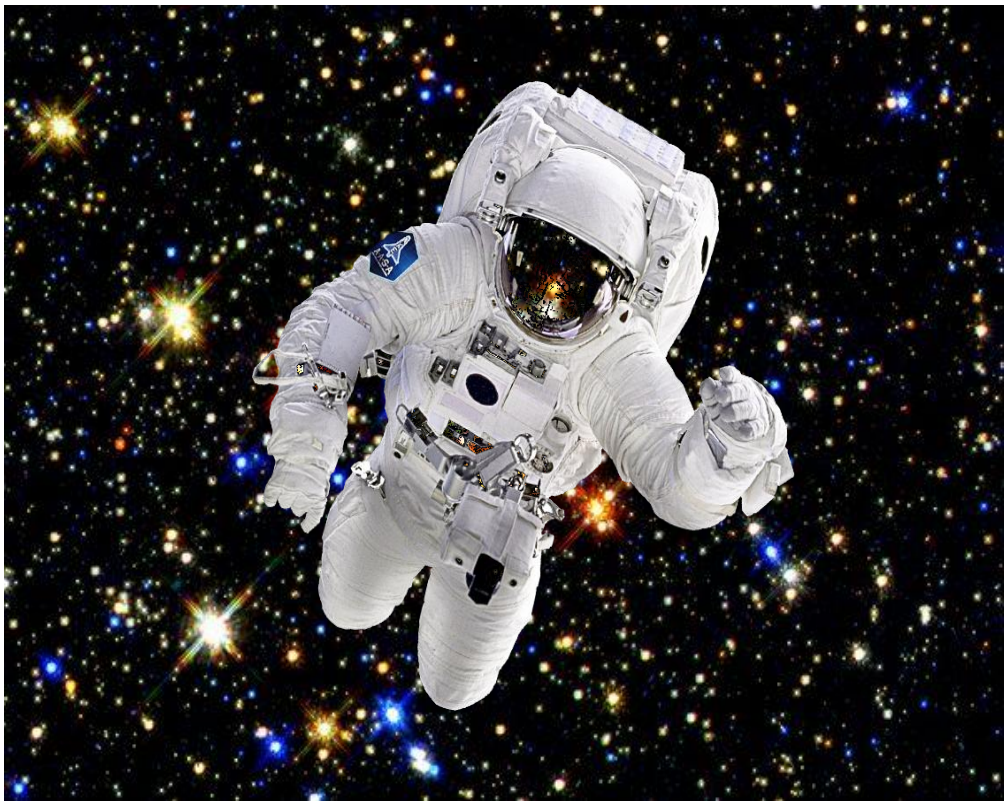

وقد بلغ التمثيل أعلى مقامات البلاغة؛ بجعل المُكابرين شهود عيان لبراهين الوحي، حيث يجزمون بظلام دامس يعُم السماء؛ ويجعل النجوم نقاط لامعة والخلفية مُظلمة حتى كأن أعينهم أغلقت بحاجب وسُكرت، ولكن الظلمة حقيقة: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾١٥الحجر:١٤و١٥، وشهادة الجمع بصحة الخبر أكثر وثوقا من شهادة الفرد؛ خاصة الناكرون لدلائل الوحي، فهي أبلغ شهادة بيقين تصدق النبأ، وهي أبلغ صورة للمُكابرة والإعراض؛ وإن بلغ البرهان أقصى درجات اليقين، حيث لم يجدوا إلا السحر ملجأً وذريعة، ولكن مشيئة القدير تُحيط بالجميع: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٤٢الشورى:٣١، والمُدهش أن يجعل النظم المُعجز لأجيال المُخاطبين مَحِلاً (فِي السَّمَاءِ) قبل عصر ارتياد الفضاء؛ تأكيدًا لنبوءة فتح باب من السماء:﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٢٩العنكبوت:٢٢.

رائد فضاء في رحلة أبوللو ١٧ يجمع بعض صخور القمر؛ وتظهر خلفه السماء حالكة لعدم وجود غلاف جوي للقمر.

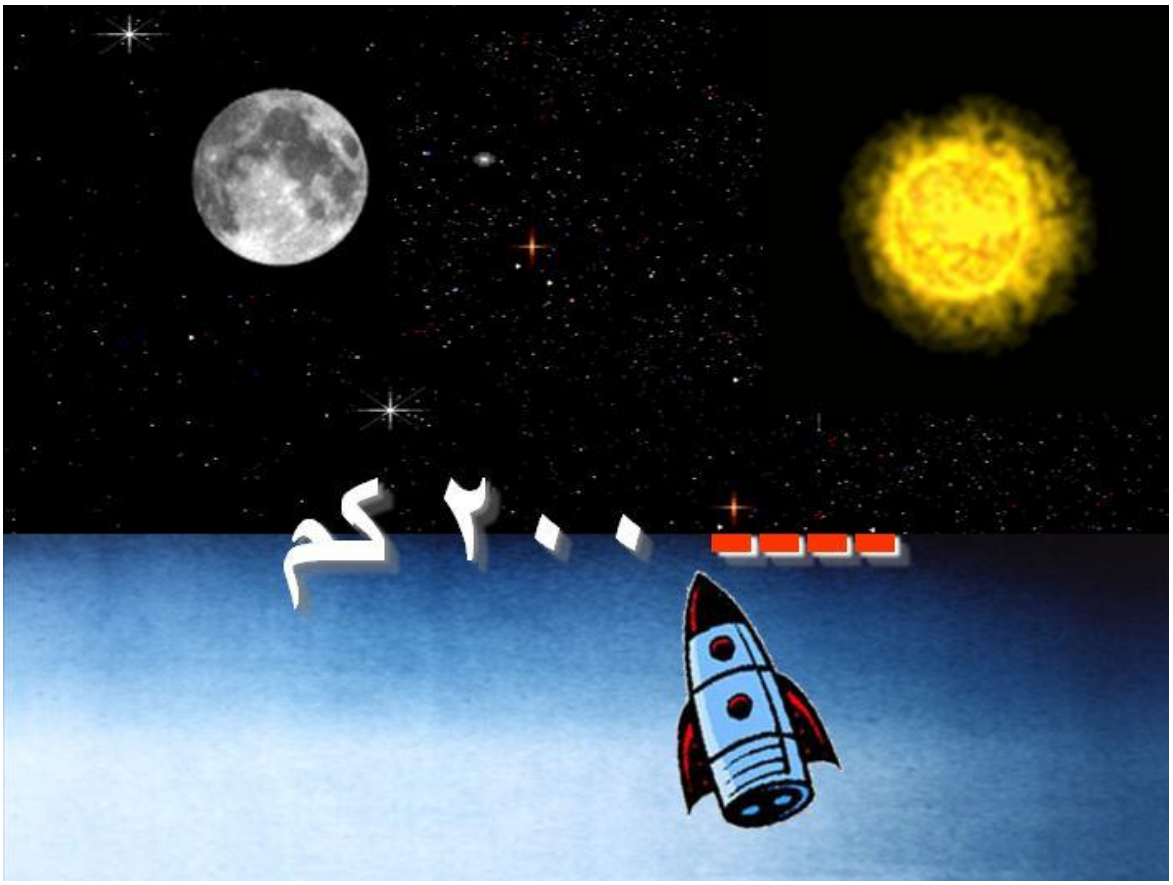

وبعد ٢٠٠ كم لا يعاين رائد الفضاء سوى ظلمة حالكة كظلمة الليل؛ تُغشى كل الأجرام حتى الشمس مصدر الضياء.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس: ٤٠؛ نفي سبق الليل للنهار يستقيم باعتبار الليل والنهار جهتي الأرض مع المعرفة بحركتها في مدارها حول الشمس.

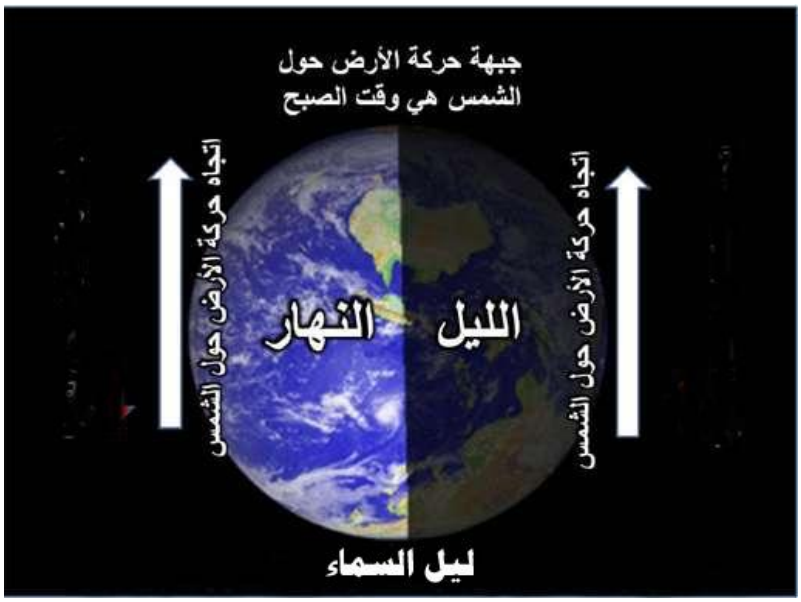

وفي قوله تعالى :﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ الأعراف: ٥٤؛ إخبار بأن الليل يغشي طبقة النهار أي يغطيها، وهو قرينة تصرف دلالة لفظ (الليل) إلى ليل السماء الذي يشبه ليل الأرض بجامع الظلمة، فتعني أن الظلام يعم الفضاء ويغشي جميع الأجرام كما يغشي كوكب الأرض، ووصف النهار بالحركة الحثيثة العاجلة ليحل مكانه ظلام الفضاء الكوني على الدوام؛ يستقيم مع حركة كوكب الأرض في مداره حول الشمس، قال الشوكاني: "أَيْ يَجْعَلُ اللَّيْلَ كَالْغِشَاءِ لِلنَّهَارِ؛ فَيُغَطِّي بِظُلْمَتِهِ ضِيَاءَهُ"[٧٠٤]، وقال محمد رشيد رضا: "قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ٩٢الليل: ١،.. وَقَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ٩١الشمس: ٤؛ وَالضَّمِيرُ لِلشَّمْسِ..، وَالْمَعْنَى هُنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ اللَّيْلَ الَّذِي هُوَ الظُّلْمَةُ يَغْشَى (الشمس وطبقة) النَّهَارَ وَهُوَ ضَوْءُ الشَّمْسِ..، و﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ الأعراف: ٥٤.. أَيْ مُسْرِعًا، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَعْقُبُهُ سَرِيعًا..، وَهَذَا الطَّلَبُ السَّرِيعُ يَظْهَرُ أَكْمَلَ الظُّهُورِ بِمَا ثَبَتَ مِنْ كَوْنِ الْأَرْضِ.. تَدُورُ.. (حول الشمس)، وَقَدِ اتَّفَقَ الْمُحَقِّقُونَ.. عَلَى كُرَوِيَّةِ الْأَرْضِ..، وَحَكَوُا الْقَوْلَ بِدَوَرَانِهَا.. وَأَوْرَدُوا عَلَيْهِ نَظَرِيَّاتٍ تُشَكِّكُ فِي كَوْنِهِ قَطْعِيًّا وَلا تَنْقُضُهُ..، (ولكن) اسْتِدَارَةِ الْأَرْضِ حَوْلَ الشَّمْسِ..؛ هُوَ الَّذِي قَامَتِ الدَّلَائِلُ الْكَثِيرَةُ فِي عِلْمِ الْهَيْئَةِ عَلَى رُجْحَانِهِ"[٧٠٥].

---

[٧٠٤] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١٢ ٢٤١).

[٧٠٥] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٨ ٤٠٣).

والضوء لا يُرى؛ إلا أن ينعكس على الأشياء؛ أو يُنظر مُباشرة إلى مصدره، ولهذا تغشى ظُلمة ليل السماء كل الأجرام؛ حتى الشمس مصدر الضياء، وهو صريح النبأ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ٩١الشمس:١-٤، وكل الضمائر (ضُحَاهَا، تَلَاهَا، جَلَّاهَا، يَغْشَاهَا) تعود إلى (الشَّمْسِ)، وتغشية ليل السماء تعني التغطية، وكلمة (اللَّيْلِ) لا يستقيم هنا حملها على ليل الأرض؛ وإنما ليل السماء تمثيلاً بجامع الظُلمة، وهو مشهد لم تره عين قبل عصر الفضاء.

وطبقة النهار طبقة رقيقة مثل جلد ذبيحة رقيق، إذا سُلخ ظهر كامل البدن ليل مظلم يعم كل السماء؛ ويغشي كل الأجرام، وهو تشبيه دقيق صرح به القرآن الكريم: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧، قال محمد سيد طنطاوي: "(وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ. فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ) وقوله: (نَسْلَخُ) من السلخ بمعنى الكشط والإزالة، يقال: سلخ فلان جلد الشاة، إذا أزاله عنها، والمراد هنا: إزالة ضوء النهار عن الليل؛ ليبقى لليل ظلمته، قال صاحب الكشاف: سلخ جلد الشاة؛ إذا كشطه عنها وأزاله، ومنه: سلخ الحية.. لجلدها، فاستعير ذلك لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل..، أي: ومن البراهين والعلامات الواضحة، الدالة على وحدانية الله وقدرته على إحياء الموتى؛ وجود الليل والنهار بهذه الطريقة التي نشاهدها، حيث ينزع سبحانه عن الليل النهار، فيبقى لليل ظلامه، ويصير الناس في ليل مظلم، بعد أن كانوا في نهار مضيء، فمعنى: (فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ): فإذا هم داخلون في الظلام"[٧٠٦].

[٧٠٦] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (١١٢ ٣١).

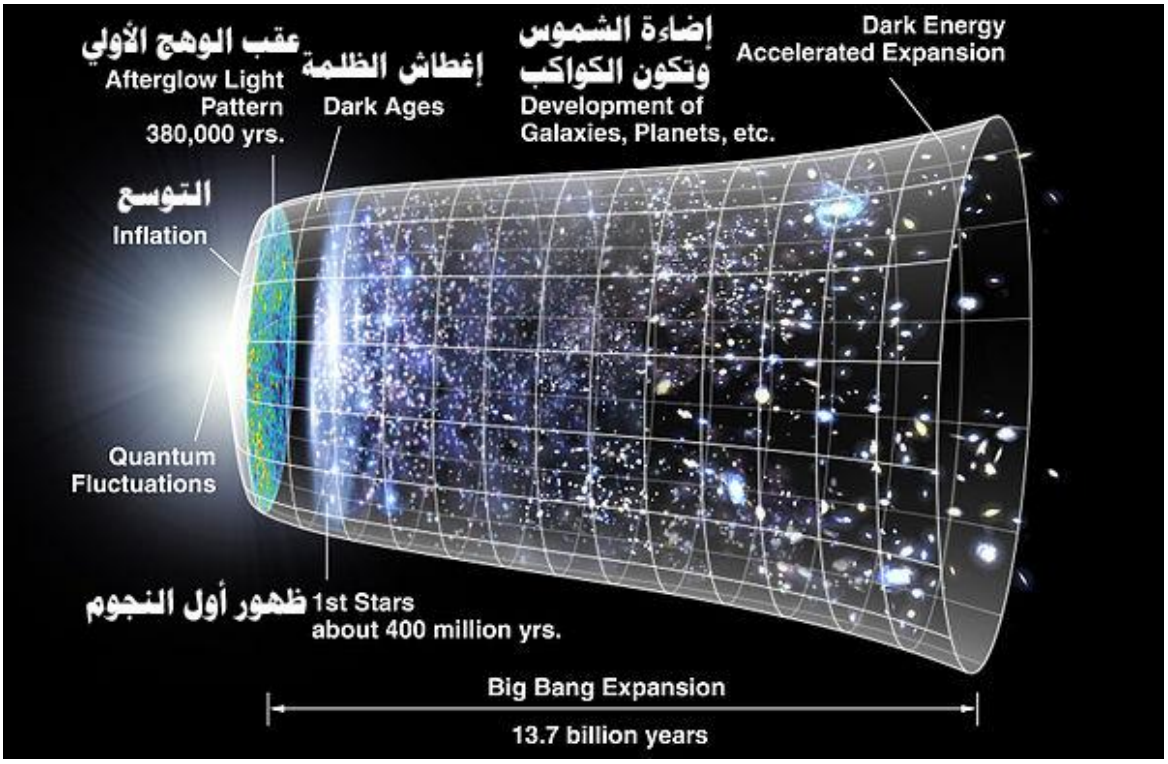

وفي قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣؛ بيان يتعلق بترتيب أحداث خلق الكون، والمُقابلة بين شدة السماء وضآلة الإنسان؛ تُطلق معنى (السَّمَاءُ) لتعني الكون كله، والتعبير عن توسع الكون Universe Expansion برفع السماء حين فترة البناء تمثيلاً، ورد فيه فعل (الرفع) في كل المواضع بصيغة الماضي بلا استثناء؛ مما يقصر حالة الاتساع على وقت البناء ويُعارض القول باستمراره إلى اليوم.

وتشبيه الكون في معرض الشدة ببناء واحد؛ يعني وجود قوى تربط كل الأجرام، ويتضمن التنويه إلى السعة الهائلة، وورود لفظ (السَّمَاءُ) بالإفراد يتفق مع حالة تفرد Singularity؛ قبل أن تُوجد عناقيد النُّجوم وتتشكل إلى سماوات طباق، والإجمال: (السَّمَاءُ بَنَاهَا)؛ تبعه التفصيل: (رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا)، والأفعال كلها بالماضي؛ فتعني أن التوسع وزيادة السماكة كان حين النشأة تمهيدًا للتسوية والإكمال، وبانقسام متوالي للسُدُم تشكلت كل الطبقات.

وفي قوله تعالى: (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) الضمائر عائدة إلى (السَّمَاءُ)؛ وكلمة (ضُحَاهَا) منسوبة للسماء؛ فهي تشمل إشراق الشمس وكل عناقيد النجوم، والضُحى مبدأ النشاط اليومي للإنسان؛ وينجم عن حركة الأرض حول نفسها أمام الشمس، ففيه تلميح لكثرة أشباه مأهولة كأرضنا في الكون، والليل منسوب للسماء بيانًا لكونه مظلما، ونسبة الليل إلى السماء تشبيه بليل الأرض بجامع الظُّلمة؛ ولفظ (أَغْطَشَ) يُوافق سطوع شديد زال مع التوسع فاشتدت ظلمة الكون، قال ابن كثير: "قَوْلُهُ: {وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} أَيْ: جَعَلَ لَيْلَهَا مُظْلِمًا أَسْوَدَ حَالِكًا؛ وَنَهَارَهَا مُضِيئًا مُشْرِقًا نَيِّرًا وَاضِحًا"[٧٠٧].

[٧٠٧] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٨\ ٣١٦).

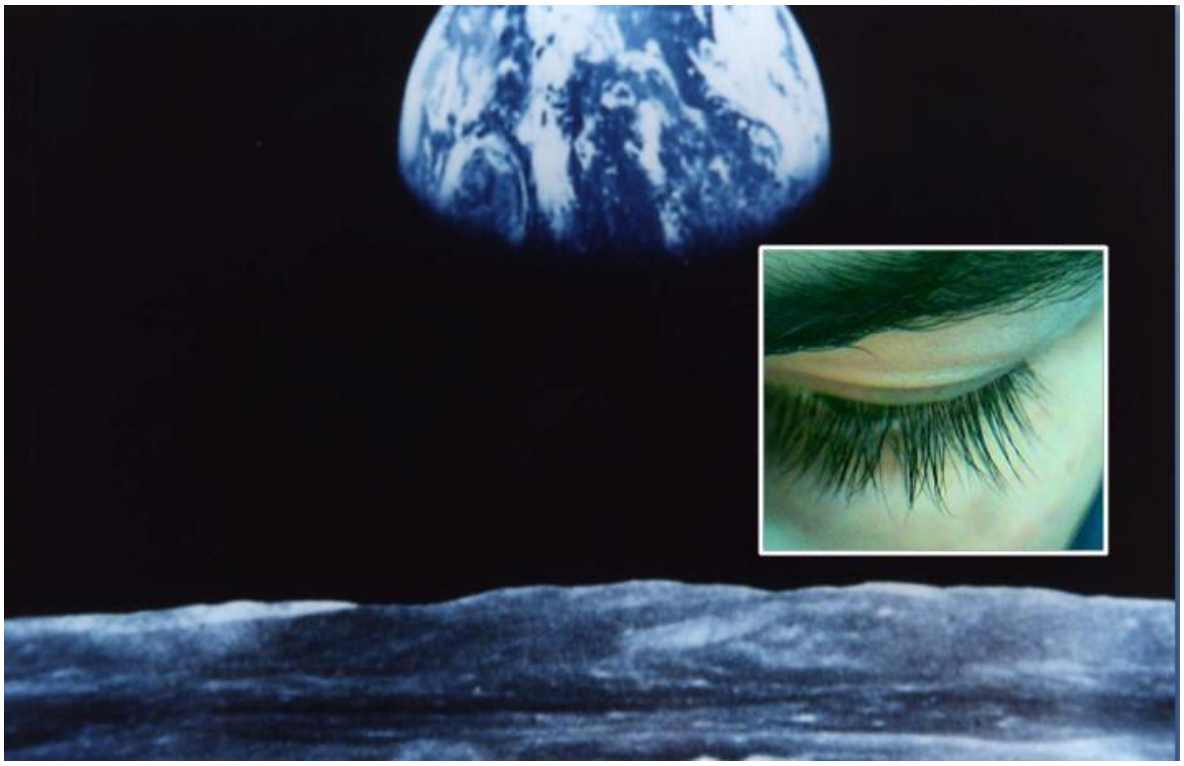

وإذا استطاع الإنسان النفاذ من الأسوار المُحيطة بالأرض؛ فلا يرى سوى الظلام يُغشي كل الأجرام كما لو سكر عينيه.

وأول من شاهد ظلمة الفضاء هو يوري جاجارين عام ١٩٦١ فمن أين إذن تلك الأوصاف التي تكشف ظلمة الفضاء بجلاء!، قال الزحيلي: "تتفق هذه السورة مع بيان أهداف التنزيل المكي وهي إثبات الوحدانية والنبوة والبعث والجزاء، والتذكير بمصارع الطغاة ومكذبي رسل الله الكرام..، وتضمنت السورة..: الإشارة (إلى حقيقة) ظلمة السماء: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ ١٥الحجر:١٤و١٥"[٧٠٨].

[٧٠٨] د وهبة بن مصطفى الزحيلي؛ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر دمشق، الطبعة الثانية؛ ١٤١٨هـ (٦\١٤).

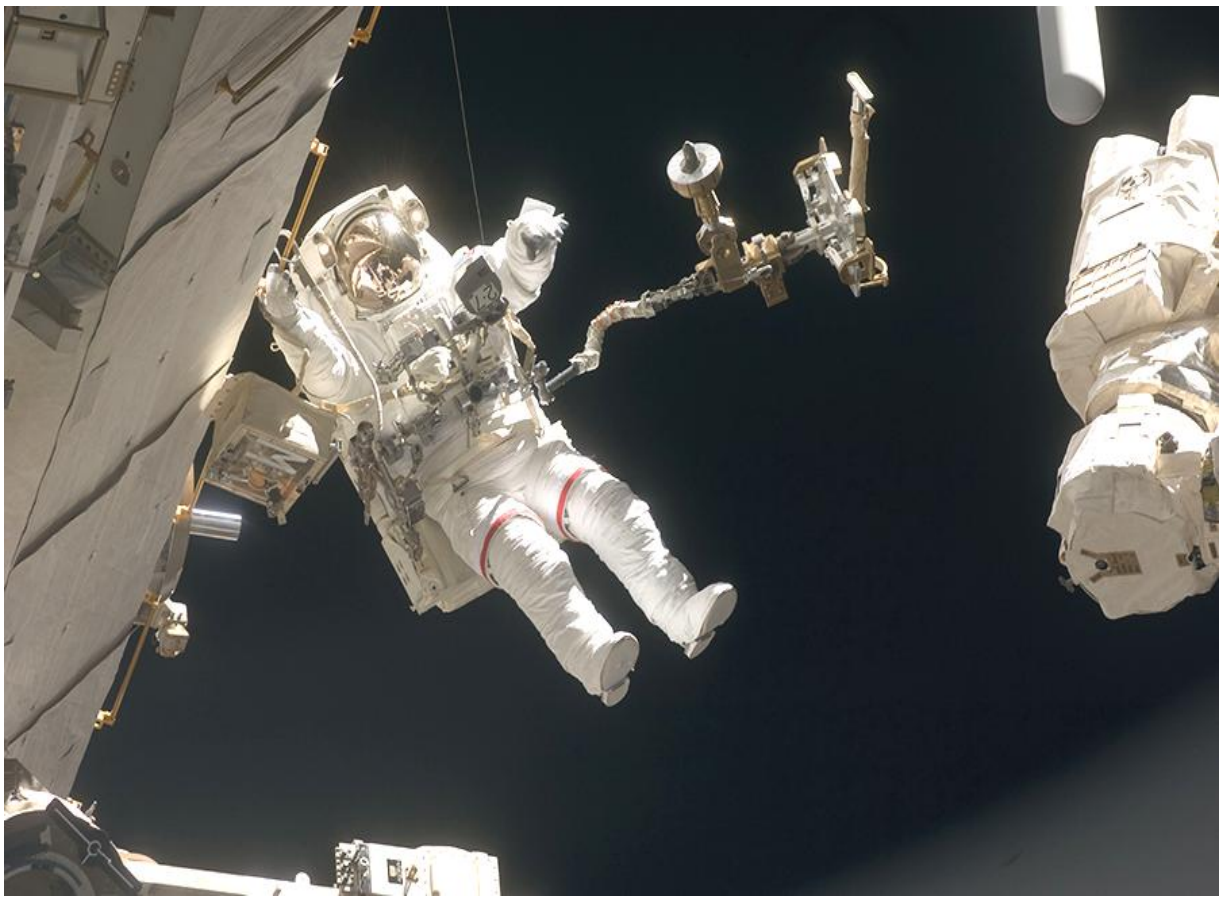

وليست شهادة رواد الفضاء على ظلمة السماء مقصورة على الغرب؛ فمن العرب روادًا شاركوا في ركب المغامرة، الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود شارك فريق مكوك الفضاء ديسكفري عام ١٩٨٥ ممثلاً لعربسات، ورائد الفضاء السوري اللواء طيار محمد فارس من مواليد حلب عام ١٩٥١؛ كان ضمن الفريق الروسي عام ١٩٨٧، يقول اللواء محمد فارس: "على المستوى الشخصي تحقق حلم لطالما راودني، شاهدت الأرض من الفضاء الخارجي وعشت الظلمة الفضائية والتحرر من الجاذبية الأرضية، وألغيت الحدود (المعهودة).. في الكرة الأرضية..، وعندما شاهدت الأرض صغيرة جداً إلى جانب الاتساع والامتداد لما خلق الله تعالى، شعرت كم الإنسان ضئيل في هذا الكون؛ فكيف له إذن أن يتكبر على الآخرين، وتذكرت مقولة لأحد رواد الفضاء: (لو أخرجنا الأشرار للفضاء لرجعوا أخياراً)..، وتساءلت كثيراً لماذا يوجد كل هذا الشر في العالم؟ فالأرض جميلة وتتسع لكل البشر وللأسف طمع وتسلط الأشرار هو الذي يسيطر عليها..، وعندما هبطت على الأرض لم أفكر في أي بلد أنا؛ كان يهمني أنني وصلت إلى الأرض وكأنها الأم الحنون، علمتني الرحلة عدم التكبر فالإنسان صغير جداً من ناحية الحجم وعليه ألا يتكبر؛ وأن يكبر بإنسانيته وقناعاته ويسمو بها، إن الإنسان يكبر بقدر ما يعطي؛ وبقدر ما يأخذ يصغر، ولولا الطمع والجشع والتسلط؛ لعاش الجميع في سعادة".

قال الدكتور فاضل السامرائي: "قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىَ﴾..؛ نلاحظ أن الله تعالى بدأ بالليل قبل النهار لأن الليل هو أسبق من النهار وجوداً وخلقاً، (و) لأن النهار جاء بعد خلق الأجرام وقبلها كانت الدنيا ظلام دامس..، فجاء ترتيب الآيات بنفس ترتيب الخلق: الليل أولاً؛ ثم النهار"[٧٠٩]، وقال أيضا: "قرأت فيما توصل إليه علم التاريخ وما دلت عليه الحفريات الحديثة.. أدق الأخبار ما لم يكن يعرفه جميع مفسري القرآن فيما مضى من الزمان، وأن الذي اكتشفه المؤرخون والآثاريون وما توصلوا إليه في هذا القرن منطبق على ما جاء في القرآن الكريم كلمةً كلمة؛ ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا القرن البَتَّة..، وعرفت من الإشارات الإعجازية في مختلف العلوم.. ما دعا كثيراً من الشخصيات العلمية إلى إعلان إسلامهم، بل إن هناك أموراً لم تُعرف إلا بعد صعود الإنسان إلى الفضاء واختراقه الغلاف الجوي للأرض، وقد أشار إليها القرآن إشارات في غاية العجب؛ ذلك أن الإنسان إذا اخترق الغلاف الجوي للأرض وجد نفسه في ظلام دامس وليل مستديم..، فالنهار الذي نعرفه نحن لا يتعدى حدود الغلاف الجوي؛ فإن تجاوزناه كنا في ظلام لا يعقبه نهار، وقد أشار إلى ذلك القرآن إشارة عجيبة في قوله: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾، فجعل النهار كالجلد الذي يُسلخ، وأما الليل فهو الأصل وهو الكل، فشبّه الليل بالذبيحة والنهار جلدها، فإن سلخ الجلد ظهر الليل، فجعل النهار غلافاً والليل هو الأصل، وقال: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾، أي لو مكنّاهم من الصعود إلى السماء لانتهوا إلى ظلام وقالوا: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾..، وعلى هذا فالإعجاز القرآني مُتعدد النواحي؛ متشعب الاتجاهات ولا يزال الناس يكتشفون من مظاهر إعجازه الشيء الكثير..، إن التعبير الواحد قد ترى فيه إعجازاً لغوياً جمالياً وترى فيه في الوقت نفسه إعجازاً علمياً أو إعجازاً تاريخياً أو إعجازاً نفسياً أو إعجازاً تربوياً أو إعجازاً تشريعياً أو غير ذلك، فيأتي اللغوي ليبيّن مظاهر إعجازه اللغوي وأنه لا يمكن استبدال كلمة بأخرى ولا تقديم ما أُخّر ولا تأخير ما قُدّم..، ويأتيك العالم في التشريع ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التشريع والقانون، ويأتيك المؤرخ ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التاريخ، ويأتيك صاحب كل علم ليقول مثل ذلك من وجهة نظر علمه..، إننا.. نضع أيدينا (فقط) على شيء من سُمو هذا التعبير ونبيّن إن هذا التعبير لا يقدر على مجاراته بشر؛ بل ولا البشر كلهم أجمعون..، وإنما هي ملامح ودلائل تأخذ باليد وإضاءات.. في الطريق تدل السالك على أن هذا القرآن.. (قد) نُسج نسجاً مُحكماً فريدًا لا يشابهه كلام ولا يرقى إليه حديث"[٧١٠].

---

[٧٠٩] فاضل بن صالح البدري السامرائي؛ لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار عمان بالأردن، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م (ص١٨٩).

[٧١٠] فاضل بن صالح البدري السامرائي؛ لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار عمان بالأردن، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م (ص٢).

وبعد؛ إنها ومضات فحسب لمآثر تأخذ بالوجدان في كتاب عجيب جامع فريد؛ معجز في نظمه وتناغم فواصله وإيقاع مقاطعه مع المضمون، وبليغ في تمثيل المعنويات وخفايا الخلق بالمعهود زمن التنزيل فيرسخ المضمون، وفي تحديه بلا مجيب، وفي بساطة عقيدته وعدالته وعالميته وحثه على الفضائل في دعوته، وقابلية شريعته للتطبيق مهما تغيرت الأزمان، وثرائه بأنباء غيبية يؤيدها كل حين الزمان، وانتشاره بين كل الأمم رغم المحاربة ومحاولات التشويه، وتعجب أن يتعامى الجاحد ويثير الشغب باللغو والتشويش ويطعن في روائع البيان ودلائل الوحي؛ تدفعه العصبية الطائفية أو الإلحاد اغترارًا بالضلال، ولا تحتار أهو جهل بالمآثر أم مكابرة تفضح العجز عن التحدي فلا يجد إلا اللغو اعترافًا بغلبة الكتاب الفريد المُعجز مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فصلت:٢٦، وأما الغرض الرشيد من تلكم الحقائق العلمية: ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ هود:١٤.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: قوله عز وجل: {ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون} فيه وجهان؛ أحدهما: فظل هؤلاء المشركون يعرجون فيه؛ قاله الحسن وقتادة، الثاني: فظلت الملائكة فيه يعرجون وهم يرونهم؛ قاله ابن عباس والضحاك، قوله عز وجل: {لقالوا إنما سكرت أبصارنا} في {سكرت} قراءتان: إحداهما بتشديد الكاف، والثانية بتخفيفها، وفي اختلافهما وجهان؛ أحدهما: معناهما واحد، فعلى هذا ستة تأويلات: أحدها: سُدّت؛ قاله الضحاك، الثاني: عميت؛ قاله الكلبي، الثالث: أُخذت؛ قاله قتادة، الرابع: خُدعت؛ قاله جويبر، الخامس: غُشيت وغطيت؛ قاله أبو عمرو بن العلاء..، والوجه الثاني: أن معنى سكرت بالتشديد والتخفيف مُختلف، وفي اختلافهما وجهان؛ أحدهما: أن معناه بالتخفيف سُحِرَتْ، وبالتشديد: أخذت، الثاني: أنه بالتخفيف من سُكر الشراب، وبالتشديد مأخوذ من سكرت الماء، {بل نحن مسحورون} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أي سحرنا فلا نبصر، الثاني: مُضللون؛ حكاه ثعلب، الثالث: مفسدون"[٧١١].

وقال ابن جزي: "(فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا) الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر وقيل: الضمير في ظلوا وفي يعرجون للملائكة وفي قالوا للكفار، ومعنى: يعرجون يصعدون، والمعنى أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا: إنها تخييل أو سحر، وقرئ سكّرت بالتشديد والتخفيف، ويُحتمل أن يكون مشتقا من السكر؛ فيكون معناه: أجبرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته، أو من السّكر وهو السد؛ فيكون معناه مُنعت أبصارنا من النظر"[٧١٢].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ} المفردات: (يَعْرُجُونَ): يصعدون، والمعارج: المصاعد، (سُكِرَتْ أَبْصَارُنَا): أي حُيِّرَتْ، من السُّكْر ضد الصحو، كما قال عمرو بن العلاء: أَرادوا أَنها فسدت واعتراها خلل كما يعترى عقل السكران فيختل إدراكه، وهذا المعنى قريب من تفسيرها بِخُدِعتْ، وقيل: تسكير الأَبصار إغلاقها أَو تغطيتها، التفسير: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ): أي ولو فتحنا على كفار مكة بابًا من السماءِ، ومكناهم من الصعود فيه، فصاروا يعرجون ويصعدون فيه بآلة أَو بغيرها، وهم يرون ما في السماءِ من الملائكة والعجائب في وضوح واستبانة؛ (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ): أَي لو فتحنا عليهم بابًا من السماءِ على النحو الذي تقدم بيانه، لقالوا لفرط عنادهم ومكابرتهم: إنما خُدِعَتْ أَبصارنا فلم نشاهد شيئا على الحقيقة، بل نحن قوم مسحورون؛ سحرنا محمد حتى تخيلنا هذه المرائي، كما يتخيل المُسحور شيئًا لا حقيقة له ولا تراه العيون على حقيقته"[٧١٣].

وقال الألوسي: "(وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ) أي على هؤلاء المُقترحين المعاندين (باباً مِنَ السَّماءِ) ظاهره بابا ما؛ لا بابا من أبوابها المعهودة كما قيل، (فَظَلُّوا فِيهِ) أي في ذلك الباب (يَعْرُجُونَ) يصعدون حسبما نيسره لهم فيرون ما فيها من الملائكة والعجائب طول نهارهم مُستوضحين لما يرونه كما يفيده (ظلوا) لأنه يقال ظل يعمل كذا وإذا فعله في النهار حيث يكون للشخص ظل، وجوز في البحر كون ظل بمعنى صار وهو مع كونه خلاف الأصل مما لا داعي إليه، وأيّا ما كان فضمير الجمع للمُقترحين، وهو الظاهر المروي عن الحسن وإليه ذهب الجبائي وأبو مسلم، وأخرج ابن جريج عن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه للملائكة، وروي ذلك عن قتادة أيضا، أي فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونهم على أتم وجه، وقرأ الأعمش وأبو حيوة: (يعرجون) بكسر الراء، وهي لغة هذيل في العروج بمعنى الصعود، (لَقالُوا) لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق: (إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا) أي سدت ومُنعت من الإبصار حقيقة؛ وما نراه تخيل لا حقيقة له، أخرجه ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد، وروي أيضا عن ابن عباس وقتادة، فهو من السكر بالفتح، وقال أبو حيان: بالكسر السد والحبس، وقال ابن السيد: السكر بالفتح سد الباب والنهر؛ وبالكسر السد نفسه ويجمع على سكور..، ويشهد لهذا المعنى قراءة ابن كثير والحسن ومجاهد (سكرت أبصارنا) بتخفيف الكاف مبنيا للمفعول، لأن سكر المخفف المتعدي اشتهر في معنى السد، وعن عمرو بن العلاء أن المراد حيرت؛ فهو من السكر بالضم ضد الصحو، وفسروه بأنه حالة تعرض بين المرء

---

[٧١١] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٣\١٥٠).

[٧١٢] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١١\٤١٦).

[٧١٣] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٥\٥٢٧).

وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب وقد يعتري من الغضب والعشق..، والتشديد في ذلك للتعدية لأن سكر كفرح لازم في الأشهر، وقد حكي تعديه؛ فيكون للتكثير والمبالغة، وأرادوا بذلك أنه فسدت أبصارنا واعتراها خلل في إحساسها؛ كما يعتري عقل السكران ذلك فيختل إدراكه، ففي الكلام على هذا استعارة، وكذا على الأول عند بعض، ويشهد لهذا المعنى قراءة الزهري (سكرة) بفتح السين وكسر الكاف مخففة مبنيا للفاعل لأن الثلاثي اللازم مشهور فيه، ولأن سكر بمعنى سد؛ المعروف فيه فتح الكاف. واختار الزجاج أن المعنى سكنت عن أبصار الحقائق؛ من سكرت الريح تسكر سكرا إذا ركدت، ويقال: ليلة ساكرة لا ريح فيها، والتضعيف للتعدية، ولهم أقوال أخر متقاربة في المعنى، وقرأ أبان بن تغلب وحملت لمخالفتها سواد المصحف على التفسير سحرت أبصارنا، (بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما قالوا ذلك عند ظهور سائر الآيات الباهرة، والظاهر على ما قال القطب إنهم أرادوا أولا سكرت أبصارنا لا عقولنا، فنحن وإن تخيلنا هذه الأشياء بأبصارنا لكن نعلم بعقولنا أن الحال بخلاف، ثم أضربوا عن الحصر في الأبصار وقالوا: بل تجاوز ذلك إلى عقولنا..، هذا ليس بواقع في نفس الأمر بل بطريق السحر، أو هو باعتبار ما تفيده الجملة من الاستمرار الذي دلت عليه الاسمية؛ أي مسحوريتنا لا تختص بهذه الحالة بل نحن مستمرون عليها في كل ما يرينا من الآيات، هذا وفي هذه الآية من وصفهم بالعناد وتواطئهم على ما هم فيه من التكذيب والفساد ما لا يخفى..، وقد ذكر ابن المنير في المُراد منها وجها.. فقال: المراد والله تعالى أعلم إقامة الحجة على المكذبين.. على علم وفهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولئلا يكون للكفار على الله تعالى حجة بأنهم ما فهموا وجه الإعجاز كما فهمها من آمن؛ فأعلمهم الله تعالى وهم في مهلة وإمكان أنهم ما كفروا إلا على علم مُعاندين باغين"[٧١٤].

وقال ابن عاشور: "(وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) عُطِفَ عَلَى جُمْلَةِ (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) الحجر:١٣، وَهُوَ كَلَامٌ جَامِعٌ لِإِبْطَالِ جَمِيعِ مَعَاذِيرِهِمْ من قَوْلهم: (لَوْ مَا تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ) الحجر:٧، وَقَوْلهمْ (إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) الْحجر:٦، بِأَنَّهُمْ لَا يَطْلُبُونَ الدَّلَالَةَ عَلَى صِدْقِهِ، لِأَنَّ دَلَائِلَ الصِّدْقِ بَيِّنَةٌ، وَلَكِنَّهُمْ يَتَحَلُّونَ الْمَعَاذِيرَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَالْكَلَامُ الْجَامِعُ لِإِبْطَالِ مَعَاذِيرِهِمْ: أَنَّهُمْ لَوْ فَتَحَ اللَّهُ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ حِينَ سَأَلُوا آيَةً عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْ بِطَلَبٍ مِنَ الرَّسُولِ فَاتَّصَلُوا بِعَالِمِ الْقُدُسِ وَالنُّفُوسِ الْمَلَكِيَّةِ وَرَأَوْا ذَلِكَ رَأْيَ الْعَيْنِ لَاعْتَذَرُوا بِأَنَّهَا تَخَيُّلَاتٌ وَأَنَّهُمْ سُحِرُوا فَرَأَوْا مَا لَيْسَ بِشَيْءٍ شَيْئًا، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: (وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) الْأَنْعَام:٧، وَ(ظَلَّ) تَدُلُّ عَلَى الْكَوْنِ فِي النَّهَارِ، أَيْ وَكَانَ ذَلِكَ فِي وَضَحِ النَّهَارِ.. وَعَدَمِ التَّرَدُّدِ فِي الْمَرْئِيِّ، وَالْعُرُوجُ: الصُّعُودُ. وَيَجُوزُ فِي مُضَارِعِهِ ضَمُّ الرَّاءِ؛ وَبِهِ الْقِرَاءَةُ وَكَسْرُهَا، أَيْ فَكَانُوا يَصْعَدُونَ فِي ذَلِكَ الْبَابِ نَهَارًا، وسُكِّرَتْ بِضَمِّ السِّينِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ فِي قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ، وَبِتَخْفِيفِ الْكَافِ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ؛ أَيْ سُدَّتْ، يُقَالُ: سَكَّرَ الْبَابَ بِالتَّشْدِيدِ وَسَكَرَهُ بِالتَّخْفِيفِ إِذَا سَدَّهُ، وَالْمَعْنَى: لَجَحَدُوا أَنْ يَكُونُوا رَأَوْا شَيْئًا، وَأَتَوْا بِصِيغَةِ الْحَصْرِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ بَتُّوا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ، وَرَدَّ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ظَنٌّ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَعَرَجُوا فِيهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مَا كَانُوا يُبْصِرُونَ، ثُمَّ أَضْرَبُوا عَنْ ذَلِكَ إِضْرَابَ الْمُتَرَدِّدِ الْمُتَحَيِّرِ يَنْتَقِلُ مِنْ فَرْضٍ إِلَى فَرْضٍ فَقَالُوا: بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ، أَيْ مَا رَأَيْنَاهُ هُوَ تَخَيُّلَاتِ الْمَسْحُورِ، أَيْ فَعَادُوا إِلَى إِلْقَاءِ تَبِعَةِ ذَلِكَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ سَحَرَهُمْ حِينَ سَأَلَ لَهُمُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَفَتَحَهُ لَهُمْ"[٧١٥].

[٧١٤] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧\ ٢٦٦).

[٧١٥] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٤\ ٢٥).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Space Darkness

ظلمة الفضاء

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ ١٥الحجر:١٤و١٥.**
- **﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٤٢الشورى:٣١.**
- **﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٢٩العنكبوت:٢٢.**
- **﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ٩١الشمس:١-٤.**
- **﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧.**
- **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ٩٢الليل:١و٢.**
- **﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.**
- **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٧الأعراف:٥٤.**
- **﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٣الرعد:٣.**

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ إلى
قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً
وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ
وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾
١٦النحل: ٥-٩.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٦النحل:٥-٩.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾، ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾، ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾، ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And the cattle (too)**, He has created them for you; and you find in them** (a source of) **warmth** (in cold weather by making clothes from their wool)**, and many other benefits,** (particularly) **from them you eat. Moreover wherein is beauty** (ornament and dignity) **for you, when you bring them home in the evening, and as you drive them forth to pasture in the morning. And they carry your loads to a land that you could not reach except with a great hardship** (calling the respiratory reserve half power) **of yourselves. Truly, your Lord is compassionate** (full of Kindness) **and Most Merciful. And** (He has created) **the horses, mules and donkeys, for you to ride and as an adornment. And HE will create** (other transport means) **what you do not yet know. And upon ALLAH rests the showing of the right way, and from which turn aside** (the right path)**, and if HE had willed; He could** (certainly) **have guided all of you aright.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

ميز القرآن الكريم بين فئتين من الحيوانات في البيئة العربية عصر النبوة؛ (الأولى): حيوانات اللحوم والألبان، وهي أكثر نفعًا وتمثل نعمة عظيمة لسكان البوادي؛ فخصها النظم باسم الأنعام: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ١٦النحل:٥، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ٦الأنعام:١٤٢، وبيانها: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ٦الأنعام:١٤٣؛ إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ٦الأنعام:١٤٤، و(الثانية) دواب النقل ومنافعها مقصورة على الركوب والزينة: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ ١٦النحل:٨.

والحيوانات مصدر اللحوم والألبان حقيقةً هبة عظيمة لسكان البوادي والرعاة في المناطق الصحراوية؛ حيث يعز الغذاء.

ظلف مزدوجات الأصابع Artiodactyls

حافر وحيدة الأصبع Perissodactyla

لكن التمييز بين الفئتين بالنظم تعليله يتجاوز المنفعة؛ حيث يتفق مع التصنيف العلمي الحديث، فالفئة الأولى تُصَنَّف علميا ضمن رتبة مزدوجات الأصابع Artiodactyla؛ والثانية ضمن رتبة وحيدة الأصبع Perissodactyla، ولكل منهما صفات تشريحية ووظيفية وسلوكية تميزه، فمزدوجات الأصابع كلها من ذوات الظلف أو الحافر المشقوق.

تلد الخيل والحمير غالبا مستلقية.

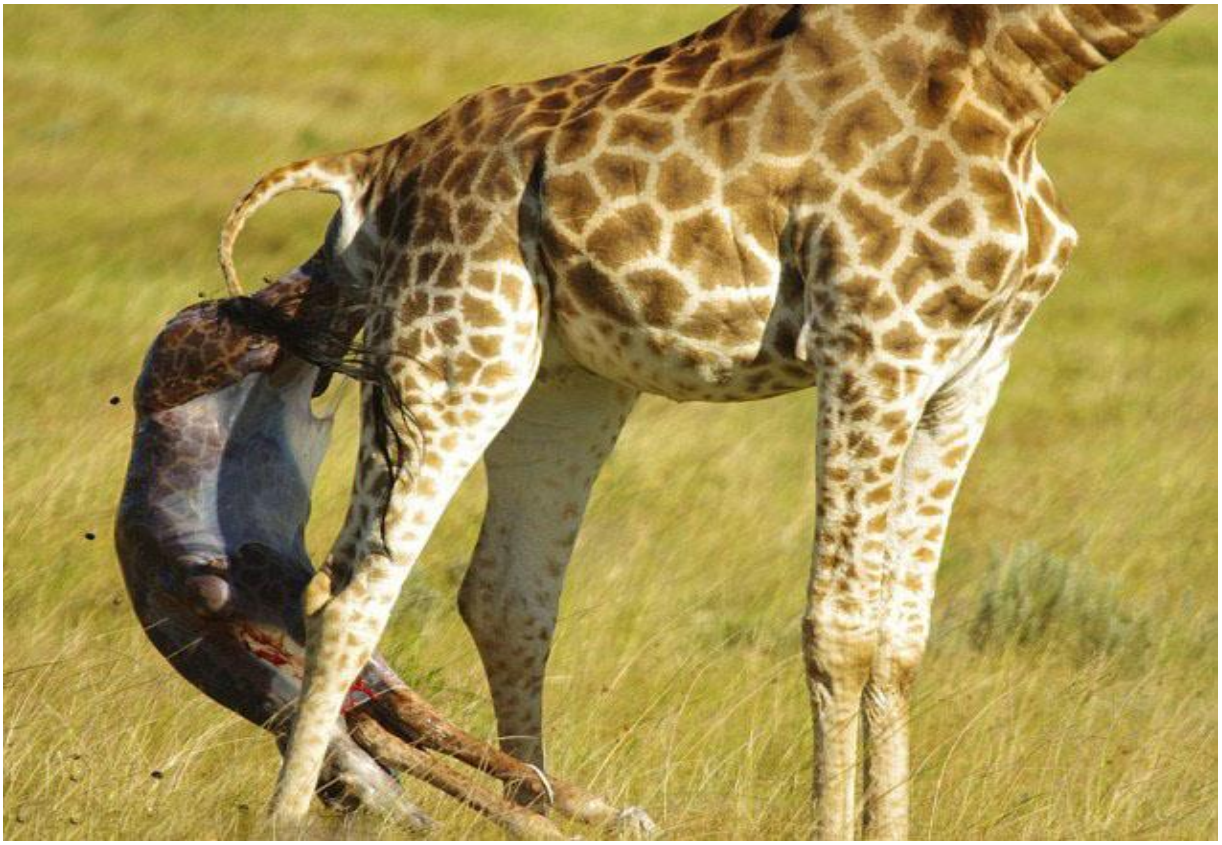

وتشمل ذوات الظلف بعض الحيوانات البرية كالزراف والأيائل والظباء، وبخلاف وحيدة الأصبع التي تلد مستلقية؛ لا تلد الزرافة إلا واقفة وينزل الوليد بالاستفادة بثقله، وتتبعها بقية مجموعتها من ذوات الظلف بدرجات متفاوتة.

وفي التعبير: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ ٣٩الزمر:٦؛ الإنزال تعبير عن إيجاد كل نفيس، وإلى جانب بيان القيمة المعنوية يجعل مدلوله لذوات الظلف نصيبًا حسيًا من فعل النزول؛ حيث يتفق مع إمكان ولادتها والأم واقفة، فعبرت كلمة واحدة جامعة عن الإنعام معنويًّا تأكيدًا لكلمة الأنعام وناسبت طريقة الإيجاد حسيًّا؛ فبلغت الفصاحة الكمال!.

ورغم تمايز الطباع تجمع هذين الرتبتين من الحيوان سليقة حانية شملت كل أم في الخليقة، فما تلبث أن تلد إلا وقد تأهب الضَّرع ويسعى إليه الوليد ليلقمه بلا علم منه ولا تعليم وإنما هداية رشيدة، وترعاه الأم مفطورة على الحنان، عناية ربانية ومشيئة رحيمة قدرت قبل أن تنشأ خليقة، وألهمت الفِطَر دومًا لأغراض نفيسة؛ دافعةً الصُّدَف العمياء!.

ولم تُصَنَّف الأحياء على أسس علمية إلا في القرن الثامن عشر، وإذا كانت موافقة الواقع هي معيار النبأ الحق فقد أنبأ القرآن الكريم بالحق؛ بينما تعثر كتبة الأسفار وصنفوا الأرنب البلدي والبري (الوبر) من المجترات عديدة المعدة وليس له إلا معدة واحدة، وظنوا الجمل بأصبع واحدة كالحصان وهو من مشقوقات الظلف؛ فحرموا أكلهما كالخنزير.

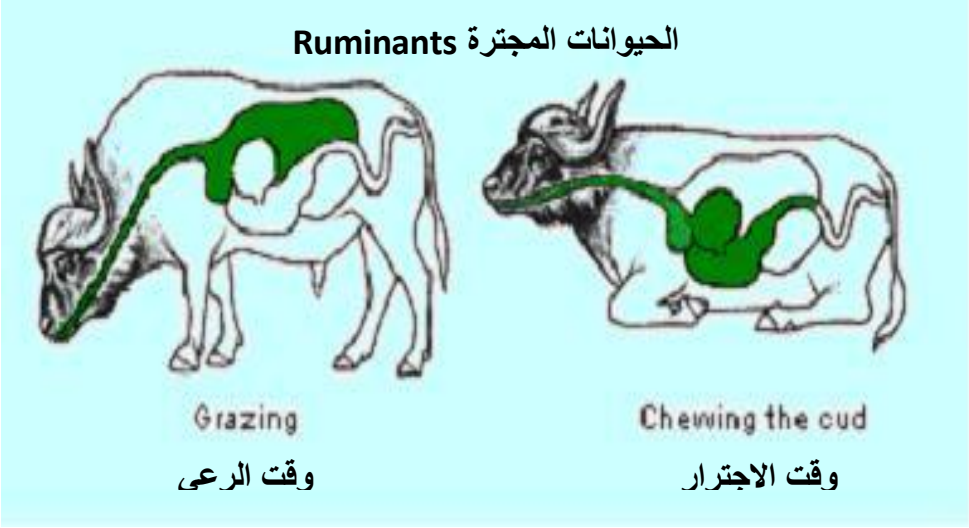

الحيوانات المجترة Ruminants كالبقرة عديدة المعدة؛ تستجلب الطعام في غير وقت الرعي لتعيد مضغه.

في سفر اللاويين Leviticus (١١: ٣-٨): في كل ما شق ظلفا وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فإياه تأكلون. إلا هذه فلا تأكلوها؛ مما يجتر ومما يشق الظلف: الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم. والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم. والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم. والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم. من لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا إنها نجسة لكم"، وفي سفر التثنية Deuteronomy (١٤: ٦-٨): "وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفا وتقسمه ظلفين وتجتر فإياها تأكلون. إلا هذه فلا تأكلوها؛ مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم: الجمل والأرنب والوبر لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفا فهي نجسة لكم. والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم؛ فمن لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا"[٧١٦].

[٧١٦] ترجمة سميث وفانديك Smith & Van Dyke VSD، منشورات كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية مصر.

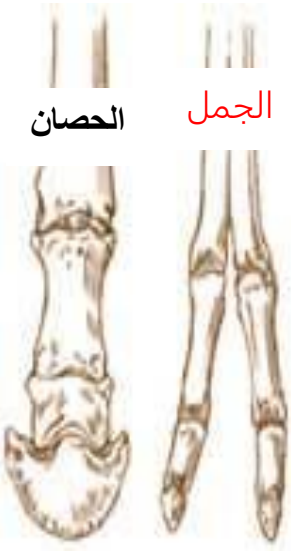

الجمل مشقوق الظلف كالخنزير؛ وله أصبعين وظافرين؛ لكنهم تعثروا وجعلوه بأصبع واحد غير مشقوق الظلف بخلاف الخنزير!.

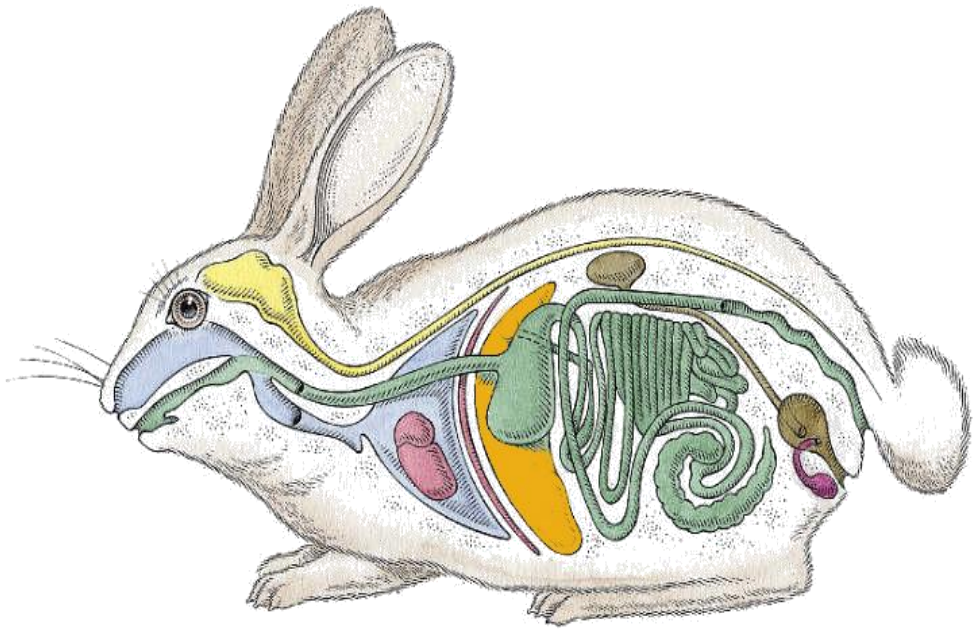

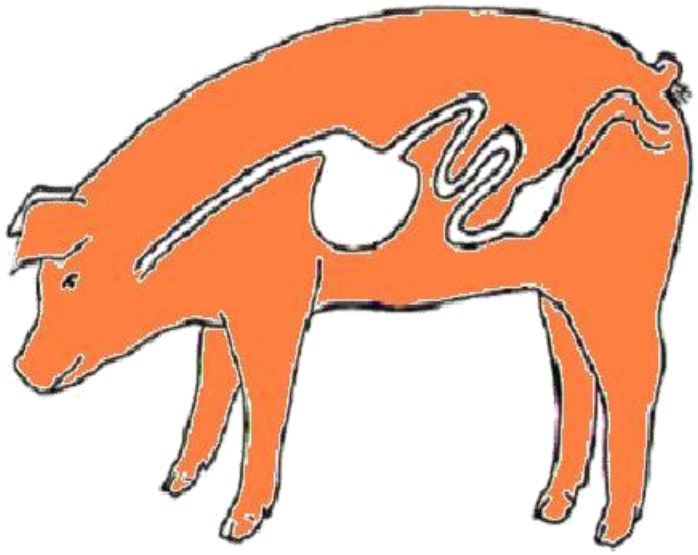

الأرنب تشريحيا له معدة واحدة مثل الخنزير؛ لكنهم تعثروا وجعلوه من الحيوانات المجترة عديدة المعدة بخلاف الخنزير، والتبرير بأنه قد يأكل روثه أقبح من الذنب؛ لأن أكل الروث Coprophagy عادة أصيلة في الخنزير وليس الأرنب!.

وفي المقابل؛ يُحاكي النظم في القرآن الكريم الواقع ويَحِيك الكلمات وفقًا للسياق، فالضأن هو الغنم ذوات الصوف؛ والمعز يشبه الضأن لكنه ذو شعر، وهما من ذوات الظلف المشقوق المجترة ويربيان معًا ويطلق على القطيع غنم تغليبًا، قال ابن عاشور: "وَالضَّأْنُ.. اسْمُ جَمْعٍ لِلْغَنَمِ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ؛ وَمُفْرَدُ الضَّأْنِ شَاةٌ..، وَالضَّأْنُ نَوْعٌ مِنَ الْأَنْعَامِ ذَوَاتِ الظِّلْفِ لَهُ صُوفٌ، وَالْمَعْزُ اسْمُ جمع مفرده مَاعز، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْأَنْعَامِ شَبِيهٌ بِالضَّأْنِ مِنْ ذَوَاتِ الظِّلْفِ لَهُ شَعْرٌ"[٧١٧].

وفي سياق وصف القطيع جمع النظم بينهما بلفظ غنم: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ ٦الأنعام:١٤٦، ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ ٢٠طه:١٨، ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ ٢١الأنبياء:٧٨، وفي سياق وصف فرد من القطيع ميز النظم بين النوعين والجنسين، فذكر ثمانية أفراد أزواج؛ أي ذكر وأنثى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾، ويتفق التمييز بينهما تماما مع التصنيف العلمي الحديث، فالضأن أو الغنم Sheep يتبع شعبة الحبليات طائفة الثدييات رتبة مزدوجات الأصابع فصيلة البقريات والأسرة عنز الظباء والجنس والنوع الغنم[٧١٨]، بينما تنتمي الماعز goat إلى جنس الوعل ونوع الماعز؛ وأسرتها فرعية شبيهة بالظباء والبقر الوحشي Capra aegagrus hircus[٧١٩]، وذكرهما معًا يتفق مع تصنيفهما ضمن البقريات المجترة Cud-Chewing Bovidae متوسطة الحجم Caprinae[٧٢٠].

---

[٧١٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٨\ ١٢٩).

[٧١٨] Wikipedia; the Free Encyclopedia, Carl Linnaeus 1758

[٧١٩] Wikipedia; the Free Encyclopedia, Carl Linnaeus 1758

[٧٢٠] Wikipedia; the Free Encyclopedia, Caprinae

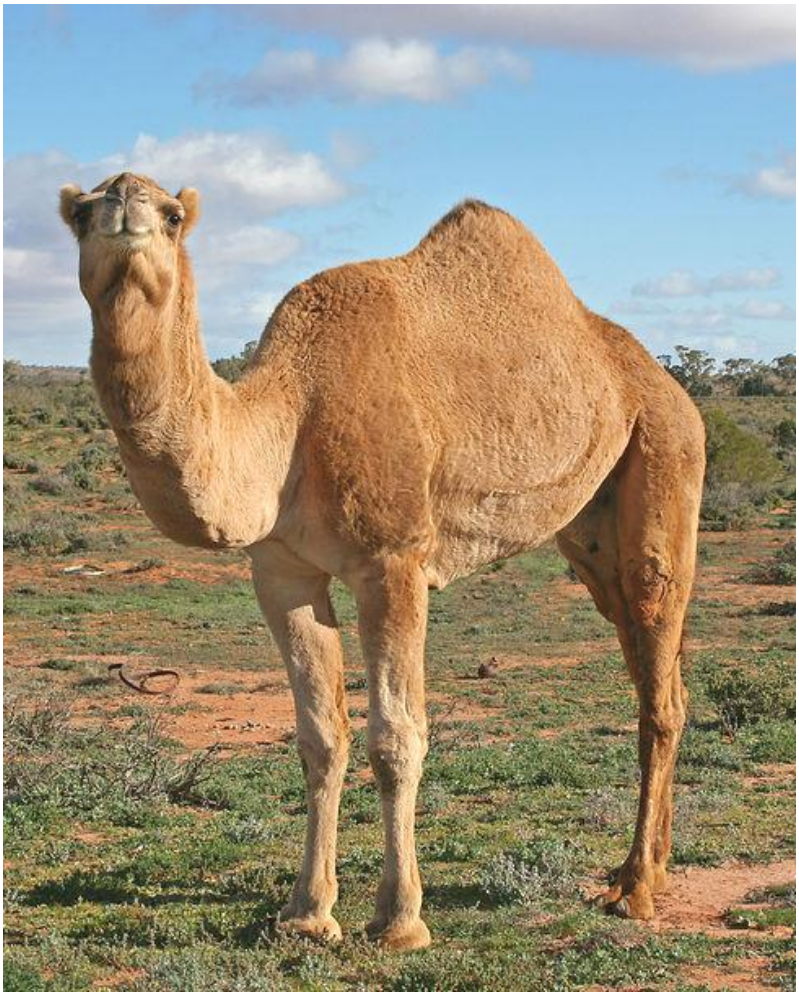

والإبل والبقر أكبر حجما وذكروا معًا لصفات مشتركة؛ وذكروا منفصلين عن الضأن والمعز كمجموعتين متميزين، وذكرت الأربعة معا في سياق واحد لتميزهم بصفات واحدة مشتركة: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ٦الأنعام:١٤٣و١٤٤، وهذا التمييز يتفق كذلك مع التصنيف العلمي، فالجمل Camel يتبع شعبة الحبليات طائفة الثدييات رتبة ثنائيات الأصابع مشقوقة الحافر أسرة الجمليات Camelidae[٧٢١]؛ وتتبع البقرة Cow أسرة البقريات

[٧٢١] Wikipedia; the Free Encyclopedia, Carl Linnaeus 1758

Bovidae[٧٢٢]، والضأن والمعز والإبل والبقر كلهم من المجترات Cud-Chewing مشقوقة الحافر ثنائيات الأصابع Artiodactyla[٧٢٣].

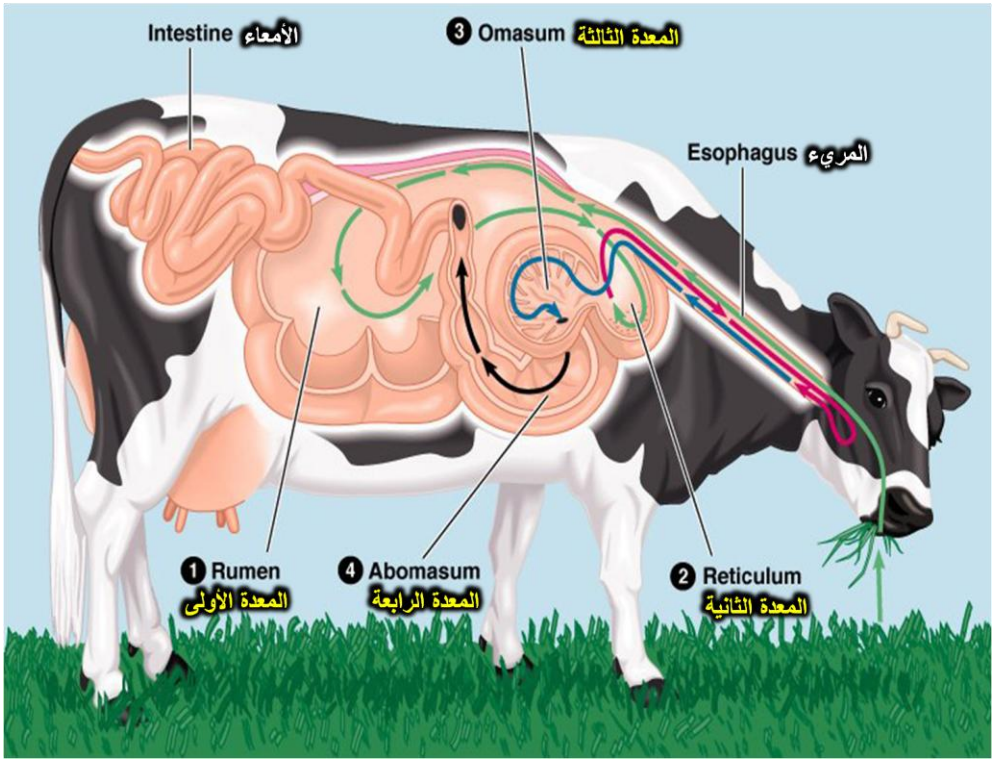

ولم تُصَنَّف الأحياء بطريقة علمية إلا حديثًا؛ لكن القرآن الكريم دون ما يُنسب سواه للوحي وافق التصنيف الحديث.

كارولوس لينيوس Carl Linnaeus
(١٧٧٨ - ١٧٠٧)

وكارولوس لينيوس Carl Linnaeus (١٧٠٧ - ١٧٧٨)؛ هو رائد علم التصنيف الحديث للكائنات الحية، ويعتبر تصنيفه أول تصنيف علمي، فقد قام بتصنيف الكائنات إلى مملكتين Kingdoms والمملكة إلى شُعَب Phyla والشعبة إلى طوائف Classes ثم رتب Orders ثم فصائل وعائلات Families ثم أجناس Genera ثم أنواع Species[٧٢٤]، وأضيف تعديل قليل لاحقًا[٧٢٥]، وتأييد تصنيف العلم إذن للقرآن الكريم بخلاف ما يُنسب سواه للوحي شهادة منصفة بحق!.

---

[٧٢٢] Wikipedia; the Free Encyclopedia, Carl Linnaeus 1758
[٧٢٣] Wikipedia; the Free Encyclopedia, Carl Linnaeus 1758
[٧٢٤] Wikipedia, the free encyclopedia: Carl Linnaeus
[٧٢٥] Wikipedia, the free encyclopedia: Carl Linnaeus

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

قال الماوردي: " {فِيها دِفْءٌ}.. اللباس؛ قاله ابن عباس..، (يعني) ما يستدفأ به من أصوافها وأوبارها وأشعارها؛ قاله الحسن..، {ومنافِعُ}..: النسل؛ قاله ابن عباس..، (أو) يعني الركوب والعمل، {ومنها تأكلون} يعني اللبن واللحم"[٧٢٦].

وقال القاسمي: "(فِيها دِفْءٌ) أي ما يدفئ أي يسخن به من صوف أو وبر أو شعر فيقي البرد، (وَمَنافِعُ) أي من نسلها ودرّها (ألبانها) وركوب ظهرها (وَمِنْها تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ) أي زينة، (حِينَ تُرِيحُونَ) أي تردّونها من مراعيها إلى مراحها..، وهو مقرّها في دور أهلها بالعشيّ، (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) أي تخرجونها بالغداة إلى المراعي، قال الزمخشري: منّ الله بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي؛ بل هو من معاظمها لأن الرعيان إذا روحوها بالعشيّ وسرحوها بالغداة فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء؛ أنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون الناظرين إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس، ونحوه: (لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً) النحل: ٨، (يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً) الأعراف: ٢٦، فإن قلت: لم قدمت الإراحة على التسريح؟ قلت: لأن الجمال في الإراحة أظهر؛ إذا أقبلت مليئة البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها..، (وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ) أي أحمالكم (إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ).. أي لم تكونوا بالغيه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة، فضلا عن أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم، (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ) أي حيث سخرها لمنافعكم. ثم أشار إلى ما هو أتم في دفع المشقة وإفادة الزينة، فقال: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ) عطف على الأنعام، (لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً) عطف محل (لتركبوها) فهي مفعول له أو مصدر لمحذوف. أي وتتزينوا بها زينة، أو مصدر واقع موقع الحال من فاعل (تركبوها)؛ أو مفعوله. أي متزينين بها أو متزينًا بها، وسر التصريح باللام في المعطوف عليه دون المعطوف؛ هو الإشارة إلى أن المقصود المعتبر الأصليّ في الأصناف هو الركوب، وأما التزين بها فأمر تابع غير مقصود قصد الركوب، فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة للتعليل تنبيها على أنه أهم الغرضين؛ وأقوى السببين. وتجرد التزين منها؛ تنبيها على تبعيته أو قصوره عن الركوب"[٧٢٧].

وقال المراغي: "وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ) امتن سبحانه على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهى الإبل والبقر والغنم كما تقدم تفصيل ذلك فى سورة الأنعام، إذ عدها ثمانية أزواج، وبما جعل لهم فيها من المنافع من الأصواف والأوبار والأشعار، لباسا وفراشا، ومن الألبان شرابا، ومن الأولاد أكلا،(وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) أي ولكم فى هذه الأنعام زينة حين تردّونها بالعشي من مسارحها إلى منازلها التي تأوى إليها، وحين إخراجها من مراحها إلى مسارحها، وخصص هذين الوقتين بالذكر، لأن الأفنية تتزين بها ويتجاوب ثغاؤها ورغاؤها حين الذهاب والإياب، فيعظم أربابها فى أعين الناظرين إليها، وقدم الإراحة على السرح مع تأخرها فى الوجود، لأن الجمال فيها أظهر، وجلب السرور فيها أكمل، ففيها حضور بعد غيبة، وإقبال بعد إدبار، على أحسن ما يكون، إذ تكون ملأى البطون، حافلة الضروع، (وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) أي وهى أيضا تحمل أمتعتكم وأحمالكم من بلد إلى آخر لم تكونوا بالغيه بدونها إلا بكلفة ومشقة وجهد شديد، ونحو الآية قوله: «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِها وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْها تَأْكُلُونَ. وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ»، وقوله: «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَمِنْها تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ»، (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ) ومن ثم أسبغ عليكم نعمه الجليلة

---

[٧٢٦] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٣ ١٧٩).

[٧٢٧] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٦ ٣٥١).

ويسّر لكم الأمور الشاقة العسيرة، ومن رأفته ورحمته بكم أن خلق لكم الأنعام لمنافعكم ومصالحكم؛ كما قال: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ. وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَمِنْها يَأْكُلُونَ؟»"[٧٢٨].

وقال ابن عاشور: "(وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ).. امْتِنَانًا عَلَى الْمُخَاطَبِينَ.. والْأَنْعامَ: الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْمَعِزُ.، وَأَشْهَرُ الْأَنْعَامِ عِنْدَ الْعَرَبِ الْإِبِلُ.، (وَالدِّفْءُ).. اسْمٌ لِمَا يُتَدَفَّأُ بِهِ.. وَهُوَ الثِّيَابُ الْمَنْسُوجَةُ مِنْ أَوْبَارِ الْأَنْعَامِ وَأَصْوَافِهَا وَأَشْعَارِهَا تُتَّخَذُ مِنْهَا الْخِيَامُ وَالْمَلَابِسُ..، وَخُصَّ الدِّفْءُ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ عُمُومِ الْمَنَافِعِ لِلْعِنَايَةِ بِهِ..، وَجُمْلَةُ (وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ) عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ (لَكُمْ فِيها دِفْءٌ)، وَجُمْلَةُ (وَمِنْها تَأْكُلُونَ) عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ (لَكُمْ فِيها دِفْءٌ)، وَهَذَا امْتِنَانٌ بِنِعْمَةِ تَسْخِيرِهَا لِلْأَكْلِ مِنْهَا وَالتَّغَذِّي، وَاسْتِرْدَادِ الْقُوَّةِ لِمَا يَحْصُلُ مِنْ تَغْذِيَتِهَا، وَتَقْدِيمُ.. (وَمِنْها تَأْكُلُونَ) للاهتمام؛ لأنهم (كانوا) شديدو الرَّغْبَةِ فِي أَكْلِ اللُّحُومِ، وَلِلرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ، وَالْإِتْيَانُ بِالْمُضَارِعِ فِي تَأْكُلُونَ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُتَكَرِّرَةِ، وَالْإِرَاحَةُ: فِعْلُ الرَّوَاحِ؛ وَهُوَ الرُّجُوعُ إِلَى الْمَعَاطِنِ، يُقَالُ: أَرَاحَ نَعَمَهُ إِذَا أَعَادَهَا بَعْدَ السُّرُوحِ، وَالسُّرُوحُ: الْإِسَامَةُ؛ أَيِ الْغُدُوُّ بِهَا إِلَى الْمَرَاعِي... وَتَقْدِيمُ الْإِرَاحَةِ عَلَى التَّسْرِيحِ لِأَنَّ الْجَمَالَ عِنْدَ الْإِرَاحَةِ أَقْوَى وَأَبْهَجُ؛ لِأَنَّهَا تُقْبِلُ حِينَئِذٍ مَلْأَى الْبُطُونِ حَافِلَةَ الضُّرُوعِ مَرِحَةً بِمَسَرَّةِ الشِّبَعِ وَمَحَبَّةِ الرُّجُوعِ إِلَى مَنَازِلِهَا مِنْ مَعَاطِنَ وَمَرَابِضَ، وَالْإِتْيَانُ بِالْمُضَارِعِ فِي تُرِيحُونَ وتَسْرَحُونَ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَكَرِّرَةِ، وَفِي تَكَرُّرِهَا تَكَرُّرُ النِّعْمَةِ بِمَنَاظِرِهَا، وَجُمْلَةُ (وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ) مَعْطُوفَةٌ عَلَى (وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ).. وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ إِلَى أَشْهَرِ الْأَنْعَامِ عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْإِبِلُ.، وَضَمِيرُ (وَتَحْمِلُ) عَائِدٌ إِلَى بَعْضِ الْأَنْعَامِ بِالْقَرِينَةِ، وَاخْتِيَارُ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ بِتَكَرُّرِ ذَلِكَ الْفِعْلِ، وَالْأَثْقَالُ: جَمْعُ ثَقَلٍ.. وَهُوَ مَا يَثْقُلُ عَلَى النَّاسِ حَمْلُهُ بِأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُرَادُ بِبَلَدٍ جِنْسُ الْبَلَدِ الَّذِي يَرْتَحِلُونَ إِلَيْهِ كَالشَّامِ وَالْيَمَنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ فِي رِحْلَةِ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ؛ وَالرِّحْلَةِ إِلَى الْحَجِّ، وَقَدْ أَفَادَ (وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ) مَعْنَى تَحْمِلُكُمْ وَتُبَلِّغُكُمْ بِطَرِيقَةِ الْكِنَايَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ التَّصْرِيحِ؛ وَلِذَلِكَ عَقَّبَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ)، وَجُمْلَةُ (لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ) صِفَةٌ لِبَلَدٍ، وَهِيَ مُفِيدَةٌ مَعْنَى الْبُعْدِ؛ لِأَنَّ بُلُوغَ الْمُسَافِرِ إِلَى بَلَدٍ بِمَشَقَّةٍ هُوَ مِنْ شَأْنِ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ، أَيْ لَا تَبْلُغُونَهُ بِدُونِ الْأَنْعَامِ الْحَامِلَةِ أَثْقَالَكُمْ، وَالشِّقُّ - بِكَسْرِ الشِّينِ - فِي قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ: الْمَشَقَّةُ وَالْبَاءُ لِلْمُلَابَسَةِ، وَالْمَشَقَّةُ: التَّعَبُ الشَّدِيدُ..، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ (إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ)- بِفَتْحِ الشِّينِ- وَهُوَ لُغَةٌ فِي الشِّقِّ الْمَكْسُورِ الشِّينِ..، (و) الْمُرَادُ: لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ لَوْلَا الْإِبِلُ أَوْ بِدُونِ الْإِبِلِ..، وَجُمْلَةُ (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ) تَعْلِيلٌ لِجُمْلَةِ (وَالْأَنْعامَ خَلَقَها)، أَيْ خَلَقَهَا لِهَذِهِ الْمَنَافِعِ لِأَنَّهُ رؤوف رَحِيم بكم"[٧٢٩].

[٧٢٨] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٤\ ٥٦).

[٧٢٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٤\١٠٣).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Zoology

علم الحيوان

المَوْضُوع Subject

Taxonomy

تصنيف الكائنات الحية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ ٧الأعراف:٧٧.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:٤٠.
- ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٧الأعراف:٧٣.
- ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ١١هود:٦٤.
- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ ١٢يوسف:٩٤.
- ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ١٢يوسف:٨٢.
- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ. قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ. قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ. قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ١٢يوسف:٦٩-٧٣.
- ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ ١٢يوسف:٦٥.
- ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ ١٧الإسراء:٥٩.
- ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ٢٦الشعراء:١٥٥و١٥٦.
- ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ ٥٤القمر:٢٧.
- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠.
- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ ٩١الشمس:١٣.
- ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ ٤النساء:١١٩.
- ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ ٦الأنعام:١٣٩.
- ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ٦الأنعام:١٤٢.
- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ٦الأنعام:١٣٦.
- ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ٧الأعراف:١٧٩.
- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ ١٠يونس:٢٤.

- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ ١٦النحل:٨٠.
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ ١٦النحل:٦٦.
- ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٦النحل:٥-٩.
- ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ ٢٢الحج:٣٠.
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٢١و٢٢.
- ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٤٤.
- ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ٣٩الزمر:٦.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ٤٠غافر:٧٩و٨٠.
- ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ ٤٢الشورى:١١.
- ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ. لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ٤٣الزخرف:١٢و١٣.
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ ٤٧محمد:١٢.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ٢البقرة:٢٦.
- ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ٢البقرة:٥١.
- ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ٢البقرة:٦٨.
- ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ ٢البقرة:٦٩.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ٢البقرة:٥٤.
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٢البقرة:٩٢و٩٣.
- ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ ٢البقرة:٧٠.
- ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ ٢البقرة:٧١.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ ٢البقرة:٦٧.
- ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ٤النساء:١٥٣.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ٧الأعراف:١٥٢.
- ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ٧الأعراف:١٤٨.
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ ١١هود:٦٩.
- ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي. قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ

الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ. فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ. أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ٢٠طه:٨٦-٨٩.

- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ٥١الذاريات:٢٤-٢٧.
- ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ ٥المائدة:١.
- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ ٢٢الحج:٣٤.
- ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ ٢٢الحج:٢٨.
- ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ٧الأعراف:١٠٦و١٠٧.
- ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ ٢٠طه:١٩-٢١.
- ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ٢٦الشعراء:٣١و٣٢.
- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٥٤القمر:٦و٧.
- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:١٣٣.
- ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ٥المائدة:٤.
- ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٥٩.
- ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ٣١لقمان:١٩.
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٦٢الجمعة:٥.
- ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ ٧٤المدثر:٤٩-٥١.
- ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ٧الأعراف:١٦٣.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ١٨الكهف:٦٠-٦٣.
- ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ٣٧الصافات:١٣٩-١٤٤.
- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ٦٨القلم:٤٨.
- ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ ٨الأنفال:٦٠.
- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ ٣آل عمران:١٤.
- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ ٣٤سبأ:١٤.

- ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤.
- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٨الأنفال:٢٢.
- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٨الأنفال:٥٥.
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ١١هود:٦.
- ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١١هود:٥٦.
- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٩.
- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ١٦النحل:٦١.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ ٢٢الحج:١٨.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٤النور:٤٥.
- ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ٢٧النمل:٨٢.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ ٢٩العنكبوت:٦٠.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ ٣١لقمان:١٠.
- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٣٥فاطر:٤٥.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩.
- ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ٤٥الجاثية:٤.
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ٣٥فاطر:٢٨.
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ٦الأنعام:٣٨،
- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ. قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ. قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ. فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ. قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ١٢يوسف:١١-١٧.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ٢٢الحج:٧٣.
- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ ٥المائدة:٩٦.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ ٥المائدة:٩٥.
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٥المائدة:٩٤.
- ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ٦الأنعام:١٤٣.
- ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ٦الأنعام:١٤٤.

- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٦٠.
- ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ٣آل عمران:٤٩.
- ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ ٥المائدة:١١٠.
- ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧الأعراف:١٣١.
- ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ١٢يوسف:٤١.
- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٢يوسف:٣٦.
- ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ١٦النحل:٧٩.
- ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ١٧الإسراء:١٣.
- ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ ٢١الأنبياء:٧٩.
- ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ٢٢الحج:٣١.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٢٤النور:٤١.
- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ٢٧النمل:١٧.
- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ ٢٧النمل:١٦.
- ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ ٢٧النمل:٤٧.
- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ٢٧النمل:١٧.
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ ٣٤سبأ:١٠.
- ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ ٣٦يس:١٩.
- ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ ٣٨ص:١٧-١٩.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ ٦٧الملك:١٩.
- ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ٢٧النمل:٢٠.
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤١.
- ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ ٢٠طه:١٨.
- ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ ٢١الأنبياء:٧٨.
- ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ ٣٨ص:٢٣و٢٤.
- ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ١٠١القارعة:٤.
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ ١٠٥الفيل:١-٥.
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ٢البقرة:٦٥.
- ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ٧الأعراف:١٦٦.

- ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ٥المائدة:٦٠.
- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ ٦الأنعام:١٤٦.
- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٧الأعراف:١٧٥و١٧٦.
- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ٢البقرة:١٧٣.
- ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٦الأنعام:١٤٥.
- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١٦النحل:١١٥.
- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ ٥المائدة:٣.
- ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩.
- ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٧النمل:١٨.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٢٢الحج:٣٦و٣٧.
- ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ. فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ. فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ. فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ ٥٦الواقعة:٤٩-٥٥.
- ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٥المائدة:١٠٣.
- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ. وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ. وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ٨١التكوير:٣-٥.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٦النحل:٨و٩.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٦النحل:٥-٩.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾، ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

And (He has created) horses, mules and donkeys, for you to ride and as an adornment. And HE will create (other transport means) **what you do not yet know. And upon ALLAH rests the showing of the right way, and from which turn aside** (the right path)**, and if HE had willed; He could** (certainly) **have guided all of you aright.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

قبل أن تُستحدث الوسائل الحديثة للانتقال؛ كانت الإبل خاصة هي وسيلة النقل البعيد وحمل البضائع والأثقال، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾؛ بيان بأهمية الأنعام قديمًا عند العرب؛ وهي الضأن (الغنم) والمعز والإبل والبقر، ونعمة النقل البعيد خصها بالذكر قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وهي أخص عُرفًا بقوافل الإبل حتى أنها سميت بسفن الصحراء، وقوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾؛ يُصَرِّح بالانتقال وبعد المسافة بحيث يتعذر أو يشق الوصول بالأقدام، والتعقيب: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾؛ تأكيد لنعمة الأنعام.

وفي سياق النقل نبوءة بوسائل أنفع من الدواب: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، وفيها استبعاد لعديد منافع الأنعام مثل الإمداد باللحوم واللبن عن الخيل والبغال والحمير؛ والاكتفاء بالركوب والزينة.

في عصر التقنية؛ لم تعد دواب النقل مُجدية في حمل الأثقال المتزايدة ولا نقل البضائع للمسافات البعيدة.

وأقل وسيلة نقل اليوم يُمكن أن تحمل ما لا تستطعه دابة؛ وتحمل الوسائل الأكبر ركابًا أكثر وأثقالاً لم تُتَخَيَّل من قبل.

مازال التزيين والتباهي بركوب الخيل عادة عربية إحياء للفروسية في الحرب، بينما البغال والحمير أميز في النقل.

ودواب النقل منافعها مقصورة على الركوب والزينة: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ ١٦النحل:٨، والزينة أخص بالخيل عرفًا؛ بخلاف البغال والحمير الأقل قيمة والأكثر شهرة في النقل مع اشتراكهم في الركوب.

لقد فاقت وسائل النقل الحديثة الدواب في السرعة والكفاءة والرفاهية والأيام حبلى بالمزيد من الوسائل أكثر تطورًا.

وأعاد الخطيب ضمير الجمع المؤنث: (وَمِنْها جائِرٌ) على الدواب المذكورة لا (السبيل)؛ كونه مفرد مذكر، وعبارته: "(وَمِنْها جائِرٌ): إشارة إلى أن من هذه الحيوانات ما هو مُستجيب لحاجة الإنسان قد يسر الله سبحانه وتعالى طبيعته حتى توافق طبيعة الإنسان وتألفه؛ ومنها ما هو جائر؛ أي منحرف عن وجهة الإنسان"[٧٣٠]، وفعلاً من دواب الركوب الجامح النافر العنيد الذي لا تنفعه عصا، وقد يحيد عن الطريق السوي ويطرحك أرضًا فكان خير مثال للجُمُوح!.

[٧٣٠] عبد الكريم يونس الخطيب؛ التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي بالقاهرة (١٧ ٢٧١).

ولم يعد وجها لمقارنة الوسائل الحديثة بالدواب؛ والتي أصبح نصيبها من التربية بالمدن للزينة بحدائق الحيوان أكثر منها للنقل، قال الشعراوي: "حين تكلَّم سبحانه عن وسائل المواصلات؛ قال: (والخيل والبغال والحمير لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)، وقوله تعالى: (وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) أدخل كُلّ ما اخترعنا نحن البشر من وسائل المواصلات..، وإياك أن تقول: أنا الذي صنعتُ الشراع وأنا الذي صنعتُ المركب..؛ ذلك أنك صنعتَ كل ذلك بقواك المخلوقة لك من الله وبالفكر الموهوب لك من الله ومن المادة الموهوبة لك من الله، فكلُّها أشياء جاءتْ بأمر من الله"[٧٣١]، "(و) لما ذكر الحق تبارك وتعالى وسائل النقلِ والمواصلات في زمن نزول القرآن قال.. (وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)..؛ وإلاَّ فأين السيارة والطائرة والصاروخ.. إذن نستطيع الآن أنْ نُدخِل كل الوسائل الحديثة تحت (وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)"[٧٣٢]، "(ولزم هذا التذييل) ليجعل في القرآن رصيداً لكل ما يُستجد من وسائل المواصلات والانتقال إلى يوم القيامة"[٧٣٣].

---

[٧٣١] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٢\ ٧٥٤٣).

[٧٣٢] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٧\ ١٠٨٤٣).

[٧٣٣] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٨\ ١٠٩٤٣).

وقال المراغي: "(وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً): أي وخلق لكم الخيل والبغال والحمير أيضا لتركبوها وجعلها لكم زينة تتزينون بها..، (وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ) غير هذه الدواب مما يهدى إليه العلم وتستنبطه العقول كالقطر البرية والبحرية والطائرات التي تحمل أمتعتكم وتركبونها من بلد إلى آخر..، والمطاود الهوائية التي تسير في الجو والغواصات التي تجرى تحت الماء؛ إلى نحو.. ما.. يقوم مقام الخيل والبغال والحمير في الركوب والزينة"[٧٣٤]، "ونحوها قطر السكك الحديدية والسفن الهوائية من مطاود وطائرات تسير في الجوّ حاملة للناس السلع..؛ ومن جرّاء هذا لم يعين الكتاب الكريم ما يركبون لما سيظهر في عالم الوجود مما هو مخبّأ في صحيفة الغيب؛ وهذا من إعجاز الكتاب الكريم"[٧٣٥].

والنبأ قد تحقق اليوم مُعاينةً، والشاهد قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾؛ في معرض الحديث عن وسائل نقل، وفعل ﴿يَخْلُقُ﴾ مضارع يدل على التجدد؛ مما لا يجعل حدًا لما ستكشفه الأيام من وسائل نقل، ولكن عندما تسترخي على كرسيك في سيارة أو قطار أو سفينة فضاء؛ فتذكر أنك تجلس فوق دليل ملموس يشهد للقرآن بالوحي!.

[٧٣٤] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٤\ ٥٧).

[٧٣٥] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢٣\ ١٥).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن عاشور: "﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.. وَهَذَا وَاقِعٌ مَوْقِعَ الِامْتِنَانِ فَكَانَ مُقْتَصِرًا عَلَى مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُخَاطَبُونَ الْأَوَّلُونَ فِي عَادَتِهِمْ، وَقَدِ اقْتَصَرَ عَلَى "مِنَّةِ" الرُّكُوبِ عَلَى الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ وَالزِّينَةِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْحَمْلَ عَلَيْهَا كَمَا قَالَ فِي شَأْنِ الْأَنْعَامِ: (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ)؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ مِنْ عَادَتِهِمُ الْحَمْلُ عَلَى الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، فَإِنَّ الْخَيْلَ كَانَتْ تُرْكَبُ لِلْغَزْوِ وَلِلصَّيْدِ، وَالْبِغَالُ تُرْكَبُ لِلْمَشْيِ وَالْغَزْوِ، وَالْحَمِيرُ تُرْكَبُ لِلتَّنَقُّلِ فِي الْقُرَى وَشِبْهِهَا..، فَلَا يَتَعَلَّقُ الِامْتِنَانُ بِنِعْمَةٍ غَيْرِ مُسْتَعْمَلَةٍ عِنْدَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ..، (باعتبار) جَرَيَانِ الْكَلَامِ عَلَى مُرَاعَاةِ عَادَةِ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ..، وَالْخَيْلُ: اسْمُ جَمْعٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ عَلَى الْأَصَحِّ..، وَالْبِغَالُ: جَمْعُ بَغْلٍ وَهُوَ اسْمٌ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى.. أُمِّهِ مِنَ الْخَيْلِ وَأَبُوهُ مِنَ الْحَمِيرِ..، وَمِنْ خَصَائِصِ الْبِغَالِ عُقْمُ أُنْثَاهَا بِحَيْثُ لَا تَلِدُ، وَالْحَمِيرُ: جَمْعُ.. حِمَارٍ..، (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) اعْتِرَاضٌ..، (وَيَخْلُقُ) مُضَارِعٌ.. (أي) يَخْلُقُ لَهُمْ خَلَائِقَ أُخْرَى لَا يَعْلَمُونَهَا الْآنَ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ غَيْرُ مَعْهُودٍ أَوْ غَيْرُ مَعْلُومٍ لِلْمُخَاطَبِينَ وَهُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ أُمَمٍ أُخْرَى كَالْفِيلِ عِنْدَ الْحَبَشَةِ وَالْهُنُودِ؛ وَمَا هُوَ غَيْرُ مَعْلُومٍ لِأَحَدٍ ثُمَّ يَعْلَمُهُ النَّاسُ مِنْ بَعْدُ.، فَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ الْغَيْبِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَأَنَّهَا إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ سَيُلْهِمُ الْبَشَرَ اخْتِرَاعَ مَرَاكِبَ هِيَ أَجْدَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، وَتِلْكَ الْعَجَلَاتُ الَّتِي يَرْكَبُهَا الْوَاحِدُ وَيُحَرِّكُهَا بِرِجْلَيْهِ..، وَأَرْتَالُ السِّكَكِ الْحَدِيدِيَّةِ، وَالسَّيَّارَاتُ.. ثُمَّ الطَّائِرَاتُ..؛ فَكُلُّ هَذِهِ مَخْلُوقَاتٌ نَشَأَتْ فِي عُصُورٍ مُتَتَابِعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا مَنْ كَانُوا قَبْلَ عَصْرِ وُجُودِ كُلٍّ مِنْهَا، وَإِلْهَامُ اللَّهِ النَّاسَ لِاخْتِرَاعِهَا هُوَ مُلْحَقٌ بِخَلْقِ اللَّهِ؛ فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَلْهَمَ الْمُخْتَرِعِينَ مِنَ الْبَشَرِ بِمَا فَطَرَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذَّكَاءِ وَالْعِلْمِ وَبِمَا تَدَرَّجُوا فِي سُلَّمِ الْحَضَارَةِ وَاقْتِبَاسِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ إِلَى اخْتِرَاعِهَا، فَهِيَ بِذَلِكَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الْكُلَّ من نعْمَته، (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْها جائِرٌ وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ): جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ؛ اقْتَضَتِ اعْتِرَاضَهَا مُنَاسَبَةُ الِامْتِنَانِ بِنِعْمَةِ تَيْسِيرِ الْأَسْفَارِ بِالرَّوَاحِلِ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، فَلَمَّا ذُكِرَتْ نِعْمَةُ تَيْسِيرِ السَّبِيلِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى الْمَقَاصِدِ الْجُثْمَانِيَّةِ ارْتَقَى إِلَى التَّذْكِيرِ بِسَبِيلِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَقَاصِدِ الرُّوحَانِيَّةِ وَهُوَ سَبِيلُ الْهُدَى، فَكَانَ تَعَهُّدُ اللَّهِ بِهَذِهِ السَّبِيلِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ تَيْسِيرِ الْمَسَالِكِ الْجُثْمَانِيَّةِ لِأَنَّ سَبِيلَ الْهُدَى تَحْصُلُ بِهِ السَّعَادَةُ الأبدية؛ وَهَذِهِ السَّبِيلُ هِيَ مَوْهِبَةُ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ الْفَارِقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ، وَتَذْكِيرُهُمْ بِمَا يَغْفُلُونَ عَنْهُ، وَإِرْشَادُهُمْ إِلَى مَا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ عُقُولُهُمْ أَوْ تَصِلُ إِلَيْهِ بِمَشَقَّةٍ عَلَى خَطَرٍ مِنَ التورّط فِي بيّنات الطَّرِيقِ، فَالسَّبِيلُ: مَجَازٌ لِمَا يَأْتِيهِ النَّاسُ مِنَ الْأَعْمَالِ مِنْ حَيْثُ هِيَ مُوَصِّلَةٌ إِلَى دَارِ الثَّوَابِ أَوْ دَارِ الْعِقَابِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ ١٢يوسف:١٠٨..، (و) مِنْ بَيْنِ الطُّرُقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا النَّاسُ طَرِيقَ ضَلَالٍ وَجَوْرٍ، وَقَدِ اسْتُعِيرَ لِتَعَهُّدِ اللَّهِ بِتَبْيِينِ سَبِيلِ الْهُدَى حَرْفُ (عَلَى) الْمُسْتَعَارُ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ وَكَلَامُ الْعَرَبِ لِمَعْنَى التَّعَهُّدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ ٩٢الليل:١٢؛ شَبَّهَ الْتِزَامَ هَذَا الْبَيَانِ وَالتَّعَهُّدِ بِهِ بِالْحَقِّ الْوَاجِبِ..، وَالْقَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ، وَقَعَ هُنَا وَصْفًا لِلسَّبِيلِ مِنْ قَبِيلِ الْوَصْفِ بِالْمَصْدَرِ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: طَرِيقٌ قَاصِدٌ أَي مُسْتَقِيم..، وَذَلِكَ أَقْوَى فِي الْوَصْفِ بِالِاسْتِقَامَةِ كَشَأْنِ الْوَصْفِ بِالْمَصَادِرِ، وَإِضَافَةُ قَصْدُ إِلَى السَّبِيلِ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ؛ وَهِيَ صِفَةٌ مُخَصِّصَةٌ لِأَنَّ التَّعْرِيفَ فِي السَّبِيلِ لِلْجِنْسِ، وَيَتَعَيَّنُ تَقْدِيرُ مُضَافٍ لِأَنَّ الَّذِي تَعَهَّدَ اللَّهُ بِهِ هُوَ بَيَانُ السَّبِيلِ لَا ذَاتُ السَّبِيلِ، وَضَمِيرُ (وَمِنْها) عَائِدٌ إِلَى السَّبِيلِ..، وَالْجَائِرُ: هُوَ الْحَائِدُ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ. وَكُنِّيَ بِهِ عَنْ طَرِيقٍ غَيْرِ مُوصِلٍ إِلَى الْمَقْصُودِ؛ أَيْ إِلَى الْخَيْرِ، وَهُوَ الْمُفْضِي إِلَى ضُرٍّ، فَهُوَ جَائِرٌ بِسَالِكِهِ، وَوَصْفُهُ بِالْجَائِرِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ، وَلَمْ يُضَفِ السَّبِيلُ الْجَائِرُ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّ سَبِيلَ الضَّلَالِ اخْتَرَعَهَا أَهْلُ الضَّلَالَةِ اخْتِرَاعًا لَا يَشْهَدُ لَهُ الْعَقْلُ الَّذِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ النَّاسَ عَنْ سُلُوكِهَا، وَجُمْلَةُ: (وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ) تذييل"[٧٣٦].

---

[٧٣٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٤/١٠٧).

وقال القاسمي: "(وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ) عطف على (الأنعام)، (لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً).. أي وتتزينوا بها زينة..، وسر التصريح باللام في المعطوف عليه (لِتَرْكَبُوها) دون المعطوف (وَزِينَةً)؛ هو الإشارة إلى أن المقصود المعتبر الأصليّ.. هو الركوب، وأما التزين بها فأمر تابع غير مقصود قصد الركوب، فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة للتعليل؛ تنبيها على أنه أهم الغرضين وأقوى السببين، وتجرد التزين منها؛ تنبيها على تبعيته أو قصوره عن الركوب"[٧٣٧].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ ٣آل عمران:١٢٦؛ قال الرازي: "مَطْلُوبَانِ وَأَحَدُهُمَا أَقْوَى فِي الْمَطْلُوبِيَّةِ مِنَ الْآخَرِ، فَأَحَدُهُمَا: إِدْخَالُ السُّرُورِ فِي قُلُوبِهِمْ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (إِلَّا بُشْرى)، وَالثَّانِي: حُصُولُ الطُّمَأْنِينَةِ عَلَى أَنَّ إِعَانَةَ اللَّهِ وَنُصْرَتَهُ مَعَهُمْ فَلَا يَجْبُنُوا عَنِ الْمُحَارَبَةِ؛ وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ، فَفَرَّقَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْعِبَارَتَيْنِ تَنْبِيهًا عَلَى حُصُولِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ فِي الْمَطْلُوبِيَّةِ، فَكَوْنُهُ بُشْرَى مَطْلُوبٌ؛ وَلَكِنَّ الْمَطْلُوبَ الْأَقْوَى حُصُولُ الطُّمَأْنِينَةِ، فَلِهَذَا أَدْخَلَ حَرْفَ التَّعْلِيلِ عَلَى فِعْلِ الطُّمَأْنِينَةِ فَقَالَ: (وَلِتَطْمَئِنَّ)، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً)، وَلَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ هُوَ الرُّكُوبُ أَدْخَلَ حَرْفَ التَّعْلِيلِ عَلَيْهَا"[٧٣٨]، "وَالْأَنْعَامُ هِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؛ قَالَ تعالى: (وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ)؛ إِلَى قَوْلِهِ: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ)، فَفَرَّقَ تَعَالَى بَيْنَ الْأَنْعَامِ وَبَيْنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، وَقَالَ تَعَالَى: (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَمِنْها يَأْكُلُونَ) ٣٦يس:٧١و٧٢، وَقَالَ: (وَمِنَ الْأَنْعامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ)؛ إِلَى قَوْلِهِ: (ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ)؛ وَإِلَى قَوْلِهِ: (وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ) الْأَنْعَام:١٤٢-١٤٤"[٧٣٩]، و"قَوْلُهُ: (وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ)..؛ وَالشِّقُّ الْمَشَقَّةُ وَالشِّقُّ نِصْفُ الشيء، وحمل اللفظ هاهنا عَلَى كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ جَائِزٌ، فَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْمشقة كان المعنى: لم تكونوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ، وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى نِصْفِ الشيء كان المعنى: لم تكونوا بَالِغِيهِ إِلَّا عِنْدَ ذَهَابِ النِّصْفِ مِنْ قُوَّتِكُمْ أَوْ مِنْ بَدَنِكُمْ؛ وَيَرْجِعُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ إِلَى الْمَشَقَّةِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ: الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَالْأَنْعامَ خَلَقَها الْإِبِلُ فَقَطْ بِدَلِيلِ أَنَّهُ وَصَفَهَا فِي آخِرِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: (وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ) وَهَذَا الْوَصْفُ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِالْإِبِلِ، قُلْنَا: الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ تَعْدِيدُ مَنَافِعِ الْأَنْعَامِ فَبَعْضُ تِلْكَ الْمَنَافِعِ حَاصِلَةٌ فِي الْكُلِّ وَبَعْضُهَا مُخْتَصٌّ بِالْبَعْضِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ قَوْلَهُ: (وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ) حَاصِلٌ فِي الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ مِثْلَ حُصُولِهِ فِي الْإِبِلِ..، (و) اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ مَنَافِعَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ بِهَا فِي الْمَنَافِعِ الضَّرُورِيَّةِ وَالْحَاجَاتِ الْأَصْلِيَّةِ، ذَكَرَ بَعْدَهُ مَنَافِعَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي الْمَنَافِعِ الَّتِي لَيْسَتْ بِضَرُورِيَّةٍ، فَقَالَ: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ. وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْها جائِرٌ وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ)..؛ قَالَ الْوَاحِدِيُّ: الْقَصْدُ اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ يُقَالُ: طَرِيقٌ قَصْدٌ وَقَاصِدٌ إِذَا أَدَّاكَ إِلَى مَطْلُوبِكَ، إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَفِي الْآيَةِ حَذْفٌ؛ وَالتَّقْدِيرُ: وَعَلَى اللَّهِ بَيَانُ قَصْدِ السَّبِيلِ، ثم قال: (وَمِنْها جائِرٌ) أَيْ.. مَائِلٌ، وَمَعْنَى الْجَوْرِ فِي اللُّغَةِ الْمَيْلُ عَنِ الْحَقِّ، وَالْكِنَايَةُ فِي قَوْلِهِ: (وَمِنْها جائِرٌ) تَعُودُ عَلَى السَّبِيلِ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ فِي لُغَةِ الْحِجَازِ؛ يَعْنِي وَمِنَ السَّبِيلِ مَا هُوَ جَائِرٌ غَيْرُ قَاصِدٍ لِلْحَقِّ وَهُوَ أَنْوَاعُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ"[٧٤٠].

وقال أبو زهرة: "(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ): أي يخلق ما نعلم وما لا نعلم؛ وما كان يعلمه العرب وما لَا يعلمونه، ولو أن المتأمل المستبصر تعرف إعجاز القرآن في إخباره بما كان مُغَيَّبًا في زمان نزوله لوجده في مثل هذه الآية، إن مما خلقه الله تعالى مما كان العرب لَا يعلمونه، ولم يكن قط في عصر نزول القرآن: السيارات التي تنهب الأرض نهبا والطائرات التي تقطع أجواء الفضاء قطعا ومما يجري الآن في عصر الفضاء؛ فإن ذلك كله خلقه الله تعالى، ومكن الإنسان في عصره ما لم يكن ليعلمه، وسنرى مما يخلقه الله ويعلمه من بعدنا ولا نعلمه نحن"[٧٤١].

وفي التفسير الوسيط: "(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ): وكما خلق لكم الأنعام والدواب يهديكم إلى اختراع وسائل أُخرى للتنقل والحمل لم تكن موجودة في عصر نزول القرآن وما تلاه إلى زمن قريب، مثل السيارات والقطارات والطائرات والسفن الضخمة التي تسير بالبخار وغيره إلى غير ذلك من الوسائل التي لم تعرف حتى الآن، وفي هذا الإعجاز القرآني ما لا يخفى على الباحثين الدارسين، ولا تزال الكشوف متوالية إلى ما شاءَ الله بما لم يكن يخطر على بال"[٧٤٢].

---

[٧٣٧] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٦ ٣٥٢).

[٧٣٨] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٨ ٣٥٤).

[٧٣٩] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١ ٢٧٧).

[٧٤٠] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٩ ١٧٦).

[٧٤١] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (٨ ٤١٣٥).

[٧٤٢] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٥ ٥٩٤).

وقال سيد قطب: "(وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ): يعقب بها على خلق الأنعام للأكل والحمل والجمال، وخلق الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة؛ ليظل المجال مفتوحاً في التصور البشري لتقبل أنماط جديدة من أدوات الحمل والنقل والركوب والزينة، فلا يغلق تصورهم خارج حدود البيئة وخارج حدود الزمان الذي يظلهم،فوراء الموجود في كل مكان وزمان صور أخرى، يريد الله للناس أن يتوقعوها فيتسع تصورهم وإدراكهم، ويريد لهم أن يأنسوا بها حين توجد أو حين تكشف فلا يعادوها ولا يجمدوا دون استخدامها والانتفاع بها، ولا يقولوا: إنما استخدم آباؤنا الأنعام والخيل والبغال والحمير فلا نستخدم سواها؛ وإنما نص القرآن على هذه الأصناف فلا نستخدم ما عداها!..، ولقد جدت وسائل للحمل والنقل والركوب والزينة لم يكن يعلمها أهل ذلك الزمان، وستجد وسائل أخرى لا يعلمها أهل هذا الزمان..، وفي معرض النقل والحمل والركوب والسير لبلوغ غايات محسوسة في عالم الأرض، يدخل السياق غايات معنوية وسيرا معنوياً وطرقا معنوية. فثمة الطريق إلى الله. وهو طريق قاصد مستقيم لا يلتوي ولا يتجاوز الغاية. وثمة طرق أخرى لا توصل ولا تهدي، فأما الطريق إلى الله فقد كتب على نفسه كشفها وبيانها بآياته في الكون وبرسله إلى الناس: (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْها جائِرٌ)؛ والسبيل القاصد هو الطريق المستقيم الذي لا يلتوي كأنه يقصد قصدا إلى غايته فلا يحيد عنها، والسبيل الجائر هو السبيل المنحرف المجاوز للغاية لا يوصل إليها؛ أو لا يقف عندها، (وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ)، ولكنه شاء أن يخلق الإنسان مستعداً للهدى والضلال، وأن يدع لإرادته اختيار طريق الهدى أو طريق الضلال، فكان منهم من يسلك السبيل القاصد ومنهم من يسلك السبيل الجائر، وكلاهما لا يخرج على مشيئة الله؛ التي قضت بأن تدع للإنسان حرية الاختيار"[٧٤٣].

وقال السعدي: "(وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ)؛ مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنه لم يذكرها بأعيانها، لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه ولم يفهموا المراد منه، فيذكر أصلا جامعا يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون، كما ذكر نعيم الجنة وسمى منه ما نعلم ونشاهد نظيره، كالنخل والأعناب والرمان، وأجمل ما لا نعرف له نظيرا في قوله: (فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ)، فكذلك هنا ذكر ما نعرفه من المراكب كالخيل والبغال والحمير والإبل والسفن، وأجمل الباقي في قوله: (وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ)، ولما ذكر تعالى الطريق الحسي، وأن الله قد جعل للعباد ما يقطعونه به من الإبل وغيرها ذكر الطريق المعنوي الموصل إليه فقال: (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ)؛ أي الصراط المستقيم، الذي هو أقرب الطرق وأخصرها موصل إلى الله، وأما الطريق الجائر في عقائده وأعماله وهو كل ما خالف الصراط المستقيم فهو قاطع عن الله"[٧٤٤].

وقال الشنقيطي: "(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ): ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ يَخْلُقُ مَا لَا يَعْلَمُ الْمُخَاطَبُونَ وَقْتَ نُزُولِهَا وَأَبْهَمَ ذَلِكَ الَّذِي يَخْلُقُهُ..؛ وَلَكِنْ قَرِينَةُ ذِكْرِ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ الِامْتِنَانِ بِالْمَرْكُوبَاتِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ مِنَ الْمَرْكُوبَاتِ، وَقَدْ شُوهِدَ ذَلِكَ فِي إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَرْكُوبَاتٍ لَمْ تَكُنْ مَعْلُومَةً وَقْتَ نُزُولِ الْآيَةِ؛ كَالطَّائِرَاتِ وَالْقِطَارَاتِ وَالسَّيَّارَاتِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ إِشَارَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»، وَمَحَلُّ الشَّاهِدِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا»؛ فَإِنَّهُ قَسَمٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَتُتْرَكُ الْإِبِلُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَهَذَا مُشَاهَدٌ الْآنَ لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْ رُكُوبِهَا..، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُعْجِزَةٌ عُظْمَى تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَإِنْ كَانَتْ مُعْجِزَاتُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ"، وَمَقْصُودُنَا مِنَ الِاسْتِدْلَالِ.. أَنَّ ذِكْرَ: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)؛ فِي مَعْرِضِ الِامْتِنَانِ بِالْمَرْكُوبَاتِ.. (و) قَدْ ظَهَرَتْ صِحَّةُ ذَلِكَ بِالْعِيَانِ"[٧٤٥].

---

[٧٤٣] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي؛ في ظلال القرآن، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السابعة عشر؛ ١٤١٢هـ (٤\ ٢١٦١).

[٧٤٤] عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (ص٤٣٦).

[٧٤٥] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (١٢ ٣٣٤).

وقبل أن يتجلى النبأ واقعًا مُعَايَنًا ويستقر المضمون؛ حارت عقول الجهابذة وظلت الكيفية مجهولة وإن كانت الألفاظ معلومة حتى تحقق النبأ، قال الشوكاني: "(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ): أَيْ يَخْلُقُ مَا لَا يُحِيطُ عِلْمُكُمْ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ غَيْرَ مَا قَدْ عَدَّدَهُ..، وَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَشَرَاتِ وَالْهَوَامِّ فِي أَسَافِلِ الْأَرْضِ وَفِي الْبَحْرِ مِمَّا لَمْ يَرَهُ الْبَشَرُ وَلَمْ يَسْمَعُوا بِهِ، وَقِيلَ: هُوَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي الْجَنَّةِ وَفِي النَّارِ مِمَّا لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ بِهِ أُذُنٌ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَقِيلَ: هُوَ خَلْقُ السُّوسِ فِي النَّبَاتِ وَالدُّودِ فِي الْفَوَاكِهِ، وَقِيلَ: عَيْنٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَقِيلَ: نَهْرٌ مِنَ النُّورِ وَقِيلَ: أَرْضٌ بَيْضَاءُ، وَلَا وَجْهَ لِلِاقْتِصَارِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْلُقُ مَا لَا يَعْلَمُ بِهِ الْعِبَادُ، فَيَشْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ لَا يُحِيطُ عِلْمُهُمْ بِهِ، وَالتَّعْبِيرُ هُنَا بِلَفْظِ الْمُسْتَقْبَلِ لِاسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ مَا لَا يَعْلَمُ بِهِ الْعِبَادُ"[٧٤٦].

[٧٤٦] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٣\ ١٧٩).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Zoology

علم الحيوان

المَوْضُوع Subject

Means of Transport

Development

تطور وسائل النقل

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ. وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ. وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ. لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ٨٤الإنشقاق:١٦-١٩.**
- **﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ. وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٣الزخرف:٣٣-٣٥.**
- **﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ ٤النساء:٧٨.**
- **﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٠يونس:٢٤.**

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٨و٤٩،

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، ﴿يَتَفَيَّأُ﴾، ﴿ظِلَالُهُ﴾، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾، ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة تَرْجَمَة)

Do they not ponder on anything that Allah has created; turn round its shadows from right direction and left directions, prostrating to Allah and they are bowing in humility (16/ 48).

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

كل إنسان ظله يلازمه وهو دوما مطروح على الأرض لا ينهض كأنه ساجد خاضع مختار لقدر الله تعالى في إيجاده كذلك.

في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾؛ الفيء: الرجوع، يُقَال (فاء) الرجل عن غضبه أي رجع عنه، و(فاء) الظل رجع إلى الجهة المقابلة عندما تتحرك الشمس ظاهريا من الشرق نحو الغرب بعد فترة الزوال عقب منتصف النهار؛ بينما اتجاه الظل أول النهار بالعكس نحو الغرب.

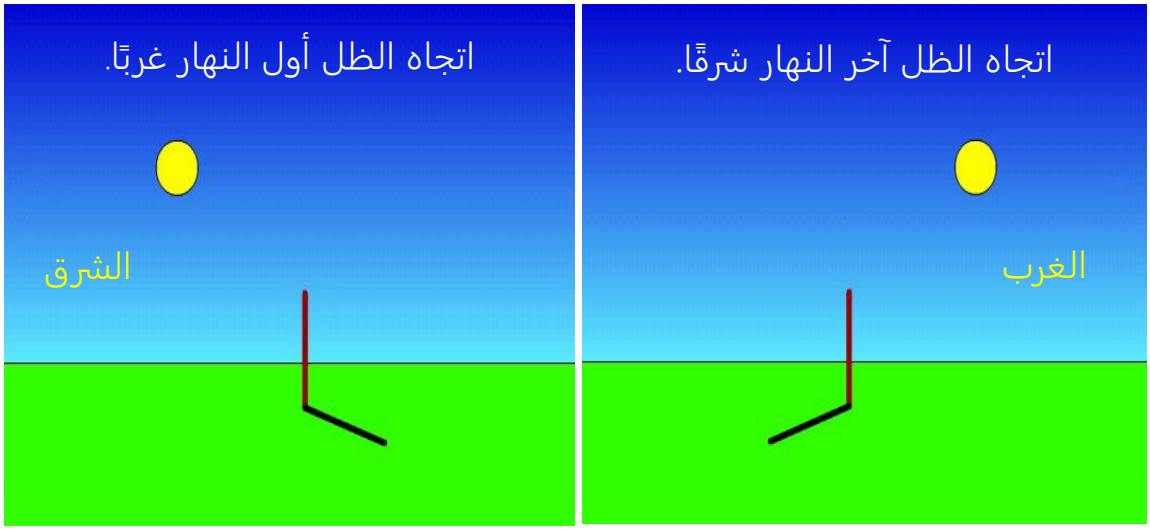

يتجه الظل عكس اتجاه الشمس من الغرب إلى الشرق؛ ولكنه انعكاس لحركة كوكب الأرض حول محوره من الشرق أي اليمين نحو الغرب.

وبعد الزوال يرجع الظل للجهة الأخرى فيتجه نحو الشرق، لذا كان العرب يسمون الفترة بعد الزوال بالفيء، وهو يحدث مرة واحدة بعد منتصف كل نهار؛ فَيُقَال (فَاءَ) الظل بالماضي، ولكن الفعل ﴿يَتَفَيَّأُ﴾ يدل بأصل صيغة المضارع على التجدد والاستمرار؛ نهار عقب آخر في البقعة الواحدة على سطح الأرض، والتعبير ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني كل ما خلقه الله تعالى من جنس الشيء الذي (تتفيأ) ظلاله فيشمل كل شيء، وضمير ﴿ظِلَالُهُ﴾ عائد على جنس الشيء.

وفاعل ﴿يَتَفَيَّأُ﴾ عائد على مفرد هو ظل فيء جنس الشيء في نهار بقعة واحدة على سطح الأرض، فصيغة الجمع ﴿ظِلَالُهُ﴾ إذن هي لظل فيء نهار يتبعه آخر؛ فتعني تتابع وقوع الفيء في بقعة تتبعها أخرى على طول السطح الكروي للأرض نتيجة استدارته، والفعل المزيد بتضعيف العين (يَتَفَعَّل) في التعبير ﴿يَتَفَيَّأُ﴾ إذن ينسجم بدلالته على المطاوعة للتوجيه (مثل عَلَّمْتُه فَتَعَلَّمَ وجَمَّعْتُه فتَجَمَّعَ)؛ مع استمرار حركة ظل الفيء باستمرار على طول السطح المستدير للكرة الأرضية بلا توقف لحظة واحدة، فيتحقق الاستسلام التام في سياق بيان خضوع أي شيء لتقديره تعالى؛ خاصة مع التمثيل بظاهرة الظل المطروح أرضًا على الدوام كأنه عاقل ساجد خاضع باختياره لتوجيه رشيد تعريضًا بالإنسان الغافل.

تتحرك الكرة الأرضية حول نفسها فيتغير موضع الوجه المقابل للشمس باستمرار، ويتحول الموضع يمين أول النهار (وقت الغدو) إلى شماله (يساره) آخر النهار (الأصيل)، وبتتابع مواضع الشمال تتعدد جهات الشمائل وأوقات الآصال.

والوصف في الآية الكريمة يتعلق بوقت مشاهدة تراجع اتجاه ظل الفيء للجهة المقابلة بعد الزوال بمنطقة معينة، ووقت الفيء لا يكون إلا في النهار، أي في النصف الكروي لكوكب لأرض المواجه للشمس؛ وحينئذٍ تُصبح جهة اليمين بالنسبة للنصف الكروي للأرض حيث يحدث رجوع الفيء هي: أول النهار؛ والشمال (اليسار): آخره، ويكون دوران ظل وقت الفيء بدايته ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾؛ أي أنه من اليمين متجه نهارًا نحو اليسار عكس عقارب الساعة Anticlockwise؛ وهو نفس اتجاه دوران كوكب الأرض حول محوره أمام الشمس واتجاه حركته حولها، وهو أيضا نفس اتجاه دوران كل الكواكب حول محاورها، وكذلك اتجاه دوران الطائف حول الكعبة، فظل وقت الفيء ينتقل إذن بانتقال الأرض عكس عقارب الساعة؛ أي أن دوران ظل الفيء ليس ذاتيا؛ وإنما يتحرك الظل بالحركة الفلكية لكوكب الأرض.

والشمائل جمع للجهة لتصبح جهات باستدارة الظل، ولأنه مُطابق لسطح الأرض؛ فمضمون التعبير استدارتها، والظل ليس واحدًا لجنس الشيء وإنما جمع: ﴿ظِلَالُهُ﴾؛ تناسبًا مع تغير الاتجاه، فوقت منتصف الليل عندنا؛ زوال يعقبه فيء في الجانب المقابل للكوكب، والتعبير بالمصدر ﴿الْيَمِينِ﴾ عن مبتدأ الحركة المُشاهدة؛ قاطع في تعيين الجهة الفعلية للحركة من المشرق إلى المغرب بعكس حركة الظل؛ فيجعل المُشاهدة لحركة الظل ظاهرية والحركة الفعلية هي للكوكب.

وهكذا في سياق بيان خضوع كل شيء لتقديره تعالى؛ التلميح لحركة الأرض تعبيرًا باللازم يجعل دلالة المطاوعة لصيغة (يَتَفَعَّل) في ﴿يَتَفَيَّأُ﴾ مظهرًا لمطاوعة الأرض لتقديره تعالى، ويتفق مع التفسير العلمي لعدة ظواهر فلكية كالقول بحدوث الكسوف عندما تحجب الأرض ضوء الشمس عن القمر، وحدوث الخسوف عندما يحجب القمر ضوء الشمس، وأن تغير أوجه القمر نتيجة انعكاس جزئي لضوء الشمس، ويجعل ظاهرة الليل المُقَابلة لجهة النهار ظلاً لكرة الأرض.

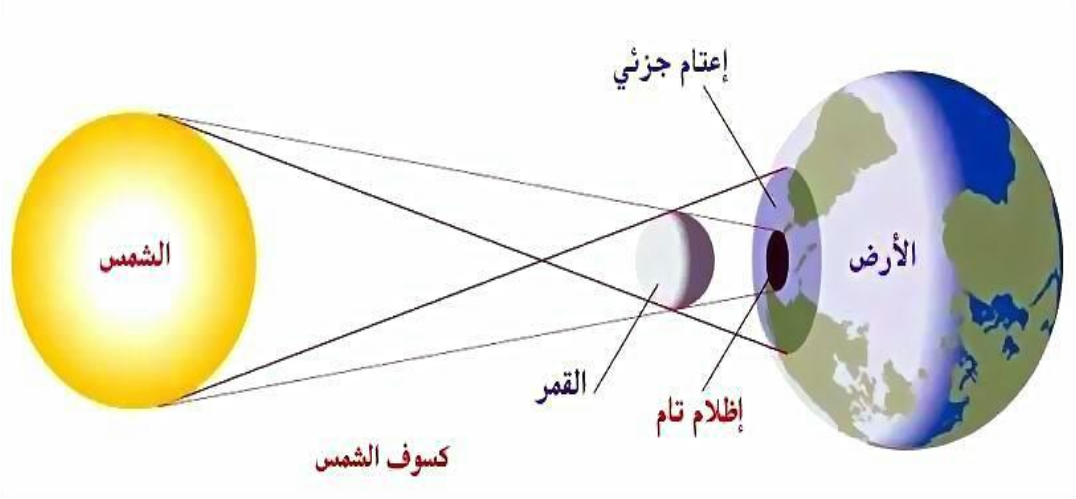

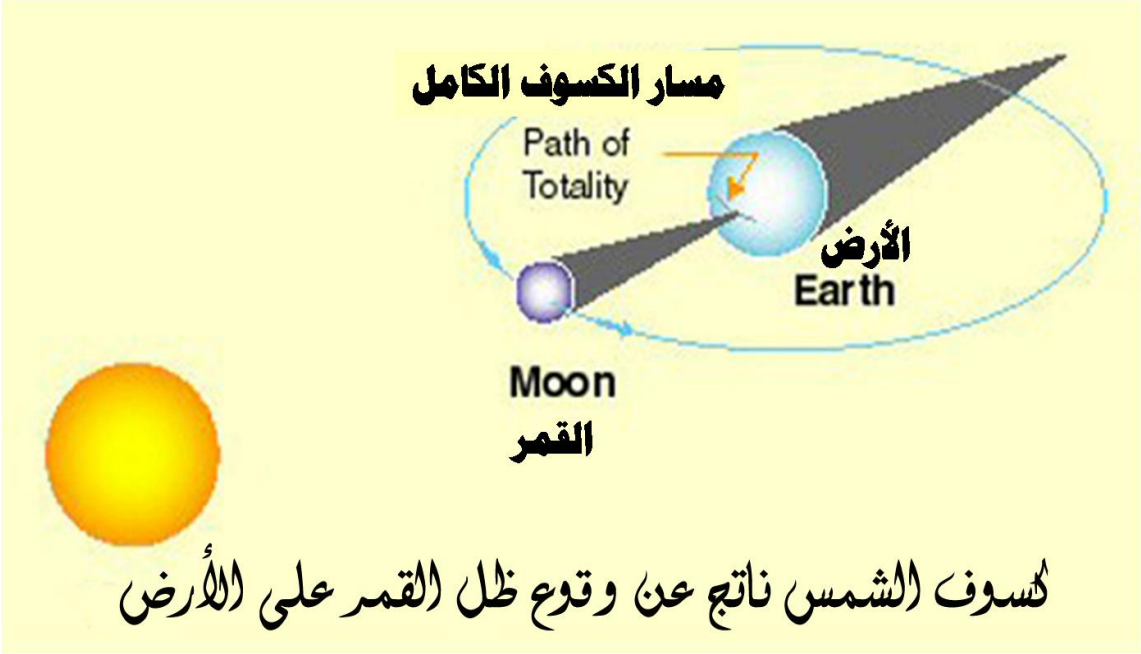

كسوف الشمس ناتج عن وقوع ظل القمر على الأرض

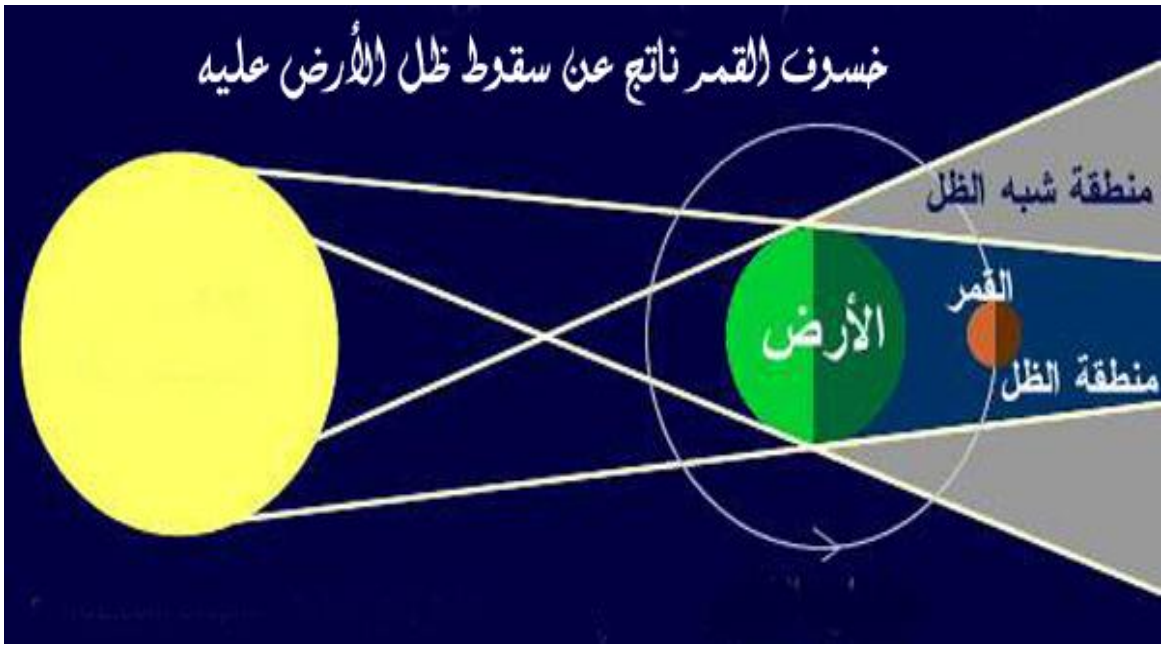

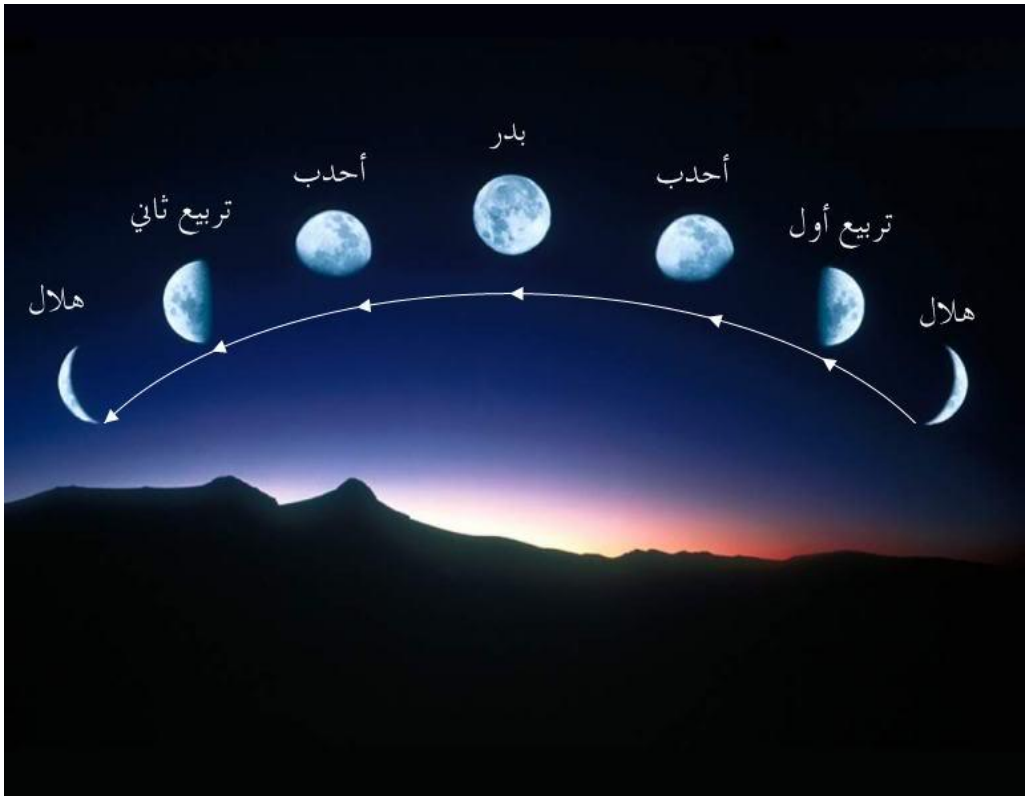

قال الرازي: "اللَّيْلُ عِبَارَةٌ عَنْ ظِلِّ الْأَرْضِ؛ وَالشَّمْسُ لَمَّا كَانَتْ سَبَبًا لِزَوَالِ ظِلِّ الْأَرْضِ كَانَتْ شَبِيهَةً بِالسِّرَاجِ"[٧٤٧]، و"ثَبَتَ أَنَّ طُولَ الْأَرْضِ مُحَدَّبٌ.. فَثَبَتَ أَنَّهَا كُرَةٌ..، (و) ظِلُّ الْأَرْضِ مُسْتَدِيرٌ فَوَجَبَ كَوْنُ الْأَرْضِ مُسْتَدِيرَةً..، (و) انْخِسَافَ الْقَمَرِ نَفْسُ ظِلِّ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِانْخِسَافِهِ إلَّا زَوَالُ النُّورِ عَنْ جَوْهَرِهِ عِنْدَ تَوَسُّطِ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ..، وَانْخِسَافُ الْقَمَرِ مُسْتَدِيرٌ..، وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ مُسْتَدِيرَةً..؛ ثم إن هذا الْكَلَامَ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِجَانِبٍ وَاحِدٍ مِنْ جَوَانِبِ الأرض لأن.. شكل الخسوف أبدا على الاستدارة، فإذن الْأَرْضَ مُسْتَدِيرَةُ الشَّكْلِ مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ"[٧٤٨].

وقال الماوردي: "قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٤٥؛ أي بسطه على الأرض..، (و) الظل الليل لأنه ظل الأرض؛ يقبل بغروب الشمس ويدبر بطلوعها"[٧٤٩]، وقال بيان الحق: "﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾: أي الليل؛ لأنه ظل الأرض الممدود.. من نصف وجهها الممتد.. إلى مدار القمر"[٧٥٠]، وقال محيي الدين درويش: "الليل ظل الأرض؛ وهو يدور على محيط كرة الأرض على حسب دوران الأرض، وكذلك النهار يدور أيضا لأنه يخلف الليل في المحيط"[٧٥١]؛ أي يخلف محيط الأرض جهة الليل نتيجة دورانها حول نفسها.

وقال سيد قطب: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ ٣٩الزمر:٥، وهو تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسرا على الالتفات إلى ما كُشف حديثا عن كروية الأرض..؛ فهو يُصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الأرض، فالأرض الكروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس، فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهارا، ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور؛ وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار، وهذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكورًا؛ والليل يتبعه مكورًا كذلك، وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل، وهكذا في حركة دائبة: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾؛ واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع ويعين نوع طبيعة الأرض وحركتها، وكروية الأرض ودورانها يفسران هذا التعبير تفسيرًا أدق من أي تفسير آخر"[٧٥٢].

---

[٧٤٧] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٣٠\ ٦٥٤).

[٧٤٨] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٦٤).

[٧٤٩] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٤\ ١٤٧).

[٧٥٠] بيان الحق محمود النيسابوري؛ باهر البرهان فى معاني مشكلات القرآن، سعاد بنت صالح بابقي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة؛ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (١٢\ ١٠٢٤).

[٧٥١] محيي الدين درويش؛ إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص سورية، الطبعة الرابعة؛ ١٤١٥ هـ (١٦\ ٣٠٦).

[٧٥٢] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي؛ في ظلال القرآن، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السابعة عشر؛ ١٤١٢هـ (٥\ ٣٠٣٨).

وقال الشعراوي: "القمر أصغر من الأرض، وعندما تأتي الأرض بين الشمس والقمر.. فإن الأرض تحجب جزءاً من القمر..، ويصبح هذا الجزء من القمر مظلما..؛ الأرض عندما توجد بينه وبين الشمس فهي التي تحجب عنه ضوء الشمس، ويكبر حجم نوره كلما تزحزحت الأرض بعيداً عنه، وعندما تنزاح الأرض بعيداً عنه كليةً يظهر في السماء بدراً كاملاً؛ ثم تعود الأرض بعد ذلك لتحجب عنه جزءاً من الشمس، ويزداد ذلك يوماً بعد يوم، فينقص ضوء الشمس المنعكس عليه تبعاً لذلك؛ فيقل تدريجياً حتى تأتي الأرض بينه وبين الشمس فلا يظهر منه شيء..، (و) عندما لا نرى القمر لا في الليل ولا في النهار؛ برغم أنه موجود في مكانه، نقول: إنه مستور في ظل الأرض؛ لذلك لا نراه، وهذه الظاهرة.. (عندما) تحدث للشمس.. فإن الأثر.. يسمى بالكسوف، وعندما التفت العرب للكون قالوا: ما بال الهلال يصبح هكذا ثم يكبر حتى يصير بدراً، فقال الحق عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ٢البقرة:١٨٩،، إنهم.. يسألون عن الأهلة ودورتها، فقطع الله عليهم خيط تفكيرهم وأعطاهم الخلاصة..، إن هذا الأمر هو الذي يستطيع العقل في ذلك الزمان أن يعرفه، أما ما وراء ذلك فانتظروا حتى يكشف الزمن عنه..، لقد كانت كل إجابة لأي سؤال في ذلك الزمان تحتوي على ما يتسع العقل لإدراكه..، أما بقية الإجابة فالحق يتركها للزمن؛ ولا يعطينا إلا ما يفيد..، مثال ذلك..: الأرض كرة؛ وأثبت لنا العلم أنها كذلك، ورأيناها بالأقمار الصناعية وانتهت القضية"[٧٥٣].

وقال ابن عاشور: "وَاللَّيْلُ اسْمٌ لِعَرْضِ الظُّلْمَةِ وَالسَّوَادِ الَّذِي يَعُمُّ مِقْدَارَ نِصْفٍ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ؛ الَّذِي يَكُونُ غَيْرَ مُقَابِلٍ لِلشَّمْسِ، فَإِذَا حُجِبَ قُرْصُ الشَّمْسِ عَنْ مِقْدَارِ نِصْفِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ.. فَأَخَذَ النُّورُ فِي الضَّعْفِ وَعَادَتْ إِلَيْهِ الظُّلْمَةُ الْأَصْلِيَّةُ الَّتِي مَا أَزَالَهَا إِلَّا شُعَاعُ الشَّمْسِ، وَيَكُونُ تَقَلُّصُ النُّورِ مُدَرَّجًا مَنْ وَقْتِ مَغِيبِ قُرْصِ الشَّمْسِ..، إِلَى أَنْ يَحْلُكَ السَّوَادُ فِي وَقْتِ الْعِشَاءِ حِينَ بَعُدَ قُرْصُ الشَّمْسِ عَنِ الْأُفُقِ الَّذِي ابْتَدَأَ مِنْهُ الْمَغِيبُ، وَكُلَّمَا اقْتَرَبَ قُرْصُ الشَّمْسِ مِنَ الْأُفُقِ الْآخَرِ أَكْسَبَهُ ضِيَاءً مِنْ شُعَاعِهَا ابْتِدَاءً مِنْ وَقْتِ الْفَجْرِ إِلَى.. الشُّرُوقِ إِلَى الضُّحَى، حَيْثُ يَتِمُّ نُورُ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الْمُتَّجِهَةِ إِلَى نِصْفِ الْكُرَةِ تَدْرِيجًا، وَذَلِكَ الضِّيَاءُ هُوَ الْمُسَمَّى بِالنَّهَارِ؛ وَهُوَ النُّورُ التَّامُّ الْمُنْتَظِمُ عَلَى سَطْحِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ"[٧٥٤].

والتلميح بِتَلَطُّف إلى حركة كوكب الأرض أمام الشمس حول محوره بلازمها وهو حركة الظل في الاتجاه المعاكس؛ رافقته قرائن، فصيغة (يَتَفَعَّل) في ﴿يَتَفَيَّأُ﴾ تفيد استمرار رجوع اتجاه الظل عند الزوال نحو المشرق على طول السطح المستدير للأرض، فالفيء مستمر في كل لحظة ويتكرر دوريا، وصيغة (يَتَفَعَّل) تعني المطاوعة؛ وهي هنا تعني مطاوعة الظل لقدره في الحركة الظاهرية، وناسبه التعبير عن جهة الغرب بالجمع ﴿الشَّمَائِلِ﴾ تأكيدًا للاستمرار؛ ولا معنى لذلك إلا بالاستدارة وتغير جهة اليسار باستمرار بلا انقطاع لتصبح (شمائل)؛ حتى يقع الشروق على البقعة الأولى من جديد.

ولم يَرِد في القرآن الكريم جمع ﴿الشَّمَائِلِ﴾ إلا في موضع بيان دوران النهار على السطح المستدير للكرة الأرضية، وظاهرة النهار تمثل وجه الأرض المواجه للشمس أثناء دورانها؛ وحينئذٍ يكون يمين وجه الأرض أول النهار الذي تصدر عنه الحركة، واليمين جهة ثابتة بالنسبة لمراقب واحد بمنطقة بعينها؛ فناسبها التعبير بالمصدر: ﴿الْيَمِينِ﴾، أما التعبير عن جهة الشمال بالجمع فيتفق مع تغير الجهة دوريًا بسب استدارة سطح الأرض ليصبح الشمال: ﴿شَمَائِلِ﴾، وباستمرار حركة الظل؛ يحدث الفيء من جديد بعد دورة كاملة في الموقع الأول نتيجة كروية الأرض وحركتها، وهو نفس النمط وموافقة الواقع بإفراد وقت الغدو وجمع أوقات الأصيل بيانا لتعددها وتعدد المراقبين على طول السطح المستدير للأرض في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ فكليهما إذن وصف جامع شامل لظلال كل المناطق وجميع المراقبين على سطح الأرض، ويفيد أن حركتها ليست ذاتية؛ وإنما تتحرك بتحرك كوكب الأرض حول محوره أمام الشمس، ويعجز اللسان عن بيان إحكام النظم والإنباء بالغيب!.

[٧٥٣] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٢\ ٨٠٩).
[٧٥٤] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢\ ٧٩).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٨؛ فيه أربعة أوجه: أحدها: يرجع ظلالُه لأن الفيء الرجوع؛ ولذلك كان اسماً للظل بعد الزوال لرجوعه، الثاني: معناه تميل ظلاله؛ قاله ابن عباس، الثالث: تدور ظلاله؛ قاله ابن قتيبة، الرابع: تتحول ظلاله؛ قاله مقاتل، {عن اليمين والشمائل}.. اليمين أول النهار؛ والشمال آخر النهار؛ قاله قتادة والضحاك"[٧٥٥]، وفي المعجم الوسيط: "فَاء.. رَجَعَ، يُقَال: فَاء عَن غَضَبه؛ وَفَاء إِلَى حلمه، والظل: رَجَعَ من جَانب الْمغرب إِلَى جَانب الْمشرق..؛ وَلَا يكون إِلَّا بعد الزَّوَال"[٧٥٦]، وفي تهذيب اللغة: "تَفَيُّؤ الظلال: رُجوعها بعد انتصاف النّهار"[٧٥٧].

وقال الشوكاني: "ذِكْرَ مَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ فِي تَدْبِيرِ أَحْوَالِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ..، وَالِاسْتِفْهَامُ فِي (أَوَلَمْ يَرَوْا) لِلْإِنْكَارِ، وَ(ما) مبهمة مفسرة بقوله: (مِنْ شَيْءٍ)، قرأ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ وَيَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ وَالْأَعْمَشُ (تَرَوْا).. عَلَى أَنَّهُ خِطَابٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ..، (يتفيأ ظلاله) أَيْ: يَمِيلُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ، وَيَكُونُ أَوَّلَ النَّهَارِ عَلَى حَالٍ وَيَتَقَلَّصُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي آخِرِ النَّهَارِ عَلَى حَالَةٍ أُخْرَى، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: تَفَيُّؤُ الظِّلَالِ: رُجُوعُهَا بَعْدَ انْتِصَافِ النَّهَارِ؛ فَالتَّفَيُّؤُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْعَشِيِّ (آخر النهار)..، وَمَعْنَى (مِنْ شَيْءٍ) مِنْ شَيْءٍ لَهُ ظِلٌّ، وَهِيَ الْأَجْسَامُ..، و(ظلاله): جَمْعُ ظِلٍّ، وَهُوَ مُضَافٌ إِلَى مُفْرَدٍ..، (عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمائِلِ) أَيْ: عَنْ جِهَةِ أَيْمَانِهَا وَشَمَائِلِهَا، أَيْ: عَنْ جَانِبَيْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، قَالَ الْفَرَّاءُ: وَحَّدَ الْيَمِينَ لِأَنَّهُ أَرَادَ وَاحِدًا مِنْ ذَوَاتِ الْأَظْلَالِ، وَجَمَعَ الشَّمَائِلَ لِأَنَّهُ أَرَادَ كُلَّهَا..، وقيل: المراد باليمين: النُّقْطَةُ الَّتِي هِيَ مَشْرِقُ الشَّمْسِ؛ وَأَنَّهَا وَاحِدَةٌ، والشمائل: عِبَارَةٌ عَنِ الِانْحِرَافِ فِي فَلَكِ (مدار) الْإِظْلَالِ بَعْدَ وُقُوعِهَا عَلَى الْأَرْضِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنِ الْمَشْرِقِ بِالْيَمِينِ لِأَنَّ أَقْوَى جَانِبَيِ الْإِنْسَانِ يَمِينُهُ، وَمِنْهُ تَظْهَرُ الْحَرَكَةُ الْقَوِيَّةُ، (سُجَّداً لِلَّهِ).. أَيْ: حَالَ كَوْنِ الظِّلَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مَجْبُولَةٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَقَالَ أَيْضًا: سُجُودُ الْجِسْمِ انْقِيَادُهُ..؛ (وَهُمْ داخِرُونَ).. أَيْ: خَاضِعُونَ صَاغِرُونَ، وَالدُّخُورُ: الصَّغَارُ وَالذُّلُّ"[٧٥٨].

وقال عبد الكريم الخطيب: "تفيأ الظلّ: تنقل من جهة إلى أخرى..، وفى الآية الكريمة وعيد للمشركين، واتهام لعقولهم الضالّة المظلمة، التي أخرجتهم عن نظام الوجود كلّه فكانوا نغما نشازا لا يتناغم مع لحن الموجودات المسبّحة بحمد الله ربّ العالمين..، وقد أراهم الله سبحانه فى هذه الآية الكريمة صورة محسوسة لهذا الوجود وقد سجد فيه كل موجود ولاء لله وخشوعا لجلاله وعظمته..، فما خلق الله من شيء يرونه.. إلّا كان له ظل يتبعه ساجدا على الأرض سجود العابدين الخاشعين..؛ فى ذلة وانكسار لله الواحد القهار..، وفى قوله تعالى: (ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) إشارة إلى تلك الأشياء المحسوسة..، ولهذا كان لها ظلّ لما فيها من كثافة..، وفى قوله تعالى: (يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ) خروج على مألوف النظم؛ وهو إما أن يجيء هكذا: (يتفيّأ ظلّه) أو هكذا: (تتفيأ ظلاله)؛ بمعنى أنه إذا أفرد الفاعل جاء الفعل مذكرا وإذا جمع الفاعل جاء الفعل مؤنثا..، ولكنه في النظم القرآني جمع بين الأمرين.. فجاء بالفعل مذكرا وبالفاعل جمعا..، وهذا إعجاز من إعجاز القرآن الكريم؛ إذ دلّ بهذا على أن الفاعل وهو الظل.. مفرد في أصله..، ولكنه في.. حركاته.. يكون ظلالا لا ظلا واحدا..؛ فهو جمع في واحد وواحد في جمع، وهذا بيان لا يكون إلا في كلمات الله وفى كتابه المبين"[٧٥٩].

وقال أبو زهرة: "(من شيء): (مِن) بيانية أو لاستغراق النفي، والاستفهام هنا إنكاري..؛ والمعنى انظروا وفكروا إلى ما خلق من أشياء تتفيأ ظلاله، أي لها فيء ولهذا الفيء ظل..، (و) تتفيأ الظلال ذات اليمين وذات الشمال، وعبر عن الجانبين المقابلين باليمين والشمال، فقوله (عن اليمين والشمائل): عن الجانب اليمين من ناحية الشرق وعن الشمائل من جهة الغرب..، وعبر عن اليمين بالمفرد ويراد به الجمع؛ لأنه أفياء مختلفة تطول ابتداء وتقصر عند الظهيرة، ثم تكون الأفياء ناحية الغرب تبتدئ قصيرة من فيء الزوال ثم تكبر شيئا فشيئا حتى تستطيل

---

[٧٥٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٣\ ١٩١).

[٧٥٦] مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة (٢\ ٧٠٧).

[٧٥٧] أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي؛ تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ٢٠٠١م (١٥\ ٤١٤).

[٧٥٨] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٣\ ١٩٩).

[٧٥٩] عبد الكريم يونس الخطيب؛ التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي بالقاهرة (٧\ ٣٠٤).

طولا كثيرا، وفى التعبير عن اليمين بالمفرد إشارة إلى نهايته، وإلى أنه لَا يرى إلا قصيرا بينما الشمال لَا يرى إلا طويلا، ويزداد شيئا بعد شيء؛ ولذا عبر فيه بالجمع وهو شمائل، والاثنان جمع، فهو أفياء"[٧٦٠]، وقال القاسمي: "لابن الصائغ في سر توحيد اليمين وجمع الشمائل توجيه لطيف..، (قال) لأن ظل الغداة يضمحلّ بحيث لا يبقى منه إلا اليسير، فكأنه في جهة واحدة؛ وهو في العشيّ على العكس لاستيلائه على جميع الجهات..، وأما من جهة اللفظ فَجُمع ليطابق (سُجَّدًا)..؛ كما أفرد الأول لمجاورة ضمير (ظِلَالُهُ)، وقدّم الإفراد لأنه أصل أخف"[٧٦١].

وقال ابن عاشور: "تَفَيُّؤُ الظِّلَالِ تَنَقُّلُهَا (من المغرب نحو المشرق).. بَعْدَ زَوَالِهَا..، وَأُفْرِدَ الْيَمِينُ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ جِنْسُ الْجِهَةِ..؛ وَجَمْعُ الشَّمَائِلِ مُرَادًا بِهِ تَعَدُّدُ جِنْسِ جِهَةِ الشَّمَالِ بِتَعَدُّدِ أَصْحَابِهَا، كَمَا قَالَ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ. عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٧٠المعارج:٤٠و٤١..، وَأُفْرِدَ الضَّمِيرُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ (ظِلَالُ) مُرَاعَاةً لِلَفْظِ شَيْءٍ..، بَيَانُ ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٣الرعد:١٥، وَجُمْلَةُ وَهُمْ داخِرُونَ.. فِي مَعْنَى الْجَمْعِ لِرُجُوعِهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ؛ وَجُمِعَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ الْخَاصَّةِ بِالْعُقَلَاءِ..، وَالدَّاخِرُ: الْخَاضِعُ..، أَيْ دَاخِرُونَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى"[٧٦٢]، وقال الإيجي: "(يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ).. يميل ويدور، (عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ) جمع الشمال باعتبار كل ما خلق الله تعالى، (سُجَّدًا لله).. سجودها انقيادها لما قدر له من التفيؤ..، (وَهُمْ دَاخِرُونَ) صاغرون.. جمعه بالواو والنون للتغليب أو لأن الدخور والسجود من أوصاف العقلاء، واليمين يمين الفلك أي الجانب الشرقي (مدار الأجرام الفلكية حين بزوغها من جهة الشرق)، والشمال الجانب الغربي..؛ استعارة من يمين الإنسان وشماله، (وَلله يَسْجُدُ): ينقاد، (مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ) والدبيب هي الحركة الجسمانية؛ فجاز أن يكون بيانًا لما في السماوات أيضًا (من دواب)"[٧٦٣].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ}: تفيُّؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار؛ من فاء يفيء إذا رجع، {دَاخِرُونَ}: أذلاء منقادون؛ من الدُّخُور وهو الصغار والذل..، فكل ذي ظل منها {يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ}: أي ينتقل ويرجع من جانب لآخر بارتفاع الشمس وانحدارها؛ أو باختلاف مشارقها ومغاربها، فإن لها مشارق ومغارب حسب مداراتها اليومية التي تتحرك فيها كل يوم من أيام السنة وفق تقدير العزيز العليم، {عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ}: المراد بهما جانبا الشيء، استعارة عن يمين الإنسان وشماله، والمعنى أن ظلال الأشياء متفيئة عن جانبي كل واحد منها، ترجع من جانب إلى جانب، فتكون أول النهار على حال وآخره على حال أخرى؛ وذلك أنها تميل إلى جهة المغرب من وقت الشروق إلى الزوال، وتميل بعده إلى وقت الغروب راجعة إلى جهة الشرق، {سُجَّدًا لِلَّهِ}: أي حال كون هذه الظلال منقادة لإرادته تعالى في الامتداد والتقلص والرجوع من حال إلى حال خاضعة لأحكام تدبيره غير ممتنعة عليه سبحانه فيما سخرها له؛ وذلك هو المراد بسجودها، {وَهُمْ دَاخِرُونَ}: أي أن أصحاب هذه الظلال التي انقادت ظلالها لما قدر لها من التفيؤ أذلاءُ منقادون لحكمه تعالى..، وعبر بضمير العقلاء.. مع شمول الحكم لسواهم تغليبًا للعقلاء، {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ}: شروع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالإرادة بعد بيان سجود الظلال.. تأكيدًا لبيان قدرة الله جل شأنه..، وأنه سبحانه.. ينقاد له جميع ما في السماوات.. وما في الأرض.. وقوله (من دابة).. قيل بيان لما في السماوات وما في الأرض جميعًا؛ بناء على أن الدبيب هو الحركة الجسمانية..، وربما كان ذلك إشارة إلى وجود أجسام عاقلة على بعض الكواكب؛ وقد عزى هذا الرأي إلى ابن عباس وغيره"[٧٦٤]، يعني إلحاقا ببيان دوران الأرض؛ تدور ظلال كل من في السماوات من عاقل وجماد بدوران كواكبهم كذلك حول شموسهم.

---

[٧٦٠] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٨ ٤١٨٩).

[٧٦١] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٦ ٣٧٦).

[٧٦٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٤ ١٦٩).

[٧٦٣] محمد بن عبد الرحمن الإيجي؛ تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م (١٢ ٣٤٠).

[٧٦٤] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٥ ٦٢٦).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Earth Globe Rotation & Revolution

كروية الأرض وحركتها

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٨.
- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٣الرعد:١٥.
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا. ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٤٥-٤٧.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ١٢يوسف:١٠٥.
- ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٣٩الزمر:٥.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٣.
- ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ ٧الأعراف:٥٤.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٣١لقمان:٢٩.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٣٥فاطر:١٣.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾، ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And your Lord inspired the bee, saying: Take you habitations in the mountains and in the trees and in what they erect. Then, eat of all fruits, and follow the ways of your Lord made easy (for you)**. There comes forth from their bellies, a drink of varying color wherein is healing for men. Verily, in this is indeed a sign for people who think.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩؛ قد استوفى كل الأماكن التي اتخذها النحل تاريخيا ويتخذها حاليا، والتعبير بالمفرد المؤنث: (اتَّخِذِي) و(كُلِي) و(فَاسْلُكِي) و(بُطُونِهَا) يتفق علميا مع أن الذي يقوم بكافة الأشغال في خلية النحل هن الشغالات، والعدول إلى لفظ (كُلِي) بدلا عن السائد وهو شرب رحيق الأزهار يتفق مع اعتمادها على حبوب اللقاح؛ المصدر الوحيد للبروتين وجمعه في جيب خاص يوجد على القدم الخلفية، والتعبير (فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) يتفق مع الطرق الفريدة في اهتدائها إلى مسالكها خلال البحث عن غذائها وإحضاره للخلية، والتعبير (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ) يتفق مع ما تفرزه من بطونها بالفعل شرابًا؛ ويحتاج إلى تجفيفه ليتحول إلى عسل شبه غليظ.

وتضم الخلية التي يعيش فيها النحل ملكة واحدة، وبضع مئات من الذكور، وعشرات الألوف من الشغالات، وتطير النحلة الشغالة بحثا عن الغذاء، فإذا وجدته عينت مكانه وأخذت معها عينة للخلية، وتقوم بنقل المعلومات لبقية الفريق عن طريق حركات معينة تحدد بها بعد مصدر الغذاء واتجاهه، فيسعى النحل إليه مباشرة ويجمع ما يكفيه، ولكي تجمع النحل مائة جرام من العسل لابد لها من زيادة نحو مليون زهرة، ثم يقوم فريق آخر من الشغالات بالتهوية بأجنحتها وتتطاير الرطوبة ويتركز السائل فيصير عسلاً، وبعد ذلك يقوم فريق آخر من النحل بالتأكيد من أن العسل قد نضج فيغلق العيون السداسية بطبقة رقيقة من الشمع لتحتفظ به نظيفاً حتى تحتاج إليه في الشتاء عندما تخلو الحقول من الأزهار.

وفي أيام الصيف القائظ يمكن للمرء أن يرى طوابير الشغالات وقد وقفن بباب الخلية واتجهن جميعاً إلى ناحية واحدة ثم قمن بتحريك أجنحتهن بقوة، وهذه المجموعة يطلق عليها اسم "المروحة" لأن عملها يؤدي إلى إدخال تيارات قوية من الهواء البارد إلى الخلية، من ناحية أخرى توجد في داخل الخلية مجموعة أخرى من الشغالات منهمكة في طرد الهواء الساخن إلى خارج الخلية، أما في الأجواء الباردة فإن النحل يتجمع فوق الأقراص لكي ليحميه من البرد ويمنع تجمده، وتزداد حركة التمثيل الغذائي ببدنها فترتفع درجة الحرارة داخل الخلية بما يلزم لحماية العسل من الفساد، وتستطيع العشيرة الواحدة من النحل أن تجمع نحو ١٥٠ كيلوجراما من العسل في الموسم الواحد، والكيلوجرام الواحد من العسل يكلف النحلة ما بين ١٢٠ ألف إلى١٥٠ ألف نقلة، وتستطيع النحلة أن تطير بسرعة ٦٥ كيلومترا في الساعة، وهو ما يعادل سرعة القطار، وإذا بلغ الزاد الذي ثلاثة أرباع وزنها فإنها يمكن أن تطير بسرعة ٣٠ كيلومترا في الساعة، وقد ثبت أن اختلاف كل من تركيب التربة والمراعي التي يسلكها النحل يؤثر تأثيراً كبيراً في لون العسل، فالعسل الناتج من رحيق أزها القطن مثلاً يكون قاتماً، بخلاف عسل أزهار البرسيم الذي يكون فاتح اللون، وعسل شجر التفاح ذي اللون الأصفر الباهت، وعسل التوت الأسود ذي اللون الأبيض كالماء، وعسل أزهار النعناع العطري ذي اللون العنبري، وغير ذلك.

ويلخص القرآن الكريم تاريخ النحل في كلمات معدودات، فقد اتخذ النحل بوحي من الله تعالى بيوتاً من الجبال في بادئ الأمر ثم انحدر منها إلى الأشجار، ثم تطور إلى المعيشة في الخلايا التي يصنعها على نحو ما نعرفه اليوم، وتوجد أيضا فصائل برية من النحل تسكن الجبال وتتخذ من مغاراتها مأوى لها، ومنه سلالات تتخذ من الأشجار سكنا بأن تلجأ إلى الثقوب الموجودة في جذوع الأشجار وتتخذ منها بيوتاً تأوي إليها، ولما سخر الله النحل لمنفعة الإنسان أمكن استئناسه في حاويات من الطين أو الخشب، وتدل الدراسات العلمية المستفيضة لمملكة النحل أن إلهام الله تعالى لها يجعلها تطير بحثا عن الغذاء فتبتعد عن خليتها آلاف الأمتار ثم ترجع إليها ثانية دون أن تخطئها إلى خلية أخرى غيرها، علما بأن الخلايا في المناحل تكون متشابهة ومرصوصة بعضها إلى جوار بعض، وذلك لأن الله تعالى قد ذلل الطريق وسهلها لها ومنحها من قدرات التكيف الوظيفي والسلوكي ما يعينها في رحلات استكشاف الغذاء وجنيه ثم العودة.

وفي رحلة الاستكشاف لجمع الغذاء تستعين الشغالة بحواسها التي منحها الله إياها بحاسة شم قوية عن طريق قرني الاستشعار، وهي تمتاز على العين البشرية في إحساسها بالأشعة فوق البنفسجية لذلك فهي ترى ما لا تراه عيوننا ولا يمكننا الكشف عنه إلا بتصويره بالأشعة فوق البنفسجية، ثم إذا حطت على زهرة يانعة استطاعت أن تتذوق رحيقها وتحدد بفطرتها مقدار حلاوته، وفي رحلة العودة تهتدي النحلة إلى مسكنها بحاستي النظر والشم معا، أما حاسة الشم فتتعرف على الرائحة الخاصة المميزة للخلية، وأما حاسة الإبصار فتساعد على تذكر معالم رحلة الاستكشاف، إذ يلاحظ أن النحلة عندما تغادر البيت تستدير إليه وتقف أو تحلق أمامه فترة وكأنها تتفحصه وتتمعنه حتى ينطبع في ذاكرتها، ثم هي بعد ذلك تطير من حوله في دوائر تأخذ في الاتساع شيئاً فشيئاً، وعندما تعود إلى البيت تخبر عشيرتها بتفاصيل رحلتها، وتدل زميلاتها على مكان الغذاء فينطلقن تباعاً لجني الرحيق من الزهور والإكثار منه لادخاره ما يفيض عن الحاجة لوقت الشتاء ببرده القارص وغذائه الشحيح، ولعل اغرب ما اكتشفه العلم الحديث في عالم الحشرات هو أن للنحل لغة خاصة يتفاهم بها عن طريق الرقص شرحها عالم ألماني ضمن كتابه المسمى "حياة النحل الراقص" بعد دراسات استمرت نحوا من عام فنال جائزة نوبل عام ١٩٧٣، فقد تبين لهذا العالم أن للنحلة الشغالة في جسمها من الأجهزة ما يجعلها تستطيع قياس المسافات والأبعاد والزوايا بين قرص الشمس والخلية، ثم إنها تستخدم لغة سرية في التخاطب عن طريق رقصات خاصة معبرة تنبئ بها أخواتها عن وجود الرحيق الحلو وتحدد لهن موضعه تحديدا دقيقاً من حيث زاوية الاتجاه إليه وبعده عن بيتها، وفي قوله تعالى: (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)؛ الوحي: الإلهام والهداية، وبالفعل تجد أن سلوك النحل واختياره لمواقع سكنه واهتداؤه لأماكن الغذاء وصناعته للعسل يتم بناء على الهام وهداية من الله تبارك وتعالى، فنجد أن الشغالات تكون خادمة منظفة للمسكن في همة ونشاط، مربية تطعم الصغار وتسهر على راحتهم مهندسة بارعة في البناء والتصميم تفوق أمهر المهندسين وتتفوق على أجهزة العصر في دقة القياسات؛ حارسة أمينة تضحى بنفسها دون تردد أو فتور ضد أي عدو يهدد أمن مسكن العشيرة.

ومن البلاغة والإعجاز اللغوي والعلمي قول الحق تبارك وتعالى: (اتخذي، كلى، فاسلكي)؛ فهو يتفق تماما مع أن الذي يقوم بالعمل بالفعل هن الشغالات الإناث، أما الذكور فإن عملها يقتصر على التسابق لتلقيح الملكة فقط موسم التزاوج، ومهمة الملكة وضع البيض، أما الشغالة فهي أنثى عقيمة تنشأ من بيضة مخصبة، وهى غير قابلة للتلقيح ورأسها مثلثة الشكل تقريبا، وأجزاء فمها مهيأة لجمع الرحيق أما الأرجل الأمامية محورة التنظيف وأرجلها الخلفية معدة لجمع حبوب اللقاح، وهي مزودة بالغدد تحت البلعومية لإفراز الغذاء الملكي مع غدد إفراز الشمع وغدة الرائحة، ومعدة العسل كبيرة، وآلة اللسع مستقيمة ذات تسنين حاد وهذه التراكيب هيأت الشغالة للقيام بمعظم الأعمال المطلوبة، والشغالات الكشافة هي التي تخرج للبحث عن مصادر الغذاء ثم تعود وتخبر رفاقها بالمعلومات اللازمة عن هذا الغذاء، ويتضح البيان المعجز كذلك في التعبير: (يخرج من بطونها شراب)؛ فهو شراب ولم يتحول بعد إلى عسل، ويتم تحويله إلى عسل بخفض المحتويات المائية حتى لا تزيد نسبة الرطوبة فيه عن: ١٤- ١٨% بفعل التهوية الذي تقوم به الشغالات، ثم بتحويل السكر الثنائي (سكروز) إلى أحادى (جلوكوز- فركتوز) بفعل إنزيم الانفرتيز الذي تفرزه غددها اللعابية، وبعد نضج العسل والذي يستغرق حوالي (٢-٥ يوم من جمعه) تقوم الشغالات بختمه بغطاء شمعي دقيق للحفاظ عليه،

وتعجب أن يقول القرآن الكريم (كلي) بدلا عن (اشربي) باعتبار الشائع أنها تتغذى على رحيق الأزهار، ولكن القرآن الكريم بلفظ (كلي) قد أشار إلى المصدر الأهم؛ وهو اعتمادها على حبوب اللقاح التي تجمعها باعتبارها المصدر الوحيد للبروتين، وهي تحتوى على بروتينات ودهون وسكريات وأملاح معدنية وفيتامينات، وتستطيع شغالة نحل العسل جمع حبوب اللقاح في مخزن خاص موجود على الرجل الخلفية ويساعدها فى ذلك الشعيرات الكثيفة المتفرعة الموجودة على جسمها، ويلتصق بشعيرات جسم النحلة عدد كبير جدا من حبوب اللقاح، وهو يتراوح من٢٥٠ ألف وقد يبلغ ٦ مليون حبة لقاح، وقد ورد فى شأن المنافع الطبية لعسل النحل أحاديث نبوية منها قوله عليه الصلاة والسلام: (إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل، أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي)، ويساعد العسل في علاج جملة أمراض خاصة الحروق، وهو أنواع طبقا للأصباغ اللونية التي ترجع في الأساس إلى نوع زهرة التغذية، وصدق القائل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٦٨و٦٩.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩، قوله عز وجل: {وأوحى ربك إلى النحل} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن الوحي إليها هو إلهاماً، قاله ابن عباس ومجاهد؛ الثاني: يعني أنه سخرها؛ حكاه ابن قتيبة، الثالث: أنه جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله على غيرها؛ قاله الحسن، {أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشُون} فذكر بيوتها لما ألهمها وأودعه في غرائزها من صحة القسمة وحسن المنعة، {ومما يعرشون} فيه تأويلان؛ أحدهما: أنه الكرم؛ قاله ابن زيد، الثاني: ما يبنون؛ قاله أبو جعفر الطبري، {ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك} أي طرق ربك، {ذللاً} فيه أربعة أوجه؛ أحدها: مذللة؛ قاله أبو جعفر الطبري، الثاني: مطيعة؛ قاله قتادة، الثالث: أي لا يتوعر عليها مكان تسلكه؛ قاله مجاهد، الرابع: أن الذلل من صفات النحل وأنها تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها لأنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا؛ قاله ابن زيد، {يخرج من بطونها شرابٌ} يعني العسل، {مختلف ألوانُهُ} لاختلاف أغذيتها، {فيه شفاءٌ للناس} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن ذلك عائد إلى القرآن، وأن في القرآن شفاء للناس أي بياناً للناس؛ قاله مجاهد، الثاني: أن ذلك عائد إلى الاعتبار بها أن فيه هدى للناس؛ قاله الضحاك، الثالث: أن ذلك عائد إلى العسل، وأن في العسل شفاء للناس؛ قاله ابن مسعود وقتادة، روى قتادة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن أخاه اشتكى بطنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اذهب فاسق أخاك عسلاً)، ثم جاء فقال: ما زاده إلا شدة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اذهب فاسق أخاك عسلاً)، ثم جاء فقال له: ما زاده إلا شدة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اذهب فاسق أخاك عسلاً، صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فكأنه نشط من عِقال)"[٧٦٥].

[٧٦٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٣\ ١٩٨).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Biology

علم الأحياء

المَوْضُوع Subject

Bees

النحل

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩.**
- **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ٢٢الحج:٧٣.**
- **﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٧النمل:١٨.**
- **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤١.**
- **﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ١٠١القارعة:٤.**
- **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:١٣٣.**
- **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٥٤القمر:٦و٧.**
- **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ ٣٤سبأ:١٤.**

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
١١٧الإسراء:٣٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا. وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ ١١٧الإسراء:٣٢و٣٣.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Don't come near adultery, surely it is an indecency and grave fate.

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

Late case of Aids حالة إيدز متأخرة

كشف العلم حديثا خلال القرنين الماضيين فقط أن هناك مجموعات من الكائنات الدقيقة لا تنتقل للإنسان إلا عن طريق الممارسات الإباحية في غير إطار الزواج الشرعي؛ خاصة ما كان منها بين الرجال والرجال، وإذا اتسعت دائرة هذه العلاقات فإن المجتمع مهدد بأمراض وبائية غبر مسبوقة؛ لأن هذه الكائنات تغير خواصها باستمرار؛ مما يجعلها مستعصية على العلاج، ولا يستطيع الجسم مقاومتها لأنها تفتك بجهاز المناعة كما هو حاصل في مرض نقصان المناعة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٣٢؛ جاء النهي عن الزنا خاصة والفواحش عامة بصيغة (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا) ١٧الإسراء:٣٢، أي أن النهي يتعلق بعدم الاقتراب ومن باب أولى الاقتراف، ففي التعبير تشديد وبيان للعواقب الوخيمة من جملة نواحي أطلقها التعبير: (وَسَاءَ سَبِيلًا)، فامتدت لتشمل النواحي الصحية والوبائية بأمراض غير معهودة مسبقا تنتهي عادة بالموت كما بينها الحديث الشريف، ويكفي مرض نقصان المناعة الإيدز Aids؛ ليكون شاهدا للكتاب الكريم بحفظ الأتباع من مخاطر صحية جمة خفية.

Some effects of syphilis
بعض عواقب مرض الزهري

وجاء الحديث النبوي مفسرا وكاشفا عن سنه اجتماعيه يمكن ان تقع في اي مجتمع تتكون من مقدمة ونتائج: فالمقدمة شيوع العلاقات المحرمة كالزنا والعلاقات الشاذة والرضا بها والترويج لها؛ وهو ما اصطلح عليه بالإباحية الجنسية Porno، وهذه متضمنة في قوله ﷺ : (لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها)، والنتائج المترتبة على هذه الإباحية هي شيوع الأمراض الجنسية وانتشارها بصورة وبائية مدمرة، وظهورها بصور جديدة في الأجيال التالية، وهو ما تضمنه قول النبي ﷺ: (إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا)، هذا وقد تحققت هذه السنة الجارية في كثير من المجتمعات الغربية اليوم، فقد انتشرت فيهم العلاقات المحرمة والشاذة وارتضوها كسلوك اجتماعي عام بل وروجوا لها بكل طرق الإعلام المعاصرة المتاحة، يقول الدكتور شوفيلد في كتابه الأمراض الجنسية: "لقد انتشر تساهل المجتمع تجاه كافة الممارسات الجنسية، ولا يوجد أي إحساس بالخجل من الزنا والعلاقات المثلية. ، بل إن وسائل الإعلام جعلت من العار علي الفتي والفتاة أن يكون محصنا"، وهكذا صارت العفة في المجتمعات الغربية مما يندي له جبين المرء ، فوسائل الإعلام تدعو وتحث علي الإباحية باعتبارها من دواعي الحرية مهما كان الضرر، تقول دائرة المعارف البريطانية: "إن الشاذين قد خرجوا من دائرتهم السرية إلي الدائرة العلنية وقد أصبح لهم نواديهم الخاصة وحدائقهم وسواحلهم ومسابحهم".

لقد أصبح تمجيد البغاء فنا يدرس والعلاقات الشاذة حرية؛ بل قد أباحت كثير من الكنائس الغربية الزنا والمثلية فيتم عقد قران الرجل علي الرجل علي يد القسيس في بعض كنائس الدول الغربية، وتكونت آلاف الجمعيات والنوادي التي ترعي شئون الشاذين، وبهذا تحققت المقدمة لهذه السنة وتحققت النتائج، ولقد ظهرت عواقب الإباحية في صورة وبائية فأوقعت الكثير من الضحايا، فقد شهد العالم موجات كاسحة من انتشار وباء الزهري Syphilis علي فترات منذ أن ظهر لأول مرة عام ١٤٩٤ فقضي علي مئات الملايين من الأشخاص في القرون الخمسة الماضية وحطم حياة ملايين أخري، وما زالت جرثومة المرض تغير من خواصها وتهاجم الإنسان من حين لآخر، وتصدر مرض السيلان Gonorrhea قائمة الأمراض المعدية؛ فهو أكثر الأمراض الجنسية شيوعا في العالم، وأخيرا عام ١٩٨٣ ظهر مرض الإيدز Aids الذي يدمر فيروسه جهاز المناعة في الإنسان؛ ومن ثم يستطيع أي كائن دقيق أن يهاجمه، وإذا لم ينتهي به على الموت يذيقه من الآلام والأوجاع ما يجعله عبرة لمن يعتبر وآية على صدق النبوة الخاتمة!.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الراغب: "وقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} ٢البقرة:٣٥.. القصد بالنهي عن قرب الشيء تأكيد للحظر والمبالغة في النهي، وذاك أن القرب من الشيء مقتض الألفة، والألفة داعية للمحبة، ومحبة الشيء كما قيل: "حبك الشيء يعمي ويصم، والعمى عن القبيح والصم عن النهي عنهما الموقعان فيه، والسبب الداعي إلى الشر منهي عنه، كما أن السبب الداعي إلى الخير مأمور به، وعلى ذلك قال عليه السلام: (العينان تزنيان) لما كان النظر داعياً إلى الألفة، والألفة إلى المحبة، وذلك مقتض لارتكابه، فصار النظر مبدأ للزنا، وعلى هذا قال: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} ١٧الإسراء:٣٢، و{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، {لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى} وعلى هذا قال في الخمر: {فَاجْتَنِبُوهُ} وبهذا النظر قال عليه الصلاة والسلام: " الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهة، وسأضرب مثلاً، إن لله حماً، وإن حمى الله محارمه، ومن رتع حول الحما أوشك أن يقع فيه"[٧٦٦].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}: وبعد أن نهى سبحانه فيما سبق عن قتل الآباء أولادَهم، وبين أن قتلهم هو جرم فاحش وذنب كبير، حذر في هذه الآية من الدنو من الزني، وبين أنه كان في عرف الناس وشريعة الله فعلة ظاهرة الفحش، وساء طريقا في الحياة، والتحذير من القرب من الزنى تحذير من مباشرة دواعيه وأسبابه، ولهذا أمر كلا من المؤمنين والمؤْمنات بغض البصر، فالنظرة الآثمة سهم من سهام إبليس، وهي بداية كل شر، كما نهى ومنع خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية؛ لأن الشيطان يجيد السفارة فيها، فيوسوس لكل منهما، ويزين الشر ويأمر بالفحشاء، وفي الأثر: "ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما" كما نهى سبحانه أَن تبدى المرأة زينتها لرجل لا يحل له ذلك منها، فإن فعل ذلك يحرك الرغبة الآثمة بينهما ويدعو إلى الفجور ومما يؤَدي إلى الفاحشة أَن تلين المرأَة وتخضع في كلامها، فيطمع فيها من في قلبه مرض الفحش وداءُ الرغبة الآثمة في الفساد، هذا هو تحذير الله عباده من أَن يقربوا الزنى؛ فما بالهم إذا قارفوه وفعلوه ووقعوا فيه، إنه سبب في اختلاط الأنساب وهتك الأعراض وتفكك المجتمع، وشيوع الرذائل، وذهاب الإنسانية الفاضلة والنزول بها إلى درك الحيوانية، فضلا عن أَن من يمارس ذلك يذهب بهاؤُه وتهون منزلته، ويفضح في أهله، فالزنى عمل بالغ الفحش، سيء المغبة، وخيم العاقبة، وساء طريقا، فهو يُورد صاحبه موارد الهلاك، وينزل به إلى منازل السفلة، الذين ينأى عن صحبتهم كل طاهر كريم عفيف"[٧٦٧].

[٧٦٦] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١\ ١٥٢).

[٧٦٧] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١\ ٧٥٣).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Sexually-Transmitted Diseases

الأمراض الجنسية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٣٢.**
- **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ٦الأنعام: ١٥١.**

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾، ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

All (w)**. Have not those who disbelieve known that the heavens and the** (primitive) **earth were joined together as one united piece** (in the solar nebula as the last stage of division)**, then We parted them? And We have made from water every living thing. Will they not then believe?**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في النبأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء: ٣٠؛ دلالة صريحة على أن الماء عماد الحياة وأن نشأة الماء في الأرض كانت مُقدمة لنشأة الحياة، وفيه أن بداية الحياة كانت في البحار القديمة والجداول والمستنقعات من طين؛ خاصة مع تصريح القرآن في جملة مواضع أن الإنسان نشأ من طين ومن صلصال ومن تراب؛ أي من عناصر الأرض.

والحياة على هذه الأرض لم يكن لها أن تظهر؛ لو لم يتم تصميم جميع أجزاء هذا الكون بتقدير بالغ في جميع مراحل خلقه؛ حيث أن خللا بسيطًا في تصميم مرحلة ما من هذه المراحل قد يحول دون أن تكون الأرض بالشكل والمواصفات التي هي عليها الآن، والأرض قد تم تصميمها بتقدير بالغ لكي تكون مؤهلة لظهور الحياة عليها؛ وذلك من حيث تحديد بعدها عن الشمس التي تمدها بالطاقة وسرعة دورانها حول نفسها وحول الشمس وكذلك إمالة وتأرجح محورها وشدة مجالها المغناطيسي وجوها قشرتها، وعوامل أخرى كلها حُسبت بدقة متناهية تدفع الصدفة وتؤيد التقدير، وكان للماء الدور البالغ في نشأة الحياة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون﴾ الأنبياء: ٣٠.

وتقدّر كمية الماء على الأرض بستة عشر بليون كيلومتر مكعب، ويوجد القسم الأكبر من هذه الكمية والذي يقدر بثلاثة عشر بليون كيلومتر مكعب تحت القشرة الأرضية، وصدق القائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨، أما الكمية المتبقية والتي تقدّر بثلاثة بلايين كيلومتر مكعب فإن نصفها يدخل في تركيب الصخور والمعادن الموجودة في القشرة الأرضية بينما يوجد النصف الآخر في المحيطات والبحار والأنهار وفي المناطق الجليدية على شكل جليد، ويعتقد العلماء أن الماء الموجود على سطح الأرض قد خرج من باطنها وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ ٧٩النازعات:٣٠ و٣١، ولقد كان هذا الماء عند أول نشأة الأرض على شكل بخار يملأ جو الأرض الأولي بسبب ارتفاع درجة حرارة سطح الأرض، وبعد أن برد بدأ بخار الماء بالتكاثف ليسقط على شكل أمطار غزيرة لعبت دوراً كبيرا في تشكيل تضاريس الأرض كالأودية والسهول، والسائد عند علماء الجيولوجيا أن المحيطات الحالية كانت محيطا واحدا ثم انقسم إلى سبعة أبحر كبيرة مع انقسام القارة الأم إلى سبع قارات، وتقدر كمية الماء التي تسقط على اليابسة بهيئة أمطار بتسعين ألف كيلومتر مكعب تعود في النهاية إلى المحيطات والبحار؛ حيث يعود ثلاثون ألف كيلومتر مكعب منها بواسطة الأنهار بينما تعود الستين ألف المتبقية من خلال عملية التبخر.

ومُكونات التراب والماء؛ أي الطين، هما أهم متطلبات الحياة، فمن التراب تستمد العناصر الأساسية لتكوين وتكاثر الخلايا الحية، والماء مذيب بدونه لا يمكن أن تتم التفاعلات الكيماوية وتصنع البروتينات وتستنسخ المادة الوراثية، وللماء خصائص فريدة تختلف عن خواص مواد مشابهة في التركيب؛ ممّا حدا بعالم الكيمياء الروسي إيغور بتريانوف بأن يصفه بأنه أغرب مادة في الكون في كتابه "الماء تلك المادة العجيبة"، فهو السائل الوحيد الذي يصلح لأن يكون وسطاً لحدوث التفاعلات الكيميائية بين الايونات الموجبة والسالبة ويعمل كمذيب في أجسام الكائنات الحية، وله القدرة على الانتشار والالتصاق مما يسهل عمله، ويتميز عن سواه كسائل بفارق كبير بين درجة تجمده ودرجة غليانه، واللافت للنظر أن التفاوت في درجة حرارة معظم مناطق سطح الأرض يقع ضمن المدى الذي يكفل بقاء الماء بهيئة سائل، والماء في حالته الصلبة أخف منه في حالته السائلة على عكس جميع السوائل الأخرى، وبغير هذه الخاصية يتحول سمك كل المحيطات في المناطق القطبية إلى جليد وتموت الأحياء البحرية، فإذا تجمد سطح المحيط يشكل طبقة عازلة تحول دون تجمد ما دونها، ومياه المحيطات التي تغطي سبعين بالمائة من مساحة سطح الأرض تقوم بامتصاص كميات كبيرة من الطاقة الشمسية خلال النهار وتبثها كحرارة في الليل فتحافظ على منع التغيرات الكبيرة في درجة الحرارة بما يناسب أحياء البر والبحر، وهو شبه شفاف يسمح بمرور الضوء إلى مدى يصل إلى ألف متر في عمق المحيطات فيسمح بتكاثر الطحالب أساس سلسلة الغذاء في البحر، ويتميز بسهولة تبخره فيساعد على تكون السحب لتنقله إلى مناطق عطشى؛ ما كان لها أن ترتوي بغير تقدير المُبدع القدير.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال المراغي: "﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠؛ أي إنه يجب عليهم أن يعلموا أن السموات والأرض كانتا مادة واحدة متصلة لا فتق فيها ولا انفصال، وهى ما تسمى لدى علماء الفلك السديم (عند تميز الأرض الأولية كآخر انفصال)..، ففتقناهما بفصل بعضهما من بعض فكان منها ما هو سماء (تلو سماء حتى كان).. منها ما هو أرض، وجعلنا من الماء كل شىء حي، أفلا يؤمنون بأن الرب الذي خلق كل هذا هو الذي يعبد وحده ولا يشرك به شىء، وأنه قادر على إعادة الخلق كما بدأه أول مرة؟ والخلاصة إن الماء أصل جميع الأحياء..، ثم علل خلقه بما ذكر ببعض حكمه الخاصة بالمكلفين المخاطبين بالقرآن فقال: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) أي ليجعل ذلك ابتلاء واختبارا لكم فيظهر أيّكم أحسن إتقانا لما يعمله لنفسه وللناس، ذاك أنه تعالى سخر لنا ما في الأرض وجعلنا مستعدين لإبراز ما أودعه فيها من منافع وفوائد مادية ومعنوية"[٧٦٨].

[٧٦٨] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١١٢\٥).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Biology

علم الأحياء

المَوْضُوع Subject

Creation of Living Creatures

نشأة الكائنات الحية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨.**
- **﴿والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها مائها ومرعاها﴾ ٧٩النازعات:٣٠ و٣١.**
- **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠.**

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا
وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾
٢١الأنبياء:٣٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٣.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَجَعَلْنَا﴾، ﴿السَّمَاءَ﴾، ﴿سَقْفًا﴾، ﴿مَحْفُوظًا﴾، ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

And We have made the (near) **sky** (the atmosphere) **a protected roof-like** (a ceiling to guard them)**.**
Yet, they are totally oblivious to all the portended signs therein (of the mercy and power of Allah)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لفظ (السماء) من الألفاظ التي تتحدد معانيها تبعا لقرائن السياق، وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٢؛ سبق الحديث عن انفصال الأرض عن السماوات خلال نشأة الكون؛ أي: (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)، وأعقبه الحديث عن (الْأَرْضِ)، فما بقي في سياق نشأة عالمنا سوى الغلاف الجوي Atmosphere الذي نشأ من الأرض ويلحق بها في النظم؛ فناسبه التمييز عن سماوات الكون بلفظ (السَّمَاءَ)، والتعبير (جَعَلْنَا) يعني تحويله من حالة أولية إلى الحالة الحالية المُستقرة بطبقاته المُميزة، والتمثيل للغلاف الجوي بالتعبير: (سَقْفًا مَحْفُوظًا)؛ قرينة يؤيد الترتيب في النظم على الدلالة على الغلاف الجوى؛ لأن سقف البيت يحفظ ما دونه مما هو فوقه، ووصف الجو بلفظ (مَحْفُوظًا) يتفق مع المعرفة العلمية حديثًا بأنه كان يتبدد عند نشأته، وفي مقام المن يجعله السياق حماية ودفاع من أخطار كونية، ولا يدري الصحيح البدن عادة بقيمة صحته حتى يذوق المرض، وبالمثل لا يستشعر الإنسان بقيمة ما منحه الله تعالى من نعم حتى تُصيبه الكوارث، والغلاف الجوي من أعظم نعم الله تعالى التي ميزت الأرض وجعلتها مؤهلة لنشأة الحياة قبل مجيء الإنسان، قال المقدم: "(السماء) تُطلق لغةً على السقف وغيره، والسحاب يُطلق عليه سماء، قال عز وجل: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} المؤمنون:١٨، السماء هنا المقصود بها: السحاب؛ لأنه يعلونا، أيضاً الغلاف الجوي سماء: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} الأنبياء:٣٢، فالغلاف الجوي سقف محفوظ يحفظ الأرض والكائنات الحية من الإشعاعات الضارة التي قد تُبيد الحياة"[٧٦٩]، والغلاف الجوي يتكون من نطق أو طبقات مُتميزة.

[٧٦٩] محمد أحمد إسماعيل المقدم؛ تفسير القرآن الكريم، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، رقم الجزء هو رقم الدرس، ترقيم الشاملة (١٥٠\١٥).

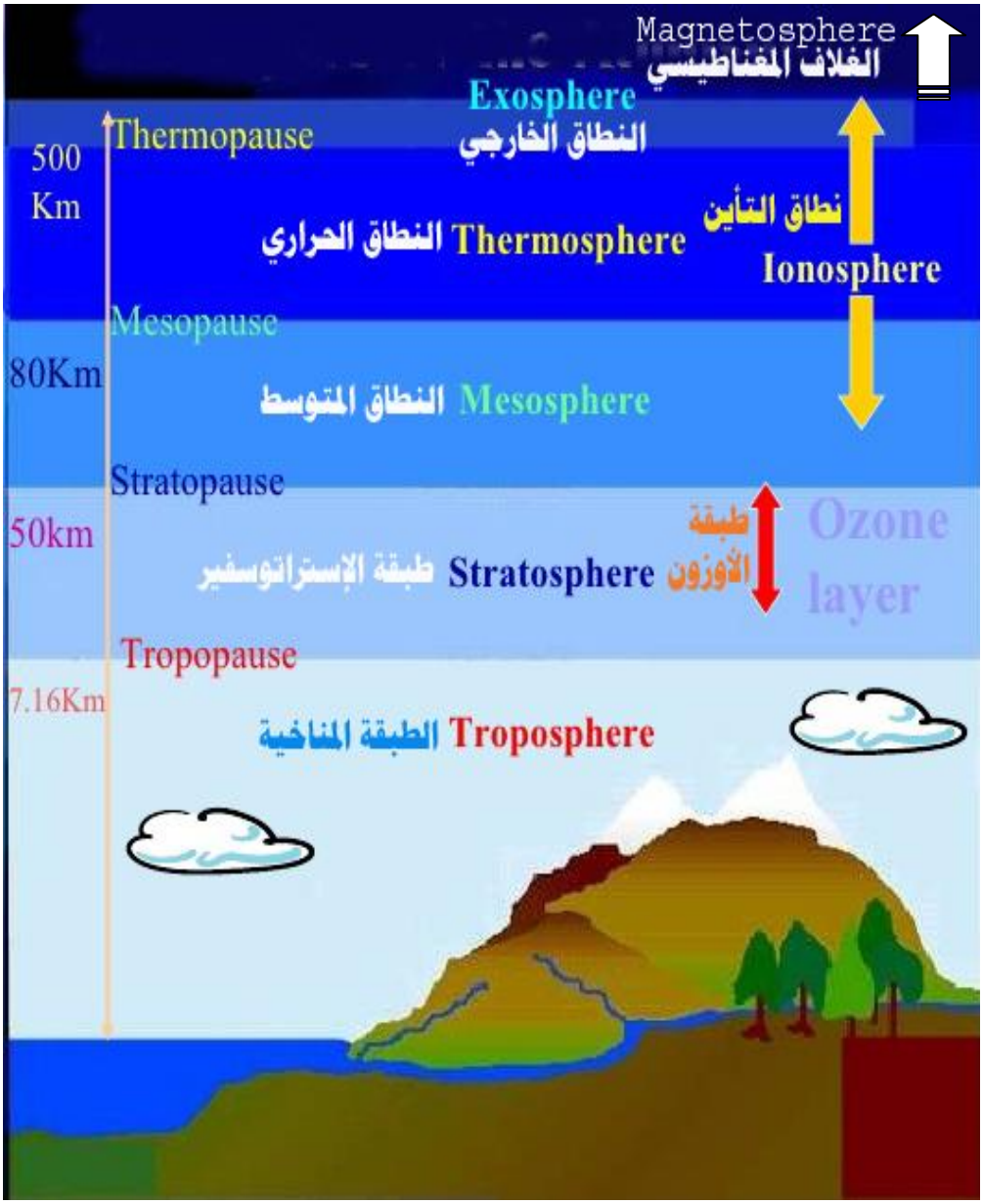

١- **نطاق التغيرات الجوية أو الطبقة المناخية Troposphere: يتراوح سمكه من ٦ إلى ١٨ كم (٥ ميل عند القطبين و١١ ميل عند خط الاستواء) ويبلغ متوسط ارتفاعه ١١ كم فوق مستوى سطح البحر، وتنخفض درجة حرارته بمعدل حوالي ٦ درجات مئوية لكل ارتفاع ألف متر، وتصل درجة الحرارة إلى ستين درجة مئوية تحت الصفر في قمة النطاق، ويقل ضغط الهواء كلما ارتفعنا لأعلى، ويحوي ٨٥ % من كتلة الغلاف الجوي، ويتركب من النتروجين (٧٨ %) والأكسجين (٢١ %) والأرجون (٠,٩٣%) وثاني أكسيد الكربون (٠,٠٣ %) وبخار الماء وغيره من الغازات بنسب ضئيلة، وتنشأ فيه جميع الظروف الجوية المختلفة من رياح وسحاب ومطر ورعد وبرق.**

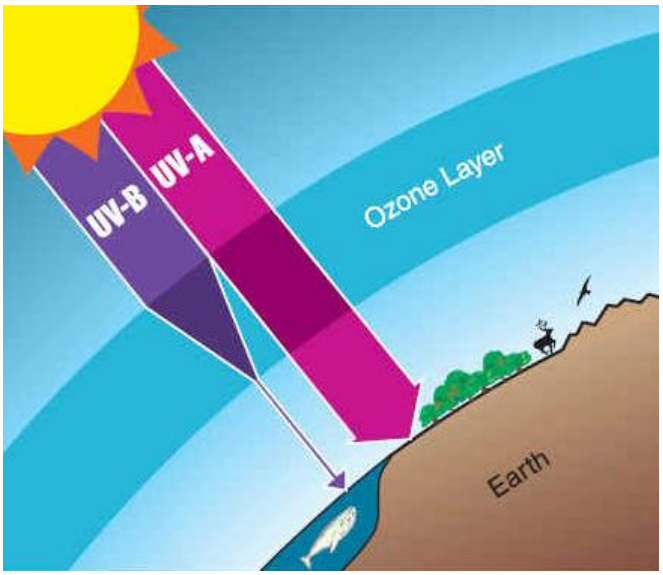

٢-طبقة الإستراتوسفير Stratosphere: يرتفع فوق طبقة التغيرات الجوية إلي ارتفاع٥٠ كم فوق مستوى سطح البحر، ويحوي ما بين ارتفاع ٢٠ و ٣٠ كم فوق مستوى سطح البحر طبقة الأوزون، ولولا طبقة الأوزون لأصبحت الحياة مستحيلة على الأرض، وتخترق الشهب والنيازك هذا النطاق، وترتفع درجة الحرارة لأعلى نتيجة امتصاص طبقة الأوزون للأشعة فوق البنفسجية، وينخفض الضغط الجوي حتى يصل إلى ٠,٠١ ضغط جوي عند قمة النطاق.

٣-النطاق المتوسط Mesosphere: يعلو إلى حوالي ٨٥ كم فوق مستوى سطح البحر (٥٠-٨٥ كم)، وتخترقه الشهب والنيازك، وهو أقل طبقات الجو في درجة الحرارة، وتنخفض درجة الحرارة كلما اتجهنا نحو الأعلى حتى تصل إلى حوالى٩٠ درجة مئوية تحت الصفر، وينخفض الضغط الجوي إلى أن يصل إلى ٤ من مليون من الضغط الجوي.

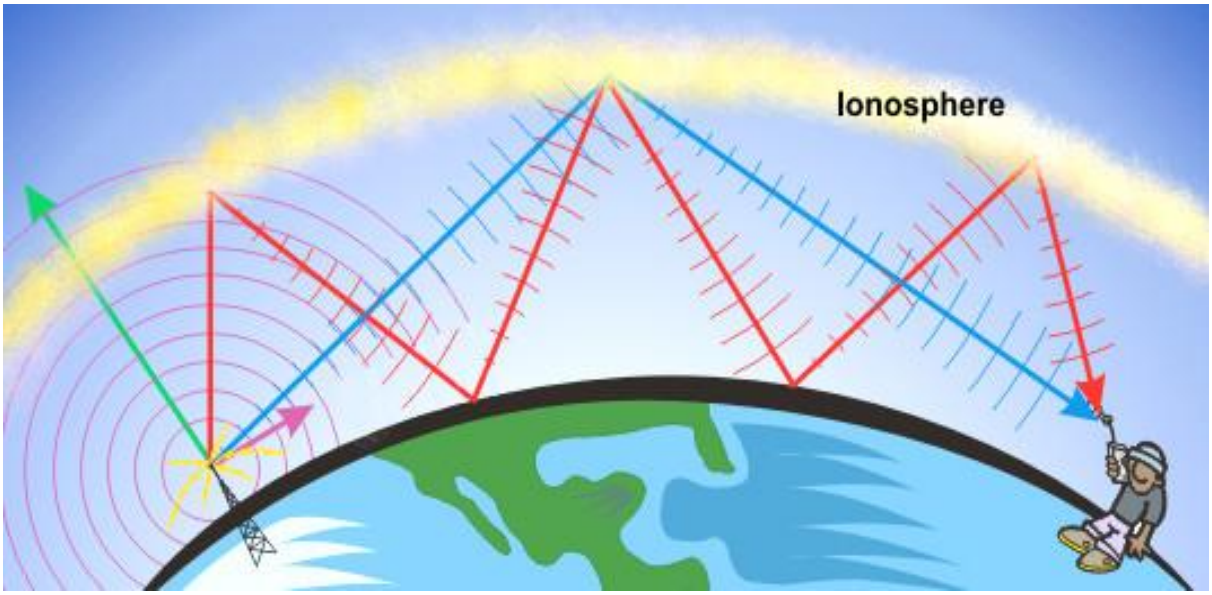

٤-النطاق الحراري Thermosphere: يرتفع فوق النطاق المتوسط بحوالي ٦٠٠ كم (من ٨٥-٧٠٠ كم) فوق مستوى سطح البحر، وترتفع درجة الحرارة إلى ٥٠٠ درجة مئوية عند ارتفاع ١٢٠كم، ويوجد به نطاق التأين Ionosphere عند ارتفاع ٤٠٠ كم فوق مستوى سطح البحر، ويحمي الأرض من الأشعة الكونية والرياح الشمسية، ويعكس موجات الراديو ولذا يلعب دورا هاما في الاتصالات اللاسلكية.

٥-النطاق الخارجي Exosphere: أعلى طبقة في الجو ويمتد من٧٠٠ إلى ٣٥٠٠٠ كم فوق مستوى سطح البحر، ويتكون الهواء غالبا من الغازات الخفيفة مثل الأيدروجين والهيليوم، والكثافة في غاية الضآلة،

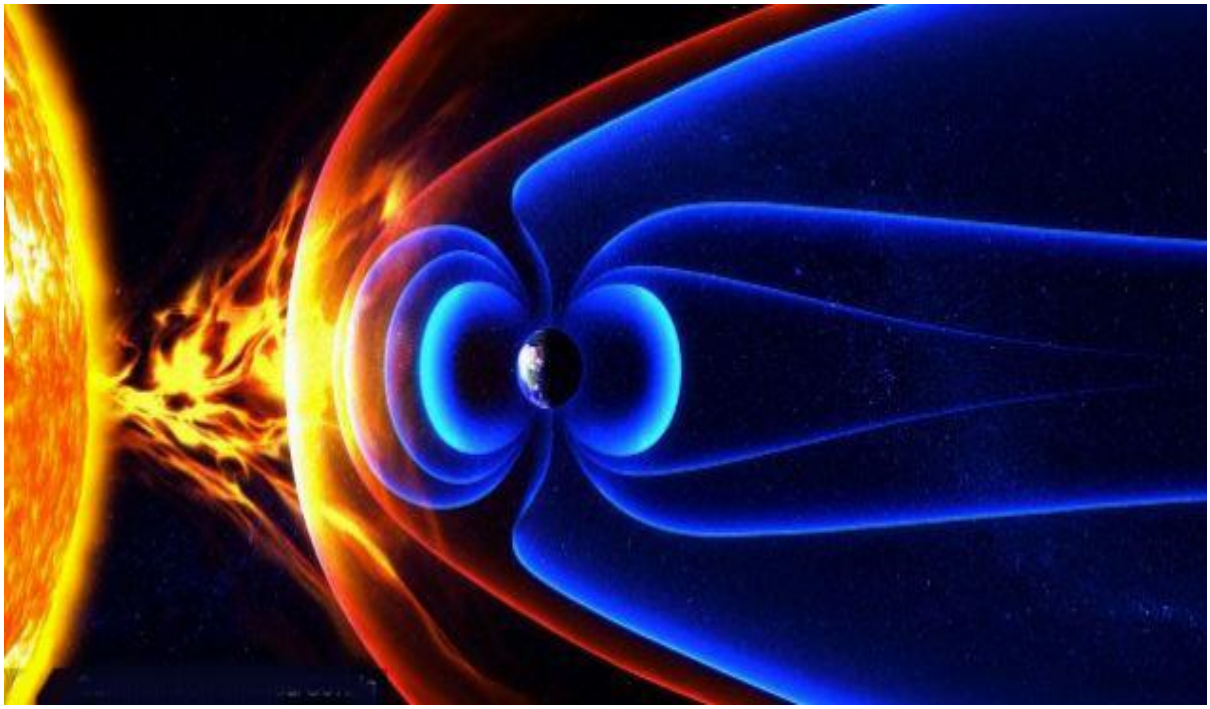

٦-نطاق الماجنيتوسفير Magnetosphere: يمتد لمسافة ٥٠٠٠٠ كم، ويوجد به زوج من الأحزمة المغناطيسية؛ يزداد سمكها عند خط الاستواء ويقل عند القطبين، ويقع الحزام الإشعاعي الداخلي على ارتفاع ٢٠٠٠ كم فوق مستوى سطح البحر، وهو يمثل مصيدة للجسيمات الذرية عالية الطاقة القادمة من الفضاء.

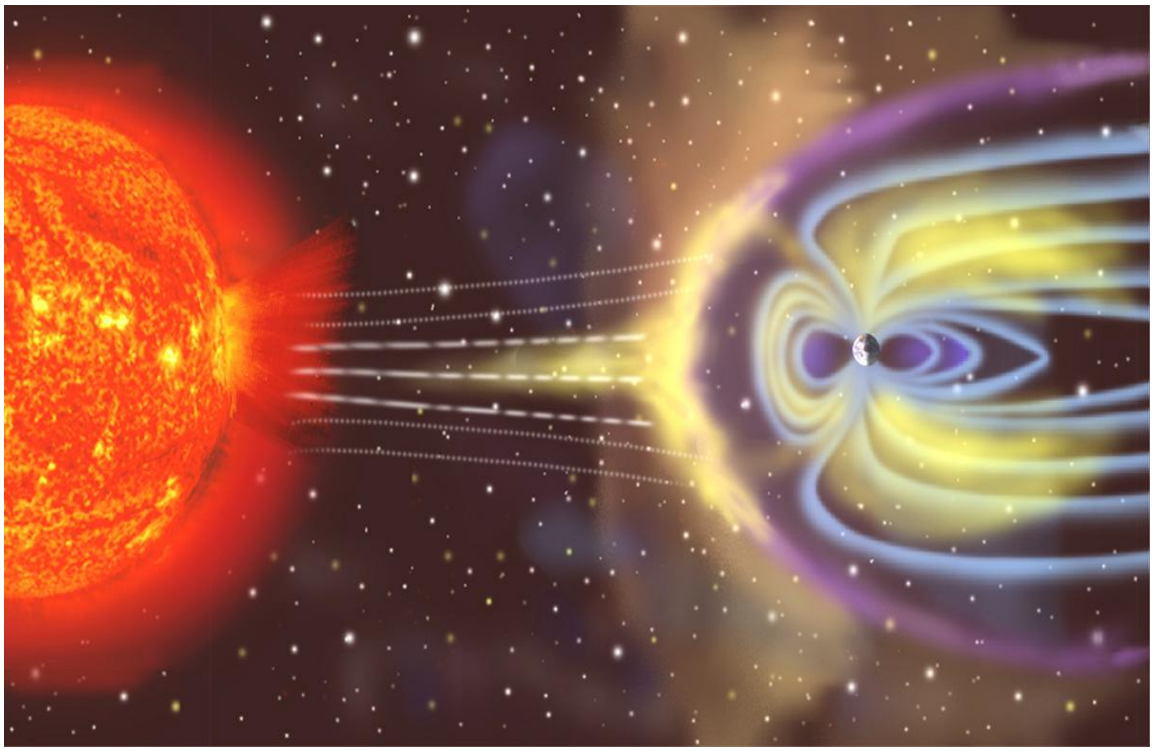

وقد اكتشفت مركبة فضائية عام ١٩٥٨ غلاف الأرض المغناطيسي، وفي عام ١٩٥٩ اقترح توماس جولد Thomas Gold (١٩٢٠-٢٠٠٤) اسم الغلاف المغناطيسي، وهو ليس بيضاويا وإنما يتكون من جبهة وذيل، ويَتكون الذيل المغناطيسي عن طريق الضغط الذي تولّده الرياح الشمسية على الغلاف المغناطيسي، ويَمتد الذيل المغناطيسي لمسافات هائلة عن الأرض، فذيل الأرض المغناطيسي يَمتد لحوالي: ٢٠٠ ضعف نصف قطرها على الأقل بعكس اتجاه الشمس، ويتجاوز مدار القمر بمسافة تصل إلى حوالي: ٦٠ نصف قطر أرضي، وهو يأسر الأيونات المشحونة والقادمة من الشمس، وفي الغلاف المغناطيسي الداخلي تتكون ظاهرة الشفق القطبي، ويُمكن للبلازما المشحونة والتيارات الكهربائية الناتجة عن هذه العملية؛ أن تهدد عمل الاتصالات اللاسلكية والملاحة الفضائية.

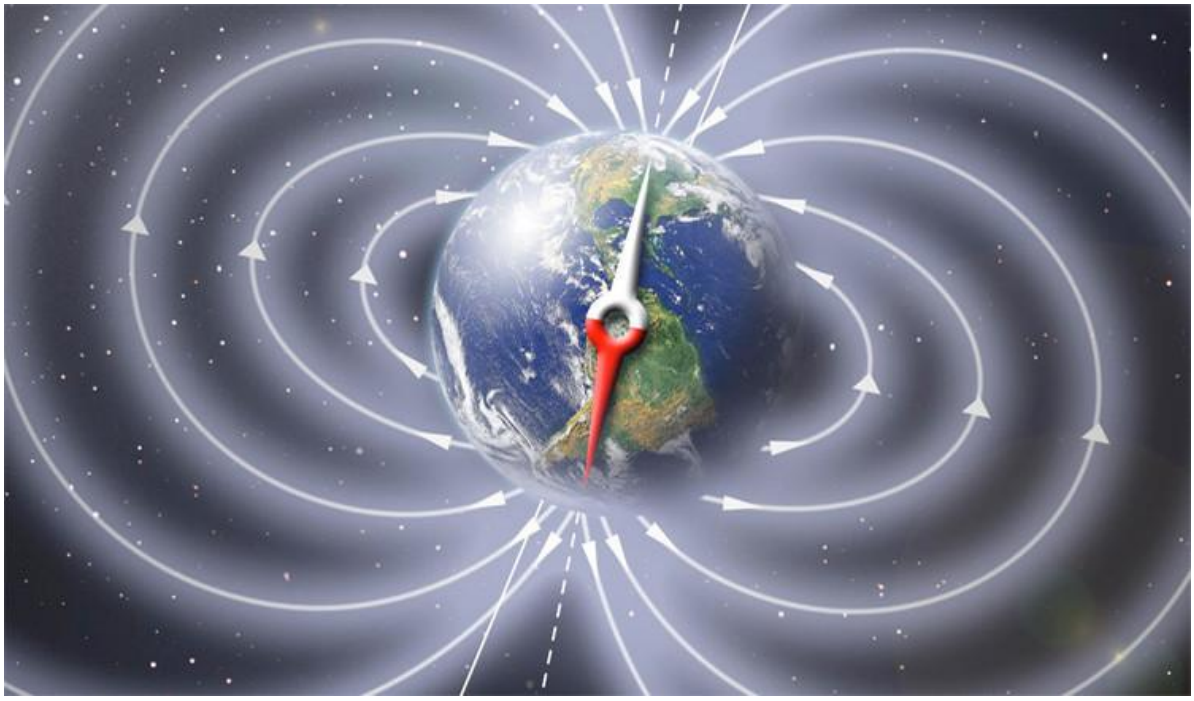

والغلاف المغناطيسي يدفع عن الأرض خطر الرياح الشمسية الفتاكة بالتفاعل مع الأيونات المشحونة التي تُصدرها الشمس، ويتكون من صفوف بهيئة مُعقبات مغناطيسية تُحيط بالأرض؛ كأنها صفوف جنود تتعاقب ليل نهار لتشكل جيشًا يحفظون ليل نهار كل إنسان من الموت؛ بدفع خطر داهم من أمام وخلف كل أهل الأرض، ويستدعي هذا الوصف وصفًا مُماثلا في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ١٣الرعد:١٠و١١، في تفسير الجلالين: "أي بأمره..، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} لَا يَسْلُبُهُمْ نِعْمَته {حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}"[٧٧٠]، وليس تفسير المُعقبات مقصورًا بالملائكة؛ خاصة أنها من الغيب الذي يجب التوقف عن إقحامه إلا بنص صريح، ولا قرينة في النص على ذكر الملائكة؛ ولذا أجازوا تفسيره بوجوه أخرى، قال الماوردي: "قوله عز وجل: {له معقبات مِن بين يديه ومن خَلْفِه} فيها ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنهم حراس الأمراء يتعاقبون الحرس؛ قاله ابن عباس وعكرمة، الثاني: أنه ما يتعاقب من أوامر الله وقضائه في عباده؛ قاله عبد الرحمن بن زيد، الثالث: أنهم الملائكة..؛ قاله مجاهد وقتادة..، وإن قيل.. إن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله وقضائه؛ ففي تأويل قوله تعالى {يحفظونه من أمر الله}..: يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله؛ قاله الضحاك"[٧٧١].

---

[٧٧٠] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٣٢٣).

[٧٧١] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٣\ ٩٨).

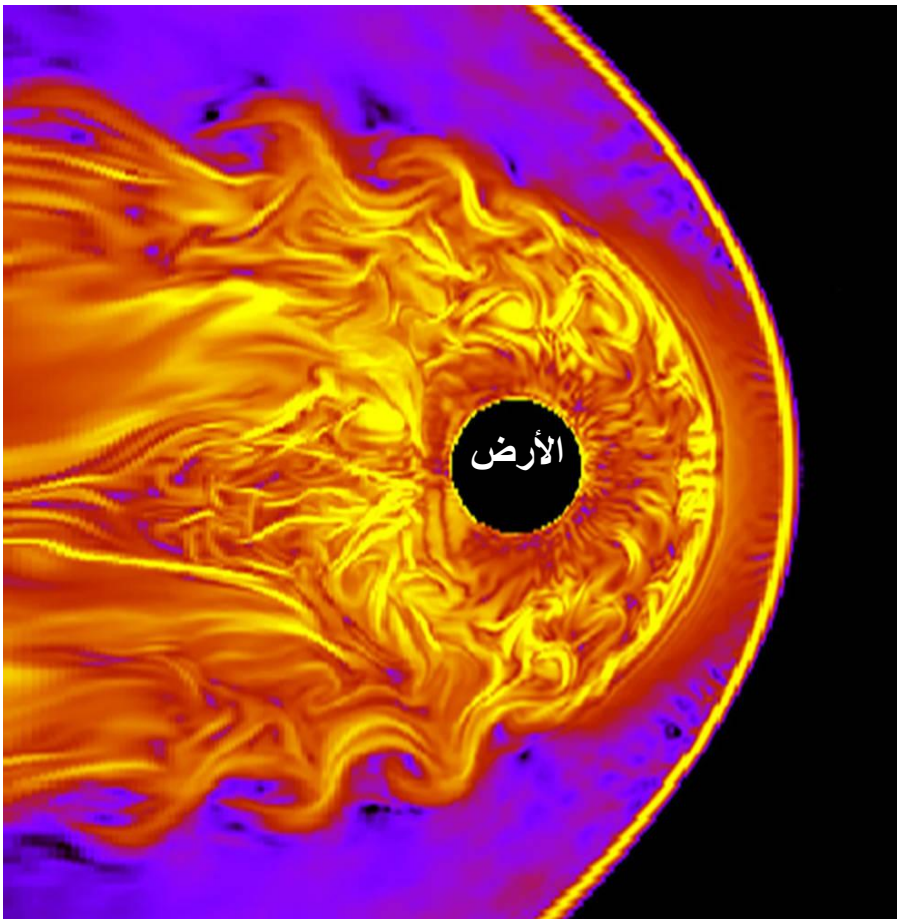

طبقة الغلاف المغناطيسي تشكل درعاً واقيا للأرض وتحمي كل كائن حي من الرياح الشمسية القاتلة.

يعج الفضاء بالكثير من الأحجار النيزكية ويتخلص الغلاف الجوي للأرض من معظمها.

لو قُدِّر لنيزك بحجم ملعب كرة أن يضرب الأرض
فالمتوقع أن يسبب دمارا واسعا بسبب الموجة
الصدمية والارتطام وموجة التسونامي في البحار.

قال أحمد حطيبة: "قال تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} الأنبياء:٣٢؛ الغلاف الجوي للأرض وهو ما حول الأرض؛ جعله الله سبحانه وتعالى حافظاً لما تحته، فقد حفظ جو الأرض (الناس) من مصائب كثيرة جداً؛ منها الإشعاعات..، ومنها الحجارة الكثيرة التي تنتج من اصطدام المذنبات بالشمس أو بغيرها من الكواكب، حيث يتجه بعضها نحو الأرض فيدخل الغلاف الجوي للأرض، فيقوم (الجو) بإذابتها وحفظ سطح الأرض، وهذه الحجارة كثيرة جدًا.. فالله سبحانه وتعالى من فضله وكرمه جعل احتراقها بسبب سرعتها، فهي تجري بسرعة عظيمة.. وبعضها يشاء الله عز وجل أن تدخل إلى الغلاف الجوي، فإذا دخلت فإن الهواء يقوم بتقليل سرعتها، وربما بعد ذلك يقوم بإحراقها، أو يصل بعضها إلى الأرض ويعمل حفراً كبيرة..، فالله عز وجل يجعل هذه تخترق الغلاف الجوي؛ ليرينا آية من آياته، وهي أنه لو شاء لجعل هذه الملايين من الحجارة كلها تخترق الغلاف الجوي وتنزل على الأرض، ولجعل الإشعاعات الضارة التي تخرج من الشمس تخترق الغلاف الجوي كذلك وتدخل علينا فتؤذينا، ولكن الله سبحانه جعل حولنا سقفاً محفوظاً يحفظ هذه الأرض وهو الغلاف الجوي حولها"[٧٧٢].

[٧٧٢] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة؛ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٤\ ١٣).

فدلالة التعبير التصويري (سَقْفًا مَحْفُوظًا) تتفق مع الغلاف الجوى، لأنه بالفعل يُماثل سقفًا فوقنا يمنع أخطارًا غير منظورة أن تصل إلينا إلا أن يشاء الله تعالى، وهو أيضا اليوم محفوظ من التبدد بخلاف ما عانى في بداية التكوين، كما هو الحال في القمر حيث تبدد كله؛ فأصبح القمر بلا سقف يحميه، ويلفت الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم انتباهنا إلى بعض خصائص الجو في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) الأنبياء:٣٢، ويتضمن دفع المخاطر وامتناع التبدد، وهذه الخصائص قد أثبتتها الأبحاث العلمية التي أجريت في القرن العشرين، فالغلاف الجوي الذي يُحيط بالأرض يؤدي وظائف ضرورية لاستمرارية الحياة على الأرض، ويُدمر الكثير من النيازك؛ ويمنع معظمها من السقوط على سطح الأرض وإيذاء الكائنات الحية، والمُلفت للنظر أن الغلاف الجوي لا يسمح بالمرور إلا للإشعاعات غير الضارة مثل أشعة الضوء، ويكفي أنه يحمي أهل الأرض من برد الفضاء الذي يصل إلى ٢٧٠ درجة مئوية تحت الصفر، والأحزمة المغناطيسية بمثابة درع يقي من خطر الرياح الشمسية التي تهدد الأحياء على الكوكب، ولولا أن الله تعالى قد هيأ الغلاف الجوي لسقطت ملايين النيازك على الأرض وقضت على الحياة، ومن الجائز أن حادثة الديناصورات التي بادت منذ حوالي ٦٥ مليون سنة قد ترجع إلى الدخان الذي لف الأرض عقب سقوط نيزكي كبير حجب ضوء الشمس وقضى على معظم الأحياء على البسيطة وفي البحار، وباختصار فإن هناك نظاماً مُتكاملاً يعمل فوق الأرض ولا نشاهده؛ يحمينا من التهديدات الخارجية في صمت، ولم يكن بشر يعلم بوجوده إلا مؤخرًا، ولكن الله سبحاه وتعالى قد أخبرنا به منذ قرون عديدة ليكون عبرة للواعين وموعظة تنبه الغافلين أن القرآن وحي من عند رب العالمين.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال المقدم: "(السماء) تُطلق لغةً على السقف وغيره، والسحاب يُطلق عليه سماء، قال عز وجل: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} المؤمنون:١٨، السماء هنا المقصود بها: السحاب؛ لأنه يعلونا، أيضاً الغلاف الجوي سماء: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} الأنبياء:٣٢، فالغلاف الجوي سقف محفوظ يحفظ الأرض والكائنات الحية من الإشعاعات الضارة التي قد تُبيد الحياة"[٧٧٣].

وقال أحمد حطيبة: "قال تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} الأنبياء:٣٢؛ الغلاف الجوي للأرض وهو ما حول الأرض؛ جعله الله سبحانه وتعالى حافظاً لما تحته، فقد حفظ جو الأرض (الناس) من مصائب كثيرة جداً؛ منها الإشعاعات..، ومنها الحجارة الكثيرة التي تنتج من اصطدام المذنبات بالشمس أو بغيرها من الكواكب، حيث يتجه بعضها نحو الأرض فيدخل الغلاف الجوي للأرض، فيقوم (الجو) بإذابتها وحفظ سطح الأرض، وهذه الحجارة كثيرة جدًا.. فالله سبحانه وتعالى من فضله وكرمه جعل احتراقها بسبب سرعتها، فهي تجري بسرعة عظيمة.. وبعضها يشاء الله عز وجل أن تدخل إلى الغلاف الجوي، فإذا دخلت فإن الهواء يقوم بتقليل سرعتها، وربما بعد ذلك يقوم بإحراقها، أو يصل بعضها إلى الأرض ويعمل حفراً كبيرة..، فالله عز وجل يجعل هذه تخترق الغلاف الجوي؛ ليرينا آية من آياته، وهي أنه لو شاء لجعل هذه الملايين من الحجارة كلها تخترق الغلاف الجوي وتنزل على الأرض، ولجعل الإشعاعات الضارة التي تخرج من الشمس تخترق الغلاف الجوي كذلك وتدخل علينا فتؤذينا، ولكن الله سبحانه جعل حولنا سقفاً محفوظاً يحفظ هذه الأرض وهو الغلاف الجوي حولها"[٧٧٤].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}: هذه آية.. من آيات الألوهية الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته، أي: وجعلنا السماء المُظلة للأرض كأنها قبة عليها، جعلناها سقفا محفوظًا بقدرتنا..، فقد أمسكها الله تعالى بقوانين تقتضي حفظها مرفوعة في الفضاء بقدرته..، وقيل: سقفًا محفوظًا من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم الذي تطوى فيه السماءُ كَطَيِّ السجلِّ للكتب، وقد روى ذلك عن قتادة، {وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}: أي وهم عن آيات السماء الدالة على الوحدانية وكمال القدرة ذاهلون..؛ ولو تأملوها أدنى تأمل لهداهم التأمل إلى الإيمان واليقين"[٧٧٥].

وقال القاسمي: "(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا) أي على الأرض كالقبة عليها، (مَحْفُوظاً) أي.. محفوظًا من التغير بالمؤثرات"[٧٧٦].

وقال المراغي: "(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً) أي إنه تعالى.. جعلها كالسقف المحفوظ من الاختلال.. بقوة الجاذبية"[٧٧٧].

وقال الرازي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ).. سَمَّى السَّمَاءَ سَقْفًا لِأَنَّهَا لِلْأَرْضِ كَالسَّقْفِ لِلْبَيْتِ..، قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ) مَعْنَاهُ عَمَّا وَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْعِبَرِ.. وَالتَّرْتِيبِ الْعَجِيبِ الدَّالِّ عَلَى الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ.. (و) عَلَى التَّوْحِيدِ..، أَيْ هُمْ (غير) مُتَفَطِّنُونَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ.. مِنَ الْمَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ.. وَحَيَاةِ الْأَرْضِ بِأَمْطَارِهَا وَهُمْ عَنْ كَوْنِهَا آيَةً بَيِّنَةً عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ مُعْرِضُونَ"[٧٧٨].

وقال القطان: "{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}؛ وجعلنا السماءَ فوقهم كالسقف المرفوع..، وهم مع ذلك منصرفون عن النظر في آياتنا الدالَّة على قدرتنا وحكمتنا..، (فهي) محفوظةٌ بكيانها متماسكةٌ لا خلل فيها، وفق نظام بديع لا يتخلف ولا يتبدل، وقد جعل الله لهذه الأرض غلافاً جوياً يحفظها ويمنع الإشعاعات الضارة من أن تصل إليها"[٧٧٩].

وقال ابن عاشور: "(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ).. السَّقْفُ حَقِيقَتُهُ: غِطَاءُ فَضَاءِ الْبَيْتِ الْمَوْضُوعُ عَلَى جُدْرَانِهِ؛ وَلَا يُقَالُ السَّقْفُ عَلَى غِطَاءِ الْخِبَاءِ وَالْخَيْمَةِ. وَأُطْلِقَ السَّقْفُ عَلَى السَّمَاءِ عَلَى طَرِيقَةِ

---

[٧٧٣] محمد أحمد إسماعيل المقدم؛ تفسير القرآن الكريم، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، رقم الجزء هو رقم الدرس، ترقيم الشاملة (١٥٠\١٥).

[٧٧٤] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة؛ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١٤\١٣).

[٧٧٥] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٦\١١١٠).

[٧٧٦] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٧\١٩٢).

[٧٧٧] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١١٧\٢٧).

[٧٧٨] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٢\١٣٩).

[٧٧٩] إبراهيم القطان؛ تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٢\٤٣٢).

التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، أَيْ جَعَلْنَاهَا كَالسَّقْفِ..، وَجُمْلَةُ (وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ) فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَآيَاتُ السَّمَاءِ.. كُلُّهَا دَلَائِلُ عَلَى الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ؛ فَلِذَلِكَ سَمَّاهَا آيَاتٍ..، مَا يَبْدُو لَنَا مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ مِثْلَ السَّحَابِ والبرق والرعد"[٧٨٠].

وقال الشنقيطي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)؛ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ثَلَاثَ مَسَائِلَ: الْأُولَى: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا، أَيْ: لِأَنَّهَا لِلْأَرْضِ كَالسَّقْفِ لِلْبَيْتِ، الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ السَّقْفَ مَحْفُوظًا، الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْكُفَّارَ مُعْرِضُونَ عَمَّا فِيهَا أَيِ السَّمَاءِ مِنَ الْآيَاتِ، لَا يَتَّعِظُونَ بِهِ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ..، أَمَّا كَوْنُهُ جَعَلَهَا سَقْفًا فَقَدْ ذَكَرَهُ.. أَنَّهُ مَرْفُوعٌ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ ٥٢الطور:١-٥..، وَبَيَّنَ أَنَّهُ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّشَقُّقِ وَالتَّفَطُّرِ؛ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَرْمِيمٍ وَلَا إِصْلَاحٍ كَسَائِرِ السُّقُوفِ إِذَا طَالَ زَمَنُهَا"[٧٨١].

وقال محمد سيد طنطاوي: "(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ) أي وجعلنا السماء سقفا للأرض كما يكون السقف للبيت.. (وَهُمْ) أي المشركون عن آياتها الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا وعلمنا مُعرضون؛ ذاهلون لا يتعظون"[٧٨٢].

[٧٨٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٧\ ٥٨).

[٧٨١] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (١٤٣١٤).

[٧٨٢] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (١٩\ ٢٠٥).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Meteorology

أرصاد جوية

المَوْضُوع Subject

Atmosphere

الغلاف الجوي

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ ٥٢الطور:١-٨.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٣.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢البقرة:٢٢.
- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:١٢٥.
- ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى. تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ ٢٠طه:٢-٤.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٣٣.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ١٣الرعد:١٠و١١.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ.
وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ ٢٢الحج:٤٧و٤٨.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾، ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

They (the disbelievers) **argue you to hasten the excruciating pain** (of the last day; refusing it)**; but Allah will never break his promise** (by the new world)**. And verily** (everything is perfectly made, that a distance in) **a day; as your Lord has designed, is like** (the distance covered in) **one thousand** (of your own lunar) **years, according to what you reckon** (as if earth is motionless; i.e. in the isolated earth-moon system)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

(أ) سرعة مُقدرة واحدة ثابتة

يُصرح القرآن الكريم بخروج أثقال الأرض من باطنها عندما تحل ساعة خراب العالم؛ تسبقها زلازل جبارة كما هو الحال في سبق الزلازل للبراكين كما نعلم اليوم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ٩٩الزلزلة:١و٢، ومدلول لفظ (الأرض) الأول هو السطح الصخري بقرينة الزلزال، ومدلول لفظ الأرض التي تُخرج الأثقال هو الكوكب بقرينة إخراج الأثقال؛ ولا تكرار، إحكام من مُقتدر عظيم بخلقه عليم، وتعتمد الجاذبية الأرضية على ما فيها من أثقال، وبإلقاء ما فيها تتخلى الأرض عما كانت تُمسكه على سطحها بقوة الجاذبية: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ. وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ ٨٤الإنشقاق:٣و٤.

وتتضافر الأنباء لتجزم بأن السماوات حُبلى باليوم الأخير، وأن قُوى الدمار آتية لتطرق الأبواب بأقصى سرعة مُقدرة؛ وتصل بغتة لا يسبقها نذير: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٤٧محمد:١٨، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ٧الأعراف:١٨٧، ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ١٦النحل:١، فلا يحتاج إذن مزيد استعجال مع أبلغ قيمة للسرعة في الكون قدرها القدير؛ وأعلنها النبأ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، إنه إذن حدث مُروع مهول ووعد مُحتم تحققه؛ قَدَر مقدور لا سبيل لتجنُّبه، والقيمة الواحدة الثابتة لسرعة القُدُوم تنطق بوحدانية القدير.

وفي سياق بيان تقدير كل شيء؛ يقول العلي القدير: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠، وجاءت الكلمة المُفردة (أَمْرُنَا) نظير (كُلَّ شَيْءٍ) فأفادت أن الأصل وأساس بنية كل شيء أمر واحد، يُقابله في الفيزياء: مادة أولية خام كانت تُسمى الهيولي، صنع منها القدير كل شيء؛ كالقطن تُصنع منه شتى الملابس، واللمح: وميض ضوء بالكاد تلمحه العين لسرعته، قال ابن فارس: "اللمح أصل يدل على لمع شيء"[٧٨٣]، وقال ابن سيده: "لَمَعَ الشيءُ: أَضَاء"[٧٨٤]، وفي بيان وجه التشبيه بومضة الضوء؛ قال الألوسي: "الغرض من التشبيه بيان سرعته"[٧٨٥]، وقال أبو حيان: "لَمَّا كَانَ أَسْرَعُ الْأَحْوَالِ وَالْحَوَادِثِ فِي عُقُولِنَا هُوَ لَمْحُ الْبَصَرِ ذَكَرَهُ.. بِكَوْنِهِ مِثْلَ لَمْحِ الْبَصَرِ فِي السُّرْعَةِ"[٧٨٦]، "تَشْبِيهٌ بِأَعْجَلِ مَا يُحَسُّ"[٧٨٧]، وقال الرازي: "اللَّمْحُ بِالْبَصَرِ مَعْنَاهُ (ضوء) الْبَرْقُ يَخْطَفُ بِالْبَصَرِ وَيَمُرُّ بِهِ.. وَذَلِكَ فِي غَايَةِ السُّرْعَةِ..؛ (بل) ونهاية السرعة"[٧٨٨]، وسرعة الأمر إذن كسرعة الضوء، قال الجزائري: "قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}؛ يُخبر تعالى.. عن علمه.. بسرعة كسرعة لمح البصر"[٧٨٩]، والتعبير عن كل شيء بلفظ مُفرد (الأمر) يوافق أن الأصل عند خلق الكون مادة أساسية واحدة؛ تنويهًا بالأمر بكلمة (كُن)، والمُوجه للغير موجود كأنه موجود؛ بيانًا تصويريًّا للمشيئة العلية النافذة والقدرة المُطلقة المُبدعة.

---

[٧٨٣] أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٥\ ٢٠٩).

[٧٨٤] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (١٤\ ٣٨٤).

[٧٨٥] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧\ ٤٣٥).

[٧٨٦] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٦\ ٥٧٣).

[٧٨٧] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٠\ ٤٩).

[٧٨٨] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٩\ ٣٣٠).

[٧٨٩] جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (٥\ ٢١٩).

وفي النبأ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ قياس لقيمة سرعة (الْأَمْر)؛ بياناً لتقدير واحد ثابت على طول عمر الكون يقطع بوحدانية القدير، وثبات قيمته دومًا يؤكده: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، قال الأبياري: "فإن يوما واحدا عنده (في تقديره تعالى في مُلكه)؛ يُماثل ألف سنة مما (تَعُدُّون): تُقَدِّرُون وتَحْسَبُون"[٧٩٠].

وقد كانت السنة تُعرف في بيئة العرب بسير القمر في ١٢ دورة حول الأرض الساكنة؛ وفق ما كانوا يعدون بمجرد النظر طبقًا لنظام مركزية الأرض Geocentric Model، ويقتضي قياس قيمة سرعة (الأمر) إذن والمُماثلة لقيمة سرعة الضوء أن: المسافة التي يقطعها القمر في ١٢ ألف دورة يقطعها الضوء في يوم باعتبار سكون الأرض، قال ابن عباس أن القياس: "مِقْدَار سَيْر الأَمْر"[٧٩١]، و: "لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ"[٧٩٢]،
و"عَنْ قَتَادَةَ؛ (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)؛ يَقُولُ: مِقْدَارُ مَسِيرِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَلْفُ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ"[٧٩٣]، والمعنى: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ"[٧٩٤]، و"الشَّمْسِ فِي طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا مِنَ الطُّلُوعِ فِي يَوْمٍ؛ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ"[٧٩٥]، "لِسُرْعَةِ (الأمر).. لِأَنَّهُ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ"[٧٩٦].

---

[٧٩٠] إبراهيم بن إسماعيل الأبياري؛ الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب؛ ١٤٠٥هـ (١١٠\٣٥٨).

[٧٩١] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (١٥\٢٧٨).

[٧٩٢] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤\٨٧).

[٧٩٣] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٨\٥٩٢).

[٧٩٤] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤\٨٧).

[٧٩٥] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١٤\٢٨٦).

[٧٩٦] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (١٨\٤٣١).

وقال الرازي: "اعْلَمْ أَنَّ السَّنَةَ عِنْدَ الْعَرَبِ عِبَارَةٌ عَنِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ الْقَمَرِيَّةِ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ) ٩التوبة:٣٦}، وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) ١٠يونس:٥، فَجَعَلَ تَقْدِيرَ الْقَمَرِ بِالْمَنَازِلِ عِلَّةً لِلسِّنِينَ وَالْحِسَابِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتِ السَّنَةُ مُعَلَّقَةً بِسَيْرِ الْقَمَرِ، وَأَيْضًا قَالَ تَعَالَى: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) ٢الْبَقَرَة:١٨٩"[٧٩٧]، وفي "قَوْلُهُ: (وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ)..؛ الضَّمِيرُ (يرجع ابتداءً) إِلَى الْقَمَرِ.. لِأَنَّ بِسَيْرِ الْقَمَرِ تُعْرَفُ الشُّهُورُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشُّهُورَ الْمُعْتَبَرَةَ فِي الشَّرِيعَةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى رُؤْيَةِ الْأَهِلَّةِ، وَالسَّنَةُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي الشَّرِيعَةِ هِيَ السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ"[٧٩٨]، فالسرعة إذن في الكون مُقدرة، ولأن سرعة الأمر كسرعة الضوء؛ إذن سرعة الضوء مسيرة ألف سنة قمرية في يوم واحد.

والإصرار في القياس على جعل معيار حركة القمر مما كانوا يَعُدون بمجرد النظر؛ يتفق مع المعرفة حديثًا بأنها نسبية، والقياس يتطلب أن تكون وفق ما كانوا يظنون من سكون حركة الأرض والقمر حول الشمس؛ فتُصبح قيم حركته مُجردة وثابتة، فلا يُدرك أنه يدور مع الأرض حول الشمس إلا مُراقب خارج النظام الشمسي، والناظر بالعين المجردة لا يُدرك أن بُعده يتغير شهريا بنسبة حوالي: ١١% من البعد الوسطي؛ وكذلك سرعته، فهي بالنسبة إليه مُستبعدة، وإذا استبعدت وأجري الحساب وفق ما كانوا يعُدون تُطابق النتيجة قيمة سرعة الضوء؛ وهي حوالي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية، والإصرار إذن على تجريد حركة القمر حول الأرض من نسبة زائدة؛ لا بد من تضمُّنُه حكمة باعتبارها زيادة ظاهرية، فهم كانوا يحسبون الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس والقمر يدور حولها فحسب؛ كما لو كانا في نظام معزول عن أي تأثير خارجي، وبهذا الاعتبار تُصبح حركة القمر كأنها منسوبة لنجم بعيد ثابت فتتحقق الدورة الحقيقية المُجردة.

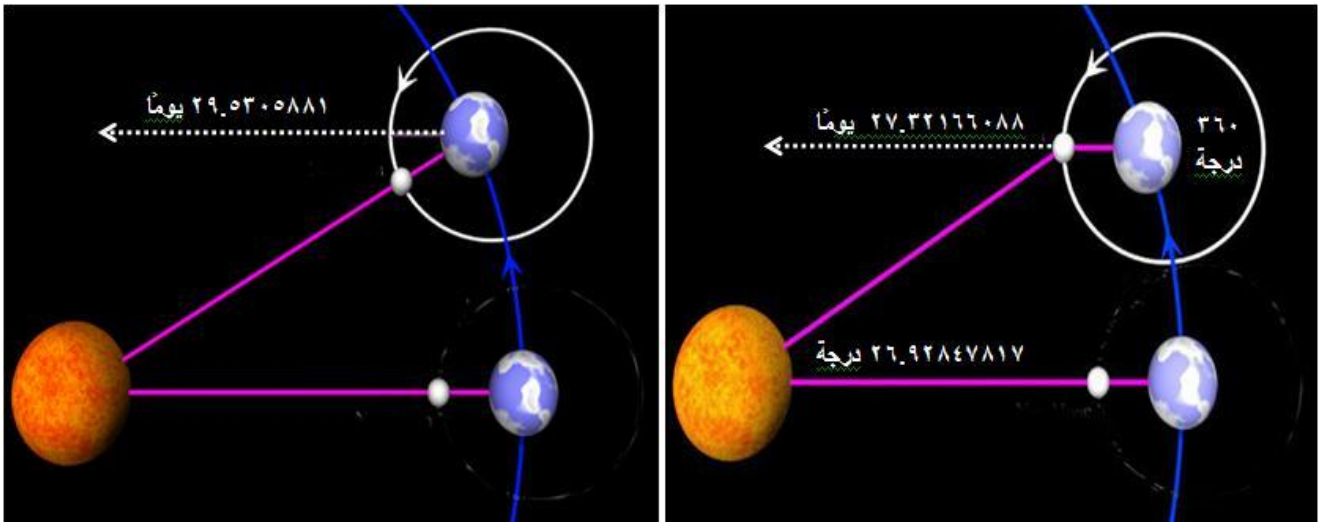

ومعلوم فلكيًّا أن القمر يتم دورته بالنسبة للنجوم Sidereal Month في: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا، بينما الشهر القمري Synodic Month: ٢٩,٥٣٠٥٨٨١ يومًا، والزيادة ناتجة عن تحرك الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها، واليوم بالمثل بالنسبة للنجوم: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية، والزيادة كذلك ناتجة كذلك عن تحرك الأرض أثناء حركته حولها.

[٧٩٧] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١٦\ ٤٠).

[٧٩٨] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١٧\ ٢٠٩).

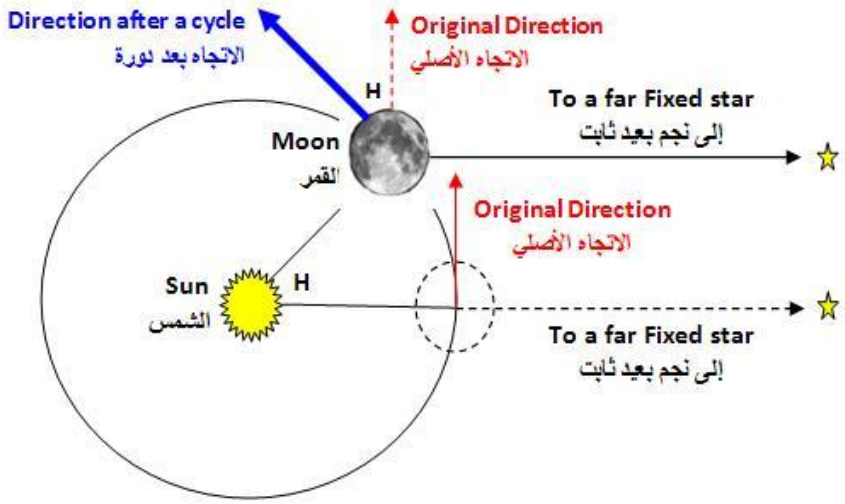

ومعلوم فيزيائيًّا أن جميع قوانين حركة الأجسام؛ لا تكون ثابتة إلا في نظام معزول عن التأثيرات الخارجية، وأن أي تأثير خارجي على حركة جسم يُكسبه تسارع Acceleration؛ ينعكس إما على تغير سرعته أو اتجاهه، وبالنسبة للنجوم يكتسب القمر كل دورة حول الأرض زاوية حول الشمس: ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي: ٢٧) درجة[٧٩٩]، وتغير اتجاهه إذن بالنسبة لنجم بعيد ثابت كل دورة حول الأرض يعني اكتساب قيم حركته المرصُودة فلكيًّا نسبة تسارع، وبتحليل مُركبة مُتوسط سرعته المدارية إذن في الاتجاه الأصلي بعد دورة حول الأرض تتعين نسبة سرعته المُجردة[٨٠٠]: ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣[٨٠١]؛ حوالي: ٨٩% من متوسط سرعته المدارية، والنسبة المُتبقية: ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧ (حوالي ١١%)؛ هي النسبة التي تجعل مداره بيضاوي Ellipse، أي ضعف قيمة نقصان الاستدارة Eccentricity (e)؛ حوالي: ٠,٠٥٥، فهي إذن تُمثل الزيادة الظاهرية نتيجة حركته مع الأرض حول الشمس، حيث تُكافئ النسبة (2e) التي تجعل مداره بيضاوي، وتُكافئ النسبة التي ينبغي استبعادها لتتحقق دورته الحقيقية المُجردة؛ كما لو كانت الأرض ساكنة كما يعدون، وإذن الشرط المُذهل: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ قد أوجز المعايير الفلكية والفيزيائية لإقامة علاقة ثابتة منذ نشأة النظام الأرض قمري، وبذلك تتحقق المساواة بين المسافة التي يقطعها الضوء في يوم والمسافة التي يقطعها القمر بحركته المُجردة في ألف سنة؛ أي أن سرعة الضوء غير لحظية وإنما مُقدرة وقيمتها دومًا ثابتة؛ ولا تتجاوز في يوم مسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة.

قال النابلسي: "القرآنَ يُخاطِبُ أناساً يعتمدون السَّنَةَ القمَريةَ، حيث إنّ القمرَ يدورُ حولَ الأرضِ كلَّ شهرٍ دورةً..، (وقد) عرفنا المسافةَ التي يقطعُها القمرُ منَ الكيلومترات في رحلته حول الأرض في العامِ، ولو ضربناها في ألفٍ لعرَفْنا ما يقطعُه القمرُ في رحلتِه حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ..، (و) القمرَ يقطعُ في ألفِ عامٍ ما يقطعه الضوءُ في يوم واحدٍ، بدليلِ أنّنا لو قَسمنا ما يقطعه القمرُ في رحلته حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ على ثواني اليومِ؛ لكانت هذه النتيجةُ هي سرعة الضوء في الثانية، وهي مائتان وتسعة وتسعون ألفاً وسبعمائة واثنانِ وتسعونَ كيلومتراً ونصف كيلومتر؛ وهذه النتيجةُ تتفقُ تمامًا مع سرعةِ الضوءِ..، مع العلمِ أنّ سرعةَ الضوءِ هي أهمُّ قانونٍ عرفتهُ البشريةُ في القرنِ العشرين، وهذه السرعةُ هي أعلى سرعةٍ في الكون..، (وباختصار:) المسافةَ التي يقطعُها القمرُ في مدارِه الخاص حولَ الأرضِ في ألفِ سنةٍ قمريةٍ؛ تساوِي المسافةَ التي يقطعُها الضوءُ في يومٍ أرضيٍّ واحدٍ"[٨٠٢].

---

[٧٩٩] السنة النجمية: ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يوما، إذن الزاوية التي تغير اتجاه القمر بالنسبة لنجم بعيد كل دورة = (شهر نجمي\سنة نجمية) × ٣٦٠ = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي ٢٧) درجة.

[٨٠٠] أ.د. منصور محمد حسب النبي (رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس)؛ الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار الآفاق العلمية بالقاهرة؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ص١٠٦).

[٨٠١] جيب تمام (جتا) ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ = ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣.

[٨٠٢] محمد راتب النابلسي؛ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١\ ٢٢).

وباختصار: شرط القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ المذكور بإصرار لوصف الألف سنة، عائد على معنى الألف سنة في السياق، قال القرطبي: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ.. (أي) لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ"[٨٠٣]، وقال القاسمي: "ألف سنة من سنيكم"[٨٠٤]، وقال أبو حيان: "(و) السَّنَةَ الْمُعْتَبَرَةَ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ هِيَ السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ، وَهَذَا الْحُكْمُ فِي الْقُرْآنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٠يونس:٥"[٨٠٥]، والشرط: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ يفرض حساب حركة القمر وفق ما يعدون مُستبعدين حركته حول الشمس ونسبة تغير بعده (2e) التي تجعل مداره بيضاوي، وباستبعادها يتحقق القياس بالفعل في نظام حسابي افتراضي في معادلة كلا طرفيها في نظام معزول، وبالتالي تظل العلاقة ثابتة بين المسافة التي يقطعها الضوء في يوم والتي يقطعها القمر في مداره بسرعته المجردة.

قال ابن عجيبة: "إن سرعة.. أكثر من سرعة..، كما يقول القائل: من موضع كذا إلى كذا مسيرة شهر للفارس وشهرين للراجل؛ وعليه يخرج قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)"[٨٠٦].

والسرعة الوسطية للقمر حوالي: ١,٠٢٣ كمثانية[٨٠٧]، والقيمة: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كم\ ثانية تُحقق قيمة سرعة الضوء المُعتمدة عالميًّا منذ عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية[٨٠٨]؛ حيثُ أن مسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة بالنسبة للنجوم = (١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ × ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ ×٨٦٤٠٠) ×(١٠٠٠×١٢) ×(٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣) كم = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم، واليوم بالنسبة للنجوم = ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ إذن قيمة سرعة الضوء = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم\ ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية = ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية، وهي نفس القيمة المُعتمدة فيزيائيًا، بينما القيمة التقريبية المُستخدمة عمليًّا في القياسات الفلكية هي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية.

قال الألوسي: "وإن لم تبعُد هذه السُّرعة.. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء؛ وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير"[٨٠٩]، وقال محمود شكري حفيد الألوسي: "(وإن) من (النجوم).. مَا لَا يصل نُورَهُ إِلَى الأَرْض فِي مئة سنة بل أَكثر؛ مَعَ شِدَّة سُرعَة الضَّوْء"[٨١٠]، ولم يكن لبشر حين نزل القرآن الكريم أن يُدْرِك أن سرعة الضوء لا نهائية ليجازف مُتَحَدِّيًا ويجعل سرعة الانتقال في الكون محدودة؛ بل ويقدرها بسير القمر أقرب الجيران وأنيس العرب؛ حتى أنهم جعلوا موعد الهلال أساس تقدير السنة، قال ناصر مكارم: "هذا يدلّ أنّ تعابير القرآن إلى أيّ مدى عميقة؛ وذات معنى غزير، وفي طيّات تعابيره حقائق كامنة؛ إذا لم يُقَدَّر لها أن تُعرف في عصر نزولها فإنّها تتجلّى بمرور الزمان"[٨١١].

وقد صاغ ماكس بلانك أقل مسافة لموجة (١٠قوة-٣٨ كم) وأقل زمن لحدوثها (١٠قوة-٤٣ ثانية)؛ باعتبار سرعة الضوء ثابتة منذ بدء الخلق (١٠قوة٥ كم\ ثانية)، واعتبرت تلك خصائص اللبنة الأساسية الواحدة للكون كله في المفهوم التوحيدي الحديث مثل فكرة الوتر الفائق، وخطى أينشتاين خطوة ضخمة بتوحيد المادة والطاقة بنفس سرعة الضوء ثابتة القيمة ($E = mc^2$)، فإذن قيمة سرعة الضوء هي المعيار لتحول القوى إلى مواد لتشيد الذرات والمجرات؛ وهي سرعة جميع القوى في الكون، قال القاسمي: "﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾.. لا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها.. ما عنده تعالى من المقدار"[٨١٢]، وثبات التقدير بسرعة واحدة ثابتة في الكون كله وعلى طول تاريخه؛ برهان ساطع يشهد للفطين بوحدانية المُبدع القدير.

---

[٨٠٣] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤\ ٨٧).

[٨٠٤] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٧\ ٢٥٣).

[٨٠٥] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (٥\ ٤١٤).

[٨٠٦] العباس أحمد بن عجيبة الحسني النطواني المتوفى سنة ١٢٦٦هـ؛ تفسير ابن عجيبة البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المكتبة الشاملة (١٤\ ٣٨٧).

[٨٠٧] Laros Astronomy, p.142.

[٨٠٨] Oxford Encyclopaedia, p316.

[٨٠٩] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٥\ ٦٥).

[٨١٠] أبو المعالي محمود شكري الألوسي؛ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي لبنان، الطبعة الثانية؛ ١٣٩١هـ- ١٩٧١م (١\ ٤١).

[٨١١] نَاصِر مَكارم الشِيرازي؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل، الموقع الرسمي للمؤلف (١١٧\ ٢٧٣).

[٨١٢] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٧\ ٢٥٢).

الوظائف الدلالية للشرط (مِمَّا تَعُدُّونَ):

في القياس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، النسبة للعرب تجعل السنة بحركة القمر حول الأرض ليتم ١٢ دورة ظاهرية على ما كانوا يعهدون، وشرط تحقق القياس (مِمَّا تَعُدُّونَ) عائد على معنى (أَلْفَ سَنَةٍ) في السياق؛ وهو قطع القمر لمسافة بحركته الفلكية، والتعبير (تَعُدُّونَ) جامع لمعنى الإحصاء والعدد؛ ومعنى التوهم والظن، مثل: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ ٣٨ص:٦٢؛ ووفق نموذج مركزية الأرض Geocentric System كان مُعتقدهم بحسب النظر بالعين المجردة من سطح الأرض؛ أنها ساكنة لا تدور حول الشمس، وأن القمر يدور حولها فحسب؛ ولا يدور معها حول الشمس، فأفاد التعبير (مِمَّا تَعُدُّونَ) إذن بأصل وضعه اللغوي بأن ما يتوهمُون ويظُنون من الحركات الفلكية لا يُطابق الواقع، وطابقت الدلالة المفهُوم الفلكي الحديث؛ في أن القمر بخلاف ما يظُنون يدور حول الشمس مع الأرض أثناء دورانه حولها.

وكما تُحَدَّد حركة السفن في البحر بنسبتها إلى نقطة ثابتة على الشاطئ؛ تُحَدَّد حركة القمر بالنسبة لنجم ثابت، والإصرار إذن على إجراء الحساب وفق ما يعدون من سكون حركة القمر حول الشمس ليتحقق القياس؛ لا يكون إلا بالنسبة لنجم ثابت، فهو إذن إجراء افتراضي لحساب المدة الحقيقة لدورة القمر حول الأرض؛ ودورتها حول نفسها بالنسبة لنجم ثابت.

الشهر بالنسبة لنجم بعيد ثابت يقل عن الشهر القمري بحوالي يومين؛
ويكافئ الفترة من هلال بداية الشهر إلى هلال آخر الشهر بدون فترة المحاق.

والشهر الحسابي ليتم القمر دورة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة لنجم في منازله النجمية يقل عن الشهر القمري المرصُود بحوالي يومين؛ والزيادة الظاهرية ترجع فلكيًّا لتحرك الأرض في مدارها حول الشمس أثناء دورته حولها، وبيانه: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ٣٦يس:٣٩، فالنسبة للمنازل النجمية، والعرجون القديم تشبيه لهلال آخر الشهر بالشمروخ اليابس حامل التمر، ودورة القمر بالنسبة لنجم: من هلال أول الشهر إلى هلال آخره بدون المحاق، قال الألوسي: "القمر يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يومًا وثلث يومًا"[٨١٣]؛ وقاله أيضًا أطفيش[٨١٤]، وقال العاني: "المنازل سبعة وعشرون وثُلث"[٨١٥]، وبنسبة حركة الأرض حول نفسها بالنسبة لنجم بعيد كذلك؛ يقل اليوم بحوالي أربع دقائق.

---

[٨١٣] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٦\١٢).

[٨١٤] محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش، تفسير أطفيش تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٨\ ٣٦١).

[٨١٥] عبد القادر بن ملّا العاني؛ بيان المعاني، مطبعة الترقي بدمشق، الطبعة الأولى؛ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م (١٢\ ٤٢).

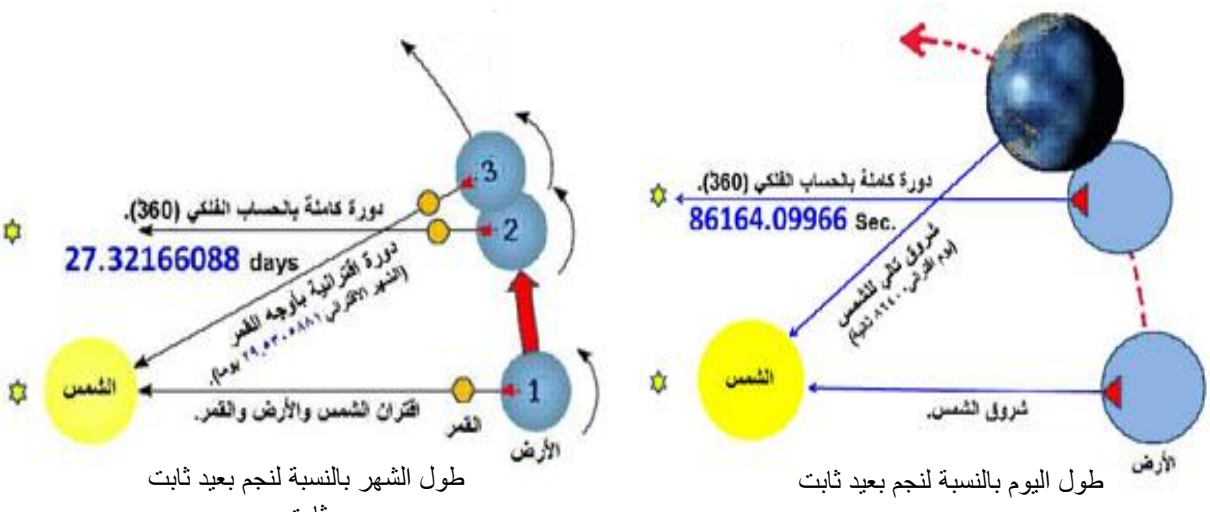

طول اليوم بالنسبة لنجم بعيد ثابت

طول الشهر بالنسبة لنجم بعيد ثابت

فهناك إذن فارق بين الحركة الفلكية الظاهرية اعتمادًا على الرصد؛ وبين حساب الحركة الفعلية قياسًا على المنازل النجمية، وهو مُقتضى التعبير الجامع: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠يونس:٥، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٧الإسراء:١٢، وحرف (الواو) يُميز بين عدد السنين القائم على الحركة الظاهرية للشمس والقمر لعامة الناس؛ وبين الحساب الفلكي لحقيقة الحركة لأهل الاختصاص.

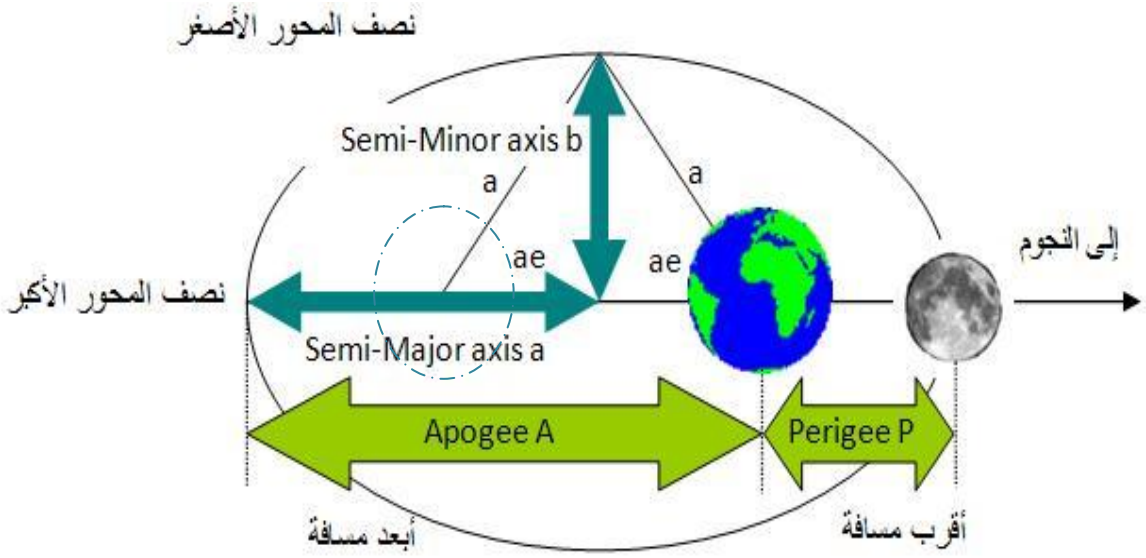

والقمر في الواقع مُتغير السرعة والبُعد عن الأرض؛ وكلما اقترب يزداد حجمه لكون مدارُه بيضاوي (قطع ناقص) Ellipse ذو بؤرتين[٨١٦]، وليس دائرة ذات مركز واحد، ومتوسط درجة انحراف كل بؤرة عن الدائرة Eccentricity (e) (ae/a) حوالي: ٠,٠٥٥[٨١٧]، ومعدل التغير Variation Ratio كل دورة في متوسط البعد أو السرعة (2ae/a = 2e) حوالي: ١١%، ولذا في كل دورة تتغير درجة سطوع القمر بنسبة حوالي: ١١%[٨١٨]؛ ويتغير حجم قرصه بنسبة حوالي:

---

[٨١٦] في المدار البيضاوي أو القطع الناقص؛ مجموع بُعد أي نقطة على المدار عن البؤرتين يبقى ثابتا.

[٨١٧] Chong-Hung Zee; Theory of Geostationary Satellites, Library of Congress, Chapter 4: Sun and Moon effect; 1988 (86).

[٨١٨] http://aa.quae.nl/en/antwoorden/maan.html

١١%[٨١٩]، وهي نسبة لا تكفي كي تلاحظها العين المجردة؛ ولذا كانت في عُرف القدامى قبل القرن السابع عشر في حُكم المُستبعدة، وأول من أدرك بيضاوية مدارات الأجرام السماوية هو يوهانز كيبلر Johannes Kepler (١٥٧١-١٦٣٠).

مقطع بيضاوي في ثمرة خيار

مقطع دائري في ثمرة خيار

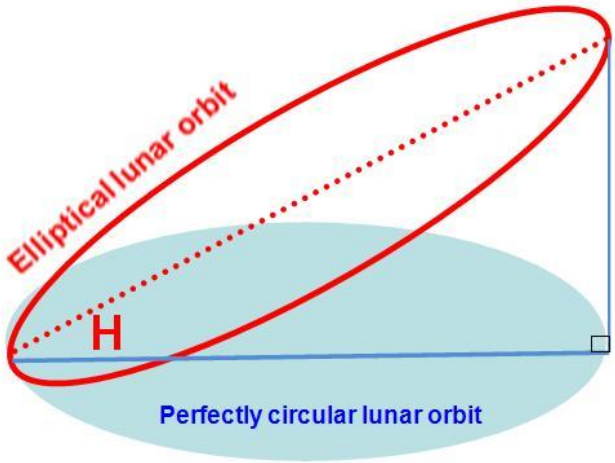

المدار البيضاوي المرصُود فلكيا

المدار الدائري الافتراضي في النظام المعزُول

The perfectly circular orbit of the moon in the isolated earth-moon system is the projection of the astronomically based elliptical one.

المدار الدائري الافتراضي للقمر في النظام المعزول مسقط المدار المرصود فلكيا.

والمدار الدائري الافتراضي للقمر في النظام المعزول أشبه بمقطع عرضي دائري في ثمرة خيار؛ أما القطاع البيضاوي فينتج بقطع الثمرة بميل بنفس الزاوية التي يقطعها القمر حول الشمس كل دورة، أي أن المدار الدائري هو مسقط المدار المرصود.

[٨١٩] https://www.lhup.edu/~dsimanek/3d/moonillu.htm

ولو كان مدار القمر كامل الاستدارة Perfectly Circular Orbit كما كانوا يعُدون؛ فستكون سرعته بحركته الذاتية حول الأرض الساكنة ذات قيمة ثابتة على كل نقاط المدار وخالية من نسبة التغير: 2e، وستكون مُتعامدة دومًا على القُطر؛ وستكون الزاوية التي يقطعها القمر حول الشمس كل دورة: صفر، أي أن مركبة سُرعته بعد دورة لم يتغير اتجاهها الأصلي (جتا صفر = ١)، وكأن حركته بالنسبة لنجم في خط مستقيم؛ أي في نظام معزول Isolated System عن التأثير الخارجي.

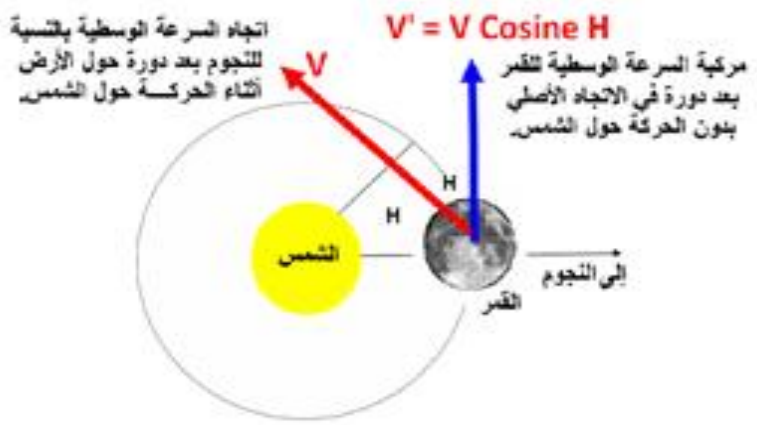

والمدار المرصُود فلكيًّا للقمر وهو يدور مع الأرض حول الشمس ليس دائريًّا؛ وتُعاني معايير حركته من نسبة تغير (2e)، وبالنسبة لنجم يقطع حول الشمس زاوية (H) قدرها: (شهر نجمي\ سنة) × ٣٦٠ = (١٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ \ ٣٦٥,٢٥٦٣٦) ×٣٦٠ = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي ٢٧) درجة، أي أن سُرعته بعد دورة قد تغير اتجاهها بالنسبة للنجم بنفس الزاوية، والمعلوم فيزيائيا أن السرعة مُتجه Vector كالقوة؛ لا يتغير اتجاهها ولا قيمتها في النظام المعزول إلا باكتساب تسارع Acceleration نتيجة تأثير خارجي[٨٢٠]، ويُمكن استبعاد نسبته من السرعة الوسطية بتحديد نسبة مُركبة الزاوية في الاتجاه الأصلي بعد دورة (جتا ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ = ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣)[٨٢١]، والنسبة المُتبقية (2e): ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧ (حوالي ١١%)؛ تُمثل الزيادة الظاهرية نتيجة حركة القمر مع الأرض حول الشمس، وهي تُكافئ النسبة التي تجعل مداره بيضاوي Ellipse، وتُكافئ النسبة التي ينبغي استبعادها لتتحقق دورته المُجردة؛ كما لو كانت الأرض ساكنة كما كانوا يعدون.

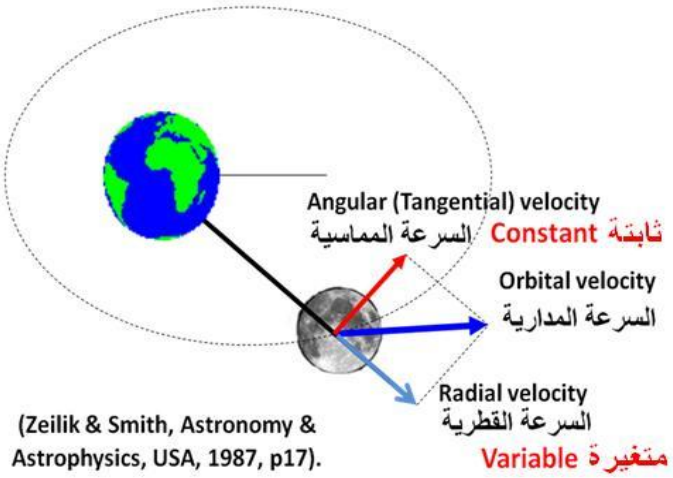

وبتحليل السرعة المدارية Orbital Velocity عند أي نقطة على مدار القمر؛ تنتج مركبة في اتجاه القطر تخضع للتغير من نقطة لأخرى وتسمى السرعة القطرية Radial Velocity، ومركبة متعامدة على القطر تصنع معه زاوية قائمة وتسمى السرعة الزاوية Angular Velocity، وهي السرعة الأمامية العاملة بالنظام الأرض قمري المعزول؛ وقيمتها ثابتة عند كل نقاط المدار باعتبارها مماسية، ولذا تسمى أيضًا السرعة المماسية Tangential Velocity (Zeilik & Smith; P17)[٨٢٢].

---

[٨٢٠] http://www.physicsclassroom.com/class/circles/Lesson-1/Acceleration
http://www.studyphysics.ca/newnotes/20/unit01_kinematicsdynamics/chp04_acceleration/lesson10.htm

[٨٢١] أ.د. منصور محمد حسب النبي (رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس)؛ الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار الآفاق العلمية بالقاهرة؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ص١٠٦).

[٨٢٢] Zeilik & Smith; Astronomy & Astrophysics, USA, 1987, p.17

وقيمة السرعة الوسطية في المدار المرصود للقمر حوالي: ١,٠٢٣ كم\ ثانية[٨٢٣]، والقيمة: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كم\ ثانية تُحقق القياس؛ حيث تكون السرعة المُجردة للقمر في النظام الأرض قمري المعزُول: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ × ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣ = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ كم\ ثانية، وهي قيمة افتراضية استنتاجيه مرجعها مُتوسط السرعة في المدار المرصود؛ يفرضها شرط تحقق القياس باعتبار سكون الحركة حول الشمس: (مِمَّا تَعُدُّونَ)، ويُمكن الحصول على نفس النتيجة باستبعاد نسبة التغير (2e): ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧؛ من قيمة السرعة الوسطية للقمر.

وزمن دورة للقمر بالنسبة لنجم: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية = ٢٣٦٠٥٩١,٥ ثانية؛ إذن المسافة المُجردة التي يقطعها كل دورة: السرعة المجردة × زمن دورة = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ × ٢٣٦٠٥٩١,٥ = ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ كم؛ وفي ألف سنة (١٢ ألف دورة): ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ × ١٢٠٠٠ = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم، إذن قيمة سرعة الضوء = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم\ ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية = ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية[٨٢٤]، وهي نفس القيمة المُعتمدة فيزيائيًا، بينما القيمة المُستخدمة عمليًّا في القياسات الفلكية هي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية[٨٢٥].

وليس الغرض بلوغ القيمة المُتفق عليها فيزيائيا عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس؛ خاصة أن جميع معايير حركة القمر حول الأرض وسطية بناء على الرصد لمدد طويلة، وليست بدقة قيمة سرعة الضوء؛ بل وحتى قيمة سرعة الضوء نتيجة إحصائية لعدة قياسات، وقد تكون أعلى قليلا في الفضاء أو الفراغ التام، ولكن الغرض هو التدليل على أن علاقة اليوم والألف سنة في بيان سرعة قُصوى مُقدرة، وأنها مُدَّخَرَة كآية في عصر العلم على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته.

ولم ينتهي دور القيد (مِمَّا تَعُدُّونَ) عند حد تجريد مدار القمر من الزيادة الظاهرية المُتضمنة نتيجة الحركة حول الشمس؛ وإنما يُقيم علاقة ثابتة كلا طرفيها في نظام معزول: الحركة المُجردة للقمر حول الأرض والقيمة الثابتة لسرعة الضوء بالفراغ، وهي تكشف وحدة الأرض والقمر مع الشمس في الأصل ومادة التكوين ونظام الحركة منذ نشأة النظام الأرض قمري، لأن السرعة الابتدائية تظل محفوظة في نظام حركة التابع حول المتبوع؛ طالما ظل معزولاً عن التأثير الخارجي.

والدلالة الضمنية كذلك أنه بخلاف ما يعدون بالعين المجردة؛ مدار القمر بيضاوي ذو بعد أكبر، وكذلك كل الأفلاك؛ لأن (مِمَّا تَعُدُّونَ) تعني من ضمن عَدِّكُم أو الذي تَعُدُّون؛ فتشمل كل ما يتصورون ويتوهمون من الحركات الفلكية، ونظيره التعبير التصويري: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ ٤٣الزخرف:٣٨، حيث يستقيم حملهما على المسافة بين أبعد نقطتين في المدار البيضاوي للأرض حول الشمس؛ وتكافئ البعد الأكبر، فتأمل كيف أدى شرط القياس (مِمَّا تَعُدُّونَ) على بساطته جُملة وظائف دلالية؛ باعتبارها براهين على التقدير ووحدانية القدير!.

---

[٨٢٣] Laros Astronomy, p.142.

[٨٢٤] http://www.speed-light.info/

[٨٢٥] موسوعة أكسفورد ص٣١٦.

[٢] تاريخ مجيد على درب التوحيد

حقق العلم قفزات هائلة لمعرفة طبيعة الكون وتطوره؛ فانتهى إلى التوحيد في البنية والنظام، في عام ١٦٧٦ نجح أولاس رومر Olas Roemer من تقديم أول دليل على أن سرعة الضوء محدودة غير لحظية وإن كانت هائلة، وفي عام ١٦٨٧ توصل إسحاق نيوتن Isaac Newton إلى قوانين حركة الأجسام ومفهوم الجاذبية كقوة واحدة تفسر سقوط تفاحة تجذبها الأرض كما تفسر جذب القمر نحوها فتمنع قوة الطرد المركزي سقوطه لِتَزَايِد سرعته كلما اقترب، وكأن الجاذبية تدفعه للحركة كسقطات متوالية، وبالمثل يجب أن تكون كل الأجرام السماوية حيث يتبع التابع الجسم المركزي ذي الكتلة الأكبر على بعد يحدده قانون الجاذبية؛ وبهذا توحدت الأرض والسماء وتأسست الفيزياء الكلاسيكية.

وفي عام ١٩٠٠ توصل ماكس بلانك Max Planck إلى أن الموجات تصدر عن الذرة بهيئة كميات متساوية متقطعة أجزاء متعاقبة سميت كمات Quanta؛ وسمى أقل مقدار للكم من الطاقة يثابت بلانك Planck Constant، وسمى أقل مسافة للكم الضوئي أي الذي تقطعه وحدة الضوء الفوتون Photon بمسافة بلانك Planck Distance؛ ومقدارها بالتقريب: ١٠ قوة -٣٨ كم، والزمن الذي لا يوجد أقل منه ويستغرقه الفوتون لينتقل بسرعة الضوء مسافة تعادل مسافة بلانك يُسمى بزمن بلانك Planck Time؛ وقيمته بالتقريب: ١٠ قوة -٤٣ ثانية، وتوصل بلانك كذلك إلى أن الموجات الكهربائية ما هي إلا وجه للمغناطيسية؛ فوحدهما معا تحت مُسمى الموجات الكهرومغناطيسية.

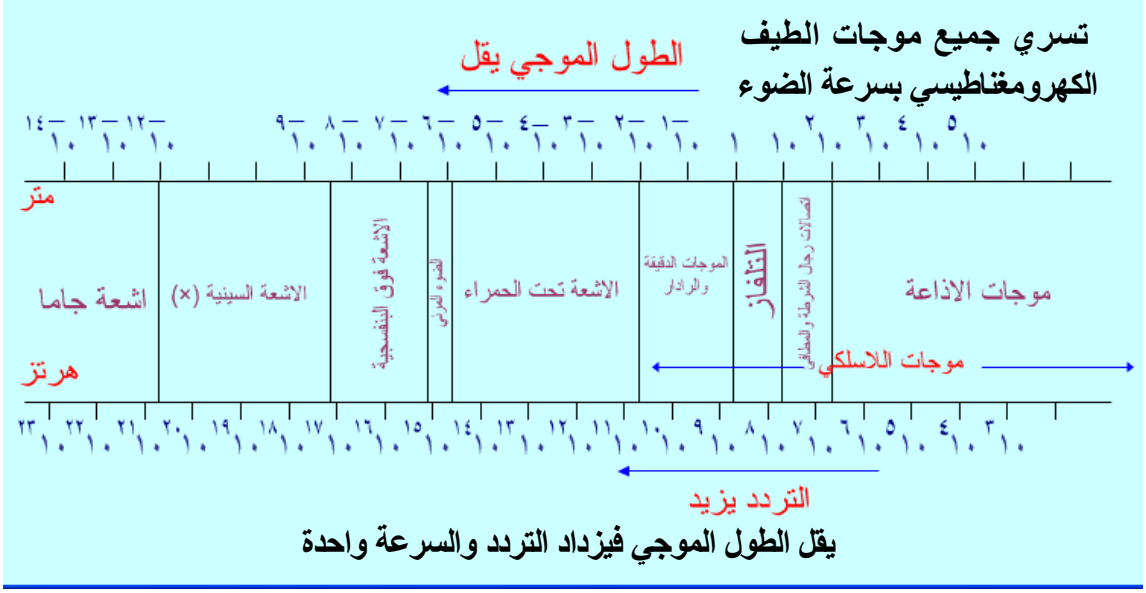

وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein مفاهيم النسبية الخاصة نافيًا وجود سكون في الكون لتنسب إليه حركة جسم فالكل يتحرك؛ لذا تُنسب حركة الجسم لآخر متحرك، إذن حركة كل الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المُطلقة Absolute فسُميت الثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، لأنها ثابتة مهما تحرك أي مراقب أو سكن، وهي سرعة الطيف الكهرومغناطيسي كله ويجب أن تكون سرعة أمواج الجاذبية كذلك، وكلما تزايدت سرعة جسم ذو كتلة لتقترب من سرعة الضوء تزايدت الكتلة وتضاءل طوله وقل الزمن، ومع بلوغ سرعته قيمة سرعة الضوء تُصبح الكتلة لا نهائية ويتلاشى الطول ويتوقف الزمن؛ لذا لا يبلغها سوى جسيم بلا كتلة، والموجة تنتقل عبر الفضاء بسرعة غير لحظية لا تتجاوز سرعة الضوء؛ وإذا اختفت الشمس كافتراض فجأة فلن نشعر في الأرض بالأثر لحظيًّا وإنما بعد دقائق بسبب سرعة الانتقال المحدودة، والعلاقة بين الكتلة وحركة جسيم بسرعة الضوء (c) ليتلاشى ويتحول إلى طاقة حرة لعلها قد استوحت فكرة أن الكتلة Mass (M) ما هي إلا طاقة Energy (E) مُكَدَّسَة مُجَسَّدَة، فأمكن التوصل إلى أنه يُمكن تحويل كتلة جسم M إلى طاقة E والعكس وفق علاقة ثابتة ($E = Mc^2$).

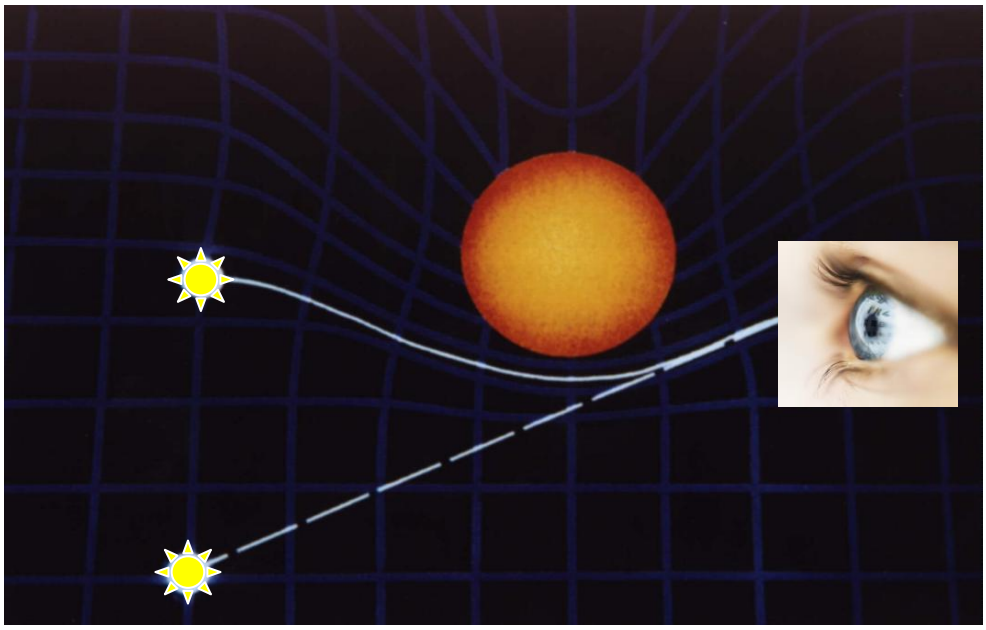

وفي عام ١٩١٥ نشر ألبرت أينشتاين نظرية النسبية العامة General Relativity؛ وطرح فيها فكرته الجريئة بإضافة الزمان كبعد رابع إلى أبعاد المكان (الطول والعرض والارتفاع)؛ لجعل طبيعة الفضاء نسيج زمكاني أشبه بشبكة الصيادين، فالمكان والزمان مرتبطان وكليهما نسبيان فضمهما أينشتاين معا بمصطلح الزمكان Space-Time تعبيرًا عن الفضاء؛ ويُحْدِث فيه كل جرم تقعرًا حسب ثقله، فالتقعر الذي تُحدثه الشمس في النسيج الكوني المَرِن أكبر من التقعر الذي تحدثه الأرض؛ فيؤدي لدورانها حول الشمس في أطراف التقعر الكبير الذي أحدثته على النسيج، فالنسيج الكوني المُنحني يفرض على الأرض بسبب الشمس أن تسير وفق ذلك الميلان فتبدو أنها مشدودة للشمس بقوة الجاذبية، والأرض إذن لا تدور حول الشمس لأنها تطلق قوة لتمسك بها؛ بل لأنها تسير في منحنيات النسيج الكوني، والفضاء المنحني Curved Space يُجْبِر مَسَار ضوء نجم يمر بجوار كتلة كبيرة كالشمس أن ينحني؛ وتحققت النبوءة برصد تقارب البُعد بين نجمين عند الكسوف لانحناء الضوء نحو الشمس، هذه المفاهيم هي أساس الفيزياء الحديثة.

وفي عام ١٩١٦ قدم كارل شوارتزشيلد Karl Schwarzschild فكرة الثقوب السوداء Black Holes استنادًا على مفهوم نسيج الفضاء الكوني الذي ينحني تحت تأثير الكتلة، فاقترح أن كتلة كبيرة ككتلة نجم ضخم إذا تكاثفت في مكان صغير فإنها ستحني النسيج الكوني لدرجة لا تسمح لشيء بالهروب من جذبه ولا حتى الضوء، وبقي الاعتقاد أنها مجرد نظرية؛ إلى أن تم رصد مادة مُتوهجة كأنها تُبتلع حول مناطق غير مرئية كمركز مجرتنا، فكسبت فكرة الكون المنحني مزيدًا من التأييد؛ وأعطت إيحاءً باحتمال أن الكون كان بالمثل في حيز ضئيل وتمدد.

وفي عام ١٩٢٢ اقترح ألكسندر فريدمان Alexander Friedmann فرضية تمدد الكون استنادًا لطبيعة النسيج الكوني وفق مفهوم النسبية العامة، وفي عام ١٩٢٧ أعطى جورج لومتر Georges Lemaître فرضية امتداد الكون من نقطة أولية كثيفة اسم: "افتراض الذرة الأولية"، وفي نفس العام أطلق عليها فريد هويل Fred Hoyle ساخراً في برنامج إذاعي في محطة B.B.C. الاسم الذي شاع لاحقًا: الانفجار الكبير Big Bang؛ لأنه كان يرفض أن للكون بداية، وقدم عام ١٩٤٩ مع توماس غولد وهيرمانبوندي نظرية الكون الأبدي أو الحالة الدائمة Steady State theory.

وفي عام ١٩٢٩ اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble أن المجرات البعيدة في طيف الضوء القادم منها منزاحة نحو الجانب الأحمر مما يعني أنها في ابتعاد تتناسب سرعته مع البعد وفق ثابت سمي بثابت هابل؛ كحالة صفير قطار تتضاغط الموجات بقدومه فيصبح حادًّا وتتخلخل مع ابتعاده وتسمى ظاهرة دوبلر Doppler phenomenon، فاستُنتج أن الكون قبل تمدده كان في الماضي منحصرًا في نقطة ضئيلة كثيفة يعكس شدة حرارتها إشعاع مميز؛ رصده أرنو بنزياس وروبرت ويلسون عام ١٩٦٤ من كل جهة فسمي الخلفية الإشعاعية Background Radiation، وتأكد أن للكون بداية وعمر محدود، وصحة التوسع والانتفاخ Inflation كالبالون؛ وإن شاع باسم الانفجار الكبير.

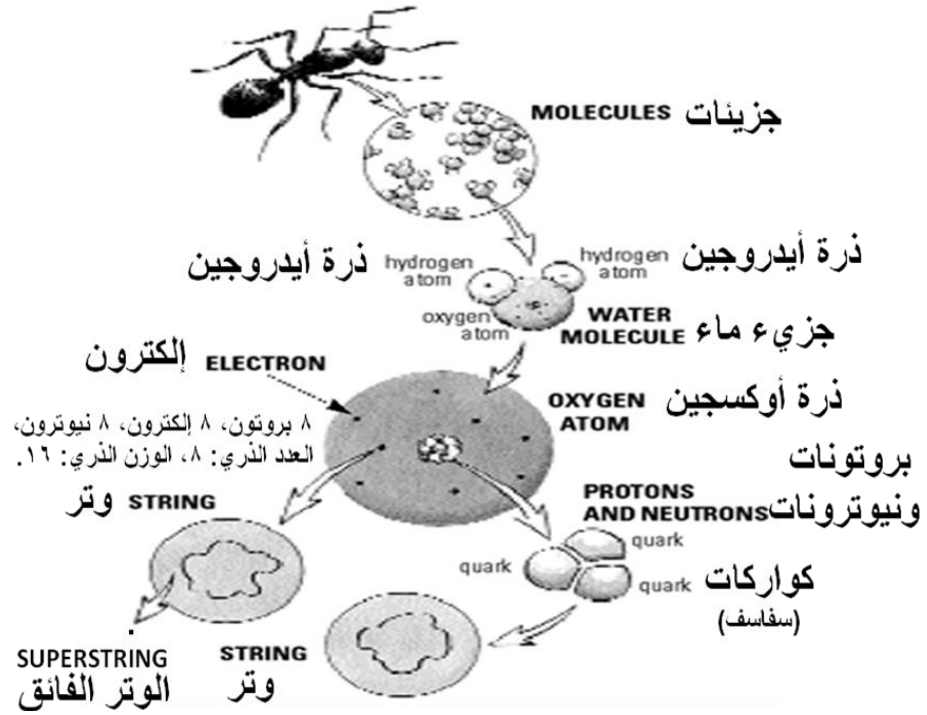

وفي عام ١٩٦١ اقترح موري غيل وكازوهيكو نيشيجيما أن النيوترونات والبروتونات الجسيمان الرئيسيان في نواة الذرة ليسا أقل شيء لا ينقسم؛ وإنما مصنوعان من لبنات سميت كواركات Quarks؛ أي سفاسف وهشاشات، وإذا ذهبنا بالمثل في أعماق الكوارك باتجاه الضآلة سنجد ما هو أقل منه، أي نتفه أو ندفة واحدة مهتزة من الطاقة بمقاييس بلانك في ضآلة الطاقة وزمن الاهتزاز والطول؛ أشبه بخيط أو بالأحرى وتر موسيقي متناهي الضآلة يهتز، وهكذا ظهرت الفكرة بأن بنية كل شيء أوتار تهتز؛ وأن منها ما يتشكل حلقات مُترابطة كنسيج القمصان المعدنية، وعلى هذا فدلالة كلمة الحبك على النسيج في وصف الكون لا تختص بالمستوى الكبير فحسب وإنما بنية جميع الذرات.

وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي طَوَّرَ جون شوارتز ومايكل غرين نظرية الأوتار Strings Theory، وفي خطوة أخرى نحو التوحيد Unification؛ قام إدوارد ويتن Edward witten في أواسط الثمانينات بتعديلها وأطلق عليها اسم نظرية الأوتار الفائقة M-Theory، وهي تجمع بين مجال ميكانيكا الكم في مجال الذرة والنسبية في المجال الكبير؛ وتُوَحِّد بين القُوَى والمواد وتصف المادة على أنها حالات اهتزاز متباينة لوتر أساسي واحد؛ كما يُعطي وتر الكمان أنغام مُتباينة باختلاف طوله، أي أن كل ما في هذا الكون من مادة أو طاقة أو شحنات هو في الواقع أوتار لكنها مهتزة بطرق مختلفة؛ وكأن الكون عبارة عن أنشودة مُتقنة مُوحدة الإيقاع وباختلاف اهتزاز الأوتار ينشأ تنويع لا يُعرف حَدُّه من بديع الكلمات، فتهافت الفيزيائيون عليها وسُميت نظرية كل شيء Theory of Everything، وكل تلك التسميات محاولات ضمن النموذج القياسي Standard Model المُستقر منذ عام ١٩٧٠ لفهم طبيعة الكون؛ والقائم على أن للكون بداية محددة في ظروف حرارة شديدة بردت مع التوسع فنشأت تنويعات الذرات وطبقات الأجرام.

ووفق النموذج القياسي تتكون المادة من كواركات هي لبنات البروتونات والنيترونات؛ في حين أن عائلة الليبتونات تضم مع الإلكترونات ما يُعرف باسم الإلكترون نيوترينو Electron Neutrino، وهو جسيم أولي لا يملك شحنة وكان قد افترض وجوده فولفغانغ باولي عام ١٩٣٠؛ واكتشفه فريق بقيادة فريدرك راينس وكلايد كوان عام ١٩٥٦، أما القوى الأربعة فهي الجاذبية Gravity والكهرومغناطيسية Electro-Magnetism والقوة النووية القوية Strong Force التي تقوم بضم مكونات نواة الذرة ومنعها من التبعثر بمعادلة أثر تنافر البروتونات الموجبة الشحنة، والقوة النووية الضعيفة Weak Force التي تقوم بكبح جماح أنوية الذرات الثقيلة المُشعة من الانشطار الذاتي فجأة.

وهكذا انتهت ملحمة الفيزياء إلى توحيد كل شيء في البنية والنظام من أصغر لبنة في الذرة إلى اللبنات العظام التي شيدت الكون؛ من المجموعة الشمسية إلى آخر أفق الكوازارات، فما نُسميه فضاء هو مجالات مادية طرائق صنعتها حولها كتل الأجرام الكونية، والفضاء إذن ليس فراغًا، وبنية الكون معارج تتموج وتتقوس وتنحني، وحتى الجسيمات دون الذرة تسبح كذلك في فضاء مادي كالسمكة تسبح في الماء، وكأن الكون كله خشبة مسرح تَعْرِض للفطين ملحمة الخلق المَحْبُوك بإتقان ونظام مقصود بلا عشوائية ولا مجال لمصادفة؛ لعله يدرك المغزى.

ولكن هويل نسب الحكمة والذكاء للنسيج وتجاهل من حاكه في كتابه: الكون الذكي The Intelligent Universe، وتبعه هاوكنج في كتابه: التصميم العظيم The Grand Design بقوله: لا دليل؛ وكأن الكون المهيب والتصميم الرائع ليس بدليل؛ وما هو إلا انتحار في مواجهة التيار الجارف للعلم نحو التوحيد؛ وبداية تجعل الكون عارض وعمره محدود، وخالف هويل نفسه في مقالة عام ١٩٨١ بقوله: "أن احتمال ظهور أشكال الحياة صدفة يُقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة؛ بتجميع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، وبالمثل خالف هاوكنج نفسه في كتابه: تاريخ موجز للزمن Brief History of Time؛ بقوله: "طالما أن للكون ابتداء؛ فحتمًا له خالق"[٨٢٦]، ووفق الموسوعة البريطانية فإن اختيار كل الأحماض الأمينية Amino Acids التي هي أساس تكوين البروتينات؛ لتكون عسراء الاتجاه صدفة بلا تدخل مقصود لإرادة مُوَجِّهَة؛ أشبه بقذف عملة معدنية في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على نفس الوجه!، ونشأة خلية حية واحدة إذن من ذاتها يُعد احتمالا مُستحيلا؛ مثل احتمال قيام قرد بكتابة تاريخ البشرية كله على آلة كاتبة بلا أخطاء.

ومن البديهي أن النظام Order لا تَصْنَعُهُ فوضى Chaos والصدفة لا تُفَسِّرُه؛ وإنما هو شاهد عدل على الخلق مهما كانت الكيفية، ولو كانت التغيرات غير مقصودة؛ فَلِمَ كانت دائمًا في اتجاه الأصلح لتبني الكون المنظوم المحبوك؛ والتنويع مع وحدة البنية يُعارض الإلحاد Atheism، وليس إلا مشيئة الخالق وسبق تقديره وحسن تدبيره بِعِلْم واقتدار، والفلسفة المادية الناكرة لمبدأ الخلق قد دحضتها كل ميادين العلم؛ وإلا انعدم ثبات القوانين، ومن يظل مُعتقدا بها عليه ألا يحسب نفسه من المُحققين، وقد رأي أينشتاين في صنع الله تعالى: النظام والقصد والحكمة والتناسق والبساطة والأناقة والجمال؛ وهي رؤى ثاقبة للكون المنظوم المُتقن المحبُوك، ولو كان وليد الصدفة ما كان نظام وآليات وقوانين على كافة المستويات، قال نيوتن: "إن هذا التكوين البديع في النظام الكوني يجب أن يُفهم منه القصد في التنظيم"، وقال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان".

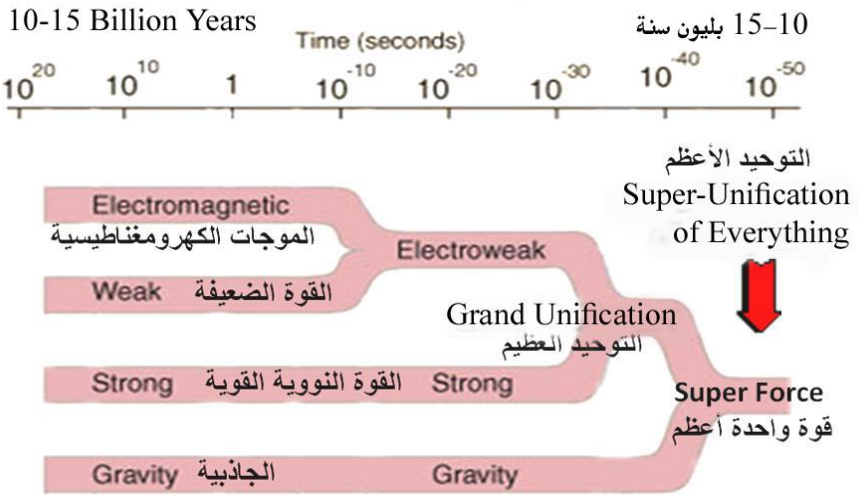

وفي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ كلمة (السَّمَاءِ) بالإفراد تعنى الكون كله باعتبار توحيد الابتداء كفضاء لم تميزه بعد عناقيد الأجرام سماوات؛ مادة خام واحدة صنع منها القدير كل شيء، وتوحدت فيها جميع القوى والمواد فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: Super-Unification of Everything؛ وتسمى القوة الأعظم Super Force، كان لإفراد لفظ (السَّمَاءِ) إذن في دلالته على الكون إشارة ضمنية على توحيد كل شيء في الأصل؛ وأكده إفراد لفظ الأمر: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)؛ تنويهًا للأمر بكلمة: (كُن).

[٨٢٦] Stephen Hawking, Brief History of Time, page 122.

الشيخ طنطاوي جوهري
(١٨٧٠-١٩٤٠)

قال طنطاوي جوهري: "(إفراد الأمر يعني أنه) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة، وتتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد، وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود؛ فهو صادر عن مادة أصلية واحدة"[٨٢٧]، فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس..، ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي..، (وقد) خلق اللهُ العالمَ من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"[٨٢٨].

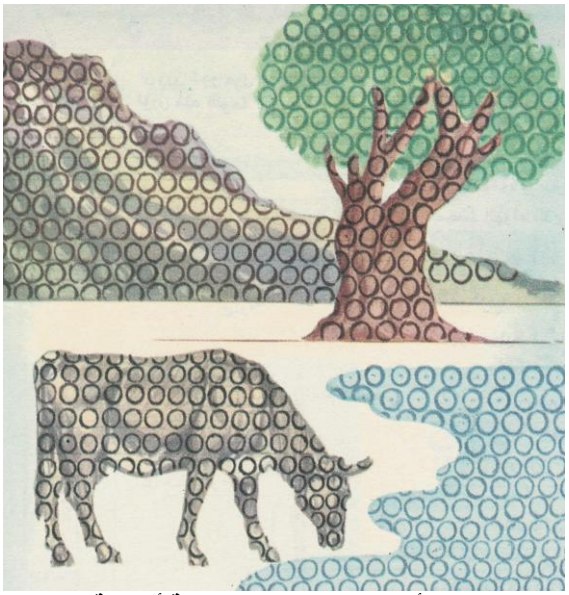

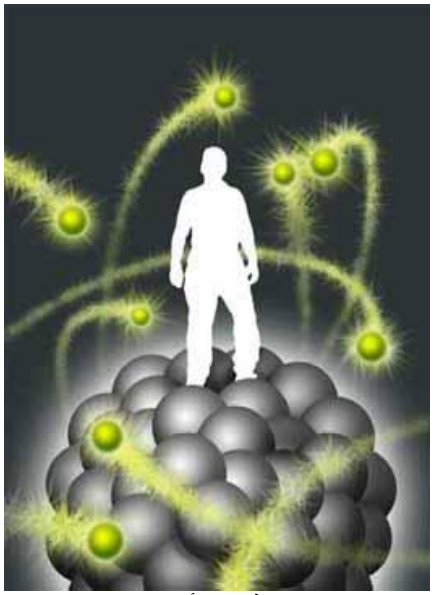

تتكون الذرات بأجسام كل الكائنات من نفس اللبنات، وأصلها جميعًا يرجع إلى لبنة أساسية واحدة؛ طبيعتها الحركة في عَجَل، خلق أخيرا منه الإنسان؛ على ظاهر اللفظ لا المجاز.

والتعبير المُذهل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ وصف الكون كله بأصله الأول؛ قوة واحدة عاجلة الحركة هي أساس بنية كل الأجسام، فأفاد أن الحركة في عجل طبيعة كل شيء، وأن الكون مُدَبَّر في نظام Order؛ ومأمُور ينطق بآمر يُدَبِّرُهُ، قال طنطاوي جوهري: "هذا النظام الجميل شاهد عدل على إله نظمه بعلمه وأحكمه بقدرته، فإن هذا العالم المُشاهد لا يُمكن أن يصدُر إلا عن إرادة؛ لأن المادة عمياء جاهلة والجاهل لا يعطي علمًا"[٨٢٩]، "إذن الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً..؛ طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً، ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلى لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس"[٨٣٠]، "فما هذا العالم كله إلا حركات"[٨٣١]، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس"[٨٣٢]، نشأ الإنسان إذن على رأس كل مخلوق؛ وطبيعته وأصل بنيته وأساس خلقه الحركة في عجل: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

---

[٨٢٧] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢\ ١٨٠).
[٨٢٨] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١\١٤٦).
[٨٢٩] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢١\ ٢٥٩).
[٨٣٠] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٢٤\٩٣).
[٨٣١] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢٠\ ٣٢).
[٨٣٢] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١١٥\١٨٨).

[٣] التفصيل الدلالي

(١) نهاية الكون تقترب بأقصى سرعة مُقدرة:

في النبأ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ ٢٢الحج:٤٧؛ يتعلق الوعد هنا ابتداءً باليوم الأخير، حيث يهلك كل شيء؛ ويُبعث الإنسان بعد الحساب في عالم جديد، وفي القرآن الكريم: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ ٨٥البروج:٢، ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ٣٨ص:٥٣، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ٥١الذاريات:٥و٦، ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٩٧، إذن الأمر قد صَدَر والمأمور قادم بالعذاب ليصل بغتة بلا سبق نذير؛ لسرعة لا تحتاج مزيد استعجال من الغافلين، بحيث أن مسافة ألف سنة بما تَقُوم على سيره السنة يقطعها في يوم: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج: ٤٧.

ولا نرى في الكون سوى الماضي بسبب سرعة الضوء المحدودة، والأحداث الكونية الآنية غيب، وأمر الساعة القادم بالعذاب سرعته تماثل سرعة ضوء البرق في جو الأرض؛ بل هو أسرع قليلا في الخلاء، فلا يحتاج مزيد استعجال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٦النحل:٧٧، قال الواحدي: "يصف سرعة.. الإتيان بها"[٨٣٣]، وقال الشوكاني: "لَيْسَ هَذَا مِنْ قَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ؛ بَلْ هُوَ كَلَامٌ فِي غَايَةِ الصِّدْقِ"[٨٣٤].

هذا هو إذن الوعد الحق؛ نذير الرسل للأمم، والمُعْلَن اقترابه صريحًا: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٩٧، إذن الأمر قد صَدَر والمأمور قادم بالعذاب ليصل بغتة بلا سبق نذير؛ لسرعة لا تحتاج مزيد استعجال من الغافلين، بحيث أن مسافة ألف سنة بما تَقُوم على سيره السنة يقطعها في يوم: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج: ٤٧.

(٢) تشبيه الذات العلية لا يعني التحيز ولا الندية:

والتعبير ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛ لا يعني التَّحَيُّز وتحديد مَكَان ولا النِدّية؛ فالجليل مُستعلي عن مشابهة ما خلق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٤٢الشورى:١١، فهو إذن أسلوب بياني تمثيلي بليغ لتقريب المعاني تصويرًا لدلالات يُقَدِّرُهَا السياق، ومثله قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ١٣الرعد:٨، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠، قال القماش: "إياك أن تفهم من (العندية) أنها عندية المكان؛ لأن المكان مُحَيَّز، وربنا عز وجل لا يتحيز في مكان"، وفي سياق بيان قيمة واحدة ثابتة مقدرة للانتقال في الكون أجمع؛ العندية ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ تعني في تقديره تعالى وعلمه بتدبيره في العالم كله، قال محمد سيد طنطاوي: "في تقدير الله تعالى"، وقال أبو حيان: "المراد من العندية العلم"[٨٣٥]، وقال الألوسي: "(أي) في حكمه"[٨٣٦و٨٣٧]، وقال الشوكاني: "وقضائه"، وقال الشعراوي: "(لأن) الله جل جلاله لا يَحُدُّهُ زمان ولا مكان..، واقرأ (إذن) قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الملائكة والروح إِلَيْهِ﴾".

---

[٨٣٣] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٤م (٣/ ٧٥).

[٨٣٤] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٣/ ٢١٨).

[٨٣٥] أبو حيان ٥/٣٦٢.

[٨٣٦] تفسير الألوسي ١١/٣٢٧.

[٨٣٧] فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (٦/ ٢٢٦).

فلفظ (إِلَيْهِ) إذن لا يعني في حق الذات العلية التحيز والتجسيم وتحديد مكان؛ وإنما يُخْبِر عن فناء العالم وعودة الأمر كله للمُجَازيِ يوم الحساب على الأعمال وحده تعالى؛ بيانًا لنفاذ مشيئته تعالى ووحدانيته، قال الألوسي: "(وهذا الوجه) معنى لائق به تعالى مجامع للتنزيه مُبَايِن للتشبيه حسبما يقوله السلف في أمثاله"[٨٣٨]، وقال الواحدي: "﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾.. كقول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾؛ أي إلى حيث أمرني ربي بالذهاب إليه، وقال ابن عطية: "وفي القرآن منه كثير نحو قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾، وقوله تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾، وقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾، وقوله تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا﴾؛ وهذا كله بريء من التحيز"[٨٣٩].

وبالكاد تومئ الفيزياء لانكماش الكون وطي الأطراف، لاكتشاف مادة غير منظورة بكميات هائلة تُرَجِّح انكماش الكون سموها المادة السوداء Black Matter، ولسرعة الضوء المحدودة؛ الأحداث الآنية في الأطراف البعيدة للكون غيب لا يُمكن لغيره تعالى إدراكه، ولا نُعَاين منها سوى ما حدث في الماضي البعيد، وعناقيد النجوم حزم تُشَكِّل طوابق اللبنات الكبرى للكون؛ حتى أقصى ما يُمكن رصده وإدراكه، والمجرات العظمى تبدو بالطيف في ابتعاد، فتعنى أن الكون كان يتوسع في الماضي ولا تعني أنه يتوسع الآن بلا انتهاء؛ وقد قضت الكشوف على وهم سرمدية المادة أو الحالة الثابتة Steady State Theory، ولو كان الكون ينكمش ولبناته الكبرى تقترب؛ فلن يُخْبِرُنا إذن بعلامات النهاية إلا الطرف الأقرب.

والطرف الأقرب للكون ينذر بالانكماش الآن، فأقرب مجرة؛ المرأة المسلسلة Andromeda، كمثال تبدو مقتربة بسرعة قُدِّرَت بحوالي ٣٠٠ كم/ثانية[٨٤٠]، مع أن الضوء المرصود الآن قَدِمَ منها منذ ما يزيد عن ٢ مليون سنة ضوئية، واقترابها علامة تنذر بقرب وصول قوى الدمار بَغْتَةً لا يسبقها نذير للسرعة القصوى التي لا تَتَطَلَّب مزيد استعجال، والقرآن الكريم قد أعلن مرارًا بصريح العبارات أن العالم كله في اِحْتِضَار؛ وأن على الفَطِينْ أن يَسْتَعِد ويَتَزَوَّد للرَّحِيلْ، وفي سياق الجزم والتقرير لا التشبيه للتقريب؛ يقطع القدير بالنبأ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ محمد: ١٨؛ ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ النحل: ١، والآفاق إذن مُثْقَلَة كالحُبْلَى على وشك الوضع: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٨٧.

وفي النبأ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ هود: ١٢٣، أصل الرجوع العودة والارتداد بعد ابتعاد، والقراءة (يُرْجَعُ) تُضَافِرُهَا قراءة الجمهور (يَرْجِعُ)، وكليهما مضارع يدل على حدث آني، فالمعنى يستقيم مع عودة الكون وانكماشه بعد امتداد؛ وهو يرجع لمدبر الأمر كله، قال الإستانبولي: "{يُرْجَع}.. بضم الياء وفتح الجيم بمعنى يُرَدُّ (التدبير لمراده تعالى)، وبفتح الياء وكسر الجيم {يَرْجِع} بمعنى يَعُودُ (الأمر)"، وورود (الأمر) رديفًا للسماوات والأرض يجعله تعبيرًا بالأصل استجابة للأمر (كن)، وهو يعني أن الكل مُدَبَّر مَأْمُور منذ الابتداء؛ وأن الكل سوى الباري عارض زائل.

ولفظ (إليه) يَحْصُر فاعل عودة الكون لحاله الأول بالعلي القدير؛ ولا يعني التَّحَيُّز والمَكَان مخالفًا مبدأ التوحيد، قال الرازي: "حرف (إِلَى).. ليس الْمُرَادُ مِنْهُ الْمَكَانَ بَلِ الْمُرَادُ انْتِهَاءُ الْأُمُورِ إِلَى مُرَادِهِ"، والوعيد بقرب خراب العالم توطئة للقيامة والحساب؛ يوافق مواضع تُنْذِر بأن النهاية قريب على الأبواب، قال الراغب: "وقوله تعالى: {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ}.. كقوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}"، وقال الشعراوي: "{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأمر كُلُّهُ}.. في ذلك تنبيه لكل إنسان؛ ليعمل مُسْتَهدفاً النجاة.. يوم القيامة"، ولفظ (كُلُّهُ) تأكيد لعودة الكون أجمع لحاله الأول بدون أدنى زيادة في مادته ولا نقصان، فيوافق وصف الكون في الفيزياء كنظام مُغْلَق طاقته ثابتة بلا تغيير؛ فأين إذن من أثر لشريك مع الواحد الأحد القدير!.

---

[٨٣٨] روح المعاني ج٢١ص١٢٢.

[٨٣٩] ابن عطية السجدة ٥.

[٨٤٠] The First Three Minutes, Steven Weinberg, p30

(٣) سرعة الضوء ثابت كوني:

كانت السنة عند العرب والعبرانيين تقوم على سير القمر؛ قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان إبراهيم وإسماعيل.. (و) السنة مُعَلَّقَة بسير القمر"[٨٤١]، و(الألف سنة) زمان يُعَبِّر كمعهود القدماء عن مسافة تُقطع في زمن، فيعني في سياق بيان السرعة؛ مسافة فلكية هائلة لا نظير لها على الأرض، هي الأنسب لقياس الحد الأعلى لسرعة الانتقال بالكون، قال الألوسي: "في يوم مقدار مسافة السير فيه ألف سنة"، وقال القرطبي: "في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة"[٨٤٢]، وقال الطبري: "لأن المسافة مسيرة ألف سنة"، وقال الرازي: "واليوم هنا زمان"، والعذاب بالأمر القادم بسرعة الضوء: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾؛ هو نفسه العذاب الذي يستعجل قدومه الغافلون استخفافًا، وهو قادم بسرعة لا مزيد عليها فلا تحتاج مزيد استعجال، ومقدارها المُقَدَّر للانتقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾، فهو إذن مقدار سرعة الضوء، قال القماش: "﴿كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾.. كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾"[٨٤٣]، وقال القماش أيضًا: "في (هذا القياس) لا تتجاوز.. مسافة اليوم بأقصى سرعة.. مسافة ألف سنة بحركة ما تُبْنَى على حركته السنة، ويصلح الوصف ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ لتمييز حركة القمر المُتَضَمِّنَة سياقًا والتي تُبْنَى عليها السنة، ولا يصلح أن يكون تمييزا للسنة القمرية؛ لأنه يُحَدِّد مُخْتَار من مُتَعَدِّد؛ وهم لم يستخدموا غيرها في التقويم، وهو يعني: من الذي.. تَظُنُّون؛ وليست السنة محل ظن، وبذلك يشترط السياق لتعريف السرعة القصوى؛ أن تكون حركة القمر وفق ما.. يَظُنُّون (لأنه الأنسب لقياس قيمة ثابتة)؛ وإن كان الواقع بخلافه"[٨٤٤].

والسنة عند العرب تقوم على سير القمر؛ والتقويم القمري هو المُعتبر في التشريع، قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. (و) السنة مُعَلَّقَة بسير القمر"، وفي القياس لا تتجاوز مسافة يوم بأقصى سرعة مسافة ألف سنة بسير القمر، ويصلح القيد ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ تمييزًا لحركته المُتَضَمِّنَة سياقًا؛ بجعلها وفق ما كانوا يَظُنُّون من سكون حركة الأرض حول الشمس، لإقامة معادلة طرفيها في نظام معزول؛ ومعنى الظن يفيد أن الواقع بخلافه، وحد سرعة الانتقال بالكون لا يزيد عن: مسافة ألف سنة قمرية في يوم، ولا يمكن لمادة أن تبلغه ولا لقوة أن تتجاوزه.

لم يُقَدَّم الدليل الأول على تحرك الضوء بسرعة غير لحظية؛ إلا عام ١٦٧٦عندما نجح أولاس رومر للمرة الأولى في التاريخ من قياسها.

والمُتَبَادَر أن سرعة الضوء لا نهائية Infinite؛ ولم يكن لبشر في القرن السابع الميلادي زمن الوحي التصور أنها مُقَدَّرَة مَحْدُودَة؛ فلم يُقدم الدليل الأول على أنها محدودة إلا عام ١٦٧٦ عندما نجح الفلكي أولاس رومر Olas Romer من قياسها عن طريق ملاحظة تأخر ظهور أقمار كوكب المشتري خلفه بفارق زمني عندما تكون الأرض في الجهة الأبعد منه في مدارها حول الشمس، لأن ضوء تلك الأقمار يحتاج لفترة أطول مما يعني أن سرعة الضوء غير لحظية، واعتمادًا على التقنيات المُتَاحَة وقتئذٍ والمعرفة بطول القطر الأكبر لمدار الأرض كانت النتيجة حوالي: ٢٢٧ ألف كما ثانية، وتوالت القياسات ثلاثة قرون؛ وأخيرًا عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس اعتمدت القيمة: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية[٨٤٥].

---

[٨٤١] الرازي حيان في تفسير الآية ٣٦ من سورة يس.

[٨٤٢] تفسير القرطبي.

[٨٤٣] تفسير الحاوي للقماش (٤٤٢/ ١٠٣).

[٨٤٤] تفسير الحاوي للقماش (٣٥/ ١٠٧).

[٨٤٥] موسوعة أكسفورد ص٣١٦.

قال ابن كثير: "﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾..؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾"[٨٤٦]، والمماثلة كافية لتدفع القول بأن الملاك ينزل بالأمر ٥٠٠ سنة ثم يرجع ٥٠٠ سنة؛ لأن النص الأول خالي من الاشتباه، والقياس عند ابن عباس هو: "مقدار سير الأمر"[٨٤٧]، ونقل السيوطي عن قتاده: "يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة"[٨٤٨]، وقال الزمخشري: "(وهو) يقطع مسيرة ألف سنة في يوم"، وأصاب ابن عباس عين النبع بمعوله بقوله: "لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد"[٨٤٩]، وقال الألوسي: "وإن لم تبعد هذه السرعة.. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء؛ وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير"[٨٥٠].

وتعداد السنين عند العرب كان قائمًا على حركة القمر بمنازله النجمية: ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس: ٥؛ والسنة أساسها حركة القمر ليتم اثنا عشر شهرًا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٦، وفي القياس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ قال النَّابُلْسِي: "إنّ القرآنَ يخاطِبُ أُنَاسًا يعتمدون السَّنَةَ القمَريةَ؛ حيث إنّ القمرَ يدور حولَ الأرضِ كل شهرٍ دورةً..، (ولو) عرفنا المسافةَ التي يقطعُها القمرُ.. في رحلتِه حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ (فبُنَاءً على أَنَّ).. القمرَ يقطعُ في ألفِ عامٍ ما يقطعه الضوءُ في يوم واحدٍ.. (فبالتالي نَعْرِفُ) سرعة الضوء في الثانية..، وهذه السرعةُ هي أعلى سرعةٍ في الكون..، (وباختصار:) إنّ المسافةَ التي يقطعُها القمرُ في مدارِه الخاصِّ حولَ الأرضِ في ألفِ سنةٍ قمريةٍ تساوِي المسافةَ التي يقطعُها الضوءُ في يومٍ أرضي واحدٍ"[٨٥١]، والقمر كبقية الأجسام حركته نسبية تتباين فتتطلب تحديد إطار؛ فهو يدور حول الأرض كما لو كَانَا في نظام معزول عن التأثير الخارجي؛ وفوق ذلك يدور معها حول الشمس، والقيد ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يُحَدِّد بإصرار حركة القمر حول الأرض فحسب؛ وفق ما كانوا يَعُدُّون ويَظُنُّون طبقًا لنموذج مركزية الأرض Geocentric Model، وكأن الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس، وحركتيهما بالنسبة للنجوم مُجَرَّدَة في نظام معزول؛ مُقابل سرعة الضوء التي لا تتحقق إلا بالفراغ في نظام معزول، وهي صيغة معادلة بجعل الطرفين في نظام معزول؛ كما في كل معادلات الحركة في الفيزياء.

والتشبيه في سياق تساوي المسافة: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾؛ يعني أن المسافة في يوم تُقَارِب مسافة الألف سنة وتماثلها ولا تتخطاها، لأن المشبه لا يتجاوز المشبه به في وجه الشَبَه؛ كقولك فلان كالأسد، أي يُقَارِبُهُ ولا يَفُوقُهُ في الجَسَارَة، وفي التعبير: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)؛ لفظ (كان) لا يعني الماضي في سياق دوام التدبير؛ وتقديره (كان دوما كذلك)، و(المقدار) في اللغة: المقياس والحد، فقد يقل قليلا محافظًا على إطار المماثلة؛ لكنه لا يزيد ويتجاوز الحد، وكل معايير حركة القمر وسطية وليست ثابتة؛ وهذا لا يستبعد اعتمادها كمقياس لإثبات المماثلة؛ خاصة أن القمر أقرب الجيران وحركته بانتظام، والتعبير (يَعْرُجُ) لبيان انحناء المسار يفيد أن الفضاء ليس فراغًا تَامًّا ليسري الضوء كخط مستقيم وتبلغ سرعته أعلى حد، والقيمة بالفيزياء: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية؛ لكن القيمة المستخدمة عَمَلِيًّا بالقياسات الفلكية هي حوالي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية، وسرعة الضوء كحد للانتقال تختص بالعالم المادي ولا تمنع وجود سُبُل تواصل أسرع؛ وإنما هي نتيجة قياسات لِمُدْرَكَات حِسِّيَّة، وسرعة الضوء هي نفس سرعة كل أشكال الطيف كالأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء وموجات الراديو والتلفزيون؛ ومن الجائز أيضا موجات الجاذبية، وأي جسيم ذو كتلة موجبة لكي تبلغ سرعته قيمة سرعة الضوء سيحتاج لطاقة لا نهائية؛ ولا يمكن إذن لجسيم بلوغ سرعة الضوء إلا إذا كان معدوم الكتلة كجسيم الضوء؛ ولا أن يتجاوزها إلا إذا كان سالب الكتلة، لكن الافتراض بوجود جسيمات سالبة الكتلة أسرع من الضوء تسمى تاكيونات Tachyons؛ ليس إلا تَخْمِين وافتراض نظري لم يثبت.

---

[٨٤٦] تفسير ابن كثير تحقيق سلامة ج٥ص٤٤٠.
[٨٤٧] الإتقان ج٢ص٧٦.
[٨٤٨] الدر المنثور ج٦ص٥٣٨.
[٨٤٩] تفسير القرطبي (١٤/ ٨٧).
[٨٥٠] الألوسي ٢٩\٥٨.
[٨٥١] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي (٢/ ٢٢).

(٤) الأرض في حركة دائبة طائعة للتقدير:

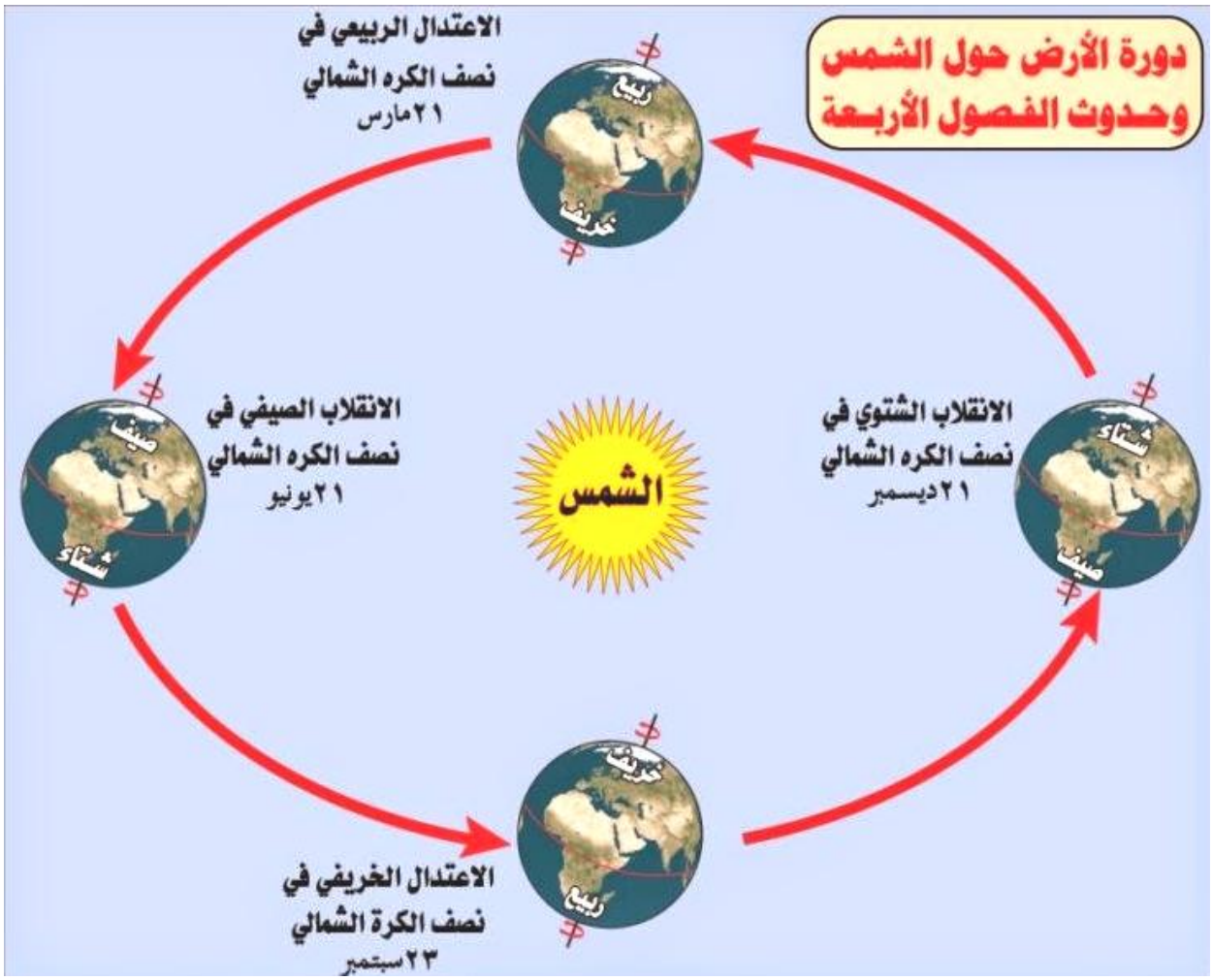

في التمثيل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ٤١فصلت:١١؛ الإتيان قرين الحركة وكان جو السماء حولها دخان يتبدد ولا يلازمها سيرها حتى هبطت حرارتها واستقر الجو فلازمها سيرها، وشرط قياس السرعة المُطلقة في الكون: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ قد جعل المِقْيَاس في نفس المجال المعزول للمُقَاس، وراعى نسبية حركة القمر، وأفاد أن الحركة الفعلية للقمر والأرض بخلاف ما يَعُدُّون ويَتَوَهمون، لأنه يعني: مما تَظُنُّون؛ أي: "تَحْسَبُون"[٨٥٢] و"تُقَدِّرُون"[٨٥٣] و"تَعْتَقِدُون"[٨٥٤]، قال طنطاوي جوهري: "أرضنا إذن دائرة غير دائرة؛ نحن نراها ساكنة ولكنها دائرة لا تهدأ"[٨٥٥]، "ومن جملة سيارات شمسنا هذه الأرض التي نحن عليها، والقمر ملتزم بها؛ ويدور عليها ومعها على الشمس"[٨٥٦]، إذن: "دوران الأرض حول الشمس ليس غير مُخَالِف للقرآن فحسب؛ بل له منه دلائل"[٨٥٧].

---

[٨٥٢] القرطبي.
[٨٥٣] المنتخب.
[٨٥٤] ابن كثير.
[٨٥٥] تفسير الجواهر ٢٤٢١٩.
[٨٥٦] تفسير الجواهر يونس ٥.
[٨٥٧] تفسير الجواهر ١٦ ٢١.

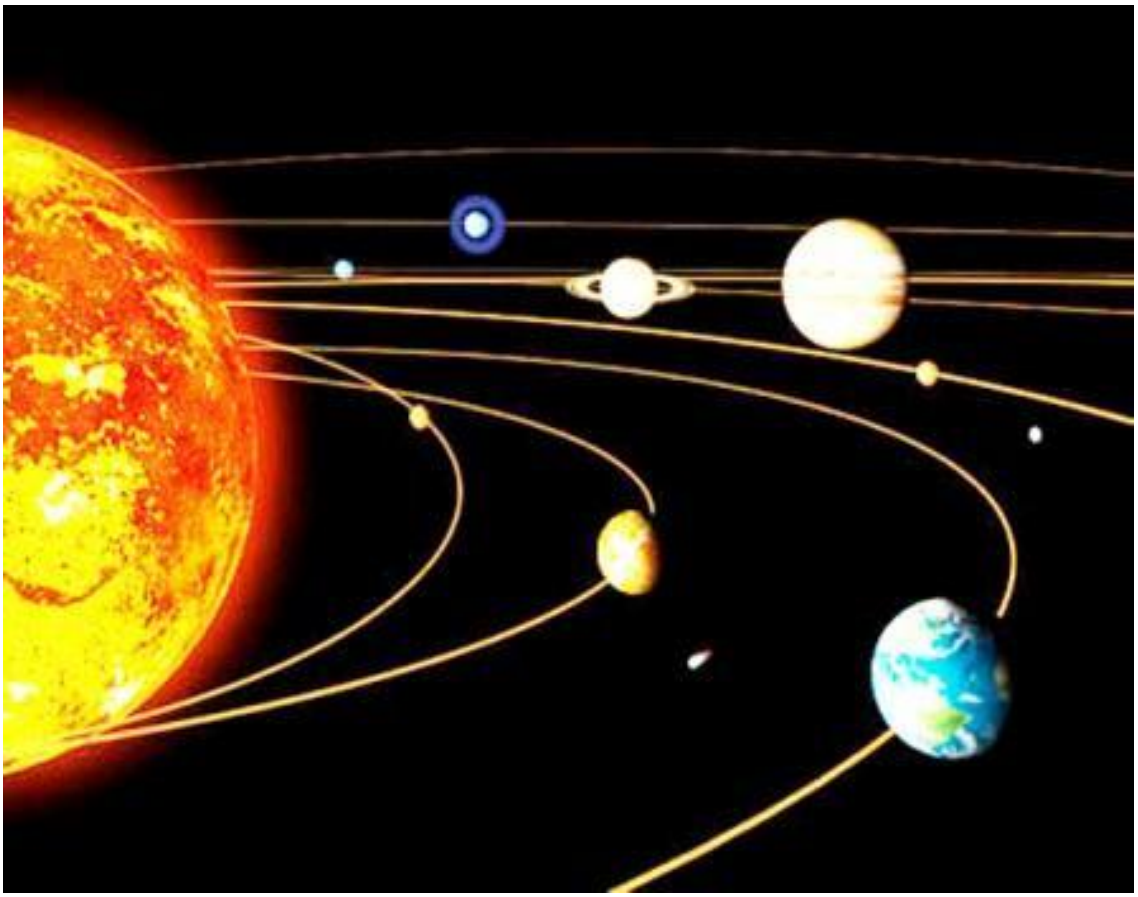

يقول العلي القدير: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠، قال القاسمي: "التنوين في لفظ كُلٌّ عوض عن الإضافة للأجرام، والمعنى كل واحد من أجرام السماء كالشمس والقمر؛ في فلك خاص به يسبح بذاته"[٨٥٨]، وقال الألوسي: "فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها"[٨٥٩]، وأن: "للثوابت حركة"[٨٦٠]، وقال ابن عاشور: "المراد تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الأجرام؛ وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن"[٨٦١]، وكل البشر يُعَايِنُون آيات السماوات كالشمس والنجوم تَمُرُّ عليهم وهم على الأرض التي تبدو ساكنة؛ ولكن القرآن يجعل سكون الأرض نسبي دالاً على حركتيها السنوية واليومية بإعلانه صريحًا أنهم هم الذين يَمُرّونَ على آيات السماوات وهم على ظهرها؛ كما يَمُرُّونَ على آيات الأرض وهم على ظهر المركوبات السيارة ولا يعتبرون: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف: ١٠٥، وفي تفسير الميزان: "المعنى أن هناك آيات كثيرة سماوية وأرضية تدل بوجودها والنظام البديع الجاري فيها على توحيد ربهم..، ولو حُمِلَ قوله ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ على التصريح دون الكناية؛ كان من الدليل على.. حركة الأرض..، فإنا نحن المَارُّونَ على الأجرام السماوية بحركة الأرض الانتقالية والموضعية (أي السنوية واليومية)..، لا بالعكس؛ على ما يُخَيَّل إلينا في ظاهر الحس"[٨٦٢].

---

[٨٥٨] تفسير القاسمي.
[٨٥٩] تفسير الألوسي.
[٨٦٠] تفسير الألوسي.
[٨٦١] تفسير ابن عاشور.
[٨٦٢] تفسير الميزان (١١/ ١٤٦).

[٤] الكون عارض وعمره محدود

في عام ١٩٢٩ أعلن إدوين هبل Edwin Hubble ملاحظة كان لها أثر كبير في فهم طبيعة الكون، وهي أن معدل تباعد المجرات البعيدة يتزايد مع زيادة البعد؛ وفق قيمة تبدو ثابتة، سميت بثابت هبل Hubble Constant، فالضوء القادم منها ينزاح في الطيف Spectrum ناحية الجانب الأحمر ذي الموجات الأطول، وهي أشبه بصوت القطار المتباعد تتخلخل موجاته وتطول بعكس تضاغطها وقصرها عند قدومه؛ فاستنتجوا أن الانزياح نحو الجانب الأحمر Red Shift في طيف تلك المجرات يعني تباعدها، والعودة إلى الخلف تعني أن كل مادة الكون كانت في أجزاء قليلة من الثانية الأولى مضغوطة في حيز ضئيل في حالة تمدد فجائي أشبه بانفجار مهول، لذا سميت البداية تشبيهًا بالانفجار العظيم Big Bang.

وبناء على ما هو معلوم في الفيزياء؛ انضغاط مادة الكون يُوَلِّد حرارة هائلة يصاحبها إشعاع مميز أمكن توقعه نظريًّا، وفي عام ١٩٦٤ رصده من كل اتجاه بغير قصد أرنو بنزياس Arno Penzias وروبرت ولسون Robert Wilson، وسمي بالخلفية الإشعاعية Background Radiation، وبهذا أضيف دليلاً حاسماً قائماً على الرصد لا الافتراض النظري والتخمين؛ على أن للكون بداية وتَأَيَّدَ مفهوم الانفجار العظيم، هكذا أثبتت الفيزياء أن عمر الكون محدود قاطعةً بأنه عارض وله ابتداء؛ يُعلن للفطين عن موجود أزلي أبدع الوجود أحد قدير، ولم يستطع هاوكنج Hawking ذو الميل للإلحاد إلا أن يقول: "إن كونًا ذو ابتداء يستحيل أن يكون بلا خالق أوجده"[٨٦٣]، والتصميم المُبْدِع والنظام Order الدال على التقدير بحكمة والتدبير بقصد؛ أجبره أن يقول أنه: "عماد تاريخ العلم التجريبي أجمع"[٨٦٤]، أي: لو لم يكن نظام ومقدمات تؤدي لنتائج مُحددة مهما تكرر الحدث؛ ما وُجِدَت قوانين ليكتشفها العلم ويُثبت انعدام الفوضى Chaos.

---

[٨٦٣] A Brief History of Time, St. Hawking, P.122.

[٨٦٤] A Brief History of Time, St. Hawking, P.140.

جيمس أوشر James Ussher
(١٥٨١-١٦٥٦)

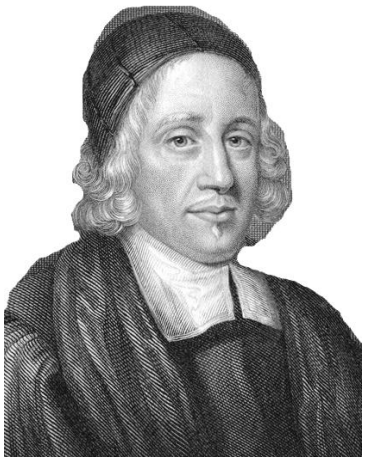

جون لايتفوت John Lightfoot
(١٦٠٢-١٦٧٥)

وكانت البدايات الأولى في القرن السابع عشر لتقدير عمر الكون متواضعة؛ فقد استنبط جيمس أوشر James Ussher في كتابه "استنتاج بداية خلق العالم من تاريخ الأحداث في العهد القديم" أن الكون قد خلق ليلة الأحد ٢٣ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ ق.م، واختار القس جون لايتفوت John Lightfoot سنة ٣٩٢٩ ق.م، فنشأة الكون عندهما منذ ستة آلاف سنة بفارق ٧٥ سنة، بينما تتراوح التقديرات حاليا لعمر الكون بين ١٠ و١٥ بليون سنة[٨٦٥]، وأول الطرق "معادلة هبل": "عمر الكون = (سرعة الضوء × مليون)\ ثابت هبل"، وأساسها أن بلوغ سرعة تباعد المجرات قيمة سرعة الضوء يعني بلوغ البداية حين نشأ الكون مع بلوغ أقصى بعد ممكن المشاهدة، لكن التقدير قائم على كون بلا جاذبية؛ ولا يوجد يقين على أن معدل تباعد المجرات ثابت منذ النشأة، وبناء على رصد تغير ضئيل في الخلفية الإشعاعية؛ استنتج كارليس بينيت Charles Bennett القيمة: ١٣,٧٥ بليون سنة، وبناء على أن عمر الكون هو على الأقل عمر أقدم ما فيه؛ اتجهت الدراسات إلى رصد تحلل العناصر المشعة في أقدم النجوم، ومن الدراسات الرائدة والواعدة؛ تلك التي قام بها عام ٢٠٠١ روجر كاريل Roger Cayrel وفريقه بالتعاون مع فلكيين من عدة مراصد في فرنسا والسويد وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل، برصد تحلل اليورانيوم-٢٣٨ في أقدم النجوم، وكحد أدنى كانت النتيجة: ١٢,٥ بليون سنة؛ وكل الطرق الأخرى تُعْطِي قيم أعلى ولكن مع نسبة ارتياب أكبر، فأقصى بُعد إذن ممكن الرصد: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية على أقل تقدير، وللتبسيط: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء؛ باستخدام أكبر وحدة زمن في عالمنا وهي مدة دوران الشمس حول مركز المجرة (حوالي ٢٥٠ مليون سنة)، وتسمى السنة الكونية Cosmic Year.

وكل مشاهداتنا للأبعاد السحيقة في الكون أحداث مضت منذ زمن بعيد، فليس توسع الكون إذن حدث قريب، وكلما نظرت بعيدًا رجعت بالزمن إلى الوراء؛ حتى يستنفذ كل عمر الكون عند لحظة مولده، ولا يعُد بالإمكان مزيد مشاهدة، فالطرف البعيد إذن للكون محجوب نراه بعيدًا وقد يكون قريبًا، وفي سابقة لا نظير لها في أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ تُقَاس أبعد مسافة مُمْكِنَة الرصد بأكبر سرعة وأكبر وحدة زمن فلكية في النبأ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠، والإيجَازُ اعتمادًا على السياق عماد بلاغة القرآن الكريم، والقيمة (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) جَمَعَت بإيجاز بين قيمتين: (ألف سنة) و(خمسين سنة) أو (خمسين) في سياق أكبر وحدة زمن في عالمنا؛ وهي مدة دورة الشمس في منازلها، والتي لم تُعرف إلا حديثًا مع تطور علم الفلك، والقيمة (ألف سنة) مبنية على سير القمر في منازله النجمية، وإذا ضُمَّت إلى (يوم) عَبَّرَت بإيجاز عن قيمة أكبر سرعة للانتقال في الكون؛ خاصة أنها بنفس النَّسَق: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ السجدة: ٥، وقبل أن تُقَاس المسافات الكونية بسرعة الضوء كأكبر سرعة مع وحدة زمن مناسبة؛ ترد القيمة (خمسين سنة) أو (خمسين) في سياق أكبر مسافة، لتعبر بإيجاز الحذف أو التنازع عن أكبر وحدة زمن في عالمنا تُمَاثِل سنة؛ وتقديرها كما نعلم اليوم هو السَّنَة الكَوْنِيَّة، والنتيجة أن أبعد مسافة مُمكنة الرصد في الكون المُمكن المشاهدة: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء، ويحتاج الضوء لعمر الكون ليقطع أبعد مسافة، لذا عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة؛ وهي نفس النتيجة بالدراسات الفلكية الحديثة.

[٨٦٥] Hawking' universe, p.55

ولا يُمكن لكائن مَادِّي ذو كتلة أن يرصُد لحظيًّا طرفي قياس أقصى بعد للكون الشاسع الاتساع المُتَغَيِّر الأبعاد ويَجُول فيه مُتَّبِعًا مساراته المنحنية؛ إلا إن كان كائنًا روحيًا متحررًا من حواجز عالم المادة، وحتى الضوء الخالي من الكتلة سيستغرق عمر الكون ليعبر من طرف لآخر، وسيظل الأفق الأعلى يُرَى بعيدًا وهو قريب، لأن سرعة الضوء محدودة والناظر يُطالع الماضي البعيد، فناسب ذكر الملائكة والروح رُسُل الهِدَايَة والإِنْذَار، والمراقبين المُتَخَفِّين لتَدْوِين الأَعْمَال في سياق التهديد بقرب اليوم الموعود؛ كشهود في القياس لما يبدو عليه للناس أقصى طرف للكون بخلاف الواقع المستور.

قال طنطاوي جوهري: "ليس المُراد المُدَّة بل بعد المَدَى.. وقَدَّمَ الملائكة لأنهم في عالم الأرواح.. العالم المبرأ عن المادة، (لأنه).. لا يُرتقى إلى تلك المعارج إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة"[٨٦٦]، وقال البيضاوي: "استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مَدَاهَا"[٨٦٧]، وقال الشوكاني: "ذُكِرَ هَذَا الْمِقْدَارُ.. لِغَايَةِ ارْتِفَاعِ تِلْكَ الْمَعَارِجِ وَبُعْدِ مَدَاهَا"[٨٦٨]، وقال البغوي: "المسافة من الأرض إلى (مُنتهى) السماء"[٨٦٩]، وقال الألوسي: "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مَدَاهَا.. والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع"[٨٧٠]، وفي اللغة: "(تعارج): حاكى مشية الأعرج، و(عرَّجه): ميَّله، و(تعرَّج): مال، و(التعاريج) المُنحنيات، و(العُرْجُون) العذق المُعْوَجّ"[٨٧١]، و"العروج في الدنيا.. رُوِيَ (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا"[٨٧٢]، و(الْمَعَارِجِ) جمع لاسم المكان مَعْرَج، كأدق وصف للآفاق المُمَيَّزَة بلبنات طبقات الأجرام؛ حيث تسري القوى بانحناء كمشية الأعرج، والاكتشاف بأن مسارات القوى والأجرام منحنية دفع الفيزياء لإطلاق تعبير الكون المنحني Curved Universe.

وإصدار الضوء وكافة القوى في الفيزياء دفقات في آنات متعاقبة أجزاء أو كَمَّات؛ يحمل كل منها قدر من الطاقة يُمَيِّزُهَا، هذا هو مُنْطَلَق ميكانيكا الكم Quantum Mechanics، و(لمح) البرق يبدو دفقة واحدة ما تلبث أن تزول في أقل زمان، لكن العدول عن المفرد (لمحة)؛ فيه إيماءة إلى أن (اللمح) سيل مُرَكَّب، أي رتل من أجزاء متتابعة تسري في آنات متعاقبة، قال الرازي: "(و) تِلْكَ الْأَجْزَاءَ كَثِيرَةٌ، وَالزَّمَانُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ لَمْحُ الْبَصَرِ مُرَكَّب مِنْ آنَاتٍ مُتَعَاقِبَةٍ"، وقال ابن عادل: "والزَّمانُ الذي يحصل فيه لمحُ البصر مُرَكَّبٌ من أزمانٍ متعاقبةٍ..، (واللمحة) في زمان واحد من تلك الأزمان"، وفي المنار: "اللَّمْحَةَ بَعْدَ اللَّمْحَةِ وَالْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ"، أي أن (اللمح) مُعَقِّبَات؛ والأساس (لمحة) تحدث في بُرْهَة ضئيلة؛ أي هُنَيْهَة.

وجو الأرض وسط مادي أكثر كثافة من الفضاء؛ لذا سرعة الضوء في الخلاء أسرع من لمح البصر في الجو، وفي النبأ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٧؛ بيان يحصر العلم بالأحداث الآنية بالكون على القدير وحده، و(الأمر) المُختص بساعة نهاية العالم يستقيم حمله على تقارب أطراف الكون وطي الصفحة المرئية وقرب اليوم الموعود؛ ففيه تَوَعُّد وتَهْدِيد للغافلين عن المصير، وإنذار لينتبه الفطين، والتمثيل في التعبير: (لمح البصر)؛ إيجاز لا يُخْرِجُ (اللمح) عن دلالته على البريق اللحظي المفاجئ للبرق في التمثيل النظير: ﴿كَلَمْحِ بِالْبَصَرِ﴾؛ ولا عن دلالة لفظ (البصر) على عين الإنسان كأداة للإبصار؛ خاصة مع التمييز بين الأبصار والضوء المباغت للبرق الذي يكاد أن يصيبها بالعمى اللحظي من شدة سطوعه: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النور: ٤٣، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ البقرة: ٢٠، وفيه بيان في سياق التقرير لا التقريب؛ بأن قوى الدمار قادمة لا يدركها بشر لسعة الأبعاد، بأسرع قليلا من سرعة الضوء بالجو؛ حيث يتكون برق السحاب ويُشَاهد، قال ابن عادل: "(اللمح) أصله من لَمَحَانِ البَرْق"، وقال الرازي: "(أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)..: الْمُرَادُ: بَلْ هُوَ أَقْرَبُ (أي).. أَسْرَعُ"، لبيان: "سرعة مجيء الساعة"[٨٧٣]، وقال الشوكاني: "ليس هذا من قبيل المبالغة بل هو كلام في غاية الصدق"[٨٧٤].

---

[٨٦٦] تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري ج٢٤ص٢٦٠.
[٨٦٧] تفسير البيضاوي ج٥ص٣٨٧.
[٨٦٨] فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٤٥).
[٨٦٩] تفسير البغوي ج٣ص٤٩٨.
[٨٧٠] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٨.
[٨٧١] المعجم الوسيط.
[٨٧٢] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٧.
[٨٧٣] التفسير الوسيط مجمع البحوث (٥/ ٦٥٨).
[٨٧٤] فتح القدير ١٨٢١٣.

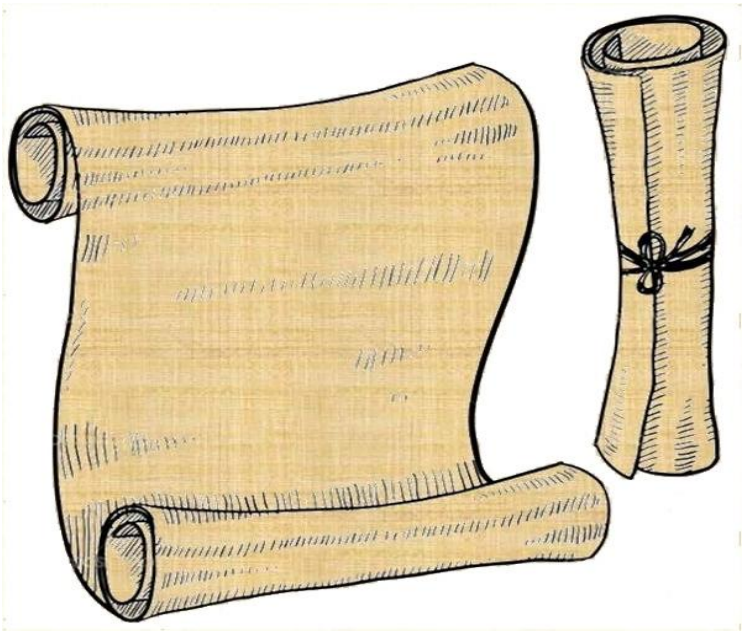

نهاية العالم وطي صفحة السماء؛ وتلاشي معالمها المرئية، أشبه بلف المطوية التي كان يُسَطِّر فيها القدماء ذخائر الكتب ولا يظهر فيها سوى أطرافها المطوية.

وتُقَدِّم الفيزياء التصور لنهاية الكون بمصطلح الانسحاق العظيم Big Crunch، وفي سياق التهديد باليوم الموعود؛ يُقَدِّم القرآن الكريم الآلية بطي صفحة الكون المرئية: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٤، والسجل المكتوب عند القدماء مطوية Scroll كانت تسجل فيها ذخائر الكتب، وهي تمثيل لآفاق الكون الممكن المشاهدة؛ والزاخر بحركات مُذْهِلَة لا تُحْصَى بلا تَصَادُم؛ تنطق بسبق التقدير وحسن التدبير.

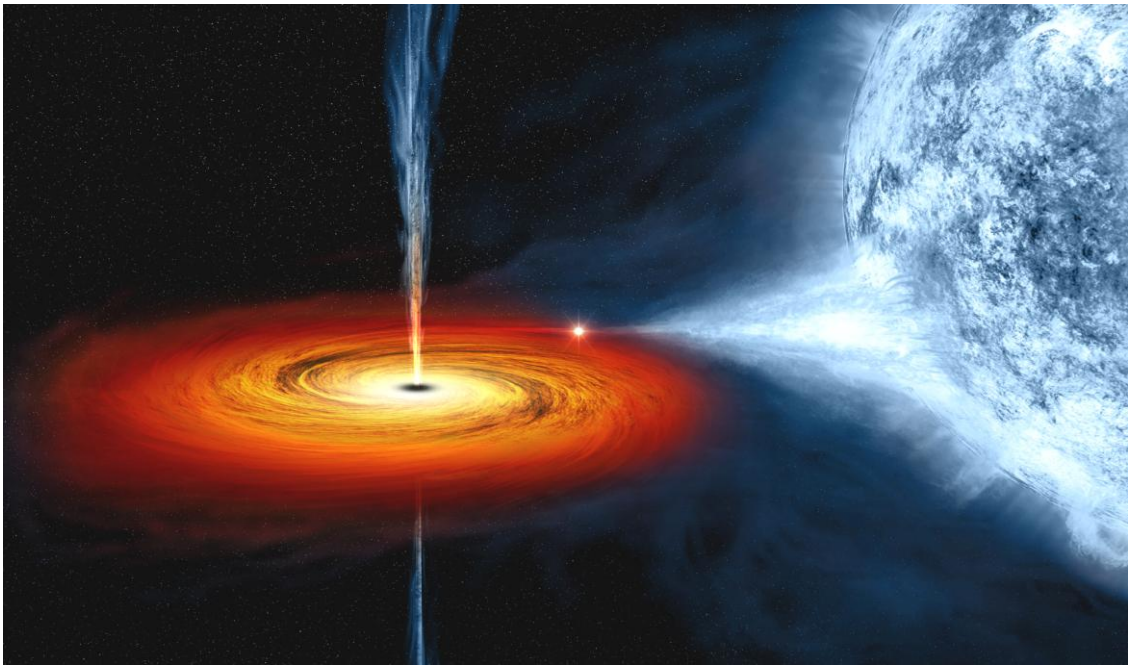

وكما تختفي زخارف سجادة داخلها مع طي طرفها؛ يختفي المكتوب في السجل داخله ولا يظهر منه سوى طرفه يُطْوَى، والثقب الأسود Black Hole كذلك؛ حيث يبتلع النجوم حوله فتختفي داخله ولا يظهر سوى طرفه يُطْوَى، فهو من شدة الجاذبية لا يفلت منه حتى الضوء، ولا يظهر سوى حُطَام يَدُور حوله؛ فسموا طرفه أفق الحدث Event Horizon، ويكفي وجود ثقب أسود وسط مجرتنا يَتَرَصَّد؛ ولا أمان أن يَطْوِيها ويتكاتف مع أمثاله ليصنعوا مقبرة للكون أجمع، وكأن النهاية ثقب أسود هائل يبتلع كل الأجرام الفلكية قبل الانسحاق التام تمهيدًا لعودة الكون كما كان؛ بيانًا للاقتدار والوحدانية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر: ٦٧.

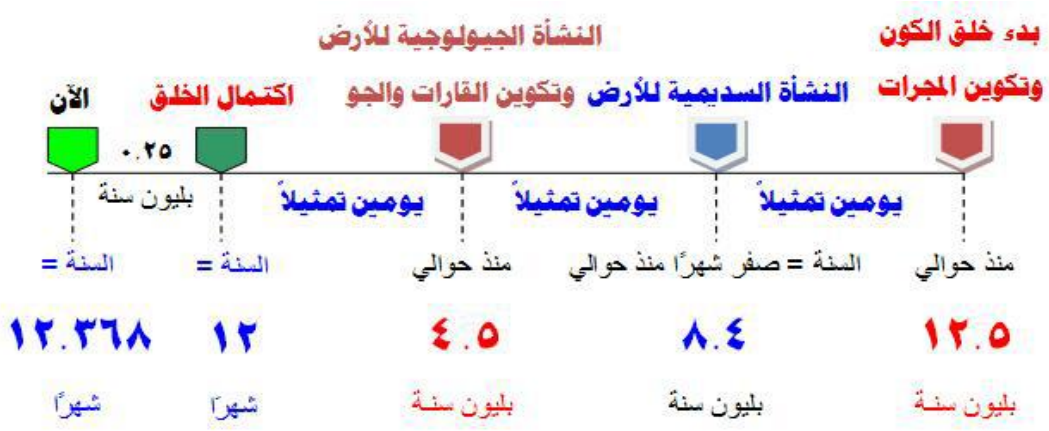

إذا كانت السنة عند اكتمال خلق العالم: ١٢ شهرًا وحاليا: ١٢,٣٦٨ شهرًا، بزيادة: ٠,٣٦٨ شهرًا في ٠,٢٥ بليون سنة؛ تكون كل الزيادة: ١٢,٣٦٨ شهرًا في ٨,٤ بليون سنة، فيكون العمر الجيولوجي للأرض حوالي ٤,٥ وعمر العالم حوالي ١٢,٥ بليون سنة.

والقرآن الكريم يُصَوِّر أطوار خلق الكون الممكن الرصد بستة أيام متتابعة؛ أي كبناء مُشَيَّد في أطوار متتابعة تمثيلاً بالأيام لبيان سبق التقدير ووحدة التصميم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ السجدة: ٤، وقد جعل الأحداث كل يومين في ثلاث مراحل متساوية، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ فصلت: ٩و١٠، وفي تاريخ الأرض معلم بارز على تكاملها بوقوع هلاك جماعي لأوائل الأحياء Permian–Triassic extinction منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة في بداية الحقبة الوسيطة Mesozoic Era؛ وفي تلك الفترة استقر الجو وتشكلت أوائل القارات قطعة واحدة سميت أم القارات Pangaea، وهي أيضًا مدة سنة كونية، والمُلفت للنظر أن يدل حديث نبوي على مرور دورة زمنية كونية واحدة منذ اكتملت الأرض: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض؛ السنة اثنا عشر شهرا" رواه البخاري، والزمان وليد حركة الأجرام في عالمنا حيث الشمس والقمر، وأكبر وحدة زمنية في عالمنا هي سنة كونية؛ أي مدة دورة الشمس حول مركز المجرة.

والسنة الأرضية مبنية على حركة الأرض حول الشمس وطولها حاليا: ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية، أي: ٣٦٥,٢٤٢٢ يومًا؛ أو: ١٢,٣٦٨ شهرًا، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ التوبة: ٣٦؛ (خَلَقَ) فعل ماضي يُفيد أن السنة عند اكتمال خلق الأرض كانت ١٢ شهرًا، وتراكم فترة الزيادة (٠,٣٦٨ شهرًا) في ٢٥٠ مليون سنة يعني أن الزيادة (١٢,٣٦٨٢٧ شهرًا) تراكمت في حوالي: ٨,٤ بليون سنة؛ أي مع نشأة الأرض حركيًّا كدوامة انفصلت عند طرف سديم بالمجرة، لأنه تقريبًا نفس العمر المُقدر لتكامل تَمَيُّز سُدُم المجرة: ٨,٤ (حوالي: ٧-١٠) بليون سنة، ووفق مخطط الأيام الستة تمثيلا لأطوار خلق الكون وتمييز الأحداث في ثلاث مراحل متساوية؛ المُلْفِت أن ينتج نفس العمر الجيولوجي المقدر حاليًّا للأرض وهو حوالي: ٤,٥ بليون سنة؛ ويَتَأَكَّد أن عمر الكون على أقل تقدير هو: ١٢,٥ بليون سنة.

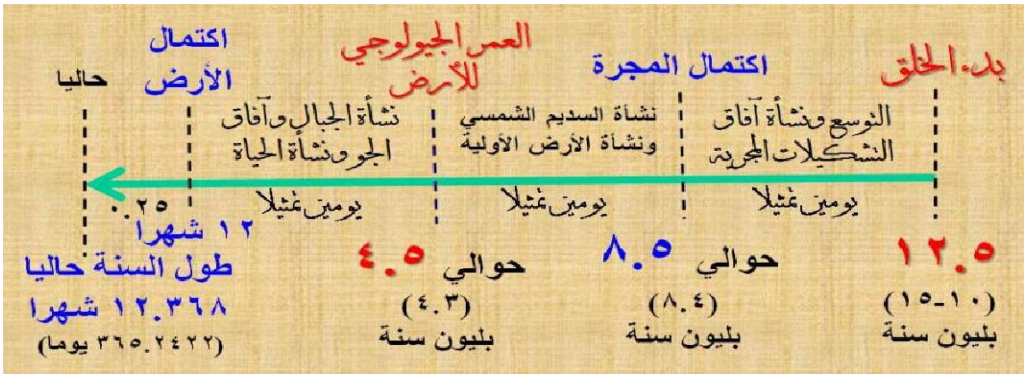

وفي التقسيم الزمني لأطوار خلق الكون إلى ثلاثة مراحل أساسية أو ستة فصول فرعية؛ إذا اِعْتَبَرْت أقصى تقدير للعُمر الجيولوجي للأرض: ٤,٧٥ (٥-٤,٥) بليون سنة، وأقل تقدير: ٤,٣ (٤,٦-٤) بليون سنة؛ توافق النتيجة أن عمر الكون على أقصى تقدير: ١٣,٧٥ بليون سنة، وإذا أخذت بالأحوط؛ يكون عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة.

[٥] مفاهيم دخيلة يرفضها الوحي والعلم

تصور كتبة الأسفار؛ أن السماء قُبة مبنية أعمدتها رءوس الجبال عند أطراف الأرض المُسطحة القائمة على أعمدة، والسماء فوقها مياه قبل الخليقة يعلوها الكرسي أو عرش الإله، فليست السماء من الأرض ببعيد ويُمكن للماشي بلوغها، أما الروايات فقد اختلفت اختلافًا واسعًا في تحديد زمن سير الماشي؛ ولم يجدوا إلا أن يحملوها على اختلاف سرعة السير، قال ابن حجر: "اِخْتَلَفَ الْخَبَر الْوَارِد فِي قَدْر مَسَافَة مَا بَيْن السَّمَاء وَالْأَرْض..؛ فِي التِّرْمِذِيّ أَنَّهَا مِائَة عَام، وَفِي الطَّبَرَانِيّ خَمْسمِائَة..، (و) عِنْد أَبِي دَاوُدَ..: إِحْدَى أَوْ اِثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاث وَسَبْعُونَ..، وَالْجَمْع بَيْن اِخْتِلَاف هَذَا الْعَدَد.. أَنْ تُحْمَل الْخَمْسمِائَةِ عَلَى السَّيْر الْبَطِيء كَسَيْرِ الْمَاشِي.. وَتُحْمَل السَّبْعِينَ عَلَى السَّيْر السَّرِيع"[٨٧٥]، ودخلت أيضا في التفسير، قال ابن الجوزي: "يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض ثم يعرج الملك إليه في يوم من أيام الدنيا؛ فيكون الملك قد قطع في يوم في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الآدمي"[٨٧٦]، وكثرت الروايات التي تقرر أن الأرض تحتها أراضي بين كل أرضين مسافة خمسمائة سنة كما بين كل سماء وما يليها، وفي إحداها: "والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم رجلاً بحبل إلى الأرض السُفلى لهبط على الله"؛ والنبي محمد (عليه الصلاة والسلام) بريء من تلك الغرائب.

وقبل معرفة الحقائق العلمية القاطعة؛ لك أن تدهش مما بذله علماء الإسلام من جهود في تحقيق مثل تلك الأخبار الدخيلة، وفي خبر أكثر غرابة: "هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟، قالوا: لا ندري، قال: بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات، ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال (تيوس جبلية قوية القرون) بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك"، والحديث أخرجه جملة أئمة عن العباس منهم الإمام أحمد في مسنده (رقم ١٧٧)، وأبو داود (٢٧٦/٢)، وابن ماجة (٨٣/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٣٩٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٦٨) والحاكم في المُستدرك (٣٧٨/٢)، ولكن الترمذي وصفه بالغرابة، وحققه الشيخ محمد زاهد الكوثري وانتهى إلى أنّه دخيل فسماه في مقالاته (ص٣٠٨): "أسطورة الأوعال"، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد بن حنبل (ج١ص٢٠٦): "إسناده ضعيف جدا".

---

[٨٧٥] ابن حجر العسقلاني؛ فتح الباري (١٢٠ \ ٤٩٩).

[٨٧٦] ابن الجوزي: تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١١ \ ٧٧).

وضَعَّفَهُ أيضًا الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بقوله: "الحديث ضعيف الإسناد لا تقوم به حجة..، وللحديث علتان: الاضطراب في إسناده وجهالة أحد رواته..، وهذا موضوع هام يجب على كل مُشتغل بعلم السنة وتراجم الرواة أن يكون على بينة منه كي لا يخطئ بتصحيح الأحاديث الضعيفة اغترارًا..، إذ كل ما فيه من بيان المسافة بين كل سماء والتي فوقها وكذا البحر فوقها والثمانية أوعال كل ذلك لم يرد فيه شيء صالح للاحتجاج به..، (و) هناك أحاديث أخرى في تحديد المسافة المذكورة؛ وهي مع ضعف أسانيدها مُختلفة مُتناقضة ولا داعي للتوفيق بينها"[٨٧٧].

وضَعَّفَهُ أيضًا الشيخ مصطفى العدوي في سلسلة التفسير (ج٥١ص٢٤): "حديث الأوعال ليس بصحيح"، وقال الشيخ محمد يحيى عزان في كتابه عرض الحديث على القرآن منهج رائد في صيانة السنة النبوية (ج١ص٢٣): دراسة الأسانيد وحدها لا تكفي في نقد الحديث..، و(لقد) توجهت جهود الفقهاء إلى دراسة متون الأحاديث..، ومن الضوابط.. اعتبار ما يُكذبه العقل ويُنكره الحس والواقع غير مقبول، كحديث: (إن الأرض على صخرة والصخرة على قرن ثور، فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة فتحركت الأرض؛ وهي الزلزلة)، وحديث..: (ثمانية أوعال)".

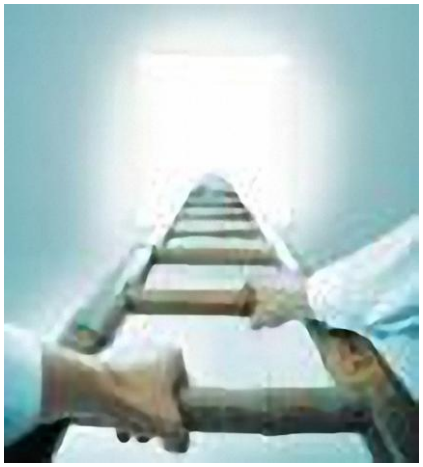

وهكذا شاع الوهم عند كتبة الأسفار بقرب السماوات حيث يجلس المَلِيك المُقْتَدِر مُجسدًا جل في علاه على كُرسي الحُكم كالمُلوك؛ حقيقةً لا مجاز، والسماوات من القُرب بحيث يُمكن بلوغها بسلم أو صرح، ويُلمح القرآن الكريم تعريضًا بوهم الجاهلين بسعة مُلْك العَلِي القَدِير: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ٢٨القصص:٣٨، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ٤٠غافر:٣٦و٣٧، ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٦الأنعام:٣٥.

والقاعدة هي أن شهادة الواقع برهان قاطع، وإذا كان الأصل في الغيبيات هو التفويض بغير تكييف ولا إنكار؛ فالأصل في الكونيات صيانة الشريعة عن الغرائب، لأن الوحي حتمًا لا يُخالف الواقع، قال الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا المتوفى سنة ١٩٩٦ في كتابه السُّنَّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (ص٧٤و٧٩): "حديث الآحاد يُفيد الظن العلمي، و(هو) دليل على الحكم الشرعي؛ ما لم يكُن هناك دليل أقوى منه..، والبُعد الذي لاحظناه عن منهج السلف يرجع إلى انتشار الأحاديث الضعيفة، ويرجع قبل ذلك إلى انتشار مقُولة لم يكن لها رواج بين الفقهاء القدامى؛ وهي أن حديث الآحاد يفيد اليقين العلمي الذي يفيده المُتواتر"، وقال (ص٢٠٤): "اليقين الثابت بالعلم وبالوحي لا يجوز أن يتقدم عليه ظن علمي يرويه حديث آحاد، إن حديث الآحاد يتأخر حتمًا أمام النص القرآني والحقيقة العلمية والواقع التاريخي"، فلا مطعن إذن في رسالة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام بتناول روايات غير قطعية الثبوت عند المحققين وتتضمن غرائب.

وإذا ارتضيت منهج السلف في نقد الأخبار سندًا ومتنًا واستبعاد الغرائب واستنطقت الحقائق العلمية اليوم؛ يترسخ لديك اليقين بأن هذا الكتاب العزيز مُتفرد بالاستعلاء على كل الأوهام غير أي كتاب آخر يُنسب للوحي، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ يُفسره التقدير بسرعة لا ينقطع معها التدبير، والسياق يستبعد تلك الغرائب المُوافقة لتصور كتبة الأسفار أن السماء قبة تحملها رءوس الجبال وتبلغها الأقدام أو البغال، قالت بنت الشاطئ: "تكلف مفسرون فحددوا مقدار ذلك السُّمك (للسماء)، ففي (الكشاف والبحر): جعل مقدارها في العلو مديدًا رفيعًا، مقدار خمسمائة عام، وهذا ما لا يقبله النص من قريب ولا بعيد..، وهو من تفاوت قياس السرعة بالزمن على اختلاف العصور؛ فما كان يُقاس أيام الزمخشري بالأعوام في عصر الناقة؛ أصبح يُقاس بالدقائق والثواني في عصر غزو الفضاء"[٨٧٨].

---

[٨٧٧] موسوعة الألباني في العقيدة (٦/ ٤٠٢).

[٨٧٨] بنت الشاطئ عائشة محمد عبد الرحمن؛ التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة السابعة (١١ ١٤٩).

[٦] معادلة ثرية بالحقائق العلمية

تخضع حركة القمر لشتى التأثيرات مُن الأجرام حوله خلال دورته حول الأرض؛ ولذا كل معايير حركته قيم وسطية، ووفق علم الإحصاء يُعبر بالقيم الوسطية، كما يُقال: مدة دورة الحيض ٢٨ يومًا؛ أي النموذجية الوسطية تعبيرًا بالغالب.

(١) علاقة كونية ثابتة:

استخدمت قوافل العرب قديمًا الزمن للتعبير عن مسافة، فقاسوا الرحلات بالزمن الناجم عن الحركات الفلكية؛ الحركة اليومية الظاهرية للشمس والتغيرات الشهرية لأوجه القمر، وتعداد السنة ١٢ شهرًا، وفي القياس: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ اليوم بعض السنة، فلا يستقيم حمل المماثلة إلا على المسافة؛ لا الزمن، وكانت السنة في عُرْفِهم تقوم على سير القمر ليتم ١٢ دورة حول الأرض، والدلالة إذن أن المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة تُقطع في يوم واحد، لبيان قيمة السرعة الأعلى Uppermost Speed للانتقال في الكون؛ وهي سرعة الضوء في الفراغ، والمسافة الفلكية التي يقطعها ما تَقُوم على حركته السنة أنسب لقياس مسافة هائلة لا يوجد على الأرض مُتَّسَع لقياسها؛ خاصةً أن القمر أقرب الجيران، لكن حركته نسبية تفتقر لتحديد إطار أو مرجع تُنسب إليه، فتختلف سرعة قطار بالنسبة لمراقب على المحطة عنها بالنسبة لراكب سيارة أسرع أو أبطأ، والمعيار: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ عائد سياقًا على القياس؛ فيعني استبعاد نسبة حركة القمر حول الشمس والاكتفاء بحركته حول الأرض فحسب وفق ما كانوا يَعُدُّون ويظنون.

(٢) تحريد حركة القمر رائعة بلاغية ومأثرة فيزيائية:

بالإضافة إلى حركة القمر حول الأرض يتحرك حول الشمس؛ لذا حركته مركبة، ولو كانت حركته حول الأرض فحسب كما يعدون لكان مداره كامل الاستدارة؛ لكنه بيضاوي ناقص الاستدارة Ellipse، حيث تشارك حركته حول الشمس لتضيف نسبة إلى حركته المُجَرَّدَة، وهو يطوف حول الأرض والشمس متأثرًا كذلك بالأجرام سواهما؛ ولذا في كل دورة للقمر حول الأرض يتغير البعد بين المركزين، وفي كل سنة ومن سنة لأخرى يتغير كذلك بعده قليلا من دورة لأخرى(*).

Moon distances for Cairo, Egypt (2010-2014)

السنة	أقصى بعد (كم)	أقل بعد (كم)
٢٠١٠	٤٠٦٥٤٤	٣٥٦٦٠٦
٢٠١١	٤٠٦٦٥٧	٣٥٦٦٠١
٢٠١٢	٤٠٦٤٣٩	٣٥٦٩٦٤
٢٠١٣	٤٠٦٤٨٥	٣٥٧٠١٤
٢٠١٤	٤٠٦٥٤٧	٣٥٦٩٢٢

(*) http://www.timeanddate.com/astronomy/moon/distance.html?year=2015&n=53

وتقتضي الحكمة إذن لاستخدام حركة القمر كمقياس لقيمة سرعة الضوء بالفراغ المجردة من التأثير الخارجي؛ استبعاد النسبة الإضافية التي تجعل مداره بيضاوي بخلاف ما كانوا يعدون، واستخدام حركته المجردة؛ كما لو كانت الأرض ثابتة لا تدور حول الشمس والقمر يدور حولها فحسب في نظام مستقل معزول عن كل التأثيرات الخارجية، خاصة أن حركة الأرض حول الشمس لا يعاينها إلا مراقب خارج النظام الشمسي لا المراقب الأرضي؛ فاعتبرت ساكنة لا تدور حول الشمس، والناظر بالعين المجردة لوجوه القمر خلال دورته؛ لا يدرك بدون أجهزة فلكية نسبة تغير بعده وكأنها مستبعدة.

ومعيار القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن يعتمد نموذج مركزية الأرض Geocentric Model؛ فيختار للقياس نسبة حركة القمر حول الأرض فحسب وكأنها في الفراغ؛ لأنها الأنسب لقياس قيمة سرعة الضوء الثابتة القيمة في الفراغ، فيكون كلا المِقْيَاس والمُقَاس في إطار مَرْجِعِي واحد: مُسْتَقِل مُغْلَق Inertial Frame of Reference، أي في نظام مَعْزُول Isolated System عن التأثير الخارجي، وبهذا الاعتبار تتحقق علاقة ثابتة باستخلاص نسبة مُجَرَّدَة حوالي: ٨٩% من متوسط أقصى قيمتين لبعدي القمر أو سرعته، ويستبعد نسبة التغير في حركته: حوالي ١١%، وهي ناجمة عن حركته حول الشمس التي تجعل المعايير متغيرة لا يعبر عنها إلا بقيم وسطية، حيث تتباين قيم البعد والسرعة دوريا وقليلا سنويا بخلاف النسبة الثابتة نتيجة حركته حول الأرض فحسب، والتعبير ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن قد سبق بمبدأ النسبية، وأقام علاقة ثابتة كلا طرفيها في نفس الإطار المرجعي وكأنها منسوبة لنجم بعيد ثابت، وهو يعني: من الذي تحسبون وتظنون، فدل بلفظه على دوران الأرض حول الشمس بخلاف ما يظنون؛ فأي إحكام إذن في البيان وإخبار بالمستور!.

(٣) دورة القمر بالنسبة للنجوم:

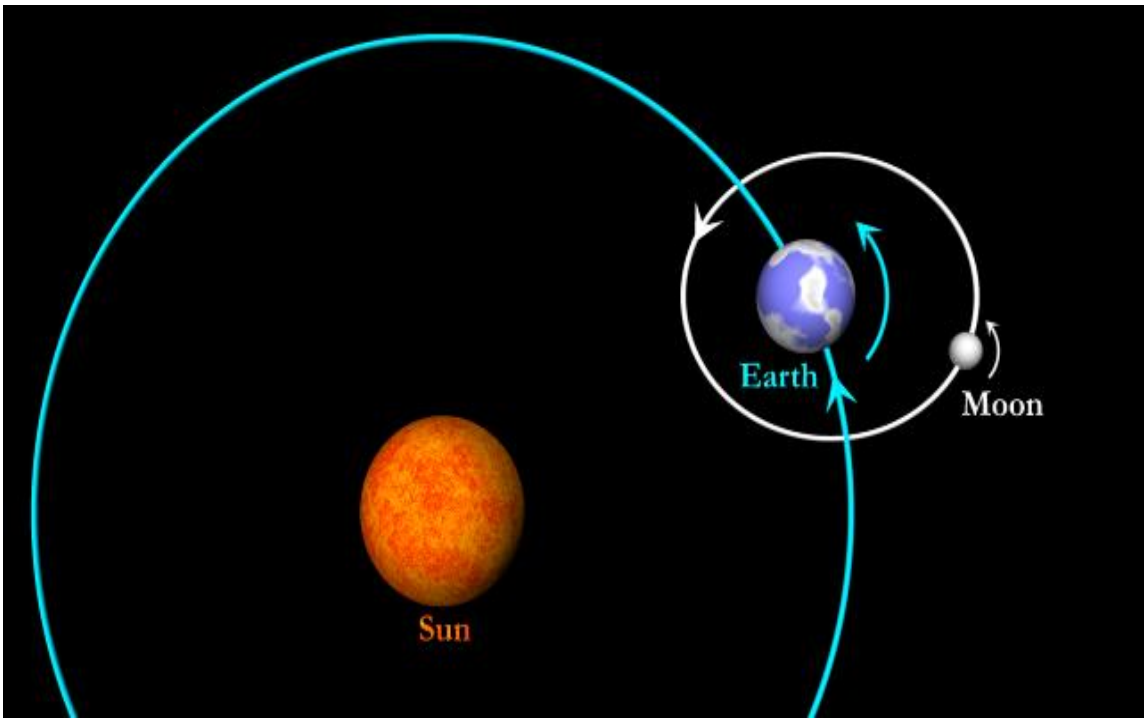

يَتَحَدَّد اليوم بإكمال الشمس دورة ظاهرية كما تبدو للراصد الأرضي، ويسمى فلكيًّا باليوم الاقتراني Synodic Day؛ حيث تقطع الأرض دورة حول نفسها في ٨٦٤٠٠ ثانية، لكنها تتم دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول نفسها بالنسبة لنجم بعيد في يوم نجمي Sidereal Day: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ وتدور حول الشمس في مدة سنة نجميه Sidereal Year: ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يومًا: ٣٦٥ يوما و٦ ساعات، و٩ دقائق و٩,٥ ثانية، ولذا عدد الدورات الظاهرية لحركة الأرض حول نفسها في السنة قيمته تساوي: ٣٦٥,٢٥٦٣٦؛ بينما عدد الدورات الحقيقية: ٣٦٦,٢٥٦٣٦؛ أي بزيادة دورة كاملة كل سنة، ويرجع الفارق فلكيًّا إلى أن الأرض تدور حول الشمس أثناء دورانها حول نفسها، وتَتَحَدَّد مدة الشهر القمري بإكمال القمر دورة ظاهرية كما تبدو للراصد الأرضي؛ ويسمى فلكيًّا بالشهر الاقتراني Synodic Month، وطوله: ٢٩,٥٣٠٥٨٨١ يومًا، ولكن القمر يتم دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة لنجم بعيد في مدة شهر نجمي Sidereal Month: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا: ٢٧ يوما و٧ ساعات و٤٣ دقيقة و١١,٥ ثانية، ولذا عدد الدورات الظاهرية في السنة: ١٢,٣٦٨٧٤٦٥٦ دورة؛ وعدد الدورات الحقيقية في السنة: ١٣,٣٦٨٧٤٦٥٦، بزيادة دورة كاملة كل سنة، والفارق كذلك بسبب حركته مع الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها.

(٤) سرعة القمر مُتَّجَه:

تُعْتَبَر السرعة في الفيزياء مُتَّجَه Vector كالقوى، أي تظل ثابتة القيمة والاتجاه كأنها في خط مستقيم ما لم يُؤثر عليها مُؤثر خارجي، وتغير الاتجاه أو السرعة يعكس اكتساب تسارع Acceleration نتيجة مؤثر خارجي، وعند نهاية دورة للقمر باعتبار ما يَعُدُّون؛ ستكون سرعته كمتجه في نفس الاتجاه عند بدء الدورة، وكأن حركته حول الأرض في نظام مَعْزُول.

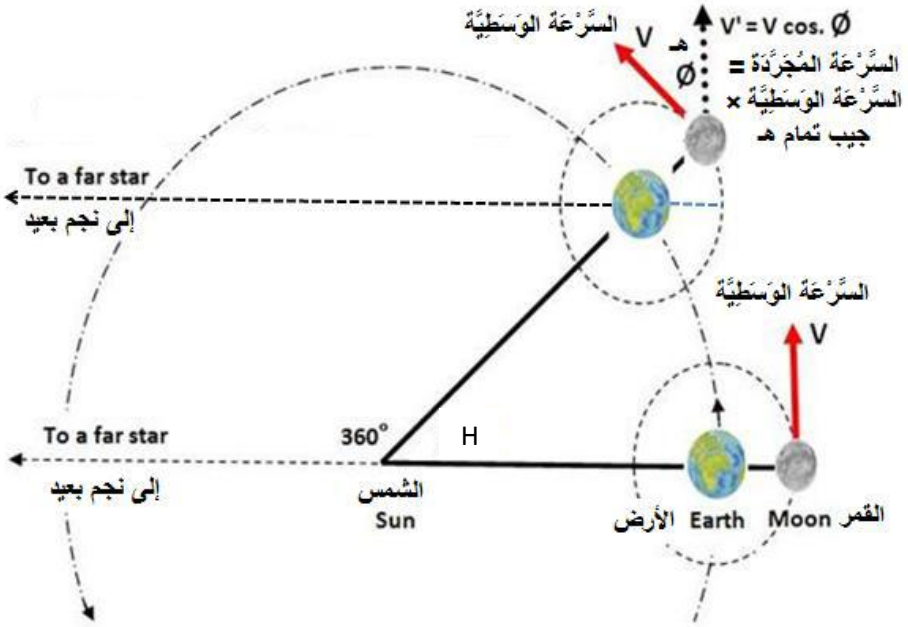

ولكن القمر يتحرك حول الشمس أثناء حركته حول الأرض ليقطع كل دورة بالنسبة لنجم بعيد زاوية قيمتها (هـ): ٣٦٠ × (٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ \ ٣٦٥,٢٥٦٣٦) = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ درجة، وكأن اتجاهه تغير على مداره المعزول بنفس الزاوية؛ فتغير اتجاه سرعته المجردة لتعكس اكتساب تسارع، ولذا نسبة الحركة حول الأرض (جتا هـ): ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣، والنسبة الناتجة عن حركته حول الشمس من القيم الوسطية التي تجعل المدار بيضاوي هي: ٠,٠١٠٨٤٢٧٤٥٧٧.

(٥) السرعة المماسة المجردة للقمر:

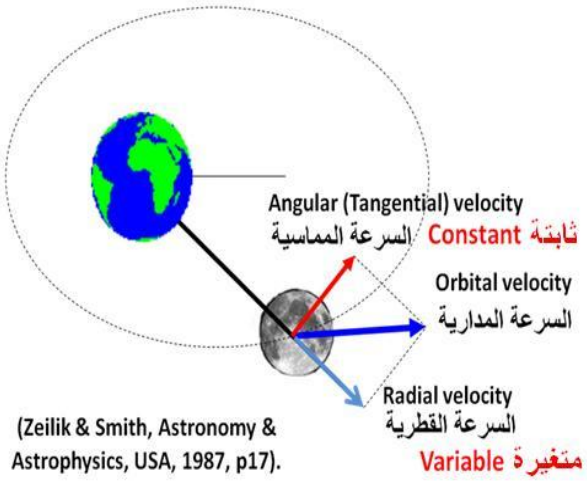

بتحليل السرعة المدارية Orbital Velocity عند أي نقطة على مدار القمر؛ تنتج مركبة في اتجاه القطر تسمى السرعة القطرية Radial Velocity، وتخضع للتغير من نقطة لأخرى، ومركبة متعامدة على القطر؛ تصنع معه زاوية قائمة، وهى السرعة الزاوية Angular Velocity، وهي السرعة المُعْتَبَرَة في النظام الأرض قمري المعزول؛ لأن قيمتها ثابتة عند كل نقاط المدار، ولذلك تسمى أيضا: السرعة المماسية Tangential Velocity (Zeilik & Smith; P17).

(٦) نسبة التغير في بعد القمر:

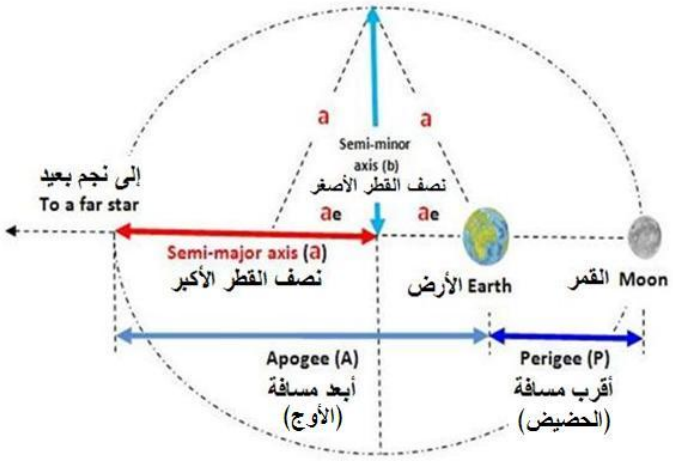

تتغير سرعة القمر وبعده عن الأرض طبقًا لموقعه، ولذا المدار القمري Lunar Orbit ليس بدائرةً كاملة الاستدارة؛ وَإِنَّمَا بيضي ناقص الاستدارة، وبدلاً من نصف القطر في الدائرة؛ له نصف قطر أكبر (Semi-Major Axis (a يمثل نصف مجموع أبعد مسافة أي الأوج Apogee (A) وأقربها أي الحضيض Perigee (P)، وطبقًا لنقصان الاستدارة Eccentricity (e = ae/ a)؛ تُعرف قيمة أبعد مسافة: A = a (1 + e)، وأقربها: P = a (1 – e)، ونصف القطر الأكبر: $a = (A + P)/ 2 = 2R/ \{1 + (1 - e^2)^{0.5}\}$؛ حيث R البعد المتوسط Mean Distance، ويُعرف نصف القطر الأصغر Semi-Minor Axis (b): $b = \{a^2 - (ae)^2\}^{0.5}$، والبعد المتوسط: R = (a + b)/ 2، وتُعرف نسبة البعد الخاضعة للتغير Variable Ratio من أقصى بعدين: 2e = 2 ae/ a؛ أي ضعف نقصان الاستدارة، فتكون النسبة الثابتة: (جتا هـ) = 2e - 1؛ ومتوسط نقصان الاستدارة (e): ٠,٠٥٤٢١٣٧٢٨٨٥. ولكن كل معايير الحركة الفلكية للقمر تتغير نتيجة التسارع الناجم عن الحركة في نظام غير مستقل؛ يؤدي لوجود نسبة خاضعة للتغير في بعده (وسرعته)، وتبقى نسبة تعبر عن بعد ثابت يجعل المدار القمري كامل الاستدارة Perfectly Circular Orbit؛ والسرعة الفاعلة في النظام المُستقل المعزول مُنتظمة ومُجردة وثابتة القيمة والاتجاه كما لو كانت رياضيا في خط مستقيم.

[٧] توحيد الأجرام في المنشأ والنظام

قياس حركة القوى بمعزل عن التأثير الخارجي؛ تَطَلَّب جعل حركة القمر مستقلة بحسب ما يَعُدُّون؛ باستبعاد نسبة تغير بعد القمر وسرعته من القيمة الوسطية لكل منهما، فتصبح حركته مستقلة مجردة ومنتظمة والمدار كامل الاستدارة، والمعيار ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن قد حقق شرط تحديد مرجع لحركة نسبية، وجعل كلا طرفي القياس في إطار مرجعي مُسْتَقِل مُغْلَق في نظام مَعْزُول عن التأثير الخارجي؛ في علاقة ثابتة منذ نشأة النظام الأرض قمري؛ بالإمكان أن تدل على آلية نشأته.

(١) معايير حركة القمر حول الأرض:

يُعْرَف طول المدار (L) بمعرفة متوسط السرعة (V) وشهر نجمي (T'): L = V T'، أو البعد المتوسط (R): L = 2 π R؛ حيث: π = ٣,١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨، والشهر النجمي: ٢٣٦٠٥٩١,٥ ثانية، ومتوسط سرعة القمر حوالي: ١,٠٢٣ كم\ ثانية (Laros Astronomy; p.142)، والقيمة التي تحقق سرعة الضوء بمسافة ألف سنة قمرية في زمن يوم هي: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كم\ثانية، لذا يُمكن تعريف القيم المُجَرَّدَة في النظام الأرض قمري المعزول: السرعة: ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ كم\ ثانية، البعد عن الأرض: ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ كم، طول المدار: ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ كم.

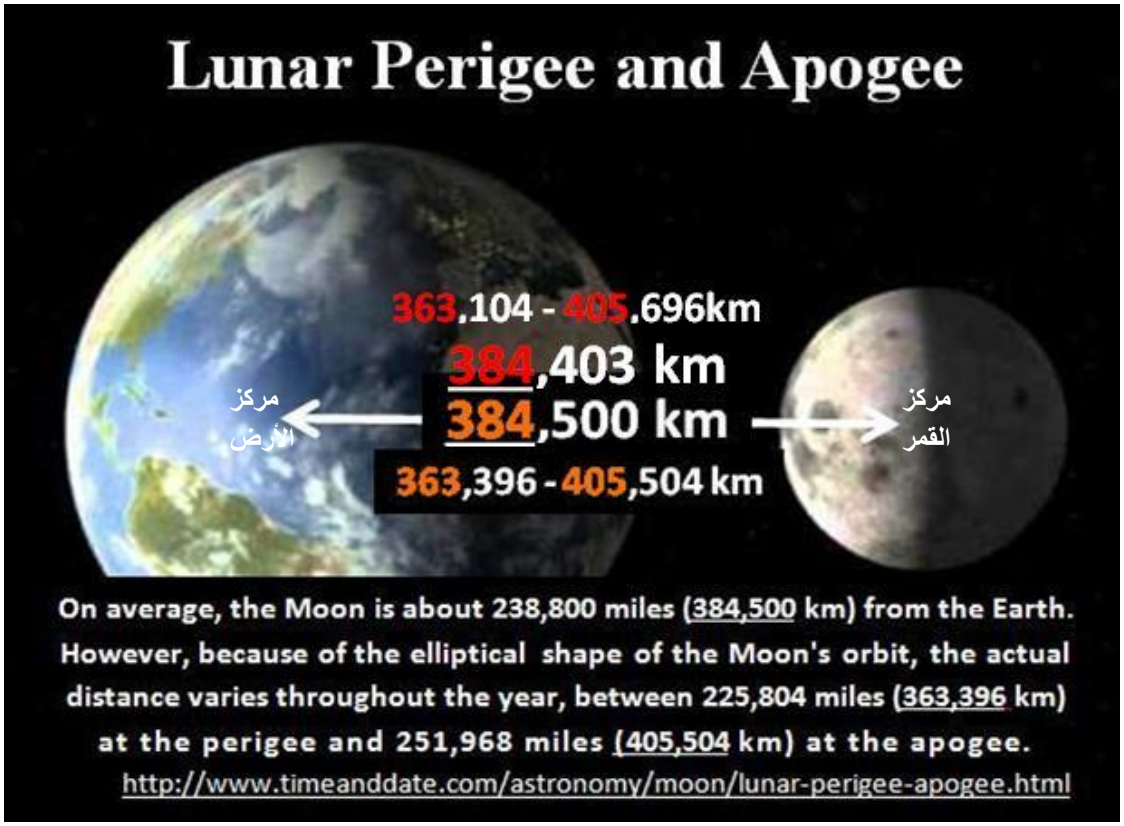

وبناء على العلاقة؛ أبعد مسافة للقمر عن الأرض: ٤٠٥٣٩٤,٠٦٨٣ كم، وأقرب مسافة: ٣٦٣٦٩٨,٦٨٢٤ كم، ونصف المحور الأصغر للمدار القمري: ٣٨٣٩٨٠,٨٤٣٩ كم، ومتوسط بعد القمر عن الأرض (R): ٣٨٤٢٦٣,٦٠٩٦ كم، ونصف المحور الأكبر (a): ٣٨٤٥٤٦,٣٧٥٣ (حوالي: ٣٨٤٥٠٠) كم؛ وهي نفس القيمة الفلكية؛ حوالي: ٣٨٤٥٠٠ كم.

(٢) اليوم في ازدياد والقمر في ابتعاد:

إذا كانت المسافة التي يقطعها الضوء بالفراغ في يوم تماثل المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة (١٢٠٠٠ دورة) في النظام الأرض قمري المعزول؛ فيُمكن صياغة معادلة ثابتة منذ نشأة النظام: (c = 12000 L'/t')؛ حيث c سرعة الضوء، L' طول مدار القمر، t' يوم نجمي، ويُمكن صياغتها على النحو التالي: c = 12000 V'T'/ t'، أو: c = 12000 2π R'/ t' في النظام المعزول؛ حيث T' شهر نجمي، V' سرعة القمر، R' بعده، π = ٣,١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨، وحيث أن قيمة c ثابتة (٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية)؛ إذن: V'T' = t' ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣؛ وقيمة R' = t' ٣,٩٧٦١٢٠٩٦٨.

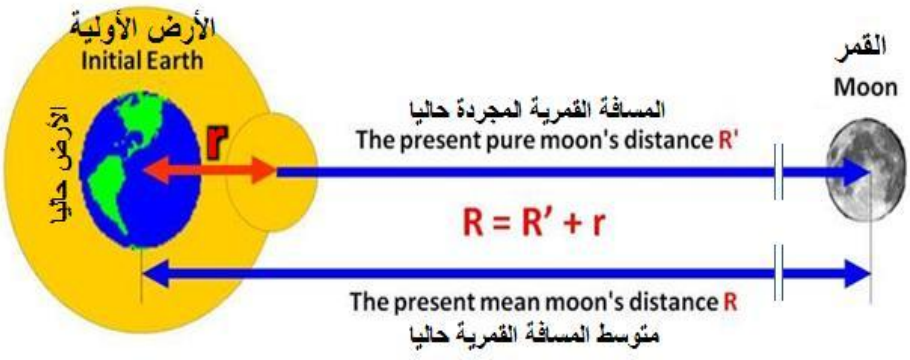

بتلاشـــــي بعـد القمـر (R' = صفر) في العلاقة بين بعده R' ومدة دوران الأرض حول نفسها t' في النظام المعزول؛ تتبقى مسافة بالنظام المرصود تكافئ نصف قطر الأرض الأولية: r = R - صفر، وعند اتصال القمر بالأرض: t' = T'، واتصال القمر بالأرض يعكس تكون المدار الأولي للقمر على بعد يكافئ ضعف نصف القطر الأولي للأرض: R=2 r، ووفق العلاقة (t' = V'T') ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣) تكون سرعة دوران الأرض الأولية حول نفسها: V' = ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣ كم\ ثانية، وفارق البعد حاليا: ٣٨٤٢٦٣,٦٠٩٦ - ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ = ٤١٦٦٤,٧٢٦٢ كم، ونصف قطر الأرض إذن أكبر بحوالي ٦,٥ مرة منه حاليا (٦٣٧٨,١ كم)؛ إذن الجسم الأولي الأم للأرض والقمر غيمة سديمية، وبمعرفة سرعة دورانها حول نفسها ونصف قطرها؛ تُعرف مدة دورتها Rotation Period (t): ١٠٤٧٨,٧٣٧١١ ثانية (أكثر قليلا من ٢,٥ ساعة)، فيكون اليوم الأرضي حوالي: ٤ ساعات[٨٧٩]، والمدة حاليا: ٢٤ ساعة؛ والنتيجة إذن أن اليوم في ازدياد والقمر في ابتعاد.

(٣) النشأة السديمية للنظام الأرض قمري:

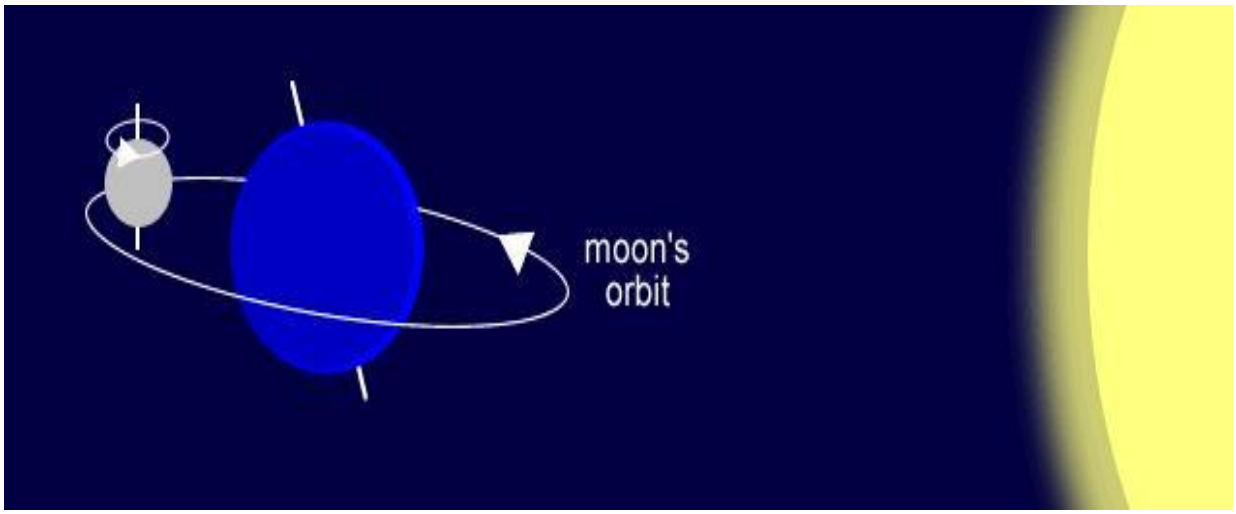

يدور القمر حول الشمس بتلازم مع دورته حول الأرض ليقطع نفس الزاوية (هـ) التي تقطعها الأرض حول الشمس في كل دورة حولها، وكأنه انتقل في مداره المعزول ليضيف نفس الزاوية؛ فيتغير اتجاه سرعته في موضعه الجديد بالنسبة إلى نجم بعيد، ليعكس وجود نسبة تسارع Acceleration يمكن استبعادها بتحليل متوسط سرعته كمتجه Vector، والنسبة الخاضعة للتغير Variable Ratio في متوسط البعد أو السرعة تكافئ: 2e، أي ضعف نقصان استدارة مدار القمر: e؛ وترجع لحركته حول الشمس، والنسبة الثابتة تكافئ: جتا هـ؛ وترجع لحركته حول الأرض فحسب، وعلى طول عمر النظام؛ تظل القيمة (r) ثابتة كبصمة لنصف قطر الأرض الأولية، لذا النسبة (r/ R) تكافئ دومًا (2e)، وتعكس معايير حركته عند أي بعد مهما تباعد القمر، وتمثل القيمة المتبقية (1-2e = جتا هـ) معايير حركته المجردة، ويَتَحَدَّد البعد المُجَرَّد R' بمعرفة متوسط بعده R: (جتا هـ /R' = R)، وبالمثل السرعة المُجَرَّدَة V': (جتا هـ /V' = V).

[٨٧٩] تُضيف الأرض بالنسبة لنجم بعيد كل دورة لها حول الشمس دورة كاملة حول نفسها؛ إذن: (سنة\ يوم أرضي) = (سنة\ يوم نجمي) - ١، ولذا اليوم الأرضي حاليا: ٢٤ ساعة؛ والنجمي: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية، وعند نشأة الأرض؛ اليوم الأرضي (4/ 3t) = ١٣٩٧١,٦٤٩٤٨ ثانية (حوالي ٤ ساعات).

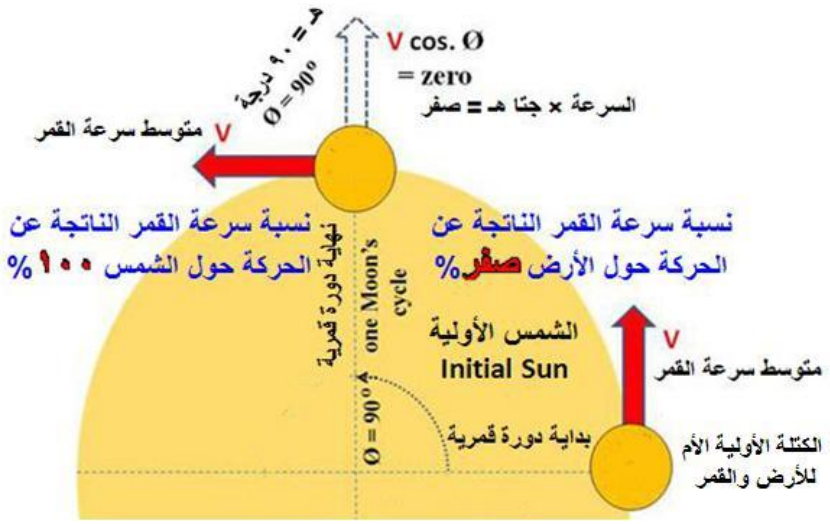

وعند اتصال القمر بالأرض الأولية؛ تكون النسبة: (r/ R) = ١، إذن القيمة: (2e) = ١، لكن: 2e-1 = جتا هـ؛ أي أن: جتا هـ = صفر، إذن: (هـ = ٩٠ درجة)؛ أي تكون الزاوية التي تقطعها الأرض والقمر حول الشمس قائمة خلال دورة قمرية، فتعني أن حركتيهما مماسية للشمس؛ وأنه لا أثر لحركة منفصلة للقمر عن الأرض، وكل حركة القمر بالنسبة لنجم بعيد ترجع لاتصاله بالشمس وحركته على طرفها مع الأرض لأن 2e = ١، والنتيجة إذن: وحدة الأرض والقمر مع الشمس في أصل واحد ومادة واحدة؛ ونظام حركي واحد وفق علاقة كونية واحدة تشمل بالمثل كل متبوع وتابعه.

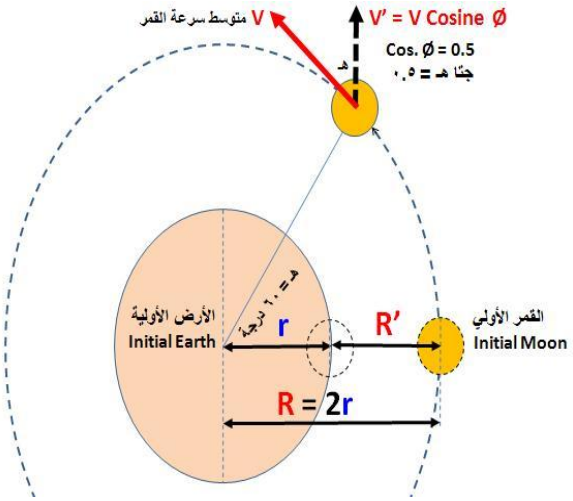

وبافتراض انفلات القمر عن الغيمة الأم للأرض والقمر واستقلاله عند نقطة توازن Equilibrium تتساوى عندها القيمة المكافئة لنسبة حركته حول الشمس من متوسط سرعته أو أقصى بعديه (2e) مع القيمة المكافئة لنسبة حركته حول الأرض: (جتا هـ)؛ فتكون النسبة (r/ R) = ٠,٥؛ والقيمة (2e) = ٠,٥، والقيمة (جتا هـ) = ٠,٥، والزاوية المركزية (هـ) = ٦٠ درجة، وحينئذٍ يتكون المدار الأولي عند متوسط بعد (R) يماثل ضعف بعده عند الاتصال: (R = 2r = R' + r)؛ وللتعديل وفق العلاقة الخطية تنقص قيمة متوسط سرعته في المدار الأولي إلى النصف، وتعكس مركبتها في الاتجاه الأصلي إذن بعد دورة قمرية سرعة الهروب Escape Velocity من الأرض؛ وتكافئ قيمتها نصف النصف: ٦,٢٤٥٦٧٦٢٠٨ كم\ ثانية، وحينئذٍ تكافئ قيمة شهر نجمي وفق العلاقة أربعة أيام نجمية: T' = 4 t'.

وعند اتصال القمر بالأرض والشمس؛ تكون النسبة المُعَبِّرَة عن السرعة القطرية المتجهة باتجاه القطر والمكافئة لنسبة حركته حول الشمس من متوسط سرعته: 2e = ١ (١٠٠%)، ونسبة السرعة المماسية المُتَعَامِدَة على القطر والمكافئة لنسبة حركته حول الأرض: جتا هـ = صفر، ومتوسط سرعته: V = (V'\ جتا هـ) = (V'\ صفر) = ∞؛ (ما لا نهاية)، وهي تعكس هروب من الأرض باتجاه القطر نحو نقطة توازن؛ حيث تتساوى نسبة حركته حول الأرض (جتا هـ) مع نسبة حركته حول الشمس (2e)، أي أن القمر والأرض أشبه بتوأم Twin؛ لانفصاله معها في نفس الوقت.

(٤) كثافة أولية واحدة للشمس والقمر والأرض:

بافتراض النشأة السديمية للأرض والقمر مع الشمس من جسم أصلي واحد متجانس؛ سرعة الهروب v من أي جرم منهم تتناسب حينئذٍ مع الكتلة M أو نصف القطر r: $r_1/r_2 = V_1/V_2$؛ $M_1/M_2 = V_1^3/V_2^3$، ولذا بمعرفة كتلة الشمس حاليا (1.99×10^{30} كجم) وكتلة الأرض (5.9736×10^{24} كجم) وكتلة القمر (7.35×10^{22} كجم) تكون سرعة الهروب من الشمس: 432.963991 كم\ ثانية، ونصف قطرها: 2888290.327 كم، وسرعة الهروب من القمر: 1.441882483 كم\ ثانية، ونصف قطره: 9618.756561 كم، وقانون الكثافة $\text{Density} = 3M/4\pi r^3$؛ حيث M الكتلة، r نصف القطر؛ π = 3.1415926535898، وبتطبيق القانون على كل من الأرض أو الشمس أو القمر تنتج نفس الكثافة:

التحقق:

كثافة الأرض = $3\times5.9736\times10^{24}/\{4\times3.1415926535898\times(41664726.3)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

كثافة الشمس = $3\times1.99\times10^{30}/\{4\times3.1415926535898\times(2888290327)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

كثافة القمر = $3\times7.35\times10^{22}/\{4\times3.1415926535898\times(9618756.561)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

فكثافة الأجرام الثلاثة إذن واحدة؛ أقل بحوالي ٥٠ مرة من كثافة الماء (١٠٠٠ كجم\ متر^3)، وأكبر بحوالي ١٥ مرة من كثافة الهواء عند سطح البحر (١,٣ كجم\ متر^3)، وتلك سمات غيمة سديمية انحدر منها القمر ومعه الأرض والشمس، وهي تسمح بنشأته كغيمة سديمية خارج حد روش Roche Limit؛ حيث يَتَكَسَّر التابع الصُّلْب نتيجة شدة الجذب جهة المتبوع.

(٥) المُعدل السنوي لتباعد القمر عن الأرض:

بمعرفة مسافة التباعد منذ اتصال القمر بالأرض عند نشأة النظام الأرض قمري: ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٢ كم؛ يكون المعدل السنوي لتباعد القمر عن الأرض: ٤,٠٧ سم\ سنة، وبافتراض تسارع مُعدل التباعد إلى أن استقر المدار الأولي؛ تتبقى مسافة قدرها: ٣٠٠٩٣٤,١٥٦٩ كم بمعدل: ٣,٥٨ سم\ سنة، وبالتالي يُمكن معرفة متوسط معدل التباعد السنوي للقمر عن الأرض Mean Annual Moon's Recession Rate: ٣,٨٢ (حوالي ٤) سم\ سنة، وهي نفس نتيجة القياس بالليزر بعد وضع عواكس على سطح القمر منذ رحلة أبوللو ١١ عام ١٩٦٩: ٣,٨٢ (حوالي ٤) سم\ سنة (Laros astronomy, p62)، وهي تؤكد سبق النشأة السديمية للنشأة الجيولوجية للأرض منذ حوالي: ٤,٥ بليون سنة.

(٦) محطات في تاريخ الكون:

تُرَجِّح النشأة السديمية انفلات القمر من الأرض في السديم الشمسي عند نشأة النظام الأرض قمري وفق قانون المقذوفات: ($V^2 = 2MG/r$)؛ حيث V سرعة الهروب من أي جسم، M كتلته، r نصف قطره، G ثابت الجاذبية Gravitational Constant؛ ويمكن بواسطته تقدير التجاذب بين الأجرام الفلكية، وقيمة ثابت الجاذبية G حاليا: ٦,٦٧٤٢٨ × ١٠$^{-٢٠}$ قوة كم^3\ كجم\ ثانية^2، وبتطبيق القانون عند نشأة النظام الأرض قمري يتبين أن ثابت الجاذبية G ليس بثابت مُطلق على الدوام؛ وإنما تتناقص قيمته مع الزمن؛ حيث كانت منذ حوالي ٨,٤ بليون سنة عند نشأة النظام أكبر بحوالي الضعف: ١,٣٦٠٣٨٣٤٢ × ١٠$^{-١٩}$ قوة كم^3\ كجم\ ثانية^2، وبطريقة أخرى: ($V^2 = 2MG/r$)؛ أي: $G_1/G_2 = V^2_1 r_1/V^2_2 r_2$؛ حيث G_2 حاليا بافتراض ثبات M، إذن G_1 حوالي الضعف، وتؤيد تلك النتيجة ما توقعه الفيزيائيون؛ مثل بول ديراك Paul Dirac في عام ١٩٣٧ وبرانس ودايك Brans & Dicke في عام ١٩٦١.

ووفق قانون ثبات العزم الزاوي Conservation of angular momentum؛ إذا اقترب القمر من الأرض تزداد سرعته وإذا ابتعد تقل، بحيث تظل القيمة: (بعده R' × سرعته V' × كتلته M) قيمة ثابتة، وبعبارة أخرى: طالما بقيت كتلته ثابتة تظل القيمة: (R'V') ثابتة على طول عمر النظام الأرض قمري، وعند استقرار مدار القمر الأولي تساوي القيمة M_1 R'V' = ٦,٢٤٥٦٧٦٢٠٨ × ٤١٦٦٤,٧٢٦٢ = M_1 ٢٦٠٢٢٤,٣٨٩١، وفي الوقت الحالي تساوي القيمة M_2 R'V' = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ × ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ = M_2 ٣١٢٤١٤,٣٠٧٩؛ إذن قيمة: M_2 = M_1 ٠,٨٣٢٩٤٦٤٥١٣، أي نقصت كتلة القمر بنسبة ١٦,٧%؛ مما يُوافق فقده لكل غلافه الغازي نتيجة التهابه في الماضي.

(٧) بعد الأرض عن الشمس:

عند اتصال القمر بالأرض عند نشأة النظام الأرض قمري: T' = t'؛ T'/ t' = V'T'/ t' = 2π R'، والعلاقة الأساسية هي: R'/ t' = ثابت، وبالتعويض إذن: R'/ t' = V'R' = ثابت، وكتلة القمر في النظام المعزول ثابتة، وحينئذٍ تكون القيمة (MVR= ثابت)؛ وهي نفس صيغة قانون ثبات العزم الزاوي، وبالتعويض: T'/ t' × V' = ثابت، ينتج أن السرعة الابتدائية V' قيمة ثابتة (R'V' = ثابت) طالما بقي النظام معزولاً والكتلة ثابتة[٨٨٠]، والسرعة الابتدائية للشمس حين انفصال الأرض (V'°_{Sun}): ٤٣٢,٩٦٣٩٩١ كم\ ثانية، فيمكن تطبيق نفس العلاقة على الشمس والأرض: V'°_{Sun} × t'_{Sun} = R'_{Earth} 2π؛ حيث زمن دورة الشمس حول نفسها: t'_{Sun}، وبعد الأرض عنها: R'_{Earth}، وحاليًّا مدة الدورة الاستوائية للشمس حول نفسها تزيد قليلا عن ٢٥ يوما، والقيمة: ٢٥,١٢٦٩٤٨٩٦ يومًا؛ تحقق البُعد الوسطي للأرض حاليا، وهو يُستخدم في القياسات الفلكية باسم الوحدة الفلكية Astronomical Unit: ١٤٩٥٩٧٨٧٠ (حوالي: ١٥٠ مليون) كم، والتوافق مع الواقع لنظام حركة الأرض حول الشمس ونظام حركة القمر حول الأرض؛ يستبعد المُصادفة ويؤيد افتراض وحدة الأصل.

والعلاقة مُثلت بالنظام الأرض قمري بدلالة اليوم والألف سنة، ولكن المبدأ الحركي واحد لكل الأجرام السماوية؛ فهي إذن علاقة كونية، وعلى بساطتها أوجزت ضروبًا من التوحيد شملت القوى والأجرام الفلكية، ووَحَّدَت كل متبوع وتابعه في أصل واحد ونشأة واحدة ومادة واحدة ونظام حركي واحد، سمة كل موجود إذن؛ الحركة في انضباط على كافة المستويات، والضابط بكل نظام حركي هو السرعة الابتدائية، وتتبدى للفطين كحالات طاعة لتقدير القدير، وكأن العلاقة تُعَامِل الأجرام الفلكية بنفس المبدأ الواحد لجميع الموجات؛ فلكل منها طول وتردد يعكس المُدة وفق سرعة ابتدائية ثابتة، ومع تزايد بعد التابع تقل مدة دوران المتبوع، وكذلك الموجات: بتزايد الطول يقل التردد وتظل قيمة سرعة الضوء ثابتة، ومظاهر التوحيد والتقدير في كل ما صَنَع القدير؛ براهينٌ للفطين على مطلق قدرته ووحدانيته، وهو مَغْزَى العلاقة الثَّرِيَّة بالحقائق العِلْمِيَّة.

---

[٨٨٠] عند نشأة أي نظام فلكي: عندما يتلاشى بعد التابع في النظام المعزول؛ ما يتبقى من البعد المرصود يمثل نصف قطر المتبوع، وفي النظام المعزول تتوحد سرعة التابع حول المتبوع مع سرعة المتبوع حول نفسه عند نشأة النظام، وكلما ابتعد التابع تقل سرعته وفق علاقة ثابتة (R'V' = ثابت) طالما بقي النظام معزولا والكتلة ثابتة.

[٨] التوحيد رسالة الأنبياء

كانت السنة في تاريخ العبرانيين قائمة كذلك مثل العرب على سير القمر في ١٢ دورة حول الأرض، وكانت غُرَّات الأشهر قبل القرن الرابع للميلاد تُقَرَّر حسب رؤية هلال أول الشهر، وما زال التقويم القمري مُسْتَخْدَمًا إلى اليوم في الأعياد الدينية عند اليهود عملاً بمعهود الآباء، وفي سفر المزامير (١٠٤ \ ١٩): "صُنِعَ القمر للمواقيت"، وفي سفر يشوع بن سيراخ (٤٣ \ ٦و٧): "القمر بجميع أحواله المؤقتة هو نبأ الأزمنة وعلامة الدهر.. والقمر علامة العيد"، وورود نفس العلاقة بين اليوم والألف السنة في إرث موسى وإرث المسيح عليهما السلام في سياق بيان سرعة مجيء يوم الرب وزوال السماوات والأرض؛ رغم التشويه والخلو من معيار القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، دليل قاطع على أن دعوة الأنبياء على طول سلسلة النبوات؛ هو أزلية القَدِير تعالى وحده ووحدانيته؛ وبراءة المسيح عليه السلام من بدعة التثليث.

في سفر المزامير (٩٠ \ ١-٤): "صلاة لِمُوسَى رَجُلِ اللهِ.. من قبل أن تُولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله.. لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل"، وفي رسالة بطرس الثانية (٣ \ ٢): "لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد".

والسياق مُتعلق بسرعة مجيء يوم الرب وهلاك الفجار يوم الدين ونشأة عالم آخر ينعم فيه الأبرار؛ بصريح رسالة بطرس الثانية (٣ \ ٢-١٤): "لتذكروا الأقوال التي قالها سابقا الأنبياء القديسون (في الوعد بمجيء يوم الرب)..، سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون..، قائلين: أين هو موعد مجيئه، لأنه.. يخفى عليهم.. أن السماوات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله (كن) قائمة..، وأما السماوات والأرض الكائنة الآن فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها، محفوظة.. إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار، ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد، لا يتباطأ الرب عن وعده..، سيأتي.. يوم الرب؛ الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها، فبما أن هذه كلها تنحل؛ أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى، منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب، ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضا جديدة؛ يسكن فيها البَرُّ، لذلك أيها الأحباء؛ إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام"، والنصوص صريحة في بيان "سرعة مجيء يوم الرب": "ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء" إِشَعْيَاء ١٣ \ ٦، "ليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم" يوئيل ٢ \ ١، "كلص في الليل هكذا يجيء لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتةً كالمخاض للحبلى فلا ينجون" ١تسالونيكي ٥ ٢و٣، "تؤكل الأرض كلها لأنه يصنع فناءً باغتاً لكل سكان الأرض" (صفنيا:١ ١٨)، "هو ذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خرابا" (إِشَعْيَاء:١٣ \ ٩)، "يوم الرب عظيم ومخوف جدا فمن يطيقه" (يوئيل:٢ \ ١١)، "يوم سخط يوم ضيق وشدّة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب" (صفنيا:١ \ ١٥)، "ويل للذين يشتهون يوم الرب" (عاموس:٥ \ ١٨)، "قريب يوم الرب على كل الأمم" عوبيديا ١٥، "قريب يوم الرب العظيم قريب وسريع جدا" صفنيا ١ \ ١٤، "أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة" يوحنا ٢ \ ١٨.

الدين إذن في الأصل واحد ورسالة التوحيد إلى بني إسرائيل واحدة؛ وما عَكَّرَ مجرى النبع الصافي سوى أوهام وثنية وسلطة رومانية جائرة، ولا يستقيم إذن اتهام القرآن الكريم بالاقتباس من إرث سبق ناله التشويه بمرور الزمان؛ وهو الأكمل والمُتَفَرِّد وحده بمفتاح القياس: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الجامع لجملة حقائق علمية، والاستنتاج إذن أن سرعة الانتقال بالكون دليل مُدَّخَر لقادم الأيام على أن أزلية القدير ووحدانيته هي أصل رسالة الأنبياء؛ وأن العلاقة تنتظر القادم المُؤَيَّد بمفتاح القياس لتشهد بنبوته؛ يَتَلَقَّى تصويب ما غَيَّرَتْهُ الأيام وأتلفته الأيادي ويُخبر به فيصفو مجرى النبع، منحته عناية القدير النُطق بكامل الحق؛ مِمَّا لَمْ يَكُن في وسع أمة قبله احتماله وتَفَهُّمُهُ؛ وهو ما بَشَّرَ به عيسى عليه السلام أمته (إنجيل يوحنا ١٦ \ ١٣و١٤): "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم؛ ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه..، ويُخبركم بأمور آتية، ذاك يُمَجِّدُنِي؛ لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم".

وقد فاضت الأسفار بعلامات ذلك القادم بعد المسيح عليه السلام والمُؤيد بالآيات؛ ليُقيم الحق وتنتشر دعوته في كل الأرض: "هو ذا عبدي الذي أعضده مُختاري الذي سرّت به نفسي، وضعت روحي عليه؛ فيخرج الحق للأمم (جميعًا).. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته (له شريعة كموسى لكنها عالمية غير قومية)، هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها.. أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك وأجعلك.. نورا للأمم لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة (غرض جهاده تحرير المُضطهدين)، أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر (من بعدك).. غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض (حيث تبلغ دعوته).. لترفع البرية ومدنها صوتها الديار (موطنه ومبعثه) التي سكنها قيدار (ابن إسماعيل جد العرب؛ سكن حول بكة الاسم القديم لمكة)، لتترنم سكان سالع (جبل بيثرب مدينة هجرته)؛ من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجدا" (إِشَعْيَاء:٤٢\ ١-١٢)، "ليسبحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده (بلا لوثة التثليث الوثنية)" (مزامير:١٤٨\ ١٣).

والعرب ذُرية إسماعيل؛ بِكر إبراهيم وأخ إسحاق جد اليهود، وقد تفرقوا في الجزيرة وبقيت مكة في وسطهم تضمهم حول الكعبة وزمزم على ملة الجد إبراهيم، وفي خطاب القدير لموسى عليه السلام: "أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم (مكة) مثلك (صاحب شريعة)" تثنية:١٨\ ١٨، صفته الصادق الأمين؛ ويقيم دولة: "يُدعى أمينا صادقا وبالعدل يحكم ويُحارب" رؤيا يوحنا:١٩\ ١١، حجته بيان مقروء؛ أي قُرآن: "وأجعل كلامي في فمه" تثنية:١٨\ ١٨، وبيانه المقروء هو مُعجزته الخالدة: "ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم (الوثنية)" يوحنا:١٩\ ١١، وخطابه المُوجه للأجيال يتضمن بيان حقائق خفية عن العالم؛ لا يحتملها جيل المسيح عليه السلام الذي ترك تفصيلها لوارث إرث النبيين مُبشرًا بالقادم بعده: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدُكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه؛ بل بكل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" يوحنا:١٦\ ١٢-١٥.

واتهام القرآن لأهل الكتاب بالانحراف في الدين وتحريف مبدأ التوحيد رسالة كل الأنبياء؛ ليس خاليا من الدليل، ويكفي أن أقوال المسيح عليه السلام في مأثور أهل الكتاب تكشف كم بَعُدَت المسيحية المُتأغرقة عن المسيحية الحق؛ حيث يُعلن المسيح نفسه عبوديته لله تعالى وحده وأنه ليس إلا رسول كسابقيه، فقد قيل أنه: "قضى الليل كله في الصلاة لله" لوقا: ٦\ ١٢، وأنه: "كان يعتزل في البراري ويصلي" لوقا: ٥\ ١٦، وأنه قال: "لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" متى: ٤\ ١٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله" يوحنا: ١٣\ ١٦، وعندما سُئِل: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟" متى: ٢٢\ ٣٦، قال: "الرب إلهنا رب واحد" مرقس: ١٢\ ٢٩، وقال: "هذه هي الوصية الأولى والعظمى" متى: ٢٢\ ٣٨، وقال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" متى: ٥\ ١٧، وقد أعلن مرارا أنه ليس إلا رسول لله داعيا إلى وحدانيته تعالى كأعلام التوحيد سابقيه على طول التاريخ: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" يوحنا:١٢\ ٤٤، وقال: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا.. لا أطلب مشيئتي بل مشيئة.. الذي أرسلني" يوحنا: ٥\ ٣٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" يوحنا: ٥\ ٢٤، ولما دعاه أحدهم صالحًا قال: "ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" متى: ١٩\ ١٧، ومرقس: ١٠\ ١٨، ولوقا: ١٨\ ١٩، تلك أقوال المسيح عليه السلام تُخزي من يتهمه بأنه دعي يوما للتثليث خاصة مع قوله المُسلط سيفًا على رقاب السائرين على درب الطائفية لا يعون أين يقودهم الطريق: "من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يُدينه؛ الكلام الذي تكلمت به هو يُدينه في اليوم الأخير" يوحنا: ١٢\ ٤٨؛ فهل من مُعتبر فطين لينجو قبل فوات الأوان!.

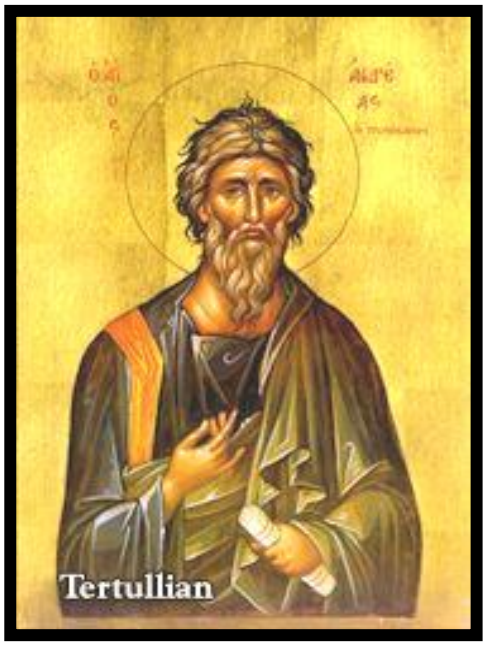

ترتليان Tertullian
(١٥٥ أو ١٦٠م – ٢٢٥م)

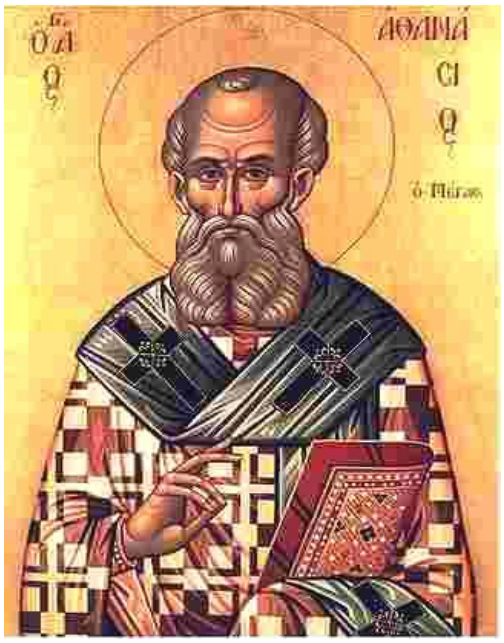

اثناسيوس السكندري
(٢٩٥م - ٣٧٣م)

فمن أين إذن جاء التثليث طالما لم يُصرح به عيسى عليه السلام؛ وإنما دعي إلى التوحيد!، ويُجيب قاموس الكتاب المقدس قائلاً: "الكلمة نفسها (التثليث) أو (الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويُظن أن أول من صاغها.. ترتليان Tertullian في القرن الثاني للميلاد (من حوالي ١٥٥م أو ١٦٠م إلى حوالي ٢٢٥م) .. وأخيراً ظهر اثناسيوس السكندري (٢٩٥م - ٣٧٣م).. واضعًا أساس العقيدة.. التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية..، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا"، فمن هو ترتليان هذا حتى يُعتمد قوله بالتثليث إلى اليوم؟، ويجيب الموقع المسيحي (بيت الله الحي) بقوله: "هو أحد أتباع مونتانوس Montanus الذي ادعى النُّبُوَّة في نهاية القرن الثاني، وبعد أن كثر أتباعه كان يُؤكد أنه هو الله نفسه"، وبهذا شهدت المصادر المسيحية نفسها بأن مصدر التثليث ليس عيسى عليه السلام الداعي إلى الوحدانية؛ وإنما رعايا البيئة الرومانية الوثنية.

وتتصل حلقات سلسلة النبوات منذ القدم برسالة واحدة إلى الأمم، هي الدعوة إلى وحدانية الله تعالى؛ مُعارضةً المُعتقد الوثني القديم في تأليه العظماء والظواهر المجهولة المُستغربة والمُجسدات، ولذا تفيض مُدونات أهل الكتاب ببيان مبدأ التوحيد بوضوح تام: "الله واحد" (١كورنثوس ٦١١٢، غلاطية ٢٠١٣، يعقوب ١٩١٢، رومية ٣٠١٣، مرقس ٣٢١١٢)، "ليس إله آخر إلا واحدا" (١كورنثوس ٤١٨)، "أنا الله وليس آخر" (إِشَعْيَاء ٢٢١٤٥)، "إله واحد" (١تيموثاوس ٥١٢)، "أنا الرب ولا إله آخر غيري.. ليس سواي" (إِشَعْيَاء ٢١١٤٥)، "أنا الرب وليس آخر؛ لا إله سواي" (إِشَعْيَاء ٥١٤٥)، "الإله الواحد" (يوحنا ٤٤١٥)، "هل يُوجد إله غيري" (إِشَعْيَاء ٨١٤٤)، "لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري؛ أنا الرب وليس آخر" (إِشَعْيَاء ٦١٤٥)، "اذكروا الأوليات..؛ أنا الله وليس آخر الإله وليس مثلي" (إِشَعْيَاء ٩١٤٦)، "لتعلم أن الرب هو الإله؛ ليس آخر سواه" (التثنية ٣٥١٤)، "أنت الإله الحقيقي وحدك" (يوحنا ٣١١٧)، "الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه؛ هذا إذ هو رب السماء والأرض، لا يسكن في هياكل مصنوعة" (أعمال ٢٤١١٧)، "أنت هو الإله الصانع السماء والأرض" (أعمال ٢٤١٤)، "ليس سواه" (تثنية ٤١٦)، "وحدك الله وليس آخر" (إِشَعْيَاء ١٤١٤٥)، "ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر" (١الملوك ٦٠١٨).

وكلمة البدء التي قامت بها السماوات والأرض وفاضت بها المُدونات يُمثلها الأمر: (كن)، والمُوجه للمعدوم قبل تكونه؛ تصويرًا لطلاقة القدرة والمشيئة النافذة، وقائلها هو العلي القدير وحده بلا شريك في مشيئته وقدرته على الخلق من عدم: "بكلمة الرب صُنِعَت السماوات؛ وبنسمة فيه كل جُنودها" (مزامير ٣٣\٦)، "قال فكان هو أمر فصار" (مزامير ٣٣\٩)، "صنع الجميع من العدم" (٢مكابيون ٧\٢٧) ، وبكلمة (كن): "يُحيي الموتى؛ ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة" (رومية ٤\١٧)، "معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله" (أعمال ١٥\١٨)، "له وحده الخلود" (١تيموثاوس ٦\١٥)، "في البَدء خلق الله السماوات والأرض" (تكوين ١\١)، "أمر فخُلقت" (مزامير ١٤٨\٥)، "أنا الرب صانع كل هذه" (إشَعْيَاء ٤٥\٧)، "الرب خالق السماوات؛ هو الله مُصور الأرض وصانعها، هو قررها لم يخلقها باطلا للسكن صورها" (إشَعْيَاء ٤٥\١٨)، "أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها؛ يداي أنا نشرتا السماوات وكل جندها أنا أمرت" (إشَعْيَاء ٤٥\١٢)، "ويدي أسست الأرض ويميني نشرت السماوات" (إشَعْيَاء ٤٨\١٣)، "في البدء أسست السماوات والأرض" (مزامير ١٠٢\٢٦)، "التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض؛ لأني أنا الله وليس آخر" (إشَعْيَاء ٤٥\٢١).

قال ابن تيمية: "فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمُراد به؛ أنه خُلق بكلمة قوله (كن) ولم يُخلق على الوجه المُعتاد من البشر..، وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه (أمر الله) فالمُراد أن الله كونه بأمره..؛ فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابنا له؛ وتبين أنه عبد من عباد الله" (الفتاوى:١٧ ٢٨٤)، وتسميتُهُ ابنًا مجازًا لا تعني الشركة في ذات الله لأن: "أولاد الله أي المؤمنون" (يوحنا:١ ١٢)، يقول العلي القدير: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:٦٤.

وفي عبارة ركيكة صادمة تُخالف كل إرث التوحيد؛ تجعل آخر مدونة مع الله تعالى شريك بالتمحك أنه الكلمة: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يوحنا:١ ١) هكذا!!!، ومثلها في الغلو: "بكر كل خليقة" (كولوسي:١ ١٥)، "كُوّنَ العالم به" (يوحنا ١\١٠)، ولكن ليس المُراد بكلمة البدء سوى ما كُوّنَ بها، وهو مادة تكوين السماوات والأرض بدليل تطابُق تفاصيلها مع كشوف العلم؛ خاصةً شيء واحد هو سرعتها الثابتة منذ البدء، ولذا فإنها تُمثل تحديًا للذين حرَّفوا الكلمة لتُصبح شريكًا معبُودًا؛ غُلوًا في المسيح عليه السلام، ويكفي أنه نفسه قد تبرأ من هذا الغلو وأعلن عبوديته قائلاً: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله" يوحنا:١٣\١٦، "إن قلنا أن لنا شركة معه..؛ نكذب ولسنا نعمل الحق" ١يوحنا:١\٦، وأعلنها مُدويةً: "ليعلم العالم أنك أرسلتني" يوحنا:١٧\٢٣.

وليس الخلاف في كون المسيح عليه السلام كلمة؛ فكلمات الله لا يحصيها العد، لأن الجميع وجدوا بكلمته (كن)، ولكنهم حملوها على كلمة البدء كصفة أزلية للذات العلية في الإبداع من عدم؛ لا المُكَوَّن بها، فصار في مُعتقدهم صورة عن الله، ولكنه قطعًا ليس كلمة البَدء؛ لأنها ليست إلا الأمر الذي كُوّنَت به مادة التكوين بدليل شيء واحد هو القيمة الثابتة لسرعتها الفائقة، والتي هي سرعة مجيء يوم الرب ، وفي القرآن الكريم حل الإشكال في مناقضتهم للتوحيد؛ وهو أهم قضية في الدين، بما توهموه من صرف الكلمة على غير الوجه، ومعارضة البديهي تهربًا بمثل قولهم "الثلاثة هم واحد"!!!، لأن القرآن الكريم قد بَيَّنَ أن كلمات الله تعالى لا نفاذ لها ولا يحصيها العد؛ أي في تدبير شئون كل الخلائق بنظام وقصد، وخص المسيح عليه السلام بالوصف (كلمة) ليعني أنه تكون بها مثل كل الكائنات والتثليث دخيل.

وتأليه المسيح عليه السلام لم يتبلور كمُعتقد إلا بعد جدال عنيف بعده بقرون في مجامع الكهنة رعايا الإمبراطورية الرومانية، ولذا الدخيل واضح في مثل: "الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد" (١يوحنا:٥ ٧و٨)، هكذا لم تفلح محاولة إقحام الوثنية!، وليس الروح إلا الوحي: "لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسُوقين من الرُوح القُدُس" (٢بطرس:١ ٢١)، فتأمل كيف: "بلا عذر.. لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله؛ بل حمقوا في أفكارهم..، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى؛ بشبه صورة الإنسان الذي يفنى..، عبدوا المخلوق دون الخالق" (رومية١ ٢٠-٢٥)، "كيف تقولون نحن حُكماء وشريعة الرب معنا! حقا إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب" (إرميا:٨ ٨)، "أما وحي الرب فلا تذكروه بعد؛ إذ قد حرفتم كلام الله الحي" (إرميا:٢٣\٣٦)، "الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا، إذ هو رب السماء والأرض؛ لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي" (أعمال الرسل:١٧\٢٤)."العَلِي لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي" (أعمال الرسل:٧ ٤٨)، "يا لتحريفكم!" (أشعيا:٢٩\١٦).

وفي قوله تعالى ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ النساء:١٧١؛ قال ابن تيمية: "في لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر؛ فيسمى المخلوق خلقا..، ولهذا يُسمى المأمور به أمرًا"[٨٨١]، "فتسمية المخلوق بالكلمة؛ كلمة من هذا الباب"[٨٨٢]، و"كلمات الله كثيرة؛ وليس منها شيء خالق، فلو كان المسيح نفس الكلام؛ لم يجز أن يكون خالقا، فكيف وليس هو الكلام، وإنما خلق بالكلمة؛ وخص باسم الكلمة، فإنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره؛ بل خرج عن العادة، فخلق بالكلمة من غير السنة المعروفة بالبشر، وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾؛ لا يوجب أن يكون مُنفصلاً من ذات الله، كقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ الجاثية:١٣[٨٨٣]، وقال ابن كثير: "أي إنما هو عبد من عباد الله؛ وخلق من خلقه، قال له كن فكان ورسول من رسله، ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾؛ أي خلقه بالكلمة[٨٨٤]، أي: "كن"[٨٨٥].

وقال ابن تيمية: "وكذلك الله تعالى قال: ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران ٤٥-٤٧؛ ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق؛ ليس هو ما يقوله النصارى، منها أنه قال ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ نكرة في الإثبات؛ يقتضي أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارى، ومنها أنه بين مراده بقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ وأنه مخلوق حيث قال: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ كما قال..: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران ٥٩، وقال..: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ مريم:٣٤و٣٥[٨٨٦]، فهذه ثلاث آيات في القرآن (آل عمران ٤٧ و٥٩ ومريم ٣٥) تُبين أنه قال له ﴿كُنْ﴾ .. وهذا تفسير كونه ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وقال: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أخبر أنه ابن مريم؛ وأخبر أنه وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وهذه كلها صفة مخلوق، والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك، وقالت مريم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، فبين أن المسيح الذي هو الكلمة؛ هو ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى"[٨٨٧]، وإذن: "سُمِّيَ (كلمة) لأنه بالكلمة كان؛ وهي (كن)، وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل"[٨٨٨]، فسماه الله عز وجل كلمته؛ لأنه كان عن كلمته"[٨٨٩]، لذا : "سميت الأعيان كلمات"[٨٩٠]، "فقد أخبر أن كلماته لا نفاد لها بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف:١٠٩، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان٢٧"[٨٩١]، وكما أن الأمر يدل على آمر والكلمة على ناطق؛ كذلك تدل أعيان الموجودات على مُوجدها"[٨٩٢].

وهكذا تحقق نبأ القرآن الكريم في التحريف وبراءة عيسى عليه السلام من فرية شرك التثليث، وَصِدْقِه في جمع النصارى أسفار الأزمنة قبل عيسى عليه السلام وبعده في كتاب واحد حيث دعاهم (أَهْلَ الْكِتَابِ)، وتحقق نبأه في تأليههم أمه قبل أن ندرك أن بعضهم ما زال حتى اليوم يتعبد تماثيلها،: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥المائدة:١١٦و١١٧، والمضمون أن المسيح عليه السلام بريء من الشرك مع الله تعالى؛ وأن التثليث دخيل ومخالف لرسالة جميع الأنبياء.

---

[٨٨١] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١١ ٣٢٥.
[٨٨٢] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ج١ص٣٢٦.
[٨٨٣] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١١ ٣٢٦.
[٨٨٤] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير: ١١ ٥٩١.
[٨٨٥] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١١ ٣٢٥.
[٨٨٦] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١١ ٣٢٤.
[٨٨٧] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١١ ٣٢٥.
[٨٨٨] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي؛ زاد المسير:١١ ٣٨٣.
[٨٨٩] تفسير الطبري:١١ ٥٩١.
[٨٩٠] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني؛ التعريفات:١١ ٣١٣.
[٨٩١] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ الرسائل:١١٧\٨٦.
[٨٩٢] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ الرسائل:١١ ٣١٣.

ولو كان مع الله شريك لاختل نظام الكون، والدليل الصارم على وحدة النظام هو ثبات قيمة الحد الأقصى للانتقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٢٢، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٩١.

وفي الأسفار: "في ذخائر الحكمة أمثال" يشوع بن سيراخ:١١ ٣١ (Joshua ben Sirach)، "لتُعطي الجُهَّال ذكاءً والشاب معرفةً وتدبُّرًا. يسمعها الحكيم فيزداد علمًا والفهيم يكتسب تدبيرًا. لفهم المثل" الأمثال:١١ ٤-٦ Proverbs، وضرب عيسى عليه السلام ليهود عصره الأمثال: "وابتدأ يقول للشعب هذا المثل: إنسان غرس كرما وسلمه إلى كرامين وسافر زمانا طويلا. وفي الوقت أرسل إلى الكرامين عبدا لكي يعطوه من ثمر الكرم فجلده الكرامون وأرسلوه فارغا. فعاد وأرسل عبدا آخر فجلدوا ذلك أيضا وأهانوه وأرسلوه فارغا. ثم عاد فأرسل ثالثا فجرحوا هذا أيضا وأخرجوه. فقال صاحب الكرم ماذا أفعل؟ أرسل ابني الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابون! فلما رآه الكرامون تآمروا فيما بينهم قائلين هذا هو الوارث هلموا نقتله لكي يصير لنا الميراث. فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فماذا يفعل بهم صاحب الكرم؟: يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويُعطي الكرم لآخرين، فلما سمعوا قالوا: حاشا!. فنظر إليهم وقال: إذًا ما هو هذا المكتوب؛ الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" إنجيل لوقا:٢٠ ٩-١٨ Luke.

وهل يليق اتهام المسيح عليه السلام بالشركة مع الله تعالى؛ وقد تَنَبَّأ بالنبي بعدهُ على درب التوحيد: "متى جاء المُعَزِّي.. رُوح الحق.. فهو يشهد لي" يوحنا:١٥ ٢٦John، وقال: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يُرْشِدُكُم إلى جميع الحق..؛ ذاك يُمَجِّدُنِي لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم" يوحنا:١٦ ١٣و١٤ John، وتُؤيده نبوءة مُعَاصِرُه ابن خالته يحيى (يوحنا المعمدان) الذي عَمَّدَه بنهر الأردن بِمَثَل آخر ضربه لهم: "الآن قد وُضِعَت الفأس على أصل الشجر؛ فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تُقطع وتُلْقَى في النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يَأْتِي بَعْدِي؛ هو أقوى مِنِّي؛ الذي لَسْتُ أهلاً أن أَحْمِلَ حِذَاءَهُ" متى:٣ ١٠و١١ Matthew، ولم يجد الرَّسُول عيسى عليه السلام إلا أن يُفَسِّر لهم النبوءة صَرِيحًا: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره؛ ومن سقط على هذا الحجر يَتَرَضَّض ومن سقط هو عليه يَسْحَقُه" متى:٢١ ٤٣و٤٤ Matthew، ولا يَبْعُد هَذَا عن قول العَلِي القَدِير: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

ومنذ أكثر من ألف سنة؛ كانت براعة قبائل العرب مُتمثلة في التجارة وأشعار الانتصار في الغزوات، ولم يكن لهم ولا للعبرانيين أدنى مَعْرِفَةً بسرعة الضوء البالغة ولا بمعايير حركة القمر؛ وهي أمور آتية، فالتحقق إذن من القياس مَرْهُون بعصر قادم يَتَّسِم بالعلم بخفايا التكوين؛ لبيان تقدير واحد شامل منذ نشأة الكون حتى نهايته، برهانًا مُدَّخَرًا لا يَعْقِلُهُ إلا العَالِمُون؛ يُعلن أن القرآن الكريم ليس بقول بشر، وإنَّمَا جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَهُ ومُكَمِّلاً ومُؤَيَّدًا بالدليل؛ ومُحَقِّقًا لوعد جَازِم: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} يستبطئون نزوله بهم استهزاء منهم، {وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ} ولن يؤخر عذابه عن وقته، {وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يوماً من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كألف سنة؛ قاله مجاهد، الثاني: أن طول يوم من أيام الآخرة كطول ألف سنة من أيام الدنيا في المدة، الثالث: أن ألم العذاب في يوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا في الشدة وكذلك يوم النعيم"[٨٩٣].

وفي تفسير مجمع البحوث: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}؛ كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر قريشا من نزول العذاب بهم، كما نزل بمن قبلهم، إن استمروا على كفرهم، فكانوا لا يحذرون، وعمدوا إلى التحدي، فطالبوه بإنزال العذاب الذي يحذرهم منه؛ طالبوه استهزاءً وتعجيزًا، فأنزل الله هذه الآية ينكر عليهم استعجالهم فإن الأمر ليس لهم، والزمن الطويل عندهم قصير عند ربهم، والآية في ظاهرها خبر، ولكنها تتضمن الاستفهام الإنكاري لاستعجالهم، فكأنه قيل: ويستعجلونك أيها الرسول بالعذاب الذي أوعدتُهم به على لسانك؛ فأنكروه وكفروا به، فكيف ينكرون مجيئه؟ ولن يخلف الله وعده، والأمر في مجيئه ليس إليهم حتى يسارع به تلبية لرغبتهم، فلا يستبطئوا نزوله، فإن الأمر فيهِ لله تعالى والله لا يعجل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده، فهو قادر على الانتقام منهم في الوقت الذي شاءَه لعذابهم، فلا يفوته ذلك وإن أجَّله وأملى لهم فيه"[٨٩٤].

وقال القاسمي: "(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ) أي المبيّن في آية (وَإِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ) الأنفال:٣٢، (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) أي فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين، (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) أي هو تعالى حليم لا يعجل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده، بالنسبة إلى حلمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر وأنه لا يفوته شيء، وإن أنظر وأملى، ولهذا قال بعده..: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها) أي أمهلتها، (وَهِيَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ) إلى حكمي مرجع الكل فأجزيهم بأعمالهم، فتأثر هذه الآية ما قبلها صريح في بيان خطئهم في الاستعجال المذكور، ببيان كمال سعة حلمه تعالى، وإظهار غاية ضيق عطنهم، المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طوالا عندهم، حسبما ينطق به قوله تعالى: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَراهُ قَرِيبًا) المعارج:٦و٧، ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة إلى إنكاره ويجترئون على الاستعجال به، ولا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها وقوعا وإخبارا ما عنده تعالى من المقدار؛ أفاده ابن كثير وأبو السعود، وفي (العناية) : لما ذكر استعجالهم وبيّن أنه لا يتخلف ما استعجلوه وإنما أخر حلما، لأن اليوم ألف سنة عنده، فما استطالوه ليس بطويل بالنسبة إليه، بل هو أقصر من يوم، فلا يقال: إن المناسب حينئذ أن ألف سنة كيوم، والقلب لا وجه له، وقال الرازي: لما حكى تعالى من عظم ما هم عليه من التكذيب، أنهم يستهزئون باستعجال العذاب، بيّن أن العاقل لا ينبغي أن يستعجل عذاب الآخرة فقال: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ) يعني فيما ينالهم من العذاب وشدته (كَأَلْفِ سَنَةٍ) لو عدّ في كثرة الآلام وشدتها، فبيّن سبحانه أنهم لو عرفوا حال عذاب الآخرة، وأنه بهذا الوصف لما استعجلوه، قال الرازي: وهذا قول أبي مسلم، وهو أولى الوجوه، انتهى، وقد حكاه الزمخشريّ بقوله: وقيل معناه؛ كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه، في طول ألف سنة من سنيكم، لأن أيام الشدائد مستطالة، أي تعدّ طويلة.. كما قيل: تمتع بأيام السرور فإنّها قصار وأيام الهموم طوال، أي كان ذلك اليوم الواحد، لشدة عذابه، كألف سنة من سني العذاب، انتهى، واعتمد الوجه الأول أبو السعود، وناقش فيما بعده بأنه لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه، فإن كلا منهما ناطق بأن المراد هو العذاب الدنيوي، وأن الزمان المُمتد هو الذي مرّ عليهم قبل حلوله بطريق الإملاء والإمهال، لا الزمان المقارن له، ألا يرى إلى قوله تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ) إلخ، فإنه صريح في أن المراد هو الأخذ العاجل الشديد بعد الإملاء المديد، انتهى، وفيه قوة، فالله أعلم"[٨٩٥].

وقال أبو زهرة: "(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)؛ السين والتاء للطلب، والمعنى يطلبون العجلة بالعذاب متحدين زاعمين أن ذلك الإنذار لَا يقع كما قالوا: (فَأْتِنَا بِمَا

---

[٨٩٣] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٤\ ٣٣).

[٨٩٤] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (٦\ ١٢٣٢).

[٨٩٥] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٧\ ٢٥٢).

تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)، وإن هذا التحدي منشؤه غفلة في نفوسهم وعقولهم، إذ حسبوا أنه لن يجيء على حسب زعمهم، فأكده الله تعالى بقوله: (ولَن يُخْلِفَ اللَّهُ وعْدَهُ)، فهو جاءٍ لَا محالة، وكل ما يأتي واقع وقريب مهما يكن تمادي الزمان، وإن الزمان قريب أو بطيء هو بالنسبة للعباد، أما عند الله فإنه لَا تحكمه الأزمان والأماكن (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)؛ لأن أزمان أهل الدنيا أعراض لأحوالهم، أما الزمن عند الله فهو غير مقدور ولا معدود؛ ولذا قال تعالى: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فلا تستطيعوا أن تقدروا زمنا لما يعدكم به، فلا يقال لكم هو مائة أو مائتان، ولكن هو محكوم بإرادته وتقديره سبحانه، وهذا تصوير لإمهال الله في تقديره، وهو العظيم الحكيم العلي القدير، وتقديره سبحانه، اليوم عند الله تعالى بألف سنة مما نعده بالأيام والليالي، إشارة إلى أنه لا يُعدّ وهو فوق تقديركم، والعرب ما كانوا يعرفون إلا الألف ومضاعفاته عدًّا، روي أن أعرابيا أعطاه الخليفة ألف دينار، فذكر ذلك لبعض صحبه، فقال له: لو طلبت أكثر لأعطاك، فقال الأعرابي: ما كنت أعرف فوق الألف عددا، فذكر الألف تقدير بأكبر عدد نعرفه، أو إطلاق للعدد، فالمعنى أنه ليس لكم أن تتصوروا سنين معدودة، بل إن وعد الله بالعذاب سيجيئكم لَا محالة، ولا تتحدوا رسوله، وإنهم يرونه بعيدا، ونحن نراه قريبا"[٨٩٦].

وقال الألوسي: "(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) الضمير لقريش؛ كان صلّى الله عليه وسلّم يحذرهم عذاب الله تعالى ويوعدهم مجيئه؛ وهم ينكرون ذلك أشد الإنكار، ويطلبون مجيئه استهزاء وتعجيزا له صلّى الله عليه وسلّم، فأنكر عليهم ذلك، فالجملة خبر لفظا واستفهام وإنشاء معنى، وقوله تعالى: (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) جملة حالية جيء بها لبيان بطلان إنكارهم العذاب في ضمن استعجالهم به، كأنه قيل: كيف تنكرون مجيء العذاب الموعود والحال أنه تعالى لا يخلف وعده، وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه..، وقوله تعالى: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ).. سيقت لتحقيق إنكار الاستعجال وبيان خطئهم فيه؛ ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى وإظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع، لكون المدة القصيرة عنده تعالى مُددا طوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيبًا) المعارج:٦و٧، ولذا يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة إلى إنكاره ويجترئون على الاستعجال به، ولا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها وقوعا وإخبار عما عنده من المقدار، وقراءة الأخوين وابن كثير (يعدّون) على صيغة الغيبة، أي يعده المستعجلون أوفق لهذا المعنى، وقد جعل الخطاب في قراءة الجمهور لهم أيضا بطريق الالتفات، لكن الظاهر أنه للرسول صلّى الله عليه وسلّم ومن معه من المؤمنين، وقيل: المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل أمة من موعد معين وأجل مسمى؛ كما في قوله تعالى: (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذَابُ) العنكبوت:٥٣، فتكون الجملة الأولى مطلقا مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود، والجملة الأخيرة بيان لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه المار بيانه، وحينئذ لا يكون في النظم الكريم تعرض لإنكارهم مجيئه الذي دسوه تحت الاستعجال، ويكتفى في رد ذلك ببيان عاقبة من قبلهم من أمثالهم، وأيا ما كان فالعذاب المستعجل به العذاب الدنيوي وهو الذي يقتضيه السباق والسياق، وقيل: المراد بالعذاب العذاب الأخروي والمراد باليوم المذكور يوم ذلك العذاب واستطالته لشدته فإن أيام الترحة مستطالة وأيام الفرحة مستقصرة..، فيكون قد رد عليهم إنكار مجيء العذاب بالجملة الأولى، وأنكر عليهم الاستعجال به، وإن كان ذلك على وجه الاستهزاء بالجملة الثانية، فكأنه قيل: كيف تنكرون مجيئه وقد سبق به الوعد ولن يخلف الله تعالى وعده، فلا بد من مجيئه حتما، وكيف تستعجلون به واليوم الواحد من أيامه لشدته يرى كألف سنة مما تعدون، ويقال نحو ذلك على القول بأن المراد باليوم أحد أيام الآخرة فإنها اعتبرت طوالا أو أنها تستطال لشدة عذابها، واعترض بأن ذلك مما لا يساعده السباق ولا السياق، وقال الفراء: تضمنت الآية عذاب الدنيا والآخرة وأريد بالعذاب المستعجل به عذاب الدنيا أي لن يخلف الله تعالى وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وإن يوما من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا، ولا يخلو عن حسن إلا أن فيه بعدا كما لا يخفى"[٨٩٧].

---

[٨٩٦] محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٩ ٥٠٠٠).

[٨٩٧] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٩ ١٦١).

وقال ابن عاشور: "(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) الْحَج:٤٢، عَطْفَ الْقِصَّةِ عَلَى الْقِصَّةِ، فَإِنَّ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِالْوَعِيدِ، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فِي وَعِيدِهِ لَعَجَّلَ لَنَا وَعِيدَهُ، فَكَانُوا يَسْأَلُونَهُ التَّعْجِيلَ بِنُزُولِ الْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً، كَمَا حكي اللَّهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: (وَإِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ) الْأَنْفَال:٣٢، وَقَالَ: (وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) السَّجْدَة:٢٨، فَذَكَرَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمُنَاسَبَةِ قَوْلِهِ (فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ) الْحَج:٤٤؛ الْآيَةَ، وَحُكِيَ (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ) بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى تَكْرِيرِهِمْ ذَلِكَ تَجْدِيدًا مِنْهُمْ لِلِاسْتِهْزَاءِ وَتَوَرُّكًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالْخِطَابُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَالْمَقْصُودُ إِبْلَاغُهُ إِيَّاهُمْ، وَالْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ (بِالْعَذابِ) زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى الِاسْتِعْجَالِ بِشِدَّتِهِ كَأَنَّهُ قِيلَ يَحْرِصُونَ عَلَى تَعْجِيلِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ عِنْد قَوْله تَعَالَى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ).. الرَّعْد:٦، وَلَمَّا كَانَ اسْتِعْجَالُهُمْ إِيَّاهُ تَعْرِيضًا مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ مُوقِنُونَ بِأَنَّهُ غَيْرُ وَاقِعٍ أُعْقِبَ بِقَوْلِهِ: (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ)، أَيْ فَالْعَذَابُ الْمَوْعُودُ لَهُمْ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّهُ وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَفِيه تأنيس للنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ لِئَلَّا يَسْتَبْطِئُونَهُ، وَقَوْلُهُ: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ)، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَعَّدَهُمْ بِالْعَذَابِ وَهُوَ صَادِقٌ عَلَى عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ إِنَّمَا اسْتَعْجَلُوا عَذَابَ الدُّنْيَا تَهَكُّمًا وَكِنَايَةً عَنْ إِيقَانِهِمْ بِعَدَمِ وُقُوعِهِ بِلَازِمٍ وَاحِدٍ، وَإِيمَاءً إِلَى عَدَمِ وُقُوعِ عَذَابِ الْآخِرَةِ بِلَازِمَيْنِ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَدًّا عَامًّا بِقَوْلِهِ: (وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ)، وَكَانَ ذَلِكَ تَثْبِيتًا لِلْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ أَعْقَبَهُ بِإِنْذَارِهِمْ بِأَنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ لَا يُفْلِتُونَ مِنْهُ أَيْضًا وَهُوَ أَشَدُّ الْعَذَابِ، فَقَوْلُهُ: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّعْرِيضِ بِالْوَعِيدِ، وَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ) العنكبوت:٥٣و٥٤، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ) إِلَى آخِرِهِ اسْتِقْصَارَ أَجَلِ حُلُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ كَمَا دَرَجَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ، لِعَدَمِ رَشَاقَةِ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ هَذَا الِاسْتِقْصَارَ يُغْنِي عَنْهُ قَوْلُهُ عَقِبَ هَذَا: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها وَهِيَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها) الْحَج:٤٨، وَالْخِطَابُ فِي تَعُدُّونَ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ تَعُدُّونَ بِالْفَوْقِيَّةِ، وَقَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ (مِمَّا يَعُدُّونَ)؛ بِيَاءِ الْغَائِبِينَ، أَيْ مِمَّا يَعُدُّهُ الْمُشْرِكُونَ المستعجلون بِالْعَذَابِ"[٨٩٨].

[٨٩٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١٧ ٢٩٠).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astrophysics

الفيزياء الفلكية

المَوْضُوع Subject

Speed of light

سرعة الضوء

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٣٢السجدة:٤.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠.
- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٩التوبة:٣٦.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٠يونس:٥.
- ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ٢الْبَقَرَة:١٨٩.
- ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.
- ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٤٧محمد:١٨.
- ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ١٦النحل:١.
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٧.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ ١١هود:١٢٣.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ١٢يوسف:١٠٥.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٧.
- ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ٢البقرة:٢٠.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣.
- ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٠٤.
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٣٩الزمر:٦٧.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ ٢٢الحج:٧٣.

Paragraph الفَقْرَة

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ٢٢الحج:٧٣، ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٢٢الحج:٧٤،

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾، ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

O mankind A parable has been set, you must ponder carefully it. whom (idols) **you glorify beside Allah; will never create** (the so simple structure of the) **flies, even they all gather for it. And even the flies digest a small piece** (of their food) **from them, they will never recover it.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في قوله تعالى: (وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ)؛ دلالة على أن ما يتناوله الذباب بجنسيه من غذاء لا يمكن استرداده لتميز الذباب بهضم طعامه خارج الأمعاء عن طريق إنزيمات هاضمة يفرزها مع اللعاب وامتصاصه مذاب كسائل، وفي قوله تعالى: (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا)؛ دلالة على أن الذباب هو الأنسب تكوينا وسرعة تكاثر في أبحاث الوراثة.

فالذباب يهضم طعامه خارج الأمعاء ثم يمتصها كسائل؛ ولذا فمه ماص، فلو وقف الذباب على قطعة بطيخ مثلاً لبدأ في إفرازاته التي تُمكنه من امتصاص أو لعق المواد الكربوهيدراتية وغيرها مما تحتويه البطيخة وعندئذ تبدأ هذه المواد في الدخول في جهازه الهضمي ثم تسير في الدورة الدموية إلى خلاياه ويتحول جزء منها إلى طاقة تمكنه من الطيران، وجزء آخر إلى خلايا وأنسجة ومكونات عضوية، وجزء أخير إلى مخلفات يتخلص منها جسم الذباب، فأين قطعة البطيخ وما السبيل إلى استرجاعها إذن، ومن يستطيع أن يجمع الأجزاء التي تبدت في طاقة طيران الذباب والأجزاء التي تحولت إلى أنسجة!؛ عجز تام للإنسان أن يطال ما سلبه الذباب، وهكذا ما عبدوه من أصنام أعجز أن يقدموا لهم شيئا من طعام.

وتكوين الذباب تشريحيا ووظيفيا على درجة كبيرة من التعقيد والتكيف مع البيئة؛ مما ينفي الصدفة العمياء في تكوينها وإعدادها كآية على بديع صنع الخالق وقدرته، ففي البداية تقوم الذبابة بمعاينة الغذاء عن طريق جملة عيون مركبة وجملة وسائل أخرى كيماوية تستشعر بها موضع الغذاء وتهيئة الأعضاء التي ستستخدمها في الطيران، ثم تأخذ وضعية التأهب للطيران وذلك بتعديل وضع أعضاء التوازن الموجودة في الجهة الأمامية، وأخيراً تقوم بحساب زاوية الإقلاع معتمدة على اتجاه الريح التي تحددها بواسطة حساسات موجودة على قرون الاستشعار ثم تطير مرفرفة بأجنحتها صوب الغذاء، وهي قادرة على زيادة سرعتها إذا تطلب الأمر، إلا أن كل هذه العمليات لا تستغرق أكثر من ١/١٠٠ من الثانية، وهي تسلك أثناء طيرانها مساراً متعرجاً في الهواء بطريقة تجعل اصطيادها مُتعسرا على مفترسات الحشرات؛ ولذا هي تستحق الوصف بسيدة الطيران البهلواني، كما يُمكنها الإقلاع عمودياً من المكان الذي تقف فيه، وأن تحط بنجاح على أي سطح بغض النظر عن انحداره حتى لو كان السقف؛ لأن أقدامها مهيأة للتثبت بقوة أكبر من وزنها.

وتوجد على رؤوس أقدامها وسادات تفرز سائلاً لزجاً عندما تلامس الأسقف، وتقوم الذبابة بمد سيقانها باتجاه السقف عندما تقترب منه، وما إن تشعر بملامسته حتى تستدير وتمسك بسطحه، وتحمل ذبابة المنزل جناحين رقيقين يتحركان عند الطيران إلى الأمام والخلف على محور واحد في ذات الوقت، ومع ذلك يمكنها استعمال أحدهما بمعدل أكبر من الآخر مما يمكنها من الطيران المتعرج وتجنب الافتراس، وتستمد الذبابة مهارتها الفائقة في الطيران من التصميم المثالي للأجنحة، وتغطي النهايات السطحية والأوردة الموجودة على الأجنحة شعيرات حساسة جداً مما يسهل على الحشرة تحديد اتجاه الهواء والضغوط الميكانيكية عند الإقلاع والانبساط عند الهبوط، وتقوم الحساسات الموجودة تحت الأجنحة والرأس بنقل معلومات الطيران إلى الدماغ، فإذا صادفت الحشرة تياراً هوائياً جديداً أثناء طيرانها تقوم هذه الحساسات بنقل المعلومات الجديدة في الحال إلى الدماغ، وعلى أساسها تبدأ العضلات بتوجيه الأجنحة بالاتجاه الجديد، وبهذه الطريقة تتمكن الذبابة من اكتشاف تغيرات ظروف مُحيطها أثناء الطيران باستشعار أي تيار هوائي إضافي والهرب إلى مكان آمن في الوقت المناسب، وتتكون عين الذبابة من ٦٠٠٠ بنية عينية سداسية يطلق عليها اسم العوينات، تأخذ كل من هذه العوينات منحى مختلفًا بحيث تتمكن من مُعاينة كل الجهات؛ أي أن حقل رؤيتها لما حولها تتسع زاويته ٣٦٠° درجة؛ مما يُمكنها من تحديد موضع الغذاء بدقة والهروب سريعا في الاتجاه المعاكس لمصدر الخطر، وتتصل ثمانية أعصاب مُستقبلة للضوء بكل واحدة من هذه العوينات مما يجعلها في غاية الكفاءة والسرعة في الاستشعار؛ بحيث تعالج حوالي ١٠٠ صورة في الثانية الواحدة، فمن حسب كل هذه الحسابات الهائلة بدقة تامة وهيأها على تلك الصورة المُذهلة تشريحيا ووظيفيا!.

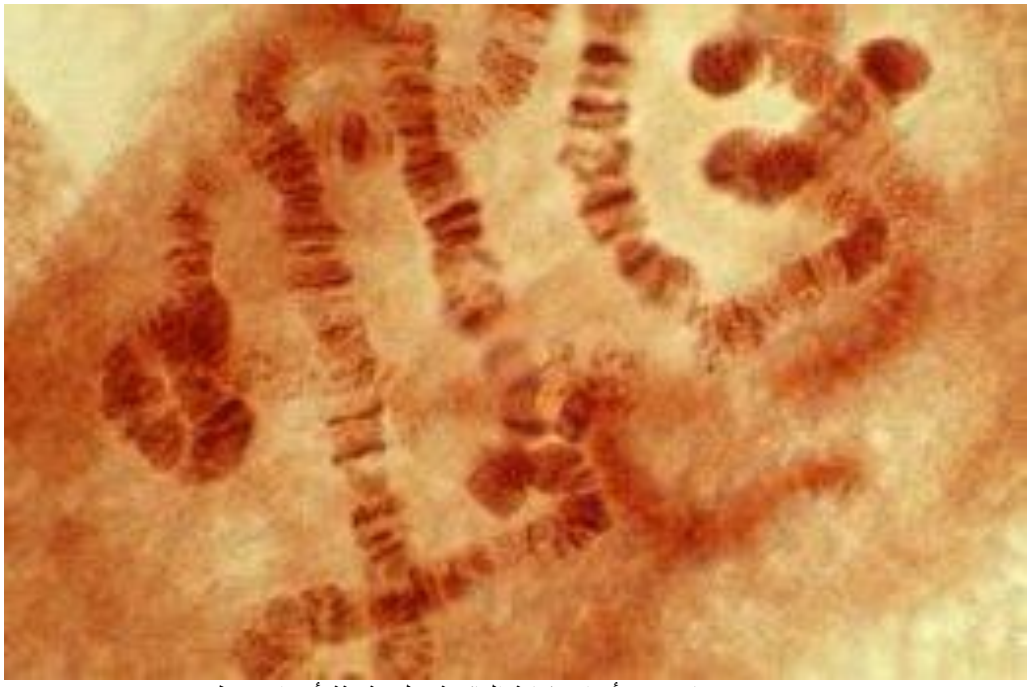

تحتوي خلايا بعض أنواع ذبابة الفاكهة على ثلاثة أزواج فقط من الكروموزومات الضخمة المُمكنة المُشاهدة بوضوح تحت المجهر.

وتضع ذبابة الفاكهة البيض داخل الثمرة خاصة الجوافة لتتغذى الديدان (اليرقات) بعد الفقس عليها، وغالبا تسقط الثمرة لتكمل العذارى دورتها في التربة، وقد وُجد تشابه كبير بين جينات ذباب الفاكهة وجينات الإنسان؛ مما يعني أن دراستها تفتح مجالا واسعا لخدمة الإنسان في علاج الأمراض خاصة السرطان، وتوماس هانت مورجان هو أول من اكتشف أهمية الذباب في أبحاث الوراثة والتخليق في بدايات القرن العشرين، ويستخدم ذباب الفاكهة منذ مائة عام في دراسة المُورثات لعدة أسباب؛ منها اشتراكه مع البشر في أكثر من ٢٠ جينًا وراثيًّا خاصًّا بحرق الدهون، ولذا عملية استخلاص الطاقة من الدهون لدى الذبابة تُشبه إلى حد مُذهل تلك التي يقوم بها الجسم البشري؛ مما يعطي الأمل لعلاج مرض البول السكري وأمراض الكبد، وتحتوي خلايا بعض أنواع ذبابة الفاكهة على ثلاثة أزواج فقط من المُورثات الضخمة الواضحة مجهريا في مقابل ٢٣ زوجا عند الإنسان، ومن أسباب استخدام ذبابة الفاكهة إذن لأبحاث الوراثة والتخليق: (أولا): صغيرة الحجم قصيرة العمر بحيث تسهل دراسة جملة أجيال، (ثانياً): تتكاثر بسرعة لان دورة حياتها لا تتعدى أسبوعين مع سهولة التربية وقلة التكاليف، (ثالثاً): مورثاتها ضخمة بسيطة سهلة الدراسة، (رابعا): التشابه الجيني بينها وبين الإنسان، وتعتمد أنثى الذباب في القتال على المُناورة بينما يميل الذكر إلى الاندفاع والمباغتة، وتبدل أسلوب الجنسين بتبديل جين مسئول يعني إمكان تغيير الصفات، وقد اكتشفت مورثة عند الذباب تماثل المورثة عند الإنسان التي تسبب مرض الشيخوخة المُبكر؛ مما يعني إمكان تعطيل أسباب إسراع شيخوخة الإنسان بالدراسة الوراثية للذباب، وأمكن عزل بروتين ضروري لنمو الأجنة في ذبابة الفاكهة يساعد الثدييات في التئام الجروح؛ مما يعني رؤية جديدة حول آليات التئام الجروح عند البشر، وذبابة الفاكهة قد تساعد على إيجاد طريقة للعثور على مُركبات تزيد نشاط الجسم في مكافحة المواد السامة؛ الأمر الذي قد يساعد في إيجاد علاج للسرطان، فالذبابة إذن هي الأنسب في أبحاث الوراثة ومحاولة ابتكار آليات جديدة لعلاج بعض أمراض البشر، ولكن قد أجريت تجارب على ذبابة الفاكهة لسنوات طويلة وتم إجراء تغييرات جينية وإنتاج طفرات، فنتج أكثر من ٤٠٠ نوع ولكن كلها مشوهة أو عقيمة لا تنتج نسلا، وقبل أن ينشأ علم الوراثة وتصبح الدراسات في تخليق ونقل الصفات واقعا ملموسًا اليوم، يسبق القرآن الكريم ويتنبأ بمحاولات الإنسان التخليق الوراثي بلفظ الجمع (الذُّبَابُ)؛ مما يعني أن الذباب بجنسيه هو الأنسب في الدراسات الوراثية؛ فضلا عن تميز الجنسين بهضم الطعام خارج الفم، وقد فشلت كل المحاولات لخلق خلية حية واحدة من جسم ذبابة؛ فكيف بمعمار الذباب البالغ التعقيد والتنظيم والكفاءة الوظيفية، وكيف بالأعقد منه!، وصدق القائل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج:٧٣و٧٤.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{يأيها النَّاس} أَيْ أَهْل مَكَّة {ضُرِبَ مَثَل فَاسْتَمِعُوا لَهُ} وَهُوَ {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ} تَعْبُدُونَ {مِنْ دُون اللَّه} أَيْ غَيْره وَهُمْ الْأَصْنَام {لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا} اسْم جِنْس وَاحِده ذُبَابَة يَقَع عَلَى الْمُذَكَّر وَالْمُؤَنَّث {وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ} لِخَلْقِهِ {وَإِنْ يَسْلُبهُمْ الذُّبَاب شَيْئًا} مِمَّا عَلَيْهِمْ مِنْ الطِّيب وَالزَّعْفَرَان الْمُلَطِّخِينَ بِهِ {لَا يَسْتَنْقِذُوهُ} لَا يَسْتَرِدُّوهُ {مِنْهُ} لِعَجْزِهِمْ فَكَيْف يَعْبُدُونَ شُرَكَاء اللَّه تعالى هذا أَمْر مُسْتَغْرَب عَبَّرَ عَنْهُ بِضَرْبِ مَثَل {ضَعُفَ الطَّالِب} الْعَابِد {وَالْمَطْلُوب} الْمَعْبُود"[٨٩٩].

وقال الماوردي: "{يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز} قوله تعالى: {يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ} لأن حجج الله عليهم بضرب الأمثال لهم أقرب لأفهامهم، فإن قيل فأين المثل المضروب؟ ففيه وجهان؛ أحدهما: أنه ليس هنا مثل ومعنى الكلام أنهم ضربوا لله مثلاً في عبادته غيره؛ قاله الأخفش، الثاني: أنه ضرب مثلهم كمن عبد من لا يخلق ذباباً؛ قاله ابن قتيبة، {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ} يحتمل ثلاثة أوجه؛ أحدها: أنهم الأوثان الذين عبدوهم من دون الله، الثاني: أنهم السادة الذين صَرَفُوهُم عن طاعة الله، الثالث: أنهم الشياطين الذين حملوهم على معصية الله، {لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ} ليعلمهم أن العبادة إنما تكون للخالق المُنشئ دون المخلوق المُنشأ، وخص الذباب لأربعة أمور تخصه؛ لمهانته وضعفه واستقذاره وكثرته، وسُمِّي ذباباً لأنه يُذَبُّ احتقاراً واستقذاراً، {وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ} يحتمل وجهين؛ أحدهما: إفساده لثمارهم وطعامهم حتى يسلبهم إياها، والثاني: أَلَمُهُ في قرض أبدانهم، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله على خلق مثله ودفع أذيته فكيف يكونون آلهة معبودين وأرباباً مُطَاعين، وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان، ثم قال: {ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبِ} يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون عائداً إلى العَابِد والمَعْبُود، فيكون في معناه وجهان؛ أحدهما: أن يكون عائدًا إلى العابد والمعبود، الثاني: قهر العابد والمعبود، والاحتمال الثاني: أن يكون عائداً للسالب فيكون في معناه وجهان؛ أحدهما: ضعف للسالب عن القدرة والمسلوب عن النُصْرَة، الثاني: ضعف السالب بالمهانة والمسلوب بالاستكانة، {وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} فيه ثلاثة تأويلات؛ أحدها: ما عظموه حق عظمته؛ قاله الفراء، الثاني: ما عرفوه حق معرفته؛ قاله الأخفش، الثالث: ما وصفوه حق صفته؛ قاله قطرب؛ قال ابن عباس: نزلت في يهود المدينة حين قالواْ استراح الله في يوم السبت"[٩٠٠].

---

[٨٩٩] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٤٤٤).

[٩٠٠] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٤ ٣٩).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Biology

علم الأحياء

المَوْضُوع Subject

Flies

الذباب

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩.**
- **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ٢٢الحج:٧٣.**
- **﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٧النمل:١٨.**
- **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤١.**
- **﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ١٠١القارعة:٤.**
- **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:١٣٣.**
- **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٥٤القمر:٦و٧.**
- **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ ٣٤سبأ:١٤.**

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾
٢٣المؤمنون: ١و ٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
٢٣المؤمنون: ١-١١.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Successful are the believers, who are in their Prayer deeply submissive (afraid; in full solemnity)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لقد أصبح الاستغراق في العبادة مجالا للدراسات العلمية، ولم يعد الإيمان بالله تعالى في الدراسات العلمية ضربا من الفلسفات والتصورات الشخصية كما كان يعتقد البعض سابقا، وقد كشفت التجارب العلمية مؤخرا أن الإيمان بالله تعالى نزوع فطري وغريزة تتطلب الإشباع مثل طلب الطعام والشراب؛ وأن العبادة بخشوع شفاء لاضطراب النفس البشرية.

وخلاصة الأبحاث التي أجريت على المخ بتقنية جديدة لأشعة إكس ونشرت في أبريل عام ٢٠٠١ وقام بها فريق علمي على رأسه البروفيسور أندرو نيوبيرج Andrew Newberg أستاذ علم الأشعة Radiology بكلية الطب بجامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية هي أن الإيمان بالله مقصد مصمم داخليا Built-in Design في مخ البشر؛ بحيث لا يمكن لأحد التخلص منه إلا تعاميا عن الفطرة السوية التي جعلت الإنسان ينزع للتدين على طول التاريخ، وتعطيلا لقدرات هائلة وإمكانات بالغة التعقيد والتطور؛ تمكنه من الاستقراء والتحليل المنطقي والتفكير الاستنتاجي.

ووفق ما أعلنه البروفيسور نيوبيرج أن التدين مهما اختلفت صوره يعكس إيمانا فطريا مركوزا في داخل المخ الذي يمكن وصفه طبقا لما قد أثبتته التجارب بأنه مهيأ المسالك بقوة نحو التدين hard-wired for Religion، والتجربة العملية تخبرنا كيف أعد الله تعالى الإنسان لكي يعرفه، وتُعْلِمُنَا أن الدين مطلب طبيعي للإنسان يماثل الطعام والشراب، وبهذا نزداد يقينا في وجود الله تعالى وقدرته؛ وإلا فلا فائدة من الملكات الممنوحة للإنسان والتي ميزته عن العجماوات، وإذا صاحب الخشوع أداء العبادات تصبح ذات تأثير فعال نافع للبدن والنفس يمكن قياس تأثيره معمليا، ومن هذا المنطلق يقول نيوبيرج: "لقد اكتشفت الدراسات النفسية الدينية ثراء الدين بأرقي الأساليب العلمية لبلوغ التوازن النفسي"، وقال البروفيسور لورنس ميكيني عميد المؤسسة الأمريكية لعلاج الاضطرابات الذهنية: "إن ممارسة التأمل العميق؛ باعتباره صوره من صور الخشوع، قد يساعد في حد ذاته على التغلب على الشعور بالألم النفسي والإحباط ويعيد التوازن في توزيع النشاط في مراكز متخصصة بالمخ ويفرغ شحنات الشعور بالتعاسة والألم وفقدان الأمل؛ حتى عند غير المؤمنين".

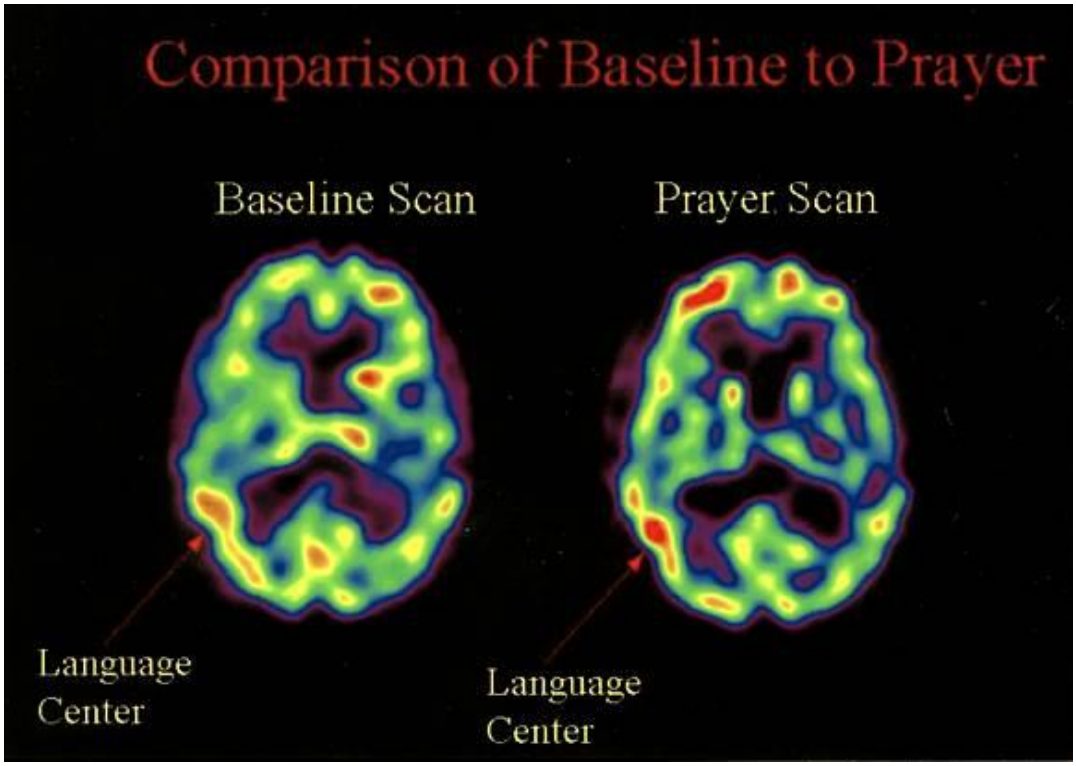

مقارنة بين نشاط المخ قبل وخلال الصلاة.

وقد بدأت الدراسات النفسية الدينية في الستينيات من القرن الماضي، وفي عام ١٩٨٠ أطلق ميكيني ومساعدوه على تلك الدراسات مصطلح الدراسات النفسية الدينية Neuro-theology، وأخرج عام ١٩٩٤ كتابه بنفس الاسم، ويقدم هذا العلم تأييده التام للحقيقة الجوهرية في الدين وهي الإيمان بالله تعالى، قال ميكيني: "ويكفي أننا قد أوجدنا طرقا عملية لقياس الأنشطة الفكرية ولم يعد الإيمان بالله تعالى والمشاعر الدينية خلال العبادة نشاطا فكريا غير قابل للتجربة والإثبات، ومن تلك التقنيات الجديدة التصوير بالرنين المغناطيسي Magnetic Resonance (MRI) Imaging، وقد أكدت نتائج نيوبيرج بالفعل"، وقال البروفيسور بليتريني من جامعة بيزا في إيطاليا: "إن كل شئ نفعله أو نستشعره من نشاط بسيط كحركة إصبع إلى أعمق الانفعالات العاطفية الخبيئة بالنفس أو البادية مثل الغضب والحب يرسم خريطة مميزة المعالم للمراكز المتأثرة بالمخ، ويصاحب كل شعور نموذج محدد يمكن تسجيله وتحليله كالتحاليل الطبية العضوية تماما، وهذا المجال الجديد لاستطلاع دخيلة الإنسان من عواطف ومشاعر وأفكار ومدى تأثره بالاعتقاد الديني ساحر حقا، ويدخل فيه الباحثون اليوم بحذر شديد حريصين على المنهج العلمي في البحث والتحليل كبقية مجالات العلوم التجريبية"، وقال البروفيسور مايكل ماكلوف من جامعة دالاس بالولايات المتحدة الأمريكية: "يتأثر الوجدان النفسي الروحي بالعالم الخارجي ويؤثر في الجسد العضوي ويمثل الإيمان والعبادات صمام أمان لتلك التأثيرات الطبيعية، وقد أفضت دراسته إلى أن الطبيعة البشرية مصممة بحيث تحفظها العبادات في توازن تام وتقيها الاضطراب"، وفي تحليل شمل ٤٢ دراسة ميدانية واسعة وجد بروفيسور ماكلوف أن معدل الوفيات يقل بالاستغراق في الصلوات وبقية العبادات، وهذا التأثير مستقل عن عوامل أخرى مضرة بالصحة كتناول الخمور والتدخين، ولم يفت البروفيسور نيوبيرج أن يعلق على تلك النتيجة بقوله: "نحن لا ندري حتى الآن على وجه اليقين كيف يؤدي الإيمان العميق والاستغراق في العبادة إلى الحفاظ على سلامة النفس وصحة البدن ومكافحة المرض وتعطيل الإسراع في عمل الآليات الداخلية للموت، ولكن معرفتنا لآليات عمل الجسم؛ خاصة المخ، تؤهلنا لتلمس آفاق جديدة من البحث لنثبت يوما ما بحياد وجود تأثيرات عضوية للإيمان والعبادة، وندرك منها اليوم نقص عدد ضربات القلب وضغط الدم وتغير الهورمونات كماً ونوعاً والميل العصبي لتحقيق حالة من الهدوء نتيجة الخشوع والاستغراق، وقد تؤدي تلك العوامل وغيرها إلى تنشيط جهاز المناعة"، وخلاصة القول أن الكشوف العلمية تقول: "إما الرفعة ونيل السعادة والمتعة الحقيقية في العبادة؛ وإما الشقاء والجحيم".

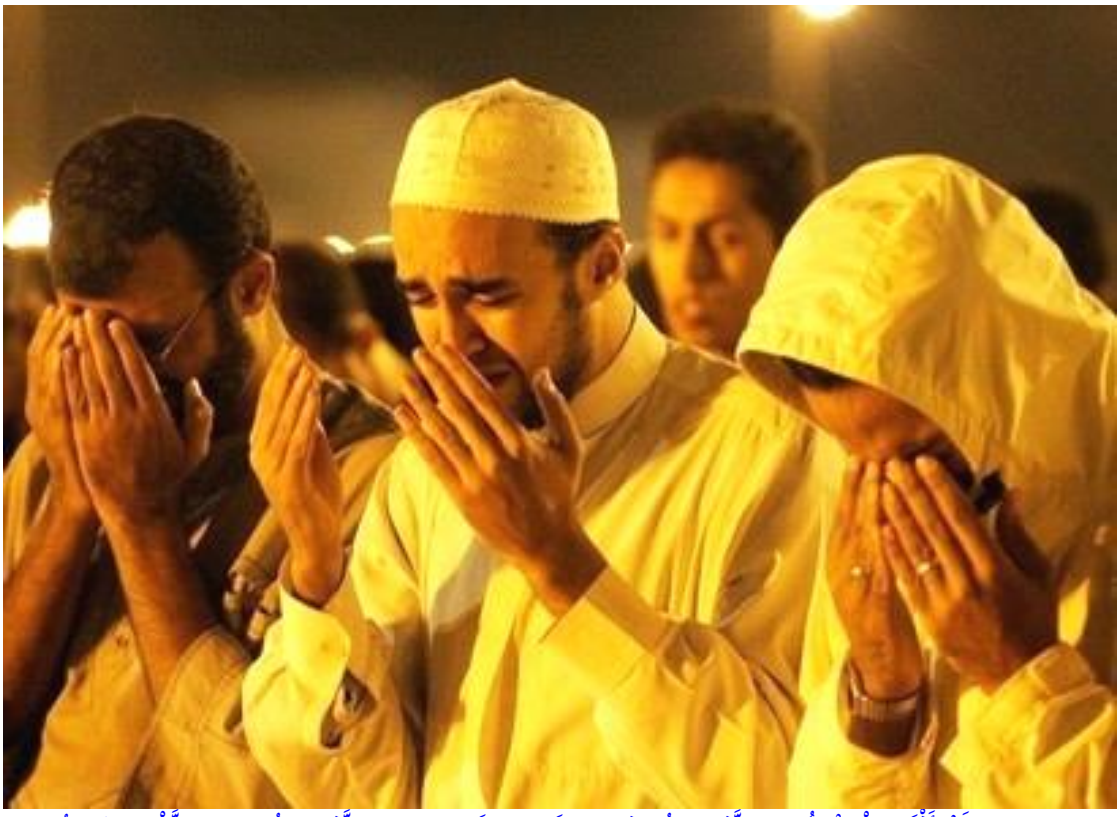

وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١-٥، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ٣٠الروم:٣٠، يُمكن الفهم بأن النفس البشرية مفطورة على الإيمان والعبادة، وأن في التمسك بالفضائل والقيام بالأعمال الصالحة صلاح للنفوس وفلاح في الدنيا والآخرة، وهو أيضا صريح قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ. الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ الرعد: ٢٨و٢٩، وقد وردت البشرى بالحياة الطيبة بالمقابلة صريحًا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ٢٠طه:١٢٤.

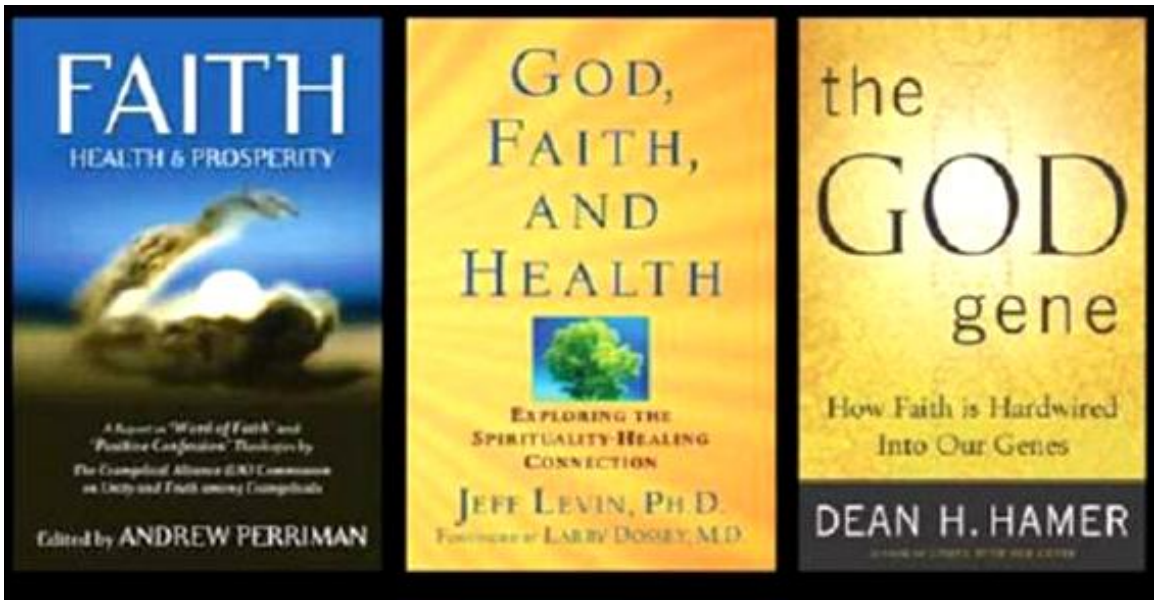

نُشرت عدة دراسات علمية تبين كيف أن الإيمان بالله تعالى فطرة مغروسة داخل النفس البشرية وأن توظيف آلياتها طريق إلى الصحة والسعادة؛ منها كتاب "الإيمان بالله مغروس بقوة داخل جيناتنا" لديان همر، وكتاب "الإيمان والصحة" لجيف ليفن ولاري دوسي، و"الإيمان صحة وفلاح" لأندرو بريمان.

وهكذا لو تأمل الباحثون في هذا المجال الجديد من الدراسات؛ لوجدوا أن ما توصلوا إليه ليس إلا بعض ذخائر القرآن الكريم بصفته الكتاب الجامع لتعاليم الرسل والحاوي الوحيد لشريعة عالمية غير قومية تنسجم مع الفطرة السوية، ويكفي بيانه أن "الخشوع في العبادة مفتاح السعادة" في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ المؤمنون: ١و٢.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: معناه قد سعد المؤمنون..، الثاني: أن الفلاح البقاء، ومعناه قد بقيت لهم أعمالهم، وقيل: إنه بقاؤهم في الجنة، ومنه قولهم في الأذان: حي على الفلاح أي حي على بقاء الخير؛ قال طرفة بن العبد، الثالث: أنه إدْراك المطالب..، قال ابن عباس: المفلحون الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا، روى عمر بن الخطاب قال كان النبي صل الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن يسمع عند وجهه دويٌ كدوي النحل، فنزل عليه يوماً؛ فلما سرى عنه استقبل القبلة ورفع يديه ثم قال: (اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلاَ تُنْقِصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلاَ تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَينَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا)، ثم قال: (لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ عَشْرَ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ) ثم قرأ علينا {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} حتى ختم العشر، روى أبو عمران الجوني قال، قيل لعائشة ما كان خُلُق رسول الله صل الله عليه وسلم؟ قالت أتقرؤون سورة المؤمنون؟ قيل: نعم، قالت اقرءوا، فقرء عليها {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} حتى بَلَغَ {يُحَافِظُونَ}، فقالت: هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ} فيه خمسة أوجه؛ أحدها: خائفون؛ وهو قول الحسن وقتادة، والثاني: خاضعون؛ وهو قول ابن عيسى، والثالث: تائبون؛ وهو قول إبراهيم، والرابع: أنه غض البصر وخفض الجناح؛ قاله مجاهد، الخامس: هو أن ينظر إلى موضع سجوده من الأرض ولا يجوز بصره مُصَلاَّهُ، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع بصره إلى السماء فنزلت: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ} فصار لا يجوّز بصره مُصَلاَّهُ، فصار في محل الخشوع على هذه الأوجه قولان؛ أحدهما: في القلب خاصة؛ وهو قول الحسن وقتادة، والثاني: في القلب والبصر؛ وهو قول الحسن وقتادة"[٩٠١].

وقال الراغب: "الخضوع والخشوع والخنوع والسجود والركوع تتقارب، وبينهما فروق، فالخضوع ضراعة بالقلب، والخشوع بالجوارح، ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح، وقال تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}، وقال: {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ}، والخشوع ضراعة لمن دونه رغبة في عرض في يده، وكذلك أكثر ما يجئ في الدم، والركوع تذلل مع التطأطؤ، والسجود مع خفض الرأس، وسجود الملائكة إن أريد به المتعارف في الشرع؛ فليس بعبادة لآدم عليه السلام، فعبادة غير الله تعالى لا تجوز بوجه، وإن كان على حسب المُتعارف للخدمة، فقد قيل: إن ذلك كان مباحاً قبل شرعنا، وعلى ذلك ما روي في قصة يوسف عليه السلام {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا}، وقد قيل: أريد به التذلل كقوله تعالى: {يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} ٢٢الحج:١٨"[٩٠٢].

---

[٩٠١] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٤٤\٤).

[٩٠٢] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٤٨\١١).

وقال ابن جزي: "(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ) الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع، وقد عدّ بعض الفقهاء [الأوزاعي] الخشوع في فرائض الصلاة، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: لا يكتب للعبد في صلاته إلا ما عقل منها، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب، فقد يحضر القلب ولا يخشع، (عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) اللغو هنا: الساقط من الكلام كالسب واللهو، والكلام بما لا يعني، وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعا، ومعنى الإعراض عنه: عدم الاستماع إليه والدخول فيه، ويُحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ أي مؤدّون، فإن قيل: لم قال فاعلون ولم يقل مؤدّون؟ فالجواب أن الزكاة لها معنيان أحدهما: الفعل الذي يفعله المُزكي أي أداء ما يجب على المال، والآخر المقدار المخرج من المال كقولك: هذه زكاة مالي، والمُراد هنا الفعل لقوله (فاعلون)، ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره: هم لأداء الزكاة فاعلون، (عَلى أَزْواجِهِمْ) هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله (غير ملومين)؛ أي لا يلامون على أزواجهم، ويمكن أن يتعلق بقوله (حافظون)؛ على أن يكون على بمعنى عن، (أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ) يعني النساء المملوكات، (وَراءَ ذلِكَ) يعني ما سوى الزوجات والمملوكات، (لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ) يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده في دينه أو العموم، والأمانة أعم من العهد، لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد متقدم، (راعُونَ) أي حافظون لها قائمون بها، (عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ) المحافظة عليها هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها، فإن قيل: كيف كرر ذكر الصلوات أولا وآخرا؟ فالجواب: أنه ليس بتكرار، لأنه قد ذكر أولا الخشوع فيها؛ وذكر هنا المحافظة عليها، فهما مُختلفان، وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها، (الْوارِثُونَ) أي المستحقون للجنة، فالميراث استعارة، وقيل: إن الله جعل لكل إنسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة الْفِرْدَوْسَ مدينة الجنة وهي جنة الأعناب، وأعاد الضمير عليها مؤنثا على معنى الجنة"[٩٠٣].

[٩٠٣] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (٤٨١٢).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Psychology

علم النفس

المَوْضُوع Subject

Faith Healing

الاستشفاء بالإيمان

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٠يونس:٥٧.**
- **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ١٧الإسراء:٨٢،**
- **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ٤١فصلت:٤٤،**
- **﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ١٧الإسراء:١٠٧، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ ١٧الإسراء:١٠٨، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ١٧الإسراء:١٠٩،**
- **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٢، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٣، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٤، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٥، ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:٦، ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٧، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٨، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٩، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٠، ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١١،**
- **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ٣٠الروم:٣٠،**
- **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ. الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ الرعد: ٢٨و٢٩.**
- **﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ٢البقرة:٤٥،**
- **﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٣آل عمران:١٩٩،**
- **﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٨٩، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٩٠،**
- **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٣٣الأحزاب:٣٥،**
- **﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ ٤٢الشورى:٤٥،**
- **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ٢٠طه:١٢٤، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ ٢٠طه:١٢٥، ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ ٢٠طه:١٢٦، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ ٢٠طه:١٢٧،**

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾، ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾، ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾، ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

We created man from a breed of clay. Then We made him a drop-like being in a highly equipped and conserving (lodging) **place** (womb)**. Then We created that drop-like stage into a leech-like one, subsequently We created leech-like stage into a chewed matter-like one, subsequently We created the chewed matter-like stage into bones, subsequently We covered bones by flesh. Then We developed it into another being** (to be born completely human)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

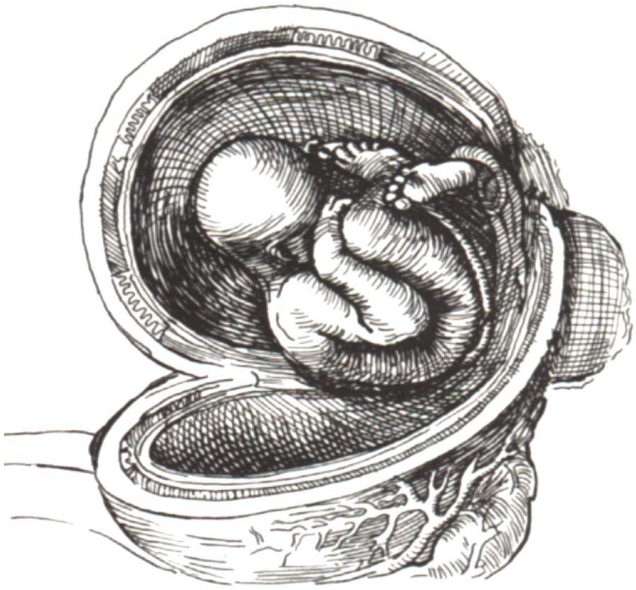

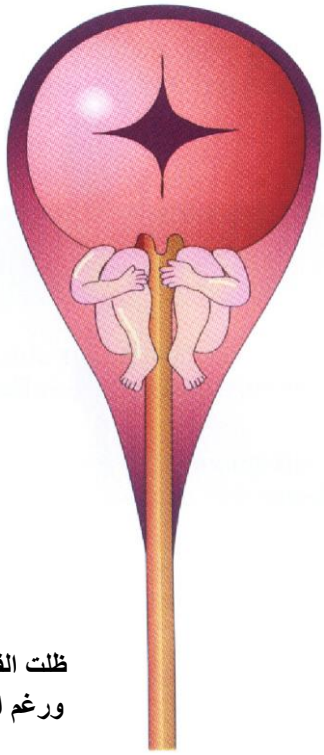

ظلت الفكرة منذ أرسطو بتخلق الجنين كاملا من دم الحيض إلى القرن السابع عشر ورغم اكتشاف المجهر ظل الاعتقاد كذلك بتخلقه كاملا برأس الحوين المنوي بلا أطوار.

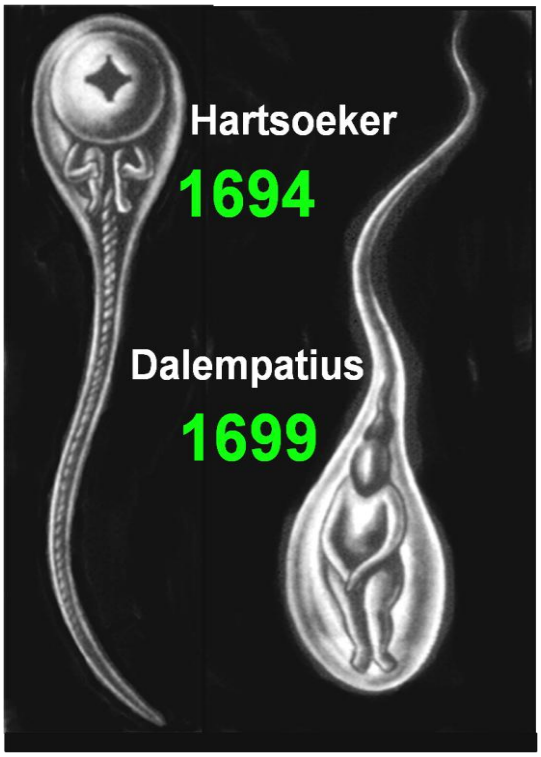

مع اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر ومعاينة الحيوان المنوي Spermatozoon ظنوا أنه حيوان مُتطفل دخيل بسبب صعوبة الرؤية في المجاهر الأولية؛ ولذا ظلت التسمية بالحيوان إلى اليوم لتؤكد أن دوره في الإنجاب لم يكن مُحققا، ومع اكتشاف علاقته بالحمل ظنوا أنه يحوي الإنسان كاملا لينمو في الرحم بلا إدراك لدور المرأة في الإنجاب ولا معرفة بتخلق الجنين في أطوار، في عام ١٦٩٤ رسم هارتسوكر Hartsoeker الإنسان كاملا داخل رأس الحيوان المنوي مجسدا ما بلغته المعارف في القرن السابع عشر، وأيده داليمباتيوس Dalempatius قبل بداية القرن الثامن عشر بعام واحد مع إضافة توهم آخر جعله يرسم الجنين مستقيما، وتوالت الاكتشافات العلمية مع تطور المجهر حتى اكتشفت البويضة وعرف أن الإنسان يخلق من الزوجين في أطوار، وتعجب أن القرآن الكريم قد أعلن في تعبير صريح في القرن السابع الميلادي بتخلق الإنسان في أطوار، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ٧١نوح:١٣و١٤.

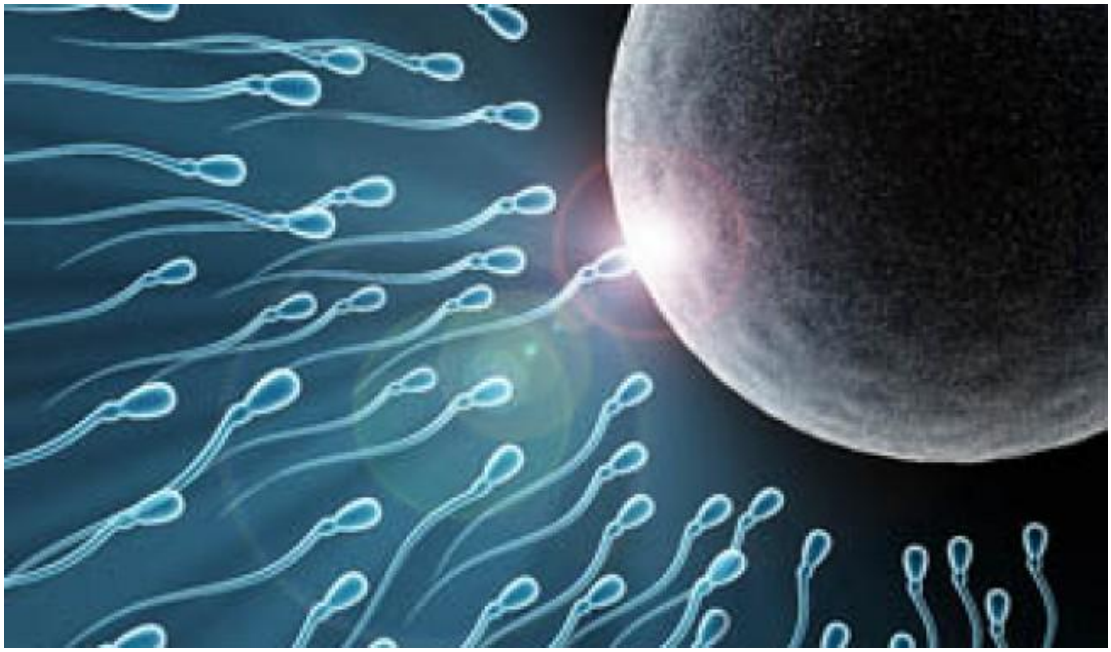

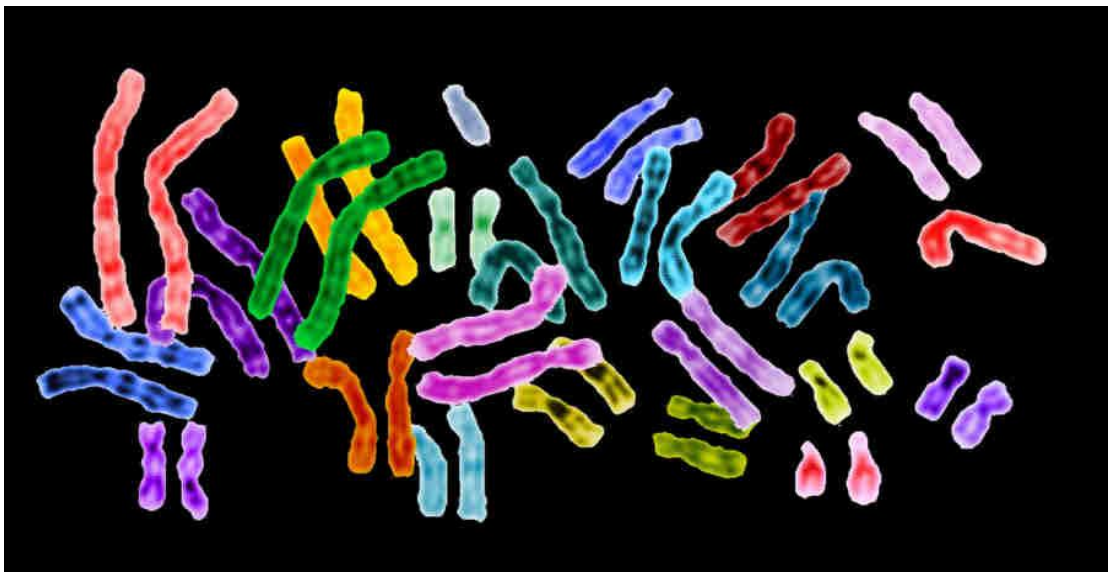

وتبدأ مراحل خلق الإنسان بتكون الحيوان المنوي عند الذكر لأن جميع بويضات الأنثى مكونة وهي جنين، والسائل المنوي يُماثل ماء قليل عديد النطف أي قطرات، وهو ما يكشفه القرآن بالنص الصريح، قال تعالى :﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ. ثُمّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مّن مّآءٍ مّهِينٍ﴾ ٣٢السجدة:٧و٨، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكّم مّن مّآءٍ مّهِينٍ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠، ولكن لا يقوم بالإخصاب إلا مكون منوي واحد من السائل المماثل للماء عديد النطف؛ أي نطفة Drop-like Embryo، وهو ما أكده القرآن الكريم في جملة مواضع، قال تعالى :﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مّن مّنِيّ يُمْنَىَ﴾ ٧٥القيامة:٣٦ و٣٧، ويقول تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن نّطْفَةٍ﴾ ١٦النحل:٤، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنّا خَلَقْنَاهُ مِن نّطْفَةٍ﴾ ٣٦يس:٧٧، والمُدهش أن يعدل القرآن في وصف مُكونات المني المُماثل للماء إلى اسم الفاعل (دافق) بدلا من اسم المفعول؛ قبل أن يُعاين بالمجهر حركته الذاتية أحد، يقول العلي القدير: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ﴾ ٨٦الطارق:٥و٦، وتتم أول مرحلة خارج تجويف الرحم؛ وتدهش أن يعدل القرآن في مقام تكون كل الأطوار إلى لفظ (البطون) في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ خَلْقاً مّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ﴾ ٣٩الزمر:٦، وبالفعل تُحيط بالجنين ثلاثة أغشية مجهرية، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:٢؛ يستقيم وصف أول خلية إنسانية بالجمع (أَمْشَاجٍ) باعتبار التركيب الداخلي، وهي بالفعل تضُم المادة الوراثية بهيئة أزواج مُمتزجة من الزوجين؛ ولذا يسمونها الأزواج النظائر Matched Pairs.

وقد كشف القرآن الكريم دور الزوجين؛ الذكر والأنثى، في الإنجاب، قال تعالى: ﴿يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ﴾ الحجرات:١٣، قال القرطبي (ج١٦ص٣٤٢ و٣٤٣): "بيَّنَ الله تعالى في هذه الآية أنه خلق الخلق من الذكر والأنثى.. وقد ذهب قوم من الأوائل إلى أن الجنين إنما يكون من ماء الرجل وحده، ويتربى في رحم الأم ويستمد من الدم الذي يكون فيه.. والصحيح أن الخلق إنما يكون من ماء الرجل والمرأة لهذه الآية؛ فإنها نص لا يحتمل التأويل".

والمُفسرون كافة بلا استثناء قد أجمعوا الرأي على أن النطفة الأمشاج هي حصيلة ماء الزوجين؛ الذكر والأنثى، وأن الأمشاج يعني أخلاط من الجنسين، وهما يدخلان في تكوين النطفة لأنها مفرد موصوفة بالجمع (أَمْشَاجٍ)؛ فيستقيم أن يعود وصف المفرد بالجمع باعتبار التركيب من مُكونات أدق، وقبل اكتشاف المجهر بعد عصر تنزيل القرآن الكريم بحوالي عشرة قرون لم يكن يعلم أحد بتكون الجنين من بويضة مخصبة Fertilized egg تماثل نطفة؛ أي قطرة ماء غاية في الضآلة وذات أخلاط تحتوي على مكونات وراثية من الأبوين نسميها اليوم كروموزومات Chromosomes، فالأمشاج في التفسير أخلاط من الجنسين، ويستحيل إدراك تلك الحقيقة المجهرية قبل اكتشاف المجهر بقرون إلا بوحي، ولذا لا يقدم الطاعنون سوى أدلة على المُكابرة والعناد والجهل بحقائق العلوم وسوء فهم لدلائل الوحي في الكتاب الكريم.

وفي قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)، وقوله تعالى: (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) ٧٧المرسلات:٢٠و٢١؛ يستقيم حمل محل الحمل سياقا على الرحم، ووصفه بلفظ (قَرَارٍ) ومن مشتقاته الاستقرار يعني توفير كل متطلبات الجنين في كل مراحل الحمل، ووصفه بلفظ (مَكِينٍ) ومن مشتقاته التمكين؛ أي حريز حصين معد مهيأ لأداء وظيفته مثبت والجنين مثبت فيه يحيط به ويحميه وكأنه يد حانية تحيطه وتمنع عنه الخطر؛ هذا هو مجمل ما قاله المفسرون قديما في دلالة الوصفين الجامعين، ويؤيدهم حديثا علم الأجنة وعلم التشريح، وتعبير القرار المكين إذن وصف للرحم Uterus (Womb)، والنطفة وصف للجنين المماثل للنطفة؛ أي قطرة ماء Drop-like Embryo، وهو يستمر بالفعل بنفس الهيئة في الرحم إلى أن يتم الغرس Implantation في نهاية الأسبوع الأول من الإخصاب، والتعبير (قَدَرٍ مَعْلُومٍ)؛ أي فترة مقدرة معلومة لا تتجاوزها الحامل هي فترة الحمل Gestation period منذ الإخصاب، وهو يماثل التعبير (أَجَلٍ مُسَمًّى) في قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ الحج: ٥، والفترة المعلومة للحمل هي ٣٨ أسبوعا (٢٦٦ يوما)؛ أي تسعة أشهر؛ بخلاف الوهم السائد بإمكان الحمل لسنوات.

والمعلوم تشريحيا أن الرحم يقع في الحوض تحميه عظامه، وهي عظام سميكة تتألف من العجز والعصعص في الخلف وعظمة الحرقفة في كل جانب؛ وهما يشكلان من الأمام عظمة العانة، وهذا الحزام العظمي وما يتصل به من عضلات سميكة يوفر للجنين حماية من الرضوض من كل جهة، والرحم أيضا يقع بين المثانة والمستقيم من الأمام والخلف، وتثبت الرحم في موضعه أربطة تربطه بجدار البطن وعظام الحوض وتسمى الأربطة الرحمية Uterine ligaments، وهي ترفع الرحم وتحافظ على وضعية مناسبة للحمل Pregnancy والولادة labor كهرم مقلوب قاعدته لأعلى كقبة، ومع تنامي الحمل يزداد حجمه تدريجيا بما يتواءم مع نمو الجنين إلى أن يبلغ أعلى تجويف البطن في نهاية الشهر الثامن، ومع إفراز الهرمون الموسع لمنطقة تلاقي عظمي العانة Relaxin بالجهتين يهبط أكثر في الحوض استعدادا للوضع.

ومن الناحية الهرمونية يوجد نظام بالغ الدقة والاتزان يمنع تقلص الرحم فيحمي الجنين من الإجهاض Abortion بارتفاع عتبة التقلص لعضلات الرحم بسبب ارتفاع نسبة هرمون البروجسترون Progesterone، وفي الشهر الثالث يبدأ الجسم الأصفر في المبيض في الضمور بعد أن تتسلم المشيمة الدور في المد الهرموني إلى نهاية الحمل، وبهذا يضمن الجنين كل الرعاية وتوفير كل متطلباته على طول الحمل فوق الحماية في حرز حصين مُعد مسبقا بتقدير وتصميم ومهيأ لأداء وظيفته على أكمل وجه، ومثبت بقوة ومرفوع رغم الثقل المحمول، والجنين آمن برعاية الله تعالى وحمايته بأسباب لا علم له بها، وصدق القائل: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

منذ أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد ظل التَّوَهُم سائدًا بأن الجنين يتولد كاملا من دم الحيض ودور المني كالمنفحة في تخثر اللبن؛ كما تعبر الصورة التي رسمها دافنشي المتوَفى في القرن السادس عشر الميلادي عام ١٥١٩.

وفي قوله تعالى: "مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلّهِ وَقَاراً. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً" نوح ١٣و١٤؛ دلالة على أن الإنسان لا يُخلق فجأة كاملا وفق الاعتقاد الذي ساد منذ عهد أرسطو قبل الميلاد وحتى القرن الثامن عشر؛ وإنما في أطوار ثابتة التقدير تشمل كل فرد رغم تعدد الأجناس وتتابع الأجيال، وأول من درس جنين الدجاجة باستخدام عدسة بسيطة هو هارفي Harveyعام ١٦٥١، ودرس كذلك أجنة الأيل Deer ولصعوبة معاينة المراحل الأولى للحمل استنتج أن الأجنة ليست إلا إفرازات رحمية، وفي عام ١٦٧٢ اكتشف جراف Graaf حويصلات في المبايض ما زالت تسمى باسمه Graafian Follicles، وعاين حجيرات في أرحام الأرانب الحوامل تماثلها؛ فاستنتج أن الأجنة ليست إفرازات من الرحم وإنما من المبايض، ولم تكُن تلك التكوينات الدقيقة التي عاينها جراف سوى تجاويف في كتل الخلايا الجنينية الأولية Blastocysts، وفي عام ١٦٧٥ عاين مالبيجي Malpighi أجنة في بيض دجاج ظنه غير مُحتاج لعناصر تخصيب من الذكر، واعتقد أنه يحتوى على كائن مُصغر ينمو ولا يتخلق في أطوار، وباستخدام مجهر أكثر تطوراً اكتشف هام Hamm وليفنهوك Leeuwenhoek الحوين المنوي للإنسان للمرة الأولى في التاريخ عام ١٦٧٧؛ ولكنهما لم يدركا دوره الحقيقي في الإنجاب، وظنا أيضاً أنه يحتوي على الإنسان مُصغراً لينمو في الرحم بلا أطوار تخليق، وفي عام ١٧٥٩ افترض وولف Wolff تطور الجنين من كتل أولية التكوين ليس لها هيئة الكائن المُكتمل، وحوالي العام ١٧٧٥ انتهى الجدل حول فرضية الخلق المُكتمل ابتداءً؛ واستقرت نهائيًا حقيقة التخليق في أطوار، وأكدت تجارب إسبالانزاني Spallanzani على الكلاب على أهمية الحوينات المنوية في عملية التخليق، وقد سادت قبله الفكرة بأن الحوينات المنوية كائنات غريبة مُتطفلة ولذا سُميت بحيوانات المني Semen Animals، وفي عام ١٨٢٧ بعد حوالي ١٥٠ سنة من اكتشاف الحوين المنوي عاين فون بير von Baer البويضة في حويصلة مبيض إحدى الكلاب، وفي عام ١٨٣٩ تأكد شليدن Schleiden وشوان Schwannمن تكون الجسم البشري من وحدات بنائية حية، وسميت تلك الوحدات بالخلايا Cells وأصبح من اليسير لاحقا تفهم حقيقة تخلق الإنسان في أطوار؛ من خلية مُخصبة ناتجة عن الاتحاد بين حوين منوي واحد وبويضة.

وقد ثبت اليوم بيقين خلق الجنين في أطوار إلى اكتمال صورته وولادته في أحسن تقويم؛ كما فَصَّلَهَا القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤، وفي مقابل دلالة حرف (الفاء) في التعبير (فَخَلَقْنَا، فَكَسَوْنَا) على الترتيب والتعقيب بغير مُهلة؛ فإن الأداة (ثُمَّ) تقتضي المُهلة؛ فتفيد تأخر مظاهر تكون إدراكه واتضاح حركته الإرادية بمدة أكبر نسبيا في مرحلة لاحقة تلت مرحلة تخليق أوليات أعضاء الجسم التي انتهت باكتمال أوليات الهيكل العظمي وكساؤه بالعضلات، والثابت علميا أنه باكتمال ٨ أسابيع تكون كل أوليات الأعضاء قد اكتملت تمامًا؛ بينما تتأخر الحركة الإرادية للجنين إلى أربعة أشهر.

وأبسط وأدق تصوير للمني عديد المكونات الوراثية أنه ماء عديد النطف، ومكونات المني من الكثرة والحركة السريعة فتشبه قطرات المطر، ومن كُلٍّ تنشأ حياة، وما أشبه ملايين المكونات من المني المندفع بقطرات المطر؛ في الكثرة والهيئة والضآلة والحركة والمساهمة في نشأة حياة إنسان أو زرع، ولا يقُوم بإخصاب البويضة إلا حوين منوي واحد؛ نطفة.

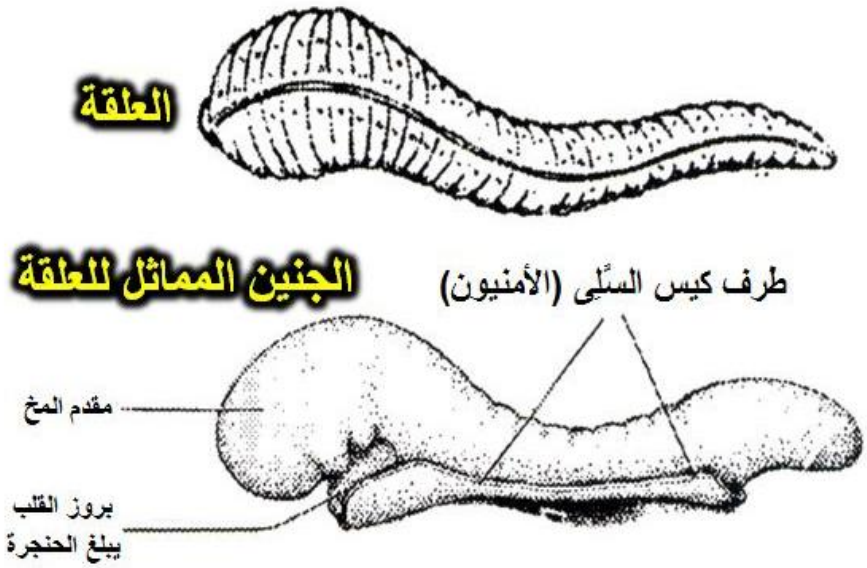

وفي الأسبوع الثاني والثالث يتحول الجنين إلى ما يشبه علقة البرك شكلاً ووظيفةً، قال ابن كثير: "أي صيَّرنا النطفة.. على شكل العلقة"وهي دودة طولية الشكل؛ ليس لها قلب ينبض وتعيش في الماء، وتعلق بالمواشي تتغذى على الدماء، والجنين كذلك يصبح طولي الشكل لم ينبض له قلب بعد، ويحاط بكيس مليء بسائل كالماء، ويعلق بجدار الرحم يتغذى على الدماء، والعلق الطبي كان يُترك ليعلق بأبدان مرضى ارتفاع ضغط الدم ليمتصه فينخفض ضغط الدم.

وتعلق الجنين لآزِمُه الرحم الذي يتعلق به كالبذرة تتشبث بالتربة وتمد أطرافها لتستمد قُوتَهَا؛ ففيه أن النطفة المُتضاعفة كالبذرة، فناسب أن يكون الطور المُماثل للعلق أول الأطوار: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٩٦العلق:٢.

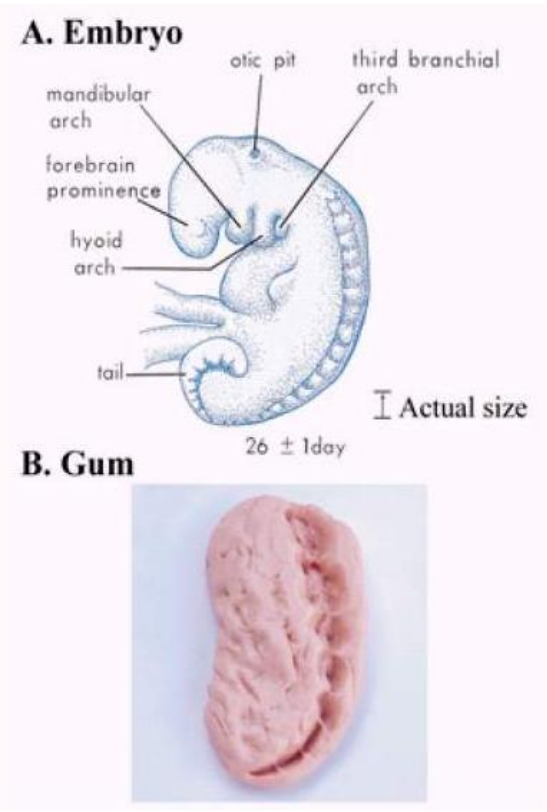

ويبدأ قلب الجنين في النبض حوالي اليوم ٢١ من الإخصاب بمعدل يصل إلى: ١٧٠ نبضة في الدقيقة؛ بينما في البالغ حوالي: ٧٠ نبضة في الدقيقة، فيتسارع النمو خاصة جهة الظهر فينحني وتظهر أوليات الفقرات كعلامات الأسنان وبقية الأعضاء كانبعاجات فيبدو كقطعة طعام مُضِغَت، ويستمر بنفس الهيئة طيلة الأسابيع الرابع والخامس والسادس.

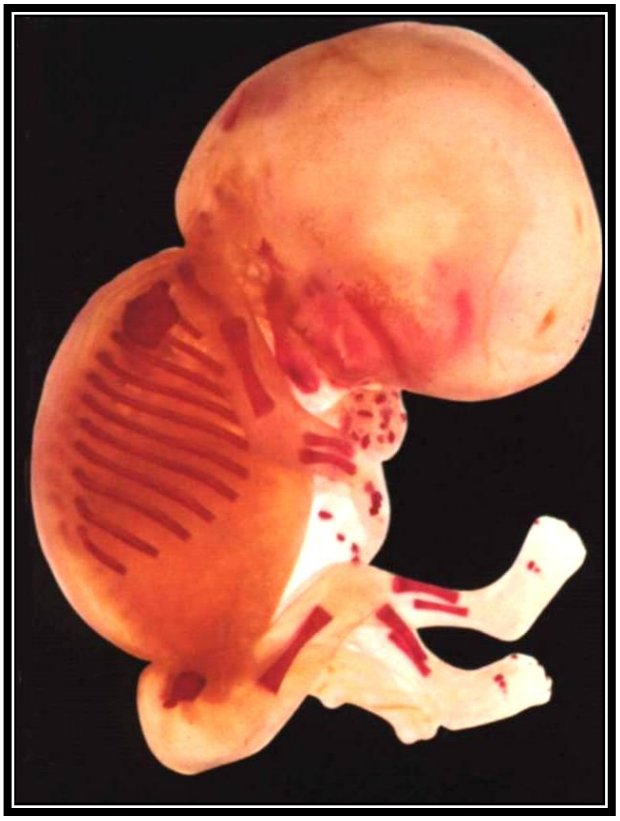

,في الأسبوع السابع من الإخصاب تظهر أوليات العظام ويبدأ تشكيل الهيكل العظمي وتكسى بالعضلات في الثامن، وتبدأ الهيئة البشرية في الاتضاح بعد مرور ستة أسابيع من عمر الجنين، وتكتمل جميع أوليات الأعضاء بنهاية الثامن.

وفي نهاية الأسبوع الثامن مع اكتمال جميع أوليات الأعضاء؛ يكون طول الجنين من الرأس إلى المقعدة حوالي ٣ سم، وسريعًا ما تظهر الأعضاء التناسلية الخارجية؛ ويتضح جنس الجنين باستخدام الأجهزة الطبية الحديثة.

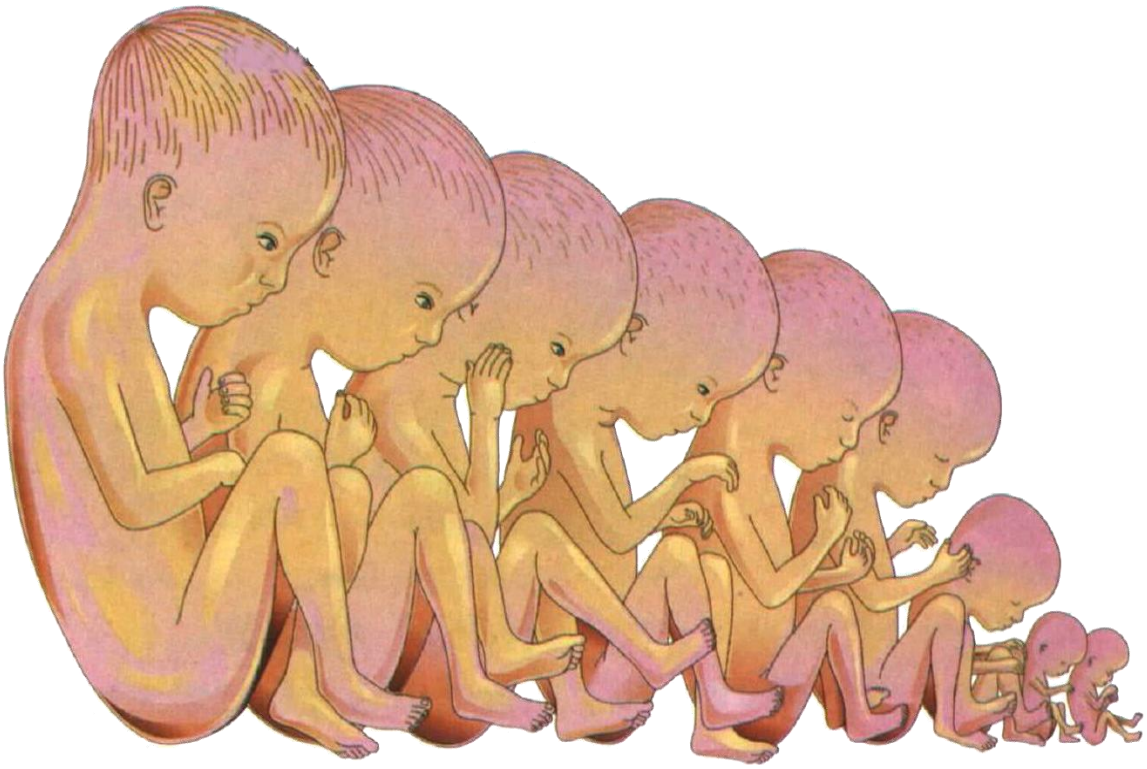

والأسابيع الثمانية الأولى تُسَمَّى بالمرحلة الجنينية Embryonic Stage؛ وفيها تُسوى كل أوليات الأعضاء، والمدة من بداية الأسبوع التاسع إلى الوضع تُسَمَّى بمرحلة الحُمَيل Fetal Stage؛ وفيها يتنامى الجسم وتُعَدَّل الهيئة والقسمات؛ فهي إذن مراحل ثلاث: خلق وتسوية وتعديل، وهي نفس المراحل التي سبق وأنبأ بها القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨٢الإنفطار:٦-٨، وبعد ١٧ أسبوعًا (عند ١٢٠ يوما) تبدأ الحركة الإرادية؛ وتعكس دورية تعاقبها وجود فترات نوم ويقظة علامة على بداية الإدراك، قال ابن كثير: "(ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) أي..: صار (خَلْقًا آخَرَ)؛ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة".

ويستمر تعديل هيئة الحُمَيل وتعديل انحناء جسمه ونسبة رأسه إلى جسمه، إلى أن يُولد غالبا بعد ٩ شهور، أي ٣٨ أسبوعا أو ٢٦٦ يوما ليملأ الدنيا صُرَاخًا مُعلنًا قدرة العلي وبديع صنعه تعالى وسبق تقديره وحسن تدبيره، فالصدفة لا تصنع مراحل مقدرة تتكرر بانتظام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ٢٢الحج:٥، ووحدة الإعداد والتخطيط وثبات الأطوار رغم تعدد الأجناس وتتابع الأجيال؛ فدليل قاطع ينطق للفطين بوحدانية الخالق العظيم.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ} فيه قولان؛ أحدهما: آدم استل من طين، وهذا قول قتادة، وقيل: لأنه اسْتُلَّ من قِبَل ربه، والثاني: أن المعني به كل إنسان، لأنه يرجع إلى آدم الذي خلق من سلالة من طين؛ قاله ابن عباس ومجاهد، وقيل: لأنه استل من نطفة أبيه، والسلالة من كل شيء صفوته التي تستل منه..، وقال الزجاج: السلالة القليل مما ينسل، وقد تُسَمَّى المضغة سلالة والولد سلالة، إما لأنهما صفوتان على الوجه الأول؛ وإما لأنهما ينسلان على الوجه الثاني، وحكي الكلبي: أن السلالة الطين الذي إذا اعتصرته بين أصابعك خرج منه شيء..، وحكي أبان بن تغلب أن السلالة هي التراب..، {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً} النطفة هي ماء الذكر الذي يعلق منه الولد، وقد ينطلق اسم النطفة على كل ماء..، قوله تعالى: {فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ} يعني بالقرار الرحم، ومكين: أي مُتمكن قد هيئ لاستقراره فيه، {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً} العلقة الدم الطري الذي خلق من النطفة سُمّيَ علقة لأنه أول أحوال العلوق، {فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً} وهي قدر ما يمضغ من اللحم، {فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمَاً}، وإنما بين الله أن الإنسان تنتقل أحوال خلقه ليعلم نعمته عليه وحكمته فيه، وإن بعثه بعد الموت حياً أهون من إنشائه ولم يكن شيئاً، {ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ} فيه أربعة أوجه؛ أحدها: يعني بنفخ الروح فيه، وهذا قول ابن عباس والكلبي، والثاني: بنبات الشعر، وهذا قول قتادة، والثالث: أنه ذكر وأنثى، وهذا قول الحسن، والرابع: حين استوى به شبابه، وهذا قول مجاهد، ويحتمل وجهاً خامساً: أنه بالعقل والتمييز، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية إلى قوله: {ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ}. قال عمر بن الخطاب: فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}"[٩٠٤].

[٩٠٤] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٤ \ ٤٧).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Embryology

علم الأجنة

المَوْضُوع Subject

Creation of the Embryo

خلق الجنين

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ١٦النحل:٤.
- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ ١٨الكهف:٣٧.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٢٢الحج:٥.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٣٥فاطر:١١.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ٣٦يس:٧٧.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٤٠غافر:٦٧.
- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٤٠.
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٧٦الإنسان:٢.
- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ٨٠عبس:١٧-٢٠.
- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ٧١نوح:١٣و١٤.
- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٩٦العلق:١و٢.
- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨٢الإنفطار:٦-٨.
- ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠-٢٣.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨.

الفَقْرَة **Paragraph**

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨.

كَلِمات إِرْشَادِيَّة **keywords**

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾، ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾.

تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة) **Translation**

And We sent down from the sky water (rain) in measure (definite value)**, and We gave it lodging in the earth, and verily, We are Able to take it away.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

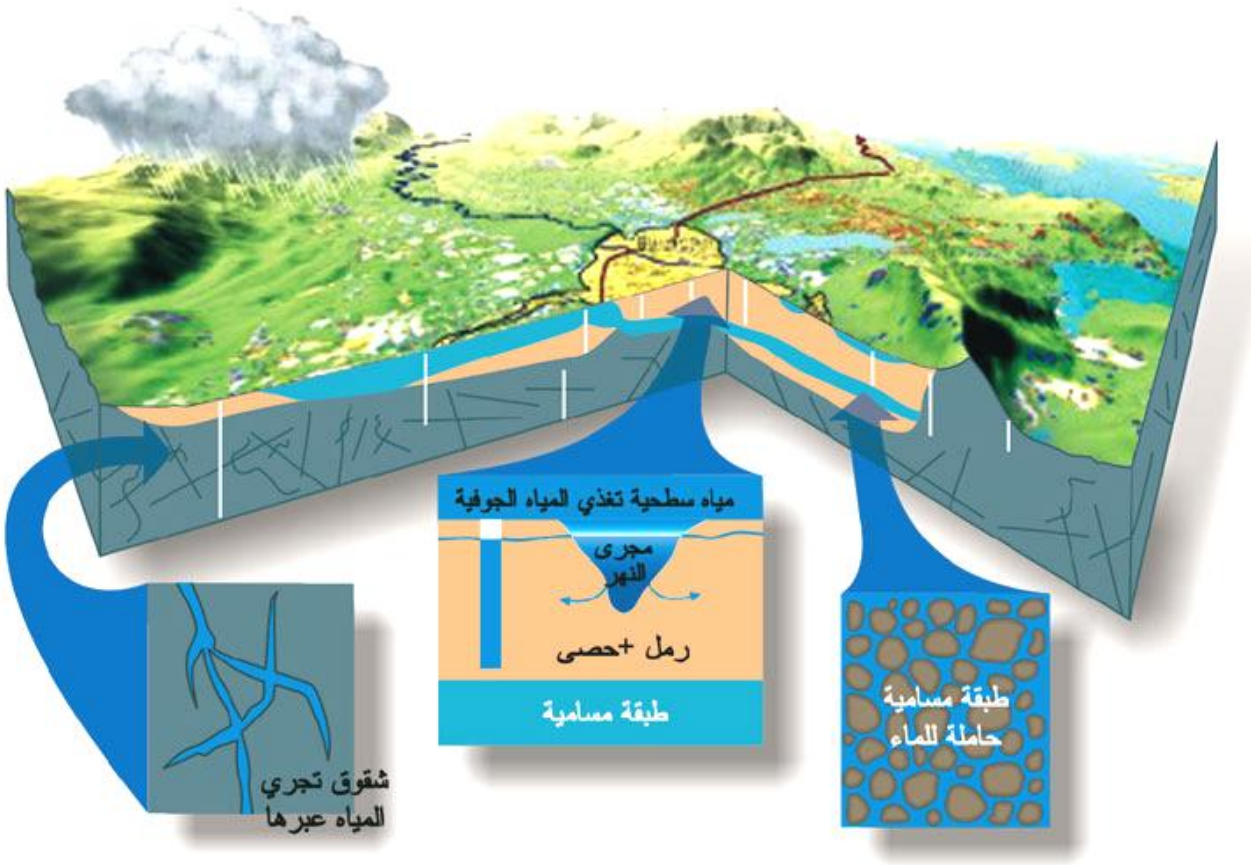

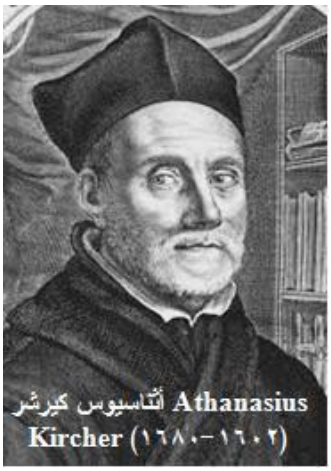
أثناسيوس كيرشر Athanasius Kircher (١٦٠٢-١٦٨٠)

في عام ١٦٦٥ كتب أثناسيوس كيرشر Athanasius Kircher (١٦٠٢-١٦٨٠) في كتابه (عالم ما تحت الأرض) يقول إن جميع الأنهار والجداول تنبع من بحيرات ومستودعات مائية شاسعة تحت الأرض، ولكن المحيط لا يفيض رغم استمرار جريان الأنهار، فاستدرك قائلا أن المصدر الرئيس لمياه الأنهار هو المحيط نفسه، وهذا المفهوم على حداثته يعني استبعاد أن يكون المصدر لجميع مياه الأرض هو المطر الغزير الذي استمر ربما لمئات السنين عندما بردت القشرة الأرضية فسمحت لبخار الماء المتجمع في الجو الأولي بالسقوط بشدة وكثافة كونت البحار وشقت الأنهار فتنوعت الأرزاق؛ وهو صريح القرآن الكريم: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٨٠عبس:٢٤-٣٢.

والنصوص صريحة في أن أصل المياه السطحية والمياه الجوفية هو المطر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ ٣٩الزمر:٢١، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ١٥الحجر:٢٢، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨، والمخزون الجوفي للمياه يعتمد على نسبة هطول المطر التي تحافظ على مستواه؛ فإذا قلت نسبة هطول المطر هبط مستوى المياه الجوفية، وقد يبلغ مستوى هبوطها إلى حد أن تغور مياه آبار الشرب: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ٦٧الملك:٣٠، ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ ١٨الكهف:٤١.

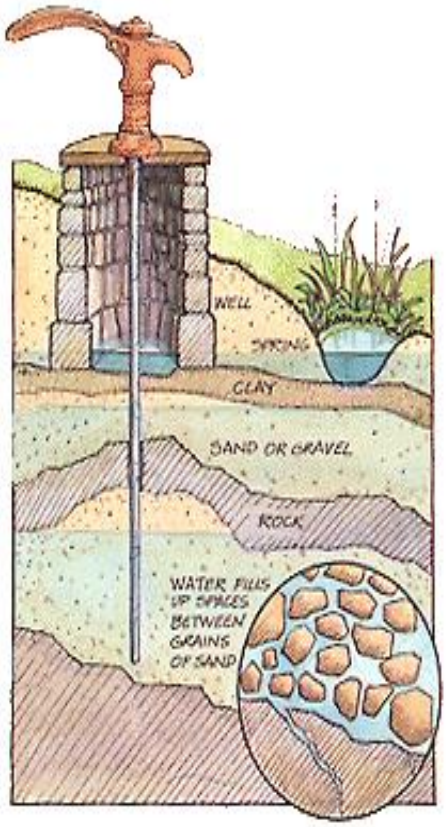

والطين والصخور الطباشيرية أكثر مسامية من الصخور الرملية، ومع ذلك فإن الماء يمر بسهولة خلال الصخر الرملي ولا يمر خلال الطين والصخور الطباشيرية، ويرجع السبب في ذلك إلى خاصية الإنفاذ Permeability، فالرمال التي حبيباتها متساوية أو متقاربة في الحجم أكثر مسامية من الرمال المكونة من حبيبات مختلفة في الحجم، إذ تملأ الحبيبات الصغيرة الفجوات التي بين الحبيبات الكبيرة، وبذلك تقلل من مسامية الصخر، وإذا كانت الحبيبات حادة؛ أي ذات زوايا، فإن الزوايا تدخل في الفجوات التي بين الحبيبات الأخرى وتقلل المسامية، وتتوقف طريقة رص الحبيبات غالباً على مقدار الضغط الذي وقع على الراسب بعد ترسيبه نتيجة لتراكم الطبقات فوقه، أي أنه توجد علاقة مباشرة بين مسامية الصخر والعمق الذي يوجد فيه تحت سطح الأرض، فإذا ترسبت رواسب كيميائية بين حبيبات الصخر أدى ذلك إلى تقليل مساميته، فالصخر الرملي إذا ترسبت بين حبيباته أكاسيد حديد أو أكاسيد السليكون (السليكا) أدى ذلك إلى تماسكه وفقدانه الجزء الأكبر من مساميته، وخاصية الإنفاذ هي سهولة مرور الماء وسرعة تحركه بين حبيبات الصخر؛ وهذا هو ما نسميه نفاذية الصخور، فالطين مثلاً صخر غير مُنفذ، بينما الرمل منفذ جيد، والسبب في ذلك أن حبيبات الطين دقيقة جداً، ولذلك فإن الماء يُمسَك في هذه المسام بواسطة الخاصية الشعرية، وعلى ذلك لا يسمح الطين بمرور الماء فيه بل يمتصه ويبقيه بداخله، أما الرمل فإن حبيباته كبيرة نسبياً ومتباعدة بعضها عن بعض، فيمر الماء خلاله بسهولة ويسر[٩٠٥].

وهناك صخور تسمح بمرور الماء فيها بالرغم من أنه ليس بها مسام تذكر بين حبيباتها، فالجرانيت مثلاً مساميته ضئيلة جداً وكذلك الصخر الجيري الدولوميتي، ولكن غالباً ما تسمح بمرور الماء فيها، وذلك لوجود شقوق وفواصل تعمل كأنابيب تسمح بمرور الماء، فالماء هنا لا يمر خلال الصخر نفسه بين حبيباته بل يمر خلال هذه الشقوق والفواصل، ويجمع التعبير (فَسَلَكَهُ) عن كل تلك المسالك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ ٣٩الزمر:٢١، ومثله تعبير (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢البقرة:٧٤.

[٩٠٥] بحث للدكتور أحمد عبد العزيز مليجي؛ تسكين المياه في الأرض، موقع هيئة الإعجاز العلمي.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير مجمع البحوث: "{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ}: كل ما علاك يطلق عليه في اللغة: سماءٌ، والمُراد بالسماء هنا إمَّا السحاب، فمنه ينزل المطر، وإما السماءُ المعروفة، والمقصود من إنزال المطر منها إنزاله بسببها، فإن المطر أصله أَبخرة صاعدة من البحار، بسبب تسلط حرارة الشمس عليها، والشمس من السماء، ومعنى الآية: وأنزلنا من السحاب ماءً بمقدار ما يكفى مخلوقاتنا في مصالحهم وحاجاتهم، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلا فلا يفي بالإنسان والحيوان والزروع والثمار، فأسكناه في الأرض وأَقررناه فيها، حيث أجريناه في الأنهار، وجعلنا الأرض تتشرب بعضه، ليستقر في جوفها، ويخزن تحت طبقاتها، لينتفع به الناس عند الحاجة إليه بحفر الآبار فيها ونبع العيون منها، وإنا على ذهاب بالماء الذي أنزلناه لقادرون، بأن نجعل الأرض تبتلعه فيغور فيها إلى أماكن بعيدة لا تقدرون على استنباطه منها، كما قال سبحانه في آخر سورة الملك: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ}، ويصح أن يكون المعنى: وإنا على عدم انتفاعكم بالماء لقادرون، بأن نحبس المطر عنكم أو نحول عذبه الفرات إلى ملح أجاج، أو نجفف أنهاركم وآباركم، ولكنا بلطفنا ورحمتنا نمدكم بالماء العذب من آن لآخر، ونحفظه لكم لتنتفعوا به عند حاجتكم"[٩٠٦]، "(فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ): أي فأنزلنا من السحاب الكثيف الذي أَقلته الرياح أنزلنا منه مطرًا، فأَعددناه وهيأناه لسقياكم وزروعكم ومواشيكم، حيث حفظناه في بحيرات وأَجريناه في أَنهار وجداول واختزنا بعضه في جوف الأَرض، لكي تنتفعوا به وقت الحاجة بحفر الآبار وتفجير العيون، (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ): أي أن هذا المطر الذي ننزله من السحاب لم تختزنوه أَنتم، ولا علم لكم به من قبل أَن يأْتيكم، أَو لستم له بحافظين فوق سطح الأَرض أَو في جوفها، لتنتفعوا وقت حاجتكم؛ بل الله تعالى هو الذي سخر لكم أَسبابه، وحفظه لكم في مجاريه وخزائنه، وهو قادر على إمساكه منكم، والذهاب به إذا أَتاكم، كما قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ)"[٩٠٧].

---

[٩٠٦] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (٦\ ١٢٧٨).

[٩٠٧] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (٥\ ٥٣٥).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Geology

علم الجيولوجيا

المَوْضُوع Subject

Underground Water

المياه الجوفية

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨.
- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٨٠عبس:٢٤-٣٢.
- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ١٥الحجر:٢٢.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨.
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ٦٧الملك:٣٠.
- ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ ١٨الكهف:٤١.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ ٣٩الزمر:٢١.
- ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢البقرة:٧٤.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ٢٤النور:٣٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ ٢٤النور: ٣٤-٣٧.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿اللَّهُ نُورُ﴾، ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، ﴿ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾، ﴿نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Allah is the light of the heavens and the earth. The parable of His Light is like a (lustrous) **niche** (as a mirror)**; inside which a lantern, the lantern is inside a glass-globe, this glass-globe** (is glittering reflecting more light) **as if it is a** (brilliant) **pearl-like Planet** (near the sun; let alone the sun itself)**. As It is** (the lantern) **lit from** (the unlimited oil of) **a blessed olive tree-like** (the fuel of which is unlimited)**; neither in the East nor in the West** (in the middle of the planets)**; whose oil would almost glow forth, though no fire touched it** (it is self- radiating; needs no fire to ignite it)**. Light upon light! Allah guides to His light whom He wills. And Allah sets forth parables for mankind; as Allah is well-knower of everything.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

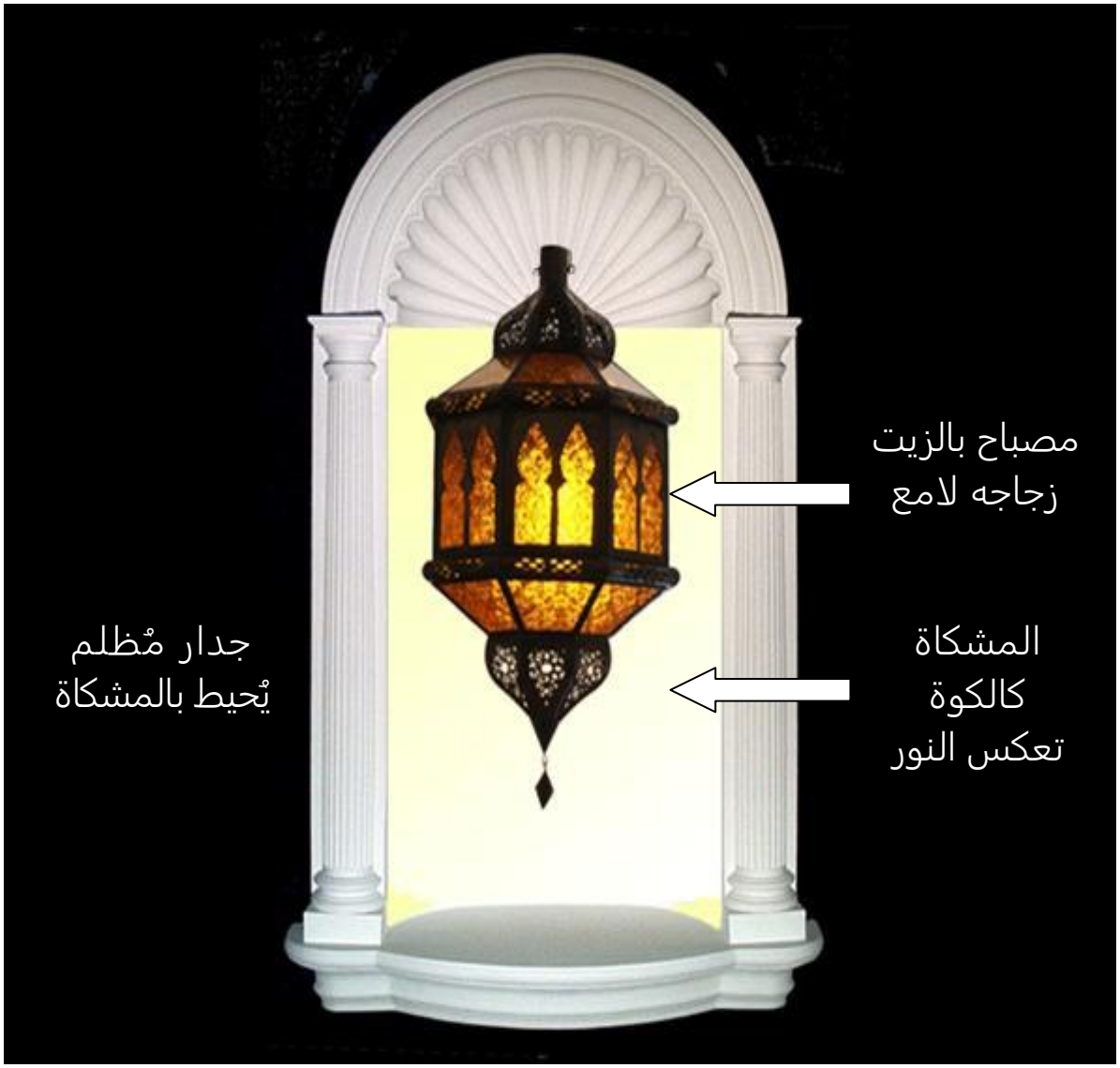

(١) تشبيه تمثيلي بليغ

في تشبيه تمثيلي بليغ يكشف إشراق دعوة خاتم النبيين إلى التوحيد تصحيحًا للاعتقاد وبيانًا لانبثاق الدين الحق بين ظلمات الوثنية وضلالات الجاهلية؛ يقول العلي القدير: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٤النور:٣٥.

واللائق بالتمثيل بالمصباح في المشكاة بجدار يُحيطه الظلام؛ حمله على الوحي بالقرآن الكريم؛ المُعجزة الخالدة للنبوة الخاتمة، والتي سطعت بالدين الحق لتشُع بالهُدى وتُنير سبيل السالكين؛ في بيئة يسودها ظلام الجاهلية حتى أنهم عبدوا المُجسدات، كالشمس التي تتوسط الكواكب بقرينة الكوكب الدري عاكس الضياء؛ تمدها طاقة ذاتية لا تنفذ أعظم من الحطب أشبه ما تكون في بيئة العرب بشجرة الزيتون المُعمرة المُباركة التي لا ينفذ عطاؤها من زيت الإنارة، وتعكس النور جليًّا كواكب تُحيط بها؛ أكثرها إشراقًا وأقربها للشمس كوكب الزُّهرة كقرب زجاجة المصباح للفتيلة، والمشكاة تمثيل للأتباع الحاملين لواء التوحيد يتلألأ ويعكس نُور الحق على الناس أجمعين، وكأن التمثيل جامع لأمة خاتم النبيين؛ تتألق بالنور في ظلمات الوثنية.

قال ابن عاشور: "الْمُرَادُ بِنُورِهِ كِتَابُهُ أَوِ الدِّينُ الَّذِي اخْتَارَهُ؛ أَيْ مَثَلُهُ فِي إِنَارَةِ عُقُولِ الْمُهْتَدِينَ، فَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ لِهَيْئَةِ إِرْشَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَيْئَةِ الْمِصْبَاحِ الَّذِي حَفَّتْ بِهِ وَسَائِلُ قُوَّةِ الْإِشْرَاقِ..؛ وَإِنَّمَا أُوثِرَ تَشْبِيهُهُ بِالْمِصْبَاحِ.. بِأَنَّهَا حَالَةُ ظُهُورِ نُورٍ يَبْدُو فِي خِلَالِ ظُلْمَةٍ فَتَنْقَشِعُ بِهِ تِلْكَ الظُّلْمَةُ فِي مِسَاحَةٍ يُرَادُ تَنْوِيرُهَا..، وَالْمَثَلُ: تَشْبِيهُ حَالٍ بِحَالٍ.، فَمَعْنَى مَثَلُ نُورِهِ: شَبِيهُ هَدْيِهِ حَالُ مِشْكَاةٍ..، الْمُشَبَّهَ بِهِ هُوَ الْمِشْكَاةُ وَمَا يَتْبَعُهَا، وَقَوْلُهُ: (كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) الْمَقْصُودُ كَمِصْبَاحٍ فِي مِشْكَاةٍ..، وَالْمِشْكَاةُ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهَا فُرْجَةٌ فِي الْجِدَارِ مِثْلُ الْكُوَّةِ؛ لَكِنَّهَا غَيْرُ نَافِذَةٍ (للخارج)، فَإِنْ كَانَتْ نَافِذَةً فَهِيَ الْكُوَّةُ، وَلَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ الْمَوْثُوقِ عَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ غَيْرُ هَذَا الْمَعْنَى..، وَقِيلَ: الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ عَلَمٌ بِالْغَلَبَةِ عَلَى كَوْكَبِ الزُّهَرَةِ، وَالْإِيقَادُ: وَضْعُ الْوَقُودِ وَهُوَ مَا يُزَادُ فِي النَّارِ الْمُشْتَعِلَةِ لِيَقْوَى لَهَبُهَا، وَأُرِيدَ بِهِ هُنَا مَا يُمَدُّ بِهِ الْمِصْبَاحُ مِنَ الزَّيْتِ، وَفِي صِيغَةِ الْمُضَارِعِ عَلَى قِرَاءَةِ الْأَكْثَرِينَ إِفَادَةُ تَجَدُّدِ إِيقَادِهِ، أَيْ لَا يُذْوَى وَلَا يُطْفَأُ.، وَوَصَفَ الزَّيْتُونَةَ بِالْمُبَارَكَةِ.. (باعتبار أنها) يُسْتَنَارُ بِزَيْتِهَا..، تَشْبِيهُ هَيْئَةٍ بِهَيْئَةٍ..، وَذَلِكَ أَقْصَى كَمَالِ التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلِيِّ فِي صِنَاعَةِ الْبَلَاغَةِ، فَالنُّورُ هُوَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ.. مِنْ وَحْيِ اللَّهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ؛ شُبِّهَ بِالْمِصْبَاحِ الْمَحْفُوفِ بِكُلِّ مَا يَزِيدُ نُورُهُ انْتِشَارًا وَإِشْرَاقًا"[٩٠٨].

(٢) التحليل الدلالي

يقول العلي القدير: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ٢٤النور:٣٤و٣٥، والنص مُوحي فياض بالدلالات والإيحاءات، والتعبير: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ)؛ يستقيم حمله على الوحي لخاتم النبيين بالقرآن الكريم باعتباره هداية للصراط المستقيم، وقد ورد تمثيله بالنور يهدي السائر في الطريق البيّن؛ فلا يضل ويهلك في تيه البيداء: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ٦الأنعام:١٢٢، وفي مُقابل: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ)؛ ورد تمثيل الآيات بالنور المُبين: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ ٤النساء:١٧٤، والتعبير (مَثَلُ نُورِهِ) إذن تمثيل لتفصيل ما أنزل تعالى من: (آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ)؛ بمثل حسي تفوق مضامينه العلمية معارف العرب، فيكون النبأ: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)؛ كذلك تمثيل لتعميم المضامين في الكون أجمع وكشف دلائل على الوحي والتنزيل، وقرينة التمثيل: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٤النور:٣٥.

ولفظ (النور) عام يعني الإشراق والضياء؛ إلا إذا ورد مُقابل (الضياء) فيختص بنور القمر المُنعكس من ضياء الشمس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ١٠يونس:٥، ولفظ (النور) مُفرد؛ بينما (الضياء) جمع، فناسب تعدد ما تُصدره الشمس من إشعاعات؛ خاصة الحرارة، قال القرطبي: "أَيْ مُنِيرًا أَوْ ذَا نُورٍ، فَالضِّيَاءُ ما يُضئ الْأَشْيَاءَ؛ وَالنُّورُ مَا يبين..، وَالضِّيَاءُ جَمْعُ ضَوْءٍ؛ كَالسِّيَاطِ وَالْحِيَاضِ جَمْعُ سَوْطٍ وَحَوْضٍ"[٩٠٩]، وورد لفظ (النور) في مواضع مُقابل (الظلمات) ليُطلقه السياق فيشمل الإشراق والضياء الذي يُبصر فيه الإنسان الطريق بجلاء فلا يضل ويهلك؛ تمثيلاً للهُدى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ٦الأنعام:١٢٢.

---

[٩٠٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١٨ ٢٣٠).

[٩٠٩] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٨ ٣٠٩).

كوكب الزَّهرة ألمع الأجرام السماوية بعد الشمس والقمر.

كوكب الزَّهرة يمر أمام الشمس.

وفي التعبير: (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ)؛ تمثيل للهُدى في الدين بالمصباح يتوسط المشكاة، والكوكب الدري هو الزُّهرة؛ ألمع الكواكب لقُربه من الشمس، ويظهر جليا للعيان عقب مغيب الشمس كما رآه النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ ٦الأنعام:٧٦، وأقام عليه السلام الحجة على قومه بأفول الزُّهرة تسفيهًا لعبادته في ثالوث بلاد بين النهرين مع الشمس والقمر لشدة لمعانه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ٦الأنعام:٧٦-٧٨، قال الواحدي النيسابوري: "رأى الزُّهرة؛ فقال: {هَذَا رَبِّي}، يُريد أن يستدرجهُم بهذا القول؛ ويُعرفهم خطأهم وجهلهم"[٩١٠]، فاختيار الكوكب الأقرب للشمس وهو الزُّهرة باعتباره أكثر الكواكب بهاءَ، ووصف الكوكب بالدُّرِّيُّ أي المُتلألِئ؛ نسبة إلى الدُّر وهو اللؤلؤ في حُسنه وبهائه، وإحاطة الزجاجة بالمصباح؛ قرينة تصرف المثل على كل الكواكب، قال السعدي: (رَأَى كَوْكَبًا).. (ألمع) الكواكب المُضيئة، لأن تخصيصه بالذكر يدل على زيادته عن غيره؛ ولهذا قال من قال إنه الزُّهرة"[٩١١].

---

٩١٠ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري؛ التَّفْسِيرُ البَسِيْط، تحقيق ١٥ رسالة دكتوراه، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ (١٨ ٢٤٦).

٩١١ عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة؛ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (ص٢٦٢).

وفي التمثيل: (الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)؛ الكوكب الدُّرِّي الذي يعكس ضياء الشمس بشدة لقُربه منها ورد مُقابل الزجاجة التي تُحيط بالمصباح أي السراج مصدر الضياء؛ فلزم أن تكون الشمس مُقابل السراج، وهو صريح النبأ: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٦؛ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ ٧٨النبأ:١٢و١٣، وتوسط المصباح للزجاجة في التمثيل يُلزم بأن الشمس تتوسط الكواكب كما عُرف حديثًا؛ بخلاف التوَهُّم بمركزية الأرض.

والتمثيل إذن للنبوة والصحابة ومَن خلفهم من الأتباع كالمصباح تُحيطه الزجاجة وخلفها المشكاة يُبينون للناس دلائل الوحي، والصحابة أقرب للنبوة ممن بلغه الوحي من الأتباع على مر الزمان، فالنبوة إذن كالسراج المُنير الذي تعكس الكواكب إشراقه، وهو صريح النبأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ ٣٣الأحزاب:٤٥و٤٦، ففي التمثيل إذن مدح للنبوة والصحابة وأهل العلم الحاملين لواء التوحيد: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ٦الأنعام:١٩، وجاء التعقيب صريحًا بتلك الدلالة: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ ٢٤النور:٣٦و٣٧.

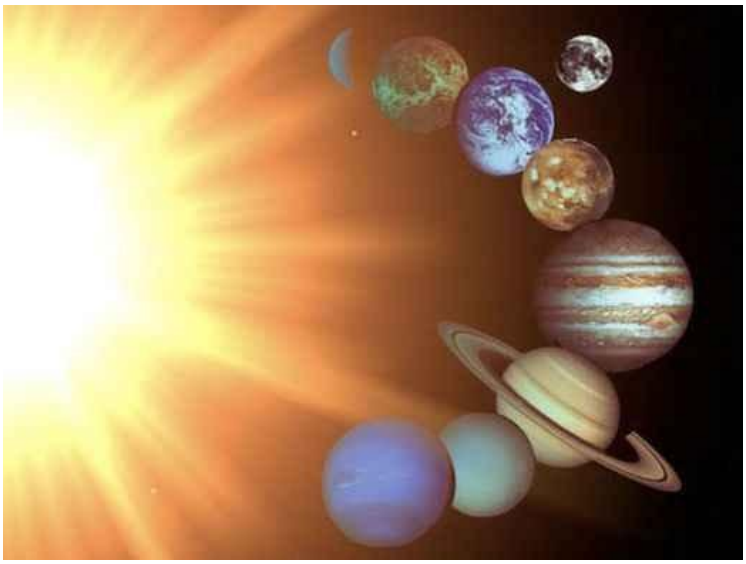

والنبأ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ ٧٨النبأ:١٣؛ لم يكتف ببيان الإنارة بالتشبيه (سِرَاجًا)، وإنما أضاف الوصف (وَهَّاجًا)؛ لبيان توهج الشمس على الدوام وتوقدها ذاتيًا كأتون عملاق لا ينفذ وقوده ولا تنطفئ ناره، وهو مُقتضى التعبير: (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ)، والفعل (يُوقَدُ) عائد على المصباح، وكان وقوده قديمًا الزيوت؛ وأكثرها صفاءً ونقاءً وإضاءة هو زيت شجرة الزيتون المُعمرة المُباركة التي لا ينفذ عطاؤها، والزيتونة مصدر الزيت تمثيل للشمس كذلك، فالمقتضى إذن أن وقود الشمس ذاتي ولا ينفذ؛ ولا تحتاج لوقود خارجي كأتون الحطب، وهو إذن وقود خاص يعتمد على ذراتها ومادتها ذاتها أشبه بنار الجحيم: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ ٢البقرة:٢٤، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُو أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ ٦٦التحريم:٦، والتعبير: (لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) تأكيد لوسطية الشمس للكواكب، والتعبير: (نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)؛ بيان لتضاعف نور المصباح وشدة وضوحه وما ينعكس منه على الزجاجة وما خلفها، فلا عذر إذن لمن ضل الطريق.

وأما التعبير: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)؛ فهو إطلاق وتعميم للهدى يُوحي بعُقلاء ساجدين في كل أرجاء الكون، وفي النبأ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٤٢الشورى:١١؛ نفي لتشبيه الذات العلية بشيء من خلقه؛ مع التمثيل بالسميع البصير لسعة علمه تعالى بكل شيء، والمُقتضى إذن أن الأمثال في حق الذات العلية ذات أغراض بحسب السياق، وفي التمثيل لوحدانيته تعالى وتفرده بلا شريك أو ضديد ونفي التحيز والتجسُّد؛ ضُرب المثل للذات العلية بالنور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢٤النور:٣٥، والنور كيان لطيف غير كثيف ولا مُتجسد في حيز كما الشيء المُتشكل الصورة، فلفظ (النور) وارد في السياق مُقابل المادة الجامدة للأشياء؛ فَعَنَى الطاقة الحُرة غير ذات الكتلة والحيز بجميع أشكالها، بخلاف الزوجية في طبيعة كل شيء مادي؛ سمة المخلوقات: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٩.

قال البيضاوي: "{الله نُورُ السموات والأرض}؛ النور في الأصل كيفية تُدركها الباصرة.. كالكيفية الفائضة من النيرين (خاصة الشمس) على الأجرام الكثيفة (الكواكب)..، وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى؛ إلا بتقدير.. أو على تجوز، إما بمعنى مُنور السموات والأرض وقد قُرء به، فإنه تعالى نورهما بالكواكب..، فإن النور.. مُظهر لغيره..، والله سبحانه وتعالى موجود بذاته مُوجد لما عداه..، فهي إذن (لابد) من سبب يُفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى..، ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه هادي من فيهما؛ فهم بنوره يهتدون، وإضافته إليهما للدلالة على سعة إشراقه (هداه)..، {مَثَلُ نُورِهِ}.. إضافته إلى ضميره سبحانه وتعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره، {كَمِشْكَاةٍ} هي الكوة (في جدار)..، {المصباح فِي زُجَاجَةٍ} في قنديل من الزجاج، {الزجاجة كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} مُضيء مُتلألئ كالزُّهرة..، {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مباركة زَيْتُونَةٍ}.. (مُعَمِّرَة وأُكُلها دائم) رُويت ذبالته بزيتها..، {لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}.. لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها..، (أي) تُشرق الشمس.. دائماً..، {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار (حطب خارجي)..، {نُّورٌ على نُورٍ} نور مُتضاعف (مُتعدد الأشعة)؛ فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت.. (وعكس) المشكاة لأشعته، وقد ذُكر في معنى التمثيل وجوه؛ (منها): أنه تمثيل للهُدى الذي دلت عليه الآيات المُبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى..، وتشبيهه به أوفق (للتمثيل).. بالشمس..، كالمصباح لإضاءتها (ذاتيًّا)..، (و) كالشجرة المُباركة لتأتيها إلى ثمرات لا نهاية لها.. (و) كالمصباح، فإذا استحضرتها كانت نورًا على نُور..، {وَيَضْرِبُ الله الأمثال لِلنَّاسِ} إدناء للمعقول من المحسُوس توضيحًا وبيانًا"[٩١٢]، وقال النحاس: "قال جل وعز: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٥المائدة:١٥و١٦، قيل نور يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تمثيل؛ لان النور هو الذي تتبين به الأشياء"[٩١٣]، "وقوله جل وعز: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢٤النور:٣٥؛ هو تمثيل، أي بنوره يهتدي أهل السموات والأرض، والتقدير: الله ذو نور السموات والأرض؛ والهُدي يُمثل بالنور"[٩١٤]، ووصف الذات العلية بالنور في التمثيل؛ كنسبة البيت إليه تعالى في قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ٢البقرة:١٢٥، فنسبة البيت إلى الله تعالى محمولة على أنه موضع عبادته بقرينة: (لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)؛ فكذلك وصف الذات العلية بالنور تمثيل بقرينة: (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، ويحتمل التمثيل وجوهًا محورها التوحيد وأن دعوة نبيه الكريم هي الهدى في الدين.

وباختصار: في الظلام لا يستطيع الإنسان الاهتداء وتمييز الطريق فيضل؛ فكان النور خير مثال للمعنويات التي تُرشد الإنسان ويتبين بها الطريق، والوحي إذن هو النور بجامع التمييز والتبيين، فالتمثيل بنور المصباح هو لبيان الهُدى في الدين بقرينة التعقيب: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ونسبة النور إلى الله تعالى لبيان مصدر الهُدى كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ٩التوبة:٣٢، والتمثيل إذن بالنور لأغراض؛ كبيان الهدى في الدين والصراط المستقيم ونفي الشريك في الخلق والتحيز عن الذات العلية، والشمس تُضيء ذاتيًّا، إلا أن الفضاء مُظلم والنور لا يُرى ويُستدل عليه بانعكاسه على الكواكب؛ والله تعالى لا يُرى ويُستدل عليه بالمخلوقات، والمثل إذن بيان لوحدانيته تعالى بلا ضديد بمثال النور، وقد ثبت كذلك أن كل الجسيمات دون الذرية زوجية؛ لِكُل جسيم ضديد إلا دقيقة النور؛ الفوتون بلا نظير، فكشف التمثيل إذن العلم بغيب؛ دليلاً على الوحي وتأييدا لرسالة التوحيد.

---

[٩١٢] تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ هـ، ترقيم الشاملة (١٤ ٣٨٠).

[٩١٣] أبو جعفر النحاس؛ معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى؛ ١٤٠٩هـ (١٢ ٢٨٤).

[٩١٤] أبو جعفر النحاس؛ معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى؛ ١٤٠٩هـ (١٤ ٥٣٤).

(٣) تاريخ مجيد على درب التوحيد

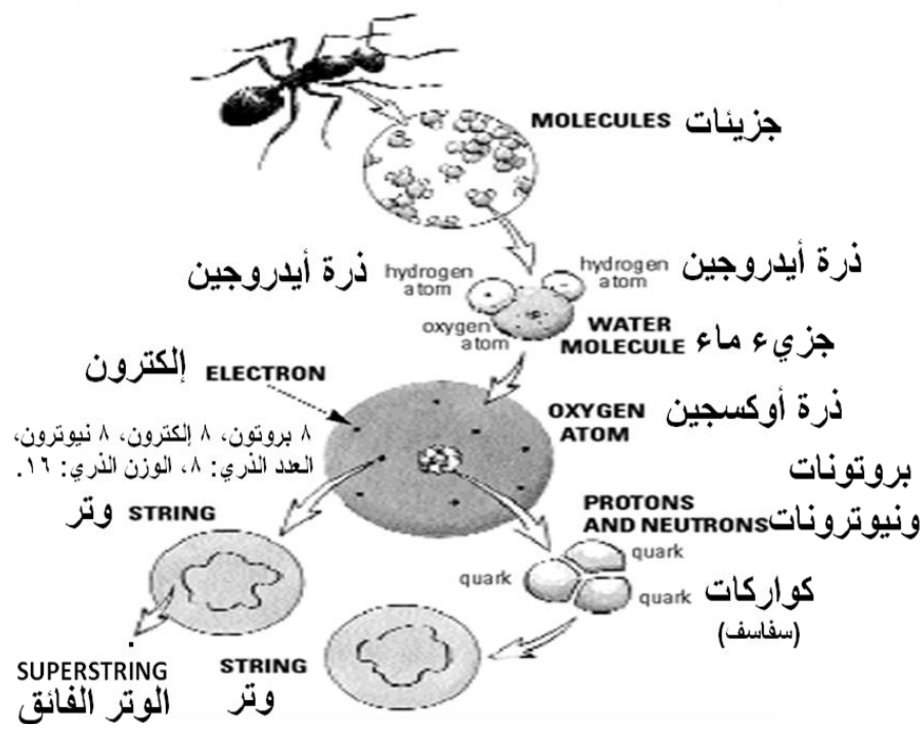

في عام ١٩٦١ اقترح موري غيل وكازوهيكو نيشيجيما أن النيوترونات والبروتونات الجسيمان الرئيسيان في نواة الذرة ليسا أقل شيء لا ينقسم؛ وإنما مصنوعان من لبنات سميت كواركات Quarks؛ أي سفاسف وهشاشات، وإذا ذهبنا بالمثل في أعماق الكوارك باتجاه الضآلة سنجد ما هو أقل منه، أي نتفه أو ندفة واحدة مهتزة من الطاقة بمقاييس بلانك في ضآلة الطاقة وزمن الاهتزاز والطول؛ أشبه بخيط أو بالأحرى وتر موسيقي متناهي الضآلة يهتز.

وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي طَوَّرَ جون شوارتز ومايكل غرين نظرية الأوتار Strings Theory، وفي خطوة أخرى نحو التوحيد Unification؛ قام إدوارد ويتن Edward witten في أواسط الثمانينات بتعديلها وأطلق عليها اسم نظرية الأوتار الفائقة M-Theory، وهي تجمع بين مجال ميكانيكا الكم في مجال الذرة والنسبية في المجال الكبير؛ وتُوَحِّد بين القُوَى والمواد وتصف المادة على أنها حالات اهتزاز متباينة لوتر أساسي واحد؛ كما يُعطي وتر الكمان أنغام متباينة باختلاف طوله، أي أن كل ما في هذا الكون من مادة أو طاقة أو شحنات هو في الواقع أوتار لكنها مهتزة بطرق مختلفة؛ وكأن الكون عبارة عن أنشودة مُتقنة مُوحدة الإيقاع وباختلاف اهتزاز الأوتار ينشأ تنويع لا يُعرف حَدُّه من بديع الكلمات، فتهافت الفيزيائيون عليها وسُميت نظرية كل شيء Theory of Everything، وكل تلك التسميات محاولات ضمن النموذج القياسي Standard Model المُستقر منذ عام ١٩٧٠ لفهم طبيعة الكون؛ والقائم على أن للكون بداية محددة في ظروف حرارة شديدة بردت مع التوسع فنشأت تنويعات الذرات وطبقات الأجرام.

ووفق النموذج القياسي تتكون المادة من كواركات هي لبنات البروتونات والنيترونات؛ في حين أن عائلة الليبتونات تضم مع الإلكترونات ما يُعرف باسم الإلكترون نيوترينو Electron Neutrino، وهو جسيم أولي لا يملك شحنة وكان قد افترض وجوده فولفغانغ باولي عام ١٩٣٠؛ واكتشفه فريق بقيادة فريدرك راينس وكلايد كوان عام ١٩٥٦، أما القوى الأربعة فهي الجاذبية Gravity والكهرومغناطيسية Electro-Magnetism والقوة النووية القوية Strong Force التي تقوم بضم مكونات نواة الذرة ومنعها من التبعثر بمعادلة أثر تنافر البروتونات الموجبة الشحنة، والقوة النووية الضعيفة Weak Force التي تقوم بكبح جماح أنوية الذرات الثقيلة المُشعة من الانشطار الذاتي فجأة.

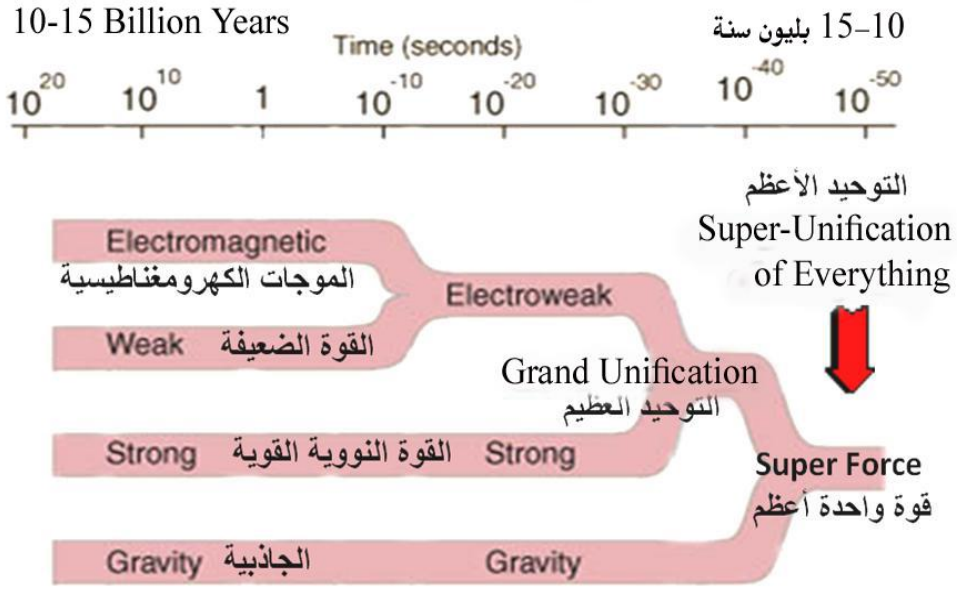

أحرزت الفيزياء إذن قفزات هائلة في أعماق الذرة؛ فإذا بها تتطلع إلى حال الكون عند نشأته حيث توحدت القوى والمواد في قوة واحدة أعظم Super Force؛ فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: Super-Unification of Everything، وفي النبأ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ١٠يونس:٣ و٣١، ١٣الرعد:٢، ٣٢السجدة:٥؛ ورد لفظ (الْأَمْرَ) مفعولاً به ليعني المأمُورُ به عند بدء الخلق، أي المادة الخام التي صنع منها القدير كل شيء؛ كالقطن تُصنع منه كافة المنسوجات، وقد ورد التعبير عنها تصويرًا بكلمة: (كن)، وهي أمر موجه لغير موجود كأنه موجود عاقل يسمع ويُطيع على الفور؛ بيانًا للمشيئة النافذة والقدرة الفائقة، وورود لفظ (الْأَمْرَ) بالإفراد يتفق مع أن الأصل قوة واحدة أعظم هي الأساس لكل القوى والمواد، قال الشيخ طنطاوي جوهري: "(إذن) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة، وتتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد، وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود؛ فهو صادر عن مادة أصلية واحدة"[٩١٥]، فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس..؛ ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي..، (وقد) خلق الله العالم من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"[٩١٦]، فهذه الواحدة هي اللبنة الأساسية الأولى لبنية كل شيء من الذرات والمجرات والنجوم حتى الإنسان، وليس لها من خصائص؛ سوى الحركة العاجلة بأقصى سرعة، أشبه بلمح ضوء البرق بالبصر في السرعة، ويسبق الوحي بالنبأ: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٥٠.

وهكذا انتهت ملحمة الفيزياء إلى توحيد كل شيء في البنية والنظام من أصغر لبنة في الذرة إلى اللبنات العظام التي شيدت الكون؛ من المجموعة الشمسية إلى آخر أفق الكوازارات، فما نُسميه فضاء هو مجالات مادية طرائق صنعتها حولها كتل الأجرام الكونية، والفضاء إذن ليس فراغًا، والنسيج الكوني معارج تتموج وتتقوس وتنحني، وحتى الجسيمات دون الذرية تسبح كذلك في فضاء مادي كالسمكة تسبح في الماء، وكأن الكون كله خشبة مسرح تَعْرِض للفطين ملحمة الخلق المَحْبُوك بإتقان ونظام واحد مقصود بلا عشوائية ولا مصادفة؛ لعله يُدرك المغزى!.

---

[٩١٥] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢ ١٨٠).

[٩١٦] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤٦١١).

الشيخ طنطاوي جوهري
(١٨٧٠-١٩٤٠)

ووفق نظرية الأوتار؛ كأن الوجود آلة ضخمة ذات وتر واحد يطول ويقصر فيصدر كل النغمات، لأن كل شيء مُبرمج مُنظم وكأنه يصدح بأنشودة واحدة مُقدرة الإيقاع؛ فمن إذن نظم إيقاع كل تلك الحشود!، قال طنطاوي جوهري: "(إذن) العالم كله على وتيرة واحدة (لأن طبيعة كل شيء واحدة)"[٩١٧]، "فسبحان من شَكَّل الأشكال المُختلفة والألوان البديعة والأصل واحد"[٩١٨]، "وإن الناس طُربوا لنغمات العود؛ لما فيها من النظام..، فأي فرق بين العود وبين نظام (الطبيعة)؟..، هذه نغمات لا يعقلُها إلا العالمون..، أفلا ترى أن هذه (نغمات) أرسلها الله في الطبيعة.. (كما لو أنها) العود الذي أنتج أحسن النغم!"[٩١٩].

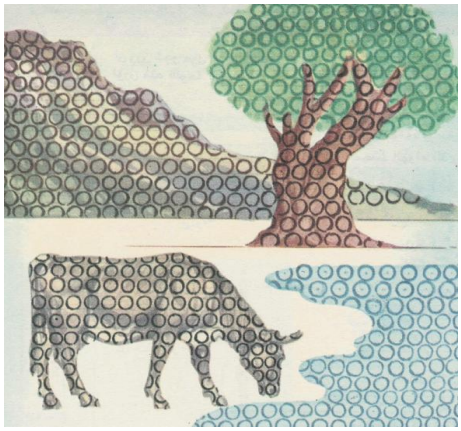

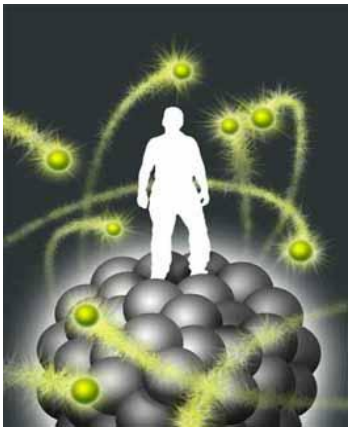

تتكون الذرات بأجسام كل الكائنات من نفس اللبنات، وأصلها جميعًا يرجع إلى لبنة أساسية واحدة؛ طبيعتها الحركة في عَجَل، خلق أخيرا منه الإنسان؛ على ظاهر اللفظ لا المجاز.

والتعبير المُذهل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ وصف الكون كله بأصله الأول؛ قوة واحدة عاجلة الحركة هي أساس بنية كل الأجسام، فأفاد أن الحركة في عجل طبيعة كل شيء، وأن الكون مُدَبَّر في نظام Order؛ ومأمُور ينطق بآمر يُدَبِّرُهُ، قال طنطاوي جوهري: "هذا النظام الجميل شاهد عدل على إله نظمه بعلمه وأحكمه بقدرته، فإن هذا العالم المُشاهد لا يُمكن أن يصدُر إلا عن إرادة؛ لأن المادة عمياء جاهلة والجاهل لا يعطي علمًا"[٩٢٠]، "إذن الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً..؛ طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً، ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلى لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس"[٩٢١]، "فما هذا العالم كله إلا حركات"[٩٢٢]، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس"[٩٢٣]، نشأ الإنسان إذن على رأس كل مخلوق؛ وطبيعته وأصل خلقته الحركة في عجل، وبخلاف بيان طبعه العجول: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ١٧الإسراء:١١؛ يكشف النبأ طبيعته وأصل خلقته: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

---

[٩١٧] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤٦\٧).
[٩١٨] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٠٨\١٩).
[٩١٩] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١١٩\٧).
[٩٢٠] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٢٥٩\٢١).
[٩٢١] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٩٣\٢٤).
[٩٢٢] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٣٢\٢٠).
[٩٢٣] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٨٨\١١٥).

(٤) النور هو الموجود الوحيد بلا ضديد

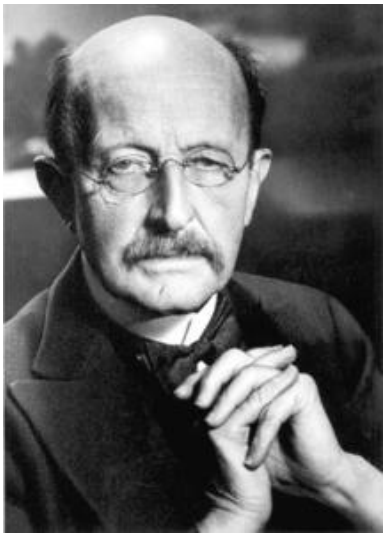

ماكس بلانك Max Planck
(١٨٥٨-١٩٤٧)

في ديسمبر عام ١٩٠٠ أعلن ماكس بلانك Max Planck (١٨٥٨-١٩٤٧) أن الموجات تُصدرها الذرة بهيئة مُعقبات؛ كميات مُتساوية مُتقطعة سُميت كمات Quanta؛ وسُمى أقل مقدار للكم من الطاقة بثابت بلانك Planck Constant، وسمى أقل مسافة للكم الضوئي أي الذي تقطعه وحدة الضوء الفوتون Photon بمسافة بلانك Planck Distance؛ ومقدارها: ١٠قوة-٣٨ كم، أما الزمن الذي لا يوجد أقل منه ويستغرقه الفوتون لينتقل بسرعة الضوء الثابتة القيمة مسافة تعادل مسافة بلانك؛ يُسمى بزمن بلانك Planck Time، وقيمته: ١٠قوة-٤٣ ثانية، وتوصل ماكس بلانك كذلك إلى أن الموجات الكهربائية ما هي إلا وجه للمغناطيسية؛ فوحدهما معا تحت مُسمى الموجات الكهرومغناطيسية.

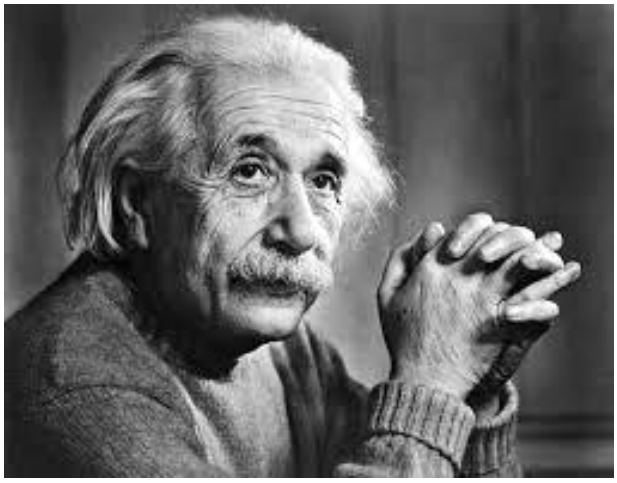

ألبرت أينشتاين Albert Einstein
(١٨٨٩-١٩٥٥)

وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein (١٨٨٩-١٩٥٥) مفاهيم النسبية الخاصة نافيًا وجود سكون في الكون؛ فالكل يتحرك، وتُنسب حركة الجسم لآخر مُتحرك، إذن حركة جميع الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المُطلقة Absolute فسُميت الثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، لأنها ثابتة مهما تحرك أي مراقب أو سكن، وهي سرعة الطيف الكهرومغناطيسي ويجب أن تكون سرعة أمواج الجاذبية، وكلما تزايدت سرعة جسم ذو كتلة لتقترب من سرعة الضوء تزايدت الكتلة وتضاءل طوله وقل الزمن، ومع بلوغ سرعته قيمة سرعة الضوء تُصبح الكتلة لا نهائية ويتلاشى الطول ويتوقف الزمن؛ لذا لا يبلغها سوى جسيم بلا كتلة كالفوتون، وتوصل إلى أن طاقة الفوتون تعتمد على التردد أو الطول الموجي، ففوتون الضوء البنفسجي له طاقة أعلى من فوتون الضوء الأحمر؛ لأن الضوء البنفسجي له تردد أعلى أو طول موجي أقصر، أي كلما تزايد تردد الموجة زادت كمية الطاقة المحمولة، الفوتون إذن هو جسيم أولي متناهي الصغر مسئول عن الظاهرة الكهرومغناطيسية، أي حامل الشعاع الكهرومغناطيسي لكل أطوال الموجات؛ بما في ذلك أشعة جاما والأشعة السينية والضوء فوق البنفسجي وكل طيف الضوء المنظور والضوء تحت الأحمر وموجات الراديو والتلفزيون وكل الاتصالات اللاسلكية.

وليس للفوتون كتلة بخلاف كل الجسيمات دون الذرية كالبروتون والنيوترون والجسيمات الأقل كالإلكترون والكوارك، والفوتون يسلك مسلك الموجات، ويتفاعل مع المادة عبر نقله للطاقة؛ وتُطلقه الذرة عند اكتساب طاقة، والحد الأقصى لسرعة كل أشكال الفوتونات قيمته واحدة؛ ولا يتجاوز في الفراغ القيمة (c): ٢٩٩٧٩,٤٥٨ كم\ ثانية، والموجات تنتقل عبر الفضاء بسرعة غير لحظية لا تتجاوز سرعة الضوء، وافتراضًا إذا اختفت الشمس فجأة فلن نشعر في الأرض بالأثر لحظيًا؛ وإنما بعد دقائق بسبب سرعة الانتقال المحدودة، والعلاقة بين الكتلة وحركة جسيم بسرعة الضوء (c) ليتلاشى ويتحول إلى طاقة حرة؛ لعلها قد استوحت فكرة أن الكتلة Mass (M) ما هي إلا طاقة Energy (E) مُكَدَّسَة مُجَسَّدَة، فأمكن التوصل إلى أنه يُمكن تحويل كتلة جسم M إلى طاقة E والعكس؛ وفق علاقة ثابتة: ($E = Mc^2$).

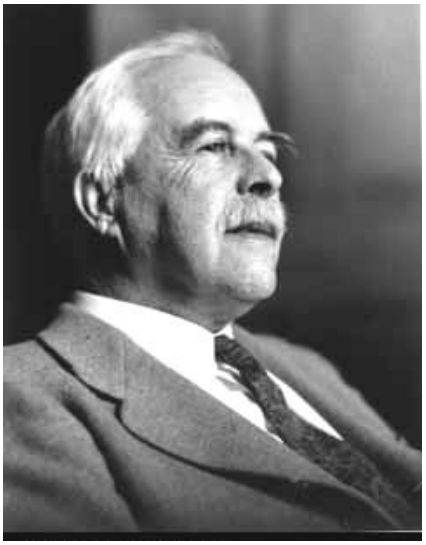

لويس جلبرت Lewis Gilbert
(١٨٧٥-١٩٤٦)

وفي عام ١٩٢٦ أطلق لويس جلبرت Lewis Gilbert (١٨٧٥-١٩٤٦) على الفوتون اسمه، والفوتون تصدره الذرة عندما يقفز إلكترون من مستوى للطاقة عال إلى مستوي منخفض مُحررا فارق الطاقة بهيئة إشعاع كهرومغناطيسي، وتنشأ الأشعة السينية X Ray عندما يقفز إلكترون من مستوى عال في الذرة إلى مكان شاغر داخل الذرة بقرب النواة، أي يبعد أكثر من مستوى؛ فيكون حينئذٍ فرق الطاقة بين المستويين بالغًا، أما أشعة جاما فقد اكتشفها بول فيلارد Paul Villard في عام ١٩٠٠، وهي فوتونات ذات طاقة عالية جدا تصدر من نواة الذرة.

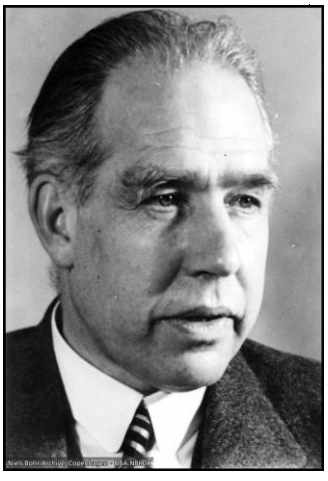

نيلز بور Niels Bohr
(١٨٨٥-١٩٦٢)

فيرنر هايزنبرغ Werner Heisenberg
(١٩٠١-١٩٧٦)

إرفين شرودنجر Erwin Schrödinger
(١٨٨٥-١٩٦٢)

شكلت جهود رواد مثل ماكس بلانك وألبرت أينشتاين ونيلز بور Niels Bohr (١٨٨٥-١٩٦٢) الأساس لنظرية الكم Quantum Theory، وطرأت عليها تعديلات من آخرين مثل فيرنر هايزنبرغ Werner Heisenberg (١٩٠١-١٩٧٦) وإرفين شرودنجر Erwin Schrödinger (١٨٨٧-١٩٦١) شكلت نظرية الكم الحديثة New Quantum Theory.

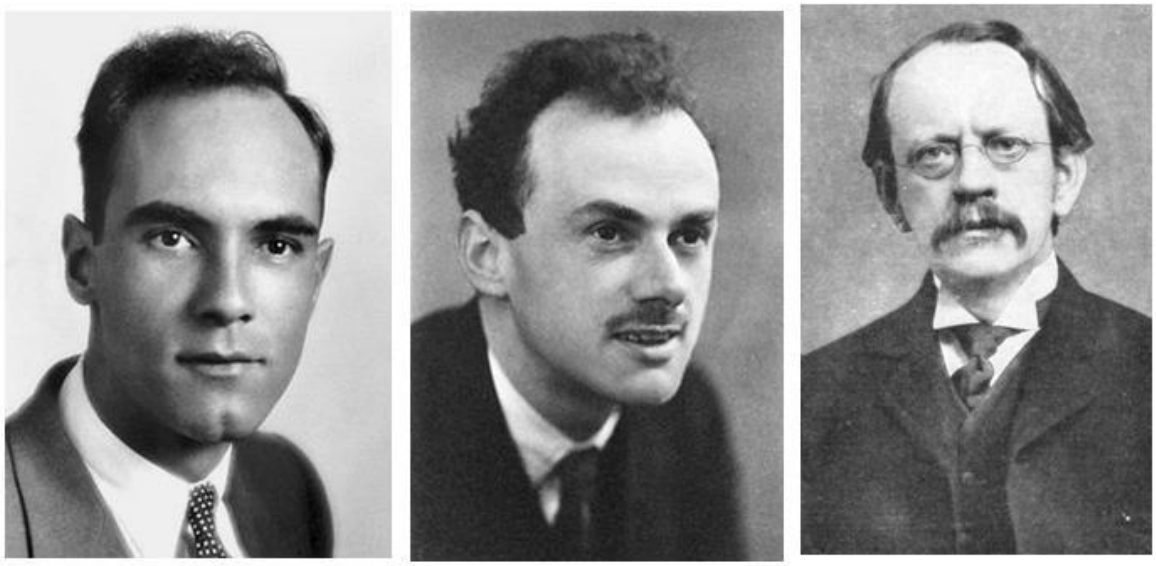

جوزيف طومسون Joseph Thomson (١٨٥٦-١٩٤٠)

بول ديراك Paul Dirac (١٩٠٢-١٩٨٤)

كارل أندرسون Carl Anderson (١٩٠٥-١٩٩١)

وفي عام ١٩٣٢ اكتشف جوزيف جون طومسون Joseph John Thomson (١٨٥٦-١٩٤٠) الإلكترون، وفي عام ١٩٣٠ تنبأ بول ديراك Paul Dirac (١٩٠٢-١٩٨٤) بوجود جسيم مُضاد للإلكترون ذو كتلة مُساوية بشحنة موجبة، وفي عام ١٩٣٢ اكتشف كارل ديفيد أندرسون Carl David Anderson (١٩٠٥-١٩٩١) الإلكترون الموجب الشّحنة وسماه بوزيترون Positron، وفي عام ١٩٥٠ تم اكتشاف ضديد البروتون، وتوالت الاكتشافات حتى تبين أن لكل جسيم ضديد، وبذلك حققت نبوءة ديراك أول خطوة باتجاه نظرية التناظر الفائق Super-symmetry لجسيمات المادة؛ التي تتنبأ بأن لكل جسيم معروف شريكاً فائق التناظر Super-partner، أي أن لكل جسيم للمادة ضديد يُماثله تمامًا.

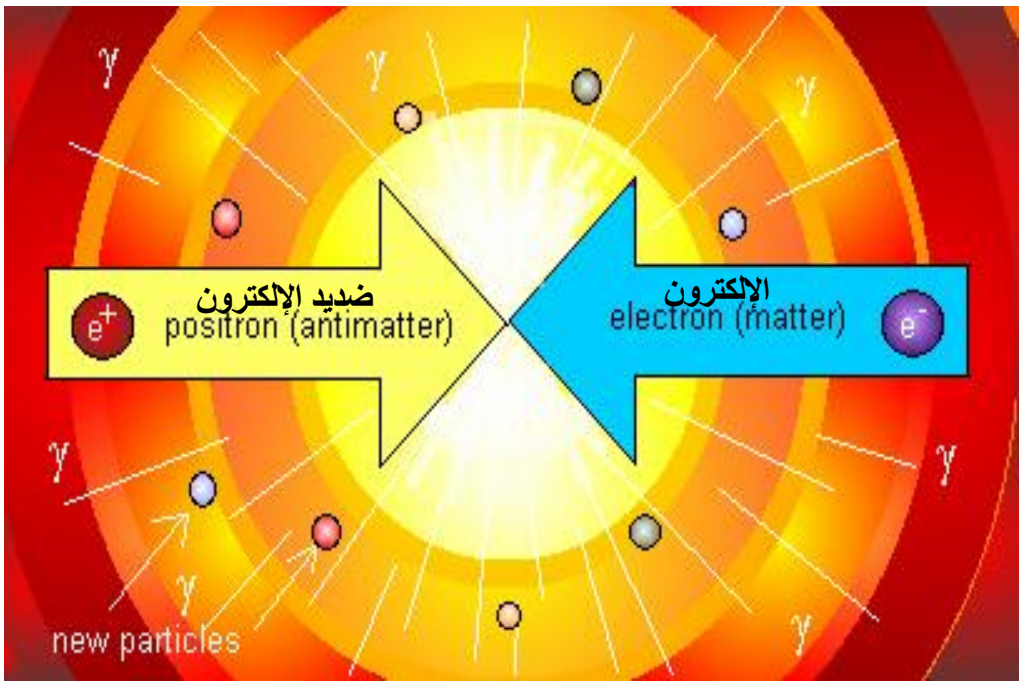

وقد طُرحت نظرية التناظر الفائق أولا عام ١٩٧٣ من قبل جوليوس فيس Julius Wess وبرونو زومينو Bruno Zumino ضمن سياق نظرية الأوتار في نُسختها الأولى، وقد وُجد أن البوزيترون جسيم مُستقر في الفراغ، لكنه يفنى عند الصدام مع أحد إلكترونات الذرات؛ فيفنى الجسيمان وتتولد طاقة كهرومغنطيسية في صورة أشعة جاما، ويتحول كامل كتلتي الإلكترون والبوزيترون إلى طاقة وفق معادلة أينشتاين ($E=2mc^2$)، وتساوي الطاقة الإجمالية المُنطلقة ما يكافئ كتلتي الجسيمين من الطاقة، وهي طاقة هائلة من رتبة المليون إلكترون فولت، ويُمكن أن تحدث العملية بالعكس، أي أن يتولد من فوتونات جاما العالية الطاقة أزواج من الإلكترون والبوزيترون عندما تمر قرب نوى عناصر ثقيلة مثلاً.

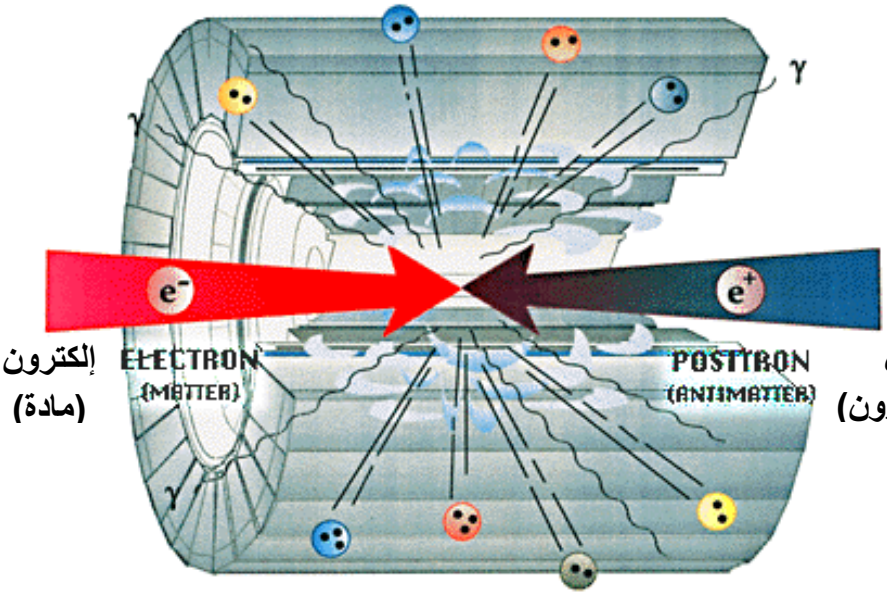

ويتم تصنيع مُضاد الإلكترون والجسيمات المُضادة الأخرى باعتماد أسلوب اصطدام الجسيمات بسرعات عالية في المُسرعات Cyclotrons، وتتوفر تلك الوسيلة حاليًا في مخبر فيرمي Fermi-lab قرب شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية؛ ومخبر سيرن CERN اختصارًا للمنظمة الأوروبية للأبحاث النووية، وهو الأضخم في العالم ويقع تحت جبال الألب قرب جنيف بسويسرا؛ ويتكون من أنبوب بهيئة دائرة كبيرة تحت سطح الأرض طولها حوالي: ٢٧ كيلومتر وعلى عمق حوالي: ١٠٠ متر، وفي داخل الدوائر الكهربية يقوم بتسريع الجسيمات مثل بروتونات الأيدروجين لسرعات تُقارب سرعة الضوء؛ وتسييرها باتجاهين مُتعاكسين لتصطدم مع بعضها البعض، باعتماد أسلوب مُشابه لتصنيع مُضاد الإلكترون.

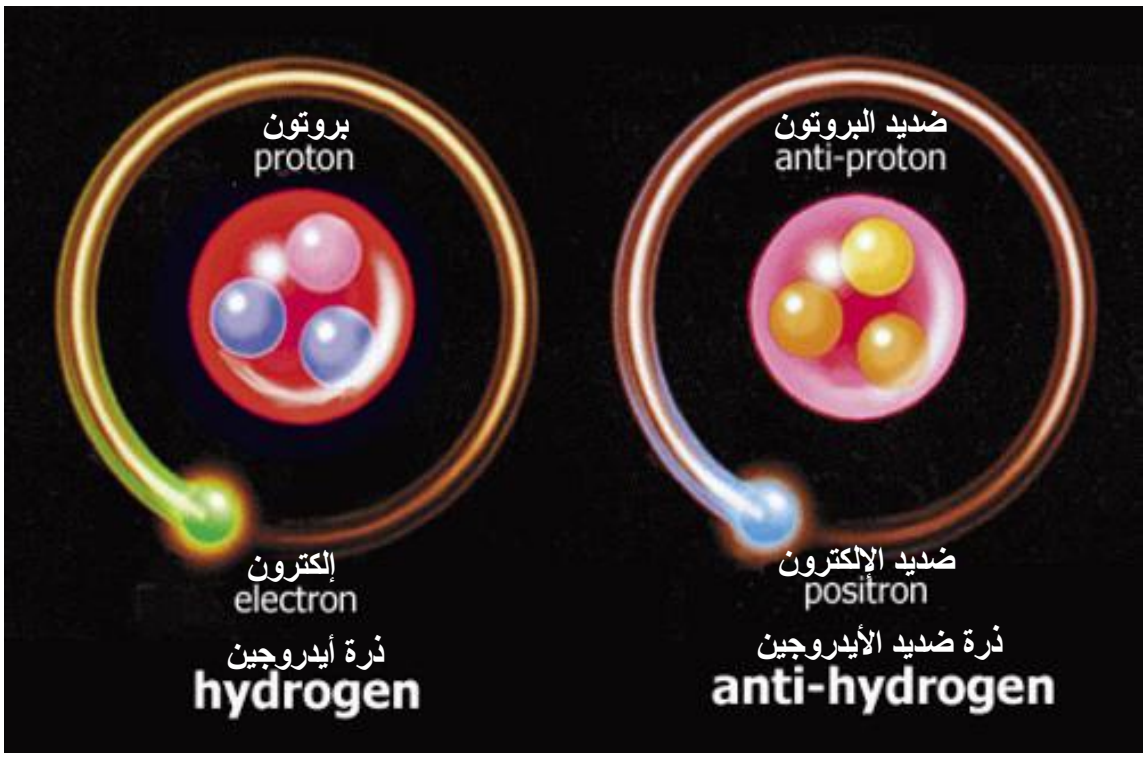

ويُمكن إنتاج العديد من الجسيمات المضادة بطريقة الصدام داخل المسرعات، وفي عام ١٩٧٥ قام سيمون فاندر ميير Simon Vander Meer بتصنيع مُضاد البروتون، وبعد تصنيع مُضاد البروتون قام والتر أولرت Walter Oelert عن طريق المُسرع بصنع ضديد ذرة الهدروجين مُستخدماً مُضاد البروتون، وتبين أن لكل جسيم دون ذري للمادة جسيماً مضاداً مكافئاً له بالكتلة ومضاد له بالشحنة، ومع أن النيترون ليس له شحنة كهربائية فإن له نيتروناً مضادًا، وتم التثبت نهائيا من صحة مبدأ التناظر الفائق في الكون بالبرهان على وجود جسيمات مضادة لكل جسيمات المادة[٩٢٤].

[٩٢٤] الموسوعة العربية: الإلكترون (مضاد-).

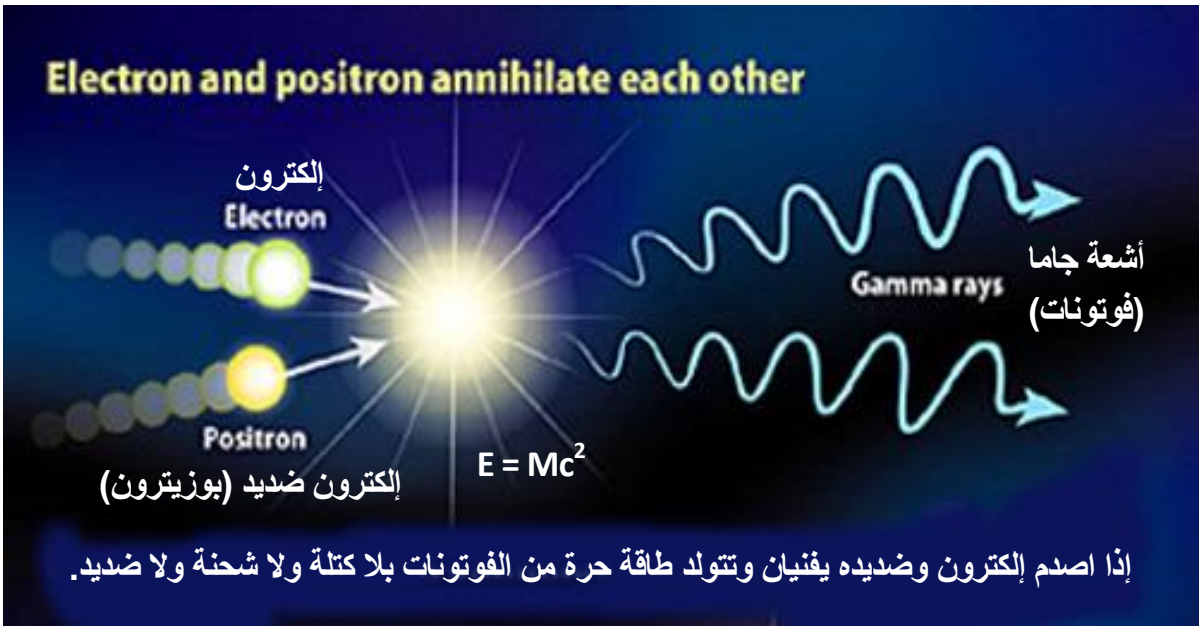

وتعبير الإفناء Annihilation في الفيزياء عندما يلتقي جسيم مثل الإلكترون مع ضديده؛ لا يقصد منه إفناء الطاقة وإنما إفناء المادة وضديدها، فقانون بقاء الطاقة ينطبق كذلك على الكتلة، أي أن الطاقة لا تفني وكذلك الكتلة؛ لأن كلتاهما صورتان لشيء واحد، ويُمكن تحويل كل منهما إلى الآخر وفق علاقة أينشتاين: ($E = Mc^2$)، وفي ظروف درجة الحرارة الهائلة للكون عند نشأته؛ لن يتبق شيء من جسيمات المادة سوى الفوتونات وهي طاقة حرة وليست مادة، أما عند في اللحظة الأولى زمن بلانك ($١٠^{قوة-٤٣}$ ثانية) حيث كانت الحرارة في أقصى درجة؛ فستفنى الفوتونات وتتوحد كل القوى الكهرومغناطيسية مع القوتان الذريتان والجاذبية في قوة واحدة أعظم Super-Force.

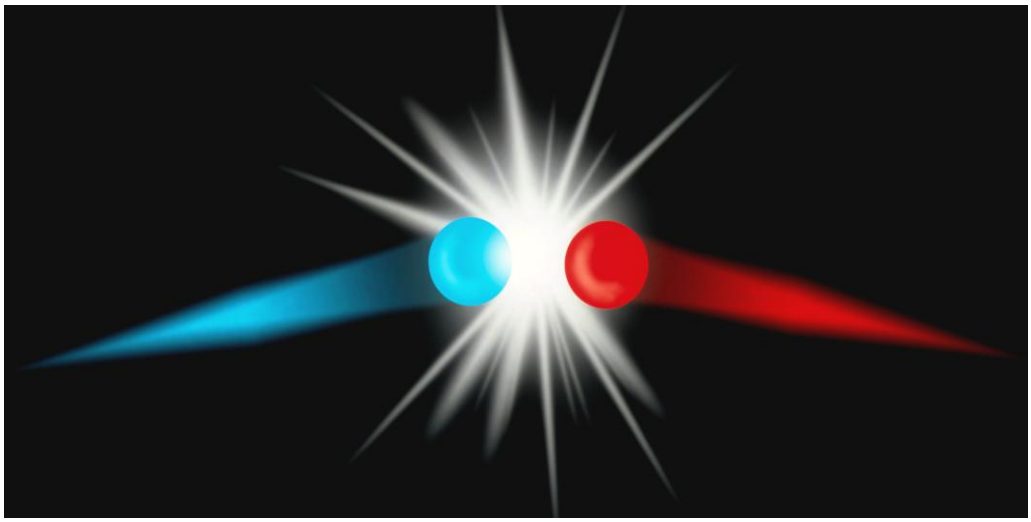

وهكذا تأكد الآن أنه مع لقاء جسيم وضديده؛ تحدث ظاهرة شديدة العنف، إذ تتحرر كمية هائلة من الطاقة الحرة بهيئة فوتونات عالية الطاقة، فيفنى الجسيم وضديده تمامًا، ويتحولان بالكامل إلى طاقة؛ مما يُنتج الفوتون، وبما أن شحنتا الجسيم والجسيم المضاد مُتعاكستان، فإن الشحنتان تُلاشي كل منهما الأخرى؛ وتنتج فوتونات عديمة الشحنة، وقد تم اكتشاف ضديد البروتون وضديد النيوترون عن طريق اميليو سجري وأوين تشامبرلين عام ١٩٥٥ بجامعة كاليفورنيا، وبعدها تم إنتاج ضديد الجسيمات للعديد من الجسيمات دون الذرية عن طريق تجارب مُسرع الجسيمات.

ويُعطي جرام واحد من اليورانيوم U235 عند انشطاره؛ طاقة تعادل الطاقة الناتجة من احتراق ٢,٥ طن من الفحم، والجرام الواحد الناتج من اندماج نوى الهدروجين لتعطي الهليوم ينشر طاقة تعادل حوالي ثمانية أمثال ما يعطيه الانشطار، أما في حالة تحول المادة والمادة المضادة إلى طاقة فهذه تكون أكبر بألف مرة مما يعطيه الانشطار، والمتوقع استعمال الطاقة المتولدة من فناء المادة بصدم عنصر لضديده الحصول على طاقة اقتصادية، واستخدام المادة المضادة وقوداً مثالياً خفيف الكتلة ذا طاقة هائلة لسفن الفضاء وتعمير الأرض وبناء مدن فضائية ومزارع ضخمة لتوفير الغذاء.

(٥) مضامين علمية تُؤيد التوحيد:

التمثيل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢٤النور:٣٥؛ وارد مع دفع التمثيل للذات العلية بأي شيء ذي حيز: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ٤٢الشورى:١١، وتسبقه وتلحقه صفة للذات العلية: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٤٢الشورى:١١، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٤٢الشورى:١٢، وكأن تشبيه القدير بالنور تمثيل لصفات الذات العلية بخصائص النور، وانتهى نفي حقيقة المثلية للمادة ذات الحيز بالتذييل: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٤٢الشورى:١٢، وانتهى التمثيل بالمثل لدعوة التوحيد بالمصباح بنفس التذييل: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٤النور:٣٥، فتشبيه الذات العلية إذن بالنور؛ يتضمن حقائق علمية.

والوصف (نُورُ) مع نفي تشبيه القدير بكل ذي كتلة؛ يُطلقه ليشمل كل أشكال الطاقة الحرة، بينما لفظ (فوتون) في الفيزياء يعني فحسب أشكال الطيف الكهرومغناطيسي كأشعة جاما والضوء المرئي وموجات الراديو؛ دون القوتين النوويتين والجاذبية، ويُفيد تشبيه القدير بالنور؛ الاشتراك في بعض صفات تليق بالجليل مع رفع حقيقة المُمَاثلة.

والشمس مصدر الطاقة والحياة والنور والغذاء في الأرض، وترجع إليها كل القوى؛ والله تعالى مصدر الوجود.

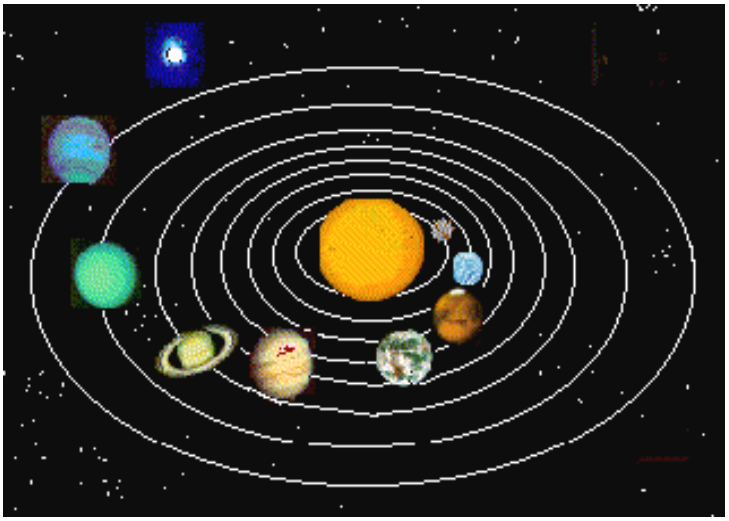

والتمثيل بالمصباح وما يعكس ضياؤه يُطابق حال الشمس ومركزيتها للكواكب؛ بيانًا لحقيقة النظام الشمسي ودفعًا لوهم مركزية الأرض، والقرينة هي الذكر صريحًا للكوكب الشبيه بالدُّر (اللؤلؤ) في بهائه مضاهاة للزجاجة المُحيطة بالمصباح، ويتضمن التمثيل المُركب أن الشمس هي مصدر الضياء؛ بينما الكواكب تعكس أشعتها نورًا كما القمر، وإسناد الإضاءة للمصباح لتتضح المشاهد للعين؛ كافيًا لدحر التخمين القديم بإصدار العين إشعاعًا كي تَرَى به المَشَاهد.

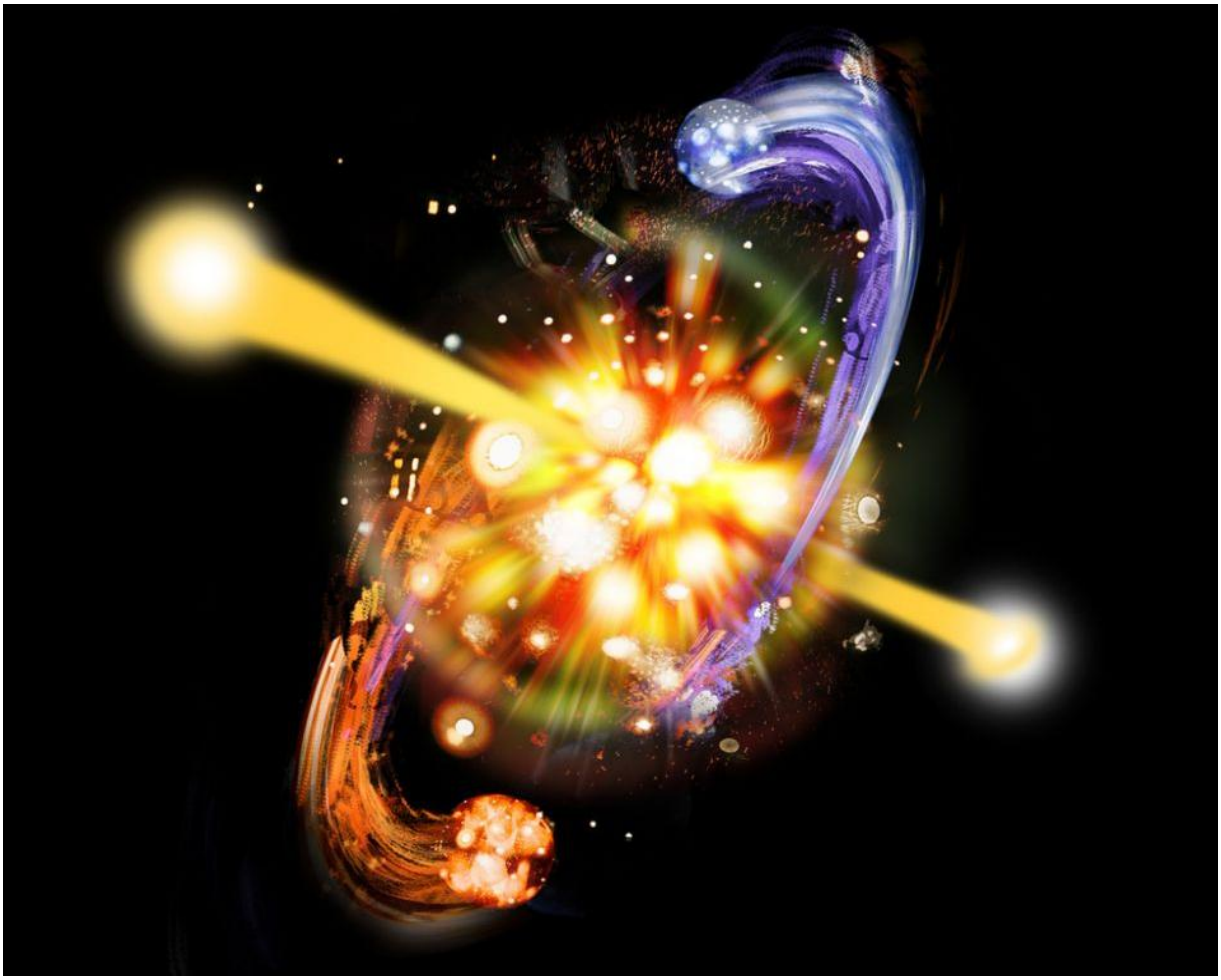

والله تعالى ذو القوة؛ وباصطدام المادة وضديدها تنتُج قوة جبارة من النور رصيد البشرية البديل للوقود الأحفوري، والفضاء مُظلم والنور لا يُرى ويُستدل عليه مُنعكسًا على الأشياء؛ والقدير لا يُرى ويُستدل على صفاته مُنعكسة على مخلوقاته، والنور خالي من الكتلة؛ والقدير لا يتحيز بمكان كالأشياء ذات الكتلة، والفوتونات شكل من الطاقة الحرة؛ الأصل الأول للوجود، والله تعالى هو مُبدع الوجود، وقد ثبت أنه عند تحفيز نواة الذرة بإمدادها بشكل من الطاقة؛ فإنها تُطلق إلكترون سالب الشحنة وضديده المُوجب الشحنة، وعند تقابل إلكترون وضديده البوزيترون المُوجب يحدث لهما إفناء Annihilation؛ فتختفي الأشكال المادية وتتحول إلى فوتونات أشعة جاما ذات الطاقة العالية، فالفوتون إذن على عكس كل جسيمات المادة طاقة حرة؛ عديم الكتلة والشحنة والضديد، وبخلاف الزوجية في طبيعة المادة؛ الفوتون أساس النور بلا نظير ضديد، ووحدانية القدير هي لب دعوة خاتم النبيين ودعوتهم قبله، فمغزى التمثيل إذن تأييد دعوة التوحيد بالإنباء العلمي بالغيب؛ فناسبه التعقيب: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٤النور:٣٥، قال الجاوي: "﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٤إبراهيم:٢٥، أي يُبين الله صفات التوحيد لِلنَّاسِ"[٩٢٥].

[٩٢٥] محمد بن عمر الجاوي؛ مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ (١١ ٥٧٠).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن جزي: "(اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ): النور يُطلق حقيقةً على الضوء الذي يُدرك بالأبصار، ومجازًا على المعاني التي تُدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء، فتأويل الآية: الله ذو نور السموات والأرض، ووصف نفسه بأنه نور كما تقول زيد كرم إذا أردت المبالغة في أنه كريم، فإن أراد بالنور المُدرك بالأبصار؛ فمعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء، ومن هذا المعنى قرأ عليّ بن أبي طالب: «اللهُ نَوَّرَ السموات والأرض» بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو؛ أي جعل فيهما النور، وإن أراد بالنور المُدرك بالقلوب، فمعنى نور السموات والأرض: جاعل النور في قلوب أهل السموات والأرض، ولهذا قال ابن عباس: معناه هادي أهل السموات والأرض، (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ) المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة، وقيل: المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه، والأوّل أصح وأشهر، والمعنى صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح؛ على أعظم ما يتصوّره البشر من الإضاءة والإنارة، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه، وقيل: الضمير في (نوره) عائد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: على القرآن، وقيل: على المؤمن، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير، فإن قيل: كيف يصح أن يقال الله نور السموات والأرض؛ فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله: (مثل نوره)، والمُضاف عين المضاف إليه؟ فالجواب: أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه أي: الله ذو نور السموات والأرض، أو كما تقول: زيد كرم، ثم تقول: ينعش الناس بكرمه؛ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ المصباح، هو الفتيل بناره، والمعنى أنه في قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهر، لأنه جسم شفاف، (الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) شبه الزجاجة في إنارتها بكوكب درّي، وذلك يحتمل معنيين: إما أن يُريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها، وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها؛ وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدرّي أحد الدراري المُضيئة: كالمشتري والزهرة وسهيل ونحوها، وقيل: أراد الزهرة؛ ولا دليل على هذا التخصيص، وقرأ نافع دري بضم الدال وتشديد الياء بغير همزة، ولهذه القراءة وجهان: إما أن يُنسب الكوكب إلى الدرّ لبياضه وصفائه، أو يكون مسهلا من الهمز، وقرأ [أبو عمرو والكسائي: درّيء] وقرأ حمزة وأبو بكر: درّيء بالهمز وكسر الدال بالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع (كأنه يدفع ضوء الشمس ويعكسه)، (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ) من قرأ يوقد بالياء أو توقّد بالفعل الماضي؛ فالفعل مُسند إلى المصباح، ومن قرأ تُوقد بالتاء والفعل المضارع فهو مُسند إلى الزجاجة، والمعنى: توقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها، أو لأنها تنبت في الأرض المباركة وهي الشام، (لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قيل: يعني أنها بالشام؛ فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام، وقيل: هي مُنكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية؛ بل هي غربية شرقية، لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب، وقيل: إنها في وسط دوحة لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب، وقيل: إنها من شجرة الجنة؛ ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية، (يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ) مُبالغة في وصف صفائه وحسنه، (نُورٌ عَلى نُورٍ) يعني اجتماع نور المصباح وحسن الزجاجة وطيب الزيت، والمُراد بذلك كمال النور الممثل به، (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ): أي يوفق الله من يشاء لإصابة الحق"[٩٢٦].

---

[٩٢٦] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١٢ ٦٩).

وقال محمد رشيد: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) فِي الْمُرَادِ بِالنُّورِ هُنَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ؛ أَحَدُهَا: أَنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَانِيهَا: أَنَّهُ الْإِسْلَامُ، ثَالِثُهَا: أَنَّهُ الْقُرْآنُ، وَوَجْهُ تَسْمِيَةِ كُلٍّ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ نُورًا هُوَ أَنَّهَا لِلْبَصِيرَةِ كَالنُّورِ لِلْبَصَرِ، فَلَوْلَا النُّورُ لَمَا أَدْرَكَ الْبَصَرُ شَيْئًا مِنَ الْمُبْصَرَاتِ، وَلَوْلَا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ لَمَا أَدْرَكَ ذُو الْبَصِيرَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ حَقِيقَةَ دِينِ اللهِ، وَحَقِيقَةَ مَا طَرَأَ عَلَى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ ضَيَاعِ بَعْضِهَا وَنِسْيَانِهِ وَعَبَثِ رُؤَسَاءِ الدِّينِ بِالْبَعْضِ الْآخَرِ بِإِخْفَاءِ بَعْضِهِ وَتَحْرِيفِ الْبَعْضِ الْآخَرِ..، وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ هُوَ الْقُرْآنُ"[٩٢٧].

وقال القطان: "{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}: لقد أنزلنا إليكم في هذا القرآن آياتٍ واضحةً مبينّةٌ للأحكامِ، كما أنزلنا إليكم أمثلةً من أحوال الأمم السابقة، وإرشاداتٍ ومواعظَ للذين يخافون الله؛ وهدى وعزاً لمن تولاه، المشكاة: الكوّة في الحائط غير نافذ يوضع فيها المصباح، الزجاجة: القنديل من الزجاج، دريّ: مضيء متلألئ نسبةً إلى الدر، (لا شرقية ولا غربية): يعني في مكان متوسط..، {الله نُورُ السماوات والأرض}: الله مصدرُ النور في هذا الكون، فهو منوّرُ السماواتِ والأرضِ بكلّ نورٍ حسّي نراه ونسير فيه، وبكل نورٍ معنويّ كنور الحق والعدل والعلم والفضيلة والهدى والإيمان، إن مَثَلَ نوره الباهر في الوضوح كمَثَلِ نور مصباح شديد التوهج، وُضع في فجوة من حائط يشعّ نوره، وقد وُضع المصباح في زجاجة يتلألأ نورها كالدّر (اللؤلؤ)..، ويستمدّ هذا المصباح وقودَه من زيتِ شجرةٍ مباركة.. زيتونةٍ..، يكاد زيت هذه الشجرة لشدة صفائه يضيء ولو لم تمسّه نار المصباح، {نُّورٌ على نُورٍ}: نور مُترادِف مُتضاعف تجمَّع فيه نور المشكاة والزجاج والمصباح والزيت، وفوق ذلك كله نورُ رب العالمين بهدْيه الناسَ إلى الصراط المستقيم، {يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ الله الأمثال لِلنَّاسِ والله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، وهكذا تكون الشواهد المنبثة في هذا الكون الحسّيُّ.. آياتٍ واضحةً لا تدع مجالاً للشك في وجود الله، والله يوفق من يشاء إلى الإيمان، إذا حاول الانتفاعَ بنور عقله، وهو يأتي بالأمثلة المحسوسة ليسهّل على الناس إدراكها، ولما فيها من الفوائد والنصح والإرشاد، وهو سبحانه واسع العلم محيطٌ بكل شيء، يعطي هدايته من يستحقّها ممن صفَتْ نفوسهم واستعدّوا لتلقي أحكام الدين وآدابه..، {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسمه يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بالغدو والآصال رِجَالٌ..} عن ابن عباس قال: المساجدُ بيُوت الله في الأرض، تُضيء لأهل السماء كما تُضيء النجوم لأهل الأرض"[٩٢٨].

وقال البيضاوي: "{الله نُورُ السموات والأرض}؛ النور في الأصل كيفية تُدركها الباصرة أولاً؛ وبواسطتها سائر المُبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين (الشمس والقمر) على الأجرام الكثيفة المُحاذية لهما، وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى؛ إلا بتقدير مُضاف كقولك: زيد كرم بمعنى ذو كرم، أو على تجوز إما بمعنى منور السموات والأرض وقد قرء به، فإنه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار، أو بالملائكة والأنبياء، أو مُدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير: نور القوم؛ لأنهم يهتدون به في الأمور، أو مُوجدهما فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره، وأصل الظهور هو الوجود كما أن أصل الخفاء هو العدم، والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه، أو الذي به تُدرك أو يُدرك أهلها؛ من حيث إنه يُطلق على الباصرة لتعلقها به، أو لمشاركتها له في توقف الإدراك عليه؛ ثم على البصيرة لأنها أقوى إدراكًا، فإنها تُدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات، وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل، ثم إن هذه الإدراكات ليست لذاتها وإلا لما فارقتها؛ فهي إذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى إبتداء أو بتوسط من الملائكة والأنبياء ولذلك سموا أنوارًا، ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون، وإضافته إليهما للدلالة على سعة إشراقه أو لاشتمالها على الأنوار الحسية والعقلية وقصور الإدراكات عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما، {مَثَلُ نُورِهِ} صفة نوره العجيبة الشأن، وإضافته إلى ضميره سبحانه وتعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره، {كَمِشْكَاةٍ} كصفة مشكاة، وهي الكوة الغير النافذة، وقرأ الكسائي برواية الدوري بالإمالة، {فِيهَا مِصْبَاحٌ} سراج ضخم ثاقب، وقيل المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة، {المصباح فِى زُجَاجَةٍ} في قنديل من الزجاج، {الزجاجة كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} مُضيء مُتلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب إلى الدرء (يدرأ أي يدفع)، أو فعيل كمريق من الدرء فإنه يدفع الظلام بضوئه، أو بعض ضوئه بعضاً من لمعانه؛ إلا أنه قلبت همزته ياء، ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل، وقراءة أبي عمرو

---

[٩٢٧] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٦ ٢٥١).

[٩٢٨] إبراهيم القطان؛ تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٢ ٤٩٧).

والكسائي (درىء) كشريب، وقد قرء به مقلوباً، {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مباركة زَيْتُونَةٍ} أي إبتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المُتكاثر نفعه؛ بأن رويت ذبالته بزيتها، وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم إبدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من أوقد وحمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء كذلك على إسناده إلى {الزجاجة} بحذف المضاف، وقُرء (توقد) من تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب، {لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ} تقع الشمس عليها حيناً بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة، أو صحراء واسعة فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى، أو لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام؛ فإن زيتونه أجود الزيتون، أو لا في مضحى تُشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها، أو في مفيأة تغيب عنها دائماً فتتركها نيئًا، وفي الحديث: (لا خير في شجرة ولا نبات في مفيأة ولا خير فيهما في مضحى)، {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط بيصه، {نُّورٌ على نُورٍ} نور مُتضاعف؛ فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته، وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه؛ الأول : أنه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات المُبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة، أو تشبيه للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح، وإنما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه، وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس، أو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها، ويؤيده قراءة أبي: (مثل نور المؤمن)، أو تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الداركة الخمس المترتبة التي منوط بها المعاش والمعاد وهي: الحساسة التي تُدرك بها المحسوسات بالحواس الخمس، والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت، والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية، والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم، والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المُختصة بالأنبياء والأولياء المعنية بقوله تعالى: {ولكن جعلناه نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا} بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي: (المشكاة) و(الزجاجة) و(المصباح) و(الشجرة) و(الزيت)، فإن الحساسة كالمشكاة لأن محلها كالكوى ووجهها إلى الظاهر لا تُدرك ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات، والخيالية كالزجاجة في قبول صور المُدركات من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما تشتمل عليه من المعقولات، والعاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الإلهية، والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها، الزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية، أو لوقوعها بين الصور والمعاني مُتصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين، والقوة القُدسية كالزيت، فإنها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعلم، أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك؛ فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم مُستعدة لقبولها كالمشكاة، ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للأنوار، وذلك التمكن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وإن كان بالحدس فكالزيت، وإن كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لأنها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والإلهام؛ الذي مثله النار من حيث إن العقول تشتعل عنه، ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح، فإذا استحضرتها كانت نوراً على نور، {يَهْدِي الله لِنُورِهِ} لهذا النور الثاقب، {مَن يشاء} فإن الأسباب دون مشيئته لاغية إذ بها تمامها، {وَيَضْرِبُ الله الأمثال لِلنَّاسِ} إدناء للمعقول من المحسوس توضيحاً وبياناً، {والله بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ} معقولاً كان أو محسوساً ظاهراً كان أو خفياً، وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها"[٩٢٩].

---

[٩٢٩] تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ هـ، ترقيم الشاملة (١٤\ ٣٨٠).

وقال الراغب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ٥المائدة:١٥، قوله: (قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) أي بهذا البيان إلى طريق السلامة من التبعة (العقوبة) ممن تحرى مرضاة الله، قوله تعالى: (وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) راجع إلى قوله: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ)، وقوله: (وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) راجع إلى قوله: (وَكِتَابٌ مُبِينٌ)؛ كقوله: (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)"[٩٣٠]، وقال الماوردي: "في النور تأويلان: أحدهما: محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الزجاج. الثاني: القرآن وهو قول بعض المتأخرين"[٩٣١].

وقال ابن عاشور: "قَوْلُهُ: (اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ) كلمة جَامِعَة لمعان جَمَّة تَتَّبِعُ مَعَانِي النُّورِ فِي إِطْلَاقِهِ فِي الْكَلَامِ.. وَالنُّورُ: حَقِيقَتُهُ الْإِشْرَاقُ وَالضِّيَاءُ.. (و) الْإِخْبَارُ بِهِ بِمَنْزِلَةِ الْإِخْبَارِ بِالْمَصْدَرِ أَوْ بِاسْمِ الْجِنْسِ فِي إِفَادَةِ الْمُبَالَغَةِ.. فَمَعْنَى: (اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ) أَنَّ مِنْهُ ظُهُورَهُمَا، وَالنُّورُ هَنَا صَالِحٌ لِعِدَّةِ مَعَانٍ تُشَبَّهُ بِالنُّورِ.. فَالْإِخْبَارُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ نُورٌ إِخْبَارٌ بِمَعْنًى مَجَازِيٍّ لِلنُّورِ لَا مَحَالَةَ؛ بِقَرِينَةِ أَصْلِ عَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ، لَا يَتَرَدَّدُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ؛ وَلَا تَخْلُو حَقِيقَةُ مَعْنَى النُّورِ عَنْ كَوْنِهِ جَوْهَرًا أَوْ عَرَضًا، وَأَسْعَدُ إِطْلَاقَاتِ النُّورِ فِي اللُّغَةِ بِهَذَا الْمَقَامِ أَنْ يُرَادَ بِهِ جَلَاءُ الْأُمُورِ الَّتِي شَأْنُهَا أَنْ تَخْفَى عَنْ مَدَارِكِ النَّاسِ وَتَلْتَبِسَ؛ فَيَقِلَّ الِاهْتِدَاءُ إِلَيْهَا، فَإِطْلَاقُهُ عَلَى ذَلِكَ مَجَازٌ.. وَجَعْلُ اسْمِهِ تَعَالَى النُّورَ دَالًّا عَلَى التَّنَزُّهِ عَنِ الْعَدَمِ، وَعَلَى إِخْرَاجِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا عَنْ ظُلْمَةِ الْعَدَمِ إِلَى ظُهُورِ الْوُجُودِ، فَآلَ إِلَى مَا يَسْتَلْزِمُهُ اسْمُ النُّورِ مِنْ مَعْنَى الْإِظْهَارِ وَالتَّبْيِينِ فِي الْخَلْقِ وَالْإِرْشَادِ وَالتَّشْرِيعِ.. أَمَّا وَصْفُ النُّورِ هُنَا فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ مُلَائِمًا لِمَا قَبْلَ الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهِ: (لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ) النُّور:٣٤، وَمَا بَعْدَهَا مِنْ قَوْلِهِ: (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ) إِلَى قَوْلِهِ: (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ) وَقَوْلُهُ عَقِبَ ذَلِكَ: (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ) النُّور:٤٠..، (و) لِلنُّورِ إِطْلَاقَاتٌ كَثِيرَةٌ.. فَيُحْمَلُ الْإِطْلَاقُ فِي كُلِّ مَقَامٍ عَلَى مَا يَلِيقُ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ.. وَنلحق بِهَذِهِ الْمَعَانِي إِطْلَاقُ النُّورِ عَلَى الْإِرْشَادِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ وَهُوَ الْهُدَى.. فَالنُّورُ لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ اسْتُعْمِلَ فِي مَعْنًى وَتَارَةً أُخْرَى فِي مَعْنًى آخَرَ، فَأَحْسَنُ مَا يُفَسَّرُ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ) أَنَّ اللَّهَ مُوجِدٌ كُلَّ مَا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالنُّورِ وَخَاصَّةً أَسْبَابُ الْمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْحُجَّةُ الْقَائِمَةُ وَالْمُرْشِدُ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي بِهَا حُسْنُ الْعَاقِبَةِ.. فَيَشْمَلُ تَلْقِينَ الْعَقِيدَةِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةَ إِلَى الصَّلَاحِ.. (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ)؛ يَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ بَيَانٌ لِجُمْلَةِ: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ) النُّور:٣٤.، وَوَقَعَتْ جُمْلَةُ: (اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ) مُعْتَرِضَةً بَيْنَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا تَمْهِيدًا لِعَظَمَةِ هَذَا النُّورِ الْمُمَثَّلِ بِالْمِشْكَاةِ.. وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: (نُورِهِ) عَائِدٌ إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ، أَيْ مَثَلُ نُورِ اللَّهِ، وَالْمُرَادُ بِنُورِهِ كِتَابُهُ أَوِ الدِّينُ الَّذِي اخْتَارَهُ؛ أَيْ مَثَلُهُ فِي إِنَارَةِ عُقُولِ الْمُهْتَدِينَ، فَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ لِهَيْئَةِ إِرْشَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَيْئَةِ الْمِصْبَاحِ الَّذِي حَفَّتْ بِهِ وَسَائِلُ قُوَّةِ الْإِشْرَاقِ؛ فَهُوَ نُورُ اللَّهِ لَا مَحَالَةَ، وَإِنَّمَا أُوثِرَ تَشْبِيهُهُ بِالْمِصْبَاحِ.. لِقَصْدِ إِكْمَالِ مُشَابَهَةِ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا بِأَنَّهَا حَالَةُ ظُهُورِ نُورٍ يَبْدُو فِي خِلَالِ ظُلْمَةٍ فَتَنْقَشِعُ بِهِ تِلْكَ الظُّلْمَةُ فِي مِسَاحَةٍ يُرَادُ تَنْوِيرُهَا.. وَالْمَثَلُ: تَشْبِيهُ حَالٍ بِحَالٍ.. فَمَعْنَى مَثَلُ نُورِهِ: شَبِيهُ هَدْيِهِ حَالُ مِشْكَاةٍ.. إِلَى آخِرِهِ.. الْمُشَبَّهَ بِهِ هُوَ الْمِشْكَاةُ وَمَا يَتْبَعُهَا، وَقَوْلُهُ: (كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ) الْمَقْصُودُ كَمِصْبَاحٍ فِي مِشْكَاةٍ، وَإِنَّمَا قُدِّمَ الْمِشْكَاةُ فِي الذِّكْرِ لِأَنَّ الْمُشَبَّهَ بِهِ هُوَ مَجْمُوعُ الْهَيْئَةِ.. فَلِذَلِكَ كَانَ دُخُولُ كَافِ الشَّبَهِ عَلَى كَلِمَةِ مِشْكَاةٍ دُونَ لَفْظِ مِصْبَاحٍ لَا يَقْتَضِي أَصَالَةَ لَفْظِ مِشْكَاةٍ فِي الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا.. بَلْ مُوجِبُ هَذَا التَّرْتِيبِ مُرَاعَاةُ التَّرْتِيبِ الذِّهْنِيِّ فِي تَصَوُّرِ هَذِهِ الْهَيْئَةِ الْمُتَخَيَّلَةِ حِينَ يَلْمَحُ النَّاظِرُ إِلَى انْبِثَاقِ النُّورِ ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى مَصْدَرِهِ فَيَرَى مِشْكَاةً، ثُمَّ يَبْدُو لَهُ مِصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ، وَالْمِشْكَاةُ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهَا فُرْجَةٌ فِي الْجِدَارِ مِثْلُ الْكُوَّةِ؛ لَكِنَّهَا غَيْرُ نَافِذَةٍ (إلى الجانب الآخر)، فَإِنْ كَانَتْ نَافِذَةً فَهِيَ الْكُوَّةُ، وَلَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ الْمَوْثُوقِ عَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ غَيْرُ هَذَا الْمَعْنَى.. وَالْمِصْبَاحُ: اسْمٌ لِلْإِنَاءِ الَّذِي يُوقَدُ فِيهِ بِالزَّيْتِ لِلْإِنَارَةِ.. وَالزُّجَاجَةُ: اسْمُ إِنَاءٍ يُصْنَعُ مِنَ الزُّجَاجِ، سُمِّيَتْ زُجَاجَةً لِأَنَّهَا قِطْعَةٌ مَصْنُوعَةٌ مِنَ الزُّجَاجِ.. وَالْكَوْكَبُ.. الدُّرِّيُّ.. وَاحِدُ الدَّرَارِيِّ؛ وَهِيَ الْكَوَاكِبُ السَّاطِعَةُ النُّورِ مِثْلُ الزُّهَرَةِ وَالْمُشْتَرِي، مَنْسُوبَةً إِلَى الدُّرِّ فِي صَفَاءِ اللَّوْنِ وَبَيَاضِهِ.. وَالدُّرُّ يُضْرَبُ مَثَلًا لِلْإِشْرَاقِ وَالصَّفَاءِ.. وَقِيلَ: الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ عَلَمٌ بِالْغَلَبَةِ عَلَى كَوْكَبِ الزُّهَرَةِ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ دِرِّيءٍ.. مِنَ الدَّرْءِ وَهُوَ الدَّفْعُ (ربما لكونه يدفع ضوء الشمس ويعكسه).. وَجُمْلَةُ: (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ) إِلَخْ.. وَإِسْنَادُ التَّوَقُّدِ إِلَيْهَا مَجَازٌ عَقْلِيٌّ.. وَالْإِيقَادُ: وَضْعُ الْوَقُودِ وَهُوَ مَا يُزَادُ فِي النَّارِ الْمُشْتَعِلَةِ لِيَقْوَى لَهَبُهَا، وَأُرِيدَ بِهِ هُنَا مَا يُمَدُّ بِهِ الْمِصْبَاحُ مِنَ الزَّيْتِ، وَفِي صِيغَةِ الْمُضَارِعِ عَلَى قِرَاءَةِ الْأَكْثَرِينَ إِفَادَةُ تَجَدُّدِ إِيقَادِهِ، أَيْ لَا يُذْوَى وَلَا يُطْفَأُ.. وَوَصْفُ الزَّيْتُونَةِ بِالْمُبَارَكَةِ.. (باعتبار أنها) يُسْتَنَارُ بِزَيْتِهَا.. وَقَوْلُهُ: (لَا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) وَصْفٌ لِزَيْتُونَةٍ.. أَيْ وَسَطًا.. زَيْتُهَا أَجْوَدُ زَيْتٍ، وَإِذَا كَانَ أَجْوَدَ كَانَ أَشَدَّ وَقُودًا، وَلِذَلِكَ أُتْبِعَ بِجُمْلَةِ: (يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ).. وَالزَّيْتُ: عُصَارَةُ حَبِّ الزَّيْتُونِ.. تَشْبِيهُ هَيْئَةٍ بِهَيْئَةٍ.. وَذَلِكَ أَقْصَى كَمَالِ التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلِيِّ فِي صِنَاعَةِ الْبَلَاغَةِ.. الْمُرَادُ التَّشْبِيهُ الْمُرَكَّبُ.. فَالنُّورُ هُوَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ.. مِنْ وَحْيِ اللَّهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ؛ شُبِّهَ بِالْمِصْبَاحِ الْمَحْفُوفِ بِكُلِّ مَا يَزِيدُ نُورُهُ انْتِشَارًا وَإِشْرَاقًا، وَجُمْلَةُ: (نُورٌ عَلى نُورٍ).. إِيضَاحٌ أَنَّ الْهَيْئَةَ الْمُشَبَّهَ بِهَا قَدْ بَلَغَتْ حَدَّ الْمُضَاعَفَةِ لِوَسَائِلِ الْإِنَارَةِ إِذْ تَظَاهَرَتْ فِيهَا الْمِشْكَاةُ وَالْمِصْبَاحُ

---

[٩٣٠] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٤ ٣٠٤).

[٩٣١] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٢ ٢٢).

وَالزُّجَاجُ الْخَالِصُ وَالزَّيْتُ الصَّافِي، فَالْمِصْبَاحُ إِذَا كَانَ فِي مِشْكَاةٍ كَانَ شُعَاعُهُ مُنْحَصِرًا فِيهَا غَيْرَ مُنْتَشِرٍ فَكَانَ أَشَدَّ إِضَاءَةً لَهَا مِمَّا لَوْ كَانَ فِي بَيْتٍ، وَإِذَا كَانَ مَوْضُوعًا فِي زُجَاجَةٍ صَافِيَةٍ تَضَاعَفُ نُورُهُ، وَإِذَا كَانَ زَيْتُهُ نَقِيًّا صَافِيًا كَانَ أَشَدَّ إِسْرَاجًا، فَحَصَلَ تَمْثِيلُ حَالِ الدِّينِ أَوِ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ مِنَ اللَّهِ فِي بَيَانِهِ وَسُرْعَةِ فُشُوِّهِ فِي النَّاسِ بِحَالِ انْبِثَاقِ نُورِ الْمِصْبَاحِ وَانْتِشَارِهِ فِيمَا حَفَّ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ قُوَّةِ شُعَاعِهِ وَانْتِشَارِهِ فِي الْجِهَةِ الْمُضَاءَةِ بِهِ..، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ نُورٌ مُكَرَّرٌ مُضَاعَفٌ..، هَذَا التَّمْثِيلَ قَابِلٌ لِتَفْرِيقِ التَّشْبِيهِ فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ رُكْنَيِ التَّمْثِيلِ؛ بِأَنْ يَكُونَ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهَةِ مُشَابِهًا لِجُزْءٍ مِنَ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا، وَذَلِكَ أَعْلَى التَّمْثِيلِ..، وَحِفْظُ الْمِصْبَاحِ مِنَ الِانْطِفَاءِ مَعَ مَا يُحِيطُ بِالْقُرْآنِ مِنْ حِفْظِهِ مِنَ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) الْحجر:٩، وَمَعَانِي هِدَايَةِ إِرْشَادِ الْإِسْلَامِ تُشْبِهُ الْمِصْبَاحَ فِي التَّبْصِيرِ وَالْإِيضَاحِ، وَتَبْيِينُ الْحَقَائِقِ مِنْ ذَلِكَ الْإِرْشَادِ..، وَسَمَاحَةُ الْإِسْلَامِ وَانْتِفَاءُ الْحَرَجِ عَنْهُ يُشْبِهُ تَوَسُّطَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ طَرَفَيِ الْأُفُقِ (كالشمس ساطعة في وضح النهار)..؛ وَدَوَامُ ذَلِكَ الْإِرْشَادِ وَتَجَدُّدُهُ يُشْبِهُ الْإِيقَادَ، وَتَعْلِيمِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ بِبَيَانِ الْقُرْآنِ وَتَشْرِيعِ الْأَحْكَامِ يُشْبِهُ الزَّيْتَ الصَّافِي..، وَهَذَا يومئ إِلَى اسْتِمْرَارِ هَذَا الْإِرْشَادِ..، (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)؛ هَذِهِ الْجُمَلُ الثَّلَاثُ مُعْتَرِضَةٌ أَوْ تَذْيِيلٌ لِلتَّمْثِيلِ..، وَأَنَّ اللَّهَ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ مَرْجُوًّا مِنْهُمُ التَّذَكُّرُ بِهَا: فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَبِرُ بِهَا فَيَهْتَدِي، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْرِضُ فَيَسْتَمِرُّ عَلَى ضَلَالِهِ، وَلَكِنْ شَأْنُ تِلْكَ الْأَمْثَالِ أَنْ يَهْتَدِيَ بِهَا غَيْرُ مَنْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ. وَجُمْلَةُ: (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) تَذْيِيلٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَتَيْنِ قَبْلَهَا، أَيْ لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُ مَنْ هُوَ قَابِلٌ لِلْهُدَى وَمَنْ هُوَ مُصِرٌّ عَلَى غَيِّهِ؛ وَهَذَا تَعْرِيضٌ بِالْوَعْدِ لِلْأَوَّلِينَ والوعيد للآخرين"[٩٣٢].

[٩٣٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١٨\ ٢٣٠).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Physics

علم الفيزياء

المَوْضُوع Subject

Photon

الفوتون

• نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠يونس:٥.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ ٣٣الأحزاب:٤٥و٤٦.
- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٦١،
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٥و١٦.
- نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ ٢٤النور:٣٤-٣٧.
- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ ٧٨النبأ:١٢و١٣.
- ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ٦الأنعام:١٩.
- ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ٦الأنعام:١٢٢.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ ٤النساء:١٧٤.
- ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ٦الأنعام:٧٥-٧٩.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ٦٦التحريم:٦.
- ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٤٢الشورى:١١و١٢.
- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٩.
- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٥المائدة:١٥و١٦.
- ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ٢البقرة:١٢٥.
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ٩التوبة:٣٠-٣٣.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠.
- ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ. وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧و٣٨.

- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ. يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ١٤إبراهيم:٢٤-٢٧.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٢٤النور:٣٩.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ. أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٢٤النور:٣٩و٤٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾، ﴿بِقِيعَةٍ﴾، ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

As for those who disbelieve, their works are like a mirage in the desert. A thirsty person thinks that it is water. But when he reaches it, he finds that it is nothing, and he finds Allah there instead, to requite him fully for his works. Allah is the most efficient reckoner.

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ النور: ٣٩؛ صورة بيانية لكل ناكر يأمل نجاته بما قدم بغير إيمان من أعمال الخير، فجاء تشبيه عمله بالسراب وانتهى به الحال للهلاك في قيظ الصحراء القاحلة، وفي التمثيل تلازم السراب والقيعة؛ ودل السياق أنها شرط لوقوع السراب وتحققه جليا، والقيعة هي السطح المستوي الذي يعمل عمل المرآة، وبالفعل علم الفيزياء يؤكد حديثا؛ شرط استواء السطح لوقوع السراب.

وتحدث ظاهرة السراب في اليوم القائظ في قيعان الصحاري الخالية من الكثبان المرتفعة وفي طرق السيارات؛ حيث يتحقق وجود سطح مستوي من الأرض؛ بحيث يحدث الانعكاس للمشهد البعيد نتيجة انحناء الضوء القادم منه، نتيجة الاختلاف في كثافة ودرجة حرارة الطبقة الهوائية القريبة من سطح الأرض عن الطبقة الهوائية الأعلى منها.

فالقيعة هي المكان المُنبسط الفسيح، قال الطبري: قال الطبري: "هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِأَعْمَالِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، فَقَالَ: وَالَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ رَبِّهِمْ وَكَذَّبُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ وَبِمَنْ جَاءَ بِهِ؛ مَثَلُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا {كَسَرَابٍ}، يَقُولُ: مِثْلُ سَرَابٍ، وَالسَّرَابُ مَا لَصِقَ بِالْأَرْضِ، وَذَلِكَ يَكُونُ نِصْفَ النَّهَارِ.. حِينَ يَشْتَدُّ الْحَرُّ..، وَقَوْلُهُ: {بِقِيعَةٍ} وَهِيَ جَمْعُ قَاعٍ، (كَالْجِيرَةِ جَمْعُ جَارٍ)، وَالْقَاعُ مَا انْبَسَطَ مِنَ الْأَرْضِ وَاتَّسَعَ، وَفِيهِ يَكُونُ السَّرَابُ"[٩٣٣]، وقال ابن فورك: "والسراب: شعاع يُتخيل كالماء يجري على الأرض نصف النهار حين يشتد الحر..، والقاع: المُنبسط من الأرض الواسع؛ وفيه يكون السراب"[٩٣٤].

[٩٣٣] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١١٧ ٣٢٦)

[٩٣٤] محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني؛ تفسير ابن فورك، تحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير) وآخرين، جامعة أم القرى السعودية، ١٤٣٠-٢٠٠٩م (١١ ١٥١).

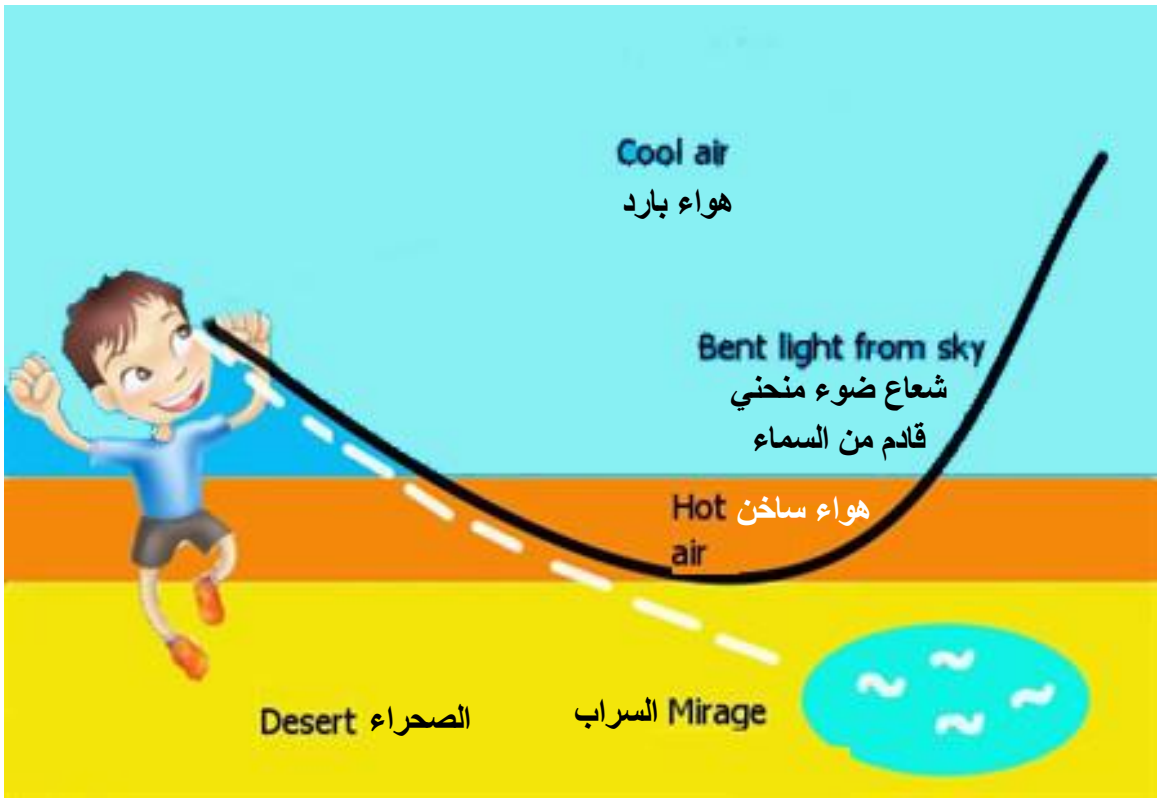

ولكي ينحني الضوء القادم بزاوية مناسبة من المصدر؛ ينبغي أن تتحقق عدة شروط، وهي سطح مستوي ومتسع يعمل عمل المرآة، ويكون الوقت عند القيظ في وقت الظهيرة صيفًا خاصة في الصحراء؛ بحيث تكون درجة حرارة الطبقة الهوائية المُلاصقة للأرض مرتفعة تعلوها طبقة أبرد، وهي نفس الشروط المُتحققة في المثل المضروب في النظم؛ لشخص بلغ به اليأس مداه في قيظ الصحراء فشاهد بعيدًا في البيداء ما يبدو ماء؛ فإذا به سراب، فهو إذن هالك لا محالة.

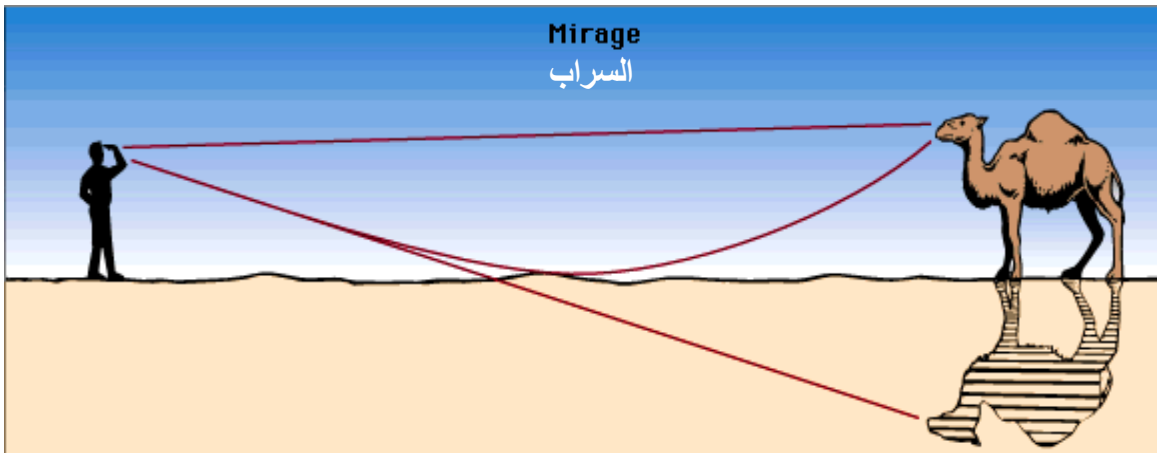

فعندما تكون طبقة الهواء الملاصقة لسطح الأرض هي الأكثر سخونة يكون تقعر شعاع الضوء القادم نحو الأسفل، ولذلك يكون السراب في السهول والقيعان وطرق المواصلات للأسفل كذلك؛ ويُسمى السراب السفلي Inferior Mirage.

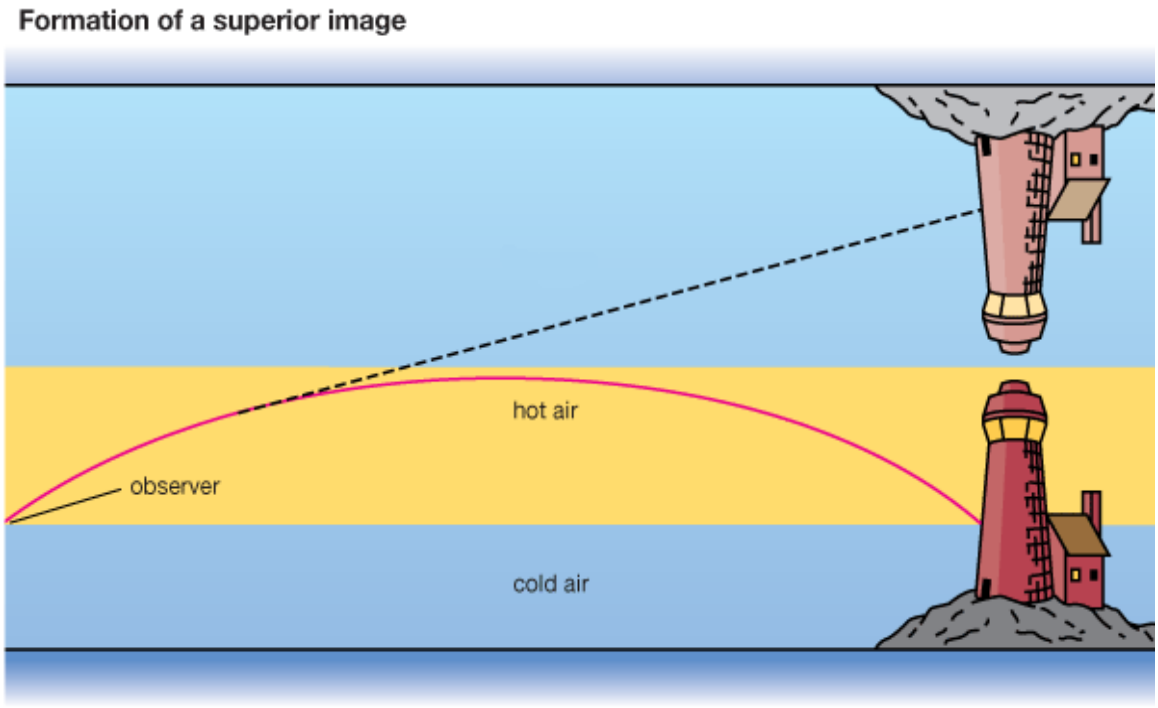

ويقع العكس في المناطق الجليدية القريبة من القطب، حيث تكون الطبقة الهوائية الملاصقة لسطح الأرض هي الأبرد؛ فيكون تقعر شعاع الضوء نحو الأعلى ويُشاهد السراب مُنعكسًا للأعلى، لذا يُسمى السراب العلوي Superior Mirage، وفي البحار خاصة تُشَاهد المراكب البعيدة معكوسة في مستوى أعلى نتيجة هواء أبرد يعلو سطح البحر يكسر الأشعة، بينما في الصحاري الحارة تُشاهد صورة سفلية للأجسام البعيدة نتيجة تخلخل الهواء فوق سطح الأرض فيكسر الهواء الكثيف شعاع الضوء، ولا يحدث السراب إذن إلا بتخلخل الهواء الأسفل في جو حار، ويلزم وجود أرض مستوية تعكس الأشعة كالمرآة، وفي أرض مستوية تبدو صورة السحب بهيئة ماء، والقرآن المجيد يجسد ضلال الدين بالضلال في الرؤية، والعجيب أن يشترط لوقوع السراب أن يكون بقيعة؛ وهي الأرض المستوية المُتسعة المنبسطة في تصوير للمعاند المقطوع الأمل في النجاة بحال الضمآن التائه في الصحراء في يوم قائظ يتخيل في الوهم نجاة؛ فلا يجد إلا الهلاك.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} أما السراب فهو الذي يخيل لمن رآه في الفلاة كأنه الماء الجاري..؛ وأما القيعة فجمع قاع مثل جيرة وجار، والقاع ما انبسط من الأرض واستوى، {يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً} يعني العطشان يحسب السراب ماءً، {حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً} وهذا مثل ضربه الله للكافر يعول على ثواب عمله فإذا قدم على الله وجد ثواب عمله بالكفر حابطًا، {وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ} فيه وجهان؛ أحدهما: وجد أمر الله عند حشره، الثاني: وجد الله عند عرضه، {فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ} يُحتمل وجهين؛ أحدهما: ووجد الله عند عمله فجازاه على كفره، والثاني: وجد الله عند وعيده فوفى بعذابه ويكون الحساب على الوجهين معاً محمولاً على العمل..، {وَاللَّهُ سَرِيع الْحِسَابِ} يحتمل وجهين؛ أحدهما: لأن حسابه آت وكل آت سريع، الثاني: لأنه يُحاسب جميع الخلق في وقت سريع"[٩٣٥].

وفي تفسير الجلالين: "{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالهمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} جَمْع قَاع أَيْ فِي فَلَاة وَهُوَ شُعَاع يُرَى فِيهَا نِصْف النَّهَار فِي شِدَّة الْحَرّ يُشْبِه الْمَاء الْجَارِيَ {يَحْسَبهُ} يَظُنّهُ {الظَّمْآن} أَيْ الْعَطْشَان {مَاء حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدهُ شَيْئًا} مِمَّا حَسِبَهُ كَذَلِكَ الْكَافِر يَحْسَب أَنَّ عَمَله كَصِدْقِهِ يَنْفَعهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ وَقَدِمَ عَلَى رَبّه لَمْ يَجِد عَمَله أَيْ لَمْ يَنْفَعهُ {وَوَجَدَ اللَّه عِنْده} أَيْ عِنْد عَمَله، {فَوَفَّاهُ حِسَابه} أَيْ جَازَاهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، {وَاَللَّه سَرِيع الْحِسَاب} أَيْ الْمُجَازَاة"[٩٣٦].

وقال الراغب: "(وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).. بين أن كل خير حصله الإنسان فمدخر له بخلاف عمل الكفار الذي قال فيه: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}، وبخلاف عمل الدنيا الذي قال فيه: {كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ}، وعلى ذلك قال: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ}، وقال: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}، وأمنهم من ضياع ما يقدمونه بقوله: {إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} تنبيها على نحو قوله: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}"[٩٣٧].

---

[٩٣٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٤\ ١٠٩).

[٩٣٦] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٤٦٥).

[٩٣٧] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ٢٩٢).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Physics

علم الفيزياء

المَوْضُوع Subject

Mirage

السراب

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٢٤النور:٣٩.**
- **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢البقرة:١١٠.**
- **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا. وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٢٢و٢٣.**
- **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ٣آل عمران:٣٠.**
- **﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٩٩الزلزلة:٦-٨.**
- **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ٥٣النجم:٣١.**

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٢٤النور:٤٠.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ. أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٢٤النور:٣٩و٤٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾، ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾، ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾، ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

All (w)**. Or,** (as if the disbeliever's case) **as a** (thick layers of) **darkness in a deep sea, that is covered by waves above waves, above which are clouds; darkness above darkness, when he stretches out his hand; he can hardly see it. And he; whom Allah gives no light** (to see evidences clearly)**; nothing else can give him light** (he will still blind in a thick layers of darkness)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٢٤النور: ٤٠؛ تمثيل يكشف حقيقة البحار العميقة الغور قبل أن يكشف خباياها مؤخرًا علم البحار والمحيطات Oceanography، فالتعبير: (فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) يعني في بحر عميق، قال الشوكاني: "الذي لا يُدْرَك لِعُمْقِه"، وفيه تمثيل للأحوال النفسية للمُكابر من ظلمات واضطراب بأحوال حسية للبحر المحيط، وبهذا يتضمن التعبير بيانا لأحوال خفية للمحيطات العميقة Deep Oceans، (أولا) تشتد الظلمة مع العمق، (ثانيا) تتميز المحيطات بكثرة السحب التي تمتص وتعكس بعض ضوء الشمس، (ثالثا) تعكس الأمواج السطحية بعض ضوء الشمس، (رابعا) تيارات محيطية عميقة تولد موج داخلي تعكس المزيد من الضوء، (خامسا) برودة شديدة في الأعماق شبهت بالبرودة القارصة في الصحراء التي تدفع الإنسان لإخفاء يديه في جيوبه، (سادسا) وجود كائنات بحرية في الأعماق وهبها الله تعالى برحمته أنوارا تضيء لها ما حولها وتساعدها على العيش.

ولقد آمن الأقدمون بخرافات عديدة عن المحيطات واعتقدوا بوجود حيوانات وحشية غريبة الخلقة تعيش في أعماقها، ولم تتوفر حتى للبحارة آنذاك معرفة حقيقية عن الأحوال السائدة في أعماق البحار، وكانت المعلومات عن التيارات البحرية نادرة، ولم تتوفر أية معلومات عن الأمواج الداخلية، وسيطرت الخرافات فيما يتعلق بالمياه الراكدة التي يصعب أن تعبرها البواخر، واعتقد الرومان القدماء بوجود أسماك مصاصة لها تأثيرات سحرية على إيقاف حركة السفن، وبالرغم من أن القدماء قد عرفوا أن الرياح تؤثر على الأمواج والتيارات السطحية؛ إلا أنه كان من الصعب عليهم أن يعرفوا شيئًا عن الحركات الداخلية في المياه، ولم تبدأ الدراسة المتصلة بعلوم البحار وأعماقها على وجه التحديد إلا في بداية القرن الثامن عشر؛ عندما توفرت الأجهزة الضرورية لمثل هذه الدراسات المفصلة، ومعرفة كل تلك الظواهر التي أشارت إليها الآية الكريمة في أعماق المحيطات كانت مجهولة وقت نزول القرآن الكريم.

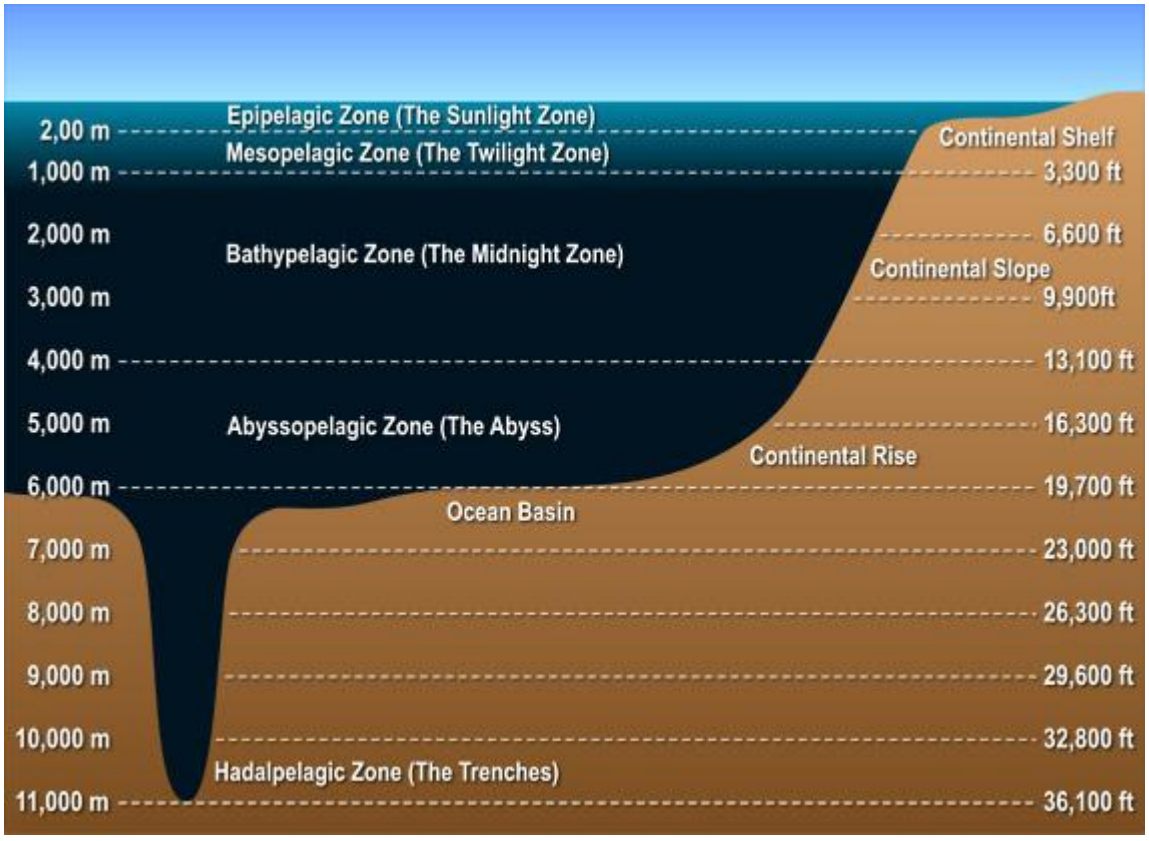

وأبسط جهاز علمي لقياس عمق نفاذ الضوء في مياه المحيط هو قرص سيتشي The Secchi Disk، ويتم إنزاله إلى الماء ليسجل العمق، وقد وصفه لأول مرة سيلادي وسيتشي Ciladi and Secchi عام ١٨٦٥، وبالرغم من استعماله على نطاق واسع؛ إلا أن قياس هذا الاختراق في ماء البحر بصورة أدق لم يتحقق إلا باستخدام الوسائل التصويرية في القرن الماضي باستخدام الخلايا الكهروضوئية خلال الثلاثينيات فقط، وينخفض مستوى الإضاءة في مياه المحيط إلى نسبة ١٠% من مستواه عند السطح عند عمق ٣٥م، وإلى ١% عند عمق ٨٥م، وإلى ٠,١% عند عمق ١٣٥م، وإلى ٠,٠١% عند عمق ١٩٠م، والأسماك التي تعيش في الأعماق قد تتمكن أن ترى أفضل من ذلك نتيجة لتكيف العين لتستقبل أكبر كمية ممكنة من الضوء إذا لم تكن مهيأة للإستفادة من النور الحيوي المتولد كيميائيا للإضاءة حولها.

وأما ظاهرة الأمواج الداخلية فيعود تفسيرها للدكتور ايكمان عام ١٩٠٤م؛ حيث فسر بها ما يعرف بظاهرة المياه الراكدة في الخلجان النرويجية، فالسفن التي تبحر فيها تفقد فجأة قدرتها على التقدم فتقف ساكنة، ورأي ايكمان أنها تنجم عن الأمواج الداخلية التي تتولد على السطح الفاصل بين مياه السطح والمياه التي تحتها، ويتراوح طول الأمواج الداخلية من عشرات إلى مئات من الكيلومترات، ومرور الأمواج الداخلية يكون محسوسًا بصورة أقوى من قبل الغواصات، والأمواج الداخلية ظاهرة أصبحت معلومة في مضيق جبل طارق، وقد يتسبب التدفق الداخلي للتيار السطحي القوي والتدفق الخارجي للتيار السفلي في دخول الأمواج الداخلية من المحيط الأطلنطي إلى المضيق كأنها أمواج متكسرة كالأمواج المزبدة على الشاطئ؛ مما يتسبب في تولد قدر كبير من الاضطرابات الداخلية.

وقد جمعت الآية الكريمة كل تلك المعارف الحديثة ودلت بإيجاز على ما يلي:

١ ـ أن الظلام ينتشر في أعماق المحيطات.

٢ ـ أن مياه المحيطات تحوي الأمواج الداخلية.

٣ ـ أن هناك فوق الأمواج الداخلية طبقة مائية أخرى هي الطبقة السطحية التي تحوي الأمواج السطحية.

٤ ـ أن هذه الطبقات المائية تولد بالإضافة إلى الغيوم التي تعلوها طبقات من الظلام التدريجي.

٥ ـ أن شدة الظلام تتلازم مع الأمواج الداخلية في المياه العميقة.

٦ ـ أن الأحياء البحرية في أعماق المحيطات مزودة بنور يتولد ذاتيا لإضاءة المحيط حولها.

ومِمَّا يدعو إلى الدهشة حقًّا أن القرآن الكريم قد أشار إلى تلك الظواهر مجتمعة منذ ١٤ قرنًا في دقة متناهية وتصوير رائع مثير يتفاعل معه الوجدان وكأنه أمام واقع حي تشاهده العين في قوله تعالى: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) النور: ٤٠.

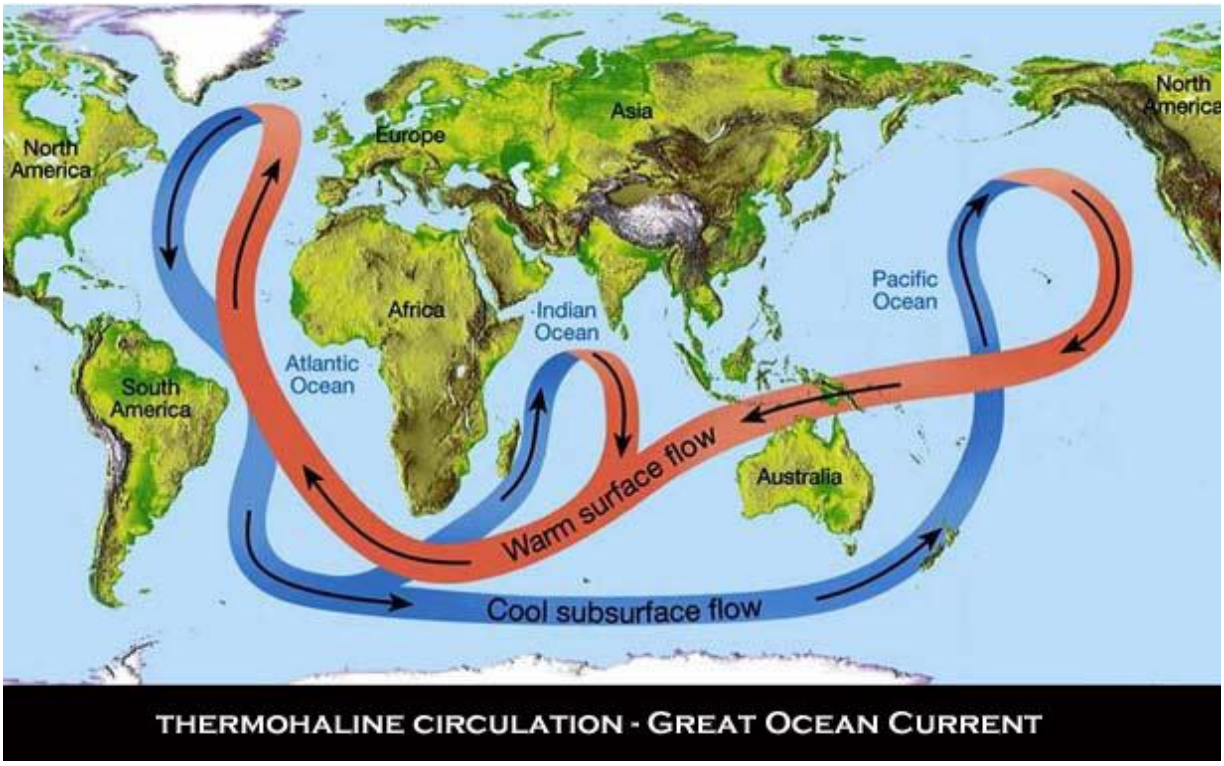

تعاكس التيارات المحيطية السطحية التيارات العميقة فتتولد أمواج داخلية تعكس مزيدا من الضوء وتزيد الظلام تحتها.

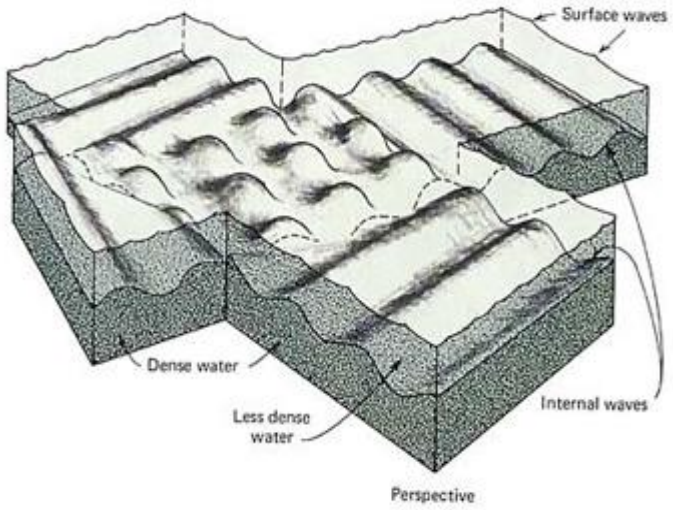

تتولد تحت سطح المحيط أمواج داخلية بين كل تيارين متعارضين

تتزايد الظلمة تحت سطح البحر مع العمق.

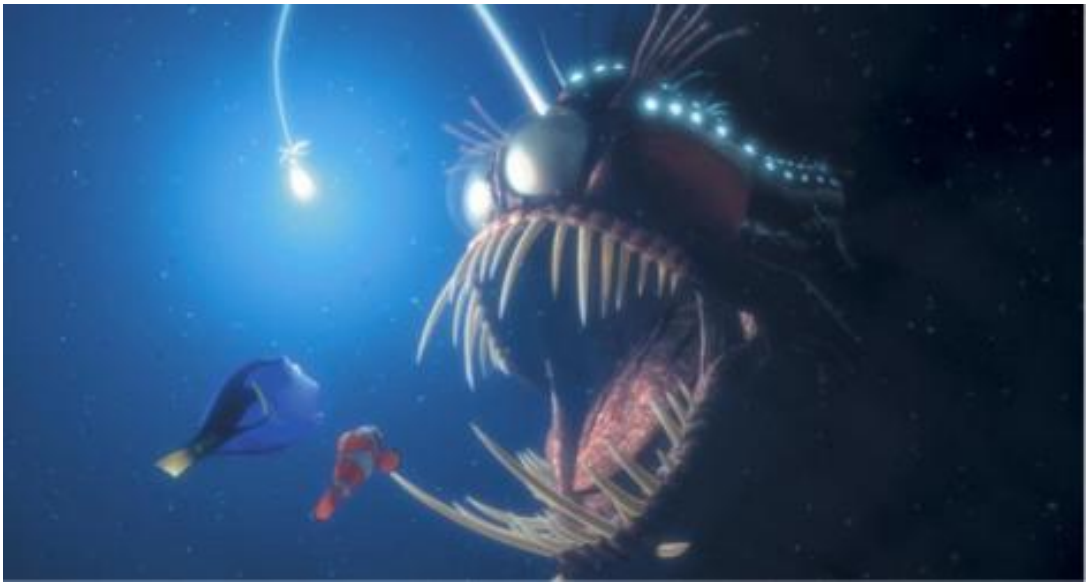

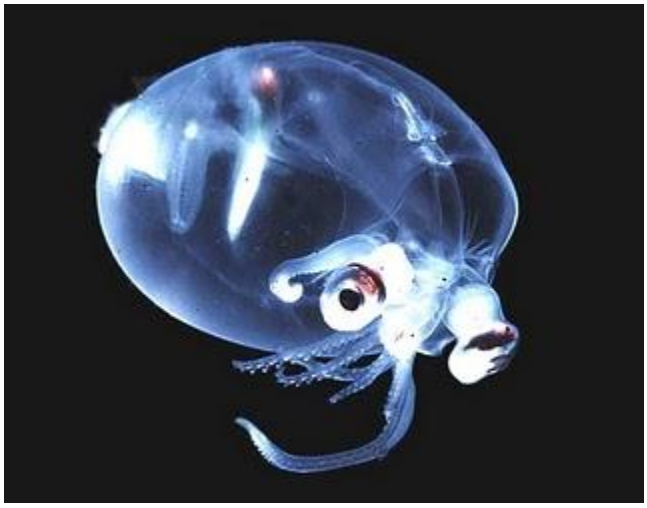

بعض الكائنات البحرية في المحيطات تمتلك إنارة ذاتية تنير الأعماق المظلمة حولها.

قال الشوكاني: "(أَوْ كَظُلُماتٍ) مَعْطُوفٌ عَلَى (كَسَرَابٍ)، ضَرَبَ الله مثلا آخر لأعمال الكفار، كما أنه تُشْبِهُ السَّرَابَ الْمَوْصُوفَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ؛ فَهِيَ أَيْضًا تُشْبِهُ الظُّلُمَاتِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَعْمَالَ الْكُفَّارِ إِنْ مُثِّلَتْ بِمَا يُوجَدُ فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ السَّرَابِ، وَإِنْ مُثِّلَتْ بِمَا يُرَى فَهِيَ كَهَذِهِ الظُّلُمَاتِ الَّتِي وَصَفَ، قَالَ أَيْضًا: إِنْ شِئْتَ مَثِّلْ بِالسَّرَابِ وَإِنْ شِئْتَ مَثِّلْ بِهَذِهِ الظُّلُمَاتِ، فَأَوْ لِلْإِبَاحَةِ.. (كما) في (أَوْ كَصَيِّبٍ)، قَالَ الْجُرْجَانِيُّ: الْآيَةُ الْأُولَى فِي ذِكْرِ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ وَالثَّانِيَةُ فِي ذِكْرِ كُفْرِهِمْ، وَنَسَقُ الْكُفْرِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ لِأَنَّهُ أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: فَعِنْدَ الزَّجَّاجِ التَّمْثِيلُ وَقَعَ لِأَعْمَالِ الْكُفَّارِ وَعِنْدَ الْجُرْجَانِيِّ لِكُفْرِ الْكُفَّارِ، (فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) اللُّجَّةُ: مُعْظَمُ الْمَاءِ، وَالْجَمْعُ: لُجَجٌ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُدْرَكُ لِعُمْقِهِ، ثُمَّ وَصَفَ سُبْحَانَهُ هَذَا الْبَحْرَ بِصِفَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: (يَغْشَاهُ مَوْجٌ) أَيْ: يَعْلُو هَذَا الْبَحْرَ مَوْجٌ فَيَسْتُرُهُ وَيُغَطِّيهِ بِالْكُلِّيَّةِ، ثُمَّ وَصَفَ هَذَا الْمَوْجَ بِقَوْلِهِ: (مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) أي: من فوق هذا الموج، ثم وصف الموج الثاني فقال: (مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) أَيْ: مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ الْمَوْجِ الثَّانِي سَحَابٌ، فَيَجْتَمِعُ حِينَئِذٍ عَلَيْهِمْ خَوْفُ البحر وأمواجه والسحاب المرتفع فَوْقَهُ، وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى: يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ بعد مَوْجٌ، فَيَكُونُ الْمَوْجُ يَتْبَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّى كأنه بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَالْبَحْرُ أَخْوَفُ مَا يَكُونُ إِذَا تَوَالَتْ أَمْوَاجُهُ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ وُجُودُ السَّحَابِ مِنْ فَوْقِهِ زَادَ الْخَوْفُ شِدَّةً؛ لِأَنَّهَا تَسْتُرُ النُّجُومَ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا مَنْ في البحر، ثم إذا أمطرت تلك السحب وَهَبَّتِ الرِّيحُ الْمُعْتَادَةُ فِي الْغَالِبِ عِنْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ؛ تَكَاثَفَتِ الْهُمُومُ وَتَرَادَفَتِ الْغُمُومُ وَبَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي لَيْسَ وَرَاءَهَا غَايَةٌ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ (ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ) أَيْ: هِيَ ظلمات؛ أو هذه ظلمات متكاثفة مُتَرَادِفَةٌ، فَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بَيَانٌ لِشِدَّةِ الْأَمْرِ وَتَعَاظُمِهِ..، ثُمَّ بَالَغَ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الْمَذْكُورَةِ بِقَوْلِهِ (إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها)، وَفَاعِلُ أَخْرَجَ: ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى مُقَدَّرٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ، أَيْ: إِذَا أَخْرَجَ الْحَاضِرُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ أَوْ مَنِ ابْتُلِيَ بِهَا، قَالَ الزَّجَّاجُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: الْمَعْنَى، لَمْ يَرَهَا وَلَمْ يَكَدْ..، وَالْمَعْنَى: إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَرَهَا، كَمَا تَقُولُ: مَا كِدْتُ أَعْرِفُهُ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: يَعْنِي لَمْ يَرَهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ الْجَهْدِ، قَالَ النَّحَّاسُ: أَصَحُّ الْأَقْوَالِ فِي هَذَا أَنَّ الْمَعْنَى لَمْ يُقَارِبْ رُؤْيَتَهَا، فَإِذَنْ لَمْ يَرَهَا رُؤْيَةً بَعِيدَةً وَلَا قَرِيبَةً، وَجُمْلَةُ (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ) مُقَرِّرَةٌ لِمَا قَبْلَهَا مِنْ كَوْنِ أَعْمَالِ الْكَفَرَةِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، وَالْمَعْنَى: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ هِدَايَةً فَمَا لَهُ مِنْ هِدَايَةٍ، قَالَ الزَّجَّاجُ: ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَالْمَعْنَى: مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ لَمْ يَهْتَدِ"[٩٣٨].

[٩٣٨] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١٤\ ٤٦).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{أَوْ} الَّذِينَ كَفَرُوا (مثل آخر لبيان) أَعْمَالهمْ السَّيِّئَة، {كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْر لُجِّيّ} عَمِيق، {يَغْشَاهُ مَوْج مِنْ فَوْقه} أَيْ الْمَوْج {مَوْج مِنْ فَوْقه} أَيْ الْمَوْج الثَّانِي {سَحَاب} أَيْ غَيْم هَذِهِ {ظُلُمَات بَعْضهَا فَوْق بَعْض} ظُلْمَة الْبَحْر وَظُلْمَة الْمَوْج الْأَوَّل وَظُلْمَة الثَّانِي وَظُلْمَة السَّحَاب {إِذَا أَخْرَجَ} النَّاظِر {يَده} فِي هَذِهِ الظُّلُمَات {لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} أَيْ لَمْ يَقْرُب مِنْ رُؤْيَتهَا {وَمَنْ لَمْ يَجْعَل اللَّه لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُور} أَيْ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّه لَمْ يهتد"[٩٣٩].

وقال الماوردي: "قوله: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ}؛ الظلمات: ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل، وفي قوله (لجيّ) ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه البحر الواسع الذي لا يرى ساحله (أي المحيط الواسع)؛ حكاه ابن عيسى، الثاني: أنه البحر الكثير الموج (وهو المحيط الواسع أيضا)؛ قاله الكلبي، الثالث: أنه البحر العميق؛ وهذا قول قتادة، ولجة البحر وسطه، ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ رَكِبَ البَحْرَ إِذَا الْتَجَّ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ) يعني إذا توسطه، {يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ} يحتمل وجهين: أحدهما: يغشاه موج من فوق الموج ريح، من فوق الريح سحاب فيجمع خوف الموج وخوف الريح وخوف السحاب، الثاني: معناه يغشاه موج من بعده، فيكون المعنى الموج بعضه يتبع بعضاً حتى كأنه بعضه فوق بعض؛ وهذا أخوف ما يكون إذا توالى موجه وتقارب، ومن فوق هذا الموج سحاب؛ وهو أعظم للخوف من وجهين: أحدهما: أنه قد يغطي النجوم التي يهتدى بها، الثاني: الريح التي تنشأ مع السحاب والمطر الذي ينزل منه، {ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ} يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يريد الظلمات التي بدأ بذكرها وهي ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل، الثاني: يعني بالظلمات الشدائد أي شدائد بعضها فوق بعض، {إِذَا أَخْرَجَ يَدَه لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} فيه وجهان؛ أحدهما: معناه أنه رآها بعد أن كاد لا يراها؛ حكاه ابن عيسى، الثاني: لم يرها ولم يكد؛ قاله الزجاج، وهو معنى قول الحسن، وفي قوله لم يكد وجهان؛ أحدهما: لم يطمع أن يراها، الثاني: لم يرها ويكاد صلة زائدة في الكلام، {ومَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} فيه وجهان؛ أحدهما: ومن لم يجعل الله له سبيلاً إلى النجاة في الآخرة فما له من سبيل إليها؛ حكاه ابن عيسى، الثاني: ومن لم يهده الله للإسلام لم يهتد إليه؛ قاله الزجاج، وقال بعض أصحاب الخواطر وجهاً ثالثاً: ومن لم يجعل الله نوراً له في وقت القسمة فما له من نور في وقت الخلقة، ويحتمل رابعاً: ومن لم يجعل الله له قبولاً في القلوب؛ لم تقبله القلوب، وهذا المثل ضربه الله للكافر، فالظلمات ظلمة الشرك وظلمة الليل وظلمة المعاصي، والبحر اللجي قلب الكافر، يغشاه من فوقه عذاب الدنيا، فوقه عذاب الآخرة"[٩٤٠].

---

[٩٣٩] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٤٦٥).

[٩٤٠] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٤\ ١١٠).

وقال الشوكاني: "(أَوْ كَظُلُمَاتٍ) مَعْطُوفٌ عَلَى (كَسَرَابٍ)، ضَرَبَ الله مثلا آخر لأعمال الكفار، كما أنه تُشْبِهُ السَّرَابَ الْمَوْصُوفَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ؛ فَهِيَ أَيْضًا تُشْبِهُ الظُّلُمَاتِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَعْمَالَ الْكُفَّارِ إِنْ مُثِّلَتْ بِمَا يُوجَدُ فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ السَّرَابِ، وَإِنْ مُثِّلَتْ بِمَا يُرَى فَهِيَ كَهَذِهِ الظُّلُمَاتِ الَّتِي وَصَفَ، قَالَ أَيْضًا: إِنْ شِئْتَ مَثِّلْ بِالسَّرَابِ وَإِنْ شِئْتَ مَثِّلْ بِهَذِهِ الظُّلُمَاتِ، فَأَوْ لِلْإِبَاحَةِ.. (كما) فِي (أَوْ كَصَيِّبٍ)، قَالَ الْجُرْجَانِيُّ: الْآيَةُ الْأُولَى فِي ذِكْرِ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ وَالثَّانِيَةُ فِي ذِكْرِ كُفْرِهِمْ، وَنَسَقُ الْكُفْرِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ لِأَنَّهُ أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: فَعِنْدَ الزَّجَّاجِ التَّمْثِيلُ وَقَعَ لِأَعْمَالِ الْكُفَّارِ وَعِنْدَ الْجُرْجَانِيِّ لِكُفْرِ الْكُفَّارِ، (فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) اللُّجَّةُ: مُعْظَمُ الْمَاءِ، وَالْجَمْعُ: لُجَجٌ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُدْرَكُ لِعُمْقِهِ، ثُمَّ وَصَفَ سُبْحَانَهُ هَذَا الْبَحْرَ بِصِفَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: (يَغْشَاهُ مَوْجٌ) أَيْ: يَعْلُو هَذَا الْبَحْرَ مَوْجٌ فَيَسْتُرُهُ وَيُغَطِّيهِ بِالْكُلِّيَّةِ، ثُمَّ وَصَفَ هَذَا الْمَوْجَ بِقَوْلِهِ: (مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) أي: من فوق هذا الموج، ثم وصف الموج الثاني فقال: (مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) أَيْ: مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ الْمَوْجِ الثَّانِي سَحَابٌ، فَيَجْتَمِعُ حِينَئِذٍ عَلَيْهِمْ خَوْفُ البحر وأمواجه والسحاب المرتفع فَوْقَهُ، وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى: يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ بعد مَوْجٌ، فَيَكُونُ الْمَوْجُ يَتْبَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّى كأنه بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَالْبَحْرُ أَخْوَفُ مَا يَكُونُ إِذَا تَوَالَتْ أَمْوَاجُهُ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ وُجُودُ السَّحَابِ مِنْ فَوْقِهِ زَادَ الْخَوْفُ شِدَّةً؛ لِأَنَّهَا تَسْتُرُ النُّجُومَ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا مَنْ في البحر، ثم إذا أمطرت تلك السحب وَهَبَّتِ الرِّيحُ الْمُعْتَادَةُ فِي الْغَالِبِ عِنْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ؛ تَكَاثَفَتِ الْهُمُومُ وَتَرَادَفَتِ الْغُمُومُ وَبَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي لَيْسَ وَرَاءَهَا غَايَةٌ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) أَيْ: هِيَ ظلمات؛ أو هذه ظلمات متكاثفة مُتَرَادِفَةٌ، فَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بَيَانٌ لِشِدَّةِ الْأَمْرِ وَتَعَاظُمِهِ..، ثُمَّ بَالَغَ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الْمَذْكُورَةِ بِقَوْلِهِ (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا)، وَفَاعِلُ أَخْرَجَ: ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى مُقَدَّرٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ، أَيْ: إِذَا أَخْرَجَ الْحَاضِرُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ أَوْ مَنِ ابْتُلِيَ بِهَا، قَالَ الزَّجَّاجُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: الْمَعْنَى، لَمْ يَرَهَا وَلَمْ يَكَدْ..، وَالْمَعْنَى: إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَرَهَا، كَمَا تَقُولُ: مَا كِدْتُ أَعْرِفُهُ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: يَعْنِي لَمْ يَرَهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ الْجَهْدِ، قَالَ النَّحَّاسُ: أَصَحُّ الْأَقْوَالِ فِي هَذَا أَنَّ الْمَعْنَى لَمْ يُقَارِبْ رُؤْيَتَهَا، فَإِذَنْ لَمْ يَرَهَا رُؤْيَةً بَعِيدَةً وَلَا قَرِيبَةً، وَجُمْلَةُ (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ) مُقَرِّرَةٌ لِمَا قَبْلَهَا مِنْ كَوْنِ أَعْمَالِ الْكَفَرَةِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، وَالْمَعْنَى: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ هِدَايَةً فَمَا لَهُ مِنْ هِدَايَةٍ، قَالَ الزَّجَّاجُ: ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَالْمَعْنَى: مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ لَمْ يَهْتَدِ"[٩٤١].

[٩٤١] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٤٦\١٤).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Oceanography

علم البحار والمحيطات

المَوْضُوع Subject

Deep Oceans

أعماق المحيطات

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٢٤النور:٤٠.
- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٦الأنعام:٥٩.
- ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٣و٦٤.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٧.
- ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ١٠يونس:٢٢.
- ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا. أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا. أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ١٧الإسراء:٦٧-٦٩.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ١٨الكهف:٦٠.
- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ١٨الكهف:١٠٩.
- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٣١لقمان:٢٧.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٣.
- ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.
- ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٢٧النمل:٦٣.
- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٣٥فاطر:١٢.
- ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ ٥٢الطور:٦.
- ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ٥٥الرحمن:١٩-٢٢.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾
٢٥الفرقان:٥٣.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٣.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾، ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾، ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

He is the One Who made the two water masses merge; the river palatable and sweet water, and the ocean salt and bitter (undrinkable) **water** (but no one can encroach upon the other one)**; as He placed between them a barrier, and more an intermediate partition** (the estuary)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

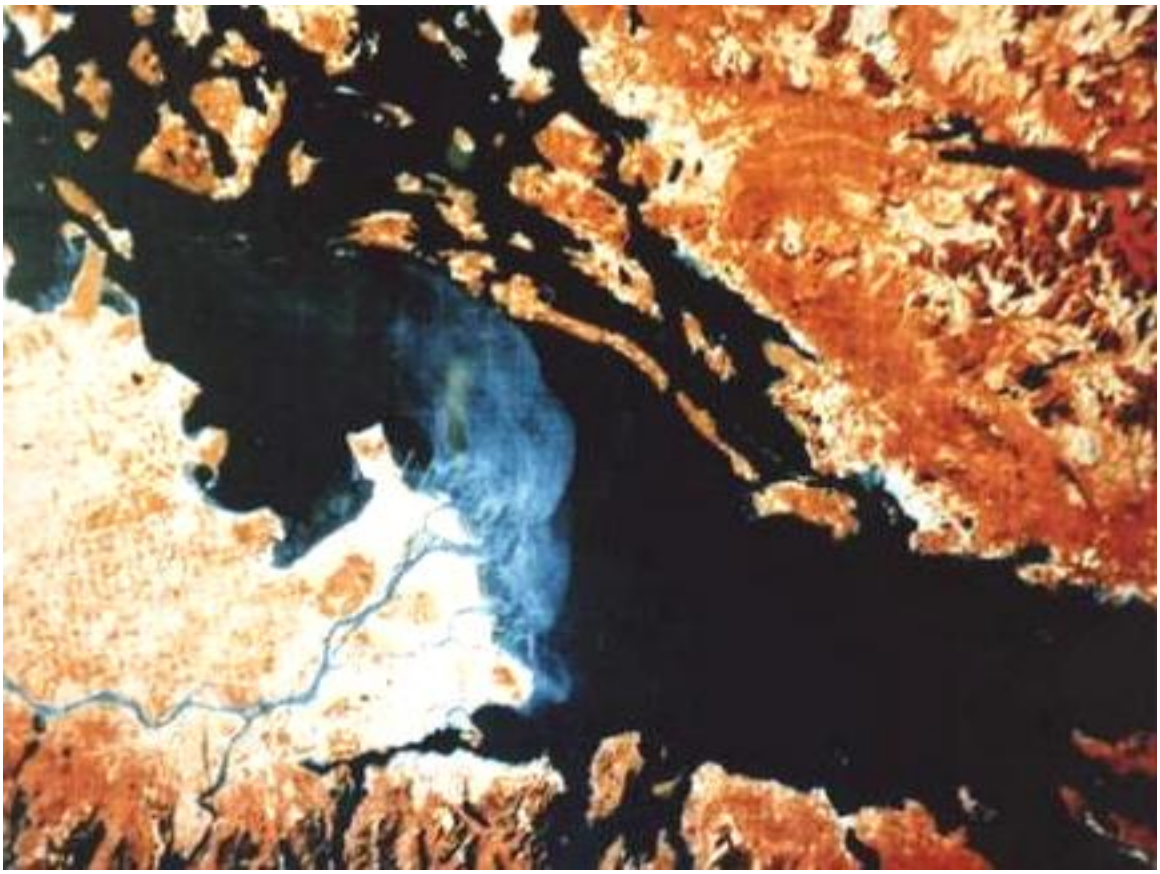

تختلف خصائص البحار المالحة عن الأنهار العذبة عن منطقة المصب؛ والتي تتميز بأحياء تخصها كأنها حجر مفروض عليها ومحجور عليها الخروج منه، والكتاب الأول الذي ظهر عن علم البحار في القرن الثامن عشر كان بدائياً في معلوماته ثم بدأ علم المحيطات يأخذ مكانه بين العلوم الحديثة عندما قامت السفينة البريطانية تشالنجر برحلتها حول العالم من عام ١٨٧٢ حتى عام ١٨٧٦، ثم توالت الرحلات العلمية لاكتشاف البحار، وفي نهاية القرن العشرين بدأ الأمل يزداد في فهم الإنسان للبحر عن طريق الأقمار الاصطناعية والتصوير عن بعد، وبعد مسح لعدد كبير من مناطق اللقاء بين الأنهار والبحار اكتشف الباحثون أن منطقة مصبات الأنهار في البحار بيئة متميزة في صفاتها الطبيعية والإحيائية عن النهر وعن البحر؛ رغم تداخل المياه وتحركها بينهما بحسب مد البحر وجزره وفيضان النهر وجفافه، وكأن حاجزا يفصل بيئة المصب عن بيئة النهر وبيئة البحر، ويحافظ على هذه المنطقة بخصائصها المميزة رغم عوامل المزج كالمد والجزر وحالات الفيضان والانحسار التي تعتبر من أقوى عوامل المزج، وبتصنيف البيئات الثلاث باعتبار الكائنات الحية التي تعيش فيها تعتبر منطقة المصب حجر على معظم الكائنات الحية التي تعيش فيها، لأن هذه الكائنات لا تستطيع أن تعيش إلا في منطقة المصب ذات الخصائص المميزة، وهي في نفس الوقت منطقة محجورة على معظم الكائنات التي تعيش في البحر والنهر لأن هذه الكائنات تموت إذا دخلتها بسبب اختلاف خصائصها.

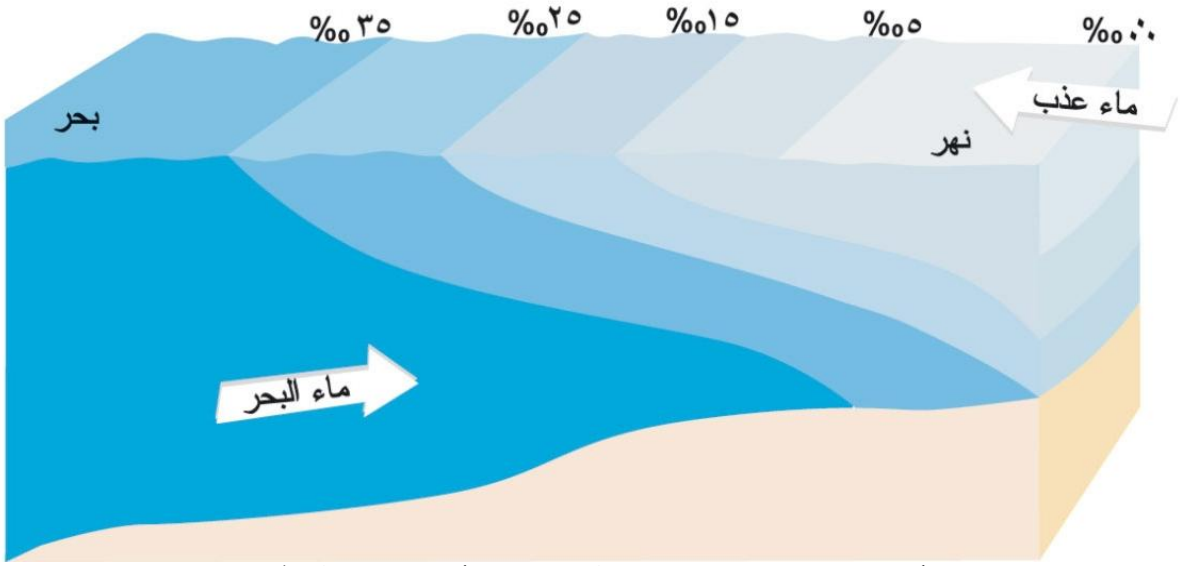

وكل تجمع مائي يُمكن أن يسمى بحرا، والبحر العذب الفرات أو شديد العذوبة هو النهر، والبحر الملح الأجاج أو شديد الملوحة هو المحيط أو البحر المالح، وبهذا خرج ماء المصب لأنه مزيج بين الملوحة والعذوبة فلا ينطبق عليه وصف عذب فرات ولا ملح أجاج، وبهذه الأوصاف تحددت حدود الكتل المائية الثلاث: ماء النهر، وماء البحر، وبينهما ماء منطقة المصب التي وصفت في الآية الكريمة بكونها برزخا أو حاجزا يمنع طغيان صفة ملوحة البحر على النهر أو عذوبة النهر على البحر، وميزت بيئة المصب بأنها حجر على ما فيها من كائنات حية محجورة على ما يعيش خارجها في النهر أو البحر، وهذا يعني تمايز البيئات الثلاث في الصفات الطبيعية وفي الكائنات الحية، ويشهد التطور التاريخي في سير علم البحار بعدم وجود معلومات دقيقة عن البحار قبل ١٤٠٠ عام ومع ذلك وصف القرآن الكريم بدقة منطقة مصبات الأنهار، فبين أنها بيئة متميزة في خصائصها الطبيعية والإحيائية عن بيئة النهر وبيئة البحر وكشف أنه رغم تداخل المياه وتحركها الدائم في اتجاه البحر تظل تلك الخصائص ثابتة، فمن أين تلك المعرفة في القرآن الكريم بلا تقنية وأدوات علمية؛ إن لم يكن من عند الذي أحاط بكل شيء علماً.

وفي تفسير مجمع البحوث: "معنى {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ}: أَجرى الماءَين العذب والملح، مع استقلال كل واحد منهما بخصائصه وأَوصافه، هذا عذب فرات مستساغ الطعم وقامع للعطش ومنبت للزرع، وهذا ملح أُجاج شديد الملوحة كريه الطعم تجرى فيه السفن ويأْكل منه الناس لحما طريا ويستخرجون حلية يلبسونها، وجعل بين الماءين {بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا} أَي: وجعل الله تعالى بقدرته بين الملح والعذب حاجزا ومانعا لا سبيل إلى رفعه ودفعه، حتى لا يطغى أَحدهما على الآخر أَو يغلب عليه، فلا يعذب الملح بالعذب لقلة ما يتسرب منه إلى الماءِ الملح، ولا يملح الماء العذب بمجاورته للماء الملح في مصبه، لأَن الله تعالى بقدرته العظيمة جعل البحار الملحة في أَغوار منخفضة عن سطح الأَرض وعن مجارى المياه العذبة، بحيث لا يمتد في مجارى الأَنهار إلا جزء قليل مجاور لها في مستواها، وهو مصبها، فبانخفاض البحار وعلو مستوى الأَنهار حفظ الله طبيعة كليهما، حتى ينتفع بالملح والعذب فيما خلقهما الله لأَجله"[٩٤٢].

[٩٤٢] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٧ ١٥٢٩).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن جزي: "(وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)؛ اضطرب الناس في هذه الآية؛ لأنه لا يُعلم في الدنيا بحر ملح وبحر عذب، وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح، قال ابن عباس: أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض، والبحر العذب الفرات بحر السحاب، وقيل: البحر الملح البحر المعروف، والبحر العذب مياه الأرض، وقيل: البحر الملح جميع الماء الملح من الآبار وغيرها، والبحر العذب هو مياه الأرض من الأنهار والعيون، ومعنى العذب: البالغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأجاج نقيضه، واختلف في معنى مرجهما، فقيل: جعلهما متجاورين متلاصقين، وقيل أسال أحدهما في الآخر وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً أي فاصلا يفصل بينهما وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان، وقيل: البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر"[٩٤٣]، قال المحقق د. الخالدي: "من الثابت وجود ينابيع عذبة في البحر قرب السواحل..؛ رغم كونها مُحاطة بالماء المالح"[٩٤٤].

وقال الماوردي: "(وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)..؛ في البحرين ثلاثة أقاويل؛ أحدها: بحر السماء وبحر الأرض؛ وهو قول سعيد ومجاهد، الثاني: بحر فارس والروم؛ وهو قول الحسن، الثالث: بحر العذب وبحر المالح، {هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} قال عطاء: الفرات: العذب، وقيل هو أعذب العذب، وفي الأجاج: ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه المالح؛ وهو قول عطاء، وقيل: هو أملح المالح. الثاني: أنه المر، وهو قول قتادة. والثالث: أنه الحار المؤجج ، مأخوذ من تأجج النار، وهو قول ابن بحر. {وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: حاجز من البر؛ وهو قول الحسن ومجاهد، الثاني: أن البرزخ: التخوم؛ وهو قول قتادة، والثالث: أنه الأجل ما بين الدنيا والآخرة؛ وهو قول الضحاك، {وَحِجْراً مَّحْجُوراً} أي مانعاً لا يختلط العذب بالمالح..، محجور أي ممنوع، وتأول بعض المتعمقين في غوامض المعاني أن مرج البحرين قلوب الأبرار مضيئة بالبر، وهو العذب، وقلوب الفجار مظلمة بالفجور؛ وهو الملح الأجاج، وهو بعيد"[٩٤٥].

---

[٩٤٣] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١\ ٨٤).

[٩٤٤] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١\ ٨٤).

[٩٤٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٤\ ١٤٩).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Oceanography

علم المحيطات

المَوْضُوع Subject

Estuaries

مصبات الأنهار

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٣٥فاطر:١٢.**

- **﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٦النحل:١٤.**

- **﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ٥٥الرحمن:١٩-٢٤.**

- **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ١٤إبراهيم:٣٢.**

- **﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ١٧الإسراء:٦٦و٦٧.**

- **﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٣.**

- **﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.**

- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ٣١لقمان:٣١.**

- **﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٤٥الجاثية:١٢.**

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٦١.

Paragraph الفَقْرَة

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٦١و٦٢.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿جَعَلَ﴾، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، ﴿بُرُوجًا﴾، ﴿سِرَاجًا﴾، ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Blessed be the One who placed (Stars) constellations in the heaven, and placed therein a (great) lamp-like (sun; producing light spontaneously) and a shining moon (reflecting light).

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

وثيقة توضح الاعتقاد السائد في أوروبا حتى عام ١٨٨٨ بأن النجوم مُثبتة على أفلاك شفافة تدور بعجلات؛ حيث استطاع راعي غنم بلوغ أقصى الأرض المُسطحة وأنفذ رأسه خلف السماوات يتطلع إلى العجلات التي تحرك الأجرام السماوية.

(١) الفضاء مدارات للأجرام السماوية:

لفظ (السماء) في القرآن الكريم يستقيم حمله على الكيانات العلوية بالنسبة للناظر من الأرض، وهي مُمكنة النظر؛ مما يعني أنه عند الإطلاق يعني نفس الكون المُمكن النظر محل دراسة علم الفلك، وهو سبع طبقات من حيث البنية من لبنات التكوين من بروج الأجرام السماوية؛ حيث تميز كل منها لبنة تكوينية؛ خاصة مع تعريفه بجملة أوصاف أخرى تتفق تمامًا مع علم الفلك الحديث كالآفاق والمعارج والطرائق، وعلى سبيل المثال لفظ (الطرائق) يستقيم حمله على مسارات أو أفلاك الأجرام السماوية، وهو يدُل على أنها تتحرك بذاتها بخلاف النظرة التي ظلت سائدة حتى القرن السابع عشر من أنها ساكنة ثابتة مُثبتة على أفلاك شفافة تدور بها؛ ولذا أُطلق اسم الثوابت على النجوم، وبهذا يُسجل القرآن الكريم السبق في مخالفة الأساطير والتصورات الخاطئة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ المؤمنون:١٧، وقوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٤٠.

قال ابن تيمية: "قال بعضهم أن الأفلاك غير السماوات؛ لكن رد عليه غيره هذا القول؛ بأن الله تعالى قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٥و١٦، فأخبر أنه جعل القمر فيهن، وقد أخبر أنه في الفلك: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٣..، وتحقيق الأمر فيه..؛ أن ما عُلم بالحساب علما صحيحا لا ينافى ما جاء به السمع وأن العلوم السمعية الصحيحة لا تنافى معقولا صحيحا..، فإن ذلك.. قد أشكل على كثير من الناس حيث يرون ما يقال أنه معلوم بالعقل مخالفًا لما يقال أنه معلوم بالسمع، فأوجب ذلك أن كذبت كل طائفة بما لم تُحط بعلمه حتى آل الأمر بقوم من أهل الكلام إلى أن تكلموا في معارضة الفلاسفة في الأفلاك بكلام ليس معهم به حجة لا من شرع ولا من عقل وظنوا أن ذلك الكلام من نصر الشريعة؛ وكان ما جحدوه معلومًا بالأدلة الشرعية أيضا"[٩٤٦].

[٩٤٦] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف؛ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م (١٦ ٥٥٧).

والقمر هو أحد الأجرام الفلكية المرئية؛ والكتاب العزيز يُصرح بأنه كائن في السماوات، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنّ نُوراً وَجَعَلَ الشّمْسَ سِرَاجاً﴾ نوح:١٥و١٦، والدلالة أن نوح عليه السلام؛ كان يُقيم الحجة على قومه بما هو ليس غيبًا وإنما أمرًا معلوما مرصودًا، والدلالة كذلك على أن القمر في السماوات صريحة مما يدل أن المُراد هو سماوات تلك الأجرام المُشاهدة.

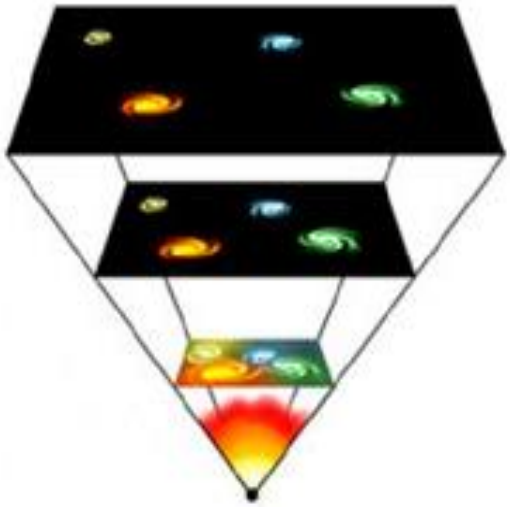

قال الألوسي: "ظواهر الآيات والأخبار ناطقة بأن السماء (أجرامها) مرئية"[٩٤٧]، وقال حفيده: "أجمعوا أن السماوات التي هي الأفلاك (مسارات الأجرام الفلكية)؛ لا تُرى لأنها شفافة.. لا تحجب الأبصار عن رؤية ما وراءها من الكواكب"[٩٤٨]، وقال القيرواني: "السماوات (أجرامها) مرئية"[٩٤٩]، وقال ابن عاشور: "قد عدَّ الله تعالى السماوات سبعًا وهو أعلم بها وبالمُراد منها؛ إلا أن الظاهر الذي دلت عليه القواعد العلمية أن المراد من السماوات (آفاق) الأجرام العلوية العظيمة..، ويدل على ذلك أمور؛ أحدها: أن السماوات ذُكرت في غالب مواضع القرآن مع ذكر الأرض.. فدل على أنها عوالم كالعالم الأرضي.. ثانيها: أنها ذكرت مع الأرض من حيث أنها أدلة على بديع صنع الله تعالى فناسب أن يكون تفسيرها (آفاق) تلك الأجرام المُشاهدة"[٩٥٠]، وبالفعل تنتظم حشود النجوم في آفاق تعلو بعضها بعضًا دون أقصى ما يُمكن أن يبلغه نظر باستخدام المراصد الراديوية والمسمى بالكوازارات، فتنتمي المجموعة الشمسية لمجموعة نجومية محلية تتبع حشدًا نجوميًّا أكبر يتبع مجرتنا؛ التي تتبع بدورها مجموعة مجرية محلية تتكون مما يربو على ثلاثين مجرة تتبع حشدًا مجريًّا أكبر.

(٢) الحركة الذاتية للأجرام السماوية:

ويتفرد القرآن الكريم مُنذ القرن السابع الميلادي دون أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ بنسبة الحركة للأجرام السماوية ذاتها بخلاف التصور القديم وجعل مساراتها طرائق في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ المؤمنون:١٧، قال ابن عاشور: "وطرائق جمع طريقة.. وهي الطريق.. شبه بها أفلاك الكواكب"[٩٥١]، والتشبيه بالطرائق يعني أن كل الأجرام تتحرك ذاتيًا، قال تعالى: ﴿وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس:٤٠، و﴿كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الأنبياء:٣٣، و﴿كُلّ يَجْرِي لأَجَلٍ مّسَمّى﴾ الرعد:٢ وفاطر:١٣ والزمر:٥، و﴿كُلّ يَجْرِيَ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى﴾ لقمان:٢٩، قال القرطبي: "(كُلّ) يعني من الشمس والقمر والنجوم والكواكب.. (فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) أي يجرون..، قال ابن زيد: الأفلاك مجاري النجوم والشمس والقمر"[٩٥٢]، وفق ظاهر الدلالة إذن والتي لا تحتمل تأويل؛ كل الأجرام السماوية تتحرك في أفلاكها بحركة ذاتية؛ كُلٌ له فلك يخصه ويقطعه في مدة مقدرة؛ بخلاف الوهم السائد إلى القرن السابع عشر بأن النجوم ثوابت لا تتحرك بذاتها وإنما بحركة أفلاك شفافة ثبتت عليها وتدور حول الأرض المُسطحة الثابتة.

---

[٩٤٧] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٣\ ٣٢٥).

[٩٤٨] أبو المعالي محمود شكري الألوسي؛ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي لبنان، الطبعة الثانية؛ ١٣٩١هـ- ١٩٧١م (١\ ٦٩).

[٩٤٩] أبو محمد مكي حَمّوش القيرواني؛ الهداية إلى بلوغ النهاية، جامعة الشارقة، أ. د: الشاهد البوشيخي؛ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ().

[٩٥٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣٨٥).

[٩٥١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٩\ ٢٣٢).

[٩٥٢] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١\ ٢٨٦).

قال تعالى: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ النحل:١٢؛ أي مسيرات بتقديره تعالى، قال ابن كثير: "يُنَبِّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى آيَاتِهِ الْعِظَامُ وَمِنَنِهِ الْجِسَامِ؛ فِي تَسْخِيرِهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَدُورَانِ، وَالنُّجُومَ الثَّوَابِتَ وَالسَّيَّارَاتِ فِي أَرْجَاءِ السَّمَوَاتِ.. كُلٌّ مِنْهَا يَسِيرُ فِي فَلَكِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ يَسِيرُ بِحَرَكَةٍ مُقدرة لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا يُنْقِصُ مِنْهَا، وَالْجَمِيعُ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَتَسْخِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَتَسْيِيرِهِ، كَمَا قَالَ: {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ} الْأَعْرَاف:٥٤؛ وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أَيْ: لَدَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ، لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ وَيَفْهَمُونَ حُجَجَهُ"[٩٥٣]، وتجري الشمس بالمثل بحركة ذاتية في فلك أو مدار مقدر السرعة والأجل؛ وكذلك القمر، في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ الرعد:٢، وفاطر:١٣، والزمر:٥، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ لقمان:٢٩، ولفظ (كُلّ) يفيد الجمع ويعمم النبأ بأن الشمس والقمر حركتيهما مُقدرة ليشمل كل الأجرام في الكون بما في ذلك كوكب الأرض؛ وإن لم يُذكر سواهما، وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الأنبياء:٣٣؛ يعني تعدد الأفلاك وتعدد آجال قطعها مع وحدة كل زمرة في فلك كوني واحد عام يضمها، وهذا أبلغ لبيان كمال عظمة الله تعالى وقدرته ووحدانيته، ولفظ (كل) يلزمه إضافة تُبَيِّنُه فتقول (كل الأشجار خضراء) و(كل الأزهار يانعة)، وفي (كلٌ يجرى) جاء التنوين عِوَضًا عن الإضافة استغراقًا في الشمول بلا حاجة لتبيين، اعتمادًا على السياق؛ وهو يتعلق بحركة جرمين فيعمم الوصف ليشمل كل الأجرام، قال ابن عطية: "والشمس والقمر في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب (وَالنُّجُومَ)، ولذلك قال: (كُلّ يَجْرِي لأَجَلٍ مّسَمّى)؛ أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من (المُسخرات)..، وقال ابن عباس..: قدر لكل منهما سيرًا خاصًا.. بمقدار خاص من السرعة"[٩٥٤]، وقال الألوسي: "(كُلّ يَجْرِي) يسير في المنازل.. (لأجل مُسَمًّى) أي وقت معين.. (ليُتم دورته)؛ وهو المروى عن ابن عباس، وقيل كل يجري لغاية ينقطع دونها سيره.. (أي زوال الدنيا) وهذا مراد مجاهد من تفسير الأجل المسمى بالدنيا..، والتفسير الحق ما رُوِيَ عن الحبر، وأما الثاني فلا يُناسب (مقام) التسخير والتدبير؛ ثم إن غايتهما مُتحدة والتعبير بكل يجري صريح في التعدد"[٩٥٥].

(٣) نسبية حركة الأجرام السماوية:

قد وُصِفَت النجوم بالنسبة للبشر بالثبات في النظم حتى أنها اتخذت معالم سماوية لبيان الموضع والاتجاه كمعالم الأرض في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الأنعام:٩٧، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ النحل:١٦، وضمير الغيبة العائد إلى الناس (هُمْ) يجعل ثبات النجوم منسوب لهم؛ أي وفق ما يشاهدون، وكذلك التعبير (لَكُمْ)، وقد يرد وصف الأجرام بالحركة مُجَرَّدًا من النسبة للبشر شاملا للنجوم على وجه الحقيقة بخلاف السائد من كونها ثوابت في النظر كما في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ الأعراف:٥٤؛ أي مسيرات بتقديره تعالى كل منها في فلك يخصه مقدر السرعة والمدة بلا صدام رغم السعة الهائلة للكون حولنا، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ الرعد:٢؛ يخلو كذلك من النسبة للبشر على سطح الأرض فهو إذن على وجه الحقيقة لا ما يبدو بالنظر، ولم يُذْكَر إلا الشمس والقمر، ولكن التعبير (كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى) مدَّ الوصف بالحركة المُقَدَّرَة ليشمل كل الأجرام في الكون.

---

[٩٥٣] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٤ ٥٦١).

[٩٥٤] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤٢٢هـ (١٣ ٢٩٢).

[٩٥٥] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧ ٨٦).

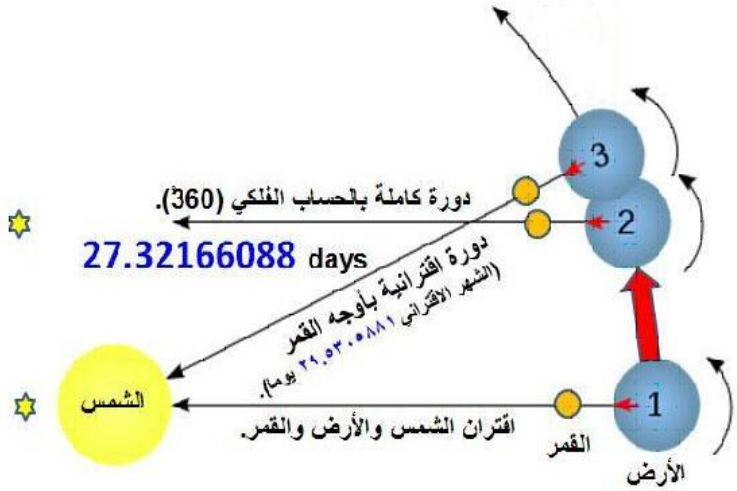

طول الشهر بالنسبة للنجوم يقل عن الشهر القمري حوالي يومين بسبب حركة الأرض حول الشمس أثناء حركة القمر حولها.

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ الكهف:٨٦؛ ليس عند جرم الشمس قوم يقطنون ولا هو فعليًّا يغرب يوميًّا في عين؛ وإنما الوصف قائم على ما رآه ذو القرنين: (وَجَدَهَا) و(وَوَجَدَ عِنْدَهَا)، يعني: وفق ما تراءى له عند شاطئ البحر الغربي، وفي مُقابل الحركة الظاهرية للشمس تلك؛ ورد وصف حركتها الفعلية في فلك يخصها مُجَرَّدًا من النسبة للبشر، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس:٣٨-٤٠، وحركة الشمس سريعة وُصِفَت بالجري بخلاف الحركة اليومية الظاهرية البطيئة التي لا يناسبها الوصف بالجري، قال الألوسي: "فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها"[٩٥٦]، وأن: "للثوابت حركة"[٩٥٧]، ويفيض وصف الحركة بأنها مُسبقة التقدير: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)؛ تصريح بأن للقمر فلك يقطعه بالنسبة لمنازله النجومية من هلال بداية الشهر حتى هلال آخره حيث يعود كهيئة عود الشمروخ الجاف الأصفر المُقوس حامل التمر في النخيل، وبالفعل دورة القمر بالنسبة للنجوم تقل عن الشهر القمري فترة المحاق وتبلغ حوالي ٢٧ يوما وثلث وتسمى بالشهر النجمي Sidereal month، وزيادة الشهر القمري تُفَسَّر فلكيًّا بتحرك القمر مع الأرض حول الشمس أثناء دورته حولها، وفي التعبير: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ)؛ دلالة على أن القمر أسرع، وهو كذلك بالفعل لأنه يزيد بحركته حول الأرض وحركته معها حول الشمس.

(٤) مدار الشمس:

في عام ١٥٤٣ نشر كوبرنيكوس Copernicus كتابه عن الفلك والكواكب وأرسى نظرية دوران الأرض حول الشمس، ولكنه اعتبر أيضاً أن الشمس ثابتة كما اعتقد سابقا أريستاركوس Aristarchus في القرن الثالث قبل الميلاد، وأكدت مشاهدات جاليليو Galileo في القرن السابع عشر حركة الأرض حول الشمس كما هي كل الكواكب، وفي القرن نفسه توصّل كبلر Kepler إلى أن مدارات الكواكب غير كاملة الاستدارة (إهليلجية) Elliptical، وفي منتصف القرن التاسع عشر اكتشف كارينغتون Carrington أن الشمس تدور حول نفسها من خلال تتبّعه للبقع السوداء على سطحها، وهكذا تقدمت المعرفة شيئا فشيئا حتى تأكد اليوم أن الأرض وجميع أجرام السماء في حركة دائبة كل في مدار مقدر يقطعه في أجل محدد، وتبين أن الشمس تقع في الثلث الخارجي لمجرتنا التي تسمى درب التبانة أو الطريق اللبني Milky Way، وتقطع الشمس مدارها ومعها جميع توابعها حول مركز المجرة في حوالي: ٢٥٠ مليون سنة، بينما قد أعلن القرآن قبل ذلك بحوالي عشرة قرون أن كل الأجرام تجري؛ فلا الأرض ساكنة ولا الشمس ولا النجوم؛ وإنما لكل حركته المقدرة، ومداره المعين له، وأجله المقدر ليقطعه.

---

[٩٥٦] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١١٢\٢٢٩).

[٩٥٧] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٦\٦٧).

قال تعالى: "كُلّ يَجْرِي لأجَلٍ مّسَمّى" الرعد:٢ وفاطر:١٣ والزمر:٥، وقال تعالى: (كُلّ يَجْرِيَ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى) لقمان:٢٩، وقال تعالى: (كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) الأنبياء:٣٣، وفي هذا السياق المُتعلق ببيان أن لكل جرم فلك يخصه أو مدار يقطعه كاملا في نهاية دورته؛ ورد قوله تعالى: (وَالشّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)، ولذا ورد الوجه في التفسير بأن معنى (المستقر) هو نهاية أجلها في مدارها أو موضع بدء تحركها؛ كمسافر ارتحل من دياره ومر خلال سيره بمنازل قبائل معلومة كمعالم على الطريق إلى أن عاد إلى مستقره، وكأنه تمثيل لدورة تقطعها الشمس بالنسبة لمجموعات نجوم تبدو لبعدها الشديد ثوابت، ورغم الجري لا تبلغ مستقرها هذا إلا بعد أمد بعيد مقدر لها، وينسجم هذا الوجه كذلك مع التعقيب بأن للقمر منازل بالمثل؛ خاصة مع التعميم: (وَكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)، ومع البيان في الآية اللاحقة أن لكل منهما سرعته وأن جهتي الأرض (الليل والنهار) يتسابقان متحاذيان بيانا لحركة الأرض بالمثل، وينسجم كذلك مع البيان بأن الحركة المدارية لكل من الشمس والقمر كنموذج لحركة كافة الأجرام في الكون مقدرة بحساب دقيق لا تصنعه مصادفة: (وَالشّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) الأنعام:٩٦، خاصة مع التعقيب بنفس اللاحقة في الآيتين: (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

وفي قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٣٧-٤٠؛ جملة دلالات تتفق مع المعرفة الفلكية الحديثة، فقوله تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ)؛ فيه دلالة على أن الغلاف الجوي بالنسبة للناظر من الأرض حيث تتبدى ظاهرة النهار رقيق، يماثل سلخة تحجب خلفها بدن الذبيحة، فإذا رفعت تلك السلخة حيث يتبدى النهار بدا كل بدن السماء في التمثيل مظلما، ولم يعاين أحد الظلام Darkness فوق طبقة النهار ويسود الكون ويغشي كل الأجرام قبل رحلة يوري جاجارين في ١٢ أبريل عام ١٩٦١ على متن مركبة الفضاء السوفيتية فوستوك١، والعادة في السلخ تثبيت البدن وتحريك الجلد، وفعل (نَسْلَخُ) وارد بصيغة المضارع الدال على التجدد والاستمرار مما يتفق مع المعرفة بتحرك الأرض وغلافها الجوي باستمرار، وقوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)؛ فيه دلالة على أن للشمس مدار يخصها تجري فيه بسرعة بالغة لتعود إلى حيث بدأت وتتم دورة كاملة بالنسبة للتشكيلات النجومية خلفها في فترة ثابتة مقدرة، وجاء التعقيب شاهدا بالتقدير: (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)، والتمثيل (تَجْرِي)؛ أي كعدو وهرولة الإنسان يجعل حركة الشمس الانتقالية سريعة بالنسبة لأمثالها من الأجرام الفلكية، وقد ثبت بالفعل أن للشمس مدار حول مركز المجرة تقطعه بسرعة حوالي: ٢٤٠ كم\ ثانية، وهي سرعة كبيرة مقارنة بسرعة القمر حول الأرض بسرعة حوالي: ١كم\ ثانية، والتعبير (لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) وارد كذلك على وجه التمثيل برحلة العربي طويلة الأمد زمن التنزيل؛ إلى الشام صيفا وإلى اليمن شتاء، حيث يمر على منازل القبائل وعلامات الطريق حتى يعود إلى مستقره حيث بدأ ليكرر رحلته كل موسم، فهي أطول رحلة متكررة عرفها العرب، أما الشمس فتعود إلى مستقرها في رحلة تخصها بعد حوالي: ٢٥٠ مليون سنة، واكتفى القرآن بتعبير (لِمُسْتَقَرٍّ) في وصف مدار الشمس حيث لا يُعَاين تحركها في منازل، وجاء (لَهَا) مؤكدا تلك الخصوصية؛ بينما أثبت للقمر منازل نجومية باعتبارها مرئية: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)، وجَعْلِها من هلال بداية الشهر إلى هلال نهايته؛ ليقل الشهر النجمي عن الشهر القمري بحوالي يومين؛ وهي فترة المحاق، ويتفق مضمون النص الكريم إذن مع المعرفة الفلكية بحركة الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها، والمعلوم فلكيا أن الأرض تدور حول الشمس بسرعة حوالي: ٣٠ كم\ ثانية، وكأن جهتي الأرض إذن؛ الليل والنهار، في سباق بغير تغلب جهة، وهو مضمون التمثيل: (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ)، ويدور القمر حول الأرض بسرعة حوالي: ١كم\ ثانية، ويدوران مع الشمس حول مركز المجرة بسرعة حوالي: ٢٤٠ كم\ثانية؛ فالقمر إذن أسرع من الشمس قياسا على نجم بعيد ثابت، ولا يمكنها إدراكه لأن لكل منهما فلك مقدر يخصه بلا تضارب، وما كان بوسع بشر زمن التنزيل أن يسبق مآثر العلم ويوجز كل تلك الحقائق بالتمثيل: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ).

(٥) كروية الأرض وحركتها:

وفق صريح القرآن الكريم منذ القرن السابع الميلادي: الأرض كروية وكل جرم في الكون يجرى بحركة ذاتية في مدار مُقَدَّر السرعة والأجل؛ يقول تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ الزمر:٥، قال ابن حزم: "قالوا إن البراهين قد صحت بأن الأرض كروية والعامة تقول غير ذلك، وجوابنا وبالله تعالى التوفيق: إن أحداً من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم يُنكروا تكوير الأرض ولا يُحفظ لأحد منهم في دفعِه كلمة؛ بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها، قال الله عز وجل: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ الزمر:٥، وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض؛ مأخوذ من كور العمامة وهو إدارتها، وهذا نص على تكوير الأرض"[٩٥٨]، وقال سيد قطب: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾..؛ تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسرًا على الالتفات إلى ما كُشف حديثًا عن كروية الأرض، ومع أنني في هذه الظلال حريص على ألا أحمل القرآن على النظريات التي يكشفها الإنسان لأنها نظريات تخطئ وتصيب وتثبت اليوم وتبطل غداً، والقرآن حق ثابت يحمل آية صدقه في ذاته ولا يستمدها من موافقة أو مخالفة لما يكشفه البشر..، مع هذا الحرص فإن هذا التعبير يقسرني قسرًا على النظر في موضوع كروية الأرض، فهو يصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الأرض، فالأرض الكروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس؛ فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهارًا، ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور، وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار، وهذا السطح مُكور؛ فالنهار كان عليه مكورًا، والليل يتبعه مكوراً كذلك، وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل، وهكذا في حركة دائبة..، واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع ويعين نوع طبيعة الأرض وحركتها"[٩٥٩].

وقال الشعراوي: "التصادم بين القرآن والعلم إذن..؛ إذا كان هناك تصادم..، عندما ندعى حقيقة علمية.. وهي ليست حقيقة علمية.. أو ندعى حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية.. لان قائل القرآن هو الله والفاعل هو الله.. إن الذين يقولون أن القرآن لم يأت ككتاب علم.. صادقون.. وفي نفس الوقت عندما نقول أن القرآن ذكر لي معجزات لم يصل إلى بعضها العلم حتى الآن.. فهذا صحيح أيضا.. فالقرآن وان لم يأت ليعلمني الطب مثلا.. إلا أنه (إذا أتى) بقضية طبية يخبرني بدقائقها.. ولا يصل إليها علم الطب إلا بعد مئات السنين.. يأتي في الجغرافيا مثلا ويمس قضية هامة لا نعرفها إلا بعد مئات السنين.. نتأمل قول الله تعالى﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾.. لماذا استخدم الله لفظ يكور؟..، إنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة.. فتقول أنك كورت هذا القماش مثلا.. أي جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها.. وإذا أردت من إنسان أن يصنع لك شيئا على شكل كرة.. فتقول له خذ هذا وكوره.. أي اصنعه على شكل كرة.. ومعنى قول الله تعالى يكور الليل على النهار.. أي يجعلهما يحيطان بالكرة الأرضية.. ومن إعجاز القرآن أن الليل والنهار مكوران حول الكرة الأرضية في كل وقت.. وهذا ما نبأ به القرآن منذ أربعة عشر قرنا ولم يصل إلى علم البشر إلا في الفترة الأخيرة.. وقضية كروية الأرض مسها القرآن في أكثر من مكان.. لماذا؟ لأنها حقيقة كونية كبرى"[٩٦٠]، "(وبالنسبة) إلى قضية.. دوران الأرض.. هل يستطيع أحد أن يحكم على مكان.. كله يتحرك بما هو فيه، إنك لا تستطيع أن تدرك أنه متحرك.. لماذا؟ لأنك لا تعرف حركة المتحرك إلا إذا قسته مع شيء ثابت، ولا شيء ثابت لأن الأرض كلها تدور"[٩٦١].

---

[٩٥٨] الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٧٥ هـ (١١ ١٨٩).

[٩٥٩] سيد قطب؛ في ظلال القرآن (١٦ ٢٢٤).

[٩٦٠] محمد متولي الشعراوي؛ معجزة القرآن، المختار الإسلامي بالقاهرة؛ ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م (ص٤٩).

[٩٦١] محمد متولي الشعراوي؛ معجزة القرآن، المختار الإسلامي بالقاهرة؛ ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م (ص٥٠).

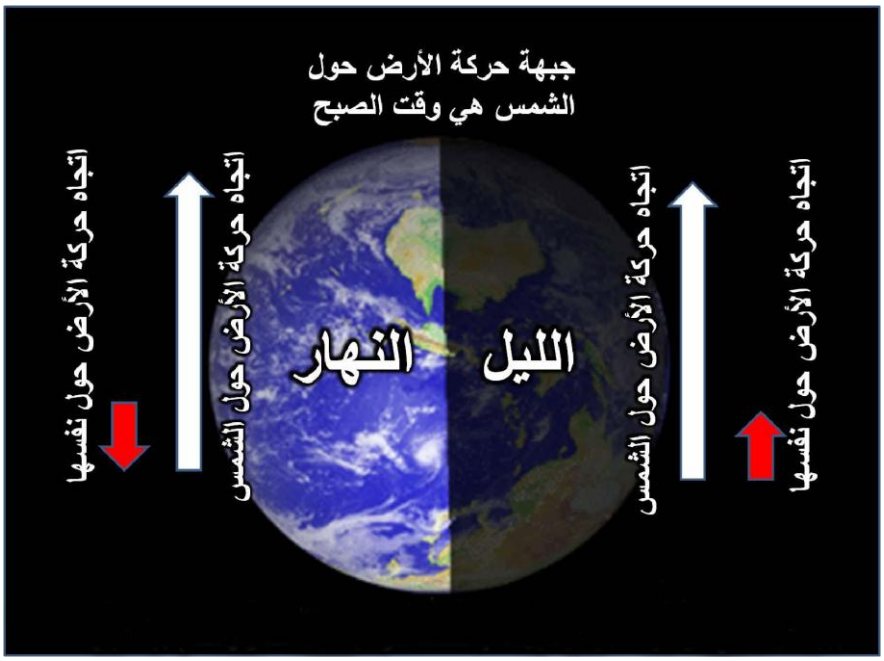

وفي التعبير: (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)؛ نفي سبق الليل للنهار كجهتين للأرض يستقيم مع دوام حركتها هي في مدارها، وتقديم الليل في مقام الحركة يعني أن الحركة جهته أسرع، وفلكيًّا جهة الليل بالفعل أسرع لأن سرعة الأرض حول نفسها في نفس اتجاه سرعتها حول الشمس فتضم إليها؛ بينما تُخصم جهة النهار، وفي النبأ: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ الأعراف:٥٤؛ لا توجد نسبة للبشر فليس كما ما يبدو للناظر، وجعل الليل ولازمه الظلام فوق طبقة النهار ليعم الفضاء حقيقة علمية، ووصف النهار بالحركة الحثيثة العاجلة ليحل محله ظلام الفضاء يستقيم مع حركة الكوكب في مداره، قال جوهري: "أرضنا (إذن) دائرة غير دائرة نحن نراها ساكنة ولكنها دائرة لا تهدأ"[٩٦٢]، "ومن جملة سيارات شمسنا هذه الأرض التي نحن عليها والقمر ملتزم بها ويدور عليها ومعها على الشمس"[٩٦٣]، إذن: "دوران الأرض حول الشمس ليس غير مُخالف للقرآن فحسب؛ بل له منه دلائل"[٩٦٤].

---

[٩٦٢] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢٤\ ٢١٩).
[٩٦٣] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (يونس:٥).
[٩٦٤] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٦\ ٢١).

ويُلاحظ المُراقب تزايد الشهب في الكثرة والسرعة بعد منتصف الليل لتبلغ الدرجة القصوى فترة الصبح باعتبارها جبهة الأرض خلال مسارها في مدارها حول الشمس، وهي نفس الفترة التي اختارها القرآن الكريم لبيان أقصى شدة للارتطام والدمار بالأحجار النيزكية، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ هود:٨١-٨٣، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ الحجر: ٧٣و٧٤، وبالفعل يكون الارتطام على أشده عندما تواجه الأرض النيزك بجبهتها فترة الصبح خلال حركتها بمدارها حول الشمس مضيفة سرعتها نحوه إلى سرعته نحوها؛ بخلاف الجهة المقابلة فترة الغروب، حيث تُخصم سرعتها من سرعته فتقل قوة الارتطام.

فما أشبه كوكب الأرض إذن بدابة يمتطي الناس ظهرها فتمضي بهم ليمرون على المعالم حولهم؛ فتبدو لهم المعالم السماوية مارة من الشرق إلى الغرب والأرض ساكنة، والحقيقة أنهم هم الذين يمرون على المعالم السماوية كما يمر راكب الدابة على معالم الأرض؛ أليس هذا هو المضمون في النبأ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف:١٠٥، فهم الذين يمرون على المعالم السماوية وهم على ظهر الأرض بيانا لحركتها اليومية والسنوية كما يمرون على معالم الأرض وهم على ظهر المركوبات ولا يعتبرون ببديع الصنع ووحدة التصميم والتقدير، ووصف الحركة الفعلية مجرد من النسبة للبشر؛ وجاء التعبير عن حركة الأرض بمرور من على سطحها كشهود على دلائل القدرة ووحدة التقدير، قال الألوسي: "الآية في السماوات.. أي.. من الأجرام الفلكية"[٩٦٥]، وقال ابن كثير: "ما زُينت به من.. الثوابت والسيارات"، وفي الميزان: "لو حُمل قوله (يَمُرُّونَ) على التصريح دون الكناية كان من الدليل على .. حركة الأرض..، فإنا نحن المَارُّون على الأجرام السماوية بحركة الأرض (اليومية والسنوية)..؛ (بعكس) ما يُخيل إلينا في ظاهر الحس"[٩٦٦].

(٦) طبقات الأجرام السماوية:

في النبأ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٦١و٦٢؛ تدرُّج من المعالم السماوية العُلى إلى الأدنى، من البروج أي حشود النجوم الكبرى إلى الأقل حجمًا وارتفاعا ثم معالم السماء الدنيا الأقرب للأرض: الشمس التي تُصدر الضوء ذاتيًا كالسراج والقمر الذي يعكس الضوء نورًا خاليًا من الحرارة، وأخيرًا عالمنا الأرضي المُظلم ليلاً المُشرق نهارًا بضوء الشمس، ويجمع الشمس والقمر عالم واحد؛ هو الأدنى في آفاق النجوم: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦.

وحشود النجوم الأشبه في الارتفاع بالبروج فوق أسوار الحصون؛ هي التي تُميز الفضاء الواحد إلى آفاق طباق؛ فناسب ذكر ساحة (السَّمَاءِ) بالإفراد؛ وجعل بُرُوجِ النجوم المُتزايدة الارتفاع والأحجام هي التي تُميزها إلى سموات طباق في آفاق: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ٨٥البروج:١، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ ١٥الحجر:١٦، وناسب عند تفصيل آفاق حشود النجوم ذكرها بالجمع بالمُميز بالعدد والتصريح بطبقية التكوين (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا): ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٥و١٦، ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ ٦٧الملك:٣، الكل إذن سواء في الإحكام والإتقان والترابط بشدة بقوى غير مرئية تجعل الكون كالبناء الواحد المُتماسك بلا شروخ؛ فضلاً عن حُسن تزيينه بالأضواء: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ٥٠ق:٦، ونفي الشروخ عن البناء تعبير تصويري لشدة الترابط: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ النبأ:١٢و١٣.

---

[٩٦٥] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧ ٦٣).

[٩٦٦] محمد حسين المعروف بـالعلامة الطباطبائي؛ تفسير الميزان، موقع الكوثر، ترقيم المكتبة الشاملة (١١١ ١٤٦).

(٧) الشمس ذاتية الإضاءة:

في سياق بيان تباين الأضواء؛ وُصفت الشمس كسراج مُلتهب الفتيلة ذاتي الإضاءة، والقمر بنور خالي من الحرارة؛ قرينة على كونه جسم مُعتم غير متأجج وغير ذاتي الإضاءة، وإنما يعكس ضياء الشمس: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٥و١٦، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٦١، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ١٠يونس:٥، وهو ما ثبت بالفعل؛ أن الشمس أتون ذري عملاق؛ ليس وقوده حطبًا وإنما الذرات المادية ويُخرج الفائض طاقة هائلة.

فمن بليغ التعبير إذن في القرآن الكريم تمييز طاقات الشمس الذرية الوقود الذاتية الإصدار؛ وهو ما لم يتوصل إليه علماء الفلك الحديث إلا بعد اكتشاف المناظير وأجراء الدراسات الضوئية (الفوتومترية) والطيفية على النجوم وعلى التوابع خلال القرون القليلة الماضية، فالنجم ما هو إلا جسم سماوي متلألئ يشع الطاقة ذاتياً بينما الكوكب جسم سماوي ثابت الإضاءة يعكس الأشعة التي يتلقاها من الشموس، وينطبق هذا على كل التوابع الطبيعية للكواكب؛ أي الأقمار، وقد ذكر الحق تبارك وتعالى ذلك فقال: (وهو الذي جعل الشمس سراجا والقمر نورا)، وقال تعالى: (وجعلنا سراجاً وهاجاً)، ولم يعدل عن وصف ما يصدر عن القمر بلفظ النور؛ أي الخالي من التوهج الذي يصدر عن جسم ذاتي الإضاءة كالشمس، ووصف الشمس بلا استثناء بالتوهج وإصدار الضياء ذاتيا كالسراج، وفي تعبير تمثيلي بليغ جعل النظم الكريم حال الكوكب كزجاجة المصباح في عكس الضياء؛ وجعل الشمس كشجرة الزيتون المُعمرة السخية العطاء مصدر زيت المصباح؛ وإن كانت وسط الكوة تشبيهًا بعالمنا الكوكبي وزيتها وقود لا يكاد ينفذ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٤النور:٣٥.

ودراسة الشمس هي أحد فروع علم الفلك، وتختص بكل ما يتعلق بالشمس، وهنالك العديد من المراكز العلمية في العالم؛ فضلا عن عشرات الأقمار الصناعية وآلاف المراصد الأرضية، لرصد وتتبع ظواهر هذا النجم العملاق الذي يتوسط كواكب مجموعتنا الشمسية، وقد جاءت نتائج الكشوف لتؤكد أوصافًا أوردها القرآن الكريم بلغة تصويرية تحوي نفس المضامين، وتُنتج الشمس طاقتها الإشعاعية باستخدام مُكونها الأساسي وهو الهيدروجين كوقود ذري بتحويله إلى هليوم وإنتاج طاقة هائلة لا تكاد تنفذ، ولو كانت تعتمد على احتراق زيت الزيتون مثلا لنفدت كل طاقتها منذ أمد بعيد، وتبلغ درجة الحرارة فى باطن الشمس نتيجة للضغط الهائل حوالي ١٥ مليون درجة؛ وقد تزيد في نجوم أخرى، وتؤدى تلك الحرارة البالغة إلى حدوث تفاعل نووي باندماج أربع ذرات هيدروجين لإعطاء ذرة هليوم ويصدر فارق الكتلة بهيئة إشعاع، وهذا يعنى أن الشمس تستمد طاقتها من باطنها كوقود؛ نتيجة اندماج نووي في ظروف عاليه الضغط والكثافة والحرارة، وكأن الشمس مُفاعل نووي عملاق؛ قد سخره الحق تبارك وتعالى ليمد الإنسان وكل حي في الأرض بالنور والدفء والطاقة.

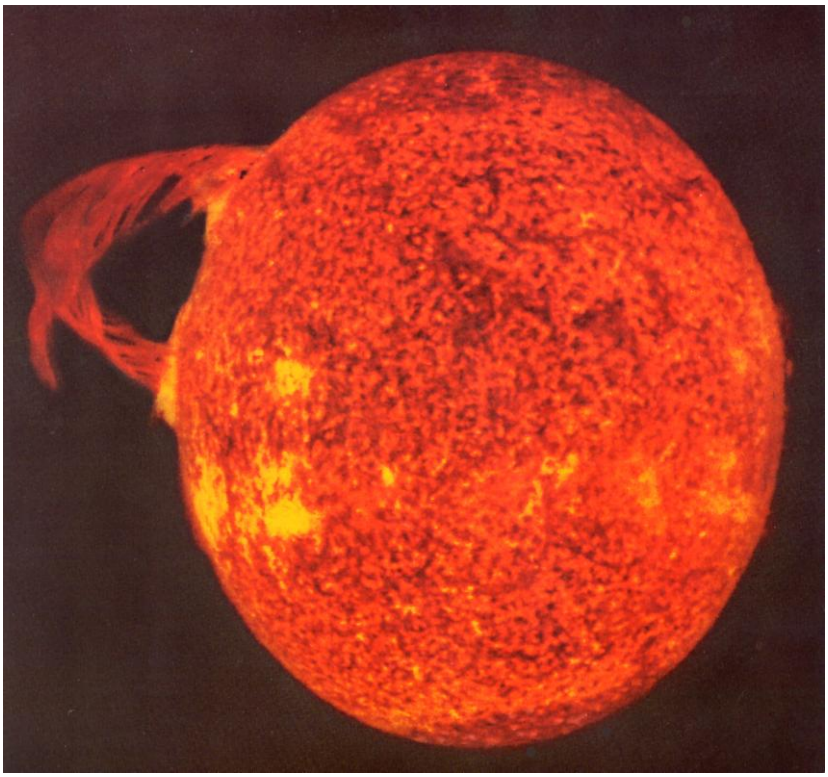

وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا)؛ كان كافيًا للدلالة على أن الشمس تُصدر الضياء ذاتيًا أن يمثلها القرآن الكريم بالسراج الذي يحوي فتيلته في باطنه، ولكنه أضاف صفة التوهج للسطح أيضا كأدق وصف للطبقة الخارجية المضيئة للشمس والمتأججة بألسنة النيران التي تمتد عاليا في كل اتجاه حولها حتى أنها تسمى علميا الطبقة المضيئة Photosphere، وتبلغ درجة حرارة سطح الشمس حوالي ستة آلاف درجة مئوية، وهي نفس درجة حرارة باطن الأرض، ويحمل لفظ التوهج معنى التردد، وبالفعل تتردد قوة الانبعاثات الشمسية دوريًا؛ كما لو كانت رئة تتنفس كل حوالي ١١ سنة.

وقد تمتد ألسنة اللهب من الشمس آلاف الكيلومترات، وللإنفجارات الشمسية تلك تأثير كبير على كوكب الأرض، فهي تؤثر مثلا على الاتصالات اللاسلكية وحتى السلكية، وعلى مسارات الأقمار الصناعية، ومحطات الكهرباء الأرضية، وتحدث تغييرات مرئية للوهج القطبي، وقد اتخذ تأثير نشاط الشمس على مناخ الأرض أهمية كبيرة مع نهاية القرن العشرين بعد ثبوت تغير ثابت الإشعاع الشمسي مع دورة النشاط فى الشمس عن طريق رصد الإشعاع الشمسي بالأقمار الصناعية خارج الغلاف الجوي للأرض بداية من عام ١٩٧٨؛ وذلك عن طريق القمر الأمريكي المسمى الهالة٧ Nimbus7، ثم ما تلاه من أقمار صناعية حتى الآن، وأما الرياح الشمسية فهي سيل عارم من الجسيمات المُتأينة تنطلق من الإكليل الشمسي بسرعة حوالي: ٤٥٠ كم\ ثانية، ويؤكد علماء المناخ أن تغير طفيف في قيمة الإشعاع الشمسي؛ قد يؤدي إلى تغيرات مناخية كبيرة على كوكب الأرض.

(٨) التركيب الضوئي للنبات:

يُساهم ضوء الشمس في توفير الغذاء لكل حي خلال عملية التركيب الضوئي للنبات Photosynthesis، فكأنهما مُكلفين عُقلاء تشترك الشمس نجمنا الوحيد مع الشجر الأخضر في عبادة واحدة، وتلتزم بفلكها كما القمر وكل آفاق السماء بميزان مُقدر: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ. وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ. وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ٥٥الرحمن:٥-٧، وفي مواضع عديدة يؤكد النبأ على اشتراك السماء والأرض في توفير الرزق: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ١٠يونس:٣١، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ٣٥فاطر:٣، ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٢٧النمل:٦٤، ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ ٤٠غافر:١٣، ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤٥الجاثية:٥، ولكن أساس عملية البناء الضوئي في الأوراق الخضراء للشجر مصنع الثمار وسبب الرزق؛ ليس مقصورًا على المطر الذي ينزل من السماء المُلاصقة أو الجو، وإنما من سموات الكون كذلك بجعل الابتداء أيضًا من (السَّمَاوَاتِ) بالجمع؛ حيث تُوجد الشمس في الأفق الأدنى للسماوات العُلى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٣٤سبأ:٢٤، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ١٦النحل:٧٣، وصدق القائل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ. فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ ٥١الذاريات:٢٢و٢٣.

(٩) تاريخ الشمس والقمر:

في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ الإسراء:١٢؛ التعبير ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾؛ ورد على وجه التفصيل مقترنا بالشمس والقمر في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس:٥، ورافقهما الحديث عن ظاهرتي الليل والنهار: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ يونس:٦، وبالمثل هاهنا ذُكِرَ الليل والنهار: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾؛ فيستقيم إذن حمل (آيَةَ اللَّيْلِ) على القمر باعتبار (الآية) يعني العلامة أو الدليل الظاهر المُعاين، وحمل (آيَةَ النَّهَارِ) بالمثل على الشمس، ويستقيم العدول بلاغيا على طريقة التعريض في نسبة اسم الفاعل إلى الظاهرة لا المخاطب؛ وهو المؤهل للإبصار والتمييز والمعرفة المدركة في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) للإشعار بشدة الوضوح والظهور للبصر، كأنها لو كانت مما يُبصر ويعقل تُبصر نفسها وتعقل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء:٥٩، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ النمل:١٣.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ الإسراء:١٢؛ لفظ (الجعل) يدل على التحويل والتصيير للشيء؛ فيعني النبأ: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ) انعدام تميزهما في مرحلة سابقة، ويتفق هذا مع ما عُرِف اليوم من أن الأرض كانت مُلتهبة ويلفها دخان البراكين الأولية بحيث ينعدم التمييز بين الليل والنهار؛ وأن سطح الأرض المُمَهَّد حديث العهد، وبالمثل كان القمر مُلتهبا يصدر الضياء فبرد وتحول إلى جسم معتم يعكس النور لقوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾، وبالمثل يدل لفظ (الجعل) في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ على أن الشمس لم تكن كيانا مشعا كما هي اليوم، وقد كشف حديثًا بعد صعود الإنسان إلى القمر أنه كان في الماضي نشيطا بركانيا قبل أن تتصلد قشرته ويتضاءل نشاطه البركاني، والمعلوم أنها تشكلت منذ حوالي ٤,٦ مليون سنة، وخلال تشكلها تعرضت لضربات النيازك وسادها نشاط بركاني واسع فاض في مناطق الوهاد خاصة المعروفة بالبحار Maria، وبفعل درجات الحرارة الهائلة غلبت الحمم على سطحه، ثم برد القمر فتوقف نشاطه البركاني وانطفأت حممه واستقر سطحه؛ على ما هو عليه اليوم.

(١٠) العلوم العصرية تشهد بالوحدانية:

طلب تَعَلُّم علم الفلك وسواه من العلوم العصرية المُفيدة؛ دعوة دينية وضرورة حياتية ومظهر نهضة حضارية وتكليف أسقطه عن الأمة نوابغ على طول تاريخ الإسلام؛ وإن خلط البعض اليوم بين حقائق الأرصاد وبين أوهام التنجيم فظنوا حقائقه كذلك محض أوهام تتبدل مع الزمن، أو غالوا فظنوه مخالفًا للشريعة استنادًا كمثال إلى الاكتفاء في جواب السؤال عن الأهلة بالجانب الشرعي في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ البقرة:١٨٩، ولكن ما كان العدول عن الجانب الفلكي إلا مراعاةً للحالة العلمية لأوائل المخاطبين لطفًا بهم، فلا يستقيم إذن النفور من تعلم العلوم كالفلك، أو رفض حقائقه؛ بدعوى أن الصحابة الكرام لم يهتموا إلا بتعلم علوم الدين فحسب.

قال الرازي: "ربما جاء (أحدهم) وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته وتقريره من وجوه؛ الأول: أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزًا لما ملأ الله كتابه منها، والثاني: أنه تعالى قال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ ق:٦:، فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها، والثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ غافر:٥٧، فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة في أجرام السموات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس، ثم إنه تعالى رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله: ﴿وَفِيَ أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات:٢١، فما كان أعلى شأناً وأعظم برهانًا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب والغرائب، والرابع: أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾ آل عمران:١٩١، ولو كان ذلك ممنوعًا منه لَمَا فعل، والخامس: أن من صنف كتابًا شريفًا مُشتملاً على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب في تلك الدقائق؛ فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان؛ منهم من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجُملة من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين، ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين، واعتقاد الطائفة الأولى وإن بلغ إلى أقصى الدرجات في القوة والكمال إلا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى، وأيضاً فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفه أكثر كان اعتقاده في عظمة ذلك المصنف وجلاله أكمل"[٩٦٧]، "رُوِيَ أن عمر بن الخيام كان يقرأ كتاب المجسطي (لمؤلفه بطليموس في القرن الرابع قبل الميلاد) على أستاذه عمر الأبهري، فقال بعض الفقهاء يومًا: ما الذي تقرؤه، فقال (عمر): أفسر آية من القرآن وهي قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ ق:٦؛ فأنا أفسر كيفية بنيانها، ولقد صدق الأبهري فيما قال؛ فإن كل من كان أكثر توغلاً في بحار مخلوقات الله تعالى كان أكثر علماً بجلال الله تعالى وعظمته"[٩٦٨]، وعبارة الألوسي: "فنحن ننظر كيف خلق السماء وكيف بناها وكيف صانها عن الفروج"[٩٦٩]، وقال أبو حيان: "علم الهيئة.. علم شريف يطلع فيه على جزئيات غريبة من صنعة الله تعالى يزداد بها إيمان المؤمن إذ المعرفة بجزئيات الأشياء وتفاصيلها ليست كالمعرفة بجملتها"[٩٧٠]، وقال مولوي: "أكثر العلماء (على) أن الحد الأدنى من العلوم الشرعية الضرورية فرض عين على كل مسلم، أما العلوم الأخرى التي بها قوام الدنيا كالطب والحساب والفلك وغيرها فهي فرض كفاية..، ومن المعروف أنّ جميع العلوم تتراوح بين أن تكون فرض عين أو فرض كفاية أو مُستحبّة، ولم ينه الإسلام إلاّ عن علم (التنجيم)..؛ فهو شعبة من السحر أو ادعاء لعلم الغيب"[٩٧١].

---

[٩٦٧] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١\ ٢٧٤).

[٩٦٨] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[٩٦٩] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١١٢\ ١٠٤).

[٩٧٠] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (١٥\ ٦٧).

[٩٧١] الشيخ فيصل مولوي؛ المُرشد الديني لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، الشبكة الدولية للمعلومات.

وقال الشيخ أسامة بن عبد الله خياط إمام الحرم المكي: "إن للعلوم الكونية كما هو الشأن تماماً في شقيقاتها من علوم الدين دورًا فاعلاً ومؤثراً في خدمة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، والإسفار عن وجه جلالهما وجمالهما، وبيان هديهما وشرائعهما كما أمر الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، ذلك أن العلم الصحيح في هذا الدين رديف الوحي في تثبيت الهدى؛ تحقيقاً لوعد الرب جل وعلا بجعل آياته في الآفاق والأنفس عاملاً من عوامل بيان الحق وترسيخ اليقين: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِيَ أَنفُسِهِمْ حَتّىَ يَتَبَيّنَ لَهُمْ أَنّهُ الْحَقّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبّكَ أَنّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ شَهِيد﴾ فصلت٥٣، وإن من أهم هذه العلوم الخادمة للكتاب والسنة علم الفلك أو علم الهيئة كما كان يسميه الأقدمون..، أما علم الفلك فقد حظي بعناية أهل الإسلام منذ عهد بعيد؛ ولا غرابة في ذلك إذا علم أن القرآن الحكيم أورد جملة وافرة وعدداً كبيراً من الآيات المتعلقة بالكون والفلك..، ولا ريب أنه كان لهذه الآيات أبلغ الآثار في نفوس الفلكيين المسلمين فأقبلوا عليها دارسين وباحثين في دقائقها غواصين في بحار معانيها ملتقطين عجائب لآلئها موجهين الأنظار إلى ما حوته من إعجاز علمي بين، ولهذا لم يكن عجبًا أن يعد كثير من العلماء والباحثين بحق علم الفلك كله تفسيراً لهذه الآيات القرآنية الكونية وبياناً لما تضمنته من إعجاز علمي شهدت ولا تزال تشهد به الحقائق العلمية التي أذهلت العالم"[٩٧٢].

وهذا التلاقي المُذهل بين مُعطيات الكشوف العلمية ودلالات النصوص يُثبت أن العلم الصحيح رديف الوحي في تثبيت الهدى؛ تحقيقًا لوعد الرب جل وعلا بجعل آياته الكونية عاملاً من عوامل بيان الحق وترسيخ اليقين في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِيَ أَنفُسِهِمْ حَتّىَ يَتَبَيّنَ لَهُمْ أَنّهُ الْحَقّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبّكَ أَنّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ شَهِيد﴾ فصلت:٥٣.

[٩٧٢] الشيخ أسامة بن عبد الله خياط إمام الحرم المكي؛ والأمين العام المُساعد سابقًا للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقال منشور.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَآءِ بُرُوجاً}.. النجوم العظام.. (أو)، مواضع الكواكب.. (أو) منازل الشمس..، {وَقَمَراً مُّنِيراً} يعني مضيئاً، ولذا جعل الشمس سراجاً والقمر منيراً؛ لأنه لما اقترن بضياء الشمس وهَّج حرّها جعلها لأجل الحرارة سراجاً، ولما كان ذلك في القمر معدومًا جعله نوراً، {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً}.. كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا مضى هذا جاء هذا؛ قاله ابن زيد..، {لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ}.. {أَوْ أَرَادَ شُكُوراً} هو النافلة بعد الفريضة"[٩٧٣].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}؛ المفردات: {بُرُوجًا}: منازل للشمس والقمر، وهي المنازل الاثنا عشر، مفردها برج، والبرج: كل مرتفع، سميت بذلك تشبيهًا لها بالقصور العالية، {سِرَاجًا}: المراد به الشمس لقوله تعالى: {وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}، وقرئ (سرُجًا) بصيغة الجمع؛ فيكون المراد بالشمس: الجنس الشامل لكل ما ماثل شمسنا في المجرة التي تتبعها، {مُنِيرًا}: مضيئا ليلًا، ووصفه بمنير دون مضيء يشعر بأن نوره مُستمد من الشمس، {خِلْفَةً}: أي يخلف كل منهما الآخر {يَذَّكَّرَ}: يتعظ، وأصله: يتذكر، أدغمت تاءُ الافتعال في الذال بعد قلبها ذالا، {شُكُورًا}: شكرا كثيرا لله تعالى على نعمه، التفسير: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا}: هذه الآية والتي بعدها تُؤَكِّدَان تنزيه الله وتعظيمه وَتُعَدِّدَانِ آيات قدرته وبدائع صنعه واستحقاقه السجود له، والمعنى: تنزه الله وتعالى واستحق كل تعظيم وتمجيد، وكل إذعان وطاعة لما أَحكم من صنعه؛ إذ جعل في السماء منازل اثنا عشر لنزول الشمس والكواكب، وجعلها على أَربعة أَقسام: ثلاثة ربيعية وثلاثة صيفية وثلاثة خريفية وثلاثة شتوية، وبهذا يختلف الزمان حرارة وبرودة، ويختلف الليل والنهار طولا وقصرًا، ولا يخفى أَثر ذلك في إنبات النبات وإنضاج الثمار والزروع وملاءَمة أَحوال الناس في أَعمالهم ومهنهم، كما جعل في السماء شمسًا تُضيء الأَرض كما يضيء السراج المكان الذي يسرج فيه، وجعل فيها قمرًا ينسخ ظلام الليل ويخفف من عتمته؛ فيهتدي بذلك الساري وتقل به الوحشة؛ قال تعالى: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}، والضمير في قوله تعالى: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} يعود على البروج لقربها، ويجوز أن يكون عائدا على السماء لأَنها الأَصل، {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}: أي: وهو الله الذي توافرت نعمه وتعاظم فضله، فجعل تعاقب الليل والنهار وفاءً بمتطلبات الحياة واحتياجات خلقه في إنبات النبات وإنضاج الثمار والزروع وتقلبهم في أَعمالهم وأَسفارهم وإخلادهم إلى الراحة، وفي هذا غاية العبرة لمن أَراد أَن يعتبر بتأمُّله في محكم آياته وجلائل تدبيره؛ فيعلم أَن لا بد لهذا الكون من إله قادر وصانع حكيم، كما أَن فيه أَوسع مجال لمن أَراد أَن يتعاظم حمده لربه، ويتزايد شكره لخالقه على توافر نعمه، وتزايد آلائه، وقال ابن كثير: جعلهما يتعاقبان توقيتًا لعبادته، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار، وقد جاءَ في الحديث الصحيح: "إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل"[٩٧٤].

---

[٩٧٣] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٤\ ١٥٣).

[٩٧٤] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (٧\ ١٥٣٦).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Cosmic Architecture

بنية الكون

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٦١و٦٢.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٧.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٥و١٦.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٣.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ. وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣الرعد:٢-٤.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ٣٥فاطر:١٣.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ٣٩الزمر:٥.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٣١لقمان:٢٩.
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٦النحل:١٢.
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٧الأعراف:٥٤.
- ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٦و٩٧.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ١٦النحل:١٥و١٦.
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا. ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ ١٨الكهف:٨٣-٩٠.

- ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ١١هود:٨١-٨٣.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ١٢يوسف:١٠٥.
- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ٨٥البروج:١.
- ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٥الحجر:١٦-١٨.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ. وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ٦٧الملك:٣-٥.
- ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ. وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ٥٠ق:٦-١١.
- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا. وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ ٧٨النبأ:١٢-١٦.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ ١٠يونس:٥و٦.
- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٤النور:٣٥.
- ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ. وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ. وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ٥٥الرحمن:٥-٧.
- ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ١٠يونس:٣١.
- ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ٣٥فاطر:٣.
- ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٢٧النمل:٦٤.
- ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ ٤٠غافر:١٣.
- ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤٥الجاثية:٥.
- ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٣٤سبأ:٢٤.
- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ١٦النحل:٧٣.
- ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ. فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ ٥١الذاريات:٢٢و٢٣.
- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ١٧الإسراء:١٢.
- ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ ١٧الإسراء:٥٩.
- ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ ٢٧النمل:١٣.
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ٢البقرة:١٨٩.
- ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٠غافر:٥٧.
- ﴿وَفِيَ أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٢١،
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ٣آل عمران:١٩٠و١٩١.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾
٢٧النمل:٨٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ. وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ. مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٨٧-٩٠.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

You see the mountains and think them (statically) **stable, but really they are** (dynamically) **passing** (with tectonic plates; carried by the mantle currents)**, like the cloud passing** (carried by the air currents)**.** (This is) **The Work of Allah Who perfected all things, verily He is fully Cognizant with what you do.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

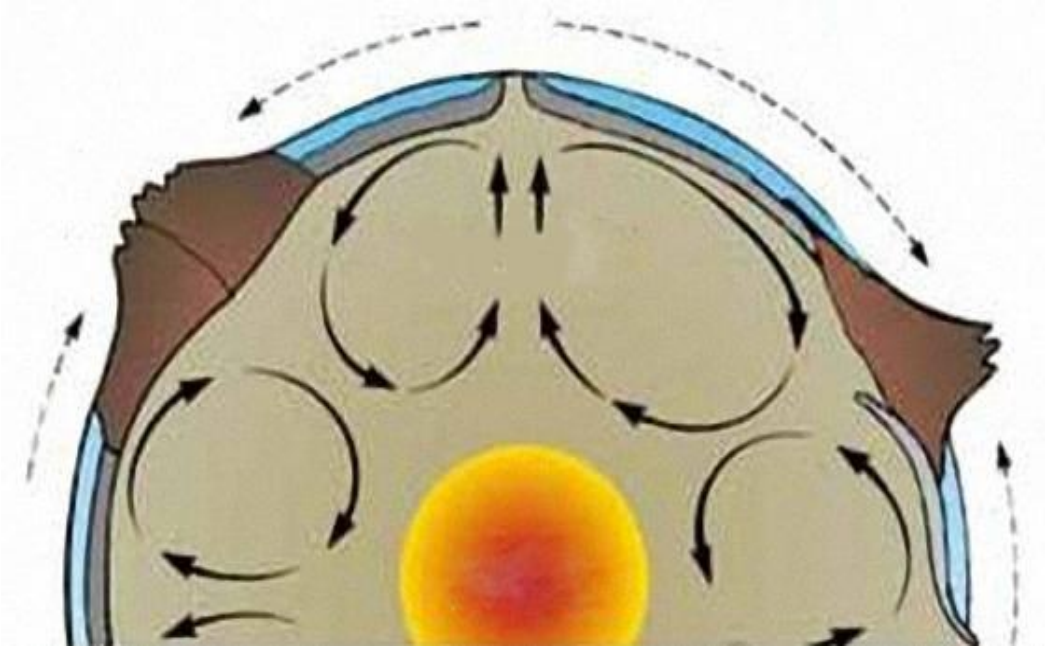

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ
مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النمل: ٨٨؛ اجتهد البعض من الأعلام الأجلاء فحملوا الدلالة على المستقبل البعيد حين تدمير العالم استعدادًا للقيامة وحساب الناس على ما فعلوا، وتردد البعض لأن السياق لا يُساعد، وجزم آخرون فقالوا أن الجبال تتحرك حقيقةً؛ وإن كان بخلاف ما يشاهدون لأنه قول الحق الناطق بالصدق، وأنزل البعض حركة الجبال على حركة كوكب الأرض؛ باعتبار الجبال جزءًا منه، ولكن حركة الأجسام نسبية؛ والغلاف الهوائي المُمَيَّز بالسحاب تابع للكوكب؛ وكذلك الغلاف الصخري المُمَيَّز بالجبال، وإذا تحرك الكوكب تَحَرَّكَا معه، فلا يُمكن وصف حركة جزء إلا بالنسبة لآخر يُعتبر ثابتًا، ولا تصح نسبة حركة طبقة الجبال إلى الكوكب وهي تتحرك معه، والقرآن الكريم صريح في أن طبقة الجبال التي خلقت لاحقا تهيئةً للكوكب فوقه؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾ ٤١فصلت:١٠، وإنما تُنسب حركة الغلاف الصخري المُمَيَّز بالجبال إلى ما دونه؛ كما تُنسب حركة السحاب إلى طبقة الغلاف الصخري دونها، والمعنى إذن المُصَاغ بتلطف لا يلفت عن غرض؛ بيان قدرة الله تعالى والعلم بما خلق؛ إيذانًا بيوم الحساب على ما فعل من خلق، وأن كوكب الأرض طبقات؛ والجبال العِظَام تحملها تيارات باطنية وتُحَرِّكَهَا ببطء، كما تحمل تيارات الهواء السحاب وتُحَرِّكُه ببطء.

الشيخ محمد جمال الدين القاسمي
(دمشق؛ توفى سنة ١٩١٤)

قال القاسمي: "﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨؛ قالوا المُراد بهذه الآية تسيير الجبال.. يوم القيامة (ولكن) لا يُمكن أن يكون المُراد بهذه الآية ما قالوه لعدة وجوه: أن قوله {وترى} لا يُناسب مقام التهويل والتخويف، وكذلك قوله {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} لا يُناسب مقام الإهلاك والإبادة، وهذه الآية صريحة في إرادة الحال؛ (لأن) خراب العالم لا يراه البشر، وإذا رآه أحد شعر به وهذا ينافي {تَحْسَبُهَا جَامِدَةً}؛ أما في الدنيا فلا نشعر بحركة الجبال لأننا نتحرك معها، وهذه الآية في سياق آية {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ}؛ اعتراض في تضاعيف أهوال القيامة، والمُراد بهما ذكر شيء من دلائل قدرة الله تعالى المُشاهدة آثارها في هذا العالم الآن ليكون ذلك دليلاً على قدرته على البعث؛ ولذلك ختم هذه الآية بقوله {إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} فذكر هذه الأشياء في هذا السياق كذكر الدليل مع المدلول؛ أو الحجة مع الدعوى، فهذه الآية صريحة؛ وليس يُمكن حملها على أن ذلك يقع عند قيام الساعة وفساد العالم وخروجه عن مُتعاهد النظام، حيث هو نقض وإهدام وليس صنع وإحكام، وهذا المرور؛ وإن لم يكن مُبصراً محسُوساً، لكنه معجزة للنبيّ ﷺ؛ إذ لم يُخْبَر به غيره من الأنبياء"[٩٧٥].

[٩٧٥] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٧\ ٥٠٨).

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
(تونس: ١٨٧٩-١٩٧٢)

وقال ابن عاشور: "﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨؛ هذه الآية معترضة من تخلل دليل على دقيق صنع الله تعالى في أثناء الإنذار والوعيد، ومر الجبال غير (السير) الذي في قوله تعالى: (ويوم نسير الجبال)؛ وقت اختلال نظام العالم، و(صنع الله) اعتبارًا بحالة نظامها المألوف، وفي مادة صنع معنى التركيب والإيجاد، والإتقان إجادة؛ والهدم لا يحتاج إلى إتقان، و(الذي أتقن كل شيء) تعميم؛ أي هو صنع عجيب مُماثل لأمثاله من الصنائع الإلهية، وهذا يقتضي أن مر الجبال من نوع التكوين واستدامة النظام؛ وليس من نوع الخرم والتفكيك، وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان وجه تشبيه سير الجبال بسير السحاب، وفي هذا استدعاء لأهل العلم، فهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يُدركها أهل العلم، وخص الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ادخار لعلماء أمته الذين يأتون في وقت ظهور هذه الحقيقة؛ إذ لا يتعلق بعلمه للناس مصلحة حينئذ، حتى إذا كشف العلم عنه من نقابه؛ وجد أهل القرآن ذلك حقاً في كتابه، فاستلوا سيف الحجة به وكان في قرابه"[٩٧٦].

[٩٧٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢\ ٥١).

الشيخ عبد الكريم محمود يونس الخطيب
(مصر؛ ١٩١٠-١٩٨٥)

وقال الخطيب: "﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨؛ هو استعراض لبعض مظاهر قدرة الله وحكمته وتدبيره في خلقه، فهذه الجبال التي يراها الرائي فيحسبها جامدة هي في الواقع على غير هذا الظاهر؛ إنها تتحرك في انتظام كما يمُر السحاب، حقيقة لا تُرَى بالعين، والتعبير (صُنْعَ اللَّهِ) فيه دعوة إلى البحث عن هذه الحقيقة؛ حقيقة كامنة تشهد بجلال الله، ولا تنكشف إلا بالعلم؛ والنظر إلى ما خلف صفحة هذا الوجود من نظام، نظرًا يملأ القلوب روعةً وخشوعًا ورهبةً، والتعبير (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) تقرير لتأكيد روعة الصنعة وإحكامها (بنظم مُقدرة بقصد)؛ وهذا لا يكون واقعًا يوم القيامة؛ والجبال قد تناثرت أشلاء"[٩٧٧].

[٩٧٧] عبد الكريم يونس الخطيب؛ التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي بالقاهرة (١١٠\٢٩٧).

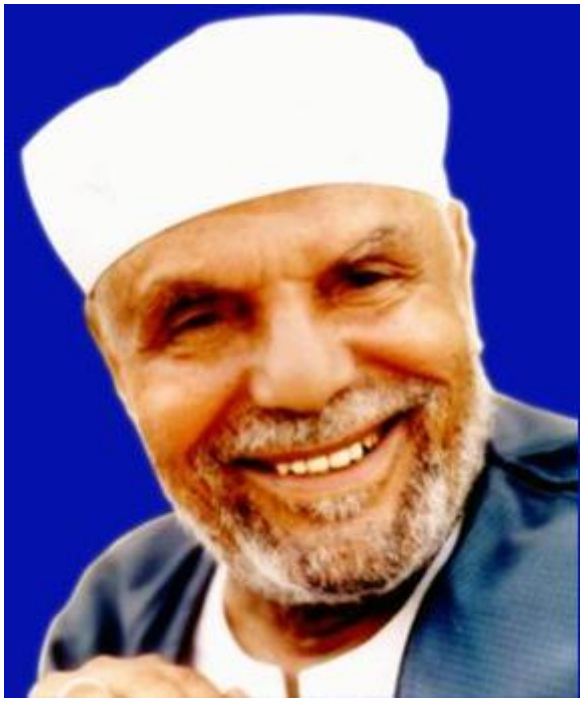

الشيخ محمد متولي الشعراوي
(مصر؛ ١٩١١-١٩٩٨)

وقال الشعراوي: "﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨؛ البعض فهم الآية على أن مرَّ السحاب سيكون في الآخرة، وقد جانبه الصواب، لأنها ستتفتت وتتناثر؛ لا أنها تمر، والكلام هنا مبنيٌّ على الظن {تَحْسَبُهَا} وليس في القيامة ظن؛ إذا قامتْ أحداثها مُتيقنةٌ، ومن الأدلة التي تُثبت صحة ما نميل إليه في معنى حركة الجبال؛ أن قوله تعالى: {صُنْعَ الله الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}؛ امتنان من الله تعالى بصنعته، والله (تعالى) لا يمتنُّ بصنعته يوم القيامة؛ إنما الامتنان علينا الآن ونحن في الدنيا (ببيان دلائل قدرته وعلمه بخفايا خلقه)، ونفهم من هذا القول الكريم أن حركة الجبال ليست ذاتيةً كما يتحرك السحاب تبعاً لحركة الرياح"[٩٧٨].

[٩٧٨] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٧\١٠٨٥٨).

وفي بداية القرن التاسع عشر لاحظ جورج إفرست George Everest أن قوة الجذب المُقاسة بميل البندول في جبال الهيميلايا بالهند أكبر من المُفترض بكثير، ولم يُعرف حينذاك السبب ولذا سميت الظاهرة المحيرة لغز الهند Puzzle of India، وفي عام ١٨٥٥ استبعد جورج إيري George Airy أن تكون الجبال مُثبتة على طبقة صلبة تحتها، فَمَهَّدَ للاستنتاج بأنها تطفو بالألواح القارية Plate Tectonics كالسفن، حيث تمتد جذورها عميقًا في بحر من الصخور الحارة اللينة الأعلى كثافة؛ كرواسي السفن قديما، وهي صخور كبيرة ممتدة عميقا تربطها حبال بجانبي السفينة لتثبيتها حتى لا تميد وتضطرب، فالدور الرئيسي إذن الذي تؤديه الجبال هو تثبيت ألواح الغلاف الصخري لا كوكب الأرض ذاته؛ والمعلوم أن لفظ (الأرض) في القرآن الكريم يأتي بدلالات متباينة يُحددها السياق كالكوكب والتربة والبلد، وقد يعني الغلاف الصخري المميز بالجبال أو ما يصطلح عليه في علوم الأرض Geology باسم الألواح القارية؛ وهو المعنى اللائق بجعل الجبال أوتادًا تثبت الأرض في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ النبأ: ٦و٧، وقد شاغب المُتربصون وقالوا أن القرآن يصرح بثبات كوكب الأرض عن الحركة حول نفسه وحول الشمس في قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ النمل: ٦١، وقوله تعالى: ﴿اللّهُ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً﴾ غافر: ٦٤، وغفلوا عن تعدد دلالة لفظ (الأرض) بحسب قرائن السياق؛ وأنها لا تعني بالضرورة الكوكب، فلفظ (الأرض) في قوله تعالى: ﴿بَقَرَةٌ لاّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ البقرة: ٧١؛ في سياق يتعلق بوصف بقرة تثير الغبار أثناء أعمال الزراعة كالحرث وإدارة ساقية الماء يستقيم حمله على التربة لا الكوكب، ويستقيم حمل لفظ (الأرض) على الغلاف الصخري لا الكوكب؛ في سياق يتعلق بتمهيد غلافًا يحمي من الأخطار دونه بقرينة التمثيل بالبساط والمهاد في قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً﴾ نوح: ١٩، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ النبأ: ٦و٧؛ خاصة مع التمثيل بالرواسي في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىَ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ النحل: ١٥ ولقمان: ١٠؛ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ الأنبياء: ٣١، فالسفن الطافية كانت تُلقي رواسيها الصخرية لئلا تميد فوق التيارات دونها، وهو نفس دور الجبال فوق تيارات عاتية دونها وفق صريح التعبير: ﴿أَأَمِنتُمْ مّن فِي السّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ الملك: ١٦، وتتحرك الألواح القارية ببطء ومعها الجبال، تدفعها تيارات الباطن؛ تمامًا كما تدفع تيارات الريح السحاب ليتحرك ببطء، ولا تفسير سوى الوحي لأوصاف القرآن الكريم تلك للغلاف الصخري؛ وحركة قطعه المتجاورات التي تلتقي مع المعارف التي لم يدركها بشر سوى اليوم.

فالنبأ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النمل: ٨٨، بيان مُستقل كآية على العلم بخفايا التكوين والقدرة الفائقة يهدد العاصين بتحريك أسباب خفيه مقدمة لكوارث ليلحقهم خزي العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة، وتجلت القدرة والعلم في بيان أن الجبال العظام التي تبدو في النظر جامدة تتحرك في الحقيقة حركة بطيئة لا تلحظها عين وتمر بالنسبة لما دونها كما يمر السحاب ببطء شديد بالنسبة لسطح الأرض؛ كما يلاحظه النظر لفترة كافية تتحقق فيها حركته، ويتضمن التشبيه الحركة بآلية واحدة، فكما تحرك السحاب تيارات حمل ودفع تتحرك كتل الجبال كذلك بتيارات دونها، وجاء التعبير (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) متضمنا التهديد للعاصين في الدنيا قبل الآخرة جاعلا حركة كتل الجبال أو ما يسمى بالصفائح القارية الطافية فوق شبه الصهير في الباطن سببا في وقوع كوارث؛ سابقا علم الجيولوجيا بأكثر من ألف عام في المعرفة بأن سبب الزلازل والبراكين حركة تيارات الباطن وتحرك الألواح القارية، وجاء التعبير (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) بيانا لمشيئته تعالى النافذة وقدرته الفائقة؛ مُؤكدا العلم بخفايا التكوين في الدنيا.

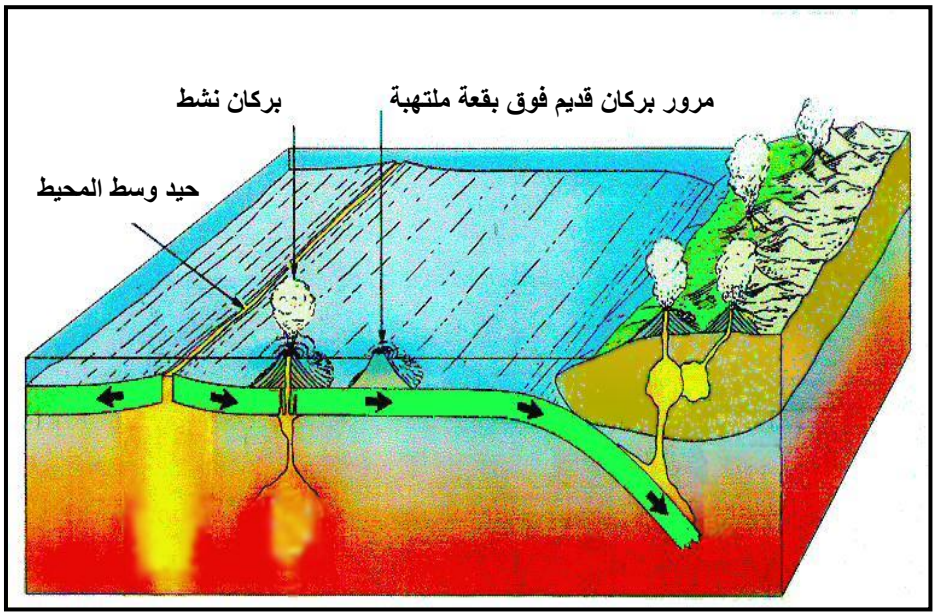

مرور الجبال كمعلم بارز للألواح القارية التي تمر على الدوام فوق الطبقة اللدنة دونها.

والآية الكريمة تعني أن الجبال ليست بجامدة الحركة كما يحسبها القاطنون على سطح الأرض ويستخدمونها علامات جغرافية؛ وإنما تمر مرورا يكاد ألا يدرك كما يمر السحاب بطيئا في النظر، ويتفق هذا مع المعرفة الحديثة بحركة الجبال بالنسبة لما تحتها والمشبهة في الآية الكريمة بحركة السحاب بالنسبة لسطح الأرض، وتسمى تلك الحركة البطيئة بحركة الألواح القارية Plate tectonics، ويتضمن هذا التشبيه الدقيق جملة من وجوه الشبه عدا الحركة البطيئة، فإن تيارات الحمل من الرياح هي التي تحمل وتنقل السحب كقطع متجاورة، وكذلك تحمل تيارات الحمل من دوامات الصهير تحت القشرة وتحرك القطع المتجاورات أو الألواح القارية المميزة بالجبال، وبوسع العلماء الآن إدراك تحرك الجبال بقياس المسافة الأفقية بين نقطتين على جبلين ثم قياس نفس المسافة على فترات متطاولة كما يدرك مرور السحاب بالنظرة المتطاولة لا الخاطفة، وبهذه الطريقة اكتشف تزايد المسافة بانتظام منذ أوائل السبعينات مع شيوع نظرية ألواح الغلاف الصخري في عام ١٩٦٢، فالجبال على جانبي البحر الأحمر على سبيل المثال تتحرك بمعدل سنوي يتراوح من ٢- ٦ سم، وذلك نتيجة اتساع قاع البحر الأحمر من منتصفه، وقد فهم المفسرون هذه الآية الكريمة على أنها من علامات الساعة باعتبار أن سير الجبال من علاماتها، وتلك الآية تقع بين آيتين تتحدثان عن يوم القيامة، ولكنها تخبر عن واقع معاين؛ جبال قائمة يحسبها المرء جامدة لا تتحرك، بينما جبال الآخرة ليست قائمة أصلا كي يصح أن توصف بأن المرء يحسبها جامدة وهي لا توصف بفعل يفيد الظن لأن حركتها يقينية، وقد صفت في الآخرة بأوصاف لا تحتمل التأويل تدل على خرابها مثل العهن منفوش، وهذا لا يعيب المفسرين في شيء فإن المعرفة الحديثة بحركة الجبال على خلاف المشاهد لم تكن لتخطر على بال أحد إلا أن تكون وحيا من الله تعالى تأييدا للنبي الخاتم؛ الذي لا ينطق عن الهوى.

وهكذا تحقق ما وَعَدَنَا به الحق تبارك وتعالى بأن في القرآن الكريم أنباء ستتضح معانيها في مُستقبل الأيام كآيات تثبت كل حين أنه الحق للعالمين؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٦٧، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ النمل: ٩٣، إذن من القرآن ما يَحَار في دلالته الأولون ويفسره الزمان؛ حتى يستقر في الأذهان، ولم تكن البيئة العربية مؤهلة لِتُخَاطَب بعلوم الكون؛ وإن كانوا أبلغ فُصَحَاء عصرهم، ونصيب اللاحقين إذن يتعلق بكشف أسرار الكون قبل أن تنكشف للناس؛ وفق ما يُفِيدُه صريحًا قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فصلت: ٥٣.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً} أي واقفة، {وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} أي لا يُرى سيرها لبعد أطرافها كما لا يُرى سير السحاب إذا انبسط لبعد أطرافه، وهذا مثل؛ وفيم ضرب له ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للدنيا يظن الناظر إليها أنها واقفة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب؛ قاله سهل بن عبد الله، الثاني: أنه مثل ضربه الله للإيمان؛ تحسبه ثابتاً في القلب وعمله صاعد إلى السماء، الثالث: أنه مثل للنفس عند خروج الروح، والروح تسير إلى القدس، {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} أي فعل الله الذي أتقن كل شيء، وفيه أربعة أوجه؛ أحدها: أحكم كل شيء؛ قاله ابن عباس، الثاني: أحصى؛ قاله مجاهد، الثالث: أحسن؛ قاله السدي، الرابع: أوثق، واختلف فيها فقال الضحاك: هي كلمة سريانية، وقال غيره: هي عربية مأخوذ من إتقان الشيء إذا أحكم وأوثق، وأصلها من التقن وهو ما ثقل من الحوض من طينه"[٩٧٩].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}: نقل القرطبي عن الإمام القشيرى أنه قال: وهذا يوم القيامة، ثم قال: أي: تمر مرّ السحاب، حتى لا يبق منها شيءٌ: {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا}..، ونحن نوافقه على ذلك مراعاة للسياق، وإلى هذا الرأي مال صاحب إرشاد العقل السليم فقد قال: إنه مما يقع بعد النفخة الثانية كالفزع المذكور عند حشر الخلق، يبدل الله تعالى شأنه الأرض غير الأرض ويغير هيئتها، ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة يشاهدها أهل المحشر، وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى، لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا. فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا. لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا. يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ}، وقوله سبحانه: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل، وبروز الخلق الله تعالى لا يكون إلا عند النفخة الثانية. ونقل الألوسى عن بعض المفسرين أن ذلك مما يقع عند النفخة الأولى، وعقب عليه بما يرجح كونه بعد النفخة الثانية، والله تعالى أعلم، ويُعقِّبُ الله ذلك التغيير الكوني الخطير بقوله سبحانه: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} أي: ما تقدم من النفخ في الصور وما ترتب عليه من فزع أهل السموات والأرض إلا من شاء، ومجيء الخلائق جميعا تلبية لنداء البعث والحشر، وتحويل الجبال إلى ما يشبه العهن المنفوش، ومرورها مر السحاب في طريقها إلى الزوال، كل ذلك صنعه الله الذي أتقن كل شيء، وبناه على الحكم المستتبعة للغايات الجليلة، وليس ذلك من باب الإخلال والإفساد دون حكمة. وقد ختمت الآية بقوله تعالى: {إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} وهو تعليل لما تقدم من النفخ في الصور وفزع أهل السموات والأرض ومجيئهم إليه صاغرين للحساب، وقد اعترض بينهما بذكر تحويل الجبال إلى عهن منفوش يسير سير السحاب في طريقه إلى الزوال بعد أن كانت جامدة، توفية لمقام الحديث عن الأهوال التي تحيط بيوم الحساب والجزاء وقال العلامة الطيبى: قوله: {إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} إلخ؛ استئناف وقع جوابا لقول من يسأل فماذا يكون بعد هذه القوارع؟ فقيل: إن الله خبير بعمل العاملين، فيجازيهم على أعمالهم"[٩٨٠].

---

[٩٧٩] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٤\ ٢٣٠).

[٩٨٠] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٧\ ١٧٢٣).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Geology

علوم الأرض

المَوْضُوع Subject

Tectonic Plates

الألواح القارية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣الرعد:٣و٤.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ ١٥الحجر:١٩و٢٠.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٦النحل:١٥.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ ٢٠طه:٥٣و٥٤.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣١و٣٢.
- ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ٣١لقمان:١٠.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٠غافر:٦٤.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ٤٣الزخرف:١٠و١١.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٥٠ق:٧.
- ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ. وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٨و٤٩.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا. لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ٧١نوح:١٩و٢٠.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا. وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ ٧٧المرسلات:٢٥-٢٧.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨النبأ:٦و٧.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا. وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:١-٦.

- **﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٨٨.**

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
٢٩العنكبوت:٢٠.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٢٩العنكبوت:١٩-٢٢.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾، ﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Say: Travel (all over) in the earth, and see how Allah did originate creation; so will Allah produce a later creation; surely Allah has power over all things (Omnipotent).

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

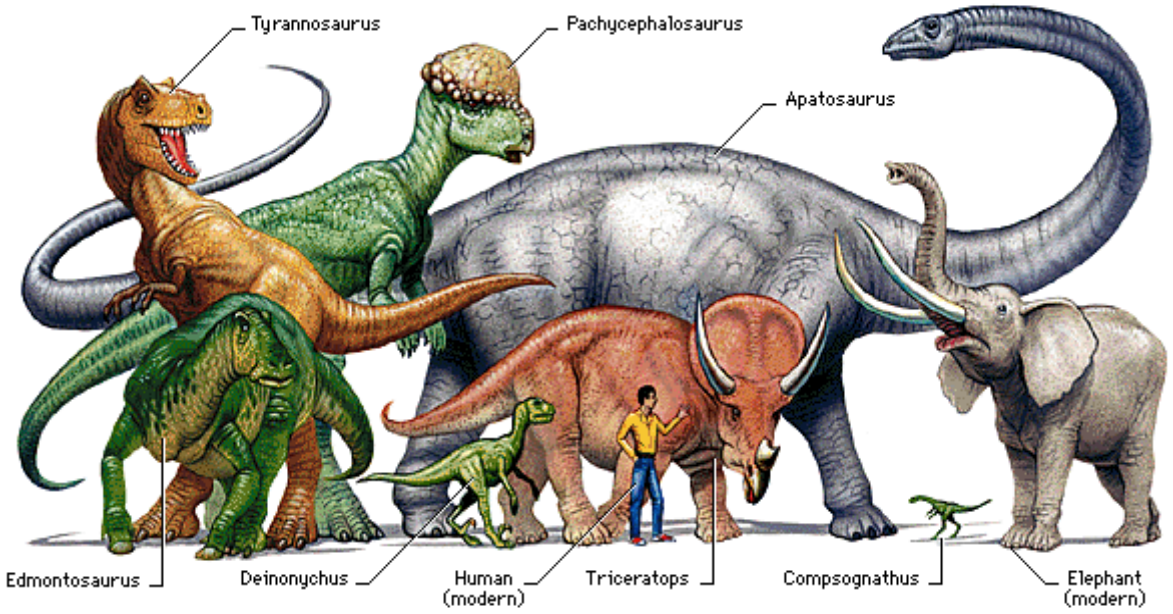

الإنسان اليوم

كشف التنقيب حديثًا فصائل من الديناصورات تفوق بمرات حجم الإنسان اليوم؛ فالأرض إذن لم تكن دومًا كما هي اليوم، وفي قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾؛ وعد باكتشاف البشرية صدق الأنباء العلمية عندما تمتلك أدوات العلم، ومن تلك الأنباء الفريدة قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت: ٢٠؛ وهو يُفيد أن التنقيب قد يكشف صفحات من تاريخ العالم قد طواها الزمان تشمل الديناصور وتفيض، ولا يُعارضه النبأ: ﴿مَآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ الكهف: ٥١؛ فلا يُفيد أن البحث في تاريخ العالم طريق مسدود وقد طالب بالسير فيه، وإنما يُفيد أن نشأة الإنسان هي الفصل الأخير.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت: ٢٠؛ دلالة صريحة على أن لهذا الكون ابتداء، ويُفضي اكتشاف الكيفية إلى النشأة بغير سابق مثال؛ ليقطع بوحدانية الله تعالى وقدرته على الإعادة والبعث والحساب، وهو صريح التعقيب: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ٢٩العنكبوت: ٢١.

والتصور الحالي أن آخر حدث في نشأة عالمنا هو تبرد السطح المُلتهب للأرض؛ فسمح لبخار الماء المُتكثف في الجو الأولي لينهمر لعصور مطرًا، وأن الماء غمر سطح الأرض وأحاط بالقارة الأولية الأم Pangea؛ وكَوَّن المُحيط الأولي الأم Panthalassic Ocean، فلم يكن للماء إذن وجود قبيل اكتمال خلق السماوات والأرض تمهيدًا لنشأة الحياة: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ٢١الأنبياء: ٣٠؛ قال ابن عاشور: "الرَّتْقُ الِاتِّصَالُ وَالتَّلَاصُقُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الشَّيْءِ، وَالْفَتْقُ ضِدُّهُ؛ وَهُوَ الِانْفِصَالُ وَالتَّبَاعُدُ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ، وَالْإِخْبَارُ عَنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِأَنَّهُمَا رَتْقٌ؛ إِخْبَارٌ بِالْمَصْدَرِ لِلْمُبَالَغَةِ.. لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى عِظَمِ الْقُدْرَةِ وَعَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ.. يَكُونَ.. الْفَتْقُ عَلَى التَّوْزِيعِ.. (و) أَنْ يُرَادَ بِالرَّتْقِ اتِّحَادُ الْمَوْجُودَاتِ (عند بدء الخلق) حِينَ كَانَتْ مَادَّةً وَاحِدَةً"[٩٨١].

[٩٨١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١٧\ ٥٣).

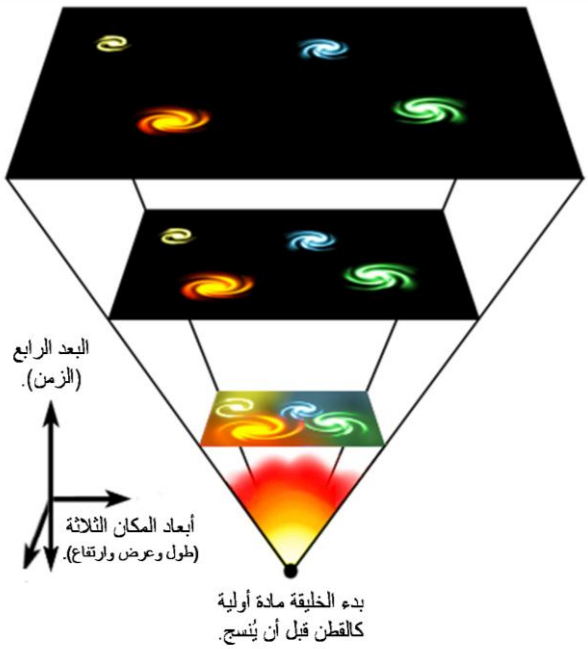

وإذا تتبعنا الغُصن المُثمر بالذكاء في الأرض والمُمَثَّل بالنظام الشمسي أو المجموعة الكوكبية في الأفق الأدنى نجده أحد امتدادات غصن أكبر يُسمى عنقود النجوم المحلية Local Cluster of Stars، وهو يُكون مع أمثاله في أفق أعلى ما يُسمى بالعنقود العملاق للنجوم Super-Cluster of Stars، وهو أحد لبنات مجرتنا: الطريق اللبني، وهي بدورها ضمن زمرة تربو على ٣٠ مجرة تُسمى العنقود المجري المحلي Local Cluster of Galaxies، وهو بدوره ليس إلا أحد لبنات العنقود العملاق للمجرات Super-Cluster of Galaxies، وقد كان الظن أنه آخر ما يُمكن رصده؛ حتى ثبت أخيرًا أنه يتجمع مع مئات العناقيد العملاقة ليشكل خيط رفيع في مِعْمَار النسيج الكوني Cosmic Weave، وليست الأرض المُفعمة بالحياة سوى ثمرة في شجرة مُترامية الأطراف أغصانها لا تُعد؛ فكم يَعُج إذن هذا الكون بالذكاء!.

فحمل الفتق على التوزيع، يعني أن تَفَتُّق البِنْيَة الأولية مُتدرج في مراحل؛ تشققت الكتل الأكبر إلى أصغر فأصغر لتُشكل الفضاء إلى سماوات؛ حتى استقلت كتلة شكلت كوكب الأرض من بعد، وترتيب ذكر الموجودات في مقام بيان أحداث الخلق يتفق مع التصور الحالي في علم الكون: تجمعات مجرية عظمى تكون بنية خيوط النسيج الكوني؛ مُكونة من تجمعات مجرية أقل لبنة بناء كل منها مجرة، والمجرة تتكون من تجمعات نجمية عظمى مُكونة من مجموعات نجمية أقل؛ وحتى سديم مجموعتنا الشمسية، حيث استقلت الكتلة المركزية وتكاثفت تحت تأثير جاذبيتها فازدادت حرارتها وكونت الشمس التي أخذت في الإضاءة، بينما استقلت الكواكب والأرض وتابعها القمر عند الأطراف، ونتيجة للتكاثف كان القمر جسمًا مُلتهبًا؛ ما لبث أن برد سطحه وفقد غلافه الجوي لقلة كتلته، بينما حافظت جاذبية الأرض المُلتهبة على الجو الذي تشكل لاحقًا من الدخان المُتصاعد إلى طبقات وسماوات محلية تتبع الأرض في سيرها.

وتتكامل النصوص في القرآن الكريم لتروي قصة الخليقة مُحَافِظَةً على نفس ترتيب الأحداث بلا أدنى تعارُض؛ وتتفق مع ما انتهى إليه علم الكون اليوم، وما أجمله موضع فصله سواه، وكان إيجاد الماء دومًا في ترتيب النظم قُبيل اكتمال خلق السماوات والأرض تمهيدًا لنشأة الحياة، والقصد منذ البدء التمهيد لنشأة الإنسان المفطُور على العبادة: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠؛ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ١١هود:٧.

والعرش من المُتشابه؛ الأسلم فيه: التفويض لعلام الغيوب، وإن تأولوه على التمثيل بأحوال الملوك لبيان استقرار المُلْك بعد اكتمال الخلق؛ وأن السلطان والتَصَرُّف وتدبير أمر كل شيء لله تعالى وحده، قال محمد رشيد رضا: "لَمْ يَشْتَبِهْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي مَعْنَى اسْتِوَاءِ الرَّبِّ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ؛ عَلَى عِلْمِهِمْ بِتَنَزُّهِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ صِفَاتِ الْبَشَرِ..، إِذْ كَانُوا يَفْهَمُونَ أَنَّ اسْتِوَاءَهُ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ عِبَارَةٌ عَنِ اسْتِقَامَةِ أَمْرِ مُلْكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ وَانْفِرَادِهِ هُوَ بِتَدْبِيرِهِ"[٩٨٢]، أي أن تدبيره تعالى لأمر السماوات والأرض بعد أن اكتمل خلقهما، وقال الألوسي: "إذا فُسِّر العرش بالمُلك؛ صَحَّ أن يُقال: إنه تعالى إنما استوى مُلكه بعد خلق السماوات والأرض"[٩٨٣]، وصريح النصوص؛ خاصة بدلالة (ثُمَّ) على التعقيب، أن الاستواء على العرش مؤخر بعد اكتمال الخلق واستقرار الأمر وتفرده تعالى بتدبيره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ١٠يونس:٣، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ

[٩٨٢] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (٨\ ٤٠١).

[٩٨٣] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (٤\ ٣٧٥).

الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ٧الأعراف:٥٤، ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ١٣الرعد:٢، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ٣٢السجدة:٤و٥.

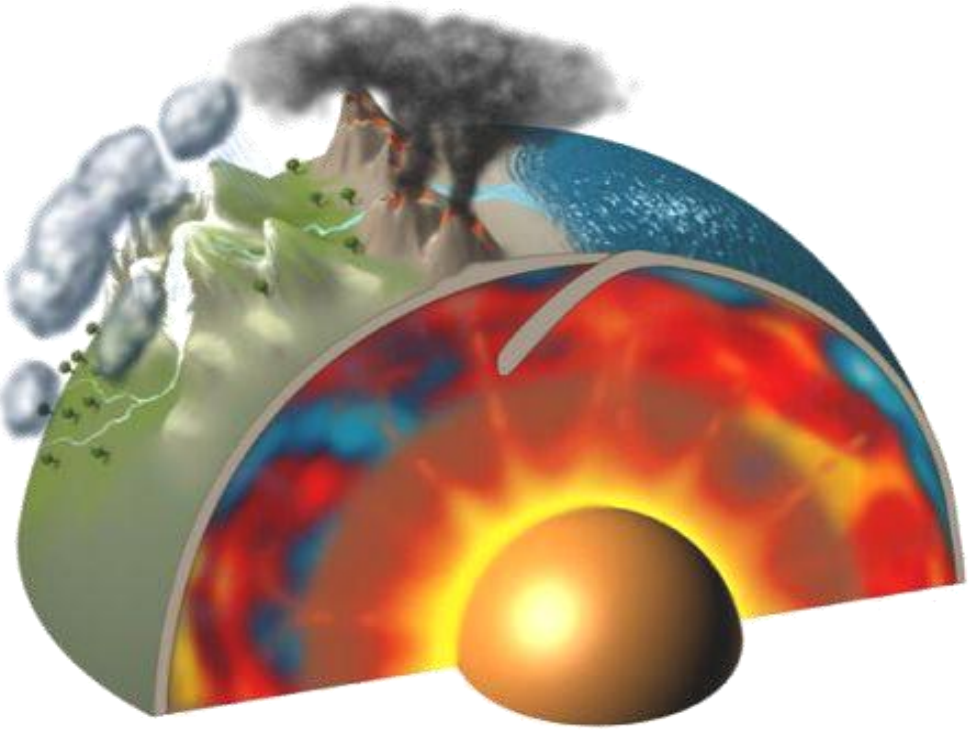

والثابت أن الماء قد خرج من الأرض حين التهابها من البراكين الأولية العملاقة مع انبعاث الدخان منها ليكون الجو الأولي، وبصريح التعبير (بَعْدَ ذَلِكَ)؛ النص قاطع في أن وجود الماء على سطح الأرض ناتج عن خروجه منها أثناء تكونها بعد نشأة العالم وإيجادها: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣، ولم يكُن الماء قد ظهر بعد على سطح الأرض حتى انخفضت درجة حرارته؛ فسمح للتيارات العاتية المُتلاطمة والمُثقلة ببخار الماء الحار أن تُنزل حمولتها وَتصُب الماء صبًّا لعصور؛ حتى غمر الماء سطح الأرض، وهو صريح النبأ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا. وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ ٧٨النبأ:١٢-١٥، الماء إذن بشير يسبق عمران الأرض بالحياة وإرهاص بقرب موعد مجيء الإنسان: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

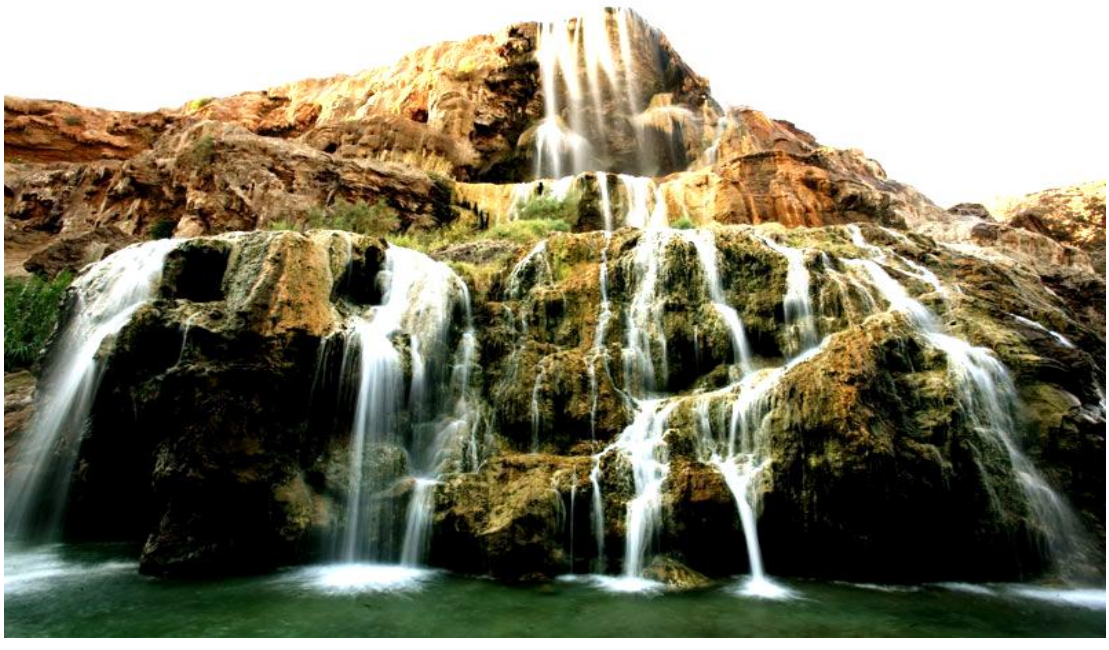

وتتفق أنباء القرآن الكريم إذن مع ما كشفته العلوم من فصول قصة الخلق في عصر العلم، بخلاف التصور القديم بأن الماء كان موجودًا قبل خلق السماوات والأرض وأنه مادة بناء العالم، وهو ما تبناه كتبة الأسفار بحسب رواية أحدهم: (السماوات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله قائمة من الماء وبالماء) رسالة بطرس الثانية: ٣ \ ٥ 2Peter[٩٨٤]، بينما البدء وفق سفر التكوين هو خلق السماوات والأرض، ولم يوجد الماء على سطح الأرض إلا في نهاية التكوين، حين كانت الأرض خربة وخالية من الحياة لم تستقر بعد؛ تُحيطها ظلمة الجو الأولي ورياح عاتية تهب على وجه المياه: (في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه) تكوين: ١ \ ١و٢ Genesis، وتفسيرها: "كان الماء جزءًا من الأرض عندما كانت خربة وخالية..، رمزًا لعدم الاستقرار"[٩٨٥]، وقال ابن تيمية: "فِي السِّفْرِ الْأَوَّلِ سِفْرِ الْخَلِيقَةِ..، أَخْبَرَ أَنَّهُ كَانَ الْمَاءُ فَوْقَ التُّرَابِ، وَالْهَوَاءُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَرُوحُ اللَّهِ هِيَ الرِّيحُ الَّتِي كَانَتْ فَوْقَ الْمَاءِ، هَذَا تَفْسِيرُ جَمِيعِ الْأُمَمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَعُقَلَاءِ النَّصَارَى..، وَالرِّيحُ تُسَمَّى رُوحًا..، وَلَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ أَنَّ حَيَاةَ اللَّهِ كَانَتْ تَرِفُّ عَلَى الْمَاءِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ..، وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنِ الرِّيحِ الَّتِي كَانَتْ تَتَحَرَّكُ فَوْقَ الْمَاءِ"[٩٨٦].

واعترف الأب أسطفان شربنتييه بجرأة في كتابه المُترجم باسم: (دليل إلى قراءة الكتاب المُقدس) قائلاً: "قد نجد في الكتاب المُقدس كثيرًا من الأمور غير المُطابقة للواقع"[٩٨٧]، والاعتذار الذي تبناه المُحدثون بحسب دائرة المعارف الكتابية: "يجب عدم الخلط بين التعليم الكتابي وأي نظرية علمية..، فالهدف من التعليم الكتابي.. هو هدف أخلاقي ديني"[٩٨٨]، ولكن شهادة الواقع برهان قاطع يُميز الدخيل عن الأصيل؛ ولا يرُدها مُدافع عن التقليد بمنقُول صادم للعلم والوحي الأصيل.

أما رواية الحديث فتخضع لتحقيق المُختصين سندًا ومتنًا، والمُشكل روايات تجعل الماء قبل خلق السماوات والأرض؛ بل بخمسين ألف سنة، والزمن وليد حركة أجرام؛ ولم تكن قد تكونت بعد، وظاهرها يُعارض أزلية الخالق وحده تعالى وخلق السماوات والأرض من عدم وليس من الماء، وهي بذاتها مُتناقضة تنفي أزلية الماء: (كان الله تعالى ولم يكن معه شيء)، وتُناقض الروايات بأن أول ما خلق الله تعالى القلم بالمقادير تصويرًا لسبق التقدير، والمُشكل متروك لأهل الاختصاص، وتمحُّك المُتربص إذن برواية حديث تهرُّب للمُتشابه من قواطع نصوص القرآن الكريم؛ وهو المُتَحَدَّى وَحْدَهُ بلفظه ومعناه، ويكفي ورود الأنهار والبحار خلال نشأة الأرض ليقطع بأن الماء تكون مع السطح الصخري وليس بأزلي: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل: ٦١.

---

[٩٨٤] موقع الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي، كنيسة الإسكندرية مصر.

[٩٨٥] موقع الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي، كنيسة الإسكندرية مصر.

[٩٨٦] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة بالسعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م (١٣ ٢٤١).

[٩٨٧] الأب الفرنسي أسطفان شربنتييه؛ دليل إلى قراءة الكتاب المُقدس، ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي؛ ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٢ (ص٩).

[٩٨٨] دائرة المعارف الكتابية؛ مادة: خليقة.

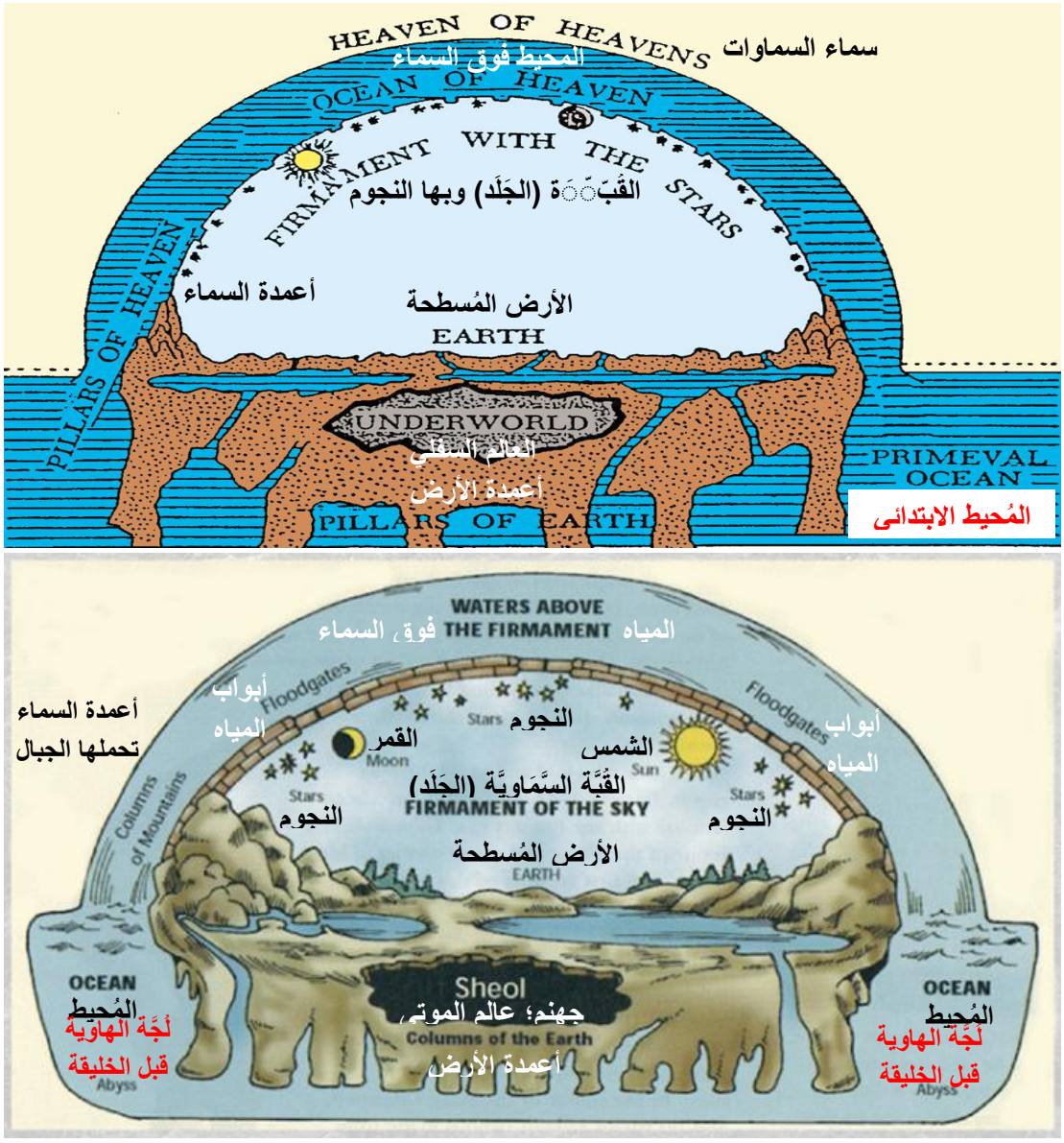

والتصور عند كتبة الأسفار والذي تناقله الآباء لأجيال حتى مشارف عصر العلم؛ هو أن لجة الماء Abyss قبل الخليقة، والماء يُحيط بالسماوات فوق النجوم؛ ويُحيط بالأرض المُسطحة وكأنها جزيرة في بحر ترتكز على أعمدة، أما أعمدة السماوات فترتكز على رءوس الجبال، وفي سماء السماوات يُشرف كرسي مادي يُجسد عرش الله تعالى؛ فوقعوا في ضلال التجسيم، بينما التفويض هو مذهب أئمة المُسلمين، قال طنطاوي: "أما الاستواء على العرش؛ فذهب سلف الأمة إلى أنه صفة الله تعالى بلا كيف ولا انحصار ولا تشبيه ولا تمثيل، لاستحالة اتصافه سبحانه بصفات المُحدثين؛ ولوجوب تنزيهُه عما لا يليق به: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٤٢ الشورى: ١١، وأنه يجب الإيمان بها كما وردت؛ وتفويض العلم بحقيقتها إليه تعالى"[٩٨٩].

وقال الإيجي: "﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ١١ هود: ٧؛ الكلام على التوزيع، فكان خلق السماوات في يومين والأرض.. في يومين، وما عليها من أنواع الحيوان والنبات والأقوات والجمادات في يومين، والمُراد بالأيام هنا الأوقات، أي في ستة أوقات..، وقيل المُراد هنا الأيام المعروفة.. أولها الأحد وآخرها الجمعة، ولا يستقيم ذلك لأنه لم تَكُن حينئذٍ أرض ولا سماء، وليس اليوم إلا عبارة عن مدة كون الشمس فوق الأرض..، وهذا مُشكل جداً إذ لا يتعين الأحد ولا غيره من الأيام إلا عند وجودها بالفعل،

[٩٨٩] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (١٥ ٢٨٤).

وفي تلك الحال لم يَكُن زمان قط؛ فضلاً عن تفضيله أيامًا، فضلاً عن تخصيص كل يوم باسم"[٩٩٠]، وقال ناصر مكارم: "المقصُود بذلك هو مراحل الخلق؛ التي استنفذت من الزمن.. ملايين بل وبلايين السنين"[٩٩١].

وقال ابن كثير في نقد حديث إنزال الأيام الستة على أيام الأسبوع سندًا ومتنًا: "فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده.. عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي؛ فقال: (خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة..)؛ فقد رواه مسلم بن الحجاج.. والنسائي.. عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج..؛ وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعًا"[٩٩٢]، "وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَرَائِبِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ"[٩٩٣]، وتُطابق تلك الرواية بالفعل ما ورد في الأسفار من نشأة النبات قبل نُور الشمس: "وقال الله لتُنبت الأرض عشبًا وبقلاً يبزر بزرًا وشجرًا ذا ثمر.. وكان مساء وكان صباح يوما ثالثًا، وقال الله لتكن أنوارًا.. فعمل الله النورين العظيمين؛ النور الأكبر لحُكم النهار والنور الأصغر لحُكم الليل.. وكان مساء وكان صباح يومًا رابعًا" تكوين:١ ١٦ Genesis[٩٩٤].

وفي سبعة مواضع يُقرر القرآن الكريم أن خلق العالم قد تم في عملية واحدة ذات أطوار كما لو كان بناءً واحدًا تتابع تشييد خطة تصميمه المُقدرة منذ بدء نشأته: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الأعراف:٥٤، يونس:٣، هود:٧، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، ق:٣٨، الحديد:٤، والأيام ذوات العدد في مقام بناء الكون هي أقرب مثال لبيان سبق التقدير والقصد منذ البدء لا الصدفة العمياء؛ خاصة أن التمثيل هو الأسلوب الأمثل في تعبير القرآن الكريم لكشف الحقائق الخفية بضرب المثل بالنظير المألوف، فيستقيم إذن أن تكون الستة أيام تمثيلاً؛ خاصة أن الزمن ناتج عن حركة أجرام، وعند التكوين لم تُوجد أجرام بعد، والكون بهذا ليس أبدي الوجود؛ وإنما تشكل في فترات مُتعاقبة مُقدرة.

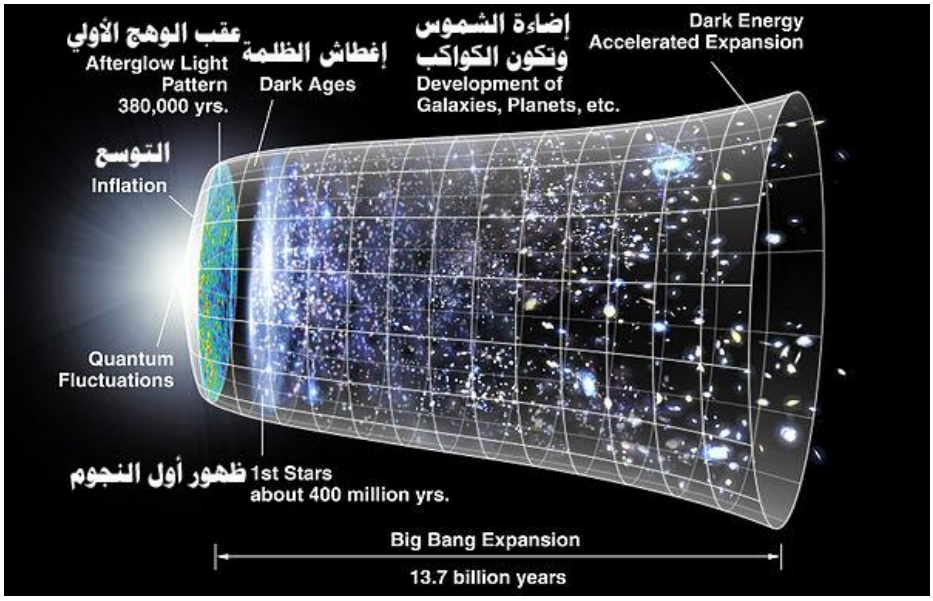

وقال الشوكاني: "المُراد بالأيام الأوقات؛ أي في ستة أوقات..، ولا يستقيم أن يكون المُراد بالأيام هنا الأيام المعروفة وهي المُقابلة لليالي؛ لأنه لم يكن حينئذ لا أرض ولا سماء"[٩٩٥]، وقال أبو السعود: "السماوات في يومين، والأرض في يومين، وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات.. في يومين، والمُراد بالأيام الأوقات..، فإن اليوم في المُتعارف زمان كون الشمس فوق الأرض، ولا يُتصور ذلك حين لا أرض ولا سماء"[٩٩٦]، وقال السمعاني: "قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا

---

[٩٩٠] أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي؛ فتحُ البيان في مقاصد القرآن، راجعه عَبد الله الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة صَيدَا بَيروت؛ ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م (١٦ ١٤٣).

[٩٩١] نَاصِر مَكارم الشِيرازي؛ الأمثل في تفسير كتَابِ اللهِ المُنزَل، الموقع الرسمي للمؤلف (١١٥ ٣٦١).

[٩٩٢] تفسير ابن كثير (ج٢ص٢٢١).

[٩٩٣] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ (١١ ٢١٤).

[٩٩٤] ترجمة سميث وفانديك Smith & Van Dyke VSD، نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية مصر.

[٩٩٥] فتح القدير للشوكاني (ج٢ص٤٨٢).

[٩٩٦] تفسير أبو السعود (ج٤ص١٨٧).

وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ ٤١فصلت:٩و١٠؛ أي في تمام أربعة أيام مع اليومين الأولين، وهذا كالرجل يقول: ذهبت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وذهبت من بغداد إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، أي في تمام خمسة عشر يوما..؛ هذا كلام العرب، ومن طعن فيه لم يعرف كلام العرب"[٩٩٧].

الفترات الأربعة إذن التي تم فيها خلق الأرض وُصفت بالأيام؛ ليس على ظاهر اللفظ وإنما من باب التمثيل، وبمقياس الأيام تساوت مرحلة تكوين الأرض الأولية مع مرحلة التكميل بنشأة الغلاف الصخري فوقها وأوليات الأحياء، فالنبأ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾؛ تصريح بالانتهاء، والنبأ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ٤١فصلت:١١و١٢؛ تعبير تصويري عن إطاعة الجمادات للتقدير المُسبق كأنها عُقلاء مُكلفين تعريضًا بالإنسان، ولا يصح إذن بعد نشأة الأحياء حمله على مرحلة خلق تالية؛ وقد انتهى خلق الأرض، وإنما يستقيم عودة جملة: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) على جملة: (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ)، فتكون جملة: (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) اعتراض؛ وبيان باكتمال نشأة الأرض بغلافها الصخري والجوي في أربعة أيام، فيعني أن سماء الكون التي نشأت سابقًا: في يومين.

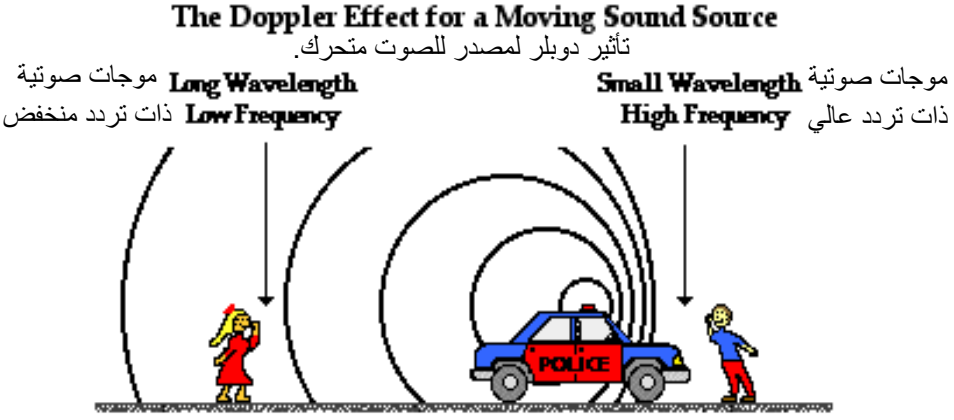

وعلميًّا عندما يكون مصدر مُوجة صوتية أو ضوئية مُقتربًا؛ تتضاغط أمامه الموجات ويتزايد ترددها، بينما تتخلخل إذا كان مُبتعداً، وبرصد انحراف خطوط طيف المجرات العُظمى للجانب الأحمر Red Shift اكتشف إدوين

[٩٩٧] تفسير السمعاني (ج٥ص٤٢).

هابل Edwin Hubble عام ١٩٢٩ أنها تبدو في تباعُد تتزايد سرعته مع البعد بمعدل ثابت؛ سُمِّيَ بثابت هابل Constant Hubble، ومع بلوغ سرعة التباعُد قيمة سرعة الضوء القادم منها لا تُشاهد؛ ويَتَعَيَّن حد الكون المُمْكِن الرَّصد، وبالتالي يُمكن تقدير عمر الكون وفق قانون هابل: عمر الكون = {سرعة الضوء×مليون}\ ثابت هابل، وباعتبار قيمة ثابت هابل تتراوح بين ٣٠ و٢٠ كما ثانية؛ يكون عمر الكون حوالي: ١٢,٥ (١٠-١٥) بليون سنة.

وفي عام ٢٠٠١ نتيجة لتمايز طفيف بالخلفية الإشعاعية قَدَّر تشارليس بينيت Charles Bennett أن عمره: الكون: ١٣,٧٥ بليون سنة، وفي نفس العام اكتشف روجر كيريل Roger Cayrel وفريقه من عدة دول؛ عنصر مُشع معلوم نصف العمر في نجم قديم، فقدر أن عمر الكون على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة؛ باعتبار أن عمر الكون لا يقل عن عمر أقدم مادة فيه، واستخدام العناصر المُشعة أسلوب حديث واعد؛ يُبشر بدقة التقديرات.

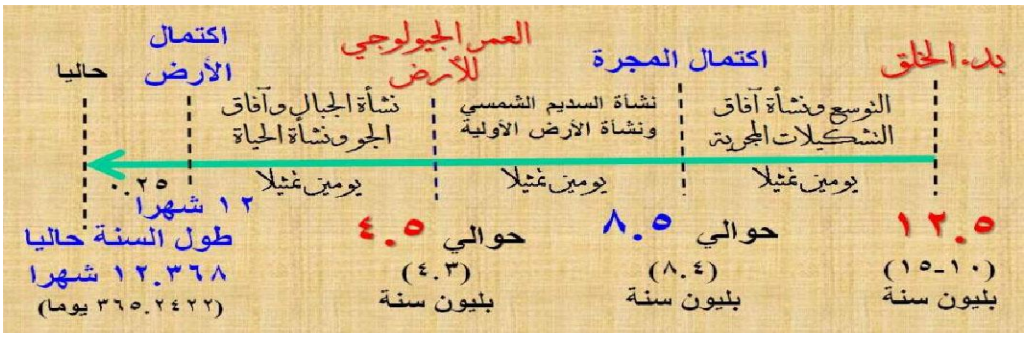

فإذا كان خلق الكون كله في ستة أيام تعبيرًا بالتمثيل بأيام الأسبوع المعهودة عن تلك الأزمنة الهائلة فوق كل تصور قديم؛ فإن خلق الأرض بدون السطح الصخري والجو في يومين ومجموع فترات خلقها أربعة أيام؛ وباعتبار أن اكتمال خلق الأرض بغلافها الصخري والجوي قد وقع منذ حوالي: ٠,٢٥ بليون سنة؛ حين ارتفعت نسبة الأكسجين في الجو ونشأت أم القارات Pangea وبدأت تنقسم إلى القارات الحالية، ووقع أكبر هلاك جماعي للأحياء في تاريخ الأرض Permian–Triassic Extinction[٩٩٨]؛ وأن العمر الجيولوجي للأرض على أقصى تقدير: ٤,٧٥ (٤,٥-٥) بليون سنة، وعلى أقل تقدير: ٤,٣ (٤-٤,٦) بليون سنة، يكون بدء خلق الكون قد وقع على أقصى تقدير منذ: ١٣,٧٥ بليون سنة، وإذا أخذنا بالأحوط؛ تكون النشأة الكونية على أقل تقدير منذ: ١٢,٥ بليون سنة.

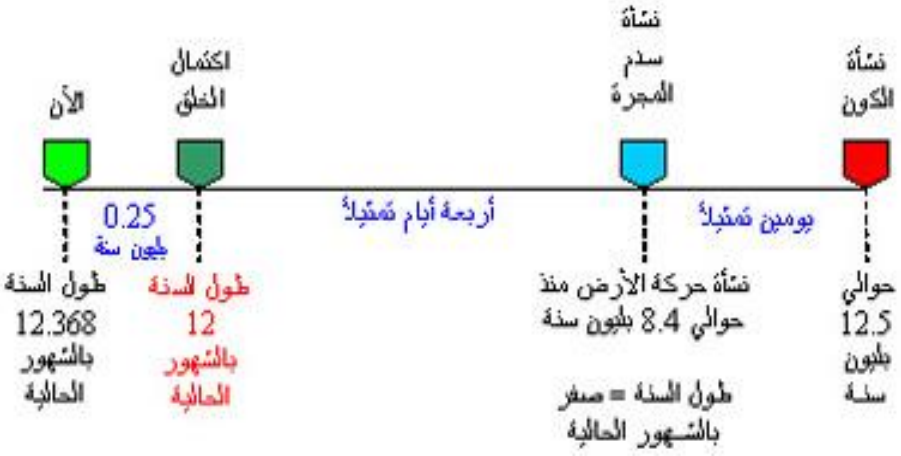

[٩٩٨] انقراض العصر البرمي الترياسي المعروف باسم الموت العظيم هو انقراض جماعي وقع منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة، بين العصرين الجيولوجيين البرمي والترياسي، كان هذا الحدث أكبر انقراض جماعي شهده الأرض؛ قضى على نحو ٩٦ ٪ من كل أنواع الأحياء البحرية و٧٠ ٪ من الفقاريات الأرضية (ويكيبيديا).

وإذا كان الزمان قد تطاول حتى أصبحت السنة الشمسية ٣٦٥,٢٤٢١٩ يومًا، أي ١٢,٣٦٨ بالشهور القمرية الحالية في: ٨,٤ بليون سنة، وكانت عند الاكتمال: ١٢ شهراً قمريا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ٩التوبة:٣٦، وبالاكتفاء بالقمرية بحذف النسيء لمضاهاة الشمسية يكون الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض؛ كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، ونظير الستة أيام تمثيلاً؛ يتأكد أن عمر الكون على الأقل: ١٢,٥ (١٠-١٥) بليون سنة.

ومدة دورة الشمس حول مركز المجرة حوالي: ٠,٢٥ بليون سنة أرضية، وتُسمى سنة كونية Cosmic Year، وبأكبر مقياس للزمن في عالمنا يكون عمر الكون على الأقل: ٥٠ سنة، ويقطع الضوء المسافة لطرف الكون المُمكن الرصد في مدة تماثل عمر الكون، وإذا اعتُبرت الأرض ساكنة وفق ما كان الناس يَعُدُّونَهَا Geocentric Model وحركة القمر المقياس؛ تكون سرعة الضوء: مسافة ألف سنة قمرية في يوم، وبإيجاز: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥، وتُقطع أقصى مسافة في: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء؛ أي أن أكبر مسافة مُمكنة الرصد: ٥٠ سنة كونية بسرعة ألف سنة قمرية في يوم[٩٩٩]، وبإيجاز: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٧٠المعارج:٤.

جيمس أوشر James Ussher
(١٥٨١-١٦٥٦)

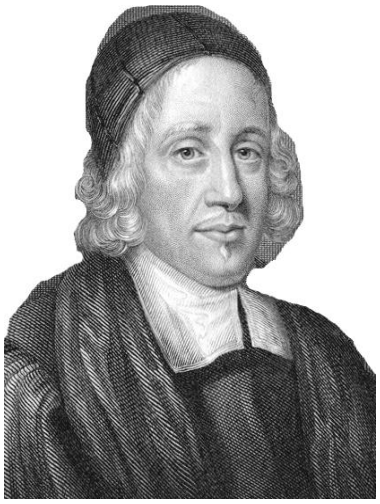

جون لايتفوت John Lightfoot
(١٦٠٢-١٦٧٥)

وفي عام ١٦٥٤ نشر جيمس أوشر James Ussher (١٥٨١-١٦٥٦) كبير أساقفة الكنيسة الأيرلندية استنتاجه من أسفار العهد القديم؛ أن بدء خلق العالم كان ليلة الأحد ٢٣ أكتوبر عام ٤٠٠٤ ق.م، بينما اختار القس جون لايتفوت John Lightfoot (١٦٠٢-١٦٧٥) عام ٣٩٢٩ ق.م؛ أي بعد نشأة حضارات مصر وبلاد ما بين النهرين بقرون[١٠٠٠]، ومرجع الخطأ حمل تعبير (ستة أيام) على ظاهر اللفظ لا التمثيل؛ وهو نفس الخطأ الفادح للآباء من قبل في حمل تعبير (ابن الله) على الظاهر لا التمثيل فحادوا عن مبدأ التوحيد، وهكذا أثبتت الأيام كم بَعُدَ الآباء والأتباع المُقلدين عن الحقيقة.

قال الرازي: "في ستة أيام إشارة إلى ستة أطوار..، المُراد من الأيام لا يُمكن أن يكون هو المفهوم في وضع اللغة؛ لأن اليوم عبارة عن زمان مُكث الشمس فوق الأرض من الطلوع إلى الغروب، وقبل السماوات لم يكُن شمس ولا قمر، لكن اليوم يُطلق ويُراد به الوقت..، وقال بعض المفسرين المُراد من الآية الرد على اليهود؛ حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت..، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ٥٠ق:٣٨؛ ردًّا عليهم.. أي ما تعبنا، وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة؛ فهو إما تحريف منهم، أو لم يعلموا تأويله، وذلك لأن الأحد والاثنين أزمنة مُتميز بعضها عن بعض، فلو كان خلق السماوات ابتدئ يوم الأحد؛ لكان الزمان مُتحققا قبل الأجسام، والزمان لا ينفك عن الأجسام"[١٠٠١].

---

[٩٩٩] بحث منشور باسم: سرعة الضوء في القرآن الكريم؛ تناول دراسة للآيات الكريمة: ٢٢الحج:٤٧، ٣٢السجدة:٥، ٧٠المعارج:٤.

[١٠٠٠] English Wikipedia; the international Encyclopedia: Annals of the Old Testament deduced from the first origins of the world

[١٠٠١] التفسير الكبير للرازي (ج٢٨ص١٥٨).

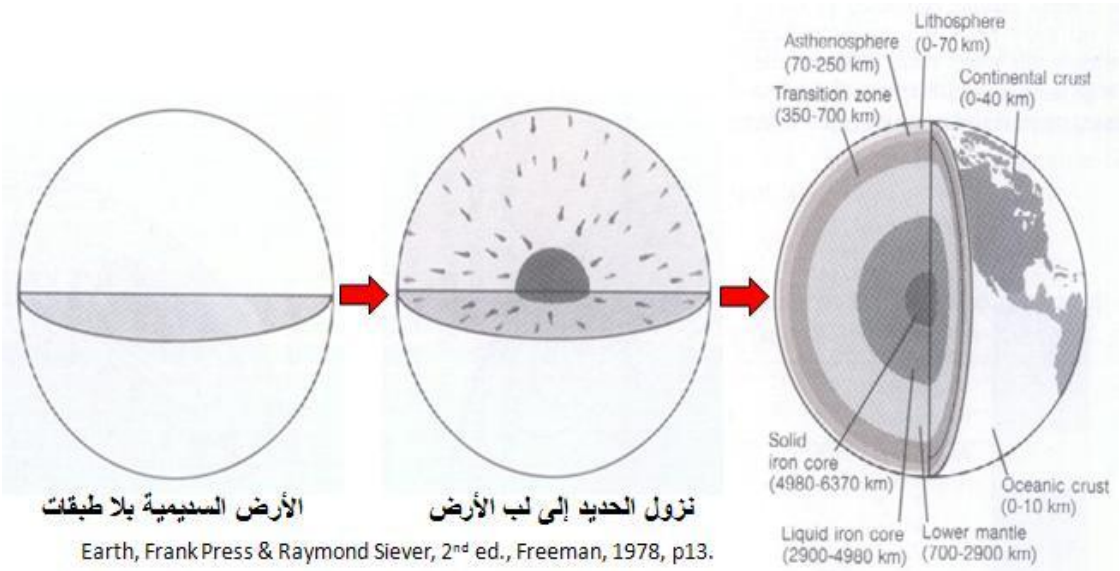

ونشأة الأرض؛ كما يرويها الجيولوجيان فرانك بريس frank Press وريموند سييفر Raymond Siever في كتابهما: الأرض Earth؛ أنها كانت كتلة متجانسة بلا طبقات، ومع خروج المواد الأخف والماء خاصة باتجاه السطح ونزول المواد الأثقل؛ خاصةً الحديد ليكون مُعظم لب الأرض، نشأت الطبقات[١٠٠٢]، وقد أورد القرآن الكريم قصة الخلق بنفس الترتيب كما ترويه حقائق علوم الأرض في الوقت الحاضر، وجاء وصف تكون الماء كأحد الفصول خلال مراحل مقدرة الترتيب، قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ النازعات: ٣٠-٣٢، وفي المُقابل نزل الحديد عند التكوين نحو اللب لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ الحديد: ٢٥.

وقوله تعالى (أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا) تعبير بالمآل، ويعني أن كل ما يُنسب إليها اليوم من نباتات المراعي التي تتغذى عليها المواشي وكل ما يُنسب إليها من ماء بكل أشكاله قد خرج أساسًا منها عند بدء تشكلها، والمعلوم حاليا بالفعل أن الكوكب كان ملتهبا قبل أن تكون سطحه وأن بخار الماء الخارج مع الانبعاثات البركانية النشطة كان عالقًا بالجو الأولي ولم يتمكن من النزول حتى برد السطح فاستمر هطول الأمطار حقبًا حتى تكونت كافة أشكال المياه، ومَهَّدَ الماء لنشأة النبات الذي أطلق الأوكسجين بالجو وقلل من ثاني أكسيد الكربون فمكن لنشأة الحيوان والإنسان من بعد، وتُلاحظ في التعبير ترتيبا لمراحل تكون الحياة ابتداءً من الماء تلته نباتات المراعي الخضراء كمثال لكافة أشكال النبات.

[١٠٠٢] Earth, Frank Press & Raymond Siever, 2nd ed., Freeman, 1978, p13 & 17.

قال ابن عاشور: "المرعى.. مصدر.. أُطلق على المفعول؛ كالخلق بمعنى المخلوق، أي أخرج منها ما يُرعى، والرعي حقيقته تناول الماشية الكلأ..، فالاقتصار على المرعى اكتفاء عن ذكر ما تُخرجه الأرض من الثمار والحبوب؛ لأن ذكر المرعى يدل على لطف الله بالعجماوات، فيعرف منه أن اللطف بالإنسان أحرى..، والقرينة على الاكتفاء قوله تعالى بعده: (متاعا لكم ولأنعامكم)"[١٠٠٣]، وقال سيد قطب: "وإرساء الجبال وهو نتيجة لاستقرار سطح الأرض ووصول درجة حرارته (المرتفعة ابتداءً) إلى هذا الاعتدال؛ الذي يسمح بالحياة، والله تعالى أخرج من الأرض ماءها، (يعني) سواء ما يتفجر من الينابيع أو ما ينزل من السماء فهو أصلاً من مائها الذي تبخر ثم نزل في صورة مطر، وأخرج من الأرض مرعاها؛ وهو النبات الذي يأكله الناس والأنعام وتعيش عليه الأحياء"[١٠٠٤].

١٠٠٣ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ (ج ١ / ص ٤٧١٧).

١٠٠٤ في ظلال القرآن لسيد قطب المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ (ج ٧ / ص ٤٤٦).

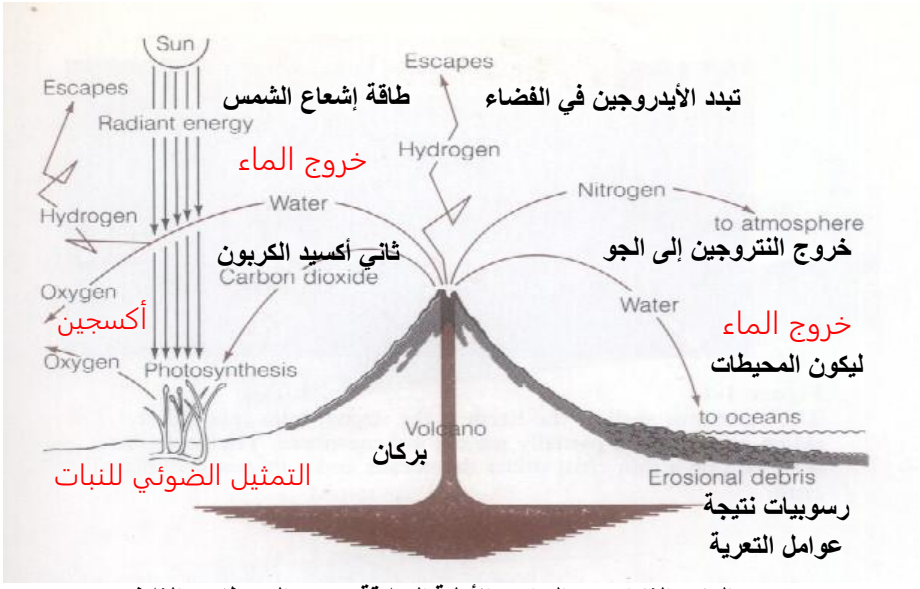

خروج الماء والغازات من البراكين الأولية العلاقة وتكون المحيطات والغلاف الجوي والرسوبيات والتمهيد للتمثيل الضوئي للنباتات.

Earth, frank Press & Raymond Siever, 2nd ed., Freeman, 1978, p 17.

وأصل المياه على سطح الأرض هو ما خرج من باطنها من مواد خفيفة عند نشأتها وخلال الثورات البركانية العنيفة عند نشأة سطحها[١٠٠٥]، قال الجيولوجي د. زغلول النجار: "الشواهد العديدة التي تجمعت لدي العلماء تؤكد أن كل ماء الأرض قد أُخرج أصلا من جوفها، ولا يزال خروجه مُستمرا من داخل الأرض عبر الثورات البركانية..، (و) بتحليل الأبخرة المتصاعدة من فوهات البراكين في أماكن مختلفة من الأرض اتضح أن بخار الماء تصل نسبته إلي أكثر من ٧٠% من مجموع تلك الغازات والأبخرة البركانية، بينما يتكون الباقي من أخلاط مُختلفة من الغازات..، (و) الصهارة الصخرية (إذن).. هي مصدر رئيسي للمياه الأرضية..، وقد ثبت أنها المصدر الرئيسي للغلاف المائي والغازي للأرض..، فقد أصبح من المقبُول عند عُلماء الأرض أن النشاط البُركاني الذي صاحب تكوين الغلاف الصخري للأرض في بدء خلقها هو المسئول عن تكون كل من غلافيها المائي والغازي"[١٠٠٦].

[١٠٠٥] **Earth, frank Press & Raymond Siever, 2nd ed., Freeman, 1978, p 17.**

[١٠٠٦] الموقع الرسمي للدكتور زغلول النجار؛ والنص نقله عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَمَّاش في تفسيره: الحَاوى في تَفْسِيرِ القُرْآنِ الْكَرِيمِ، دَولَةُ الإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ (١٨٠٠ ٢٧٠).

وإذا تقرر بالنص الصريح أن أصل ماء الأرض قد خرج أساسًا منها؛ فلا يرد إشكالا على بيان نزول الماء من السماء في جملة آيات، لأنه يتعلق بوصف مرحلة تالية في تاريخ الأرض تتفق تمامًا مع المعرفة الحديثة بأن الماء الذي خرج منها لم يتمكن من النزول مطرًا حتى هبطت درجة حرارة السطح وتميزت معالمه؛ خاصةً أن حمل تعبير (السماء) على الغلاف الجوي يستقيم وفق القرائن، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ البقرة:٢٢؛ قال ابن عاشور: "(والسماء بناء) بكون تلك الكرة الهوائية واقية للناس من إضرار طبقات فوقها..، فالكرة الهوائية جُعلت فوق هذا العالم فهي كالبناء له.. فشبهت به..، والمُراد بالسماء هنا إطلاقها العرفي عند العرب وهو ما يبدو للناظر كالقبة الزرقاء، وهو كرة الهواء المحيط بالأرض؛ كما هو المُراد في قوله تعالى: (أو كصيب من السماء)، وهذا هو المُراد الغالب..، وأما وجه شبه السماء بالبناء فهو أن الكرة الهوائية جعلها الله حاجزة..، فهي كالبناء فيما يُراد له البناء؛ وهو الوقاية من الأضرار النازلة..، وهذا كقوله تعالى..: (وجعلنا السماء سقفا محفوظا)"[١٠٠٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام:٩٩؛ قال: "(من) في قوله تعالى (من السماء) ابتدائية؛ لأن ماء المطر يتكون في طبقات الجو.. عند تصاعد البخار الأرضي إليها؛ فيصير البخار كثيفًا وهو السحاب، ثم يستحيل ماء، فالسماء (هنا).. الجو حيث تتكون الأمطار"[١٠٠٨]، وهكذا يعبر النظم عن الحقائق الخفية زمن التنزيل بعبارة لا تلفت عن غرض ولا يفوت مضمونها عند اكتشاف الحقائق.

١٠٠٧ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ (ج ١ / ص ١٩٣).

١٠٠٨ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ (ج ١ / ص ١٣٧٢).

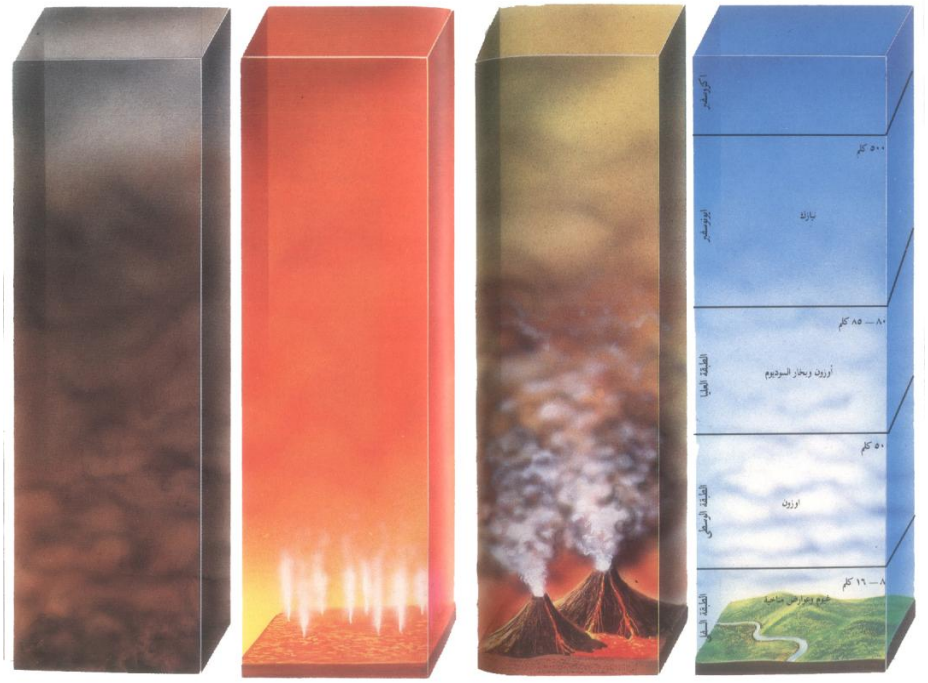

نشأ الغلاف الجوي من الدخان المُنبعث من البراكين العملاقة للأرض الأولية أثناء تكون غلافها الصخري (الموسوعة العالمية العربية المصورة مجلد١٨ ص٣٢٧٥).

البيان التصويري: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢؛ يكشف تاريخ الأرض، والقصد مُباشرة بعد تكوين الأرض بغير السطح الصخري؛ إلى تشكيل السماء المحلية يعكس التقدير بقصد منذ البدء لتهيئة الظروف لنشأة الوعي في الأرض، ويعنى التهاب الأرض وإصدارها دخانًا نشأ منه الجو خلال نشأة السطح.

وقد ذهب الأعلام إلى أن السماء التي تشكلت طبقات بعد تشكيل الأرض ليست كل ما يعلُوها من الكون، وإنما جو الأرض كان دخانًا خرج منها عند تكونها فتشكل طبقات؛ يعني في آخر يومين من الأربعة، وجملة: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)؛ اعتراضية أفادت أن خلق الأرض قد تم في أربعة أيام من الستة أيام لخلق الكون، في نفس فترة تكوين طبقات الجو؛ الأرض إذن كانت نارية مُلتهبة، وما زال باطنها يمُور في دوامات حمم هائلة تحمينا منها قشرة رقيقة: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ٦٧الملك:١٦، ويكشف النبأ أن السماء اللاحقة بالأرض والتابعة لها في الحركة كانت دخانًا؛ بعد نشأة كل الطبقات الداخلية للأرض، والقرينة: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا)؛ وهو صريح في أن السطح الصخري قد تشكل بعد خلق الأرض الأولية، ويعني أنها كانت كتلة نارية مُلتهبة؛ بقرينة ما أصدرته من دخان كون السماء المحلية الأولية؛ قبل تشكلها إلى سماوات.

والإتيان لازمه الحركة؛ وهي تعود على الأرض والجو المحيط، والتعبير (ائْتِيَا) و(أَتَيْنَا) يعنى ملازمة الحركة أي معًا، وتوجيه الأمر لهما معًا يفيد عدم التلازم إلى أن صدر هذا الأمر؛ مما يتفق مع المعرفة حديثًا بتبدد الجو الأولي خلفها، ففي التمثيل أن هذا الدخان كان يتبدد ولا يرافق الأرض في سيرها حتى استقر وتحول لطبقات وأصبح كالسقف المحفوظ من التبدد وليس حافظًا فحسب؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ١٧الإسراء:١٢؛ وجه التفسير بأن القمر كان جسمًا مُلتهبًا كالشمس أثناء تكوينه معها؛ يؤيد التهاب الأرض أثناء فترة تكوين الشمس والقمر، قال القرطبي: "(فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ).. لَمْ يَقُلْ: فَمَحَوْنَا اللَّيْلَ؛ فَلَمَّا أَضَافَ الْآيَةَ إِلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْآيَتَيْنِ المذكورتين لهما لا هما..، و(فَمَحَوْنا) مَعْنَاهُ طَمَسْنَا..، (أي أن) الْقَمَرِ.. كَانَ كَالشَّمْسِ..، (يعني) هُوَ يَوْمئِذٍ شَمْسٌ (عند تكوينه)؛ فَطَمَسَ ضَوْءَهُ وَبَقِيَ نُورُهُ..، (وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً) أَيْ جَعَلْنَا شَمْسَهُ مُضِيئَةً لِلْأَبْصَارِ"[١٠٠٩]، وقال القنوجي: "(فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ) أي طمسنا نورها، وقد كان القمر كالشمس..، (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي مبصراً فيها..، وقيل آية النهار الشمس، كما أن آية الليل القمر، فمعنى وجعلنا آية النهار مبصرة، أي جعلنا شمس النهار مُضيئة تُبصر بها الأشياء رؤية بينة"[١٠١٠]، وقال أحمد حطيبة: "{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} الإسراء:١٢، فالله جعل الليل آية؛ وجعل النهار آية، وجعل آية النهار الشمس ترونها؛ وجعل آية الليل القمر، قال: {فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ} الإسراء:١٢؛ يعني محا من القمر نوره، وعلماء الفلك يقولون: كان القمر يومًا من الأيام مُشتعلاً مُتوهجاً كالشمس، قالوا ذلك الآن؛ وقالها قبلهم ابن عباس قبل ألف وأربعمائة سنة، قال ذلك مفسراً هذه الآية؛ يقول: كان القمر مُضيئاً كالشمس، فمحا الله عز وجل النور الذي كان فيه، قال الله: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً}؛ بينة مُضيئة يراها كل ذي عينين"[١٠١١].

وفي النبأ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٢البقرة:٢٩؛ تأكيد لتاريخ كوكب الأرض، وما كان يتبعه من سماء محلية أولية؛ تشكلت إلى طبقات بعد تشكل جميع طبقاته الداخلية، ويتضمن الدلالة على أن الطبقة السطحية المُتبقية ليكتمل كوكب الأرض؛ قد تشكلت في نفس فترة تشكيل طبقات الجو.

وفي بيان تاريخ الأرض والجو تمهيدًا لنشأة الإنسان وتأكيدًا لسبق التقدير وبالغ الاقتدار على البعث للحساب؛ يبلغ التمثيل الإخبار عن الأرض والسماء التي كانت دخانًا كأنهما عاقلين يستجيبا طائعين، تعريضًا بالمُكابرين عن البراهين،

[١٠٠٩] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٠\ ٢٢٧).

[١٠١٠] أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي؛ فتحُ البيان في مقاصد القرآن، راجعه عَبد الله الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة صَيدَا بَيروت؛ ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م (٧\ ٣٦٢).

[١٠١١] أحمد حطيبة؛ تفسير أحمد حطيبة، دروس مفرغة نشرها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس، والصفحات ترقيم موقع المكتبة الشاملة (٣١\١١٩).

وفي التفسير الوسيط: "قوله تعالى: {ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا}.. تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما عن ذلك لا إثبات الطوع والكره لهما، وقيل..: {أَتَيْنَا طَائِعِينَ}.. إنما هذا كناية عن الطاعة والإذعان والامتثال؛ وهو الظاهر، وقال سبحانه: {طَائِعِينَ} بجمع المُذكر العاقل، ولم يقل: طائعتين على اللفظ ولا طائعات على المعنى..؛ وذلك من صفات من يعقل أجراهما مجرى العقلاء في التعبير عنهما، ومثله قوله تعالى..: {رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}؛ مع أن الضمير في {رَأَيْتُهُمْ} ضمير جماعة العقلاء، وقد عاد إلى الشمس والقمر والكواكب وهي غير عاقلة، {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} أي: ما تقدم من خلق الأَرض.. وخلق السماء.. هو صنع العظيم القدرة الكامل العلم، وما أحسن هذه الخاتمة وهذا التذييل لتلك الآيات فهذه الأعمال العظيمة لا تحصل ولا تتم إلا بقدرة كاملة وعلم مُحيط"[١٠١٢].

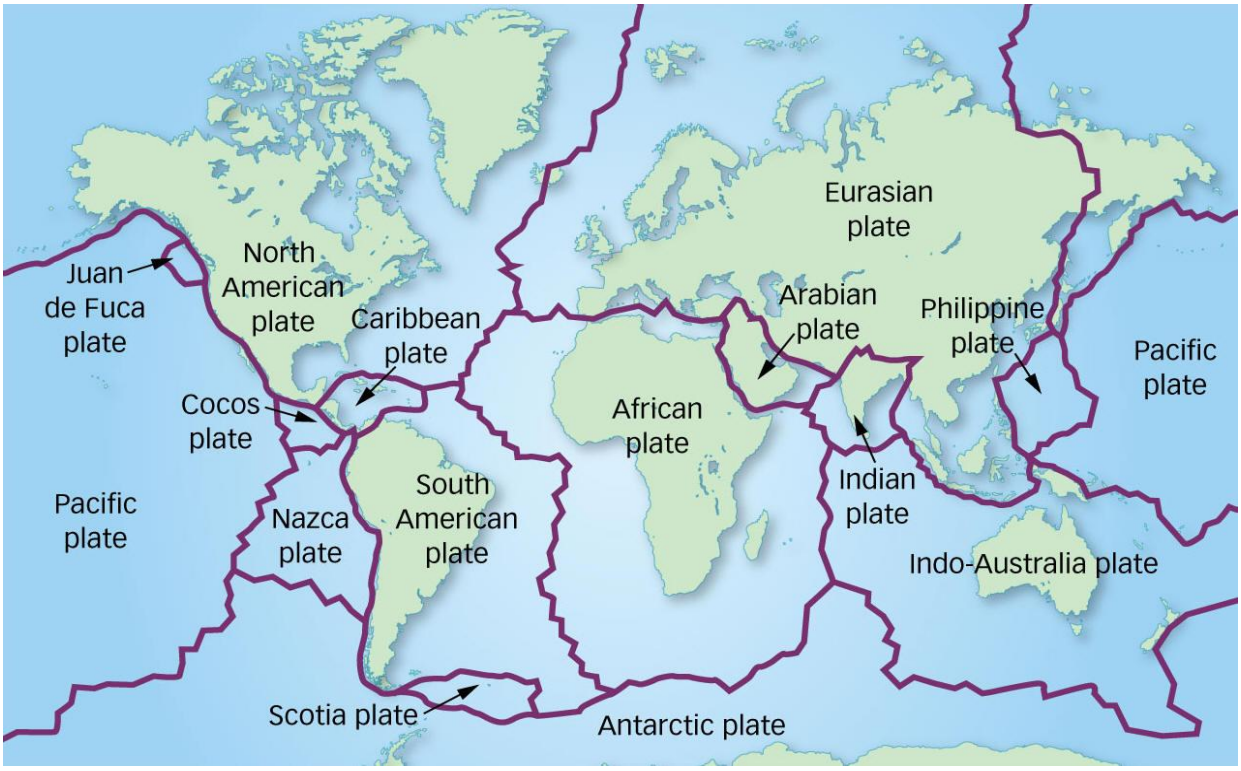

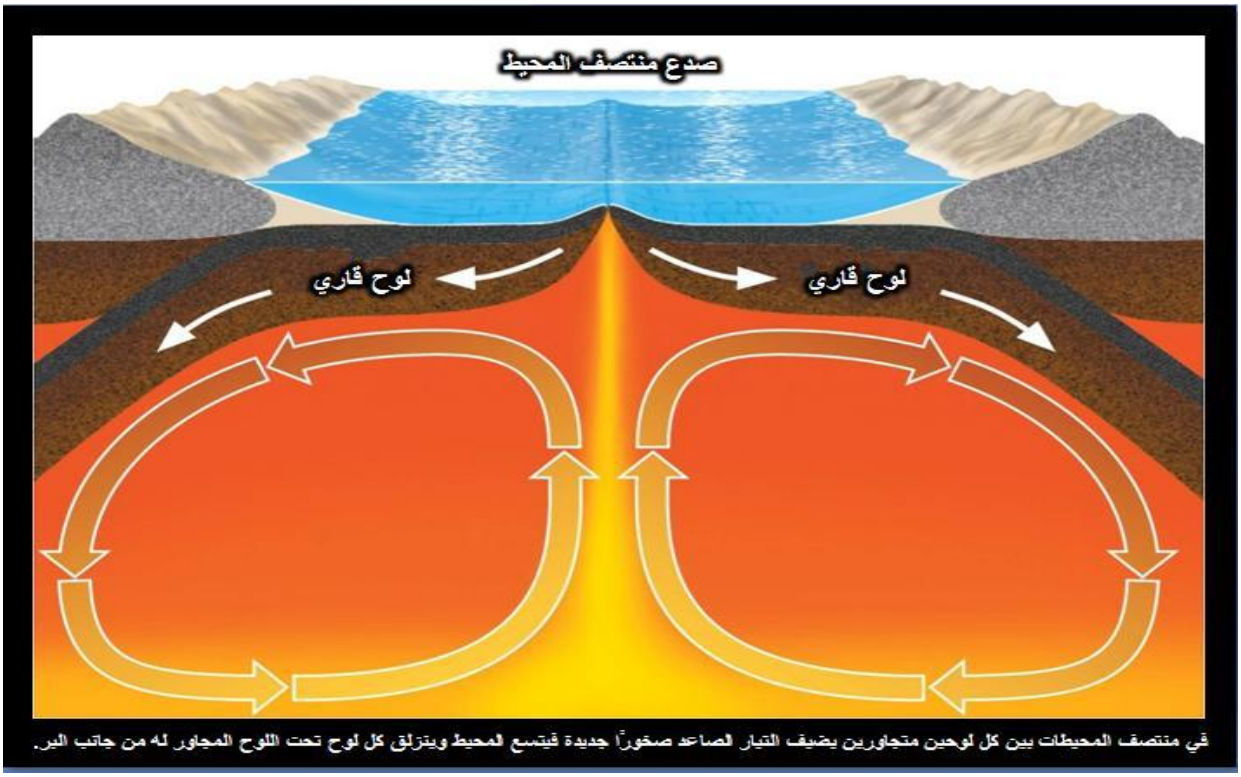

[١٠١٢] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (٨/ ٦٨٠).

وقد اكتشف علماء الجيولوجيا حديثًا أن القشرة الأرضية الصلبة مقسمة بشبكة من الصدوع العميقة إلى ألواح قارية Plate tectonics بهيئة قطع متجاورات تتسم بالصلابة وتطفو كالسفن الرواسي فوق محيط من دوامات الصهارة Magma ، وتستقيم تلك الحقيقة مع دلالة جملة نصوص في القرآن الكريم يستقيم حملها على وصف السطح الصخري للكوكب بلفظ (الأرض)، وقد احتار المفسرون في تنزيلها على الواقع المجهول قبل عصر الكشوف العلمية واتضاح الحقائق؛ مثل قوله تعالى: (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) الطارق:١٢، وقوله تعالى: (وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ) الرعد:٤؛ خاصة أن لفظ (قطع) لا يستقيم أن يُوصف به إلا شيء صلب، وهو جيولوجيا ما يُميز سطح الكوكب Crust عن الدثار Mantle اللين دونه، وتصعد الحمم Lava من بين الألواح القارية في قيعان البحار العظمى لتضيف مادة جديدة إلى كل لوحين متجاورين، وبزيادة طرف ينقص اللوح من الطرف الآخر بالانثناء تحت اللوح

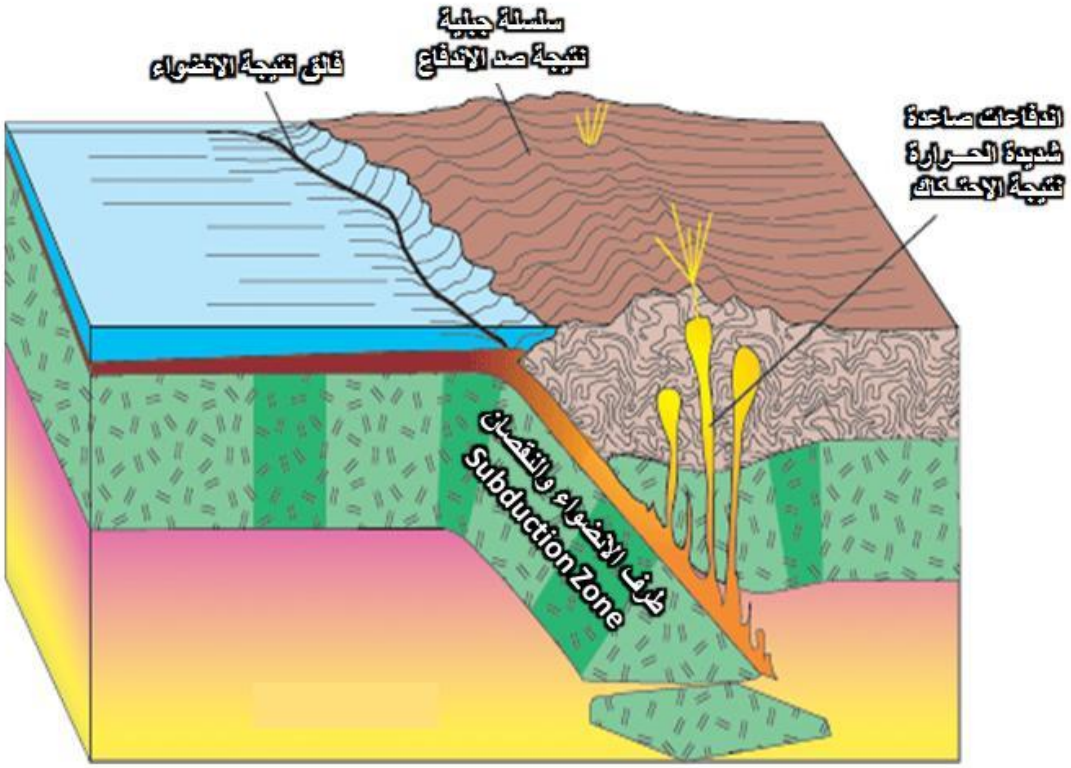

اللوح ناحية البحر ينضوي طرفه المقابل تحت لوح آخر وينقص من حين لآخر؛ مما قد يولد زلازل وبراكين بمنطقة الانضواء.

المُجاور، لذا فالأرض الصلبة التي تحملنا فوق دوامات الحمم تنقص من أطرافها على الدوام.

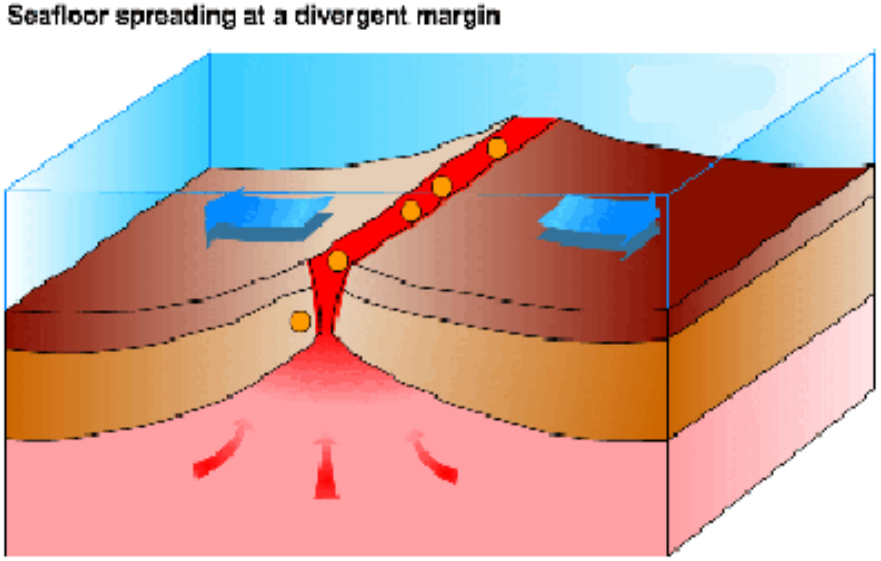

وفي قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) الرعد:٤١، وقوله تعالى: (أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ) الأنبياء:٤٤؛ يتسع المضمون ليشمل تلك الحقيقة العلمية التي لم يدركها بشر إلا منذ عقود يسيرة برهانا على الوحي، ولفظ (الأرض) هنا يصدق على السطح الصخري ولا يستقيم صرفه لمعنى الكوكب لأن الشكل الكروي ممتد ولا طرف له، ولورود لفظ (أَطْرَافِهَآ) بالجمع، فهو يتضمن بيان تجزئة السطح الصخري إلى قطع متجاورات تفصلها صدوع؛ وتحركها دوامات صهير الباطن التي تمور دوما بصريح قوله تعالى: (أَأَمِنتُمْ مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) الملك:١٦، ولفظ (الأرض) هنا يصدق بالمثل على السطح الصخري ولا يعني الكوكب لأن الموران والدوران واقع دون ما يدل عليه لفظ (الأرض)، ويكشف لك الموران ضمنيا التهاب الباطن إلى حد إسالة الصخور، وتحرك دواماتها كأتون مسجور تتأجج نيرانه تحت السطح الصخري وقيعان البحار كنار تحت إناء، وهو نفس المضمون في قوله تعالى: (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) الطور:٦.

استخدمت قديما رواسي حجرية لتثبيت السفن الطافية فوق تيارات المحيط، فما أشبهها بجذور الجبال لتثبيت الأقواح القارية الطافية فلا تتأرجح وتميد.

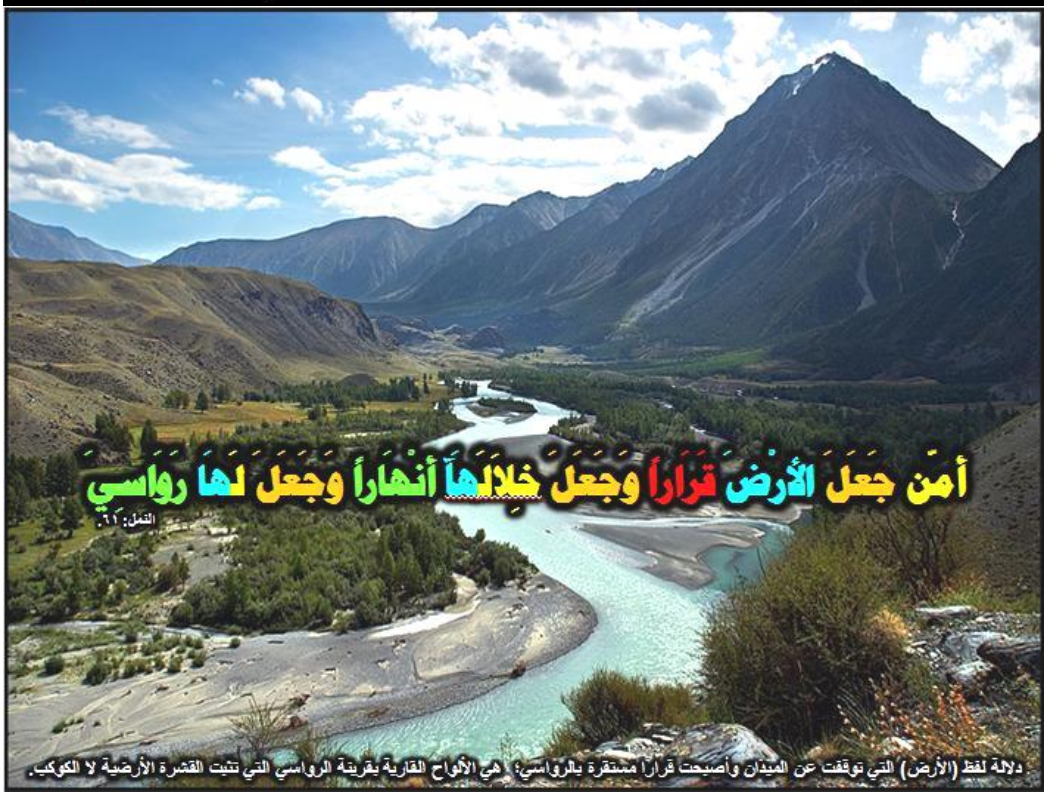

دلالة لفظ (الأرض) التي توقفت عن المَيَدان وأصبحت قَرَاراً مستقرة بالرواسي؛ هي الأقواح القارية بقرينة الرواسي التي تثبت القشرة الأرضية لا الكوكب.

والقطع الصلبة للسطح الصخري والطافية فوق المحيط الأقرب إلى الليونة والأكثر كثافة؛ أشبه ما تكون إذن بالسفن ذات الرواسي، وهو نفس التمثيل في جملة نصوص يكشف كل منها جانبا من تاريخ سطح الكوكب، وتمثل منظومة دلالية واحدة كأجزاء ساعة يؤدي كل منها دورا مستقلا، وبغير وحدة المصدر والمعرفة بخفايا التكوين يستحيل تضامنها في وحدة موضوعية بلا تعارض رغم تعدد الأوجه وتفرق المواضع وطول فترة التنزيل؛ قال تعالى: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا) فصلت:١٠، وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) الرعد:٣، ويستقيم حمل الأرض التي مدت وجعل فيها رواسي على السطح الصخري؛ ومثله جملة نصوص؛ منها: (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ) النحل:١٥، (وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ) الأنبياء:٣١، (اللّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً) غافر:٦٤، (أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ) النمل:٦١، ويمضي بك تنوع التعبير ليكشف لك تصوير الجبال بالأوتاد سر تثبيت الألواح القارية في قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) النبأ:٦و٧، وهكذا إن شئت فهم المُراد في موضع؛ فينصحك الأعلام المحققين باستيفاء كل المواضع، لتتضح لك الدلالة بقولهم: (القرآن يفسر بعضه بعضا)؛ استنادا إلى وحدة المضمون في الكتاب العزيز، بخلاف التعارض والتضاد في كل ما يُنسب إلى الوحي سواه؛ كشاهد لا تُرد شهادته على التحريف.

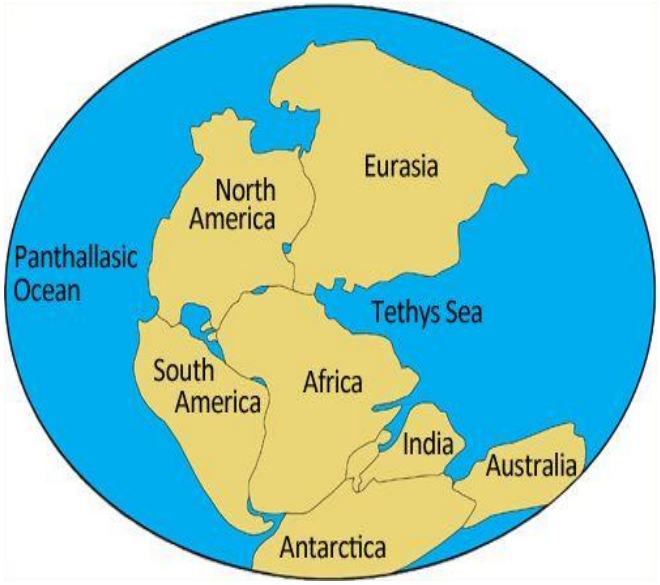

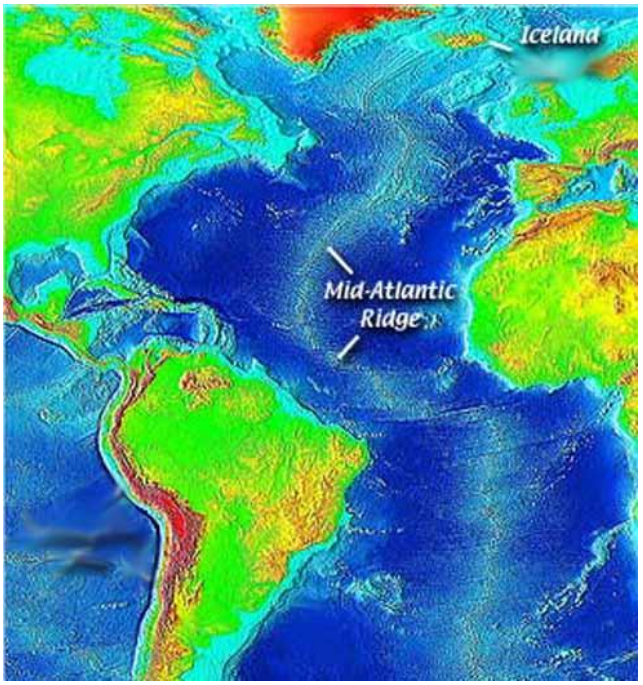

وقد اكتسبت نظرية انزياح القارات Continental drift تأييدا علميا واسعا منذ أن أعلنها ألفريد فيجنر Alfred Wegenerفي عام ١٩١٢، ومضمونها أن القارات قد تولدت عن انقسام قارة أم Pangea وسط محيط واحد Panthalassa بصدع عظيم منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة، ثم امتدت اليابسة وتوزعت إلى قارات مازالت شابة تنزاح ببطء، ومع انقسامها المُتوالي تحول الصدع الأصلي إلى سلسلة جبال منتصف الأطلنطي Mid-Atlantic Ridge التي يبلغ طولها حوالي ١٦ ألف كم ويمتد معظمها بالقاع تحت سطح المحيط، ونادرا ما تبرز فوقه بهيئة جزر بركانية، ومنتصف الأطلنطي (الأوقيانوس) مازال إلى اليوم يمثل منطقة نشطة بركانياً تطرح حممًا سوداء مُلتهبة قد تبلغ درجة حرارتها ألف درجة مئوية، وظاهرة انزياح القارات المُميزة بالجبال تحت تأثير تيارات الصهارة دونها يمكن تمثيلها بالمرور البطيء للسحاب تحت تأثير تيارات الهواء دونه، فسواء السحاب أو جبال القارات، كليهما يتصف ببطء الحركة نسبيًا؛ تحت تأثير تيارات حمل صاعدة وأخرى دافعة أفقيًا.

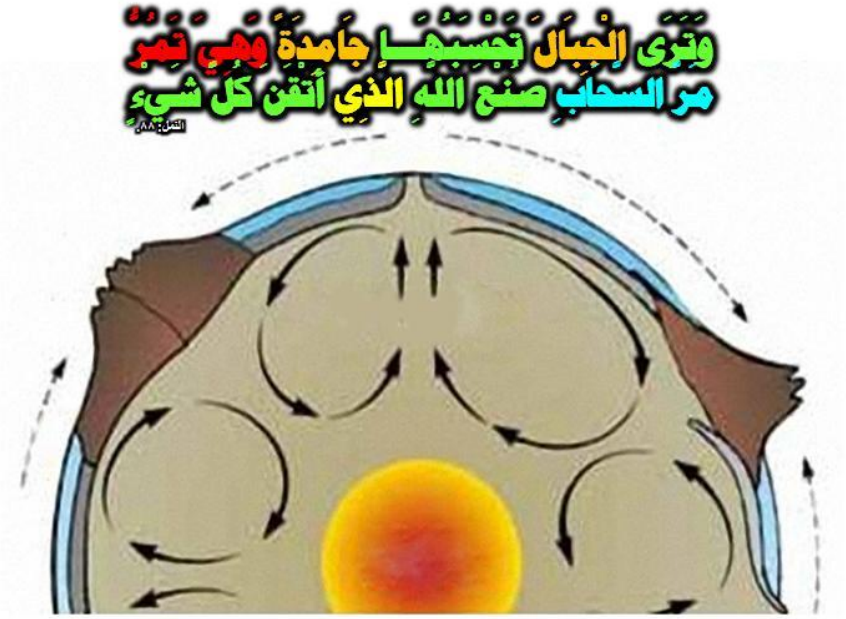

ولن تفوتك الدلالة الصريحة إذن في قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) النمل:٨٨، فالجبال تتحرك فوق الدثار بحركة الألواح القارية نتيجة التيارات الباطنية للحمم؛ كما يتحرك السحاب في الجو نتيجة حركة تيارات الرياح، أرأيت كيف أن المعرفة بحصاد الثورة العلمية المحمومة اليوم خير مُعين لإدراك الدلالات العلمية المدخرة ذخيرة للقادمين في تعبير الكتاب الكريم!، ومهما حاول طاعن افتعال الحيل واصطناع الذرائع لصرف صريح الدلالة على حقيقة علمية واحدة مثل تأجج قيعان البحار بالنيران فلن يناله سوى خزي تجاوز الإنصاف، فقبل عصر الكشوف العلمية يستحيل أن يُدرك بشر بوجود الصدوع العميقة منتصف المحيطات Mid-Oceanic Rifts لأنها لم تعرف إلا من خلال نظرية الألواح القارية أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي فحسب، وهكذا تفرد كل وصف ببيان وجه أو أكده بتثنية النبأ، إنه إذن إصرار مُذهل؛ خاصة في تناول مسائل علمية يفتقدها كل ما يُنسب للوحي سوى القرآن الكريم، وهو تحدي يجعل المترصد مترددا في الطعن؛ إذا كان ضليعا بأساليب البيان مُلما بحقائق العلم، وأما من غلب دافعه للكيد حذره؛ فلا يستحق ملام، وكما ترى قد تميز الكتاب العزيز بوحدة المضمون بلا أدنى تعارض وتضاد رغم التوسع والتنويع، وتلك هي نفس سمة تعدد القراءات المُتواترة؛ مما يُرجح لك أنها ظاهرة توقيفية لا عارضة.

وفي قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) الكهف:٨٦؛ يدلك السياق على أن ذي القرنين الفاتح للعالم القديم قد بلغ أقصى الغرب، وأوقفته نهاية اليابسة عن استمرار الغزو، فأطل على المحيط الأطلنطي حيث عاين الشمس تغرب فيه مثل كل مُراقب آخر بالعين، والإيجاز يقتضي أن يكون التقدير: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا (رأي العين) تَغْرُبُ فِي (محيط ذي) عَيْنٍ حَمِئَةٍ}، فاكتفى التعبير بدلالة السياق على

المُحيط وأضاف وصفًا لم يُدركه قبل عصر الكشوف ذو القرنين ولا سواه، ويتسم المُحيط الأطلنطي بالفعل بوجود سلسلة جبلية Ridge مُتصلة ومُرتفعة الجانبين؛ أشبه ما تكون بجفنين يحيطان بعين تطرح بدلا عن الدموع حمم ملتهبة سوداء، فهي من وجه سوداء حمئة؛ أشبه ما تكون بالطين الأسود، ومن وجه آخر حامية أشبه ما تكون بالجمر المُتوقد رفيق الساهر في البادية، و(حمئة) و(حامية) قراءتان مُعتمدتان مُتكاملتان لا يتناقضان؛ جمعتا وصفين لظاهرة خفية لا يعلم بها قبل عصر العلم بشر، ووافق اختيارها أنها موضع الصدع الأصلي الأول والأعظم.

قال الألوسي: "وجدها أي الشمس (تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ)؛ أي ذات حمأة وهي الطين الأسود..، وقرأ عبد الله وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وابن عمر ومعاوية والحسن وزيد بن علي وابن عامر وحمزة والكسائي (حَامِيَةٍ).. أي حارة"[١٠١٣]، وقال الطبري: "وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَجْهٌ صَحِيحٌ وَمَعْنًى مَفْهُومٌ، وَكِلَا وَجْهَيْهِ غَيْرُ مُفْسِدٍ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ"[١٠١٤].

وقال الرازي: "وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ الْحَمِئَةِ وَالْحَامِيَةِ؛ فَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ جَامِعَةً لِلْوَصْفَيْنِ جَمِيعًا..، (وقد) ثَبَتَ بِالدَّلِيلِ أَنَّ الْأَرْضَ كُرَةٌ وَأَنَّ السَّمَاءَ مُحِيطَةٌ بِهَا؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّمْسَ فِي الْفَلَكِ (الفضاء)، وَأَيْضًا قَالَ: وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً؛ وَمَعْلُومٌ أَنَّ جُلُوسَ قَوْمٍ فِي قُرْبِ الشَّمْسِ غَيْرُ مَوْجُودٍ، وَأَيْضًا الشَّمْسُ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ بِمَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ فَكَيْفَ يُعْقَلُ دُخُولُهَا فِي عَيْنٍ مِنْ عُيُونِ الْأَرْضِ، إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ..: تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: (تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ).. أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ لَمَّا بَلَغَ مَوْضِعَهَا فِي الْمَغْرِبِ وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِمَارَاتِ وَجَدَ الشَّمْسَ.. كَأَنَّهَا تَغِيبُ فِي الْبَحْرِ..؛ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَغِيبُ وَرَاءَ الْبَحْرِ..، لِلْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْأَرْضِ مَسَاكِنَ يُحِيطُ الْبَحْرُ بِهَا فَالنَّاظِرُ إِلَى الشَّمْسِ يَتَخَيَّلُ كَأَنَّهَا تَغِيبُ فِي تِلْكَ الْبِحَارِ..، فَقَوْلُهُ: تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ مِنَ الْأَرْضِ قَدْ أَحَاطَ بِهِ الْبَحْرُ"[١٠١٥].

وقال القرطبي: "لَيْسَ الْمُرَادُ أنه انتهى إلى الشمس مغربا ومشرقا حتى وصل إلى جرمها ومسها، لأنها تدور.. مِنْ غَيْرِ أَنْ تَلْتَصِقَ بِالْأَرْضِ، وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَ فِي عَيْنٍ مِنْ عُيُونِ الْأَرْضِ، بَلْ هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعِمَارَةِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، فَوَجَدَهَا فِي رَأْيِ الْعَيْنِ (تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ)، كَمَا أَنَّا نُشَاهِدُهَا فِي الْأَرْضِ الْمَلْسَاءِ كَأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ ١٨الكهف:٩٠، وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهَا تَطْلُعُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ تُمَاسَّهُمْ وَتُلَاصِقَهُمْ؛ بَلْ أَرَادَ أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ تَطْلُعُ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ الْقُتَبِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْعَيْنُ مِنَ الْبَحْرِ"[١٠١٦].

واحتمل الألوسي أن العين إخبار عن الله تعالى بمعلم دفين يُميز المحيط الغربي (الأطلنطي) بقوله: "المُراد بالعين الحمئة.. عين في البحر"[١٠١٧]، وعلى هذا الوجه يكون في التعبير إيجاز حذف وفق مُصطلح البلاغيين اكتفاء بشهرة معلوم لكل ناظر بالعين؛ وهو مشهد غروب الشمس في المُحيط، وجاء التعبير عن المُحيط بلازمه الذي لم تُشاهده عين من قبل؛ وهو العُيون المُتصلة الفُوهات في القاع موضع الصدع الأول والأعظم الذي مازال شابا يطرح الحمم الحمئة والحامية في ذات الوقت، ولا يأبى السياق التقدير: (وجدها رأي العين تغرب في مُحيط ذي عين حمئة)، فإن غابت الفطنة وضل التأويل وانعدم العلم بخفايا التكوين وساء فهم براهين الوحي؛ فأي ذنب إذن للقرآن الكريم!

[١٠١٣] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٨\ ٣٥٣).

[١٠١٤] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٥\ ٣٧٧).

[١٠١٥] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢١\ ٤٩٦).

[١٠١٦] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١\ ٤٩).

[١٠١٧] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٨\ ٣٥٤).

والتصور السائد حاليًّا حسب ما تُفيده دراسة المُتحجرات وقياس العمر بالمواد المشعة؛ أن عمر الأرض مديد يقدر ببلايين السنين، ولم يكن حينذاك للحياة وجود حتى توفر الماء على سطح الأرض؛ لأن الكرة الأرضية كانت مُلتهبة والنشاط البركاني على أشده، وكان الدخان الكثيف يُحيط بالأرض؛ والتهاب السطح الأولي يمنع الأبخرة الحارة المُنبعثة من الأرض من التكاثف، ومع تبرد السطح هطلت الأمطار بغزارة لعصور فتكونت المحيطات والأنهار وتهيأت بيئة صالحة لنشأة أنواع الحياة بالتدريج، وقد ظهرت أول الخلايا الحية المعقدة منذ ٢ بليون عام؛ فيما ظهرت أول الكائنات المُركبة منذ بليون عام، ومنذ ٥٠٠ مليون عام ظهرت الأسماك، ثم ظهرت أولى النباتات منذ ٤٧٥ مليون عام، وأول البرمائيات منذ ٣٦٠ مليون عام، ثم ظهرت الزواحف والديناصورات منذ ٣٠٠ مليون عام، ثم الثدييات منذ ٢٠٠ مليون عام، ثم الطيور والديناصورات المجنحة منذ ١٥٠ مليون عام،

وقبل ٦٥ مليون عام انقرضت الديناصورات فجأة بالإضافة إلى حوالي ٩٠% من المخلوقات الحية على اليابسة وفي البحار، وقد فُسرت الظاهرة بصدام نيزكي كبير أدى إلى دخان غطى جو الكوكب لفترة كافية لمنع النبات من التمثيل الضوئي، فتأثرت الكائنات الحية؛ خاصة الأكبر حجما والأكثر طلبا للهواء الصالح للحياة، وقد دعم هذه الفرضية اكتشاف طبقة رسوبية في مناطق مختلفة من سطح الأرض عمرها حوالي ٦٥ مليون سنة كذلك؛ وتحتوي على مادة خاصة تسمى بالإيريديوم Iridium، وهي مادة مُميزة للرجوم النيزكية، قد ترجح هلاك الكثير من الكائنات الحية على سطح الأرض سابقًا؛ خاصة الديناصورات بكارثة الدخان الكوكبية تلك، وإمكان هلاكها لاحقا كذلك.

وكلمة ديناصور Dinosaur تسمية حديثة استخدمت للمرة الأولى عام ١٨٤١ لوحش زاحف منقرض ساد الأرض كانت فيها كثيفة الغابات، واكتشفت أول حفرياته Fossils عام ١٦٧٧، والكلمة مشتقة من اللاتينية؛ وتعني سحلية مهولة Terrible Lizard؛ فلا يتوقع إذن وجودها في أي كتاب أقدم تاريخا، والمذكور في المدونات: (هُوَ ذَا بَهِيمُوثُ الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَكَ يَأْكُلُ الْعُشْبَ مِثْلَ الْبَقَرِ) سفر أيوب: ٤٠ \ ١٥ Job؛ هذا دليل على أن كتبة الأسفار متأخرين كثيرًا عن زمن موسى عليه السلام؛ حيث لم يعرفوا نظيرا لكلمة بهيموث Behemoth، فنقلوها حرفيا كما هي اليوم في الترجمات، وأرجعها معجم الكتاب المقدس Easton's Bible Dictionary إلى كلمة مصرية قديمة معهودة عند قدماء المصريين الذين عاش أسلاف اليهود بينهم أرقاء قبل أن يحررهم النبي موسى عليه السلام.

وكلمة بهيموث مُشتقة من بهيمة؛ وتصدق على جاموس الماء Water-Ox أو فرس النهر Hippopotamus، وكان يعيش في النيل ويُطلق عليه حاليًّا اسم: سيد قشطة، فتمحك بعضهم وحملها على الديناصور الذي باد قبل نشأة الإنسان بملايين السنين، مُتجاهلا ما تُصرح به العبارة ذاتها من أن الله تعالى قد صنعه مع الإنسان، وهو من الزواحف؛ وبعضه من آكلات اللحوم لا يأكل العشب مثلما يفعل البقر؛ بينما البهائم من الثدييات، فتوهم أنه بهذا التدليس السافر قد غافل المُحققين، وحقق سبقًا للأسفار على القرآن الكريم؛ لأنه بزعمه لم يذكر حفريات الديناصور وسبب هلاكه![١٠١٨].

وتمحك البعض أيضًا فحملوا كلمة لوياثان leviathan على الديناصور مثل كلمة بهيموث؛ مع أن سياق كلمة لوياثان لا يعني سوى الحوت؛ كما في العبارة: (هذَا الْبَحْرُ الْكَبِيرُ الْوَاسِعُ الأَطْرَافِ. هُنَاكَ دَبَّابَاتٌ بِلاَ عَدَدٍ. صِغَارُ حَيَوَانٍ مَعَ كِبَارٍ. هُنَاكَ تَجْرِي السُّفُنُ. لِوِيَاثَانُ هذَا خَلَقْتَهُ لِيَلْعَبَ فِيهِ) سفر المزامير:١٠٤ ٢٥و٢٦ Psalms، والعبارة: "أَتَصْطَادُ لَوِيَاثَانَ بِشِصٍّ" سفر أيوب:٤١ ١ Job[١٠١٩]، ونظيرتها كلمة تنين Dragon وهو حيوان أسطوري، وقد استبدلت في بعض المواضع فعلاً في بعض الترجمات الإنجليزية بكلمة حوت Whale؛ بينما ظلت في العربية تنين، ويعترف المُعاصرون باقتباس كاتب السفر تلك الكلمة وأمثالها من الثقافة المصرية القديمة: "بهيموث ولوياثان ربما يكونان وصف لفرس النهر (سيد قشطه) وللتمساح..، قد يكون كاتب السفر استفاد من أوصاف شعرية مصرية لحيوانين مُرعبين لهما هذه الأسماء، وبحسب الثقافة المصرية وجد الكاتب هذه المُواصفات فاقتبسها..، ولقد تُرجمت كلمة لوياثان بالتنين كثيرًا..، والترجمات المُختلفة للكلمة؛ راجعة غالبًا لأن المُترجمين لم يعرفوا بالضبط معناها"[١٠٢٠].

١٠١٨ http://www.angelfire.com/mi/dinosaurs/behemoth.html: "As far as I know, no other religious books mention dinosaurs or dragons. This makes it even more convincing to me

الترجمة: "على حد علمي لا توجد كتب دينية أخرى ذكرت الديناصورات والتنانين، وهذا يجعلني بحق أكثر قناعة أن الكتاب المقدس وحده هو كلام الله الموحي به" ."that the Bible alone is the inspired Word of God

١٠١٩ ترجمة سميث وفانديك؛ نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية مصر.

١٠٢٠ موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية مصر.

وهكذا استنفذ البعض الحيل مُتلمسا ما يتفق قبل النبوة الخاتمة مع سنن الوجود وقصة الخلق كما رواها العلم؛ بينما ظل الكتاب الوحيد الجامع بلا اضطراب الباقي عند التحقيق في مكان الصدارة حقًّا هو القرآن الكريم، فلم يكُن لبشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وجود ليشارك في خلق نفسه في رحم الأم؛ ناهيك عن خلق العالم على طول فصول قصة تهيأ فيها كل شيء قبل نشأته، والمضمون إذن أن عبادة الله تعالى وحده هي الغرض البعيد منذ البدء.

وفي الأسفار: "في ذخائر الحكمة: أمثال" يشوع بن سيراخ: ١١ ٣١ (Joshua ben Sirach)، "لتُعطي الجُهَّال ذكاءً والشاب معرفةً وتدبُّرًا. يسمعها الحكيم فيزداد علمًا والفهيم يكتسب تدبيرًا. لفهم المثل" الأمثال: ١١ ٤-٦ Proverbs، وضرب عيسى عليه السلام ليهود عصره الأمثال: "وابتدأ يقول للشعب هذا المثل: إنسان غرس كرما وسلمه إلى كرامين وسافر زمانا طويلا. وفي الوقت أرسل إلى الكرامين عبدا لكي يعطوه من ثمر الكرم فجلده الكرامون وأرسلوه فارغا. فعاد وأرسل عبدا آخر فجلدوا ذلك أيضا وأهانوه وأرسلوه فارغا. ثم عاد فأرسل ثالثا فجرحوا هذا أيضا وأخرجوه. فقال صاحب الكرم ماذا أفعل؟ أرسل ابني الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابون! فلما رآه الكرامون تآمروا فيما بينهم قائلين هذا هو الوارث هلموا نقتله لكي يصير لنا الميراث. فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فماذا يفعل بهم صاحب الكرم؟: يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطي الكرم لآخرين، فلما سمعوا قالوا: حاشا!. فنظر إليهم وقال: إذًا ما هو هذا المكتوب؛ الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" إنجيل لوقا: ٢٠ ٩-١٨ Luke.

وهل يليق اتهام المسيح عليه السلام بالشركة مع الله تعالى؛ وقد تَنَبَّأ بالنبي بعده على درب التوحيد: "متى جاء المُعَزِّي.. رُوح الحق.. فهو يشهد لي" يوحنا: ١٥ ٢٦ John، وقال: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يُرْشِدُكُم إلى جميع الحق..؛ ذاك يُمَجِّدُنِي لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم" يوحنا: ١٦ ١٣و١٤ John، وتُؤيده نبوءة مُعَاصِرُه ابن خالته يحيى (يوحنا المعمدان) الذي عَمَّدَه بنهر الأردن بمثل آخر ضربه لهم: "الآن قد وُضِعَت الفأس على أصل الشجر؛ فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تُقطع وتُلْقَى في النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يَأْتِي بَعْدِي؛ هو أقوى مِنِّي؛ الذي لَسْتُ أهلاً أن أَحْمِلَ حِذَاءَهُ" متى: ٣ ١٠و١١ Matthew، ولم يجد الرَّسُول عيسى عليه السلام إلا أن يُفَسِّر لهم النبوءة صَرِيحًا: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره؛ ومن سقط على هذا الحجر يَتَرَضَّض ومن سقط هو عليه يَسْحَقُه" متى: ٢١ ٤٣و٤٤ Matthew، ولا يَبْعُد هَذَا عن قول العَلِي القَدِير: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

والخلاصة أن السجل الأحفوري مثل كتاب يكشف صفحات من تاريخ الأرض لمن يُمكنه ترجمة معاني السطور، وبالمثل تعرض الصفحات الجيولوجية كتابًا يتحدث عن فصول قصة تكوين الأرض، وترشدك الصفحات الفلكية من كل جهات الأرض لكل من يملك ترجمة السطور تاريخ الكون منذ الابتداء حيث كان كل شيء موحدًا قبل تميز المجرات والنجوم والتوابع فيما يُشبه الحساء، ويكفي للدلالة على وحدانية الخالق وقدرته التوصل أن لهذا الكون ابتداء.

واكتشاف أدوين هابل بأن المجرات العظمى تبدو في ابتعاد يُحتم أن للكون ابتداء، فحاول من يميلون للإلحاد التشويش تهربًا من مبدأ الخلق بفرضيات يجمعها وهم أزلية المادة تحت مُسمى الحالة الثابتة Steady state، ولو كان صحيحًا أن الكون ذو بداية أكبر كثافة لأصدر في كل اتجاه أشعة تدل على درجة حرارة هائلة لا يبلغها اليوم قلب أي نجم مهما بلغت ضخامته؛ نتيجة لانضغاط المادة في حيز ضئيل، ولذا جاءت الضربة القاصمة لتلك الفرضيات قبل نهاية القرن الماضي فتوارت إلى الأبد عندما اكتشف أرنو بنزياس Arno Penzias وروبرت ويلسون Robert Wilson تلك الأشعة عام ١٩٦٤ بغير قصد، وتحتمت البداية بلا منافس، واضطر ستيفن هاوكنج Stephen Hawking رغم ميله للإلحاد للقول: "إن كونا ذا بداية يستحيل أن يكون بلا خالق"[١٠٢١]، فوحدة البداية تقطع بوجوده ووحدانيته تعالى ناهيك عن التصميم المُتقن والنظام الثابت الذي أقر هاوكنج أنه عماد تاريخ العلم التجريبي أجمع، وبالمثل قال ألفريد هويل: "تقول نظرية الانفجار الكبير بأن الكون نشأ نتيجة انفجار كبير، ونحن نعلم أن كل انفجار يُبعثر المادة دون نظام، ولكن الانفجار الكبير عمل العكس، إذ عمل على جمع المادة وفق تصميم وقدرة فريدة لتشكيل المجرات والنجوم والتوابع ونشأة الإنسان على هذه الأرض"، والنتيجة الحتمية التي توصل إليها العالم الأمريكي جورج كرنشتاين قد أعلنها بقوله: "كلما دقّقنا في الأدلة التي يُقدمها الكون المفتوح الصفحات أمامنا؛ واجهتنا على الدوام الحقيقة نفسها، وهي أن هناك قُدرة إلهية خلف بدء الخلق وكافة الأحداث"، والمُدهش أن علامات بدء الخلق التي تُعلنها رسالة الكون إلى أهل النظر قد أمر القرآن الكريم بالبحث عنها في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ العنكبوت: ٢٠.

[١٠٢١] A Brief History of Time, St. Hawking, P122; 140

ما هو الإلحاد؟

هو الايمان بأنه كان هناك لا شيء، ولا شيء حدث للاشيء، وبعد ذلك فجاءة إنفجر اللاشيء هكذا بدون سبب وخلق كل شيء، ومن ثم مجموعة من الاشياء ترتبت بطريقه سحرية بدون أي سبب، فخلقت أول خلية هكذا لتتحول بعد ذلك الى ديناصورات.

أيها الملحد: أنت مطالب بمراجعة إيمانك
وإلا فأنت متهم بأن إيمانك إيمان أعمى

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال المراغي: ""﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٩العنكبوت:٢٠؛ أي سيروا في الأرض وشاهدوا السموات وما فيها من الكواكب النيرة؛ ثوابتها وسياراتها، والأرض وما فيها من جبال ومهاد وبراري وقفار وأشجار وثمار وأنهار وبحار، فكل ذلك شاهد على حدوثها في أنفسها وعلى جود صانعها الذي يقول للشيء (كن فيكون)، أو ليس من فعل هذا بقادر على أن ينشئه نشأة أخرى، ويوجده مرة ثانية؛ وهو القادر على كل شيء؟، وشبيه بالآية قوله في الآية الأخرى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣و٥٤،، ولما أقام الدليل على الإعادة رتب عليها ما سيكون بعدها فقال: (يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ) أي يعذب من يشاء منكم ومن غيركم في الدنيا والآخرة بعدله في حكمه بحسب سننه في خلقه، ويرحم من يشاء بفضله ورحمته، فهو الحاكم المُتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، لا مُعقب لحكمه ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) أي وإليه تردّون بعد موتكم والمراد أنه إن تأخر ذلك عنكم فلا تظنوا أنه قد فات، فإن إليه إيابكم، وعليه حسابكم، وعنده يدّخر ثوابكم وعقابكم"[١٠٢٢].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{أَوَلَمْ يَرَوْا}: المُراد من الرؤية هنا: العلم، أي: أولم يعلموا علمًا يشبه المشاهدة بالبصر، {يُبْدِئُ الْخَلْقَ}: يوجده ابتداءً من مادة ومن غير مادة على غير مثال، {يُعِيدُهُ}: يحييه بعد موته وتحلل أجزائه، بل وتلاشيها..، {أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}: كلام مستأنف مسوق للإنكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دلائله، والمعنى: أغفلوا وجهلوا ولم يعلموا علمًا تؤكده الرؤية وتؤيده المشاهدة كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداءً من مادة ومن غير مادة على غير مثال سابق، وكل ما في هذا الكون يوحى بذلك ويفرض العلم به ولا ينكره إلا مكابر معاند، ثم الله سبحانه وتعالى يُعيد خلقه بالبعث بعد فنائه؛ لأن القادر على خلقه ابتداءً لا يُعجزه إعادة خلقه كما تقرر هذا في قوله: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} الروم:٢٧، {إِنَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}: أي؛ إن أمر إعادة الخلق بعد الفناء يسير على الله سهل لا يفتقر إلى شيء أصلا، وإنما يقول الله تعالى له: (كن فيكون)..، {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}: أنكرت الآيات السابقة على الخلق غفلتهم وتعطيلهم العقل بعدم تدبرهم في قدرة الله تعالى الواضحة في بدء الخلق؛ تدبرا يصل بهم إلى اليقين بقدرته على البعث وإعادة الخلق، وهذه الآية تأمرهم بالسير في الأرض لينظروا فيها كيفية بدء الخلق الدالة على قدرته تعالى على النشأة الآخرة..، {ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}: أي؛ ثم الله الذي أنشأ النشأة الأولى قادر أن يعيد خلقهم في الآخرة مثل النشأة الأولى التي.. عاينوا آثارها وأطوارها، والتعبير عن الإعادة بالنشأة الآخرة يشعر بأن النشأتين شأن واحد من شئون الله تعالى من حيث إن كلا منهما إخراج من العدم إلى الوجود، لا فرق بينهما إلا بالأولية والآخرية، وإظهار اسم الله في قوله تعالى: {ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ} مع إضماره في قوله سبحانه: {كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} لإبراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الإعادة، كما أن ترتيب النظر على السير في الأرض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق في أقطارها، ومما ينبغي الالتفات إليه في هذه القضية ما يتعاقب من النبات والثمار فيكون في كل سنة على مثل ما كان عليه في السنة السابقة، فهذا مما يستدل به على صحة البعث كما أشار إليه العلامة أبو السعود، ونزيد عليه: أن الأمر كذلك في مختلف أنواع الحيوانات والطيور والأسماك، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}: تذييل لتحقيق ما قبله؛ لأن من علم قدرة الله تعالى على جميع الأشياء لا يتصور أن يعجز عن إعادة الخلائق بعد فنائهم"[١٠٢٣].

[١٠٢٢] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢٠\ ١٢٧).

[١٠٢٣] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٧\ ١٨٤٠).

وقال القاسمي: "﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٢٠و٢١..؛ (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) أي كيف خلقهم ابتداء؛ على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتّى، فإن ترتيب النظر على السير في الأرض، مُؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق القاطنين في أقطارها، (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) أي الخلق الآخر، (إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ) أي بعد النشأة الثانية، وهم المنكرون لها، (وَيَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ) وهم المؤمنون بها، (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ) أي بالتواري في الأرض، ولا بالتحصن في السماء التي هي أفسح منها؛ لو استطعتم الرقيّ فيها..، (وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) أي يدفع عنكم ما يُراد بكم"[١٠٢٤].

وقال ابن عاشور: "(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ٢٩العنكبوت:٢٠؛ اعْتِرَاضٌ انْتِقَالِيٌّ مِنَ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ تَرْكَ الِاسْتِدْلَالِ بِمَا هُوَ بِمَرْأًى مِنْهُمْ؛ إِلَى إِرْشَادِهِمْ لِلِاسْتِدْلَالِ بِمَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْهُمْ مِنْ أَحْوَالِ إِيجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ وَتَعَاقُبِ الْأُمَمِ وَخَلْفِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، فَإِنَّ تَعَوُّدَ النَّاسِ بِمَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَصْرِفُ عُقُولَهُمْ عَنِ التَّأَمُّلِ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ دَقَائِقِهَا عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ، فَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ لِيُشَاهِدُوا آثَارَ خَلْقِ اللَّهِ الْأَشْيَاءَ مِنْ عَدَمٍ؛ فَيُوقِنُوا أَنَّ إِعَادَتَهَا بَعْدَ زَوَالِهَا لَيْسَ بِأَعْجَبَ مِنِ ابْتِدَاءِ صُنْعِهَا، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ لِأَنَّ السَّيْرَ يُدْنِي إِلَى الرَّائِي مُشَاهَدَاتٍ جَمَّةً مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَرَضِينَ بِجِبَالِهَا وَأَنْهَارِهَا وَمَحْوِيَّاتِهَا، وَيَمُرُّ بِهِ عَلَى مَنَازِلِ الْأُمَمِ حَاضِرِهَا وَبَائِدِهَا؛ فَيَرَى كَثِيرًا مِنْ أَشْيَاءَ وَأَحْوَالٍ لَمْ يَعْتَدْ رُؤْيَةَ أَمْثَالِهَا، فَإِذَا شَاهَدَ ذَلِكَ جَالَ نَظَرُ فِكْرِهِ فِي تَكْوِينِهَا بَعْدَ الْعَدَمِ جَوَلَانًا لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ لَهُ بِبَالٍ حِينَمَا كَانَ يُشَاهِدُ أَمْثَالَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي دِيَارِ قَوْمِهِ، لِأَنَّهُ لَمَّا نَشَأَ فِيهَا مِنْ زَمَنِ الطُّفُولَةِ فَمَا بَعْدَهُ قَبْلَ حُدُوثِ التَّفْكِيرِ فِي عَقْلِهِ اعْتَادَ أَنْ يَمُرَّ بِبَصَرِهِ عَلَيْهَا دُونَ اسْتِنْتَاجٍ مِنْ دَلَائِلِهَا؛ حَتَّى إِذَا شَاهَدَ أَمْثَالَهَا مِمَّا كَانَ غَائِبًا عَنْ بَصَرِهِ جَالَتْ فِي نَفْسِهِ فِكْرَةُ الِاسْتِدْلَالِ، فَالسَّيْرُ فِي الْأَرْضِ وَسِيلَةٌ جَامِعَةٌ لِمُخْتَلِفِ الدَّلَائِلِ فَلِذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ بِهِ لِهَذَا الْغَرَضِ مِنْ جَوَامِعِ الْحِكْمَةِ، وَجِيءَ فِي جَانِبِ بَدْءِ الْخَلْقِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي لِأَنَّ السَّائِرَ لَيْسَ لَهُ مِنْ قَرَارٍ فِي طَرِيقِهِ فَنَدَرَ أَنْ يَشْهَدَ حُدُوثَ بَدْءِ مَخْلُوقَاتٍ، وَلَكِنَّهُ يَشْهَدُ مَخْلُوقَاتٍ مَبْدُوءَةً مِنْ قَبْلُ فَيَفْطِنُ إِلَى أَنَّ الَّذِي أَوْجَدَهَا إِنَّمَا أَوْجَدَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِيجَادِ أَمْثَالِهَا، فَهُوَ بِالْأَحْرَى قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهَا بَعْدَ عَدَمِهَا، وَالِاسْتِدْلَالُ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي مَضَتْ أَمْكَنُ لِأَنَّ لِلشَّيْءِ الْمُتَقَرِّرِ تَحَقُّقًا مَحْسُوسًا، وَجِيءَ فِي هَذَا الِاسْتِدْلَالِ بِفِعْلِ النَّظَرِ لِأَنَّ إِدْرَاكَ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ حَاصِلٌ بِطَرِيقِ الْبَصَرِ، وَهُوَ بِفِعْلِ النَّظَرِ أَوْلَى وَأَشْهَرُ لِيَنْتَقِلَ مِنْهُ إِلَى إِدْرَاكِ أَنَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ، وَلِذَلِكَ أَعْقَبَ بِجُمْلَةِ (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) فَهِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ..، وَإِظْهَارُ اسْمِ الْجَلَالَةِ بَعْدَ تَقَدُّمِ ضَمِيرِهِ فِي قَوْلِهِ (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) وَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَقُولَ: ثُمَّ ينشىء؛ قَالَ فِي الْكَشَّافِ: لِأَنَّ الْكَلَامَ كَانَ وَاقِعًا فِي الْإِعَادَةِ فَلَمَّا قَرَّرَهُمْ فِي الْإِبْدَاءِ بِأَنَّهُ مِنَ اللَّهِ؛ احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ الْإِعَادَةَ إِنْشَاءٌ مِثْلُ الْإِبْدَاءِ، فَالَّذِي لَمْ يُعْجِزْهُ الْإِبْدَاءُ فَهُوَ الَّذِي وَجَبَ أَنْ لَا تُعْجِزَهُ الْإِعَادَةُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ ذَاكَ الَّذِي أَنْشَأَ النَّشْأَةَ الْأُولَى هُوَ الَّذِي ينشىء النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ، فَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَبْرَزَ اسْمَهُ وَأَوْقَعَهُ مُبْتَدَأً، يُرِيدُ أَنَّ الْعُدُولَ عَنِ الْإِضْمَارِ إِلَى الِاسْمِ الظَّاهِرِ لِتَسْجِيلِ وُقُوعِ هَذَا الْإِنْشَاءِ الثَّانِي، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ مُسْتَقِلَّةً حَتَّى تَكُونَ عُنْوَانَ اعْتِقَادٍ بِمَنْزِلَةِ الْمَثَلِ لِأَنَّ فِي اسْمِ الْجَلَالَةِ إِحْضَارًا لِجَمِيعِ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي بِهَا التَّكْوِينُ، وَلِيُفِيدَ.. مَعْنَى التقوى، وَجُمْلَةُ (إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تَذْيِيلٌ، أَيْ قَدِيرٌ عَلَى الْبَعْثِ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذَا أَرَادَهُ. وَإِظْهَارُ اسْمِ الْجَلَالَةِ لِتَكُونَ جُمْلَةُ التَّذْيِيلِ مُسْتَقِلَّةً بِنَفْسِهَا فَتَجْرِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ"[١٠٢٥].

[١٠٢٤] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٧\ ٥٥١).

[١٠٢٥] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٠\ ٢٣٠).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Creation of the universe

خلق الكون

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٢٩العنكبوت:١٩-٢٢.
- ﴿مَآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتّخِذَ الْمُضِلّينَ عَضُداً﴾ الكهف:٥١.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠.
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ١٠يونس:٣.
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ٧الأعراف:٥٤.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ. وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣الرعد:٢-٤.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا. وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ ٧٨النبأ:١٢-١٥.
- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ٩التوبة:٣٦.
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٧الأعراف:٥٤.
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ١٠يونس:٣.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ١١هود:٧.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٩.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٤و٥.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ٥٠ق:٣٨.

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٥٧الحديد:٤و٥.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ ٧٠المعارج:١-٧.
- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٥٧الحديد:٢٥.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢البقرة:٢٢.
- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:١٧-٢٠.
- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٩.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ٦٧الملك:١٦.
- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ١٧الإسراء:١٢.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٩.
- ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ١٢يوسف:٤.
- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦الطارق:١١-١٤.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ١٣الرعد:٤١.
- ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ. بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ. قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٤٣-٤٥.
- ﴿وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ. يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا. وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا. فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٥٢الطور:١-١١.
- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ. أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦٠و٦١.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٦النحل:١٥.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣١.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٠غافر:٦٤.

- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨النبأ:٦و٧.
- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٨٨.
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا. ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ ١٨الكهف:٨٣-٩٠.
- ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤١.

Paragraph الفَقْرَة

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤١. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢٩العنكبوت:٤٢، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤١-٤٣.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾، ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

The case of those who take helpers beside Allah is like the case of the spider that takes to itself a house; and, surely, the frailest of all houses (to protect insects) **is the house of the spider, if they but knew.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت: ٤١؛ ورد لفظ (العنكبوت) ليعني سياقا الأنثى بدلالة تاء التأنيث في الفعل (اتخذت)، والتعبير (اتَّخَذَتْ بَيْتًا) قصر بناء البيت على الأنثى، وتغري خيوطه الحشرات لتأوي إليه فإذا به مصيدة فتهلك، فالتعبير إذن (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ) وارد على سبيل المثل لمن: (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) فيهلكون، وعلي هذا الوجه يكون وصف البيت بالوهن بحيث لا يقوى على حماية لاجئ هو بالنسبة لمن يظنه ملجأ، ويستقيم إذن كونه مهلكة أكيدة مع كونه في غاية الصلابة، وحمل وهن البيت على تفكك أسرة العنكبوت بحيث تأكل أنثى الأرملة السوداء الذكر عقب التزاوج وتأكل صغارها فيه نظر، لأنه لا يعم كل الأنواع ولا يستقيم مع التمثيل بهلاك الحشرات بيانا لمصير من يتخذ وليا من دون الله تعالى، ولا مع ما أثبته الواقع من أن الأنثى هي التي تبني البيت بالفعل؛ ولا يلحظ ذلك عربي زمن التنزيل.

وقد كشف العلم الحديث أن خيط العنكبوت أشد متانة من الفولاذ، وعليه فهو يؤدي بكفاءة عالية مهمة اصطياد الحشرات التي تتوهمه ملجأ يحميها فإذا به أوهن بيت يحمي لاجئ لأن فيه مهلكها، وهذا هو الأنسب لبيان حال عباد الأصنام الذين يظنون فيها حمايتهم فإذا هي سبب هلاكهم الأبدي؛ بإشراكها مع الله تعالى في العبادة وطلب الحماية والنجاة، وخيوط العنكبوت تعد أقوى مادة بيولوجية قد عرفها الإنسان حتى الآن، وتعتبر الخصلات الحريرية التي تكون نسيج العنكبوت أقوى من الفولاذ، ولا يفوقها قوة سوى الكوارتز المصهور، ويتمدد الخيط الرفيع منه إلى خمسة أضعاف طوله قبل أن ينقطع، ولذلك أطلق العلماء عليه اسم "الفولاذ الحيوي" أو "الفولاذ البيولوجي"، وهو أقوى من الفولاذ المعدني العادي بعشرين مرة، وتبلغ قوة احتماله ٣٠٠ ألف رطل للبوصة المربعة، فإذا قدر جدلا وجود حبل سميك بحجم إصبع الإبهام مكون من خيوط العنكبوت فسيُمْكِنه حَمل طائرة جامبو بكل سهولة، وقد أنتجت مادة تشبه في تركيبها خيط العنكبوت تسمى بالكافلر ويستعملوها في صنع القمصان الواقية من الرصاص، وأنثى العنكبوت هي التي تقوم بالفعل بنسج الخيط عن طريق آلية هندسية تعتبر معجزة إلهية في حد ذاتها، فخيط العنكبوت يصنع بالطريقة نفسها التي تصنع بها الكوابل شديدة الصلابة؛ حيث يتكون الخيط المفرد من عدة خيوط متناهية في الصغر ملتفة حول بعضها البعض، وقد يبلغ سمك الخيط الواحد منها ١ من مليون من البوصة، وتنتجه غدد أنثى العنكبوت من خلال ثلاثة مغازل خاصة موجودة أسفل البطن، ويوجد قرب كل مغزل فتحات لغدة صغيرة تخرج منها المادة التي تكون الخيوط الحريرية، وهي مادة معظمها من البروتين وقد يصل عدد هذه الغدد إلى ٦٠٠ غدة في الحشرة الواحدة.

وتقوم العنكبوت بجمع الخيوط الناتجة من المغازل الثلاثة معا لتكوين خصلة قوية ومتينة، وتغزل العناكب التي تعيش خارج المنزل نسيجا معروفا باسم الفلك نسبة إلى شكله الدائري، وهو قطعة هندسية رائعة من الخطوط المتناسقة التي تتلألأ بشكل بهي تحت أشعة الضوء، ولقد توصل العلم الحديث إلى وصف أكثر من ٣٥ ألف نوع من العناكب المختلفة الأحجام والأشكال والألوان والطبائع، ولكنها جميعا تشترك في خصلة واحدة وهي اختصاص الأنثى ببناء البيت، ومن دراسة حياة العناكب لاحظ المختصون أن بيت العنكبوت له شكل هندسي مميز، ويقام في مكان مختار بعناية بحيث يتوفر عمل أركان له وزوايا كما البيت الذي يبنيه الإنسان، وقد لوحظ أن كل خيط من الخيوط المبني منها البيت مكون من أربعة خيوط أدق منه، ويخرج كل خيط من الخيوط الأربعة من قناة خاصة في جسم العنكبوت، وخيوط العنكبوت حريرية رفيعة جداً؛ حتى أن سمك شعرة واحدة من رأس الإنسان يزيد عن سمك خيط نسيج العنكبوت بحوالي ٤٠٠ مرة، ولا يقتصر بيت العنكبوت على أنه مأوى للسكن والمعيشة، بل هو في نفس الوقت شبكة صيد تقع في بعض حبائلها الحشرات المارة التي يغريها شكلها فتقع عليها مثل الذباب والبعوض؛ فإذا بها فريسة شهية يتغذى عليها العنكبوت بشراهة.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير مجمع البحوث: "{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}، المفردات: {الْعَنْكَبُوتِ}: دويبة تنسج نسجًا رقيقًا واهيًا، والمراد: النوع الذي يبنى بيته في الهواء، وتطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، والغالب في استعمالها التأنيث، وجمعها: عناكب وعناكيب، {أَوْهَنَ الْبُيُوتِ}: أشدها ضعفًا وعجزًا عن دفع أي أذى، التفسير: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا..} الآية، هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشركين الذين اتخذوا آلهة من دون الله يرجون نصرها ورزقها ويتمسكون في الشدائد بها مع ما هي عليه من عجز وعدم غناء، ضربه جل وعلا ليبين به أن شأنهم في الضعف والوهن، والاعتماد على غير معتمد كشأن العنكبوت اتخذت مما نسجته بيتا تحتمي به من البرد والحر وغيرهما، وبيتها من أوهى البيوت وأبعدها عن الصلاحية للاحتماء، فهم وهي مشتركان في اتخاذ ما هو في غاية الضعف في بابه، بل إن آلهتهم أوهن من بيت العنكبوت إذ له حقيقة وانتفاع في الجملة، أما هي فلا، وقيل: المعنى؛ مثل المشرك الذي عبد الوثن بالقياس إلى الموحِّد الذي عبد الله تعالى كمثل عنكبوت اتخذت بيتًا بالإضافة إلى رجل بني بيتًا من آجر وحجر أو نحته من صخر، وكما أن أضعف البيوت إذا استوعبناها بيتًا بيتًا بيت العنكبوت، كذلك أضعف الأديان إذا استقرأناها دينًا دينًا عبادة الأوثان، وهو وجه حسن ذكره الزمخشرى في الآية ونقله الآلوسي. وقوله تعالى: {وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ} وقع تذييلا لتقرير الغرض من التشبيه وهو أن أمر دينهم بلغ الغاية التي لا غاية بعدها في الضعف والوهن، حيث لا يرى شيء يدانى بيت العنكبوت في ذلك، ثم أكد ذلك بتجهيلهم بقوله سبحانه: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} أي: لو كانوا يعلمون شيئًا من العلم لما اتخذوا هذه الآلهة أولياء من دون الله، ولعلموا أن هذا مثلهم، وأن أمر دينهم لا وزن له، ولا بقاء، وقيل: لو علموا أن عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت لما عبدوها، وقد جهَّلهم سبحانه في الاتخاذ، ثم زادهم جل وعلا تجهيلا بأنهم لا يعلمون هذا الجهل الذي لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل، {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، أي: قل لهم أيها الرسول: إن الله لا تخفى عليه خافية، فهو يعلم أي شيء يدعونه إلها من دونه فقد بلغ من الحقارة حدًا لا غاية له، وإنهم لفي جهل بيّن حيث تركوا عبادة الله تعالى وعبدوا غيره مع أنه شيء لا يعبأ به، ويجوز أن يكون المعنى أن الله يعلم أنكم لستم تدعون من دون الله شيئًا؛ لأن ما تدعونه لمزيد حقارته لا يصلح أن يسمى شيئًا، {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}: أي الغالب الذي لا شريك له، {الْحَكِيمُ} في ترك المعاجلة بالعقوبة، وهو تجهيل لهم وتقريع حيث عبدوا من فرط الغباوة جمادا لا علم له ولا قدرة وهو بالإضافة إلى العزيز القاهر القادر على كل شيء الحكيم البالغ في العلم، وإتقان العمل ما لا غاية وراءه فهو بالنسبة إلى العزيز الحكيم كالمعدوم البحت، وإن من هذا شأنه جل وعلا من الغلبة والحكمة قادر على مجازاتهم، {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}؛ هذا المثل والأمثال الكثيرة التي ذكرها القرآن في سوره يضربها سبحانه للناس تقريبا لِفَهم ما ضُرِبت له، وإدراك معناه، وإظهارا للمعاني المستورة وتوضيحًا، وكان سفهاء قريش وجهلتهم يقولون: إن رب محمَّد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، فلهذا قال سبحانه: {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}: أي لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها إلا الراسخون في العلم؛ المتدبرون للأشياء على ما ينبغي"[١٠٢٦].

[١٠٢٦] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٧ ١٨٥٨).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Biology

علم الأحياء

المَوْضُوع Subject

Spider

العنكبوت

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩.**
- **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ٢٢الحج:٧٣.**
- **﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٧النمل:١٨.**
- **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤١.**
- **﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ١٠١القارعة:٤.**
- **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:١٣٣.**
- **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٥٤القمر:٦و٧.**
- **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ ٣٤سبأ:١٤.**

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ ٣٠الروم:٢-٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٠الروم:٢-٦.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾، ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾، ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾، ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

The Romans (Byzantines) **have been defeated** (by Persians) **in the lowest land** (on the surface of the earth; the dead see area)**, and after their defeat they will be victorious within few** (three to nine) **years. The decision of the matter before** (the defeat of Romans by the Persians) **and after** (the defeat of the Persians by the Romans) **is only with Allah**. **And on that Day** (the defeat of the Persians by the Romans), **the believers** (Muslims) **will rejoice** (at the victory given by Allah to them against the Arabs disbelievers)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

توالت انتصارات الفرس على البيزنطيين، وكانت إحداها بأغوار البحر الميت حوالي عام ٦١٧م؛
أي بين تدمير كنيسة القيامة في فلسطين عام ٦١٤م والتوجه نحو مصر واحتلالها عام ٦١٩م.

قال ابن منظور في لسان العرب: أدنى: "دنا من الشيء دنواً ودناوة: قَرُبَ، و(أدنى) من المشترك اللفظي المختلف في المعنى لأنها تأتي أيضا بمعنى: أقل وأخفض وأخس وأسفل، قال ابن منظور: "الدنيء من الرجال الخسيس الدون..، وقد دنأ يدنأ دناءة..؛ صار دنيئا.. وسفل..، يقال لقد دنأت تدنأ أي سفلت..، قال الله تعالى "أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير"؛ قال الفراء هو من الدناءة..، وقال الزجاج.. أقل قيمة، والأدنى السفل..، (و) الدنيء بمعنى الدون..، قال الهروي: الدنيء الخسيس، وقال البيضاوي: أدون قدرا، وقال القرطبي: هو مأخوذ من (الدون) أي الأحط فأصله (أدون)، والمعلوم عند علماء اللغة أن المشترك اللفظي يؤول بحسب السياق، وفي التعبير (أدنى الأرض) يمكن حمله على القرب وهو ما لم يجد المفسرون تأويلا سواه قبل الاكتشاف أن المعارك بين الفرس والروم والتي وقعت بجوار البحر الميت هي أخفض منطقة على سطح القارات؛ رغم معرفتهم كما نقلوا عن ابن عباس والسدي أن الحرب وقعت بين الأردن وفلسطين، وحدد علي بن حجر العسقلاني مكان المعركة بأنه بين أذرعات بالأردن وبصرى الشام، ولكن القرب نسبي يفتقد إلى التحديد، ويستقيم من حيث اللغة حمل دلالة لفظ (أدنى) على الأخفض والأخس والأدون؛ وهو المعنى الوحيد الدال على التحديد.

في عام ٦٢٤م باغت هرقل الفرس بالإبحار خلال البحر الأسود؛ فاستولى على أذربيجان ودمر أكبر معبد نار مجوسي، وهو نفس عام نصر المسلمين في بدر، وتوالت انتصارات البيزنطيين الروم الشرقيين على الفرس الساسانيين؛ وكانت المعركة الحاسمة في عام ٦٢٧م بمنطقة نينوى عاصمة آشور القديمة في بلاد الرافدين.

بعد هزيمة الروم كان المتوقع أن تُدمر الإمبراطورية البيزنطية، وفي تلك الظروف نزلت الآيات الأولى من سورة الروم بغير المتوقع من الجميع لتعلن أن الإمبراطورية البيزنطية سوف تحرز النصر في غضون بضع سنوات من هزيمتها، وهذا النصر بدا مستحيلاً في أعين العرب المشركين إلى درجة دفعت بهم إلى السخرية من هذه الآيات القرآنية، وظنوا أن هذا النصر الموعود في القرآن لن يتحقق. وبعد ما يقارب السبع سنوات من نزول الآيات من سورة الروم، في شهر ديسمبر من عام ٦٢٧م وقعت معركة حاسمة بين البيزنطيين وإمبراطورية الفرس بمنطقة ناي نيفا Nineveh، وهذه المرة ولدهشة الكل هزم البيزنطيين الفرس، وبعد أشهر قليلة لجأ الفرس إلي إبرام اتفاقية مع بيزنطة تجبرهم على إعادة المناطق التي أخذوها من البيزنطيين، وبذلك تحققت معجزة القرآن الكريم عندما أخبر مُسبقا بانتصار الروم.

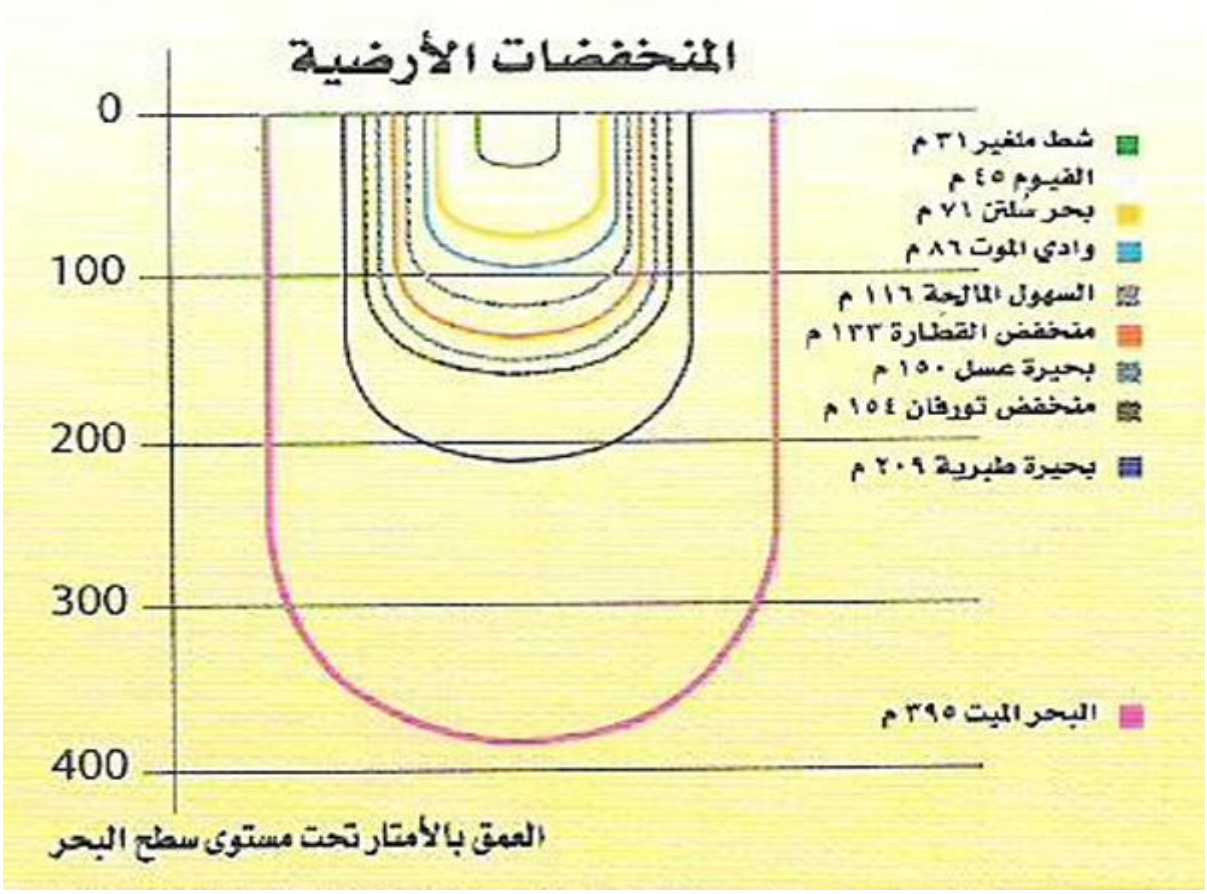

وتوضح المصورات الجغرافية مستوى المنخفضات الأرضية في العالم أن أخفض منطقة على سطح الأرض هي تلك المنطقة التي بقرب البحر الميت في فلسطين حيث تنخفض عن سطح البحر بعمق حوالي ٤٠٠ (٣٩٥) متراً، وقد أكدت ذلك صور وقياسات الأقمار الاصطناعية، وهذا مثال مدهش عما يكشفه القرآن الكريم عن المستقبل يمكننا أن نجده في تلك الآيات الأولى من سورة الروم التي تشير إلى الإمبراطورية البيزنطية؛ وهي الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، إذ تذكر هذه الآية أن الإمبراطورية البيزنطية هزمت هزيمة نكراء، ولكنها سوف تنتصر بعد ذلك بوقت قصير، والآية التي تتحدث عن هذا الموضوع نزلت بعد هزيمة الإمبراطورية على يد الفرس الوثنين، وقد أشارت الآية إلى أن الروم البيزنطيين سوف يحرزون النصر في معركة أخرى قريبة، وبالفعل فقد عانى الروم البيزنطيون حينها من خسائر جسيمة جعلت أمر بقاء إمبراطوريتهم على المحك، ولذلك كان من المستبعد انتصارها مرة أخرى، فلم يكن الفرس فقط هم الخطر الوحيد الداهم بل كان معهم أيضاً العفاريين والسلاف واللومبارديون، فقد وصل العفاريين إلى أسوار القسطنطينية، فأمر إمبراطور البيزنطيين آنذاك هرقل أن يصهروا الذهب والفضة الموجودة في الكنائس ويحولوها إلى أموال تغطي نفقات الجيش، وعندما لم يكن ذلك كافياً، أذيبت حتى التماثيل البرونزية وحولت إلى أموال، مما ألب الكثير من الولاة ضد هرقل ووصلت الإمبراطورية في عهده إلى مشارف الانهيار، فقد غزا الفرس الوثنين كلا من وادي الرافدين وكليليكيا وسوريا وفلسطين ومصر التي كانت من قبل تحت الحكم البيزنطي.

قال أحمد حطيبة: "هذه معجزة أخرى من معجزات القرآن العجيبة.. {فِي أَدْنَى الأَرْضِ}؛ لها معنيان: معنى الدنو أي القرب، فالمعركة.. كانت في فلسطين عند البحر الميت..، فكانوا يفهمون المعنى على ذلك، وهو معنى صحيح، ولكن الآية أشارت إلى شيء آخر؛ وهو أن الدنو يأتي بمعنى الشيء الأسفل، فقوله تعالى: {فِي أَدْنَى الأَرْضِ}؛ أي في.. أخفض منطقة من الأرض".

فهناك إذن وجه إعجازي واضح في هذه الآيات، وهي أنها تقرر حقيقة جغرافية لم تكن معروفة عند أحد في ذلك الوقت، فالآية تخبرنا أن الروم كانوا قد خسروا المعركة في أدنى منطقة من الأرض. وتعبير (أدنى الأرض) في العربية يعني حسب التفاسير مكاناً قريبًا، ولكن هذا التفسير غير حصري، لأن كلمة أدنى لم تأت في هذه الآية بهذا المعنى فقط، فكلمة أدنى في اللغة العربية مُشتقة من الدنو أو الدناءة؛ ولذا معناها إما الاقتراب أو التسفل والانخفاض في الحالة وفق ما يُمليه السياق وتشهد به القرائن، ولذلك فإن تعبير أدنى الأرض بمعنى البسيطة يفيد هنا أكثر الأمكنة انخفاضاً في العالم، وأما معنى القرب وإن كان صحيحا فهو نسبي وليس فيه تحديد وتقييد، فكل ما جاور مكة أو الجزيرة قريب، والمثير للاهتمام أن شهادة الواقع تقول أن أهم مراحل الحرب التي وقعت بين الروم والفرس وأسفرت عن هزيمة الروم وخسارتهم للقدس، حصلت في أكثر مناطق العالم انخفاضاً في حوض البحر الميت الذي يقع في منطقة تتقاطع فيها كل من سوريا والأردن وفلسطين ويبلغ مستوى سطح الأرض هنا ما يقارب ٤٠٠ متراً تحت سطح البحر، مما يجعل هذه المنطقة فعلاً أدنى منطقة في الأرض. وأهم ما في الأمر أن ارتفاع بحر الميت لم يكن ليقاس في غياب تقنيات القياس الحديثة، ولذلك كان من المستحيل أن يعرف أي شخص في ذلك الوقت أن هذه المنطقة أكثر المناطق انخفاضاً في العالم، ومع ذلك فإن هذه الحقيقة ذكرت في القرآن وهذا يؤكد مرة أخرى على أن القرآن الكريم هو وحي من عند الله تعالى.

قال الدروبي تلميذ المُحدث محمد ناصر الدين الألباني: "(فِي أَدْنَى الأَرْضِ) .. طرف بلاد الشام مما يلي الحجاز وهي أخفض نقطة في الأرض"، وقال محمد راتب النابلسي: "إنّ كلمة: {أَدْنَى} تعني شيئين؛ تعني أنّه الأسْفلُ، وتعني أنَّه الأقربُ..، وقد أجْمَعَ المؤرخون على أنّ المعركة.. كانت في الأغْوار..، وأدنى الأرضِ يعني أخْفض نقطةٍ في الأرض"، وقال الدكتور فاضل السامرائي : "فهذا دليل صدق الرسالة والنبوة..، دليل إعجاز علمي آخر..؛ (حيث) لم يُكتشف العلم إلا مؤخراً أن هذه الأرض التي هي (حول) البحر الميّت إنما هي حقيقةً أخفض نقطة على سطح الأرض"، وقال القماش: "يبلغ طول أغوار وادي عربة (حول) البحر الميت.. حوالي الستمائة كيلومتر؛ ممتدة من خليج العقبة في الجنوب إلي بحيرة طبريا في الشمال، ويتراوح عرضها بين العشرة والعشرين كيلومترا، وخلاصة القول (أنها).. أخفض أجزاء اليابسة علي الإطلاق، ووصف القرآن الكريم لأرض تلك المعركة الفاصلة.. بأدنى الأرض وصف معجز.. لأن أحدا من الناس لم يكن يدرك تلك الحقيقة في زمن الوحي؛ بالإضافة إلي ما جاء بتلك الآيات من إعجاز تنبؤي شمل الأخبار بالغيب، وحدد لوقوعه بضع سنين، فكانت من دلائل النبوة".

وقد وقعت هزيمة الروم على يد مملكة فارس عام ٦١٩م في منطقة بين أذرعات وبصرى قرب البحر الميت، وأصاب المسلمين الحزن نتيجة لانهزام الروم لأنهم أهل كتاب يدعو في الأصل إلى التوحيد بينما الفرس مجوس وعبّاد للنار، فوعد الله تعالى المسلمين بأن الفرس ستُغلب في المعركة الثانية بعد بضع سنوات وأن نصر الروم سيتزامن مع نصر المسلمين على المشركين، وبضع سنوات هو رقم بين الخمسة والسبعة أو بين الواحد والتسعة كما يقول علماء اللغة، وقد تحقق ما وعد به القرآن الكريم بعد سبع سنوات أي ضمن المدة التي حددها من قبل، حيث وقعت معركة أخرى بين الفرس والروم سنة ٦٢٦م وانتصر فيها الروم؛ وتزامن ذلك مع انتصار المسلمين على مشركي قريش في غزوة بدر الكبرى.

وقد ذكرت الموسوعة البريطانية ما ترجمته: "البحر الميت بقعة مائية مالحة مغلقة بين (إسرائيل) والأردن، وأخفض جسم مائي على الأرض، فانخفاضه يصل إلى نحو ١٣١٢ قدم (حوالي ٤٠٠ متر) من سطح البحر، القسم الشمالي منه يقع في الأردن وقسمه الجنوبي مقسّم بين الأردن وإسرائيل، ولكن بعد الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٦٧ ظل الجيش الإسرائيلي في كل الضفة الغربية، ويقع البحر الميت بين تلال جُدَيّة غرباً وهضاب الأردن شرقاً"، ويتجلى وجه الإعجاز في قوله تعالى: (أدنى الأرض) حيث تعني كلمة أدنى في اللغة أقرب وأخفض، فأخفض منطقة هي منطقة أغوار البحر الميت بفلسطين؛ تماماً كما سجلته الأقمار الاصطناعية بعد أربعة عشر قرناً، إن المتأمل في الآية القرآنية يلاحظ أنها قد وصفت ميدان المعركة الأولى بين الفرس والروم بأنه أدنى الأرض وكلمة أدنى عند العرب تأتي بمعنيين أقرب وأخفض، فهي من جهة أقرب منطقة لشبه الجزيرة العربية، ومن جهة أخرى هي أخفض منطقة على سطح الأرض، إذ إنها تنخفض عن مستوى سطح البحر بحوالي ٤٠٠ متر وهي أخفض نقطة سجلتها الأقمار الاصطناعية على اليابسة، كما ذكرت ذلك الموسوعة البريطانية، وهذا تصديق للآية القرآنية الكريمة، فسبحان الله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله تعالى: {الم. غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ} الآية، روى ابن جبير عن ابن عباس؛ قال: كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان، قال ابن شهاب: فغلبت فارس الروم فَسُرَّ بذلك المشركون وقالوا للمسلمين إنكم تزعمون أنكم ستغلبوننا لأنكم أهل كتاب، وقد غلبت فارس الروم والروم أهل كتاب، وقيل: إنه كان آخر فتوح كسرى أبرويز فتح فيه القسطنطينية حتى بني فيها بيت النار، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فساءه فأنزل الله هاتين الآيتين، فلما قال: {وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ} سر بذلك المسلمون وبادر أبو بكر رضي الله عنه إلى مشركي قريش فأخبرهم بما أنزل عليهم، وأن الروم ستغلب الفرس، قال قتادة: فاقتمر أبو بكر والمشركون على ذلك، وذلك قبل تحريم القمار؛ مدة اختلف الناس فيها على ثلاثة أقاويل: أحدها: مدة ثلاث سنين تظهر الروم فيها على فارس؛ قاله السدي، الثاني: خمس سنين؛ قاله قتادة، الثالث: سبع سنين؛ قاله الفراء، وكان الذي تولى ذلك من المسلمين أبو بكر رضي الله عنه، واختلف في الذي تولاه من المشركين مع أبي بكر على قولين؛ أحدهما: أنه أبو سفيان بن حرب؛ قاله السدي، الثاني: أنه أُبي بن خلف؛ قاله قتادة، وحكي النقاش أن أبا بكر لما أراد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم عَلِق به أبي بن خلف؛ وقال: اعطني كفيلاً بالخطر إن غلبت؛ فكفله ابنه عبد الرحمن، واختلف في قدر العوض المبذول على قولين؛ أحدهما: أربع قلائص؛ قاله عامر، الثاني: خمس قلائص؛ قاله قتادة، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر لهم هذه المدة أنكرها؛ وقال: مَا حَمَلَكَ عَلَىَ مَا فَعَلْتَ؟، قال: ثقة بالله وبرسوله، قال: فَكَم البِضْعُ، قال: ما بلغ بين الثلاث والعشر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: زِدْهُم فِي الخَطَرِ فِي وَزِدْ الأَجَلِ، فزادهم قلوصين وازداد منهم في الأجل سنتين فصارت القلائص ستاً على القول الأول، وسبعاً على الثاني، وصار الأجل خمساً على القول الأول، وسبعاً على الثاني: وتسعاً على الثالث، واختلف في الاستزاده والزيادة على قولين؛ أحدهما: أنها كانت بعد انقضاء الأجل الأول قبل ظهور الغلبة؛ قاله عامر، الثاني: أنها كانت قبل انقضاء الأجل الأول؛ قاله ابن شهاب، فأظفر الله الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني؛ تصديقاً لخبره في التقدير ولرسوله صلى الله عليه وسلم في التنزيل، واختلف في السنة التي غلبت الروم أهل فارس على ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها عام بدر ظهر الروم على فارس فيه وظهر المسلمون على قريش فيه؛ قاله أبو سعيد، قال: فكان يوم بدر، الثاني: أن ظهور فارس على الروم كان قبل الهجرة بسنتين، وظهور المسلمين على قريش كان في عام بدر بعد الهجرة بسنتين؛ ولعله قول عكرمة، الثالث: عام الحديبية ظهرت الروم على فارس وكان ظهور المسلمين على المشركين في الفتح بعد مدة الحديبية؛ قاله عبيد الله بن عبد الله، فأما قوله تعالى: {فِي أَدْنَى الأَرْضِ} ففيه قولان، أحدهما: في أدنى أرض فارس؛ حكاه النقاش، الثاني: في أدنى أرض الروم؛ وهو قول الجمهور، وفي أدنى أرض الروم أربعة أقاويل؛ أحدها: أطراف الشام، قاله ابن عباس، الثاني: الجزيرة وهي أقرب أرض الروم إلى فارس؛ قاله مجاهد، الثالث: الأردن وفلسطين؛ قاله السدي. الرابع: أذرعات الشام وكانت بها الواقعة؛ قاله يحيى بن سلام، وقرأ أبو عمرو وحده: {غَلَبَتِ} بالفتح أي ظهرت، فقيل له علام غلبت؟ فقال: في أدنى ريف الشام، قوله تعالى: {فِي بِضْعِ سِنِينَ} وهو ما بين الثلاث إلى العشر وهذا نص عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال بعض أهل اللغة هو ما بين العقدين من الواحد إلى العشرة فيكون من الثاني إلى التاسع، وأما النيف ففيه قولان؛ أحدهما: ما بين الواحد والتسعة؛ قاله ابن زيد، الثاني: ما بين الواحد والثلاثة؛ وهو قول الجمهور، {لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} فيه وجهان؛ أحدهما: من قبل أن تغلب الروم ومن بعد ما غلبت، الثاني: من قبل غلبة دولة فارس على الروم ومن بعد غلبة دولة الروم على فارس، {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ} فيه قولان؛ أحدهما: أنه الخبر الذي ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية بهلاك كسرى، ففرح ومن معه فكان هذا يوم فرحهم بنصر الله لضعف الفرس وقوة العرب، الثاني: يعني به نصر الروم على فارس، وفي فرحهم بذلك ثلاثة أوجه: أحدها: تصديق خبر الله وخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، الثاني: لأنهم أهل كتاب مثلهم، الثالث: لأنه مقدمة لنصرهم على المشركين، {بِنَصْرِ اللَّهِ} يعني من أوليائه لأن نصره مختص بغلبة أوليائه لأعدائه، فأما غلبة أعدائه لأوليائه فليس بنصر؛ وإنما هو ابتلاء، {وَهُوَ الْعَزِيزُ} في نقمته {الرَّحِيمُ} لأهل طاعته"[١٠٢٧].

[١٠٢٧] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٤ ٢٩٦).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Archeology

علم الآثار

المَوْضُوع Subject

Byzantines & Persians.

البيزنطيين والفرس

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ ٣٠الروم:٢-٥.**

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٣٠الروم:٤١.

Paragraph الفَقْرَة

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٣٠الروم:٤١.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾، ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Bad changes have been evolved in the environment; land and sea, because of what the people have committed. He thus lets them taste the consequences of some of their bad works, that they may return (to the right works)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لم تكن الأرض في بداية تكوينها صالحة للحياة، فتغيرت نسبة المواد السامة في الجو وانتشرت المراعي وعمرت الأرض بتنوعات الحياة.

تدل الدراسات الحديثة لتاريخ الأرض على أنه كان ذات يوم مليئاً بالغازات السامة، ثم انخفضت نسبتها تدريجياً وزادت نسبة الأكسجين وأصلح الخلل في جو الأرض ولولا هذه العمليات لم يكن للحياة أن تنشأ على الأرض، واليوم ازدادت نسبة التلوث من جديد فنجد العلماء يطلقون الصيحات المحذرة للبشر ألا يلوّثوا هذه الأرض لأن ذلك سيؤدي إلى الكثير من الكوارث البيئية، ولذلك فقد سبق القرآن للإشارة إلى هذه الحقيقة العلمية؛ فأكد لنا القرآن أن الأرض كانت ذات يوم غير صالحة للحياة فأصلحها الله، وأمرنا ألا نفسد فيها وأن ندعو الله ليجنبنا شر الكوارث فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٧الأعراف:٥٦.

ولقد دلت القياسات الإشعاعية لصخور الأرض أن عمر هذه الأرض بحدود ٤,٦ بليون سنة، حيث كانت الأرض في بداياتها عملاقاً ملتهباً مغلفة بالصخور الملتهبة، وهناك ملايين النيازك التي تصطدم بسطحها كل يوم كمطارق جبارة، ثم بدأت بالتبرد شيئاً فشيئاً، وبدأ بخار الماء بالتكاثف حولها في الغلاف الجوي، وبدأت الغيوم بالتشكل والأمطار بالتساقط بغزارة؛ مما أدى إلى نشوء البحار، وبدأت القشرة الأرضية بالتشكل، وبدأت التشققات تظهر على هذه القشرة فشكلت ما يسمى بالألواح الأرضية، وبدأت هذه الألواح بالحركة والتصادم فيما بينها لتتشكل الجبال، والسائد أن الحياة قد بدأت على هذه الأرض قبل ٣ بليون سنة، وقد وجدت شواهد على حدوث انقراض مفاجئ للعديد للديناصورات والعديد الكائنات الحية قبل ٦٥ مليون سنة، وقد أرجع المختصون الحدث إلى نيزك ضخم اخترق الغلاف الجوي للأرض وسبب الحرائق والدمار والتلوث فهلكت جملة أنواع من المخلوقات بالكامل، والأرض في بدايات خلقها كانت ملوثة بالغازات السامة، ولم يكن الأكسجين قد ولد بعد، ثم تمت تنقية الجو، وهكذا أصلح الله تعالى الأرض للحياة، فكمية غاز الكربون وغاز الميثان كانت أعظم بمئات المرات مما هي عليه اليوم، أي كان هناك فساد في جو الأرض وأصلحه الله من خلال خلق النباتات التي امتصت هذا الغاز لصنع غذائها، ومن خلال ذوبان جزء هذا الغاز السام في المحيطات، وبنفس الوقت خلق الله كميات هائلة من البكتريا التي تنتج الأكسجين بكميات كبيرة، واستمرت هذه العملية ملايين السنين وكانت البكتريا والنباتات بمثابة أجهزة لتنقية جو الأرض، وباختصار كانت الأرض ذات يوم ملوثة بشدة فأصلحها الله تعالى لنا برحمته، ولكن كيف عرف العلماء بنسبة الكربون مثلا في الجو قبل ملايين السنين؟ لقد وجدوا أثناء أخذهم عينات من الجليد، وهو يحوي فقاعات من الغاز، وبعد دراستها وما تحويه من عناصر تدعى النظائر المشعة، فإنهم يستطيعون من خلال كمية الإشعاع المتبقية في هذه العناصر أن يحسبوا عمر هذه الفقاعات، وكيف كان الجو السائد في ذلك الزمن.

تطلق المصانع حاليا أدخنة كثيفة يمكن أن تخرب التوازن البيئي في الأرض.

وقد دلت الدراسات أن نسبة غاز الكربون في الجو الآن أعلى بثلاثين في المائة من العصور السابقة، ونسبة غاز الميثان أعلى بنسبة مئة بالمائة. ونسبة غاز الكربون تزداد بمعدل واحد بالمائة كل عام، وهذه الزيادة المتسارعة هي بسبب النشاط البشري في حرق الوقود وإنتاج الطاقة، ولذلك إذا استمرت الزيادة كما هي عليه الآن، فإنه خلال مئة عام ستكون نسبة غاز الكربون في الهواء أعلى من أي وقت مضى على تاريخ الأرض خلال المليون سنة الماضية.

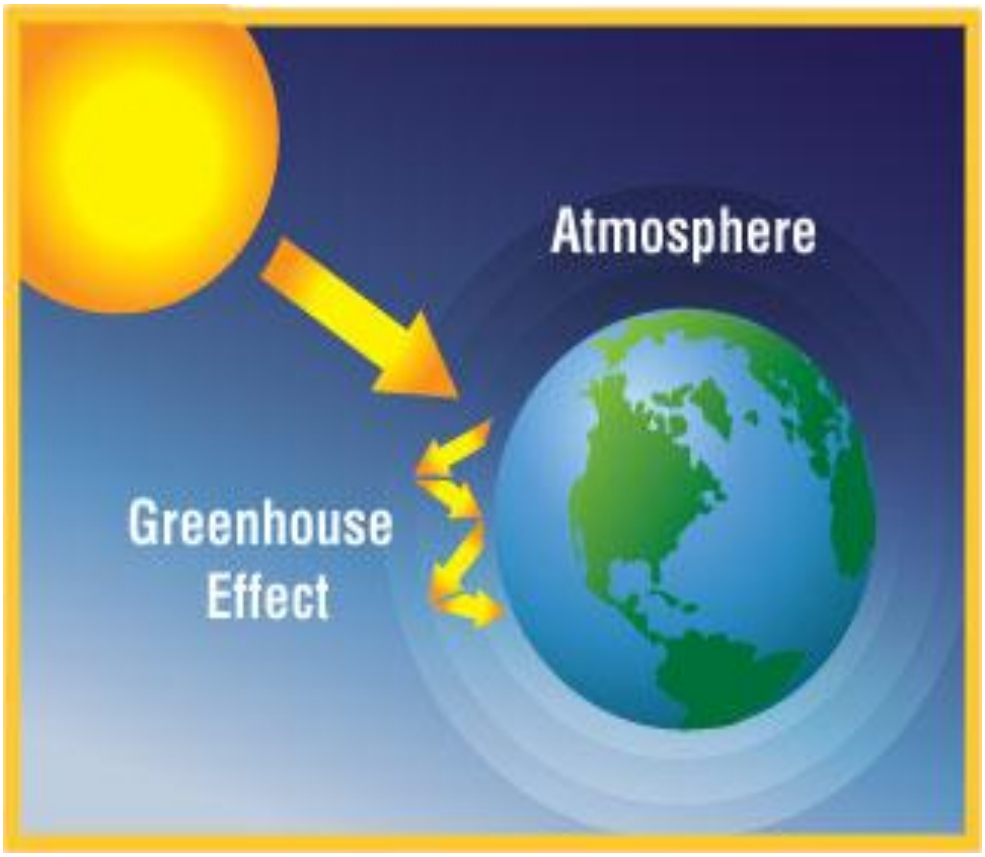

ولم يكن أحد زمن التنزيل يعلم أن الإنسان قد يفسد النظام البيئي العالمي، وفي قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم: ٤١؛ ورد التعميم ليشمل كل سطح الأرض؛ برا وبحرا، في التعبير (فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)، ولفظ (الْفَسَادُ) عام؛ يمتد ليشمل الفساد البيئي نتيجة لسوء صنيع الناس بها، والاحتباس الحراري تعبير معاصر يقدم مثالا؛ يؤكد دلالة القرآن في إمكان الفساد البيئي للعالم كله نتيجة النشاط الإنساني.

وقد ابتكر أرينيوس مصطلح الاحتباس الحراري Global Warning عام ١٨٩٦م، وتوقع أن الوقود الحفري المحترق سيزيد من كميات ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي وأنه سيؤدي إلى زيادة درجات حرارة الأرض؛ مثلما يُعرف بتأثير دفيئة النبات Greenhouse effect، فإن أشعة الشمس تتغلغل وتسخن الداخل إلا أن الزجاج يمنعها من الرجوع إلى الهواء المعتدل البرودة في الخارج، واستنتج أنه في حالة تضاعف تركيز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي فإننا سنشهد ارتفاعا بمعدل ٤ إلى ٥ درجات مئوية في درجة حرارة الكرة الأرضية؛ ويقترب ذلك على نحو ملفت للنظر من توقعات اليوم، وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهر اختلال في مكونات الغلاف الجوي نتيجة النشاطات الإنسانية وتقدم الصناعة، ونتيجة لزيادة معدلات العوادم الصناعية أصبحنا نلاحظ الآن اتضاح ظاهرة الدفيئة وتغير المناخ، فتركيز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي أصبح أعلى بحوالي ٣٢% عما كان عليه تركيزه قبل الثورة الصناعية، وحسب تقرير اللجنة الدولية لمراقبة التغيرات المناخية قد ارتفعت درجة الحرارة إلى ما بين ٠,٤ ــ ٠,٨°م خلال القرن الماضي.

وقد كشفت دراسة حديثة أن عدد الأعاصير المدمرة مثل كاترينا وأندرو قد تزايد خلال العقود القليلة الماضية، وعزت سبب هذا التزايد إلى ظاهرة الاحتباس الحراري، كما بينت أن عدد الأعاصير الشديدة قد ارتفع من ١١ إعصارا سنويا إبان السبعينيات إلى ١٩ إعصارا منذ العام ١٩٩٠، واستنادا للمبدأ القائل بأن المحيطات هي سبب التغيرات المناخية التي تحدث على اليابسة قال بيتر وبستر من معهد جورجيا للتكنولوجيا أن بخار الماء الناتج من ارتفاع درجة حرارة مياه المحيطات هو بمثابة الوقود الذي يعجل من سرعة الأعاصير، وأعلن أن معدل درجة حرارة مياه أسطح البحار قد ارتفعت درجة مئوية بين العامين ١٩٧٠ و٢٠٠٤، وحذر غريغ هولاند من المركز القومي لأبحاث المناخ بأن من المحتمل أن تشهد السنوات المقبلة تزايدا في أعاصير تشبه في خطورتها وقوتها الإعصار كاترينا والإعصار أندرو، وأجمع الباحثون على أن ارتفاع درجات الحرارة على أسطح البحار سببه الرئيس هو الاحتباس الحراري.

وقد لوحظ أن ١٧١ إعصارا شديدا قد ضربت المنطقة شرق الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي ١٩٧٥ و١٩٨٩ وأن العدد ارتفع إلى ٢٦٩ في الفترة الممتدة من عام ١٩٩٠ إلى عام ٢٠٠٤، وقد اعترفت كذلك أكاديمية العلوم الوطنية الأمريكية بوجود علاقة بين النشاط البشرى الذي يؤدى إلى انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون وبين ظاهرة الانحباس الحراري وما تسببه من آثار مدمرة للبيئة، وأصدرت كل من وزارتي الطاقة والتجارة الأمريكيتين تقريراً مشتركاً يتضمن اعترافاً صريحا بالأضرار التي يمكن أن تلحق بكوكب الأرض بسبب الاحتباس الحراري، وتشكل أوربا واليابان وأمريكا الشمالية مجتمعة ما يقرب من ١٥ % من سكان العالم إلا أنهم مسئولون عن حوالي ثلثي (٦٦ %) غاز ثاني أكسيد الكربون الذي تطلقه المصانع، وأما الولايات المتحدة الأمريكية التي لا يزيد عدد سكانها عن ٥ % من سكان العالم فهي مسئولة وحدها عن ربع تلك الكمية (٢٥ %)، أي أن أقل من ٢٠ % من سكان العالم يتسببون في إطلاق أكثر من ٩٠ % منها، ولكن العواقب الوخيمة تنال الكل على حد سواء ولا تميز بين من أطلقها ومن لم يطلقها.

وإذا ارتفعت درجة حرارة الكوكب نتيجة لتراكم مخلفات المصانع خاصة في البلدان المتقدمة تلك فمن المحتمل أن تزداد حرارة سطح المحيطات في المناطق الاستوائية فتتضاعف الأعاصير وتزداد عنفا وضراوة ويذوب جليد القطبين ويرتفع مستوى سطح البحر ليدمر مدن الشواطئ، وقد تضاعفت موجات الحر في معظم بلدان العالم منذ أواخر القرن العشرين بما لم يسبق له مثيل طوال الألفية الماضية، ووفقا لسجلات المنظمة العالمية للأرصاد الجوية شهد عام ٢٠٠٣ موجة حر قاسية، وشهد عام ٢٠٠٢ موجة حر أشد قسوة، وأما موجة الحر عام ١٩٩٨ فلم يشهدها صيف خلال السنوات الألف الماضية منذ عام ١٨٦١، ويقدر معدل ارتفاع درجة الحرارة في الفترة منذ عام ١٩٧٦ حتى عام ٢٠٠٥ بثلاثة أمثال معدله للسنوات المائة الماضية، وينذر الارتفاع في درجة الحرارة بتوالي الكوارث بنسق متصاعد.

ويتوقع الخبراء أن يزداد ارتفاع سطح البحر إلى ٨٨ سنتمتراً بحلول عام ٢١٠٠ الأمر الذي يهدد حياة ١٠٠ مليون إنسان يعيشون على أراضي منخفضة، ناهيك عن تزايد الإصابة ببعض الأمراض كالملاريا نتيجة لتزايد تكاثر البعوض الناقل لها في الجو الحار، وقد نبهت هذه التحذيرات الدول للتداعي إلى الاجتماع في محاولة لتجنب الخطر من خلال اتفاقيات ملزمة كان أبرزها معاهدة كيوتو Kyoto Protocol الذي وافقت عليه كل الدول الصناعية الكبرى إلا الولايات المتحدة الأمريكية ذات المسئولية الأعظم في تخريب المناخ، ولكن مع توالي الأعاصير وتزايد عنفها يوما بعد آخر يدفع سكانها الأبرياء الثمن، وكل ذي حس إنساني تؤلمه المشاهد المروعة يواسي المنكوبين وينتظر غد تتكاتف فيه أيدي الجنس البشري جميعا للعيش بسلام وبناء عالم يخلو من العنصرية والأطماع والاستكبار، والأمل على الأقل أن يُستجاب لتحذيرات الخبراء، والعجيب أن تلك التحذيرات تتفق تماما مع ما سبق وقرره القرآن من أن الفساد في البيئة قد ينجم عن النشاط البشري في قوله تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" الروم: ٤١.

إن زيادة نسبة غاز الكربون سوف تتسبب بتغيرات مفاجئة بالمناخ، وهذا سوف يسبب بعض الكوارث الطبيعية، وينتج عن ذلك مجاعة، وسوف يرتفع مستوى سطح البحر عدة أمتار بسبب ذوبان الجبال الجليدية في القارة المتجمدة الشمالية والجنوبية. وهذا سيؤدي إلى غرق مدن ساحلية بأكملها نتيجة هذا الارتفاع الكبير، إن زيادة نسبة الكربون في الجو خلال العصور السابقة للأرض كانت بفعل الظواهر الجيولوجية كالبراكين وما تقذفه من غازات، وعلى الرغم من الكميات الهائلة التي أطلقتها البراكين فيما مضى، إلا أنها تبقى أقل بكثير مما يطلقه البشر اليوم من ملوثات.

وقد كشف القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية المستترة في أعماق التاريخ فأكد لنا أن الأرض كانت ذات يوم في الماضي غير صالحة للحياة فأصلحها الله تعالى، وأمرنا ألا نفسد فيها وإلا عمت الكوارث بسبب بشري لا بيئي، فقال تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ١٧الأعراف:٥٦، وفي مؤتمر باريس ٢ الذي عقد في مطلع العام ٢٠٠٧ واجتمع فيه أكثر من ٥٠٠ عالم من مختلف أنحاء العالم خرجوا بنتائج أهمها أن الفساد البيئي والتلوث قد شمل البر والبحر وحتى البشر والنبات والحيوان، وأن الإنسان هو المسئول عن هذا الإفساد، وأن هناك إمكانية للرجوع إلى النسب الطبيعية لغاز الكربون في الغلاف الجوي، والعجيب أن القرآن لخَّص لنا هذه النتائج بآية واحدة فقط تشير إلى ظهور هذا الفساد في البر والبحر بسبب تدخل الإنسان، يقول تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ٣٠الروم:٤١.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} في {الفَسَادِ} أربعة أقاويل؛ أحدها: الشرك؛ قاله السدي، الثاني: ارتكاب المعاصي؛ قاله أبو العالية، الثالث: قحط المطر؛ قاله يحيى بن سلام، الرابع فساد البر: قتل ابن آدم أخاه، وفساد البحر: أخذ السفينة غصباً، ويحتمل خامساً: أن ظهور الفساد ولاة السوء، {فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} هنا أربعة أقاويل؛ أحدها: أن البر الفيافي والبحر القرى؛ قاله عكرمة، وقال: إن العرب تسمي الأمصار البحار، الثاني: البر أهل العمود والبحر أهل القرى والريف؛ قاله قتادة. الثالث: أن البر بادية الأعراب؛ قاله الضحاك والبحر الجزائر؛ قاله عطاء، الرابع: أن البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر، والبحر ما كان على شط نهر؛ قاله ابن عباس، وللمتعمقين في غوامض المعاني وجهان؛ أحدهما: أن البر النفس والبحر القلب، الثاني: أن البر اللسان والبحر القلب. لظهور ما على اللسان وخفاء ما في القلب، وهو بعيد، {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} قال السدي: بما عملواْ من المعاصي واكتسبوا من الخطايا، {لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} من المعاصي جزاءً معجلاً في الدنيا وجزاءً مؤجلاً في الآخرة؛ فصار عذاب الدنيا بعض الجزاء، {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: يرجعون عن المعاصي، قاله أبو العالية، الثاني: يرجعون إلى حق؛ قاله إبراهيم، الثالث: يرجع من بعدهم؛ قاله الحسن"[١٠٢٨].

[١٠٢٨] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٤\ ٣١٧).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Meteorology

الأرصاد الجوية

المَوْضُوع Subject

Environment Pollution

تلوث البيئة

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٧الأعراف:٥٦.**
- **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٣٠الروم:٤١.**

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾
٣٠الروم:٤٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ. فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٣٠الروم:٤٨-٥٠.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Allah is the One who sends the (loaded) **winds** (by water vapor)**, to stir up clouds, then He spreads it throughout the sky in accordance with His will; and collecting it in pieces, until you see rain drops come forth from within them.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا. فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا. فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا. فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا. إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ٥١الذاريات:١-٦؛ عملية التذرية هي رفع العوالق الناعمة بواسطة الرياح على نحو ذرو هشيم سنابل القمح نحو الأعلى لاستخلاص الحبوب، لكن (الذاريات) هي الرياح الصاعدات للذرى تذرو الجزيئات التي تبعثرها وتخلخلها وتحملها للأعلى وتمثل نويات يتكاثف حولها الماء، وهي أشبه ما تكون بعملية التلقيح حيث تجود السحب بالمطر كلما توفرت نويات التكاثف، ويصعد الهواء الساخن لأعلى فتنخفض درجة حرارته ويقل ضغطه فتتكون سحب من بخار الماء عندما تصل إلى درجة التشبع فتصبح السحابة في طبقات الجو العليا مكونة من بللورات من الثلج تتجمع في أعلاها ومن نقط الماء في أسفلها، فإذا أضيف إلى السحاب نويات التكاثف؛ من الجسيمات الدقيقة التي تذروها الرياح من غبار الأرض وأتربتها ورذاذ البحر والرماد البركاني؛ فحينئذ تمطر السحابة المثقلة بإذن الله تعالى.

وقد ورد في التفسير أن الذاريات هي الريح، فقد رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: "الذاريات ذروا هي الرياح ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته"، وأن علياً رضي الله عنه قال كذلك أنها الرياح، ويشير لفظ (الذَّارِيَاتِ)" إلى رياح سطحية صاعدة قد تسبب عواصف ترابية وقد تدوم فترة طويلة، ويمكنها رفع وإثارة الرمال في الصحاري المفتوحة إلى ارتفاعات كبيرة، ويمكن أن ترفع الرياح مواد من التربة وبخار الماء، وهذا هو تأثير القوى الصاعدة ثم تقوم الرياح من خلال قوى أفقية بنقل السحاب المثقل إلى حيث يشاء الله تعالى.

تمد العواصف الرياح بالعوالق الترابية لتكوين أنوية تكاثف في السحاب فيتكون المطر بغزارة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ١٥الحجر:٢٢؛ جاءت أداة (الفاء) بنفس دلالتها في العربية على تعقيب حدث لآخر مرتبطا به، فجعلت الحدث الأول الأساس: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ)، وجعلت الحدث الذي يرتبط به وينبني عليه ويليه: (فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً)، والذي بعده: (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)، وبهذا أوجز قصة تكوين المطر والنماء بنزوله وتخزينه مياه جوفية ذخيرة للإنسان في الصحراء عند الحاجة خاصة للإرواء، وإذن التعبير (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) وارد في مقام بيان كيفية تكوين حبات المطر على وجه التمثيل لمد الرياح السحب بدقائق تحملها كدقائق غبار البر وأملاح من البحر تجعلها تتضاعف وتجود بالمطر؛ وهي ما تسمى علميا بأنوية المطر، فوصف الرياح بأنها لواقح يعم الشجر بنقل حبوب اللقاح، ويجعله السياق من باب أولى للسحاب بطريقة تماثل تلقيح الشجر.

والتعبير (لَوَاقِحَ) عام لم يذكر مفعوله؛ فيستقيم حمله على الشجر وعلى السحاب؛ إلا أن السياق قد جعل مفعوله من باب أولى هو السحاب، وكما يتم تلقيح النخل فيثمر التمر؛ فكذلك يبشر لفظ (لَوَاقِحَ) بالخير والبركة والنماء واخضرار الزرع، وقد جاء في مختار الصحاح في مادة (لقح): "ألقح الفحل الناقة، والريح السحاب، ورياح لواقح.. أنشأت السحاب"، وقال ابن عباس: لواقح للشجر والسحاب، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك من التابعين. وذكر هذا أيضاً الطبري والقرطبي، ومن الثابت علميا الآن أن التلقيح بالريح ضروري في عملية الإخصاب؛ خاصة للنباتات ذات الأزهار الفاقدة لجذب الحشرات، وقد أصبح من المقرر عند علماء النبات أن التلقيح عملية أساسية للإخصاب وتكوين البذور، حيث تنتقل حبيبات اللقاح Pollen Grains من العناصر الذكرية للزهرة Anthers إلى العناصر الأنثوية فيها Stigmas؛ حيث يتم الإخصاب، والتلقيح inoculation قد يكون بين العناصر الذكرية والأنثوية لزهرة واحدة أو نبتة واحدة ويسمى عندئذ بالتلقيح الذاتي Self Pollination، وقد يكون بين نبتتين منفصلتين ذكر وأنثى؛ ويسمى حينئذ بالتلقيح المختلط Cross Pollination، وتختلف طرق انتقال حبيبات اللقاح باختلاف نوع النبات، فبالإضافة للتلقيح بواسطة الإنسان كما في تأبير النخل توجد طرق أخرى مثل التلقيح بواسطة المياه أو بواسطة الحيوانات كالحشرات والطيور والتلقيح بواسطة الرياح Anemophily، وتذكر الموسوعة العالمية للرياح دوراً هاماً في عملية نقل اللقاح في النباتات التي تفتقد الأزهار ذات الرائحة والرحيق والألوان الجاذبة للحشرات؛ حيث تقوم الرياح بنشر اللقاح على مسافات واسعة، فعلى سبيل المثال: تنشر الرياح لقاح الصنوبر Pine على مسافة قد تصل إلى ٨٠٠ كيلومتر قبل أن يلتقي اللقاح بالعناصر الأنثوية ويتم التلقيح، وبالمثل حينما يصعد بخار

الماء ويتكاثف تتكون السحب وفق آلية أشبه ما تكون بتلقيح النبات حيث تقوم الرياح بدفع دقائق يسمى كل منها نواة تكاثف Condensation Nucleus، ولذا يصدق وصف الريح بأنها لواقح على النبات؛ ومن باب أولى السحاب، فالمعلوم أن تكوين السحاب يلزمه أن يكون الهواء مشبعاً ببخار الماء وأن يكون محتويا على أنوية التكاثف تلك.

السحاب الطبقي يمتد عدة كيلومترات لأعلى ويكون مصحوبا عادة بالبرق والرعد ونزول البرد مع المطر الغزير.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣؛ وصف لمراحل تكون السحاب الطبقي، وتتكون السحب الركامية (Cumulatiform clouds) من ثلاث طبقات: الطبقة العليا وتتكون من بللورات الثلج والبرد، والطبقة الوسطى وتتكون من خليط من نقط الماء فوق المُتبرد وبللورات الثلج، والطبقة السفلى وتتكون من قطيرات الماء النامية، وتتكون السحب الركامية بالنمو الرأسي بسمك يتراوح من ١٥ – ٢٠ كم، وقد يصل حجم قطع البرد النازل من السحاب الركامي في بعض الأحيان إلى حجم قبضة اليد، وتتوفر في هذا النوع رطوبة أكثر وتكون عوامل التكوين أكبر وأقوى ولذا تنمو السحابة رأسيا أكثر وتعطي مطرا أغزر، ويصاحبها الرعد والبرق لاختلاف شحنة القمة عن القاع ومع الارتفاع البالغ يتكون البرد، وحينما يتكاثف بخار الماء المحمول تزداد سرعة التيارات الهوائية الصاعدة فيزداد تدفق بخار الماء، وتخترق التيارات الهوائية السحب ليتكاثف بخار الماء على هيئة طبقات من أسفل إلى أعلى، وتشتمل السحب الركامية على بللورات الثلج في قممها، وعلى خليط من البرد وقطرات من ماء شديدة البرودة في وسطها، وعلى قطرات الماء البارد في قاعدتها؛ وتصاحبها ظواهر البرق والرعد وهطول المطر وسقوط حبات البرد وبللورات الثلج، وعندما تضعف قوة الرياح الصاعدة أو عندما تزيد حمولة التراكم على قدرة الحمل تتوقف وتبدأ المكونات في الهبوط نحو سطح الأرض وأول ما ينزل منها الماء وقد يصاحبه نزول البرد، ويتكاثف بخار الماء في قمم السحاب الركامي وتنمو قطرات الماء إلى أحجام كبيرة نسبيا وتتجمد على هيئة بللورات، وفي وسط السحابة الركامية يتحول بخار الماء إلى خليط من البرد والماء الشديد البرودة، وحينما تسقط بلورات الثلج من قمم السحب الركامية إلى أواسطها تتجمد قطرات الماء المتواجدة في وسط السحاب وتتكون جبال البرد، ويتولد فرق جهد كهربائي أثناء تجمد محلول مائي

(ظاهرة وركمان ورينولدز) وكذلك تتولد شحنات كهربائية أثناء ذوبان الجليد (دينجر وجون وآخرون) ولذا يرجع البرق وما يلازمه من صوت الرعد إلى التفريغ الكهربائي الناجم أساسا عن البرد.

والآية الكريمة تصف بدقة بالغة مراحل تكون السحاب الركامي، فإزجاء السحاب سوقه ودفعه برفق وسهولة في البداية ثم تبسطه الرياح الأفقية ومع نموه تجتمع القطع المتفرقة وتتلاحم وتسوق الرياح تلك القطع سوقا لطيفا وتستغرق العمليات الأولى وقتا كبيرا نظرا للحجم الكبير للقطع المتناثرة، والحرف "ثُمَّ" الذي يفيد في اللغة التعقيب مع التراخي يعبر عن طول تلك الفترة الزمنية، والتأليف هو الجمع ليصبح السحاب كيانا واحدا، والتراكم فى اللغة يأتي بمعنى إلقاء الشيء بعضه فوق بعض ليتضاعف، وتراكم السحاب يعنى نموه رأسيا عن طريق كتل الهواء الصاعدة التى تجلب المزيد من بخار الماء إلى داخل السحاب، وضمير كلمة (بَرْقِهِ) في قوله تعالى: (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)؛ يرجع إلى كلمة (بَرَدٍ) في قوله تعالى: (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ)؛ مما يعني أنه الأساس في تكوين تلك الظاهرة المتسمة باللمعان الشديد.

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ ٣٠الروم:٤٨؛ وصف لمراحل تكون السحاب الانبساطي، وينتشر هذا النوع أفقيا في صفحة السماء علي هيئة انبساطية تمتد إلي عشرات الكيلومترات المربعة في المستوي الأفقي وبسمك لا يتجاوز عدة مئات من الأمتار ولذا تعرف باسم السحب الانبساطية Stratiform clouds، ويحدث التكاثف لبخار الماء الصاعد من البحار وغيرها تحت تأثير حرارة الشمس نتيجة ارتفاعه وتبرده في الأعالي في وجود أنوية التكاثف ومع التكاثف يتضح السحاب للعيان، وتدفعه الرياح في الاتجاه الأفقي فتزوده بمزيد من بخار الماء، ولكن نظرا لاختلاف درجات الحرارة في داخل هذه السحب واختلاف نسبة الرطوبة تبدو كقطع متوزعة في السماء، ونتيجة للاتساع الكبير تتباين كذلك درجات قوى الرفع داخلها من منطقة لأخرى فتؤدي أكثر إلي تمزيقها إلي عدد كبير من القطع المتجاورة، ولا تحدث في هذا النوع ظواهر البرد والبرق والرعد نتيجة لقلة السمك ولكن ينزل منه المطر مباشرة عندما يكتمل نمو القطيرات في مناطق منها دون الأخرى؛ إلى الحد الذي يسمح بنزولها على هيئة رخات متفاوتة الشدة من منطقة لأخرى.

و(البسط) المد، و(الكسف) القطع، و(الودق) المطر، والمقام يتعلق ببيان كيفية تكون النوع المنبسط من السحب، قال ابن كثير في تفسيره: "يبين تعالي كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء"، وفي قوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) دلالة على نظم حركة الرياح في الجو، وفي قوله تعالى (فَتُثِيرُ سَحَابًا) إشارة إلى تكثف بخار الماء، وفي قوله تعالى (فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) إشارة إلى انتشار هذا النوع انتشارا أفقيا، وفي قوله تعالى: (وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا) وصف دقيق لتكون هذه السحب من قطع تبدو منفصلة، وفي قوله تعالى (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) بيان لنزول المطر مباشرة بدون ظواهر كالبرد والبرق والرعد، والتعبير (مِنْ خِلَالِهِ) يوافق التنويع البالغ في الشدة ويدل على مراحل تكوينية لقطرات المطر في باطن السحابة بحيث لا تسقط إلا القطرات المكتملة التكوين، وفي قوله تعالى (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) تأكيد على أن هذا النوع لا يصاحبه عادة ما يضر أو يزعج كالبرد والبرق والرعد.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} تُزْعِجهُ {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ} مِنْ قِلَّة وَكَثْرَة {وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا}.. قِطَعًا مُتَفَرِّقَة {فَتَرَى الْوَدْقَ} الْمَطَر {يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} أَيْ وَسَطه {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ} بِالْوَدْقِ {مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} يَفْرَحُونَ بالمطر، {وَإِنْ} وَقَدْ {كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ} تَأْكِيد {لَمُبْلِسِينَ} آيِسِينَ مِنْ إنزاله"[١٠٢٩].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ. فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} المفردات: {فَتُثِيرُ سَحَابًا}: أي تنشره، {وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا}: قطعًا، جمع كِسْفَة، كَحِكَم: جمع حِكْمَة، وقرء: كِسْفا بسكون السين، {فَتَرَى الْوَدْقَ}: أي المطر، {يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ}: من وسطه، {لَمُبْلِسِينَ}: أي لساكتين متحيرين من شدة الحزن آيسين من النجاة، {آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ}: يراد برحمة الله: المطر، التفسير: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ..} الآية، مسوق لبيان ما أُجمل فيما سبق من أحوال الرياح، أي: أنه سبحانه يرسلها فتنشر السحاب وتدفعه بقوة، وينميه الله ويجعل من القليل كثيرا حتى يملأ أرجاء الأُفق، ينشره سبحانه وفق مشيئته هنا وهناك، سائرًا أو واقفًا، مُطْبقًا من جانب وغير مطبق من جانب آخر، أو مطبقا إطباقًا تامًّا، ويجعله تارة أخرى قطعًا متفرقة غير منبسطة، فترى المطر يخرج من وسط السحاب، في حالتي البسط والتقطُّع، فإذا أنزله الله على بلاد من يشاء من عباده وأراضيهم استبشروا فجأة بمجيء الخصب لحاجتهم إليه، وترقبهم له، وكان شأنهم قبل تنزيله ما حكاه الله بقوله: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ}: أي: وإن كان هؤلاء قبل أن يصيبهم المطر قَنِطِينَ مكتئبين، قد ظهر الحزن عليهم ظهورًا بالغًا لاحتباس المطر عنهم، وكرر لفظ: {مِنْ قَبْلِ} للتأكيد، وأفاد التكرير كما قال ابن عطية سرعة تقلب البَشَر من الإبلاس إلى الاستبشار، وذلك أن قوله سبحانه: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ} يحتمل الفسحة في الزمان حتى يحصل التقلُّب من اليأس إلى الاستبشار فجأة {مِنْ قَبْلِ} بعده مؤكِّدًا، للدلالة على الاتصال، ودفع ذلك الاحتمال. وقال الزمخشري: أُكِّد ليدل على بُعْد عندهم بالمطر، فيفهم منه استحكام يأسهم، {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}: الخطاب لكل من يتأتى منه النظر، أي: فانظر نظر تفكير وتأمل إلى آثار رحمة الله المترتبة على إنزال المطر: من إحياء الأرض بعد موتها، وإنبات الزروع وأنواع الثمار، وفي الأمر بالنظر إلى إحياء الله تعالى للأرض إحياءً بديعًا بعد موتها، التنبيه إلى عظيم قدرته تعالى وسعة رحمته عَزَّ وَجَلَّ مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من أمر البعث، يعني: أن ذلك القادر العظيم الذي أحيا الأرض بعد موتها هو الذي يحيي النَّاس بعد موتهم، فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات؛ فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية، كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية، فهو استدلال بالشاهد على الغائب، ثم ختمت الآية بقوله سبحانه: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} تقرير لمضمون ما قبله، أي: أنه بالغ القدرة على جميع الأشياء التي من جملتها إحياءُ الموتى؛ لأن نسبة قدرته عَزَّ وَجَلَّ إلى جميع المقدورات سواءٌ، وهذا من المقدورات بدليل الإنشاء والبدء"[١٠٣٠].

[١٠٢٩] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٥٣٧).

[١٠٣٠] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (٦٣ ١٨).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Meteorology

علم الأرصاد الجوية

المَوْضُوع Subject

Stratiform clouds

السحاب الانبساطي

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ. فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٣٠الروم:٤٨-٥٠.

- ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا. فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا. فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا. فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا. إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ٥١الذاريات:١-٦.

- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ١٥الحجر:٢٢.

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣.

- ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ ٣٠الروم:٤٨.

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ٣١لقمان:١٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ٣١لقمان:١٥-١٧.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾، ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾، ﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾، ﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

"O my son, even though it be (anything equal to) **the weight of a grain of mustard seed, either be inside a rock, or even it is in the heavens or inside the earth** (where its weight is lost)**; Allah will bring it out. Allah is Sublime** (the knower of hidden secrets)**, and is Cognizant** (All-Aware)**".**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

(١) انعدام الوزن في الفيزياء:

لتدريب المُرشحين كرواد للفضاء في وكالة ناسا NASA للفضاء على حالة انعدام الوزن Weightlessness في الفضاء؛ ترتفع بهم طائرة تُسمى طائرة الجاذبية صفر Zero Gravity، وعند نقطة معينة يطيرون كالبالونات؛ كأن الجاذبية تلاشت.

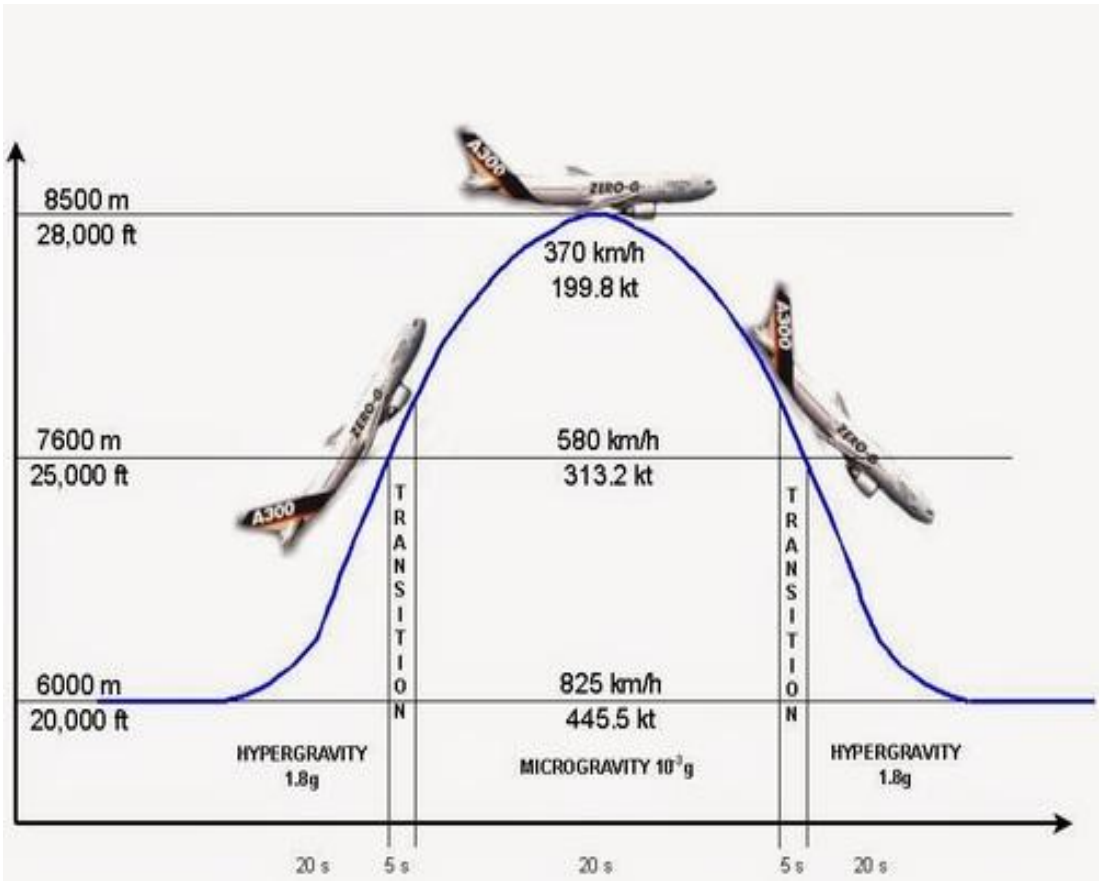

وقد استخدمت الطائرات منذ عام ١٩٥٩ لعمل بيئة يتلاشى فيها الوزن لتدريب رواد الفضاء على حالة فقدان الوزن، ويُمكن الوصول للجاذبية صفر؛ عندما تطير طائرة خاصة وهي تصعد لأعلي في شكل قوس، وعند أوج القوس على ارتفاع ٨,٥ كم تبدأ الهوي فينتاب الطاقم شعور مؤقت بفقدان الوزن لمدة حوالي: ٢٠ ــ ٣٠ ثانية، وكأن الجاذبية انعدمت، وعند سطح الأرض؛ الجسم الذي كتلته كيلوجرام واحد، وزنه تقريبًا: ٩,٨١ نيوتن، ويتحقق للجسم فقدان الوزن Weightlessness بجعله في حالة سقوط حر داخل طائرة؛ أو وضعه في نقطة تعادُل للجاذبية Gravity Neutral Point،

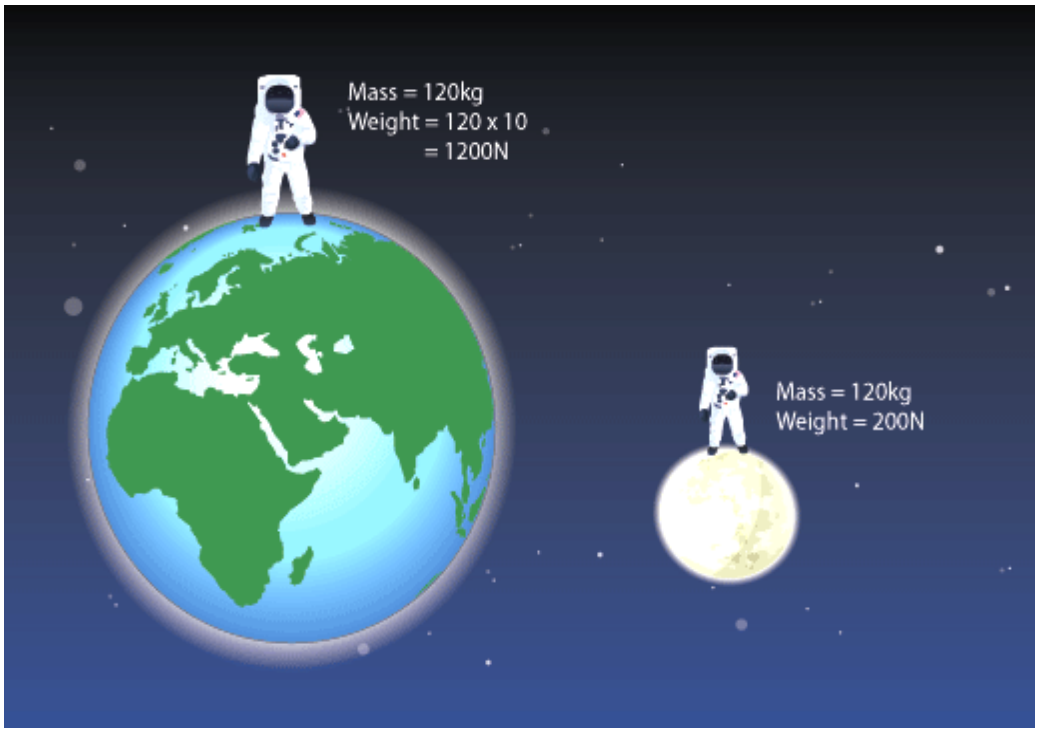

ومن المبادئ الأساسية في الفيزياء أن القوة Force هي التي تجعلك تدفع بابًا أو تجذبه، إنك لا تراها ولكنك تلمس أثرها، فهي قد تدفع جسمًا ليزيد من قيمة سرعته أو يُغير من اتجاه حركته؛ أي تجعله يكتسب تسارع Acceleration، ووحدة قياسها تُسمى نيوتن Newton (N)؛ وهي القوة التي تُنتج تسارع متر واحد في ثانية واحدة على كتلة كيلوجرام واحد،

والكتلة Mass كمية ثابتة تعتمد على ما يحتوي من مادة Matter؛ فحبة الخردل هي أصغر الحبوب وفق ما عرفته الأمم قديما وتمتلك أقل كتلة، ولكن الثقل Weight أي الوزن يرجع إلى مقدار قوة الجاذبية Gravity بين كتلة الجسم وكتلة جسم آخر كالأرض أو القمر، وكلما تضاءلت كتلة الجسم تضاءل وزنه كذلك، ولذا لا يكاد يستشعر الإنسان بوزن حبة الخردل إذا حملها بين أصبعيه، ولأن كتلة القمر أقل من كتلة الأرض فإن وزن رائد الفضاء عليه أقل.

ولو كنا على سطح القمر مثلاً فإن وزن أحدنا سدس وزنه على الأرض، أي أن رائد الفضاء الذي يزن على الأرض ٩٠ كيلو غرام؛ سيكون وزنه على القمر ١٥ كيلو غرام فقط، فالأرض تشدنا نحو مركزها، بفعل قوة جاذبيتها، ولو كانت جاذبية الأرض أقل مما هي عليه مثل القمر؛ فإن خطوات الإنسان ستصبح قفزات ترفعه نحو الأعلى، فالثقل أو الوزن إذن قوة تُقاس بوحدة نيوتن وتختلف تبعًا للموضع؛ بينما الكتلة ثابتة القيمة وتُقاس بالكيلوجرامات، وكتلة قدرها: ١ كجم؛ يكون ثقلها على سطح الأرض حوالي: ١٠ نيوتن، وبافتراض أن كتلة رائد الفضاء: ١٢٠ كجم؛ يكون وزنه على سطح الأرض: ١٢٠ × ١٠ = ١٢٠٠ نيوتن، وعلى سطح القمر: ٢٠٠ نيوتن فقط لكون قيمة جاذبيته السدس، إذن كتلة الجسم ثابتة؛ بينما يختلف الوزن أي الثقل وفق مقدار قوة الجذب Gravitational Force تبعًا لموضع القياس.

(٢) الأرض كروية في القرآن:

قال ابن حزم: "قالوا إن البراهين قد صحت بأن الأرض كروية والعامة تقول غير ذلك، وجوابنا وبالله تعالى التوفيق: إن أحداً من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم يُنكروا تكوير الأرض ولا يُحفظ لأحد منهم في دفعِه كلمة بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها قال الله عز وجل: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) الزمر:٥، وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كور العمامة وهو إدارتها وهذا نص على تكوير الأرض"[١٠٣١]، وقال سيد قطب: "(يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ).. تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسراً على الالتفات إلى ما كشف حديثاً عن كروية الأرض ومع أنني في هذه الظلال حريص على ألا أحمل القرآن على النظريات التي يكشفها الإنسان لأنها نظريات تخطئ وتصيب وتثبت اليوم وتبطل غداً والقرآن حق ثابت يحمل آية صدقه في ذاته ولا يستمدها من موافقة أو مخالفة لما يكشفه البشر..، مع هذا الحرص فإن هذا التعبير يقسرني قسراً على النظر في موضوع كروية الأرض فهو يصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الأرض، فالأرض الكروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس؛ فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهاراً ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور، وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار وهذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكوراً والليل يتبعه مكوراً كذلك وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل وهكذا في حركة دائبة.. واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع ويعين نوع طبيعة الأرض وحركتها"[١٠٣٢]، وقال الشعراوي: "التصادم بين القرآن والعلم إذن.. إذا كان هناك تصادم.. عندما ندعى حقيقة علمية.. وهي ليست حقيقة علمية.. أو ندعى حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية.. لأن قائل القرآن هو الله والفاعل هو الله.. إن الذين يقولون أن القرآن لم يأت ككتاب علم.. صادقون.. وفي نفس الوقت عندما نقول أن القرآن ذكر لي معجزات لم يصل إلى بعضها العلم حتى الآن.. فهذا صحيح أيضا..، فالقرآن وإن لم يأت ليعلمني الطب مثلا.. إلا أنه (إذا أتى) بقضية طبية يُخبرني بدقائقها.. ولا يصل إليها علم الطب إلا بعد مئات السنين أو ألوف السنين..، يأتي في الجغرافيا مثلا ويمس قضية هامة لا نعرفها إلا بعد مئات السنين.. وكذلك في كل علوم الدنيا..، نتأمل قول الله تعالى (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ).. لماذا استخدم الله لفظ يكور.. إنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة.. فتقول أنك كورت هذا القماش مثلا.. أي جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها.. وإذا أردت من إنسان أن يصنع لك شيئا على شكل كرة.. فتقول له خذ هذا وكوره.. أي اصنعه على شكل كرة.. ومعنى قول الله تعالى (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ).. أي يجعلهما يحيطان بالكرة الأرضية.. ومن إعجاز القرآن أن الليل والنهار مكوران حول الكرة الأرضية في كل وقت.. وهذا ما نبأ به القرآن منذ أربعة عشر قرنا ولم يصل إلى علم البشر إلا في الفترة الأخيرة.. وقضية كروية الأرض مسها القرآن في أكثر من مكان.. لماذا؟ لأنها حقيقة كونية كبرى"[١٠٣٣].

[١٠٣١] الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٧٥ هـ ج١ص١٨٩.

[١٠٣٢] في ظلال القرآن لسيد قطب المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ ج ٦ ص ٢٢٤.

[١٠٣٣] معجزة القرآن لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ج١ ص ٤٧.

(٣) اتجاه الثقل نحو مركز الأرض:

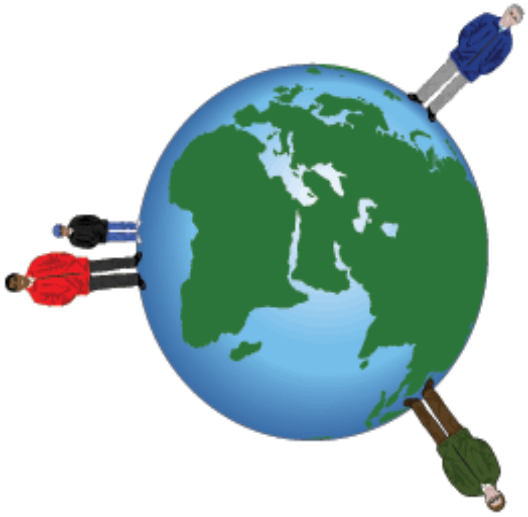

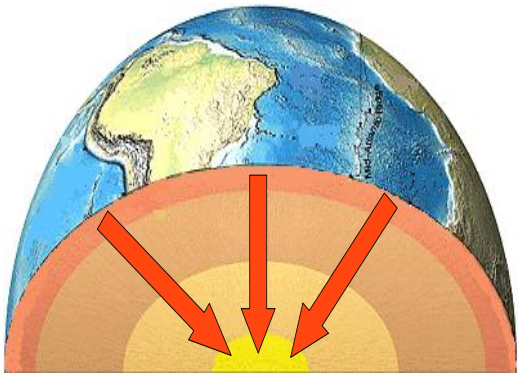

نحن جميعًا فوق سطح الأرض واقعين تحت تأثير قوة جذبها، حيث تجعل ثقلنا أينما كنا نحو الأسفل باتجاه مركز الأرض، وتعتمد الجاذبية الأرضية على بعد الكتلة عن مركز الأرض، ففي خط الاستواء تقل هذه الجاذبية عنها عند أي من القطبين، وقوة الجاذبية التي تمسكنا بالأرض؛ هي التي تمسك الأرض لتدور في مدار ثابت حول الشمس على بعد تحدده كتلتيهما؛ وكذلك كل الأجرام الفلكية، ويعتمد الوزن أي المثقال على قوة جذب الأرضي للجسم (Mg)، وتُحسب بضرب كتلته (M) في التعجيل الأرضي (g)؛ وقيمته عند مستوى سطح البحر حوالي: ٩,٨١ متر/ ثانية^{٢} لكل١ كجم من كتلة الجسم، فالمثقال إذن أي الوزن يختلف عن الكتلة.

والجاذبية الأرضية تشد الأشياء لأسفل باتجاه مركز الأرض، وقوى الجاذبية الأرضية تتعادل في مركز الأرض، وحتى لو كانت الأرض مجرد صخرة معزولة في الفضاء فسيفقد ثقل الحبة في مركزها دون الكتلة، أما في السماء خارج جاذبية الأرض فسيعاني رائد الفضاء من فقدان الوزن كلما زادت فترة وجوده في الفضاء؛ خاصة ضعف العضلات وهشاشة العظام، ولو كانت الجاذبية أكبر مما هي عليه مثل المشتري؛ لالتصق الإنسان بالأرض ولم يعُد قادراً على الحركة لازدياد ثقله.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ٩التوبة:٣٨، ؛ التعبير: (اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ)؛ تمثيل لحالة معنوية وهي الخور والضعف عن القتال في سبيل الله بحالة حسية وهي تثاقل الشخص نحو الأرض نتيجة حمل ثقيل ضاعف الثقل وكتلته ثابتة؛ وهذا يعني أن التثاقل يعتمد على الكتلة، وأن ثقل الشخص يتجه دوما نحو مركز الأرض؛ لأنها كروية الشكل، وهذا يعني أن مركز ثقلها يقع في باطنها في المنتصف حيث تتعادل قوى الجذب من جميع الجهات، ومعنى (اثَّاقَلْتُمْ) أي آثرتم أن تكونوا مثل من حمل أثقالا فشق عليه السير، قال الجزائري: "أي تباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً"[١٠٣٤]، ففيها تجسيد للحالة المعنوية وهي استصعاب النفرة في سبيل الله تعالى بحالة حسية هي مشقة السير على من يحمل أثقالا، والمعلوم اليوم فيزيائيا أنه كلما زادت الكتلة زاد الثقل وهو قوة ذات قيمة واتجاه Vector، والقرآن الكريم يستوفي وصف القوة ببيان القيمة وتعيين الاتجاه، والأرض كروية، وجعل اتجاه الثقل نحو الأسفل يعني أن انجذاب الأثقال نحو مركزها، قال القنوجي: "أثبت الحكماء أن انجذاب الأثقال إلى مركز العالم (الأرضي)؛ الذي هو مركز الأرض"[١٠٣٥].

[١٠٣٤] جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (١٢\ ٣٦٨).

[١٠٣٥] أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي؛ أبجد العلوم؛ دار ابن حزم، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م (ص٢٢٩).

ولو سقط أحدهم من السماء؛ فيكون سقوطه عموديا باتجاه مركز الأرض، والذي يحدد سرعة الارتطام هو المسافة التي يقطعها منذ السقوط، وكلما ازدادت اشتد الارتطام؛ لأن السرعة تتزايد باضطراد نتيجة عجلة جاذبية الأرض، وفي النبأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ٢٢الحج:٣١، (فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) أي سقط من أعلى فهلك؛ نتيجة لقوة الاصطدام بسطح الأرض، فتَخَطَّفَت أشلاؤه جوارح الطير، والعادة أن يسقط الإنسان من رأس جبل؛ والعدول إلى (مِنَ السَّمَاءِ) فيه زيادة للمسافة وبيان لبالغ الارتفاع؛ وبهذا تكون قوة الارتطام والصدام بالأرض على أشدها، وتخطف جوارح الطير لأشلائه في المثل احتياط تأكيدا للهلاك، فكلما زاد الارتفاع إذن كلما تضاعفت سرعته واشتدت قوة الصدام، وهذا هو نفسه مبدأ التسارع أو عجلة جاذبية الأرض.

والعدول إلى لفظ (خَرَّ) يستحضر في الذهن خرير الماء؛ وهو صوت سقوط الماء من ارتفاع كبير كالشلالات ثم الارتطام بالصخور، فهو الأنسب لبيان سرعة السقوط وشدة الارتطام وقوة التحطم على الصخور، قال الراغب: "خر: (فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ) الحج:٣١، وقال تعالى: (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ) سبأ:١٤، وقال تعالى: (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) النحل:٢٦، فمعنى خَرَّ سقط سقوطا يسمع منه خرير، والخَرِير يُقال لصوت الماء والرّيح وغير ذلك ممّا يسقط من علوّ"[١٠٣٦]،

[١٠٣٦] الراغب الأصفهانى؛ المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم دمشق؛ ١٤١٢ هـ (٧٧١٢).

وجعل السقوط من السماء حيث تُحلق الطيور وليس من جبل شاهق؛ يجعل مصير فاقد الإيمان الهلاك الأكيد، وفيه تشبيه ضمني للمؤمن أيضًا؛ وكأن الإيمان أجنحة طير يحلق عاليًا، فترفع صاحبها وتحفظه من السقوط والهلاك، وقوله تعالى: (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)؛ يعني دفعته ريح من مرتفع نحو هاوية، والهوي المعنوي من المقام السامي للإيمان يتجسد بمثل حسي يقطع بالهلاك بسبب شدة الصدام كلما ازداد العمق، فزيادة العمق كفت بدون جوارح الطير لبيان الهلاك، فكلما ازداد العمق زادت السرعة وقوة الصدام، ووصف مكان الصدام بالسحيق يتفق مع المعرفة بتزايد السرعة مع مسافة الهوي نتيجة لتسارع عجلة الجاذبية نحو الأرض، قال البقاعي: "{فكأنما خرّ من السماء} لعلو ما كان فيه من أوج التوحيد..، ولما كان الساقط من هذا العلو مُتقطعاً لا محالة إما بسباع الطير أو بالوقوع على (الصخر)، عبر عن ذلك بقوله: {فتخطفه الطير} أي قطعاً بينها، وهو نازل في الهواء قبل أن يصل إلى الأرض {أو تهوي به الريح} أي حيث لم يجد في الهواء ما يهلكه {في مكان} من الأرض {سحيق} أي بعيد في السفول، فيتقطع حال وصوله إلى الأرض بقوة السقطة وشدة الضغطة لبعد المحل الذي خر منه وزل عنه"[١٠٣٧].

[١٠٣٧] إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة (١١٣\ ٤٤).

(٢) حالات تحقق انعدام الوزن:

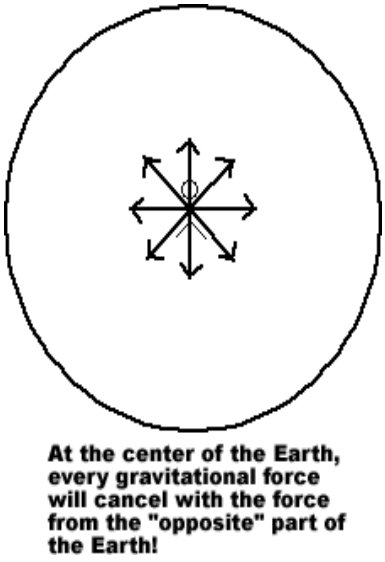

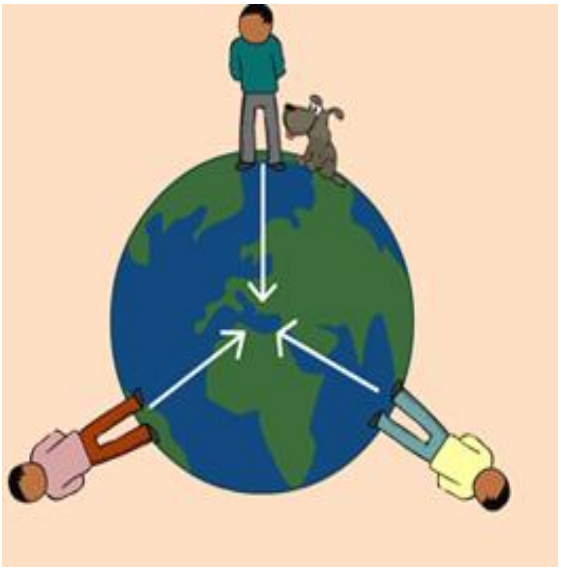

تتعادل قوى الجذب المُتقابلة في مركز الأرض فتلاشي كل منهما الأخرى؛ وبافتراض وجود جسم في مركز الأرض فإن وزنه أي ثقله سيتلاشى وإن بقيت قيمة كتلته ثابتة، فلو أن حبة الخردل التي هي أقل الحبوب ثقلا على سطح الأرض قد وُضعت في مركزها فسينعدم ثقلها على ضآلته، وحتى لو استبدلت الكرة الأرضية بصخرة مُنعزلة في الفضاء على ضآلتها بالنسبة للأرض وكانت حبة الخردل في مركزها؛ فسيبقى ثقلها صفرًا كذلك لتعادل قوى جذب الصخرة الضئيلة، وبالمثل لو وجدت حبة الخردل في فضاء السماوات بلا أجسام؛ ينعدم وزنها كذلك ويظل صفرًا، للتحرر من جاذبية الأرض ولأن قوى جذب الأجرام السماوية مُتعادلة؛ ولذا يُعاني رائد الفضاء من حالة انعدام الوزن أو الجاذبية صفر Gravity Zero.

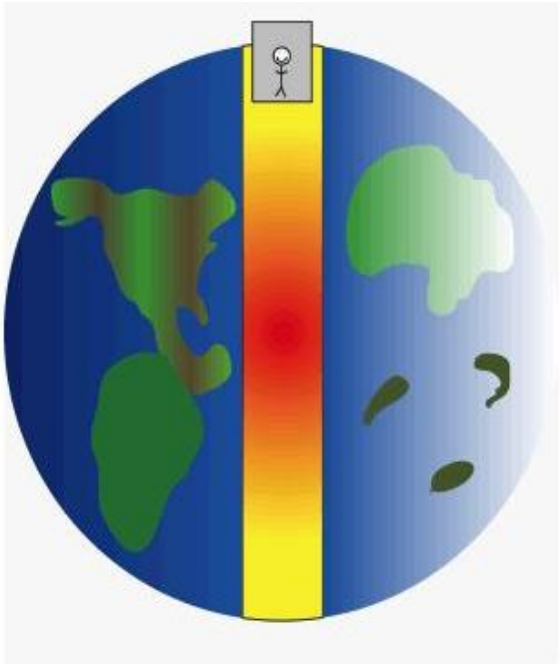

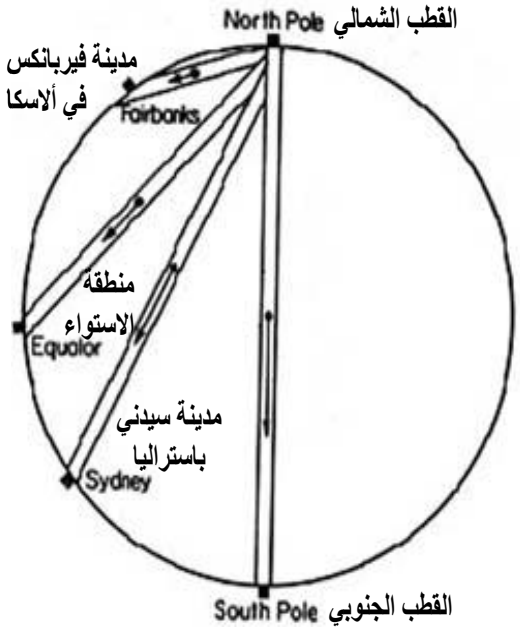

وفرضية النفق الذي يعبر كرة الأرض بين طرفيها وسقوط جسم فيه هو إحدى المسائل النظرية التي درسها الفيزيائيون منذ عقود قليلة فتوصلوا إلى نفس ما دل عليه الخبر؛ من تردد ما يسقط فيه جيئة وذهابا دوما إذا لم يوقفه شيء، فقد نشر الرياضي لوتويدج دودجيسون Lutwidge Dodgson عام ١٨٩٣ في كتاب له فكرة إمكان الانتقال لمسافات بعيدة اعتمادا على جاذبية الأرض، وترجع الفكرة في الأساس للأستاذ مين هير Mein Herr؛ وخلاصتها أن أي عربة ستندفع ذاتيا ويتزايد تسارعها بتأثير جاذبية الأرض داخل نفق يمر فيها من جهة لأخرى مهيأ للتدحرج بغير احتكاك تدحرج Frictionless Rolling حتى تبلغ منتصف النفق ثم تتناقص سرعتها تدريجيا إلى أن تبلغ الحافة المُقابلة.

وسيقطع قطار الجاذبية المسافة في النفق بدون استهلاك وقود في وقت عبور Transit Time حوالي: ٤٢,٢ دقيقة؛ مهما بلغ طول النفق بين مدينتين في قارتين متباعدتين، فإذا بدأ قطار الجاذبية حركته من محطة في القطب الشمالي فلن تزيد المدة عن ذلك سواء انتهت الرحلة عند أمريكا الشمالية أو منطقة الاستواء أو مدينة سيدني باستراليا أو حتى عند القطب الجنوبي، فكلما هبط الجسم يقل وزنه لأن كتلة الأرض التي تجذبه نحو المركز لا يتبقى منها سوى الجزء بينه وبين مركز الأرض، وعندما يبلغ المركز تتساوى قوى الجذب أو تكاد بينه وبين كتلة الأرض من جميع الجهات فيفقد وزنه كلية أو يكاد، ونتيجة لاندفاعه سيواصل حركته إلى الطرف المقابل من سطح الأرض ليعاود السقوط عند ذلك الطرف المقابل من جديد، وهكذا سيظل يتردد جيئة وذهابا إذا لم يعترضه شيء، والفكرة مبنية على تعادل الجاذبية في مركز الأرض، هذا هو المبدأ الذي قدمه في القرن السابع عشر روبرت هوك Robert Hooke إلى إسحاق نيوتن، وعُرف باسم قطار الجاذبية Gravity Train، وفي القرن التاسع عشر قدم لويس كارول Lewis Carroll الفكرة ذاتها، وفي ستينيات القرن الماضي عرض بول كوبر Paul Cooper الفكرة ثانية، وهي فكرة نظرية يُترك فيها القطار ليتسارع باستخدام الجاذبية فقط فينتقل خلال نفق في الأرض من بلد إلى آخر؛ وهي تستند إلى تلاشي الوزن في مركز الأرض.

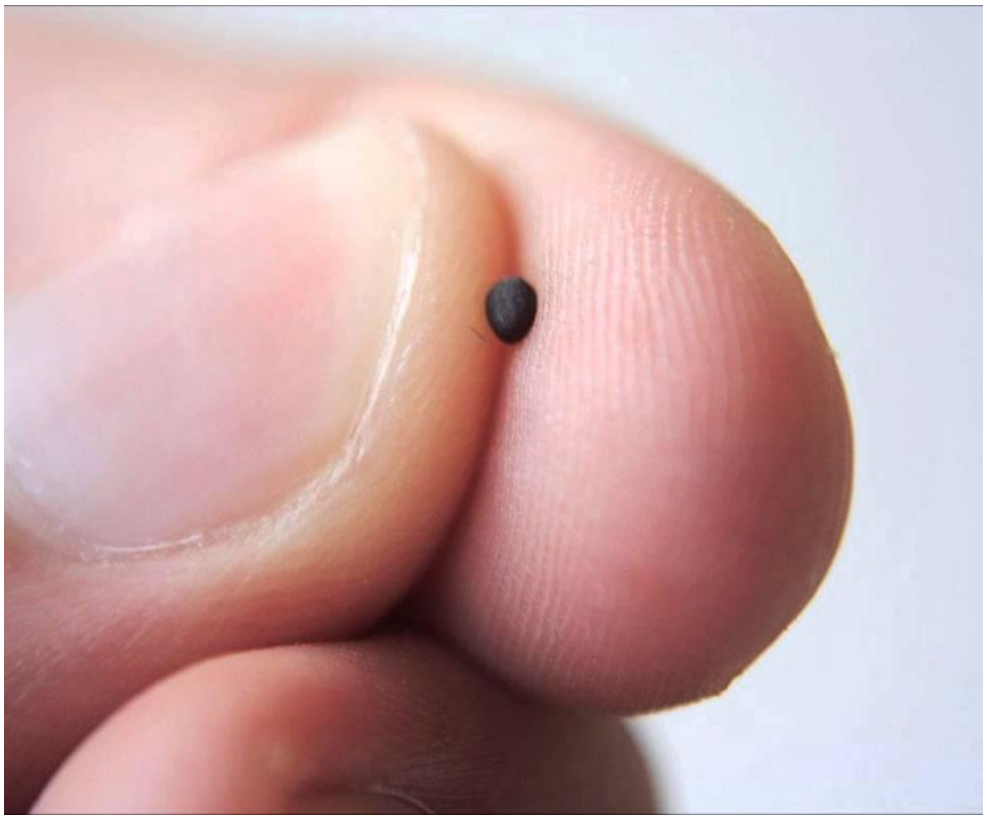

وفي قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ٣١لقمان:١٦؛ الحديث مُتعلق بحبة الخردل ذات كمية المادة الثابتة أي الكتلة، بدليل عودة الضمائر إليها (فَتَكُنْ، يَأْتِ بِهَا)؛ فكتلة الحبة ثابتة في اليد على سطح الأرض وفي الأماكن الثلاث، والحبة هي ذاتها والذي اختلف هو مثقالها، وفي اليد مثقالها متناهي الضآلة وفي تلك الأماكن تلاشى بينما كتلة حبة الخردل ثابتة، ولبيان مدى علم الله تعالى إذن بأخفي خفايا الأمور وخطرات النفوس؛ ضُرب المثل إذن بحبة الخردل الأقل ثقلا في اليد، ولو اكتفى البيان بأقل ثقل في عرف المُخاطبين مُمثلا بحبة خردل لأدركوا المغزى في بيان واسع علمه تعالى؛ لكن البيان المُعجز وضع حبة الخردل في مواضع يختفي فيها الثقل تمامًا مُبالغة في الخفاء وتناهي الضآلة وإظهارًا لعمق المقصد ولطف البيان.

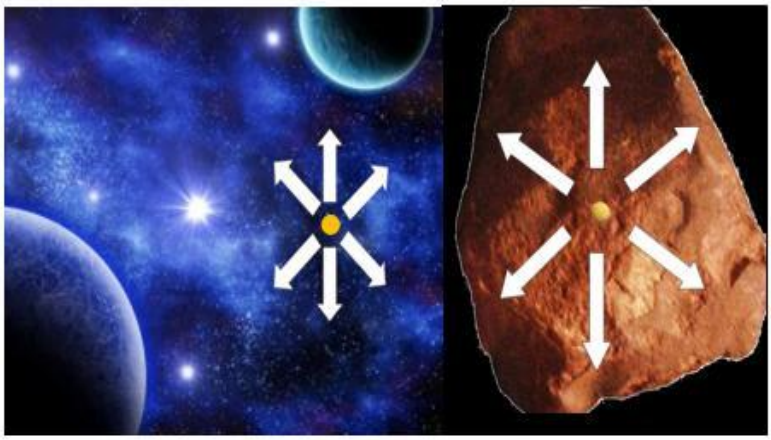

وفي قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ لقمان:١٦؛ تمثيل لقدرة الله تعالى على مُحاسبة العبد على أعماله مهما خفيت أو تضاءلت؛ بحالة حسية أثبتها علم الفيزياء Physics عندما ينعدم وزن الشيء أو يكاد، وتتحقق حالة انعدام الوزن في الفضاء بين الأجرام السماوية لتعادل قوى الجاذبية من جميع الجهات، أو داخل صخرة معزولة (في الفضاء) تتساوى داخلها قوى الجذب من جميع الجهات، وبالمثل داخل الأرض، ولهذا لو وقع أحدهم افتراضًا في بئر لا قاع له؛ فإنه سيبلغ الجهة الأخرى من الأرض ليقع في الاتجاه المعاكس، ويظل يتجلجل أي يتردد ذهابا وإيابا مُتحركا بين الجهتين؛ إذا لم تؤثر عليه قوة خارجية.

(٣) التفصيل الدلالي:

في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء:٤٧؛ قال ابن عباس: "﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ وزن حبة من خردل"[١٠٣٨]، وقال الطبري: "يجازي المُحسن بإحسانه ولا يُعاقب مُسيئا إلا بإساءته..، (و) عن مجاهد.. قال: إنما هو مَثَل"[١٠٣٩]، "وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ الأنبياء:٤٧، يَقُولُ: وَإِنْ كَانَ الَّذِي لَهُ مَنْ عَمَلِ الْحَسَنَاتِ أَوْ عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَزْنُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ الأنبياء:٤٧، يَقُولُ: جِئْنَا بِهَا فَأَحْضَرْنَاهَا إِيَّاهُ"[١٠٤٠]، وعلى لسان لقمان عليه السلام يعظ ابنه: ﴿يَبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّهُ إِنَّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان:١٦؛ المقام بيان لعلم الله تعالى بأعمال الإنسان وأنها مهما خفيت ودقت سيجازي عليها صاحبها، والتعبير تمثيل يجسد هذه الحالة المعنوية بأخرى حسية بجامع سعة العلم بالدقائق؛ مهما خفيت ودقت حتى لو انعدم وزنها أو كاد، فناسبه اختيار ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾، وهي في عرف الأمم منذ القدم أقل الحبوب ثقلا في اليد، ولكن المُدهش هو اختيار مواضع يتحقق فيها الخفاء وينقص فيها الوزن إلى حد أن ينعدم أو يكاد؛ ولكنها رغم ذلك لا تخفى على الله تعالى.

[١٠٣٨] عبد الله بن عباس (المتوفى: ٦٨هـ) جمعه مجد الدين الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية لبنان (ص٢٧٢).

[١٠٣٩] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٦\ ٢٨٥).

[١٠٤٠] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٦\ ٢٨٦).

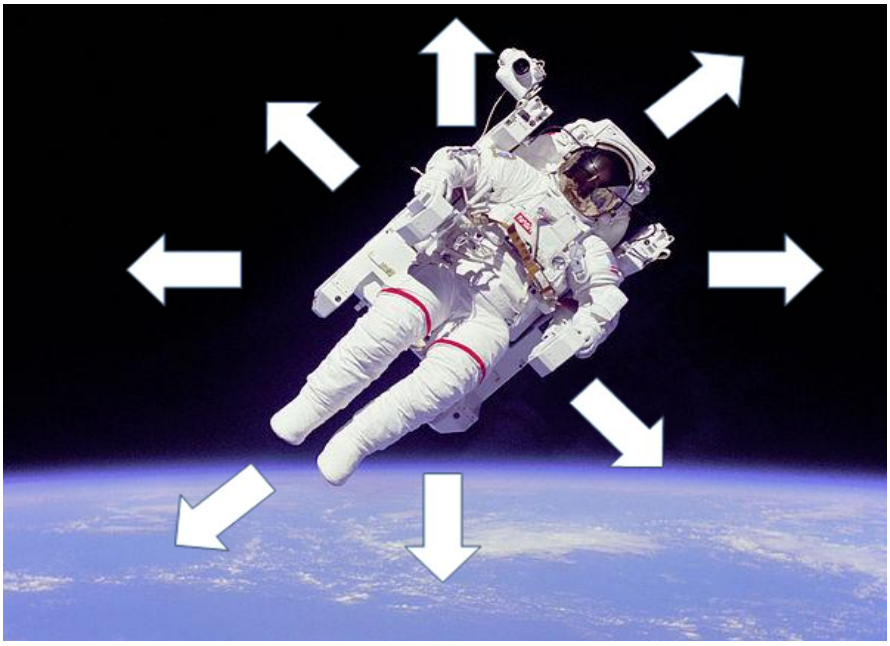

وفي الفضاء إذن يتلاشى الوزن؛ وهذا يعني أن قوة جاذبية الأرض تتناقص كلما ابتعدنا عنها نحو الفضاء، وينعدم وزن الجسم عندما يكون خارج نطاق الجاذبية؛ ولا تنعدم كتلة الجسم لأن الكتلة ثابتة لا تتأثر بعجلة الجاذبية، ولا يُوجد حد فاصل بين الغلاف الجوي الأرضي والفضاء؛ فكلما ارتفعنا للأعلى فإن كثافة الغلاف الجوي تقل تدريجياً، وقد اصطلحت هيئة الطيران الدولية عام ١٩٦٧ على أن أعلى مستوى للمجال الذي يُمكن للطائرات التحليق فيه بأمان دون خطر هو ١٠٠ كم فوق مستوي سطح البحر؛ واسمه خط كارمن Karman line، باعتباره بداية الفضاء الخارجي.

قال الشعراوي: "القوة هي الطاقة الفاعلة التي تُدير دولاب الحياة..، وخُذْ مثلاً سفينة الفضاء التي تنطلق إلى الفضاء الخارجي، وتظل تدور فيه عدة سنوات، وتتساءل: من أين لها بالوقود الذي يُحرّكها طوال هذه المدة؟ والحقيقة أنها لا تحتاج إلى وقود إلا بمقدار ما يُخرِجها من مدار الجاذبية الأرضية، فإذا ما خرجت من نطاق الجاذبية وهي متحركة؛ تظل متحركة ولا تتوقف إلا بقوة توقفها، وكذلك الساكن يظل ساكناً إلى أنْ تأتيَ قوة تحركه"[١٠٤١].

واليوم يؤكد لنا علم الفيزياء أن الثقل أو الوزن إنما هو مظهر لقوة التجاذب بين جسمين، وأنه كلما ارتفع جسم نحو الفضاء يقل وزنه حتى يصل إلى ما يسمى حالة انعدام الوزن، وكلما اتجه نحو الأسفل يقل وزنه حتى ينعدم الوزن في مركز الأرض، وبالمثل تتساوى قوى الجذب في مركز صخرة منعزلة فينعدم الوزن كما هو حال كل الأجرام والصخور السماوية بينما الكتل ثابتة، ولو كان الجسم على سطح الأرض أو سطح الصخرة ستجذبه كامل كتلة كل منهما فيبلغ وزنه قدر كبير، وفي التمثيل حبة الخردل ثابتة وإن تغير المثقال فناسب عود الضمير في (تَكُ) و(بِهَا) إلى الثابت وهو الحبة المؤنثة دون المُتغير (مِثْقَالَ)، ومن الخفاء وجود الحبة وسط الأرض ولكن وجودها بعيدا في السماوات أشد خفاء والأشد وسط صخرة سماوية منعزلة فترتب السياق وفق شدة الخفاء، وقال السعدي: "{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ} التي هي أصغر الأشياء وأحقرها {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} أي في وسطها {أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ}.. {يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} لسعة علمه وتمام خبرته وكمال قدرته، ولهذا قال {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} أي لطف في علمه وخبرته حتى اطلع على البواطن والأسرار"[١٠٤٢]، وقال الماتريدي: " ذُكِرَ على التمثيل"[١٠٤٣]، وقال السمرقندي: "هذا مَثَل لأعمال العباد"[١٠٤٤]، وقال الرازي: "{يَأْتِ بِهَا الله} أي يظهرها الله للأشهاد، وقوله {إِنَّ الله لَطِيفٌ} أي: نافذ القدرة {خَبِيرٌ} أي: عالم ببواطن الأمور"[١٠٤٥].

وفي النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ ٧٧المرسلات:٢٥و٢٦؛ (كِفَاتًا) أي ضامة جامعة قابضة للأجسام؛ لا تُفرق بين جسم حي وميت، قال الزبيدي: "كفت الشيء إليه ضمه وقبضه"[١٠٤٦]؛ وقال الأزهري: "جَذْبُ الشَّيْءِ: تقبضُ

[١٠٤١] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٥ \ ٩٠٤٣).

[١٠٤٢] عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (ص٦٤٩).

[١٠٤٣] أبو منصور الماتريدي؛ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١٧ \ ٣٥٠).

[١٠٤٤] أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)؛ بحر العلوم (١٣ \ ٢٥).

[١٠٤٥] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٥ \ ١٢١).

[١٠٤٦] محمّد أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (١٥ \ ٦٠).

عَلَيْهِ"[١٠٤٧]، وجذب الأرض للأجسام حية وميتة دلالةً على جاذبية الأرض لمن على سطحها؛ فتمسكه وإلا طار في الفضاء وهلك.

قال أحمد حطيبة: "قال تعالى عن إنعامه بالأرض للعباد..: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا} المرسلات:٢٥و٢٦..، فهذه الأرض نعمة من الله؛ تجمعكم فوقها وتستقرون عليها، ومن ذهب إلى القمر فإنه يرى نفسه يطير فوق سطح القمر؛ فلا تُوجد أرضية (كأرضنا) هناك، فالإنسان هناك.. لا يستطيع المشي (بسهولة)، إلا إن ثقل بشيء يُعينه على النزول على سطح القمر، أما الأرض فالإنسان ليس مُحتاجاً لهذا الشيء؛ إذ قوة الجاذبية تجذبه ليبقى على الأرض، وهذه آية من آيات الله سبحانه وتعالى لا يفكر الإنسان فيها، ولهذا يقول الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ٤٠غافر:٦٤..، (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا) أي تستقرون عليها.. وهنا الأرض تدور دوراناً شديداً ثم لا نرى أحداً يطير من مكانه"[١٠٤٨].

وقال الشعراوي: "لقد ترك الخالق في الوجود أسراراً يستنبطونها فتبرز لهم بالمنافع، وكانت قبل أن يعرفها البشر ويقفوا عليها تُؤدي مُهمتها في الوجود، ومثال ذلك الجاذبية الأرضية.. كانت موجُودة قبل اكتشاف الإنسان لها، وتؤدي عملها قبل أن يعرفها الإنسان، وجاء ذكرها في القرآن بشكل لا يثير بلبلة ساعة نزل القرآن، (وبالمثل يُمسك الحق بكل جرم في مداره وفق قانون الجاذبية): {إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السماوات والأرض أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً} فاطر:٤١، أوجد الحق قوانين الجاذبية لتمارس السموات والأرض أعمالها ويحفظهما بقدرته من الزوال، وجعل من الجاذبية نظاماً بديعاً يحفظ الكون من الاختلال..، فالجاذبية كانت موجودة ولم يعرفها الإنسان إلا مؤخراً، وهكذا نعرف أن هناك فارقاً بين وجود الشيء وبين إدراك الشيء"[١٠٤٩].

[١٠٤٧] أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)؛ تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ٢٠٠١م (١١٠\ ٨٣).

[١٠٤٨] أحمد حطيبة؛ تفسير أحمد حطيبة، دروس مفرغة نشرها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس، والصفحات ترقيم موقع المكتبة الشاملة (١٣٨٤\ ٥).

[١٠٤٩] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٦\ ٣٥٠٠).

والمعلوم اليوم أن ثقل الأرض يتركز بداخلها فتزداد الكثافة مع العمق، ولذا ما فيها من أثقال هي سبب جذب ما عليها من أجسام، ولو ألقت ما فيها لضعفت قوة جذبها أدنى من القمر وتخلت عن ضم ما عليها من أجسام، وفي خبر نهاية عالمنا الأرضي؛ تُخرج الأرض أثقالها فتتلاشى قوة جاذبيتها وتتخلى مما على ظهرها من أجسام: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ٩٩الزلزلة:١و٢، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ. وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ ٨٤الإنشقاق:٣و٤، قال القرطبي: "تخلت مما على ظهرها"[١٠٥٠]، وبهذا أفاد القرآن الكريم أن أثقال الأرض داخلها الآن؛ وأنه كلما ازداد العمق ازدادت كثافة الأرض، وأن أثقالها التي هي في جوفها؛ هي المسئولة عن جذب وضم الأجسام إليها، والمعلوم حاليا أن الزلازل سببها تصدعات جوفية، وأنه إذا اشتد الزلزال قد يتبعه بركان؛ نتيجة الحركات الجيولوجية الجوفية.

وهكذا منذ أربعة عشر قرنا من الزمان؛ نزل القرآن في قوم تميزوا بحسن البيان، فحذرهم من الشرك بأمثال؛ أخذت بألبابهم، فأذعن له فرسان البيان؛ قبل أن يُدرك أحد ما فيه من حكم تشريعية أو حقائق علمية كشفت عنها الأيام، وبقيت الحقائق العلمية ذخيرة مُدَّخَرَة للقادمين براهين صدق خاتم النبيين؛ لتسطع اليوم أنوار الوحي أمام أعين النابهين.

[١٠٥٠] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١٩ \ ٢٧٠).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{يَا بُنَيّ إنَّهَا} أَيْ الْخَصْلَة السَّيِّئَة {إنْ تَكُ مِثْقَال حَبَّة مِنْ خَرْدَل فَتَكُنْ فِي صَخْرَة أَوْ فِي السَّمَاوَات أَوْ فِي الْأَرْض} أَيْ فِي أَخْفَى مَكَان مِنْ ذَلِكَ {يَأْتِ بِهَا اللَّه} فَيُحَاسِب عَلَيْهَا {إنَّ اللَّه لَطِيف} بِاسْتِخْرَاجِهَا {خَبِير} بِمَكَانِهَا"[١٠٥١].

وقال الماوردي: "قوله تعالى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ} وهذا مثل مضروب لمثقال حبة من خردل، قال قتادة: من خير أو شر، {فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ} فيها قولان؛ أحدهما: أنها الصخرة التي تحت الأرض السابعة؛ قاله الرُبَيعُ بن أنس والسدي، قال عبد الله بن الحارث وهي صخرة على ظهر الحوت؛ قال الثوري: بلغنا أن خضرة السماء من تلك الصخرة، وقال ابن عباس هذه الصخرة ليست في السماء ولا في الأرض، وقيل إن هذه الصخرة هي سجّين التي يكتب فيها أعمال الكفار ولا ترفع إلى السماء، الثاني: معنى قوله في صخرة أي في جبل؛ قاله قتادة. {أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} فيه وجهان؛ أحدهما: بجزاء ما وازنها من خير أو شر، الثاني: يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء؛ كذلك قليل العمل من خير أو شر يعلمه الله فيجازي عليه، {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ} باستخراجها، {خَبِيرٌ} بمكانها؛ قاله الربيع بن أنس، روى علي بن رباح اللخمي قال: لما وعظ لقمان ابنه بهذا؛ أخذ حبة من خردلٍ فأتى بها البحر فألقاها في عرضه، ثم مكث ما شاء، ثم ذكرها وبسط يده، فبعث الله ذبابة فاختطفتها وحملتها حتى وضعتها في يده"[١٠٥٢].

وفي تفسير مجمع البحوث: "يا بُنَيَّ إن الحسنة أو السيئة إن تكن في الصِّغر قدر حبة الخردل مثلًا، وتكن مع ذلك في أخفى مكان وأحْرَزه كجوف الصَّخرة، أو كانت في العالم العلوي أو السُّفليّ، يحضرها الله ويحاسب عليها، والحكمة في هذا الترتيب كما جاءَ في البحر لأبي حيان أنه بدأ بما يتعقله السامع أولًا، وهو كينونة الشيء في صخرة، ثم عقبه بالعالم العلوي وهو أغرب للسامع، ثم عقبه بما يكون مقر الأشياء للشاهد وهو الأرض، {يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} يحضرها يوم القيامة فيحاسب عليها، وهو إما على ظاهره؛ أو معناه: يجعلها كالحاضر المشاهد للتذكير والاعتراف بها، وهو أبلغ من قوله: (يعلمه الله) ففيه مع العلم بمكانه: القدرة على الإتيان به، وذلك لأن الله لطيف يصل علمه وقدرته إلى كل خفي، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دَقَّت ولَطُفَت واستترت، خبير عالم بكُنهِهِ ومُستَقَرّه"[١٠٥٣].

[١٠٥١] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٥٤٢).

[١٠٥٢] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٤\ ٣٣٧).

[١٠٥٣] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٨\ ٩٢).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Gravity

الجاذبية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ٣١لقمان:١٦.**
- **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٤٧.**
- **﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ١٠يونس:٦١.**
- **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣.**
- **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ ٣٤سبأ:٢٢.**
- **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ٣١لقمان:٢٧.**
- **﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت: ٤٣.**
- **﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ٣٥فاطر:١٣.**
- **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ٤النساء:٧٧.**
- **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ٤النساء:٤٩.**
- **﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٧١.**
- **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ٤النساء:١٢٤.**
- **﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ ٤النساء:٥٣.**
- **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠.**
- **﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.**
- **﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ١٧الإسراء:١١.**

- ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٤النساء:٤٠.
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٩٩الزلزلة:٧و٨.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾
٣٢السجدة:٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ. ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ٣٢السجدة: ٤-٧.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾، ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

He manages (perfectly in order) **all what He had ordered** (the force or the essential building matter at the beginning of the universe)**, from the heaven** (free form) **to the earth** (form; at present)**, then it** (will continue to) **pass in a curved path** (until it will come) **to Him** (as it was at the beginning, by a constant speed; that the distance) **in a day doesn't exceed** (a distance of) **one thousand** (of your own lunar) **years, according to what you reckon** (as if earth is motionless; i.e. in the isolated earth-moon system)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

[١] برهان التقدير ووحدانية القدير

في سياق بيان تقدير كل شيء؛ يقول العلي القدير: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠، وجاءت الكلمة المُفردة (أَمْرُنَا) نظير (كُلَّ شَيْءٍ) فأفادت أن الأصل وأساس بنية كل شيء أمر واحد، يُقابله في الفيزياء: مادة أولية خام كانت تُسمى الهيولي، صنع منها القدير كل شيء؛ كالقطن تُصنع منه شتى الملابس، واللمح: وميض ضوء بالكاد تلمحه العين لسرعته، قال ابن فارس: "اللمح أصل يدل على لمع شيء"[١٠٥٤]، وقال ابن سيده: "لَمَعَ الشيءُ: أَضَاءَ"[١٠٥٥]، وفي بيان وجه التشبيه بومضة الضوء؛ قال الألوسي: "الغرض من التشبيه بيان سرعته"[١٠٥٦]، وقال أبو حيان: "لَمَّا كَانَ أَسْرَعُ الْأَحْوَالِ وَالْحَوَادِثِ فِي عُقُولِنَا هُوَ لَمْحُ الْبَصَرِ ذَكَرَهُ.. بِكَوْنِهِ مِثْلَ لَمْحِ الْبَصَرِ فِي السُّرْعَةِ"[١٠٥٧]، "تَشْبِيهٌ بِأَعْجَلِ مَا يُحَسُّ"[١٠٥٨]، وقال الرازي: "اللَّمْحُ بِالْبَصَرِ مَعْنَاهُ (ضوء) الْبَرْقُ يَخْطَفُ بِالْبَصَرِ وَيَمُرُّ بِهِ.. وَذَلِكَ فِي غَايَةِ السُّرْعَةِ..؛ (بل) ونهاية السرعة"[١٠٥٩]، وسرعة الأمر إذن كسرعة الضوء، قال الجزائري: "قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}؛ يُخبر تعالى.. عن علمه.. بسرعة كسرعة لمح البصر"[١٠٦٠]، والتعبير عن كل شيء بلفظ مُفرد (الأمر) يوافق أن الأصل عند خلق الكون مادة أساسية واحدة؛ تنويهًا بالأمر بكلمة (كُن)، والمُوجه للغير موجود كأنه موجود؛ بيانًا تصويريًّا للمشيئة العلية النافذة والقدرة المُطلقة المُبدعة.

[١٠٥٤] أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٥\ ٢٠٩).

[١٠٥٥] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (١٤\ ٣٨٤).

[١٠٥٦] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧\ ٤٣٥).

[١٠٥٧] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٦\ ٥٧٣).

[١٠٥٨] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٠\ ٤٩).

[١٠٥٩] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٩\ ٣٣٠).

[١٠٦٠] جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (٥\ ٢١٩).

وفي النبأ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ قياس لقيمة سرعة (الْأَمْر)؛ بيانًا لتقدير واحد ثابت على طول عمر الكون يقطع بوحدانية القدير، وثبات قيمته دومًا يؤكده: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، قال الأبياري: "فإن يوما واحدا عنده (في تقديره تعالى في مُلكه)؛ يُماثل ألف سنة مما (تَعُدُّون): تُقَدِّرُون وتَحْسَبُون"[١٠٦١].

وقد كانت السنة تُعرف في بيئة العرب بسير القمر في ١٢ دورة حول الأرض الساكنة؛ وفق ما كانوا يعدون بمجرد النظر طبقًا لنظام مركزية الأرض Geocentric Model، ويقتضي قياس قيمة سرعة (الأمر) إذن والمُماثلة لقيمة سرعة الضوء أن: المسافة التي يقطعها القمر في ١٢ ألف دورة يقطعها الضوء في يوم باعتبار سكون الأرض،
قال ابن عباس أن القياس: "مِقْدَار سَيْر الأَمْر"[١٠٦٢]، و: "لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ"[١٠٦٣]،
و"عَنْ قَتَادَةَ؛ (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)؛ يَقُولُ: مِقْدَارُ مَسِيرِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَلْفُ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ"[١٠٦٤]،
والمعنى: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ"[١٠٦٥]، و"الشَّمْسِ فِي طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا مِنَ الطُّلُوعِ فِي يَوْمٍ؛ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ"[١٠٦٦]، "لِسُرْعَةِ (الأمر).. لِأَنَّهُ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ"[١٠٦٧].

[١٠٦١] إبراهيم بن إسماعيل الأبياري؛ الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب؛ ١٤٠٥هـ (١٠\ ٣٥٨).
[١٠٦٢] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٥\ ٢٧٨).
[١٠٦٣] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤\ ٨٧).
[١٠٦٤] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٨\ ٥٩٢).
[١٠٦٥] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤\ ٨٧).
[١٠٦٦] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١٤\ ٢٨٦).
[١٠٦٧] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (٨\ ٤٣١).

وقال الرازي: "اعْلَمْ أَنَّ السَّنَةَ عِنْدَ الْعَرَبِ عِبَارَةٌ عَنِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ الْقَمَرِيَّةِ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ) ٩التوبة:٣٦}، وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) ١٠يونس:٥، فَجَعَلَ تَقْدِيرَ الْقَمَرِ بِالْمَنَازِلِ عِلَّةً لِلسِّنِينَ وَالْحِسَابِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتِ السَّنَةُ مُعَلَّقَةً بِسَيْرِ الْقَمَرِ، وَأَيْضًا قَالَ تَعَالَى: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) ٢الْبَقَرَة:١٨٩"[١٠٦٨]، وفي "قَوْلُهُ: (وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ)..؛ الضَّمِيرُ (يرجع ابتداءً) إِلَى الْقَمَرِ.. لِأَنَّ بِسَيْرِ الْقَمَرِ تُعْرَفُ الشُّهُورُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشُّهُورَ الْمُعْتَبَرَةَ فِي الشَّرِيعَةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى رُؤْيَةِ الْأَهِلَّةِ، وَالسَّنَةُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي الشَّرِيعَةِ هِيَ السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ"[١٠٦٩]، فالسرعة إذن في الكون مُقدرة، ولأن سرعة الأمر كسرعة الضوء؛ إذن سرعة الضوء مسيرة ألف سنة قمرية في يوم واحد.

والإصرار في القياس على جعل معيار حركة القمر مما كانوا يَعُدون بمجرد النظر؛ يتفق مع المعرفة حديثًا بأنها نسبية، والقياس يتطلب أن تكون وفق ما كانوا يظنون من سكون حركة الأرض والقمر حول الشمس؛ فتُصبح قيم حركته مُجردة وثابتة، فلا يُدرك أنه يدور مع الأرض حول الشمس إلا مُراقب خارج النظام الشمسي، والناظر بالعين المجردة لا يُدرك أن بُعده يتغير شهريا بنسبة حوالي: ١١% من البعد الوسطي؛ وكذلك سرعته، فهي بالنسبة إليه مُستبعدة، وإذا استبعدت وأجري الحساب وفق ما كانوا يعُدون تُطابق النتيجة قيمة سرعة الضوء؛ وهي حوالي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية، والإصرار إذن على تجريد حركة القمر حول الأرض من نسبة زائدة؛ لا بد من تضمُّنُه حكمة باعتبارها زيادة ظاهرية، فهم كانوا يحسبون الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس والقمر يدور حولها فحسب؛ كما لو كانا في نظام معزول عن أي تأثير خارجي، وبهذا الاعتبار تُصبح حركة القمر كأنها منسوبة لنجم بعيد ثابت فتتحقق الدورة الحقيقية المُجردة.

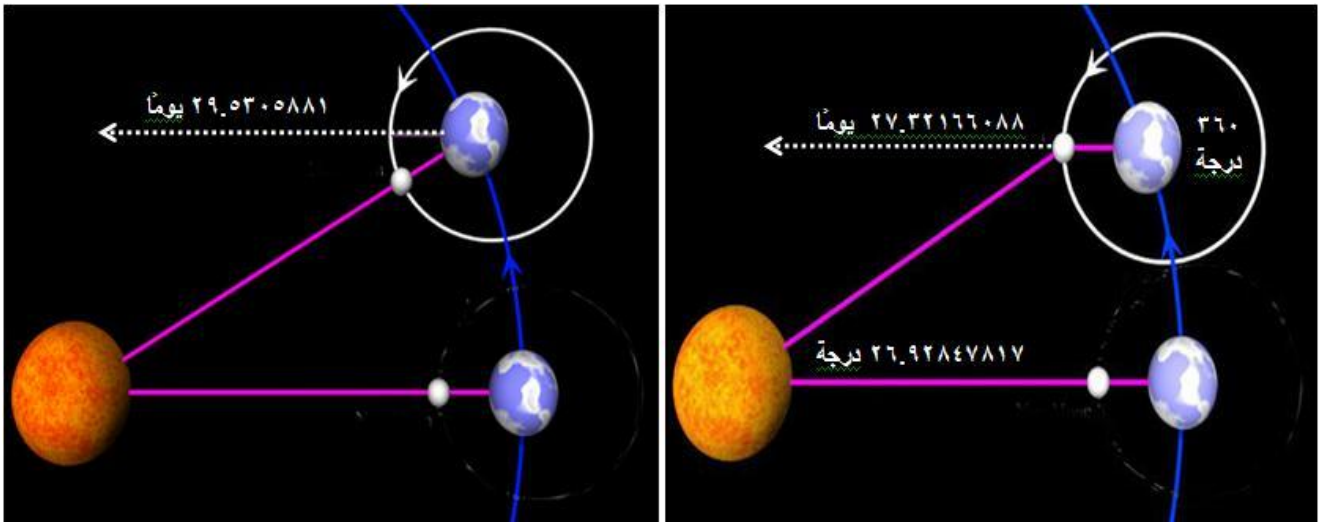

ومعلوم فلكيًّا أن القمر يتم دورته بالنسبة للنجوم Sidereal Month في: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا، بينما الشهر القمري Synodic Month: ٢٩,٥٣٠٥٨٨١ يومًا، والزيادة ناتجة عن تحرك الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها، واليوم بالمثل بالنسبة للنجوم: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية، والزيادة كذلك ناتجة كذلك عن تحرك الأرض أثناء حركته حولها.

[١٠٦٨] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٦\ ٤٠).
[١٠٦٩] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١٧\ ٢٠٩).

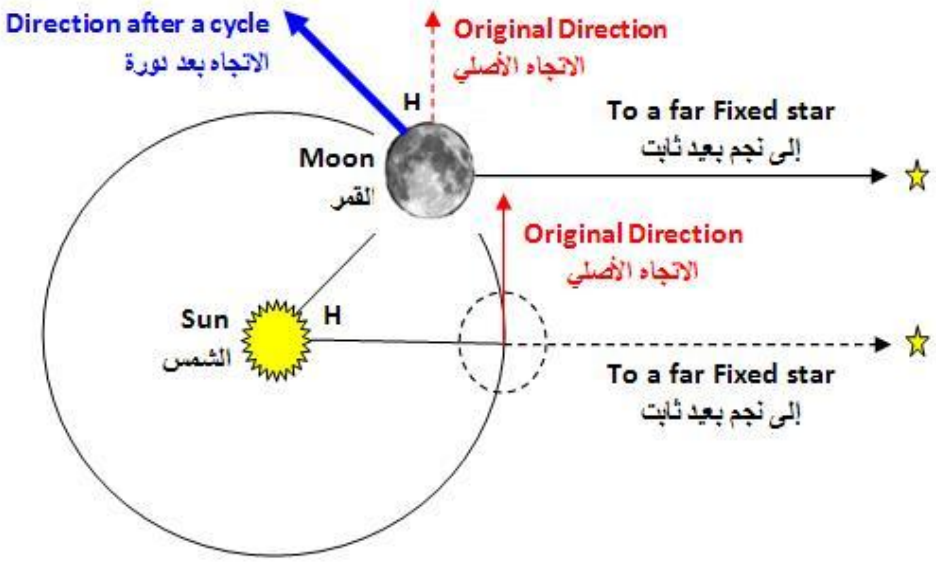

ومعلوم فيزيائيًّا أن جميع قوانين حركة الأجسام؛ لا تكون ثابتة إلا في نظام معزول عن التأثيرات الخارجية، وأن أي تأثير خارجي على حركة جسم يُكسبه تسارُع Acceleration؛ ينعكس إما على تغير سرعته أو اتجاهه، وبالنسبة للنجوم يكتسب القمر كل دورة حول الأرض زاوية حول الشمس: ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي: ٢٧) درجة[١٠٧٠]، وتغير اتجاهه إذن بالنسبة لنجم بعيد ثابت كل دورة حول الأرض يعني اكتساب قيم حركته المرصُودة فلكيًّا نسبة تسارع، وبتحليل مُركبة مُتوسط سرعته المدارية إذن في الاتجاه الأصلي بعد دورة حول الأرض تتعين نسبة سرعته المُجردة[١٠٧١]: ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣[١٠٧٢]؛ حوالي: ٨٩% من متوسط سرعته المدارية، والنسبة المُتبقية: ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧ (حوالي ١١%)؛ تُمثل الزيادة الظاهرية نتيجة حركته مع الأرض حول الشمس، وهي تُكافئ تمامًا النسبة التي تجعل مداره بيضاوي Ellipse، وتُكافئ النسبة التي ينبغي استبعادها لتتحقق دورته الحقيقية المُجردة؛ كما لو كانت الأرض ساكنة كما يعدون، وإذن الشرط المُذهل: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ قد أوجز المعايير الفلكية والفيزيائية لإقامة علاقة ثابتة منذ نشأة النظام الأرض قمري، وبذلك تتحقق المساواة بين المسافة التي يقطعها الضوء في يوم والمسافة التي يقطعها القمر بحركته المُجردة في ألف سنة؛ أي أن سرعة الضوء غير لحظية وإنما مُقدرة وقيمتها دومًا ثابتة؛ ولا تتجاوز في يوم مسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة.

قال النابلسي: "القرآنَ يُخاطِبُ أناساً يعتمدون السَّنَةَ القمَريةَ، حيث إنّ القمرَ يدورُ حولَ الأرضِ كلَّ شهرٍ دورةً..، (وقد) عرفنا المسافةَ التي يقطعُها القمرُ منَ الكيلومترات في رحلته حول الأرض في العامِ، ولو ضربناها في ألفٍ لعرَفْنا ما يقطعُه القمرُ في رحلتِه حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ..، (و) القمرَ يقطعُ في ألفِ عامٍ ما يقطعه الضوءُ في يوم واحدٍ، بدليلِ أنّنا لو قَسمنا ما يقطعه القمرُ في رحلته حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ على ثواني اليومِ؛ لكانت هذه النتيجةُ هي سرعة الضوءِ في الثانية، وهي مائتان وتسعة وتسعون ألفاً وسبعمائة واثنانِ وتسعونَ كيلومتراً ونصف كيلومتر؛ وهذه النتيجةُ تتفقُ تمامًا مع سرعةِ الضوءِ..، مع العلمِ أنّ سرعةَ الضوءِ هي أهمُّ قانونٍ عرفتهُ البشريةُ في القرنِ العشرين، وهذه السرعةُ هي أعلى سرعةٍ في الكون..، (وباختصار:) المسافةَ التي يقطعُها القمرُ في مدارِه الخاص حولَ الأرضِ في ألفِ سنةٍ قمريةٍ؛ تساوِي المسافةَ التي يقطعُها الضوءُ في يومٍ أرضيٍّ واحدٍ"[١٠٧٣].

وباختصار: شرط القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ المذكور بإصرار لوصف الألف سنة، عائد على معنى الألف سنة في السياق، قال القرطبي: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ.. (أي) لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ"[١٠٧٤]، وقال القاسمي: "ألف سنة من سنيكم"[١٠٧٥]، وقال أبو حيان: "(و) السَّنَةَ الْمُعْتَبَرَةَ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ هِيَ السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ،

[١٠٧٠] السنة النجمية: ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يوما، إذن الزاوية التي تغير اتجاه القمر بالنسبة لنجم بعيد كل دورة = (شهر نجمي\سنة نجمية) × ٣٦٠ = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي ٢٧) درجة.

[١٠٧١] أ.د. منصور محمد حسب النبي (رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس)؛ الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار الآفاق العلمية بالقاهرة؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ص١٠٦).

[١٠٧٢] جيب تمام (جتا) ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ = ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣.

[١٠٧٣] محمد راتب النابلسي؛ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١٢\ ٢٢).

[١٠٧٤] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١٤\ ٨٧).

[١٠٧٥] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٧\ ٢٥٣).

وَهَذَا الْحُكْمُ فِي الْقُرْآنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٠يونس:٥"[١٠٧٦]، والشرط: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ يفرض حساب حركة القمر وفق ما يعدون مُستبعدين حركته حول الشمس ونسبة تغير بعده (2e) التي تجعل مداره بيضاوي، وباستبعادها يتحقق القياس بالفعل في نظام حسابي افتراضي في معادلة كلا طرفيها في نظام معزول، وبالتالي تظل العلاقة ثابتة بين المسافة التي يقطعها الضوء في يوم والتي يقطعها القمر في مداره بسرعته المجردة.

قال ابن عجيبة: "إن سرعة.. أكثر من سرعة..، كما يقول القائل: من موضع كذا إلى كذا مسيرة شهر للفارس وشهرين للراجل؛ وعليه يخرج قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)"[١٠٧٧].

والسرعة الوسطية للقمر حوالي: ١,٠٢٣ كماثانية[١٠٧٨]، والقيمة: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كما ثانية تُحقق قيمة سرعة الضوء المُعتمدة عالميًّا منذ عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية[١٠٧٩]؛ حيثُ أن مسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة بالنسبة للنجوم = (١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ × ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ ×٨٦٤٠٠) ×(١٠٠٠×١٢) ×(٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣) كم = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم، واليوم بالنسبة للنجوم = ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ إذن قيمة سرعة الضوء = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كما ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية = ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية، وهي نفس القيمة المُعتمدة فيزيائيًا، بينما القيمة التقريبية المُستخدمة عمليًّا في القياسات الفلكية هي: ٣٠٠ ألف كما ثانية.

قال الألوسي: "وإن لم تبعُد هذه السُّرعة.. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء؛ وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير"[١٠٨٠]، وقال محمود شكري حفيد الألوسي: "(وإن) من (النجوم).. مَا لَا يصل نُورَهُ إِلَى الأَرْض فِي مئة سنة بل أَكثر؛ مَعَ شِدَّة سُرعَة الضَّوْء"[١٠٨١]، ولم يكن لبشر حين نزل القرآن الكريم أن يُدْرِك أن سرعة الضوء لا نهائية ليجازف مُتَحَدِّيًا ويجعل سرعة الانتقال في الكون محدودة؛ بل ويقدرها بسير القمر أقرب الجيران وأنيس العرب؛ حتى أنهم جعلوا موعد الهلال أساس تقدير السنة، قال ناصر مكارم: "هذا يدلّ أنّ تعابير القرآن إلى أيّ مدى عميقة؛ وذات معنى غزير، وفي طيّات تعابيره حقائق كامنة؛ إذا لم يُقَدَّر لها أن تُعرف في عصر نزولها فإنّها تتجلّى بمرور الزمان"[١٠٨٢].

وقد صاغ ماكس بلانك أقل مسافة لموجة (١٠قوة-٣٨ كم) وأقل زمن لحدوثها (١٠قوة-٤٣ ثانية)؛ باعتبار سرعة الضوء ثابتة منذ بدء الخلق (١٠قوة٥ كما ثانية)، واعتبرت تلك خصائص اللبنة الأساسية الواحدة للكون كله في المفهوم التوحيدي الحديث مثل فكرة الوتر الفائق، وخطى أينشتاين خطوة ضخمة بتوحيد المادة والطاقة بنفس سرعة الضوء ثابتة القيمة ($E = mc^2$)، فإذن قيمة سرعة الضوء هي المعيار لتحول القوى إلى مواد لتشيد الذرات والمجرات؛ وهي الحد الأعلى للانتقال في الكون، قال القاسمي: "﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾.. لا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها.. ما عنده تعالى من المقدار"[١٠٨٣]، وثبات التقدير بسرعة واحدة ثابتة في الكون كله وعلى طول تاريخه؛ برهان ساطع يشهد للفطين بوحدانية المُبدع القدير.

[١٠٧٦] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (٥\ ٤١٤).

[١٠٧٧] العباس أحمد بن عجيبة الحسني النطواني المتوفى سنة ١٢٦٦هـ؛ تفسير ابن عجيبة البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المكتبة الشاملة (١٤\ ٣٨٧).

[١٠٧٨] Laros Astronomy, p.142.

[١٠٧٩] Oxford Encyclopaedia, p316.

[١٠٨٠] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٥\ ٦٥).

[١٠٨١] أبو المعالي محمود شكري الألوسي؛ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي لبنان، الطبعة الثانية؛ ١٣٩١هـ- ١٩٧١م (١\ ٤١).

[١٠٨٢] نَاصِر مَكارم الشِيرازي؛ الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الموقع الرسمي للمؤلف (١١٧\ ٢٧٣).

[١٠٨٣] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٧\ ٢٥٢).

الوظائف الدلالية للشرط (مِمَّا تَعُدُّونَ):

في القياس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، النسبة للعرب تجعل السنة بحركة القمر حول الأرض ليتم ١٢ دورة ظاهرية على ما كانوا يعهدون، وشرط تحقق القياس (مِمَّا تَعُدُّونَ) عائد على معنى (أَلْفَ سَنَةٍ) في السياق؛ وهو قطع القمر لمسافة بحركته الفلكية، والتعبير (تَعُدُّونَ) جامع لمعنى الإحصاء والعدد؛ ومعنى التوهم والظن، مثل: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ ٣٨ص:٦٢؛ ووفق نموذج مركزية الأرض Geocentric System كان مُعتقدهم بحسب النظر بالعين المجردة من سطح الأرض؛ أنها ساكنة لا تدور حول الشمس، وأن القمر يدور حولها فحسب؛ ولا يدور معها حول الشمس، فأفاد التعبير (مِمَّا تَعُدُّونَ) إذن بأصل وضعه اللغوي بأن ما يتوهمُون ويظُنون من الحركات الفلكية لا يُطابق الواقع، وطابقت الدلالة المفهُوم الفلكي الحديث؛ في أن القمر بخلاف ما يظُنون يدور حول الشمس مع الأرض أثناء دورانه حولها.

وكما تُحَدَّد حركة السفن في البحر بنسبتها إلى نقطة ثابتة على الشاطئ؛ تُحَدَّد حركة القمر بالنسبة لنجم ثابت، والإصرار إذن على إجراء الحساب وفق ما يعدون من سكون حركة القمر حول الشمس ليتحقق القياس؛ لا يكون إلا بالنسبة لنجم ثابت، فهو إذن إجراء افتراضي لحساب المدة الحقيقة لدورة القمر حول الأرض؛ ودورتها حول نفسها بالنسبة لنجم ثابت.

الشهر بالنسبة لنجم بعيد ثابت يقل عن الشهر القمري بحوالي يومين؛
ويكافئ الفترة من هلال بداية الشهر إلى هلال آخر الشهر بدون فترة المحاق.

والشهر الحسابي ليتم القمر دورة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة لنجم في منازله النجمية يقل عن الشهر القمري المرصُود بحوالي يومين؛ والزيادة الظاهرية ترجع فلكيًّا لتحرك الأرض في مدارها حول الشمس أثناء دورته حولها، وبيانه: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ٣٦يس:٣٩، فالنسبة للمنازل النجمية، والعرجون القديم تشبيه لهلال آخر الشهر بالشمروخ اليابس حامل التمر، ودورة القمر بالنسبة لنجم: من هلال أول الشهر إلى هلال آخره بدون المحاق، قال الألوسي: "القمر يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يومًا وثلث يومًا"[١٠٨٤]؛ وقاله أيضًا أطفيش[١٠٨٥]، وقال العاني: "المنازل سبعة وعشرون وثُلث"[١٠٨٦]، وبنسبة حركة الأرض حول نفسها بالنسبة لنجم بعيد كذلك؛ يقل اليوم بحوالي أربع دقائق.

[١٠٨٤] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٦\١١٢).

[١٠٨٥] محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش، تفسير أطفيش تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٨\ ٣٦١).

[١٠٨٦] عبد القادر بن ملّا العاني؛ بيان المعاني، مطبعة الترقي بدمشق، الطبعة الأولى؛ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م (١٢\ ٤٢).

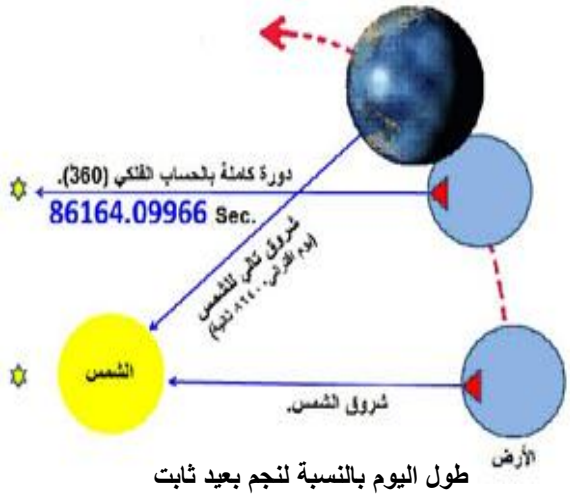

طول اليوم بالنسبة لنجم بعيد ثابت

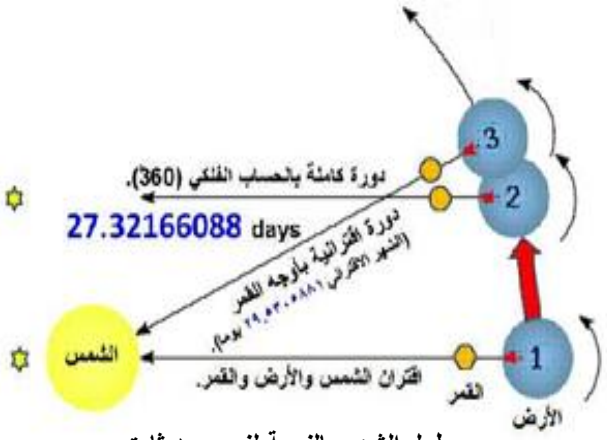

طول الشهر بالنسبة لنجم بعيد ثابت

فهناك إذن فارق بين الحركة الفلكية الظاهرية اعتمادًا على الرصد؛ وبين حساب الحركة الفعلية قياسًا على المنازل النجمية، وهو مُقتضى التعبير الجامع: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠يونس:٥، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٧الإسراء:١٢، وحرف (الواو) يُميز بين عدد السنين القائم على الحركة الظاهرية للشمس والقمر لعامة الناس؛ وبين الحساب الفلكي لحقيقة الحركة لأهل الاختصاص.

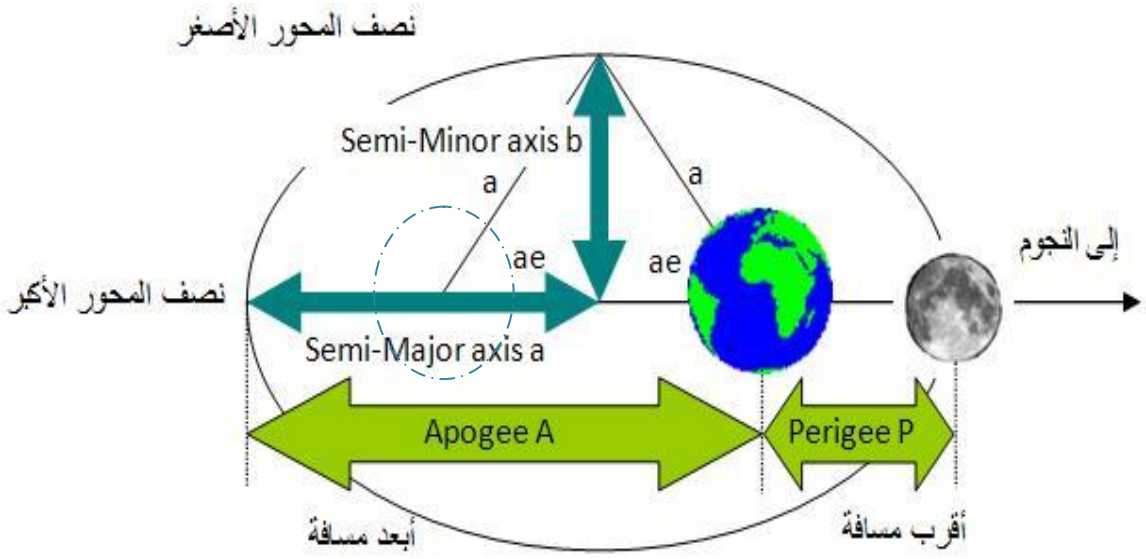

والقمر في الواقع مُتغير السرعة والبُعد عن الأرض؛ وكلما اقترب يزداد حجمه لكون مدارُه بيضاوي (قطع ناقص) Ellipse ذو بؤرتين[١٠٨٧]، وليس دائرة ذات مركز واحد، ومتوسط درجة انحراف كل بؤرة عن الدائرة Eccentricity (e) (ae/a) حوالي: ٠,٠٥٥[١٠٨٨]، ومعدل التغير Variation Ratio كل دورة في متوسط البعد أو السرعة (2ae/a = 2e) حوالي: ١١%، ولذا في كل دورة تتغير درجة سطوع القمر بنسبة حوالي: ١١%[١٠٨٩]؛ ويتغير حجم قرصه بنسبة حوالي: ١١%[١٠٩٠]، وهي نسبة لا تكفي كي تلاحظها العين المجردة؛ ولذا كانت في عُرف القدامى قبل القرن السابع عشر في حُكم المُستبعدة، وأول من أدرك بيضاوية مدارات الأجرام السماوية هو يوهانز كيبلر Johannes Kepler (١٥٧١-١٦٣٠).

مقطع بيضاوي في ثمرة خيار

مقطع دائري في ثمرة خيار

[١٠٨٧] في المدار البيضاوي أو القطع الناقص؛ مجموع بُعد أي نقطة على المدار عن البؤرتين يبقى ثابتا.

[١٠٨٨] Chong-Hung Zee; Theory of Geostationary Satellites, Library of Congress, Chapter 4: Sun and Moon effect; 1988 (86).

[١٠٨٩] http://aa.quae.nl/en/antwoorden/maan.html

[١٠٩٠] https://www.lhup.edu/~dsimanek/3d/moonillu.htm

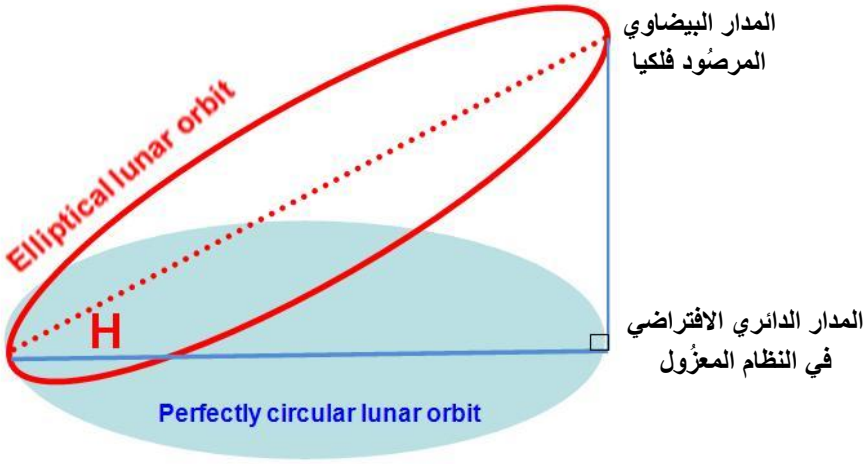

The perfectly circular orbit of the moon in the isolated earth-moon system is the projection of the astronomically based elliptical one.

المدار الدائري الافتراضي للقمر في النظام المعزول مسقط المدار المرصود فلكيا.

والمدار الدائري الافتراضي للقمر في النظام المعزول أشبه بمقطع عرضي دائري في ثمرة خيار؛ أما القطاع البيضاوي فينتج بقطع الثمرة بميل بنفس الزاوية التي يقطعها القمر حول الشمس كل دورة، أي أن المدار الدائري هو مسقط المدار المرصود.

ولو كان مدار القمر كامل الاستدارة Perfectly Circular Orbit كما كانوا يعُدون؛ فستكون سرعته بحركته الذاتية حول الأرض الساكنة ذات قيمة ثابتة على كل نقاط المدار وخالية من نسبة التغير: 2e، وستكون مُتعامدة دومًا على القُطر؛ وستكون الزاوية التي يقطعها القمر حول الشمس كل دورة: صفر، أي أن مركبة سُرعته بعد دورة لم يتغير اتجاهها الأصلي (جتا صفر = ١)، وكأن حركته بالنسبة لنجم في خط مستقيم؛ أي في نظام معزول Isolated System عن التأثير الخارجي.

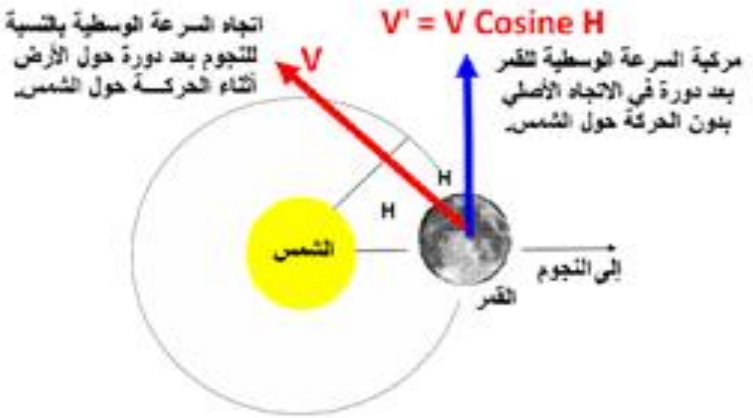

والمدار المرصُود فلكيًّا للقمر وهو يدور مع الأرض حول الشمس ليس دائريًّا؛ وتُعاني معايير حركته من نسبة تغير (2e)، وبالنسبة لنجم يقطع حول الشمس زاوية (H) قدرها: (شهر نجمي\ سنة) × ٣٦٠ = (٣٦٥,٢٥٦٣٦ \٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨) ×٣٦٠ = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي ٢٧) درجة، أي أن سُرعته بعد دورة قد تغير اتجاهها بالنسبة للنجم بنفس الزاوية، والمعلوم فيزيائيا أن السرعة مُتجه Vector كالقوة؛ لا يتغير اتجاهها ولا قيمتها في النظام المعزول إلا باكتساب تسارع Acceleration نتيجة تأثير خارجي[١٠٩١]، ويُمكن استبعاد نسبته من السرعة الوسطية بتحديد نسبة مُركبة الزاوية في الاتجاه الأصلي بعد دورة (جتا ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ = ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣)[١٠٩٢]، والنسبة المُتبقية (2e): ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧ (حوالي ١١%)؛ تُمثل الزيادة الظاهرية نتيجة حركة القمر مع الأرض حول الشمس، وهي تُكافئ النسبة التي تجعل مداره بيضاوي Ellipse، وتُكافئ النسبة التي ينبغي استبعادها لتتحقق دورته المُجردة؛ كما لو كانت الأرض ساكنة كما كانوا يعدون.

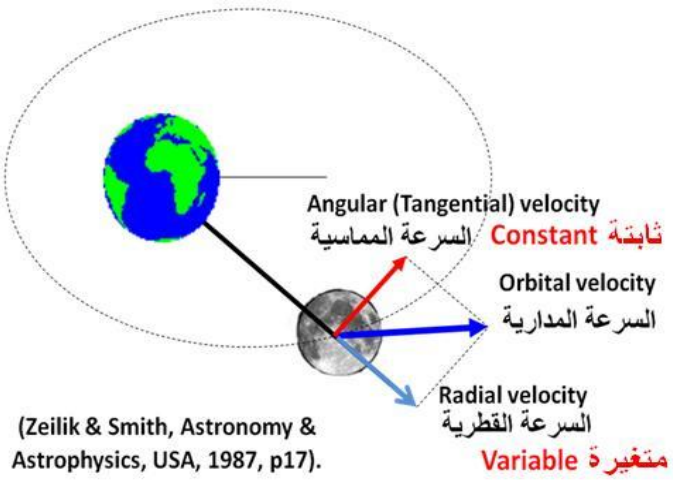

وبتحليل السرعة المدارية Orbital Velocity عند أي نقطة على مدار القمر؛ تنتج مركبة في اتجاه القطر تخضع للتغير من نقطة لأخرى وتسمى السرعة القطرية Radial Velocity، ومركبة متعامدة على القطر تصنع معه زاوية قائمة وتسمى السرعة الزاوية Angular Velocity، وهي السرعة الأمامية العاملة بالنظام الأرض قمري المعزول؛ وقيمتها ثابتة عند كل نقاط المدار باعتبارها مماسية، ولذا تسمى أيضًا السرعة المماسية Tangential Velocity (Zeilik & Smith; P17)[١٠٩٣].

[١٠٩١] http://www.physicsclassroom.com/class/circles/Lesson-1/Acceleration
http://www.studyphysics.ca/newnotes/20/unit01_kinematicsdynamics/chp04_acceleration/lesson10.htm

[١٠٩٢] أ.د. منصور محمد حسب النبي (رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس)؛ الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار الآفاق العلمية بالقاهرة؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ص١٠٦).

[١٠٩٣] Zeilik & Smith; Astronomy & Astrophysics, USA, 1987, p.17

وقيمة السرعة الوسطية في المدار المرصود للقمر حوالي: ١,٠٢٣ كم\ ثانية[١٠٩٤]، والقيمة: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كم\ ثانية تُحقق القياس؛ حيث تكون السرعة المُجردة للقمر في النظام الأرض قمري المعزُول: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ × ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣ = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ كم\ ثانية، وهي قيمة افتراضية استنتاجيه مرجعها مُتوسط السرعة في المدار المرصود؛ يفرضها شرط تحقق القياس باعتبار سكون الحركة حول الشمس: (مِمَّا تَعُدُّونَ)، ويُمكن الحصول على نفس النتيجة باستبعاد نسبة التغير (2e): ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧؛ من قيمة السرعة الوسطية للقمر.

وزمن دورة للقمر بالنسبة لنجم: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية = ٢٣٦٠٥٩١,٥ ثانية؛ إذن المسافة المُجردة التي يقطعها كل دورة: السرعة المجردة × زمن دورة = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ × ٢٣٦٠٥٩١,٥ = ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ كم؛ وفي ألف سنة (١٢ ألف دورة): ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ × ١٢٠٠٠ = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم، إذن قيمة سرعة الضوء = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم\ ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية = ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية[١٠٩٥]، وهي نفس القيمة المُعتمدة فيزيائيًا، بينما القيمة المُستخدمة عمليًّا في القياسات الفلكية هي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية[١٠٩٦].

وليس الغرض بلوغ القيمة المُتفق عليها فيزيائيا عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس؛ خاصة أن جميع معايير حركة القمر حول الأرض وسطية بناء على الرصد لمدد طويلة، وليست بدقة قيمة سرعة الضوء؛ بل وحتى قيمة سرعة الضوء نتيجة إحصائية لعدة قياسات، وقد تكون أعلى قليلا في الفضاء أو الفراغ التام، ولكن الغرض هو التدليل على أن علاقة اليوم والألف سنة في بيان سرعة قُصوى مُقدرة، وأنها مُدَّخَرَة كآية في عصر العلم على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته.

ولم ينتهي دور القيد (مِمَّا تَعُدُّونَ) عند حد تجريد مدار القمر من الزيادة الظاهرية المُتضمنة نتيجة الحركة حول الشمس؛ وإنما يُقيم علاقة ثابتة كلا طرفيها في نظام معزول: الحركة المُجردة للقمر حول الأرض والقيمة الثابتة لسرعة الضوء بالفراغ، وهي تكشف وحدة الأرض والقمر مع الشمس في الأصل ومادة التكوين ونظام الحركة منذ نشأة النظام الأرض قمري، لأن السرعة الابتدائية تظل محفوظة في نظام حركة التابع حول المتبوع؛ طالما ظل معزولاً عن التأثير الخارجي.

والدلالة الضمنية كذلك أنه بخلاف ما يعدون بالعين المجردة؛ مدار القمر بيضاوي ذو بعد أكبر، وكذلك كل الأفلاك؛ لأن (مِمَّا تَعُدُّونَ) تعني من ضمن عَدِّكُم أو الذي تَعُدُّون؛ فتشمل كل ما يتصورون ويتوهمون من الحركات الفلكية، ونظيره التعبير التصويري: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ ٤٣الزخرف:٣٨، حيث يستقيم حملهما على المسافة بين أبعد نقطتين في المدار البيضاوي للأرض حول الشمس؛ وتكافئ البعد الأكبر، فتأمل كيف أدى شرط القياس (مِمَّا تَعُدُّونَ) على بساطته جُملة وظائف دلالية؛ باعتبارها براهين على التقدير ووحدانية القدير!.

[١٠٩٤] Laros Astronomy, p.142.

[١٠٩٥] http://www.speed-light.info/

[١٠٩٦] موسوعة أكسفورد ص٣١٦.

[٢] تاريخ مجيد على درب التوحيد

حقق العلم قفزات هائلة لمعرفة طبيعة الكون وتطوره؛ فانتهى إلى التوحيد في البنية والنظام، في عام ١٦٧٦ نجح أولاس رومر Olas Roemer من تقديم أول دليل على أن سرعة الضوء محدودة غير لحظية وإن كانت هائلة، وفي عام ١٦٨٧ توصل إسحاق نيوتن Isaac Newton إلى قوانين حركة الأجسام ومفهوم الجاذبية كقوة واحدة تفسر سقوط تفاحة تجذبها الأرض كما تفسر جذب القمر نحوها فتمنع قوة الطرد المركزي سقوطه لِتَزَايِد سرعته كلما اقترب، وكأن الجاذبية تدفعه للحركة كسقطات متوالية، وبالمثل يجب أن تكون كل الأجرام السماوية حيث يتبع التابع الجسم المركزي ذي الكتلة الأكبر على بعد يحدده قانون الجاذبية؛ وبهذا توحدت الأرض والسماء وتأسست الفيزياء الكلاسيكية.

وفي عام ١٩٠٠ توصل ماكس بلانك Max Planck إلى أن الموجات تصدر عن الذرة بهيئة كميات متساوية متقطعة أجزاء متعاقبة سميت كمات Quanta؛ وسمى أقل مقدار للكم من الطاقة يثابت بلانك Planck Constant، وسمى أقل مسافة للكم الضوئي أي الذي تقطعه وحدة الضوء الفوتون Photon بمسافة بلانك Planck Distance؛ ومقدارها بالتقريب: ١٠ قوة -٣٨ كم، والزمن الذي لا يوجد أقل منه ويستغرقه الفوتون لينتقل بسرعة الضوء مسافة تعادل مسافة بلانك يُسمى بزمن بلانك Planck Time؛ وقيمته بالتقريب: ١٠ قوة -٤٣ ثانية، وتوصل بلانك كذلك إلى أن الموجات الكهربائية ما هي إلا وجه للمغناطيسية؛ فوحدهما معا تحت مُسمى الموجات الكهرومغناطيسية.

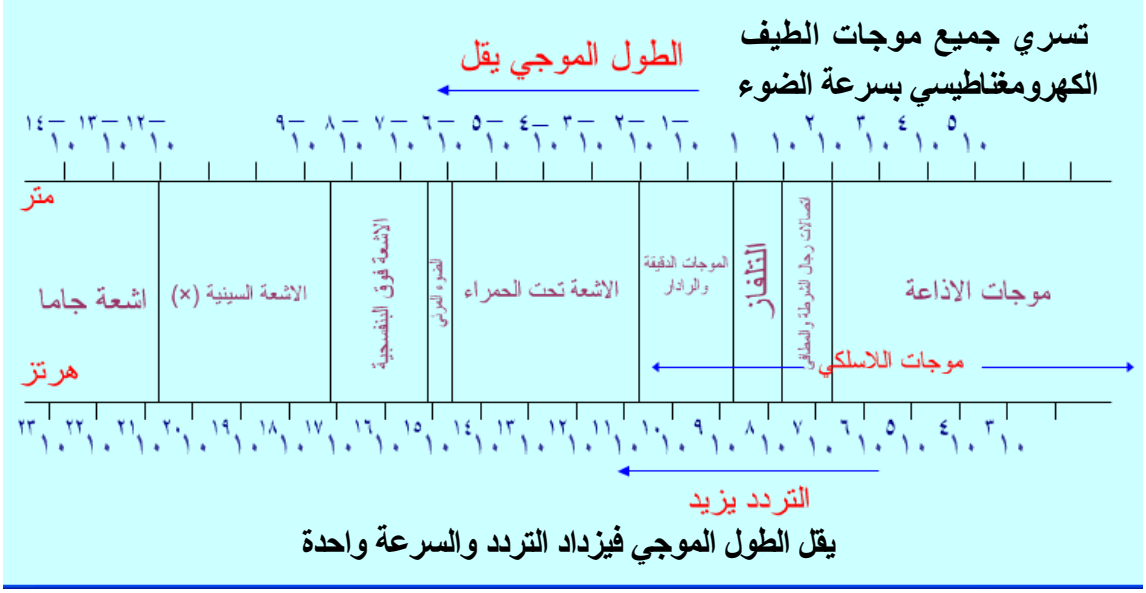

وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein مفاهيم النسبية الخاصة نافيًا وجود سكون في الكون لتنسب إليه حركة جسم فالكل يتحرك؛ لذا تُنسب حركة الجسم لآخر متحرك، إذن حركة كل الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المُطلقة Absolute فسُميت الثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، لأنها ثابتة مهما تحرك أي مراقب أو سكن، وهي سرعة الطيف الكهرومغناطيسي كله ويجب أن تكون سرعة أمواج الجاذبية كذلك، وكلما تزايدت سرعة جسم ذو كتلة لتقترب من سرعة الضوء تزايدت الكتلة وتضاءل طوله وقل الزمن، ومع بلوغ سرعته قيمة سرعة الضوء تُصبح الكتلة لا نهائية ويتلاشى الطول ويتوقف الزمن؛ لذا لا يبلغها سوى جسيم بلا كتلة، والموجة تنتقل عبر الفضاء بسرعة غير لحظية لا تتجاوز سرعة الضوء؛ وإذا اختفت الشمس كافتراض فجأة فلن نشعر في الأرض بالأثر لحظيًّا وإنما بعد دقائق بسبب سرعة الانتقال المحدودة، والعلاقة بين الكتلة وحركة جسيم بسرعة الضوء (c) ليتلاشى ويتحول إلى طاقة حرة لعلها قد استوحت فكرة أن الكتلة Mass (M) ما هي إلا طاقة Energy (E) مُكَدَّسَة مُجَسَّدَة، فأمكن التوصل إلى أنه يُمكن تحويل كتلة جسم M إلى طاقة E والعكس وفق علاقة ثابتة ($E = Mc^2$).

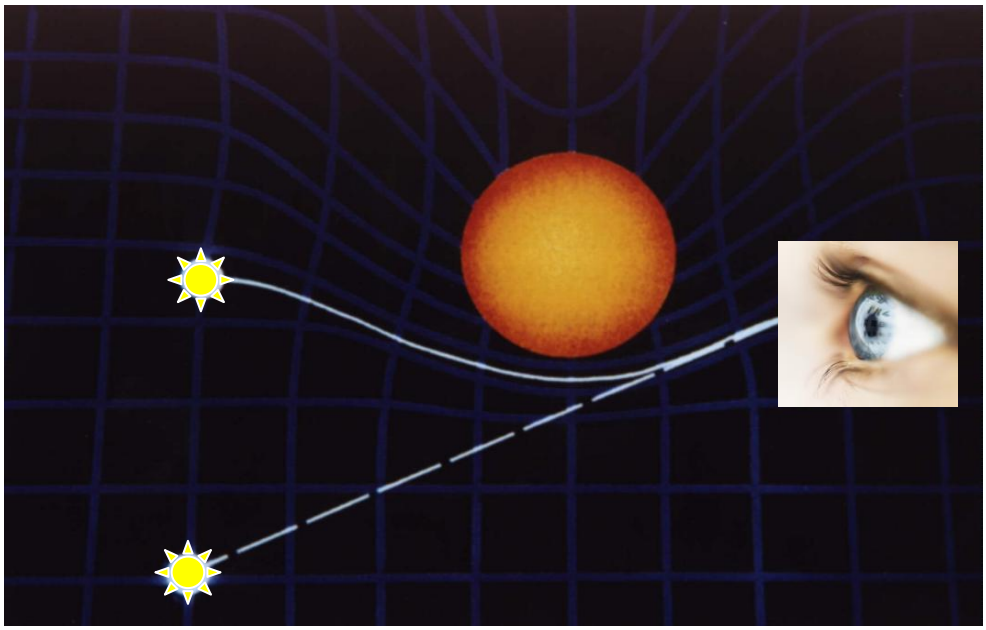

وفي عام ١٩١٥ نشر ألبرت أينشتاين نظرية النسبية العامة General Relativity؛ وطرح فيها فكرته الجريئة بإضافة الزمان كبعد رابع إلى أبعاد المكان (الطول والعرض والارتفاع)؛ لجعل طبيعة الفضاء نسيج زمكاني أشبه بشبكة الصيادين، فالمكان والزمان مرتبطان وكليهما نسبيان فضمهما أينشتاين معا بمصطلح الزمكان Space-Time تعبيرًا عن الفضاء؛ ويُحْدِث فيه كل جرم تقعرًا حسب ثقله، فالتقعر الذي تُحدثه الشمس في النسيج الكوني المَرِن أكبر من التقعر الذي تحدثه الأرض؛ فيؤدي لدورانها حول الشمس في أطراف التقعر الكبير الذي أحدثته على النسيج، فالنسيج الكوني المُنحني يفرض على الأرض بسبب الشمس أن تسير وفق ذلك الميلان فتبدو أنها مشدودة للشمس بقوة الجاذبية، والأرض إذن لا تدور حول الشمس لأنها تطلق قوة لتمسك بها؛ بل لأنها تسير في منحنيات النسيج الكوني، والفضاء المنحني Curved Space يُجْبِر مَسَار ضوء نجم يمر بجوار كتلة كبيرة كالشمس أن ينحني؛ وتحققت النبوءة برصد تقارب البُعد بين نجمين عند الكسوف لانحناء الضوء نحو الشمس، هذه المفاهيم هي أساس الفيزياء الحديثة.

وفي عام ١٩١٦ قدم كارل شوارتزشيلد Karl Schwarzschild فكرة الثقوب السوداء Black Holes استنادًا على مفهوم نسيج الفضاء الكوني الذي ينحني تحت تأثير الكتلة، فاقترح أن كتلة كبيرة ككتلة نجم ضخم إذا تكاثفت في مكان صغير فإنها ستحني النسيج الكوني لدرجة لا تسمح لشيء بالهروب من جذبه ولا حتى الضوء، وبقي الاعتقاد أنها مجرد نظرية؛ إلى أن تم رصد مادة متوهجة كأنها تُبتلع حول مناطق غير مرئية كمركز مجرتنا، فكسبت فكرة الكون المنحني مزيدًا من التأييد؛ وأعطت إيحاءً باحتمال أن الكون كان بالمثل في حيز ضئيل وتمدد.

وفي عام ١٩٢٢ اقترح ألكسندر فريدمان Alexander Friedmann فرضية تمدد الكون استنادًا لطبيعة النسيج الكوني وفق مفهوم النسبية العامة، وفي عام ١٩٢٧ أعطى جورج لومتر Georges Lemaître فرضية امتداد الكون من نقطة أولية كثيفة اسم: "افتراض الذرة الأولية"، وفي نفس العام أطلق عليها فريد هويل Fred Hoyle ساخراً في برنامج إذاعي في محطة B.B.C. الاسم الذي شاع لاحقًا: الانفجار الكبير Big Bang؛ لأنه كان يرفض أن للكون بداية، وقدم عام ١٩٤٩ مع توماس غولد وهيرمانبوندي نظرية الكون الأبدي أو الحالة الدائمة Steady State theory.

وفي عام ١٩٢٩ اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble أن المجرات البعيدة في طيف الضوء القادم منها منزاحة نحو الجانب الأحمر مما يعني أنها في ابتعاد تتناسب سرعته مع البعد وفق ثابت سمي بثابت هابل؛ كحالة صفير قطار تتضاغط الموجات بقدومه فيصبح حادًا وتتخلخل مع ابتعاده وتسمى ظاهرة دوبلر Doppler phenomenon، فاستُنتج أن الكون قبل تمدده كان في الماضي منحصرًا في نقطة ضئيلة كثيفة يعكس شدة حرارتها إشعاع مميز؛ رصده

أرنو بنزياس وروبرت ويلسون عام ١٩٦٤ من كل جهة فسمي الخلفية الإشعاعية Background Radiation، وتأكد أن للكون بداية وعمر محدود، وصحة التوسع والانتفاخ Inflation كالبالون؛ وإن شاع باسم الانفجار الكبير.

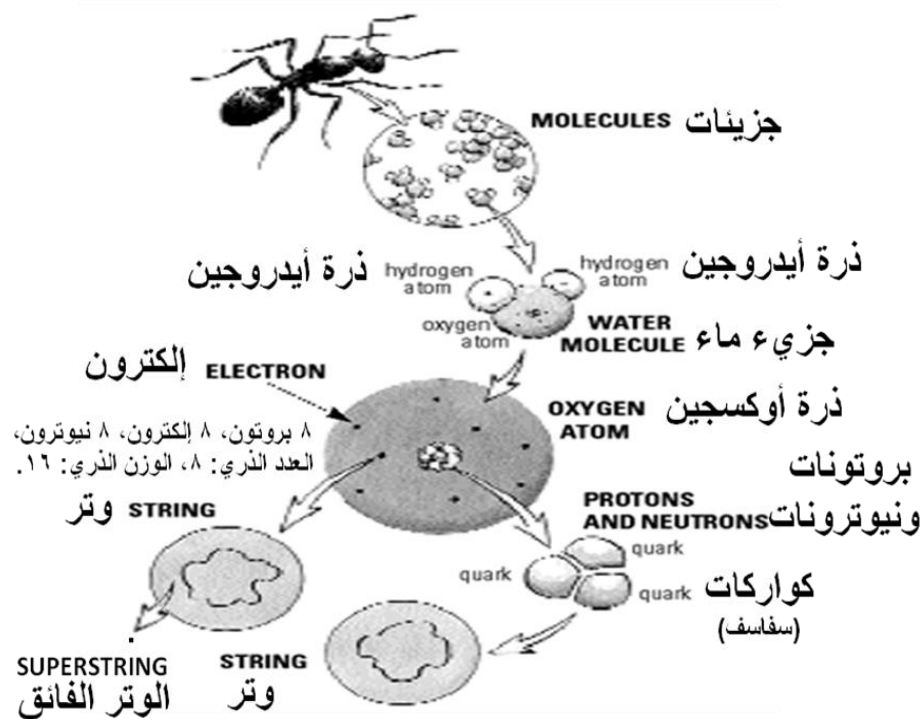

وفي عام ١٩٦١ اقترح موري غيل وكازوهيكو نيشيجيما أن النيوترونات والبروتونات الجسيمان الرئيسيان في نواة الذرة ليسا أقل شيء لا ينقسم؛ وإنما مصنوعان من لبنات سميت كواركات Quarks؛ أي سفاسف وهشاشات، وإذا ذهبنا بالمثل في أعماق الكوارك باتجاه الضآلة سنجد ما هو أقل منه، أي نتفه أو ندفة واحدة مهتزة من الطاقة بمقاييس بلانك في ضآلة الطاقة وزمن الاهتزاز والطول؛ أشبه بخيط أو بالأحرى وتر موسيقي متناهي الضآلة يهتز، وهكذا ظهرت الفكرة بأن بنية كل شيء أوتار تهتز؛ وأن منها ما يتشكل حلقات مُترابطة كنسيج القمصان المعدنية، وعلى هذا فدلالة كلمة الحبك على النسيج في وصف الكون لا تختص بالمستوى الكبير فحسب وإنما بنية جميع الذرات.

وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي طَوَّرَ جون شوارتز ومايكل غرين نظرية الأوتار Strings Theory، وفي خطوة أخرى نحو التوحيد Unification؛ قام إدوارد ويتن Edward witten في أواسط الثمانينات بتعديلها وأطلق عليها اسم نظرية الأوتار الفائقة M-Theory، وهي تجمع بين مجال ميكانيكا الكم في مجال الذرة والنسبية في المجال الكبير؛ وتُوَحِّد بين القُوَى والمواد وتصف المادة على أنها حالات اهتزاز متباينة لوتر أساسي واحد؛ كما يُعطي وتر الكمان أنغام متباينة باختلاف طوله، أي أن كل ما في هذا الكون من مادة أو طاقة أو شحنات هو في الواقع أوتار لكنها مهتزة بطرق مختلفة؛ وكأن الكون عبارة عن أنشودة مُتقنة مُوحدة الإيقاع وباختلاف اهتزاز الأوتار ينشأ تنويع لا يُعرف حَدُّه من بديع الكلمات، فتهافت الفيزيائيون عليها وسُميت نظرية كل شيء Theory of Everything، وكل تلك التسميات محاولات ضمن النموذج القياسي Standard Model المُستقر منذ عام ١٩٧٠ لفهم طبيعة الكون؛ والقائم على أن للكون بداية محددة في ظروف حرارة شديدة بردت مع التوسع فنشأت تنويعات الذرات وطبقات الأجرام.

ووفق النموذج القياسي تتكون المادة من كواركات هي لبنات البروتونات والنيترونات؛ في حين أن عائلة الليبتونات تضم مع الإلكترونات ما يُعرف باسم الإلكترون نيوترينو Electron Neutrino، وهو جسيم أولي لا يملك شحنة وكان قد افترض وجوده فولفغانغ باولي عام ١٩٣٠؛ واكتشفه فريق بقيادة فريدرك راينس وكلايد كوان عام ١٩٥٦، أما القوى الأربعة فهي الجاذبية Gravity والكهرومغناطيسية Electro-Magnetism والقوة النووية القوية Strong Force التي تقوم بضم مكونات نواة الذرة ومنعها من التبعثر بمعادلة أثر تنافر البروتونات الموجبة الشحنة، والقوة النووية الضعيفة Weak Force التي تقوم بكبح جماح أنوية الذرات الثقيلة المُشعة من الانشطار الذاتي فجأة.

وهكذا انتهت ملحمة الفيزياء إلى توحيد كل شيء في البنية والنظام من أصغر لبنة في الذرة إلى اللبنات العظام التي شيدت الكون؛ من المجموعة الشمسية إلى آخر أفق الكوازارات، فما نُسميه فضاء هو مجالات مادية طرائق صنعتها حولها كتل الأجرام الكونية، والفضاء إذن ليس فراغًا، وبنية الكون معارج تتموج وتتقوس وتنحني، وحتى الجسيمات دون الذرة تسبح كذلك في فضاء مادي كالسمكة تسبح في الماء، وكأن الكون كله خشبة مسرح تَعْرِض للفطين ملحمة الخلق المَحْبُوك بإتقان ونظام مقصود بلا عشوائية ولا مجال لمصادفة؛ لعله يدرك المغزى.

ولكن هويل نسب الحكمة والذكاء للنسيج وتجاهل من حاكه في كتابه: الكون الذكي The Intelligent Universe، وتبعه هاوكنج في كتابه: التصميم العظيم The Grand Design بقوله: لا دليل؛ وكأن الكون المهيب والتصميم الرائع ليس بدليل؛ وما هو إلا انتحار في مواجهة التيار الجارف للعلم نحو التوحيد؛ وبداية تجعل الكون عارض وعمره محدود، وخالف هويل نفسه في مقالة عام ١٩٨١ بقوله: "أن احتمال ظهور أشكال الحياة صدفة يُقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة؛ بتجميع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، وبالمثل خالف هاوكنج نفسه في كتابه: تاريخ موجز للزمن Brief History of Time؛ بقوله: "طالما أن للكون ابتداء؛ فحتمًا له خالق"[١٠٩٧]، ووفق الموسوعة البريطانية فإن اختيار كل الأحماض الأمينية Amino Acids التي هي أساس تكوين البروتينات؛ لتكون عسراء الاتجاه صدفة بلا تدخل مقصود لإرادة مُوَجِّهَة؛ أشبه بقذف عملة معدنية في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على نفس الوجه!، ونشأة خلية حية واحدة إذن من ذاتها يُعد احتمالا مُستحيلا؛ مثل احتمال قيام قرد بكتابة تاريخ البشرية كله على آلة كاتبة بلا أخطاء.

ومن البديهي أن النظام Order لا تَصْنَعُهُ فوضى Chaos والصدفة لا تُفَسِّرُه؛ وإنما هو شاهد عدل على الخلق مهما كانت الكيفية، ولو كانت التغيرات غير مقصودة؛ فَلِمَ كانت دائمًا في اتجاه الأصلح لتبني الكون المنظوم المحبوك؛ والتنويع مع وحدة البنية يُعارض الإلحاد Atheism، وليس إلا مشيئة الخالق وسبق تقديره وحسن تدبيره بِعِلْم واقتدار، والفلسفة المادية الناكرة لمبدأ الخلق قد دحضتها كل ميادين العلم؛ وإلا انعدم ثبات القوانين، ومن يظل مُعتقدا بها عليه ألا يحسب نفسه من المُحققين، وقد رأي أينشتاين في صنع الله تعالى: النظام والقصد والحكمة والتناسق والبساطة والأناقة والجمال؛ وهي رؤى ثاقبة للكون المنظوم المُتقن المحبُوك، ولو كان وليد الصدفة ما كان نظام وآليات وقوانين على كافة المستويات، قال نيوتن: "إن هذا التكوين البديع في النظام الكوني يجب أن يُفهم منه القصد في التنظيم"، وقال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان".

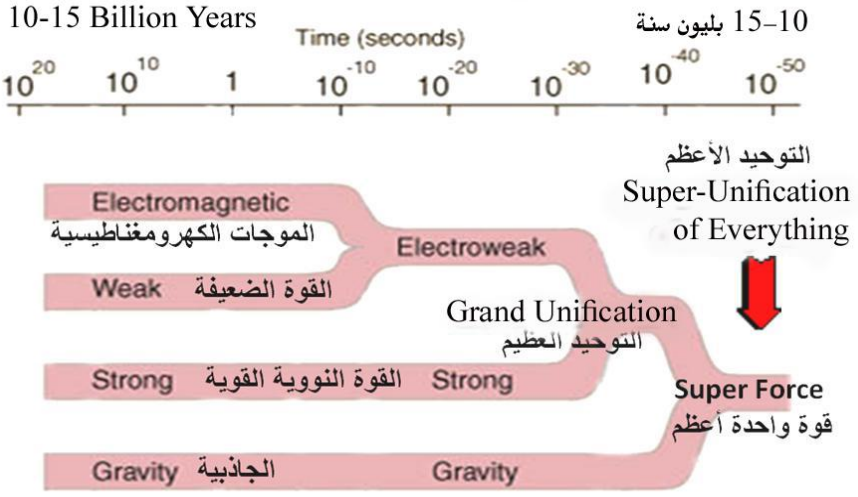

[١٠٩٧] Stephen Hawking, Brief History of Time, page 122.

وفي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ كلمة (السَّمَاءِ) بالإفراد تعنى الكون كله باعتبار توحيد الابتداء كفضاء لم تميزه بعد عناقيد الأجرام سماوات؛ مادة خام واحدة صنع منها القدير كل شيء، وتوحدت فيها جميع القوى والمواد فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: Super-Unification of Everything؛ وتسمى القوة الأعظم Super Force، كان لإفراد لفظ (السَّمَاءِ) إذن في دلالته على الكون إشارة ضمنية على توحيد كل شيء في الأصل؛ وأكده إفراد لفظ الأمر: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)؛ تنويهًا للأمر بكلمة: (كُن).

الشيخ طنطاوي جوهري
(١٨٧٠-١٩٤٠)

قال طنطاوي جوهري: "(إفراد الأمر يعني أنه) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة، وتتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد، وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود؛ فهو صادر عن مادة أصلية واحدة"[١٠٩٨]، فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس..، ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي..، (وقد) خلق اللهُ العالمَ من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"[١٠٩٩].

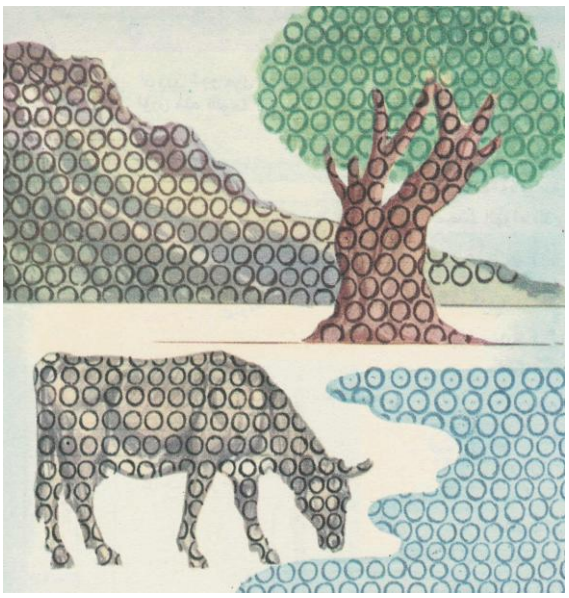

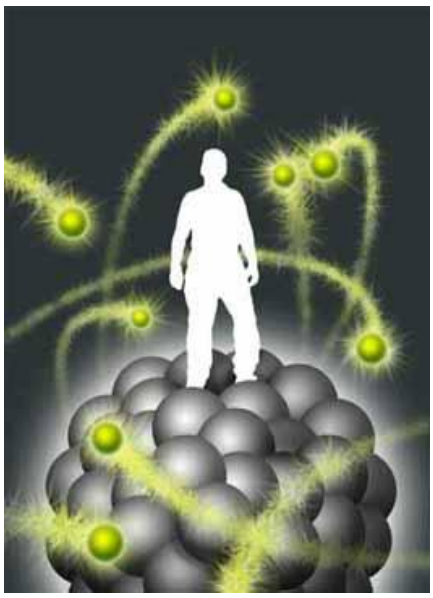

تتكون الذرات بأجسام كل الكائنات من نفس اللبنات، وأصلها جميعًا يرجع إلى لبنة أساسية واحدة؛ طبيعتها الحركة في عَجَل، خلق أخيرا منه الإنسان؛ على ظاهر اللفظ لا المجاز.

[١٠٩٨] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢ ١٨٠).
[١٠٩٩] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤٦١١).

والتعبير المُذهل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ وصف الكون كله بأصله الأول؛ قوة واحدة عاجلة الحركة هي أساس بنية كل الأجسام، فأفاد أن الحركة في عجل طبيعة كل شيء، وأن الكون مُدَبَّر في نظام Order؛ ومأمُور ينطق بآمر يُدَبِّرُهُ، قال طنطاوي جوهري: "هذا النظام الجميل شاهد عدل على إله نظمه بعلمه وأحكمه بقدرته، فإن هذا العالم المُشاهد لا يُمكن أن يصدُر إلا عن إرادة؛ لأن المادة عمياء جاهلة والجاهل لا يعطي علمًا"[١١٠٠]، "إذن الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً..؛ طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً، ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلى لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس"[١١٠١]، "فما هذا العالم كله إلا حركات"[١١٠٢]، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس"[١١٠٣]، نشأ الإنسان إذن على رأس كل مخلوق؛ وطبيعته وأصل بنيته وأساس خلقه الحركة في عجل: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

[٣] التفصيل الدلالي

(١) سرعة كونية ثابتة على طول تاريخ الكون:

منذ نشأة مادة الكون الفيزيائي بالأمر (كن) بيانًا لنفاذ الإرادة، وحتى يعود الأمر كله إليه تعالى بيانًا لتفرده؛ تظل سرعة الانتقال ثابتة، رغم تغير الأحوال من الهيأة السماوية الحرة للطاقة؛ إلى الذرات التي كونت الأجرام السماوية والأرض: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ السجدة: ٥، والمضارع (يُدَبِّرُ) يعني دوام التدبير مدة الدنيا، ولفظ (الْأَمْرَ) في (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)؛ وقع مفعولاً به، يعني ما أمر الله به؛ وهو المأمور الذي كان عن أمر الله تعالى، أي ما أوجده ابتداء بقوله: (كُن)؛ أي أصل المادة والعُنصر الأول لها، قال الألوسي: "الأمر راجع إلى المُراد لا إلى الإرادة.. (أي) الأشياء المُرادة المُكونة"[١١٠٤]، يعني كما قال ابن تيميه: "مادة العالم وهيولاه المُتميزة عن صورته..؛ فإن هذه الصورة المُحدثة من الحيوانات والنبات والمعادن ليست قديمة باتفاق جميع العقلاء"[١١٠٥]، "وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقا لقوله (هذا خلق الله).. ولهذا يسمى المأمور به أمرا"[١١٠٦]، "والأمر الكوني كقوله..: (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر).. فهذا أمر تقدير كوني؛ لا أمر ديني شرعي"[١١٠٧]، "ولفظ الأمر يُراد به.. المفعول.. كما قال تعالى: (أتى أمر الله).. فهنا المراد به المأمور به؛ وليس المُراد به أمره الذي هو كلامه"[١١٠٨]، "و.. عن عمران بن حصين أن أهل اليمن سألوا النبي (عليه الصلاة والسلام) عن أول هذا الأمر.. فقال (كان الله ولم يكن شيء غيره)"[١١٠٩]، وقولهم (جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر) كان مُرادهم خلق هذا العالم.. فهذا الأمر إشارة إلى حاضر موجود..؛ وهو المأمور الذي كونه الله بأمره، وهذا مُرادهم"[١١١٠]، "(و) ألفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول؛ فيسمى المأمور به أمرا... والمخلوق بالكلمة كلمة، فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمُراد به أنه خُلِقَ بكلمة.. كن..؛ وإلا فعيسى عليه السلام بشر..، وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه أمر الله؛ فالمراد أن الله كونه بأمره"[١١١١]، "وهذا قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها"[١١١٢]، "وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر"[١١١٣]، والتعبير (مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) يفيد التَّحَوُّل من الشكل السماوي للقوى عند النشأة إلى المواد الأرضية، والتعبير (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ)

[١١٠٠] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢١\ ٢٥٩).
[١١٠١] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٩٣\٢٤).
[١١٠٢] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢٠\ ٣٢).
[١١٠٣] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٥\١٨٨).
[١١٠٤] روح المعاني ج١٤ص١٤٤.
[١١٠٥] الفتاوى لابن تيمية ج٢ص١٤٤.
[١١٠٦] دقائق التفسير ج١ص٣٢٥.
[١١٠٧] شفاء العليل ج١ص٢٨١.
[١١٠٨] الفتاوى ج٨ص٤١٢.
[١١٠٩] بيان تلبيس الجهمية ج١ص١٥٢.
[١١١٠] الفتاوى ج١٨ص٢١٥.
[١١١١] الفتاوى ج١٧ص٢٨٣.
[١١١٢] الفتاوى ج٤ص٢٢٧.
[١١١٣] شفاء العليل ج١ص٢٨٠.

يعني عودة المُلْك لِمَالِكُهُ عند نهاية العالم بنفس الشكل الحر الأول؛ وهو ما زال يسري بانحناء ويَعْرُج، وذلك قبل أن يُعْرَف أن كل مُتَحَرِّك بالكون يتبع مسارات منحنية؛ وأن الضوء يسري بانحناء كالأعرج يميل في مشيته ويَعْرُج.

وتثنية النبأ في تكامل بلا تعارض رغم تطاول سِنِيّ التدوين؛ ميزة فريدة في القرآن الكريم، وفي مقام بيان دوام التدبير يكشف ثبات سرعة الانتقال بالكون رغم تغير الأحوال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ السجدة: ٥، وصيغة المضارع (يُدَبِّرُ) تعني دوام التدبير ونفاذ الأمر بسرعة مقدرة ثابتة، ولفظ (الْأَمْرَ) يرد في مواضع بمعنى المأمور؛ فيدل عند الإطلاق على كل شيء بالأصل الأول؛ أي المادة الخام التي وُجِدَت استجابة للأمر الذي تُصَوِّرُهُ كلمة (كن)، والتعبير (مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) يدل على شمول التدبير للعالم كله؛ ويعني التَّحَوُّل من الشكل السماوي الحر للقوى عند نشأة العالم إلى هيئة المواد الأرضية الجامدة؛ والتعبير (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) يعني عودة المُلْك لِمَالِكُهُ تعالى بنفس الشكل الحر الأول من جديد؛ وهو ما زال يسري بانحناء ويَعْرُج، وذلك قبل أن يُعْرَف أن كل مُتَحَرِّك بالكون يتبع مسارات منحنية؛ وحتى الضوء يسري بانحناء كالأعرج يميل في مشيته ويَعْرُج، والمعرفة حديثًا بأن ماهية العالم واحدة لإمكان التحول بين المواد والطاقة الحرة مفخرة؛ وسبق القرآن الكريم إليها مأثرة.

والتعبير (مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) بيان لدوام التدبير في العالم كله منذ نشأته إلى عودته لأول حالته عند نهايته؛ فأفادت (ثُمَّ) معنى التحول في الحالة، قال طنطاوي جوهري: "وتنزيل الأمر من السماء يقتضي النظر في منشأ هذا العالم، فإن هذه العناصر لم تظهر في بادئ الأمر..، (والمعنى) تنزيل الله للعوالم من حالها الأول حال البساطة والنور إلى حال الكثافة والتركيب.. (ومُقتضى) رجوع الأمر إلى الله.. أن هذا العالم سائر من الكثافة إلى اللطافة كما أنه تنزل من اللطيف إلى الكثيف"[١١١٤]، وقال ناصر مكارم: "المُراد من الآية.. أنّ الله سبحانه خلق هذا العالم، ونظّم ودبّر السماء والأرض..؛ إلاّ أنّه يطوى.. في نهاية العالم..، السماوات حتّى ترجع إلى حالتها قبل توسّع هذا العالم..، (و) سيبدأ عالم آخر بعد انتهاء هذه الدنيا"[١١١٥]، وقال الألوسي: "فيه إشارة إلى أن الأمر وإن ظهر بالأشكال المختلفة والصور المتعددة؛ أوله وآخره سواء"[١١١٦]، وقال أبو السعود: "(لأنه) أمر واحد وإن تجددت آثاره"[١١١٧]، وقال ابن تيميه: "والسماوات وإن طُوِيَت وكانت كالمُهل (صهير المعادن).. أصلها باق بتحويلها من حالٍ إلى حالٍ"[١١١٨]، ورغم التَبَدُّل في أشكال المادة الأولية؛ تبقى قيمة سرعة الانتقال في الكون ثابتة على الدوام، لا تتجاوز في يوم واحد مسافة ألف سنة؛ بما تقوم على حركته السنة، وهو القمر أقرب الجيران.

والسنة عند العرب تقوم على سير القمر؛ والتقويم القمري هو المُعتبر في التشريع، قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. (و) السنة مُعَلَّقَة بسير القمر"، وفي القياس لا تتجاوز مسافة يوم بأقصى سرعة مسافة ألف سنة بسير القمر، ويصلح القيد ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ تمييزًا لحركته المُتَضَمِّنَة سياقًا؛ بجعلها وفق ما كانوا يَظُنُّون من سكون حركة الأرض حول الشمس، لإقامة معادلة طرفيها في نظام معزول؛ ومعنى الظن يفيد أن الواقع بخلافه، وحد سرعة الانتقال بالكون لا يزيد عن: مسافة ألف سنة قمرية في يوم، ولا يمكن لمادة أن تبلغه ولا لقوة أن تتجاوزه.

والمُتَبَادَر أن سرعة الضوء لا نهائية Infinite؛ ولم يكن لبشر في القرن السابع الميلادي زمن الوحي التصور أنها مُقَدَّرَة مَحْدُودَة؛ فلم يقدم الدليل الأول على أنها محدودة إلا عام ١٦٧٦ عندما نجح الفلكي أولاس رومر Olas Romer من قياسها عن طريق ملاحظة تأخر ظهور أقمار كوكب المشتري خلفه بفارق زمني عندما تكون الأرض في الجهة الأبعد منه في مدارها حول الشمس، لأن ضوء تلك الأقمار يحتاج لفترة أطول مما يعني أن سرعة الضوء غير لحظية، واعتمادًا على التقنيات المُتَاحَة وقتئذٍ والمعرفة بطول القطر الأكبر لمدار الأرض كانت النتيجة حوالي: ٢٢٧ ألف كما ثانية، وتوالت القياسات ثلاثة قرون؛ وأخيرًا عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس اعتمدت القيمة: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية.

قال النَّابُلْسِي: "إنّ القرآنَ يخاطِبُ أُنَاسًا يعتمدون السَّنَةَ القمَرِيةَ؛ حيث إنّ القمرَ يدور حولَ الأرضِ كل شهرٍ دورةً..، (ولو) عرفنا المسافةَ التي يقطعُها القمرُ.. في رحلتِه حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ (فبُنَاءً على أنَّ).. القمرَ يقطعُ في ألفِ عامٍ ما يقطعه

[١١١٤] الجواهر ج١٥ص٢٠٠.

[١١١٥] نَاصِر مَكارم الشِيرازي؛ الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الموقع الرسمي للمؤلف (١١٣\٩٨).

[١١١٦] روح المعاني ج٨ص٩٧.

[١١١٧] أبو السعود ١٢\١١٢.

[١١١٨] الفتاوى ج١٥ص١١٠.

الضوءُ في يوم واحدٍ.. (فبالتالي نَعْرِفُ) سرعة الضوء في الثانية..، وهذه السرعةُ هي أعلى سرعةٍ في الكون..، (وباختصار:) إنّ المسافةَ التي يقطعُها القمرُ في مدارِه الخاصِّ حولَ الأرضِ في ألفِ سنةٍ قمريةٍ تساوِي المسافةَ التي يقطعُها الضوءُ في يومٍ أرضي واحدٍ"[١١١٩]، والقمر كبقية الأجسام حركته نسبية فتتطلب تحديد إطار؛ فهو يدور حول الأرض كما لو كَانَا في نظام معزول عن التأثير الخارجي؛ وفوق ذلك يدور معها حول الشمس، والقيد ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يُحَدِّد بإصرار حركة القمر حول الأرض فحسب؛ وفق ما كانوا يَعُدُّون ويَظُنُّون طبقًا لنموذج مركزية الأرض Geocentric Model، وكأن الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس، وحركتيهما بالنسبة للنجوم مُجَرَّدَة في نظام معزول؛ مُقابل سرعة الضوء التي لا تتحقق إلا بالفراغ في نظام معزول، وهي صيغة معادلة بجعل الطرفين في نظام معزول؛ كما في كل معادلات الحركة بالفيزياء.

مسافة يوم أرضي بسرعة الضوء = مسافة ألف سنة قمرية بسرعة القمر

(وفق ما كانوا يَعُدُّون ويَتَوَهمون من سكون حركة الأرض حول الشمس)؛ إذن:

سرعة الضوء = مسافة ألف سنة قمرية\ يوم أرضي

(في النظام المعزول عن التأثير الخارجي لطرفي المعادلة)

وبالنسبة لنجم بعيد يتم القمر دورة كاملة (٣٦٠ درجة) في مدة شهر نجمي Sidereal Month: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا، وتتم الأرض دورة حول نفسها بالمثل في يوم نجمي Sidereal Day: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ وحول الشمس في سنة نجميه Sidereal Year: ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يومًا، ولذا يتغير اتجاه القمر بالنسبة للنجم البعيد بعد كل دورة حول الأرض بزاوية (هـ): ٣٦٠ × (٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ \ ٣٦٥,٢٥٦٣٦) = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي ٢٧) درجة، ومعلوم في الفيزياء أن تغير الاتجاه أو السرعة يعني اكتساب تسارع Acceleration، وباستبعاد النسبة الزَّائِدَة؛ بتحليل السرعة كَمُتَّجَه Vector، تبقى نسبة مُجَرَّدَة (جتا هـ)؛ وقيمتها من القيمة الوسطية للسرعة: ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣، وسرعة القمر حوالي: ١,٠٢٣ كم\ثانية[١١٢٠]، والقيمة ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي ١,٠٢٣) كم\ثانية؛ تُحَقِّق تمامًا القيمة المُتَّفَق عليها منذ عام ١٩٨٣م لسرعة الضوء:

السرعة المجردة للقمر = (١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ × ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣) = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ كم\ ثانية؛
وزمن شهر = ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يوما = ٢٣٦٠٥٩١,٥ ثانية؛ إذن:
المسافة المجردة التي يقطعها القمر في شهر = السرعة × الزمن = ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ كم؛ إذن:
المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة (١٢٠٠٠ شهر) = ٢٥,٥٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم؛
وزمن يوم: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ إذن:

سرعة الضوء = ٢٥,٥٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم\ ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية =

٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ **(حوالي: ٣٠٠ ألف) كم\ ثانية.**

وهي نفس القيمة في الفيزياء منذ عام ١٩٨٣ بعد قياسات استمرت ثلاثة قرون (موسوعة أكسفورد ص٣١٦).

[١١١٩] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي (٢/ ٢٢).

[١١٢٠] Laros Astronomy, p.142

(٢) تشبيه الذات العلية لا يعني التحيز ولا الندية:

في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ التعبير ﴿إِلَيْهِ﴾؛ لا يعني التَّحَيُّز وتحديد مَكَان ولا النِدِّية؛ فالجليل مُستعلي عن مشابهة ما خلق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٤٢الشورى:١١، فهو إذن أسلوب بياني تمثيلي بليغ لتقريب المعاني تصويرًا لدلالات يُقَدِّرُهَا السياق، قال القماش: "المكان مُحَيَّز، وربنا عز وجل لا يتحيز في مكان"، وقال الشعراوي: "الله جل جلاله لا يَحُدَّهُ زمان ولا مكان..، واقرأ (إذن) قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الملائكة والروح إِلَيْهِ﴾".

فلفظ (إِلَيْهِ) إذن لا يعني في حق الذات العلية التحيز والتجسيم وتحديد مكان؛ وإنما يُخْبِر عن فناء العالم وعودة الأمر كله للمُجَازِي يوم الحساب على الأعمال وحده تعالى؛ بيانًا لنفاذ مشيئته تعالى ووحدانيته، قال الألوسي: "(وهذا الوجه) معنى لائق به تعالى مجامع للتنزيه مُبَاين للتشبيه حسبما يقوله السلف في أمثاله"[١١٢١]، وقال الواحدي: "﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾.. كقول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾؛ أي إلى حيث أمرني ربي بالذهاب إليه، وقال ابن عطية: "وفي القرآن منه كثير نحو قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾، وقوله تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾، وقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾، وقوله تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا﴾؛ وهذا كله بريء من التحيز"[١١٢٢].

وبالكاد تومئ الفيزياء لانكماش الكون وطي الأطراف، لاكتشاف مادة غير منظورة بكميات هائلة تُرَجِّح انكماش الكون سموها المادة السوداء Black Matter، ولسرعة الضوء المحدودة؛ الأحداث الآنية في الأطراف البعيدة للكون غيب لا يَمكن لغيره تعالى إدراكه، ولا نُعَاين منها سوى ما حدث في الماضي البعيد، وعناقيد النجوم حزم تُشَكِّل طوابق اللبنات الكبرى للكون؛ حتى أقصى ما يُمكن رصده وإدراكه، والمجرات العظمى تبدو بالطيف في ابتعاد، فتعني أن الكون كان يتوسع في الماضي ولا تعني أنه يتوسع الآن بلا انتهاء؛ وقد قضت الكشوف على وهم سرمدية المادة أو الحالة الثابتة Steady State Theory، ولو كان الكون ينكمش ولبناته الكبرى تقترب؛ فلن يُخْبِرُنا إذن بعلامات النهاية إلا الطرف الأقرب.

والطرف الأقرب للكون ينذر بالانكماش الآن، فأقرب مجرة؛ المرأة المسلسلة Andromeda، كمثال تبدو مقتربة بسرعة قُدِّرَت بحوالي ٣٠٠ كم/ثانية[١١٢٣]، مع أن الضوء المرصود الآن قَدِمَ منها منذ ما يزيد عن ٢ مليون سنة ضوئية، واقترابها علامة تنذر بقرب وصول قوى الدمار بَغْتَةً لا يسبقها نذير للسرعة القصوى التي لا تَتَطَلَّب مزيد استعجال، والقرآن الكريم قد أعلن مرارًا بصريح العبارات أن العالم كله في اِحْتِضَار؛ وأن على الفَطِينْ أن يَسْتَعِد ويَتَزَوَّد للرَّحِيلْ، وفي سياق الجزم والتقرير لا التشبيه للتقريب؛ يقطع القدير بالنبأ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ محمد: ١٨؛ ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ النحل: ١، والآفاق إذن مُثْقَلَة كالحُبْلَى على وشك الوضع: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٨٧.

وفي النبأ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ هود: ١٢٣، أصل الرجوع العودة والارتداد بعد ابتعاد، والقراءة (يُرْجَعُ) تُضَافِرُهَا قراءة الجمهور (يَرْجِعُ)، وكليهما مضارع يدل على حدث آني، فالمعنى يستقيم مع عودة الكون وانكماشه بعد امتداد؛ وهو يرجع لمدبر الأمر كله، قال الإستانبولي: "{يُرْجَع}.. بضم الياء وفتح الجيم بمعنى يُرَدُّ (التدبير لمراده تعالى)، وبفتح الياء وكسر الجيم {يَرْجِع} بمعنى يَعُودُ (الأمر)"، وورود (الأمر) رديفًا للسماوات والأرض يجعله تعبيرًا بالأصل استجابة للأمر (كن)، وهو يعني أن الكل مُدَبَّر مَأْمُور منذ الابتداء؛ وأن الكل سوى الباري عارض زائل.

ولفظ (إِلَيْهِ) يَحْصُر فاعل عودة الكون لحاله الأول بالعلي القدير؛ ولا يعني التَّحَيُّز والمَكَان مخالفًا مبدأ التوحيد، قال الرازي: "لَمَّا دَلَّتِ الدَّلَائِلُ عَلَى امْتِنَاعِ كَوْنِهِ فِي الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ ثَبَتَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّأْوِيلِ..، وَأَمَّا حَرْفُ (إِلَى) فِي قَوْلِهِ: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) فَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْمَكَانَ؛ بَلِ الْمُرَادُ انْتِهَاءُ الْأُمُورِ إِلَى مُرَادِهِ كَقَوْلِهِ: (وَإِلَيْهِ

[١١٢١] روح المعاني ج٢١ص١٢٢.
[١١٢٢] ابن عطية السجدة ٥.
[١١٢٣] The First Three Minutes, Steven Weinberg, p30

يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ) هُودٍ:١٢٣"[١١٢٤]، والوعيد بقرب خراب العالم كله توطئة للقيامة والحساب؛ يوافق مواضع تُنْذِر بأن النهاية قريب على الأبواب، قال الراغب: "وقوله تعالى: {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ}.. كقوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}"، وقال الشعراوي: "{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأمر كُلُّهُ}.. في ذلك تنبيه لكل إنسان؛ ليعمل مُسْتهدفاً النجاة.. يوم القيامة"، ولفظ (كُلُّهُ) تأكيد لعودة الكون أجمع لحاله الأول بدون أدنى زيادة في مادته ولا نقصان، فيوافق وصف الكون في الفيزياء كنظام مُغْلَق طاقته ثابتة بلا تغيير؛ فأين إذن من أثر لشريك مع الواحد الأحد القدير!.

(٣) سرعة الضوء ثابت كوني:

كانت السنة عند العرب والعبرانيين تقوم على سير القمر؛ قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان إبراهيم وإسماعيل.. (و) السنة مُعَلَّقَة بسير القمر"[١١٢٥]، و(الألف سنة) زمان يُعَبِّر كمعهود القدماء عن مسافة تُقطع في زمن، فيعني في سياق بيان السرعة؛ مسافة فلكية هائلة لا نظير لها على الأرض، هي الأنسب لقياس الحد الأعلى لسرعة الانتقال بالكون، قال الألوسي: "في يوم مقدار مسافة السير فيه ألف سنة"، وقال القرطبي: "في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة"[١١٢٦]، وقال الطبري: "لأن المسافة مسيرة ألف سنة"، وقال الرازي: "واليوم هنا زمان"، والعذاب بالأمر القادم بسرعة الضوء: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾؛ هو نفسه العذاب الذي يستعجل قدومه الغافلون استخفافًا، وهو قادم بسرعة لا مزيد عليها فلا تحتاج مزيد استعجال، ومقدارها المُقَدَّر للانتقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾، فهو إذن مقدار سرعة الضوء، قال القماش: "﴿كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾.. كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾"[١١٢٧]، وقال القماش أيضًا: "في (هذا القياس) لا تتجاوز.. مسافة اليوم بأقصى سرعة.. مسافة ألف سنة بحركة ما تُبْنَى على حركته السنة، ويصلح الوصف ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ لتمييز حركة القمر المُتَضَمِّنَة سياقًا والتي تُبْنَى عليها السنة، ولا يصلح أن يكون تمييزا للسنة القمرية؛ لأنه يُحَدِّد مُخْتَار من مُتَعَدِّد؛ وهم لم يستخدموا غيرها في التقويم، وهو يعني: من الذي.. تَظُنُّون؛ وليست السنة محل ظن، وبذلك يشترط السياق لتعريف السرعة القصوى؛ أن تكون حركة القمر وفق ما.. يَظُنُّون (لأنه الأنسب لقياس قيمة ثابتة)؛ وإن كان الواقع بخلافه"[١١٢٨].

والسنة عند العرب تقوم على سير القمر؛ والتقويم القمري هو المُعتبر في التشريع، قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. (و) السنة مُعَلَّقَة بسير القمر"، وفي القياس لا تتجاوز مسافة يوم بأقصى سرعة مسافة ألف سنة بسير القمر، ويصلح القيد ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ تمييزًا لحركته المُتَضَمِّنَة سياقًا؛ بجعلها وفق ما كانوا يَظُنُّون من سكون حركة الأرض حول الشمس، لإقامة معادلة طرفيها في نظام معزول؛ ومعنى الظن يفيد أن الواقع بخلافه، وحد سرعة الانتقال بالكون لا يزيد عن: مسافة ألف سنة قمرية في يوم، ولا يمكن لمادة أن تبلغه ولا لقوة أن تتجاوزه.

لم يُقَدَّم الدليل الأول على تحرك الضوء بسرعة غير لحظية؛ إلا عام ١٦٧٦ عندما نجح أولاس رومر للمرة الأولى في التاريخ من قياسها.

[١١٢٤] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٣٠\ ٦٣٩).
[١١٢٥] الرازي حيان في تفسير الآية ٣٦ من سورة يس.
[١١٢٦] تفسير القرطبي.
[١١٢٧] تفسير الحاوي للقماش (٤٤٢/ ١٠٣).
[١١٢٨] تفسير الحاوي للقماش (٣٥/ ١٠٧).

والمُتَبَادَر أن سرعة الضوء لا نهائية Infinite؛ ولم يكن لبشر في القرن السابع الميلادي زمن الوحي التصور أنها مُقَدَّرَة مَحْدُودَة؛ فلم يُقدم الدليل الأول على أنها محدودة إلا عام ١٦٧٦ عندما نجح الفلكي أولاس رومر Olas Romer من قياسها عن طريق ملاحظة تأخر ظهور أقمار كوكب المشتري خلفه بفارق زمني عندما تكون الأرض في الجهة الأبعد منه في مدارها حول الشمس، لأن ضوء تلك الأقمار يحتاج لفترة أطول مما يعني أن سرعة الضوء غير لحظية، واعتمادًا على التقنيات المُتَاحَة وقتئذٍ والمعرفة بطول القطر الأكبر لمدار الأرض كانت النتيجة حوالي: ٢٢٧ ألف كما ثانية، وتوالت القياسات ثلاثة قرون؛ وأخيرًا عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس اعتمدت القيمة: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية.

قال ابن كثير: "﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾..؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾"[١١٢٩]، وهذا الوجه كافي ليدفع القول بأن الملاك ينزل بالأمر ٥٠٠ سنة ثم يرجع ٥٠٠ سنة؛ لأن النص الأول خالي من الاشتباه، والقياس عند ابن عباس هو: "مقدار سير الأمر"[١١٣٠]، ونقل السيوطي عن قتاده: "يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة"[١١٣١]، وقال الزمخشري: "(وهو) يقطع مسيرة ألف سنة في يوم"، وأصاب ابن عباس عين النبع بمعوله بقوله: "لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد"[١١٣٢]، وقال الألوسي: "وإن لم تبعد هذه السرعة.. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء؛ وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير"[١١٣٣].

وتعداد السنين عند العرب كان قائمًا على حركة القمر بمنازله النجمية: ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس: ٥؛ والسنة أساسها حركة القمر ليتم اثنا عشر شهرًا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٦، وفي القياس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ قال النَّابُلْسِي: "إنّ القرآنَ يخاطِبُ أُنَاسًا يعتمدون السَّنَةَ القمَريةَ؛ حيث إنّ القمرَ يدور حولَ الأرضِ كل شهرٍ دورةً..، (ولو) عرفنا المسافةَ التي يقطعُها القمرُ.. في رحلتِه حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ (فبُنَاءً على أَنَّ).. القمرَ يقطعُ في ألفِ عامٍ ما يقطعه الضوءُ في يوم واحدٍ.. (فبالتالي نَعْرِفُ) سرعة الضوء في الثانية..، وهذه السرعةُ هي أعلى سرعةٍ في الكون..، (وباختصار:) إنّ المسافةَ التي يقطعُها القمرُ في مدارِه الخاصِّ حولَ الأرضِ في ألفِ سنةٍ قمريةٍ تساوِي المسافةَ التي يقطعُها الضوءُ في يومٍ أرضي واحدٍ"[١١٣٤]، والقمر كبقية الأجسام حركته نسبية تتباين فتتطلب تحديد إطار؛ فهو يدور حول الأرض كما لو كانَا في نظام معزول عن التأثير الخارجي؛ وفوق ذلك يدور معها حول الشمس، والقيد ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يُحَدِّد بإصرار حركة القمر حول الأرض فحسب؛ وفق ما كانوا يَعُدُّون ويَظُنُّون طبقًا لنموذج مركزية الأرض Geocentric Model، وكأن الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس، وحركتيهما بالنسبة للنجوم مُجَرَّدَة في نظام معزول؛ مُقابل سرعة الضوء التي لا تتحقق إلا بالفراغ في نظام معزول، وهي صيغة معادلة بجعل الطرفين في نظام معزول؛ كما في كل معادلات الحركة في الفيزياء.

والتشبيه في سياق تساوي المسافة: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾؛ يعني أن المسافة في يوم تُقَارِب مسافة الألف سنة وتماثلها ولا تتخطاها، لأن المشبه لا يتجاوز المشبه به في وجه الشَبَه؛ كقولك فلان كالأسد، أي يُقَارِبُهُ ولا يَفُوقُهُ في الجَسَارَة، وفي التعبير: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)؛ لفظ (كان) لا يعني الماضي في سياق دوام التدبير؛ وتقديره (كان دوما كذلك)، و(المقدار) في اللغة: المقياس والحد، فقد يقل قليلا محافظًا على إطار المماثلة؛ لكنه لا يزيد ويتجاوز الحد، وكل معايير حركة القمر وسطية وليست ثابتة؛ وهذا لا يستبعد اعتمادها كمقياس لإثبات المماثلة؛ خاصة أن القمر أقرب الجيران وحركته بانتظام، والتعبير (يَعْرُجُ) لبيان انحناء المسار يفيد أن الفضاء ليس فراغًا تَامًّا ليسري الضوء كخط مستقيم وتبلغ سرعته أعلى حد، والقيمة بالفيزياء: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية؛ لكن القيمة المستخدمة عَمَلِيًّا بالقياسات الفلكية هي حوالي: ٣٠٠ ألف كما ثانية، وسرعة الضوء كحد للانتقال تختص بالعالم المادي ولا تمنع وجود سُبُل تواصل أسرع؛ وإنما هي نتيجة قياسات لِمُدْرَكَات حِسِّيَّة، وسرعة الضوء هي نفس سرعة كل أشكال الطيف كالأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء وموجات الراديو والتلفزيون؛ ومن الجائز أيضا موجات الجاذبية، وأي جسيم ذو كتلة موجبة لكي

[١١٢٩] تفسير ابن كثير تحقيق سلامة ج٥ص٤٤٠.
[١١٣٠] الإتقان ج٢ص٧٦.
[١١٣١] الدر المنثور ج٦ص٥٣٨.
[١١٣٢] تفسير القرطبي (١٤/ ٨٧).
[١١٣٣] الألوسي ٢٩\٥٨.
[١١٣٤] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي (٢/ ٢٢).

تبلغ سرعته قيمة سرعة الضوء سيحتاج لطاقة لا نهائية؛ ولا يمكن إذن لجسيم بلوغ سرعة الضوء إلا إذا كان معدوم الكتلة كجسيم الضوء؛ ولا أن يتجاوزها إلا إذا كان سالب الكتلة، لكن الافتراض بوجود جسيمات سالبة الكتلة أسرع من الضوء تسمى تاكيونات Tachyons؛ ليس إلا تَخْمِين وافتراض نظري لم يثبت.

(٤) الأرض في حركة دائبة طائعة للتقدير:

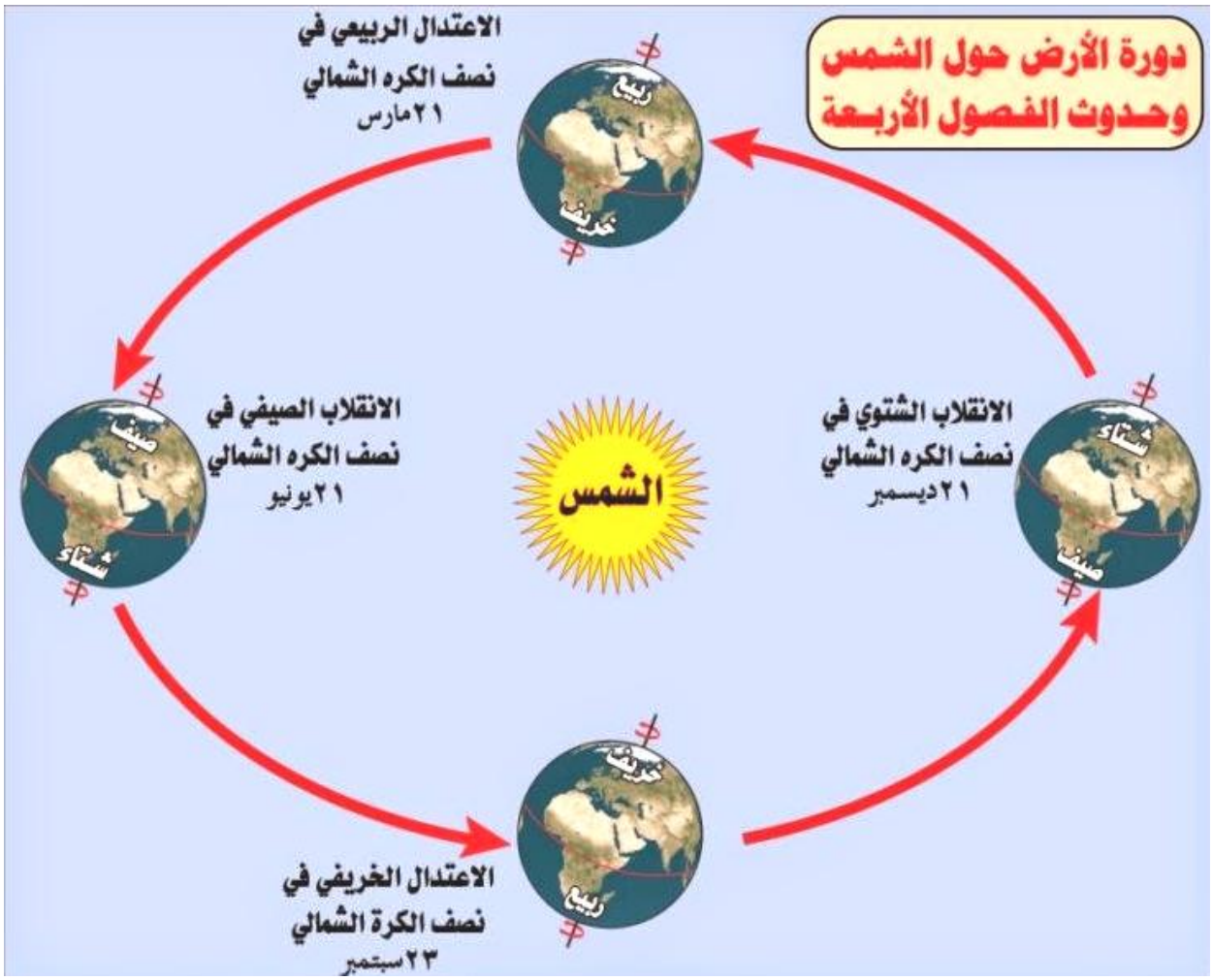

في التمثيل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ٤١فصلت:١١؛ الإتيان قرين الحركة وكان جو السماء حولها دخان يتبدد ولا يلازمها سيرها حتى هبطت حرارتها واستقر الجو فلازمها سيرها، وشرط قياس السرعة المُطلقة في الكون: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ قد جعل المِقْيَاس في نفس المجال المعزول للمُقَاس، وراعى نسبية حركة القمر، وأفاد أن الحركة الفعلية للقمر والأرض بخلاف ما يَعُدُّون ويَتَوَهمون، لأنه يعني: مما تَظُنُّون؛ أي: "تَحْسَبُون"[١١٣٥] و"تُقَدِّرُون"[١١٣٦] و"تَعْتَقِدُون"[١١٣٧]، قال طنطاوي جوهري: "أرضنا إذن دائرة غير دائرة؛ نحن نراها ساكنة ولكنها دائرة لا تهدأ"[١١٣٨]، "ومن جملة سيارات شمسنا هذه الأرض التي نحن عليها، والقمر ملتزم بها؛ ويدور عليها ومعها على الشمس"[١١٣٩]، إذن: "دوران الأرض حول الشمس ليس غير مُخَالِف للقرآن فحسب؛ بل له منه دلائل"[١١٤٠].

[١١٣٥] القرطبي.
[١١٣٦] المنتخب.
[١١٣٧] ابن كثير.
[١١٣٨] تفسير الجواهر ٢٤٢١٩.
[١١٣٩] تفسير الجواهر يونس ٥.
[١١٤٠] تفسير الجواهر ١٦ ٢١.

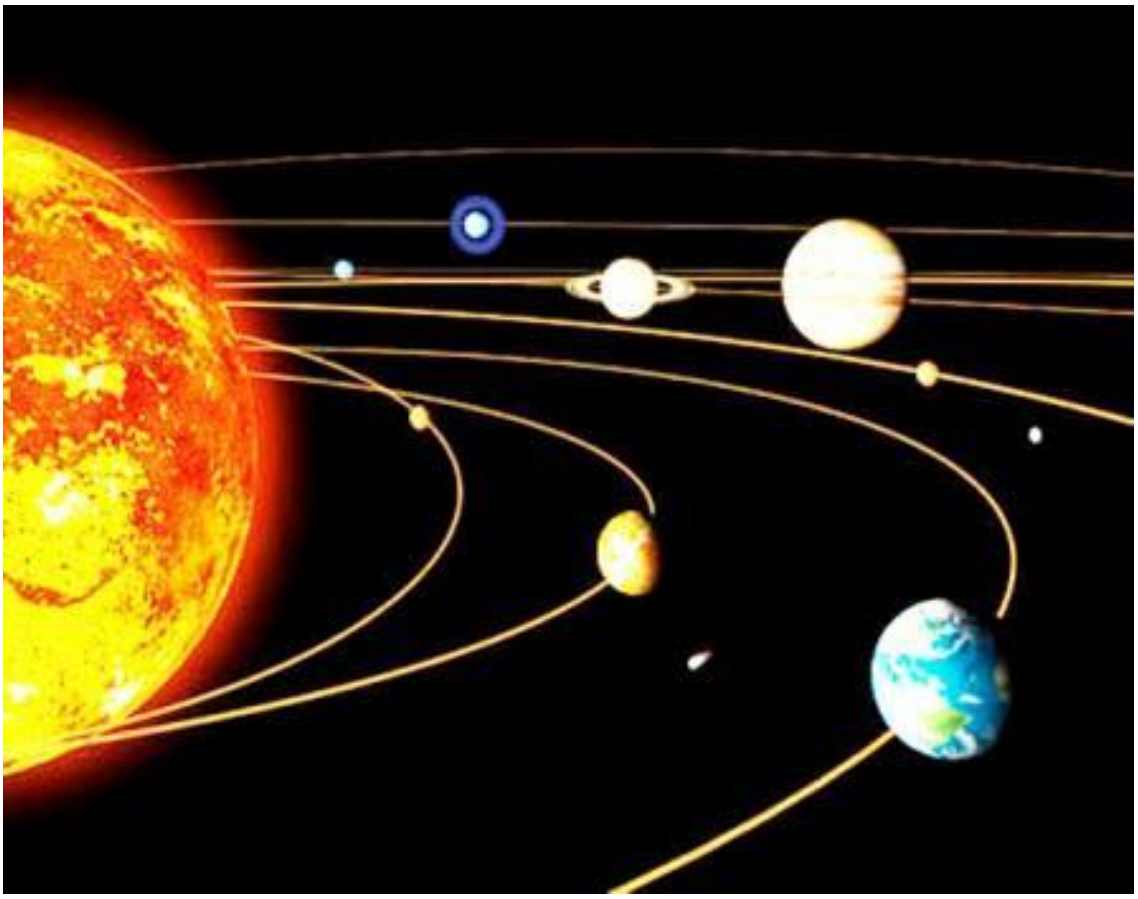

يقول العلي القدير: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠، قال القاسمي: "التنوين في لفظ كُلٌّ عوض عن الإضافة للأجرام، والمعنى كل واحد من أجرام السماء كالشمس والقمر؛ في فلك خاص به يسبح بذاته"[١١٤١]، وقال الألوسي: "فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها"[١١٤٢]، وأن: "للثوابت حركة"[١١٤٣]، وقال ابن عاشور: "المراد تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الأجرام؛ وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن"[١١٤٤]، وكل البشر يُعَايِنُون آيات السماوات كالشمس والنجوم تَمُرُّ عليهم وهم على الأرض التي تبدو ساكنة؛ ولكن القرآن يجعل سكون الأرض نسبي دالاً على حركتيها السنوية واليومية بإعلانه صريحًا أنهم هم الذين يَمُرّونَ على آيات السماوات وهم على ظهرها؛ كما يَمُرُّونَ على آيات الأرض وهم على ظهر المركوبات السيارة ولا يعتبرون: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف: ١٠٥، وفي تفسير الميزان: "المعنى أن هناك آيات كثيرة سماوية وأرضية تدل بوجودها والنظام البديع الجاري فيها على توحيد ربهم..، ولو حُمِلَ قوله ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ على التصريح دون الكناية؛ كان من الدليل على.. حركة الأرض..، فإنا نحن المَارُّونَ على الأجرام السماوية بحركة الأرض الانتقالية والموضعية (أي السنوية واليومية)..، لا بالعكس؛ على ما يُخَيَّل إلينا في ظاهر الحس"[١١٤٥].

[١١٤١] تفسير القاسمي.
[١١٤٢] تفسير الألوسي.
[١١٤٣] تفسير الألوسي.
[١١٤٤] تفسير ابن عاشور.
[١١٤٥] تفسير الميزان (١١/ ١٤٦).

[٤] الكون عارض وعمره محدود

في عام ١٩٢٩ أعلن إدوين هبل Edwin Hubble ملاحظة كان لها أثر كبير في فهم طبيعة الكون، وهي أن معدل تباعد المجرات البعيدة يتزايد مع زيادة البعد؛ وفق قيمة تبدو ثابتة، سميت بثابت هبل Hubble Constant، فالضوء القادم منها ينزاح في الطيف Spectrum ناحية الجانب الأحمر ذي الموجات الأطول، وهي أشبه بصوت القطار المتباعد تتخلخل موجاته وتطول بعكس تضاغطها وقصرها عند قدومه؛ فاستنتجوا أن الانزياح نحو الجانب الأحمر Red Shift في طيف تلك المجرات يعني تباعدها، والعودة إلى الخلف تعني أن كل مادة الكون كانت في أجزاء قليلة من الثانية الأولى مضغوطة في حيز ضئيل في حالة تمدد فجائي أشبه بانفجار مهول، لذا سميت البداية تشبيهًا بالانفجار العظيم Big Bang.

وبناء على ما هو معلوم في الفيزياء؛ انضغاط مادة الكون يُوَلِّد حرارة هائلة يصاحبها إشعاع مميز أمكن توقعه نظريًّا، وفي عام ١٩٦٤ رصده من كل اتجاه بغير قصد أرنو بنزياس Arno Penzias وروبرت ولسون Robert Wilson، وسمي بالخلفية الإشعاعية Background Radiation، وبهذا أضيف دليلاً حاسماً قائماً على الرصد لا الافتراض النظري والتخمين؛ على أن للكون بداية وتَأَيَّدَ مفهوم الانفجار العظيم، هكذا أثبتت الفيزياء أن عمر الكون محدود قاطعةً بأنه عارض وله ابتداء؛ يُعلن للفطين عن موجود أزلي أبدع الوجود أحد قدير، ولم يستطع هاوكنج Hawking ذو الميل للإلحاد إلا أن يقول: "إن كونًا ذو ابتداء يستحيل أن يكون بلا خالق أوجده"[١١٤٦]، والتصميم المُبْدِع والنظام Order الدال على التقدير بحكمة والتدبير بقصد؛ أجبره أن يقول أنه: "عماد تاريخ العلم التجريبي أجمع"[١١٤٧]، أي: لو لم يكن نظام ومقدمات تؤدي لنتائج مُحددة مهما تكرر الحدث؛ ما وُجِدَت قوانين ليكتشفها العلم ويُثبت انعدام الفوضى Chaos.

[١١٤٦] A Brief History of Time, St. Hawking, P.122.

[١١٤٧] A Brief History of Time, St. Hawking, P.140.

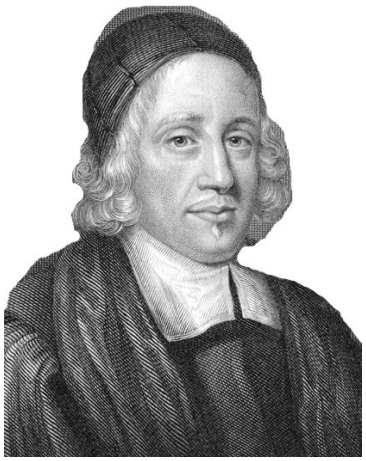

جون لايتفوت John Lightfoot
(١٦٠٢-١٦٧٥)

جيمس أوشر James Ussher
(١٥٨١-١٦٥٦)

وكانت البدايات الأولى في القرن السابع عشر لتقدير عمر الكون متواضعة؛ فقد استنبط جيمس أوشر James Ussher في كتابه "استنتاج بداية خلق العالم من تاريخ الأحداث في العهد القديم" أن الكون قد خلق ليلة الأحد ٢٣ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ ق.م، واختار القس جون لايتفوت John Lightfoot سنة ٣٩٢٩ ق.م، فنشأة الكون عندهما منذ ستة آلاف سنة بفارق ٧٥ سنة، بينما تتراوح التقديرات حاليا لعمر الكون بين ١٠ و١٥ بليون سنة[١١٤٨]، وأول الطرق "معادلة هبل": "عمر الكون = (سرعة الضوء × مليون)\ ثابت هبل"، وأساسها أن بلوغ سرعة تباعد المجرات قيمة سرعة الضوء يعني بلوغ البداية حين نشأ الكون مع بلوغ أقصى بعد ممكن المشاهدة، لكن التقدير قائم على كون بلا جاذبية؛ ولا يوجد يقين على أن معدل تباعد المجرات ثابت منذ النشأة، وبناء على رصد تغير ضئيل في الخلفية الإشعاعية؛ استنتج كارليس بينيت Charles Bennett القيمة: ١٣,٧٥ بليون سنة، وبناء على أن عمر الكون هو على الأقل عمر أقدم ما فيه؛ اتجهت الدراسات إلى رصد تحلل العناصر المشعة في أقدم النجوم، ومن الدراسات الرائدة والواعدة؛ تلك التي قام بها عام ٢٠٠١ روجر كاريل Roger Cayrel وفريقه بالتعاون مع فلكيين من عدة مراصد في فرنسا والسويد وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل، برصد تحلل اليورانيوم-٢٣٨ في أقدم النجوم، وكحد أدنى كانت النتيجة: ١٢,٥ بليون سنة؛ وكل الطرق الأخرى تُعْطِي قيم أعلى ولكن مع نسبة ارتياب أكبر، فأقصى بُعد إذن ممكن الرصد: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية على أقل تقدير، وللتبسيط باستخدام أكبر وحدة زمن في عالمنا وهي مدة دوران الشمس حول مركز المجرة (حوالي ٢٥٠ مليون سنة)؛ وتسمى السنة الكونية Cosmic Year: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء.

وكل مشاهداتنا للأبعاد السحيقة في الكون أحداث مضت منذ زمن بعيد، فليس توسع الكون إذن حدث قريب، وكلما نظرت بعيدًا رجعت بالزمن إلى الوراء؛ حتى يستنفذ كل عمر الكون عند لحظة مولده، ولا يعُد بالإمكان مزيد مشاهدة، فالطرف البعيد إذن للكون محجوب نراه بعيدًا وقد يكون قريبًا، وفي سابقة لا نظير لها في أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ تُقَاس أبعد مسافة مُمْكِنَة الرصد بأكبر سرعة وأكبر وحدة زمن فلكية في النبأ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠، والإيجَازُ اعتمادًا على السياق عماد بلاغة القرآن الكريم، والقيمة (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) جَمَعَت بإيجاز بين قيمتين: (ألف سنة) و(خمسين سنة) أو (خمسين) في سياق أكبر وحدة زمن في عالمنا؛ وهي مدة دورة الشمس في منازلها، والتي لم تُعرف إلا حديثًا مع تطور علم الفلك، والقيمة (ألف سنة) مبنية على سير القمر في منازله النجمية، وإذا ضُمَّت إلى (يوم) عَبَّرَت بإيجاز عن قيمة أكبر سرعة للانتقال في الكون؛ خاصة أنها بنفس النَّسَق: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ السجدة: ٥، وقبل أن تُقَاس المسافات الكونية بسرعة الضوء كأكبر سرعة مع وحدة زمن مناسبة؛ ترد القيمة (خمسين سنة) أو (خمسين) في سياق أكبر مسافة، لتعبر بإيجاز الحذف أو التنازع عن أكبر وحدة زمن في عالمنا تُمَاثِل سنة؛ وتقديرها كما نعلم اليوم هو السَّنَة الكَوْنِيَّة، والنتيجة أن أبعد مسافة

[١١٤٨] Hawking' universe, p.55

مُمكنة الرصد في الكون المُمكن المشاهدة: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء، ويحتاج الضوء لعمر الكون ليقطع أبعد مسافة، لذا عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة؛ وهي نفس النتيجة بالدراسات الفلكية الحديثة.

ولا يُمكن لكائن مَادِّي ذو كتلة أن يرصُد لحظيًّا طرفي قياس أقصى بعد للكون الشاسع الاتساع المُتَغَيِّر الأبعاد ويَجُول فيه مُتَتَبِّعًا مساراته المنحنية؛ إلا إن كان كائنًا روحيًا متحررًا من حواجز عالم المادة، وحتى الضوء الخالي من الكتلة سيستغرق عمر الكون ليعبر من طرف لآخر، وسيظل الأفق الأعلى يُرَى بعيدًا وهو قريب، لأن سرعة الضوء محدودة والناظر يُطالع الماضي البعيد، فناسب ذكر الملائكة والروح رُسُل الهِدَايَة والإنْذَار، والمراقبين المُتَخَفِّين لتَدْوِين الأَعْمَال في سياق التهديد بقرب اليوم الموعود؛ كشهود في القياس لما يبدو عليه للناس أقصى طرف للكون بخلاف الواقع المستور.

قال طنطاوي جوهري: "ليس المُراد المُدَّة بل بعد المَدَى.. وقَدَّمَ الملائكة لأنهم في عالم الأرواح.. العالم المبرأ عن المادة، (لأنه).. لا يُرتقى إلى تلك المعارج إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة"[١١٤٩]، وقال البيضاوي: "استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مَدَاهَا"[١١٥٠]، وقال الشوكاني: "ذُكِرَ هَذَا الْمِقْدَارُ.. لِغَايَةِ ارْتِفَاعِ تِلْكَ الْمَعَارِجِ وَبُعْدِ مَدَاهَا"[١١٥١]، وقال البغوي: "المسافة من الأرض إلى (مُنتهى) السماء"[١١٥٢]، وقال الألوسي: "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مَدَاهَا.. والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع"[١١٥٣]، وفي اللغة: "(تعارج): حاكى مشية الأعرج، و(عرَّجه): ميَّله، و(تعرَّج): مال، و(التعاريج) المُنحنيات، و(العُرْجُون) العذق المُعْوَجّ"[١١٥٤]، و"العروج في الدنيا.. رُوِيَ (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا"[١١٥٥]، و(الْمَعَارِجِ) جمع لاسم المكان مَعْرَج، كأدق وصف للآفاق المُمَيَّزَة بلبنات طبقات الأجرام؛ حيث تسري القوى بانحناء كمشية الأعرج، والاكتشاف بأن مسارات القوى والأجرام منحنية دفع الفيزياء لإطلاق تعبير الكون المنحني Curved Universe.

وإصدار الضوء وكافة القوى في الفيزياء دفقات في آنات متعاقبة أجزاء أو كَمَّات؛ يحمل كل منها قدر من الطاقة يُمَيِّزُهَا، هذا هو مُنْطَلَق ميكانيكا الكم Quantum Mechanics، و(لمح) البرق يبدو دفقة واحدة ما تلبث أن تزول في أقل زمان، لكن العدول عن المفرد (لمحة)؛ فيه إيماءة إلى أن (اللمح) سيل مُرَكَّب، أي رتل من أجزاء متتابعة تسري في آنات متعاقبة، قال الرازي: "(و) تِلْكَ الْأَجْزَاءَ كَثِيرَةٌ، وَالزَّمَانُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ لَمْحُ الْبَصَرِ مُرَكَّب مِنْ آنَاتٍ مُتَعَاقِبَةٍ"، وقال ابن عادل: "والزَّمانُ الذي يحصل فيه لمحُ البصر مُرَكَّبٌ من أزمانٍ متعاقبةٍ..، (واللمحة) في زمان واحد من تلك الأزمان"، وفي المنار: "اللَّمْحَةَ بَعْدَ اللَّمْحَةِ وَالْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ"، أي أن (اللمح) مُعَقِّبَات؛ والأساس (لمحة) تحدث في بُرْهَة ضئيلة؛ أي هُنَيْهَة.

وجو الأرض وسط مادي أكثر كثافة من الفضاء؛ لذا سرعة الضوء في الخلاء أسرع من لمح البصر في الجو، وفي النبأ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٧؛ بيان يحصر العلم بالأحداث الآنية بالكون على القدير وحده، و(الأمر) المُختص بساعة نهاية العالم يستقيم حمله على تقارب أطراف الكون وطي الصفحة المرئية وقرب اليوم الموعود؛ ففيه تَوَعُّد وتَهْدِيد للغافلين عن المصير، وإنذار لينتبه الفطين، والتمثيل في التعبير: (لمح البصر)؛ إيجاز لا يُخْرِجُ (اللمح) عن دلالته على البريق اللحظي المفاجئ للبرق في التمثيل النظير: ﴿كَلَمْحِ بِالْبَصَرِ﴾؛ ولا عن دلالة لفظ (البصر) علي عين الإنسان كأداة للإبصار؛ خاصة مع التمييز بين الأبصار والضوء المباغت

[١١٤٩] تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري ج٢٤ص٢٦٠.
[١١٥٠] تفسير البيضاوي ج٥ص٣٨٧.
[١١٥١] فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٤٥).
[١١٥٢] تفسير البغوي ج٣ص٤٩٨.
[١١٥٣] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٨.
[١١٥٤] المعجم الوسيط.
[١١٥٥] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٧.

للبرق الذي يكاد أن يصيبها بالعمى اللحظي من شدة سطوعه: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النور: ٤٣، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ البقرة: ٢٠، وفيه بيان في سياق التقرير لا التقريب؛ بأن قوى الدمار قادمة لا يدركها بشر لسعة الأبعاد، بأسرع قليلا من سرعة الضوء بالجو؛ حيث يتكون برق السحاب ويُشَاهد، قال ابن عادل: "(اللمح) أصله من لَمحَانِ البَرْق"، وقال الرازي: "(أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)..: الْمُرَادُ: بَلْ هُوَ أَقْرَبُ (أي).. أَسْرَعُ"، لبيان: "سرعة مجيء الساعة"[١١٥٦]، وقال الشوكاني: "ليس هذا من قبيل المبالغة بل هو كلام في غاية الصدق"[١١٥٧].

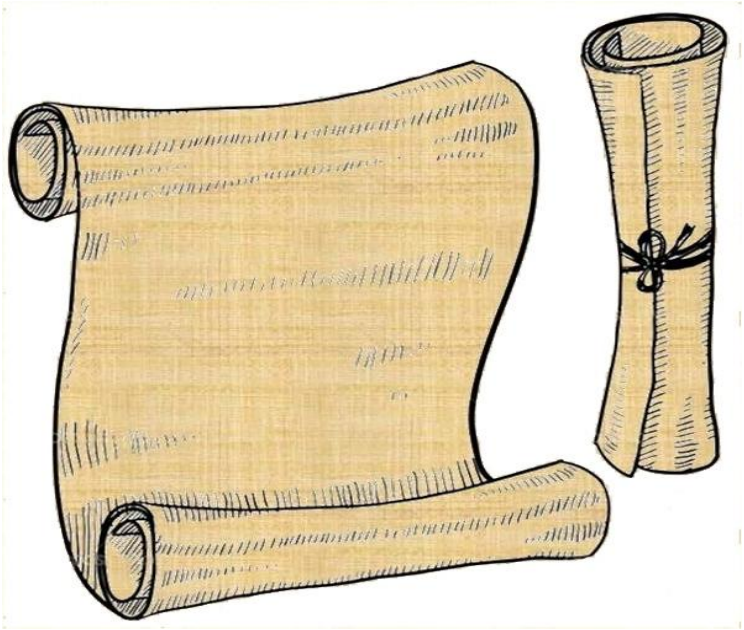

نهاية العالم وطي صفحة السماء؛ وتلاشي معالمها المرئية، أشبه بلف المطوية التي كان يُسَطِّر فيها القدماء ذخائر الكتب ولا يظهر فيها سوى أطرافها المطوية.

وتُقَدِّم الفيزياء التصور لنهاية الكون بمصطلح الانسحاق العظيم Big Crunch، وفي سياق التهديد باليوم الموعود؛ يُقَدِّم القرآن الكريم الآلية بطي صفحة الكون المرئية: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٤، والسجل المكتوب عند القدماء مطوية Scroll كانت تسجل فيها ذخائر الكتب، وهي تمثيل لآفاق الكون الممكن المشاهدة؛ والزاخر بحركات مُذْهِلَة لا تُحْصَى بلا تَصَادُم؛ تنطق بسبق التقدير وحسن التدبير.

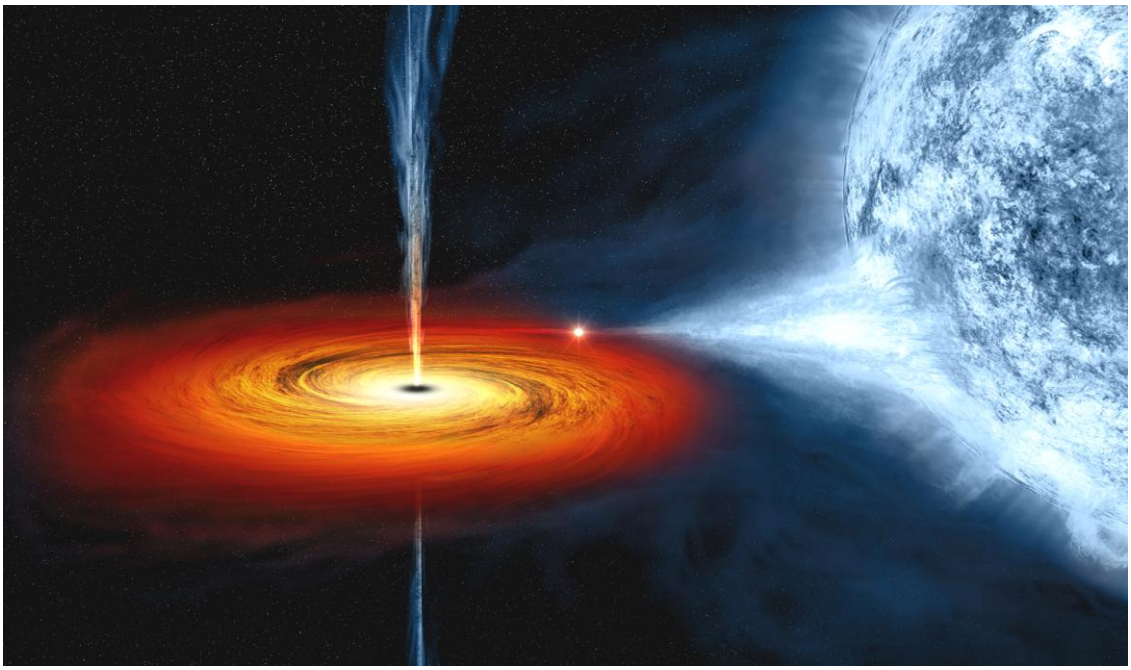

[١١٥٦] التفسير الوسيط مجمع البحوث (٥/ ٦٥٨).

[١١٥٧] فتح القدير ١٨٢\٣.

وكما تختفي زخارف سجادة داخلها مع طي طرفها؛ يختفي المكتوب في السجل داخله ولا يظهر منه سوى طرفه يُطْوَى، والثقب الأسود Black Hole كذلك؛ حيث يبتلع النجوم حوله فتختفي داخله ولا يظهر سوى طرفه يُطْوَى، فهو من شدة الجاذبية لا يفلت منه حتى الضوء، ولا يظهر سوى حُطَام يَدُور حوله؛ فسموا طرفه أفق الحدث Event Horizon، ويكفي وجود ثقب أسود وسط مجرتنا يَتَرَصَّد؛ ولا أمان أن يَطْوِيها ويتكاتف مع أمثاله ليصنعوا مقبرة للكون أجمع، وكأن النهاية ثقب أسود هائل يبتلع كل الأجرام الفلكية قبل الاسحاق التام تمهيدًا لعودة الكون كما كان؛ بيانًا للاقتدار والوحدانية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر:٦٧.

إذا كانت السنة عند اكتمال خلق العالم: ١٢ شهرًا وحاليا: ١٢,٣٦٨ شهرًا، بزيادة: ٠,٣٦٨ شهرًا في ٠,٢٥ بليون سنة؛ تكون كل الزيادة: ١٢,٣٦٨ شهرًا في ٨,٤ بليون سنة، فيكون العمر الجيولوجي للأرض حوالي ٤,٥ وعمر العالم حوالي ١٢,٥ بليون سنة.

والقرآن الكريم يُصَوِّر أطوار خلق الكون الممكن الرصد بستة أيام متتابعة؛ أي كبناء مُشَيَّد في أطوار متتابعة تمثيلاً بالأيام لبيان سبق التقدير ووحدة التصميم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ السجدة: ٤، وقد جعل الأحداث كل يومين في ثلاث مراحل متساوية، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ فصلت: ٩و١٠، وفي تاريخ الأرض معلم بارز على تكاملها بوقوع هلاك جماعي لأوائل الأحياء Permian–Triassic extinction منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة في بداية الحقبة الوسيطة Mesozoic Era؛ وفي تلك الفترة استقر الجو وتشكلت أوائل القارات قطعة واحدة سميت أم القارات Pangaea، وهي أيضًا مدة سنة كونية، والمُلفت للنظر أن يدل حديث نبوي على مرور دورة زمنية كونية واحدة منذ اكتملت الأرض: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض؛ السنة اثنا عشر شهرا" رواه البخاري، والزمان وليد حركة الأجرام في عالمنا حيث الشمس والقمر، وأكبر وحدة زمنية في عالمنا هي سنة كونية؛ أي مدة دورة الشمس حول مركز المجرة.

والسنة الأرضية مبنية على حركة الأرض حول الشمس وطولها حاليا: ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية، أي: ٣٦٥,٢٤٢٢ يومًا؛ أو: ١٢,٣٦٨ شهرًا، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ التوبة: ٣٦؛ (خَلَقَ) فعل ماضي يُفيد أن السنة عند اكتمال خلق الأرض كانت ١٢ شهرًا، وتراكم فترة الزيادة (٠,٣٦٨ شهرًا) في ٢٥٠ مليون سنة يعني أن الزيادة (١٢,٣٦٨٢٧ شهرًا) تراكمت في حوالي: ٨,٤ بليون سنة؛ أي مع نشأة الأرض حركيًّا كدوامة انفصلت عند طرف سديم بالمجرة، لأنه تقريبًا نفس العمر المُقدر لتكامل تَمَيُّز سُدُم المجرة: ٨,٤ (حوالي: ٧-١٠) بليون سنة، ووفق مخطط الأيام الستة تمثيلا لأطوار خلق الكون وتمييز الأحداث في ثلاث مراحل متساوية؛ المُلْفِت أن ينتج نفس العمر الجيولوجي المقدر حاليًّا للأرض وهو حوالي: ٤,٥ بليون سنة؛ ويَتَأَكَّد أن عمر الكون على أقل تقدير هو: ١٢,٥ بليون سنة.

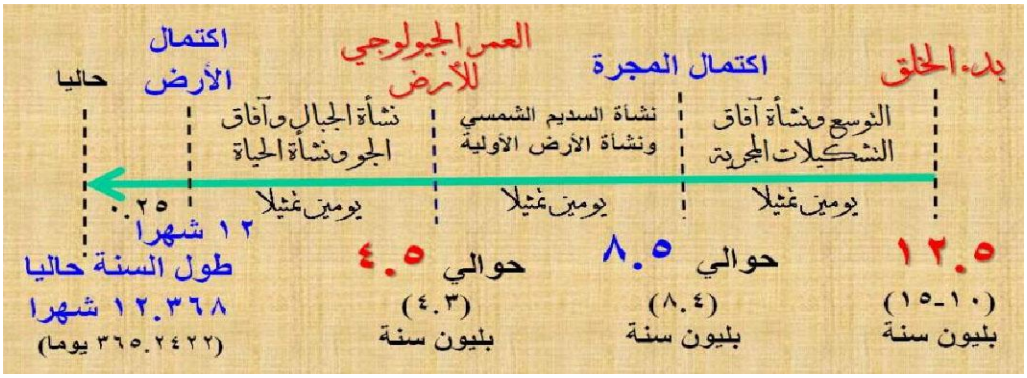

وفي التقسيم الزمني لأطوار خلق الكون إلى ثلاثة مراحل أساسية أو ستة فصول فرعية؛ إذا اِعْتَبَرْت أقصى تقدير للعُمر الجيولوجي للأرض: ٤,٧٥ (٤,٥-٥) بليون سنة، وأقل تقدير: ٤,٣ (٤-٤,٦) بليون سنة؛ توافق النتيجة أن عمر الكون على أقصى تقدير: ١٣,٧٥ بليون سنة، وإذا أخذت بالأحوط؛ يكون عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة.

[٥] مفاهيم دخيلة يرفضها الوحي والعلم

تصور كتبة الأسفار؛ أن السماء قُبة مبنية أعمدتها رءوس الجبال عند أطراف الأرض المُسطحة القائمة على أعمدة، والسماء فوقها مياه قبل الخليقة يعلوها الكرسي أو عرش الإله، فليست السماء من الأرض ببعيد ويُمكن للماشي بلوغها، أما الروايات فقد اختلفت اختلافًا واسعًا في تحديد زمن سير الماشي؛ ولم يجدوا إلا أن يحملوها على اختلاف سرعة السير، قال ابن حجر: "اِخْتَلَفَ الْخَبَر الْوَارِد فِي قَدْر مَسَافَة مَا بَيْن السَّمَاء وَالْأَرْض..؛ فِي التِّرْمِذِيّ أَنَّهَا مِائَة عَام، وَفِي الطَّبَرَانِيّ خَمْسمِائَة..، (و) عِنْد أَبِي دَاوُد..: إِحْدَى أَوْ اِثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاث وَسَبْعُونَ..، وَالْجَمْع بَيْن اِخْتِلَاف هَذَا الْعَدَد.. أَنْ تُحْمَل الْخَمْسمِائَةِ عَلَى السَّيْر الْبَطِيء كَسَيْرِ الْمَاشِي.. وَتُحْمَل السَّبْعِينَ عَلَى السَّيْر السَّرِيع"[١١٥٨]، لكنها دخلت في التفسير، قال ابن الجوزي: "يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض ثم يعرج الملك إليه في يوم من أيام الدنيا؛ فيكون الملك قد قطع في يوم في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الآدمي"[١١٥٩]، وكثرت الروايات التي تقرر أن الأرض تحتها أراضي بين كل أرضين مسافة خمسمائة سنة كما بين كل سماء وما يليها، وفي إحداها: "والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم رجلا بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله"؛ والنبي محمد (عليه الصلاة والسلام) بريء من تلك الغرائب.

وقبل معرفة الحقائق العلمية القاطعة؛ لك أن تدهش مما بذله علماء الإسلام من جهود في تحقيق مثل تلك الأخبار الدخيلة، وفي خبر أكثر غرابة: "هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟، قالوا: لا ندري، قال: بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات، ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال (تيوس جبلية قوية القرون) بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك"، والحديث أخرجه جملة أئمة عن العباس منهم الإمام أحمد في مسنده (رقم ١٧٧)، وأبو داود (٢٧٦/٢)، وابن ماجة (٨٣/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٣٩٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٦٨) والحاكم في المُستدرك (٣٧٨/٢)، ولكن الترمذي وصفه بالغرابة، وحققه الشيخ محمد زاهد الكوثري وانتهى إلى أنّه دخيل فسماه في مقالاته (ص٣٠٨): "أسطورة الأوعال"، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد بن حنبل (ج١ص٢٠٦): "إسناده ضعيف جدا".

[١١٥٨] ابن حجر العسقلاني؛ فتح الباري (١٢٠\ ٤٩٩).

[١١٥٩] ابن الجوزي: تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١١ \ ٧٧).

وضَعَّفَهُ أيضًا الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بقوله: "الحديث ضعيف الإسناد لا تقوم به حجة..، وللحديث علتان: الاضطراب في إسناده وجهالة أحد رواته..، وهذا موضوع هام يجب على كل مُشتغل بعلم السنة وتراجم الرواة أن يكون على بينة منه كي لا يخطئ بتصحيح الأحاديث الضعيفة اغترارًا..، إذ كل ما فيه من بيان المسافة بين كل سماء والتي فوقها وكذا البحر فوقها والثمانية أوعال كل ذلك لم يرد فيه شيء صالح للاحتجاج به..، (و) هناك أحاديث أخرى في تحديد المسافة المذكورة؛ وهي مع ضعف أسانيدها مُختلفة مُتناقضة ولا داعي للتوفيق بينها"[١١٦٠].

وضَعَّفَهُ أيضًا الشيخ مصطفى العدوي في سلسلة التفسير (ج٥١ص٢٤): "حديث الأوعال ليس بصحيح"، وقال الشيخ محمد يحيى عزان في كتابه عرض الحديث على القرآن منهج رائد في صيانة السنة النبوية (ج١ص٢٣): دراسة الأسانيد وحدها لا تكفي في نقد الحديث..، و(لقد) توجهت جهود الفقهاء إلى دراسة متون الأحاديث..، ومن الضوابط.. اعتبار ما يُكذبه العقل ويُنكره الحس والواقع غير مقبول، كحديث: (إن الأرض على صخرة والصخرة على قرن ثور، فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة فتحركت الأرض؛ وهي الزلزلة)، وحديث..: (ثمانية أوعال)".

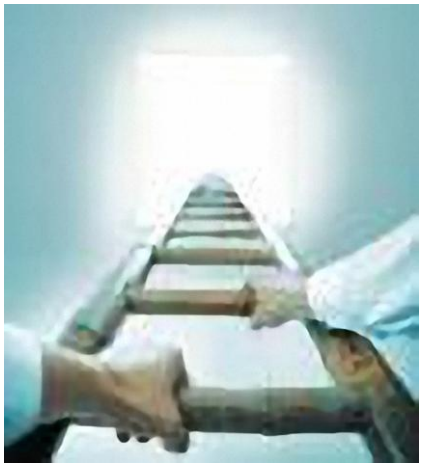

وهكذا شاع الوهم عند كتبة الأسفار بقرب السماوات حيث يجلس المَلِيك المُقْتَدِر مُجسدًا جل في علاه على كُرسي الحُكم كالمُلوك؛ حقيقةً لا مجاز، والسماوات من القُرب بحيث يُمكن بلوغها بسلم أو صرح، ويُلمح القرآن الكريم تعريضًا بوهم الجاهلين بسعة مُلْك العَلِي القَدِير: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ٢٨القصص:٣٨، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ٤٠غافر:٣٦و٣٧، ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٦الأنعام:٣٥.

والقاعدة هي أن شهادة الواقع برهان قاطع، وإذا كان الأصل في الغيبيات هو التفويض بغير تكييف ولا إنكار؛ فالأصل في الكونيات صيانة الشريعة عن الغرائب، لأن الوحي حتمًا لا يُخالف الواقع، قال الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا المتوفى سنة ١٩٩٦ في كتابه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (ص٧٤و٧٩): "حديث الآحاد يُفيد الظن العلمي، و(هو) دليل على الحكم الشرعي؛ ما لم يكُن هناك دليل أقوى منه..، والبُعد الذي لاحظناه عن منهج السلف يرجع إلى انتشار الأحاديث الضعيفة، ويرجع قبل ذلك إلى انتشار مقُولة لم يكن لها رواج بين الفقهاء القدامى؛ وهي أن حديث الآحاد يفيد اليقين العلمي الذي يفيده المُتواتر"، وقال (ص٢٠٤): "اليقين الثابت بالعلم وبالوحي لا يجوز أن يتقدم عليه ظن علمي يرويه حديث آحاد، إن حديث الآحاد يتأخر حتمًا أمام النص القرآني والحقيقة العلمية والواقع التاريخي"، فلا مطعن إذن في رسالة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام بتناول روايات غير قطعية الثبوت عند المحققين وتتضمن غرائب.

وإذا ارتضيت منهج السلف في نقد الأخبار سندًا ومتنًا واستبعاد الغرائب واستنطقت الحقائق العلمية اليوم؛ يترسخ لديك اليقين بأن هذا الكتاب العزيز مُتفرد بالاستعلاء على كل الأوهام غير أي كتاب آخر يُنسب للوحي، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ يُفسره التقدير بسرعة لا ينقطع معها التدبير، والسياق يستبعد تلك الغرائب المُوافقة لتصور كتبة الأسفار أن السماء قبة تحملها رءوس الجبال وتبلغها الأقدام أو البغال، قالت بنت الشاطئ: "تكلف مُفسرون فحددوا مقدار ذلك السُّمك (للسماء)، ففي (الكشاف والبحر): جعل مقدارها في العلو مديدًا رفيعًا، مقدار خمسمائة

[١١٦٠] موسوعة الألباني في العقيدة (٦/ ٤٠٢).

عام، وهذا ما لا يقبله النص من قريب ولا بعيد..، وهو من تفاوت قياس السرعة بالزمن على اختلاف العصور؛ فما كان يُقاس أيام الزمخشري بالأعوام في عصر الناقة؛ أصبح يُقاس بالدقائق والثواني في عصر غزو الفضاء"[١١٦١].

[٦] معادلة ثرية بالحقائق العلمية

تخضع حركة القمر لشتى التأثيرات مُن الأجرام حوله خلال دورته حول الأرض؛ ولذا كل معايير حركته قيم وسطية، ووفق علم الإحصاء يُعبر بالقيم الوسطية، كما يُقال: مدة دورة الحيض ٢٨ يومًا تعبيرًا بالغالب؛ أي النموذجية الوسطية.

(١) علاقة كونية ثابتة:

استخدمت قوافل العرب قديمًا الزمن للتعبير عن مسافة، فقاسوا الرحلات بالزمن الناجم عن الحركات الفلكية؛ الحركة اليومية الظاهرية للشمس والتغيرات الشهرية لأوجه القمر، وتعداد السنة ١٢ شهرًا، وفي القياس: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ اليوم بعض السنة، فلا يستقيم حمل المماثلة إلا على المسافة؛ لا الزمن، وكانت السنة في عُرْفِهم تقوم على سير القمر ليتم ١٢ دورة حول الأرض، والدلالة إذن أن المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة تُقطع في يوم واحد، لبيان قيمة السرعة الأعلى Uppermost Speed للانتقال في الكون؛ وهي سرعة الضوء في الفراغ، والمسافة الفلكية التي يقطعها ما تَقُوم على حركته السنة أنسب لقياس مسافة هائلة لا يوجد على الأرض مُتَّسَع لقياسها؛ خاصةً أن القمر أقرب الجيران، لكن حركته نسبية تفتقر لتحديد إطار أو مرجع تُنسب إليه، فتختلف سرعة قطار بالنسبة لمراقب على المحطة عنها بالنسبة لراكب سيارة أسرع أو أبطأ، والمعيار: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ عائد سياقًا على القياس؛ فيعني استبعاد نسبة حركة القمر حول الشمس والاكتفاء بحركته حول الأرض فحسب وفق ما كانوا يَعُدُّون ويظنون.

(٢) تجريد حركة القمر رائعة بلاغة ومأثرة فيزيائية:

بالإضافة إلى حركة القمر حول الأرض يتحرك حول الشمس؛ لذا حركته مركبة، ولو كانت حركته حول الأرض فحسب كما يعدون لكان مداره كامل الاستدارة؛ لكنه بيضاوي ناقص الاستدارة Ellipse، حيث تشارك حركته حول الشمس لتضيف نسبة إلى حركته المُجَرَّدَة، وهو يطوف حول الأرض والشمس متأثرًا كذلك بالأجرام سواهما؛ ولذا في كل دورة للقمر حول الأرض يتغير البعد بين المركزين، وفي كل سنة ومن سنة لأخرى يتغير كذلك بعده قليلا من دورة لأخرى(*).

Moon distances for Cairo, Egypt (2010-2014)

السنة	أقصى بعد (كم)	أقل بعد (كم)
٢٠١٠	٤٠٦٥٤٤	٣٥٦٦٠٦
٢٠١١	٤٠٦٦٥٧	٣٥٦٦٠١
٢٠١٢	٤٠٦٤٣٩	٣٥٦٩٦٤
٢٠١٣	٤٠٦٤٨٥	٣٥٧٠١٤
٢٠١٤	٤٠٦٥٤٧	٣٥٦٩٢٢

(*) http://www.timeanddate.com/astronomy/moon/distance.html?year=2015&n=53

وتقتضي الحكمة إذن لاستخدام حركة القمر كمقياس لقيمة سرعة الضوء بالفراغ المجردة من التأثير الخارجي؛ استبعاد النسبة الإضافية التي تجعل مداره بيضاوي بخلاف ما كانوا يعدون، واستخدام حركته المجردة؛ كما لو كانت الأرض ثابتة لا تدور حول الشمس والقمر يدور حولها فحسب في نظام مستقل معزول عن كل التأثيرات الخارجية، خاصة أن حركة الأرض حول الشمس لا يعاينها إلا مراقب خارج النظام الشمسي لا المراقب الأرضي؛ فاعتبرت ساكنة لا تدور حول الشمس، والناظر بالعين المجردة لوجوه القمر خلال دورته؛ لا يدرك بدون أجهزة فلكية نسبة تغير بعده وكأنها مستبعدة.

ومعيار القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن يعتمد نموذج مركزية الأرض Geocentric Model؛ فيختار للقياس نسبة حركة القمر حول الأرض فحسب وكأنها في الفراغ؛ لأنها الأنسب لقياس قيمة سرعة الضوء الثابتة القيمة في الفراغ، فيكون كلا المِقْيَاس والمُقَاس في إطار مَرْجِعِي واحد: مُسْتَقِل مُغْلَق Inertial Frame of Reference، أي في نظام مَعْزُول Isolated System عن التأثير الخارجي، وبهذا الاعتبار تتحقق علاقة ثابتة باستخلاص نسبة مُجَرَّدَة حوالي: ٨٩% من متوسط أقصى قيمتين لبعدي القمر أو سرعته، ويستبعد نسبة التغير في حركته: حوالي ١١%، وهي ناجمة عن حركته حول الشمس التي تجعل المعايير متغيرة لا يعبر عنها إلا بقيم وسطية، حيث تتباين قيم البعد والسرعة دوريا وقليلا سنويا بخلاف النسبة الثابتة نتيجة حركته حول الأرض فحسب، والتعبير ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن قد سبق بمبدأ النسبية، وأقام علاقة ثابتة

[١١٦١] بنت الشاطئ عائشة محمد عبد الرحمن؛ التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة السابعة (١١ ١٤٩).

كلا طرفيها في نفس الإطار المرجعي وكأنها منسوبة لنجم بعيد ثابت، وهو يعني: من الذي تحسبون وتظنون، فدل بلفظه على دوران الأرض حول الشمس بخلاف ما يظنون؛ فأي إحكام إذن في البيان وإخبار بالمستور!.

(٣) دورة القمر بالنسبة للنجوم**:**

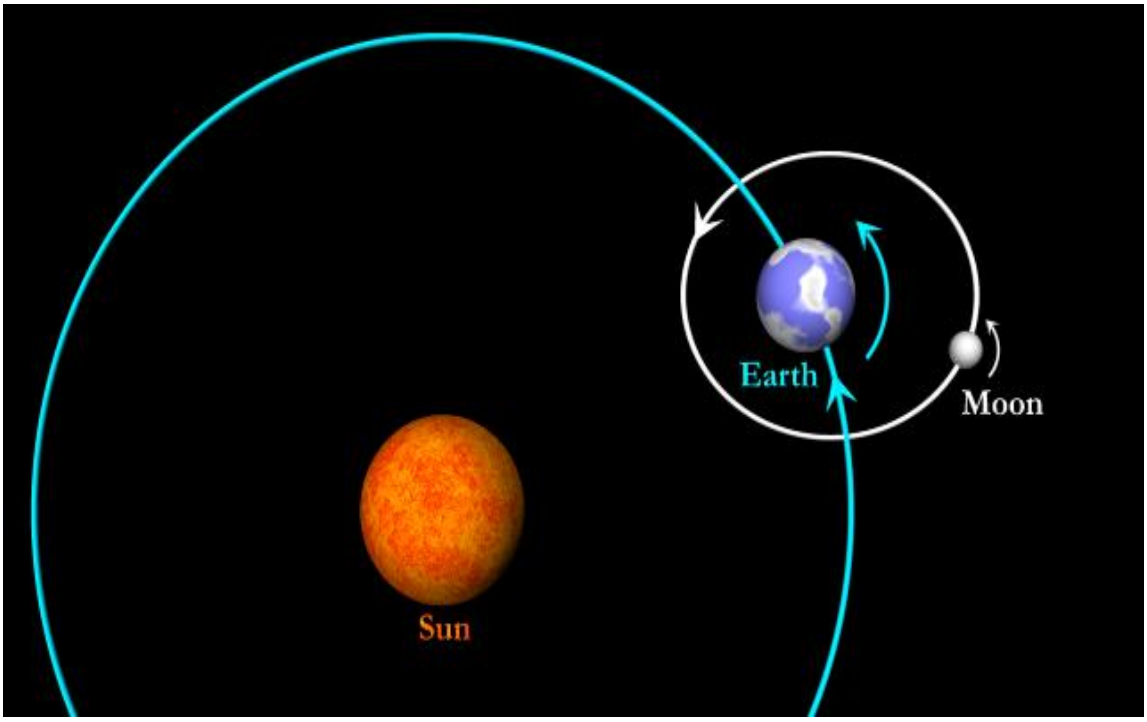

يَتَحَدَّد اليوم بإكمال الشمس دورة ظاهرية كما تبدو للراصد الأرضي، ويسمى فلكيًّا باليوم الاقتراني Synodic Day؛ حيث تقطع الأرض دورة حول نفسها في ٨٦٤٠٠ ثانية، لكنها تتم دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول نفسها بالنسبة لنجم بعيد في يوم نجمي Sidereal Day: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ وتدور حول الشمس في مدة سنة نجميه Sidereal Year: ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يومًا: ٣٦٥ يوما و٦ ساعات، و٩ دقائق و٩,٥ ثانية، ولذا عدد الدورات الظاهرية لحركة الأرض حول نفسها في السنة قيمته تساوي: ٣٦٥,٢٥٦٣٦؛ بينما عدد الدورات الحقيقية: ٣٦٦,٢٥٦٣٦؛ أي بزيادة دورة كاملة كل سنة، ويرجع الفارق فلكيًّا إلى أن الأرض تدور حول الشمس أثناء دورانها حول نفسها، وتَتَحَدَّد مدة الشهر القمري بإكمال القمر دورة ظاهرية كما تبدو للراصد الأرضي؛ ويسمى فلكيًّا بالشهر الاقتراني Synodic Month، وطوله: ٢٩,٥٣٠٥٨٨١ يومًا، ولكن القمر يتم دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة لنجم بعيد في مدة شهر نجمي Sidereal Month: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا: ٢٧ يوما و٧ ساعات و٤٣ دقيقة و١١,٥ ثانية، ولذا عدد الدورات الظاهرية في السنة: ١٢,٣٦٨٧٤٦٥٦ دورة؛ وعدد الدورات الحقيقية في السنة: ١٣,٣٦٨٧٤٦٥٦، بزيادة دورة كاملة كل سنة، والفارق كذلك بسبب حركته مع الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها.

(٤) سرعة القمر مُتَّجَه:

تُعْتَبَر السرعة في الفيزياء مُتَّجَه Vector كالقوى، أي تظل ثابتة القيمة والاتجاه كأنها في خط مستقيم ما لم يؤثر عليها مؤثر خارجي، وتغير الاتجاه أو السرعة يعكس اكتساب تسارع Acceleration نتيجة مؤثر خارجي، وعند نهاية دورة للقمر باعتبار ما يَعُدُّون؛ ستكون سرعته كمتجه في نفس الاتجاه عند بدء الدورة، وكأن حركته حول الأرض في نظام مَعْزُول.

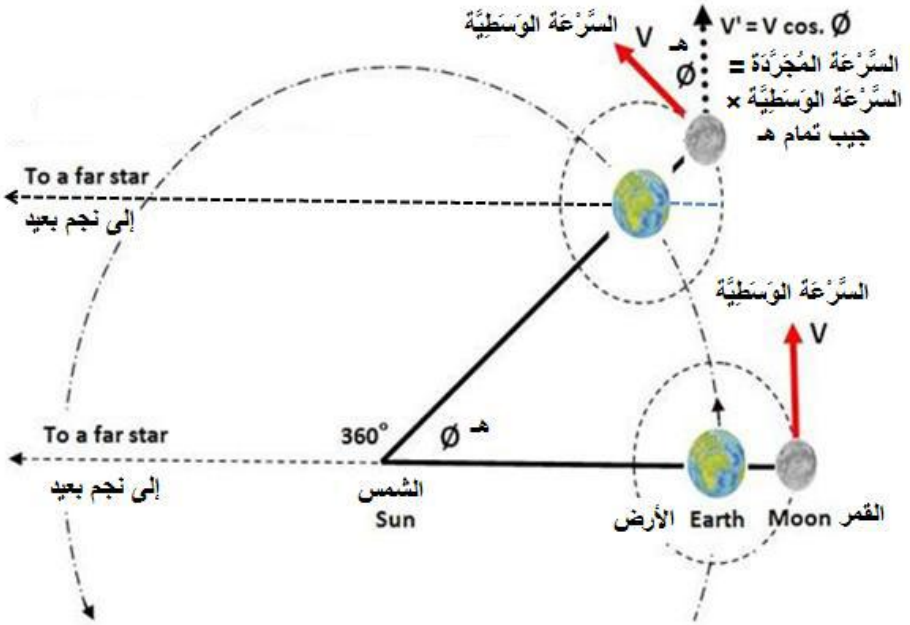

ولكن القمر يتحرك حول الشمس أثناء حركته حول الأرض ليقطع كل دورة بالنسبة لنجم بعيد زاوية قيمتها (هـ): ٣٦٠ × (٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ \ ٣٦٥,٢٥٦٣٦) = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ درجة، وكأن اتجاهه تغير على مداره المعزول بنفس الزاوية؛ فتغير اتجاه سرعته المجردة لتعكس اكتساب تسارع، ولذا نسبة الحركة حول الأرض (جتا هـ): ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣، والنسبة الناتجة عن حركته حول الشمس من القيم الوسطية التي تجعل المدار بيضاوي هي: ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧.

(٥) السرعة المماسية المجردة للقمر:

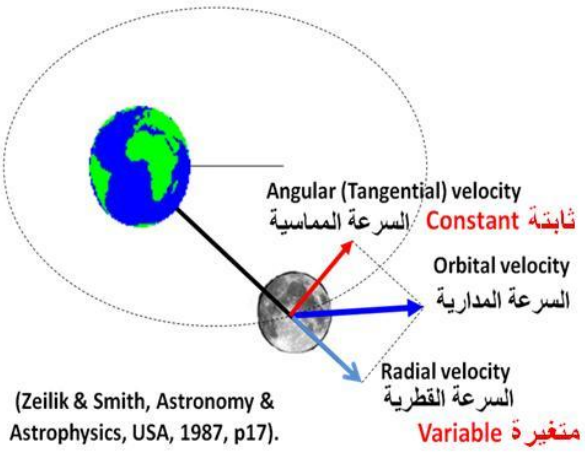

بتحليل السرعة المدارية Orbital Velocity عند أي نقطة على مدار القمر؛ تنتج مركبة في اتجاه القطر تسمى السرعة القطرية Radial Velocity، وتخضع للتغير من نقطة لأخرى، ومركبة متعامدة على القطر؛ تصنع معه زاوية قائمة،

وهى السرعة الزاوية Angular Velocity، وهي السرعة المُعْتَبَرَة في النظام الأرض قمري المعزول؛ لأن قيمتها ثابتة عند كل نقاط المدار، ولذلك تسمى أيضا: السرعة المماسية Tangential Velocity (Zeilik & Smith; P17).

(٦) نسبة التغير في بعد القمر:

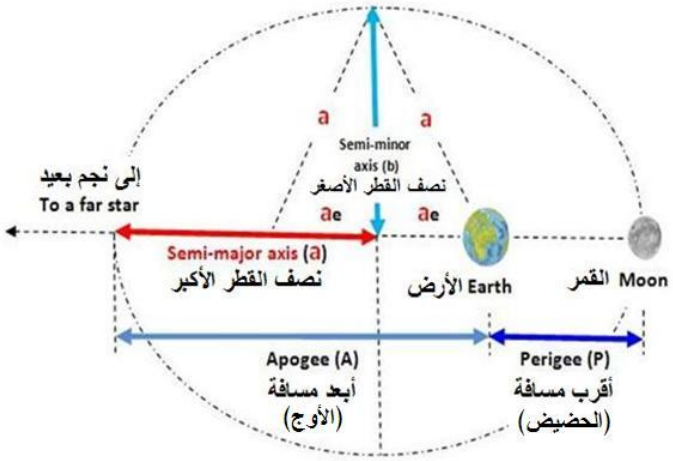

تتغير سرعة القمر وبعده عن الأرض طبقًا لموقعه، ولذا المدار القمري Lunar Orbit ليس بدائرةً كاملة الاستدارة؛ وَإِنَّمَا بيضي ناقص الاستدارة، وبدلاً من نصف القطر في الدائرة؛ له نصف قطر أكبر Semi-Major Axis (a) يمثل نصف مجموع أبعد مسافة أي الأوج Apogee (A) وأقربها أي الحضيض Perigee (P)، وطبقًا لنقصان الاستدارة Eccentricity (e = ae/ a)؛ تُعرف قيمة أبعد مسافة: A = a (1 + e)، وأقربها: P = a (1 – e)، ونصف القطر الأكبر: $a = (A + P)/ 2 = 2R/ \{1 + (1 - e^2)^{0.5}\}$؛ حيث R البعد المتوسط Mean Distance، ويُعرف نصف القطر الأصغر Semi-Minor Axis (b): $b = \{a^2 - (ae)^2\}^{0.5}$، والبعد المتوسط: R = (a + b)/ 2، وتُعرف نسبة البعد الخاضعة للتغير Variable Ratio من أقصى بعدين: 2 ae/ a = 2e؛ أي ضعف نقصان الاستدارة، فتكون النسبة الثابتة: (جتا هـ) = 1 - 2e؛ ومتوسط نقصان الاستدارة (e): ٠,٠٥٤٢١٣٧٢٨٨٥. ولكن كل معايير الحركة الفلكية للقمر تتغير نتيجة التسارع الناجم عن الحركة في نظام غير مستقل؛ يؤدي لوجود نسبة خاضعة للتغير في بعده (وسرعته)، وتبقى نسبة تعبر عن بعد ثابت يجعل المدار القمري كامل الاستدارة Perfectly Circular Orbit؛ والسرعة الفاعلة في النظام المُستقل المعزول مُنتظمة ومُجردة وثابتة القيمة والاتجاه كما لو كانت رياضيا في خط مستقيم.

[٧] توحيد الأجرام في المنشأ والنظام

قياس حركة القوى بمعزل عن التأثير الخارجي؛ تَطَلَّب جعل حركة القمر مستقلة بحسب ما يَعُدُّون؛ باستبعاد نسبة تغير بعد القمر وسرعته من القيمة الوسطية لكل منهما، فتصبح حركته مستقلة مجردة ومنتظمة والمدار كامل الاستدارة، والمعيار ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن قد حقق شرط تحديد مرجع لحركة نسبية، وجعل كلا طرفي القياس في إطار مرجعي مُسْتَقِل مُغْلَق في نظام مَعْزُول عن التأثير الخارجي؛ في علاقة ثابتة منذ نشأة النظام الأرض قمري؛ بالإمكان أن تدل على آلية نشأته.

(١) معايير حركة القمر حول الأرض:

يُعْرَف طول المدار (L) بمعرفة متوسط السرعة (V) وشهر نجمي (T'): L = V T'، أو البعد المتوسط (R): L = 2 π R؛ حيث: π = ٣,١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨، والشهر النجمي: ٢٣٦٠٥٩١,٥ ثانية، ومتوسط سرعة القمر حوالي: ١,٠٢٣ كم\ ثانية (Laros Astronomy; p.142)، والقيمة التي تحقق سرعة الضوء بمسافة ألف سنة قمرية في زمن يوم هي: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣ كم\ثانية)، لذا يُمكن تعريف القيم المُجَرَّدَة في النظام الأرض قمري المعزول: السرعة: ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ كم\ ثانية، البعد عن الأرض: ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ كم، طول المدار: ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ كم.

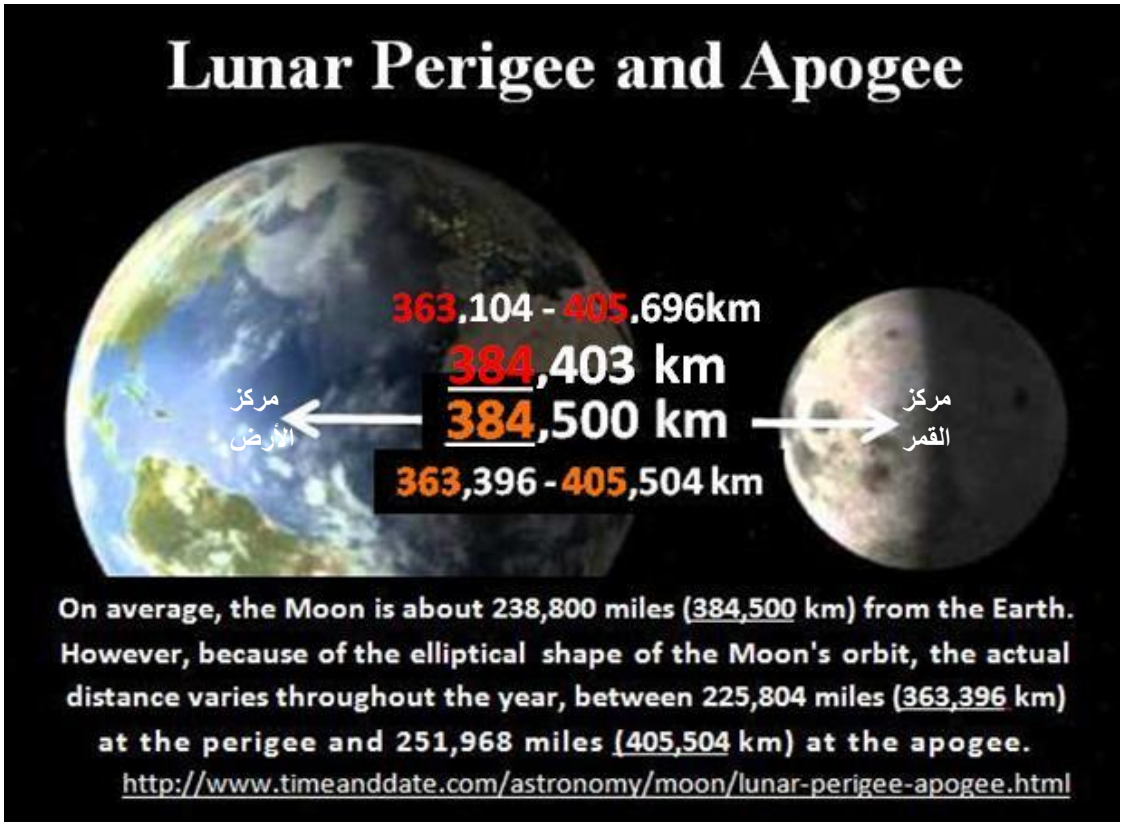

وبناء على العلاقة؛ أبعد مسافة للقمر عن الأرض: ٤٠٥٣٩٤,٠٦٨٣ كم، وأقرب مسافة: ٣٦٣٦٩٨,٦٨٢٤ كم، ونصف المحور الأصغر للمدار القمري: ٣٨٣٩٨٠,٨٤٣٩ كم، ومتوسط بعد القمر عن الأرض (R): ٣٨٤٢٦٣,٦٠٩٦ كم، ونصف المحور الأكبر (a): ٣٨٤٥٤٦,٣٧٥٣ (حوالي: ٣٨٤٥٠٠) كم؛ وهي نفس القيمة الفلكية؛ حوالي: ٣٨٤٥٠٠ كم.

(٢) <u>اليوم في ازدياد والقمر في ابتعاد</u>:

إذا كانت المسافة التي يقطعها الضوء بالفراغ في يوم تماثل المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة (١٢٠٠٠ دورة) في النظام الأرض قمري المعزول؛ فيُمكن صياغة معادلة ثابتة منذ نشأة النظام: (c = 12000 L'/t')؛ حيث c سرعة الضوء، L' طول مدار القمر، t' يوم نجمي، ويُمكن صياغتها كالتالي: c = 12000 V'T'/ t'، أو: c = 12000 2π R'/ t' في النظام المعزول؛ حيث T' شهر نجمي، V' سرعة القمر، R' بعده، π = ٣,١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨، وحيث أن قيمة c ثابتة (٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية)؛ إذن: V'T' = t' ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣؛ وقيمة R' = t' ٣,٩٧٦١٢٠٩٦٨.

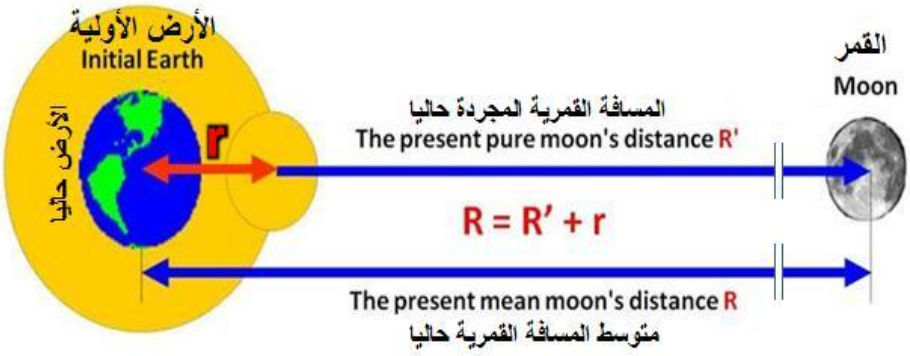

بتلاشـــــي بعد القمر (R' = صفر) في العلاقة بين بعده R' ومدة دوران الأرض حول نفسها t' في النظام المعزول؛ تتبقى مسافة بالنظام المرصود تكافئ نصف قطر الأرض الأولية: r = R - صفر، وعند اتصال القمر بالأرض: t' = T'، واتصال القمر بالأرض يعكس تكون المدار الأولي للقمر على بعد يكافئ ضعف نصف القطر الأولي للأرض: R=2 r، ووفق العلاقة (t' = V'T') ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣) تكون سرعة دوران الأرض الأولية حول نفسها: V' = ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣ كم\ ثانية، وفارق البعد حاليا: ٣٨٤٢٦٣,٦٠٩٦ - ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ = ٤١٦٦٤,٧٢٦٢ كم، ونصف قطر الأرض إذن أكبر بحوالي ٦,٥ مرة منه حاليا (٦٣٧٨,١ كم)؛ إذن الجسم الأولي الأم للأرض والقمر غيمة سديمية، وبمعرفة سرعة دورانها حول نفسها ونصف قطرها؛ تُعرف مدة دورتها Rotation Period (t): ١٠٤٧٨,٧٣٧١١ ثانية (أكثر قليلا من ٢,٥ ساعة)، فيكون اليوم الأرضي حوالي: ٤ ساعات[١١٦٢]، والمدة حاليا: ٢٤ ساعة؛ والنتيجة إذن أن اليوم في ازدياد والقمر في ابتعاد.

(٣) <u>النشأة السديمية للنظام الأرض قمري</u>:

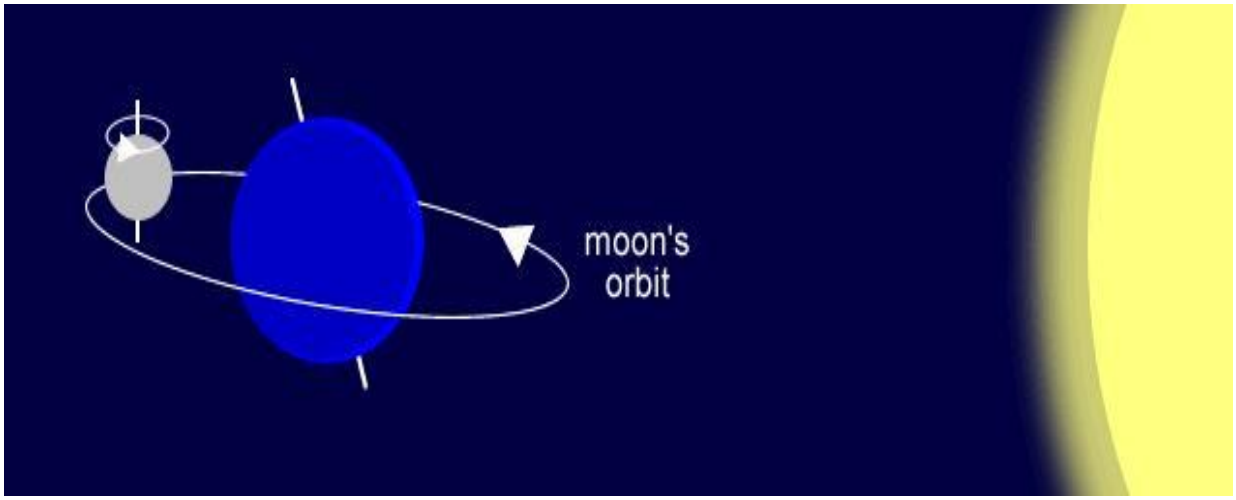

[١١٦٢] تضيف الأرض بالنسبة لنجم بعيد كل دورة لها حول الشمس دورة كاملة حول نفسها؛ إذن: (سنة\ يوم أرضي) = (سنة\ يوم نجمي) - ١، ولذا اليوم الأرضي حاليا: ٢٤ ساعة؛ والنجمي: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية، وعند نشأة الأرض؛ اليوم الأرضي (4/ 3t) = ١٣٩٧١,٦٤٩٤٨ ثانية (حوالي ٤ ساعات).

يدور القمر حول الشمس بتلازم مع دورته حول الأرض ليقطع نفس الزاوية (هـ) التي تقطعها الأرض حول الشمس في كل دورة حولها، وكأنه انتقل في مداره المعزول ليضيف نفس الزاوية؛ فيتغير اتجاه سرعته في موضعه الجديد بالنسبة إلى نجم بعيد، ليعكس وجود نسبة تسارع Acceleration يمكن استبعادها بتحليل متوسط سرعته كمتجه Vector، والنسبة الخاضعة للتغير Variable Ratio في متوسط البعد أو السرعة تكافئ: 2e، أي ضعف نقصان استدارة مدار القمر: e؛ وترجع لحركته حول الشمس، والنسبة الثابتة تكافئ: جتا هـ؛ وترجع لحركته حول الأرض فحسب، وعلى طول عمر النظام؛ تظل القيمة (r) ثابتة كبصمة لنصف قطر الأرض الأولية، لذا النسبة (r/ R) تكافئ دومًا (2e)، وتعكس معايير حركته عند أي بعد مهما تباعد القمر، وتمثل القيمة المتبقية (1-2e = جتا هـ) معايير حركته المجردة، ويَتَحَدَّد البعد المُجَرَّد R' بمعرفة متوسط بعده R: (جتا هـ /R' = R)، وبالمثل السرعة المُجَرَّدَة V': (جتا هـ /V' = V).

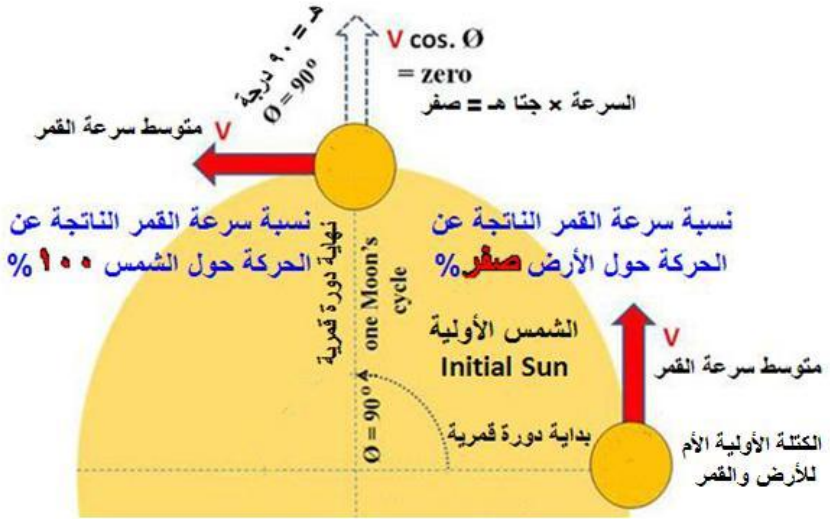

وعند اتصال القمر بالأرض الأولية؛ تكون النسبة: (r/ R) = ١، إذن القيمة: (2e) = ١، لكن: 1-2e = جتا هـ؛ أي أن: جتا هـ = صفر، إذن: (هـ = ٩٠ درجة)؛ أي تكون الزاوية التي تقطعها الأرض والقمر حول الشمس قائمة خلال دورة قمرية، فتعني أن حركتيهما مماسية للشمس؛ وأنه لا أثر لحركة منفصلة للقمر عن الأرض، وكل حركة القمر بالنسبة لنجم بعيد ترجع لاتصاله بالشمس وحركته على طرفها مع الأرض لأن 2e = ١، والنتيجة إذن: وحدة الأرض والقمر مع الشمس في أصل واحد ومادة واحدة؛ ونظام حركي واحد وفق علاقة كونية واحدة تشمل بالمثل كل متبوع وتابعه.

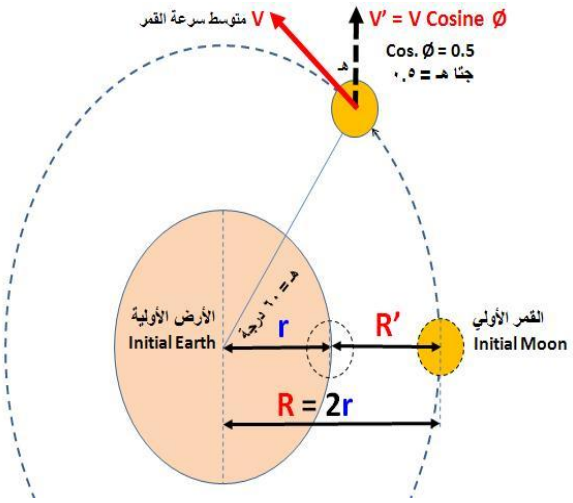

وبافتراض انفلات القمر عن الغيمة الأم للأرض والقمر واستقلاله عند نقطة توازن Equilibrium تتساوى عندها القيمة المكافئة لنسبة حركته حول الشمس من متوسط سرعته أو أقصى بعديه (2e) مع القيمة المكافئة لنسبة حركته حول الأرض: (جتا هـ)؛ فتكون النسبة (r/ R) = ٠,٥؛ والقيمة (2e) = ٠,٥، والقيمة (جتا هـ) = ٠,٥، والزاوية المركزية (هـ) = ٦٠ درجة، وحينئذٍ يتكون المدار الأولي عند متوسط بعد (R) يماثل ضعف بعده عند الاتصال: (R = 2r = R' + r)؛ وللتعديل وفق العلاقة الخطية تنقص قيمة متوسط سرعته في المدار الأولي إلى النصف، وتعكس مركبتها في الاتجاه الأصلي إذن بعد دورة قمرية سرعة الهروب Escape Velocity من الأرض؛ وتكافئ قيمتها نصف النصف: ٦,٢٤٥٦٧٦٢٠٨ كم\ ثانية، وحينئذٍ تكافئ قيمة شهر نجمي وفق العلاقة أربعة أيام نجمية: T' = 4 t'.

وعند اتصال القمر بالأرض والشمس؛ تكون النسبة المُعَبِّرَة عن السرعة القطرية المتجهة باتجاه القطر والمكافئة لنسبة حركته حول الشمس من متوسط سرعته: 2e = ١ (١٠٠%)، ونسبة السرعة المماسية المُتَعَامِدَة على القطر والمكافئة لنسبة حركته حول الأرض: جتا هـ = صفر، ومتوسط سرعته: V = (V' \ جتا هـ) = (V' \ صفر) = ∞؛ (ما لا نهاية)، وهي تعكس هروب من الأرض باتجاه القطر نحو نقطة توازن؛ حيث تتساوى نسبة حركته حول الأرض (جتا هـ) مع نسبة حركته حول الشمس (2e)، أي أن القمر والأرض أشبه بتوأم Twin؛ لانفصاله معها في نفس الوقت.

(٤) كثافة أولية واحدة للشمس والقمر والأرض:

بافتراض النشأة السديمية للأرض والقمر مع الشمس من جسم أصلي واحد متجانس؛ سرعة الهروب v من أي جرم منهم تتناسب حينئذٍ مع الكتلة M أو نصف القطر r: $r_1/r_2 = V_1/V_2$؛ $M_1/M_2 = V_1^3/V_2^3$، ولذا بمعرفة كتلة الشمس حاليا (1.99×10^{30} كجم) وكتلة الأرض (5.9736×10^{24} كجم) وكتلة القمر (7.35×10^{22} كجم) تكون سرعة الهروب من الشمس: 432.963991 كم\ ثانية، ونصف قطرها: 2888290.327 كم، وسرعة الهروب من القمر: 1.441882483 كم\ ثانية، ونصف قطره: 9618.756561 كم، وقانون الكثافة $Density = 3M/4\pi r^3$؛ حيث M الكتلة، r نصف القطر؛ π = 3.1415926535898، وبتطبيق القانون على كل من الأرض أو الشمس أو القمر تنتج نفس الكثافة:

التحقق:

كثافة الأرض = $3\times5.9736\times10^{24}/\{4\times3.1415926535898\times(41664726.3)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

كثافة الشمس = $3\times1.99\times10^{30}/\{4\times3.1415926535898\times(2888290327)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

كثافة القمر = $3\times7.35\times10^{22}/\{4\times3.1415926535898\times(9618756.561)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

فكثافة الأجرام الثلاثة إذن واحدة؛ أقل بحوالي ٥٠ مرة من كثافة الماء (١٠٠٠ كجم \ متر^3)، وأكبر بحوالي ١٥ مرة من كثافة الهواء عند سطح البحر (١,٣ كجم\ متر^3)، وتلك سمات غيمة سديمية انحدر منها القمر ومعه الأرض والشمس، وهي تسمح بنشأته كغيمة سديمية خارج حد روش Roche Limit؛ حيث يَتَكَسَّر التابع الصُّلْب نتيجة شدة الجذب جهة المتبوع.

(٥) المُعدل السنوي لتباعد القمر عن الأرض:

بمعرفة مسافة التباعد منذ اتصال القمر بالأرض عند نشأة النظام الأرض قمري: ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٢ كم؛ يكون المعدل السنوي لتباعد القمر عن الأرض: ٤,٠٧ سم\ سنة، وبافتراض تسارع مُعدل التباعد إلى أن استقر المدار الأولي؛ تتبقى مسافة قدرها: ٣٠٠٩٣٤,١٥٦٩ كم بمعدل: ٣,٥٨ سم\ سنة، وبالتالي يُمكن معرفة متوسط معدل التباعد السنوي للقمر عن الأرض Mean Annual Moon's Recession Rate: ٣,٨٢ (حوالي ٤) سم\ سنة، وهي نفس نتيجة القياس بالليزر بعد وضع عواكس على سطح القمر منذ رحلة أبوللو ١١ عام ١٩٦٩: ٣,٨٢ (حوالي ٤) سم\ سنة (Laros astronomy, p62)، وهي تؤكد سبق النشأة السديمية للنشأة الجيولوجية للأرض منذ حوالي: ٤,٥ بليون سنة.

(٦) محطات في تاريخ الكون:

تُرَجِّح النشأة السديمية انفلات القمر من الأرض في السديم الشمسي عند نشأة النظام الأرض قمري وفق قانون المقذوفات: ($V^2 = 2MG/r$)؛ حيث V سرعة الهروب من أي جسم، M كتلته، r نصف قطره، G ثابت الجاذبية Gravitational Constant؛ ويمكن بواسطته تقدير التجاذب بين الأجرام الفلكية، وقيمة ثابت الجاذبية G حاليا: ٦,٦٧٤٢٨ × ١٠$^{-٢٠}$ كم^3\ كجم\ ثانية^2، وبتطبيق القانون عند نشأة النظام الأرض قمري يتبين أن ثابت الجاذبية G ليس بثابت مطلق على الدوام؛ وإنما تتناقص قيمته مع الزمن؛ حيث كانت منذ حوالي ٨,٤ بليون سنة عند نشأة النظام أكبر بحوالي الضعف: ١,٣٦٠٣٨٣٤٢ × ١٠$^{-١٩}$ كم^3\ كجم\ ثانية^2، وبطريقة أخرى: ($V^2 = 2MG/r$)؛ أي: G_1/G_2

$V^2_1 r_1 / V^2_2 r_2$ =؛ حيث G_2 حاليا بافتراض ثبات M، إذن G_1 حوالي الضعف، وتؤيد تلك النتيجة ما توقعه الفيزيائيون؛ مثل بول ديراك Paul Dirac في عام ١٩٣٧ وبرانس ودايك Brans & Dicke في عام ١٩٦١.

ووفق قانون ثبات العزم الزاوي Conservation of angular momentum؛ إذا اقترب القمر من الأرض تزداد سرعته وإذا ابتعد تقل، بحيث تظل القيمة: (بعده R' × سرعته V' × كتلته M) قيمة ثابتة، وبعبارة أخرى: طالما بقيت كتلته ثابتة تظل القيمة: (R'V') ثابتة على طول عمر النظام الأرض قمري، وعند استقرار مدار القمر الأولي تساوي القيمة M_1 R'V' = ٦,٢٤٥٦٧٦٢٠٨ × ٤١٦٦٤,٧٢٦٢ = M_1 ٢٦٠٢٢٤,٣٨٩١، وفي الوقت الحالي تساوي القيمة M_2 R'V' = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ × ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ = M_2 ٣١٢٤١٤,٣٠٧٩؛ إذن قيمة: M_2 = M_1 ٠,٨٣٢٩٤٦٤٥١٣، أي نقصت كتلة القمر بنسبة ١٦,٧%؛ مما يُوافق فقده لكل غلافه الغازي نتيجة التهابه في الماضي.

(٧) بعد الأرض عن الشمس:

عند اتصال القمر بالأرض عند نشأة النظام الأرض قمري: t' = T'؛ T'/ t' = V'T'/ R' = 2π، والعلاقة الأساسية هي: R'/ t' = ثابت، وبالتعويض إذن: R'/ t' = V'R' = ثابت، وكتلة القمر في النظام المعزول ثابتة، وحينئذٍ تكون القيمة (MVR= ثابت)؛ وهي نفس صيغة قانون ثبات العزم الزاوي، وبالتعويض: T'/ t' × V' = ثابت، ينتج أن السرعة الابتدائية V' قيمة ثابتة (R'V' = ثابت) طالما بقي النظام معزولاً والكتلة ثابتة[١١٦٣]، والسرعة الابتدائية للشمس حين انفصال الأرض ($V'_{\circ Sun}$): ٤٣٢,٩٦٣٩٩١ كما ثانية، فيمكن تطبيق نفس العلاقة على الشمس والأرض: $V'_{\circ Sun}$ × t'_{Sun} = R'_{Earth} 2π؛ حيث زمن دورة الشمس حول نفسها: t'_{Sun}، وبعد الأرض عنها: R'_{Earth}، وحاليًّا مدة الدورة الاستوائية للشمس حول نفسها تزيد قليلا عن ٢٥ يوما، والقيمة: ٢٥,١٢٦٩٤٨٩٦ يومًا؛ تحقق البُعد الوسطي للأرض حاليا، وهو يُستخدم في القياسات الفلكية باسم الوحدة الفلكية Astronomical Unit: ١٤٩٥٩٧٨٧٠ (حوالي: ١٥٠ مليون) كم، والتوافق مع الواقع لنظام حركة الأرض حول الشمس ونظام حركة القمر حول الأرض؛ يستبعد المُصادفة ويؤيد افتراض وحدة الأصل.

والعلاقة مُثلت بالنظام الأرض قمري بدلالة اليوم والألف سنة، ولكن المبدأ الحركي واحد لكل الأجرام السماوية، فهي إذن علاقة كونية، وعلى بساطتها أوجزت ضروبًا من التوحيد شملت القوى والأجرام الفلكية، ووَحَّدَت كل متبوع وتابعه في أصل واحد ونشأة واحدة ومادة واحدة ونظام حركي واحد، سمة كل موجود إذن؛ الحركة في انضباط على كافة المستويات، والضابط بكل نظام حركي هو السرعة الابتدائية، وتتبدى للفطين كحالات طاعة لتقدير القدير، وكأن العلاقة تُعَامِل الأجرام الفلكية بنفس المبدأ الواحد لجميع الموجات؛ فلكل منها طول وتردد يعكس المدة وفق سرعة ابتدائية ثابتة، ومع تزايد بعد التابع

[١١٦٣] عند نشأة أي نظام فلكي: عندما يتلاشى بعد التابع في النظام المعزول؛ ما يتبقى من البعد المرصود يمثل نصف قطر المتبوع، وفي النظام المعزول تتوحد سرعة التابع حول المتبوع مع سرعة المتبوع حول نفسه عند نشأة النظام، وكلما ابتعد التابع تقل سرعته وفق علاقة ثابتة (R'V' = ثابت) طالما بقي النظام معزولا والكتلة ثابتة.

تقل مدة دوران المتبوع، وكذلك الموجات: بتزايد الطول يقل التردد وتظل قيمة سرعة الضوء ثابتة، ومظاهر التوحيد والتقدير في كل ما صَنَع القدير؛ براهينٌ للفطين على مطلق قدرته ووحدانيته، وهو مَغْزَى العلاقة الثَّرِيَّة بالحقائق العِلْمِيَّة.

[٨] التوحيد رسالة الأنبياء

كانت السنة في تاريخ العبرانيين قائمة كذلك مثل العرب على سير القمر في ١٢ دورة حول الأرض، وكانت غُرَّات الأشهر قبل القرن الرابع للميلاد تُقَرَّر حسب رؤية هلال أول الشهر، وما زال التقويم القمري مُسْتَخْدَمًا إلى اليوم في الأعياد الدينية عند اليهود عملاً بمعهود الآباء، وفي سفر المزامير (١٠٤\ ١٩): "صُنِعَ القمر للمواقيت"، وفي سفر يشوع بن سيراخ (٤٣\ ٦و٧): "القمر بجميع أحواله المؤقتة هو نبأ الأزمنة وعلامة الدهر.. والقمر علامة العيد"، وورود نفس العلاقة بين اليوم والألف السنة في إرث موسى وإرث المسيح عليهما السلام في سياق بيان سرعة مجيء يوم الرب وزوال السماوات والأرض؛ رغم التشويه والخلو من معيار القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، دليل قاطع على أن دعوة الأنبياء على طول سلسلة النبوات؛ هو أزلية القَدِير تعالى وحده ووحدانيته؛ وبراءة المسيح عليه السلام من بدعة التثليث.

في سفر المزامير (٩٠\ ١-٤): "صلاة لِمُوسَى رَجُلِ اللهِ.. من قبل أن تُولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله.. لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل"، وفي رسالة بطرس الثانية (٣\ ٢): "لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد".

والسياق مُتعلق بسرعة مجيء يوم الرب وهلاك الفجار يوم الدين ونشأة عالم آخر ينعم فيه الأبرار؛ بصريح رسالة بطرس الثانية (٣\ ٢-١٤): "لتذكروا الأقوال التي قالها سابقا الأنبياء القديسون (في الوعد بمجيء يوم الرب)..، سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون..، قائلين: أين هو موعد مجيئه، لأنه.. يخفى عليهم.. أن السماوات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله (كن) قائمة..، وأما السماوات والأرض الكائنة الآن فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها، محفوظة.. إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار، ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد، لا يتباطأ الرب عن وعده..، سيأتي.. يوم الرب؛ الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها، فبما أن هذه كلها تنحل؛ أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى، منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب، ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضا جديدة؛ يسكن فيها البَرُّ، لذلك أيها الأحباء؛ إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام"، والنصوص صريحة في بيان "سرعة مجيء يوم الرب": "ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء" إِشَعْيَاء ١٣\ ٦، "ليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم" يوئيل ٢\ ١، "كلص في الليل هكذا يجيء لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتةً كالمخاض للحبلى فلا ينجون" ١تسالونيكي ٥\ ٢و٣، "تؤكل الأرض كلها لأنه يصنع فناءً باغتاً لكل سكان الأرض" (صفنيا:١\ ١٨)، "هو ذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خرابا" (إِشَعْيَاء:١٣\ ٩)، "يوم الرب عظيم ومخوف جدا فمن يطيقه" (يوئيل:٢\ ١١)، "يوم سخط يوم ضيق وشدّة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب" (صفنيا:١\ ١٥)، "ويل للذين يشتهون يوم الرب" (عاموس:٥\ ١٨)، "قريب يوم الرب على كل الأمم" عوبيديا ١٥، "قريب يوم الرب العظيم قريب وسريع جدا" صفنيا ١\ ١٤، "أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة" يوحنا ٢\ ١٨.

الدين إذن في الأصل واحد ورسالة التوحيد إلى بني إسرائيل واحدة؛ وما عَكَّرَ مجرى النبع الصافي سوى أوهام وثنية وسلطة رومانية جائرة، ولا يستقيم إذن اتهام القرآن الكريم بالاقتباس من إرث سبق ناله التشويه بمرور الزمان؛ وهو الأكمل والمُتَفَرِّد وحده بمفتاح القياس: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الجامع لجملة حقائق علمية، والاستنتاج إذن أن سرعة الانتقال بالكون دليل مُدَّخَر لقادم الأيام على أن أزلية القدير ووحدانيته هي أصل رسالة الأنبياء؛ وأن العلاقة تنتظر القادم المُؤَيَّد بمفتاح القياس لتشهد بنبوته؛ يَتَلَقَّى تصويب ما غَيَّرَتْهُ الأيام وأتلفته الأيادي ويُخبر به فيصفو مجرى النبع، منحته عناية القدير النُطق بكامل الحق؛ مِمَّا لَمْ يَكُن في وسع أمة قبله احتماله وتَفَهُّمُهُ؛ وهو ما بَشَّرَ به عيسى عليه السلام أمته (إنجيل يوحنا ١٦\ ١٣و١٤): "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم؛ ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه..، ويُخبركم بأمور آتية، ذاك يُمَجِّدُنِي؛ لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم".

وقد فاضت الأسفار بعلامات ذلك القادم بعد المسيح عليه السلام والمُؤيد بالآيات؛ ليُقيم الحق وتنتشر دعوته في كل الأرض: "هو ذا عبدي الذي أعضده مُختاري الذي سرّت به نفسي، وضعت روحي عليه؛ فيخرج الحق للأمم (جميعًا).. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته (له شريعة كموسى لكنها عالمية غير قومية)، هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها.. أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك وأجعلك.. نورا للأمم لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة (غرض جهاده تحرير المُضطهدين)، أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر (من بعدك).. غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض (حيث تبلغ دعوته).. لترفع البرية ومدنها صوتها الديار (موطنه ومبعثه) التي سكنها قيدار (ابن إسماعيل جد العرب؛ سكن حول بكة الاسم القديم لمكة)، لتترنم سكان سالع (جبل بيثرب مدينة هجرته)؛ من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجدا" (إِشَعْيَاء:٤٢\ ١-١٢)، "ليسبحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده (بلا لوثة التثليث الوثنية)" (مزامير:١٤٨\ ١٣).

والعرب ذُرية إسماعيل؛ بِكر إبراهيم وأخ إسحاق جد اليهود، وقد تفرقوا في الجزيرة وبقيت مكة في وسطهم تضمهم حول الكعبة وزمزم على ملة الجد إبراهيم، وفي خطاب القدير لموسى عليه السلام: "أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم (مكة) مثلك (صاحب شريعة)" تثنية:١٨\ ١٨، صفته الصادق الأمين؛ ويقيم دولة: "يُدعى أمينا صادقا وبالعدل يحكم ويُحارب" رؤيا يوحنا:١٩\ ١١، حجته بيان مقروء؛ أي قُرآن: "وأجعل كلامي في فمه" تثنية:١٨\ ١٨، وبيانه المقروء هو مُعجزته الخالدة: "ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم (الوثنية)" يوحنا:١٩\ ١١، وخطابه المُوجه للأجيال يتضمن بيان حقائق خفية عن العالم؛ لا يحتملها جيل المسيح عليه السلام الذي ترك تفصيلها لوارث إرث النبيين مُبشرًا بالقادم بعده: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشُدُكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه؛ بل بكل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" يوحنا:١٦\ ١٢-١٥.

واتهام القرآن لأهل الكتاب بالانحراف في الدين وتحريف مبدأ التوحيد رسالة كل الأنبياء؛ ليس خاليا من الدليل، ويكفي أن أقوال المسيح عليه السلام في مأثور أهل الكتاب تكشف كم بَعُدَت المسيحية المُتأغرقة عن المسيحية الحق؛ حيث يُعلن المسيح نفسه عبوديته لله تعالى وحده وأنه ليس إلا رسول كسابقيه، فقد قيل أنه: "قضى الليل كله في الصلاة لله" لوقا: ٦\ ١٢، وأنه: "كان يعتزل في البراري ويصلي" لوقا: ٥\ ١٦، وأنه قال: "لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" متى: ٤\ ١٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله" يوحنا: ١٣\ ١٦، وعندما سُئِل: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟" متى: ٢٢\ ٣٦، قال: "الرب إلهنا رب واحد" مرقس: ١٢\ ٢٩، وقال: "هذه هي الوصية الأولى والعظمى" متى: ٢٢\ ٣٨، وقال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" متى: ٥\ ١٧، وقد أعلن مرارا أنه ليس إلا رسول لله داعيا إلى وحدانيته تعالى كأعلام التوحيد سابقيه على طول التاريخ: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" يوحنا:١٢\ ٤٤، وقال: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا.. لا أطلب مشيئتي بل مشيئة.. الذي أرسلني" يوحنا: ٥\ ٣٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" يوحنا: ٥\ ٢٤، ولما دعاه أحدهم صالحًا قال: "ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" متى: ١٩\ ١٧، ومرقس: ١٠\ ١٨، ولوقا: ١٨\ ١٩، تلك أقوال المسيح عليه السلام تُخزي من يتهمه بأنه دعي يوما للتثليث خاصة مع قوله المُسلط سيفًا على رقاب السائرين على درب الطائفية لا يعون أين يقودهم الطريق: "من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يُدينه؛ الكلام الذي تكلمت به هو يُدينه في اليوم الأخير" يوحنا: ١٢\ ٤٨؛ فهل من مُعتبر فطين لينجو قبل فوات الأوان!.

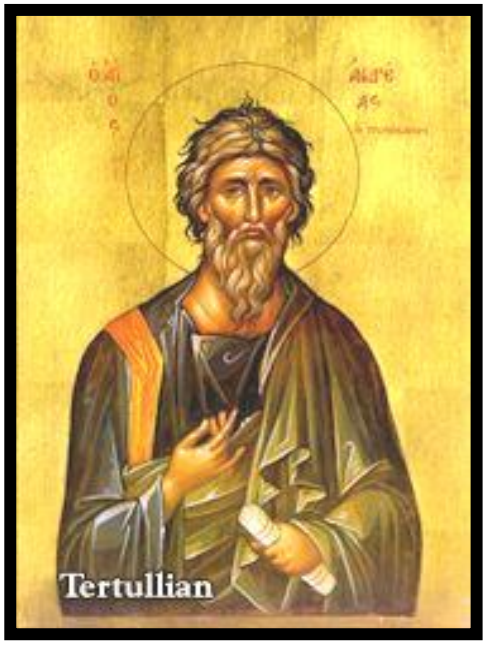

ترتليان Tertullian
(١٥٥ أو ١٦٠م – ٢٢٥م)

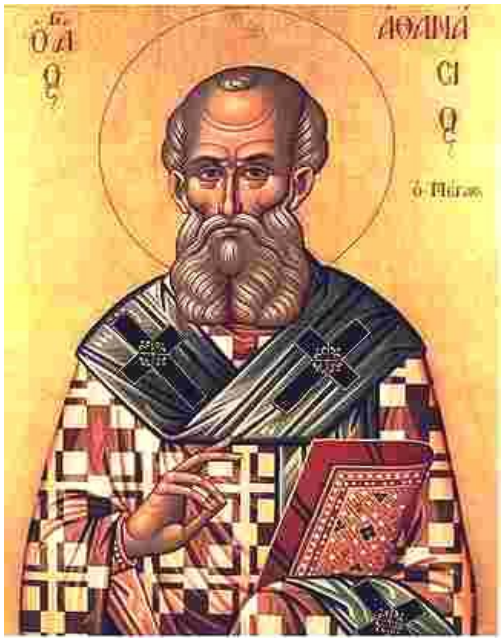

اثناسيوس السكندري
(٢٩٥م - ٣٧٣م)

فمن أين إذن جاء التثليث طالما لم يُصرح به عيسى عليه السلام؛ وإنما دعي إلى التوحيد!، ويُجيب قاموس الكتاب المقدس قائلاً: "الكلمة نفسها (التثليث) أو (الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويُظن أن أول من صاغها.. ترتليان Tertullian في القرن الثاني للميلاد (من حوالي ١٥٥م أو ١٦٠م إلى حوالي ٢٢٥م).. وأخيراً ظهر اثناسيوس السكندري (٢٩٥م - ٣٧٣م).. واضعًا أساس العقيدة.. التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية..، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا"، فمن هو ترتليان هذا حتى يُعتمد قوله بالتثليث إلى اليوم؟، ويجيب الموقع المسيحي (بيت الله الحي) بقوله: "هو أحد أتباع مونتانوس Montanus الذي ادعى النُّبُوَّة في نهاية القرن الثاني، وبعد أن كثر أتباعه كان يُؤكد أنه هو الله نفسه"، وبهذا شهدت المصادر المسيحية نفسها بأن مصدر التثليث ليس عيسى عليه السلام الداعي إلى الوحدانية؛ وإنما رعايا البيئة الرومانية الوثنية.

وتتصل حلقات سلسلة النبوات منذ القدم برسالة واحدة إلى الأمم، هي الدعوة إلى وحدانية الله تعالى؛ مُعارضةً المُعتقد الوثني القديم في تأليه العظماء والظواهر المجهولة المُستغربة والمُجسدات، ولذا تفيض مُدونات أهل الكتاب ببيان مبدأ التوحيد بوضوح تام: "الله واحد" (١كورنثوس ٦١١٢، غلاطية ٢٠١٣، يعقوب ١٩١٢، رومية ٣٠١٣، مرقس ٣٢١١٢)، "ليس إله آخر إلا واحدا" (١كورنثوس ٤١٨)، "أنا الله وليس آخر" (إِشَعْيَاء ٢٢١٤٥)، "إله واحد" (١تيموثاوس ٥١٢)، "أنا الرب ولا إله آخر غيري.. ليس سواي" (إِشَعْيَاء ٢١١٤٥)، "أنا الرب وليس آخر؛ لا إله سواي" (إِشَعْيَاء ٥١٤٥)، "الإله الواحد" (يوحنا ٤٤١٥)، "هل يُوجد إله غيري" (إِشَعْيَاء ٨١٤٤)، "لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري؛ أنا الرب وليس آخر" (إِشَعْيَاء ٦١٤٥)، "اذكروا الأوليات..؛ أنا الله وليس آخر الإله وليس مثلي" (إِشَعْيَاء ٩١٤٦)، "لتعلم أن الرب هو الإله؛ ليس آخر سواه" (التثنية ٣٥١٤)، "أنت الإله الحقيقي وحدك" (يوحنا ٣١١٧)، "الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه؛ هذا إذ هو رب السماء والأرض، لا يسكن في هياكل مصنوعة" (أعمال ٢٤١١٧)، "أنت هو الإله الصانع السماء والأرض" (أعمال ٢٤١٤)، "ليس سواه" (تثنية ٤١٦)، "وحدك الله وليس آخر" (إِشَعْيَاء ١٤١٤٥)، "ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر" (١الملوك ٦٠١٨).

وكلمة البدء التي قامت بها السماوات والأرض وفاضت بها المُدونات يُمثلها الأمر: (كن)، والمُوجه للمعدوم قبل تكونه؛ تصويرًا لطلاقة القدرة والمشيئة النافذة، وقائلها هو العلي القدير وحده بلا شريك في مشيئته وقدرته على الخلق من عدم: "بكلمة الرب صُنِعَت السماوات؛ وبنسمة فيه كل جُنودها" (مزامير ٣٣\٦)، "قال فكان هو أمر فصار" (مزامير ٣٣\٩)، "صنع الجميع من العدم" (٢مكابيون ٧\٢٧) ، وبكلمة (كن): "يُحيي الموتى؛ ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة" (رومية ٤\١٧)، "معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله" (أعمال ١٥\١٨)، "له وحده الخلود" (١تيموثاوس ٦\١٥)، "في البَدء خلق الله السماوات والأرض" (تكوين ١\١)، "أمر فخُلقت" (مزامير ١٤٨\٥)، "أنا الرب صانع كل هذه" (إشَعْيَاء ٤٥\٧)، "الرب خالق السماوات؛ هو الله مُصور الأرض وصانعها، هو قررها لم يخلقها باطلا للسكن صورها" (إشَعْيَاء ٤٥\١٨)، "أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها؛ يداي أنا نشرتا السماوات وكل جندها أنا أمرت" (إشَعْيَاء ٤٥\١٢)، "ويدي أسست الأرض ويميني نشرت السماوات" (إشَعْيَاء ٤٨\١٣)، "في البدء أسست السماوات والأرض" (مزامير ١٠٢\٢٦)، "التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض؛ لأني أنا الله وليس آخر" (إشَعْيَاء ٤٥\٢٢).

قال ابن تيمية: "فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمُراد به؛ أنه خُلق بكلمة قوله (كن) ولم يُخلق على الوجه المُعتاد من البشر..، وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه (أمر الله) فالمُراد أن الله كونه بأمره..؛ فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابنا له؛ وتبين أنه عبد من عباد الله" (الفتاوى:١١٧ ٢٨٤)، وتسميتُهُ ابنًا مجازًا لا تعني الشركة في ذات الله لأن: "أولاد الله أي المؤمنون" (يوحنا:١١ ١٢)، يقول العلي القدير: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:٦٤.

وفي عبارة ركيكة صادمة تُخالف كل إرث التوحيد؛ تجعل آخر مدونة مع الله تعالى شريك بالتمحك أنه الكلمة: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يوحنا:١١ ١) هكذا!!!، ومثلها في الغلو: "بكر كل خليقة" (كولوسي:١١ ١٥)، "كُوّنَ العالم به" (يوحنا ١٠١١)، ولكن ليس المُراد بكلمة البدء سوى ما كُوّنَ بها، وهو مادة تكوين السماوات والأرض بدليل تطابُق تفاصيلها مع كشوف العلم؛ خاصةً شيء واحد هو سرعتها الثابتة منذ البدء، ولذا فإنها تُمثل تحديًّا للذين حرَّفوا الكلمة لتُصبح شريكًا معبُودًا؛ غُلوًا في المسيح عليه السلام، ويكفي أنه نفسه قد تبرأ من هذا الغلو وأعلن عبوديته قائلاً: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله" يوحنا:١٣\ ١٦، "إن قلنا أن لنا شركة معه..؛ نكذب ولسنا نعمل الحق" ١يوحنا:١١ ٦، وأعلنها مُدويةً: "ليعلم العالم أنك أرسلتني" يوحنا:١١٧ ٢٣.

وليس الخلاف في كون المسيح عليه السلام كلمة؛ فكلمات الله لا يحصيها العد، لأن الجميع وجدوا بكلمته (كن)، ولكنهم حملوها على كلمة البدء كصفة أزلية للذات العلية في الإبداع من عدم؛ لا المُكَوَّن بها، فصار في مُعتقدهم صورة عن الله، ولكنه قطعًا ليس كلمة البَدء؛ لأنها ليست إلا الأمر الذي كُوّنَت به مادة التكوين بدليل شيء واحد هو القيمة الثابتة لسرعتها الفائقة، والتي هي سرعة مجيء يوم الرب ، وفي القرآن الكريم حل الإشكال في مناقضتهم للتوحيد؛ وهو أهم قضية في الدين، بما توهموه من صرف الكلمة على غير الوجه، ومعارضة البديهي تهربًا بمثل قولهم "الثلاثة هم واحد"!!!، لأن القرآن الكريم قد بَيَّنَ أن كلمات الله تعالى لا نفاذ لها ولا يحصيها العد؛ أي في تدبير شئون كل الخلائق بنظام وقصد، وخص المسيح عليه السلام بالوصف (كلمة) ليعني أنه تكون بها مثل كل الكائنات والتثليث دخيل.

وتأليه المسيح عليه السلام لم يتبلور كمُعتقد إلا بعد جدال عنيف بعده بقرون في مجامع الكهنة رعايا الإمبراطورية الرومانية، ولذا الدخيل واضح في مثل: "الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد" (١يوحنا:١٥ ٧و٨)، هكذا لم تفلح محاولة إقحام الوثنية!، وليس الروح إلا الوحي: "لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسُوقين من الرُوح القُدُس" (٢بطرس:١١ ٢١)، فتأمل كيف: "بلا عذر.. لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله؛ بل حمقوا في أفكارهم..، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى؛ بشبه صورة الإنسان الذي يفنى..، عبدوا المخلوق دون الخالق" (رومية١:٢٠-٢٥)، "كيف تقولون نحن حُكماء وشريعة الرب معنا! حقا إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب" (إرميا:٨ ٨)، "أما وحي الرب فلا تذكروه بعد؛ إذ قد حرفتم كلام الله الحي" (إرميا:٢٣ ٣٦)، "الإله

الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا، إذ هو رب السماء والأرض؛ لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي" (أعمال الرسل:١٧\ ٢٤)."العَلِي لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي" (أعمال الرسل:٧\ ٤٨)، "يا لتحريفكم!" (أشعيا:٢٩\ ١٦).

وفي قوله تعالى ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ النساء:١٧١؛ قال ابن تيمية: "في لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر؛ فيسمى المخلوق خلقا.. ولهذا يُسمى المأمور به أمرًا"[١١٦٤]، "فتسمية المخلوق بالكلمة؛ كلمة من هذا الباب"[١١٦٥]، و"كلمات الله كثيرة؛ وليس منها شيء خالق، فلو كان المسيح نفس الكلام؛ لم يجز أن يكون خالقا، فكيف وليس هو الكلام، وإنما خلق بالكلمة؛ وخص باسم الكلمة، فإنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره؛ بل خرج عن العادة، فخلق بالكلمة من غير السنة المعروفة بالبشر، وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾؛ لا يوجب أن يكون مُنفصلاً من ذات الله، كقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ الجاثية:١٣[١١٦٦]، وقال ابن كثير: "أي إنما هو عبد من عباد الله؛ وخلق من خلقه، قال له كن فكان ورسول من رسله، ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾؛ أي خلقه بالكلمة[١١٦٧]، أي: "كن"[١١٦٨].

وقال ابن تيمية: "وكذلك الله تعالى قال: ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران ٤٥-٤٧؛ ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق؛ ليس هو ما يقوله النصارى، منها أنه قال ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ نكرة في الإثبات؛ يقتضي أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارى، ومنها أنه بين مراده بقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ وأنه مخلوق حيث قال: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ كما قال..: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران ٥٩، وقال..: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ مريم:٣٤و٣٥[١١٦٩]، فهذه ثلاث آيات في القرآن (آل عمران ٤٧ و٥٩ ومريم ٣٥) تُبين أنه قال لـه ﴿كُنْ﴾ .. وهذا تفسير كونـه ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وقال: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أخبر أنه ابن مريم؛ وأخبر أنه وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وهذه كلها صفة مخلوق، والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك، وقالت مريم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، فبين أن المسيح الذي هو الكلمة؛ هو ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى"[١١٧٠]، وإذن: "سُمِّيَ (كلمة) لأنه بالكلمة كان؛ وهي (كن)، وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل"[١١٧١]، فسماه الله عز وجل كلمته؛ لأنه كان عن كلمته"[١١٧٢]، لذا : "سميت الأعيان كلمات"[١١٧٣]، "فقد أخبر أن كلماته لا نفاد لها بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف:١٠٩، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان٢٧"[١١٧٤]، وكما أن الأمر يدل على آمر والكلمة على ناطق؛ كذلك تدل أعيان الموجودات على مُوجدها"[١١٧٥].

وهكذا تحقق نبأ القرآن الكريم في التحريف وبراءة عيسى عليه السلام من فرية شرك التثليث، وَصِدْقِه في جمع النصارى أسفار الأزمنة قبل عيسى عليه السلام وبعده في كتاب واحد حيث دعاهم (أَهْلَ الْكِتَابِ)، وتحقق نبأه في تأليههم أمه قبل أن ندرك أن بعضهم ما زال حتى اليوم يتعبد تماثيلها،: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ

[١١٦٤] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١\ ٣٢٥.
[١١٦٥] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ج١ص٣٢٦.
[١١٦٦] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١\ ٣٢٦.
[١١٦٧] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير: ١\ ٥٩١.
[١١٦٨] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١\ ٣٢٥.
[١١٦٩] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١\ ٣٢٤.
[١١٧٠] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١\ ٣٢٥.
[١١٧١] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي؛ زاد المسير:١\ ٣٨٣.
[١١٧٢] تفسير الطبري:١\ ٥٩١.
[١١٧٣] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني؛ التعريفات:١\ ٣١٣.
[١١٧٤] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ الرسائل:١\٨٦.
[١١٧٥] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ الرسائل:١\ ٣١٣.

فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥المائدة:١١٦و١١٧، والمضمون أن المسيح عليه السلام بريء من الشرك مع الله تعالى؛ وأن التثليث دخيل ومخالف لرسالة جميع الأنبياء.

ولو كان مع الله شريك لاختل نظام الكون، والدليل الصارم على وحدة النظام هو ثبات قيمة الحد الأقصى للانتقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٢٢، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٩١.

وفي الأسفار: "في ذخائر الحكمة أمثال" يشوع بن سيراخ:١١ ٣١ (Joshua ben Sirach)، "لتُعطي الجُهَّال ذكاءً والشاب معرفةً وتدبُّرًا. يسمعها الحكيم فيزداد علمًا والفهيم يكتسب تدبيرًا. لفهم المثل" الأمثال:١١ ٤-٦ Proverbs، وضرب عيسى عليه السلام ليهود عصره الأمثال: "وابتدأ يقول للشعب هذا المثل: إنسان غرس كرما وسلمه إلى كرامين وسافر زمانا طويلا. وفي الوقت أرسل إلى الكرامين عبدا لكي يعطوه من ثمر الكرم فجلده الكرامون وأرسلوه فارغا. فعاد وأرسل عبدا آخر فجلدوا ذلك أيضا وأهانوه وأرسلوه فارغا. ثم عاد فأرسل ثالثا فجرحوا هذا أيضا وأخرجوه. فقال صاحب الكرم ماذا أفعل؟ أرسل ابني الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابون! فلما رآه الكرامون تآمروا فيما بينهم قائلين هذا هو الوارث هلموا نقتله لكي يصير لنا الميراث. فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فماذا يفعل بهم صاحب الكرم؟: يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويُعطي الكرم لآخرين، فلما سمعوا قالوا: حاشا!. فنظر إليهم وقال: إذًا ما هو هذا المكتوب؛ الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" إنجيل لوقا:٢٠ ٩-١٨ Luke.

وهل يليق اتهام المسيح عليه السلام بالشركة مع الله تعالى؛ وقد تَنَبَّأ بالنبي بعدهُ على درب التوحيد: "متى جاء المُعَزِّي.. رُوح الحق.. فهو يشهد لي" يوحنا:١٥ ٢٦John، وقال: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يُرْشِدُكُم إلى جميع الحق..؛ ذاك يُمَجِّدُنِي لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم" يوحنا:١٦ ١٣و١٤ John، وتُؤيده نبوءة مُعَاصِرُه ابن خالته يحيى (يوحنا المعمدان) الذي عَمَّدَه بنهر الأردن بِمَثَل آخر ضربه لهم: "الآن قد وُضِعَت الفأس على أصل الشجر؛ فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تُقطع وتُلْقَى في النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يَأْتِي بَعْدِي؛ هو أقوى مِنِّي؛ الذي لَسْتُ أهلاً أن أَحْمِلَ حِذَاءَهُ" متى:٣ ١٠و١١ Matthew، ولم يجد الرَّسُول عيسى عليه السلام إلا أن يُفَسِّر لهم النبوءة صَرِيحًا: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره؛ ومن سقط على هذا الحجر يَتَرَضَّض ومن سقط هو عليه يَسْحَقُه" متى:٢١ ٤٣و٤٤ Matthew، ولا يَبْعُد هَذَا عن قول العَلِي القَدِير: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

ومنذ أكثر من ألف سنة؛ كانت براعة قبائل العرب مُتمثلة في التجارة وأشعار الانتصار في الغزوات، ولم يكن لهم ولا للعبرانيين أدنى مَعْرِفَةً بسرعة الضوء البالغة ولا بمعايير حركة القمر؛ وهي أمور آتية، فالتحقق إذن من القياس مَرْهُون بعصر قادم يَتَّسِم بالعلم بخفايا التكوين؛ لبيان تقدير واحد شامل منذ نشأة الكون حتى نهايته، برهانًا مُدَّخَرًا لا يَعْقِلُهُ إلا العَالِمُون؛ يُعلن أن القرآن الكريم ليس بقول بشر، وإنَّمَا جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَهُ ومُكَمِّلاً ومُؤَيَّدًا بالدليل؛ ومُحَقِّقًا لوعد جَازِم: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إلَى الْأَرْضِ} مُدَّة الدُّنْيَا {ثُمَّ يَعْرُجُ} يَرْجِع الْأَمْر وَالتَّدْبِير {إلَيْهِ فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره أَلْف سَنَة مِمَّا تَعُدُّونَ} فِي الدُّنْيَا"[١١٧٦]، والمعنى إذن أن تدبير الله تعالى لأمر الدنيا لا ينقطع وأن المقدار في الدنيا".

وقال ابن جزي: "(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) أي واحد الأمور، وقيل: المأمور به من الطاعات، والأول أصح، (مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ) أي ينزل ما دبره وقضاه من السماء إلى الأرض، (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال ابن عباس: المعنى ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض، (ثم يعرج إليه) خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء، وقيل: إن الله يلقى إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر وهو يوم من أيام الله، فإذا فرغت ألقى إليهم مثلها، فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدّة، ثم تصير إليه آخرًا لأن عاقبة الأمور إليه، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه"[١١٧٧].

وقال الماوردي: "قوله تعالى: {يُدَبِّرُ الأَمْرَ} فيه وجهان؛ أحدهما: يقضي الأمر؛ قاله مجاهد، الثاني: ينزل الوحي؛ قاله السدي، {مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الأَرْضِ} قال السدي من سماء الدنيا إلى الأرض العليا، وفيه وجهان؛ أحدهما: يدبر الأمر في السماء وفي الأرض، الثاني: يدبره في السماء ثم ينزل به الملك إلى الأرض، وروى عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال: يدبر أمر الدنيا أربعة؛ جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأمَّا ميكائيل فموكل بالقطر والماء، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم، {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيهِ} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه جبريل يصعد إلى السماء بعد نزوله بالوحي؛ قاله يحيى بن سلام، الثاني: أنه الملك الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض؛ قاله النقاش، الثالث: أنها أخبار أهل الأرض تصعد إليه مع حملتها من الملائكة؛ قاله ابن شجرة، {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ممَّا تَعُدُّونَ} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه يقضي أمر كل شيء لألف سنة في يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته؛ فإذا مضت قضى لألف سنة أخرى، ثم كذلك أبداً؛ قاله مجاهد، الثاني: أن الملك ينزل ويصعد في يوم مسيرة ألف سنة؛ قاله ابن عباس والضحاك، الثالث: أن الملك ينزل ويصعد في يوم مقداره ألف سنة؛ فيكون مقدار نزوله خمسمائة سنة ومقدار صعوده خمسمائة سنة؛ قاله قتادة: فيكون بين السماء والأرض على قول ابن عباس والضحاك مسيرة ألف سنة، وعلى قول قتادة والسدي مسيرة خمسمائة سنة، {مِمَّا تَعُدُّونَ} أي تحسبون من أيام الدنيا، وهذا اليوم هو عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة من سني العالم؛ وليس بيوم يستوعب نهاراً بين ليلتين، لأنه ليس عند الله ليل استراحة ولا زمان تودع"[١١٧٨].

[١١٧٦] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٥٤٥).

[١١٧٧] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (٢\ ١٤١).

[١١٧٨] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٤\ ٣٥٣).

وفي تفسير مجمع البحوث: "لقد ضرب الله مثلا لأيامه بقوله سبحانه: {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}، وبقوله: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}، وذلك يقتضي أن أيام الله ليس لها حد معين، وأنها تكون في طولها وامتدادها حسب الأمر الذي تتصل به، وفي موضوع تكوين السموات والأرض؛ قد تكون الأيام أطول من هذين المثلين، وربما وصل اليوم فيها إلى ملايين السنين، وليس من الحكمة تحديد مدى أيام الله تعالى؛ فذلك شأنه تعالى، ولا سبيل لنا إلي علمه، وعلى هذا يكون معنى الجملة من الآية ما يلي: وهو الذي خلق السموات والأرض مادة وصورة، وهيأ لها كل ما خلقت لأجله من العناصر والوظائف والمواضع في هذا الفضاء الرهيب، ووصل بينها بالقوى التي تربط بعضها ببعض من غير عمد ترونها، وكان ذلك كله في ستة أيام من أيامه تعالى، حتى تمت على أجمل صورة وأكمل إبداع وأقوى بناء، فلا ترى فيها من عيب ولا فطور وشقوق، وصدق الله إذ يقول: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ}"[١١٧٩]، "{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}، المفردات: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} أي: قام وحده بتدبير سمواته وأرضه بعد خلقها، ولهذا قال بعد ذلك: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}، {مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ}: من ناصر ينصركم ولا وسيط يشفع لكم، {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}: يريده على وجه الإتقان ومراعاة الحكمة، والمراد به هنا: أمر الدنيا وشئونها، التفسير: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} الآية؛ لما ذكرت الآية السابقة الرسالة بعنوان الإنذار بينت هذه الآية ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد وإقامة الدليل، والمعنى: الله الذي جلت قدرته وتعاظم سلطانه خلق السموات، ورفعها بغير عمد ترونها وأحكم نظامها، وبسط الأرض وجعل فيها جبالا رواسي، وأجرى فيها أنهارًا، وأنبت بها زرعًا وأشجارًا، وخلق بينهما كائنات وأجرامًا لا يعلم كنهها ولا يحيط بحقائقها إلاَّ الله الواحد القهار، {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}: وذللهما وسيرهما على أبدع نظام وأدق إحكام لا يختل لهما مدار ولا يختلف لهما مسار، وخلص من هذا كله في ستة أيام من أيامه تعالى: {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}، ويقول في هذه السورة: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} وهي الآية التالية، {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}: ثم دبر ملكه بعد تمام خلقه، لم يعنه في ذلك أحد، ولم يحتج إلى نصير أو شريك، فقدّروا قدرته واشكروا نعمته، {مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ} ينصركم إذا جاوزتم طاعته ورضاه، وما لكم من وسيط يشفع لكم، ويدفع عنكم عذابه، أو يجيركم من بأسه. {أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} أي: أتسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها كفرًا وعنادًا؟ {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} أصل التدبير: النظر في دابر الأمر، والتفكير فيه ليجيء محمود العاقبة. وهو في حقه تعالى مجاز عن إرادة الشيء على وجه الإتقان والحكمة، والمعنى: يريد الله الأمر على وجه الحكمة والإتقان بأسباب تقتضيه، نازلة أحكمها وآثارها من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة"[١١٨٠].

وقال الألوسي: "(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) قيل: أي أمر الدنيا وشؤونها، وأصل التدبير النظر في دابر الأمر والتفكر فيه ليجيء محمود العاقبة وهو في حقه عزّ وجلّ مجاز عن إرادة الشيء على وجه الإتقان ومراعاة الحكمة، والفعل مضمن معنى الإنزال..، و(من) ابتدائية و(إلى) إنتهائية، أي يريده تعالى على وجه الإتقان ومراعاة الحكمة؛ منزلا له من السماء إلى الأرض، وإنزاله من السماء باعتبار أسبابه، فإن أسبابه سماوية من الملائكة عليهم السلام وغيرهم، (ثُمَّ يَعْرُجُ) أي يصعد ويرتفع ذلك الأمر بعد تدبيره إِلَيْهِ عزّ وجلّ، وهذا العروج مجاز عن ثبوته في علمه تعالى؛ أي تعلق علمه سبحانه به تعلقا تنجيزيا؛ بأن يعمله جلّ وعلا موجودا بالفعل، أو عن كتابته في صحف الملائكة عليهم السلام القائمين بأمره عزّ وجلّ موجودا كذلك، (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) أي في برهة متطاولة من الزمان؛ فليس المراد حقيقة العدد، وعبر عن المدة المُتطاولة بالألف لأنها منتهى المراتب وأقصى الغايات؛ وليس مرتبة فوقها إلا ما يتفرع منها من أعداد مراتبها، والفعلان متنازعان في الجار والمجرور، وقد أعمل الثاني منهما فيه، فتفيد الآية طول امتداد الزمان بين تعلق إرادته سبحانه بوجود الحوادث في أوقاتها متقنة مُراعي فيها الحكمة، وبين وجودها كذلك، وظاهرها يقتضي أن وجودها لا يتوقف على تعلق الإرادة مرة أخرى؛ بل يكفي فيه التعلق السابق وقيل: (فِي يَوْمٍ) متعلق بيعرج وليس الفعلان متنازعين فيه، والمراد بعروج الأمر إليه بعد تدبيره سبحانه إياه؛ وصول خبر وجوده بالفعل، كما دبر جل وعلا بواسطة الملك وعرضه ذلك في حضرة قد

[١١٧٩] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (٤ ١٦٥).

[١١٨٠] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (٨ ١١٤).

أعدها سبحانه للاختبار؛ بما هو جلّ جلاله أعلم به، إظهارًا لكمال عظمته تبارك وتعالى وعظيم سلطنته جلت سلطنته، وهذا كعرض الملائكة عليهم السلام أعمال العباد الوارد في الأخبار، وألف سنة على حقيقتها وهي مسافة ما بين الأرض ومحدب السماء الدنيا بالسير المعهود للبشر؛ فإن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام وثخن السماء كذلك كما جاء في الأخبار الصحيحة، والملك يقطع ذلك في زمان يسير فالكلام على التشبيه فكأنه قيل: يريد تعالى الأمر مُتقنا مُراعي فيه الحكمة بأسباب سماوية نازلة آثارها وأحكامها إلى الأرض، فيكون كما أراد سبحانه فيعرج ذلك الأمر مع الملك ويرتفع خبره إلى حضرته سبحانه في زمان هو كألف سنة مما تعدون، وقيل: العروج إليه تعالى صعود خبر الأمر مع الملك إليه عزّ وجلّ كما هو مروي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك، والفعلان متنازعان في (يَوْمٍ)، والمراد أنه زمان تدبير الأمر لو دبره البشر، وزمان العروج لو كان منهم أيضا؛ وإلا فزمان التدبير والعروج يسير، وقيل: المعنى يدبر أمر الدنيا بإظهاره في اللوح المحفوظ فينزل الملك الموكل به من السماء إلى الأرض ثم يرجع الملك أو الأمر مع الملك إليه تعالى في زمان؛ هو نظر للنزول والعروج كألف سنة مما تعدون، وأريد به مقدار ما بين الأرض ومقعر سماء الدنيا ذهابا وإيابا، والظاهر أن يُدَبِّرُ عليه مضمن معنى الإنزال، والجاران متعلقان به لا بفعل محذوف، أي فينزل به الملك من السماء إلى الأرض كما قيل، وزعم بعضهم أن ضمير إِلَيْهِ للسماء وهي قد تذكر كما في قوله تعالى: (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) المزمل:١٨، وقيل: المعنى يدبر سبحانه أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الرب جلّ شأنه؛ وهو ألف سنة كما قال سبحانه: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) الحج:٤٧، ثم يصير إليه تعالى ويثبت عنده عزّ وجلّ ويكتب في صحف ملائكته جلّ وعلا كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر، ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها، ثم يدبر أيضا ليوم آخر وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة، ويشير إلى هذا ما روي عن مجاهد قال: إنه تعالى يدبر ويلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من سنينا وهو اليوم عنده تعالى فإذا فرغت ألقي إليهم مثلها، وعليه الأمر بمعنى الشأن، والجاران متعلقان به أو بمحذوف حال منه، ولا تضمين في يُدَبِّرُ، والعروج إليه تعالى مجاز عن ثبوته وكتبه في صحف الملائكة، وأَلْفَ سَنَةٍ على ظاهره، وفِي يَوْمٍ يتعلق بالفعلين واعمل الثاني، كأنه قيل: يدبر الأمر ليوم مقداره كذا ثم يعرج إليه تعالى فيه كما تقول: قصدت ونظرت في الكتاب أي قصدت إلى الكتاب ونظرت فيه، ولا يمنع اختلاف الصلتين من التنازع، وتكرار التدبير إلى يوم القيامة يدل عليه العدول إلى المضارع؛ مع أن الأمر ماض، كأنه قيل: يجدد هذا الأمر مستمرًا، وقيل: المعنى يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة؛ ثم يعرج إليه تعالى ذلك الأمر كله أي يصير إليه سبحانه ليحكم فيه في يوم كان مقداره ألف سنة؛ وهو يوم القيامة، وعليه الأمر بمعنى الشأن، والجاران متعلقان به أو بمحذوف حال له كما في سابقه، والعروج إليه تعالى الصيرورة إليه سبحانه؛ لا ليثبت في صحف الملائكة بل ليحكم جلّ وعلا فيه، وفِي يَوْمٍ متعلق بالعروج ولا تنازع، والمراد بيوم مقداره كذا يوم القيامة، ولا ينافي هذا قوله تعالى: (كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) المعارج:٤، بناء على أحد الوجهين فيه لتفاوت الاستطالة على حسب الشدة، أو لأن ثم خمسين موطنًا كل موطن ألف سنة، وقيل: المعنى ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه تعالى ما كان من قبوله أو رده مع جبريل عليه السلام في يوم مقدار مسافة السير فيه ألف سنة؛ وهو ما بين السماء والأرض هبوطا وصعودا، فالأمر عليه مراد به الوحي كما في قوله تعالى: (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ) غافر:١٥، والعروج إليه تعالى عبارة عن خبر القبول والرد مع عروج جبريل عليه السلام، والتدبير والعروج في اليوم لكن على التوسع والتوزيع، فالفعلان متنازعان في الظرف؛ ولكن لا اختلاف في الصلة..، وقيل: المراد بالأمر المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحات، والمعنى ينزل سبحانه ذلك مدبرا من السماء إلى الأرض؛ ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه تعالى ذلك المأمور به خالصا يرتضيه إلا في مدة متطاولة لقلة الخلص من العباد، وعليه يُدَبِّرُ مضمن معنى الإنزال ومن وإلى متعلقان به، ومعنى العروج الصعود كما في قوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) فاطر:١٠، والغرض من الألف استطالة المدة، والمعنى استقلال عبادة الخلص واستطالة مدة ما بين التدبير والوقوع، وثُمَّ للاستبعاد، واستدل لهذا المعنى بقوله تعالى إثر ذلك: (قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ) الأعراف:١٠، المؤمنون:٧٨، السجدة:٩، لأن الكلام بعضه مربوط بالبعض وقلة الشكر مع وجود تلك الإنعامات دالة على الاستقلال المذكور، وقيل: المعنى يدبر أمور الشمس في طلوعها من المشرق وغروبها في المغرب ومدارها في العالم من السماء إلى الأرض وزمان طلوعها إلى أن تغرب وترجع إلى موضعها من الطلوع مقداره في المسافة ألف سنة وهي تقطع ذلك في يوم وليلة. هذا ما قالوه في الآية الكريمة في بيان المراد منها، ولا يخفى على ذي لب تكلف أكثر هذه الأقوال ومخالفته للظاهر جدا وهي بين يديك فاختر لنفسك ما يحلو، ويظهر لي أن المراد بالسماء جهة العلو مثلها في قوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) الملك:١٦، وبعروج الأمر إليه تعالى صعود خبره كما سمعت عن الجماعة، وفِي يَوْمٍ متعلق بالعروج بلا تنازع، وأقول: إن الآية من المتشابه وأعتقد أن الله تعالى يدبر أمور الدنيا وشؤونها ويريدها متقنة، وهو

سبحانه مستو على عرشه؛ وذلك هو التدبير من جهة العلو، ثم يصعد خبر ذلك مع الملك إليه عزّ وجلّ إظهارا لمزيد عظمته، جلت عظمته وعظيم سلطنته..، وكل ذلك بمعنى لائق به تعالى مجامع للتنزيه مُباين للتشبيه حسبما يقوله السلف في أمثاله، وقول بعضهم: العرش موضع التدبير وما دونه موضع التفصيل وما دون السماوات موضع التصريف؛ فيه رائحة ما مما ذكرنا، وأما تقدير يوم العروج هنا بألف سنة وفي آية أخرى بخمسين ألف سنة فقد كثر الكلام في توجيهه..، وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف، والحاكم وصححه عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: دخلت على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، فسأله عن قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) فكأن ابن عباس اتهمه، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال: إنما سألتك لتخبرني، فقال رضي الله تعالى عنه: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه الله تعالى أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم، فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست إلى ابن المسيب، فسأله عنهما إنسان؛ فلم يخبر ولم يدر، فقلت: ألا أخبرك بما سمعت من ابن عباس؟ قال: بلى؛ أخبرته، فقال للسائل: هذا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أبى أن يقول فيهما وهو أعلم مني..، وقوله تعالى: (مِمَّا تَعُدُّونَ) صفة أَلْفَ أو صفة سَنَةٍ"[١١٨١].

[١١٨١] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١١٨\١١).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astrophysics

الفيزياء الفلكية

المَوْضُوع Subject

Speed of light

سرعة الضوء

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٣٢السجدة:٤.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠.
- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٩التوبة:٣٦.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٠يونس:٥.
- ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ٢الْبَقَرَة:١٨٩.
- ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.
- ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٤٧محمد:١٨.
- ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ١٦النحل:١.
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٧.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ ١١هود:١٢٣.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ١٢يوسف:١٠٥.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٧.
- ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ٢البقرة:٢٠.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣.
- ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٠٤.

- **﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٣٩الزمر:٦٧.**

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾، ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Allah knows every predestined future event before it exists; from Whom is not hidden even the equivalent of an atom's weight, be it in the heavens or in the earth. Not even smaller than that or larger (is hidden from His absolute Knowledge)**; everything He decided to exist will certainly happen in his definite time; as if written in a perspicuous Book.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

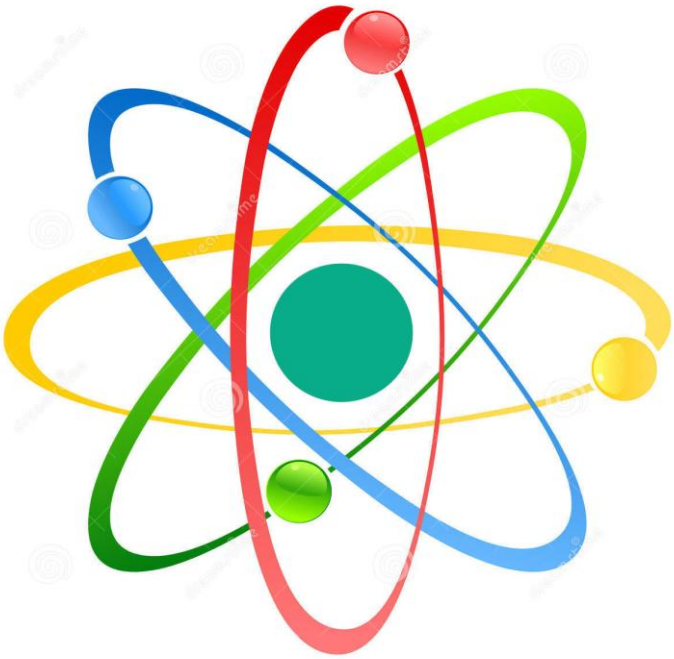

[١] تركيب الذرة

الذرة Atom؛ هي أصغر جزء أو أقل وحدة بناءٍ العنصر الكيميائي، والتي تُميزه عن بقية العناصر وتحتفظ بخصائصه الكيمائية، ويرجع أصل الكلمة الإنجليزية إلى الكلمة الإغريقية "أتوموس"؛ وتعني غير القابل للانقسام، إذ كان يُعتقد أنه ليس ثمة ما هو أصغر من الذرة، ولكن ثبت حديثًا وجود ما هو أصغر منها؛ حيث تتكون من سحابة من الشحنات السالبة (الإلكترونات) تدور حول نواة مُوجبة الشحنة صغيرة جدًا في المركز، وتتكون النواة من بروتونات موجبة الشحنة ونيوترونات مُتعادلة.

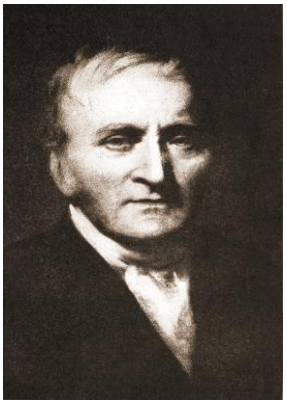

جون دالتون John Dalton
(١٧٦٦-١٨٤٤)

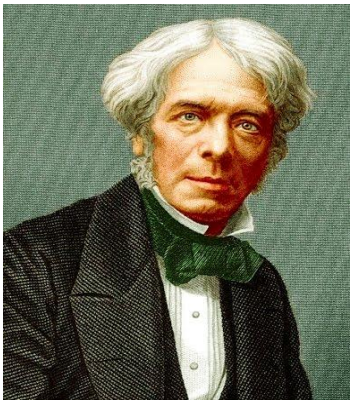

مايكل فراداي Michael Faraday
(١٧٩١-١٨٦٧)

جوزيف طومسون Joseph Thomson
(١٨٥٦-١٩٤٠)

في القرن التاسع عشر اعتقد جون دالتون John Dalton (١٧٦٦-١٨٤٤)؛ أن الذرة مُصمتة؛ ولا تقبل التجزئة، وتوصل مايكل فراداي Michael Faraday (١٧٩١-١٨٦٧) بتحليل بعض الأملاح إلى أن الذرات تحتوي على كهرباء، وفي ٣٠ أبريل عام ١٨٩٧؛ أدهش جوزيف طومسون Joseph Thomson (١٨٥٦-١٩٤٠) الأوساط العلمية بإعلانه أن الجُسيمات المُكونة لأشعة الكاثود هي أصغر حجماً بكثير من الذرات، وقد سُمى هذه الجسيمات بالإلكترونات، وأظهر اكتشاف الإلكترون أن المفهوم القديم عن الذرة، والذي ينطوي على أنها جسيم غير قابل للانقسام كان مفهوماً خاطئاً، وأدى إلى إثارة إشكال لدى الفيزيائيين، لأن الذرة مُتعادلة الشحنة؛ فأين الشحنة المُوجبة التي تُعادل شحنة الإلكترون السالبة؟.

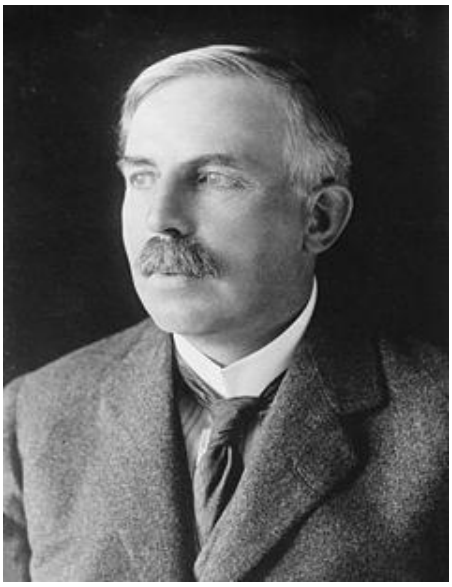

أرنست رذرفورد Ernest Rutherford
(١٨٧١-١٩٣٧)

وفي عام ١٩١١ افترض أرنست رذرفورد Ernest Rutherford (١٨٧١-١٩٣٧) النموذج النووي للذرة؛ مُعتبراً أن الذرة تتكون من كتلة صغيرة جداً وكثيفة جداً ذات شحنة مُوجبة تُسمى النواة؛ وتحتل مركز الذرة، وتحتوي نواة الذرة على جميع البروتونات، ولذا فان كتلة الذرة هي تعبير عن مجموع كتل البروتونات في نواتها؛ حيث أن قيمة كتل الإلكترونات صغيرة جداً، فهي قيم مهملة، كما أن شحنة النواة المُوجبة ترجع إلى تمركز البروتونات الموجبة بها، وتتوزع الإلكترونات في الذرة حول النواة بنفس الطريقة التي تتوزع بها الأجرام السماوية حول الشمس، وبما أن الذرة مُتعادلة كهربيًّا؛ لذا فعدد الإليكترونات السيارة يساوي عدد البروتونات بالنواة،

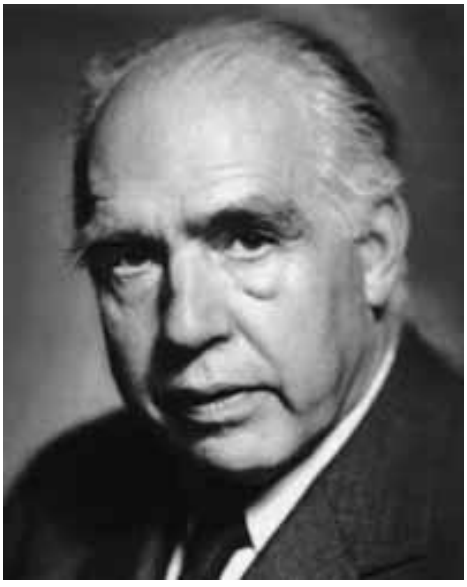

نيلز بور Niels Bohr
(١٨٨٥-١٩٦٢)

وفي عام ١٩١٣ اقترح نيلز بور Niels Bohr (١٨٨٥-١٩٦٢) أن الإلكترونات تدور حول النواة في مُستويات طاقة مُساوية لطاقة كل إلكترون في كل مستوى، فعند إعطاء الإلكترون كمية من الطاقة كالتسخين مثلاً؛ يكتسب الإلكترون طاقة إضافية وينتقل من مستوى طاقته إلى مستوى طاقة أكبر، ويكون الفرق بين طاقتي المستويين مُساوي للطاقة التي اكتسبها الإلكترون، وبعد مرور فترة زمنية مُتناهية في الصغر تقدر بجزء من مائة مليون جزء من الثانية؛ يفقد الإلكترون طاقته المُكتسبة على شكل إشعاع ضوئي، وقد سمى انتقاله إلى مستوى الطاقة الأقل بقفزة الكم للإلكترون، ولقد ساعد نموذج بور للذرة على تفسير الكيفية التي تتفاعل بها الذرات مع الضوء.

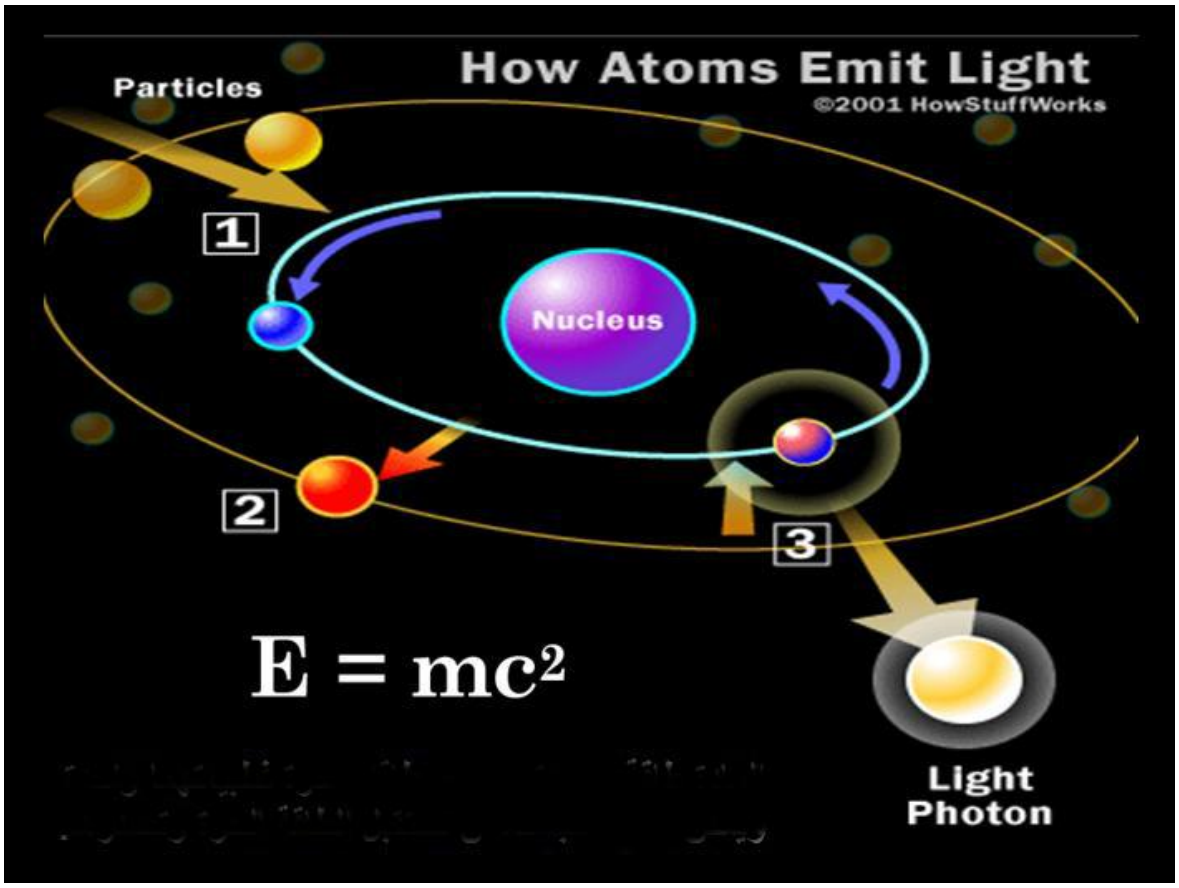

الذرة طاقة مُجمدة والقوى طاقات حرة؛ فطبيعتهما واحدة؛ ويُمكنها استقبال الطاقة لترفع مستوى الإلكترون، ثم تصدرها بهيئة ضوء، ويعود الإلكترون لمستواه الأول.

إرفين شرودنجر Erwin Schrödinger
(١٩٦١-١٨٨٧)

وفي عام ١٩٢٦م اقترح إرفين شرودنجر Erwin Schrödinger (١٩٦١-١٨٨٧) أن حركة الإلكترون البالغة السرعة حول النواة أشبه ما تكون بغيمة مشحونة أو مجال كهربي أكثر من كونه جسيم صلب؛ يُمكن تحديد موضعه، للذرة إذن أجزاء أصغر ونُعاين المواد جامدة ذات حيز نتيجة للحركة العاجلة؛ وكأن أصل كل شيء الاهتزاز والعجل في الخلاء.

وكلما غُصنا أكثر في المادة لنُلاقي الكيانات المادية الأصغر؛ لن يعود هناك فارق بين الوحدات الأساسية لبناء ذرة عنصر وآخر، فلا فرق بين بروتون في ذرة حديد وبروتون في ذرة نُحاس، والبروتونات والنيوترونات والإلكترونات هي نفس المُكونات الأساسية لجميع ذرات العناصر وكل الكواكب والنجوم والمجرات، وترجع الخصائص الكيمائية للذرة إلى عدد ما تحمله من جُسيمات أساسية والذي يُحدد وزنها الذري، فهي التي تصنع الفروق بين العناصر المُختلفة وبين الصُّور المُختلفة للعنصر نفسه؛ والتي تُسمى النظائر Isotopes، ولكن الجُسيمات الأساسية للذرة ليست نهاية المطاف في الضآلة؛ فكل كيان مادي دون الذرة يوجد ما هو أقل منه في تسلسل ينتهي إلى لبنة أولية واحدة مُهتزة بأقصى سرعة مُقدرة، فليس ثمة ما يُميزها سوى الحركة في عجل؛ هو أساس خلق الإنسان وجميع القُوى والمواد، تلك آخر صيحة في الفيزياء؛ توحيد كل شيء في البنية والأصل عند نشأة الكون في لبنة واحدة، هي أساس البناء كله[١١٨٢].

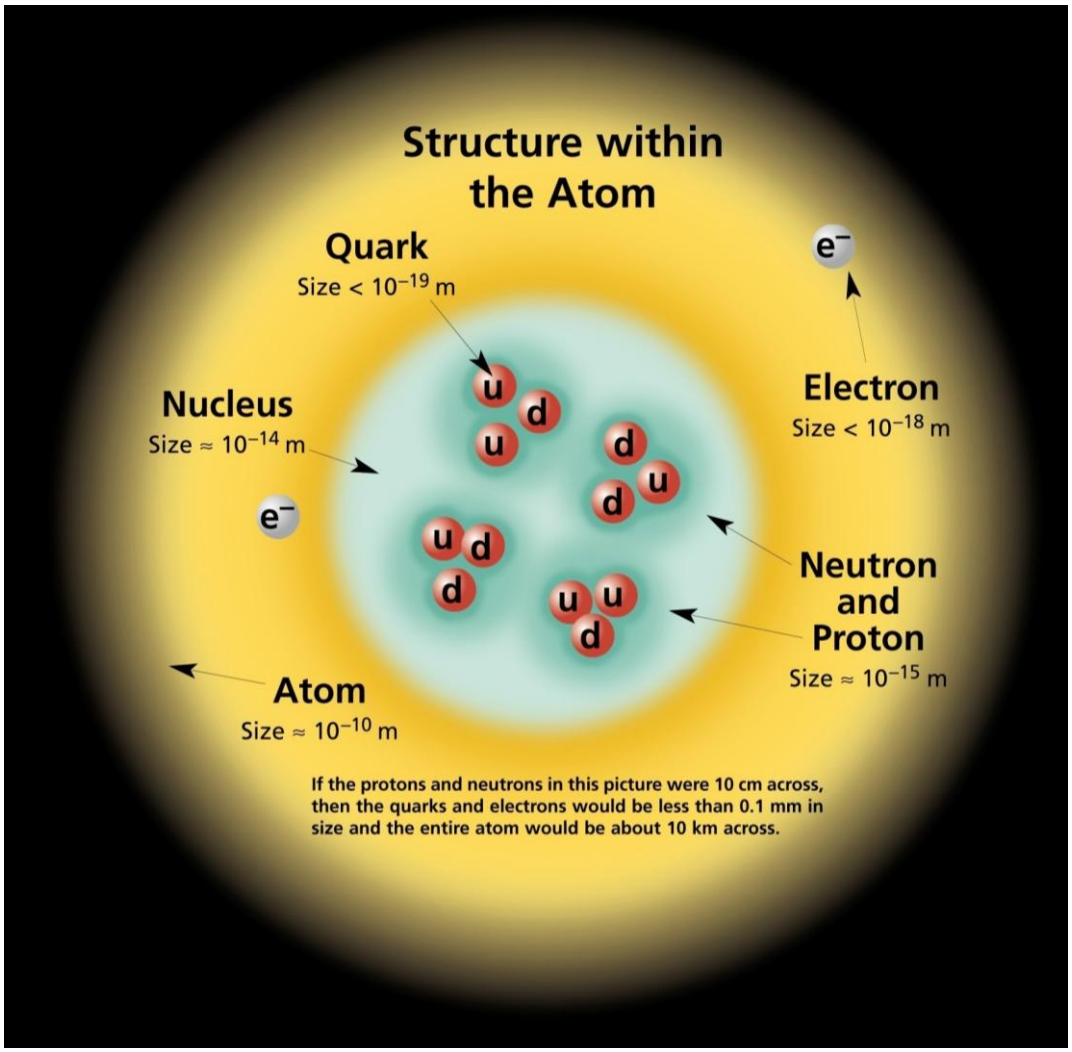

والذرة إذن أقل كيان يحفظ للمادة خصائصها الكيماوية؛ لكنها ليست نهاية المطاف في الضآلة، حيث تتركب من مُكونات داخلية أصغر منها؛ أعطيت أسماء للتمييز، وتتوحد فيها الخصائص العامة لما نُسميه مادة ذات حيز، ويتكون كل من البروتون والنيوترون كيانات أصغر من المادة؛ عبارة عن سفاسف وهُشاشات تُسمى كواركات Quarks، ولو افترضنا أن حيز الذرة بطول: ١٠ كم؛ فسيحتل كل من البروتون أو النيترون حيز بطول: ١٠ سم، وسيحتل كل من الإلكترون والكوارك حيز بطول حوالي: ٠,١ مم، ولكن الواقع أن حيز الذرة حوالي: ١٠قوة-١٠ متر، بينما تحتل النواة حيز بطول حوالي: ١٠قوة-١٤ متر، ويحتل كل من البروتون والنيوترون حيز حوالي: ١٠قوة-١٥ متر، أما الإلكترون فيحتل حيز بطول حوالي: ١٠قوة-١٨ متر، ويحتل الكوارك حيز حوالي: ١٠قوة-١٩ متر، وباقي الذرة كله فضاء.

[١١٨٢] Wikipedia International Encyclopedia

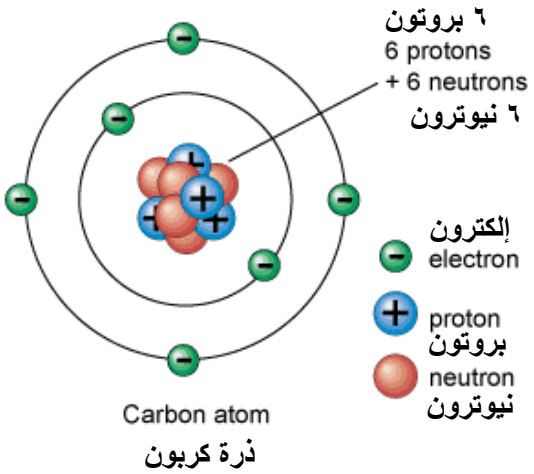

وإذن أقل وحدة للمادة فيزيائيًّا هو ذرة العناصر مُتناهية الثقل، وربما لم يعرف العرب سوى النمْلة او الهَبَاء تعريفا للذرة، ولكن القرائن تُرجح استخدام لفظ (ذرة) في القرآن الكريم بالمعنى الفيزيائي في مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ ٣٤سبأ:٢٢، فليس معهودًا وجود نملة في السماء؛ بينما تُوجد ذرة العناصر في الأرض والسماء، فهي وحدة بناء النُّجُوم والمجرات، والسياق ينفي أن يكون لهم أقل القليل من الشراكة في الخلق والتدبير بالكون؛ وذرة العناصر أقل بما لا يُقارن بنملة، والأنسب للسياق إذن في التمثيل بأقل القليل هو ذرة العناصر؛ ولا تليق النملة الأضخم كثيرًا لنفي الشراكة مع القدير.

حبة الخردل ضئيلة الحجم والثقل؛ لا يكاد يشعر الإنسان أن لها ثقل.

وفي سياق غاية القلة؛ شُبِّهَت أقل المادة بحبة خردل مُتناهية الثقل عِوَضًا عن الذرة بيانًا لعدل الله تعالى وواسع علمه وقدرته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ النساء: ٤٠،: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٤٧، ولكن الذرة اختصت دون حبة الخردل بوجود ما هو أصغر منها: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يونس:٦١، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣.

وكأن حبة الخردل البالغة الضآلة المُتناهية الثقل؛ هي أقرب مثال في بيئة العرب زمن التنزيل للذَّرَّة الخفية عن الأنظار، وجزيئات المواد هي الأكبر في إطار الذرة وفق تعريف الفيزياء؛ والتعبير: ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ تمثيل لبيان سبق التقدير والعلم بالشيء قبل تحققه في الواقع: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ الكهف: ١٠٩، ومثله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ٣١لقمان:٢٧، وهكذا يَتَّضِح أن التعبير بالتمثيل من بيئة العرب زمن التنزيل أسلوب مُفَضَّل؛ حتى إذا بلغه العَالِمُون بخفايا التكوين؛ عرفوا معناه وأدركوا مغزاه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت: ٤٣.

وضَرْبُ المثل بالذَّرَّة في القِلَّة والتصريح بوجود كيانات مادية أصغر منها؛ يتفق مع اكتشاف جسيمات تتألف منها الذرة، ويَتَضَمَّن لفظ ﴿أَصْغَرَ﴾ التَّدَرُّج في الصِّغَر؛ فلكل أصغر كيان أصغر منه، ونهاية المطاف إذن لبنة واحدة هي أساس الكون كله، وانتهت الفيزياء إلى أن نشأة الكون بحالة تَوَحُّد من مادة بناء أساسية واحدة Essential Building Matter؛ لبنتها واحدة في حالة أحدية وتفرد Singularity؛ تُعْلِن للفطين بأن القدير واحد أحد فرد صمد؛ لا مثيل لحكمته ولا نظير لقدرته.

ما أشبه التمرة بالذرة في وجود النواة، وبها تكوينات متدرجة الضآلة؛ هي الغشاء الرقيق حول النواة (القطمير)، ثم فتلة صغيرة في شق النواة (الفتيل)؛ وأخيرًا نقرة متناهية الضآلة واحدة تنشأ منها نخلة (النقير)، وبالمثل بالذرة جسيمات متدرجة الضآلة؛ آخرها لبنة واحدة متناهية الضآلة نشأ منها الكون.

وفي سياق بيان أقل كيان مَادِّي؛ ضُرِبَ المَثَل في القرآن الكريم بأقل من تمرة؛ بخلاف التمثيل بحبة الخردل أقل الحبوب المعروفة للعرب كمثال للذرة، وكأن أجزاء التمرة مثال لأجزاء الذرة: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ فاطر: ١٣؛ وهو غشاء رقيق يحيط بنواة التمرة، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء: ٧٧، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء: ٤٩؛ والإسراء: ٧١؛ والفتيل فتيلة بشق النواة أكثر ضآلة لأنه جزء من الغشاء، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء: ١٢٤، ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ النساء: ٥٣؛ وهو نقرة مُتناهية الضآلة بالكاد تراها العين في ظهر النواة مُقابل الشق، لكنها الأساس الذي تنشأ منه نخلة كاملة، والتمثيل بالتمرة ذات النواة يُناظر اكتشاف نواة للذرة بالمِثل، والتمثيل بأجزاء من التمرة بدون لفظ: (مثقال)؛ يتفق مع وجود أجزاء بالذرة لا يُدْرَكُ لها ثقل.

قال الخفاجي: "الفتيل مَثَلٌ يُضرب للحقارة؛ كالنقير للنقرة التي في ظهر النواة، والقطمير وهو قشرة النواة الرقيقة"، وقال القرطبي: "كِنَايَةٌ عَنْ تَحْقِيرِ الشَّيْءِ وَتَصْغِيرِهِ.. وَمِثْلُ هَذَا.. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء: ١٢٤، وَهُوَ النُّكْتَةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ؛ وَمِنْهُ تَنْبُتُ النَّخْلَةُ"، وقال ابن عطية: "لا شيء دُونَه في الصِّغَر"، والتمثيل بأجزاء تتدرج في الصِّغَر من تمرة إلى نقرة واحدة بالغة الضآلة، لكنها أساس تكوين نخلة كاملة؛ يتفق مع اكتشاف فصائل من جسيمات دون الذرة مُتَدَرِّجَةٌ في الصِّغَر تنتهي إلى لبنة واحدة عديمة الكتلة وبالغة الضآلة لا شيء دُونَها في الصِّغَر، ولكنها أساس الكون كله.

[٢] وحدة التقدير برهان وحدانية القدير

في سياق بيان تقدير كل شيء؛ يقول العلي القدير: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠، وجاءت الكلمة المُفردة (أَمْرُنَا) نظير (كُلَّ شَيْءٍ) فأفادت أن الأصل وأساس بنية كل شيء أمر واحد، يُقابله في الفيزياء: مادة أولية خام كانت تُسمى الهيولي، صنع منها القدير كل شيء؛ كالقطن تُصنع منه شتى الملابس، واللمح: وميض ضوء بالكاد تلمحه العين لسرعته، قال ابن فارس: "اللمح أصل يدل على لمع شيء"[١١٨٣]، وقال ابن سيده: "لَمَعَ الشيءُ: أَضَاء"[١١٨٤]، وفي بيان وجه التشبيه بومضة الضوء؛ قال الألوسي: "الغرض من التشبيه بيان سرعته"[١١٨٥]، وقال أبو حيان: "لَمَّا كَانَ أَسْرَعُ الْأَحْوَالِ وَالْحَوَادِثِ فِي عُقُولِنَا هُوَ لَمْحُ الْبَصَرِ نَكَرَهُ.. بِكَوْنِهِ مِثْلَ لَمْحِ الْبَصَرِ فِي السُّرْعَةِ"[١١٨٦]، "تَشْبِيهٌ بِأَعْجَلِ مَا يُحَسُّ"[١١٨٧]، وقال الرازي: "اللَّمْحُ بِالْبَصَرِ مَعْنَاهُ (ضوء) الْبَرْقُ يَخْطَفُ بِالْبَصَرِ وَيَمُرُّ بِهِ.. وَذَلِكَ فِي غَايَةِ السُّرْعَةِ..؛ (بل) ونهاية السرعة"[١١٨٨]، وسرعة الأمر إذن كسرعة الضوء، قال الجزائري: "قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}؛ يُخبر تعالى.. عن علمه.. بسرعة كسرعة لمح البصر"[١١٨٩]، والتعبير عن كل شيء بلفظ مُفرد (الأمر) يوافق أن الأصل عند خلق الكون مادة أساسية واحدة؛ تنويهًا بالأمر بكلمة (كُن)، والمُوجه للغير موجود كأنه موجود؛ بيانًا تصويريًّا للمشيئة العلية النافذة والقدرة المُطلقة المُبدعة.

[١١٨٣] أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٥\ ٢٠٩).

[١١٨٤] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (٤\ ٣٨٤).

[١١٨٥] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧\ ٤٣٥).

[١١٨٦] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٦\ ٥٧٣).

[١١٨٧] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٠\ ٤٩).

[١١٨٨] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٩\ ٣٣٠).

[١١٨٩] جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (٥\ ٢١٩).

ولفظ (الْأَمْرَ) في مثل قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ السجدة: ٥، وقع مفعولاً به، يعني ما أمر الله تعالى به؛ وهو المأمور الذي كان عن أمره تعالى، أي ما أوجده ابتداء بقوله: (كُن)؛ أي أصل المادة والعُنصر الأول لها، قال الألوسي: "الأمر راجع إلى المُراد لا إلى الإرادة.. (أي) الأشياء المُرادة المُكونة"[١١٩٠]، يعني كما قال ابن تيميه: "مادة العالم وهيولاه المُتميزة عن صورته..؛ فإن هذه الصورة المُحدثة من الحيوانات والنبات والمعادن ليست قديمة باتفاق جميع العقلاء"[١١٩١]، "وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقا لقوله (هذا خلق الله).. ولهذا يسمى المأمور به أمرا"[١١٩٢]، "والأمر الكوني كقوله..: (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر).. فهذا أمر تقدير كوني؛ لا أمر ديني شرعي"[١١٩٣]، "ولفظ الأمر يُراد به.. المفعول.. كما قال تعالى: (أتى أمر الله).. فهنا المراد به المأمور به؛ وليس المُراد به أمره الذي هو كلامه"[١١٩٤]، "و.. عن عمران بن حصين أن أهل اليمن سألوا النبي (عليه الصلاة والسلام) عن أول هذا الأمر.. فقال (كان الله ولم يكن شيء غيره)"[١١٩٥]، وقولهم (جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر) كان مُرادهم خلق هذا العالم.. فهذا الأمر إشارة إلى حاضر موجود..؛ وهو المأمور الذي كونه الله بأمره، وهذا مُرادهم"[١١٩٦]، "(و) ألفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول؛ فيسمى المأمور به أمرا... والمخلوق بالكلمة كلمة، فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمُراد به أنه خُلِقَ بكلمة.. كن..؛ وإلا فعيسى عليه السلام بشر..، وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه أمر الله؛ فالمراد أن الله كونه بأمره"[١١٩٧]، "وهذا قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها"[١١٩٨]، "وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر"[١١٩٩].

[١١٩٠] روح المعاني ج١٤ص١٤٤.
[١١٩١] الفتاوى لابن تيمية ج٢ص١٤٤.
[١١٩٢] دقائق التفسير ج١ص٣٢٥.
[١١٩٣] شفاء العليل ج١ص٢٨١.
[١١٩٤] الفتاوى ج٨ص٤١٢.
[١١٩٥] بيان تلبيس الجهمية ج١ص١٥٢.
[١١٩٦] الفتاوى ج١٨ص٢١٥.
[١١٩٧] الفتاوى ج١٧ص٢٨٣.
[١١٩٨] الفتاوى ج٤ص٢٢٧.
[١١٩٩] شفاء العليل ج١ص٢٨٠.

[٣] تاريخ مجيد على درب التوحيد

حقق العلم قفزات هائلة لمعرفة طبيعة الكون وتطوره؛ فانتهى إلى التوحيد في البنية والنظام، في عام ١٦٧٦ نجح أولاس رومر Olas Roemer من تقديم أول دليل على أن سرعة الضوء محدودة غير لحظية وإن كانت هائلة، وفي عام ١٦٨٧ توصل إسحاق نيوتن Isaac Newton إلى قوانين حركة الأجسام ومفهوم الجاذبية كقوة واحدة تفسر سقوط تفاحة تجذبها الأرض كما تفسر جذب القمر نحوها فتمنع قوة الطرد المركزي سقوطه لِتَزَايِد سرعته كلما اقترب، وكأن الجاذبية تدفعه للحركة كسقطات متوالية، وبالمثل يجب أن تكون كل الأجرام السماوية حيث يتبع التابع الجسم المركزي ذي الكتلة الأكبر على بعد يحدده قانون الجاذبية؛ وبهذا توحدت الأرض والسماء وتأسست الفيزياء الكلاسيكية.

وفي عام ١٩٠٠ توصل ماكس بلانك Max Planck إلى أن الموجات تصدر عن الذرة بهيئة كميات متساوية متقطعة أجزاء متعاقبة سميت كمات Quanta؛ وسمى أقل مقدار للكم من الطاقة بثابت بلانك Planck Constant، وسمى أقل مسافة للكم الضوئي أي الذي تقطعه وحدة الضوء الفوتون Photon بمسافة بلانك Planck Distance؛ ومقدارها بالتقريب: ١٠ قوة-٣٨ كم، والزمن الذي لا يوجد أقل منه ويستغرقه الفوتون لينتقل بسرعة الضوء مسافة تعادل مسافة بلانك يُسمى بزمن بلانك Planck Time؛ وقيمته بالتقريب: ١٠ قوة-٤٣ ثانية، وتوصل بلانك كذلك إلى أن الموجات الكهربائية ما هي إلا وجه للمغناطيسية؛ فوحدهما معا تحت مُسمى الموجات الكهرومغناطيسية.

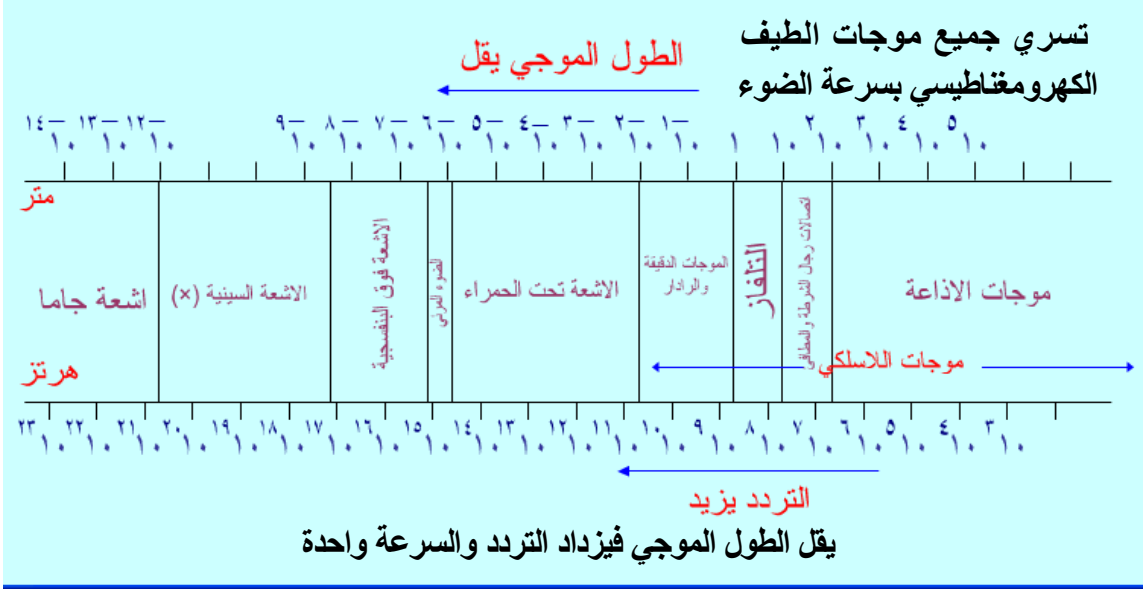

وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein مفاهيم النسبية الخاصة نافيًا وجود سكون في الكون لتنسب إليه حركة جسم فالكل يتحرك؛ لذا تُنسب حركة الجسم لآخر متحرك، إذن حركة كل الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المُطلقة Absolute فسُميت الثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، لأنها ثابتة مهما تحرك أي مراقب أو سكن، وهي سرعة الطيف الكهرومغناطيسي كله ويجب أن تكون سرعة أمواج الجاذبية كذلك، وكلما تزايدت سرعة جسم ذو كتلة لتقترب من سرعة الضوء تزايدت الكتلة وتضاءل طوله وقل الزمن، ومع بلوغ سرعته قيمة سرعة الضوء تُصبح الكتلة لا نهائية ويتلاشى الطول ويتوقف الزمن؛ لذا لا يبلغها سوى جسيم بلا كتلة، والموجة تنتقل عبر الفضاء بسرعة غير لحظية لا تتجاوز سرعة الضوء؛ وإذا اختفت الشمس كافتراض فجأة فلن نشعر في الأرض بالأثر لحظيًّا وإنما بعد دقائق بسبب سرعة الانتقال المحدودة، والعلاقة بين الكتلة وحركة جسيم بسرعة الضوء (c) ليتلاشى ويتحول إلى طاقة حرة لعلها قد استوحت فكرة أن الكتلة Mass (M) ما هي إلا طاقة Energy (E) مُكَدَّسَة مُجَسَّدَة، فأمكن التوصل إلى أنه يُمكن تحويل كتلة جسم M إلى طاقة E والعكس وفق علاقة ثابتة ($E = Mc^2$).

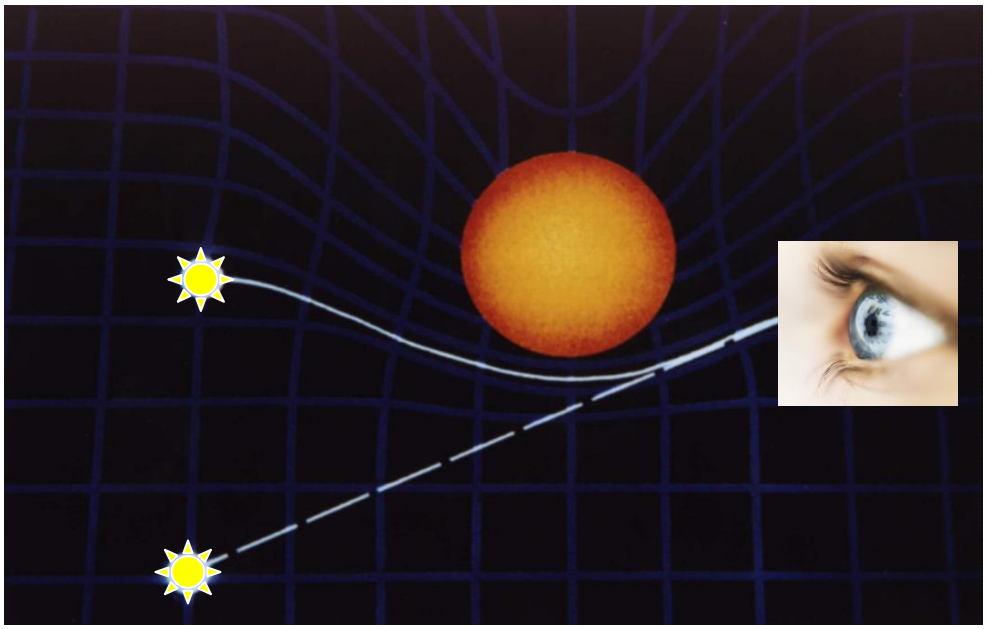

وفي عام ١٩١٥ نشر ألبرت أينشتاين نظرية النسبية العامة General Relativity؛ وطرح فيها فكرته الجريئة بإضافة الزمان كبعد رابع إلى أبعاد المكان (الطول والعرض والارتفاع)؛ لجعل طبيعة الفضاء نسيج زمكاني أشبه بشبكة الصيادين، فالمكان والزمان مرتبطان وكليهما نسبيان فضمهما أينشتاين معا بمصطلح الزمكان Space-Time تعبيرًا عن الفضاء؛ ويُحْدِث فيه كل جرم تقعرًا حسب ثقله، فالتقعر الذي تُحدثه الشمس في النسيج الكوني المَرِن أكبر من التقعر الذي تحدثه الأرض؛ فيؤدي لدورانها حول الشمس في أطراف التقعر الكبير الذي أحدثته على النسيج، فالنسيج الكوني المُنحني يفرض على الأرض بسبب الشمس أن تسير وفق ذلك الميلان فتبدو أنها مشدودة للشمس بقوة الجاذبية، والأرض إذن لا تدور حول الشمس لأنها تطلق قوة لتمسك بها؛ بل لأنها تسير في منحنيات النسيج الكوني، والفضاء المنحني Curved Space يُجْبِر مَسَار ضوء نجم يمر بجوار كتلة كبيرة كالشمس أن ينحني؛ وتحققت النبوءة برصد تقارب البُعد بين نجمين عند الكسوف لانحناء الضوء نحو الشمس، هذه المفاهيم هي أساس الفيزياء الحديثة.

وفي عام ١٩١٦ قدم كارل شوارتزشيلد Karl Schwarzschild فكرة الثقوب السوداء Black Holes استنادًا على مفهوم نسيج الفضاء الكوني الذي ينحني تحت تأثير الكتلة، فاقترح أن كتلة كبيرة ككتلة نجم ضخم إذا تكاثفت في مكان صغير فإنها ستحني النسيج الكوني لدرجة لا تسمح لشيء بالهروب من جذبه ولا حتى الضوء، وبقي الاعتقاد أنها مجرد نظرية؛ إلى أن تم رصد مادة متوهجة كأنها تُبتلع حول مناطق غير مرئية كمركز مجرتنا، فكسبت فكرة الكون المنحني مزيدًا من التأييد؛ وأعطت إيحاءً باحتمال أن الكون كان بالمثل في حيز ضئيل وتمدد.

وفي عام ١٩٢٢ اقترح ألكسندر فريدمان Alexander Friedmann فرضية تمدد الكون استنادًا لطبيعة النسيج الكوني وفق مفهوم النسبية العامة، وفي عام ١٩٢٧ أعطى جورج لومتر Georges Lemaître فرضية امتداد الكون من نقطة أولية كثيفة اسم: "افتراض الذرة الأولية"، وفي نفس العام أطلق عليها فريد هويل Fred Hoyle ساخراً في برنامج إذاعي في محطة B.B.C. الاسم الذي شاع لاحقًا: الانفجار الكبير Big Bang؛ لأنه كان يرفض أن للكون بداية، وقدم عام ١٩٤٩ مع توماس غولد وهيرمانبوندي نظرية الكون الأبدي أو الحالة الدائمة Steady State theory.

وفي عام ١٩٢٩ اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble أن المجرات البعيدة في طيف الضوء القادم منها منزاحة نحو الجانب الأحمر مما يعني أنها في ابتعاد تتناسب سرعته مع البعد وفق ثابت سمي بثابت هابل؛ كحالة صفير قطار تتضاغط الموجات بقدومه فيصبح حادًّا وتتخلخل مع ابتعاده وتسمى ظاهرة دوبلر Doppler phenomenon، فاستُنتج أن الكون قبل تمدده كان في الماضي منحصرًا في نقطة ضئيلة كثيفة يعكس شدة حرارتها إشعاع مميز؛ رصده أرنو بنزياس وروبرت ويلسون عام ١٩٦٤ من كل جهة فسمي الخلفية الإشعاعية Background Radiation، وتأكد أن للكون بداية وعمر محدود، وصحة التوسع والانتفاخ Inflation كالبالون؛ وإن شاع باسم الانفجار الكبير.

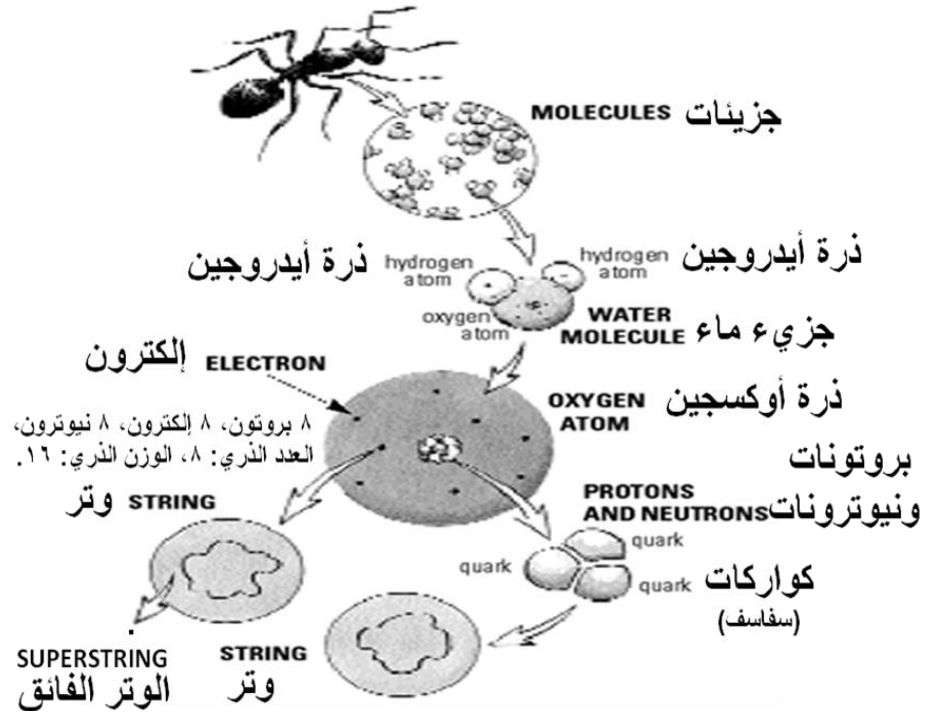

وفي عام ١٩٦١ اقترح موري غيل وكازوهيكو نيشيجيما أن النيوترونات والبروتونات الجسيمان الرئيسيان في نواة الذرة ليسا أقل شيء لا ينقسم؛ وإنما مصنوعان من لبنات سميت كواركات Quarks؛ أي سفاسف وهشاشات، وإذا ذهبنا بالمثل في أعماق الكوارك باتجاه الضآلة سنجد ما هو أقل منه، أي نتفه أو ندفة واحدة مهتزة من الطاقة بمقاييس بلانك في ضآلة الطاقة وزمن الاهتزاز والطول؛ أشبه بخيط أو بالأحرى وتر موسيقي متناهي الضآلة يهتز، وهكذا ظهرت الفكرة بأن بنية كل شيء أوتار تهتز؛ وأن منها ما يتشكل حلقات مُترابطة كنسيج القمصان المعدنية، وعلى هذا فدلالة كلمة الحبك على النسيج في وصف الكون لا تختص بالمستوى الكبير فحسب وإنما بنية جميع الذرات.

وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي طَوَّرَ جون شوارتز ومايكل غرين نظرية الأوتار Strings Theory، وفي خطوة أخرى نحو التوحيد Unification؛ قام إدوارد ويتن Edward witten في أواسط الثمانينات بتعديلها وأطلق عليها اسم نظرية الأوتار الفائقة M-Theory، وهي تجمع بين مجال ميكانيكا الكم في مجال الذرة والنسبية في المجال الكبير؛ وتُوَحِّد بين القُوَى والمواد وتصف المادة على أنها حالات اهتزاز متباينة لوتر أساسي واحد؛ كما يُعطي وتر الكمان أنغام متباينة باختلاف طوله، أي أن كل ما في هذا الكون من مادة أو طاقة أو شحنات هو في الواقع أوتار لكنها مهتزة بطرق مختلفة؛ وكأن الكون عبارة عن أنشودة مُتقنة مُوحدة الإيقاع وباختلاف اهتزاز الأوتار ينشأ تنويع لا يُعرف حَدُّه من بديع الكلمات، فتهافت الفيزيائيون عليها وسُميت نظرية كل شيء Theory of Everything، وكل تلك التسميات محاولات ضمن النموذج القياسي Standard Model المُستقر منذ عام ١٩٧٠ لفهم طبيعة الكون؛ والقائم على أن للكون بداية محددة في ظروف حرارة شديدة بردت مع التوسع فنشأت تنويعات الذرات وطبقات الأجرام.

ووفق النموذج القياسي تتكون المادة من كواركات هي لبنات البروتونات والنيترونات؛ في حين أن عائلة الليبتونات تضم مع الإلكترونات ما يُعرف باسم الإلكترون نيوترينو Electron Neutrino، وهو جسيم أولي لا يملك شحنة وكان قد افترض وجوده فولفغانغ باولي عام ١٩٣٠؛ واكتشفه فريق بقيادة فريدرك راينس وكلايد كوان عام ١٩٥٦، أما القوى الأربعة فهي الجاذبية Gravity والكهرومغناطيسية Electro-Magnetism والقوة النووية القوية Strong Force التي تقوم بضم مكونات نواة الذرة ومنعها من التبعثر بمعادلة أثر تنافر البروتونات الموجبة الشحنة، والقوة النووية الضعيفة Weak Force التي تقوم بكبح جماح أنوية الذرات الثقيلة المُشعة من الانشطار الذاتي فجأة.

وهكذا انتهت ملحمة الفيزياء إلى توحيد كل شيء في البنية والنظام من أصغر لبنة في الذرة إلى اللبنات العظام التي شيدت الكون؛ من المجموعة الشمسية إلى آخر أفق الكوازارات، فما نُسميه فضاء هو مجالات مادية طرائق صنعتها حولها كتل الأجرام الكونية، والفضاء إذن ليس فراغًا، وبنية الكون معارج تتموج وتتقوس وتنحني، وحتى الجسيمات دون الذرة تسبح كذلك في فضاء مادي كالسمكة تسبح في الماء، وكأن الكون كله خشبة مسرح تَعْرِض للفطين ملحمة الخلق المَحْبُوك بإتقان ونظام مقصود بلا عشوائية ولا مجال لمصادفة؛ لعله يدرك المغزى.

ولكن هويل نسب الحكمة والذكاء للنسيج وتجاهل من حاكه في كتابه: الكون الذكي The Intelligent Universe، وتبعه هاوكنج في كتابه: التصميم العظيم The Grand Design بقوله: لا دليل؛ وكأن الكون المهيب والتصميم الرائع ليس بدليل؛ وما هو إلا انتحار في مواجهة التيار الجارف للعلم نحو التوحيد؛ وبداية تجعل الكون عارض وعمره محدود، وخالف هويل نفسه في مقالة عام ١٩٨١ بقوله: "أن احتمال ظهور أشكال الحياة صدفة يُقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة؛ بتجميع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، وبالمثل خالف هاوكنج نفسه في كتابه: تاريخ موجز للزمن Brief History of Time؛ بقوله: "طالما أن للكون ابتداء؛ فحتمًا له خالق"[١٢٠٠]، ووفق الموسوعة البريطانية فإن اختيار كل الأحماض الأمينية Amino Acids التي هي أساس تكوين البروتينات؛ لتكون عسراء الاتجاه صدفة بلا تدخل مقصود لإرادة مُوَجِّهَة؛ أشبه بقذف عملة معدنية في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على نفس الوجه!، ونشأة خلية حية واحدة إذن من ذاتها يُعد احتمالا مُستحيلا؛ مثل احتمال قيام قرد بكتابة تاريخ البشرية كله على آلة كاتبة بلا أخطاء.

ومن البديهي أن النظام Order لا تَصْنَعُهُ فوضى Chaos والصدفة لا تُفَسِّرُه؛ وإنما هو شاهد عدل على الخلق مهما كانت الكيفية، ولو كانت التغيرات غير مقصودة؛ فَلِمَ كانت دائمًا في اتجاه الأصلح لتبني الكون المنظوم المحبوك؛ والتنويع مع وحدة البنية يُعارض الإلحاد Atheism، وليس إلا مشيئة الخالق وسبق تقديره وحسن تدبيره بِعِلْم واقتدار، والفلسفة المادية الناكرة لمبدأ الخلق قد دحضتها كل ميادين العلم؛ وإلا انعدم ثبات القوانين، ومن يظل مُعتقدا بها عليه ألا يحسب نفسه من المُحققين، وقد رأي أينشتاين في صنع الله تعالى: النظام والقصد والحكمة والتناسق والبساطة والأناقة والجمال؛ وهي رؤى ثاقبة للكون المنظوم المُتقن المحبُوك، ولو كان وليد الصدفة ما كان نظام وآليات وقوانين على كافة المستويات، قال نيوتن: "إن هذا التكوين البديع في النظام الكوني يجب أن يُفهم منه القصد في التنظيم"، وقال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان".

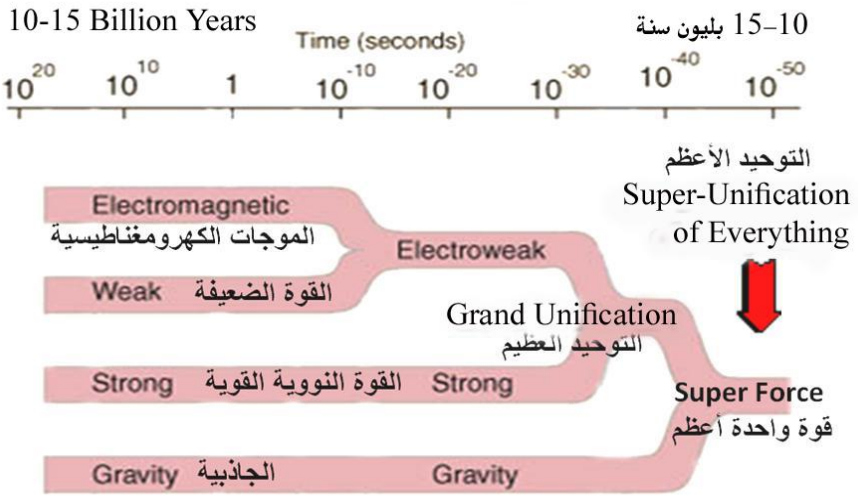

وفي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ السجدة:٣٢-٥؛ كلمة (السَّمَاءِ) بالإفراد تعنى الكون كله باعتبار توحيد الابتداء كفضاء لم تميزه بعد عناقيد الأجرام سماوات؛ مادة خام واحدة صنع منها القدير كل شيء، وتوحدت فيها جميع القوى والمواد فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: Super-Unification of Everything؛ وتسمى القوة الأعظم Super Force، كان لإفراد لفظ (السَّمَاءِ) إذن في دلالته على الكون إشارة ضمنية على توحيد كل شيء في الأصل؛ وأكده إفراد لفظ الأمر: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)؛ تنويهًا للأمر بكلمة: (كُن).

[١٢٠٠] Stephen Hawking, Brief History of Time, page 122.

الشيخ طنطاوي جوهري
(١٨٧٠-١٩٤٠)

قال طنطاوي جوهري: "(إفراد الأمر يعني أنه) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة، وتتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد، وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود؛ فهو صادر عن مادة أصلية واحدة"[١٢٠١]، فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس..، ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي..، (وقد) خلق اللهُ العالمَ من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"[١٢٠٢].

ووفق نظرية الأوتار؛ كأن الوجود آلة ضخمة ذات وتر واحد يطول ويقصر فيصدر كل النغمات، لأن كل شيء مُبرمج مُنظم وكأنه يصدح بأنشودة واحدة مُقدرة الإيقاع؛ فمن إذن نظم إيقاع كل تلك الحشود!، قال طنطاوي جوهري: "(إذن) العالم كله على وتيرة واحدة (لأن طبيعة كل شيء واحدة)"[١٢٠٣]، "فسبحان من شَكَّل الأشكال المُختلفة والألوان البديعة والأصل واحد"[١٢٠٤]، "وإن الناس طُربوا لنغمات العود؛ لما فيها من النظام..، فأي فرق بين العود وبين نظام (الطبيعة)؟..، هذه نغمات لا يعقلُها إلا العالمون..، أفلا ترى أن هذه (نغمات) أرسلها الله في الطبيعة.. (كما لو أنها) العود الذي أنتج أحسن النغم!"[١٢٠٥].

[١٢٠١] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢ \ ١٨٠).
[١٢٠٢] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤٦\١).
[١٢٠٣] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٧ \ ١٤٦).
[١٢٠٤] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٩\ ١٠٨).
[١٢٠٥] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٧ \ ١١٩).

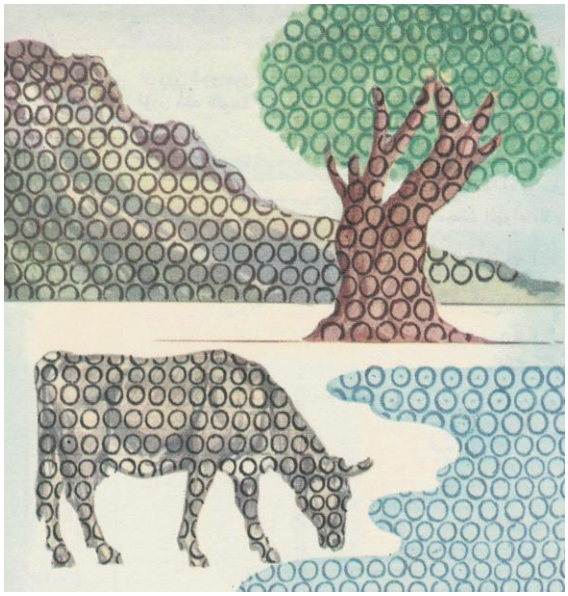

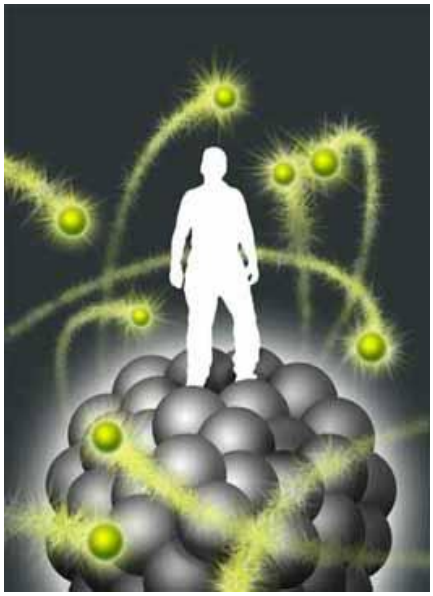

تتكون الذرات بأجسام كل الكائنات من نفس اللبنات، وأصلها جميعًا يرجع إلى لبنة أساسية واحدة؛ طبيعتها الحركة في عَجَل، خلق أخيرا منه الإنسان؛ على ظاهر اللفظ لا المجاز.

والتعبير المُذهل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ وصف الكون كله بأصله الأول؛ قوة واحدة عاجلة الحركة هي أساس بنية كل الأجسام، فأفاد أن الحركة في عجل طبيعة كل شيء، وأن الكون مُدبَّر في نظام Order؛ ومأمُور ينطق بآمر يُدَبِّرُهُ، قال طنطاوي جوهري: "هذا النظام الجميل شاهد عدل على إله نظمه بعلمه وأحكمه بقدرته، فإن هذا العالم المُشاهد لا يُمكن أن يصدُر إلا عن إرادة؛ لأن المادة عمياء جاهلة والجاهل لا يعطي علمًا"[١٢٠٦]، "إذن الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً..؛ طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً، ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلى لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس"[١٢٠٧]، "فما هذا العالم كله إلا حركات"[١٢٠٨]، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس"[١٢٠٩]، نشأ الإنسان إذن على رأس كل مخلوق؛ وطبيعته وأصل خلقته الحركة في عجل، وبخلاف بيان طبعه العجول: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ١٧الإسراء:١١؛ يكشف النبأ طبيعته وأصل خلقته: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

[١٢٠٦] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢١\ ٢٥٩).
[١٢٠٧] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٩٣\١٢٤).
[١٢٠٨] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢٠\ ٣٢).
[١٢٠٩] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١١٥\ ١٨٨).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير مجمع البحوث: "{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ}٣٤سبأ:٣-٥، المفردات: {بَلَى}: حرف جواب يأتي بعد النفي للإثبات. {يَعْزُبُ}: يبعد أو يغيب. {ذَرَّةٍ}: هباءَةٍ أَو نملة صغيرة. {مُعَاجِزِينَ}: ظانين تعجيز آيات الله. {رِجْزٍ}: أَسوأ عذاب. التفسير: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}: وقال الكافرون: إن الساعة لا تأْتيهم إنكارًا منهم قيامها، وجحدًا لمجيئها فلما حدث منهم ذلك أَمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لهم بربه جل علاه أَنها آتية فقال: {قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} أَي: سيقع ما تنفون ويحصل ما تنكرون، ووصف سبحانه نفسه بأنه عالم الغيب كله، وهذا أَدخل في إقامة الحجة عليهم إذ أن قيام الساعة من أدق الأُمور الغيبية وأَخفاها، ثم أكد ذلك وعززه بأنه لا يبعد ولا يغيب عنه ما مقداره وزن هباءَة أو أصغر نملة كائنة في السموات ولا في الأَرض ولا أَصغر من ذلك ولا أَكبر إلا وهو مسطور مسجل في كتاب واضح بين وهو اللوح المحفوظ، وليقطع الله عليهم طريق اللجاجة والتكذيب أَنذرهم بالجزاءِ على العمل، فالله سبحانه بحكمته جعل لكل عمل جزاءً فالمحسن يثاب كما قال تعالى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}؛ أي لتأْتينكم الساعة ليثيب الله سبحانه من تمكن الإيمان في قلوبهم فأَثمر الأَعمال الصالحة، والأَفعال المرضية، لهم دون غيرهم غفران ما عسى أَن يكون قد وقع منهم من هفوات فهم بشر ولهم مع هذه المغفرة العظيمة الواسعة الشاملة رزق واسع طيب حسن في دار النعيم. والمسيءُ يعاقب كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ}؛ أي أن أُولئك الذين يسعون بالإثارة والإنكار لآيات الله وقرآنه فينسبونه إلى السحر أو الشعر أَو الكهانة أو يقولون عنه إنه أساطير الأولين ظانين إبطال آيات الله أو تعجيزها عن أَن تصل إلى الناس في نقائها وصفائها لتعمل عملها الطيب المبارك في القلوب فتهديها إلى الحق والنور، أو أنهم يعملون على تعجيز المؤمنين عن تكثير أتباعها هؤلاء لهم دون سواهم عذاب بالغ السوء في إيلامه"[١٢١٠].

[١٢١٠] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٨ ٢٤٤).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Physics

علم الفيزياء

المَوْضُوع Subject

Atom Structure

تركيب الذرة

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ١٠يونس:٦١.
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣.
- ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ ٣٤سبأ:٢٢.
- ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٤٧.
- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ٣١لقمان:٢٧.
- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت: ٤٣.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ٣٥فاطر:١٣.
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ٤النساء:٧٧.
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ٤النساء:٤٩.
- ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٧١.
- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ٤النساء:١٢٤.
- ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ ٤النساء:٥٣.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ١٧الإسراء:١١.
- ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٤النساء:٤٠.
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٩٩الزلزلة:٧و٨.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ ٣٥فاطر:١٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٣٥فاطر:١٢.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾، ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

The two seas are not alike: this one (the river water) **is palatable, sweet and pleasant to drink, and that one** (the sea water) **is** (un-drinkable) **deeply-salted and bitter;** (despite that) **you may eat from each of them soften meat** (the fishes)**, and you may take out an ornament** (pearls) **to wear.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

تشتهر بلدان الخليج العربي تاريخياً بتصدير أجود أنواع اللؤلؤ Pearl في العالم، وهو يستخرج من مياه الخليج الغنية بكل أنواع الخيرات؛ خاصة أنها كانت محطة تُجارية مُهمة ترتبط بشبكة طرق قوافل الحرير التاريخية وطريق اللبان القديم.

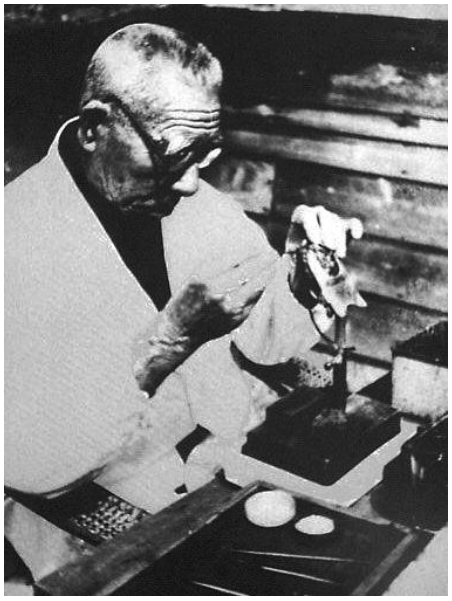

ميكوموتو كويتشي Mikimoto Kokichi (١٨٥٨-١٩٥٤)

ولعقود قبل زراعة اللؤلؤ كانوا يقومون بصيد المئات من المحار وفتحه للحصول على لؤلؤة واحدة قبل أن يكتشف الياباني ميكوموتو كويتشي Mikimoto Kokichi (١٨٥٨-١٩٥٤) عملية الاستزراع ويتضاعف الانتاج، وقد استطاع إنتاج أول لؤلؤة مزروعة في يوم ٢٨ سبتمبر عام ١٨٥٩، وأخذ حق اختراع زرع اللؤلؤ عام ١٩١٩.

ويتكون اللؤلؤ في داخل شعبة حيوانية تسمى الرخويات Mollusca، وهي تنقسم إلى طوائف أهمها المحاريات Pelecypoda، والقواقع Gastropoda، ورأسيات القدم Cephalopoda، ويعيش بعض هذه الرخويات في المياه العذبة والبعض الآخر في المياه البحرية المالحة، ويتكون اللؤلؤ عند دخول جسم غريب إلى داخل الصدفة، وعلى الأغلب يكون حبة رمل، وليحمي الكائن الرخوي نفسه يفرز سائل جيري ليغلف الجسم الغريب كنوع من المقاومة، ومع مرور السنوات تزداد الطبقات، وعندها تتكون حبة اللؤلؤ، ويُشار إلى هذه الطبقات باسم عِرق اللؤلؤ، ويُمكن إدخال الجسم الغريب حاليا صناعيًّا واستزراع اللؤلؤ في رخويات المياه العذبة والمياه المالحة، وذلك بإدخال نواة مستديرة مع قطعة من النسيج المفرز للؤلؤ إلى داخل أحشاء الرخوي، وتسمى هذه الطريقة التطعيم Grafting، حيث تنمو قطعة النسيج وتُحيط بالنواة، ومن ثم تُفرز المادة اللؤلؤية التي تُحيط بهذه النواة، ويعتمد الوقت الذي وقد تستغرق عملية الانتاج من سنتين إلى سبع؛ تبعًا لظروف المزرعة ونوع الكائن الرخوي.

اشتري لؤلؤ المياه العذبة بسعر الجملة على الانترنت.

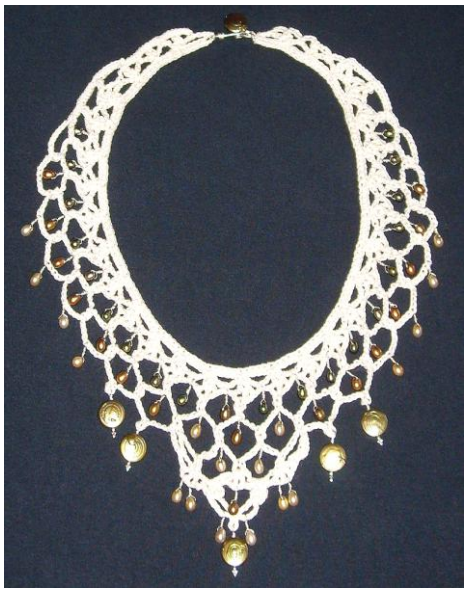

A bead crochet necklace made from crochet lace, sterling silver, and freshwater pearls (Wikipedia).
عقد مُخرز محبوك مصنوع من شريط مطرز بفضة شديدة النقاء (٩٢,٢٥% نقاء) ولؤلؤ مُستزرع في المياه العذبة (ويكيبيديا).

3-Strands Real Pink Coin Fresh Water Pearls Necklace.
عقد من ثلاث جدائل من لآليء المياه العذبة الحقيقية ذات لون وردي معدني.

وفي مدى السنوات القليلة الأخيرة؛ ازدهرت صناعة وتجارة اللؤلؤ المُستزرع في المياه العذبة على مستوى واسع.

وحجم وشكل اللؤلؤ المستزرع يعتمد على حجم وشكل النواة المُدخلة في المحارة، وعمومًا فإن اللؤلؤ ذو الحجم الكبير ينتج من نوعين من المحار هما Pinctada margaritifera & Pinctada maxima؛ حيث يُمكن إدخال أنويه ذات قطر يتعدى ٩ مم، بجانب حجم النواة المستزرعة فإن سماكة الطبقة اللؤلؤية تحدد قيمة اللؤلؤ، في حالة اللؤلؤ الطبيعي تكون النواة صغيرة جداً وسماكة الطبقة اللؤلؤية كبيرة، لذا نجد اللؤلؤ الطبيعي أكثر قيمة.

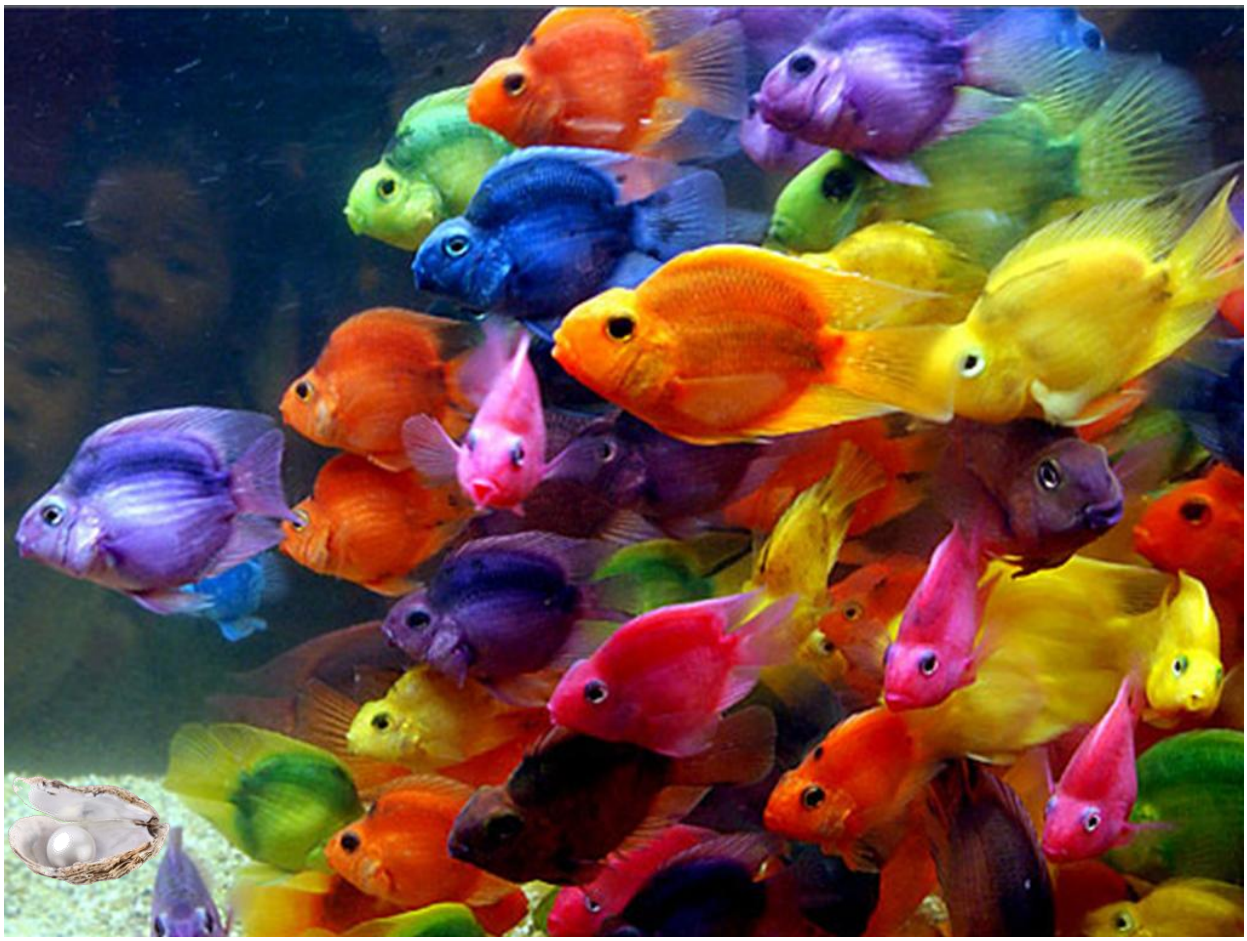

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٣٥فاطر:١٢؛ يستقيم حمل أداة التعريف (أل) في كلمة: (الْبَحْرَانِ)؛ على اسم الجنس مثل كلمة: (الْبَحْرَ) بدون تعيين؛ فالوصف إذن شامل، وورد التذييل بوصف البحر المالح فحسب؛ حيث عاد ضمير (فِيهِ) على مُفرد: (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ٣٥فاطر:١٢، خاصة أنه نفس التذييل لوصف البحر المالح في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٦النحل:١٤، وكأن الأفضلية للبحر المالح في كثرة الأرزاق؛ وإن اشتركا في بعض الثروات وتَفَرَّد البحر العذب بكونه مصدرًا للشرب.

ويسمح لفظ (حِلْيَةً) بكل ما يُستخرج من مياه البحر ويُستخدم للزينة؛ إلا أن المُعتاد هو (اللؤلؤ)، فقد اعتاد الغواصون في الخليج العربي جمع المحار واستخراجه، ولكن المُماثلة مع مياه البحر تعني إمكان الحصول على اللؤلؤ من المياه العذبة، لأن قوله تعالى: (وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) معطوف على قوله تعالى: (وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا)، أي: (وَمِنْ كُلٍّ)؛ (تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)، ولم يكُن معروفًا إمكان وجود اللؤلؤ بالمياه العذبة؛ ولكن صريح النص أولى بالاعتبار من المجاز.

والمُدهش حقًّا أن يبلغ سباق النهر العذب للبحر في إمكان استزراع اللؤلؤ Freshwater Cultured Pearls: (وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)، واللؤلؤ يُستزرع بالفعل حاليا في اليابان والولايات المتحدة والصين، وكانت اليابان أول من تمكن من استخراج اللؤلؤ من المحار النهري Freshwater Pearl Mussel (Hyriopsis schlegeli)؛ باستزراعه في بحيرة بيوا Lake Biwa، وفي العقود الأخيرة أمكن استزراعه في بحيرة كاسوميجورا Lake Kasumigaura، ويُعتبر جون لاتندريس John Latendresse (١٩٢٥-٢٠٠٠) هو أب استزراع محار اللؤلؤ النهري في الولايات المتحدة، وتحتل الصين حاليا المكانة الأولى في إنتاج وتجارة اللؤلؤ النهري، وفي عام ٢٠٠٥ وحده أنتجت ١٥٠٠ طن لؤلؤ؛ باستخدام المحار المُثلث الصدفة Triangle shell mussel (Hyriopsis cumingii)، مع عدة أنواع مُهجنة حَسَّنَت الإنتاج.

وفي النبأ المُخاطب لعموم الناس: (وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)؛ توجيه لما في البحار والماء العذب من نِعَم، ويوم أن نزل القرآن الكريم؛ لم يكُن يعرف بشر أن المياه العذبة يُمكن أن تجُود كالبحار باللآليء.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير مجمع البحوث الإسلامية: "{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}: قال الألوسي في معنى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ} أي: أرسلهما وأجراهما من مرجت الدابة في المرعى؛ أي: أرسلتها فيه، أي: أرسل الله البحر الملح والبحر العذب، ونقول: إن هذا هو التفسير الموافق لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٣، ولقوله: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} ٣٥فاطر:١٢، أما قول الحسن: إنهما بحرا فارس والروم، فإنه مخالف لصريح الآيات المذكورة، والقرآن يفسر بعضه بعضًا، وقد ذكر الله أن هذين البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، فأما التقاؤهما فيكون عند مصاب الأنهار فيها، وأما البرزخ الذي بينهما فهو القدرة الإلهية التي منعت أن يبغى الماءُ الملح على العذب فيحوله إلى ملح، وأن يبغى العذب على الملح فيحوله إلى عذب، فبقى كلاهما يؤدى وظيفته التي خلق لها، وهل هذا الحاجز هو أنه تعالى خلق الأرض كروية، وأن الارتفاع الكروي هو الذي يمنع أن يبغى أحدهما على الآخر، ويدل على ذلك أن الشمس تشرق في أرض قبل أخرى، وتغرب في أرض قبل أخرى، بسبب هذا التكوير، فيبقى كل منهما في مكانه لا يبغي على الآخر، ولا يمنع لقاؤهما في طرفيهما من أن يبقى ما وراء هذا اللقاء حافظًا لخواصه، فتبارك الله أحسن الخالقين، ولا شك في أن جاذبية الأرض تبقى كل شيءٍ في مكانه، من جبال ورمال وإنسان وحيوان وغير ذلك، مع سرعة الأرض الخارقة في دورانها، ولو كانت الأرض مسطحة لبقيت الشمس مشرقة فيكون الوقت كله نهارًا لا ليل فيه، ولا بقي شيءٌ من البحرين محافظًا على خواصه، فإنه يندمج كل منهما في الآخر، وقيل: إن البرزخ الذي بينهما هو الأرض اليابسة التي بينهما، وحينئذ يكون المراد من لقائهما تقابلهما وتجاورهما، والذي قلناه هو المتعين، وفيه من الدلالة على قدرة الله ما فيه، ويلاحظ أنه لا توجد أرض يابسة عند مصاب الأَنهار كما زعموا، وذكر الله تعالى أنه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، يقول بعض المفسرين: إن اللؤلؤ صغار الدر، والمرجان كباره، ونقل ذلك عن الإمام علي رضي الله عنه، وقيل: عكس ذلك، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى عن ابن مسعود أن المرجان الخرز الأحمر، وعلى هذا يكون اللؤلؤ شاملا لكباره وصغاره، وهذا هو المُتعارف بين الناس، وجاء في الآية أن كليهما يخرج من البحرين الملح والعذب، مع أن المعروف هو وجودهما في الملح دون العذب، وأجاب القرطبي عن ذلك بقوله: إن العرب تجمع الجنسين ثم تخبر عن أحدهما، كقوله تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} وإنما الرسل من الإنس دون الجن؛ قاله الكلبي وغيره، وقال الزجاج: قد ذكرهما الله، فإذا أخرج من أحدهما شيء فقد خرج منهما، وهو كقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا} ولكن أجمل ذكر السبع، فكان ما في إحداهما فيهن؛ إلى غير ذلك مما ذكره القرطبى، والحق أنه يخرج من كليهما كما أظهره العلم الحديث، فقد جاءَ في هامش التفسير المنتخب الذي أخرجته وزارة الأوقاف المصرية؛ تعليقًا علي قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} ٣٥فاطر:١٢؛ جاء في الهامش: (أن اللؤلؤ كما يستخرج من أنواع معينة من البحر الملح، يستخرج أيضًا من أنواع أخرى صدفيات من الأنهار، فتوجد اللآليء في المياه العذبة في انجلترا واسكتلاندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان).. بالإضافة إلى مصايد اللؤلؤ البحرية المشهورة، ويدخل في ذلك ما تحمله المياه العذبة من المعادن العالية، كالماس الذي يستخرج من رواسب

الأنهار الجافة المعروفة بالبرقة، ويوجد الياقوت كذلك في الرواسب النهرية، ومن الأحجار شبه الكريمة التي تستعمل في الزينة حجر التوباز، ويوجد في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة ومنتشرة في البرازيل وروسيا (الأورال) وسيبريا ثم قال: ويغلب أن يكون أصفر أو بنيًّا، إلى آخر ما جاءَ في الهامش المذكور من الأحجار الكريمة التي تستخرج من الرواسب النهرية، والمعنى الإجمالي للآيتين: أرسل الله تعالى البحرين الملح والعذب، وجعلهما يلتقيان في أطرافهما، وهذا الالتقاء والتمازج في الأطراف لم يجعل أحدهما يبغى على الآخر بإيصال خاصيته في داخله؛ لأنه تعالى جعل بينهما حاجزًا يمنع التمازج الكلى بينهما، وهذا الحاجز هو تدرج أجزاء الأرض إلى الارتفاع الكروي، وهذه الكروية مع سرعة دورانها الرهيبة تبقى كليهما في داخله محافظًا على خاصيته، ومثل ذلك كمثل الشمس تشرق في أرض قبل أُخرى وتغرب كذلك، وهذا بسبب الارتفاع الكروي الذي يحجز إشراقها أو غروبها في أرض قبل أخرى، بالإضافة إلى جاذبيتها الشديدة، فهي تجذب كل ما فوقها إليها؛ حتى لا يفارق مكانه بسبب سرعتها، ولو كانت غير كروية لاختلط الملح بالعذب، وأبطل كل منهما خاصية الآخر، ولأشرقت الشمس على جميع بقاعها في وقت واحد، فيبقى الزمن كله نهارًا لا ليل له، وكل ذلك بقدرة الله الذي أحسن كل شيء خلقه، فتبارك الله أحسن الخالقين، ومن العلماء السابقين من قال: إن الحاجز بين البحرين هو الأرض اليابسة بينهما، وجعل التقاءَهما تقاربهما، وهذا غير متيسر في كل الأنهار، بل المشاهد هو التلاقي الامتزاجي في الأطراف، حتى لا يكون الماء العذب آسنا متغير الطعم واللون، فما قلناه أولًا هو الحق، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ويعقب الله تعالى هاتين الآيتين بقوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} ممّا لكما في ذلك من المنافع، وبقوله: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} أي: يخرج من البحرين الملح والعذب اللؤلؤ والمرجان، على ما تقدم بيانه، فكما جعل الأرض تنبت لنا الزروع والأشجار، والحب ذا العصف والريحان، جعل البحرين لنأكل منهما لحمًا طريًّا، ونستخرج منهما حلية نزدان بها، فكل من البرّ والبحر أساس حياتنا وزينتنا، وكل ذلك آلاء ونعم لا يمكن تكذيبها وإنكارها، فبأيهما تكذبان أيها الثقلان"[١٢١١].

[١٢١١] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٩ ١٢٠٩).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Oceanography

علم المحيطات

المَوْضُوع Subject

Freshwater Pearl

لؤلؤ المياه العذبة

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٣٥فاطر:١٢.**

- **﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٦النحل:١٤.**

- **﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ٥٥الرحمن:١٩-٢٤.**

- **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ١٤إبراهيم:٣٢.**

- **﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ١٧الإسراء:٦٦و٦٧.**

- **﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٣.**

- **﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.**

- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ٣١لقمان:٣١.**

- **﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٤٥الجاثية:١٢.**

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾
٣٦يس:٣٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
٣٦يس:٣٧-٤٠.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

The sun is running (in its determined orbit) **for a definite end** (after a so long cycle)**, that is the design of the Almighty, the All-Knowing.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

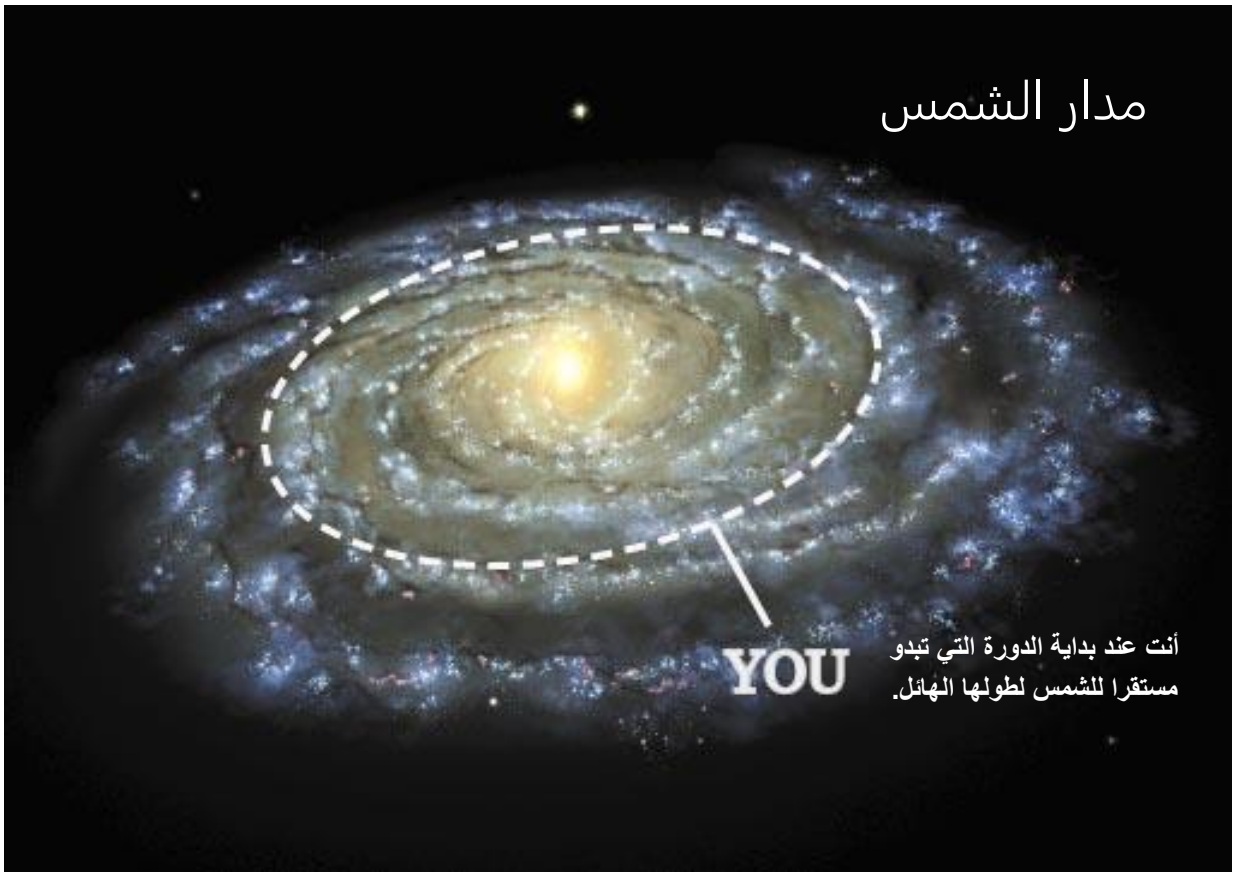

في قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٣٧-٤٠؛ جملة دلالات تتفق مع المعرفة الفلكية الحديثة، فقوله تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ)؛ فيه دلالة على أن الغلاف الجوي بالنسبة للناظر من الأرض حيث تتبدى ظاهرة النهار رقيق، يماثل سلخة تحجب خلفها بدن الذبيحة، فإذا رفعت تلك السلخة حيث يتبدى النهار بدا كل بدن السماء في التمثيل مظلما، ولم يُعاين أحد الظلام Darkness فوق طبقة النهار ويسود الكون ويغشي كل الأجرام قبل رحلة يوري جاجارين في ١٢ أبريل عام ١٩٦١ على متن مركبة الفضاء السوفيتية فوستوك١، والعادة في السلخ تثبيت البدن وتحريك الجلد، وفعل (نَسْلَخُ) وارد بصيغة المضارع الدال على التجدد والاستمرار مما يتفق مع المعرفة بتحرك الأرض وغلافها الجوي باستمرار، وقوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)؛ فيه دلالة على أن للشمس مدار يخصها تجري فيه بسرعة بالغة لتعود وتعود إلى حيث بدأت وتتم دورة كاملة بالنسبة للتشكيلات النجومية خلفها في فترة ثابتة مقدرة، وجاء التعقيب شاهدا بالتقدير: (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)، والتمثيل (تَجْرِي)؛ أي كعدو الحصان وهرولة الإنسان يجعل حركة الشمس الانتقالية سريعة بالنسبة لأمثالها من الأجرام الفلكية، وقد ثبت بالفعل أن للشمس مدار حول مركز المجرة تقطعه بسرعة حوالي ٢٤٠ كم/ثانية، وهي سرعة كبيرة مقارنة بسرعة القمر حول الأرض بسرعة حوالي ١كم/ثانية، والتعبير (لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) وارد بالمثل على وجه التمثيل برحلة العربي طويلة الأمد زمن التنزيل؛ إلى الشام صيفا وإلى اليمن شتاء، حيث يمر على منازل القبائل وعلامات الطريق حتى يعود إلى مستقره حيث بدأ ليكرر رحلته كل موسم، فهي أطول رحلة متكررة عرفها العرب، أما الشمس فتعود إلى مستقرها في رحلة تخصها بعد حوالي ٢٥٠ مليون سنة.

قال الألوسي: "(كُلٌّ يَجْرِى) يسير في المنازل.. (لأجل مُّسَمًّى) أي وقت معين.. (ليُتم دورته) وهو المروى عن ابن عباس، وقيل كل يجري لغاية ينقطع دونها سيره.. (أي زوال الدنيا) وهذا مراد مجاهد من تفسير الأجل المسمى بالدنيا..، والتفسير الحق ما رُوِىَ عن الحبر، وأما الثاني فلا يُناسب (مقام التقدير)؛ ثم إن غايتهما متحدة والتعبير بكل يجري صريح في التعدد"، واكتفى القرآن بتعبير (لِمُسْتَقَرٍّ) في وصف مدار الشمس حيث لا يُعَاين تحركها في منازل، وجاء (لَهَا) مؤكدا تلك الخصوصية؛ بينما أثبت للقمر منازل نجومية باعتبارها مرئية : (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)، وجَعْلِها من هلال بداية الشهر إلى هلال نهايته لتقل يومين فترة المحاق عن الشهر يتفق مع حركة الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها، والمعلوم فلكيا أن الأرض تدور حول الشمس بسرعة حوالي ٣٠ كم/ثانية، وكأن جهتي الأرض إذن؛ الليل والنهار، في سباق بغير تغلب جهة، وهو مضمون التمثيل: (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ)، ويدور القمر حول الأرض بسرعة حوالي ١كم/ثانية، ويدوران مع الشمس حول مركز المجرة بسرعة حوالي ٢٤٠ كم/ثانية؛ فالقمر إذن أسرع من الشمس حركة قياسا على نجم بعيد ثابت، ولا يمكنها إدراكه لأن لكل منهما فلك مقدر يخصه بلا تضارب، وما كان بوسع بشر زمن التنزيل أن يسبق مآثر العلم ويوجز كل تلك الحقائق بالتمثيل: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ).

في عام ١٥٤٣ نشر كوبرنيكوس Copernicus كتابه عن الفلك والكواكب وأرسى نظرية دوران الأرض حول الشمس، ولكنه اعتبر أيضاً أن الشمس ثابتة كما اعتقد سابقا أريستاركوس Aristarchus في القرن الثالث قبل الميلاد، وأكدت مشاهدات جاليليو Galileo في القرن السابع عشر حركة الأرض حول الشمس كما هي كل الكواكب، وفي القرن نفسه توصّل كبلر Kepler إلى أن مدارات الكواكب غير كاملة الاستدارة (إهليلجية) Elliptical، وفي منتصف القرن التاسع عشر اكتشف كارينغتون Carrington أن الشمس تدور حول نفسها من خلال تتبّعه للبقع السوداء على سطحها، وهكذا تقدمت المعرفة شيئا فشيئا حتى تأكد اليوم أن الأرض وجميع أجرام السماء في حركة دائبة كل في مدار مقدر يقطعه في أجل محدد، وتبين أن الشمس تقع في الثلث الخارجي لمجرتنا التي تسمى درب التبانة أو الطريق اللبني Milky Way، وتقطع الشمس مدارها ومعها جميع توابعها حول مركز المجرة في حوالي: ٢٥٠ مليون سنة، بينما قد أعلن القرآن قبل ذلك بحوالي عشرة قرون أن كل الأجرام تجري فلا الأرض ساكنة ولا الشمس ولا النجوم؛ وإنما لكل حركته المقدرة ومداره المعين له وأجله المقدر ليقطعه، قال تعالى: "كُلّ يَجْرِي لأَجَلٍ مّسَمّى" الرعد ٢ وفاطر ١٣ والزمر ٥، وقال تعالى: "كُلّ يَجْرِيَ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى" لقمان ٢٩، وقال تعالى: "كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" الأنبياء ٣٣، وفي هذا السياق المتعلق ببيان أن لكل جرم فلك يخصه أو مدار يقطعه كاملا في نهاية دورته ورد قوله تعالى: "وَالشّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"، ولذا ورد الوجه في التفسير بأن معنى (المستقر) هو نهاية أجلها في مدارها أو موضع بدء تحركها كمسافر ارتحل من دياره ومر خلال سيره بمنازل قبائل معلومة كمعالم على الطريق إلى أن عاد إلى مستقره، وكأنه تمثيل لدورة تقطعها الشمس بالنسبة لمجموعات نجوم تبدو لبعدها الشديد ثوابت، ورغم الجري لا تبلغ مستقرها هذا إلا بعد أمد بعيد مقدر لها، وينسجم هذا الوجه كذلك مع التعقيب بأن للقمر منازل بالمثل؛ خاصة مع التعميم: "وَكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"، ومع البيان في الآية اللاحقة أن لكل منهما سرعته وأن جهتي الأرض (الليل والنهار) يتسابقان متحاذيان بيانا لحركة الأرض بالمثل، وينسجم كذلك مع البيان بأن الحركة المدارية لكل من الشمس والقمر كنموذج لحركة كافة الأجرام مقدرة بحساب دقيق لا تصنعه مصادفة في قوله تعالى: "وَالشّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" الأنعام ٩٦، خاصة مع التعقيب بنفس اللاحقة في الآيتين: "ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ".

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {وآيةٌ لهم الليل نسلخ منه النهار} أي نخرج منه النهار يعني ضوءه، مأخوذ من سلخ الشاة إذا خرجت من جلدها، {فإذا هم مظلمون} أي في ظلمة لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء، فإذا خرج منه أظلم، {والشمس تجري لمستقر لها} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: يعني لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا، حكاه ابن عيسى، الثاني: لوقت واحد لا تعدوه؛ قاله قتادة، الثالث: أي أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها؛ قاله الكلبي، وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأها: والشمس تجري لا مستقر لها، وتأويل هذه القراءة أنها تجري في الليل والنهار ولا وقوف لها ولا قرار، وقوله عز وجل: {والقمر قدرناه منازل} فيه وجهان؛ أحدهما: جعله في كل ليلة على مقر له، يزيد في كل ليلة من أول الشهر حتى يستكمل ثم ينقص بعد استكماله حتى يعود كما بدأ؛ وهو مُحتمل، الثاني: أنه يطلع كل ليلة في منزل حتى يستكمل جميع المنازل في كل شهر، ولذلك جعل بعض الحساب السنة الشمسية ثلاثة عشر شهراً قمرياً، {حتى عَادَ كالعرجون القديم} فيه قولان؛ أحدهما: أنه العذق اليابس إذا استقوس، وهو معنى قول ابن عباس.، الثاني: أنه النخل إذا انحنى مائلاً؛ قاله الحسن، {لا الشمس ينبغي لها أن تُدْرِك القَمر} فيه خمسة تأويلات؛ أحدها: أي لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر؛ قاله مجاهد، الثاني: لا يجتمع ضوء أحدهما مع ضوء الآخر، لأن ضوء القمر ليلاً وضوء الشمس نهاراً، فإذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر؛ قاله قتادة، الثالث: معناه أنهما إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها؛ قاله ابن عباس، الرابع: أنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة؛ قاله الحسن، الخامس: أنه لا تدرك الشمس القمر ليلة البدر خاصة لأنه يبادر بالمغيب قبل طلوعها؛ حكاه يحيى بن سلام، {ولا الليلُ سابق النهار} فيه وجهان؛ أحدهما: يعني أنه لا يتقدم الليل قبل استكمال النهار؛ وهو معنى قول يحيى بن سلام، الثاني: أنه لا يأتي ليل بعد ليل متصل حتى يكون بينهما نهار منفصل؛ وهو معنى قول عكرمة، ومن الناس من يجعل هذا دليلاً على أن أول الشهر النهار دون الليل، لأنه إذا لم يسبق الليل النهار واستحال اجتماعهما وجب أن يكون النهار سابقاً؛ وهذا قول يدفعه الشرع ويمنع منه الإجماع، {وكلٌّ في فلك يسْبَحون} قال الحسن: الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض غير ملتصقة بالسماء، ولو كانت ملتصقة ما جرت، وفي قوله تعالى: {يسبحون} ثلاثة أقاويل؛ أحدها: يجرون؛ قاله ابن عباس، الثاني: يدورون كما يدور المغزل في الفلكة؛ قاله عكرمة ومجاهد، الثالث: يعملون؛ قاله الضحاك"[١٢١٢].

[١٢١٢] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٥\ ١٧).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Sun's Orbit

مدار الشمس

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٦و٩٧.
- ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٥.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.
- ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ ٧الأعراف:٥٤.
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٦النحل:١٢.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠يونس:٥.
- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ١٧الإسراء:١٢.
- ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٣آل عمران:٢٧.
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ٣آل عمران:١٩٠.
- ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٦الأنعام:١٣.
- ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ ١٠يونس:٦.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ١٠يونس:٦٧.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٣الرعد:٣.
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ١٤إبراهيم:٣٣.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٣.
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٢٢الحج:٦١.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٨٠.
- ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٤.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٤٧.
- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٦١و٦٢.
- ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٧النمل:٨٦.

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ. وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٢٨القصص:٧١-٧٣.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ٣٠الروم:٢٣.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٣١لقمان:٢٩.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ٣٥فاطر:١٣.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ٣٩الزمر:٥.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ٤٠غافر:٦١.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ٤١فصلت:٣٧.
- ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤٥الجاثية:٥.
- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ ٥٢الطور:٤٩.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٥٧الحديد:٦.
- ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ٧٣المزمل:٢٠.
- ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ ٧٨النبأ:٩-١٣.
- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ. وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ. وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ. لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ٨٤الإنشقاق:١٦-١٩.
- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ٩١الشمس:١-٤.
- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ٩٢الليل:١، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ٩٢الليل:٢.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ ١٣الرعد:٢.
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ١٤إبراهيم:٣٣.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ٢٢الحج:١٨.
- ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٦١.
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٥و١٦.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ ١٣الرعد:٢.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ٣٦يس:٦٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ. وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ. وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ٣٦يس:٦٥-٦٨.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾، ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Whom We cause him to live long; We reduce him in creation (in appearance and in the cell level; before his death)**. Do they not then understand!**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

الشيخوخة Senescence حالة متدرجة لا تراجع فيها من التدهور والتلف Deterioration والانهيار والارتداد Decline؛ تُصيب كافة الأجهزة والأعضاء والأنسجة والخلايا فتضعف قدرتها على التكيف والحفاظ على التوازن عند التعرض للضغوط، ويمر بها كل كائن حي عند الهِرَم Aging وفقا لنوعه في طول الأجل Longevity؛ إذا لم تُعاجله عوارض بيئية أو أمراض، لذا النظرة الحديثة أنها حالة تدمير ذاتي مُبرمج Phenoptosis يُفسح المجال لأجيال جديدة وأنماط تحافظ على استمرار الحياة وتنوعها، والشيخوخة ليست بحد ذاتها حالة مرضية وإنما تكثر فيها الأمراض؛ وحينئذ تُصبح شيخوخة مَرَضية Senility، والتفاصيل يعتني بها علم جديد اسمه علم الشيخوخة Gerontology.

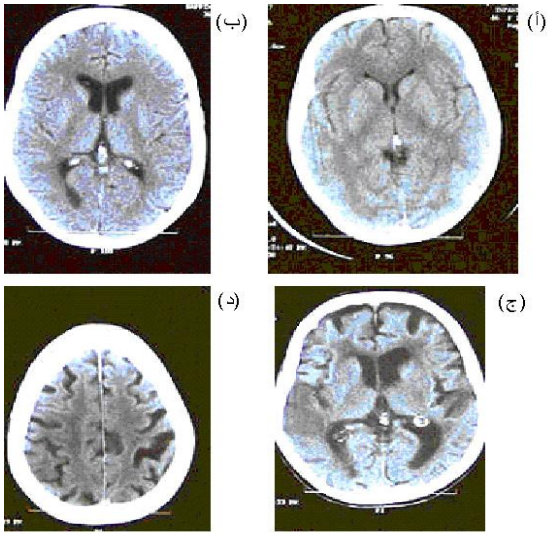

المخ طبيعي من ٢٠ إلى ٤٠ سنة (أ)، وبداية الضمور وتوسع التجاويف من ٤٠ إلى ٦٠ سنة (ب)، والضمور واضح بعد ٨٠ سنة (ج)، وبالغ في مرض الذهان (د).

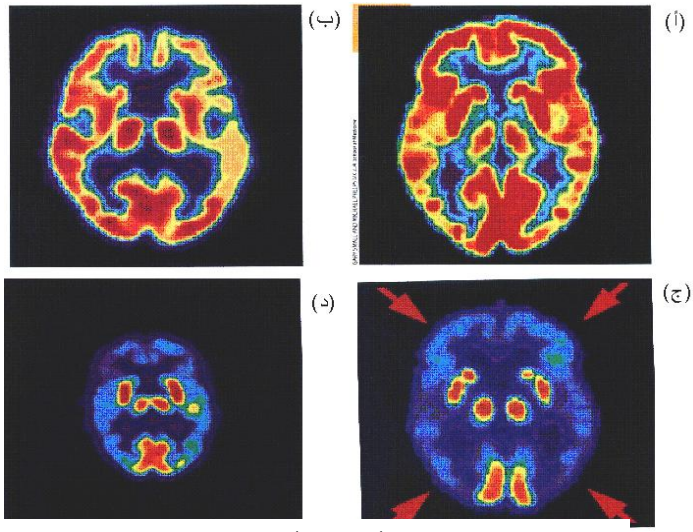

استهلاك السكر (اللون الأحمر والأصفر) طبيعي في الشخص البالغ (أ) أقل في مرض الذهان البسيط (ب) وبالغ النقص في الذهان المتقدم (ج) و(د) بحيث يماثل تماما حالة الرضيع.

(١) الجهاز العصبي:

وجد إحصائيا أن الجسم البشري يحتوي على حوالي ٦٠ ترليون (مليون مليون) خلية وأن حوالي ٨٠% منها يستبدل في حوالي ثلاثة أشهر، وتختلف الخلايا كثيرا في قدرة التجدد Renewal Capacity، فلا يحدث تجدد في الخلايا العصبية بينما يكون التجدد على أشده في نخاع العظام الباني لخلايا الدم وفي الطبقة السطحية للجلد وفي الطبقة الداخلية المُبطنة للأمعاء، وإذا أصيبت خلية عصبية وماتت لا تعوض؛ لذا يقل عدد خلايا المخ بالتدريج وتقل الألياف العصبية كلما تقدم العمر، فمثلا تقل ألياف العصب البصري حوالي ٢٥% في سن التسعين مقارنة بعددها عند الولادة، ونتيجة لتحلل الألياف العصبية قد تتراكم مادة بين الخلايا خاصة في منطقة الناصية تسمى لطع الشيخوخة Senile Plaques، وبعد الأربعين تتآكل بعض خلايا المخ ويتناقص حجمه وتتوسع التجاويف بداخله، وفي الستينيات والسبعينيات يزداد ضمورا، وكلما تقدم العمر يقل عدد مستقبلات الانتفاع بالسكر، وتكثر الشكوى من الاضطراب في النوم والتغير في المزاج Mood؛ وتضعف الذاكرة قصيرة الأمد، ويصعب اكتساب معرفة في مجال مهني جديد، وتتأخر الاستجابة للمؤثرات، وقد يستطيع المخ الحفاظ على التوازن في الظروف غير المرضية لأن الاحتياطي المُدخر من الخلايا كبير، ولكنه قد يفقد توازنه خاصة مع نقص كمية الأكسجين الواردة نتيجة لتصلب الشرايين، وفي الشيخوخة تكثر الإصابة بالأمراض؛ خاصة عته الشيخوخة Senile dementia المُصاحب لمرض الذُّهان Alzheimer، وهو مرض مجهول السبب تتآكل فيه خلايا المخ ويزداد ضُموره وتتأثر الذاكرة كثيرا ويفقد المريض الكفاءة المهنية والمهارات اللغوية والحكم الصحيح ويذهل عن المكان والزمان وتتغير شخصيته، بالإضافة إلى إصابته بالخرف والاكتئاب أو الهياج والهوس، وتسلط الوساوس والمخاوف، وتظهر الأعراض بالتدريج، وتكثر بعد الخامسة والسبعين.

(١) الحواس:

تنقص كفاءة كل الحواس: السمع والبصر واللمس والشم والتذوق، ولوحظ بعد سن الخمسين تراجع بطيء في القدرة على إدراك موجات الصوت ذات التردد العالي، وهذا قد يخل بحدة السمع وقدرة تمييز الأصوات المتداخلة والتعرف على الأشخاص من أصواتهم، وقد يقل التأثر لاحقا بالموجات ذات التردد المنخفض فيضعف جهاز السمع، وتقل سرعة التأقلم عند الانتقال إلى الأماكن المظلمة وتقل الرؤية الليلية وتقل سعة بؤبؤ العين Pupil، ولذا قد يميل كبار السن إلى الإضاءة القوية، وتضعف مرونة عدسة العين ولذا يغلب استعمال النظارات كلما تقدم العمر، وفي دراسة إحصائية لمجموعة تجاوزت سن الخامسة والستين مقارنة بمجموعة أخرى في العقدين الثالث والرابع وجد أن نسبة الإصابة بالعمى قد تضاعفت في المجموعة الأولى الأكبر سنا حوالي ١٧ مرة وأن نسبة الإصابة بالصمم قد تضاعفت حوالي ١١٠ مرة، وبعد سن السبعين يقل عدد خلايا التذوق في اللسان، ولذا قد يضعف التذوق؛ وتقل المُتعة بالطعام.

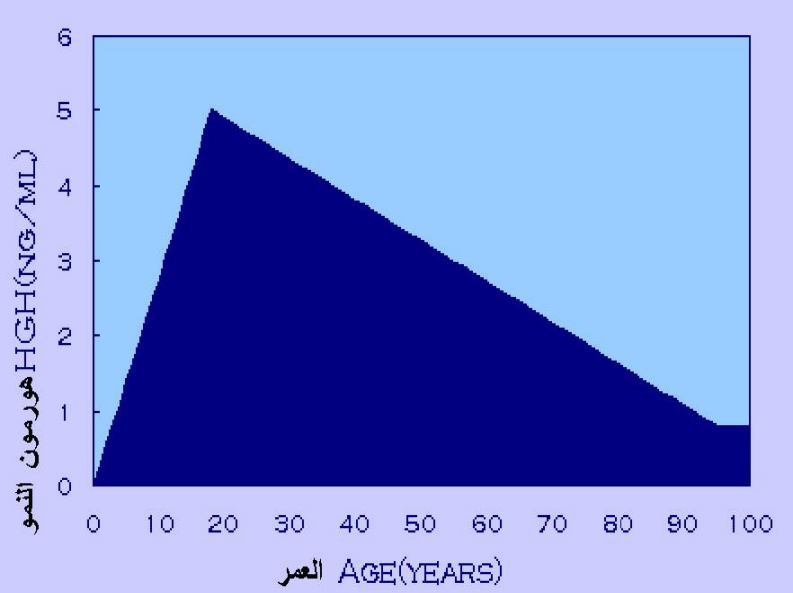

(٢) الغدد الصماء:

تقل استجابة المستقبلات الخلوية للهورمونات، ويبدأ هرمون النمو Growth hormone في النقص عادة بعد حوالي ٢١ سنة، وبالمثل ينقص الهرمون مُنظم النوم Melatonin؛ فتقل فترات النوم، وهو عادة يزيد إفرازه ليلا ويبدأ في النقص مع بزوغ الفجر، ويزيد إفراز الهرمون مُنظم الكالسيوم Parathyroid hormone؛ ليحافظ عليه باستجلاب المزيد من العظام ومنع فقده في الكلية، ويزيد إفراز الهرمون مُثبط إدرار الكلية Anti-diuretic hormone، وفي الإناث يقل إفراز هرمون الأنوثة Estrogen من المبيض عند انقطاع الحيض، ويُحاول الجسم الحفاظ على التوازن بزيادة إفراز الهرمونات المُحرضة للمبيض من الغدة النخامية في الدماغ، وربما تصل مستويات تلك المُحرضات عند سن الستين حوالي أربعة أمثالها عند سن الخصوبة، ويزداد معها الهرمون المُحرض للثدي لإدرار اللبن Prolactin.

(٣) جهاز المناعة:

يتأثر جهاز المناعة Immune system؛ وبالتالي تقل القدرة على مقاومة الأمراض، وقد ينجو ابن العشرين سنة من التهاب رئوي Pneumonia بينما قد لا ينجو ابن الستين، وتزداد نسبة الإصابة بالعدوى والسرطان، ومن عوارض اضطراب جهاز المناعة أيضا مهاجمة أنسجة الجسم معتبرها غريبة لعدم قدرته على تمييزها فتنشأ مجموعة أمراض فقد التمييز المناعي للذات Auto-immune diseases، فيهاجم مثلا خلايا البنكرياس المنتجة للأنسولين المُتعلق بتنظيم العمليات المُختصة بالسكر؛ فينشأ مرض البول السكري Diabetes Mellitus.

(٤)الجهاز الدوري:

يزداد معدل الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية، وهي السبب الأهم للوفيات بعد الخامسة والستين، ومن التغيرات تلف واندثار بعض الخلايا العضلية للقلب وتراكم الدهون والنسيج الليفي، وقد لوحظ في الإنسان وعدد من الأحياء تراكم حبيبات دهنية Lipofuscin في عضلة القلب والنسيج العصبي كلما تقدم العمر ولذا سميت بصبغ العمر Age pigment، وتبدأ ملاحظتها بصعوبة في الإنسان عند سن العشرين ثم يتزايد عددها داخل الليفة العضلية للقلب حتى أنها تحتل حوالي ٥-١٠% منها عند سن الثمانين، وتقل كفاءة القلب في ضخ الدم عند الهرم حيث تنقص كمية الدم المدفوعة عند سن التسعين مقارنة بابن العشرين، وتقل سرعة الانقباض والسبب قلة فاعلية بعض الإنزيمات الخلوية المختصة بإنتاج الطاقة، وإذا لم يتعرض القلب لضغوط وإجهاد فقد لا يُدرك أثر تلك التغيرات، وتزداد نسبة الإصابة بمرض تصلب الشرايين Arteriosclerosis حيث تفقد مرونتها وتزداد قسوتها وسماكة جدرانها ومحتواها من النسيج الضام، ولذا قد يرتفع ضغط الدم وغالبا ما تكون الزيادة في الحد الأعلى أكثر من الحد الأدنى، وقد تحدث ترسبات على الجدران من نسيج ليفي بالإضافة إلى الكولسترول والكالسيوم قد تعيق مرور الدم وتؤدي إلى الاختناقات وحدوث الجلطات وتلف أنسجة حيوية قد يقضي على المصاب.

(٥) العظام:

يتناقص كالسيوم العظام بالتدريج، وهو المادة التي تكسب العظام صلابتها؛ ولذا تزداد هشاشتها ويسهل تعرضها للكسر بأقل الصدمات، ويبدأ تناقص الكالسيوم عادة قبيل الأربعين، وتتأثر الإناث أكثر من الذكور خاصة بعد انقطاع الحيض، ويصبح التئام الكسور بطيئا، وتزداد الشكوى من آلام أسفل الظهر، وقد يكون النقص الزائد للكالسيوم مقدمة لمرض تنخر العظام Osteoporosis، وقد وجد أن حوالي ٤٠-٥٠% من حالات الشيخوخة مصابين بتغيرات نخر العظام في الأقدام أكثر من الأيدي، وتنقص مادة العظام كذلك، وتقل مرونة المفاصل نتيجة لإصابة الغضاريف، ويزداد معدل الإصابة بالتهابات المفاصل Arthritis، ونتيجة للتغيرات في نسيج العظام قد يقل سُمك الفقرات فيقل طول الإنسان، وقد يُصاب الجسم بتقوس الظهر Kyphosis نتيجة لإصابة الفقرات والضعف العام.

(٦) العضلات:

تزداد كتلة النسيج الدهني والليفي كلما تقدم العمر، ويقل النسيج العضلي خاصة مع قلة الحركة، وتبلغ العضلات أوج قوتها عند ٢٠-٢٥ سنة وتستمر حتى ٣٥-٤٠ ثم تبدأ في الضعف تدريجيا ويقل عدد الوصلات العصبية العضلية، وتصل العضلات عند سن ٦٥ لحوالي ٧٥% من قوتها في العشرينيات، وغالبا ما يعتزل الرياضيون قبل سن الأربعين.

(٧) الجهاز التنفسي:

تقل الكفاءة Vital capacity قياسا بأكبر زفير بعد أقصى شهيق حوالي ٤٠% عند الثمانين بالنسبة لسن العشرين.

(٨) الجهاز الهضمي:

ينقص إفراز الهرمونات بالجهاز الهضمي وحامض المعدة وينقص امتصاص الدهون خاصة، وتزداد نسبة المعاناة من الإمساك نتيجة قلة النشاط وقلة المواد الليفية في الطعام، وربما أيضا لتساقط الأسنان وما يُصاحبه من صعوبة المضغ.

(٩) الجهاز البولي:

تقل كفاءة الإنزيمات الخلوية في الكلية، وتفقد بعض الوحدات الكلوية Nephrones؛ ومن ثم تقل كفاءة الكلية.

(١٠) الجهاز التناسلي:

بينما يقل إفراز هرمون الأنوثة كثيرا في الإناث عقب انقطاع الحيض Menopause؛ يقل هرمون الذكورة كذلك في الذكور ببطء في فترة ممتدة من حوالي سن الخمسين إلى التسعين، ولذا لا يوجد غالبا عند الذكر ما يسمى بسن اليأس Climacteric؛ نتيجة لحفاظه على الخصوبة لمدى طويل، ولكن نشاطه التناسلي يضعف تدريجيا وتكثر الشكوى من العِنَّة Impotence، وقد وجد أن النشاط الجنسي في سن العشرين أكبر بحوالي أربع مرات مقارنة بسن الستين، وبينما لا تملك الأنثى فائض بويضات ورصيدها لا يتجاوز يوما في كل دورة شهرية هو يوم التبويض الذي ينقطع بانقطاع الحيض فإن خصوبة الذكر ممتدة وفائضها كبير، فمعدل النشاط المُثمر لابن الستين مثلا قد يصل إلى أربع مرات شهريا.

(١١) تغيرات في خلايا الأنسجة والعمليات الحيوية:

تحدث تغييرات على مستوى الخلايا والأنسجة، فيقل إنتاج المواد الفعالة وبعض الإنزيمات داخل الخلايا قد تصبح أقل فاعلية أو تقل الاستجابة لها، وقد تتراكم بعض المواد المتحللة الغريبة داخل الخلايا وفي الأنسجة، ومنها مادة بروتينية متحللة Amyloid substance تنتج غالبا عن إصابة جهاز المناعة بفقدان قدرة التمييز ومهاجمته لخلايا الجسم، وفي النسيج الضام توجد فتيلات مجهرية رابطة Collagen؛ تتشعب مع مرور الزمن وتزداد تفرعاتها الجانبية فتقل مرونتها وتصبح قاسية، وتتكسر الفتيلات المرنة Elastin فيفقد النسيج مرونته بالتدريج مثلما يحدث في جدران الأوعية الدموية مع الإصابة بتصلب الشرايين، وفي النصف الأول من العمر يكون معدل عمليات البناء Anabolism أعلى، أما في النصف الثاني فيقل معدل نشاط العمليات الحيوية Metabolism ويزداد معدل الهدم Catabolism؛ وتتجه القدرات البدنية والعقلية في النصف الأول من العمر نحو الزيادة؛ بينما تتجه في النصف الثاني نحو التدهور والنقص.

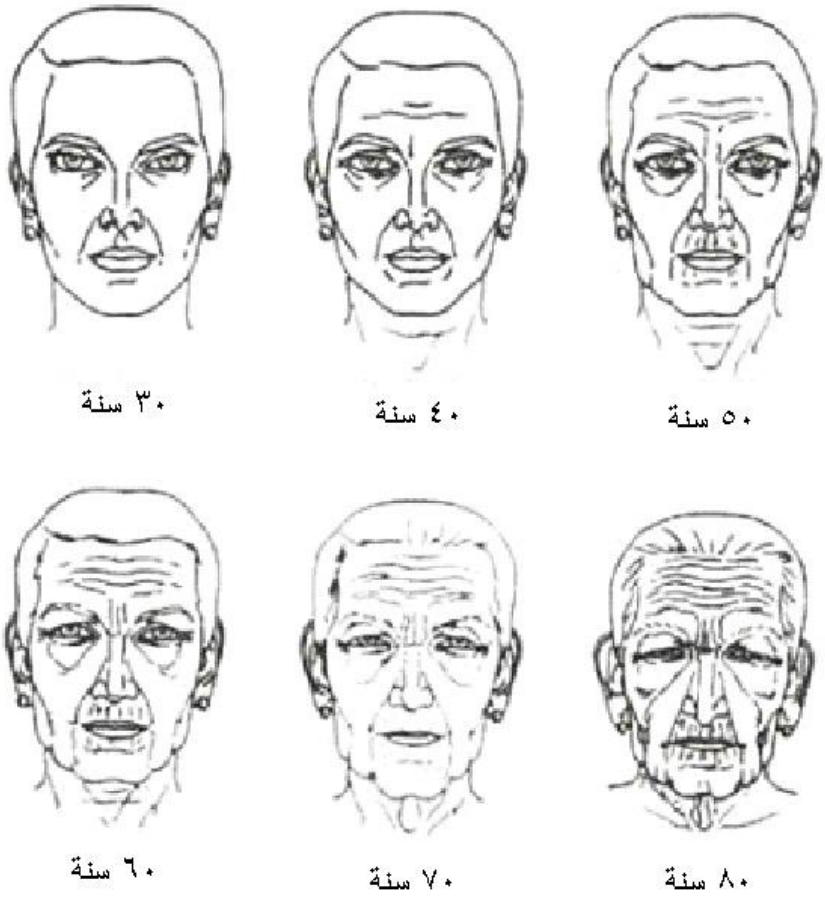

تجاعيد الوجه في الأعمار المختلفة.

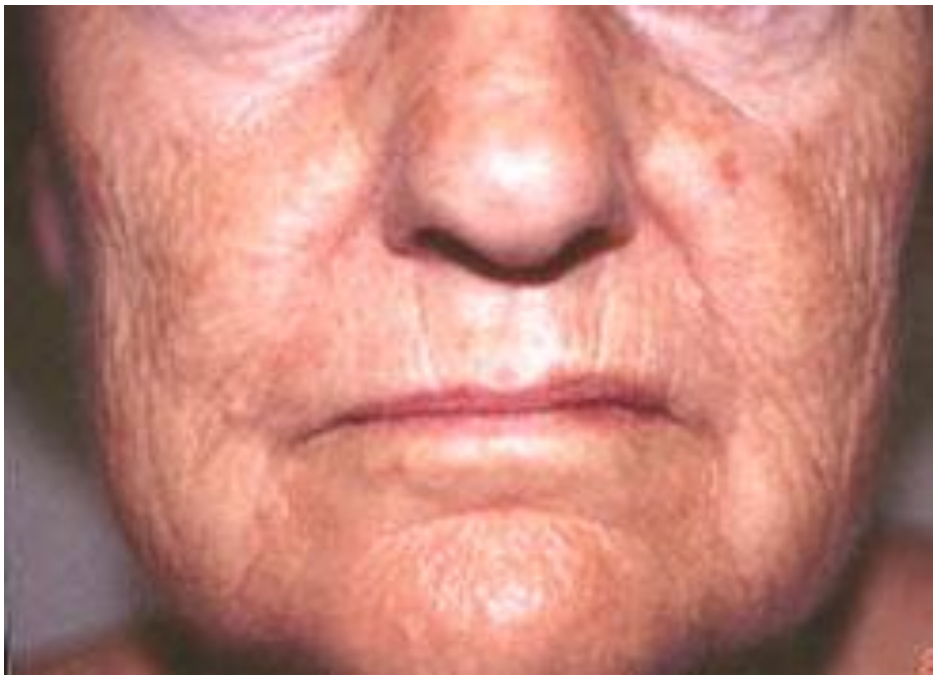

التجاعيد وبقع الشيخوخة في الوجه

(١٢) الجلد:

لوحظ أن أكثر من ثلث المتجاوزين سن الخمسة والستين يعانون من مشاكل جلدية، مثل الإصابة بالجفاف والالتهابات والفطريات والأورام، وتزداد قابلية الجلد للتأثر بأشعة الشمس المباشرة، ونتيجة للتغيرات في الأنسجة الضامة في الجلد يظهر تجعدات Wrinkles، وقد تظهر بقع داكنة في المناطق المعرضة لأشعة الشمس تسمى بقع الشيخوخة Senile Keratosis، وتنتج عن تسارع في نشاط الخلايا المنتجة للطبقة القرنية، وفي بعض النسوة قد يظهر تشعر المناطق الذكرية Hirsutism كالشارب والذقن، وتتوقف تدريجيا وظيفة الخلايا الملونة للشعر Melanocytes قبل أن تتوقف بسنوات وظيفة خلايا البصيلات المسئولة عن إنتاج الشعر Hair follicles، ولذا يتغير لون الشعر ويصبح أقل سمكا وغزارة قبل سقوطه نهائيا في بعض المناطق، وينقص نشاط الغدد العرقية والغدد الدهنية المجاورة للشعر، ويصبح الجلد رقيقًا وجافًا وتقل مرونته، وتحتاج الجروح إلى وقت أطول لكي تلتئم.

الأسباب:

الشيخوخة ظاهرة في غاية التنظيم ترجع أساسا إلى برنامج وراثي مُوحد لكل نوع من الأحياء تنفذه المورثات Genes، ومن الجائز وجود عوامل داخلية أو بيئية تدفع المورثات لإحداث التغيير، وقد تعجل بعض العوامل بظهور العوارض كالأمراض المزمنة مثل البول السكري أو ارتفاع ضغط الدم، ويرجح أن الشيخوخة حصيلة عوامل تخريبية تصيب الجسم مع الزمن كالإشعاعات ووقوع الطفرات Mutations وتراكم المواد المؤكسدة Oxidizing agents الناتجة عن الطعام، ويرى آخرون أنها نتيجة لاستهلاك الأعضاء مثلما تبلى وتتمزق الملابس بالاستخدام Wear & Tear، وتشارك الغدة النخامية الواقعة تحت سيطرة منطقة تحت المهاد Hypothalamus في المخ بإنقاص إفراز هرمون النمو والهرمونات الجنسية، وأما التغيرات الإنزيمية والمناعية والترسبات في الخلايا؛ فالأغلب أنها نتيجة وليست سببا.

وتميل الدراسات الإحصائية إلى تأييد الجانب الوراثي كسبب رئيسي للشيخوخة، فقد وجد أن التوائم المتماثلة ذوي البرنامج الوراثي المُوحد تميل للتماثل في طول العمر، ويميل أبناء الوالدين طويلي العمر للعيش عمرا أطول من أبناء الوالدين ذوي العمر الأقصر، ووفق برنامج وراثي موحد يتميز كل نوع من الكائنات الحية بحد مقرر ثابت لطول الأجل Longevity أو مدى الحياة Life span، فتعيش بعض الفراشات يوما وبعض الديدان أسبوعان وتبلغ ذبابة الفاكهة ٣٠-٤٠ يوما وتعيش بعض الفئران عامان، ويعيش الأرنب حوالي اثنا عشرة سنة والقط عشرين ويزيد الكلب قليلا عن الثلاثين وقد يصل عمر الخفاش إلى حوالي خمسين سنة، ويبلغ الفيل دون الستين، ونادرا ما يتجاوز عمر الإنسان مئة سنة، وأما بعض السلاحف فتعيش مئات بينما تعيش بعض الأشجار المُعمرة آلاف السنين.

وهناك مرض عجيب شبيه المظاهر يُدعى بالشيخوخة المُبكرة Progeria، ويحدث النوع النادر منه في الطفولة ويظهر فيه ابن الخمس سنوات كما لو كان ابن الستين، ومع قصر القامة يشيب شعر رأسه ويتساقط مُبكرا وتظهر الأوعية الدموية غليظة تحت جلد رقيق للرأس، ويُصاب حول سن العاشرة بأمراض القلب والأوعية الدموية ويموت غالبا عند سن الثالثة عشرة ولا يبلغ الثلاثين، ويوجد نوع آخر غير نادر يظهر عند البلوغ وفيه يشيب الرأس ويسقط الشعر وتسقط الأسنان، وتظهر أمراض القلب والأوعية الدموية وتنخر العظم والتهاب المفاصل ويضعف السمع والبصر وتكثر الإصابة بالبول السكري والسرطان؛ ويموت المصاب غالبا قبل الخمسين، وقد وُصفت الحالة للمرة الأولى عام ١٨٨٦، ولم يُسجل من النوع النادر حتى الآن سوى حوالي مئة حالة، وهي مطمع عند المُختصين على أمل أن تقود لكشف سبب الشيخوخة، واكتشفت بحوث الوراثة تشابه بين الحالتين؛ مما يؤيد الجانب الوراثي كسبب رئيسي للشيخوخة.

(١٣) الرعاية الطبية والاجتماعية:

اكتشف هرمون النمو Growth hormone عام ١٩٢٠، واستخلص عام ١٩٥٦، واستخدم للمرة الأولى في علاج طفل متأخر النمو عام ١٩٥٨، وهو مرشح حاليا كعلاج تعويضي في الشيخوخة، ومن الأدوية الأخرى مضادات الأكسدة Antioxidants وتوجد طبيعيا في بعض الأغذية كالفواكه والخضروات الطازجة وزيت الزيتون، وتفيد بعض التقارير أنها تحمي من الإصابة بالسرطان، وقد يستخدم الهرمون الأنثوي في سن اليأس لتلطيف الأعراض؛ ويستخدم الهرمون الذكري كمنشط لعلاج العنة، لكن العلاج بالهرمونات عموما له محاذيره، وقد تُستخدم الفيتامينات والمعادن خاصة عند النقص الغذائي، ويستخدم الكالسيوم خاصة مع آلام الظهر والكسور، والالتزام بالنوم ليلا واليقظة في وقت مبكر والحفاظ على نوم فترة الظهيرة قد يساعد على التخلص من اضطراب النوم، ولا ينصح بالرياضة العنيفة وإنما برياضة معتدلة كالتنزه، وينصح بالأطعمة قليلة الدسم قليلة الكلسترول وتجنب الغضب والتدخين والخمور والإسراف في الطعام، وقد وجد أن حوالي ٩٠% من حالات الشيخوخة طبيعية بلا مضاعفات Complications وحوالي ١٠% فقط من الحالات تصاحبها الأمراض، وبعضها يمكن علاجه أو توقيه ولكن عوارض الشيخوخة لا يمكن التخلص منها أو وقفها والقدرات إذا فقدت لا يمكن استردادها، ولا يوجد سن موحد لفقدها وإن اعتبر العمر ٦٠ أو ٦٥ سنة مناسبا للإعفاء من الخدمة في الوظائف الحكومية، ولكن الفروق الفردية واسعة وقد تمتد القدرة المهنية لسنوات بعد الخامسة والستين، ولذا يرى البعض تقييم الحالة الصحية والمهنية لكل فرد على حدة حفاظا على الخبرات، وأما بيوت رعاية كبار السن فليست الحل الأمثل لأنها لا تعوض روابط البيئة الأسرية وعلاقات القرابة التي اشتهرت بها المجتمعات منذ القدم.

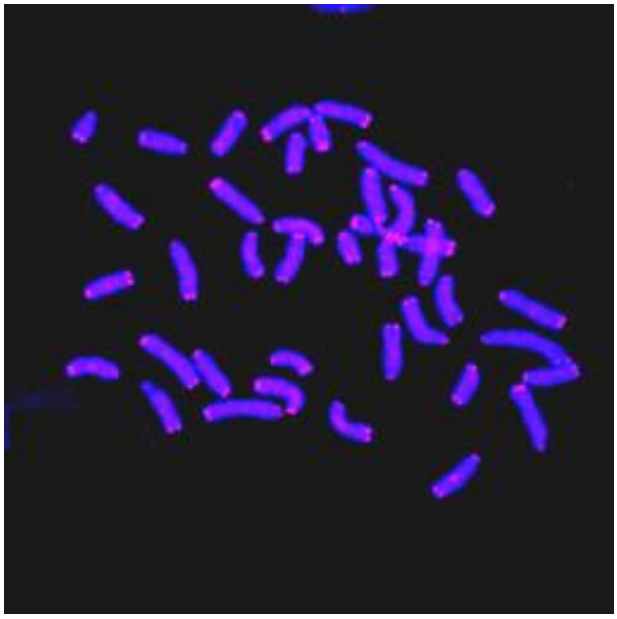

صورة بالصبغة للفتائل الوراثية (الكروموزومات)
وعلى طرفي كل منها عداد الأجل باللون الأحمر.

كشف جديد يؤيد سبق التقدير:

كان الاعتقاد السائد أن الخلايا الحية المُستنبتة معمليا قادرة على الانقسام بلا حدود، وتبين مؤخرا أن قدرتها على الانقسام محدودة، أي أنه بعد عدد محدود من الانقسامات تشيخ المزرعة الخلوية وتموت، فظهر الافتراض بوجود آلية داخل الخلية معنية بالتحكم في العمر عن طريق توقيف الانقسام وإفساح المجال لعمليات الهدم لتميت الخلية، فعكف الباحثون على اكتشاف هذه الآلية المفترضة، ومنذ سنوات يسيرة تم الاكتشاف بأن الجزء الأخير Telomere عند نهايتي كل فتيلة وراثية Chromosome؛ ينقص طوله مع كل انقسام خلوي وتضاعف منظومة صانع البروتين (الحمض النووي DNA)، ووجد أنه يعمل كساعة أو عداد يحسب عدد الانقسامات ويقوم كذلك عند الانقسام بحفظ المادة الوراثية من التبعثر والاندماج الخاطئ، ويسمى الغطاء الطرفي End cap أو عداد التضاعف Replico-meter، ويُمكن أن يُسمى أيضا عداد الأجل Longevity-meter؛ لأن طوله إذا انكمش إلى حد حرج يقف الانقسام وتموت الخلية.

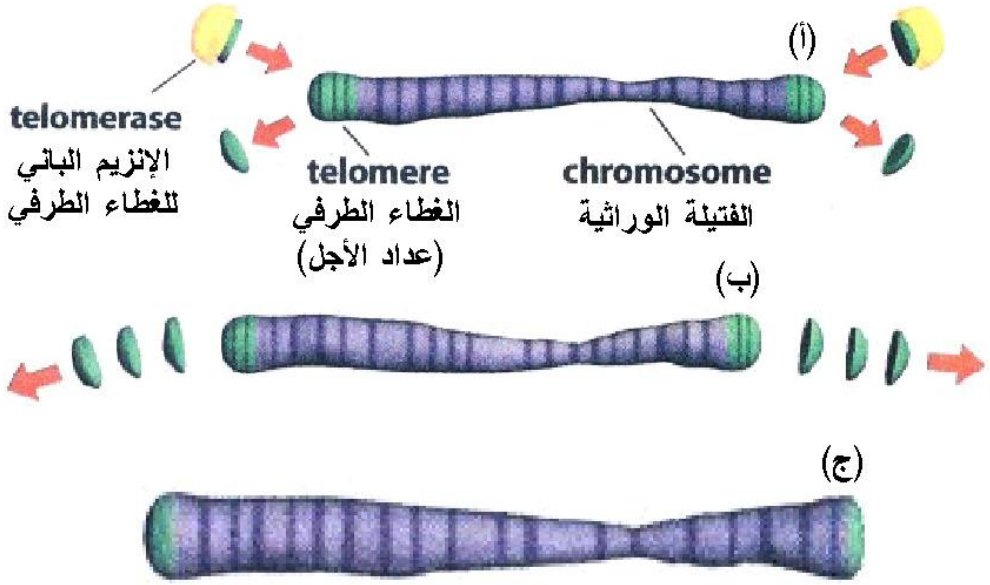

لا ينقص طول الغطاء الطرفي في الخلايا الجنينية الأم والسرطان لأن الإنزيم الباني يعوض ما ينقص منه (أ)، وكلما تقدم العمر ينقص طوله في الخلايا الجسدية لغياب الإنزيم (ب)، وفي الشيخوخة يكون بالغ القصر (ج).

وتتبدى الشيخوخة في وقت محدد نتيجة لآليات خلوية تعمل متزامنة في تناسق عجيب، والخلية الحية محدودة الأجل خاصة في الأنسجة سريعة التجدد، وتقف وظائفها عند حد معين وتموت، وفي بداية الستينيات من القرن الماضي أطلق ويشمان Weismann وكاريل Carrel على توقف تلك الوظائف تعبير شيخوخة الخلية Cell senescence، ولم تدرك العلاقة بين شيخوخة الخلية وتناقص طول الغطاء الطرفي إلا مؤخرا خاصة بعد اكتشاف جريدر Greider وبلاكبورن Blackburn الإنزيم الباني للغطاء الطرفي Telomerase عام ١٩٨٥، وكان أول من ربط بين شيخوخة الخلية وفقد جزء من طول الغطاء الطرفي هو هوارد كوك Howard Cooke عام ١٩٨٦، فقد وجد أن الخلايا المُستنبتة المأخوذة من صغار السن ذات أغطية طرفية أطول وأن مرات انقسامها أكبر من المأخوذة من كبار السن، وفي عام ١٩٨٩ اكتشف مورين Morin أن نشاط الإنزيم الباني زائد في الخلايا السرطانية، وهو ما أيد فرضية أولوفنيكوف Olovnikov عام ١٩٧١ من وجوب وجود آلية تُخرج انقسام الخلايا السرطانية عن السيطرة، وزيادة الإنزيم الباني في الخلايا السرطانية دون الخلايا الطبيعية تعوض ما يفقد من طول الغطاء الطرفي بالانقسام فلا يتناقص طوله؛ وبالتالي تنقسم الخلايا السرطانية بلا توقف، وزيادة الإنزيم في الخلايا السرطانية قد أيدتها الأبحاث المتوالية منذ عام ١٩٩٤ إلى اليوم، وهذا معناه إمكانية القضاء على السرطان بوقف نشاط الإنزيم الباني عن طريق عقار مضاد يُوقف عمله أو عمل المورث (الجين) المُولد له، وإمكانية تأخير الشيخوخة بتعاطيه كعقار أو التداوي بالمورث المولد له.

مراحل العمر:

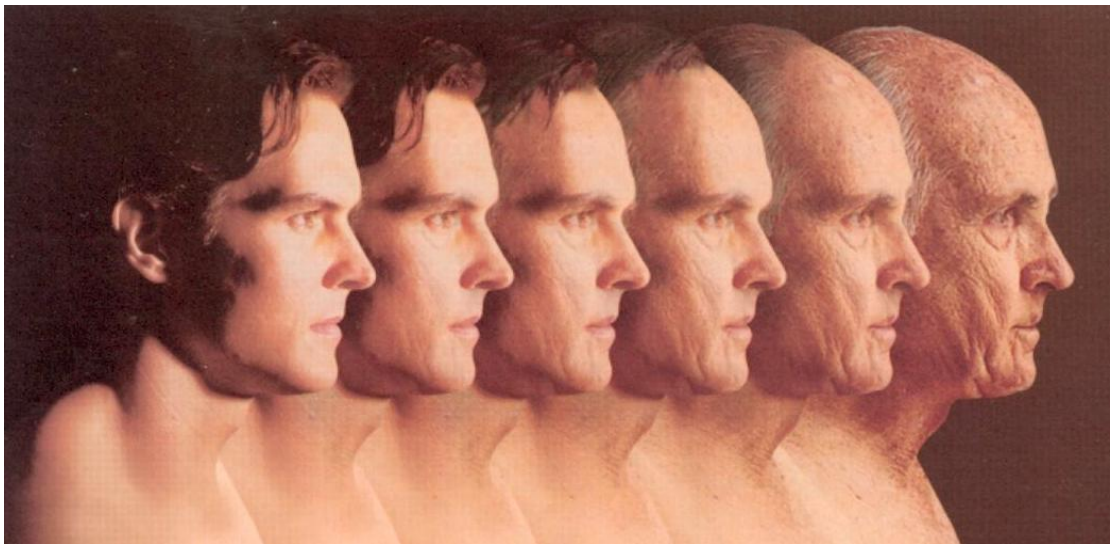

في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ٣٠الروم:٥٤؛ وصف القرآن الكريم التغير في القوة على طول العمر مع التذكير بأن الإنسان قد خُلق ضعيفا ابتداءً، وكأنه بهذا قد رسم منحنىً تصويريًا يُبين فيه درجة القوة في مختلف مراحل عمر الإنسان قبل أن يُستخدَم ذلك الأسلوب البياني في الدراسات العلمية الحديثة، والقوة تبلغ أوْجها في مرحلة الشباب ثم يُعكس الاتجاه ويبدأ الارتداد والانقلاب والانتكاس ليكون سمة مرحلة الشيخوخة، ولذا وصفها القرآن بالضعف، والعجيب أنه التزم بتمييزه عن الضعف الأول بإضافة الشيب، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ الروم:٥٤، وقال تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ مريم:٤، والتدرج في الشيب يجعل ضعف الشيخوخة في تنامي مع انعدام الأمل في استرداد قوة الشباب في مقابل تدرج الضعف الأول نحو القوة، والتصوير في وصف الشيب بالنيران المتأججة لبيان استيعابه لأغلب الرأس يفيد أن المقام للمبالغة والاستيعاب فيجعل نسبة الوهن للعظم كذلك؛ وليست لقصر الوهن عليه، وكأنه قال (نال الوهن مني أصلب شيء)، فمن باب أولى كل ما دونه صلابةً، وبذلك يعم الوصف بالوهن أغلب البدن، فتأمل الدقة في التعبير وروعة البيان باعتماد أسلوب التصوير.

قال المُفسرون: قوله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف..) الآية: "يعني أنه خلقكم ضعفاء.. ثم جعلكم ضعفاء في حال الشيخوخة"[١٢١٣]، حيث: "تتغير الصفات الظاهرة والباطنة"[١٢١٤]، و"معنى من ضعف من نطفة ضعيفة، وقيل من ضعف أي في حال ضعف"[١٢١٥]، وفي قوله تعالى: (قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا)، قالوا: "أراد أن قوة عظامه قد ذهبت لكبره ..، (واشتعل الرأس شيبا) يعني انتشر الشيب فيه كما ينتشر شعاع النار في الحطب وهذا من أحسن الاستعارات"[١٢١٦]، "ولا ترى كلاما أفصح من هذا"[١٢١٧]، "وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة مالا يخفى"[١٢١٨]، "وتخصيص العظم لأنه دعامة البدن وأصل بنائه ولأنه أصلب ما فيه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن .. واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها .. وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة"[١٢١٩]، "والمراد من هذا الإخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة"[١٢٢٠].

[١٢١٣] أحكام القرآن ج٥ ص٢١٩.
[١٢١٤] تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٤٠.
[١٢١٥] تفسير القرطبي ج١٤ ص٤٦.
[١٢١٦] زاد المسير ج٥ ص٢٠٧.
[١٢١٧] تفسير النسفي ج٣ ص٣٠.
[١٢١٨] تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٥٣.
[١٢١٩] تفسير البيضاوي ج٤ ص٤.
[١٢٢٠] تفسير ابن كثير ج٣ ص١١٢.

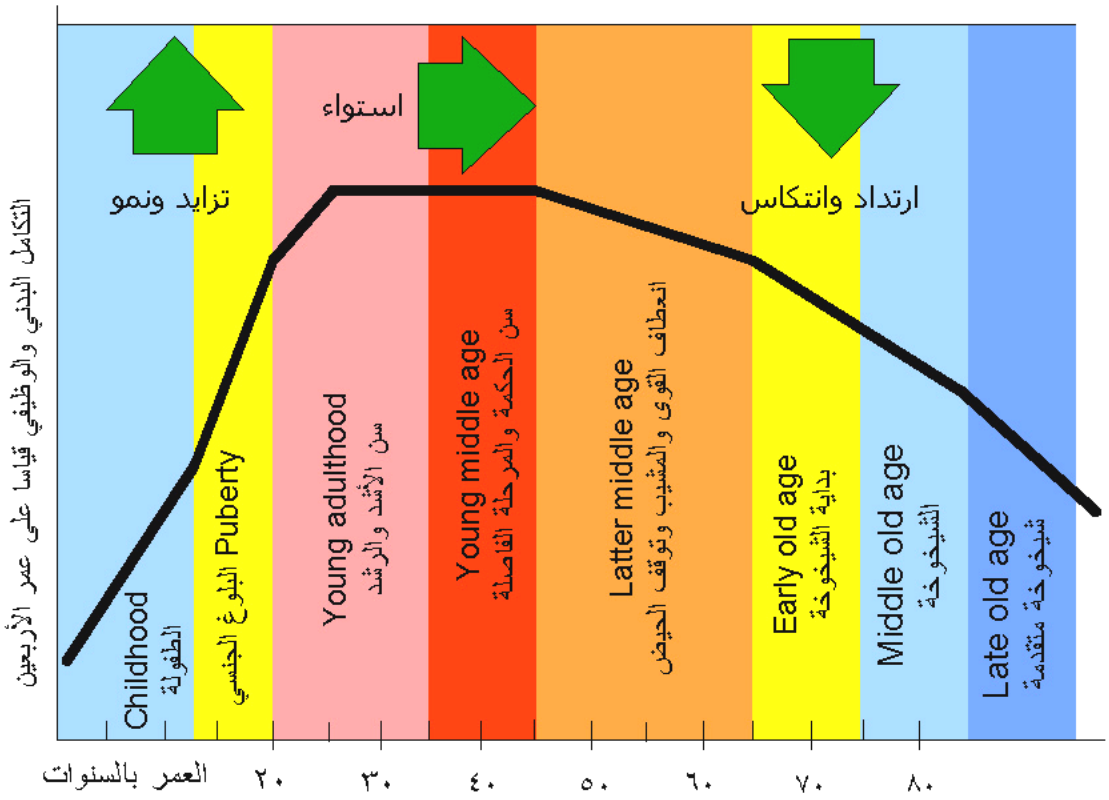

يتفق وصف القرآن الكريم للقدرات في مختلف مراحل العمر مع المعطيات العلمية الحديثة.

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ غافر:٦٧، عَبَّرَ القرآن الكريم عن بلوغ الإنسان مرحلة الشباب بلفظ (أَشُدَّكُمْ)؛ وهو بصيغة أفعل التفضيل، ويعني هنا غاية القوة، وفي مقام مرحلة الضعف التي تلي حالة الأشد أتى باللفظ (شُيُوخًا) المشتق من مادة (الشيخوخة)، وهو بهذا الترتيب والتمييز بعد حالة (الأشد) قد وصف مرحلة الشيخوخة ضمنًا بالضعف بالنسبة لمرحلة الشباب؛ أو قمة منحنى القوة بالنسبة للعمر، والقوى تتزايد مع النمو وعند بلوغ الأشد يقف تصاعد المنحنى ويستوي؛ بينما تستمر القدرة العقلية والخبرة في تزايد حتى يكتمل الاستواء عند الأربعين قبل أن يرتد المنحنى وينعكس الاتجاه، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ القصص:١٤، وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ الأحقاف:١٥، ولتحقق الحكم السديد والإمامة في العلم أضاف القرآن إلى بلوغ (الأشد) بلوغ الاكتمال بلفظ (الاستواء) وجعل حده (أربعين)، فكأنه بهذا التقرير قد اختار التعبير إحصائيا بالغالب وهو الأسلوب المعتبر علميا اليوم، ولم يذكر سوى الأربعين، فكأنه أحال ما قبلها وبعدها على الملاحظة البشرية تاركا فسحة لاكتشاف طيفا أوسع من الاختلافات العرقية والفردية.

قال المفسرون: "(ولما بلغ أشده) أي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوه وقوله تعالى (واستوي) أي كمل، و(بلوغ الأشد) في الأصل هو الانتهاء إلى حد القوة وذلك وقت انتهاء النمو وغايته وهذا مما يختلف باختلاف الأقاليم والعصور والأحوال"[١٢٢١]، و"(حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة) فهو أقصى نهاية بلوغ الأشد"[١٢٢٢]، "في الأغلب"[١٢٢٣]، و"في الأربعين يتناهى (أي يتكامل) العقل"، "فإذا زاد على الأربعين أخذ في النقصان"[١٢٢٤]، و"من الناس من يموت قبل أن يخرج طفلا؛ وآخرون قبل الأشد وآخرون قبل الشيخوخة"[١٢٢٥]، أي: "(ومنكم من يتوفى من

[١٢٢١] روح المعاني ج٢٠ص٥١.
[١٢٢٢] لسان العرب ج٣ص٢٣٦،
[١٢٢٣] روح المعاني ج٢٠ص٥١.
[١٢٢٤] الدر المنثور ج٦ص٣٩٧.
[١٢٢٥] تفسير الثعالبي ج٤ص٧٩.

قبل) أن يبلغ الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) يقول ولتبلغوا ميقاتا مؤقتا لحياتكم وأجلا محدودا لا تجاوزونه"[١٢٢٦]، "يريد أجل الحياة"[١٢٢٧].

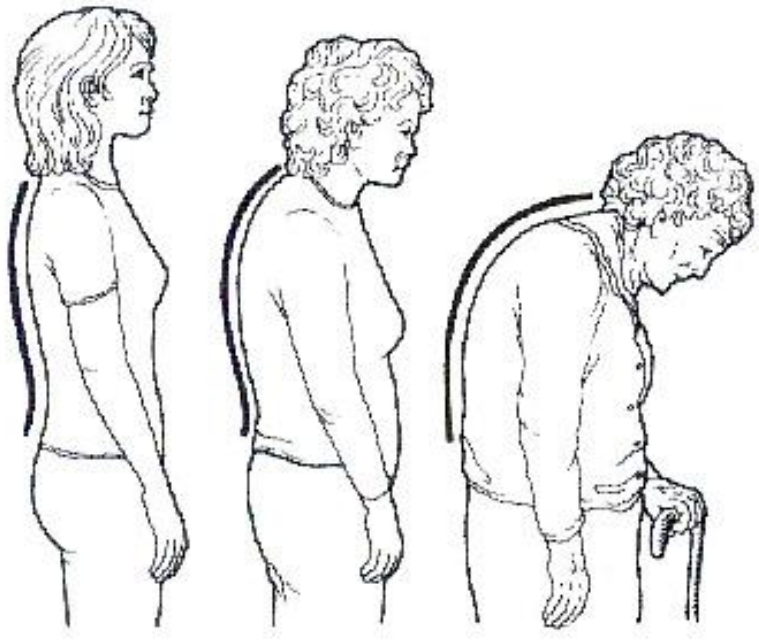

تعبير القرآن الكريم بتنكيس خلق المُعمرين؛ يشمل الارتداد الظاهر في الهيئة؛ وضعف ونقص البنية والتراكيب الداخلية والوظائف الحيوية.

أواخر العمر:

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ يس ٦٨، أجمل القرآن التعبير عن منحنى تغير القدرات في مختلف مراحل العمر، وأبرز حالة الارتداد والانقلاب والانتكاس كصفة لازمة لمرحلة الشيخوخة المعبر عنها بلفظ (نُعَمِّرْهُ) المشتق من (التعمير) أي إطالة العمر، وهنا جعل الصورة الحسية للطاعن في السن المقوس الظهر المنكس الرأس بيانا لتنكيس أشمل وأعمق يعم تراكيب ووظائف الجسم كله، وإطلاق فعل (التنكيس) ليعم كل ما يُمكن أن يدل عليه لفظ (الخلق) في إطار وصف الإنسان في الشيخوخة يجعله يشمل كل تكوين أو وظيفة على كافة المستويات، ولذا كل ما عرفناه اليوم من التدهور في البنية والوظائف ما هو إلا دليل على الوحي، فالشيخوخة كما هو الموت مصير محتوم يعكس تقديرا واحدا لا مناص منه لمن يُجادل في وحدانية الله تعالى؛ أو يحيل إلى الصدفة التي يستحيل أن تقيم نظاما أو تحافظ على ثبات، فالغرض إذن التحذير من الغد وبيان مظاهر قدرة ذي الجلال ومشيئته النافذة ودلائل علمه بالمخلوقات.

قال المفسرون: "النكس قلب الشيء على رأسه"[١٢٢٨]، وفي مقام النمو يعني النكس الضعف والتدهور والارتداد، أي: من بلغ آخر العمر قلبنا حاله، "فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما"[١٢٢٩]، "وفيه تشبيه التنكيس المعنوي بالتنكيس الحسي"[١٢٣٠]، وظاهرة الضعف في الشيخوخة ظاهرة مقدرة تعم كل إنسان، لأن: قوله (ومن نعمره) يعم كل أفراد الجنس، و"صيغة المضارع (ننكسه) للدلالة على التجدد والاستمرار"[١٢٣١]، و"الخلق يستعمل بمعنى المخلوق"[١٢٣٢]، و"في لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقا لقوله: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾"[١٢٣٣]، و"الله (بدأ الخلق) .. والمبدوء الشيء المخلوق"[١٢٣٤]، والدلالة هي بيان حالة ضعف

[١٢٢٦] تفسير الطبري ج٢٤ص٨٢.
[١٢٢٧] تفسير البغوي ج٤ص١٠٤.
[١٢٢٨] لسان العرب ج٦ ص٢٤٣.
[١٢٢٩] لسان العرب ج٦ص٢٤٢.
[١٢٣٠] روح المعاني ج٢٣ص٤٦.
[١٢٣١] روح المعاني ج١٧ص١١٩.
[١٢٣٢] الروح ج١ص١٥١.
[١٢٣٣] دقائق التفسير ١\٣٢٥.
[١٢٣٤] العين ج٨ ص٨٣.

وتدهور تعم الجسم كله، أي: "هو الضعف في الخلقة"[١٢٣٥]، "أي نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها إلى نقصانها بعد زيادتها"[١٢٣٦]، "فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك"[١٢٣٧]، "والحق أن زمان ابتداء الضعف وانتقاص البنية مُختلف لاختلاف الأمزجة والعوارض"[١٢٣٨]، "والمُراد من هذا والله أعلم الإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال لا دار دوام واستقرار، ولهذا قال عز وجل (أفلا يعقلون) أي يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى سن الشيب ثم إلى الشيخوخة ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى؛ لا زوال لها، ولا انتقال منها، ولا محيد عنها، وهي الدار الآخرة"[١٢٣٩].

وضعف مرحلة الشيخوخة نذير الهلاك؛ ولذا عبَّرَ عنها القرآن حكاية عمن بلغها أو وصفها بأسلوب يُفيد الاسترحام، مثل: ﴿مَسَّنِي الْكِبَرُ﴾ الحجر:٥٤، و﴿أَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ البقرة:٢٦٦، و﴿قَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ آل عمران:٤٠، و﴿قَدْ بَلَغْتُ مِنْ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ مريم:٨، و﴿أَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ القصص:٢٣، وللتدهور في البنية والوظائف وصف القرآن الشيخوخة بأنها أرذل العمر: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ١٦النحل:٧٠، ومن أهم ملامح التدهور إصابة المخ وتناقص المهارات والكفاءات الذهنية؛ مما قد يُفسر سبب اختيار تلك الوظيفة التي تختص بالتكليف لتبرير الوصف: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ الحج:٥، والعليم الحكيم سبحانه وتعالى يسن تشريعا للأبناء يكشف العلم بالمخلوقات يراعي فيه حالة الضعف البدني والعقلي عند الآباء عند بلوغهم الكِبَر، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء:٢٣و٢٤، ولك أن تلحظ في التعبير غاية العناية والرأفة والرحمة بكبار السن حتى إن القرآن قد قرن الإحسان بالوالدين عند الكِبَر بوحدانية الله وهي قضيته الكبرى.

قال المفسرون: "الأرذل من كل شيء الرديء منه"[١٢٤٠]، "ولا يرجى له بعده عود من النقصان إلى الزيادة ومن الجهل إلى العلم كما يرجى مصير الصبي من الضعف إلى القوة ومن الجهل إلى العلم"[١٢٤١]، "وإيثار (فعل) الرد (نرده) على الوصول والبلوغ ونحوهما للإيذان بأن بلوغه والوصول إليه رجوع في الحقيقة إلى الضعف بعد القوة ..، (لكيلا يعلم بعد علم شيئا).. من المعلومات"[١٢٤٢]، أي: "لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه"[١٢٤٣]، "وهذه عبارة عن قلة علمه لا أنه لا يعلم شيئا البتة"[١٢٤٤]، "فالمراد المبالغة.. وفائدة ذلك الإيذان بأن بلوغ الأشد أفضل الأحوال"[١٢٤٥].

وفي قوله تعالى حكاية عن امرأة إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ هود:٧٢، أضاف النظم إلى عجزها عن الإنجاب سببا آخر: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾، والبعولة من الذكورة والفحولة ولا يوصف بها سوى الذكر"[١٢٤٦]، فكأنه أخبر عن تحوله إلى الضعف بشيخوخته، وأما لفظ (عَجُوزٌ) المشتق من العجز؛ فقد قصره على الأنثى المقطوع بعجزها عن الإنجاب بتجاوزها سن الحيض؛ كما قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾

[١٢٣٥] تفسير ابن كثير ج٢ص٥٧٧.
[١٢٣٦] تفسير البغوي ج٤ص١٨.
[١٢٣٧] تفسير أبي السعود ج٧ص١٧٧.
[١٢٣٨] روح المعاني ج٢٣ص٤٦.
[١٢٣٩] تفسير ابن كثير ج٣ص٥٧٩.
[١٢٤٠] لسان العرب ج١١ ص٢٨١.
[١٢٤١] أحكام القرآن ج٥ ص٢٥٠.
[١٢٤٢] تفسير أبي السعود ج٥ص١٢٧.
[١٢٤٣] تفسير النسفي ج٢ص٢٦٣.
[١٢٤٤] تفسير الثعالبي ج٢ص٣١٧.
[١٢٤٥] روح المعاني ج١٧ص١١٨.
[١٢٤٦] ابن عاشور ج٢ص٣٩٣.

الشعراء:١٧١، والصافات:١٣٥، لذا رافق اللفظ (عجوز) الوصف (عقيم) لانقطاع الأمل في الإنجاب بانقطاع الحيض في قوله: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ الذاريات:٢٩، والشيخ غير مقطوع الأمل ووصفه هنا يتعلق ببيان ضعف النشاط لا زوال الخصوبة، والعجيب أن القرآن لم يصف الذكر أبدا باللفظ (عجوز)؛ بينما لغة التخاطب منذ التنزيل إلى اليوم تجيز لك القول: هذا رجل عجوز، فانظر إلى أي مدى؛ قد بلغت في القرآن الدقة في التعبير.

سبق التقدير برهان التوحيد:

يُرجع القرآن الكريم الشيخوخة وكافة الظواهر في الكون إلى قدرة الله تعالى وتقديره في الخلق، ويعبر عن الذات العلية بالتعظيم في مواضع التقدير في الخلق للتحدي بالاقتدار والعظمة وبيان عجز المخلوقين مثل (نعمره) و(ننكسه) في قوله ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾، وما عرفناه حتى اليوم يؤيد أن الشيخوخة وكل الظواهر مقدرة ولا مناص منها، والذين يدعون إلى مبدأ التطور بمعزل عن مبدأ الخلق وينسبون ظواهر كالطفرة والاختيار للصدفة يَغُشُّون مُتعامين عن أن كل شيء إنما هو بغرض وتقدير وقصد، ويرى المختصون أن الشيخوخة ليست بلا غرض، وإنما هي التي تكفل تجدد الحياة وتنوعها بإفساح المجال لذرية جديدة ذات سمات قد تجعلها أقدر على التكيف في البيئات المتجددة، قال ويشمان: "إن موت الأسلاف يُخلي المجال لذرية أقوى على التكيف"، وتلك العبارة تعني أن الشيخوخة تقدير حكيم مقصود، وكما فرض التقدير في الخلق على المختصين مصطلحات تدل عليه مثل الموت المُبرمج للخلية Apoptosis (Programmed cell death) والموت المبرمج للأعضاء الخلوية الدقيقة Organoptosis وللميتوكوندريا Mitoptosis؛ وهي المصانع الخلوية لتجهيز وتعليب طاقة الغذاء؛ قد أضافوا كذلك تعبير يدل على أن الشيخوخة ليست سوى حالة من الموت المُبرمج للجسم كله Phenoptosis (Programmed body death).

ويُمكن حاليًا تقديم الأدلة على أن الشيخوخة مُقدرة Predetermined؛ وفق برنامج يعكس الحكمة في الخلق، ومن تلك الأدلة اكتشاف حد لعدد انقسامات الخلية (حد هايفليك Hayflick's limit)، فالأبحاث العلمية الحديثة تؤيد أن الشيخوخة ليست إلا وجها من الموت المبرمج، وأما اكتشاف الموت المبرمج للأعضاء الخلوية والموت المبرمج للميتوكوندريا فقد أضافا مزيدا من الأدلة على أن الأحداث الحيوية مقدرة لتسلك سلوكا حكيما لا عن مصادفة؛ حيث تذوي الأعضاء الخلوية الدقيقة أو الميتوكوندريا عندما تصبح ضارة أو غير ذات فائدة، ومثله اكتشاف ظاهرة الموت المبرمج للخلية؛ فبعض الخلايا تسلك مسلكا اجتماعيا عجيبا للدفاع عن الجسم عندما يغزوها فيروس فتستدعي عمليات موجودة آلياتها بداخلها؛ الأليق أن نسميها تضحية وإيثار لا انتحار، تجعلها تموت ومعها الفيروس مدفون في أحضانها، وقد تبين أن ذلك الأسلوب المُقدر الفريد يتبعه الجسم للتخلص من الخلايا أو حتى الأنسجة التي أصبحت ضارة به، أو على الأقل غير ذات فائدة، وبالمثل أمكن لأبي ذنيبة التخلص من ذيله ليصبح ضفدعا خفيف الحركة قادرًا على القفز، وأمكن للشجر أن يُسقط أوراقه قبيل مقدم الخريف؛ لأنها ستكون غير ذات فائدة في الشتاء، فيوفر ما ستستهلكه من الغذاء، فهل يُمكن أن يُنسب ذلك السلوك الواعي الحكيم إلى الخلايا، أم إلى الكائنات نفسها، أم إلى المصادفة، أم هو أحد مظاهر التقدير الحكيم المبثوث في كل المخلوقات على كافة المستويات!، إن المصادفة لا يُمكن أن تُقيم نظامًا ثابتًا ذو أحداث تتكرر بانتظام، ولا سبيل سوى الإقرار بحكمة الله تعالى وعنايته المتجليان في كل حين في أنفسنا وما حولنا، وأما وحدة أصول الموجودات، واختصاص كل نوع بتقدير مُوحد رغم التمايز؛ فشاهد عدل على قدرة الله ووحدانيته.

جين مارتن شاركوت Jean Martin
(١٨٢٥-١٨٩٣) Charcot

كتاب مُعجز فريد:

تنكيس الخلق وصف عام يشمل انتقاص البنية بكل المستويات؛ تبعًا للنقص المُقَدَّر بأطراف الكروموزومات، ولكن أول من تنبه لدراسة ظاهرة الشيخوخة هو الطبيب الفرنسي جين مارتن شاركوت Jean Martin Charcot (١٨٢٥-١٨٩٣) في عام ١٨٨١، ولم يتبعه أغلب الباحثين إلا في القرن العشرين، ولذا نعجب أن يوليها القرآن عنايته قبل ذلك بأكثر من عشرة قرون ويتناولها بالوصف الدقيق في مواضع كثيرة بأساليب متنوعة لا تجد بينها اختلاف بل تكامل وائتلاف، وتكشف خفايا من التكوين ووجوها من التدبير، وتُنذر الفطين بالمصير ولا تجد لها اليوم في أي كتاب ينسب للوحي غير القرآن نظير، وتلك الأساليب والدلالات هي من عجيب التعبير المُعجز الفريد الذي يطابق الواقع المجهول زمن التنزيل ويراعي المقام ويتلطف في البيان حتى لا يُصادر الكشف ويصدم المعارف ويشوش على أغراضه المُتنوعة، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾؛ مطالبة للعقلاء باستيعاب الدرس والاستنتاج، فلا فوضى في الخلق بل إن كل شيء في نظام ثابت المعالم يعكس وجود تقدير صارم يقطع بالقدرة الإلهية النافذة الإرادة في الموجودات، وإن إدراك خفايا الشيخوخة اليوم حيث توفرت التقنيات؛ إنما هو شهادة للقرآن بأنه الوحي حقًّا، يقول العلي القدير: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام:٦٦و٦٧.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {ومَن نعمِّره ننكِّسهُ في الخَلْق}؛ في قوله {نعمره}: قولان؛ أحدهما: بلوغ ثمانين سنة؛ قاله سفيان، الثاني: هو الهرم؛ قاله قتادة، وفي قوله تعالى {ننكِّسْه}: تأويلان؛ أحدهما: نردُّه في الضعف، (يعني) إلى حال الضعف فلا يعلم شيئاً؛ قاله يحيى بن سلام، الثاني: نغير سمعه وبصره وقوته؛ قاله قتادة، و{في الخلق}: وجهان؛ أحدهما: جميع الخلق؛ ويكون معناه: ومن عمرناه من الخلق نكسناه في الخلق، والوجه الثاني: أنه عنى خلقه؛ ويكون معنى الكلام: من أطلنا عمره نكسنا خلقه، فصار مكان القوة الضعف ومكان الشباب الهرم، ومكان الزيادة النقصان، {أفلا تعقلون}: أن من فعل هذا بكم؛ قادر على بعثكم"[١٢٤٧].

وقال ابن جزي: "(وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) أي نحول خلقته من القوة إلى الضعف..، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ٣٠الروم:٥٤، وإنما قصد بذكر ذلك هنا للاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار، كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم"[١٢٤٨].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ}..: اعلم أن من سنن الله سبحانه أنه جعل الإنسان في نشأته ينمو جسميًّا وعقليا نموًّا مطردًا، وتزداد بذلك معالم صورته حسنًا، وقوته اقتدارًا، حتى يصل إلى حد أراده الله لتمام خلقه، فيبدأ كل شيء فيه يتناقص، حتى يذبل بعد تفتح وازدهار، ويضعف بعد قوة واقتدار، ويخمد عقله بعد اتقاد وإضاءة، وتتضاءَل صورته بعد حسن وجمال، فذلك هو تنكيسه الذي استفيد من قوله تعالى: {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ}..، وعن سفيان أن التنكيس يبدأُ من سن الثمانين، والحق أنه يختلف باختلاف تكوين كل إنسان، والعوارض التي تمر عليه حسب مشيئة الله تعالى وقد يكون للوراثة بعض التأثير في ذلك، ومعنى الآية: ومن نُطل عمره نَقْلِبْه في الخلق والصورة والقوة؛ على عكس ما كان عليه في نشأَته"[١٢٤٩].

وقال الألوسي: "(وَمَنْ نُعَمِّرْهُ) أي نطل عمره (نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) نقلبه فيه؛ فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره، وفيه تشبيه التنكيس المعنوي بالتنكيس الحسي واستعارة الحسي له، وعن سفيان أن التنكيس في سن ثمانين..، والحق أن زمان ابتداء الضعف وانتقاص البنية مختلف لاختلاف الأمزجة والعوارض"[١٢٥٠].

[١٢٤٧] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٥\ ٢٩).

[١٢٤٨] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (٢\ ١٨٥).

[١٢٤٩] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (٨\ ٣٨٣).

[١٢٥٠] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٢\ ٤٥).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Senescence

الشيخوخة

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ٣٦يس:٦٨.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ٣٠الروم:٥٤.
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ ١٩مريم:٤.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٤٠غافر:٦٧.
- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٤٦الأحقاف:١٥.
- ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ ١٥الحجر:٥٤.
- ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢البقرة:٢٦٦.
- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ٣آل عمران:٤٠.
- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ١٩مريم:٨.
- ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ٢٨القصص:٢٣.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ١٦النحل:٧٠.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٢٢الحج:٥.
- ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ١٧الإسراء:٢٣و٢٤.

- ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ١١هود:٧٢.
- ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ٥١الذاريات:٢٩.
- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ٢٨القصص:١٤.

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾
٣٩الزمر:٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ٣٩الزمر:٥.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾، ﴿وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

(He) **rounds the night to be on the** (site of the) **day, and rounds the day to be on the** (site of the) **night.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في قوله تعالى: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ)؛ يستقيم حمل الليل والنهار على موضعه من الأرض، فالليل يحل محل النهار والنهار يحل محل الليل باستمرار، ولا يكون هذا إلا للشكل الروي الذي يدور حول نفسه باستمرار أمام مصدر الضوء؛ خاصة مع استخدام القرآن الكريم الفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار: (يُكَوِّرُ)، ويتفق الوصف مع النظرة الفلكية اليوم من أن الأرض كروية تدور حول نفسها يوميا أمام الشمس فيتتابع الليل والنهار.

قال ابن حزم: "قالوا إن البراهين قد صحت بأن الأرض كروية والعامة تقول غير ذلك، وجوابنا وبالله تعالى التوفيق؛ إن أحداً من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم يُنكروا تكوير الأرض ولا يُحفظ لأحد منهم في دفعِه كلمة بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها قال الله عز وجل: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) الزمر:٥، وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كور العمامة وهو إدارتها وهذا نص على تكوير الأرض"[١٢٥١].

وقال سيد قطب: "(يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ).. تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسراً على الالتفات إلى ما كشف حديثاً عن كروية الأرض ومع أنني في هذه الظلال حريص على ألا أحمل القرآن على النظريات التي يكشفها الإنسان لأنها نظريات تخطئ وتصيب وتثبت اليوم وتبطل غداً والقرآن حق ثابت يحمل آية صدقه في ذاته ولا يستمدها من موافقة أو مخالفة لما يكشفه البشر..، مع هذا الحرص فإن هذا التعبير يقسرني قسراً على النظر في موضوع كروية الأرض فهو يصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الأرض، فالأرض الكروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس؛ فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهاراً ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور، وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار وهذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكوراً والليل يتبعه مكوراً كذلك وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل وهكذا في حركة دائبة..، واللفظ يرسم الشكل، ويحدد الوضع، ويعين نوع طبيعة الأرض وحركتها"[١٢٥٢].

[١٢٥١] الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٧٥ هـ ج١ص١٨٩.

[١٢٥٢] في ظلال القرآن لسيد قطب المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ ج ٦ ص ٢٢٤.

وقال الشعراوي: "التصادم بين القرآن والعلم إذن.. إذا كان هناك تصادم.. عندما ندعى حقيقة علمية.. وهي ليست حقيقة علمية.. أو ندعى حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية.. لأن قائل القرآن هو الله والفاعل هو الله.. إن الذين يقولون أن القرآن لم يأت ككتاب علم.. صادقون.. وفي نفس الوقت عندما نقول أن القرآن ذكر لي معجزات لم يصل إلى بعضها العلم حتى الآن.. فهذا صحيح أيضا.. فالقرآن وإن لم يأت ليعلمني الطب مثلا.. إلا أنه (إذا أتى) بقضية طبية يُخبرني بدقائقها.. ولا يصل إليها علم الطب إلا بعد مئات السنين أو ألوف السنين..، يأتي في الجغرافيا مثلا ويمس قضية هامة لا نعرفها إلا بعد مئات السنين.. وكذلك في كل علوم الدنيا..، نتأمل قول الله تعالى (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ).. لماذا استخدم الله لفظ يكور.. إنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة.. فتقول أنك كورت هذا القماش مثلا.. أي جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها.. وإذا أردت من إنسان أن يصنع لك شيئا على شكل كرة.. فتقول له خذ هذا وكوره.. أي اصنعه على شكل كرة.. ومعنى قول الله تعالى (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ).. أي يجعلهما يحيطان بالكرة الأرضية.. ومن إعجاز القرآن أن الليل والنهار مكوران حول الكرة الأرضية في كل وقت.. وهذا ما نبأ به القرآن منذ أربعة عشر قرنا ولم يصل إلى علم البشر إلا في الفترة الأخيرة.. وقضية كروية الأرض مسها القرآن في أكثر من مكان.. لماذا؟ لأنها حقيقة كونية كبرى"[١٢٥٣].

[١٢٥٣] معجزة القرآن لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ج١ ص ٤٧.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {يكوِّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: يحمل الليل على النهار ويحمل النهار على الليل؛ قاله ابن عباس، الثاني: يغشى الليل على النهار فيذهب ضوءه ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته؛ قاله قتادة، الثالث: هو نقصان أحدهما عن الآخر، فيعود نقصان الليل في زيادة النهار ونقصان النهار في زيادة الليل؛ قاله الضحاك، ويُحتمل رابعاً: يجمع الليل حتى ينتشر النهار ويجمع النهار حتى ينتشر الليل"[١٢٥٤].

[١٢٥٤] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٥\ ١١٤).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Earth Rotation

حركة الأرض

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٨.
- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٣الرعد:١٥.
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا. ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٤٥-٤٧.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ١٢يوسف:١٠٥.
- ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٣٩الزمر:٥.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٣.
- ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ ٧الأعراف:٥٤.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٣١لقمان:٢٩.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٣٥فاطر:١٣.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ ٤١فصلت:٣٩.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤١فصلت:٣٩.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿ع﴾، ﴿ع﴾، ﴿ع﴾، ﴿ع﴾، ﴿ع﴾، ﴿ع﴾، ﴿ع﴾، ﴿ع﴾، ﴿ع﴾، ﴿ع﴾، ﴿ع﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And of His signs is that you see the earth (soil) **lying dead, but when We send down water on it, it** (the soil granules) **vibrates and swells; in order to verdure. Surely, Who gave life to it, will gave life to the** (human) **dead. Verily, He has power over everything.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤١فصلت:٣٩، ومثله قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٢الحج:٥و٦؛ جاء في ورد في معرض الاستدلال على البعث ونشأة الحياة بعد انعدام حياة الزرع وموت التربة وفق النظر المجرد، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ فاطر:٩، وكلمة (هَامِدَةً) إذن أي تبدو ساكنة بلا حركة كسكون الموت، ويتعلق السياق إذن في النصوص بالاستدلال على إمكان البعث بنشأة الحياة في أرض تبدو خالية من مظاهرها، وكلمة (خَاشِعَةً) تمثيل بالمثل؛ أي كالخاشع ساكن الجوارح، والخشوع يكون عن رهبة وإجلال أو فزع، ويرد تصويرا للسكون، والمعنى أن الأرض تكون جافة جدباء بلا كلأ ولا ماء ولا غصن يهتز أو طائر يغرد؛ فإذا بها تعمر بمظاهر الحياة بعد المطر، ولكن التعبير (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ)؛ يتجاوز جميع مظاهر الحياة المرئية بنمو النبات إلى معنى دفين، وهو وصف الأرض ذاتها بالاهتزاز والانتفاش قبل الإنبات؛ فهي إذن حركة جزيئاتها وذلك لم يكن معلومًا زمن التنزيل،

Robert Brown (1773–1858)

وحركة جزيئات التربة في الماء أول من وصفها هو روبرت براون Robert Brown عام ١٨٢٧ وسُميت باسمه: الحركة البراونية Brownian Motion، ويرجع انتفاش التربة إلى خاصية تعلق الماء بجزيئات التربة وتسمى الادمصاص Adsorption؛ وإلى خاصية انتشار الجزيئات في الماء وتسمى الامتصاص Absorption، فالوصفان الجامعان (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) يكشفان عمليات على المستوى المجهري؛ لا يدركها بشر زمن التنزيل إلا بوحي.

فعند جفاف التربة تأخذ الحبيبات وجزيئاتها أقل حيز؛ ومع الماء تنتفش التربة وتزداد في الحجم وتفتح طريقا لامتداد جذور النبات لخصائص خفية تميز تفاعل التربة مع الماء، ويمتد الوصف ليشمل المكونات الحية الكامنة كالبذور والكائنات الحية الدقيقة المتحوصلة حيث ينعشها الماء ويحثها على التنامي والتكاثر، وكأنها كانت كالموتى بسكونها فطالها وصف مكونات تربة الأرض ذاتها بالحياة، وتتشرب مكونات التربة الماء ويعلق بها فتنتفخ حبيبات التربة وتتباعد أجزائها عن بعضها البعض ويزداد حجمها نتيجة لخاصتي التشرب والتعلق، ومع وجود الماء تتفكك المكونات وتتحول إلى جزيئات مشحونة كهربيا خلال عملية التأين Ionization فتعمل على اهتزاز حبيبات التربة.

وتفقس البيضات وتنشط الديدان والحشرات والجذور والسيقان، ويزداد معدل امتصاص التربة للماء فيزداد اهتزازها، وتبدأ الكائنات الدقيقة في النمو والتكاثر والازدياد، وتبدأ الديدان والحشرات نشاطها في صناعة الأنفاق فتزيد انتفاش التربة، وهكذا تربو التربة وتموج بأشكال لا تراها عين من الحياة مع السيقان اليانعة الممتدة فوق السطح لتشهد بقدرة الله تعالى، والمُعجز أن يُوجز العليم الخبير كل هذه العمليات الكيميائية والبيولوجية المجهرية في كلمتين اثنتين: (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {ومِن آياته أنك ترى الأرض خاشعةً} فيه وجهان؛ أحدهما: غبراء دراسة؛ قاله قتادة، الثاني: ميتة يابسة؛ قاله السدي، ويُحتمل ثالثاً: ذليلة بالجدب لأنها مهجورة، وهي إذا أخصبت عزيزة لأنها معمورة، {فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت} فيه وجهان؛ أحدهما: اهتزت بالحركة للنبات، وربت بالارتفاع قبل أن تنبت؛ قاله مجاهد، الثاني: اهتزت بالنبات وربت بكثرة ريعها؛ قاله الكلبي، فيكون على قول مجاهد تقديم وتأخير تقديره: ربت واهتزت، {إن الذي أحياها لمحيي الموتى} الآية، جعل ذلك دليلاً لمُنكري البعث على إحياء الخلق بعد الموت استدلالاً بالشاهد على الغائب"[١٢٥٥]، و"{فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} وفي {اهْتَزَّتْ} وجهان: أحدهما: معناه أنبتت؛ وهو قول الكلبي، والثاني: معناه اهتز نباتها واهتزازه شدة حركته..، {وَرَبَتْ} وجهان؛ أحدهما: معناه أضعف نباتها، والثاني: معناه انتفخت لظهور نباتها، فعلى هذا الوجه يكون مقدماً ومؤخراً؛ وتقديره: فإذا أنزلنا عليها الماء رَبتْ واهتزت؛ وهذا قول الحسن وأبي عبيدة، وعلى الوجه الأول لا يكون فيه تقديم ولا تأخير، {وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} فيه وجهان؛ أحدهما: يعني من كل نوع؛ وهو قول ابن شجرة، والثاني: من كل لون لاختلاف ألوان النبات بالخضرة والحمرة والصفرة. {بَهِيجٍ} يعني حسن الصورة"[١٢٥٦].

[١٢٥٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٥ ١٨٣).

[١٢٥٦] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٤ ٨).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Botany

علم النبات

المَوْضُوع Subject

Brownian Motion

الحركة البراونية

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٢٢الحج:٥.**
- **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤١فصلت:٣٩.**
- **﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ ٣٥فاطر:٩.**

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾
٤٢الشورى:٢٩.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ. وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ. وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٧-٢٩.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿بَثَّ﴾، ﴿فِيهِمَا﴾، ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾، ﴿جَمْعِهِمْ﴾، ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

All And among His Signs is the creation of the heavens and the earth, and what He has propagated through both of them of any movable living being, and He is all-Powerful to gather them together when He wills.

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لا يوجد شيئا يُضاف على ما قاله المفسرون؛ استمدادًا من صريح القرآن الكريم، فقد استوفوا بيان إعجازه؛ وذكروا حتى ما جد من محاولات قد أدى إليها حدس الباحثين من ضرورة وجود حضارات متقدمة في السماوات خارج الأرض.

إنطلاق رحلة بايونير ١٠ عام ١٩٧٢.

مركبة بايونير ١٠ التي أطلقت عام ١٩٧٢ برسالة إلى أهل السماوات تجوب الفضاء بحثا عن مجيب.

الفلكي الأمريكي كارل ساجان Carl Sagan (١٩٣٤ - ١٩٩٦) يحمل اللوحة المعدنية المنقوش عليها رسالة لسكان السماوات؛ والتي أطلقت في مركبة بايونير ١٠ عام ١٩٧٢.

قالوا في الموسوعة القرآنية: "قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩، (و) تشير هذه الآية الكريمة إلى وجود كائنات تدب وتتحرك فى السموات والأرض، وهذه الكائنات عاقلة وذكية وعابدة؛ وليست قاصرة على الملائكة، وتقرر هذه الآية الكريمة أيضا أن الله سبحانه وتعالى قادر على جمع هذه الأحياء وحدوث الالتقاء بينها أثناء الحياة الدنيا أو في الآخرة، وهذا الموضوع المُتعلق باحتمالات وجود كائنات حية ذكية غير الإنسان في كواكب أخرى في هذا الكون الفسيح أصبح من الموضوعات التي تجذب اهتمام الناس وتستحوذ على تفكيرهم؛ حيث يلهث العلم وراء البحث عن أسباب تسمح بوجود حياة على الكواكب الأخرى غير الأرض.. على الكواكب التى تقع فى أسر جاذبية النجوم الأخرى وتدور حولها، وعادة ما يكون اكتشاف أي آثار تدل على وجود الماء من أبرز الأساليب التي ترجح الاعتقاد بوجود حياة، حيث أن الماء هو الأصل والضروري لنشأة الحياة واستمرارها باعتراف علماء البيولوجيا أنفسهم وبتقرير القرآن الكريم من قبل ذلك بقرون فى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠، كذلك لا بدّ من توفر درجة حرارة مناسبة لحياة الأحياء (وفق بعد كواكبها عن شموسها)، بالإضافة إلى ضرورة توافر عنصر الكربون الذي يمتاز بقابليته وقدرته على الاتحاد بالعناصر الأخرى في مركبات أساسية للحياة؛ أي أن الماء والحرارة المناسبة والكربون شروط ضرورية لقيام حياة كتلك التي نعرفها على الأرض، ولقد أكدت رحلات الفضاء وأبحاث العلماء استحالة وجود حياة كالتي نعرفها على أي كوكب آخر غير الأرض في مجموعتنا الشمسية، وأصبح مطلوبا البحث عن وجود هذه الحياة الذكية المحتملة بعيدا عن المجموعة الشمسية على كواكب (أو أرضين) شبيهة بأرضنا وتابعة لنجوم أخرى غير شمسنا في عوالم أخرى في مجرتنا أو المجرات الأخرى، ولقد بذل الإنسان حديثا محاولات للاتصال بالعوالم الأخرى، ومن بينها المركبة بايونير ١٠ التي أطلقت عام ١٩٧٢ وزميلتها فويجر ٢ التي أطلقت عام ١٩٧٢؛ المزودتين برسائل رمزية وصورة رجل وامرأة من أهل الأرض يرفعان أيديهما رمزا للسلام، ورسائل صوتية مسجلة بلغات مختلفة وموجهة من شعوب الأرض إلى سكان العوالم الأخرى لتحيتهم وحثهم على الاتصال بنا، لكن هل سيتحقق هذا الذي يبحث عنه العلماء؛ العلم عند الله وحده القائل: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ صدق الله العظيم!"[١٢٥٧].

[١٢٥٧] مجموعة من الأساتذة؛ الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر؛ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ().

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن عاشور: "﴿السَّمَاوَاتِ﴾: الْعَوَالِمُ الْعُلْيَا غَيْرُ الْمُشَاهَدَةِ لَنَا وَالْكَوَاكِبُ وَمَا تَجَاوَزَ الْأَرْضَ مِنَ الْجَوِّ، وَ﴿الْأَرْضِ﴾: الْكُرَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ، وَالْبَثُّ: وَضْعُ الْأَشْيَاءِ فِي أَمْكِنَةٍ كَثِيرَةٍ، وَالدَّابَّةُ: مَا يَدُبُّ عَلَى الْأَرْضِ؛ أَيْ يَمْشِي فَيَشْمَلُ الطَّيْرَ لِأَنَّ الطَّيْرَ يَمْشِي إِذَا نَزَلَ..، ﴿فِيهِمَا﴾ أَيْ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ..، وَأَمَّا الْمَوْجُودَاتُ الَّتِي فِي السَّمَوَاتِ العلى مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَرْوَاحِ فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ دَابَّةٍ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي بَعْضِ السَّمَاوَاتِ مَوْجُودَاتٌ تَدُبُّ فِيهَا؛ فَإِنَّ الْكَوَاكِبَ مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَالْعُلَمَاءُ (يُحَاوِلُونَ).. إِثْبَاتَ سُكَّانٍ فِي الْكَوَاكِبِ..، وَضَمِيرُ الْجَمَاعَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَمْعِهِمْ﴾ عَائِدٌ إِلَى ﴿مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾؛ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الَّذِي تَتَعَلَّقُ الْإِرَادَةُ بِجَمْعِهِ.. هُمُ الْعُقَلَاءُ مِنَ الدَّوَابِّ..، و﴿إِذَا﴾ ظَرْفٌ لِلْمُسْتَقْبَلِ.. فَالتَّقْدِيرُ: حِينَ يَشَاءُ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِجَمْعِهِمْ"[١٢٥٨].

وقال المراغي: "﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ٦الأنعام:٣٨؛ أي: لا يوجد نوع من أنواع الأحياء التي تدب على الأرض ولا من أنواع الطير التي تسبح في الهواء؛ إلا وهى أمم مماثلة لكم أيها الناس..، وخَصَّ دواب الأرض بالذكر؛ لأنها هي التي يراها المخاطبون عامة، ويدركون فيها معنى المماثلة؛ دون دواب الأجرام السماوية القابلة للحياة الحيوانية التي أعلمنا الله بوجودها في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾؛ وهذا من أخبار الغيب التي (اهتم بها).. العلم الحديث (باحثًا عن).. أمارات على وجود عالم اجتماعي صناعي كالإنسان"[١٢٥٩]، "أي: ومن دلائل عظمته وقدرته وسلطانه القاهر؛ خلق السموات والأرض وما نشر فيهما من دابة تدبّ وتتحرك"[١٢٦٠].

وقال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿وما بَثَّ فيهما﴾..؛ بعيد غير جار على عرف اللغة أن تقع الدابة على الملائكة"[١٢٦١]، وقال الرازي: "لَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ تعالى خلق في السموات أَنْوَاعًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يَمْشُونَ مَشْيَ الْأَنَاسِيِّ عَلَى الْأَرْضِ..، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿ عَلى جَمْعِهِمْ﴾؛ وَلَمْ يَقُلْ عَلَى جَمْعِهَا.، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: وَهُوَ عَلَى جَمْعِ الْعُقَلَاءِ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ"[١٢٦٢]. وقال محمود شكري: "قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩، هَذِه الْآيَة تدل بصريحها على وجود حيوانات فِي السَّمَاوَات؛ لِأَن الدَّابَّة لَا تَشْمَل الْمَلَائِكَة، لِأَنَّهُ فِي آيَة أُخْرَى قَابل بَين الدَّابَّة وَالْملك؛ وَهِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ١٦النحل:٤٩، بل لَا يبعد أَن يكون فِي كل سَمَاء حيوانات ومخلوقات على صور شَتَّى وأحوال مُخْتَلفَة لَا نعلمها وَلم يذكر فِي الْأَخْبَار شَيْء مِنْهَا؛ فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٦النحل:٨..، وَأهل الأرصاد الْيَوْم.. لم يحققوا (بعد) أمرهَا لنَقص مَا فِي الْآلَات..، وعَلى القَوْل بِوُجُود حيوانات فِي السَّمَاء فالآية تدل على أَن الْعُقَلَاء مِنْهُم مكلفون أَيْضا؛ وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾"[١٢٦٣].

وقال الشنقيطي: "أَشَارَ إِلَى الِاتِّصَالِ بَيْنَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩..، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: الْمُرَادُ بِدَوَابِّ السَّمَاءِ الْمَلَائِكَةُ زَاعِمًا أَنَّ الدَّبِيبَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ حَرَكَةٍ..، (لكن) ظَاهِرُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ اللَّهَ بَثَّ فِي السَّمَاءِ دَوَابَّ كَمَا بَثَّ فِي الْأَرْضِ دَوَابَّ، وَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى جَمْعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ..، وَلَوْ سَلَّمْنَا.. أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى جَمْعِهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ بُلُوغُ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، بَلْ يَجُوزُ عَقْلًا أَنْ يَحْدُرَ مَنْ فِي السَّمَاءِ إِلَى مَنْ فِي

[١٢٥٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٥\ ٩٧).

[١٢٥٩] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٧\ ١١٨).

[١٢٦٠] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢٥\ ٤٦).

[١٢٦١] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (٥\ ٣٧).

[١٢٦٢] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٢٧\ ٥٩٩).

[١٢٦٣] محمود شكري الألوسي؛ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي لبنان، الطبعة الثانية؛ ١٣٩١هـ- ١٩٧١م (ص١٣٠).

الْأَرْضِ..، (وأما) قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٢١الأنبياء:٤..، (فإن) مَا تُفِيدُهُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا..؛ يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ"[١٢٦٤].

وأسهب القاسمي في إطار بيان إعجاز القرآن الكريم في الإخبار بالغيب؛ لعل من المفيد نقل بعض قوله لنفاسته: "قال بعض علماء الفلك.. أنّ القرآن الكريم قد أتى في هذا الباب بمسائل علمية دقيقة لم تكن معروفة في زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ وهذه المسائل تُعتبر من معجزات القرآن العلمية الخالدة، (مثل)..: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ ٢١الأنبياء:٣٠؛ وهما (في الأصل) من مادة واحدة..، (وأن).. السيارات الأخرى (في السماوات) مسكونة بالحيوانات: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ١٧الإسراء:٤٤، (وكلمة مَن ترد للعقلاء): ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ٥٥الرحمن:٢٩، ومجموع هذه الآيات يدلّ على أنّ في السموات حيوانات عاقلة كالإنسان؛ لا كما كان يزعم القدماء أنّ الكواكب كلها أجرام فارغة خُلقت ليتلذذ بمنظرها الإنسان..، (وأنه) ليس القمر خاصا بالأرض؛ بل للسيارات الأخرى (في السماوات) أقمار (وشموس): ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٥و١٦، فالألف واللام في الْقَمَرَ للجنس لا للعهد؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٩٥التين:٤، (و) ليست السيارات مضيئة بذاتها؛ بل إن الشمس (في كل منها) هي مصباحها جميعا: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾..؛ فالنور الذي نشاهده فيها منعكس عليها من الشمس..، (وأن) العوالم (المسكونة) متعدّدة..: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١الفاتحة:٢، والعوالم هي منظومات من الكواكب..، لا كما كان يتوهم القدماء؛ أن العالم واحد؛ وأنّ الإنسان أشرف الموجودات..، (وأن) الإنسان الأرضيّ أفضل من بعض المخلوقات؛ لا كلّها: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٧٠..، (و) النجوم مسخرة لنا لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر؛ مع أنها لغيرنا شموس عليها قوام حياتهم، كما إن شمسنا عليها قوام حياتنا؛ وهي بالنسبة لهم نجم من نجوم الثوابت..، (و) كان القدماء يعتقدون أن جميع الثوابت مركوزة في كرة مجوّفة يسمونها كرة الثوابت أو فلك الثوابت؛ وبحركة هذه الكرة تتحرك الكواكب.. ومعنى ذلك أن الكواكب لا حركة لها بذاتها، وأن فلك جميع الثوابت واحد وأنه جسم صلب؛ والحقيقة خلاف ذلك، فإن لكل كوكب فلكًا يجري فيه وحده، وكل كوكب يتحرك بذاته لا بحركة غيره، والكواكب جميعا سابحة في الفضاء..؛ غير مركوزة في شيء مما يتوهمون، وبهذه الحقائق جاء الكتاب الحكيم والناس في الظلمات والأوهام يتخبطون، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٣، والتنوين في لفظ ﴿كلّ﴾ عوض عن الإضافة؛ والمعنى: كل واحد من الكواكب في فلك خاصّ به يسبح بذاته..، فليست الأفلاك أجساما صلبة تدور بالكواكب كما كانوا يزعمون..، (وقد) نصّ الكتاب العزيز على جود الجذب العام للكواكب كافّة من جميع جهاتها، فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ٥١الذاريات:٧، ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ ٧٩النازعات:٢٧، ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ ٦٧الملك:٣، فالكون كله كالجسم الواحد الكبير محكم البناء لا خلل فيه كما قال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ٥٠ق:٦..، (و) كان الناس في سالف الأزمان لا يدرون من أين يأتي ماء المطر، ولهم في السحاب أوهام عجيبة؛ كما كانت لهم في كل شيء.. خرافات، ولكن القرآن الشريف تنزّه عن الجهل والخطأ؛ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ٣٩الزمر:٢١، ومقتضى الآيتين أنّ الماء العذب الذي نشربه ونسقي به الأرض سواء كان من الينابيع أو من الأنهار هو من الأمطار الناشئة من السحاب، ومن أين يأتي السحاب؟ هو بخار من بحار هذه الأرض؛ أي أنّ (أصل) السحاب هو من الأرض، وهو عين قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣١، أي أن الماء جميعه أصله من الأرض؛ وإن شوهد أنه ينزل من السحاب..، فهذه كلها آيات بيّنات ومعجزات باهرات دالّة على صدق النبي صلّى الله عليه وسلّم وصحة القرآن..، (و) من عجيب أمر هذا القرآن أن يذكر أمثال هذه

[١٢٦٤] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (١٢ ٢٦٠).

الدقائق العلمية العالية التي كانت جميع الأمم تجهلها بطريقة لا تقف عثرة في سبيل إيمان أحد به، في أيّ زمن كان، مهما كانت معلوماته، فالناس قديما فهموا أمثال هذه الآية بما يوافق علومهم؛ حتى إذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الأشياء، علمنا أنهم كانوا واهمين؛ وفهمنا معناها الصحيح، فكأنّ هذه الآيات جعلت في القرآن معجزات للمتأخرين؛ تظهر لهم كلما تقدّمت علومهم، وأمّا المعاصرون للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ فمعجزته لهم إتيانه بأخبار الأوّلين، وبالشرائع التي أتى بها، وبالمغيّبات التي تحقّقت في زمنه؛ مع علمهم بصدقه.. فآيات القرآن بالنسبة لهم بعضها معناه صريح لا يقبل التأويل، وفيها بيان كلّ شيء مما يحتاجون إليه، والبعض الآخر يقبل التأويل وتتشابه عليهم معانيه لنقص علومهم (بخفايا العالم)، وهذا القسم لا يهمهم كثيرا؛ فإنه خاصّ بعلوم لم يكونوا وصلوا إليها، وهو معجزات للمتأخرين يشاهدونها وتتجلّى لهم كلما تقدّموا في العلم الصحيح، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ٣آل عمران:٧، أي: لها معان كثيرة يشبه بعضها بعضا وتتشابه عليهم في ذلك الزمن؛ فلا يمكنهم الجزم بالصحيح منها..، ويفوّضون علم هذه الأشياء إلى المستقبل من الزمان؛ كما نفوض الآن نحن مسألة رجم الشياطين بالشهب للمستقبل ونؤمن بالقرآن لثبوت صدقه بالدلائل الأخرى القطعية"[١٢٦٥]، "﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾؛ يُفهم من هذه الآية أن الله تعالى خلق في السموات دواب، ويستدل من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٤النور:٤٥؛ أن هذه الدواب ليست ملائكة..، بل حيوانات كحيوانات الأرض، ولا يبعد أن يكون بينهم حيوان عاقل كالإنسان، ويلزم لحياة تلك الحيوانات أن يكون في السموات نباتات وأشجار وبحار وأنهار..، إن هذه الآية التي نزلت على محمد صلّى الله عليه وسلّم..؛ لآية لأهل هذا العصر؛ وأيّة آية!، آية لأهل العلم والفلسفة الذين يبذلون الأموال والأرواح بلا حدّ ولا حساب ليتوصلوا إلى معرفة سر من أسرار الكائنات، ومع هذا الجد العنيف والجهد المتواصل لم يتوصلوا إلا بالظن إلى ما أنبأت به هذه الآية؛ وجل ما توصلوا إليه.. أن الأرض أصغر من الشمس وأنها تدور حولها..، وأن النجوم الثوابت شموس ولها سيارات تدور حولها.. (قد) يوجد فيها عالم كعالم الأرض، وبدأ البعض منهم يفكرون بإيجاد الوسائل للمخابرة (معها)..، وليس ذلك بالمستحيل فنّا، ويستدل على إمكانيته من آخر الآية نفسها؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، فلا يبعد أن يتخابرا ويجتمعا فكرا؛ إذا لم يجتمعا جسما، فلينظر الفلكيون إلى ما حوته هذه الآية المكنوزة في القرآن، وليعلم المعجبون منا بالعلوم العصرية الضاربون صفحًا عن العلوم الإسلامية ما في كتاب الله من الحكمة والبيان..، (و) لا يخفى أن القرآن العظيم نزل لبيان الحق وتعليم الدين أولا..، لكن تمهيدا لهذه السبيل أتى بشذرات من العلوم الفلكية والطبيعية؛ وصرف بصائر الناس إلى التفكر في خلق السموات والأرض وما (هما) عليه من الإبداع، فوجه أبصارهم إلى التأمّل في خلق الإنسان وما هو عليه من التركيب العجيب؛ إلى غير ذلك من الأمور الفلكية والطبيعية في أكثر من ثلاثمائة آية، فالمفسرون رحمهم الله؛ لما فسروا هذه الآيات شرحوا معانيها على مقدار محيط علمهم بالعلوم الفلكية والطبيعية، ولا يخفى ما كانت عليه هذه الآلات (الاستكشافية) في زمنهم من النقصان..؛ فهم معذورون إذا لم يفهموا معاني هذه الآيات التي تحيّر عقول فلاسفة هذا العصر المتضلعين بالعلوم العقلية، لذلك لم يفسروا هذه الآيات حق تفسيرها؛ بل أوّلوها وصرفوا معانيها عن الحقيقة إلى المجاز أو الكناية..، يقول العلماء إنه من (المُحتمل) أن هذه السيارات مسكونة بحيوانات تشبه الحيوانات التي على أرضنا هذه، ويكون كل كوكب منها أرضا بالنسبة لحيواناته؛ وباقي الكواكب سموات بالنسبة لها..، والظاهر أن القول بوجود الحيوانات في هذه الكواكب صحيح؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[١٢٦٦].

[١٢٦٥] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١١ ٢١٠).
[١٢٦٦] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٨ ٣٦٩).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Extra-Terrestrial Intelligence

الحياة الذكية خارج الأرض

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٣الرعد:١٥.
- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٩.
- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ١٧الإسراء:٤٤.
- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٧٠.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ ٢٢الحج:١٨.
- ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢١الأنبياء:٤.
- ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ٢١الأنبياء:١٩و٢٠.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ ٢٤النور:٤١.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٤النور:٤٥.
- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ٢٦الشعراء:٢٣و٢٤.
- ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ٢٧النمل:٢٥.
- ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ٢٧النمل:٦٥.
- ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ ٣٠الروم:٢٦.
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٣٩الزمر:٦٨.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩.
- ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٥الجاثية:٣٦.

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾
محمد:١٥.٤٧

Paragraph الفَقْرَة

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ محمد:١٥.٤٧

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾، ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

(Are the believers who enjoy in the paradise like those who are immortal in the fire) **and are given boiling water to drink; so that it tears up their intestines!.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

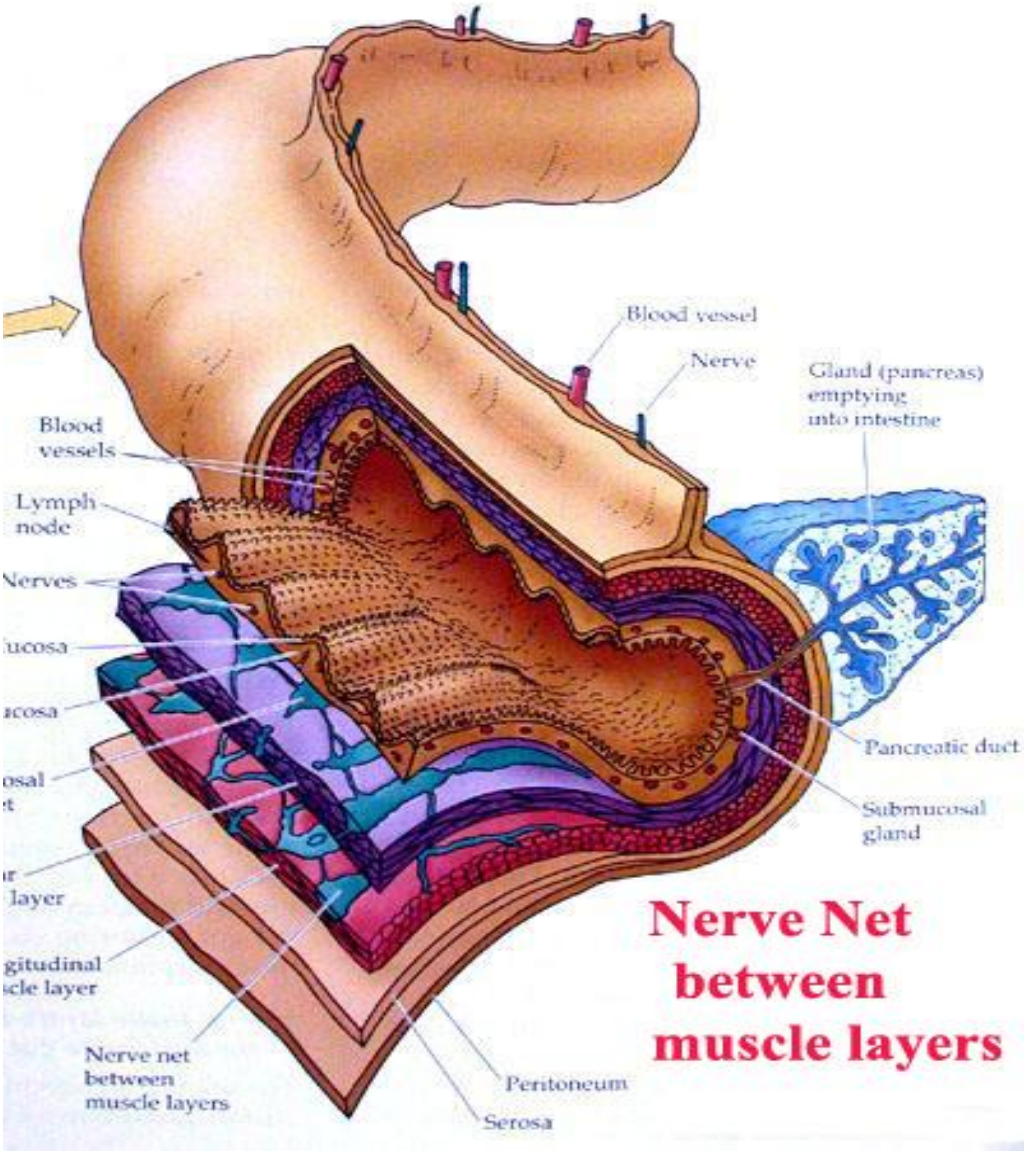

كشف علم التشريح النسيجي حديثا أن جدار الأمعاء يتكون من طبقات: الطبقة الداخلية وتسمى بالطبقة المخاطية، والطبقة العضلية الوسطى، والطبقة الخارجية المحاطة بطبقة الصفاق أو الغشاء البريتوني Peritoneum، وبينهما منطقة غنية بالأعصاب تسمى بالمساريقا Mesentery، ونجد أن هذا الإبداع في التكوين جعل الأمعاء من الداخل في حماية من المؤثرات التي يمكن أن تسبب الألم، وإذا تقطعت الأمعاء وبلغت المؤثرات منطقة المساريقا شعر الإنسان بغاية الألم.

وفي مقام غاية الإيلام عدل القرآن الكريم في حالة بيان ألم الأمعاء إلى تقطيعها بالماء المغلي؛ فوافق المعرفة الحديثة بثراء طبقتها الخارجية بمستقبلات الألم: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) ٤٧محمد:١٥، فإذا تقطعت الأمعاء وبلغت المؤثرات منطقة المساريقا شعر المُعاقب بغاية الألم، فتأمل كيف استخدم البيان في مقام بيان غاية الإيلام هذا التعبير المُعجز: (فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)، قال القرطبي: "{وسِقوا مَاءً حَمِّيمًا} أي حاراً شديد الغليان.. إذا شربوه قطع أمعاءهم".

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن أكثر أعضاء الجسم غنى بمستقبلات الألم هو الجلد وأن الحروق هي أشد المُنبهات الأليمة، قال تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) ٤النساء:٥٦، وفي قوله تعالى: {وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ}، عدل عن لفظ (التبديل) إلى (التقطيع) في التعبير: (فقطع أمعاءهم)، وهذا يتوافق مع كون الأمعاء خالية من الأعصاب الحسية فإذا أدخلنا منظارا داخل الجهاز الهضمي لا يشعر الإنسان بأي ألم إلا في منطقة البلعوم أثناء دخول المنظار، ولكن المريض يشعر بالألم عندما تصبح عنده ثقوب في الأمعاء كقرحة مُنثقبة، وفي القرآن قال تعالى: (فَقَطَّعَ)، فيجب إذن أن ننتبه إلى هذا التعبير الدقيق البليغ، في الجلد قال: (بدلناهم) وفي الأمعاء قال: (فَقَطَّعَ) لأن الأمعاء خالية من الإحساس والأعصاب موجودة في الغشاء البريتوني، فعندما يحدث ثقب في الأمعاء يحصل الألم الشديد ولذلك يعاني المريض الذي يُصاب بانثقاب في الجهاز الهضمي من ألم شديد، وهي حالة جراحية طارئة يجب أن تُجرى له عملية فورية لأن محتويات الأمعاء خرجت إلى الغشاء البريتوني وتكثر حوله النهايات العصبية الناقلة للألم فيشعر بألم شديد، ونعلم حاليا أن الإنسان عندما يتعرض لألم شديد قد يفقد الوعي كوسيلة للدفاع عن النفس، لكن التعبير في القرآن قد احتاط وقطع عليهم هذه المِنَّة في قوله تعالى: (إن الذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها من شيء) ٣٥فاطر:٣٦، فيبقوا بهذا في حالة عذاب مستمر؛ لا هم بالأحياء ولا هم بالأموات مبالغة في الإيلام، وهكذا بين القرآن الكريم أن الأمعاء لها طبيعة خاصة في استقبال الألم، وقد اتضح السر أخيراً في تقطيعها لبلوغ الألم الغاية باكتشاف أن ما يحيط بها من الخارج غني بالمستقبلات فيسبب الحميم بعد تقطيع الأمعاء أعلى درجات الألم، وما كان بوسع بشر قبل اختراع المجهر وتقدم علم التشريح أن يعرف هذه الحقائق مما يؤكد أن القرآن الكريم كلام الخالق العليم.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال البغوي: "يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ) ٤٧محمد:١٥، وَيَقُولُ: (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ) الكهف:٢٩، (مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ. يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) ١٤إبراهيم:١٦و١٧، يعني: يجدهم الْمَوْتِ وَأَلَمَهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مِنْ أَعْضَائِهِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: حَتَّى مِنْ تَحْتِ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ جَسَدِهِ، وَقِيلَ: يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ قُدَّامِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَما هُوَ بِمَيِّتٍ، فَيَسْتَرِيحُ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ تُعَلَّقُ نفسه عند حنجرته، ولا تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ فَيَمُوتُ وَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا مِنْ جَوْفِهِ؛ فتنفعه الحياة، نظيره: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ٢٠طه:٧٤، (وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) شَدِيدٌ.قِيلَ: الْعَذَابُ الْغَلِيظُ الْخُلُودُ في النار"[١٢٦٧].

[١٢٦٧] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي؛ تفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت؛ ١٤٢٠هـ (٣\ ٣٤).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Medicine

طب

المَوْضُوع Subject

Nerve Endings

النهايات العصبية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٤النساء:٥٤-٥٦.
- ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ ٢٢الحج:١٩و٢٠.
- ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ١٨الكهف:٢٩.
- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ٤٧محمد:١٥.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٥المائدة:٦.
- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٠٣و١٠٤.
- ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ. سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ ١٤إبراهيم:٤٩و٥٠.
- ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ٥٤القمر:٤٧و٤٨.
- ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٠.
- ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ٣٩الزمر:٢٤.
- ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ ٣٣الأحزاب:٦٦.
- ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٣٤.
- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٢٧.
- ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٣آل عمران:١١٩.
- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ٨الأنفال:١٢.
- ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ٤٧محمد:٢٧.
- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ٨الأنفال:٥٠.
- ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٩.

- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ٩التوبة: ٣٤و٣٥.**

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾
محمد:١٨ ٤٧.

Paragraph الفَقْرَة

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ. فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ محمد:١٨و١٩ ٤٧.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾، ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾، ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Are they waiting until the Hour (of the world end) comes to them suddenly (unawares)? Indeed; some tokens (Signs) of which have already come. Once the Hour comes to them, how can they benefit then by their admonition?

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

هل يُمكن أن تعتقد حقًا أن هذه الحجرة المُرَتَّبَة الأثاث
هي التي قامت بتنظيمه؛ أو أنه قد رتَّب نفسه صدفة!

مُنذ القدم كان هذا الكون العجيب محط تساؤل الإنسان وفضوله؛ وتردد السؤال: هل صنعت الكون حقًّا مصادفة؟، ودافع المؤمنون بالأدلة العقلية أن الوجود لا يُمكن أن يصنع ذاته وإنما يشهد بضرورة المُبدع القدير، وظل الملحدون يُرَدِّدُون مقولة الدهريين بلا أثرة من منطق أو علم أن المادة أزلية؛ موجودة هكذا أبد الدهر؛ والطبيعة تجدد أشكالها بذاتها، ويكشف القرآن الكريم الأساس الواهي لزعم الدهريين في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الجاثية: ٢٤، وذكر المُتقي المكي في مناقب أبي حنيفة (ص٥١) مناظرة جرت بين الإمام أبي حنيفة وجماعة من الدهريين المُلحدين؛ ونقلتها الأجيال كحكاية وعظية مفادها انتظارهم على شاطئ دجلة بحضور السلطان والحاشية لمجيئه من الشاطئ المُقابل ليحاورهم، وبرر تأخره باجتماع بعض ألواح ثبتتها مطرقة بالمسامير بلا طارق وكونت قاربًا من ذاتها؛ واعتلاه وقدم إليهم، فاتهموه بالجنون، فأقام الحجة عليهم بقوله: "كيف تُنْكِرُون صُنع قارب بدون صانع ثم تقبلون أن تكون سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج؛ من صنع العبث والوهم والمصادفة!".

ثلاثة باحثين نالوا جائزة نوبل في الفيزياء لعام ٢٠١١
لتأكيدهم توسع الكون وتباعده مما يقطع بأن له ابتداء.

وقد جاءت الكشوف العلمية في كل مجالات العلوم شاهدةً للقرآن الكريم بالسبق، ومن أحدث الاكتشافات قد نال أصحابه جائزة نوبل في الفيزياء عام ٢٠١١، وهو يُعلن أن الكون على مستوى المجرات البعيدة يبدو في توسع يتسارع مع الابتعاد مما يُؤكد أن له ابتداء؛ يعني لحظة خلق، وهو ما أعلنته مُسبقا نظرية الانفجار الكبير Big Bang وأكده الاكتشاف الجديد باستخدام وسائل أحدث، وقد أسقط علم الفلك فرضيات الإلحاد التي شاعت في القرن التاسع عشر، وصدمت نظرية الانفجار الكبير الإلحاد بتأكيدها أن للكون ابتداء يُعلن بضرورة الخالق كحقيقة يشهد بها كل الخلق، وأيدت الفيزياء علم الفلك أن في الكون منذ البداية إبداعًا يفوق الوصف وتوازنًا يهز الوجدان وتصميم وتخطيط بإتقان يفوق الخيال لا يمكن أن تصنعه مصادفة، ورغم النزوع الإلحادي اضطر الفيزيائي ستيفن هوكنج الإلحادي النزعة إلى الاعتراف في كتابه (تاريخ موجز للزمن) دافعًا الفوضى بقوله (ص ١٤٠): ليس كل تاريخ العلم إلا التحقق التدريجي من أن الأحداث لم تقع بطريقة اعتباطية بل تعكس ترتيب ونظام ضمني أكيد"؛ وطعن مُضطرا في الإلحاد بقوله (ص ١٢٢): "طالما أن للكون بداية فحتما لا بد من خالق"، وبالمثل دفع إتقان التصميم في الكون الفيزيائي روس في كتاب (الكون والخالق) إلى الاعتراف أيضًا بقوله صريحًا (ص ١٢٣): "عندما أبحث عن إلحادي لأناقشه أذهب إلى قسم الفلسفة في الجامعة؛ لأنه لم يبق في علم الفيزياء Physics شيء يدل عليه".

وبالمثل قال ألفريد هويل: "تقول نظرية الانفجار الكبير بأن الكون نشأ نتيجة انفجار كبير؛ ونحن نعلم أن كل انفجار يُبعثر المادة دون نظام، ولكن الانفجار الكبير عمل العكس، إذ عمل على جمع المادة وفق تصميم وقدرة فريدة لتشكيل المجرات والنجوم والتوابع ونشأة الإنسان على هذه الأرض"، وقال جورج كرنشتاين: "كلما دقَّقنا في الأدلة التي يقدمها الكون المفتُوح الصفحات أمامنا واجهتنا على الدوام الحقيقة نفسها؛ وهي أن هناك قدرة إلهية خلف بدء الخلق وكافة الأحداث"، وقد كتب السير فِرِيد هويل Sir Fred Hoyle في مقالة نشرت عام ١٩٨١ أن: "احتمال الصدفة في ظهور الوجود بتوجيه رشيد يقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة لتتجمع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، والنتيجة التي يقود إليها العلم والمنطق وليس الإيمان فحسب هي أن كل الوجود قد جاء بتخطيط واعي وقصد أكيد، ومن يظل مُعتقدًا في عصرنا بالفلسفة المادية بعدما دحضها العلم في كل المجالات العلمية؛ عليه ألا يحسب نفسه من المحققين.

قال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان"، وقال الدكتور مايكل بيهي: "على مدى الأربعين سنة الماضية اكتشف علوم الحياة أسرار الخلية، واستلزم ذلك من عشرات الآلاف من الأشخاص تكريس أفضل سنوات حياتهم، وتجسَّدت نتيجة كل هذه الجهود المتراكمة لدراسة الخلية في صرخة عالية تقول: التصميم المُوَجَّه الرشيد Directed Rational Design؛ وهو يؤدي حتماً إلى التسليم بوجود الخالق المُبدع"، وقد وصف تشاندرا كراماسنغي الحقيقة بقوله: "تعرض دماغي لعملية غسيل هائلة كي أعتقدَ أن العلوم لا يُمكن أن تتوافق مع أي نوع من أنواع الخلق المقصود، (ولكني الآن) لا أستطيع أن أجد أية حجة يقبلها العقل تستطيع الوقوف أمام دلائل قدرة الخالق حولنا؛ الآن ندرك أن الإجابة المنطقية الوحيدة لظهور الوجود هي الخلق وليس الخبط العشوائي غير المقصود"، وما توصل إليه العباقرة هو ما سبق وأعلنه القرآن الكريم بجلاء: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) الأعلى:١-٣.

وقد تجمع اليوم من الأدلة العلمية ما يكفي للقطع بخلق الكون منذ عدة مليارات من السنين، وأن سرمدية المادة وهم؛ والدليل العلمي يدفعه، وتلاشت الآن تماماً فرضية الكون الأزلي Steady State Theory؛ التي تقول بأن الكون لا مولد له، أي: أنه لا نهائي في الزمان والمكان، رغم أنها كانت هي النظرية المقبولة في الأوساط العلمية حتى مُنتصف القرن العشرين، ومُقتضى الاكتشاف الجديد تأكيد مُعاينة الآفاق الكبرى للكون في انحسار وتباعد، ومع التباعد تتزايد سرعة الانحسار؛ مثل بالون رُسمت عليه المجرات كنقاط تتباعد مع نفخ البالون.

وطالما أن الكون يبدو في توسع؛ فبالعودة للماضي يكون له ابتداء، كانفجار توسعت أطرافه له نقطة ابتداء، من هنا كانت التسمية بالانفجار الكبير، ولكن التوسعة كانت حين البناء، ومع اكتمال بناء طوابق البيت؛ لا يصح القول بأن التوسع دائم بلا نهاية، فهو أشبه بنفي البداية، والضوء الذي تُصدره المجرات البعيدة محدود السرعة؛ ولذا لا نُعاين من الكون سوى الماضي، وما يبدو من تباعد إنما هو قراءة للماضي البعيد، ولا يمكن لأحد غير الله تعالى معرفة الأحداث الآنية، والمُنزلق إذن قراءة الاكتشاف الجديد على أنه توسع بلا نهاية؛ فهو أقرب لتحايل الإلحاد بالقول بسرمدية الكون ونفي البداية تشكيكًا بحتمية الخالق، وإلاَّ فإن الطرف الأقرب من الكون يُمكننا أن نستطلع فيه مجيء دلائل ارتداد الكون واقتراب النهاية؛ وكمثال تُرصد المَجَرَّة الأقرب مقتربة بسرعة ٣٠٠ كم\ثانية بخلاف الطرف الأبعد، وإذا كان الطرف البعيد يُعاني مما يُعانيه الطرف الأقرب ولم تصلنا بعد شواهد اقترابه لبعده الشديد؛ فإن الكون فعلا في ارتداد، والنهاية في اقتراب تمضي بأقصى سرعة مقدرة للانتقال وتأتي بغتة؛ سبقتها شواهد الارتداد، لتُطوى صفحة الكون المُشَاهد.

وتُقاس الأبعاد فلكيًّا بوحدة الزمن المناسبة وأقصى سرعة للانتقال؛ وهي حوالي ٣٠٠ ألف كم، فنقول يبعد القمر حوالي ثانية ضوئية؛ أي المسافة التي يقطعها الضوء في ثانية، وتبعد الشمس مسافة ٨,١٩ دقيقة ضوئية، وبالنسبة إلى الأرض أقرب نجم **Alpha Centauri** يبعد ٤,٣٧ سنة ضوئية، فلا نشاهد أي حدث كوني إذن إلا بعد وقوعه بفترة تتناسب مع بعده عنا، وما نُعاينه في الكون من تباعد المجرات البعيدة وفق طيف النجوم؛ إنما هو قراءة لحدث وقع في الماضي وليس قراءة لحدث آني، وفي قوله تعالى: (أَتَىَ أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ) النحل:١؛ إعلان صريح بقدوم قوى الدمار وإن لم تصل بعد؛ تسري بأقصى حد مُقَدَّر للسرعة في الخلاء، وهو يزيد قليلا عن سرعة لمح ضوء يُبْصَر في جو الأرض، والحدث الآني إذن محجوب ولا يعلمه سوى علام الغيوب، يقول العلي القدير: (وَلِلّهِ غَيْبُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَآ أَمْرُ السّاعَةِ إِلاّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنّ اللهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) النحل:٧٧.

والقرآن الكريم يؤكد على قرب ساعة الدمار وطي صفحة الكون المشاهد وخراب العالم وموعد الحساب؛ قال تعالى: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) الأنبياء:١، وقال تعالى: (أَزِفَتْ الْآزِفَة) النجم:٥٧، وقال تعالى: (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) محمد:١٨، وقال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبّي لاَ يُجَلّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنّكَ حَفِيّ عَنْهَا قُلْ إِنّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ) الأعراف:١٨٧، قال ابن كثير (رحمه الله تعالى): "(وفي كل هذا) يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوه) النحل:١"، ومن الدقة إذن القول بأن الكون على مستوى المجرات البعيدة يبدو للراصد في تباعُد بينما حاله آنيا محجوب، وبدء الخليقة حقيقة علمية قضت للأبد على وهم أزلية المادة وسرمدية الكون؛ وكشفت زيف الإلحاد فطواه الزمن.

بدء الخليقة حقيقة علمية قضت للأبد على وهم أزلية المادة وسرمدية الكون.

ولا يفوت المُتَأَمِّل أن التعبير عن التوسع برفع السماء؛ قد ورد بصيغة الماضي لفعل (الرفع) بلا استثناء؛ مما يقصر التوسع على وقت البناء؛ ويعارض التوهم بالاستمرار بلا نهاية، يقول تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ الغاشية:١٧و١٨، ويقول تعالى: ﴿وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ الرحمن:٧، ويقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الرعد:٢، وجاء التعبير عن الرفع بلفظ الخلق بالماضي؛ بيانًا لتكامل البناء في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ لقمان:١٠، إنه إذن عمل كامل والبناء تام التشييد، والسماء اليوم مرفوعة ومترابطة الأركان، وقد ورد بيان خلقها بالماضي بفعل (البناء) كذلك بلا استثناء، يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ق:٦، ويقول تعالى: ﴿وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ الشمس:٥، وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُون﴾ الذاريات:٤٧؛ فعل (البناء) بالماضي يفيد التكامل؛ والصيغة (مُوسِعُونَ) من السعة في القدرة، وهي غير الصيغة (مُوَسِّعُون) من التوسعة في الحيز؛ أي نوسعها دومًا، وقوله تعالى ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ البقرة:٢٣٦؛ يُرَجِّح أن لفظ (مُوسِعُونَ) أي قادرون على إعادتها كما هو قول جمهور المفسرين مصداقًا لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء:١٠٤، قال ابن عباس (رضي الله تعالى عنهما): "﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُون﴾: لقادرون"، وقال مجاهد: "معناه يسع قدرتنا أن نخلق سماء مثلها"، وقال الرازي: "وبناء السماء دليل على القدرة على خلق الأجسام ثانيا"، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا﴾ النازعات:٢٧و٢٨؛ تعبير رفع السمك بالماضي يعني التوسع في مرحلة التكوين قبل أن يستقر الكون ويكتمل البناء، قال ابن كثير: "قوله تعالى ﴿بَنَاهَا﴾ فسره بقوله ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا﴾ أي جعلها عالية البناء.. مُكللة بالكواكب (والنجوم)"، وقال الرازي: "المُراد برفع سمكها شدة علوها"، وقال السيوطي: "رفع بنيانها"، وقال أبو السعود: "رفع سمكها.. أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض.. مديدًا"، وقال الألوسي: "فالمعنى جعل ثخنها مرتفعا في جهة العلو"، فتأمل الدقة في التعبير عن قضايا تتعلق بالكون الكبير تفوق أفق المعرفة في بيئة التنزيل؛ وبتلطف لا يلفت عن الغرض!، ويكفي القرآن الكريم لفت النظر إلى شواهد بدء الخلق على مستوى الكون الكبير ليستبين الفطين قدرة الخالق، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ العنكبوت:٢٠، ويكفي الإعلان عن خفايا التكوين قبل أن يُدركها بشر كدليل حاسم على التنزيل، وهكذا يجد المُتَأَمِّل من المضامين ما يسبق بكشف قصة الخلق على مستوى آفاق التكوين على نحو يتفق تمامًا مع الكشوف العلمية مصداقًا لوعد أكَّده القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت:٥٣.

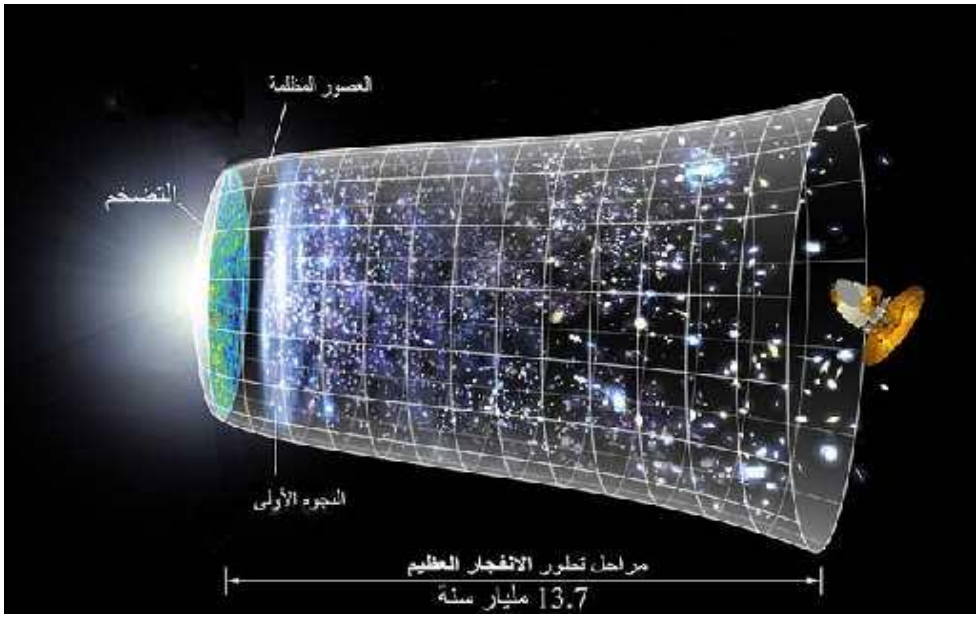

رسم يوضح بدء الكون بعد الانفجار العظيم الذي يعتبر بداية الكون

وعندما يكون مصدر موجة صوتية أو ضوئية مقتربًا تتضاغط أمامه الموجات ويتزايد ترددها بينما تتخلخل إذا كان مبتعداً، ويُعرف هذا بتأثير دوبلر Doppler Effect، وبرصد انحراف خطوط الطيف نحو الجانب الأحمر Red Shift اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble عام ١٩٢٩ أن المجرات العظمى تبدو في تباعد تتزايد سرعته مع البعد بمعدل ثابت سُمِّيَ بثابت هابل Constant Hubble، ومع بلوغ سرعة التباعد قيمة سرعة الضوء لا يُشاهد الضوء القادم ويَتَعَيَّن حد الكون المُمْكِن الرَّصد؛ وبالتالي يُمكن تقدير عمر الكون وفق قانون هابل: عمر الكون = {سرعة الضوء×مليون} \ثابت هابل، وباعتبار ترواح قيمة ثابت هابل بين ٣٠ و٢٠ كم\ثانية يكون عمر الكون في حدود: ١٢,٥ (١٠-١٥) بليون سنة، وفي عام ٢٠٠١ نتيجة لتمايز الخلفية الإشعاعية قَدَّر تشارليس بينيت Charles Bennett أن عمر الكون: ١٣,٧٥ بليون سنة، وفي نفس العام اكتشف روجر كيريل Roger Cayrel وفريقه من عدة دول عنصر مشع معلوم نصف عمره في نجم قديم، فقدر أن عمر الكون ١٢,٥ بليون سنة على الأقل؛ باعتبار أن عمر الكون هو عمر أقدم ما فيه، واستخدام العناصر المشعة في تقدير العمر أسلوب حديث ويبشر بتقارب التقديرات وقياسات أقرب للدقة في المستقبل، وإذا حملت أيام الخلق الستة في القرآن الكريم على التمثيل بأيام الأسبوع حيث لم تكن شمس ولا قمر، وقسمت الأيام الستة لمراحل ثلاث كل مرحلة تُمَثِّل بيومين؛ طبقًا للآية الكريمة: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢؛ باعتبار أن تشكيل الأرض من السديم الشمسي استغرق يومين، وأن نشأة القشرة الأرضية وظهور أوليات الأحياء وتقدير أقواتها استغرق يومين؛ نشأت فيهما طبقات الغلاف الجوي من دخان البراكين الأولية العنيفة، والمجموع أربعة أيام؛ أي أن جملة (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا) اعتراض، وجملة (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) ملحقة بجملة (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ)، فخلق الأرض في أربعة أيام من الأيام الستة لخلق الكون، وباعتبار أن العمر الجيولوجي للأرض ٤,٣ (٤-٤,٦) بليون سنة على الأقل، واكتمالها منذ حوالي ٠,٢٥ بليون سنة مع ارتفاع نسبة الأكسجين في الجو ونشأة أم القارات ووقوع أعظم هلاك لأوليات الأحياء في تاريخ الأرض؛ فيكون بدء خلق الكون منذ حوالي: ١٢,٥ بليون سنة على الأقل كذلك، وأبعد مسافة كونية ١٢,٥ بليون سنة ضوئية باعتبار أن الضوء يقطعها في عمر الكون، أو بالأحرى ٥٠ سنة كونية باعتبار أن الشمس تقطع مدارها في ٢٥٠ مليون سنة، بينما استنتج الأسقف جيمس أوشر James Ussher (١٥٨١-١٦٥٦) من الأسفار أن بدء خلق العالم ليلة الأحد ٢٣ أكتوبر عام ٤٠٠٤ ق.م، واختار القس لايتفوت Lightfoot (١٦٠٢-١٦٧٥) عام ٣٩٢٩ ق.م؛ أي بعد نشأة الحضارات في مصر وبلاد ما بين النهرين بقرون.

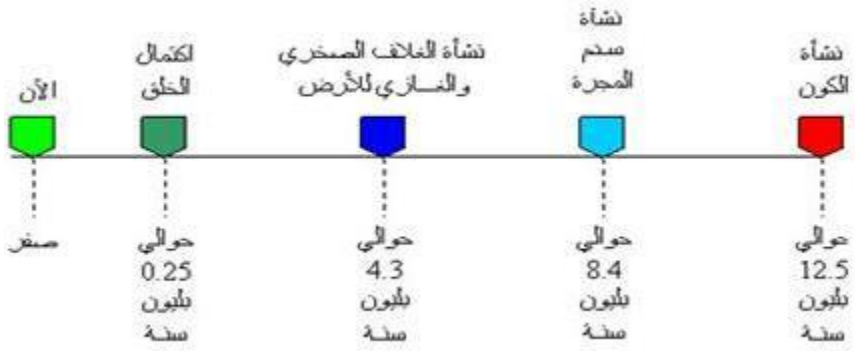

وخلاصة القول أنه منذ إعلان هابل Hubble عام ١٩٢٩ أن المجرات العظمى تبدو في تباعد يتناسب تسارعه مع البعد؛ تأكد أن الكون كان مكدَّسًا في حيز ضئيل ذو حرارة هائلة ليس لها في الكون الحالي مثيل، وتأيد بدء الخلق باكتشاف بنزياس وولسن عام ١٩٧٣ لإشعاع يتناسب مع شدَّة الحرارة عند الابتداء سموه الخلفية الإشعاعية Background Radiation، وجاء الكشف العلمي الجديد مؤيدًا لبدء الخلق، وحينئذ لم تكن قد وُجِدَت بعد تنوُّعَات؛ لا جسيم ولا ذرة ولا مجرة، لم يكن سوى حركة جسيمات أولية في عجل؛ اهتزاز في الخلاء بأقصى سرعة، فسموها حالة التفردSingularity ، ولك أن تتساءل مذهولاً: أي قدرة مُفزعة خَلَقَت في نهاية المطاف من هذا العَجَل إنسانًا يتأمل ما حوله ويبتكر؛ حيث لا أجسام عند الابتداء سوى العَجَل، وأي رهبة تأخذك عندما يُخبرك المُبدع القدير بالنبأ؛ قال تعالى: (خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ) الأنبياء:٣٧.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأتِيَهُم بَغْتَةً} أي فجأة، {فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا} فيه أربعة أقاويل، أحدها: أشراطها آياتها؛ قاله ابن زيد، الثاني: أوائلها؛ قاله ابن عباس، الثالث: أنه انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قاله الحسن، الرابع: ظهور النبي؛ قاله الضحاك، قال الضحاك: لأنه آخر الرسل وأمته آخر الأمم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بُعِثْتُ وَالسَّاعَة كَهَاتِينِ) وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى، {فَأَنَّى لَهُمْ} قال السدي: معناه فكيف لهم النجاة، {إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكرَاهُمْ} فيه وجهان؛ أحدهما: إذا جاءتهم الساعة؛ قاله قتادة، الثاني: إذا جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة؛ قاله ابن زيد وفي الذكرى وجهان: أحدهما: تذكيرهم بما عملوه من خير أو شر. الثاني: هو دعاؤهم بأسمائهم تبشيراً أو تخويفاً"[١٢٦٨].

وقال ابن جزي: "(فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ) الضمير للمنافقين، والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة لأنها قريبة (فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها) أي علاماتها؛ والذي كان قد جاء من ذلك مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه قال: أنا من أشراط الساعة؛ وبعثت أنا والساعة كهاتين، (رواه أحمد عن أنس وعن جابر بن سمرة)، (فَأَنَّى لَهُمْ إِذا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ) أي كيف لهم الذكرى؛ إذا جاءتهم الساعة بغتة؟ فلا يقدرون على عمل؛ ولا تنفعهم التوبة"[١٢٦٩].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا}: أي فهل ينتظر هؤلاء الغافلون اللاهون إلا القيامة تباغتهم، وتأتيهم فجأة وهم في غفلة، لا يتذكرون بذكر أحوال الأمم الخالية، ولا بالإخبار بإتيان الساعة وما فيها من عظائم الأهوال؛ فقد جاء أشراطها وظهرت أماراتها.. وقوله تعالى: {فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} معناه: فكيف للكافرين المنكرين الانتفاع بالتذكير إذا جاءتهم القيامة، وأي سبيل لهم إليه؟ وهو حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر إلى إتيانها ببيان استحالة نفعه حينئذ كقوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} الفجر:٢٣"[١٢٧٠]، وأَشراط الساعة يحدثنا عنها رسولنا الكريم في حديثه الشريف الذي رواه الإمام البخاري: عن عبد الله بن أَبي أَوفى قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم؛ جاءَ أَعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى الرسول يتحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: أَين السائل عن الساعة؟ قال: ها أَنا يا رسول الله، قال: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وسد الأَمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"، كما نجد بعض أَماراتها في آخر حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الذي جاءَ فيه جبريل عليه السلام في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، ويقول عمر رضي الله عنه: ولا يعرفه منا أَحد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام فأَجابه، ثم سأَله عن الإيمان فأَفاده، ثم عن الإحسان فأَخبره به، ثم عن الساعة، فقال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أَمارتها. قال: أن تلد الأَمة ربتها، وأَن ترى الحفاة العراة رعاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان" إلى آخر الحديث (رواه مسلم). وفي هذا الأُسلوب القرآني البديع تهديد للمستهزئين، وتبكيت وتقريع للممتحنين المتعنتين"[١٢٧١].

[١٢٦٨] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٥\ ٢٩٩).

[١٢٦٩] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١٢ ٢٨٢).

[١٢٧٠] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٩ ٩٦٠).

[١٢٧١] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٨ ٢٣٠).

وقال القاسمي: "(فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها)؛ قال ابن كثير: أي أمارات اقترابها، كقوله تبارك وتعالى: (هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولى. أَزِفَتِ الْآزِفَةُ) النجم:٥٦و٥٧، وكقوله جلت عظمته: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) القمر:١، وقوله سبحانه وتعالى: (أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) النحل:١، وقوله جلّ وعلا (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) الأنبياء:١، فبعثة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أشراط الساعة، لأنه خاتم الرسل، الذي أكمل الله تعالى به الدين، وأقام به الحجة على العالمين..، وقال الحسن البصريّ: بعثة محمد صلّى الله عليه وسلّم من أشراط الساعة، وهو كما قال، ولهذا جاء في أسمائه صلّى الله عليه وسلّم أنه نبيّ التوبة، ونبيّ الملحمة، والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبيّ، روى البخاريّ عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال بإصبعيه هكذا؛ بالوسطى والتي تليها: بعثت أنا والساعة كهاتين، (فَأَنَّى لَهُمْ إِذا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ) أي ذكرى ما قد ضيعوا وفرّطوا فيه من طاعة الله إذا جاءتهم الساعة. يعني: أن ليس ذلك بوقت ينفعهم فيه التذكر والندم، لأنه وقت مجازاة، لا وقت استعتاب"[١٢٧٢].

[١٢٧٢] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٨ ٤٧١).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Universe Collapse

انهيار الكون

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ٤٥الجاثية:٢٤.**
- **﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوّى. وَالَّذِي قَدّرَ فَهَدَى﴾ ٨٧الأعلى:١-٣.**
- **﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ١٦النحل:١.**
- **﴿وَلِلّهِ غَيْبُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ السّاعَةِ إِلاّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنّ اللهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٦النحل:٧٧.**
- **﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:١.**
- **﴿أَزِفَتْ الْآزِفَة﴾ ٥٣النجم:٥٧.**
- **﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٤٧محمد:١٨.**
- **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبّي لاَ يُجَلّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنّكَ حَفِيّ عَنْهَا قُلْ إِنّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ﴾ ٧الأعراف:١٨٧.**
- **﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧و١٨.**
- **﴿وَالسّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ٥٥الرحمن:٧.**
- **﴿اللهُ الّذِي رَفَعَ السّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ١٣الرعد:٢.**
- **﴿خَلَقَ السّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ٣١لقمان:١٠.**
- **﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوَاْ إِلَى السّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ٥٠ق:٦.**
- **﴿وَالسّمَآءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ ٩١الشمس:٥.**
- **﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٠٤.**
- **﴿أَأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا﴾ ٧٩النازعات:٢٧و٢٨.**
- **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٩العنكبوت:٢٠.**
- **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا**

وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.

- **﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.**
- **﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ ٨٩الفجر:٢٣.**
- **﴿هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولى. أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ ٥٣النجم:٥٦و٥٧.**
- **﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ القمر:١.**

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ. إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾
٥١الذاريات:٧و٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا. فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا. فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا. فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا. إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ. وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ. إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ. يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ. قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ. يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ. يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ. ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ٥١الذاريات:١-١٤.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَالسَّمَاءِ﴾، ﴿ذَاتِ﴾، ﴿الْحُبُكِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

(I swear) **by the heaven whose architecture is perfect interlaced and wobbled weaves making well-organized rippled tracks** (for the complex motions of celestial objects)**; you are** (fighting against the truth) **in a doctrine discordant.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

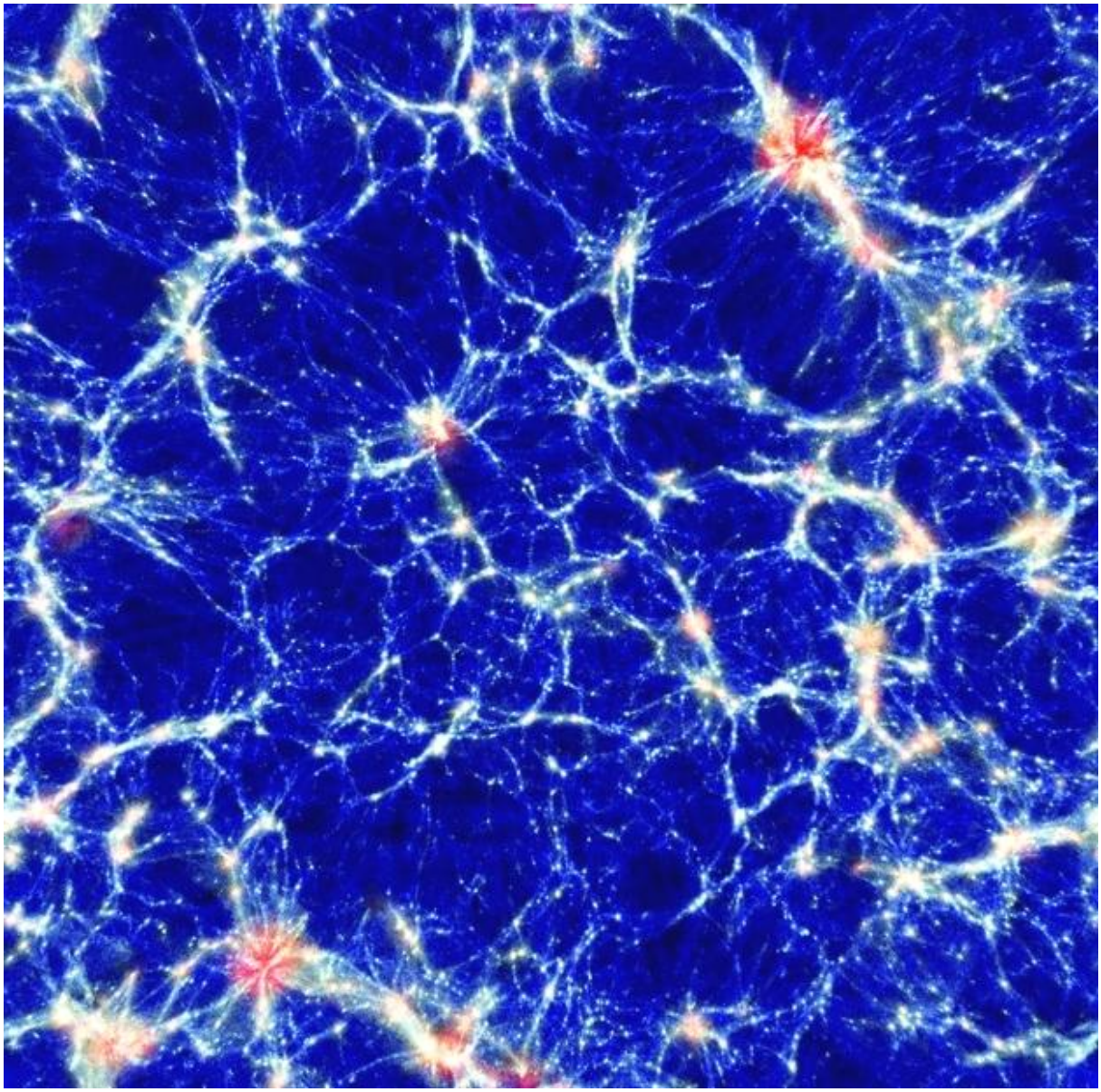

فَاجَأَت حواسيب ناسا العملاقة العالم عندما أُعلن في ١١ مارس ٢٠١١ عن نجاحها في تحويل ملايين المعلومات الفلكية بطريقة المحاكاة Simulation إلى نماذج ثلاثية الأبعاد تُحَاكِي بنية الكون على المستوى الكبير Large Scale؛ فإذا بها تبدو كالنسيج المحبوك تمامًا، وانتشر في وسائل الإعلام مُصطلح النسيج الكوني المحبُوك Cosmic Weave، وتبين أن كل نقطة من خيط Filament النسيج تضم مئات العناقيد العملاقة للمجرات وأشباه النجوم المُسماة كوازارات Quasars، وأن تلك الخيوط تُكون شبكة كونية Cosmic Web عملاقة؛ وصفت بأنها مُضَفَّرَة Interlaced؛ تَجَاعِيد مُتَشَابِكَة في شبكة كالحبال عقد knots ولَفَّات مَفْتُولة بشدة ضفائر Curls، فأضافت بُعدًا أعمق لما حققته الفيزياء من أن البنية Structure على نطاق جسيم دون الذرة أو النطاق الواسع مُتذبذبة Wobbled تَعُجُّ بالحركات، وأن الفضاء طَيَّات Folds ونُطُق تَمَوُّج Ripple وطرائق مُنحنية Curved Tracks، وخيوط الشبكة مُترابطة مَحْبُوكَة ولا كوكب أو مجرة في جزيرة منعزلة، كلمات كلها تتصل بمعنى النَّسِيج المَحْبُوك والمُفْعَم بحركات تجعله مُجَعَّد طَيَّات.

الكون نسيج محبوك

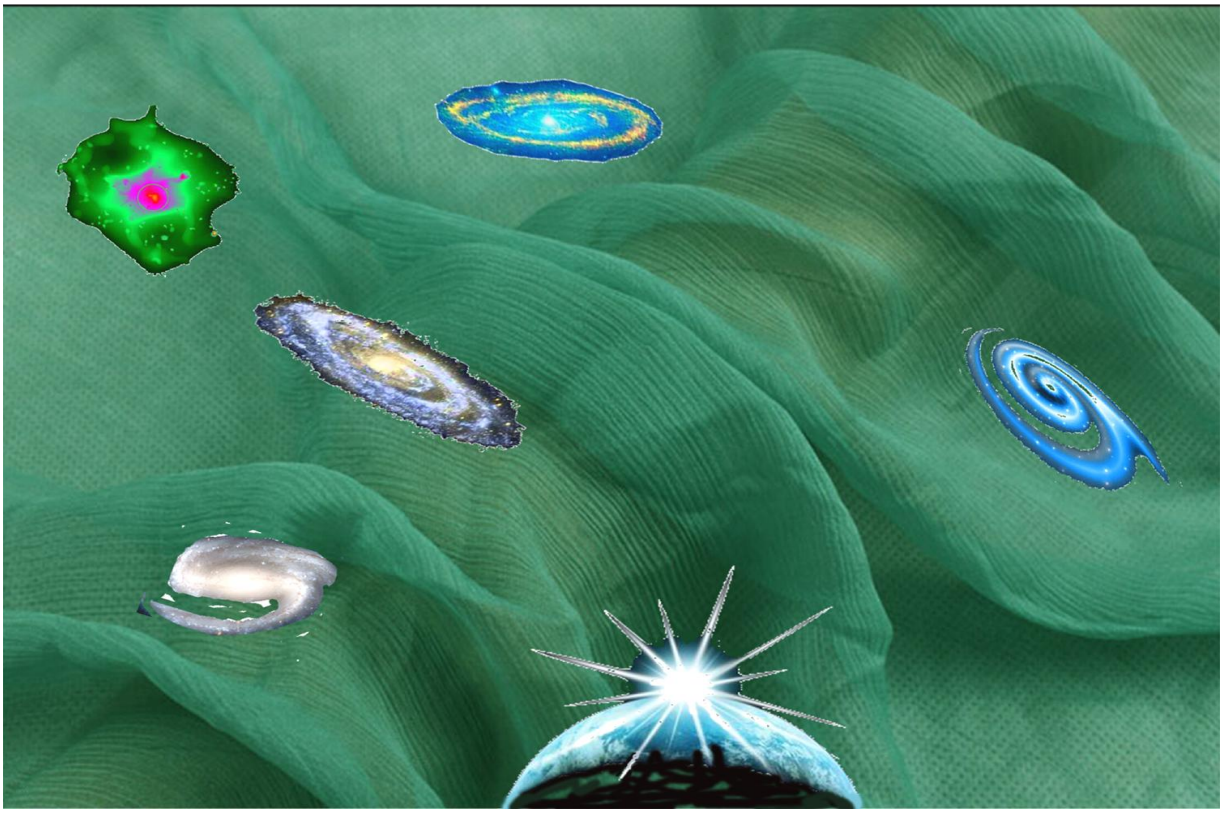

الاكتشاف على المستوى الكبير الذي لا يُمكن رصده بالمناظير لبعده الكبير أن الكون مَنْسُوج مَحْبُوك Woven؛ لصيق الصِّلَة بالقَسَم في القرآن الكريم بالتعبير: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ٥١الذاريات:٧، أي المَنْسُوجَة المَحْبُوكَة بإتقان، فضلاً عن تَضَمُّن كلمة الْحُبُك معاني كالتَّجَعُّد والنسج طرائق وحبكة البنية ونظام الحركة بالذرة إلى أكبر تجمع للمجرات، والفضاء بالفعل مُوَشَّى بعناقيد الكواكب والنجوم والمجرات بديعة الأشكال والألوان أشبه ما يكون بنسيج محبوك مُطَرَّز تحركه الريح فتجعله الطيات مُجَعَّدًا طرائق؛ يسبح فيها كل تجمع كواكب أو نجوم أو مجرات كأسراب الأسماك في الماء، نسيج مَرِن بلا فراغ؛ بل وسط مادي أشبه بماء البحر يصنع شبكة تربط كل عناقيد الأجرام لتجعل الكون كالبناء الواحد.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ٥١الذاريات:٧؛ التعبير بكلمة السماء بالإفراد أنسب لوصف الفضاء منذ بدء الخلق حيث لم تكن الأرض قد نشأت بعد؛ ولم تتشكل بروج النجوم طباق آفاق ليناسب التعبير عنه بالجمع سماوات، وكلمة الحُبك في أبسط معانيها تفيد النسيج المَحْبُوك؛ وتلتقي بكل معانيها مع التحقق بأن الفضاء نسيج محبوك، وتعني أن الفضاء طرائق يسبح فيها كل جرم بذاته؛ وأن الكون بناء واحد متصل اللبنات شديد الترابط بلا فراغ كشروخ الأبنية.

قال القرطبي: "أَلَمْ تَرَ إِلَى النَّسَّاجِ إِذَا نَسَجَ الثَّوْبَ فَأَجَادَ نَسْجَهُ، يُقَالُ مِنْهُ حَبَكَ الثَّوْبَ يَحْبِكُهُ بِالْكَسْرِ حَبْكًا أَيْ أَجَادَ نَسْجَهُ، قَالَ ابْنُ الأعرابي: كل شي أَحْكَمْتَهُ وَأَحْسَنْتَ عَمَلَهُ فَقَدِ احْتَبَكْتَهُ..، (و) الْمُرَادَ بِالطُّرُقِ الْمَجَرَّةُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ"[١٢٧٣]، وقال ابن كثير: "{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ}.. مِثْلُ تَجَعُّدِ الْمَاءِ وَالرَّمْلِ.. إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ فَيَنْسِجُ بَعْضُهُ بَعْضًا طَرَائِقَ طَرَائِقَ؛ فَذَلِكَ الْحُبُكُ.. حُبِكَتْ بِالنُّجُومِ.. (أي) مُكَلَّلَةٌ بِالنُّجُومِ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ مُوَشَّحَةٌ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ الزَّاهِرَاتِ"[١٢٧٤]، وقال ابن عاشور: "وَالْحُبُكُ..: مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحَبْكِ بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ؛ وَهُوَ إِجَادَةُ النَّسْجِ وَإِتْقَانُ الصُّنْعِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِحُبُكِ السَّمَاءِ نُجُومُهَا لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الطَّرَائِقَ الْمُوَشَّاةَ فِي الثَّوْبِ الْمَحْبُوكِ الْمُتْقَنِ؛ وَقِيلَ الْحُبُكُ: طَرَائِقُ الْمَجَرَّةِ"[١٢٧٥].

[١٢٧٣] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٧\ ٣١).

[١٢٧٤] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٧ ٤١٤).

[١٢٧٥] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٦\ ٣٤٠).

بناء مشروخ آيل للسقوط؛ بينما الكون بناء متصل اللبنات
مترابط ممسوك ممتنع عن السقوط بلا فراغ كالشروخ.

وقال الألوسي: "النجوم.. تزين السماء كما يزين الثوب الموشى حبكه وطرائق وشيه؛ فكأنه قيل: ذات (مراتب من تجمعات أو بروج) النجوم التي هي كالحبك أي الطرائق..، واستظهر في السماء أنه جنس أريد به جميع السماوات؛ وكون كل واحدة منها ذات حبك بمعنى.. متقنة البنيان أو صفيقة أو ذات طرق..، بناء على أن السماوات شفافة لا يحجب كل منها إدراك ما وراءه"[١٢٧٦]، وقال ابن الأثير: "الحَبَائِك: الطُّرُقُ وَاحِدُهَا حَبِيكَة، يَعْنِي بِهَا السَّمَاوَاتِ؛ لِأَنَّ فِيهَا طُرُق النُّجوم..: (وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ)"[١٢٧٧]، وقال جعفر شرف الدين: "يقسم الله عزّ وعلا بالسماء المتّسقة المحكمة الترتيب؛ بما فيها من نجوم وكواكب تسلك طريقها مسرعة في مجراتها العظيمة بنظام دقيق وإبداع شامل"[١٢٧٨].

[١٢٧٦] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١١٤ ٥).

[١٢٧٧] مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوى ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية بيروت؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (١١ ٣٣٢).

[١٢٧٨] جعفر شرف الدين؛ الموسوعة القرآنية: خصائص السور، تحقيق عبد العزيز التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ (١٩ ٤).

كَلِمَة الحُبُكْ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّة

مدار لفظ (الْحُبُكُ) هو نسيج مُحْكَم الغَزْل مَضْمُوم الخُيُوط ذو طيات بلا شقوق مُتْقَن الحياكة ومُطَرَّز مُوَشَّى حسن الهيئة، والمعنى الحقيقي: هو الذي وُضِعَ له اللفظ في الأصل؛ والمجازي: الذي نُقل إليه اللفظ لمناسبته لمعناه الحقيقي، وكلمة (حِبَاكَة) قريبة المَخْرَج من (حِيَاكَة)؛ وأصلها خياطة النسيج المضموم الخيوط وصناعة ثوب مُطَرَّز فَاخِر؛ فهي إذن كلمة وصفية جامعة تَسْتَحْضِر كل ما شَابَه النسيج من وجه كإتقان الصنع أو شدة الترابط أو تموج الطيات طرائق.

ما أشبه مسارات الأجرام الفلكية بالتجاعيد الخطية المتموجة التي تصنعها الريح على سطح الماء ورمال الصحراء فنسجته طرائق.

في لسان العرب: "النَّسْجُ ضَمُّ الشَّيْءِ إِلى الشَّيْءِ..، وَالرِّيحُ تَنْسِجُ الماءَ إِذا ضَرَبَتْ مَتْنَه فاتْتَسَجَتْ لَهُ طرائِقُ كالحُبُكِ..، ونَسَجَت الريحُ الماءَ: ضَرَبَتْه فاتْتَسَجت فِيهِ طَرائِقُ..؛ ونَسَجَ الحائِكُ الثوبَ يَنْسِجُه ويَنْسُجُه نَسْجاً، وَقَالُوا فِي الرَّجُلِ الْمَحْمُودِ هُوَ نَسِيجُ وحْدِه؛ وَمَعْنَاهُ أَن الثوبَ إِذا كَانَ كَرِيمًا لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مِنْوالِه غيرُه لِدِقَّتِه..، (أي) الَّذِي لَا يُعْمَلُ عَلَى مِثَالِهِ مِثْلُه؛ يُضْرَبُ مَثَلًا لِكُلِّ مَنْ بُولِغَ فِي مَدْحِه، وَهُوَ كَقَوْلِكَ فُلَانٌ واحدُ عصرِه..، فنَسِيجُ وَحْدِه أَي لَا نظيرَ لَهُ"[١٢٧٩].

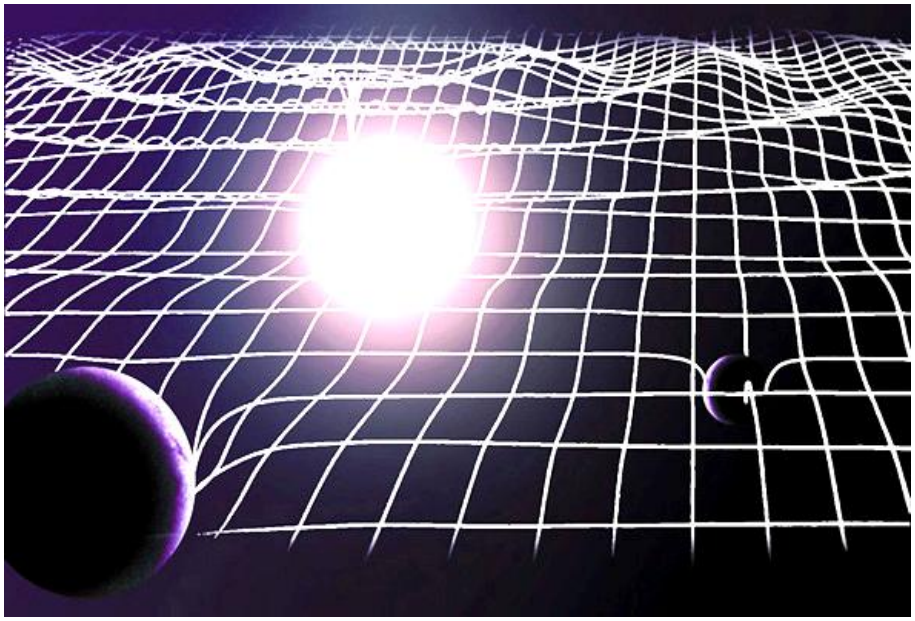

الفضاء نسيج محبوك ومزين لا مثيل له؛ تغمره طيات متموجة طرائق تسبح فيها الأجرام بنظام وإحكام.

فكلمة (الْحُبُكِ) ألصق بنسيج مضموم الخيوط مُزَيَّن حَبَكَهُ نَسَّاج مَاهِر بتناسق فصنع مُنْسُوجًا زَاهِيًا مَحْبُوكًا بإتقان، وتُجَسِّد حركة النَّسِيم لطَيَّاتُه معنى التَّمَوُّج والتَّجَعُّد طرائق؛ كتجاعيد الشعر وخطوط سوداء بجناح حمامة وأثر الريح على سطح الماء والرمل، والكلمة جَامِعَة مُوحِيَة فأُطْلِقَت على كل مُجَعَّد أو مَضْمُوم أو مَشْدُود أو مُتْقَن حَسن الصَّنْعَة، فكلمة الْحُبُكِ وصف للسماء كنسيج لا مثيل له؛ لترابطها وإتقان صناعتها وحسن حياكتها ومرونتها لتتجعد طيات طرائق.

[١٢٧٩] محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤١٤هـ (١٢ ٣٧٦).

وفي معجم اللغة العربية المُعَاصِرَة: "حبَكَ يَحبُك ويَحبِك حَبْكًا؛ فهو حابك والمفعول مَحْبوك، (ومنه): حبَك الشَّيءَ: شدّه وأحكمه، حبك الحبلَ: فتله فتلاً شديدًا، عمل محبوك: مُتقَن، حبَك المؤامرة: أحكم خُطَّتها، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحَبْكِ﴾.. حبَك الثَّوبَ: أجاد نسجَه، حبَك القصَّة: أجاد صياغتَها، حبَك العقدةَ: قوّى عقدَها ووثَّقها، حبَك الأمرَ: أحسن تدبيرَه.، احتبك الرَّجلُ: شدّ إزارَه وأحكمه.، تحبَّك الشَّخصُ: شَدَّ الحُبْكة وهي حبلٌ ونحوُه يُشَدّ به على الوسط؛ (أي) تحبَّك وشمَّر عن ساعديه استعدادًا للعمل.، حبَّك الشَّعْرَ: جعَّده، حبَّك الثَّوبَ: نسجه وزيَّنه بخطوط عديدة، وحِباكة: حِرْفة الحابك أو النّسَّاج، حَبّاكة: اسم آلة من حبَكَ: آلة النسج، حَبْكة..: ترابُط الأجزاء التي تؤلِّف كلاً

مُتلاحمًا، حَبْكة مزدوجة: نسيج تتمُّ حياكتُه على آلة مزوَّدة بمجموعتين من الإبر؛ بحيث يأخذ سماكة مضاعفة"[١٢٨٠].

حبال مترابطة محبوكة مشدودة بإحكام.

حبال مضفرة طيات منسوجة محبوكة.

عيدان قصب كل حزمة مربوطة بإحكام.

ضفائر شعر محزمة طيات.

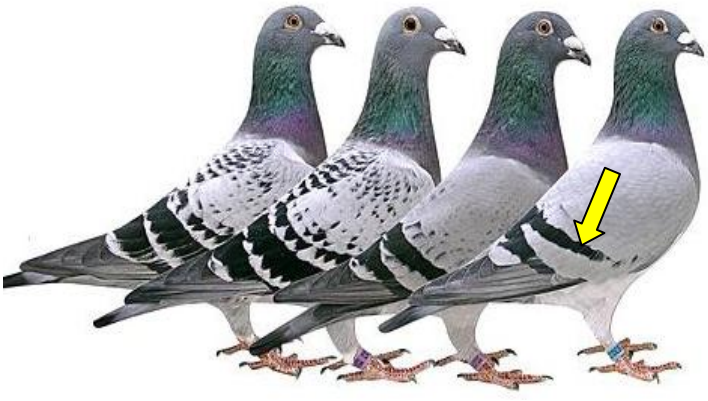

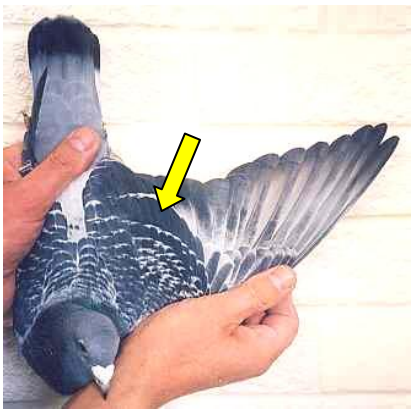

خطوط سوداء كالطرائق نزين أجنحة الحمام.

[١٢٨٠] أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل؛ معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م (١١ ٤٣٧).

وفي المعجم الوسيط: "(حَبَكَ) الشَّيْء حبكا أحكمه يُقَال حبك الثَّوْب أَجَاد نسجه وحبك الْحَبل شدّ فتله وحبك الْعقْدَة قوى عقدهَا ووثقها وحبك الْأَمر أحسن تَدْبيره وَالثَّوْب ثنى طرفه وخاطه، (حبك) الشَّيْء حبكه وَالشعر جعده وَالثَّوْب نسجه مخططا وَالرِّيح الرمل وَالْمَاء السَّاكِن جعلت فِيهِ طرائق..، (الحباك) الطَّرِيقَة تحدثها الرّيح فِي الرمل وَالْمَاء السَّاكِن، وحظيرة من قصب مشدود بعضه إِلَى بعض، وحباك الثَّوْب مَا ثني وخيط من أَطْرَافه وحباك الْحمام سَواد مَا فَوق جناحيه، (الحبكة) الْحَبل يشد بِهِ على الْوسط..، (الحبيكة) المحبوكة، والطريقة فِي الرمل أَو المَاء ومسير النَّجْم (والجمع) حبك؛ وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: {وَالسَّمَاء ذَات الحبك}، (المَحْبُوك) يُقَال فرس مَحْبُوك (أي): قَوِي شَدِيد"[١٢٨١].

الأَقْمِشَة الحَلَقِيَّة البِنْيَة

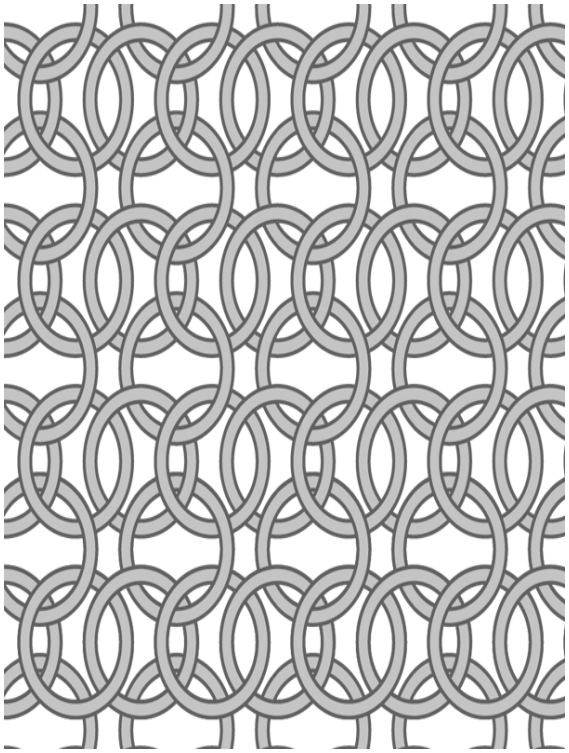

يتكون القماش العادي المنسوج؛ من تشابك مجموعتين خيوط بشكل متعامد، أما القماش المَحُوك للملابس الداخلية خاصة؛ فيتكون من غرز، وهي حلقات خيط تتماسك بتداخلها مع بعضها البعض، وهذه البنية الخاصة للقماش المَحُوكْ تُعطي الأقمشة المَحِيكَة مُرُونَةً عَالِيَةً؛ وهي أشبه بالزرد: درع كان يُستخدم في الحرب ويُحَاك من حلقات معدنية متشابكة كالقميص لتفادي ضربات السيوف، ولو كانت الحلقات تلك خيوطًا متعامدة؛ لأعاقت الحركة، قال الزمخشري: "ويُقال إنّ خلقة السماء كذلك (حِلَق متشابكة).. حبكها نجومها.. وإذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه"[١٢٨٢]، وقال سيد قطب: "يقسم بالسماء المُنسقة المُحكمة التركيب. كتنسيق الزرد المتشابك المتداخل الحلقات..، (أي) موشاة كالزرد مُجعدة تجعد الماء والرمل إذا ضربته الريح، وقد يكون هذا وضعا دائما لتركيب الأفلاك (والنجوم) ومداراتها المُتشابكة المُتناسقة"[١٢٨٣].

[١٢٨١] مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة (١\ ١٥٣).

[١٢٨٢] أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٠٧هـ (٤\ ٣٩٦).

[١٢٨٣] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي؛ في ظلال القرآن، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السابعة عشر؛ ١٤١٢هـ (٦\ ٣٣٧٥).

كَلِمَة الحُبْكْ في اللُّغَةِ الإنْجِلِيزِيَّة

أقرب كلمة للحُبُك بالإنجليزية: Weaves؛ وتعني حَبْك النَّسْج وتَمَايُل طَيَّاتُه، وترجمتها في المعجم كالتالي: يَنْسُج؛ نسيج؛ مَنْسُوجات؛ أَقْمِشَة؛ نسج؛ يَحُوْك؛ حَاكَ؛ يَحْبِك؛ حَبِّك؛ حَابَكَ؛ اِحْتَبَكَ؛ رسم خطةً؛ شقّ طريقهُ متلوٍ (مُتَعَرِّج)؛ تمايل؛ تذبذب، وفي صيغتها Woven: مَحْبُوك؛ مَنْسُوج؛ أَجْدَل (ذو جدائل كالشعر)؛ مَجْدُول؛ مَبْرُوم؛ مَفْتُول، وتُدَعِّمُهَا عدة كلمات نحو: Stitch بمعني عقدة خيط؛ يَخِيط؛ يُطَرِّز؛ يَرْتُق، وكلمة: Sew بمعنى يُمارس الخياطة، وكلمة: Fabric بمعنى نسيج؛ قماش؛ بناء؛ بنية؛ بناية؛ بُنْيَان؛ طراز البناء؛ نوعية القماش، وكلمة: Knots بمعنى عقدة؛ رباط؛ زُمَر (جمع زمرة)؛ مجموعات؛ حكم وثاق؛ حَزَّمَ؛ حَزَمَ؛ سَلْسَلَ؛ شَدَّ؛ عَصَبَ؛ عَصَّبَ، وكلمة: knit بمعنى عَقَدَ؛ (عُقْدَةً)؛ ضَفَّرَ؛ فَتَلَ؛ حاكَ؛ نَسَجَ، يَرْبِط؛ شَابَكَ؛ شَبَّكَ؛ شَبَكَ (شبكة)؛ يَحْبِك؛ حَبَكَ؛ حَبَّكَ؛ اِحْتَبَكَ، وكلمة: Ripples بمعنى تموج وتَجَعُّد، وكلمة: Filaments بمعنى خيوط، وكلمة: Folds بمعنى اِنْحَنَى؛ اِنْعَرَجَ؛ حَزَّمَ؛ حَزَمَ؛ رَبَطَ؛ طيات[١٢٨٤]، وإذن (الْحُبُكُ) كلمة واحدة ذكرت مرة واحدة ويتطلب استيفاء معانيها كلمات كثيرة، وكأنها تتحدى البُلَغَاء وقادة العلم سواء، وقد تحقق اليوم بالفعل أن الفضاء نسيج مُتَمَوِّج مَحْبُوك مُرَصَّع بِزُمَر نجوم طباق؛ متشابكة كالحلقات وسَابِحَةً بلا خلاء.

تَشْكِيل هَرَمِي مُتَرَابِط مَحْبُوك

أطلق العرب على مجرتنا اسم درب التبانة لأن النجوم تُرى في الليالي الصافية مبعثرة على جوانب غيمة تشبه طريق مهدته أقدام الدواب وتناثرت على أطرافه بقايا حمولة التبن، وسميت بالإنجليزية الطريق اللبني Milky Way؛ تشبيها بلبن مسكوب على جوانب الطريق، ويذكر المفسرون أنها المُراد بكلمة الجمع: الحُبُك؛ وأن (السَّمَاءِ) يعني الكون كله: قال أبو حيان: "الظَّاهِرُ فِي (السَّمَاءِ) أَنَّهُ جِنْسٌ أريد به جميع السموات..، وَقَالَ الْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (ذَاتِ الْحُبُكِ): أَيِ الزِّينَةِ بِالنُّجُومِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ذَاتِ الطَّرَائِقِ يَعْنِي مِنَ الْمَجَرَّةِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ"[١٢٨٥]، وقال أطفيش: "(والسماء): السموات؛ زينت بالنجوم..، وهن شفافات"[١٢٨٦]، وقال الزبيدي: "والسّموات سَبْعُ طَرائقَ بعْضُها فوقَ بعض، والطّريقَة: الخَطُّ في الشّيءِ، وطرائِقُ.. خُطوطُه الَّتِي تُسمّى الحُبُكَ"[١٢٨٧]، وقال القرطبي: "الْمُرَادَ بِالطُّرُقِ الْمَجَرَّةُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ"[١٢٨٨]، وقال الإستانبولي: "قال الراغب (الحُبُك) هي الطرائق.. بالنجوم والمجرة"[١٢٨٩]، وقال ابن عاشور: "الْمُرَادُ بِحُبُكِ السَّمَاءِ نُجُومُهَا لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الطَّرَائِقَ الْمُوَشَّاةَ فِي الثَّوْبِ الْمَحْبُوكِ الْمُتْقَنِ..، وَقِيلَ الْحُبُكُ: طَرَائِقُ الْمَجَرَّةِ الَّتِي تَبْدُو لَيْلًا"[١٢٩٠]،

لكن المجرة طريق واحد وتعبير النظم بالجمع طرائق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٧، وتتميز السماء إلى سماوات بتجمعات نجوم في آفاق طباق كالبروج: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ٨٥البروج:١، وكل حشد في حشد أكبر منه وكأن الحشود بناء واحد مُتعدد الطوابق شديد الترابط: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ ٧٨النبأ:١٢، وليست اللبنات من عناقيد النجوم بالفعل في أفق واحد كما يتراءى للعين؛ وإنما طباق بتسلسل هرمي Hierarchy مُتراكب Superposed مُتداخل Overlapped ينطق بأن للكون ابتداء، وأن تطوره منظوم وفق خطة Plan وتصميم Design مقصود منذ الابتداء؛ فشَيَّدَ بناءً مهيبًا هندسته مُذهلة ومواقع لبناته من عناقيد النجوم على أبعاد تَفُوق الخيال!.

[١٢٨٤] قاموس بابيلون عديد اللغات؛ النسخة الإلكترونية: Babylon 8.

[١٢٨٥] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (٩\ ٥٤٩).

[١٢٨٦] محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش؛ تفسير أطفيش تيسير التفسير (١٠\ ٢٩٢).

[١٢٨٧] محمّد أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (١٢٦\ ٧٤).

[١٢٨٨] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٧\ ٣٢).

[١٢٨٩] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي؛ روح البيان، دار الفكر بيروت (٩\ ١٢١).

[١٢٩٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٦\ ٣٤١).

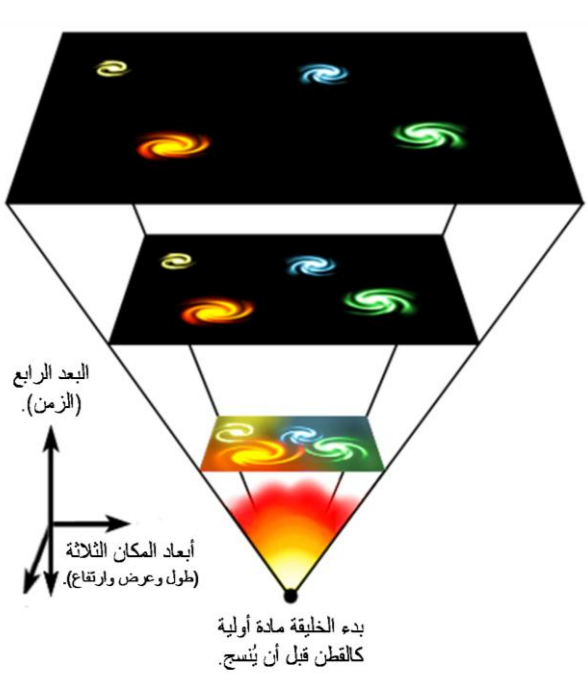

وإذا تتبعنا الغُصن المُثمر بالذكاء في الأرض والمُمَثَّل بالنظام الشمسي أو المجموعة الكوكبية في الأفق الأدنى نجده أحد امتدادات غصن أكبر يُسمى عنقود النجوم المحلية Local Cluster of Stars، وهو يُكون مع أمثاله في أفق أعلى ما يُسمى بالعنقود العملاق للنجوم Super-Cluster of Stars، وهو أحد لبنات مجرتنا: الطريق اللبني، وهي بدورها ضمن زمرة تربو على ٣٠ مجرة تُسمى العنقود المجري المحلي Local Cluster of Galaxies، وهو بدوره ليس إلا أحد لبنات العنقود العملاق للمجرات Super-Cluster of Galaxies، وقد كان الظن أنه آخر ما يُمكن رصده؛ حتى ثبت أخيرًا أنه يتجمع مع مئات العناقيد العملاقة ليشكل خيط رفيع في مِعْمَار النسيج الكوني Cosmic Weave، وليست الأرض المُفعمة بالحياة سوى ثمرة في شجرة مُترامية الأطراف أغصانها لا تُعد؛ فكم يَعُج إذن هذا الكون بالذكاء!.

الحُبُك الكَوْنِيَّة مأْثرة بَيَانِيَّة

مَدَار أقوال المُفسرين في بيان الآية الكريمة هو أن السماء نسيج مُزَيَّن مَشدُود الخُيوط كثوب مُحكم الحَبْك حَسن الصَّنْعَة مُتقن الحِيَاكَة؛ قالوا: "معنى الحَبْك في اللغة: إجادة النَّسْج..؛ حَبَكَ الثوب أي أجاد نسجه، وحبل مَحْبوك إذا كان شديد الفتل"[١٢٩١]، و"الْحُبُكُ: بِضَمَّتَيْنِ جَمْعُ حِبَاكٍ.. أَوْ جَمْعُ حَبِيكَةٍ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحَبْكِ بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ؛ وَهُوَ إِجَادَةُ النَّسْجِ وَإِتْقَانُ الصُّنْعِ"[١٢٩٢]، "أَلَمْ تَرَ إِلَى النَّسَّاجِ إِذَا نَسَجَ الثَّوْبَ فَأَجَادَ نَسْجَهُ، يُقَالُ مِنْهُ حَبَكَ الثَّوْبَ يَحْبِكُهُ بِالْكَسْرِ حَبْكًا أَيْ

[١٢٩١] أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري؛ التَّفْسِيرُ البَسِيْط، تحقيق ١٥ رسالة دكتوراه، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ (١٢٠\ ٤٢٨).
[١٢٩٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٦\ ٣٤١).

أَجَادَ نَسْجَهُ، قَالَ ابْنُ الأعرابي: كل شي أَحْكَمْتَهُ وَأَحْسَنْتَ عَمَلَهُ فَقَدِ احْتَبَكْتَهُ"[١٢٩٣]، "الْحُبُكُ: الشِّدَاد الإِحْكَام؛ وتحسين اثر الصنعة في الثوب"[١٢٩٤]، ولفظ "الحَبْك..: معناه الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب: سد ما بين خيوطه من الفرج وشدّه وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل؛ مع الحسن والرونق"[١٢٩٥]، "روي عن ابن عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما: (ذَاتِ الْحُبُكِ) قال: حسنها واستواؤها، وقَالَ بَعْضُهُمْ: ذات حبك؛ أي: ذات بنيان مُتقن مُحكم، وكلا التأويلين يرجعان إلى واحد؛ فإن حسن خلق السماء بالإتقان والإحكام، يُقال للحائك إذا أحسن النَّسج وأحكمه: حَبَكَ الثوب"[١٢٩٦].

ودلالة كلمة الحُبُك على طيات كالطرائق لا دوائر؛ هي أدق وصف لِنُطُق وآفاق مدارات Orbits الأجرام في مراتب، وتتفق مع كونها وسط مادي مسارات خطية متموجة للأجرام؛ إذ كل تابع يسبح حول متبوع ويتحرك معه في مداره، والمتبوع هو أيضًا تابع لأكبر منه ويمضي معه في مداره ومعه أتباعه، وكُلٍّ في فلكه وفي فلك يُوَحِّد اتجاه كل الأجرام.

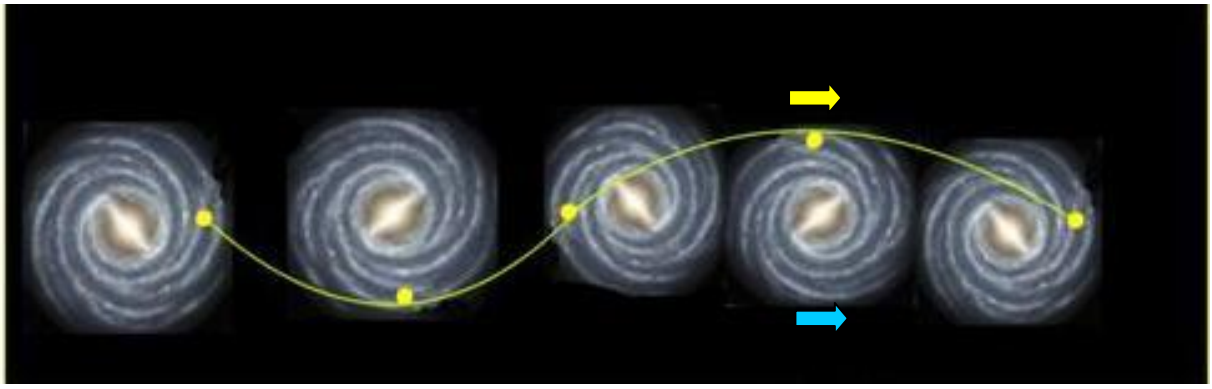

(مصدر الصورة مقال م. وصفى أمين الشديفات: وكل فى فلك يسبحون).

قال القاسمي: "كان القدماء يعتقدون أن جميع (النجوم) الثوابت مركوزة في كرة مجوّفة يسمونها كرة الثوابت أو فلك الثوابت؛ وبحركة هذه الكرة تتحرك الكواكب..، ومعنى ذلك أن الكواكب لا حركة لها بذاتها، وأن فلك جميع الثوابت واحد وأنه جسم صلب، والحقيقة خلاف ذلك، فإن لكل كوكب (أو نجم) فلكًا يجري فيه وحده..، (و) يتحرك بذاته لا بحركة غيره، والكواكب (الأجرام الفلكية) جميعا سابحة في الفضاء، أو بعبارة أصحّ في.. مادّة العالم الأصلية غير مركوزة في شيء مما يتوهمون، وبهذه الحقائق جاء الكتاب الحكيم..: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) الأنبياء:٣٣، والتنوين في لفظ (كلّ) عوض عن الإضافة، والمعنى: كل واحد من الكواكب في فلك خاصّ به يسبح بذاته، وفي قوله يَسْبَحُونَ إشارة إلى مادة العالم الأصلية.. التي تسبح فيها الكواكب كما تسبح الأسماك في الماء، فليست الأفلاك أجساما صلبة تدور بالكواكب كما كانوا يزعمون..، (وقد) نصّ الكتاب العزيز على.. الجذب العام للكواكب كافّة من جميع جهاتها، فقال: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) الذاريات:٧، (أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا) النازعات:٢٧، (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) الملك:٣، فالكون كله: كالجسم الواحد الكبير محكم البناء لا خلل فيه، كما قال: (وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ) ويتخلّله (وسط هيولي غير مرئي خام كالقطن قبل أن يُنسج ثوبًا؛ سموه قديمًا) الأثير؛ كما يتخلل (هذا الهيولي الأثيري) ذرات الجسم الصغير؛ (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) المؤمنون:١٤"[١٢٩٧]، و"(الْحُبُكِ) أي الطرق المختلفة التي هي دوائر سير الكواكب.. (ذَاتِ الْحُبُكِ) أي النجوم؛ حبكت بالنجوم، وذلك لأنها تزين السماء كما يزين الثوب الموشّى تحبيكه، فشبهت النجوم بطرائق الوَشْي..، (و) الحبك جمع حبيكة، بمعنى محبوكة، أي: مربوطة، فمعنى (ذَاتِ الْحُبُكِ) ذات المجاميع من الكواكب المربوط

[١٢٩٣] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٧\ ٣١).

[١٢٩٤] محمد ثناء الله المظهري؛ التفسير المظهري، تحقيق غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية الباكستان؛ ١٤١٢هـ (٩\ ٨٠).

[١٢٩٥] إبراهيم بن إسماعيل الأبياري؛ الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب؛ ١٤٠٥هـ (١٢\ ٢٢٨).

[١٢٩٦] أبو منصور الماتريدي؛ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (٩\ ٣٧٥).

[١٢٩٧] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١١\ ٢١١).

بعضها ببعض بحبال من الجاذبية، فإن كل حبيكة مجموعة من الكواكب المتجاذبة، فالآية الشريفة نص على تعدد المجاميع وعلى الجاذبية..، وعليه فهي إحدى معجزات القرآن العلمية"[١٢٩٨].

وقال الطبري: "حَبُكِهَا مِثْلُ.. حُبُكِ الْمَاءِ إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ فَنَسَجَتْهُ طَرَائِقَ"[١٢٩٩]، وقال الزبيدي: "الحَبْكُ الشَّدُّ والإِحْكامُ وإِجادَةُ العَمَلِ والنّسج وتَحْسِين أَثَرِ الصنعَةِ فِي الثَّوْبِ، يُقال: حَبَكَه يَحْبِكُه.. حَبكاً: أَجادَ نَسجه؛ وحسَّنَ أَثَرَ الصَّنْعَةِ فيهِ، كاحْتَبكه: أَحْكَمه وأَحْسَنَ عَمَلَه فَهُوَ حَبِيكٌ ومَحْبوك؛ يُقَال: ثَوْبٌ حَبِيكٌ ومَحْبُوكٌ: أُحْكِم نَسجُه"[١٣٠٠]، وقال الشعراوي: "يعني: محبوكة ومحكمة، والحبكة معناها.. (أنه حتى) ذراتها التي لا تُدرَك ملتحمة مع بعضها"[١٣٠١]، وقال المقدم: "إذا كان هناك ماء ساكن ثم هبت عليه الريح فإنك ترى تموجات صغيرة.. تسمى الحبك"[١٣٠٢]، وقال العدوي: "المراد بالحُبُك الحَبْك وهو الشد والإحكام، كما تقول: هذا الشيء محبوك، أي مضموم بعضه إلى بعض بشدة، وكما تقول: أحبك الثياب؛ أو هذا ثوب محبوك.. فالحبك: الشد والإتقان والإحكام"[١٣٠٣]، وقال أبو زهرة: "تبدو (النجوم) مُتفرقة غير متماسكة؛ وهي مُتماسكة مُترابطة بجاذبية كأنها أرسان (حبال متينة) تربطها بعضها ببعض..، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ٣٥فاطر:٤١..، وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ١٣الرعد:٢، وكما قال تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) ٥١الذاريات:٧"[١٣٠٤].

وقال المراغي: "(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنَّاها وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ) أي.. إلى السماء فوقهم كيف رفعناها بلا عمد (مرئية)، وزيناها بالكواكب ومالها من فتوق؛ فهي.. متلاصقة الطباق، وهذا هو الرأي الحديث في عالم السموات؛ إذ يقولون إن هناك عالما لطيفا أرق من الهواء وألطف من كل ما نراه وهو مبدأ كل شيء وأول كل شيء وهو العالم المسمى (قديمًا) بالأثير، وهذا العالم وإن لم يره الناس فقد عرفوه من وصول أضواء الكواكب إلينا..، ألا يدل هذا على أن ذلك الضوء محمول على شيء موجود..، فلو أن طبقة من الطبقات لم يكن فيها الأثير لا نقطع سير النور إلى الأرض ولم نره، وهذا ما يشير إليه الكتاب بقوله (وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ)؛ فلو كان هناك فروج تتخلل السموات لا نقطع سير النور إلينا، وآراء.. كل أمة أن كل سماء منفصلة عن الأخرى وبينهما فضاء..، فجاء الكتاب الكريم وعكس هذه القضية وقال لا فروج في السماء؛ أي لا خلاء في العالم"[١٣٠٥].

وقال محمد رشيد رضا: "جميع الكواكب متجاذبة مرتبط بعضها ببعض من كل جهة، ولا يوجد فيها ما هو منشق عن بقيتها منفك عنها لا ارتباط له بها؛ بل كلها متماسكة كالبنيان أو كأجزاء الجسم الواحد {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ} ق:٦؛ أي ليس لها شقوق.. تقطع علاقاتها وحبال تجاذبها، بحيث يكون بعض الكواكب غير متماسك بالبعض الآخر..: {فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ} الملك:٣؛ أي انشقاق وانقطاع، أما ما بين الكواكب من المسافات فهي وإن كانت كبيرة؛ إلا أنها بالنسبة لمجموعها وكثرتها وعظمها كالمسام بالنسبة لأجزاء الجسم الواحد..، فالكون كله أو السماء كلها جسم واحد لا انشقاق فيه..، فهذه المسافات التي بين الكواكب ليست هي الشقوق أو الفروج المراد نفيها؛ بل الفروج المنفية هي.. التي تُباعد ما بين مجاميع الكواكب حتى تقطع اتصالاتها وتشتتها وتذهبها مبددة في الفضاء بلا نظام ولا اتصال، وتجعل كل عالم مستقلاً بذاته منقطعًا عن غيره خارجًا عن دائرة الجذب العام"[١٣٠٦]، لكنها تسبح في: "نوع مخصوص بسيط لطيف من أنواع المادة التي لا نعرفها كالأثير (الهيولي الخام قبل أن يتشكل أجسام)؛ الذي يقولون بوجوده وأنه مالئا للعالم كله وأنه يتخلل ذرات المادة الكثيفة"[١٣٠٧]، والمُرَجَّح أن الكون يفيض

١٢٩٨ محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٩\ ٣٥).

١٢٩٩ محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (٢١\ ٤٨٩).

١٣٠٠ محمد أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (٢٧\ ١٠١).

١٣٠١ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٥\ ٩٥٣٠).

١٣٠٢ المقدم؛ تفسير القرآن الكريم (١٤١/ ١٠ بترقيم الشاملة).

١٣٠٣ أبو عبد الله مصطفى بن العدوى شلباية؛ سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، دروس صوتية مفرغة؛ ترقيم الشاملة؛ رقم الجزء هو رقم الدرس (١٣٨\ ٩).

١٣٠٤ محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٩\ ٤٨٥٨).

١٣٠٥ أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٢٦\ ١٥٤).

١٣٠٦ محمد رشيد رضا وغيره؛ مجلة المنار؛ ٣٥ مجلد (١٤\ ٥٧٧).

١٣٠٧ محمد رشيد رضا وغيره؛ مجلة المنار؛ ٣٥ مجلد (١٤\ ٥٩٤).

بأنواع: "الحياة؛ وخصوصًا.. العاقلة، هي كما نشاهد غاية الغايات في هذا الوجود؛ وإلا كان العالم كله كالقصر المشيد الذي لا سكان فيه، أو كالملعب الجميل الذي لا يرى فيه ممثلون أو لاعبون"[١٣٠٨].

وقال ناصر مكارم: "وفي اللغة معان كثيرة لكلمة (الحبك).. من ضمن هذه المعاني الطرق والتعاريج التي تبدو على الرمل نتيجة للرياح أو التي تبدو على صفحة الماء أو على السُحب في السماء؛ كما تطلق الحبُك على الشعر المجعّد، وقد تُفسّر الحبك بالزينة والجمال، كذلك تأتي بمعنى (الشيء) الموزون والرتيب، و.. الشدّ والإحكام، ويبدو أنّ جميع هذه المعاني تعود إلى معنى واحد وهي التجاعيد والتعاريج..، وأمّا تطبيق هذا المعنى على السماء ووصفها بها (والسماء ذات الحبك) هو إمّا لنجومها ذات المجاميع المختلفة وصورها الفلكية..؛ أو لمجرّاتها العظيمة التي تبدو وكأنّها تجاعيد الشعر على صفحة السماء؛ وخاصّة صورها التي التقطت بالتلسكوب إذ تُشبه هذه الصور التجاعيد في الشعر..، فعلى هذا يكون معنى (والسماء ذات الحبك) أنّ القرآن يقسم بالسماء و(حشود) مجراتها العظيمة التي لم تكتشفها يومئذ العيون الحادّة ببصرها؛ ولا علم الإنسان يومئذ أيضاً، ومع ملاحظة أنّ الجمع بين المعاني المتقدّمة مُمكن ولا منافاة فيه؛ فيُحتمل أن تكون هذه المعاني كلّها مُجتمعة في القَسَم"[١٣٠٩].

الحُبُكُ الكَوْنِيَّةُ مَأْثَرَةٌ عِلْمِيَّةٌ

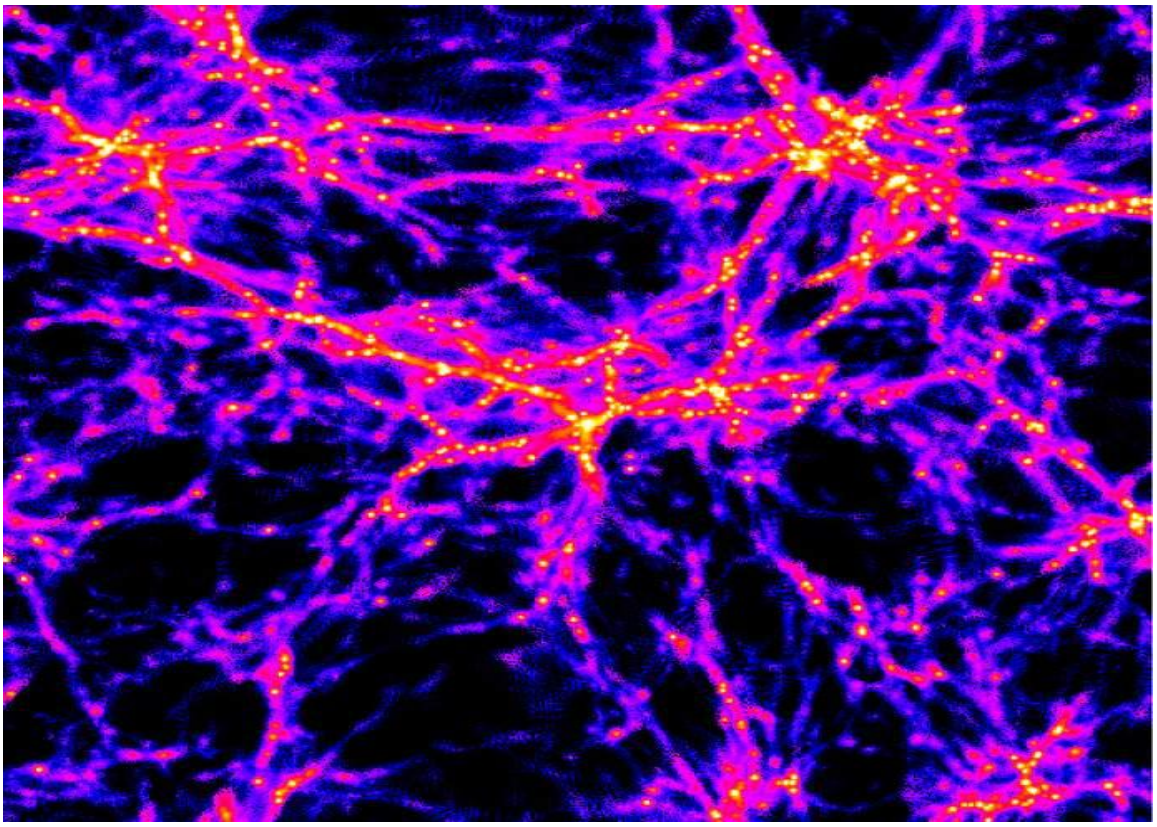

في ١١ مارس ٢٠١١ أُعلن عن نجاح حواسيب ناسا العملاقة من تحويل المعلومات الفلكية لنماذج تُحاكي الكون، وللدهشة ظهرت العناقيد العملاقة للمجرات والكوازارات متلألئة على خطوط النسيج؛ لتفيض كلمة (الحُبُك) بالمعاني، وبَدَت الخُيوط في المحاكاة بالحاسوب كَجُدُر البيت تماماً فَسُمِّيَت بالجُدُر وبينها فجوات عملاقة من مادة مُعتمة خفية.

هذه هي آخر صيحات الكشوف العلمية بعد رفع الستار عن البنية الكونية؛ فلا مجرة في جزيرة منعزلة وبنية الكون خيوط وسلاسل وروابط وتجعد وطيات وطرائق بين كثبان مجموعات النجوم كالرمال وحلقات متشابكة من المجرات في

١٣٠٨ محمد رشيد رضا وغيره؛ مجلة المنار؛ ٣٥ مجلد (١١٤ ٥٩٤).

١٣٠٩ ناصر مكارم؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الموقع الرسمي للمؤلف، ترقيم المكتبة الشاملة (١١٧ ٧٣).

بيداء الفضاء تشكل شبكة كونية وتُشَيِّد بناءً واحدًا من نفس اللبنات، وكلها عبارات تتصل بكلمة (الحُبُك)، وكُلَّمَا تَقَدَّمَت العُلوم في استقراء الكون؛ كان النَّصيب أوفر في تَفَهُّم ما ادخره القرآن من فيض مآثر البيان ودلائل الوحي!.

ويَعكس تلمس المُفسرين في عصورهم ما يُماثل خيوط النسيج في السماء لِتُوصف بأنها حُبُك؛ أي نسيج مَحْبُوك طَيَّات طرائق يُشبه مجرتنا في كثافة النجوم، فصدقوا النبأ قبل أن تكشف معناه الأيام؛ وقالوا: لا تُرَى لِبُعدها، قال الخازن: "(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ).. قيل ذات البنيان المتقن؛ وقيل ذات الطرائق.. ولكنها لا تُرَى لِبُعدها من الناس"[١٣١٠]، وقال القرطبي: "وَلَكِنَّهَا تَبْعُدُ مِنَ الْعِبَادِ فَلَا يَرَوْنَهَا"[١٣١١]، وقال طنطاوي: "أى وحق السماء ذات الطرق (أي مسارات الأجرام) المتعددة (الآفاق)، والتي لا ترونها بأعينكم لبعدها عنكم"[١٣١٢]، وقال العدوي: "لا تُرَى فيها خُطُوطًا"[١٣١٣]. وقال الشنقيطي: "قَالُوا: وَلِبُعْدِ السَّمَاءِ لَا تُرَى طَرَائِقُهَا الْمُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْحُبُكِ.. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: (ذَاتِ الْحُبُكِ) أَيْ ذَاتِ الْخَلْقِ الْحَسَنِ الْمُحْكَمِ..، وَهَذَا الْوَجْهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ ٦٧الملك:٣..، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ..: أَيْ ذَاتُ الشِّدَّةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ يَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ ٧٨النبأ:١٢..، وَالْآيَةُ تَشْمَلُ الْجَمِيعَ؛ فَكُلُّ الْأَقْوَالِ حَقٌّ"[١٣١٤].

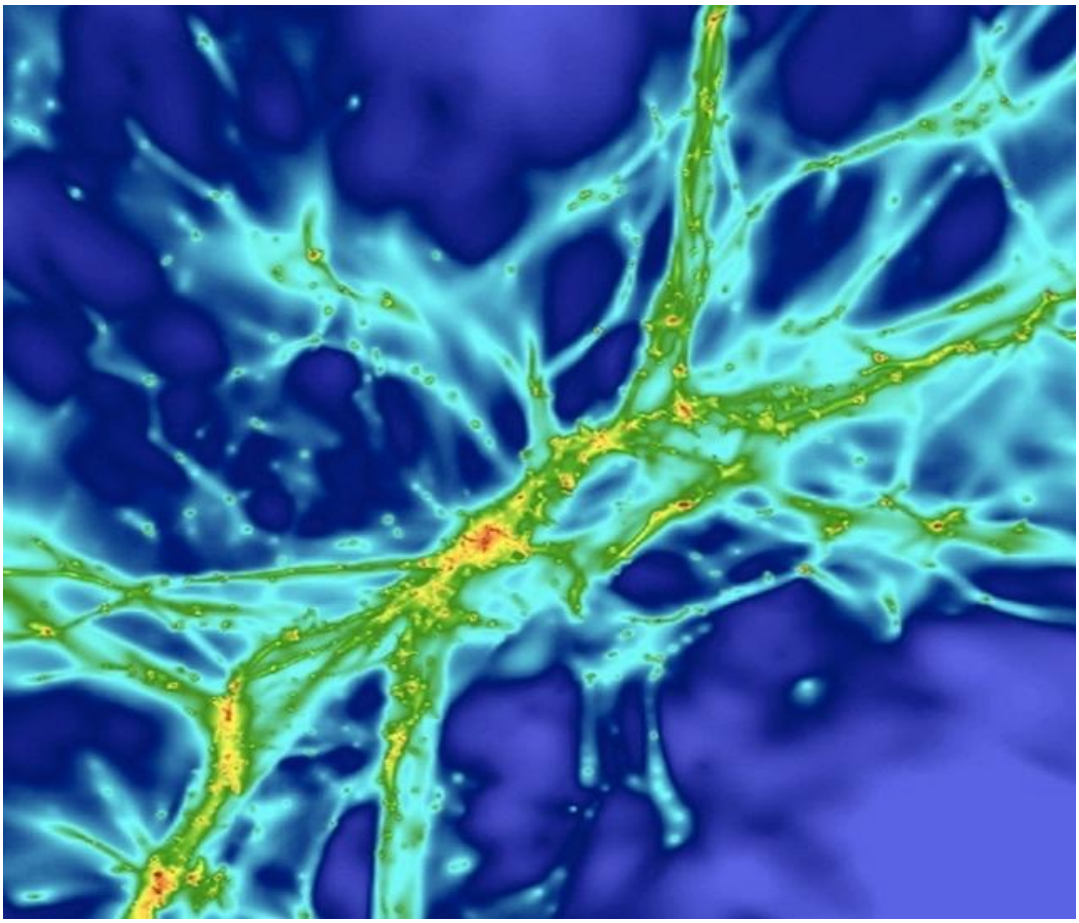

[١٣١٠] علاء الدين علي بن محمد الخازن؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١\ ١٩٢).

[١٣١١] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٧\ ٣٢).

[١٣١٢] محمد سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر بالفجالة القاهرة، الطبعة الأولى؛ ١٩٩٧ و١٩٩٨ (١٤\ ١٢).

[١٣١٣] أبو عبد الله مصطفى بن العدوى شلباية؛ سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، دروس صوتية مفرغة؛ ترقيم الشاملة؛ رقم الجزء هو رقم الدرس (١٨٢\ ٤).

[١٣١٤] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٧\ ٤٣٦).

وأمام مشهد محاكاة الكون على المستوى الكبير لم يجد الباحثون للتعبير عن طبيعة الفضاء سوى كلمة: Weave؛ بمعني النَّسِيج المُتقن المَحْبُوك المُتذبذب، وقالوا أن النسيج Fabric مُضَفَّر interlaced مُتَرَابِط ومَحْبُوك Woven، وأنه يُكَوِّن شبكة كونية Cosmic Web خيوطها Filaments مُهتزة Wobbled تُحَزِّم النُّجُوم عناقيد طباق في آفاق؛ نسيج كوني مَحْبُوك وخيوط وطُرق وجذب وشد وتذبذب واتزان؛ أوصاف كلها تتصل بالتعبير: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾، ويكفي التَّحَقُّق أن الكون على أكبر مستوى نسيج تُرَصِّعُهُ النجوم أتقن حبكه القدير؛ وتباين التوزيع جعلته طيات طرائق، فتشكيل الأجرام منظُوم مَحْبُوك وحركتها في طرقها منظُومة مَحْبُوكة والبِنْيَة نسيج مَحْبُوك؛ فالكون إذن حُبُك بكل تقدير!.

الحُبُكُ الكَوْنِيَّةُ بُرْهَانُ الوَحْدَانِيَّةِ

يُوحي التعبير بكلمة الجمع (الْحُبُكُ)؛ بتنوعات من المَلْبُوسَات المُتقنة الصُّنع الحَسَنَة الهيئة وأصل البنية واحد وهو القطن، فناسبه التنويه بالأصل الواحد للكون بإيراد لفظ (السَّمَاءِ) بالإفراد؛ حيث لم تكن بعد أرض ولا شمس ولا قمر، ولم تتشكل بعد طبقات عناقيد الأجرام من كواكب ونجوم ومجرات؛ ليستقيم التعبير عنها بلفظ الجمع (سَمَاوَات)، وكأن تعريف لفظ (الْحُبُكُ) كتعريف لفظ (السَّمَاءِ)؛ يدعوك لتعاين مظاهر الإتقان والاقتدار والجلال وما آل إليه التصميم المُبْدِع، وأما معنى وحدة المنشأ وولادة الكون بحالة أولية كالقطن لم يتشكل بعد ملبوسات؛ فقد ثبتت علميًّا ولم يعد مجرد حَدس.

فقد حقق العلم قفزات هائلة لمعرفة طبيعة الكون وتطوره؛ فانتهى إلى التوحيد في البنية والنظام، في عام ١٦٧٦ نجح أولاس رومر Olas Roemer من تقديم أول دليل على أن سرعة الضوء محدودة غير لحظية وإن كانت هائلة، وفي عام ١٦٨٧ توصل إسحاق نيوتن Isaac Newton إلى قوانين حركة الأجسام ومفهوم الجاذبية كقوة واحدة تفسر سقوط تفاحة تجذبها الأرض كما تفسر جذب القمر نحوها فتمنع قوة الطرد المركزي سقوطه لِتَزَايِد سرعته كلما اقترب، وكأن الجاذبية تدفعه للحركة كسقطات متوالية، وبالمثل يجب أن تكون كل الأجرام السماوية كذلك حيث يتبع التابع الجسم المركزي ذي الكتلة الأكبر على بعد يحدده قانون الجاذبية؛ وبهذا توحدت الأرض والسماء وتأسست الفيزياء الكلاسيكية.

وفي عام ١٩٠٠ توصل ماكس بلانك Max Planck إلى أن الموجات تصدر عن الذرة بهيئة كميات متساوية متقطعة أجزاء متعاقبة سميت كمات Quanta؛ وسمى أقل مقدار للكم من الطاقة يثابت بلانك Planck Constant، وسمى أقل مسافة للكم الضوئي أي الذي تقطعه وحدة الضوء الفوتون Photon بمسافة بلانك Planck Distance؛ ومقدارها بالتقريب: ١٠ قوة -٣٨ كم، والزمن الذي لا يوجد أقل منه ويستغرقه الفوتون لينتقل بسرعة الضوء مسافة تعادل مسافة بلانك يُسمى بزمن بلانك Planck Time؛ وقيمته بالتقريب: ١٠ قوة -٤٣ ثانية، وتوصل بلانك كذلك إلى أن الموجات الكهربائية ما هي إلا وجه للمغناطيسية؛ فوحدهما معا تحت مُسمى الموجات الكهرومغناطيسية.

وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein مفاهيم النسبية الخاصة نافيًا وجود سكون في الكون لتنسب إليه حركة جسم فالكل يتحرك؛ لذا تُنسب حركة الجسم لآخر متحرك، إذن حركة كل الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المُطلقة Absolute فسُميت الثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، لأنها ثابتة مهما تحرك أي مراقب أو سكن، وهي سرعة الطيف الكهرومغناطيسي ويجب أن تكون سرعة أمواج الجاذبية كذلك، وكلما تزايدت سرعة جسم ذو كتلة لتقترب من سرعة الضوء تزايدت الكتلة وتضاءل طوله وقل الزمن، ومع بلوغ سرعته قيمة سرعة الضوء تُصبح الكتلة لا نهائية ويتلاشى الطول ويتوقف الزمن؛ لذا لا يبلغها سوى جسيم بلا كتلة، والموجة تنتقل عبر الفضاء بسرعة غير لحظية لا تتجاوز سرعة الضوء؛ وإذا اختفت الشمس كافتراض فجأة فلن نشعر في الأرض بالأثر لحظيًّا وإنما بعد دقائق بسبب سرعة الانتقال المحدودة، والعلاقة بين الكتلة وحركة جسيم بسرعة الضوء (c) ليتلاشى ويتحول إلى طاقة حرة لعلها قد استوحت فكرة أن الكتلة Mass (M) ما هي إلا طاقة Energy (E) مُكَدَّسَة مُجَسَّدَة، فأمكن التوصل إلى أنه يُمكن تحويل كتلة جسم M إلى طاقة E والعكس وفق علاقة ثابتة ($E = Mc^2$).

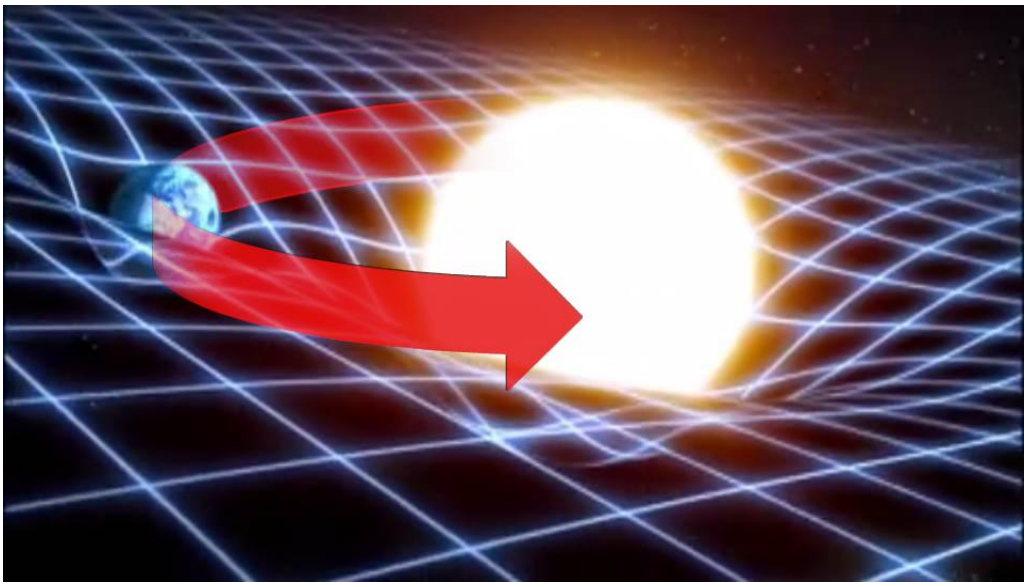

وفي عام ١٩١٥ نشر ألبرت أينشتاين نظرية النسبية العامة General Relativity؛ وطرح فيها فكرته الجريئة بإضافة الزمان كبعد رابع إلى أبعاد المكان (الطول والعرض والارتفاع)؛ لجعل طبيعة الفضاء نسيج زمكاني أشبه بشبكة الصيادين، فالمكان والزمان مرتبطان وكليهما نسبيان فضمهما أينشتاين معا بمصطلح الزمكان Space-Time تعبيرًا عن الفضاء؛ ويُحْدِث فيه كل جرم تقعرًا حسب ثقله، فالتقعر الذي تُحدثه الشمس في النسيج الكوني المَرِن أكبر من التقعر الذي تحدثه الأرض؛ فيؤدي لدورانها حول الشمس في أطراف التقعر الكبير الذي أحدثته على النسيج، فالنسيج الكوني المُنحني يفرض على الأرض بسبب الشمس أن تسير وفق ذلك الميلان فتبدو أنها مشدودة للشمس بقوة الجاذبية، والأرض إذن لا تدور حول الشمس لأنها تطلق قوة لتمسك بها؛ بل لأنها تسير في منحنيات النسيج الكوني، والفضاء المنحني Curved Space يُجْبِر مَسَار ضوء نجم يمر بجوار كتلة كبيرة كالشمس أن ينحني؛ وتحققت النبوءة برصد تقارب البُعد بين نجمين عند الكسوف لانحناء الضوء نحو الشمس، هذه المفاهيم هي أساس الفيزياء الحديثة.

وفي عام ١٩١٦ قدم كارل شوارتزشيلد Karl Schwarzschild فكرة الثقوب السوداء Black Holes استنادًا على مفهوم نسيج الفضاء الكوني الذي ينحني تحت تأثير الكتلة، فاقترح أن كتلة كبيرة ككتلة نجم ضخم إذا تكاثفت في مكان صغير فإنها ستحني النسيج الكوني لدرجة لا تسمح لشيء بالهروب من جذبه ولا حتى الضوء، وبقي الاعتقاد أنها مجرد نظرية؛ إلى أن تم رصد مادة متوهجة كأنها تُبتلع حول مناطق غير مرئية كمركز مجرتنا، فكسبت فكرة الكون المنحني مزيدًا من التأييد؛ وأعطت إيحاءً باحتمال أن الكون كان بالمثل في حيز ضئيل وتمدد.

وفي عام ١٩٢٢ اقترح ألكسندر فريدمان Alexander Friedmann فرضية تمدد الكون استنادًا لطبيعة النسيج الكوني وفق مفهوم النسبية العامة، وفي عام ١٩٢٧ أعطى جورج لومتر Georges Lemaître فرضية امتداد الكون من نقطة أولية كثيفة اسم: "افتراض الذرة الأولية"، وفي نفس العام أطلق عليها فريد هويل Fred Hoyle ساخراً في برنامج إذاعي في محطة B.B.C. الاسم الذي شاع لاحقًا: الانفجار الكبير Big Bang؛ لأنه كان يرفض أن للكون بداية، وقدم عام ١٩٤٩ مع توماس غولد وهيرمانبوندي نظرية الكون الأبدي أو الحالة الدائمة Steady State theory.

وفي عام ١٩٢٩ اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble أن المجرات البعيدة في طيف الضوء القادم منها منزاحة نحو الجانب الأحمر مما يعني أنها في ابتعاد تتناسب سرعته مع البعد وفق ثابت سمي بثابت هابل؛ كحالة صفير قطار تتضاغط الموجات بقدومه فيصبح حادًا وتتخلخل مع ابتعاده وتسمى ظاهرة دوبلر Doppler phenomenon، فاستُنتج أن الكون قبل تمدده كان في الماضي منحصرًا في نقطة ضئيلة كثيفة يعكس شدة حرارتها إشعاع مميز؛ رصده

أرنو بنزياس وروبرت ويلسون عام ١٩٦٤ من كل جهة فسمي الخلفية الإشعاعية Background Radiation، وتأكد أن للكون بداية وعمر محدود، وصحة التوسع والانتفاخ Inflation كالبالون؛ وإن شاع باسم الانفجار الكبير.

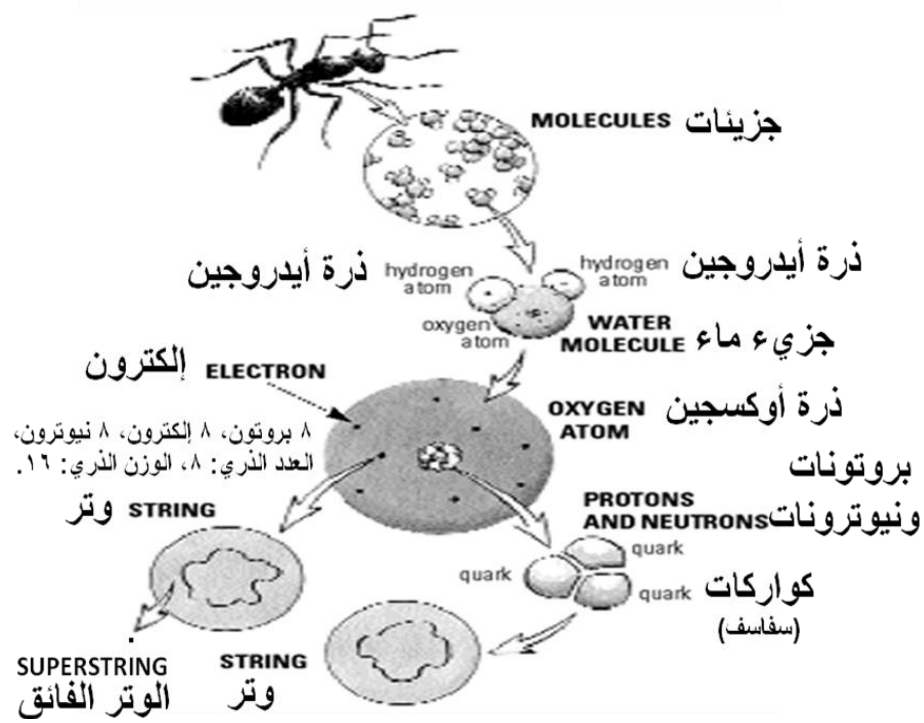

وفي عام ١٩٦١ اقترح موري غيل وكازوهيكو نيشيجيما أن النيوترونات والبروتونات الجسيمان الرئيسيان في نواة الذرة ليسا أقل شيء لا ينقسم؛ وإنما مصنوعان من لبنات سميت كواركات Quarks؛ أي سفاسف وهشاشات، وإذا ذهبنا بالمثل في أعماق الكوارك باتجاه الضآلة سنجد ما هو أقل منه، أي نتفه أو ندفة واحدة مهتزة من الطاقة بمقاييس بلانك في ضآلة الطاقة وزمن الاهتزاز والطول؛ أشبه بخيط أو بالأحرى وتر موسيقي متناهي الضآلة يهتز، وهكذا ظهرت الفكرة بأن بنية كل شيء أوتار تهتز؛ وأن منها ما يتشكل حلقات مُترابطة كنسيج القمصان المعدنية، وعلى هذا فدلالة كلمة الحبك على النسيج في وصف الكون لا تختص بالمستوى الكبير فحسب وإنما بنية جميع الذرات.

وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي طَوَّرَ جون شوارتز ومايكل غرين نظرية الأوتار Strings Theory، وفي خطوة أخرى نحو التوحيد Unification؛ قام إدوارد ويتن Edward witten في أواسط الثمانينات بتعديلها وأطلق عليها اسم نظرية الأوتار الفائقة M-Theory، وهي تجمع بين مجال ميكانيكا الكم في مجال الذرة والنسبية في المجال الكبير؛ وتُوَحِّد بين القُوَى والمواد وتصف المادة على أنها حالات اهتزاز متباينة لوتر أساسي واحد؛ كما يُعطي وتر الكمان أنغام متباينة باختلاف طوله، أي أن كل ما في هذا الكون من مادة أو طاقة أو شحنات هو في الواقع أوتار لكنها مهتزة بطرق مختلفة؛ وكأن الكون عبارة عن أنشودة مُتقنة مُوحدة الإيقاع وباختلاف اهتزاز الأوتار ينشأ تنويع لا يُعرف حَدُّه من بديع الكلمات، فتهافت الفيزيائيون عليها وسُميت نظرية كل شيء Theory of Everything، وكل تلك التسميات محاولات ضمن النموذج القياسي Standard Model المُستقر منذ عام ١٩٧٠ لفهم طبيعة الكون؛ والقائم على أن للكون بداية محددة في ظروف حرارة شديدة بردت مع التوسع فنشأت تنويعات الذرات وطبقات الأجرام.

ووفق النموذج القياسي تتكون المادة من كواركات هي لبنات البروتونات والنيترونات؛ في حين أن عائلة الليبتونات تضم مع الإلكترونات ما يُعرف باسم الإلكترون نيوترينو Electron Neutrino، وهو جسيم أولي لا يملك شحنة وكان قد افترض وجوده فولفغانغ باولي عام ١٩٣٠؛ واكتشفه فريق بقيادة فريدرك راينس وكلايد كوان عام ١٩٥٦، أما القوى الأربعة فهي الجاذبية Gravity والكهرومغناطيسية Electro-Magnetism والقوة النووية القوية Strong

Force التي تقوم بضم مكونات نواة الذرة ومنعها من التبعثر بمعادلة أثر تنافر البروتونات الموجبة الشحنة، والقوة النووية الضعيفة Weak Force التي تقوم بكبح جماح أنوية الذرات الثقيلة المُشعة من الانشطار الذاتي فجأة.

وفي عام ٢٠٠١ تمّ إرسال مسبار ويلكنسون Wilkinson Probe إلى الفضاء الخارجي لاستكشاف التباين Anisotropy في درجة حرارة إشعاع الخلفية الكوني عقب توزيع المادة المُوحد في اللحظات الأولى لنشأة الكون، وأدى اكتشاف تسارع الأشعة الخلفية بخلاف المتوقع من أن تقوم الجاذبية بكبح تمدد الكون إلى الاستنتاج بوجود مادة باردة خفية Cold Dark Matter تُصاحبها طاقة خفية Dark Energy كان لها السيطرة على الجاذبية، وقدرت المادة الخفية بحوالي ٢٣% من مادة الكون والطاقة الخفية بحوالي ٧٣%؛ بينما كل ما نراه حوالي ٤%، وبناء على الاكتشاف أعطيت جائزة نوبل لثلاثة باحثين في أكتوبر عام ٢٠١١، وبناء على دراسة فروق ضئيلة في تباين درجة حرارة إشعاع الخلفية الكوني استنتج كارليس بينيت Charles Bennett عام ٢٠١١ أن عمر الكون حوالي: ١٣,٧٥ بليون سنة، وفي نفس العام رصد روجر كيريل Roger Cayrel عنصر مُشع في أقدم النجوم، وبمعرفة معدل تحلله استنتج أن عمر الكون على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة؛ باعتبار أنه لن يقل عن عمر أقدم ما فيه، ووفق قانون هابل: عمر الكون = {سرعة الضوء × مليون}\ ثابت هابل، وباعتبار ثابت هابل بين ٣٠ و٢٠ كم\ثانية؛ يكون عمر الكون في حدود ١٠ إلى ١٥ بليون سنة، ويتفق المتوسط مع أن عمر الكون على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة.

ويُعتقد أن الكواركات والليبتونات اكتسبت كتلتها عند نشأة الكون مع الحرارة الهائلة بالتفاعل مع مجال نقل إليها القوة بتفتت جسيم غير مستقر سريع التلاشي افترض وجوده بيتر هيجز Peter Higgs عام ١٩٦٤، وفي عام ١٩٩٣ سماه ليون ليدَرْمان بلا منطق: الجسيم الإله god particle؛ كاشفًا بقايا وثنية paganism لا تجد إلا العناد والمكابرة ذريعة، ويُمكن إثبات وجود مجال هيجز عمليًا بمحاكاة الظروف الأولية لإعادة جسيم أو بوزون هيجز Higgs Boson باستعمال المُعَجِّل الذري Cyclotron، وتتوفر تلك الوسيلة حاليًا في مخبر فيرمي Fermi-lab قرب شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية؛ ومخبر سيرن Cern اختصارًا للمنظمة الأوروبية للأبحاث النووية، وهو الأضخم ويقع تحت جبال الألب قرب جنيف بسويسرا، ويقوم بتسريع بروتونات ذرات الأيدروجين لسرعات تُقارب سرعة الضوء لخلخلة ثباتها وتسييرها باتجاهين مُتعاكسين لتصطدم وتنشطر لمكونات أقل، وفي ٤ يوليو عام ٢٠١٢ أعلن مخبر سيرن رصد جسيم هيجز بنسبة قاربت اليقين، فكان تأكيدًا على أن الكون عارض ذو بداية وعمر محدود ونصرًا تَوَّجَ مسيرة التوحيد، وهذا تعزيز إضافي لليقين بوحدانية القدير؛ التي ينطق بها كل شيء في هذا الوجود ويلهج مُسَبِّحًا ليوقظ كل فطين.

وهكذا انتهت ملحمة الفيزياء إلى توحيد كل شيء في البنية والنظام من أصغر لبنة في الذرة إلى اللبنات العظام التي شيدت الكون؛ من المجموعة الشمسية إلى آخر أفق الكوازارات، فما نُسميه فضاء هو مجالات مادية طرائق صنعتها حولها كتل الأجرام الكونية، والفضاء إذن ليس فراغًا، وبنية الكون معارج تتموج وتتقوس وتنحني، وحتى

الجسيمات دون الذرة تسبح كذلك في فضاء مادي كالسمكة تسبح في الماء، وكأن الكون كله خشبة مسرح تَعْرِض للفطين ملحمة الخلق المَحْبُوك بإتقان ونظام مقصود بلا عشوائية ولا مجال لمصادفة؛ لعله يدرك المغزى.

ولكن هويل نسب الحكمة والذكاء للنسيج وتجاهل من حاكه في كتابه: الكون الذكي The Intelligent Universe، وتبعه هاوكنج في كتابه: التصميم العظيم The Grand Design بقوله: لا دليل؛ وكأن الكون المهيب والتصميم الرائع ليس بدليل؛ وما هو إلا انتحار في مواجهة التيار الجارف للعلم نحو التوحيد؛ وبداية تجعل الكون عارض وعمره محدود، وخالف هويل نفسه في مقالة عام ١٩٨١ بقوله: "أن احتمال ظهور أشكال الحياة صدفة يُقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة؛ بتجميع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، وبالمثل خالف هاوكنج نفسه في كتابه: تاريخ موجز للزمن Brief History of Time؛ بقوله: "طالما أن للكون ابتداء؛ فحتمًا له خالق"[١٣١٥]، ووفق الموسوعة البريطانية فإن اختيار كل الأحماض الأمينية Amino Acids التي هي أساس تكوين البروتينات؛ لتكون عسراء الاتجاه صدفة بلا تدخل مقصود لإرادة مُوَجِّهَة؛ أشبه بقذف عملة معدنية في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على نفس الوجه!، ونشأة خلية حية واحدة إذن من ذاتها يُعد احتمالا مُستحيلا؛ مثل احتمال قيام قرد بكتابة تاريخ البشرية كله على آلة كاتبة بلا أخطاء.

ومن البديهي أن النظام Order لا تَصْنَعُهُ فوضى Chaos والصدفة لا تُفَسِّرُه؛ وإنما هو شاهد عدل على الخلق مهما كانت الكيفية، ولو كانت التغيرات غير مقصودة؛ فَلِمَ كانت دائمًا في اتجاه الأصلح لتبني الكون المنظوم المحبوك؛ والتنويع مع وحدة البنية يُعارض الإلحاد Atheism، وليس إلا مشيئة الخالق وسبق تقديره وحسن تدبيره بِعِلْم واقتدار، والفلسفة المادية الناكرة لمبدأ الخلق قد دحضتها كل ميادين العلم؛ وإلا انعدم ثبات القوانين، ومن يظل مُعتقدا بها عليه ألا يحسب نفسه من المُحققين، وقد رأي أينشتاين في صنع الله تعالى: النظام والقصد والحكمة والتناسق والبساطة والأناقة والجمال؛ وهي رؤى ثاقبة للكون المنظوم المتقن المحبوك، ولو كان وليد الصدفة ما كان نظام وآليات وقوانين على كافة المستويات، قال نيوتن: "إن هذا التكوين البديع في النظام الكوني يجب أن يُفهم منه القصد في التنظيم"، وقال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان".

وخلاصة ما يُمكن فهمه في معنى التعبير الجامع: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾؛ أن الكون ليس فوضى وإنما تنظيمه مقصود، وأن السماء نسيج واحد شديد التماسك كالبناء المترابط اللبنات بلا شروخ، والأصل مادة أساسية واحدة وجدت بأمر واحد (كن) تمثيلاً لنفاذ الإرادة؛ وتنوعت إلى بروج أي عناقيد بينها قوى ترابط كالملاط، وكل مستوى من البروج حبائك حيث تتجمع حزم النجوم والمجرات بنظام محبوك، وتضاعف الحزم مع البعد ناسبه جمع كلمة ﴿الْحُبُكِ﴾؛ لكن النسيج الكوني واحد، وكل متبوع هو تابع لما هو أكبر منه في تسلسل هرمي طبقات؛ ويتحرك الكل ذاتيا في مسارات منحية ومتعرجة أو طيات طرائق لا دوائر نتخيلها للتبسيط، فالقمر يحيط بالأرض وينتقل معها في مدارها حول الشمس، والشمس تجري حول مركز المجرة؛ وهكذا إلى ما هو أكبر من العناقيد المجرية العظمى، والتوصل إلى أن التجمعات المجرية العملاقة ترصع نسيج شبكة مادة خفية؛ أعطى بعدًا أعمق للوصف المُذْهِل للسماء بكلمة واحدة أوجزت طبيعة الكون، ولا شك أنها فاجأت بلغاء العرب؛ ناهيك عما ادخرته من ذخائر حتى كشفته الأيام مفخرةً للعلم وآيةً على الوحي.

[١٣١٥] Stephen Hawking, Brief History of Time, page 122.

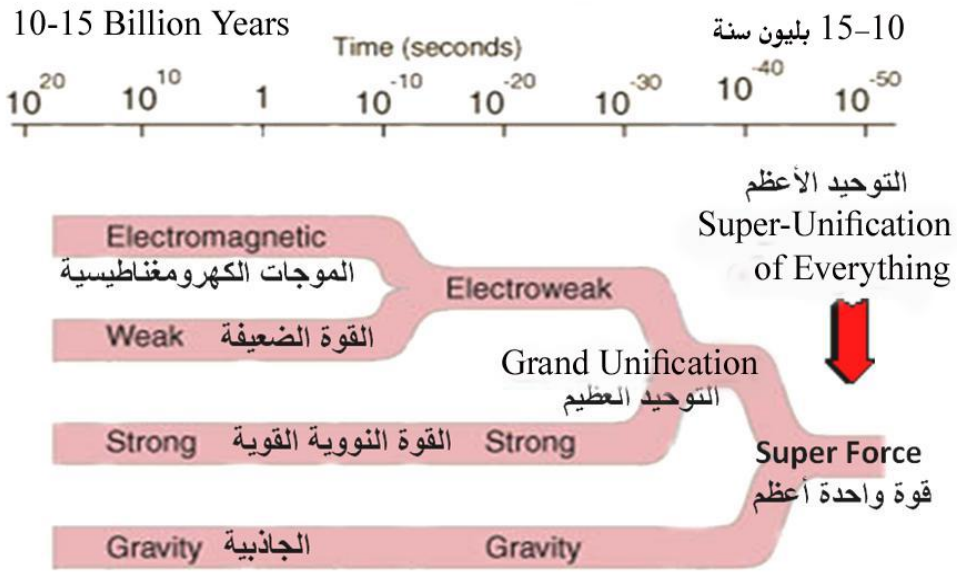

وكلمة (السَّمَاءِ) هنا بالإفراد تعنى الكون كله باعتبار توحيد الابتداء كفضاء لم تميزه بعد عناقيد الأجرام سماوات؛ مادة خام واحدة صنع منها القدير كل شيء، وتوحدت فيها جميع القوى والمواد فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: Super-Unification of Everything؛ وتسمى القوة الأعظم Super Force، كان لإفراد لفظ (السَّمَاءِ) إذن في دلالتها على الكون إشارة ضمنية على توحيد كل شيء في الأصل، قال طنطاوي جوهري في تفسيره: "(يعني) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة، وتتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد، وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود؛ فهو صادر عن مادة أصلية واحدة"[١٣١٦]، فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس.. ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي..، (وقد) خلق الله العالم من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"[١٣١٧]، "إذن الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً..؛ طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً، ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلى لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس"[١٣١٨]، "فما هذا العالم كله إلا حركات"[١٣١٩]، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس"[١٣٢٠]، نشأ الإنسان إذن على رأس كل مخلوق وأصل بنيته حقيقةً هو قوة أولية عاجلة الحركة: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

[١٣١٦] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢\ ١٨٠).
[١٣١٧] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤٦\١).
[١٣١٨] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٩٣\٢٤).
[١٣١٩] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٣٢\ ١٢٠).
[١٣٢٠] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٨٨\١٥).

واستنطق إذن أي شيء في الوجود ليخبرك بِحَبْكَة في كل ظاهرة وعلى كل المستويات من الجسيمات إلى العناقيد العملاقة للمجرات، حَبْكَةٌ في تشكيل القوى أنواع متدرجة؛ يتنوع التردد فيتنوع طول الموجة وتبقى السرعة واحدة، وحَبْكَةٌ في تنويع الجسيمات دون الذرية لتشيد هيكل ذرة، وحبكة في تشكيلات الذرة أنواع متدرجة ودقائق البنية واحدة، وحَبْكَةٌ في طبيعة الذرة لتكتنز الطاقة؛ وإذا انتقل إلكترون لأفق أعلى انطلقت نتفه أو ندفة ضوء بنفس السرعة الواحدة، وحَبْكَةٌ في التصميم وآلية كل ظاهرة في كون بالغ الاتساع؛ والأصل قوة واحدة عاجلة الحركة بنفس السرعة الواحدة، وحَبْكَةٌ في بناء الكون طبقات تُميزها لبنات أجرام مُتدرجة الأحجام مُوزعة بانتظام وشديدة الترابط كأنه عمارة واحدة، وحَبْكَةٌ في حركة كل جرم بإحكام؛ إذا اقترب تابع من المتبوع زادت سرعته فابتعد، كأن ميزان يَقِيس الكُتَل ويَزِن بإتقان، وحَبْكَةٌ في نسج الفضاء أربطة في كل اتجاه كالخيوط ؛ لتجعل الكون شبكة صفيقة ثلاثية الأبعاد واحدة، وكأنه نسيج مُزَخْرَف أَتْقَنَ صُنعه حَائِك مَاهِر، والأُحْجِيَة إذن التي لا يَحَارُ فيها كل ذي نَظَر: هل هي حِنْكَة الثوب أم حِكْمَة الحَائِك؟.

فالكون إذن ليس محبوكًا من وجه فقط؛ وإنما هو مَحْبُوك في كل ظاهرة، وصدق القائل: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾، وكأن التعريف في تلك الكلمة الفَرِيدَةٌ الجَامِعَةٌ: ﴿الْحُبُكِ﴾؛ يَدْعُو كُلَّ فَطِين مُحَذِّرًا: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ١٨٥الأعراف:.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ}.. المشهور أنها السماء المرفوعة..، وفي {الْحُبُكِ} سبعة أقاويل؛ أحدها: أن الحَبْك الاستواء؛ وهو مروي عن ابن عباس..، الثاني: أنها الشدة؛ وهو قول أبي صالح، الثالث: الصفاقة؛ قاله خصيف، الرابع: أنها الطرق، مأخوذ من حبك الحمام طرائق على جناحه؛ قاله الأخفش وأبو عبيدة، الخامس: أنه الحسن والزينة؛ قاله علي وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير..، السادس: أنه مثل حبك الماء إذا ضربته الريح؛ قاله الضحاك..، السابع: لأنها حبكت بالنجوم؛ قاله الحسن، وهذا قسم ثان: {إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: يعني في أمر مختلف، فمطيع وعاص ومؤمن وكافر؛ قاله السدي، الثاني: أنه القرآن فمصدق له ومكذب به؛ قاله قتادة، الثالث: أنهم أهل الشرك مختلف عليهم بالباطل؛ قاله ابن جريج، ويحتمل رابعاً: أنهم عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره، وهذا جواب القسم الثاني: {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}"[١٣٢١].

وقال الشوكاني: "(وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ).. الْمُرَادُ بِالسَّمَاءِ هُنَا هِيَ الْمَعْرُوفَةُ..، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: كُلُّ شَيْءٍ أَحْكَمْتَهُ وَأَحْسَنْتَ عَمَلَهُ فقد حبكته واحتبكته، وقال الحسن وسعيد ابن جُبَيْرٍ: ذَاتُ الزِّينَةِ، وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: ذَاتُ النُّجُومِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ذَاتُ الطَّرَائِقِ؛ وَبِهِ قَالَ الْفَرَّاءُ، يُقَالُ لِمَا تَرَاهُ مِنَ الْمَاءِ وَالرَّمْلِ إِذَا أَصَابَتْهُ الرِّيحُ: حُبُكٌ، قال الفراء: الحبك تكسّر كُلُّ شَيْءٍ كَالرَّمْلِ إِذَا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ..، وَالْمَاءُ إِذَا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ..، وَقِيلَ: الْحَبْكُ الشِّدَّةُ، وَالْمَعْنَى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الشِّدَّةِ، وَالْمَحْبُوكُ: الشَّدِيدُ الْخَلْقِ..، (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ. أَيْ: إِنَّكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ مُتَنَاقِضٍ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بَعْضُكُمْ يَقُولُ: إِنَّهُ شَاعِرٌ. وَبَعْضُكُمْ يَقُولُ: إِنَّهُ سَاحِرٌ، وَبَعْضُكُمْ يَقُولُ: إِنَّهُ مَجْنُونٌ..، وَاسْتِعْمَالُ الْحُبُكِ فِي الطَّرَائِقِ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ اللُّغَةِ، وَإِنْ كَانَ الْأَكْثَرُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى خِلَافِهِ، عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَرْجِعَ تِلْكَ الْأَقْوَالُ فِي تَفْسِيرِ الْحُبُكِ إِلَى هَذَا وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَالَ: إِنَّ مَا فِي السَّمَاءِ مِنَ الطَّرَائِقِ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِمَزِيدِ حُسْنِهَا واستواء خلقها وَحُصُولِ الزِّينَةِ فِيهَا وَمَزِيدِ الْقُوَّةِ لَهَا"[١٣٢٢].

وقال القرطبي: "وَفِي (الْحُبُكِ) أَقْوَالٌ سَبْعَةٌ: (الْأَوَّلُ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالرَّبِيعُ: ذَاتُ الْخَلْقِ الْحَسَنِ الْمُسْتَوِي، وَقَالَهُ عِكْرِمَةُ؛ قَالَ: أَلَمْ تَرَ إِلَى النَّسَّاجِ إِذَا نَسَجَ الثَّوْبَ فَأَجَادَ نَسْجَهُ، يُقَالُ مِنْهُ حَبَكَ الثَّوْبَ يَحْبِكُهُ بِالْكَسْرِ حَبْكًا أَيْ أَجَادَ نَسْجَهُ، قَالَ ابْنُ الأعرابي: كل شي أَحْكَمْتَهُ وَأَحْسَنْتَ عَمَلَهُ فَقَدِ احْتَبَكْتَهُ، و(الثَّانِي) ذَاتُ الزِّينَةِ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا: ذَاتُ النُّجُومِ وَهُوَ (الثَّالِثُ)، (الرَّابِعُ) قَالَ الضَّحَّاكُ: ذَاتُ الطَّرَائِقِ (بين الطيات المتعرجة)، يُقَالُ لِمَا تَرَاهُ فِي الْمَاءِ وَالرَّمْلِ (من تموجات) إِذَا أَصَابَتْهُ الرِّيحُ حُبُكٌ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْفَرَّاءِ؛ قَالَ: الْحُبُكُ تَكَسُّرُ كُلِّ شي كَالرَّمْلِ إِذَا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ..؛ وَالْمَاءِ القائم (الساكن) إِذَا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ، وَدِرْعُ الْحَدِيدِ لَهَا حُبُكٌ (وهو قميص مترابط الحلقات لتفادي ضربات السيف في لحرب)، وَالشَّعْرَةُ الْجَعْدَةُ تَكَسُّرُهَا (انحناءاتها) حُبُكٌ، وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ: أَنَّ شَعْرَهُ حُبُكٌ..، (الْخَامِسُ) ذَاتُ الشِّدَّةِ؛ قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ وَقَرَأَ (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً)، وَالْمَحْبُوكُ الشَّدِيدُ الْخَلْقِ..، وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَحْتَبِكُ تَحْتَ الدِّرْعِ فِي الصَّلَاةِ؛ أَيْ تَشُدُّ الْإِزَارَ وَتُحْكِمُهُ، (السَّادِسُ) ذَاتُ الصَّفَاقَةِ (الشدة)، قَالَهُ خُصَيْفٌ، وَمِنْهُ ثَوْبٌ صَفِيقٌ وَوَجْهٌ صَفِيقٌ بَيِّنُ الصَّفَاقَةِ. السَّابِعُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالطُّرُقِ (أمثال) الْمَجَرَّةُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ..، و(الْحُبُكِ) جَمْعُ حِبَاكٍ..، وَالْحِبَاكُ وَالْحَبِيكَةُ الطَّرِيقَةُ فِي الرَّمْلِ وَنَحْوِهِ، وَجَمْعُ الْحِبَاكِ حُبُكٌ وَجَمْعُ الْحَبِيكَةِ حَبَائِكُ..، قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ الَّذِي هُوَ (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) أَيْ إنكم يا أهل مكة (لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) فِي مُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ فَمِنْ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ"[١٣٢٣].

[١٣٢١] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٥ ٣٦٠).

[١٣٢٢] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١٥ ٩٩).

[١٣٢٣] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١٧ ٣١).

وقال ابن كثير: "{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذَاتُ الْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ وَالْحُسْنِ وَالِاسْتِوَاءِ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو مَالِكٍ وَأَبُو صَالِحٍ وَالسُّدِّيُّ وقَتَادَةُ وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَغَيْرُهُمْ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ والمِنْهَال بْنُ عَمْرٍو وَغَيْرُهُمَا: مِثْلُ تَجَعُّدِ الْمَاءِ وَالرَّمْلِ وَالزَّرْعِ إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ فَيَنْسِجُ بَعْضُهُ بَعْضًا طَرَائِقَ طَرَائِقَ؛ فَذَلِكَ الْحُبُكُ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّة حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمُ الْكَذَّابَ الْمُضِلَّ وَإِنَّ رَأْسَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُبُك حُبُك) يَعْنِي بِالْحُبُكِ الْجُعُودَةَ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ: {ذَاتِ الْحُبُكِ}: الشدة، وقال خصيف: {ذَاتِ الْحُبُكِ} ذات الصفافة (الشدة)، وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ: {ذَاتِ الْحُبُكِ}: حُبِكَتْ بِالنُّجُومِ.، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْحُسْنُ وَالْبَهَاءُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَإِنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا مُرْتَفِعَةٌ شَفَّافَةٌ صَفِيقَةٌ شَدِيدَةُ الْبِنَاءِ مُتَّسِعَةُ الْأَرْجَاءِ أَنِيقَةُ الْبَهَاءِ مُكَلَّلَةٌ بِالنُّجُومِ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ مُوَشَّحَةٌ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ الزَّاهِرَاتِ"[١٣٢٤].

وقال الرازي: "(وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ) قِيلَ الطَّرَائِقُ، وَعَلَى هَذَا فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ طَرَائِقَ الْكَوَاكِبِ وَمَمَرَّاتِهَا.، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَا فِي السَّمَاءِ مِنَ الْأَشْكَالِ بِسَبَبِ النُّجُومِ.. كَالطَّرَائِقِ.، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ) الْبُرُوجِ:١، وَقِيلَ حُبُكُهَا صِفَاقُهَا؛ يُقَالُ فِي الثَّوْبِ الصَّفِيقِ حَسَنُ الْحُبُكِ.. لِشِدَّتِهَا وَقُوَّتِهَا"[١٣٢٥].

وقال ابن عاشور: "﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ. إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ ٥١الذاريات:٧و٨: هَذَا قَسَمٌ أَيْضًا.، فَالْقَسَمُ لِتَأْكِيدِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ.، فَهُمْ مُنْكِرُونَ؛ لِمَا فِي أَقْوَالِهِمْ مِن اخْتِلَافٍ وَاضْطِرَابٍ جَاهِلُونَ.. (بالعلم) الصَّحِيحِ، وَالْقَوْلُ فِي الْقَسَمِ بِالسَّمَاءِ كَالْقَوْلِ فِي الْقَسَمِ بِالذَّارِيَاتِ.، وَالْحُبُكُ: بِضَمَّتَيْنِ جَمْعُ حِبَاكٍ.. أَوْ جَمْعُ حَبِيكَةٍ مِثْلُ طَرِيقَةٍ وَطُرُقٍ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحَبْكِ بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ؛ وَهُوَ إِجَادَةُ النَّسْجِ وَإِتْقَانُ الصُّنْعِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِحُبُكِ السَّمَاءِ نُجُومُهَا لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الطَّرَائِقَ الْمُوَشَّاةَ فِي الثَّوْبِ الْمَحْبُوكِ الْمُتْقَنِ؛ وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَقِيلَ الْحُبُكُ: طَرَائِقُ الْمَجَرَّةِ.، وَفُسِّرَ الْحُبُكُ بِإِتْقَانِ الْخَلْقِ؛ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ وَقَتَادَةَ.، وَالْقَوْلُ الْمُخْتَلَفُ: الْمُتَنَاقِضُ الَّذِي يُخَالِفُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَيَقْتَضِي بَعْضُهُ إِبْطَالَ بَعْضٍ.، هُوَ جَمِيعُ أَقْوَالِهِمْ.. فَإِنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ مُضْطَرِبَةٌ مُتَنَاقِضَةٌ.، وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ)؛ الْكِنَايَةُ عَنْ لَازِمِ الِاخْتِلَافِ، وَهُوَ التَّرَدُّدُ فِي الِاعْتِقَادِ"[١٣٢٦].

[١٣٢٤] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٧\ ٤١٤).

[١٣٢٥] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٨\ ١٦٢).

[١٣٢٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٦\ ٣٤٠).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Cosmic Weaves

النسيج الكوني

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٧؛
- ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ٥٥الرحمن:٧.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٧.
- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ٥٦الواقعة:٧٥و٧٦.
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٥و١٦.
- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ ٧٨النبأ:١٢و١٣.
- ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ٥٠ق:٦.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ١٣الرعد:٢.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ٣١لقمان:١٠.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ٥٤القمر:٤٩.
- ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٥٠.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ١٦النحل:٧٧.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ ٧٠المعارج:١-٧.
- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ٥١الذاريات:٧.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٣.
- ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٨-٤٠.

- ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ ١٥الحجر:١٦.
- ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦.
- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٦١.
- ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٣١لقمان:١١.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾
٥٢الطور:٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ ٥٢الطور:١-٨.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿ وَالْبَحْرِ ﴾، ﴿الْمَسْجُورِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And by the flamed sea (bottom)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

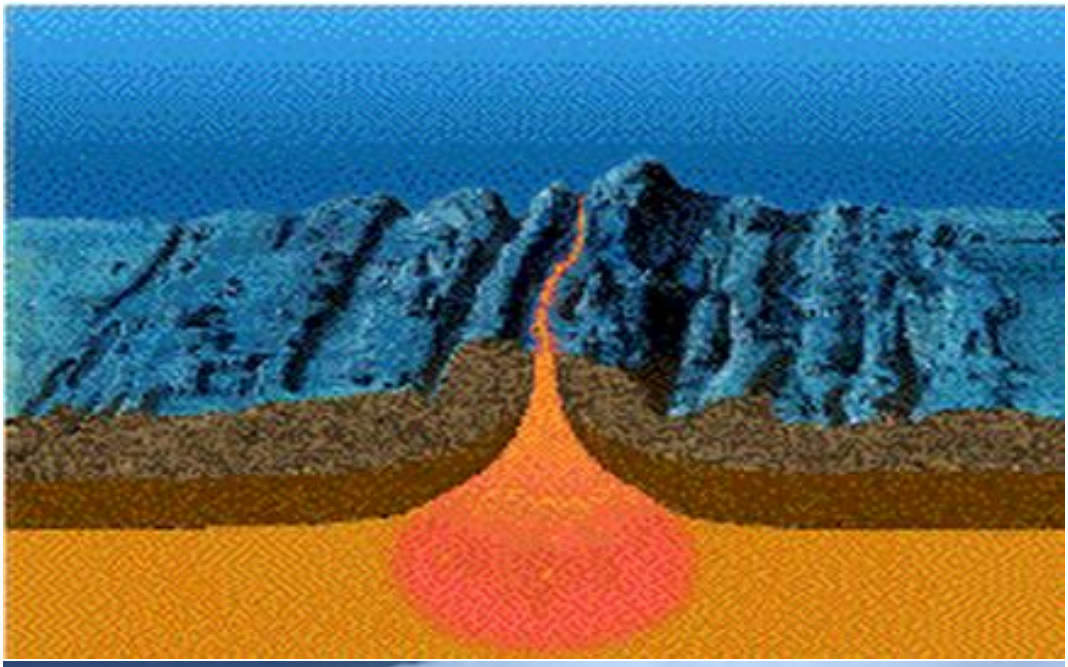

قد تبلغ حمم القاع سطح المحيط في بعض المناطق.

اكتشف علماء الجيولوجيا أن قيعان جميع المحيطات متوقدة نارا في مناطق الوديان العميقة في منتصف المحيطات Mid-Ocean Rifts، ويوجد الشق الأعظم منتصف المحيط الأطلسي، وتبين أنها مناطق اللقاء بين الألواح القارية، وتحيط بها من الجانبين ارتفاعات جبلية شاهقة في قاع المحيط لكن قممها دون سطح المحيط، وتفوق درجة الحرارة في تلك المناطق البركانية النشطة الألف درجة مئوية، ومع اندفاع الصهارة Magma على طول منتصف المحيط تتكون سلسلة الجبال تلك ويتسع المحيط في كلا الجانبين والذي يعرف بظاهرة امتداد قاع المحيط Spreading Sea-Floor.

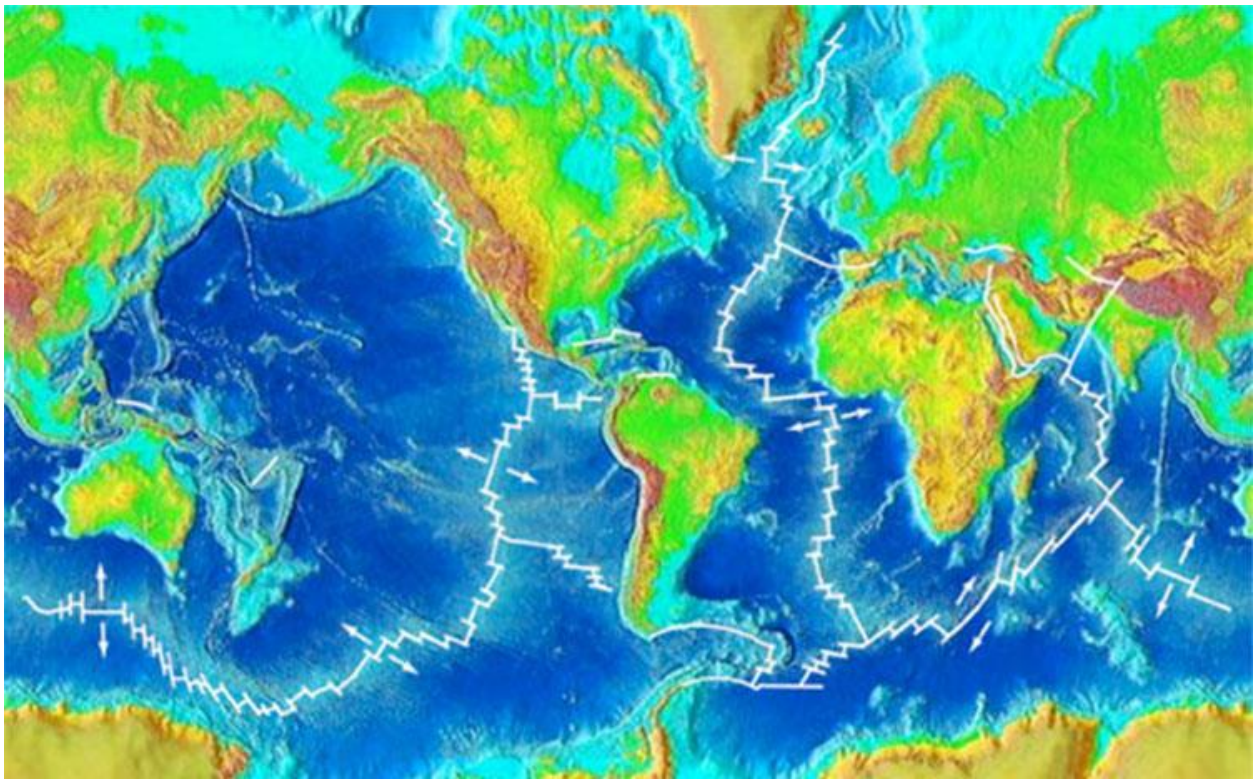

وتندفع من هذه الصدوع في قيعان المُحيطات الصهارة الصخرية، فلا الماء على كثرته يستطيع أن يطفئ جذوة الحرارة الملتهبة ولا هذه الصهارة على ارتفاع درجة حرارتها (أكثر من ألف درجة مئوية) قادرة أن تبخر هذا الماء، وهذه الظاهرة من أكثر ظواهر الأرض إبهاراً للعلماء، وقد قام الباحثون أناتول سجابفتيش ويوري بجدانوف ورونا كلنت بالغوص على بعد ١٧٥٠كم من شاطئ ميامي وعلى عمق يزيد عن ٣ كم من السطح على متن الغواصة الحديثة ميرا فشاهدوا حمم القاع، وسجلوا درجة حرارة خارج الكوة ٢٣١ درجة مئوية، وكانت تتفجر من تحتهم الينابيع المُلتهبة.

والقسم: (والبحر المسجور)؛ ترجع عظمته على المقسوم به كآية بينة على الوحي، ولفظ (البحر) اسم جنس يشمل البحار العظيمة في سياق نظرة شمولية للعالم أجمع حاليًا؛ تنذر بخرابه مُستقبلا في جواب القسم (إن عذاب ربك لواقع)، ووصف البحر بلفظ (المسجور) يعني أن قاعه مُلتهب يتوقد بنيران تكافؤه ضخامة كما في قوله تعالى (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) غافر:٧٢؛ أي توقد تحتهم وتحيط بهم لأن السجر في اللغة الإيقاد في التنور، وأما قوله تعالى: (وإذا البحار سجرت)؛ فيعني أن نيران القاع محجوزة حاليا وينذر بامتدادها لتفجر البحار وتصبح منظورة بيانا لدمار العالم مُستقبلا، والمُستفاد أن البحار العظيمة لا تُداني في العظمة ما تحت القيعان من مواد نارية مُلتهبة تنفذ في أماكن مُحددة؛ خاصة مع ما ورد في الأثر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (لا يركبن البحر إلا حاج أو معتمر أو مجاهد فإن تحت البحر نارا).

صورة تبين تدفق الحمم في أعماق المحيط.

وقد تبين أن البراكين الممتدة في قيعان المحيطات أكثر عدداً وأعنف نشاطاً من البراكين على سطح اليابسة، ولا يمكن للمتأمل لسطح البحر المحيط بالعين أن يتصور أن قاعه ملتهب يتأجج بالنيران، فالمعلوم أن الماء يطفئ النار، ولم يتوصل العلم الحديث إلى هذه الحقيقة المدهشة إلا في أواخر ستينيات وأوائل سبعينيات القرن العشرين، ولذا فإن سبق القرآن العظيم لهذه الحقيقة المدهشة المدفونة في قيعان المحيطات لخير دليل على صدق وحفظ هذا الكتاب الكريم.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال المراغي: "(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ).. قد يكون المعنى والبحر الموقد في باطن الأرض بمنزلة التنّور المحمى"[١٣٢٧].

وفي تفسير مجمع البحوث: "ويُقسم الله بالبحر المسجور، والجمهور على أنَّ المراد به بحر الدنيا، وبأَن المسجور بمعنى الموقد نارا؛ قال تعالى: {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}؛ أي أضرمت فتصير نارا تتأجج مُحيطة بأهل الموقف"[١٣٢٨].

وقال الماوردي: "{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه جهنم؛ رواه صفوان بن يعلى عن النبي صلى الله عليه وسلم، الثاني: هو بحر تحت العرش، رواه أبو صالح عن علي رضي الله عنه، الثالث: هو بحر الأرض؛ وهو الظاهر، وفي قوله: {الْمَسْجُورِ} سبعة تأويلات؛ أحدها: المحبوس؛ قاله ابن عباس والسدي، الثاني: أنه المرسل؛ قاله سعيد بن جبير، الثالث: الموقد ناراً؛ قاله مجاهد، الرابع: أنه الممتلىء؛ قاله قتادة، الخامس: أنه المختلط؛ قاله ابن بحر، السادس: أنه الذي قد ذهب ماؤه ويبس؛ رواه ابن أبي وحشية عن سعيد بن جبير، السابع: هو الذي لا يشرب من مائه ولا يسقى به زرع؛ قاله العلاء بن زيد"[١٣٢٩]، وفي تفسير الجلالين: "{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} أَيْ الْمَمْلُوء، {إنَّ عَذَاب رَبّك لَوَاقِع} لَنَازِل بِمُسْتَحِقِّهِ"[١٣٣٠].

وقال ابن عاشور: "(وَالْبَحْرِ): يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ بِالْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ. وَعِنْدِي: أَنَّ الْمُرَادَ بَحْرُ الْقَلْزَمِ، وَهُوَ الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ وَمُنَاسَبَةُ الْقَسَمِ بِهِ أَنه بِهِ أُهْلِكَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ حِينَ دَخَلَهُ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَحِقَ بِهِمْ فِرْعَوْنُ، و(الْمَسْجُورِ): قِيلَ الْمَمْلُوءُ، مُشْتَقًّا من السّجر، وهم الْمِلْءُ وَالْإِمْدَادُ، فَهُوَ صِفَةٌ كَاشِفَةٌ قُصِدَ مِنْهَا التَّذْكِيرُ بِحَالِ خَلْقِ اللَّهِ إِيَّاهُ مَمْلُوءًا مَاءً دُونَ أَنْ تَمْلَأَهُ أَوْدِيَةٌ أَوْ سُيُولٌ، أَوْ هِيَ لِلِاحْتِرَازِ عَنْ إِرَادَةِ الْوَادِي إِذِ الْوَادِي يَنْقُصُ فَلَا يَبْقَى عَلَى مِلْئِهِ وَذَلِكَ دَالٌّ عَلَى عِظَمِ الْقُدْرَةِ. وَالظَّاهِرُ عِنْدِي: أَنَّ وَصْفَهُ بِالْمَسْجُورِ لِلْإِيمَاءِ إِلَى الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ بِهَا هَلَاكُ فِرْعَوْنَ بَعْدَ أَنْ فَرَقَ اللَّهُ الْبَحْرَ لِمُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ ثُمَّ أَسْجَرَهُ، أَيْ أَفَاضَهُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ"[١٣٣١].

[١٣٢٧] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢٧\ ١٩).

[١٣٢٨] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٩\ ١١١٧).

[١٣٢٩] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٥\ ٣٧٨).

[١٣٣٠] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٦٩٧).

[١٣٣١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٧\ ٣٩).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Oceanography

علم المحيطات

المَوْضُوع Subject

Mid-Ocean Rift

صدع منتصف المحيط

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ ٥٢الطور:٦.**
- **﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٢٤النور:٤٠.**
- **﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٦الأنعام:٥٩.**
- **﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٣و٦٤.**
- **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٩٧.**
- **﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ١٠يونس:٢٢.**
- **﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا. أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا. أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ١٧الإسراء:٦٧-٦٩.**
- **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ١٨الكهف:٦٠.**
- **﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ١٨الكهف:١٠٩.**
- **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٣١لقمان:٢٧.**
- **﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٣.**
- **﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.**
- **﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٢٧النمل:٦٣.**
- **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٣٥فاطر:١٢.**

- ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ ٥٢الطور:٦.
- ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ٥٥الرحمن:١٩-٢٢.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾
٥٥الرحمن:١٩و٢٠.

Paragraph الفَقْرَة

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ٥٥الرحمن:١٩-٢٤،

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿مَرَجَ﴾، ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾، ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And HE is the One Who made the two masses of ocean water merge, but no one can encroach upon the other; as if there is an interface between them (no mingling of specific characteristics of each one)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

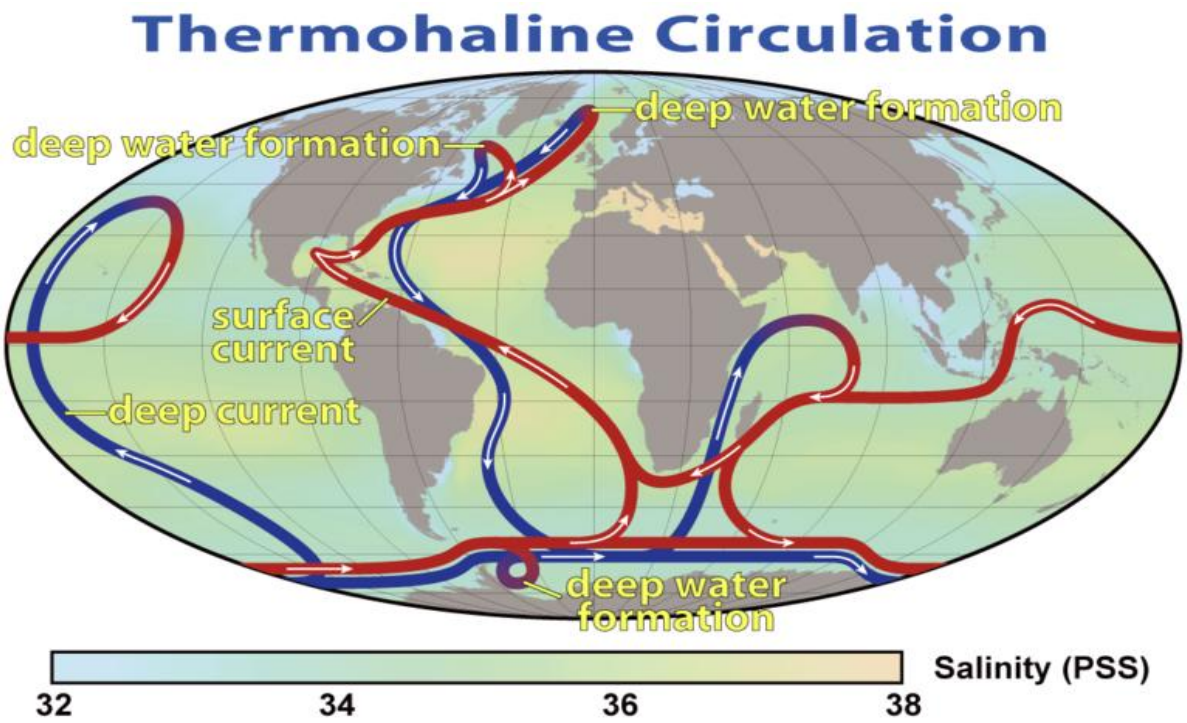

١

في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ ٥٥الرحمن:١٩و٢٠؛ لفظ (البحر) يُمكن أن يُطلق علي البحر المالح أو النهر العذب، وإذا أطلق بغير تقييد غلب علي البحر المالح، والأنسب هنا حمل البحرين على كتلتين بحريتين مالحتين لكل منهما خصائصها بقرينة: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) لأن المرجان لا ينمو إلا في البحر المالح، ولفظ (مَرَجَ) يدل علي المجيء والذهاب والتردد والاختلاط والاضطراب، ولذلك قيل (مرجت) أمانة القوم أي اضطربت، و(مرج) الأمر إذا اختلط، ومنه (الهرج والمرج)، وأمر(مريج) أي مختلط، و(المرج) مرعي الدواب حيث يكثر فيها النبات (فتمرج) الدواب فيه وتختلط، فأصل (المرج) هو الخلط، وقوله تعالي: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أي أفاض أحدهما بالآخر وجعلهما يختلطان دون امتزاج كما تختلط الدواب في المرعي؛ أي دون أن يغير أحدهما صفات الآخر، والبرزخ حاجز؛ فلا يبغي أحدهما على الآخر فيغير صفاته، إذن ليس ماء البحر المالح إلا كتل لكل منها خصائص مُميزة؛ كالحرارة والتركيب والكائنات البحرية.

التفصيل الدلالي:

بقياس كل من درجات الحرارة ونسبة الملوحة في كتل الماء التي تملأ البحار والمحيطات المختلفة، والتي تغطي حوالي ٧١% من مساحة سطح الأرض المقدرة بخمسمائة وعشرة ملايين من الكيلومترات المربعة، اتضح تباينها تباينا ملحوظا من بحر إلي آخر، وحتى في البحر الواحد نجد التمايز قائم أفقيا ورأسيا، وكل كتلة مائية منها تمثل بيئة حيوية لها تجمعاتها الخاصة بها من الأحياء البحرية من بعض الأنواع، والتباين في كل من درجات الحرارة ونسبة تركيز الأملاح في ماء البحار والمحيطات يؤدي إلي تباين في كثافتها، مما يعين علي تحديد تلك الكتل المائية المتباينة علي الرغم من محاولة الأمواج والتيارات البحرية خلطهما مع بعضها البعض، وتتحرك كتل الماء السطحية بين مساحات كبيرة شمالا وجنوبا فتتغير صفاتها بتغير الظروف البيئية التي تنتقل إليها، وعندما تتغير كثافة الكتلة المائية السطحية فإنها تغوص في وسط ماء أقل كثافة حاملة معها بعض صفات ماء المنطقة السطحية التي كانت فيها إلي أعماق المحيط إن لم تحمل تلك الصفات كلها فتؤدي إلي تغيير كبير في صفات الماء بتلك الأعماق، كما تعين علي تحديد المصادر التي جاءت منها مهما تباعدت مسافات تلك المصادر إلي آلاف الكيلومترات، ومع اختلاط الماء من مصادر مختلفة تتغير صفات الكتل المائية باستمرار؛ في المحيط الواحد وفي البحر الواحد وبين البحار والمحيطات المختلفة.

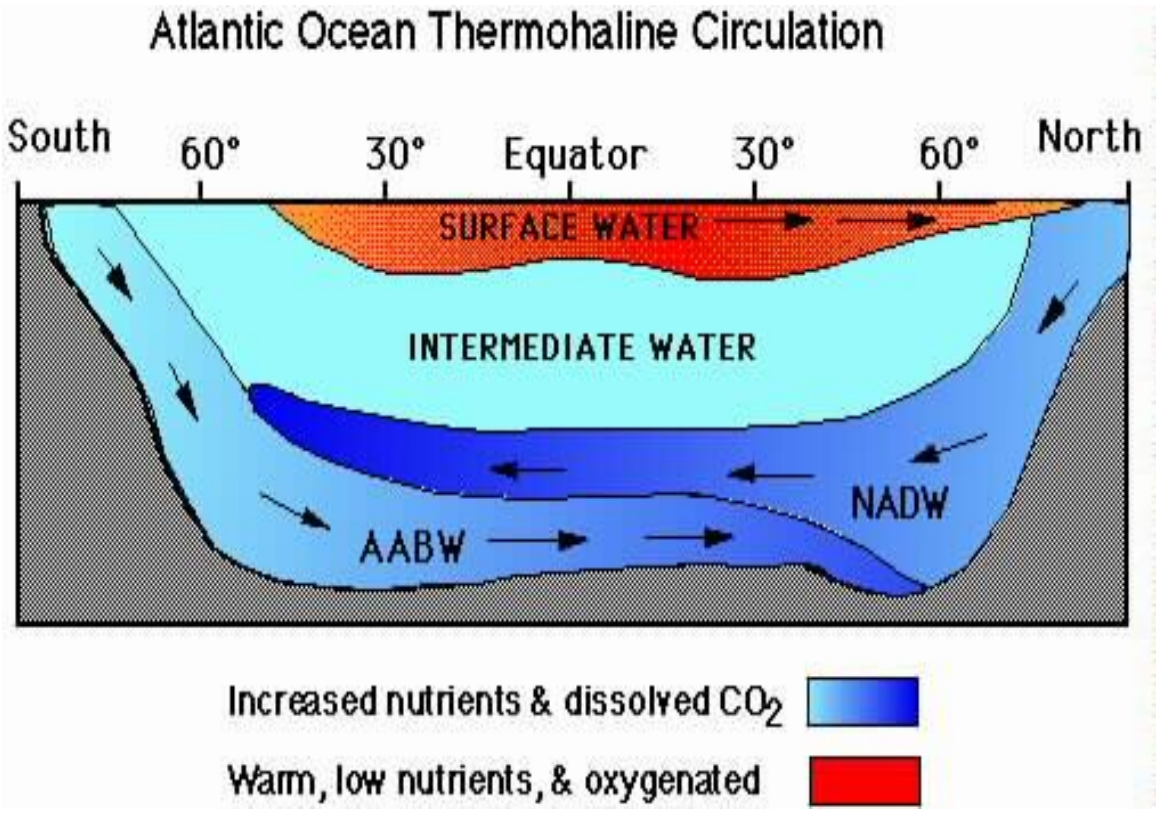

ولاختلاف خصائص التيارات البحرية واتجاهها؛ تختلف الكتل المائية في البحر الواحد رغم التداخل، وتحتفظ كل كتلة مائية بخصائصها كدرجة الحرارة وكمية الأكسجين وغذاء الأسماك وأنواعها؛ وكأن بينهما حاجزًا يمنع الاختلاط.

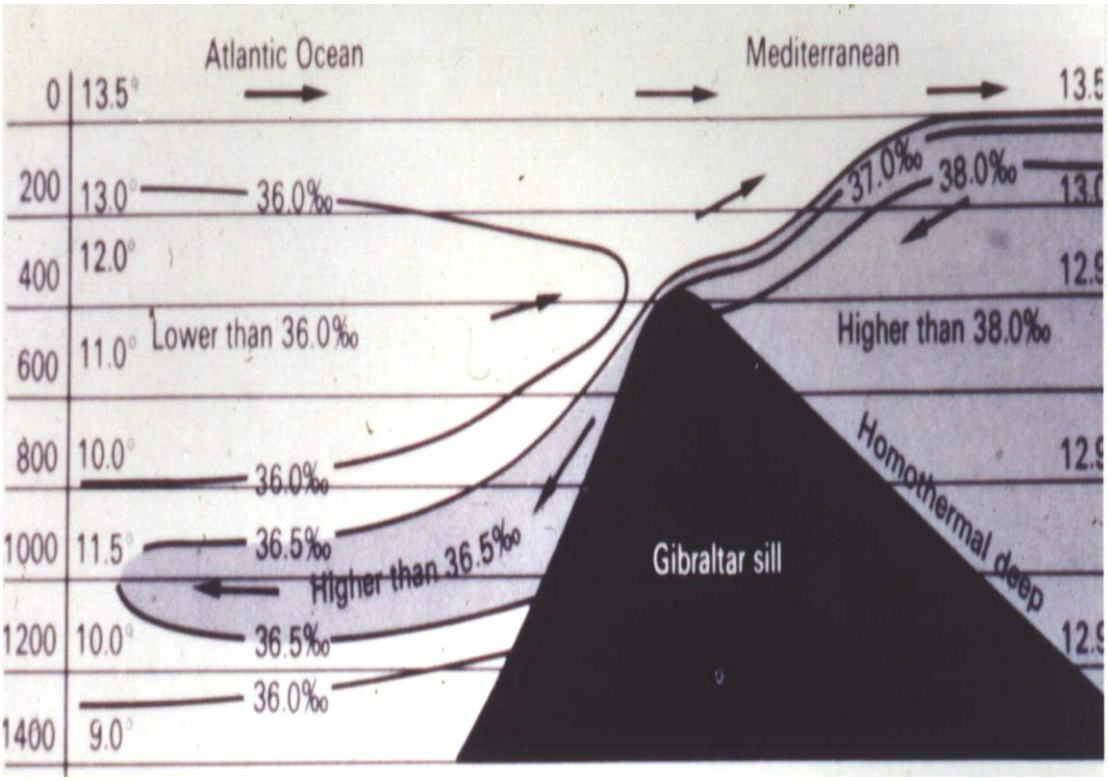

وعند جبل طارق تمتد كتلة مائية من البحر الأبيض إلى المحيط الأطلسي؛ ورغم التداخل تحتفظ كل منهما بخصائصها.

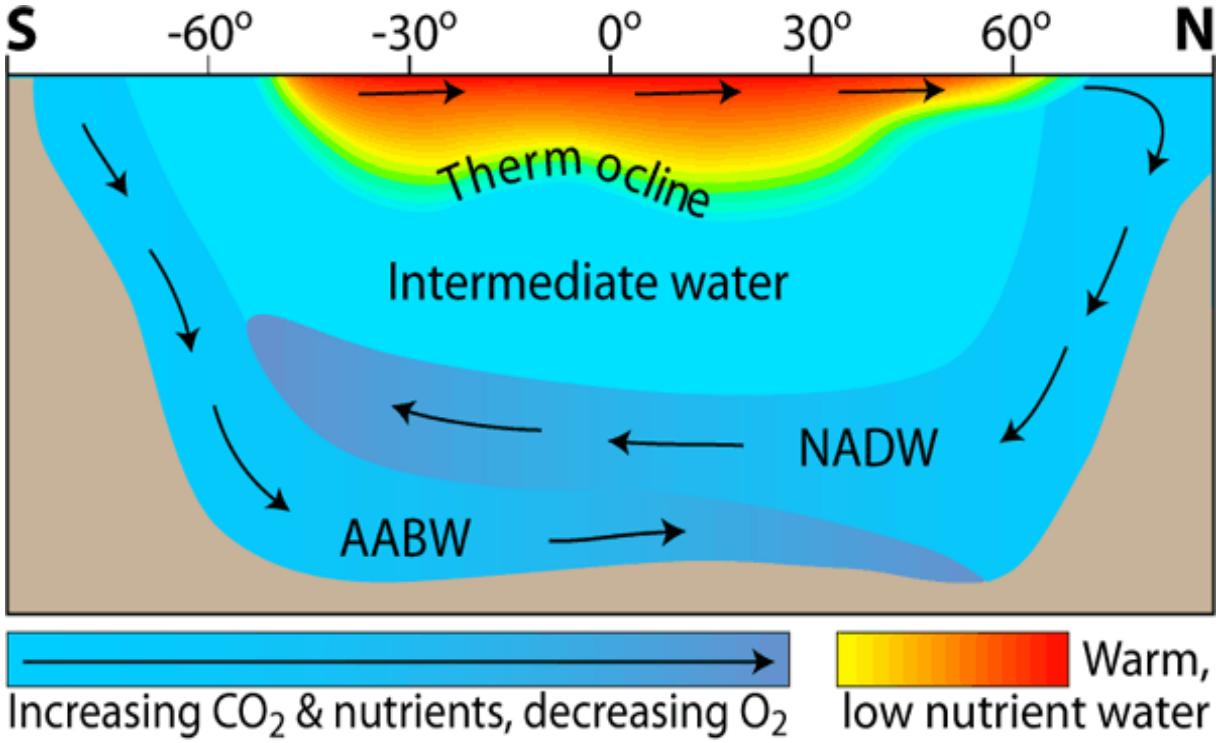

وينقسم الماء السطحي في المحيطات علي أساس من التباين في درجات الحرارة ونسبة الملوحة إلي كتل متباينة، وعلي سبيل المثال فإن الماء السطحي في الجزء الشمالي من المحيط الأطلسي يعتبر أكثر أجزاء المحيطات ملوحة، بينما يعتبر الماء السطحي في شمال المحيط الهادي أقلها ملوحة، وتتباين كذلك كتل الماء متوسط العمق في المحيطات، وأوضح نموذج لكتل الماء العميق في البحار والمحيطات يقع في الجزء الشمالي الغربي من المحيط الأطلسي، وأما الماء شديد العمق فقد عرف حديثا أن المحيط القطبي الجنوبي يحوي فوق قاعه كتلة من الماء تعتبر أعلي ماء الأرض كثافة، ويكفي لبيان تجاور كتلتين مائيتين مختلفي الصفات بلا اختلاط وجود تيارات ماء عذب في عمق البحر المالح كما في البحرين، وهكذا تتنوع كتل ماء البحار جميعا في الصفات وتبقي كل كتلة منها مُحتفظة بصفاتها؛ تماما كما وصفها القرآن الكريم.

وترتبط جزيئات الماء مع بعضها بعضا بتجاذب الشحنات الكهربية، وتعرف هذه الخاصية باسم اللزوجة الجزيئية، وهي من أهم الصفات المؤثرة في ماء البحار والمحيطات التي تجعله يختلط ولا يمتزج امتزاجا كاملا أبدا، وشدة تماسك وتلاصق جزيئات الماء هي التي أعطته بتدبير من الله تعالي العديد من صفاته المميزة مثل شدة توتره السطحي، وميله إلي التكور علي ذاته علي هيئة قطرات بدلا من الانتشار الأفقي علي السطح الذي يسكب عليه، وفي تكوين ذلك الحاجز غير المرئي بين كل ماءين مختلفين في صفاتهما من مثل الماء العذب والمالح، والمائين الملحين المتباينين، فيجعل كل بحرين متجاورين متمايزين؛ رغم فعل التيارات البحرية والأمواج من الحركة ذهابا وإيابا ولكن بغير اختلاط: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ٥٥الرحمن:١٩-٢٤، ومثله: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١، إنها حقيقة لم يصل إليها العلم إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ولم تدون في كتاب قبل منتصف الأربعينيات من القرن العشرين، فهل من تفسير لورودها صريحًا في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان خلت سوى الوحي!.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ} أما البحران ففيهما خمسة أوجه؛ أحدهما: أنه بحر السماء وبحر الأرض؛ قاله ابن عباس، الثاني: بحر فارس والروم؛ قاله الحسن وقتادة، الثالث: أنه البحر المالح والأنهار العذبة؛ قاله ابن جريج، الرابع: أنه بحر المشرق وبحر المغرب يلتقي طرفاهما، الخامس: انه بحر اللؤلؤ وبحر المرجان، وأما {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ} ففيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: تفريق البحرين؛ قاله ابن صخر، الثاني: إسالة البحرين؛ قاله ابن عباس، الثالث: استواء البحرين؛ قاله مجاهد، وأصل المرج الإهمال كما تمرج الدابة في المرج، {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ} في البرزخ الذي بينهما أربعة أقاويل؛ أحدها: أنه حاجز؛ قاله ابن عباس، الثاني: أنه عرض الأرض؛ قاله مجاهد، الثالث: أنه ما بين السماء والأرض؛ قاله عطية والضحاك، الرابع: أنه الجزيرة التي نحن عليها وهي جزيرة العرب؛ قاله الحسن وقتادة، وفي قوله: {لاَّ يَبْغِيَانِ} ثلاثة أقاويل؛ أحدها: لا يختلطان لا يسيل العذب على المالح ولا المالح على العذب؛ قاله الضحاك، الثاني: لا يبغي أحدهما على صاحبه فيغلبه؛ قاله مجاهد وقتادة، الثالث: لا يبغيان أن يلتقيا؛ قاله ابن زيد، وتقدير الكلام: مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما أن يلتقيا، وقال سهل: البحران طريق الخير وطريق الشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة"[١٣٣٢].

وفي تفسير مجمع البحوث الإسلامية: "{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}: قال الألوسي في معنى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ} أي: أرسلهما وأجراهما من مرجت الدابة في المرعى؛ أي: أرسلتها فيه، أي: أرسل الله البحر الملح والبحر العذب، ونقول: إن هذا هو التفسير الموافق لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٣، ولقوله: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} ٣٥فاطر:١٢، أما قول الحسن: إنهما بحرا فارس والروم، فإنه مخالف لصريح الآيات المذكورة، والقرآن يفسر بعضه بعضًا، وقد ذكر الله أن هذين البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، فأما التقاؤهما فيكون عند مصاب الأنهار فيها، وأما البرزخ الذي بينهما فهو القدرة الإلهية التي منعت أن يبغى الماءُ الملح على العذب فيحوله إلى ملح، وأن يبغى العذب على الملح فيحوله إلى عذب، فبقى كلاهما يؤدى وظيفته التي خلق لها، وهل هذا الحاجز هو أنه تعالى خلق الأرض كروية، وأن الارتفاع الكروي هو الذي يمنع أن يبغى أحدهما على الآخر، ويدل على ذلك أن الشمس تشرق في أرض قبل أخرى، وتغرب في أرض قبل أخرى، بسبب هذا التكوير، فيبقى كل منهما في مكانه لا يبغي على الآخر، ولا يمنع لقاؤهما في طرفيهما من أن يبقى ما وراء هذا اللقاء حافظًا لخواصه، فتبارك الله أحسن الخالقين، ولا شك في أن جاذبية الأرض تبقى كل شيءٍ في مكانه، من جبال ورمال وإنسان وحيوان وغير ذلك، مع سرعة الأرض الخارقة في دورانها، ولو كانت الأرض مسطحة لبقيت الشمس مشرقة فيكون الوقت كله نهارًا لا ليل فيه، ولا بقي شيءٌ من البحرين محافظًا على خواصه، فإنه يندمج كل منهما في الآخر، وقيل: إن البرزخ الذي بينهما هو الأرض اليابسة التي بينهما، وحينئذ يكون المراد من لقائهما تقابلهما وتجاورهما، والذي قلناه هو المتعين، وفيه من الدلالة على قدرة الله ما فيه، ويلاحظ أنه لا توجد أرض يابسة عند مصاب الأنهار كما زعموا، وذكر الله تعالى أنه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، يقول بعض المفسرين: إن اللؤلؤ صغار الدر، والمرجان كباره، ونقل ذلك عن الإمام علي رضي الله عنه، وقيل: عكس ذلك، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى عن ابن مسعود أن المرجان الخرز الأحمر، وعلى هذا يكون اللؤلؤ شاملا لكباره وصغاره، وهذا هو المتعارف بين الناس، وجاء في الآية أن كليهما يخرج من البحرين الملح والعذب، مع أن المعروف هو وجودهما في الملح دون العذب، وأجاب القرطبي عن ذلك بقوله: إن العرب تجمع الجنسين ثم تخبر عن أحدهما، كقوله تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} وإنما الرسل من الإنس دون الجن؛ قاله الكلبي وغيره، وقال الزجاج: قد ذكرهما الله، فإذا أخرج من أحدهما شيء فقد خرج منهما، وهو كقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا} ولكن أجمل ذكر السبع، فكان ما في إحداهما فيهن؛ إلى غير ذلك مما ذكره القرطبى، والحق أنه يخرج من كليهما كما أظهره العلم الحديث، فقد جاءَ في هامش التفسير المنتخب الذي أخرجته وزارة الأوقاف المصرية؛ تعليقًا علي قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ

[١٣٣٢] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٥ ٤٢٩).

سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} ٣٥فاطر:١٢؛ جاء في الهامش: (أن اللؤلؤ كما يستخرج من أنواع معينة من البحر الملح، يستخرج أيضًا من أنواع أخرى صدفيات من الأنهار، فتوجد اللآليء في المياه العذبة في انجلترا واسكتلاندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان).. بالإضافة إلى مصايد اللؤلؤ البحرية المشهورة، ويدخل في ذلك ما تحمله المياه العذبة من المعادن العالية، كالماس الذي يستخرج من رواسب الأنهار الجافة المعروفة بالبرقة، ويوجد الياقوت كذلك في الرواسب النهرية، ومن الأحجار شبه الكريمة التي تستعمل في الزينة حجر التوباز، ويوجد في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة ومنتشرة في البرازيل وروسيا (الأورال) وسيبريا ثم قال: ويغلب أن يكون أصفر أو بنيًّا، إلى آخر ما جاءَ في الهامش المذكور من الأحجار الكريمة التي تستخرج من الرواسب النهرية، والمعنى الإجمالي للآيتين: أرسل الله تعالى البحرين الملح والعذب، وجعلهما يلتقيان في أطرافهما، وهذا الالتقاء والتمازج في الأطراف لم يجعل أحدهما يبغى على الآخر بإيصال خاصيته في داخله؛ لأنه تعالى جعل بينهما حاجزًا يمنع التمازج الكلى بينهما، وهذا الحاجز هو تدرج أجزاء الأرض إلى الارتفاع الكروي، وهذه الكروية مع سرعة دورانها الرهيبة تبقى كليهما في داخله محافظًا على خاصيته، ومثل ذلك كمثل الشمس تشرق في أرض قبل أُخرى وتغرب كذلك، وهذا بسبب الارتفاع الكروي الذي يحجز إشراقها أو غروبها في أرض قبل أخرى، بالإضافة إلى جاذبيتها الشديدة، فهي تجذب كل ما فوقها إليها؛ حتى لا يفارق مكانه بسبب سرعتها، ولو كانت غير كروية لاختلط الملح بالعذب، وأبطل كل منهما خاصية الآخر، ولأشرقت الشمس على جميع بقاعها في وقت واحد، فيبقى الزمن كله نهارًا لا ليل له، وكل ذلك بقدرة الله الذي أحسن كل شيء خلقه، فتبارك الله أحسن الخالقين، ومن العلماء السابقين من قال: إن الحاجز بين البحرين هو الأرض اليابسة بينهما، وجعل التقاءَهما تقاربهما، وهذا غير متيسر في كل الأَنهار، بل المشاهد هو التلاقي الامتزاجي في الأطراف، حتى لا يكون الماء العذب آسنا متغير الطعم واللون، فما قلناه أولًا هو الحق، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ويعقب الله تعالى هاتين الآيتين بقوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} ممّا لكما في ذلك من المنافع، وبقوله: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} أي: يخرج من البحرين الملح والعذب اللؤلؤ والمرجان، على ما تقدم بيانه، فكما جعل الأرض تنبت لنا الزروع والأشجار، والحب ذا العصف والريحان، جعل البحرين لنأكل منهما لحمًا طريًّا، ونستخرج منهما حلية نزدان بها، فكل من البرّ والبحر أساس حياتنا وزينتنا، وكل ذلك آلاء ونعم لا يمكن تكذيبها وإنكارها، فبأَيهما تكذبان أيها الثقلان"[١٣٣٣].

[١٣٣٣] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٩ ١٢٠٩).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Oceanography

علم المحيطات

المَوْضُوع Subject

Water Masses

الكتل البحرية

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٣٥فاطر:١٢.**
- **﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٦النحل:١٤.**
- **﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ٥٥الرحمن:١٩-٢٤.**
- **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ١٤إبراهيم:٣٢.**
- **﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ١٧الإسراء:٦٦و٦٧.**
- **﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٣.**
- **﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.**
- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ٣١لقمان:٣١.**
- **﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٤٥الجاثية:١٢.**

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾
٥٦الواقعة:٧٥و٧٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٥٦الواقعة:٧٥-٨٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾، ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾، ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

I (have no need to) **swear by the** (huge distances of) **stars locations** (as we don't see except the past event in the universe, and can't see the present one due to the limited speed of light and the huge distances)**.**
Indeed; that is a great testimony (reflecting the greatness of that huge universal distances) **if you know.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

(١) برهان على الوحي:

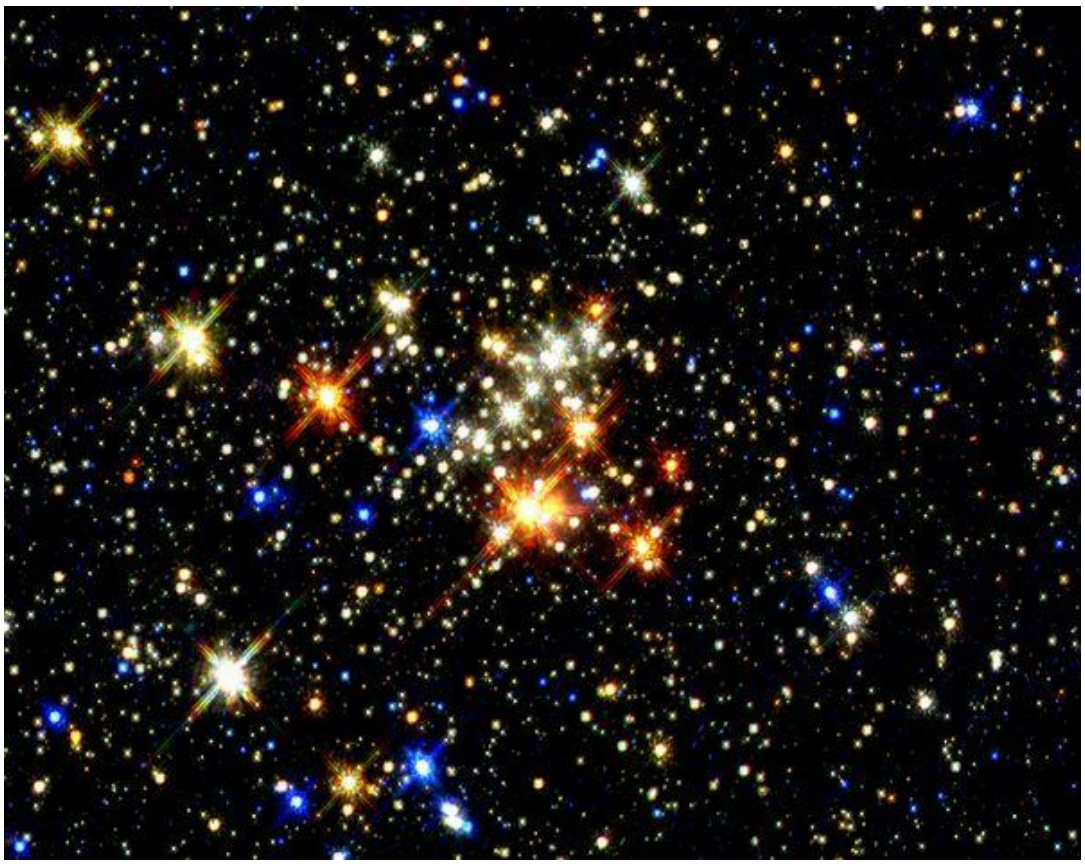

في قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)؛ نفي للقسم، وهو أسلوب في التعبير يدل على تأكيد وصف المقسوم به؛ وكأنه تعالى يقول إن الوصف أكيد بحيث لا يحتاج إلى قسم، والمقسوم به هو عظمة الأبعاد المُعبر عنها بالمواقع، والسائد منذ القدم وحتى القرن السابع عشر أن كل النجوم ثوابت على بعد قريب وأفق واحد سموه أفق الثوابت، فجاء لفظ (مَوَاقِعِ) دالاً بصيغته على الجمع أنها آفاق، وجاء تأكيد القسم دالاً على أن أبعادها عظيمة، وأكد التصريح بعظمتها النبأ: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)، ويتفق العُدول على أن عودة القسم إلى (مَوَاقِعِ) لا (النُّجُومِ)؛ يتفق مع كونها مُتحركة غير ثوابت، بحيث لا يُرى إلا مواقعها التي كانت عندها عند صدور ضوئها واحتياجه لمهلة لسرعته المُقدرة، والوصف يتعلق بالمسافات الكونية الهائلة حيث ينتظم الفضاء إلى طرائق يجري فيها كل نجم في فلك يقطعه في مُدة مُقدرة؛ بينما وصفت الكواكب بالقرب في أدنى سماء؛ أي الأقرب من الناس: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦، ويتفق هذا التمييز تمامًا مع ما عُرف من أن الكواكب توابع للشمس، وأن النجوم تحتشد في عناقيد تميز الفضاء لآفاق.

(٢) التفصيل الدلالي:

قال تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)، وفي هاتين الآيتين الكريمتين يقسم ربنا تبارك وتعالي بمواقع النجوم، ويأتي جواب القسم: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)؛ فالمعنى إذن أن موضوع القسم آية باهرة على الوحي بالقرآن الكريم بدليل تكشفه الأيام، ومن الأساليب البلاغية في الكتاب الكريم إدخال (لا) النافية على فعل القسم للمبالغة في توكيده؛ كأنه تعالى يقول: لا حاجة للقسم فالأمر أكيد، بمعني أنه لا يُقسم بالشيء إلا تعظيماً لشأنه كآية على العلم والقدرة، ومواقع النجوم هي الأماكن التي تمر بها في جريها عبر السماء وهي محتفظة بعلاقاتها المحددة بغيرها من الأجرام في كل مجرة، وبسرعات جريها، وبالأبعاد الفاصلة بينها، وبقوى الجاذبية الرابطة بينها، واللفظة (مواقع) جمع (موقع)، والمسافات بين النجوم مُذهلة للغاية لضخامة أبعادها، وحركات النجوم عديدة وخاطفة، وكل ذلك منوط بالجاذبية، وهي قوة لا تُري، تحكم الكتل الهائلة للنجوم، والمسافات الشاسعة التي تفصل بينها، والحركات المتعددة التي تصنعها؛ من دوران حول محاورها وجري في مداراتها المتعددة، وغير ذلك من العوامل التي لم نعلم منها بعد إلا القليل.

وهذا القَسم القرآني بمواقع النجوم؛ يشير إلى سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى إحدى حقائق علم الفلك الحديث التي تقول أنه نظراً للأبعاد الشاسعة التي تفصل بين آفاق وحشود النجوم في الكون وبعدها عن أرضنا؛ فإن الإنسان على هذه الأرض لا يري ذات النجوم أبدا، ولكنه يري مواقع مرت بها النجوم ثم غادرتها، وعلى ذلك فهذه المواقع كلها نسبية؛ وليست مطلقة، وليس هذا فقط؛ بل إن الدراسات الفلكية الحديثة قد أثبتت أن نجومًا قديمة قد خبت أو تلاشت منذ أزمنة بعيدة؛ لكن الضوء الذي انبثق منها في عدد من المواقع التي مرت بها لا يزال يتلألأ في ظلمة السماء في كل ليلة من ليالي الأرض إلى اليوم الراهن، كما أنه نظراً لانحناء الضوء في صفحة الكون كما كشفت البحوث العلمية حديثا حتى شاع وصف الكون بالانحناء؛ فإن النجوم تبدو لنا في مواقع ظاهرية غير مواقعها الحقيقية، ومن هنا كانت القيمة البالغة لهذا القسم القرآني المُذهل بمواقع النجوم؛ وليس بالنجوم ذاتها.

(٢) أبعاد فلكية مهُولة:

أقرب كواكب المجموعة الشمسية إلى الشمس وهو كوكب عطارد يبعد عنها بحوالي٥٨ مليون كيلو متر، وأبعدها عن الشمس وهو كوكب بلوتو يبعد عنها بحوالي ستة آلاف مليون كيلومتر، وإذا خرجنا عن نطاق المجموعة الشمسية فان هذه المقاييس الأرضية لا تفي بقياس المسافات الشاسعة التي تفصل بقية النجوم عنا، فاتفق العلماء على وحدة قياس كونية تعرف باسم السنة الضوئية، وهي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة من سنينا بسرعته المقدرة بحوالي الثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة، وهي مسافة مهولة تقدر بحوالي ٩,٥ مليون مليون كيلو متر، واقرب النجوم السماوية إلينا بعد الشمس هو نجم قنطورس القريب أو الأقرب القنطوري Alpha Centauri، وهو يبعد عنا حوالي ٤,٣ سنة ضوئية، بينما يبعد عنا النجم القطبي بحوالي٤٠٠ سنة ضوئية، ومنكب الجوزاء ١٦٠٠ سنة ضوئية، وأبعد ما تم رصده بالتلسكوبات الراديوية يسمى أشباه النجوم Quasars على أبعاد تزيد عن ١٠ بليون سنة ضوئية، إنها أبعاد تفوق الخيال، فسبحان القائل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ٥٦الواقعة:٧٥و٧٦.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} فيه وجهان؛ أحدهما: أنه إنكار أن يقسم الله بشيء من مخلوقاته، قال الضحاك: إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يفتتح به كلامه، الثاني: أنه يجوز أن يقسم الخالق بالمخلوقات تعظيمًا من الخالق لما أقسم به من مخلوقاته، فعلى هذا في قوله: {فَلاَ أُقْسِمُ} وجهان؛ أحدهما: أن (لا) صلة زائدة، ومعناه: أقسم، الثاني: أن قوله: {فَلاَ} راجع إلى ما تقدم ذكره، ومعناه: فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من نعمة وأظهرته من حجة، ثم استأنف كلامه فقال: {أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}. وفيها ستة أقاويل؛ أحدها: أنها مطالعها ومساقطها؛ قاله مجاهد، الثاني: انتشارها يوم القيامة وإنكدارها؛ قاله الحسن، الثالث: أن مواقع النجوم السماء؛ قاله ابن جريج، الرابع: أن مواقع النجوم الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا؛ قاله الضحاك، ويكون قوله: {فلا أقسم} مُستعملاً على حقيقته في نفي القسم بها، الخامس: أنها نجوم القرآن أنزلها الله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فَنَجَّمَهُ السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة، فهو ينزله على الأحداث في أمته؛ قاله ابن عباس والسدي، السادس: أن مواقع النجوم هو مُحكم القرآن؛ حكاه الفراء عن ابن مسعود، {وَإِنَّهُ قَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} فيه قولان، أحدهما: أن القرآن قَسَم عظيم؛ قاله ابن عباس، الثاني: أن الشرك بآياته جرم عظيم؛ قاله ابن عباس والضحاك، ويُحتمل ثالثاً: أن ما أقسم الله به عظيم"[١٣٣٤].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}: لما ذكر الله سبحانه في الآيات السابقة جزاء كل من السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وما يلقونه من نعيم تتفاوت درجاته وتتباين منازله حسب مقام كل من الطائعين، وما يناله ويعانيه أهل الشقاء وأصحاب الشمال من عذاب مقيم فيه شدة عليهم وإيلام بهم جزاء ما كانوا يعملون في الدنيا من كفر وعصيان ونكران ليوم يبعث الله فيه عباده للحساب، لما ذكر ذلك جاء قوله تعالى : {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} وما بعده من الآيات للتأكيد على أن القرآن الكريم الذي ذكرت فيه تلك الأمور هو من عند الله جل شأنه وفي قوله تعالى : {فَلَا أُقْسِمُ} حلف وقسم بناء على أن (لا) جاءت في النظم الكريم لتأكيد القسم وتقويته، نظير ذلك قوله تعالى : {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ} أي: ليعلم أهل الكتاب، ويتلاقى مع هذا الرأي قراءة الحسن {فَلأُقْسِمُ}، نقول: هذا ما يقتضيه سياق الآيات وما عليه جمهور المفسرين، وذهب بعضهم إلى أن (لاَ) نفى وردّ لما يقوله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة، كأنه قيل: لا صحة لما يقولون في القرآن الكريم من هذا الافتراء ثم قيل: (أقسم)؛ وهذا منسوب إلى سعيد بن جبير وبعض النحاة، ومواقع النجوم: مساقطها ومغاربها، وخصها جلت قدرته بالقسم لما في غروبها من ذهاب أثرها، وذلك للدلالة على وجود حكيم دائم لا يتغير؛ يؤثر فيها ظهورا وخفاءً، وقد استدل الخليل إبراهيم عليه السلام بأُفول الكوكب وغروب القمر وذهاب الشمس؛ على وجود الصانع الذي لا يغيب ولا تأخذه سنة ولا نوم، أو أقسم سبحانه بها في هذا الوقت لأنه أوان قيام المتهجدين وانقطاع المتبتلين إليه تعالى ونزول رحمته وفيض رضوانه عليهم، وقد ورد في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)، والنزول كناية عن القرب والعناية، وقال جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنهما: النجوم نجوم القرآن، ومواقعها أوقات نزولها، فإن القرآن نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا في السنين بعد، {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم جليل، لو تعلمون قدره ومكانته لعظمتم المقسم عليه وهو القرآن الكريم، {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} أي: إن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمَّد صلى الله عليه وسلم حسن مرضي، رفيع القدر في جنسه بين الكتب المنزلة من عند الله، كثير المنافع، أو كريم على الله أو على المؤمنين؛ لأنه كلام ربهم وشفاءُ صدورهم، وقيل: كريم لما فيه من كريم"[١٣٣٥].

[١٣٣٤] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٥ ٤٦٢).

[١٣٣٥] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٩ ١٢٦٦).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Stars Distances

أبعاد النجوم

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٥٦الواقعة:٧٥-٨٠.**
- **﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦،**

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾
٥٧الحديد:٢٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٥٧الحديد:٢٥.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And We make iron to descend down (to the core of the earth during its formation)**. Indeed, it has a mighty power** (fighting all the time the hurtful solar wind)**, hence, it is beneficial to all people.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

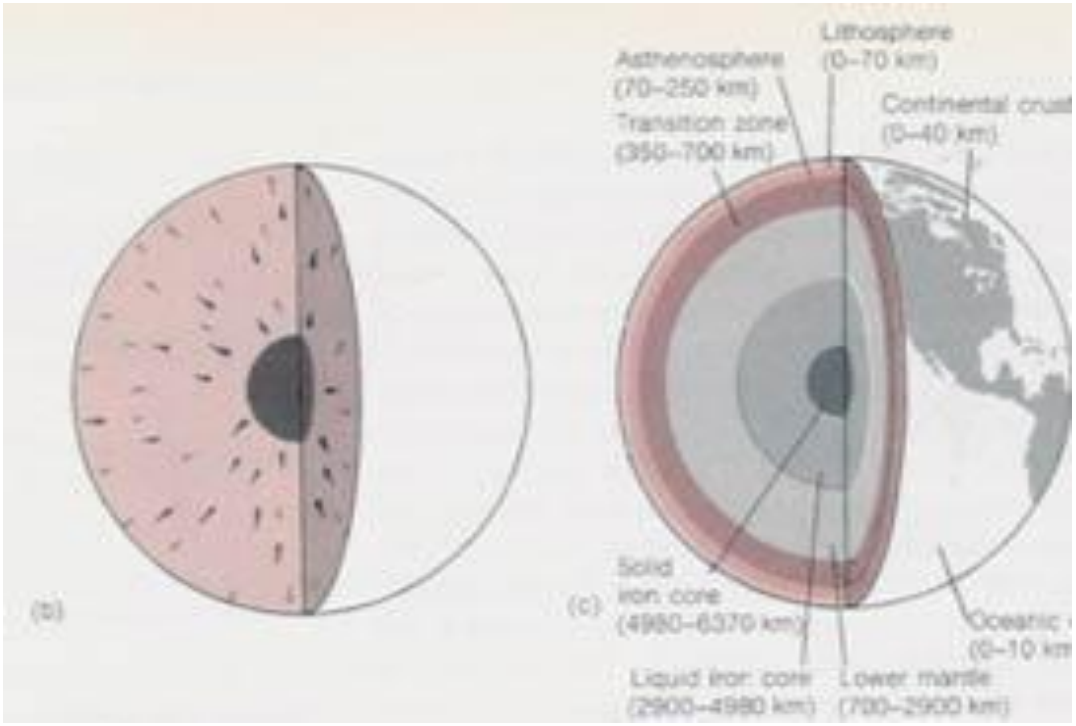

التصور الحالي أن الأرض الأولية كانت جسما متجانسا
فنزل الحديد نحو اللب باعتباره من أثقل مواد الأرض.
(Frank Press; the Earth)

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾؛ تلازم إنزال (الْحَدِيدَ) مع إنزال (الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ)، وكأن إنزال الحديد توطئة خلال نشأة الأرض لإنزال الوحي برسالة التوحيد المعبر عنها بإفراد (الكتاب) وبشرائع أساسها العدل المعبر عنه تمثيلا بلفظ (الميزان)، ولما كانت معجزة خاتم النبيين هي (الكتاب)؛ ففيه دلالة على أن نبأ إنزال الحديد في تاريخ الأرض هو أحد تلك (البينات)، ولفظ (الإنزال) الأصل فيه الظاهر ما لم تستبعده قرينة؛ ولما كان الحديد هو أحد مكونات الكوكب فإنزاله مقصور عليه؛ خاصة مع بيان خروج الماء ومكونات التربة كمقدمة لنشأة المراعي بخروج النبات والكلأ وعمران الأرض بالأحياء في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٣٠-٣٣، والمعروف حاليا أن الماء الذي خرج بهيئة أبخرة تُحيط بالأرض عندما كان سطحها ملتهبا قد نزل من سمائها مع تبرده، والقرآن قد ميز نزوله مرارا بالتعبير (من السماء) بخلاف الحديد؛ مما يؤكد قصر نزول الحديد على جسم الكوكب نحو اللب.

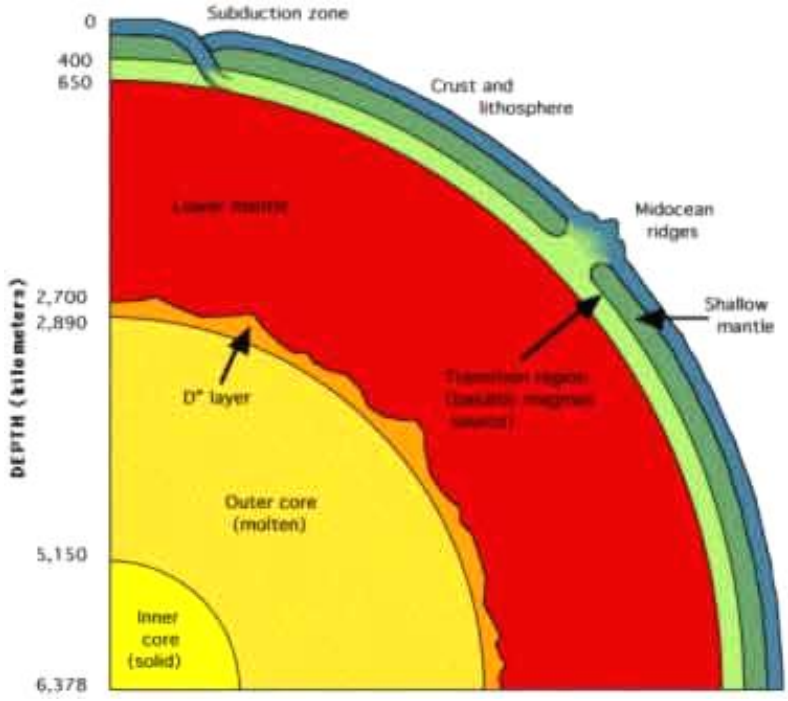

تتكون الأرض من طبقات بعضها فوق بعض
وتتزايد الكثافة مع العمق ومعظم اللب حديد.

وتباين دلالة اللفظ تبعا للسياق من خصائص لغات التخاطب؛ وهي أجلى ما تكون في القرآن الكريم، والدلالات المعجمية لا يتحدد إحداها إلا من خلال السياق، ففي قوله تعالى: (بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ) البقرة :٧١؛ لا يستقيم حمل لفظ (الأرض) على الكوكب لأن المقام يتعلق بمشهد معلوم وهو إثارة بقرة للغبار مما يستقيم معه حمل لفظ (الأرض) على تربة الحقل، وفي قوله تعالى: (مَن كَانَ يَظُنّ أَن لّن يَنصُرَهُ اللهُ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السّمَآءِ ثُمّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) الحج: ١٥؛ لا يستقيم كذلك حمل لفظ (السماء) على الكون كله وإنما سقف البيت لأن المقام يتعلق بمشهد معلوم وهو مشنوق مربوط إلى ما يعلوه وهو السقف عادة، ومدار لفظ (أنزلنا) في القرآن الكريم؛ سواء كان الإنزال حسيا أو معنويا، على تحقيق أمر جلل يستوجب الشكر كنعمة أو الاعتبار كنقمة لذا ناسبه التعبير بالتعظيم، وفي قوله تعالى: (يَا أَيّهَا النّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ مّن رّبّكُمْ وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مّبِينا) النساء: ١٧٤؛ يتعلق المقام بوصف القرآن كنعمة تستوجب الامتنان لما فيه من رحمة للبشرية فناسبه تعبير (الإنزال)، وهو كقوله تعالى: (وَأَنزَلَ لَكُمْ مّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) الزمر: ٦؛ وأجناسها على النحو التالي: الضأن والمعز والإبل والبقر، وتمثل لحومها وألبانها أهم مصادر الغذاء للسكان في البوادي، وتعبير (الإنزال) إذن يكشف مدى الرحمة والإنعام في إيجاد تلك المواشي المعبر عنها بلفظ (الأنعام)، ولبيان هذا الإنعام في إيجاد اللباس لستر العورات والحماية من تقلبات الجو ناسب التعبير عن هذا الإيجاد بلفظ (الإنزال) في قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) الأعراف: ٢٦، ولذا قد أصاب الأعلام في حمل دلالة لفظ (الإنزال) في هذا المقام إلى معاني كالإيجاد والخلق والجعل والإنعام.

أما في قوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) الحديد: ٢٥؛ فالدلالة الحسية على نزول الحديد من جسم الأرض نحو اللب لا تنفي الدلالة المعنوية في الإنعام على الناس جميعا بهذا الإنزال لبأسه الشديد في الدفاع عنهم من مخاطر لم يكن يعلم بها إنسان حتى اكتشفت حديثا أحزمة فان ألن المغناطيسية التي تدفع عنهم مخاطر الرياح الشمسية بلا إدراك منهم، وقد جاء بيان إنزال الحديد على مستوى الكوكب باعتباره من أثقل مكونات الأرض في مقابل بيان إخراج المواد الأخف نحو السطح في قوله تعالى: (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) النازعات: ٣٠-٣٣، وهذا ما يتفق تماما مع المعرفة الحديثة بخروج كل ما أدى في النهاية إلى وجود مظاهر الحياة من نبات وحيوان المعبر عنها باللفظ الجامع (مَرْعَاهَا) بعد التهيئة بتكاثف أبخرة الماء وانقشاع دخان البراكين الأولية، والسائد حاليا في علوم الأرض هو هبوط أثقل المواد ممثلة بالحديد نحو اللب الذي يتكون معظمه بالفعل من الحديد، وناسب اقتصار نزول الحديد على ما دون الجو الخلو من الإضافة (من السماء) التي لازمت في مواضع عديدة بيان نزول الماء من السحب في الجو نحو قوله تعالى: (وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً) النمل: ٦٠، ويتفق هذا مع تكون الأرض من طبقات يعلو بعضها بعضا أخفها الأعلى وأثقلها هو ما في باطنها المتكون غالبا من الحديد، وتتفق تلك الدلالة مع وصف ما في باطن الأرض صريحًا بالأثقال في قوله تعالى: (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) الزلزلة :٢، فالوصف مُتعلق بالكرة الأرضية لأن ضمير (أثقالها) عائد عليها، والمعلوم حاليا بالفعل أن الكثافة تزداد مع العمق حتى تبلغ أقصاها في اللب، والتعبير (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) يتسع لمعاني أشمل ويمكن حمل بأسه ومنافعه على المستوى الجزيئي، فذرة الحديد تتميز بقوة ترابط شديدة، وهي تدخل في تركيبات مهمة بالنسبة للأحياء مثل هيموجلوبين الدم، وحركة الحديد في لب الأرض أغلفة مغناطيسية تُحيط بالكوكب وتحمي كافة أحياء الكوكب من خطر الرياح الشمسية المتأينة، وكل تلك الحقائق العلمية المُكتشفة حديثا يُجملها قوله تعالى (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز} ٥٧الحديد:٢٥، {وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ} فيه قولان؛ أحدهما: أن الله أنزله مع آدم، روى عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاث أشياء نزلت مع آدم: الحجر الأسود، كان أشد بياضاً من الثلج، وعصا موسى وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع مثل طول موسى، والحديد أنزل معه ثلاثة أشياء: السندان والكلبتان والميقعة؛ وهي المطرقة، الثاني: أنه من الأرض غير منزل من السماء، فيكون معنى قوله: {وَأَنزَلْنَا} محمولاً على أحد وجهين؛ أحدهما: أي أظهرناه، الثاني: لأن أصله من الماء المُنزل من السماء؛ فينعقد في الأرض جوهره حتى يصير بالسبك حديداً، {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} فيه وجهان؛ أحدهما: لأن بسلاحه وآلته تكون الحرب التي هي بأس شديد، الثاني: لأن فيه من خشية القتل خوفاً شديداً، {وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} يُحتمل وجهين؛ أحدهما: ما تدفعه عنهم دروع الحديد من الأذى وتوصلهم إلى الحرب والنصر، الثاني: ما يكُف عنهم من المكروه بالخوف عنه، وقال قطرب: البأس السلاح والمنفعة الآلة"[١٣٣٦].

[١٣٣٦] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٥ \ ٤٨٣).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Geology

علوم الأرض

المَوْضُوع Subject

Earth Formation

نشأة الأرض

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعاً لّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ٥٧الحديد:٢٥.
- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:٥و٦.
- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ٣٣الأحزاب:٧٢.
- ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.
- ﴿تَنزِيلاً مّمّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسّمَاوَاتِ الْعُلَى .الرّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىَ. لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثّرَىَ﴾ ٢٠طه:٤-٦.
- ﴿إِنّا زَيّنّا السّمَآءَ الدّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ. وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ٦٧الملك:٣-٥.
- ﴿إِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَات وَالأَرْضَ﴾ ٩التوبة:٣٦.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ ٧٠المعارج:١-٧.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٢.
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤.
- ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤٥الجاثية:٣-٥.
- ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ٧الأعراف:٢٤و٢٥.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٩.
- ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٢٦الشعراء:٢٤.

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ١٥الحجر:٨٥.
- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ١٩مريم:٦٥.
- ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ٢٠طه:٦.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٩.
- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ ٣٠الروم:٨.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٣٢السجدة:٤.
- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ ٣٧الصافات:٥.
- ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ ٣٨ص:١٠.
- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ٣٨ص:٦٦.
- ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٤٣الزخرف:٨٥.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٤٤الدخان:٣٨.
- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٤٤الدخان:٧.
- ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ ٤٦الأحقاف:٣.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ٥٠ق:٣٨.
- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٥المائدة:١٧.
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ٥المائدة:١٨.
- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ٧٨النبأ:٣٧.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ٣٨ص:٢٧.
- ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢٦الشعراء:٢٨.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾
٦٥الطلاق:١٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Allah (is the One) **who has created seven heavens** (constellations of the celestial objects)**, and** (then He has created also) **from the** (initial) **earth** (seven atmospheric layers) **similar to them** (in number)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

إذا تَأَمَّلْت القرآن الكريم تجد أن وصف الكون المُمكن الرصد بتعبير (السماء والأرض) أو (السماوات والأرض)؛ قائم على النسبة إلى المخاطب فوق سطح كوكب الأرض؛ فما فوقه سماء بالنسبة إليه وما تحته أرض بالنسبة إليه، ويؤيد تلك النسبة للمُخاطب ورود لفظ (الأرض) بالإفراد دون الجمع، وكذلك مضمون لفظ (السماء) إفرادا وجمعا لأنه يعني وجودا في العلاء، ويشمل الكون كله عند الإطلاق، ولكن لفظ (الأرض) يرد في مقامات مُتباينة في الكتاب الكريم فيُحمل في كل موضع على مدلول يُناسب المقام، ومثلا في التعبير: ﴿بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ البقرة:٧١؛ لا يصلح حمل لفظ (الأرض) على الكوكب؛ وإنما يقتضي مقام الحديث عن بقرة حمل لفظ (الأرض) على تربة الحقل وفق المعهود من إثارة البقرة للغبار أثناء الحرث باستخدام الدواب، والقاعدة الدلالية في تناول النظم الفريد في الكتاب المجيد أن التقديم أو التأخير في لفظ لا يقع إلا بما يتفق مع الواقع بمدلول مُناسب، فإذا جاء لفظ (السماء) إفرادا أو جمعا في مقام بيان مراحل التكوين قبل لفظ (الأرض) دل على كيان يسبق تكوين الكوكب فيستقيم حمله على الكون المرصود كله فوق الراصد الأرضي، وإذا جاء لفظ (السماء) إفرادا أو جمعا في مقام بيان مراحل التكوين بعد لفظ (الأرض) دل على كيان يتبعها في الخلق قد نشأ منها؛ فيستقيم حمله على طبقات الجو، قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (يرحمهم الله تعالى جميعا) في تفسيره (ج١ص٣٨٤): "والسماء إن أريد بها الجو المحيط بالكرة الأرضية فهو تابع لها مُتأخر عن خلقها، وإن أريد بها (آفاق الأجرام السماوية فهي).. أعظم من الأرض فتكون أسبق خلقا".

وتجنب الخلط بين مدلول اشتقاق لفظ (السماء) في مقام بيان مراحل التكوين عندما يسبق لفظ (الأرض) في النظم وبين مدلوله عندما يلحق لفظ (الأرض) ؛ يرفع الخلاف المُصطنع ويدفع توهم التعارض ويحل إشكال سبق الأرض للسماء أم العكس، والعجيب أنك إذا جمعت النصوص في مقام بيان التكوين تجدها جميعا منظومة دلالية موحدة المضمون، وما أجمله نص في موضع كشف تفصيله نص آخر لتجد قصة الوجود منسجمة تماما مع مفاخر عصر الكشوف.

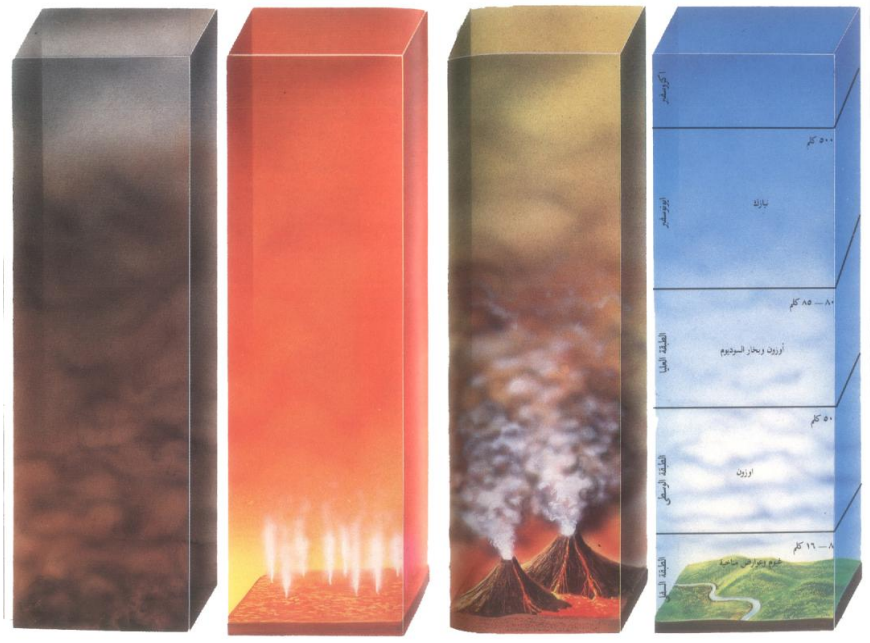

أثبتت الكشوف العلمية أن الأرض عند تكونها كانت تسودها الحمم وأن البراكين ظلت تقذف الدخان الملتهب الذي نشأ منه الغلاف الجوي للأرض وتميز إلى طبقات.

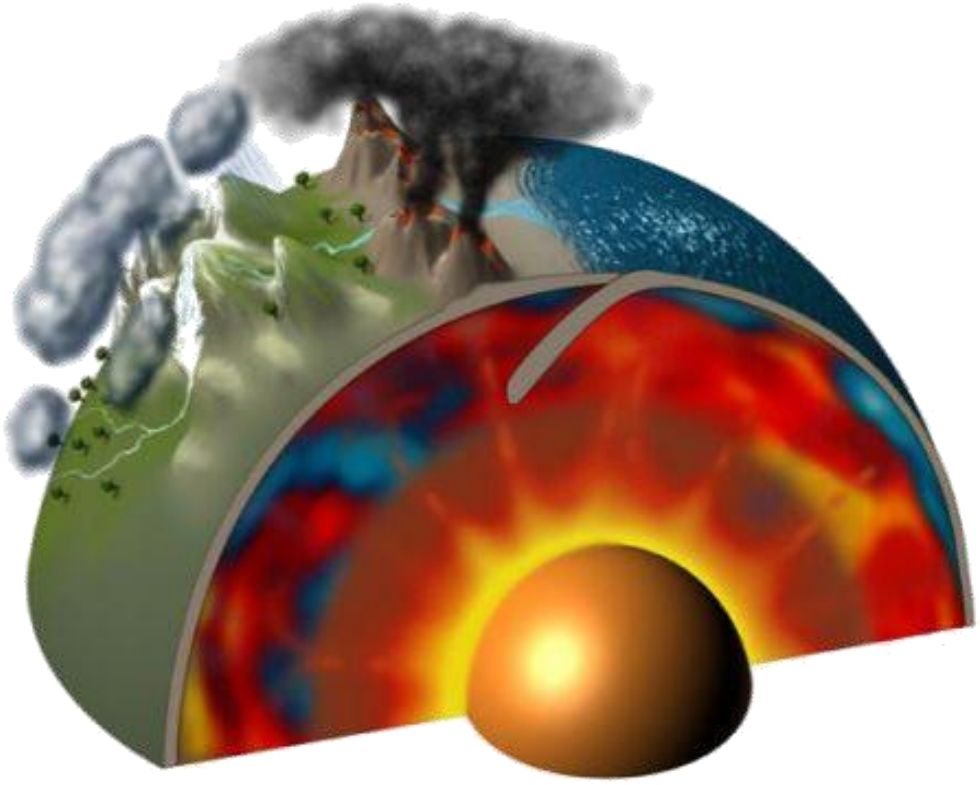

ووفق ما توصلت إليه الكشوف العلمية أن الجو قد نشأ من دخان تصاعد من الأرض المُلتهبة عند التكوين، وكان يتبدد حتى استقر أخيرا ولازمها في حركتها بمدارها مع تميزه إلى طبقات؛ وهو مضمون الملازمة بالتمثيل بعد بيان نشأة الأرض في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٤١فصلت:١١و١٢، وورود لفظ (سماء) بالجمع يدل على طبقية التكوين، فيعني تميز الموصوف سواء الفضاء أو الجو إلى طبقات، فالدلالة إذن هي أن الآفاق الكونية التي تميزها بروج الأجرام السماوية قد نشأت قبل الأرض ثم نشأت من الأرض آفاق مثلهن، وهو الذي يستقيم مع مضمون قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ٦٥الطلاق:١٢، فالضمير المؤنث في (مِثْلَهُنَّ) لا يستقيم عودته إلا إلى لفظ (سَمَاوَاتٍ) المؤنث المُميز للعدد سبع؛ أي خلق سبع سماوات وخلق من الأرض سبع سماوات (مِثْلَهُنَّ)، قال ابن عاشور (ج١ص٤٤٧٠): "وقوله ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ عطف على ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾"، وقال الألوسي (ج٢٨ص١٤٢): "﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾؛ أي وخلق من الأرض مثلهن"، وقال (ج١٣ص٩١): "و(الأرض) كونها سبع طبقات بين كل طبقة وطبقة كما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام.. غير مُسَلَّم، ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا يُثبتُه"، وأضاف (ج٧ص٨١): "وكثيرًا ما يُقصد من العدد التكثير لا الكم المُعَيَّن"، وقال حفيده محمود شكري في كتابه "ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة" (ج١ص٩٥): "وأما الأرضون السبع فقد حارت فيها عقول المُفسرين وذكروا فيها أقوالا كثيرة"، فليس النص الكريم إذن قطعي الدلالة على وجود سبع أراضين وإنما هو احتمال بعيد؛ غير مطابق للسياق.

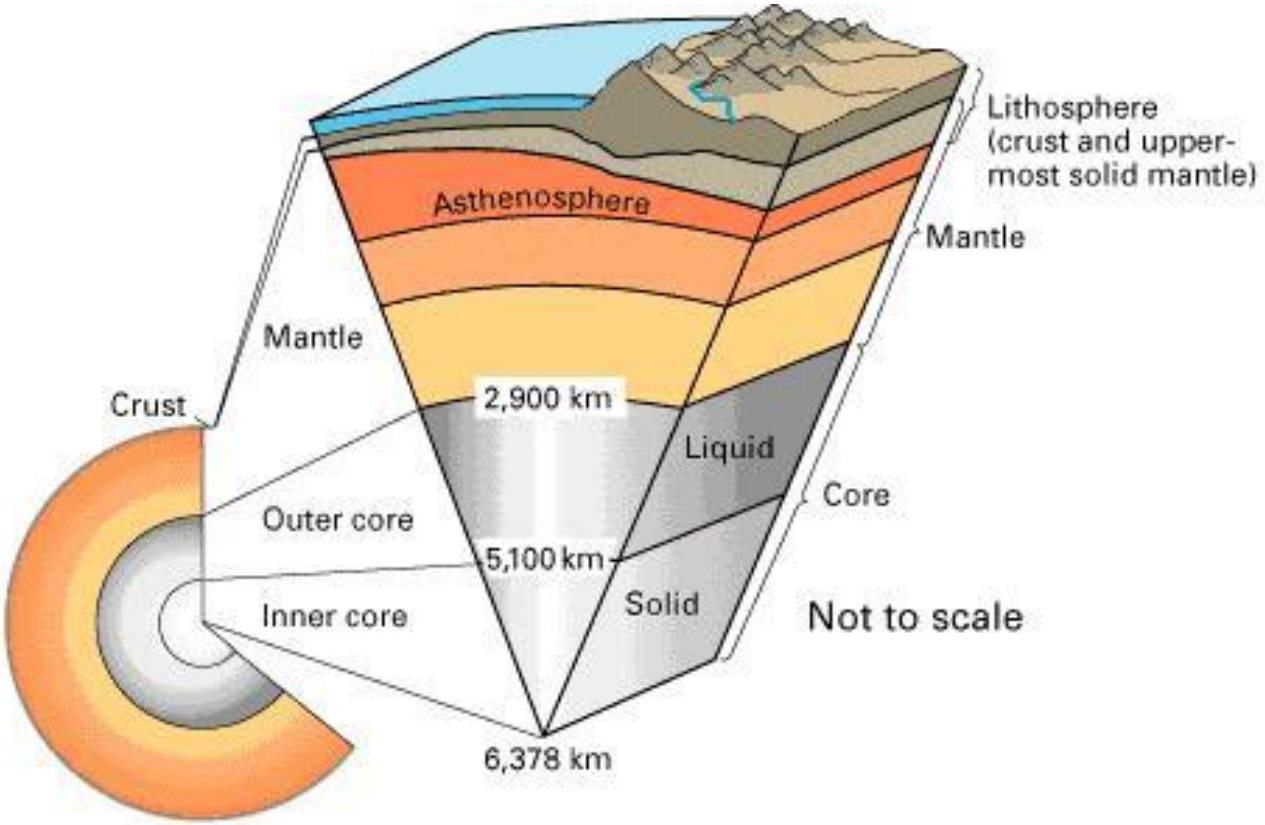

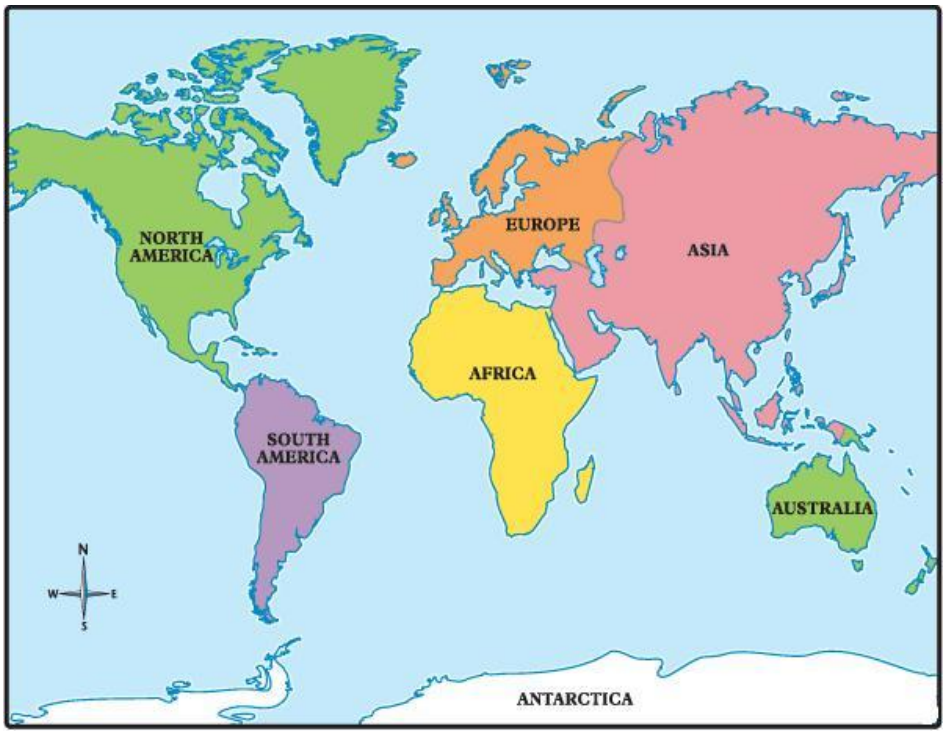

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله تعالى) في تفسيره (ج٤ص١٤): "و(لكن) صَرَّحَت السُنَّة بذلك في قوله (عليه الصلاة والسلام): «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين»"، ومن جملة الروايات أيضا في الباب ما ذكره فضيلته (ج٥ص٣٤٣): ""قوله (عليه الصلاة والسلام): «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الرياح وما ذرين..» الحديث؛ وأما الأرض فإنها جاءت بلفظ الإفراد في القرآن"، وقد حُمل التعبير بالجمع في الحديث على أن بنية الأرض بالفعل طبقات مع إمكان تطابق العدد، وحُمل أيضا على تعدد الأقاليم؛ أو بالأحرى القارات، ويستقيم اعتبارها كذلك سبع، ولكن بعد أن تم اكتشاف الأمريكتين وقارة القطب الجنوبي؛ مما يؤيد الوحي في الحديث النبوي أيضا ويشهد أنه من جوامع الكلم.

العدد	اسم النطاق أو الطبقة	الارتفاع (فوق مستوى سطح البحر)	الخصائص
١	الطبقة المناخية Troposphere (نطاق التغيرات الجوية)	من ٦ كم عند القطبين إلى ١٨ كم عند خط الاستواء.	يحوي ٨٥ % من كتلة الجو، ويقل الضغط بالارتفاع وكذلك درجة الحرارة لتبلغ ٦٠ درجة مئوية تحت الصفر عند قمته، ويختص بالرياح والسحب.
٢و٣	الطبقة فوق المناخية Stratosphere تتخللها طبقة الأوزون Ozone Layer	٥٠ كم، وتتخللها طبقة الأوزون على ارتفاع بين ٢٠ و٣٠ كم.	تقوم طبقة الأوزون بحجب نسبة كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وينخفض الضغط الجوي حتى يصل إلى ٠.٠١ ضغط جوي عند قمة النطاق.
٤	النطاق المتوسط Mesosphere	٥٠ – ٨٥ كم	يشارك في الحماية من النيازك، ودرجة الحرارة أعلاه حوالي ٩٠ درجة مئوية تحت الصفر.
٥و٦	النطاق الحراري Thermosphere يتخلله نطاق التأين Ionosphere	يبلغ ارتفاع أكثر من ٥٠٠ كم، ونطاق التأين حوالي ٤٠٠ كم.	ترتفع أعلاه درجة الحرارة، وتحدث فيه ظاهرة الشفق القطبي، ودوره مهم في الاتصالات اللاسلكية لأنه يعكس موجات الراديو، ويعقبه النطاق الخارجي Exosphere الذي يصل لأكثر من ١٠٠٠ كم؛ لكن الهواء يكاد يكون منعدما لدرجة أن تنطلق ذرة غازية عند أسفله نحو ١٠ كم قبل أن تصطدم بذرة غازية أخرى؛ ويتزايد التخلخل إلى أن يتصل بالفضاء الخارجي (*).
٧	نطاق الغلاف المغناطيسي Magnetosphere	يمتد لحوالي ٥٠ ألف كم، وارتفاع الحزام الداخلي حوالي ٢٠٠٠ كم.	يقوم بدور الحماية من الرياح الشمسية الخطيرة.

(*) موسوعة ويكيبيديا العالمية والشبكة الدولية.

الطبقات الوظيفية للغلاف الجوي: أربع طبقات رئيسة يتخللها طبقتين فرعيتين؛ بالإضافة إلى الغلاف المغناطيسي.

وفي سياق وصف الجو ظاهر دلالة التعبير: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، ونظيره: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾؛ هو تكونه من طبقات، وطبقية الجو لا تميزها عين فناسبها التعبير بالإبهام: (وَمَا بَيْنَهُمَا)؛ وعود الضمير في الكلمتين (فَسَوَّاهُنَّ) و(فَقَضَاهُنَّ) إلى غير مذكور، والتعبير: (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا)؛ صريح في أن كل طبقة جوية تتميز بخصيصة نافعة، بخلاف السموات العلى التي لا تتميز كل منها سوى بزيادة في الأبعاد والمكونات من عناقيد الأجرام السماوية، ورغم ما ذكره المفسرون من أن العدد (سَبْعَ) قد لا يعني ظاهره ؛ فطبقات الجو بالفعل سبع، أربع طبقات رئيسة تتخللها طبقتان فرعيتان، والمجموع ست طبقات؛ بالإضافة للغلاف المغناطيسي الذي يحمينا من الرياح الشمسية الخطيرة، وتمتد الطبقة الأخيرة حيث يوجد هواء Exosphere إلى أكثر من ١٠٠٠ كم، ولكن لا يكاد يكون لها تأثير يُذكر، ورد في الموسوعة العالمية: "تُصبح جزيئات الهواء نادرة الوجود في طبقة إكسوسفير إلى حد إنها تُعد غير موجودة، فمثلاً عند أسفلها من الممكن أن تنطلق ذرة غازية نحو ١٠ كيلومتر قبل أن تصطدم بذرة غازية أخرى"[١٣٣٧].

قال الدكتور فؤاد دمشقي: "قد وضعت تصانيف عديدة للغلاف الجوي ولكن القرآن الكريم صنف طبقات الغلاف الجوي.. بحسب الوظيفة، وبالرجوع إلى طبقات الجو المكتشفة حديثاً نجد فقط سبع طبقات وظيفية متمايزة"[١٣٣٨]، وقال عدنان أوكطار: "كلمة (السماوات).. تستعمل للإشارة إلى السماء فوق الدنيا (الملاصقة للأرض)؛ كما تستعمل للدلالة على الكون بأكمله، ومع الأخذ بالدلالة الأولى للكلمة يُمكن أن نرى أن الغلاف الجوي يتكون من سبع طبقات، وبالفعل فإنه يتكون من طبقات مختلفة تقع فوق بعضها البعض، وبالإضافة إلى ذلك فإن الغلاف الجوي يتكون؛ تماماً كما يصف القرآن الكريم، من سبع طبقات بالتحديد..، وهذه الطبقات تختلف في خصائصها الفيزيائية وفي ضغطها وأنواع الغازات الموجودة فيها (إذن).. هناك إعجاز آخر.. وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾؛ وبكلمات أخرى فإن الله جعل لكل سماء مهمة، وهذا صحيح.. فإن لكل واحد من هذه الطبقات وظائف حيوية لخير البشرية ولكل الكائنات الحية التي تعيش على الأرض، كل طبقة لها وظيفة معينة تتراوح بين تكوين المطر إلى الحماية من الإشعاعات الضارة وعكس موجات الراديو وحماية الأرض من آثار النيازك الضارة"[١٣٣٩].

[١٣٣٧] موسوعة ويكيبيديا العالمية.

[١٣٣٨] د. فؤاد دمشقي؛ مقال بعنوان: "معجزة طبقات الغلاف الجوي السبع"، موقع د. فؤاد دمشقي.

[١٣٣٩] عدنان أوكطار واسمه القلمي هارون يحيى؛ المعجزات القرآنية، مؤسسة البحث العلمي في تركيا (ص٢٦).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله أحاط بكل شيء علماً}، {الله الذي خلق سبع سموات} لا اختلاف بينهم في السموات السبع أنها سماء فوق سماء، ثم قال: {ومن الأرض مثلهن} يعني سبعاً، واختلف فيهن على قولين؛ أحدهما: وهو قول الجمهور أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض، وجعل في كل أرض من خلقه من شاء، غير أنهم تقلّهم أرض وتظلهم أخرى، وليس تظل السماء إلا أهل الأرض العليا التي عليها عالمنا هذا، فعلى هذا تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا ولا تلزم من في غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مُميز، وفي مشاهدتهم السماء واستمداد الضوء منها قولان: أحدهما: أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها؛ وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة، والقول الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء وإن الله خلق لهم ضياء يستمدونه، وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة، القول الثاني حكاه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض، تفرق بعض، تفرق بينهن البحار وتظل جميعهن السماء، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل هذه الأرض وصول للأخرى اختصت دعوة الإسلام بأهل هذه الأرض، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام عند إمكان الوصول إليهم لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه، واحتمل ألا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمت لكان النص بها وارداً، ولكان الرسول بها مأموراً، والله أعلم بصحة ما استأثر بعلمه؛ وصواب ما اشتبه على خلقه"[١٣٤٠].

وقال ابن جزي: "(الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن)؛ لا خلاف أن السموات سبع، وأما الأرض فاختلف فيها، فقيل: إنها سبع أرضين لظاهر هذه الآية، ولقوله صلى الله عليه وسلم: من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين. وقيل: إنما هي واحدة، فقوله: مثلهن على القول الأول يعني به المماثلة في العدد، وعلى القول الثاني: يعني به المماثلة في عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك، والأول أرجح"[١٣٤١].

وفي تفسير مجمع البحوث: "جاء في القرآن أن الأرض سبع كالسموات، قال تعالى في آخر سورة الطلاق: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ} ٦٥الطلاق:١٢، وكان ابن عباس يرى أن الأرضين الأخرى بها مكلفون مثلنا، كما أن سكان السماء لا نستطيع القطع بأنهم الملائكة فحسب، فقد يكون فيهن سكان عقلاء مكلفون، فلهذا جعل الله الجنة كعرض السماء والأرض، لكي تتسع للمكلفين فيهن، والله تعالى أعلم"[١٣٤٢].

[١٣٤٠] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٦ ٣٦).

[١٣٤١] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (٢ ٣٨٨).

[١٣٤٢] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٩ ١٢١٥).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Meteorology

الأرصاد الجوية

المَوْضُوع Subject

Atmosphere

الغلاف الجوي

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢البقرة:٢٢.
- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:١٢٥.
- ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى. تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ ٢٠طه:٢-٤.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.
- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٣٣.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾
٦٧الملك:٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾
٦٧الملك:١و٢.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿خَلَقَ﴾، ﴿الْمَوْتَ﴾، ﴿وَالْحَيَاةَ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

(He is) The One who created death and life; for the purpose of distinguishing those among you who would do better. He is the Almighty, the Forgiving.

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

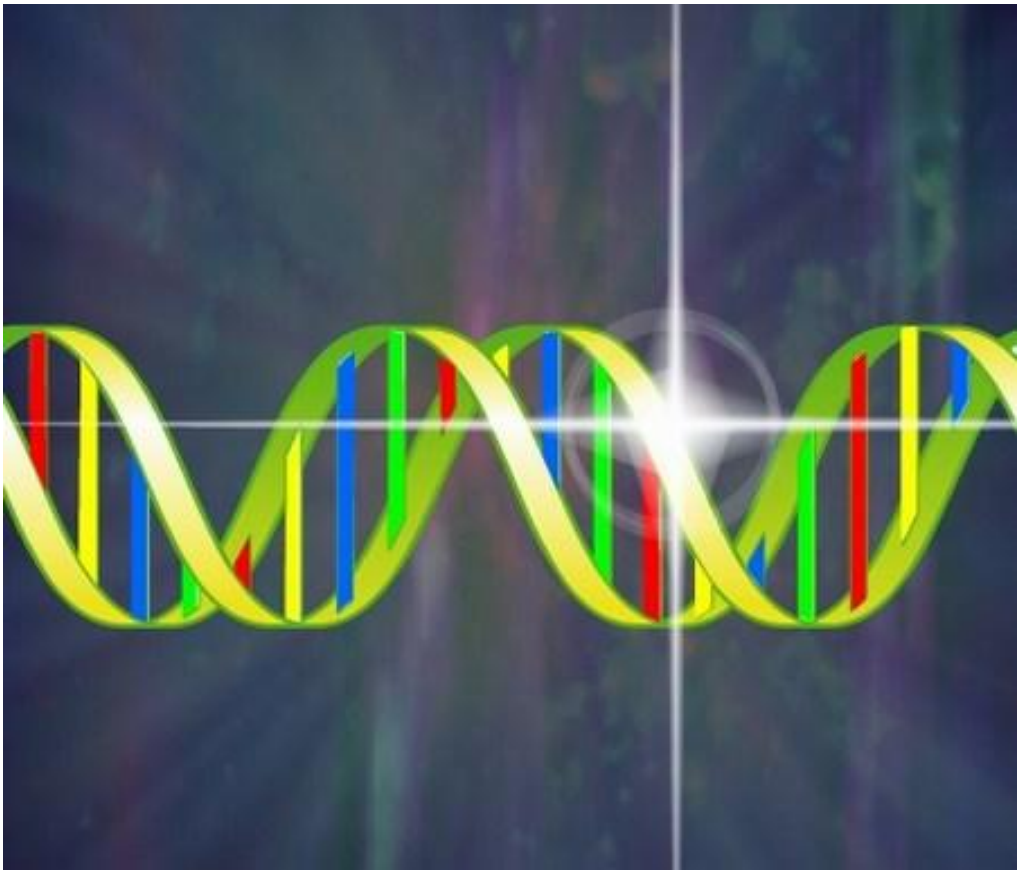

الموروثات في الشريط الوراثي للإنسان وكافة الكائنات الحية توجه كل العمليات الحيوية للخلايا على طول أجل النوع المقرر أيضًا بالموروثات، فإذا ما انتهى الأجل عملت آليات مخلوقة كآليات الحياة على موت الكائن الحي.

في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٥٦الواقعة:٦٠؛ بيان بأن الموت مُقدر منذ نشأة الفرد وفق أجل مُبرمج يخص النوع الإنساني؛ إذا لم تُعاجل المشيئة العلية الأجل بحدث ينهي حياة الفرد، وعليه يمكن حمل التعبير: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ ٦٧الملك:٢؛ على إيجاد أسباب الموت والحياة عند نشأة كل كائن حي، وتقديم الموت يستقيم مع كونه حتمي الوقوع وتأخير الحياة لكونها احتمال، قال محمد سيد طنطاوي: "قدم الموت على الحياة لأن الموت إلى القهر أقرب"، وبالمثل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ٥٣النجم:٤٤؛ قال ابن عاشور: "وَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ هُوَ الْعِبْرَةُ بِالْإِمَاتَةِ لِأَنَّهَا أَوْضَحُ عِبْرَةً"، وأما قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢البقرة:٢٨، فيفسره قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ١٩مريم:٦٧، باعتبار أن لفظ (الموت) قد يرد بمعنى سلب الحياة أو بمعنى عدم وجود حياة من الأصل كوصف الأرض غير المُنبتة بالموت: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ ٣٦يس:٣٣.

ويُمكن حاليا تقديم الأدلة على أن أسباب الموت على المُستوى الخلوي قد خُلقت مع أسباب الحياة منذ نشأة أول خلية في كل كائن حي، فكما توجد تكوينات داخل الخلية تمدها بأسباب الحياة مثل حبيبات اليخضور في النبات التي تصنع الغذاء والتكوينات التي تصنع البروتين في الحيوان؛ توجد تكوينات تختزن إنزيم Lysosome يحلل الخلية ويهضمها عند إصابتها، وعلى مستوى النوع يمكن إثبات أن الشيخوخة حالة مُقدرة Predetermined وفق برنامج موروث يعكس العلم والحكمة في الخلق، ومن تلك الأدلة اكتشاف حد لعدد انقسامات الخلية (حد هايفليك Hayflick's limit)، وتؤيد الأبحاث العلمية الحديثة أن الشيخوخة؛ ليست سوى وجهًا من الموت المُبرمج للجسم.

وهناك مرض يُدعى الشيخوخة المُبكرة Progeria، ويحدث النوع النادر منه فترة الطفولة، ويظهر فيه ابن الخمس سنوات كما لو كان ابن الستين، ومع قصر القامة يشيب شعر رأسه ويتساقط مبكرًا وتظهر الأوعية الدموية غليظة تحت جلد رقيق للرأس، ويصاب بحدود سن العاشرة بأمراض القلب والأوعية الدموية ويموت غالبًا عند سن الثالثة عشرة ولا يبلغ الثلاثين، ويوجد نوع آخر غير نادر يظهر عند البلوغ وفيه يشيب الرأس ويسقط الشعر سريعًا وتسقط الأسنان، وتظهر أمراض القلب والأوعية الدموية ويظهر تنخر العظم والتهاب المفاصل ويضعف السمع والبصر وتكثر الإصابة بمرض البول السكري والسرطان ويموت المُصاب غالبًا قبل الخمسين، وقد وُصفت الحالة للمرة الأولى عام ١٨٨٦، ولم يُسجل من النوع النادر حتى الآن سوى حوالي مئة حالة فقط، وقد اكتشفت الدراسات الوراثية بالفعل تشابُهًا بين الحالتين مما يؤيد ترجيح الجانب الوراثي كسبب رئيس للشيخوخة.

وقد كان الاعتقاد السائد أن الخلايا الحية المُستنبتة معمليًّا قادرة على الانقسام بلا حدود، وتبين مؤخرًا أن قدرتها على الانقسام محدودة، أي أنه بعد عدد محدود من الانقسامات تشيخ المزرعة الخلوية وتموت، ومن هنا ظهر الافتراض بوجود آلية داخل الخلية معنية بالتحكم في العمر عن طريق توقيف الانقسام وإفساح المجال لعمليات الهدم لتميت الخلية، فعكف الباحثون على اكتشافها، ومنذ سنوات يسيرة اكتشف أن الجزء الأخير Telomere عند نهايتي كل صبغ

Chromosome؛ ينقص طوله مع كل انقسام خلو وتضاعف منظومة صانع البروتين: الحمض النووي DNA، وتبين أنه يعمل مثل ساعة أو عداد يحسب عدد الانقسامات، ويقوم كذلك عند الانقسام الخلوية بحفظ المادة الوراثية من التبعثر والاندماج الخاطئ، ويُسمى الغطاء الطرفي End cap أو عداد التضاعف Replico-meter، ويُمكن أيضًا أن يسمى عداد الأجل Longevity-meter لأن طوله إذا وصل لحد معين يقف الانقسام وتموت الخلية، ولا ينقص طول الغطاء الطرفي في الخلايا الجينية الأم Stem cells وخلايا السرطان Cancer لأن الإنزيم الباني يعوض ما ينقص منه، وكلما تقدم العمر ينقص طوله في الخلايا لغياب الإنزيم، وفي الشيخوخة يكون بالغ القصر.

وتتبدى أعراض الشيخوخة في وقت محدد نتيجة لآليات معقدة تعمل متزامنة في تناسق عجيب على موت الخلية، فالخلية الحية في كل كائن حي محدودة الأجل خاصة في الأنسجة سريعة التجدد، وتقف وظائفها عند حد معين وتذبل وتموت، وفي بداية الستينيات من القرن الماضي أطلق ويشمان Weismann وكاريل Carrel على توقف تلك الوظائف تعبير شيخوخة الخلية Cell senescence، ولم تدرك العلاقة بين شيخوخة الخلية وتناقص طول الغطاء الطرفي إلا مؤخرًا خاصة بعد اكتشاف جريدر Greider وبلاكبورن Blackburn الإنزيم الباني للغطاء الطرفي Telomerase عام ١٩٨٥م، وكان أول من ربط بين شيخوخة الخلية وفقد جزء من طول الغطاء الطرفي هوارد كوك Howard Cooke عام ١٩٨٦م، فقد وجد أن الخلايا المستنبتة المأخوذة من صغار السن ذات أغطية طرفية أطول وأن مرات انقسامها أكبر من الخلايا المأخوذة من كبار السن، وفي عام ١٩٨٩م اكتشف مورين Morin أن نشاط الإنزيم الباني زائد في الخلايا السرطانية، وهو ما أيد فرضية أولوفنيكوف Olovnikov سابقًا عام ١٩٧١م، من وجوب وجود آلية تخرج انقسام الخلايا السرطانية عن السيطرة، وزيادة الإنزيم الباني في الخلايا السرطانية دون الخلايا الطبيعية تعوض ما يفقد من طول الغطاء الطرفي بالانقسام فلا يتناقص طوله وبالتالي تنقسم الخلايا السرطانية بلا توقف، وزيادة الإنزيم في الخلايا السرطانية قد أيدتها الأبحاث المتوالية منذ عام ١٩٩٤م إلى اليوم، وهذا معناه إمكانية القضاء على مرض السرطان بوقف نشاط الإنزيم الباني عن طريق عقار مضاد يوقف عمله أو عمل المورث (الجين) المولد له، وإمكانية تأخير الشيخوخة بتعاطيه كعقار؛ أو التداوي بالمورث المولد له.

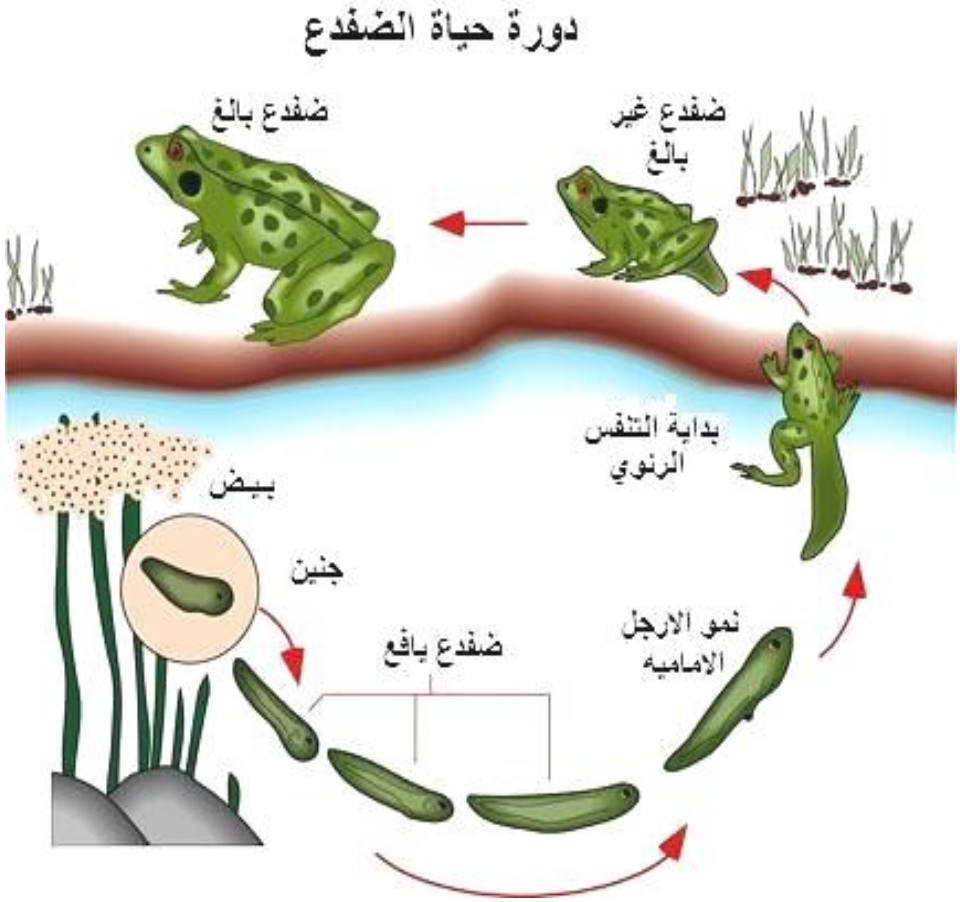

وأما اكتشاف الموت المُبرمج Apoptosis للأعضاء الخلوية وللميتوكوندريا (بطاريات الطاقة داخل الخلية)؛ فقد أضافا مزيدًا من الأدلة على أن الأحداث الحيوية مُقدرة لتسلك سلوكًا حكيمًا لا عن مصادفة، حيث تذوي الأعضاء الخلوية الدقيقة أو الميتوكوندريا عندما تصبح ضارة أو غير ذات فائدة، ومثله اكتشاف ظاهرة الموت المبرمج للخلية؛ فبعض الخلايا تسلك مسلكًا اجتماعيًّا عجيبًا للدفاع عن الجسم عندما يغزوها فيروس فتستدعي عمليات مقدرة موجودة آلياتها بداخلها الأليق أن نسميها تضحية وإيثار لا انتحار تجعلها تموت ومعها الفيروس مدفون في أحضانها، وقد تبين أن ذلك الأسلوب المقدر الفريد يتبعه الجسم للتخلص من الخلايا أو حتى الأنسجة التي أصبحت ضارّة به؛ أو على الأقل غير ذات فائدة، وبالمثل أمكن لأبي ذنيبة التخلص من ذيله عندما يصبح غير ذو فائدة ويتحول إلى ضفدع خفيف الحركة قادر على القفز، وأمكن للشجر أن يسقط أوراقه مبكرًا في الخريف لأنها ستكون غير ذات فائدة في الشتاء وبهذا يوفر ما ستستهلكه من الغذاء، فهل يمكن أن ينسب ذلك السلوك الواعي إلى الخلايا، أم إلى الكائنات نفسها، أم إلى المصادفة، أم هو أحد مظاهر التقدير المبثوث على كل المستويات من حكيم عليم بكل المخلوقات!، إن المصادفة لا يمكن أن تقيم نظامًا ثابتًا أحداثه تتكرر دوما بانتظام، ولا سبيل إذن سوى الإقرار بحكمة الله تعالى وعنايته المتجليتين في كل حين ومكان في أنفسنا وما حولنا، وأما وحدة أصول الموجودات واختصاص كل نوع بتقدير موحد رغم التمايز فشاهد عيان على قدرة الله تعالى ووحدانيته.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} فيه خمسة أوجه؛ أحدها: قضى أسباب الموت والحياة، الثاني: خلق الموت والحياة؛ كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمَوتَ وَالْحَيَاةَ} قاله ابن بحر؛ الثالث: أن يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب، الرابع: أمات بالمعصية وأحيا بالطاعة، الخامس: أمات الآباء وأحيا الأبناء، ويحتمل سادساً: أن يريد به أنام وأيقظ"[١٣٤٣]، "{الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ} يعني الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة، قال قتادة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله أذل بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء، الثاني: أنه خلق الموت والحياة جسمين، فخلق الموت في صورة كبش أملح، وخلق الحياة في صورة فرس (أنثى بلقاء)، وهذا مأثور؛ حكاه الكلبي ومقاتل، {لِيَبْلُوكم أيُّكم أَحْسَنُ عَمَلاً} فيه خمسة تأويلات؛ أحدها: أيكم أتم عقلاً؛ قاله قتادة، الثاني: أيكم أزهد في الدنيا؛ قاله سفيان، الثالث: أيكم أورع عن محارم الله وأسرع إلى طاعة الله؛ وهذا قول مأثور، الرابع: أيكم للموت أكثر ذِكْراً وله أحسن استعداداً ومنه أشد خوفاً وحذراً؛ قاله السدي، الخامس: أيكم أعرف بعيوب نفسه، ويُحتمل سادساً: أيكم أرضى بقضائه وأصبر على بلائه"[١٣٤٤].

وقال المراغي: "(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ): أي الذي قدر الموت وقدر الحياة؛ وجعل لكل منهما مواقيت"[١٣٤٥].

وقال ابن عاشور: "(وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) ٥٣النجم:٤٣و٤٤، انْتَقَلَ.. إِلَى الْعِبْرَةِ بِانْفِرَادِهِ تَعَالَى بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، وَهُمَا حَالَتَانِ لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ عَنْ إِحْدَاهِمَا، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ أَوَّلُ وُجُودِهِ نُطْفَةٌ مَيْتَةٌ ثُمَّ عَلَقَةٌ ثُمَّ مُضْغَةٌ؛ قِطْعَةٌ مَيْتَةٌ وَإِنْ كَانَتْ فِيهَا مَادَّةُ الْحَيَاةِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَبْرُزْ مَظَاهِرُ الْحَيَاةِ فِيهَا، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرّوح فَيصير إِلَى حَيَاةٍ وَذَلِكَ بِتَدْبِيرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ، وَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ هُوَ الْعِبْرَةُ بِالْإِمَاتَةِ لِأَنَّهَا أَوْضَحُ عِبْرَةً وَلِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ: (وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ) الجاثية:٢٤، وَأَنَّ عَطْفَ وَأَحْيا تَتْمِيمٌ وَاحْتِرَاسٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ) الْملك:٢، وَلِذَلِكَ قُدِّمَ (أَماتَ) عَلَى (أَحْيا)، مَعَ الرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي: (أَضْحَكَ وَأَبْكى)"[١٣٤٦].

[١٣٤٣] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٥\ ٤٠٤).

[١٣٤٤] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٦\ ٥٠).

[١٣٤٥] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٢٩\ ٥).

[١٣٤٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٧\ ١٤٤).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Biology

علم الأحياء

المَوْضُوع Subject

Apoptosis

الموت المبرمج

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ ٥٦الواقعة:٦٠.**
- **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ ٦٧الملك:٢.**
- **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢البقرة:٢٨.**
- **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ٣٩الزمر:٣٠.**
- **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ٣آل عمران:١٨٥.**
- **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٥.**
- **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٥٧.**
- **﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ٥٣النجم:٤٤.**
- **﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ١٩مريم:٦٧.**
- **﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢٨القصص:٨٨.**
- **﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ ٣٦يس:٣٣.**

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ
وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾
٦٧الملك:٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ٦٧الملك:٥.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾، ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

And verily, We have adorned the lowest heaven (of the six universal heavens) **with flaming lamps-like** (meteorites)**, and We made them to stone passing Satan-like people.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦؛ لفظ (السَّمَاءَ) بمعنى حيز مميز في العلاء، ولفظ (الْكَوَاكِبِ) تخصيص بالأفق المميز بالكواكب دون تجمعات النجوم المتزايدة حجما مع البعد، ولفظ (الدنيا) بمعنى الأدنى لما فوقها، فالمعنى إذن أن حيز الكواكب المعروف بالنظام الشمسي هو الأدنى في آفاق التكوين دون بروج النجوم؛ وهو الواقع بالفعل، وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:١٢، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ٦٧الملك:٥؛ التعبير بالمصباح من باب التمثيل بجامع الالتهاب والإضاءة، والضمير في (وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ) عائد على المصابيح؛ والذي تُرجم به الشياطين هو الشهب بصريح قوله تعالى: (إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ)، وقوله تعالى: (إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ)، وقوله تعالى: (فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً)؛ فوجب حمل مصابيح على الشهب.

وتنصرف دلالة لفظ (السماء) في القرآن الكريم إلى موجودات تميزها قرائن السياق؛ لأن أصل دلالته وجود في العلاء، ولذا قالوا: "السماء هي كل ما علاك فأظلك"، فقد يعني سقف البيت أو السحاب أو الجو أو ما يصطلح عليه باسم الفضاء، وروده بالجمع بلفظ (سماوات) يدل لغة على طبقية التكوين، فيعني تميز الموصوف سواء الفضاء أو الجو إلى طبقات، وقد وصف الكون بدقة متناهية في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى. الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ طه: ٤-٦، فلفظ (الْعُلَى) جمع العليا تأنيث الأعلى، فأفاد وجود غيرها تماثلها في طبقية التكوين، وهو ما يتفق مع تشكل الفضاء لطبقات تميزها بروج الأجرام وتشكل الجو بالمثل طبقات، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ. لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ. دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ الصافات: ٦-١٠؛ لفظ (الدنيا) تأنيث (الأدنى) وهو مشتق إما من الدنو أو الدناءة، ولذا يدل تعبير (السماء الدنيا) هنا على الطبقة الأقرب أو الأسفل من آفاق الأجرام، والمعنى أنه خلال الهروب بسرعة متزايدة نحو الفضاء الأقرب المميز بالكواكب يمر العابر بمنطقة الرجم بالشهب.

والشهب ظاهرة جوية تصحب سقوط النيازك Meteors، ووفق الموسوعة البريطانية قد تطلق التسمية على الأحجار النيزكية ذاتها، وهي تمثل بالفعل خطرا حقيقيا على كل عابر متجاوز الحدود المعهودة إذا توانى، وتتواجد بكثرة كتل حجرية متفاوتة الأحجام بين المريخ والمشتري في حزام الكويكبات، وتحيط بالنظام الشمسي كله من كل جانب هالة من المذنبات Comets (هالة أوورت Oort Halo)، وهي تمثل حاجزا صعبا وخطرا داهما يترصد لكل من يحاول تجاوز الحدود، ويصلح لفظ (شياطين) أن يوصف به البشر إذا تجاوزوا الحدود المعهود تواجدهم فيها؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنّ﴾ الأنعام:١١٢، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىَ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوَاْ إِنّا مَعَكُمْ﴾ البقرة:١٤؛ الوصف بشياطينهم عائد على كبرائهم بجامع العتو والمكر والدهاء بغير المألوف، قال ابن عباس: "(أي) كهنتهم ورؤسائهم"، وعن ابن مسعود: "شياطينهم.. رؤوسهم في الكُفر"، وقال السمعاني: (والشيطان كل عات متمرد من الجن والإنس. وأصله البعد والامتداد، يقال بئر شطون أي بعيد العمق والقعر..، وسمي الشيطان شيطانا لامتداده في الشر وبعده عن الخير".

وتمييز الفضاء الأقرب للأرض بالكواكب Planets يتفق مع المعرفة بأنها بالفعل دون بروج النجوم Stars التي تتراكب في آفاق عظيمة الأبعاد تميزها عناقيد أو تجمعات Constellation أقربها مجموعات نجومية صغيرة، ضمن حشود أكبر؛ تشكل المجرة Galaxy، ثم المجموعة المجرية المحلية، تعلوها مجرات أعظم Super-cluster، دون أشباه النجوم Quasars؛ حيث يعجز البصر عن إدراك أي شيء يعدوها لانحساره مبتعدا؛ بنفس سرعة الضوء الذي يصدره.

وفي قوله تعالى: ﴿وَزَيّنّا السّمَاءَ الدّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً﴾ فصلت: ١٢، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيّنّا السّمَاءَ الدّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لّلشّيَاطِينِ﴾ الملك: ٥؛ فسرت (المصابيح) التي جعلت رجوما للشياطين بالنجوم فشاع القول بأن كل الكون الفيزيائي هو السماء الدنيا فحسب والسماوات الست الأعلى غيب محجوب ولا يمكن مشاهدتها، وهو قول يُعارض صريح الكتاب العزيز بأن ما تُرجم به الشياطين هو الشهب في الجو لا النجوم الثوابت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيّنّاهَا لِلنّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلّ شَيْطَانٍ رّجِيمٍ إِلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مّبِينٌ﴾ الحجر: ١٦-١٨، وقال تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلّ جَانِبٍ. دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلاّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ الصافات: ٨-١٠، وقال تعالى: ﴿وَأَنّا لَمَسْنَا السّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً. وَأَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رّصَداً﴾ الجن: ٨و٩، قال الخازن: "ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب"، وقال ابن عاشور: "والذي جُعل رُجوماً للشياطين هو بعض النجوم التي تبدو مضيئة ثم تلوح منقَضَّة وتسمى الشُهُب"، وقال الرازي: "هذه الرجوم إنما تحدث بالقرب من الأرض بدليل أنا نشاهد حركتها بالعين..، (و) لو كانت هذه الشهب هي تلك الكواكب الحقيقية لوجب أن يظهر نقصان كثير من أعداد كواكب السماء، ومعلوم أن هذا المعنى لم يوجد البتة؛ فإن أعداد كواكب السماء باقية في حالة واحدة من غير تغير البتة..، (و) هذه الشهب جنس آخر غير الكواكب..، فالضمير في قوله (وجعلناها) عائد إلى المصابيح، فوجب أن تكون تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها..، (إذن) هذه الشهب غير تلك (النجوم الثوابت) الباقية..، (و) كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض؛ إلا أن تلك المصابيح منها ما تبقى على وجه الدهر آمنة من التغير ..، ومنها ما لا يكون كذلك، وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوماً للشياطين وبهذا التقدير فقد زال الإشكال".

وقال الألوسي: "قولهم رُمِيَ بالنجم يُحتمل أن يكون مبنيًّا على الظاهر للرائي..، وهذه الشهب ليست هي (النجوم) الثوابت وإلا لظهر نقصان كثير في أعدادها..، ولا يأباه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيّنّا السّمَاءَ الدّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لّلشّيَاطِينِ﴾؛ حيث أفاد أن تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها؛ لأنا نقول كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض..، والشهب من هذا القسم وحينئذ يزول الإشكال"، فالقول إذن بأن الكون الممكن النظر كله هو السماء الدنيا تعجل في اعتماد حمل المصابيح على النجوم في بعض المنقول، ومرد الشبهة أن الشهب تسمى وفق الرؤية الظاهرية بالنجوم المارقة أو الهاوية Shooting or Falling Stars؛ ولا تعني حقيقة النجوم الثوابت.

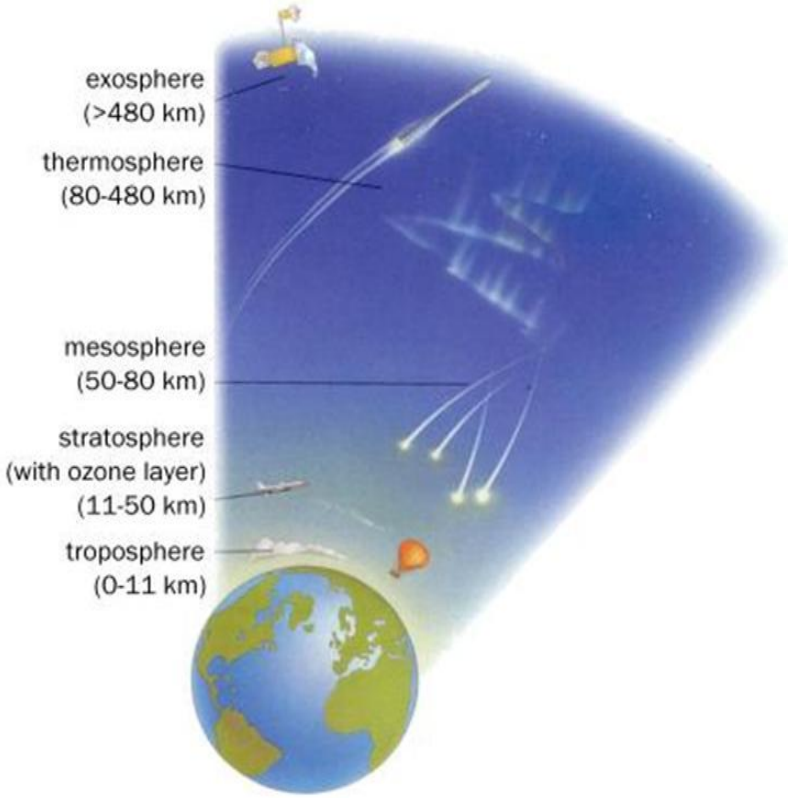

وسماوات الكون المميزة بتنوعات البروج النجومية كلها ممكنة النظر والإدراك بنص الكتاب الكريم؛ قال تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يونس: ١٠١، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: ١٨٥، وطرائق الأجرام الفلكية أو الأحياز والآفاق الكونية الشفافة فوقنا تميزها بالفعل بروج النجوم التي تنتظم في وحدات متزايدة من لبنات التكوين الممكنة الرؤية، قال النحاس: "السماوات مرئية"، وقال الألوسي: "ظواهر الآيات والأخبار ناطقة بأن السماء مرئية"، و"أجمعوا أن السماوات التي هي الأفلاك لا تُرى لأنها شفافة..؛ لا تحجب (الأدنى) الأبصار عن رؤية ما وراءها من الكواكب"، وقال ابن عاشور: "قد عدَّ الله تعالى السماوات سبعًا؛ وهو أعلم بها وبالمراد منها، إلا أن الظاهر الذي دلت عليه القواعد العلمية أن المراد من السماوات الأجرام العلوية العظيمة"، وبهذا يسقط القول المعارض لصريح الكتاب العزيز؛ بأن كل سماوات الكون الفلكية المرصودة هي السماء الدنيا فحسب.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا} الْقُرْبَى إلَى الْأَرْض {بِمَصَابِيح} بِنُجُومٍ {وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا} مَرَاجِم {لِلشَّيَاطِينِ} إذَا اسْتَرَقُوا السَّمْع بِأَنْ يَنْفَصِل شِهَاب عَنْ الْكَوْكَب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجني.. لَا أَنَّ الْكَوْكَب يَزُول عَنْ مَكَانه"[١٣٤٧].

وقال ابن جزي: "(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ)، السماء الدنيا هي القريبة منا، والمصابيح يُراد بها النجوم، فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا؛ فلا إشكال، لأنها ظاهرة فيها لنا، ويُحتمل أن يُريد أنه زيّن السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها، على أن القول بموضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يرد في الشريعة، (وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ) أي جعلنا منها رجوما، لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين، فهو كقولك: أكرمت بني فلان إذا أكرمت بعضهم، والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به، قال الزمخشري: معنى كون النجوم رجوما للشياطين؛ والشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء، فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب، لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها لأنها ثابتة في الفلك، قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء زينة السماء ورجوم الشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر"[١٣٤٨].

وقال الألوسي: "نحن لا نلتزم أن الكوكب نفسه يتبع الشيطان فيحرقه، والشهاب ليس نصا في الكوكب لما علمت ما قيل في معناه وإن قيل: إنه بنفسه ينقض ويرمي الشيطان ثم يعود إلى مكان لظاهر إطلاق الرجوم على النجوم وقولهم رمي بالنجم مثلا، وكذا لا نلتزم القول بأنه ينفصل عن الكوكب شعلة كالقبس الذي يؤخذ من النار فيرمى بها كما قاله غير واحد لنحتاج في الجواب عن السؤال بما تقدم إذ يجوز أن يقال: إنه يؤثر حين كان بإذن الله تعالى هذه الشعلة المسماة بالشهاب ويحرق بها من شاء الله تعالى من الشياطين، وإطلاق الرجوم على النجوم وقولهم: رمي بالنجم يحتمل أن يكون مبينا على الظاهر للرائي كما في قوله تعالى في الشمس: (تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) الكهف:٨٦، وقال الإمام: إن هذه الشهب ليست هي الثوابت المركوزة في الفلك وإلا ظهر نقصان كثير في أعدادها، مع أنه لم يوجد نقصان أصلا، وأيضا إن في جعلها رجوما ما يوجب النقصان في زينة السماء بل هي جنس آخر غيرها يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين، ولا يأباه قوله تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ) الملك:٥؛ حيث أفاد أن تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها لأنا نقول: كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض إلا أن المصابيح منها باقية على وجه الدهر أمنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك والشهاب من هذا القسم وحينئذ يزول الإشكال"[١٣٤٩].

[١٣٤٧] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٧٥٤).

[١٣٤٨] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (٣٩٥\٢).

[١٣٤٩] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (٢٧٢\١٧).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Meteors & Meteorites

الشهب والنيازك

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ٦٧الملك:٥.**
- **﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ ٣٧الصافات:٦-١٠.**
- **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.**
- **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نبِيّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنّ﴾ ٦الأنعام:١١٢.**
- **﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىَ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوَاْ إِنّا مَعَكُمْ﴾ ٢البقرة:١٤.**
- **﴿وَأَنّا لَمَسْنَا السّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً. وَأَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رّصَداً﴾ ٧٢الجن: ٨و٩.**

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٧٠المعارج: ٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ ٧٠المعارج: ١-١٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿تَعْرُجُ﴾، ﴿الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾، ﴿إِلَيْهِ﴾، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

The angels and the Spirit are limping (like the limp; following the universe curvature)**, until the end of which to Him** (by its initial quantity and condition, to cover its span or maximal observable distance)**; in** (at least) **fifty** (cosmic years; by the speed of) **thousand** (lunar) **years per day** (which is the speed of light)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

[١] سعة كونية تفوق الخيال

اعتدنا في حياتنا اليومية قياس المسافات الكبيرة بالميل والكيلومتر؛ لكننا اكتشفنا أن الأبعاد السماوية أكبر من مقاييسنا الأرضية، واتضح بالتدريج أنها أبعاد تفوق الخيال، فاستخدمت وحدة السنة الضوئية لقياس الأبعاد الفلكية، وهي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة أرضية؛ بأكبر سرعة في الكون، والقاعدة استخدام وحدة زمن تُناسب البعد مع أكبر وحدة للسرعة؛ فنقول يبعد القمر أكثر من ثانية ضوئية والشمس أكثر من ثمان دقائق ضوئية؛ وأقرب نجم على بعد أكثر من ٤ سنوات ضوئية وأقرب مجرة وهي المرأة المسلسلة على بعد أكثر من ٢ مليون سنة ضوئية، وحشود التجمعات المجرية العظمى أبعد بكثير؛ وكلما مد الإنسان بصره أبعد بَدَت المجرات العظمى في انحسار مُبتعدة، إلى أن تنعدم الرؤية باستخدام التلسكوبات الضوئية، ومع استخدام التلسكوبات الراديوية امتد بصره أبعد؛ إلى أن كَلَّ بصرُهُ عن المُشاهدة وارتد عاجزًا وهو حسير عند بلوغ سرعة الانحسار نفس سرعة الضوء القادم، وعند أقصى ما يُمكن مُشاهدته كانت بداية تكوين طبقات الأجرام الفلكية على بعد مُذهل يبلغ على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية؛ وفق ما توصل إليه عام ٢٠٠١ روجر كاريل Roger Cayrel وفريقه الدولي من الفلكيين من عدة مراصد بالعالم[١٣٥٠].

وإن شئت التبسيط باستخدام أكبر وحدة زمن في عالمنا وهي مدة دوران الشمس حول مركز المجرة وتسمى السنة الكونية Cosmic Year (حوالي ٢٥٠ مليون سنة)؛ فأبعد مسافة كونية مُمكنة الرصد على الأقل: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء.

[١٣٥٠] Wikipedia World Encyclopedia

وهكذا عاود الإنسان النظر بالعين المُجردة إلى الكون المُمكن النظر؛ فلم يكتشف من آفاق الأجرام السماوية سوى خمس كواكب وبعض تشكيلات النجوم، والكُل مُتماثل الإتقان في التنام تام كأنه بناء بلا شُروخ في الجُدران، ثم استطلع كرتين بوسائل مد البصر، مرة باستخدام التلسكوبات البصرية ومرة أخرى باستخدام التلسكوبات الراديوية؛ إلى أن بلغ أقصى حد وهالته السعة المُذهلة، حيث كَلَّ بصرُهُ عن المُشاهدة وارتد خاسئًا عاجزًا عن الإدراك وهو حسير، وفي القرآن الكريم ترد نبوءة تُطابق تاريخ استطلاع آفاق الكون: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ٦٧الملك:٣و٤.

ومن دقة الحركات الفلكية وانتظامها بلا شذوذ رغم السعة الهائلة؛ يُمكن استخدامها كساعات كونية للقياس، ومسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة حول الأرض الساكنة كما يعُد ويتوهم جميع الناس بمجرد النظر؛ يقطعها الضوء في يوم واحد، وهو صريح النبأ بالمُقدر عنده تعالى في مُلكه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، ومثله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥، و(الْأَمْرَ) وقع مفعولا به فأفاد المأمور به وشمل كل شيء؛ لأنه لا يوجد شيء يخرج عن تدبيره تعالى، وإفراد الأمر يومئ إلى أصل واحد صنع منه القدير كل شيء، تُناظره بالفيزياء المادة الأساسية الأولية؛ كالقطن تُصنع منه كافة المنسوجات، أو القُوة المُفردة التي تولدت عنها القُوى الفيزيائية العاجلة الحركة في انحناء، فوفق التصور العلمي الحالي؛ الفضاء ليس خلاء وإنما مسارات وطرائق مُنحنية، تُجبر الأجرام وحتى الضوء على السير بانحناء، والعُرُوج يتضمن معنى الانحناء كالأعرج يميل في مشيته ويعرُج.

وأقصى بُعد لما يُمكن رصده في الكون؛ الأنسب قياسه بأكبر وحدة زمن في عالمنا، وهي سنة الشمس أو المدة التي تقطعها في مدارها حول مركز المجرة لتتم دورة، فيكون أقصى بُعد كوني على الأقل: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء، أما التعبير عن قيمة سرعة الضوء؛ فبيانه التفصيلي المُؤكد: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥، وأما التعبير عن قيمة أقصى بُعد لما يُمكن رصده؛ فبيانه بإيجاز: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٧٠المعارج:٤، وتنازعت في كلمة (سَنَةٍ) بالتضمين؛ القيمة (ألف سنة في يوم) تعبيرًا عن أقصى سرعة خالية من (مِمَّا تَعُدُّونَ) إيجازًا، والقيمة (خمسين سنة) تعبيرًا عن أقصى وحدة زمن في عالمنا وهي سنة الشمس، والقيمة خمسين سنة كونية تكافئ عمر الكون؛ أي المدة اللازمة ليقطع الضوء أقصى بعد؛ وهذا يعني أن عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة.

[٢] التأصيل الدلالي

في سياق بيان أن كل شيء مأمور؛ أي قائم وفق تدبير لا تصنعه مُصادفة ونظام واحد يشهد بوحدانية الصانع جل وعلا؛ ورد نفس القياس بتفصيل يكشف وجود تقدير ثابت يتعلق بالحد الأعلى للحركة في الكون، يقول تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ السجدة ٥، و(الأمر) المُدَبَّر يستقيم أن يعنى (المأمور) لوروده مفعولا به؛ فيوحد كل شيء في أصل واحد ويجعل الكل مُقدرًا، والانتقال لهيئة مواد الأرض ثم العودة إلى الانتقال الحر في انحناء كالأعرج يوحد القوى والمواد في البنية، ويوجز قصة الكون منذ بدايته؛ ويصور التعبير (إليه) نهايته، بعودة الكل إلى الله تعالى لا إلى غيره؛ بيانا لوحدانيته تعالى وتفرده.

وتأكد ثبات مقدار الحد الكوني الأعلى للانتقال على طول عمر الكون إلى نهايته بورود نفس القياس في القرآن الكريم؛ في سياق الإنذار باقتراب نهاية الكون ودمار الأرض وهلاك أهلها، بعذاب قادم بسرعة قصوى لا تحتاج مزيد استعجال، حيث أن أحد طرفيه (يوم) والآخر (ألف سنة) كذلك، يقول تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنّ يَوْماً عِندَ رَبّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مّمّا تَعُدّونَ﴾ الحج:٤٧، والأصل حمل العدد على ظاهر دلالته الإحصائية؛ لا على مُجرد التكثير أو التقليل إلا بقرينة صارفة، وكما يُمكن حمل الإنذار على تقارب أطراف الكون؛ تُحمل الألف سنة على مسافة السير في اليوم بيانًا لحد سرعة القوى المُعبر عنها فيزيائيًّا بسرعة الضوء، وأما التعبير (عِندَ رَبّكَ) وما يُماثله في القرآن الكريم فلا يعني التحيز؛ وإنما يجعله القياس هنا بمعنى: وفق علمه تعالى في الكون.

وفي سياق الإنذار كذلك بدمار الأرض وهلاك أهلها مع تقارب أطراف الكون وإن بدا حده بعيدًا؛ وردت نفس القيم في قياس أكبر، يُمكن حمله على أقصى بعد؛ يقول تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج:١-١٠، و(الْمَعَارِجِ) جمع لاسم المكان (مَعْرَج)؛ كأدق وصف للآفاق الكونية المُمتدة حيث تسري القُوى بانحناء كمشية الأعرج، والاكتشاف بأن مسارات القوى الفيزيائية مُنحنية دفع الفيزيائيين لإطلاق تعبير الكون المنحني Curved Universe، وفي اللغة: "تعارج: حاكى مشية الأعرج، وعرَّجه ميَّله، وتعرَّج مال، والتعاريج المُنحنيات، والعرجون العذق (حامل التمر) المُعوج"[١٣٥١].

والملائكة والروح رُسل هداية؛ لا تنقطع عن الإبلاغ، إلى أن يعُود كل شيء إلى الله تعالى لا سواه؛ بيانًا لوحدانيته تعالى وتفرُّدُهُ، وهم حضور في قياس مسافة لا يقطعها جسم مادي محدود السرعة في كون مُتغير الأبعاد؛ مما يوافق الحدس بأن الكون يعج بالحياة والعقلاء وأنه عامر بالساجدين الأتقياء، قال طنطاوي جوهري: "أخذ يستأنف مُبينا ارتفاع تلك الدرجات..، فليس المُراد المُدَّة بل (هي تعبير عن) بُعد المَدَى..، وقدم الملائكة (والروح) لأنهم في عالم الأرواح..؛ العالم المُبَرَّأ عن المَادَّة (لأنه)..: لا يُرتقى إلى تلك المعارج (الكونية الشاسعة)؛ إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة"[١٣٥٢]، وقال البيضاوي: "استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها"[١٣٥٣]، وقال البغوي: "(المقدار هو:) المسافة من الأرض إلى (مُنتهى) السماء"[١٣٥٤]، يعني: "إلى منتهى (ما) أمر الله تعالى (به)"[١٣٥٥]، وقال الألوسي: "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها..، والمُراد أنها في غاية البعد والارتفاع"[١٣٥٦]، و"العروج في الدنيا..؛ رُوِي (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا"[١٣٥٧].

[١٣٥١] المعجم الوسيط: ٥٩١\٢.
[١٣٥٢] تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري:ج٢٤ص٢٦٠.
[١٣٥٣] تفسير البيضاوي ج٥ص٣٨٧.
[١٣٥٤] تفسير البغوي ج٣ص٤٩٨.
[١٣٥٥] تفسير البغوي ج٤ص٣٩٢.
[١٣٥٦] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٨.
[١٣٥٧] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٧.

وتتضافر الأنباء لتجزم بأن السماوات حُبلى باليوم الأخير، وأن قُوى الدمار آتية لتطرق الأبواب بأقصى سرعة مُقدرة؛ وتصل بغتة لا يسبقها نذير: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٤٧محمد:١٨، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ٧الأعراف:١٨٧، ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ١٦النحل:١، فلا يحتاج إذن مزيد استعجال مع أبلغ قيمة للسرعة في الكون قدرها القدير؛ وأعلنها النبأ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، إنه إذن حدث مُروع مهول ووعد مُحتم تحققه؛ قَدَر مقدور لا سبيل لتجنُّبه، والقيمة الواحدة الثابتة لسرعة القُدُوم تنطق بوحدانية القدير.

وكلما نظرت بعيدًا رجعت بالزمن إلى الوراء؛ حتى يستنفذ كل عمر الكون عند لحظة مولده، ولا يعُد بالإمكان مزيد مشاهدة، فالطرف البعيد إذن للكون محجوب نراه بعيدًا وقد يكون قريبًا، وفي سابقة لا نظير لها في أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ تُقَاس أبعد مسافة مُمْكِنَة الرصد بأكبر سرعة وأكبر وحدة زمن فلكية في النبأ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠، والإيجَازُ اعتمادًا على السياق أو سبق بيان عماد بلاغة القرآن الكريم، والقيمة (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) جَمَعَت بإيجاز وإجمال بين: (ألف سنة) و(خمسين سنة) في سياق بيان أكبر وحدة زمن في عالمنا؛ وهي مدة دورة الشمس في مدارها حول مركز المجرة، والقيمة (ألف سنة) ورد بالتفصيل أنها مبنية على سير القمر في منازله النجمية، وإذا ضُمَّت إلى (يوم) عَبَّرَت بإيجاز عن قيمة أكبر سرعة مُقدرة للانتقال في الكون؛ خاصة أنها بنفس النَّسَق: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ السجدة:٥.

وتُقاس الأبعاد فلكيا بأقصى سرعة ووحدة زمن مُناسبة، فنقول: يبعد القمر حوالي ثانية ضوئية، وتبعد الشمس أكثر من ٨ دقائق ضوئية، ويبعد أقرب نجم أكثر من ٤ سنوات ضوئية، فإذا كانت القيمة (ألف سنة في يوم) تعبير بإيجاز عن أقصى سرعة؛ تكون القيمة (خمسين سنة) طبقًا لسياق أكبر وحدة زمن في عالمنا لقياس أبعد ما يُمكن أن يبلغه نظر إنسان في الكون؛ فأكبر وحدة زمن فلكيا هي سنة الشمس وهي مدة دورتها في مدار يخُصُّها.

وهكذا قبل أن تُقَاس المسافات الفلكية بسرعة الضوء كأكبر سرعة مع وحدة زمن تُناسب البعد؛ ترد القيمة (خمسين سنة) في سياق بيان أكبر مسافة كونية، ولم يكُن للعرب زمن الوحي ولا سواهم معرفة بها، لتعبر بالتضمين والتنازع في كلمة (سنة)؛ عن أكبر وحدة زمن في عالمنا تُمَاثِل سنة الأرض، وهي: سنة الشمس؛ أي مدة دورتها حول مركز المجرة، وتُسمى: السنة المجرية Galactic Year أو السنة الكونية Cosmic Year[١٣٥٨]، وهي حوالي: ٢٥٠ مليون سنة أرضية، وهذا أقصى ما يُمكن أن تدل عليه كلمة (سنة) في عالمنا المنظور من الأرض، والنتيجة أن أبعد مسافة مُمكنة الرصد في الكون المُمكن المشاهدة: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء، ويحتاج الضوء لعمر الكون ليقطع أبعد مسافة، لذا عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة؛ وهي نفس النتيجة بالدراسات الفلكية الحديثة.

[١٣٥٨] Wikipedia; International World Encyclopedia.

وفي سياق بيان تقدير كل شيء؛ يقول العلي القدير: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ القمر:٤٩و٥٠، وجاءت الكلمة المُفردة (أَمْرُنَا) نظير (كُلَّ شَيْءٍ) فأفادت أن الأصل وأساس بنية كل شيء أمر واحد، يُقابله في الفيزياء: مادة أولية خام كانت تُسمى الهيولي، صنع منها القدير كل شيء؛ كالقطن تُصنع منه شتى الملابس، واللمح: وميض ضوء بالكاد تلمحه العين لسرعته، قال ابن فارس: "اللمح أصل يدل على لمع شيء"[١٣٥٩]، وقال ابن سيده: "لَمَعَ الشيءُ: أَضَاء"[١٣٦٠]، وفي بيان وجه التشبيه بومضة الضوء؛ قال الألوسي: "الغرض من التشبيه بيان سرعته"[١٣٦١]، وقال أبو حيان: "لَمَّا كَانَ أَسْرَعُ الْأَحْوَالِ وَالْحَوَادِثِ فِي عُقُولِنَا هُوَ لَمْحُ الْبَصَرِ ذَكَرَهُ.. بِكَوْنِهِ مِثْلَ لَمْحِ الْبَصَرِ فِي السُّرْعَةِ"[١٣٦٢]، "تَشْبِيهٌ بِأَعْجَلِ مَا يُحَسُّ"[١٣٦٣]، وقال الرازي: "اللَّمْحُ بِالْبَصَرِ مَعْنَاهُ (ضوء) الْبَرْقُ يَخْطَفُ بِالْبَصَرِ وَيَمُرُّ بِهِ.. وَذَلِكَ فِي غَايَةِ السُّرْعَةِ..؛ (بل) ونهاية السرعة"[١٣٦٤]، وسرعة الأمر إذن كسرعة الضوء، قال الجزائري: "قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}؛ يُخبر تعالى.. عن علمه.. بسرعة كسرعة لمح البصر"[١٣٦٥]، والتعبير عن كل شيء بلفظ مُفرد (الأمر) يوافق أن الأصل عند خلق الكون مادة أساسية واحدة؛ تنويهًا بالأمر بكلمة (كُن)، والمُوجه للغير موجود كأنه موجود؛ بيانًا تصويريًّا للمشيئة العلية النافذة والقدرة المُطلقة المُبدعة.

[١٣٥٩] أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٥\ ٢٠٩).

[١٣٦٠] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (٤\ ٣٨٤).

[١٣٦١] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧\ ٤٣٥).

[١٣٦٢] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٦\ ٥٧٣).

[١٣٦٣] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٠\ ٤٩).

[١٣٦٤] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٩\ ٣٣٠).

[١٣٦٥] جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (٥\ ٢١٩).

وفي النبأ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ قياس لقيمة سرعة (الْأَمْر)؛ بياناً لتقدير واحد ثابت على طول عمر الكون يقطع بوحدانية القدير، وثبات قيمته دومًا يؤكده: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، قال الأبياري: "فإن يوما واحدا عنده (في تقديره تعالى في مُلكه)؛ يُماثل ألف سنة مما (تَعُدُّون): تُقَدِّرُون وتَحْسَبُون"[١٣٦٦].

وقد كانت السنة تُعرف في بيئة العرب بسير القمر في ١٢ دورة حول الأرض الساكنة؛ وفق ما كانوا يعدون بمجرد النظر طبقًا لنظام مركزية الأرض Geocentric Model، ويقتضي قياس قيمة سرعة (الأمر) إذن والمُماثلة لقيمة سرعة الضوء أن: المسافة التي يقطعها القمر في ١٢ ألف دورة يقطعها الضوء في يوم باعتبار سكون الأرض، قال ابن عباس أن القياس: "مِقْدَار سَيْر الأَمْر"[١٣٦٧]، و: "لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ"[١٣٦٨]،
و"عَنْ قَتَادَةَ؛ (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)؛ يَقُولُ: مِقْدَارُ مَسِيرِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَلْفُ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ"[١٣٦٩]، والمعنى: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ"[١٣٧٠]، و"الشَّمْسِ فِي طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا مِنَ الطُّلُوعِ فِي يَوْمٍ؛ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ"[١٣٧١]، "لِسُرْعَةِ (الأمر).. لِأَنَّهُ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ"[١٣٧٢].

[١٣٦٦] إبراهيم بن إسماعيل الأبياري؛ الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب؛ ١٤٠٥هـ (١٠\ ٣٥٨).
[١٣٦٧] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٥\ ٢٧٨).
[١٣٦٨] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤\ ٨٧).
[١٣٦٩] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٨\ ٥٩٢).
[١٣٧٠] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٤\ ٨٧).
[١٣٧١] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١٤\ ٢٨٦).
[١٣٧٢] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (٨\ ٤٣١).

وقال الرازي: "اعْلَمْ أَنَّ السَّنَةَ عِنْدَ الْعَرَبِ عِبَارَةٌ عَنِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ الْقَمَرِيَّةِ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ) ٩التوبة:٣٦}، وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) ١٠يونس:٥، فَجَعَلَ تَقْدِيرَ الْقَمَرِ بِالْمَنَازِلِ عِلَّةً لِلسِّنِينَ وَالْحِسَابِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتِ السَّنَةُ مُعَلَّقَةً بِسَيْرِ الْقَمَرِ، وَأَيْضًا قَالَ تَعَالَى: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) ٢الْبَقَرَة:١٨٩"[١٣٧٣]، وفي "قَوْلُهُ: (وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ)..؛ الضَّمِيرُ (يرجع ابتداءً) إِلَى الْقَمَرِ.. لِأَنَّ بِسَيْرِ الْقَمَرِ تُعْرَفُ الشُّهُورُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشُّهُورَ الْمُعْتَبَرَةَ فِي الشَّرِيعَةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى رُؤْيَةِ الْأَهِلَّةِ، وَالسَّنَةُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي الشَّرِيعَةِ هِيَ السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ"[١٣٧٤]، فالسرعة إذن في الكون مُقدرة، ولأن سرعة الأمر كسرعة الضوء؛ إذن سرعة الضوء مسيرة ألف سنة قمرية في يوم واحد.

والإصرار في القياس على جعل معيار حركة القمر مما كانوا يَعُدون بمجرد النظر؛ يتفق مع المعرفة حديثًا بأنها نسبية، والقياس يتطلب أن تكون وفق ما كانوا يظنون من سكون حركة الأرض والقمر حول الشمس؛ فتُصبح قيم حركته مُجردة وثابتة، فلا يُدرك أنه يدور مع الأرض حول الشمس إلا مُراقب خارج النظام الشمسي، والناظر بالعين المجردة لا يُدرك أن بُعده يتغير شهريا بنسبة حوالي: ١١% من البعد الوسطي؛ وكذلك سرعته، فهي بالنسبة إليه مُستبعدة، وإذا استبعدت وأجري الحساب وفق ما كانوا يعُدون تُطابق النتيجة قيمة سرعة الضوء؛ وهي حوالي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية، والإصرار إذن على تجريد حركة القمر حول الأرض من نسبة زائدة؛ لا بد من تضمُّنُه حكمة باعتبارها زيادة ظاهرية، فهم كانوا يحسبون الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس والقمر يدور حولها فحسب؛ كما لو كانا في نظام معزول عن أي تأثير خارجي، وبهذا الاعتبار تُصبح حركة القمر كأنها منسوبة لنجم بعيد ثابت فتتحقق الدورة الحقيقية المُجردة.

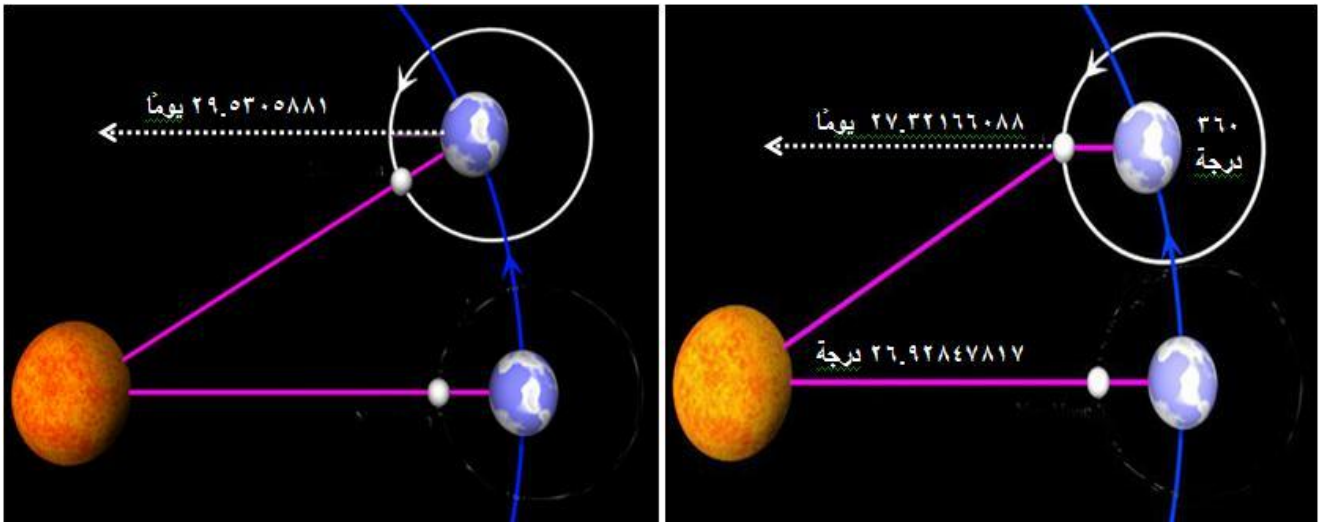

ومعلوم فلكيًّا أن القمر يتم دورته بالنسبة للنجوم Sidereal Month في: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا، بينما الشهر القمري Synodic Month: ٢٩,٥٣٠٥٨٨١ يومًا، والزيادة ناتجة عن تحرك الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها، واليوم بالمثل بالنسبة للنجوم: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية، والزيادة كذلك ناتجة كذلك عن تحرك الأرض أثناء حركته حولها.

[١٣٧٣] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٦\ ٤٠).
[١٣٧٤] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٧\ ٢٠٩).

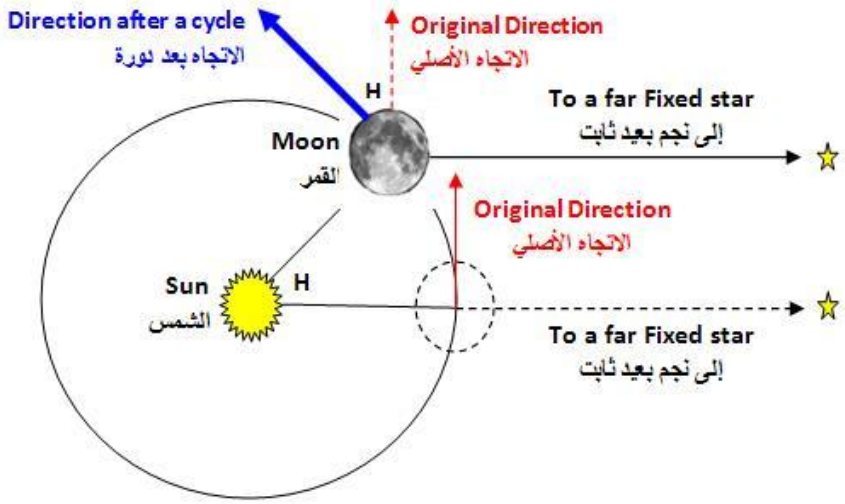

ومعلوم فيزيائيًّا أن جميع قوانين حركة الأجسام؛ لا تكون ثابتة إلا في نظام معزول عن التأثيرات الخارجية، وأن أي تأثير خارجي على حركة جسم يُكسبه تسارع Acceleration؛ ينعكس إما على تغير سرعته أو اتجاهه، وبالنسبة للنجوم يكتسب القمر كل دورة حول الأرض زاوية حول الشمس: ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي: ٢٧) درجة[١٣٧٥]، وتغير اتجاهه إذن بالنسبة لنجم بعيد ثابت كل دورة حول الأرض يعني اكتساب قيم حركته المرصُودة فلكيًّا نسبة تسارع، وبتحليل مُركبة مُتوسط سرعته المدارية إذن في الاتجاه الأصلي بعد دورة حول الأرض تتعين نسبة سرعته المُجردة[١٣٧٦]: ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣[١٣٧٧]؛ حوالي: ٨٩% من متوسط سرعته المدارية، والنسبة المُتبقية: ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧ (حوالي ١١%)؛ هي النسبة التي تجعل مداره بيضاوي Ellipse، أي ضعف قيمة نقصان الاستدارة Eccentricity (e)؛ حوالي: ٠,٠٥٥، فهي إذن تُمثل الزيادة الظاهرية نتيجة حركته مع الأرض حول الشمس، حيث تُكافئ النسبة (2e) التي تجعل مداره بيضاوي، وتُكافئ النسبة التي ينبغي استبعادها لتتحقق دورته الحقيقية المُجردة؛ كما لو كانت الأرض ساكنة كما يعدون، وإذن الشرط المُذهل: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ قد أوجز المعايير الفلكية والفيزيائية لإقامة علاقة ثابتة منذ نشأة النظام الأرض قمري، وبذلك تتحقق المساواة بين المسافة التي يقطعها الضوء في يوم والمسافة التي يقطعها القمر بحركته المُجردة في ألف سنة؛ أي أن سرعة الضوء غير لحظية وإنما مُقدرة وقيمتها دومًا ثابتة؛ ولا تتجاوز في يوم مسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة.

قال النابلسي: "القرآنَ يُخاطِبُ أناساً يعتمدون السَّنَةَ القمَريةَ، حيث إنّ القمرَ يدورُ حولَ الأرضِ كلَّ شهرٍ دورةً..، (وقد) عرفنا المسافةَ التي يقطعُها القمرُ منَ الكيلومترات في رحلته حول الأرض في العامِ، ولو ضربناها في ألفٍ لعرَفْنا ما يقطعُه القمرُ في رحلتِه حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ..، (و) القمرَ يقطعُ في ألفِ عامٍ ما يقطعه الضوءُ في يوم واحدٍ، بدليلِ أنّنا لو قَسمنا ما يقطعه القمرُ في رحلته حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ على ثواني اليومِ؛ لكانت هذه النتيجةُ هي سرعة الضوء في الثانية، وهي مائتان وتسعة وتسعون ألفاً وسبعمائة واثنانِ وتسعونَ كيلومتراً ونصف كيلومتر؛ وهذه النتيجةُ تتفقُ تمامًا مع سرعةِ الضوءِ..، مع العلمِ أنّ سرعةَ الضوءِ هي أهمُّ قانونٍ عرفتهُ البشريةُ في القرنِ العشرين، وهذه السرعةُ هي أعلى سرعةٍ في الكون..، (وباختصار:) المسافةَ التي يقطعُها القمرُ في مدارِه الخاص حولَ الأرضِ في ألفِ سنةٍ قمريةٍ؛ تساوِي المسافةَ التي يقطعُها الضوءُ في يومٍ أرضيٍّ واحدٍ"[١٣٧٨].

[١٣٧٥] السنة النجمية: ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يوما، إذن الزاوية التي تغير اتجاه القمر بالنسبة لنجم بعيد كل دورة = (شهر نجمي\سنة نجمية) × ٣٦٠ = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي ٢٧) درجة.

[١٣٧٦] أ.د. منصور محمد حسب النبي (رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس)؛ الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار الآفاق العلمية بالقاهرة؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ص١٠٦).

[١٣٧٧] جيب تمام (جتا) ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ = ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣.

[١٣٧٨] محمد راتب النابلسي؛ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١٢ \ ٢٢).

وباختصار: شرط القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ المذكور بإصرار لوصف الألف سنة، عائد على معنى الألف سنة في السياق، قال القرطبي: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ فِي الْمَسَافَةِ أَلْفَ سَنَةٍ.. (أي) لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ"[١٣٧٩]، وقال القاسمي: "ألف سنة من سنيكم"[١٣٨٠]، وقال أبو حيان: "(و) السَّنَةَ الْمُعْتَبَرَةَ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ هِيَ السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ، وَهَذَا الْحُكْمُ فِي الْقُرْآنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٠يونس:٥"[١٣٨١]، والشرط: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ يفرض حساب حركة القمر وفق ما يعدون مُستبعدين حركته حول الشمس ونسبة تغير بعده (2e) التي تجعل مداره بيضاوي، وباستبعادها يتحقق القياس بالفعل في نظام حسابي افتراضي في معادلة كلا طرفيها في نظام معزول، وبالتالي تظل العلاقة ثابتة بين المسافة التي يقطعها الضوء في يوم والتي يقطعها القمر في مداره بسرعته المجردة.

قال ابن عجيبة: "إن سرعة.. أكثر من سرعة..، كما يقول القائل: من موضع كذا إلى كذا مسيرة شهر للفارس وشهرين للراجل؛ وعليه يخرج قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)"[١٣٨٢].

والسرعة الوسطية للقمر حوالي: ١,٠٢٣ كما ثانية[١٣٨٣]، والقيمة: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كما ثانية تُحقق قيمة سرعة الضوء المُعتمدة عالميًا منذ عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية[١٣٨٤]؛ حيثُ أن مسافة ألف سنة بسرعة القمر المُجردة بالنسبة للنجوم = (١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ × ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ × ٨٦٤٠٠) ×(١٠٠٠×١٢) ×(٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣) كم = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم، واليوم بالنسبة للنجوم = ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ إذن قيمة سرعة الضوء = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كما ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية = ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية، وهي نفس القيمة المُعتمدة فيزيائيًا، بينما القيمة التقريبية المُستخدمة عمليًا في القياسات الفلكية هي: ٣٠٠ ألف كما ثانية.

قال الألوسي: "وإن لم تبعُد هذه السُّرعة.. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء؛ وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير"[١٣٨٥]، وقال محمود شكري حفيد الألوسي: "(وإن) من (النجوم).. مَا لَا يصل نُورَهُ إِلَى الأَرْض فِي مئة سنة بل أَكثر؛ مَعَ شِدَّة سُرعَة الضَّوْء"[١٣٨٦]، ولم يكن لبشر حين نزل القرآن الكريم أن يُدْرِك أن سرعة الضوء لا نهائية ليجازف مُتَحَدِّيًا ويجعل سرعة الانتقال في الكون محدودة؛ بل ويقدرها بسير القمر أقرب الجيران وأنيس العرب؛ حتى أنهم جعلوا موعد الهلال أساس تقدير السنة، قال ناصر مكارم: "هذا يدلّ أنّ تعابير القرآن إلى أيّ مدى عميقة وذات معنى غزير، وفي طيّات تعابيره حقائق كامنة؛ إذا لم يُقَدَّر لها أن تُعرف في عصر نزولها فإنّها تتجلّى بمرور الزمان"[١٣٨٧].

وقد صاغ ماكس بلانك أقل مسافة لموجة (١٠قوة-٣٨ كم) وأقل زمن لحدوثها (١٠قوة-٤٣ ثانية)؛ باعتبار سرعة الضوء ثابتة منذ بدء الخلق (١٠قوة٥ كما ثانية)، واعتبرت تلك خصائص اللبنة الأساسية الواحدة للكون كله في المفهوم التوحيدي الحديث مثل فكرة الوتر الفائق، وخطى أينشتاين خطوة ضخمة بتوحيد المادة والطاقة بنفس سرعة الضوء ثابتة القيمة ($E = mc^2$)، فإذن قيمة سرعة الضوء هي المعيار لتحول القوى إلى مواد لتشيد الذرات والمجرات؛ وهي الحد الأعلى للانتقال في الكون، قال القاسمي: "﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾.. لا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها.. ما عنده تعالى من المقدار"[١٣٨٨]، وثبات التقدير بسرعة واحدة ثابتة في الكون كله وعلى طول تاريخه؛ برهان ساطع يشهد للفطين بوحدانية المُبدع القدير.

[١٣٧٩] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١٤\ ٨٧).

[١٣٨٠] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٧\ ٢٥٣).

[١٣٨١] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠ هـ (٥\ ٤١٤).

[١٣٨٢] العباس أحمد بن عجيبة الحسني النطواني المتوفى سنة ١٢٦٦هـ؛ تفسير ابن عجيبة البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المكتبة الشاملة (١٤\ ٣٨٧).

[١٣٨٣] Laros Astronomy, p.142.

[١٣٨٤] Oxford Encyclopaedia, p316.

[١٣٨٥] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١١٥\ ٦٥).

[١٣٨٦] أبو المعالي محمود شكري الألوسي؛ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي لبنان، الطبعة الثانية؛ ١٣٩١هـ- ١٩٧١م (١\ ٤١).

[١٣٨٧] نَاصِر مَكارم الشِيرازي؛ الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الموقع الرسمي للمؤلف (١١٧\ ٢٧٣).

[١٣٨٨] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٧\ ٢٥٢).

الوظائف الدلالية للشرط (مِمَّا تَعُدُّونَ):

في القياس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، النسبة للعرب تجعل السنة بحركة القمر حول الأرض ليتم ١٢ دورة ظاهرية على ما كانوا يعهدون، وشرط تحقق القياس (مِمَّا تَعُدُّونَ) عائد على معنى (أَلْفَ سَنَةٍ) في السياق؛ وهو قطع القمر لمسافة بحركته الفلكية، والتعبير (تَعُدُّونَ) جامع لمعنى الإحصاء والعدد؛ ومعنى التوهم والظن، مثل: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ ٣٨ص:٦٢؛ ووفق نموذج مركزية الأرض Geocentric System كان مُعتقدهم بحسب النظر بالعين المجردة من سطح الأرض؛ أنها ساكنة لا تدور حول الشمس، وأن القمر يدور حولها فحسب؛ ولا يدور معها حول الشمس، فأفاد التعبير (مِمَّا تَعُدُّونَ) إذن بأصل وضعه اللغوي بأن ما يتوهمُون ويظُنون من الحركات الفلكية لا يُطابق الواقع، وطابقت الدلالة المفهُوم الفلكي الحديث؛ في أن القمر بخلاف ما يظُنون يدور حول الشمس مع الأرض أثناء دورانه حولها.

وكما تُحَدَّد حركة السفن في البحر بنسبتها إلى نقطة ثابتة على الشاطئ؛ تُحَدَّد حركة القمر بالنسبة لنجم ثابت، والإصرار إذن على إجراء الحساب وفق ما يعدون من سكون حركة القمر حول الشمس ليتحقق القياس؛ لا يكون إلا بالنسبة لنجم ثابت، فهو إذن إجراء افتراضي لحساب المدة الحقيقة لدورة القمر حول الأرض؛ ودورتها حول نفسها بالنسبة لنجم ثابت.

الشهر بالنسبة لنجم بعيد ثابت يقل عن الشهر القمري بحوالي يومين؛
ويكافئ الفترة من هلال بداية الشهر إلى هلال آخر الشهر بدون فترة المحاق.

والشهر الحسابي ليتم القمر دورة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة لنجم في منازله النجمية يقل عن الشهر القمري المرصُود بحوالي يومين؛ والزيادة الظاهرية ترجع فلكيًّا لتحرك الأرض في مدارها حول الشمس أثناء دورته حولها، وبيانه: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ٣٦يس:٣٩، فالنسبة للمنازل النجمية، والعرجون القديم تشبيه لهلال آخر الشهر بالشمروخ اليابس حامل التمر، ودورة القمر بالنسبة لنجم: من هلال أول الشهر إلى هلال آخره بدون المحاق، قال الألوسي: "القمر يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يومًا وثلث يومًا"[١٣٨٩]؛ وقاله أيضًا أطفيش[١٣٩٠]، وقال العاني: "المنازل سبعة وعشرون وثُلث"[١٣٩١]، وبنسبة حركة الأرض حول نفسها بالنسبة لنجم بعيد كذلك؛ يقل اليوم بحوالي أربع دقائق.

[١٣٨٩] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٦\١١٢).

[١٣٩٠] محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش، تفسير أطفيش تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٨\ ٣٦١).

[١٣٩١] عبد القادر بن ملّا العاني؛ بيان المعاني، مطبعة الترقي بدمشق، الطبعة الأولى؛ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م (١٢\ ٤٢).

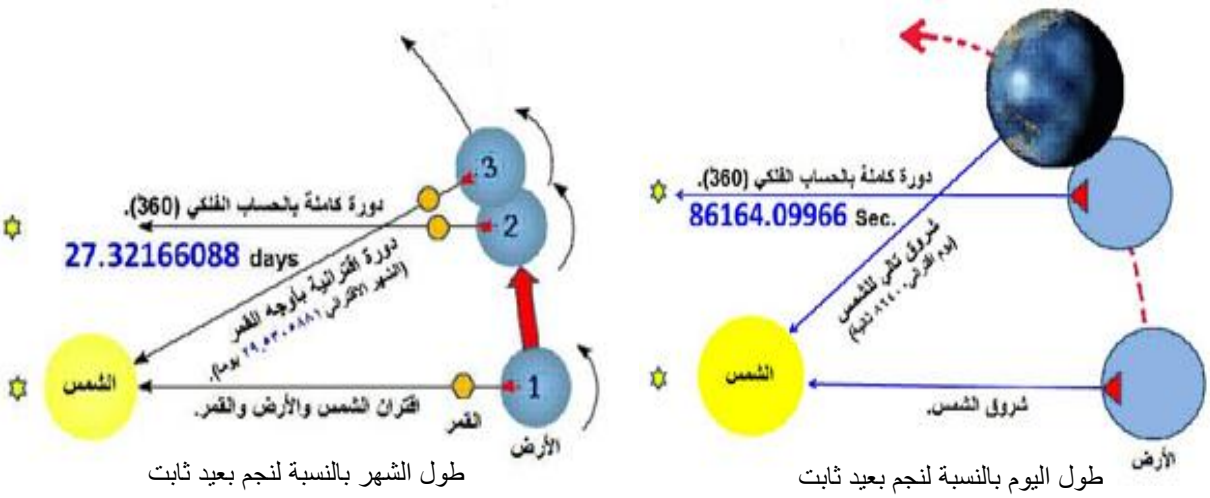

طول اليوم بالنسبة لنجم بعيد ثابت

طول الشهر بالنسبة لنجم بعيد ثابت

فهناك إذن فارق بين الحركة الفلكية الظاهرية اعتمادًا على الرصد؛ وبين حساب الحركة الفعلية قياسًا على المنازل النجمية، وهو مُقتضى التعبير الجامع: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠يونس:٥، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٧الإسراء:١٢، وحرف (الواو) يُميز بين عدد السنين القائم على الحركة الظاهرية للشمس والقمر لعامة الناس؛ وبين الحساب الفلكي لحقيقة الحركة لأهل الاختصاص.

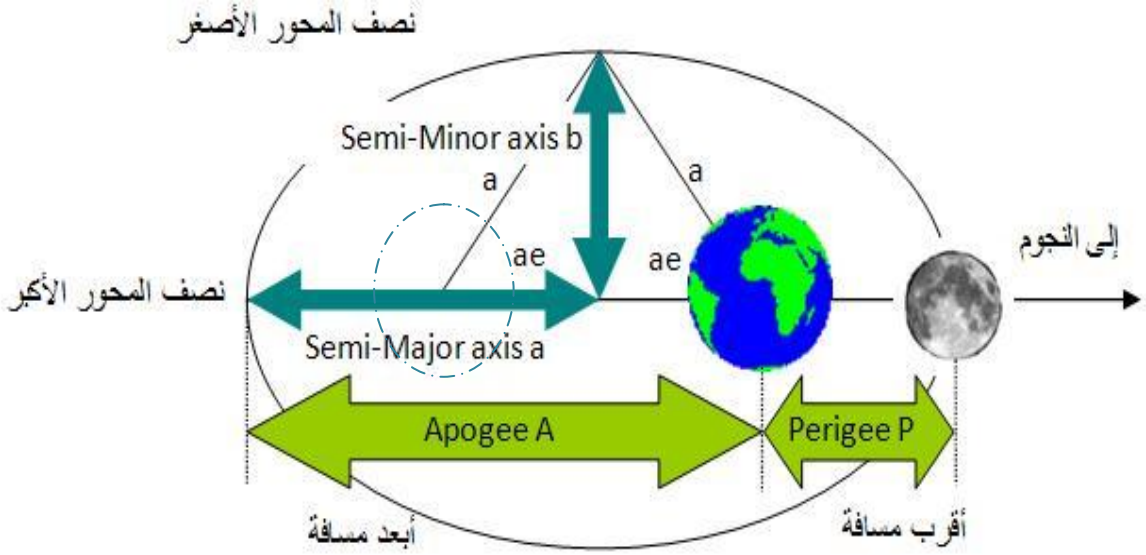

والقمر في الواقع مُتغير السرعة والبُعد عن الأرض؛ وكلما اقترب يزداد حجمه لكون مدارُه بيضاوي (قطع ناقص) Ellipse ذو بؤرتين[١٣٩٢]، وليس دائرة ذات مركز واحد، ومتوسط درجة انحراف كل بؤرة عن الدائرة Eccentricity (e) (ae/a) حوالي: ٠,٠٥٥[١٣٩٣]، ومعدل التغير Variation Ratio كل دورة في متوسط البعد أو السرعة (2ae/a = 2e) حوالي: ١١%، ولذا في كل دورة تتغير درجة سطوع القمر بنسبة حوالي: ١١%[١٣٩٤]؛ ويتغير حجم قرصه بنسبة حوالي: ١١%[١٣٩٥]، وهي نسبة لا تكفي كي تلاحظها العين المجردة؛ ولذا كانت في عُرف القدامى قبل القرن السابع عشر في حُكم المُستبعدة، وأول من أدرك بيضاوية مدارات الأجرام السماوية هو يوهانز كيبلر Johannes Kepler (١٥٧١-١٦٣٠).

[١٣٩٢] في المدار البيضاوي أو القطع الناقص؛ مجموع بُعد أي نقطة على المدار عن البؤرتين يبقى ثابتا.

[١٣٩٣] Chong-Hung Zee; Theory of Geostationary Satellites, Library of Congress, Chapter 4: Sun and Moon effect; 1988 (86).

[١٣٩٤] http://aa.quae.nl/en/antwoorden/maan.html

[١٣٩٥] https://www.lhup.edu/~dsimanek/3d/moonillu.htm

مقطع بيضاوي في ثمرة خيار

مقطع دائري في ثمرة خيار

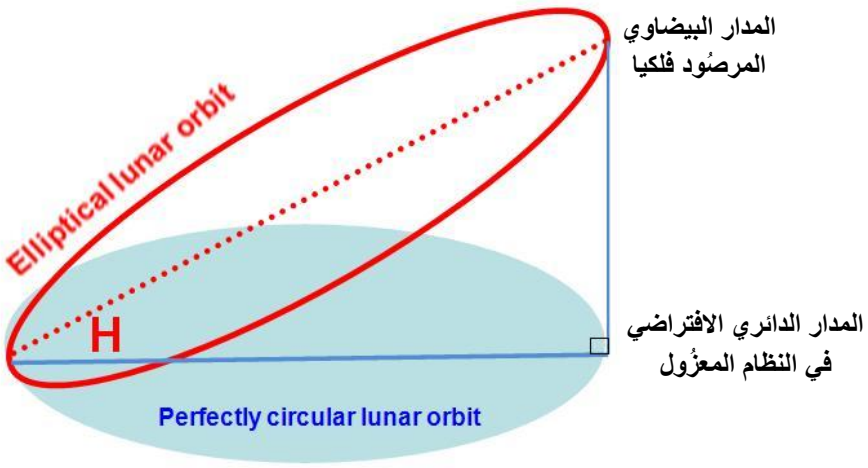

The perfectly circular orbit of the moon in the isolated earth-moon system is the projection of the astronomically based elliptical one.

المدار الدائري الافتراضي للقمر في النظام المعزول مسقط المدار المرصود فلكيا.

والمدار الدائري الافتراضي للقمر في النظام المعزول أشبه بمقطع عرضي دائري في ثمرة خيار؛ أما القطاع البيضاوي فينتج بقطع الثمرة بميل بنفس الزاوية التي يقطعها القمر حول الشمس كل دورة، أي أن المدار الدائري هو مسقط المدار المرصود.

ولو كان مدار القمر كامل الاستدارة Perfectly Circular Orbit كما كانوا يعُدون؛ فستكون سرعته بحركته الذاتية حول الأرض الساكنة ذات قيمة ثابتة على كل نقاط المدار وخالية من نسبة التغير: 2e، وستكون مُتعامدة دومًا على القُطر؛ وستكون الزاوية التي يقطعها القمر حول الشمس كل دورة: صفر، أي أن مركبة سُرعته بعد دورة لم يتغير اتجاهها الأصلي (جتا صفر = ١)، وكأن حركته بالنسبة لنجم في خط مستقيم؛ أي في نظام معزول Isolated System عن التأثير الخارجي.

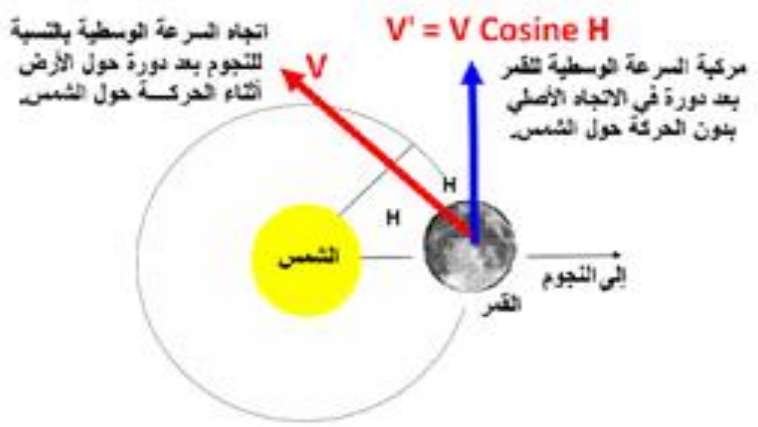

والمدار المرصُود فلكيًّا للقمر وهو يدور مع الأرض حول الشمس ليس دائريًّا؛ وتُعاني معايير حركته من نسبة تغير (2e)، وبالنسبة لنجم يقطع حول الشمس زاوية (H) قدرها: (شهر نجمي\ سنة) × ٣٦٠ = (٣٦٥,٢٥٦٣٦ \٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨) ×٣٦٠ = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ (حوالي ٢٧) درجة، أي أن سُرعته بعد دورة قد تغير اتجاهها بالنسبة للنجم بنفس الزاوية، والمعلوم فيزيائيا أن السرعة مُتجه Vector كالقوة؛ لا يتغير اتجاهها ولا قيمتها في النظام المعزول إلا باكتساب تسارع Acceleration نتيجة تأثير خارجي[١٣٩٦]، ويُمكن استبعاد نسبته من السرعة الوسطية بتحديد نسبة مُركبة الزاوية في الاتجاه الأصلي بعد دورة (جتا ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ = ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣) [١٣٩٧]، والنسبة المُتبقية (2e): ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧ (حوالي ١١%)؛ تُمثل الزيادة الظاهرية نتيجة حركة القمر مع الأرض حول الشمس، وهي تُكافئ النسبة التي تجعل مداره بيضاوي Ellipse، وتُكافئ النسبة التي ينبغي استبعادها لتتحقق دورته المُجردة؛ كما لو كانت الأرض ساكنة كما كانوا يعدون.

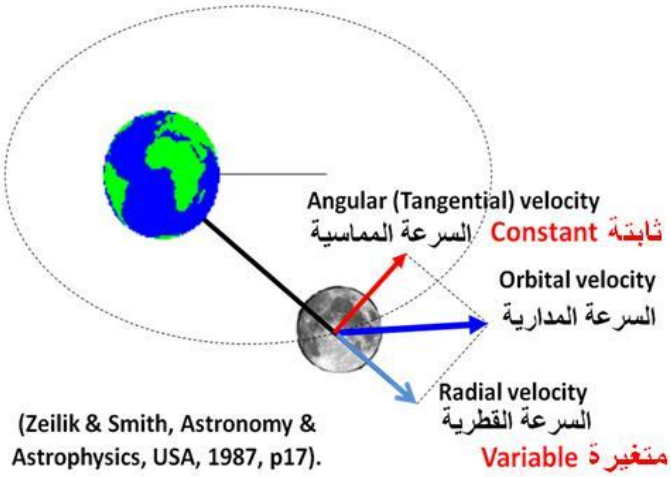

وبتحليل السرعة المدارية Orbital Velocity عند أي نقطة على مدار القمر؛ تنتج مركبة في اتجاه القطر تخضع للتغير من نقطة لأخرى وتسمى السرعة القطرية Radial Velocity، ومركبة متعامدة على القطر تصنع معه زاوية قائمة وتسمى السرعة الزاوية Angular Velocity، وهي السرعة الأمامية العاملة بالنظام الأرض قمري المعزول؛ وقيمتها ثابتة عند كل نقاط المدار باعتبارها مماسية، ولذا تسمى أيضًا السرعة المماسية Tangential Velocity (Zeilik & Smith; P17)[١٣٩٨].

[١٣٩٦] http://www.physicsclassroom.com/class/circles/Lesson-1/Acceleration
http://www.studyphysics.ca/newnotes/20/unit01_kinematicsdynamics/chp04_acceleration/lesson10.htm

[١٣٩٧] أ.د. منصور محمد حسب النبي (رئيس قسم الفيزياء بجامعة عين شمس)؛ الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار الآفاق العلمية بالقاهرة؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ص١٠٦).

[١٣٩٨] Zeilik & Smith; Astronomy & Astrophysics, USA, 1987, p.17

وقيمة السرعة الوسطية في المدار المرصود للقمر حوالي: ١,٠٢٣ كم\ ثانية[١٣٩٩]، والقيمة: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كم\ ثانية تُحقق القياس؛ حيث تكون السرعة المُجردة للقمر في النظام الأرض قمري المعزُول: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ × ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣ = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ كم\ ثانية، وهي قيمة افتراضية استنتاجيه مرجعها مُتوسط السرعة في المدار المرصود؛ يفرضها شرط تحقق القياس باعتبار سكون الحركة حول الشمس: (مِمَّا تَعُدُّونَ)، ويُمكن الحصول على نفس النتيجة باستبعاد نسبة التغير (2e): ٠,١٠٨٤٢٧٤٥٧٧؛ من قيمة السرعة الوسطية للقمر.

وزمن دورة للقمر بالنسبة لنجم: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية = ٢٣٦٠٥٩١,٥ ثانية؛ إذن المسافة المُجردة التي يقطعها كل دورة: السرعة المجردة × زمن دورة = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ × ٢٣٦٠٥٩١,٥ = ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ كم؛ وفي ألف سنة (١٢ ألف دورة): ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ × ١٢٠٠٠ = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم، إذن قيمة سرعة الضوء = ٢٥,٨٣١٣٤٧٢٣ بليون كم\ ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية = ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية[١٤٠٠]، وهي نفس القيمة المُعتمدة فيزيائيًا، بينما القيمة المُستخدمة عمليًّا في القياسات الفلكية هي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية[١٤٠١].

وليس الغرض بلوغ القيمة المُتفق عليها فيزيائيا عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس؛ خاصة أن جميع معايير حركة القمر حول الأرض وسطية بناء على الرصد لمدد طويلة، وليست بدقة قيمة سرعة الضوء؛ بل وحتى قيمة سرعة الضوء نتيجة إحصائية لعدة قياسات، وقد تكون أعلى قليلا في الفضاء أو الفراغ التام، ولكن الغرض هو التدليل على أن علاقة اليوم والألف سنة في بيان سرعة قُصوى مُقدرة، وأنها مُدَّخَرَة كآية في عصر العلم على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته.

ولم ينتهي دور القيد (مِمَّا تَعُدُّونَ) عند حد تجريد مدار القمر من الزيادة الظاهرية المُتضمنة نتيجة الحركة حول الشمس؛ وإنما يُقيم علاقة ثابتة كلا طرفيها في نظام معزول: الحركة المُجردة للقمر حول الأرض والقيمة الثابتة لسرعة الضوء بالفراغ، وهي تكشف وحدة الأرض والقمر مع الشمس في الأصل ومادة التكوين ونظام الحركة منذ نشأة النظام الأرض قمري، لأن السرعة الابتدائية تظل محفوظة في نظام حركة التابع حول المتبوع؛ طالما ظل معزولاً عن التأثير الخارجي.

والدلالة الضمنية كذلك أنه بخلاف ما يعدون بالعين المجردة؛ مدار القمر بيضاوي ذو بعد أكبر، وكذلك كل الأفلاك؛ لأن (مِمَّا تَعُدُّونَ) تعني من ضمن عَدِّكُم أو الذي تَعُدُّون؛ فتشمل كل ما يتصورون ويتوهمون من الحركات الفلكية، ونظيره التعبير التصويري: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ ٤٣الزخرف:٣٨، حيث يستقيم حملهما على المسافة بين أبعد نقطتين في المدار البيضاوي للأرض حول الشمس؛ وتكافئ البعد الأكبر، فتأمل كيف أدى شرط القياس (مِمَّا تَعُدُّونَ) على بساطته جُملة وظائف دلالية؛ باعتبارها براهين على التقدير ووحدانية القدير!.

[١٣٩٩] Laros Astronomy, p.142.

[١٤٠٠] http://www.speed-light.info/

[١٤٠١] موسوعة أكسفورد ص٣١٦.

[٣] تاريخ مجيد على درب التوحيد

حقق العلم قفزات هائلة لمعرفة طبيعة الكون وتطوره؛ فانتهى إلى التوحيد في البنية والنظام، في عام ١٦٧٦ نجح أولاس رومر Olas Roemer من تقديم أول دليل على أن سرعة الضوء محدودة غير لحظية وإن كانت هائلة، وفي عام ١٦٨٧ توصل إسحاق نيوتن Isaac Newton إلى قوانين حركة الأجسام ومفهوم الجاذبية كقوة واحدة تفسر سقوط تفاحة تجذبها الأرض كما تفسر جذب القمر نحوها فتمنع قوة الطرد المركزي سقوطه لِتَزَايِد سرعته كلما اقترب، وكأن الجاذبية تدفعه للحركة كسقطات متوالية، وبالمثل يجب أن تكون كل الأجرام السماوية حيث يتبع التابع الجسم المركزي ذي الكتلة الأكبر على بعد يحدده قانون الجاذبية؛ وبهذا توحدت الأرض والسماء وتأسست الفيزياء الكلاسيكية.

وفي عام ١٩٠٠ توصل ماكس بلانك Max Planck إلى أن الموجات تصدر عن الذرة بهيئة كميات متساوية متقطعة أجزاء متعاقبة سميت كمات Quanta؛ وسمى أقل مقدار للكم من الطاقة يثابت بلانك Planck Constant، وسمى أقل مسافة للكم الضوئي أي الذي تقطعه وحدة الضوء الفوتون Photon بمسافة بلانك Planck Distance؛ ومقدارها بالتقريب: ١٠ قوة -٣٨ كم، والزمن الذي لا يوجد أقل منه ويستغرقه الفوتون لينتقل بسرعة الضوء مسافة تعادل مسافة بلانك يُسمى بزمن بلانك Planck Time؛ وقيمته بالتقريب: ١٠ قوة -٤٣ ثانية، وتوصل بلانك كذلك إلى أن الموجات الكهربائية ما هي إلا وجه للمغناطيسية؛ فوحدهما معا تحت مُسمى الموجات الكهرومغناطيسية.

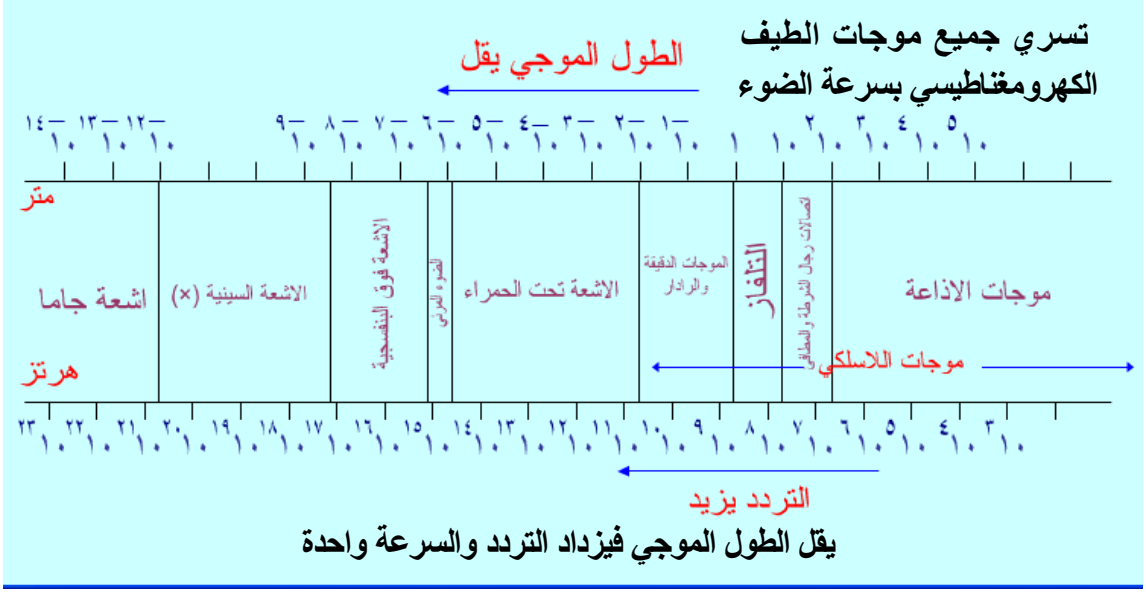

وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein مفاهيم النسبية الخاصة نافيًا وجود سكون في الكون لتنسب إليه حركة جسم فالكل يتحرك؛ لذا تُنسب حركة الجسم لآخر متحرك، إذن حركة كل الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المُطلقة Absolute فسُميت الثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، لأنها ثابتة مهما تحرك أي مراقب أو سكن، وهي سرعة الطيف الكهرومغناطيسي كله ويجب أن تكون سرعة أمواج الجاذبية كذلك، وكلما تزايدت سرعة جسم ذو كتلة لتقترب من سرعة الضوء تزايدت الكتلة وتضاءل طوله وقل الزمن، ومع بلوغ سرعته قيمة سرعة الضوء تُصبح الكتلة لا نهائية ويتلاشى الطول ويتوقف الزمن؛ لذا لا يبلغها سوى جسيم بلا كتلة، والموجة تنتقل عبر الفضاء بسرعة غير لحظية لا تتجاوز سرعة الضوء؛ وإذا اختفت الشمس كافتراض فجأة فلن نشعر في الأرض بالأثر لحظيًّا وإنما بعد دقائق بسبب سرعة الانتقال المحدودة، والعلاقة بين الكتلة وحركة جسيم بسرعة الضوء (c) ليتلاشى ويتحول إلى طاقة حرة لعلها قد استوحت فكرة أن الكتلة Mass (M) ما هي إلا طاقة Energy (E) مُكَدَّسَة مُجَسَّدَة، فأمكن التوصل إلى أنه يُمكن تحويل كتلة جسم M إلى طاقة E والعكس وفق علاقة ثابتة ($E = Mc^2$).

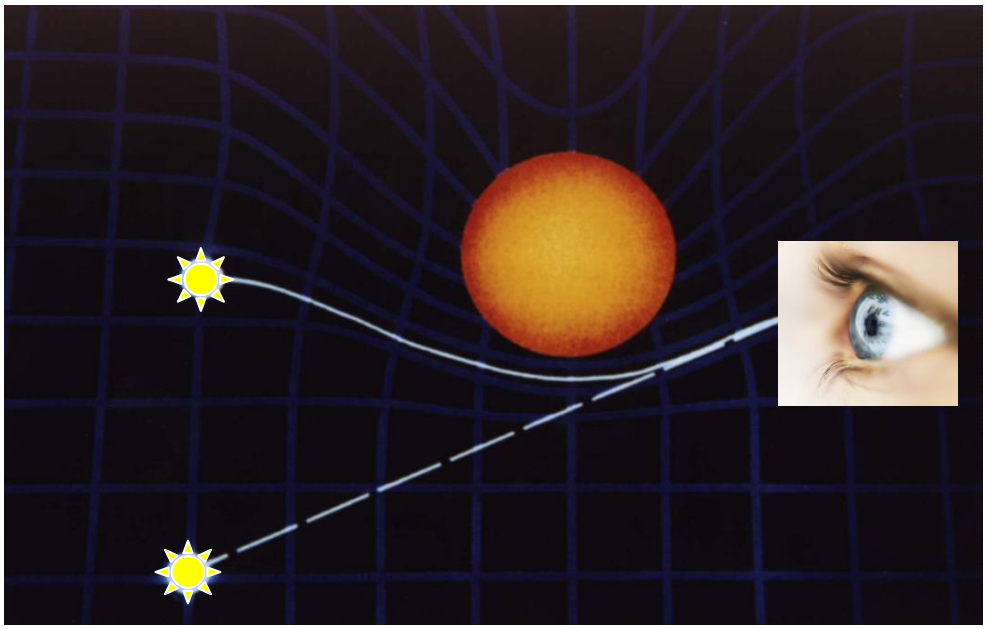

وفي عام ١٩١٥ نشر ألبرت أينشتاين نظرية النسبية العامة General Relativity؛ وطرح فيها فكرته الجريئة بإضافة الزمان كبعد رابع إلى أبعاد المكان (الطول والعرض والارتفاع)؛ لجعل طبيعة الفضاء نسيج زمكاني أشبه بشبكة الصيادين، فالمكان والزمان مرتبطان وكليهما نسبيان فضمهما أينشتاين معا بمصطلح الزمكان Space-Time تعبيرًا عن الفضاء؛ ويُحْدِث فيه كل جرم تقعرًا حسب ثقله، فالتقعر الذي تُحدثه الشمس في النسيج الكوني المَرِن أكبر من التقعر الذي تحدثه الأرض؛ فيؤدي لدورانها حول الشمس في أطراف التقعر الكبير الذي أحدثته على النسيج، فالنسيج الكوني المُنحني يفرض على الأرض بسبب الشمس أن تسير وفق ذلك الميلان فتبدو أنها مشدودة للشمس بقوة الجاذبية، والأرض إذن لا تدور حول الشمس لأنها تطلق قوة لتمسك بها؛ بل لأنها تسير في منحنيات النسيج الكوني، والفضاء المنحني Curved Space يُجْبِر مَسَار ضوء نجم يمر بجوار كتلة كبيرة كالشمس أن ينحني؛ وتحققت النبوءة برصد تقارب البُعد بين نجمين عند الكسوف لانحناء الضوء نحو الشمس، هذه المفاهيم هي أساس الفيزياء الحديثة.

وفي عام ١٩١٦ قدم كارل شوارتزشيلد Karl Schwarzschild فكرة الثقوب السوداء Black Holes استنادًا على مفهوم نسيج الفضاء الكوني الذي ينحني تحت تأثير الكتلة، فاقترح أن كتلة كبيرة ككتلة نجم ضخم إذا تكاثفت في مكان صغير فإنها ستحني النسيج الكوني لدرجة لا تسمح لشيء بالهروب من جذبه ولا حتى الضوء، وبقي الاعتقاد أنها مجرد نظرية؛ إلى أن تم رصد مادة مُتوهجة كأنها تُبتلع حول مناطق غير مرئية كمركز مجرتنا، فكسبت فكرة الكون المنحني مزيدًا من التأييد؛ وأعطت إيحاءً باحتمال أن الكون كان بالمثل في حيز ضئيل وتمدد.

وفي عام ١٩٢٢ اقترح ألكسندر فريدمان Alexander Friedmann فرضية تمدد الكون استنادًا لطبيعة النسيج الكوني وفق مفهوم النسبية العامة، وفي عام ١٩٢٧ أعطى جورج لومتر Georges Lemaître فرضية امتداد الكون من نقطة أولية كثيفة اسم: "افتراض الذرة الأولية"، وفي نفس العام أطلق عليها فريد هويل Fred Hoyle ساخراً في برنامج إذاعي في محطة B.B.C. الاسم الذي شاع لاحقًا: الانفجار الكبير Big Bang؛ لأنه كان يرفض أن للكون بداية، وقدم عام ١٩٤٩ مع توماس غولد وهيرمانبوندي نظرية الكون الأبدي أو الحالة الدائمة Steady State theory.

وفي عام ١٩٢٩ اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble أن المجرات البعيدة في طيف الضوء القادم منها منزاحة نحو الجانب الأحمر مما يعني أنها في ابتعاد تتناسب سرعته مع البعد وفق ثابت سمي بثابت هابل؛ كحالة صفير قطار تتضاغط الموجات بقدومه فيصبح حادًّا وتتخلخل مع ابتعاده وتسمى ظاهرة دوبلر Doppler phenomenon، فاستُنتج أن الكون قبل تمدده كان في الماضي منحصرًا في نقطة ضئيلة كثيفة يعكس شدة حرارتها إشعاع مميز؛ رصده أرنو بنزياس وروبرت ويلسون عام ١٩٦٤ من كل جهة فسمي الخلفية الإشعاعية Background Radiation، وتأكد أن للكون بداية وعمر محدود، وصحة التوسع والانتفاخ Inflation كالبالون؛ وإن شاع باسم الانفجار الكبير.

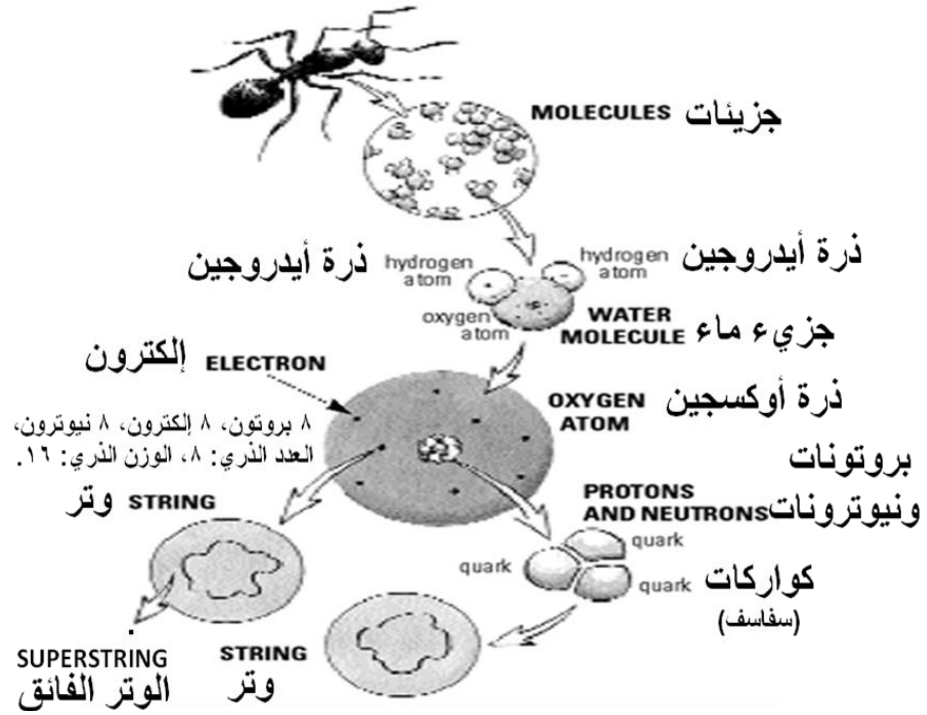

وفي عام ١٩٦١ اقترح موري غيل وكازوهيكو نيشيجيما أن النيوترونات والبروتونات الجسيمان الرئيسيان في نواة الذرة ليسا أقل شيء لا ينقسم؛ وإنما مصنوعان من لبنات سميت كواركات Quarks؛ أي سفاسف وهشاشات، وإذا ذهبنا بالمثل في أعماق الكوارك باتجاه الضآلة سنجد ما هو أقل منه، أي نتفه أو ندفة واحدة مهتزة من الطاقة بمقاييس بلانك في ضآلة الطاقة وزمن الاهتزاز والطول؛ أشبه بخيط أو بالأحرى وتر موسيقي متناهي الضآلة يهتز، وهكذا ظهرت الفكرة بأن بنية كل شيء أوتار تهتز؛ وأن منها ما يتشكل حلقات مُترابطة كنسيج القمصان المعدنية، وعلى هذا فدلالة كلمة الحبك على النسيج في وصف الكون لا تختص بالمستوى الكبير فحسب وإنما بنية جميع الذرات.

وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي طَوَّرَ جون شوارتز ومايكل غرين نظرية الأوتار Strings Theory، وفي خطوة أخرى نحو التوحيد Unification؛ قام إدوارد ويتن Edward witten في أواسط الثمانينات بتعديلها وأطلق عليها اسم نظرية الأوتار الفائقة M-Theory، وهي تجمع بين مجال ميكانيكا الكم في مجال الذرة والنسبية في المجال الكبير؛ وتُوَحِّد بين القُوَى والمواد وتصف المادة على أنها حالات اهتزاز متباينة لوتر أساسي واحد؛ كما يُعطي وتر الكمان أنغام مُتباينة باختلاف طوله، أي أن كل ما في هذا الكون من مادة أو طاقة أو شحنات هو في الواقع أوتار لكنها مهتزة بطرق مختلفة؛ وكأن الكون عبارة عن أنشودة مُتقنة مُوحدة الإيقاع وباختلاف اهتزاز الأوتار ينشأ تنويع لا يُعرف حَدُّه من بديع الكلمات، فتهافت الفيزيائيون عليها وسُميت نظرية كل شيء Theory of Everything، وكل تلك التسميات محاولات ضمن النموذج القياسي Standard Model المُستقر منذ عام ١٩٧٠ لفهم طبيعة الكون؛ والقائم على أن للكون بداية محددة في ظروف حرارة شديدة بردت مع التوسع فنشأت تنويعات الذرات وطبقات الأجرام.

ووفق النموذج القياسي تتكون المادة من كواركات هي لبنات البروتونات والنيترونات؛ في حين أن عائلة الليبتونات تضم مع الإلكترونات ما يُعرف باسم الإلكترون نيوترينو Electron Neutrino، وهو جسيم أولي لا يملك شحنة وكان قد افترض وجوده فولفغانغ باولي عام ١٩٣٠؛ واكتشفه فريق بقيادة فريدرك راينس وكلايد كوان عام ١٩٥٦، أما القوى الأربعة فهي الجاذبية Gravity والكهرومغناطيسية Electro-Magnetism والقوة النووية القوية Strong Force التي تقوم بضم مكونات نواة الذرة ومنعها من التبعثر بمعادلة أثر تنافر البروتونات الموجبة الشحنة، والقوة النووية الضعيفة Weak Force التي تقوم بكبح جماح أنوية الذرات الثقيلة المُشعة من الانشطار الذاتي فجأة.

وهكذا انتهت ملحمة الفيزياء إلى توحيد كل شيء في البنية والنظام من أصغر لبنة في الذرة إلى اللبنات العظام التي شيدت الكون؛ من المجموعة الشمسية إلى آخر أفق الكوازارات، فما نُسميه فضاء هو مجالات مادية طرائق صنعتها حولها كتل الأجرام الكونية، والفضاء إذن ليس فراغًا، وبنية الكون معارج تتموج وتتقوس وتنحني، وحتى الجسيمات دون الذرة تسبح كذلك في فضاء مادي كالسمكة تسبح في الماء، وكأن الكون كله خشبة مسرح تَعْرِض للفطين ملحمة الخلق المَحْبُوك بإتقان ونظام مقصود بلا عشوائية ولا مجال لمصادفة؛ لعله يدرك المغزى.

ولكن هويل نسب الحكمة والذكاء للنسيج وتجاهل من حاكه في كتابه: الكون الذكي The Intelligent Universe، وتبعه هاوكنج في كتابه: التصميم العظيم The Grand Design بقوله: لا دليل؛ وكأن الكون المهيب والتصميم الرائع ليس بدليل؛ وما هو إلا انتحار في مواجهة التيار الجارف للعلم نحو التوحيد؛ وبداية تجعل الكون عارض وعمره محدود، وخالف هويل نفسه في مقالة عام ١٩٨١ بقوله: "أن احتمال ظهور أشكال الحياة صدفة يُقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة؛ بتجميع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، وبالمثل خالف هاوكنج نفسه في كتابه: تاريخ موجز للزمن Brief History of Time؛ بقوله: "طالما أن للكون ابتداء؛ فحتمًا له خالق"[١٤٠٢]، ووفق الموسوعة البريطانية فإن اختيار كل الأحماض الأمينية Amino Acids التي هي أساس تكوين البروتينات؛ لتكون عسراء الاتجاه صدفة بلا تدخل مقصود لإرادة مُوَجِّهَة؛ أشبه بقذف عملة معدنية في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على نفس الوجه!، ونشأة خلية حية واحدة إذن من ذاتها يُعد احتمالا مُستحيلا؛ مثل احتمال قيام قرد بكتابة تاريخ البشرية كله على آلة كاتبة بلا أخطاء.

ومن البديهي أن النظام Order لا تَصْنَعُهُ فوضى Chaos والصدفة لا تُفَسِّرُه؛ وإنما هو شاهد عدل على الخلق مهما كانت الكيفية، ولو كانت التغيرات غير مقصودة؛ فَلِمَ كانت دائمًا في اتجاه الأصلح لتبني الكون المنظوم المحبوك؛ والتنويع مع وحدة البنية يُعارض الإلحاد Atheism، وليس إلا مشيئة الخالق وسبق تقديره وحسن تدبيره بِعِلْم واقتدار، والفلسفة المادية الناكرة لمبدأ الخلق قد دحضتها كل ميادين العلم؛ وإلا انعدم ثبات القوانين، ومن يظل مُعتقدا بها عليه ألا يحسب نفسه من المُحققين، وقد رأي أينشتاين في صنع الله تعالى: النظام والقصد والحكمة والتناسق والبساطة والأناقة والجمال؛ وهي رؤى ثاقبة للكون المنظوم المُتقن المحبُوك، ولو كان وليد الصدفة ما كان نظام وآليات وقوانين على كافة المستويات، قال نيوتن: "إن هذا التكوين البديع في النظام الكوني يجب أن يُفهم منه القصد في التنظيم"، وقال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان".

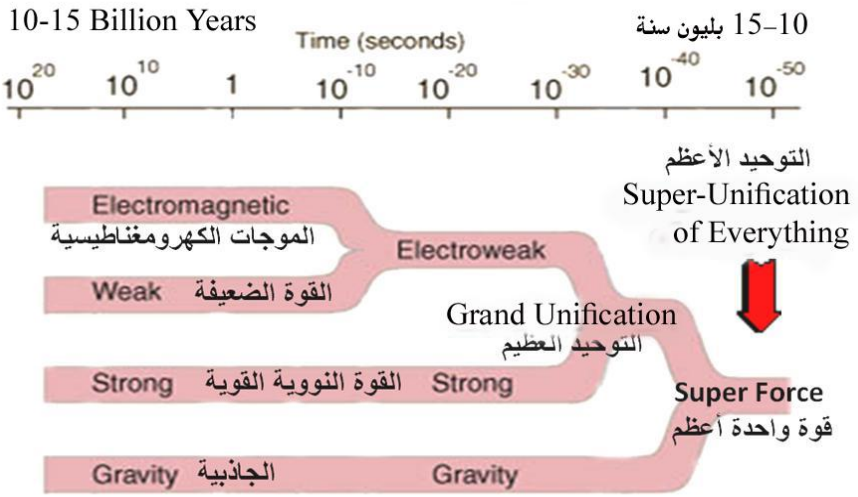

وفي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ السجدة:٣٢-٥؛ كلمة (السَّمَاءِ) بالإفراد تعنى الكون كله باعتبار توحيد الابتداء كفضاء لم تميزه بعد عناقيد الأجرام سماوات؛ مادة خام واحدة صنع منها القدير كل شيء، وتوحدت فيها جميع القوى والمواد فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: Super-Unification of Everything؛ وتسمى القوة الأعظم Super Force، كان لإفراد لفظ (السَّمَاءِ) إذن في دلالته على الكون إشارة ضمنية على توحيد كل شيء في الأصل؛ وأكده إفراد لفظ الأمر: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)؛ تنويهًا للأمر بكلمة: (كُن).

[١٤٠٢] Stephen Hawking, Brief History of Time, page 122.

الشيخ طنطاوي جوهري
(١٨٧٠-١٩٤٠)

قال طنطاوي جوهري: "(إفراد الأمر يعني أنه) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة، وتتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد، وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود؛ فهو صادر عن مادة أصلية واحدة"[١٤٠٣]، فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس..، ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي..، (وقد) خلق اللهُ العالمَ من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"[١٤٠٤].

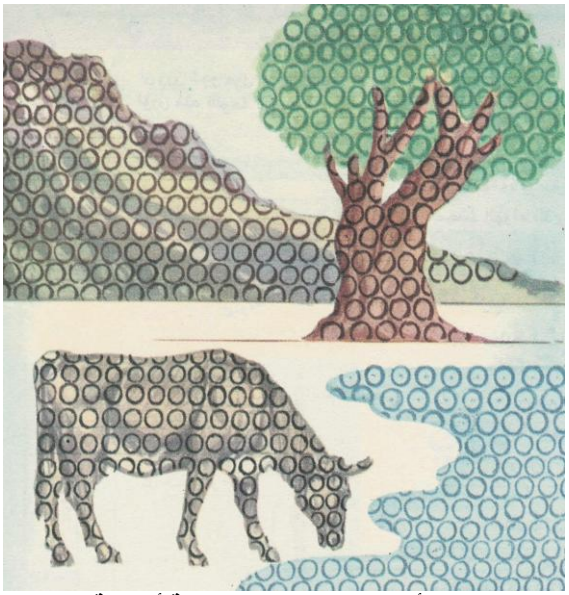

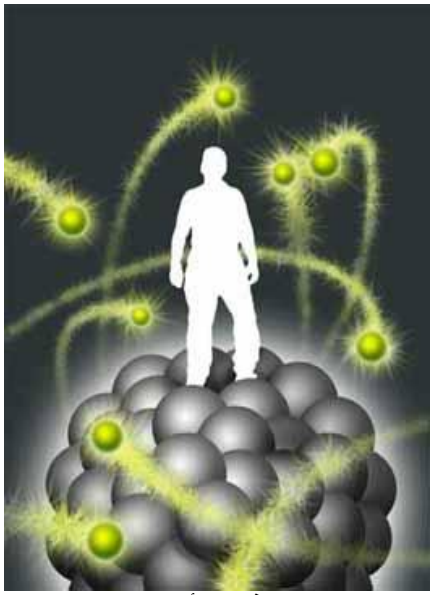

تتكون الذرات بأجسام كل الكائنات من نفس اللبنات، وأصلها جميعًا يرجع إلى لبنة أساسية واحدة؛ طبيعتها الحركة في عَجَل، خلق أخيرا منه الإنسان؛ على ظاهر اللفظ لا المجاز.

والتعبير المُذهل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ وصف الكون كله بأصله الأول؛ قوة واحدة عاجلة الحركة هي أساس بنية كل الأجسام، فأفاد أن الحركة في عجل طبيعة كل شيء، وأن الكون مُدَبَّر في نظام Order؛ ومأمُور ينطق بآمر يُدَبِّرُهُ، قال طنطاوي جوهري: "هذا النظام الجميل شاهد عدل على إله نظمه بعلمه وأحكمه بقدرته، فإن هذا العالم المُشاهد لا يُمكن أن يصدُر إلا عن إرادة؛ لأن المادة عمياء جاهلة والجاهل لا يعطي علمًا"[١٤٠٥]، "إذن الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً..؛ طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً، ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلى لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس"[١٤٠٦]، "فما هذا العالم كله إلا حركات"[١٤٠٧]، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس"[١٤٠٨]، نشأ الإنسان إذن على رأس كل مخلوق؛ وطبيعته وأصل بنيته وأساس خلقه الحركة في عجل: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

[١٤٠٣] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢ \ ١٨٠).
[١٤٠٤] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤٦\١).
[١٤٠٥] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢١ \ ٢٥٩).
[١٤٠٦] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٩٣\٢٤).
[١٤٠٧] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢٠ \ ٣٢).
[١٤٠٨] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١١٥\١٨٨).

[٤] التفصيل الدلالي

(١) نهاية الكون تقترب بأقصى سرعة مُقدرة:

في النبأ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ ٢٢الحج:٤٧؛ يتعلق الوعد هنا ابتداءً باليوم الأخير، حيث يهلك كل شيء؛ ويُبعث الإنسان بعد الحساب في عالم جديد، وفي القرآن الكريم: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ ٨٥البروج:٢، ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ٣٨ص:٥٣، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ٥١الذاريات:٥و٦، ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٩٧، إذن الأمر قد صَدَر والمأمور قادم بالعذاب ليصل بغتة بلا سبق نذير؛ لسرعة لا تحتاج مزيد استعجال من الغافلين، بحيث أن مسافة ألف سنة بما تَقُوم على سيره السنة يقطعها في يوم: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج: ٤٧.

ولا نرى في الكون سوى الماضي بسبب سرعة الضوء المحدودة، والأحداث الكونية الآنية غيب، وأمر الساعة القادم بالعذاب سرعته تماثل سرعة ضوء البرق في جو الأرض؛ بل هو أسرع قليلا في الخلاء، فلا يحتاج مزيد استعجال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٦النحل:٧٧، قال الواحدي: "يصف سرعة.. الإتيان بها"[١٤٠٩]، وقال الشوكاني: "لَيْسَ هَذَا مِنْ قَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ؛ بَلْ هُوَ كَلَامٌ فِي غَايَةِ الصِّدْقِ"[١٤١٠].

هذا هو إذن الوعد الحق؛ نذير الرسل للأمم، والمُعْلَن اقترابه صريحًا: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٩٧، إذن الأمر قد صَدَر والمأمور قادم بالعذاب ليصل بغتة بلا سبق نذير؛ لسرعة لا تحتاج مزيد استعجال من الغافلين، بحيث أن مسافة ألف سنة بما تَقُوم على سيره السنة يقطعها في يوم: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج: ٤٧.

(٢) تشبيه الذات العلية لا يعني التحيز ولا الندية:

والتعبير ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛ لا يعني التَّحَيُّز وتحديد مَكَان ولا النِدِّية؛ فالجليل مُستعلي عن مشابهة ما خلق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٤٢الشورى:١١، فهو إذن أسلوب بياني تمثيلي بليغ لتقريب المعاني تصويرًا لدلالات يُقَدِّرُهَا السياق، ومثله قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ١٣الرعد:٨، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠، قال القماش: "إياك أن تفهم من (العندية) أنها عندية المكان؛ لأن المكان مُحَيَّز، وربنا عز وجل لا يتحيز في مكان"، وفي سياق بيان قيمة واحدة ثابتة مقدرة للانتقال في الكون أجمع؛ العندية ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ تعني في تقديره تعالى وعلمه بتدبيره في العالم كله، قال محمد سيد طنطاوي: "في تقدير الله تعالى"، وقال أبو حيان: "المراد من العندية العلم"[١٤١١]، وقال الألوسي: "(أي) في حكمه"[١٤١٢و١٤١٣]، وقال الشوكاني: "وقضائه"، وقال الشعراوي: "(لأن) الله جل جلاله لا يَحُدَّهُ زمان ولا مكان..، واقرأ (إذن) قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الملائكة والروح إِلَيْهِ﴾".

[١٤٠٩] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤١٥هـ-١٩٩٤م (٣\ ٧٥).

[١٤١٠] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٢١٨١٣).

[١٤١١] أبو حيان ٣٦٢١٥.

[١٤١٢] تفسير الألوسي ٣٢٧١١.

[١٤١٣] فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (٦/ ٢٢٦).

فلفظ (إِلَيْهِ) إذن لا يعني في حق الذات العلية التحيز والتجسيم وتحديد مكان؛ وإنما يُخْبِر عن فناء العالم وعودة الأمر كله للمُجَازِي يوم الحساب على الأعمال وحده تعالى؛ بيانًا لنفاذ مشيئته تعالى ووحدانيته، قال الألوسي: "(وهذا الوجه) معنى لائق به تعالى مجامع للتنزيه مُبَايِن للتشبيه حسبما يقوله السلف في أمثاله"[١٤١٤]، وقال الواحدي: "﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾.. كقول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾؛ أي إلى حيث أمرني ربي بالذهاب إليه، وقال ابن عطية: "وفي القرآن منه كثير نحو قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾، وقوله تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾، وقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾، وقوله تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا﴾؛ وهذا كله بريء من التحيز"[١٤١٥].

وبالكاد تومئ الفيزياء لانكماش الكون وطي الأطراف، لاكتشاف مادة غير منظورة بكميات هائلة تُرَجِّح انكماش الكون سموها المادة السوداء Black Matter، ولسرعة الضوء المحدودة؛ الأحداث الآنية في الأطراف البعيدة للكون غيب لا يُمكن لغيره تعالى إدراكه، ولا نُعَاين منها سوى ما حدث في الماضي البعيد، وعناقيد النجوم حزم تُشَكِّل طوابق اللبنات الكبرى للكون؛ حتى أقصى ما يُمكن رصده وإدراكه، والمجرات العظمى تبدو بالطيف في ابتعاد، فتعنى أن الكون كان يتوسع في الماضي ولا تعني أنه يتوسع الآن بلا انتهاء؛ وقد قضت الكشوف على وهم سرمدية المادة أو الحالة الثابتة Steady State Theory، ولو كان الكون ينكمش ولبناته الكبرى تقترب؛ فلن يُخْبِرُنا إذن بعلامات النهاية إلا الطرف الأقرب.

والطرف الأقرب للكون ينذر بالانكماش الآن، فأقرب مجرة؛ المرأة المسلسلة Andromeda، كمثال تبدو مقتربة بسرعة قُدِّرَت بحوالي ٣٠٠ كم/ثانية[١٤١٦]، مع أن الضوء المرصود الآن قَدِمَ منها منذ ما يزيد عن ٢ مليون سنة ضوئية، واقترابها علامة تنذر بقرب وصول قوى الدمار بَغْتَةً لا يسبقها نذير للسرعة القصوى التي لا تَتَطَلَّب مزيد استعجال، والقرآن الكريم قد أعلن مرارًا بصريح العبارات أن العالم كله في اِحْتِضَار؛ وأن على الفَطِنْ أن يَسْتَعِد ويَتَزَوَّد للرَّحِيلْ، وفي سياق الجزم والتقرير لا التشبيه للتقريب؛ يقطع القدير بالنبأ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ محمد: ١٨؛ ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ النحل: ١، والآفاق إذن مُثْقَلَة كالحُبْلَى على وشك الوضع: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٨٧.

وفي النبأ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ هود: ١٢٣، أصل الرجوع العودة والارتداد بعد ابتعاد، والقراءة (يُرْجَعُ) تُضَافِرُهَا قراءة الجمهور (يَرْجِعُ)، وكليهما مضارع يدل على حدث آني، فالمعنى يستقيم مع عودة الكون وانكماشه بعد امتداد؛ وهو يرجع لمدبر الأمر كله، قال الإستانبولي: "{يُرْجَع}.. بضم الياء وفتح الجيم بمعنى يُرَدُّ (التدبير لمراده تعالى)، وبفتح الياء وكسر الجيم {يَرْجِع} بمعنى يَعُودُ (الأمر)"، وورود (الأمر) رديفًا للسماوات والأرض يجعله تعبيرًا بالأصل استجابة للأمر (كن)، وهو يعني أن الكل مُدَبَّر مَأْمُور منذ الابتداء؛ وأن الكل سوى الباري عارض زائل.

ولفظ (إليه) يَحْصُر فاعل عودة الكون لحاله الأول بالعلي القدير؛ ولا يعني التَّحَيُّز والمَكَان مخالفًا مبدأ التوحيد، قال الرازي: "حرف (إِلَى).. ليس الْمُرَادُ مِنْهُ الْمَكَانَ بَلِ الْمُرَادُ انْتِهَاءُ الْأُمُورِ إِلَى مُرَادِهِ"، والوعيد بقرب خراب العالم توطئة للقيامة والحساب؛ يوافق مواضع تُنْذِر بأن النهاية قريب على الأبواب، قال الراغب: "وقوله تعالى: {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ}.. كقوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}"، وقال الشعراوي: "{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأمر كُلُّهُ}.. في ذلك تنبيه لكل إنسان؛ ليعمل مُسْتَهدفاً النجاة.. يوم القيامة"، ولفظ (كُلُّهُ) تأكيد لعودة الكون أجمع لحاله الأول بدون أدنى زيادة في مادته ولا نقصان، فيوافق وصف الكون في الفيزياء كنظام مُغْلَق طاقته ثابتة بلا تغيير؛ فأين إذن من أثر لشريك مع الواحد الأحد القدير!.

[١٤١٤] روح المعاني ج٢١ص١٢٢.

[١٤١٥] ابن عطية السجدة ٥.

[١٤١٦] The First Three Minutes, Steven Weinberg, p30

(٣) سرعة الضوء ثابت كوني:

كانت السنة عند العرب والعبرانيين تقوم على سير القمر؛ قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان إبراهيم وإسماعيل.. (و) السنة مُعَلَّقَة بسير القمر"[١٤١٧]، و(الألف سنة) زمان يُعَبِّر كمعهود القدماء عن مسافة تُقطع في زمن، فيعني في سياق بيان السرعة؛ مسافة فلكية هائلة لا نظير لها على الأرض، هي الأنسب لقياس الحد الأعلى لسرعة الانتقال بالكون، قال الألوسي: "في يوم مقدار مسافة السير فيه ألف سنة"، وقال القرطبي: "في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة"[١٤١٨]، وقال الطبري: "لأن المسافة مسيرة ألف سنة"، وقال الرازي: "واليوم هنا زمان"، والعذاب بالأمر القادم بسرعة الضوء: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾؛ هو نفسه العذاب الذي يستعجل قدومه الغافلون استخفافًا، وهو قادم بسرعة لا مزيد عليها فلا تحتاج مزيد استعجال، ومقدارها المُقَدَّر للانتقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾، فهو إذن مقدار سرعة الضوء، قال القماش: "﴿كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾.. كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾"[١٤١٩]، وقال القماش أيضًا: "في (هذا القياس) لا تتجاوز.. مسافة اليوم بأقصى سرعة.. مسافة ألف سنة بحركة ما تُبْنَى على حركته السنة، ويصلح الوصف ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ لتمييز حركة القمر المُتَضَمِّنَة سياقًا والتي تُبْنَى عليها السنة، ولا يصلح أن يكون تمييزا للسنة القمرية؛ لأنه يُحَدِّد مُخْتَار من مُتَعَدِّد؛ وهم لم يستخدموا غيرها في التقويم، وهو يعني: من الذي.. تَظُنُّون؛ وليست السنة محل ظن، وبذلك يشترط السياق لتعريف السرعة القصوى؛ أن تكون حركة القمر وفق ما.. يَظُنُّون (لأنه الأنسب لقياس قيمة ثابتة)؛ وإن كان الواقع بخلافه"[١٤٢٠].

والسنة عند العرب تقوم على سير القمر؛ والتقويم القمري هو المُعتبر في التشريع، قال الرازي: "السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية.. (و) السنة مُعَلَّقَة بسير القمر"، وفي القياس لا تتجاوز مسافة يوم بأقصى سرعة مسافة ألف سنة بسير القمر، ويصلح القيد ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ تمييزًا لحركته المُتَضَمِّنَة سياقًا؛ بجعلها وفق ما كانوا يَظُنُّون من سكون حركة الأرض حول الشمس، لإقامة معادلة طرفيها في نظام معزول؛ ومعنى الظن يفيد أن الواقع بخلافه، وحد سرعة الانتقال بالكون لا يزيد عن: مسافة ألف سنة قمرية في يوم، ولا يمكن لمادة أن تبلغه ولا لقوة أن تتجاوزه.

لم يُقَدَّم الدليل الأول على تحرك الضوء بسرعة غير لحظية؛ إلا عام ١٦٧٦عندما نجح أولاس رومر للمرة الأولى في التاريخ من قياسها.

والمُتَبَادَر أن سرعة الضوء لا نهائية Infinite؛ ولم يكن لبشر في القرن السابع الميلادي زمن الوحي التصور أنها مُقَدَّرَة مَحْدُودَة؛ فلم يُقدم الدليل الأول على أنها محدودة إلا عام ١٦٧٦ عندما نجح الفلكي أولاس رومر Olas Romer من قياسها عن طريق ملاحظة تأخر ظهور أقمار كوكب المشتري خلفه بفارق زمني عندما تكون الأرض في الجهة الأبعد منه في مدارها حول الشمس، لأن ضوء تلك الأقمار يحتاج لفترة أطول مما يعني أن سرعة الضوء غير لحظية، واعتمادًا على التقنيات المُتَاحَة وقتئذٍ والمعرفة بطول القطر الأكبر لمدار الأرض كانت النتيجة حوالي: ٢٢٧ ألف كما ثانية، وتوالت القياسات ثلاثة قرون؛ وأخيرًا عام ١٩٨٣ في مؤتمر القياسات بباريس اعتمدت القيمة: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية[١٤٢١].

[١٤١٧] الرازي حيان في تفسير الآية ٣٦ من سورة يس.
[١٤١٨] تفسير القرطبي.
[١٤١٩] تفسير الحاوي للقماش (٤٤٢/ ١٠٣).
[١٤٢٠] تفسير الحاوي للقماش (٣٥/ ١٠٧).
[١٤٢١] موسوعة أكسفورد ص٣١٦.

قال ابن كثير: "﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾..؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾"[١٤٢٢]، والمماثلة كافية لتدفع القول بأن الملاك ينزل بالأمر ٥٠٠ سنة ثم يرجع ٥٠٠ سنة؛ لأن النص الأول خالي من الاشتباه، والقياس عند ابن عباس هو: "مقدار سير الأمر"[١٤٢٣]، ونقل السيوطي عن قتاده: "يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة"[١٤٢٤]، وقال الزمخشري: "(وهو) يقطع مسيرة ألف سنة في يوم"، وأصاب ابن عباس عين النبع بمعوله بقوله: "لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد"[١٤٢٥]، وقال الألوسي: "وإن لم تبعد هذه السرعة.. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء؛ وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير"[١٤٢٦].

وتعداد السنين عند العرب كان قائمًا على حركة القمر بمنازله النجمية: ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس: ٥؛ والسنة أساسها حركة القمر ليتم اثنا عشر شهرًا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٦، وفي القياس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ قال النَّابُلْسِي: "إنّ القرآنَ يخاطِبُ أُناسًا يعتمدون السَّنَةَ القمَريةَ؛ حيث إنّ القمرَ يدور حولَ الأرضِ كل شهرٍ دورةً..، (ولو) عرفنا المسافةَ التي يقطعُها القمرُ.. في رحلتِه حولَ الأرضِ في ألفِ عامٍ (فبُنَاءً على أَنَّ).. القمرَ يقطعُ في ألفِ عامٍ ما يقطعه الضوءُ في يوم واحدٍ.. (فبالتالي نَعْرِفُ) سرعة الضوء في الثانية..، وهذه السرعةُ هي أعلى سرعةٍ في الكون..، (وباختصار:) إنّ المسافةَ التي يقطعُها القمرُ في مدارِه الخاصّ حولَ الأرضِ في ألفِ سنةٍ قمريةٍ تساوي المسافةَ التي يقطعُها الضوءُ في يومٍ أرضي واحدٍ"[١٤٢٧]، والقمر كبقية الأجسام حركته نسبية تتباين فتتطلب تحديد إطار؛ فهو يدور حول الأرض كما لو كانَا في نظام معزول عن التأثير الخارجي؛ وفوق ذلك يدور معها حول الشمس، والقيد ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يُحَدِّد بإصرار حركة القمر حول الأرض فحسب؛ وفق ما كانوا يَعُدُّون ويَظُنُّون طبقًا لنموذج مركزية الأرض Geocentric Model، وكأن الأرض ساكنة لا تدور حول الشمس، وحركتيهما بالنسبة للنجوم مُجَرَّدَة في نظام معزول؛ مُقابل سرعة الضوء التي لا تتحقق إلا بالفراغ في نظام معزول، وهي صيغة معادلة بجعل الطرفين في نظام معزول؛ كما في كل معادلات الحركة في الفيزياء.

والتشبيه في سياق تساوي المسافة: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾؛ يعني أن المسافة في يوم تُقَارِب مسافة الألف سنة وتماثلها ولا تتخطاها، لأن المشبه لا يتجاوز المشبه به في وجه الشَبَه؛ كقولك فلان كالأسد، أي يُقَارِبُهُ ولا يَفُوقُهُ في الجَسَارَة، وفي التعبير: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)؛ لفظ (كان) لا يعني الماضي في سياق دوام التدبير؛ وتقديره (كان دوما كذلك)، و(المقدار) في اللغة: المقياس والحد، فقد يقل قليلا محافظًا على إطار المماثلة؛ لكنه لا يزيد ويتجاوز الحد، وكل معايير حركة القمر وسطية وليست ثابتة؛ وهذا لا يستبعد اعتمادها كمقياس لإثبات المماثلة؛ خاصة أن القمر أقرب الجيران وحركته بانتظام، والتعبير (يَعْرُجُ) لبيان انحناء المسار يفيد أن الفضاء ليس فراغًا تَامًّا ليسري الضوء كخط مستقيم وتبلغ سرعته أعلى حد، والقيمة بالفيزياء: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية؛ لكن القيمة المستخدمة عَمَلِيًّا بالقياسات الفلكية هي حوالي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية، وسرعة الضوء كحد للانتقال تختص بالعالم المادي ولا تمنع وجود سُبُل تواصل أسرع؛ وإنما هي نتيجة قياسات لِمُدْرَكَات حِسِّيَّة، وسرعة الضوء هي نفس سرعة كل أشكال الطيف كالأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء وموجات الراديو والتلفزيون؛ ومن الجائز أيضا موجات الجاذبية، وأي جسيم ذو كتلة موجبة لكي تبلغ سرعته قيمة سرعة الضوء سيحتاج لطاقة لا نهائية؛ ولا يمكن إذن لجسيم بلوغ سرعة الضوء إلا إذا كان معدوم الكتلة كجسيم الضوء؛ ولا أن يتجاوزها إلا إذا كان سالب الكتلة، لكن الافتراض بوجود جسيمات سالبة الكتلة أسرع من الضوء تسمى تاكيونات Tachyons؛ ليس إلا تَخْمِين وافتراض نظري لم يثبت.

[١٤٢٢] تفسير ابن كثير تحقيق سلامة ج٥ص٤٤٠.
[١٤٢٣] الإتقان ج٢ص٧٦.
[١٤٢٤] الدر المنثور ج٦ص٥٣٨.
[١٤٢٥] تفسير القرطبي (١٤/ ٨٧).
[١٤٢٦] الألوسي ٢٩\٥٨.
[١٤٢٧] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي (٢/ ٢٢).

(٤) الأرض في حركة دائبة طائعة للتقدير:

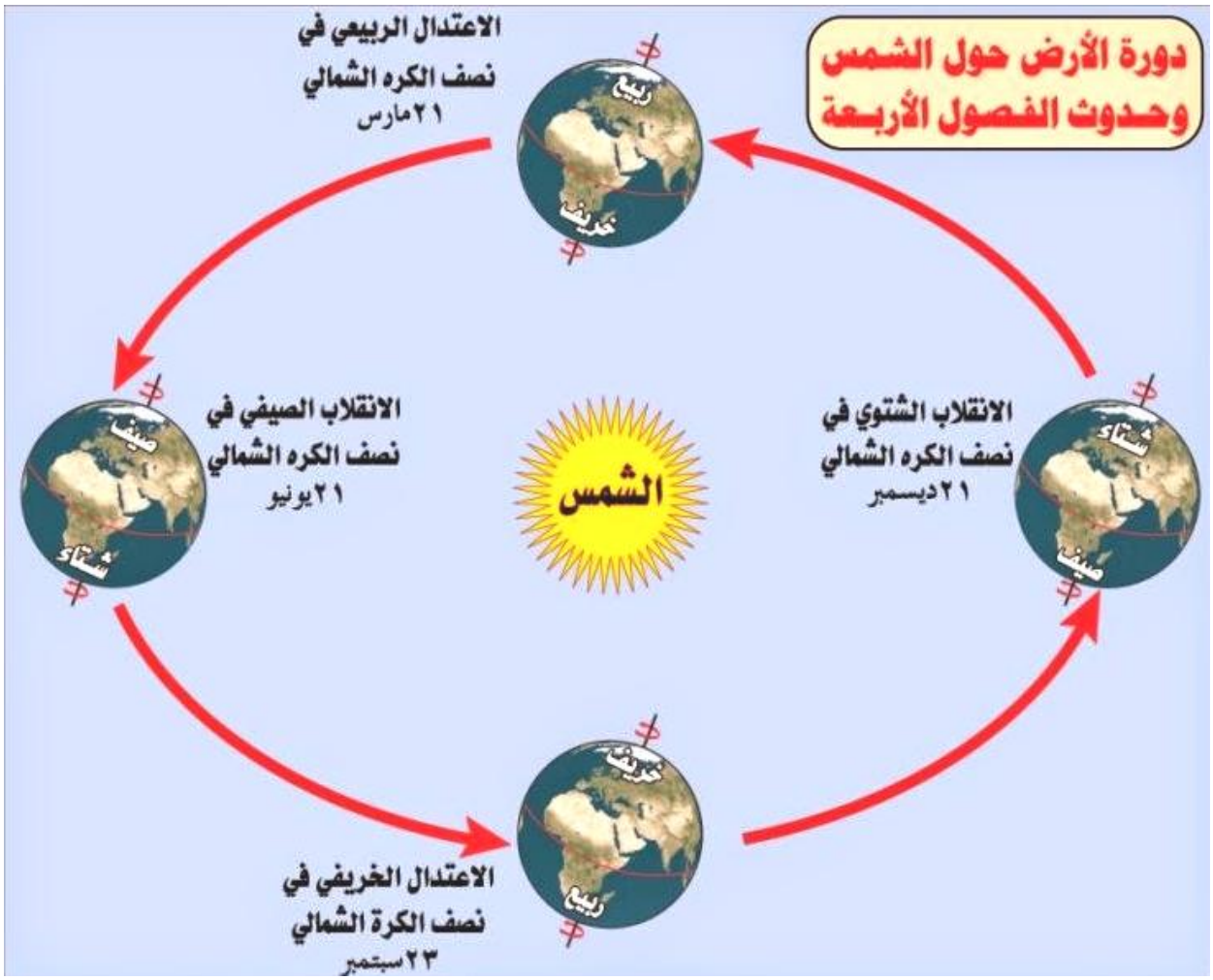

في التمثيل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ٤١فصلت:١١؛ الإتيان قرين الحركة وكان جو السماء حولها دخان يتبدد ولا يلازمها سيرها حتى هبطت حرارتها واستقر الجو فلازمها سيرها، وشرط قياس السرعة المُطلقة في الكون: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ قد جعل المِقْيَاس في نفس المجال المعزول للمُقَاس، وراعى نسبية حركة القمر، وأفاد أن الحركة الفعلية للقمر والأرض بخلاف ما يَعُدُّون ويَتَوَهمون، لأنه يعني: مما تَظُنُّون؛ أي: "تَحْسَبُون"[١٤٢٨] و"تُقَدِّرُون"[١٤٢٩] و"تَعْتَقِدُون"[١٤٣٠]، قال طنطاوي جوهري: "أرضنا إذن دائرة غير دائرة؛ نحن نراها ساكنة ولكنها دائرة لا تهدأ"[١٤٣١]، "ومن جملة سيارات شمسنا هذه الأرض التي نحن عليها، والقمر ملتزم بها؛ ويدور عليها ومعها على الشمس"[١٤٣٢]، إذن: "دوران الأرض حول الشمس ليس غير مُخَالِف للقرآن فحسب؛ بل له منه دلائل"[١٤٣٣].

[١٤٢٨] القرطبي.
[١٤٢٩] المنتخب.
[١٤٣٠] ابن كثير.
[١٤٣١] تفسير الجواهر ٢٤٢١٩.
[١٤٣٢] تفسير الجواهر يونس ٥.
[١٤٣٣] تفسير الجواهر ١٦ ٢١.

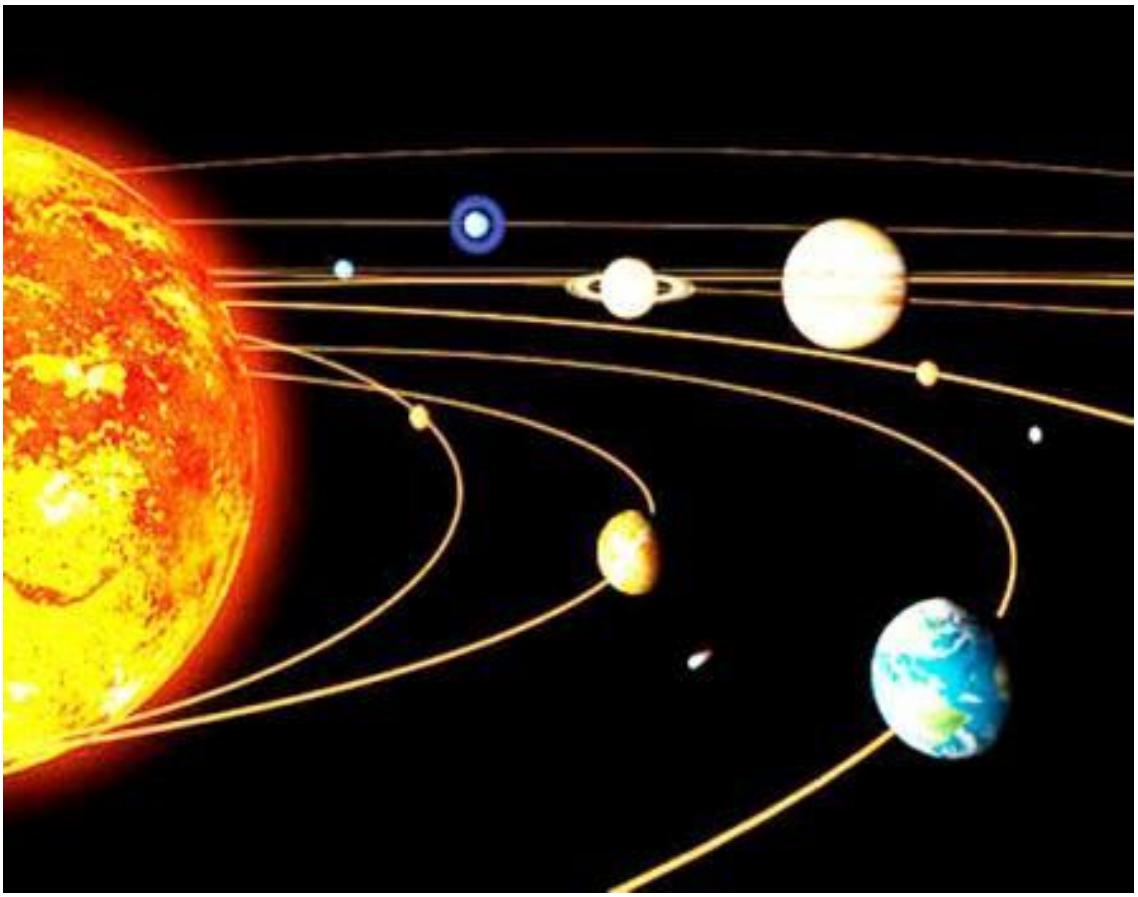

يقول العلي القدير: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠، قال القاسمي: "التنوين في لفظ كُلٌّ عوض عن الإضافة للأجرام، والمعنى كل واحد من أجرام السماء كالشمس والقمر؛ في فلك خاص به يسبح بذاته"[١٤٣٤]، وقال الألوسي: "فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها"[١٤٣٥]، وأن: "للثوابت حركة"[١٤٣٦]، وقال ابن عاشور: "المراد تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الأجرام؛ وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن"[١٤٣٧]، وكل البشر يُعَايِنُون آيات السماوات كالشمس والنجوم تَمُرُّ عليهم وهم على الأرض التي تبدو ساكنة؛ ولكن القرآن يجعل سكون الأرض نسبي دالاً على حركتيها السنوية واليومية بإعلانه صريحًا أنهم هم الذين يَمُرّونَ على آيات السماوات وهم على ظهرها؛ كما يَمُرُّونَ على آيات الأرض وهم على ظهر المركوبات السيارة ولا يعتبرون: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف: ١٠٥، وفي تفسير الميزان: "المعنى أن هناك آيات كثيرة سماوية وأرضية تدل بوجودها والنظام البديع الجاري فيها على توحيد ربهم..، ولو حُمِلَ قوله ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ على التصريح دون الكناية؛ كان من الدليل على.. حركة الأرض..، فإنا نحن المَارُّونَ على الأجرام السماوية بحركة الأرض الانتقالية والموضعية (أي السنوية واليومية)..، لا بالعكس؛ على ما يُخَيَّل إلينا في ظاهر الحس"[١٤٣٨].

[١٤٣٤] تفسير القاسمي.
[١٤٣٥] تفسير الألوسي.
[١٤٣٦] تفسير الألوسي.
[١٤٣٧] تفسير ابن عاشور.
[١٤٣٨] تفسير الميزان (١١/ ١٤٦).

[٥] الكون عارض وعمره محدود

في عام ١٩٢٩ أعلن إدوين هبل Edwin Hubble ملاحظة كان لها أثر كبير في فهم طبيعة الكون، وهي أن معدل تباعد المجرات البعيدة يتزايد مع زيادة البعد؛ وفق قيمة تبدو ثابتة، سميت بثابت هبل Hubble Constant، فالضوء القادم منها ينزاح في الطيف Spectrum ناحية الجانب الأحمر ذي الموجات الأطول، وهي أشبه بصوت القطار المتباعد تتخلخل موجاته وتطول بعكس تضاغطها وقصرها عند قدومه؛ فاستنتجوا أن الانزياح نحو الجانب الأحمر Red Shift في طيف تلك المجرات يعني تباعدها، والعودة إلى الخلف تعني أن كل مادة الكون كانت في أجزاء قليلة من الثانية الأولى مضغوطة في حيز ضئيل في حالة تمدد فجائي أشبه بانفجار مهول، لذا سميت البداية تشبيهًا بالانفجار العظيم Big Bang.

وبناء على ما هو معلوم في الفيزياء؛ انضغاط مادة الكون يُوَلِّد حرارة هائلة يصاحبها إشعاع مميز أمكن توقعه نظريًّا، وفي عام ١٩٦٤ رصده من كل اتجاه بغير قصد أرنو بنزياس Arno Penzias وروبرت ولسون Robert Wilson، وسمي بالخلفية الإشعاعية Background Radiation، وبهذا أضيف دليلاً حاسماً قائماً على الرصد لا الافتراض النظري والتخمين؛ على أن للكون بداية وتَأَيَّدَ مفهوم الانفجار العظيم، هكذا أثبتت الفيزياء أن عمر الكون محدود قاطعةً بأنه عارض وله ابتداء؛ يُعلن للفطين عن موجود أزلي أبدع الوجود أحد قدير، ولم يستطع هاوكنج Hawking ذو الميل للإلحاد إلا أن يقول: "إن كونًا ذو ابتداء يستحيل أن يكون بلا خالق أوجده"[١٤٣٩]، والتصميم المُبْدِع والنظام Order الدال على التقدير بحكمة والتدبير بقصد؛ أجبره أن يقول أنه: "عماد تاريخ العلم التجريبي أجمع"[١٤٤٠]، أي: لو لم يكن نظام ومقدمات تؤدي لنتائج مُحددة مهما تكرر الحدث؛ ما وُجِدَت قوانين ليكتشفها العلم ويُثبت انعدام الفوضى Chaos.

[١٤٣٩] A Brief History of Time, St. Hawking, P.122.

[١٤٤٠] A Brief History of Time, St. Hawking, P.140.

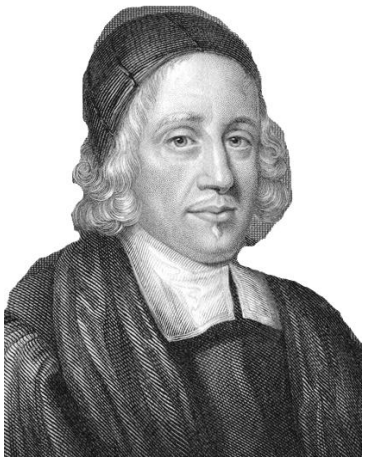

جون لايتفوت John Lightfoot
(١٦٠٢-١٦٧٥)

جيمس أوشر James Ussher
(١٥٨١-١٦٥٦)

وكانت البدايات الأولى في القرن السابع عشر لتقدير عمر الكون متواضعة؛ فقد استنبط جيمس أوشر James Ussher في كتابه "استنتاج بداية خلق العالم من تاريخ الأحداث في العهد القديم" أن الكون قد خلق ليلة الأحد ٢٣ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ ق.م، واختار القس جون لايتفوت John Lightfoot سنة ٣٩٢٩ ق.م، فنشأة الكون عندهما منذ ستة آلاف سنة بفارق ٧٥ سنة، بينما تتراوح التقديرات حاليا لعمر الكون بين ١٠ و١٥ بليون سنة[١٤٤١]، وأول الطرق "معادلة هبل": "عمر الكون = (سرعة الضوء × مليون)\ ثابت هبل"، وأساسها أن بلوغ سرعة تباعد المجرات قيمة سرعة الضوء يعني بلوغ البداية حين نشأ الكون مع بلوغ أقصى بعد ممكن المشاهدة، لكن التقدير قائم على كون بلا جاذبية؛ ولا يوجد يقين على أن معدل تباعد المجرات ثابت منذ النشأة، وبناء على رصد تغير ضئيل في الخلفية الإشعاعية؛ استنتج كارليس بينيت Charles Bennett القيمة: ١٣,٧٥ بليون سنة، وبناء على أن عمر الكون هو على الأقل عمر أقدم ما فيه؛ اتجهت الدراسات إلى رصد تحلل العناصر المشعة في أقدم النجوم، ومن الدراسات الرائدة والواعدة؛ تلك التي قام بها عام ٢٠٠١ روجر كاريل Roger Cayrel وفريقه بالتعاون مع فلكيين من عدة مراصد في فرنسا والسويد وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل، برصد تحلل اليورانيوم-٢٣٨ في أقدم النجوم، وكحد أدنى كانت النتيجة: ١٢,٥ بليون سنة؛ وكل الطرق الأخرى تُعْطِي قيم أعلى ولكن مع نسبة ارتياب أكبر، فأقصى بُعد إذن ممكن الرصد: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية على أقل تقدير، وللتبسيط: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء؛ باستخدام أكبر وحدة زمن في عالمنا وهي مدة دوران الشمس حول مركز المجرة (حوالي ٢٥٠ مليون سنة)، وتسمى السنة الكونية Cosmic Year.

وكل مشاهداتنا للأبعاد السحيقة في الكون أحداث مضت منذ زمن بعيد، فليس توسع الكون إذن حدث قريب، وكلما نظرت بعيدًا رجعت بالزمن إلى الوراء؛ حتى يستنفذ كل عمر الكون عند لحظة مولده، ولا يعُد بالإمكان مزيد مشاهدة، فالطرف البعيد إذن للكون محجوب نراه بعيدًا وقد يكون قريبًا، وفي سابقة لا نظير لها في أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ تُقَاس أبعد مسافة مُمْكِنَة الرصد بأكبر سرعة وأكبر وحدة زمن فلكية في النبأ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠، والإيجَازُ اعتمادًا على السياق عماد بلاغة القرآن الكريم، والقيمة (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) جَمَعَت بإيجاز بين قيمتين: (ألف سنة) و(خمسين سنة) أو (خمسين) في سياق أكبر وحدة زمن في عالمنا؛ وهي مدة دورة الشمس قي منازلها، والتي لم تُعرف إلا حديثًا مع تطور علم الفلك، والقيمة (ألف سنة) مبنية على سير القمر في منازله النجمية، وإذا ضُمَّت إلى (يوم) عَبَّرَت بإيجاز عن قيمة أكبر سرعة للانتقال في الكون؛ خاصة أنها بنفس النَّسَق: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ السجدة: ٥، وقبل أن تُقَاس المسافات الكونية بسرعة الضوء كأكبر سرعة مع وحدة زمن مناسبة؛ ترد القيمة (خمسين سنة) أو (خمسين) في سياق أكبر مسافة، لتعبر بإيجاز الحذف أو التنازع عن أكبر وحدة زمن في عالمنا تُمَاثِل سنة؛ وتقديرها كما نعلم اليوم هو السَّنَة الكَوْنِيَّة، والنتيجة أن أبعد مسافة

[١٤٤١] Hawking' universe, p.55

مُمكنة الرصد في الكون المُمكن المشاهدة: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء، ويحتاج الضوء لعمر الكون ليقطع أبعد مسافة، لذا عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة؛ وهي نفس النتيجة بالدراسات الفلكية الحديثة.

ولا يُمكن لكائن مَادِّي ذو كتلة أن يرصُد لحظيًّا طرفي قياس أقصى بعد للكون الشاسع الاتساع المُتَغَيِّر الأبعاد ويَجُول فيه مُتَّبِعًا مساراته المنحنية؛ إلا إن كان كائنًا روحيًا متحررًا من حواجز عالم المادة، وحتى الضوء الخالي من الكتلة سيستغرق عمر الكون ليعبر من طرف لآخر، وسيظل الأفق الأعلى يُرَى بعيدًا وهو قريب، لأن سرعة الضوء محدودة والناظر يُطالع الماضي البعيد، فناسب ذكر الملائكة والروح رُسُل الهِدَايَة والإِنْذَار، والمراقبين المُتَخَفِّين لتَدْوِين الأَعْمَال في سياق التهديد بقرب اليوم الموعود؛ كشهود في القياس لما يبدو عليه للناس أقصى طرف للكون بخلاف الواقع المستور.

قال طنطاوي جوهري: "ليس المُراد المُدَّة بل بعد المَدَى.. وقَدَّمَ الملائكة لأنهم في عالم الأرواح.. العالم المبرأ عن المادة، (لأنه).. لا يُرتقى إلى تلك المعارج إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة"[١٤٤٢]، وقال البيضاوي: "استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مَدَاهَا"[١٤٤٣]، وقال الشوكاني: "ذُكِرَ هَذَا الْمِقْدَارُ.. لِغَايَةِ ارْتِفَاعِ تِلْكَ الْمَعَارِجِ وَبُعْدِ مَدَاهَا"[١٤٤٤]، وقال البغوي: "المسافة من الأرض إلى (مُنتهى) السماء"[١٤٤٥]، وقال الألوسي: "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مَدَاهَا.. والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع"[١٤٤٦]، وفي اللغة: "(تعارج): حاكى مشية الأعرج، و(عرَّجه): ميَّله، و(تعرَّج): مال، و(التعاريج) المُنحنيات، و(العُرْجُون) العذق المُعْوَجّ"[١٤٤٧]، و"العروج في الدنيا.. رُوِيَ (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا"[١٤٤٨]، و(الْمَعَارِجِ) جمع لاسم المكان مَعْرَج، كأدق وصف للآفاق المُمَيَّزَة بلبنات طبقات الأجرام؛ حيث تسري القوى بانحناء كمشية الأعرج، والاكتشاف بأن مسارات القوى والأجرام منحنية دفع الفيزياء لإطلاق تعبير الكون المنحني Curved Universe.

وإصدار الضوء وكافة القوى في الفيزياء دفقات في آنات متعاقبة أجزاء أو كَمَّات؛ يحمل كل منها قدر من الطاقة يُمَيِّزُهَا، هذا هو مُنْطَلَق ميكانيكا الكم Quantum Mechanics، و(لمح) البرق يبدو دفقة واحدة ما تلبث أن تزول في أقل زمان، لكن العدول عن المفرد (لمحة)؛ فيه إيماءة إلى أن (اللمح) سيل مُرَكَّب، أي رتل من أجزاء متتابعة تسري في آنات متعاقبة، قال الرازي: "(و) تِلْكَ الْأَجْزَاءَ كَثِيرَةٌ، وَالزَّمَانُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ لَمْحُ الْبَصَرِ مُرَكَّب مِنْ آنَاتٍ مُتَعَاقِبَةٍ"، وقال ابن عادل: "والزَّمانُ الذي يحصل فيه لمحُ البصر مُرَكَّبٌ من أزمانٍ متعاقبةٍ..، (واللمحة) في زمان واحد من تلك الأزمان"، وفي المنار: "اللَّمْحَةَ بَعْدَ اللَّمْحَةِ وَالْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ"، أي أن (اللمح) مُعَقِّبَات؛ والأساس (لمحة) تحدث في بُرْهَة ضئيلة؛ أي هُنَيْهَة.

وجو الأرض وسط مادي أكثر كثافة من الفضاء؛ لذا سرعة الضوء في الخلاء أسرع من لمح البصر في الجو، وفي النبأ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٧؛ بيان يحصر العلم بالأحداث الآنية بالكون على القدير وحده، و(الأمر) المُختص بساعة نهاية العالم يستقيم حمله على تقارب أطراف الكون وطي الصفحة المرئية وقرب اليوم الموعود؛ ففيه تَوَعُّد وتَهْدِيد للغافلين عن المصير، وإنذار لينتبه الفطين، والتمثيل في التعبير: (لمح البصر)؛ إيجاز لا يُخْرِجُ (اللمح) عن دلالته على البريق اللحظي المفاجئ للبرق في التمثيل النظير: ﴿كَلَمْحِ بِالْبَصَرِ﴾؛ ولا عن دلالة لفظ (البصر) علي عين الإنسان كأداة للإبصار؛ خاصة مع التمييز بين الأبصار والضوء المباغت للبرق الذي يكاد أن يصيبها بالعمى اللحظي من شدة سطوعه: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النور: ٤٣، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ البقرة: ٢٠، وفيه بيان في سياق التقرير لا التقريب؛ بأن قوى الدمار قادمة لا يدركها بشر لسعة الأبعاد، بأسرع قليلا من سرعة الضوء بالجو؛ حيث يتكون برق السحاب ويُشَاهد، قال ابن

[١٤٤٢] تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري ج٢٤ص٢٦٠.
[١٤٤٣] تفسير البيضاوي ج٥ص٣٨٧.
[١٤٤٤] فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٤٥).
[١٤٤٥] تفسير البغوي ج٣ص٤٩٨.
[١٤٤٦] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٨.
[١٤٤٧] المعجم الوسيط.
[١٤٤٨] تفسير الألوسي ج٢٩ص٥٧.

عادل: "(اللمح) أصله من لَمحَانِ البَرْق"، وقال الرازي: "(أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)..: الْمُرَادُ: بَلْ هُوَ أَقْرَبُ (أي).. أَسْرَعُ"، لبيان: "سرعة مجيء الساعة"[١٤٤٩]، وقال الشوكاني: "ليس هذا من قبيل المبالغة بل هو كلام في غاية الصدق"[١٤٥٠].

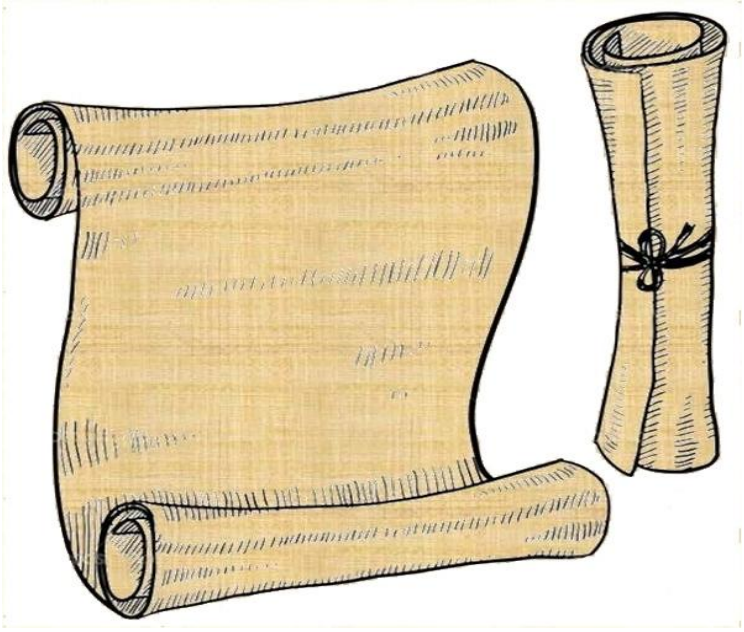

نهاية العالم وطي صفحة السماء؛ وتلاشي معالمها المرئية، أشبه بلف المطوية التي كان يُسَطِّر فيها القدماء ذخائر الكتب ولا يظهر فيها سوى أطرافها المطوية.

وتُقَدِّم الفيزياء التصور لنهاية الكون بمصطلح الانسحاق العظيم Big Crunch، وفي سياق التهديد باليوم الموعود؛ يُقَدِّم القرآن الكريم الآلية بطي صفحة الكون المرئية: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٤، والسجل المكتوب عند القدماء مطوية Scroll كانت تسجل فيها ذخائر الكتب، وهي تمثيل لآفاق الكون الممكن المشاهدة؛ والزاخر بحركات مُذْهِلَة لا تُحْصَى بلا تَصَادُم؛ تنطق بسبق التقدير وحسن التدبير.

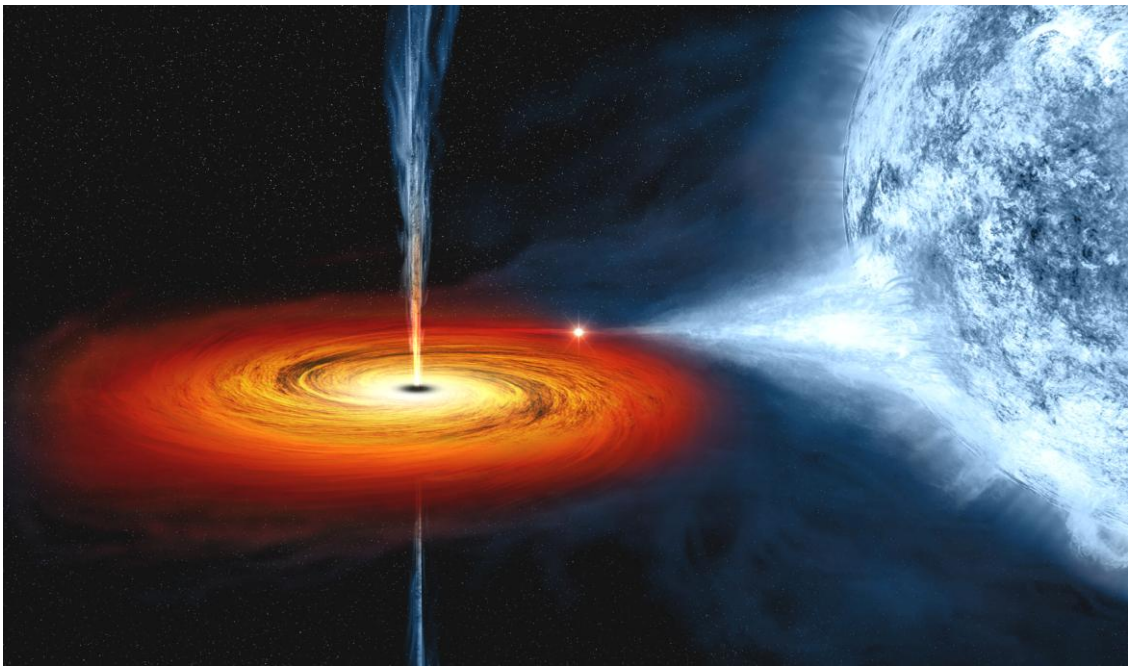

وكما تختفي زخارف سجادة داخلها مع طي طرفها؛ يختفي المكتوب في السجل داخله ولا يظهر منه سوى طرفه يُطْوَى، والثقب الأسود Black Hole كذلك؛ حيث يبتلع النجوم حوله فتختفي داخله ولا يظهر سوى طرفه يُطْوَى، فهو من شدة

[١٤٤٩] التفسير الوسيط مجمع البحوث (٥/ ٦٥٨).
[١٤٥٠] فتح القدير ٣\١٨٢.

الجاذبية لا يفلت منه حتى الضوء، ولا يظهر سوى حُطَام يَدُور حوله؛ فسموا طرفه أفق الحدث Event Horizon، ويكفي وجود ثقب أسود وسط مجرتنا يَتَرَصَّد؛ ولا أمان أن يَطْوِيها ويتكاتف مع أمثاله ليصنعوا مقبرة للكون أجمع، وكأن النهاية ثقب أسود هائل يبتلع كل الأجرام الفلكية قبل الاسحاق التام تمهيدًا لعودة الكون كما كان؛ بيانًا للاقتدار والوحدانية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر:٦٧.

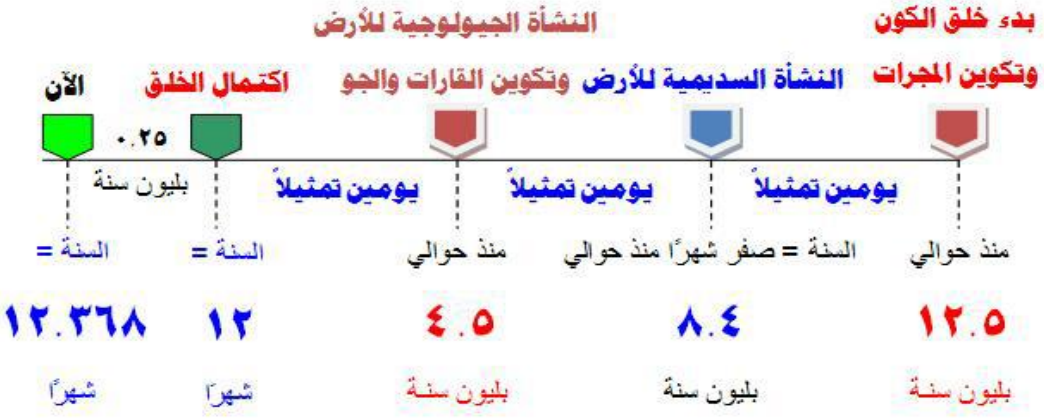

إذا كانت السنة عند اكتمال خلق العالم: ١٢ شهرًا وحاليا: ١٢,٣٦٨ شهرًا، بزيادة: ٠,٣٦٨ شهرًا في ٠,٢٥ بليون سنة؛ تكون كل الزيادة: ١٢,٣٦٨ شهرًا في ٨,٤ بليون سنة، فيكون العمر الجيولوجي للأرض حوالي ٤,٥ وعمر العالم حوالي ١٢,٥ بليون سنة.

والقرآن الكريم يُصَوِّر أطوار خلق الكون الممكن الرصد بستة أيام متتابعة؛ أي كبناء مُشَيَّد في أطوار متتابعة تمثيلاً بالأيام لبيان سبق التقدير ووحدة التصميم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ السجدة: ٤، وقد جعل الأحداث كل يومين في ثلاث مراحل متساوية، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ فصلت: ٩و١٠، وفي تاريخ الأرض معلم بارز على تكاملها بوقوع هلاك جماعي لأوائل الأحياء Permian–Triassic extinction منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة في بداية الحقبة الوسيطة Mesozoic Era؛ وفي تلك الفترة استقر الجو وتشكلت أوائل القارات قطعة واحدة سميت أم القارات Pangaea، وهي أيضًا مدة سنة كونية، والمُلفت للنظر أن يدل حديث نبوي على مرور دورة زمنية كونية واحدة منذ اكتملت الأرض: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض؛ السنة اثنا عشر شهرا" رواه البخاري، والزمان وليد حركة الأجرام في عالمنا حيث الشمس والقمر، وأكبر وحدة زمنية في عالمنا هي سنة كونية؛ أي مدة دورة الشمس حول مركز المجرة.

والسنة الأرضية مبنية على حركة الأرض حول الشمس وطولها حاليا: ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية، أي: ٣٦٥,٢٤٢٢ يومًا؛ أو: ١٢,٣٦٨ شهرًا، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ التوبة: ٣٦؛ (خَلَقَ) فعل ماضي يُفيد أن السنة عند اكتمال خلق الأرض كانت ١٢ شهرًا، وتراكم فترة الزيادة (٠,٣٦٨ شهرًا) في ٢٥٠ مليون سنة يعني أن الزيادة (١٢,٣٦٨٢٧ شهرًا) تراكمت في حوالي: ٨,٤ بليون سنة؛ أي مع نشأة الأرض حركيًا كدوامة انفصلت عند طرف سديم بالمجرة، لأنه تقريبًا نفس العمر المُقدر لتكامل تَمَيُّز سُدُم المجرة: ٨,٤ (حوالي: ٧-١٠) بليون سنة، ووفق مخطط الأيام الستة تمثيلا لأطوار خلق الكون وتمييز الأحداث في ثلاث مراحل متساوية؛ المُلْفِت أن ينتج نفس العمر الجيولوجي المقدر حاليًا للأرض وهو حوالي: ٤,٥ بليون سنة؛ ويَتَأَكَّد أن عمر الكون على أقل تقدير هو: ١٢,٥ بليون سنة.

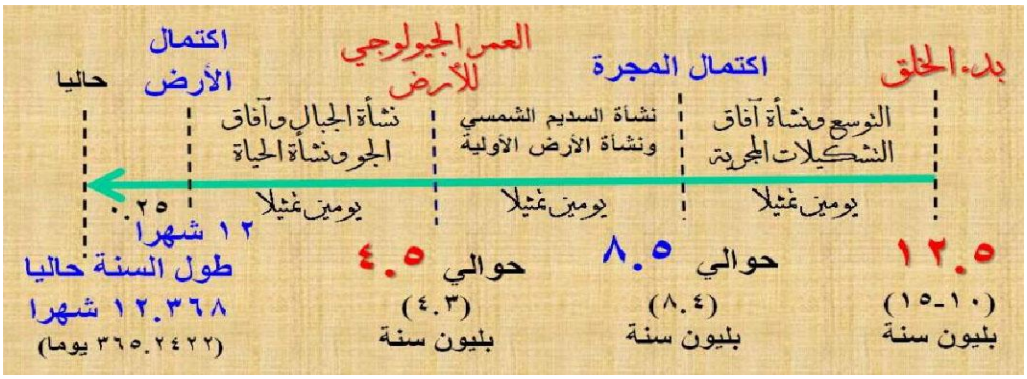

وفي التقسيم الزمني لأطوار خلق الكون إلى ثلاثة مراحل أساسية أو ستة فصول فرعية؛ إذا اِعْتَبَرْت أقصى تقدير للعُمر الجيولوجي للأرض: ٤,٧٥ (٤,٥-٥) بليون سنة، وأقل تقدير: ٤,٣ (٤,٦-٤) بليون سنة؛ توافق النتيجة أن عمر الكون على أقصى تقدير: ١٣,٧٥ بليون سنة، وإذا أخذت بالأحوط؛ يكون عمر الكون على أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة.

[٦] مفاهيم دخيلة يرفضها الوحي والعلم

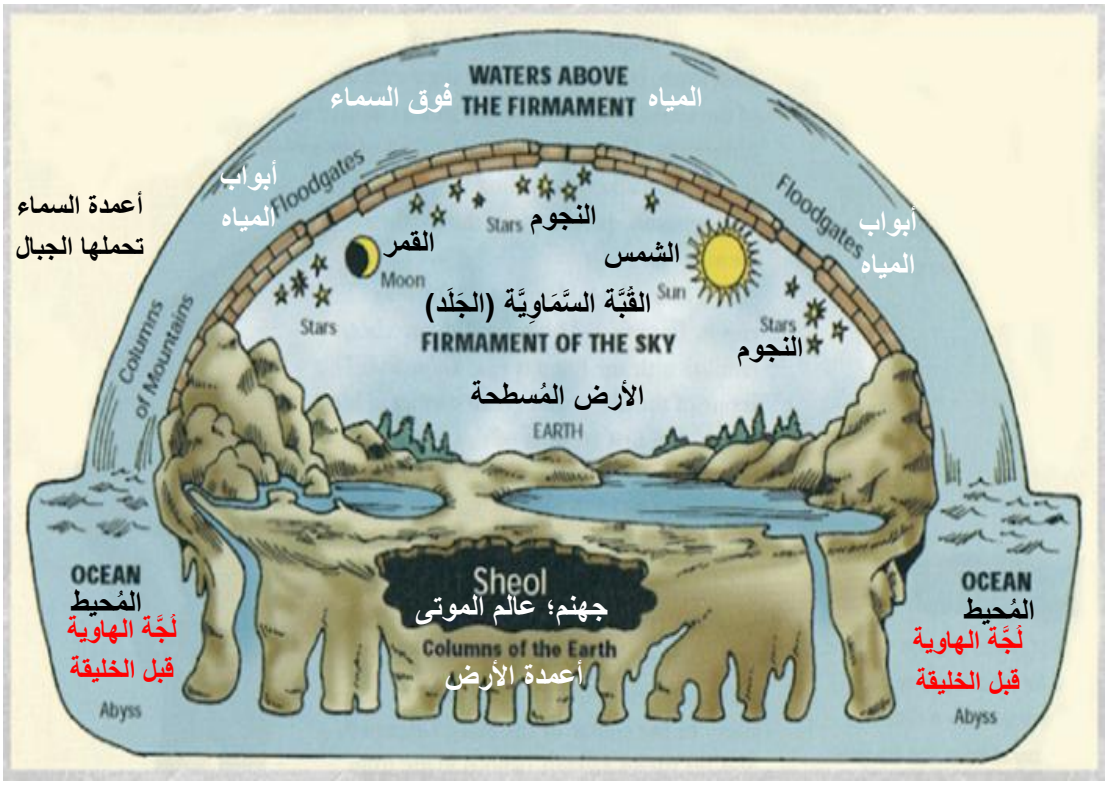

تصور كتبة الأسفار؛ أن السماء قُبة مبنية أعمدتها رءوس الجبال عند أطراف الأرض المُسطحة القائمة على أعمدة، والسماء فوقها مياه قبل الخليقة يعلوها الكرسي أو عرش الإله، فليست السماء من الأرض ببعيد ويُمكن للماشي بلوغها، أما الروايات فقد اختلفت اختلافًا واسعًا في تحديد زمن سير الماشي؛ ولم يجدوا إلا أن يحملوها على اختلاف سرعة السير، قال ابن حجر: "اِخْتَلَفَ الْخَبَر الْوَارِد فِي قَدْر مَسَافَة مَا بَيْن السَّمَاء وَالْأَرْض..؛ فِي التِّرْمِذِيّ أَنَّهَا مِائَة عَام، وَفِي الطَّبَرَانِيّ خَمْسمِائَة..، (و) عِنْد أَبِي دَاوُدَ..: إِحْدَى أَوْ اِثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاث وَسَبْعُونَ..، وَالْجَمْع بَيْن اِخْتِلَاف هَذَا الْعَدَد.. أَنْ تُحْمَل الْخَمْسمِائَةِ عَلَى السَّيْر الْبَطِيء كَسَيْرِ الْمَاشِي.. وَتُحْمَل السَّبْعِينَ عَلَى السَّيْر السَّرِيع"[١٤٥١]، ودخلت أيضا في التفسير، قال ابن الجوزي: "يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض ثم يعرج الملك إليه في يوم من أيام الدنيا؛ فيكون الملك قد قطع في يوم في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الآدمي"[١٤٥٢]، وكثرت الروايات التي تقرر أن الأرض تحتها أراضي بين كل أرضين مسافة خمسمائة سنة كما بين كل سماء وما يليها، وفي إحداها: "والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم رجلاً بحبل إلى الأرض السُفلى لهبط على الله"؛ والنبي محمد (عليه الصلاة والسلام) بريء من تلك الغرائب.

وقبل معرفة الحقائق العلمية القاطعة؛ لك أن تدهش مما بذله علماء الإسلام من جهود في تحقيق مثل تلك الأخبار الدخيلة، وفي خبر أكثر غرابة: "هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟، قالوا: لا ندري، قال: بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات، ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال (تيوس جبلية قوية القرون) بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك"، والحديث أخرجه جملة أئمة عن العباس منهم الإمام أحمد في مسنده (رقم ١٧٧)، وأبو داود (٢٧٦/٢)، وابن ماجة (٨٣/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٣٩٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٦٨) والحاكم في المُستدرك (٣٧٨/٢)، ولكن الترمذي وصفه بالغرابة، وحققه الشيخ محمد زاهد الكوثري وانتهى إلى أنّه دخيل فسماه في مقالاته (ص٣٠٨): "أسطورة الأوعال"، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد بن حنبل (ج١ص٢٠٦): "إسناده ضعيف جدا".

[١٤٥١] ابن حجر العسقلاني؛ فتح الباري (١٢٠\ ٤٩٩).

[١٤٥٢] ابن الجوزي: تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١١ \ ٧٧).

وضَعَّفَهُ أيضًا الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بقوله: "الحديث ضعيف الإسناد لا تقوم به حجة..، وللحديث علتان: الاضطراب في إسناده وجهالة أحد رواته..، وهذا موضوع هام يجب على كل مُشتغل بعلم السنة وتراجم الرواة أن يكون على بينة منه كي لا يخطئ بتصحيح الأحاديث الضعيفة اغترارًا..، إذ كل ما فيه من بيان المسافة بين كل سماء والتي فوقها وكذا البحر فوقها والثمانية أوعال كل ذلك لم يرد فيه شيء صالح للاحتجاج به..، (و) هناك أحاديث أخرى في تحديد المسافة المذكورة؛ وهي مع ضعف أسانيدها مُختلفة مُتناقضة ولا داعي للتوفيق بينها"[١٤٥٣].

وضَعَّفَهُ أيضًا الشيخ مصطفى العدوي في سلسلة التفسير (ج٥١ص٢٤): "حديث الأوعال ليس بصحيح"، وقال الشيخ محمد يحيى عزان في كتابه عرض الحديث على القرآن منهج رائد في صيانة السنة النبوية (ج١ص٢٣): دراسة الأسانيد وحدها لا تكفي في نقد الحديث..، و(لقد) توجهت جهود الفقهاء إلى دراسة متون الأحاديث..، ومن الضوابط.. اعتبار ما يُكذبه العقل ويُنكره الحس والواقع غير مقبول، كحديث: (إن الأرض على صخرة والصخرة على قرن ثور، فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة فتحركت الأرض؛ وهي الزلزلة)، وحديث..: (ثمانية أوعال)".

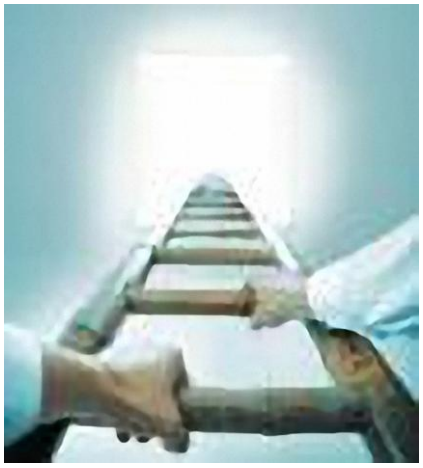

وهكذا شاع الوهم عند كتبة الأسفار بقرب السماوات حيث يجلس المَلِيك المُقْتَدِر مُجسدًا جل في علاه على كُرسي الحُكم كالمُلوك؛ حقيقةً لا مجاز، والسماوات من القُرب بحيث يُمكن بلوغها بسلم أو صرح، ويُلمح القرآن الكريم تعريضًا بوهم الجاهلين بسعة مُلْك العَلِي القَدِير: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ٢٨القصص:٣٨، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ٤٠غافر:٣٦و٣٧، ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٦الأنعام:٣٥.

والقاعدة هي أن شهادة الواقع برهان قاطع، وإذا كان الأصل في الغيبيات هو التفويض بغير تكييف ولا إنكار؛ فالأصل في الكونيات صيانة الشريعة عن الغرائب، لأن الوحي حتمًا لا يُخالف الواقع، قال الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا المتوفى سنة ١٩٩٦ في كتابه السُّنَّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (ص٧٤و٧٩): "حديث الآحاد يُفيد الظن العلمي، و(هو) دليل على الحكم الشرعي؛ ما لم يكُن هناك دليل أقوى منه..، والبُعد الذي لاحظناه عن منهج السلف يرجع إلى انتشار الأحاديث الضعيفة، ويرجع قبل ذلك إلى انتشار مقُولة لم يكن لها رواج بين الفقهاء القدامى؛ وهي أن حديث الآحاد يفيد اليقين العلمي الذي يفيده المُتواتر"، وقال (ص٢٠٤): "اليقين الثابت بالعلم وبالوحي لا يجوز أن يتقدم عليه ظن علمي يرويه حديث آحاد، إن حديث الآحاد يتأخر حتمًا أمام النص القرآني والحقيقة العلمية والواقع التاريخي"، فلا مطعن إذن في رسالة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام بتناول روايات غير قطعية الثبوت عند المحققين وتتضمن غرائب.

وإذا ارتضيت منهج السلف في نقد الأخبار سندًا ومتنًا واستبعاد الغرائب واستنطقت الحقائق العلمية اليوم؛ يترسخ لديك اليقين بأن هذا الكتاب العزيز مُتفرد بالاستعلاء على كل الأوهام غير أي كتاب آخر يُنسب للوحي، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ يُفسره التقدير بسرعة لا ينقطع معها التدبير، والسياق يستبعد تلك الغرائب المُوافقة لتصور كتبة الأسفار أن السماء قبة تحملها رءوس الجبال وتبلغها الأقدام أو البغال، قالت بنت الشاطئ: "تكلف مفسرون فحددوا مقدار ذلك السُّمك (للسماء)، ففي (الكشاف والبحر): جعل مقدارها في العلو مديدًا رفيعًا، مقدار خمسمائة عام، وهذا ما لا يقبله النص من قريب ولا بعيد..، وهو من تفاوت قياس السرعة بالزمن على اختلاف العصور؛ فما كان يُقاس أيام الزمخشري بالأعوام في عصر الناقة؛ أصبح يُقاس بالدقائق والثواني في عصر غزو الفضاء"[١٤٥٤].

[١٤٥٣] موسوعة الألباني في العقيدة (٦/ ٤٠٢).

[١٤٥٤] بنت الشاطئ عائشة محمد عبد الرحمن؛ التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة السابعة (١١ ١٤٩).

[٧] معادلة ثرية بالحقائق العلمية

تخضع حركة القمر لشتى التأثيرات مُن الأجرام حوله خلال دورته حول الأرض؛ ولذا كل معايير حركته قيم وسطية، ووفق علم الإحصاء يُعبر بالقيم الوسطية، كما يُقال: مدة دورة الحيض ٢٨ يومًا؛ أي النموذجية الوسطية تعبيرًا بالغالب.

(١) علاقة كونية ثابتة:

استخدمت قوافل العرب قديمًا الزمن للتعبير عن مسافة، فقاسوا الرحلات بالزمن الناجم عن الحركات الفلكية؛ الحركة اليومية الظاهرية للشمس والتغيرات الشهرية لأوجه القمر، وتعداد السنة ١٢ شهرًا، وفي القياس: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ اليوم بعض السنة، فلا يستقيم حمل المماثلة إلا على المسافة؛ لا الزمن، وكانت السنة في عُرْفِهم تقوم على سير القمر ليتم ١٢ دورة حول الأرض، والدلالة إذن أن المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة تُقطع في يوم واحد، لبيان قيمة السرعة الأعلى Uppermost Speed للانتقال في الكون؛ وهي سرعة الضوء في الفراغ، والمسافة الفلكية التي يقطعها ما تَقُوم على حركته السنة أنسب لقياس مسافة هائلة لا يوجد على الأرض مُتَّسَع لقياسها؛ خاصةً أن القمر أقرب الجيران، لكن حركته نسبية تفتقر لتحديد إطار أو مرجع تُنسب إليه، فتختلف سرعة قطار بالنسبة لمراقب على المحطة عنها بالنسبة لراكب سيارة أسرع أو أبطأ، والمعيار: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ عائد سياقًا على القياس؛ فيعني استبعاد نسبة حركة القمر حول الشمس والاكتفاء بحركته حول الأرض فحسب وفق ما كانوا يَعُدُّون ويظنون.

(٢) تحريد حركة القمر رائعة بلاغية ومأثرة فيزيائية:

بالإضافة إلى حركة القمر حول الأرض يتحرك حول الشمس؛ لذا حركته مركبة، ولو كانت حركته حول الأرض فحسب كما يعدون لكان مداره كامل الاستدارة؛ لكنه بيضاوي ناقص الاستدارة Ellipse، حيث تشارك حركته حول الشمس لتضيف نسبة إلى حركته المُجَرَّدَة، وهو يطوف حول الأرض والشمس متأثرًا كذلك بالأجرام سواهما؛ ولذا في كل دورة للقمر حول الأرض يتغير البعد بين المركزين، وفي كل سنة ومن سنة لأخرى يتغير كذلك بعده قليلا من دورة لأخرى(*).

Moon distances for Cairo, Egypt (2010-2014)

السنة	أقصى بعد (كم)	أقل بعد (كم)
٢٠١٠	٤٠٦٥٤٤	٣٥٦٦٠٦
٢٠١١	٤٠٦٦٥٧	٣٥٦٦٠١
٢٠١٢	٤٠٦٤٣٩	٣٥٦٩٦٤
٢٠١٣	٤٠٦٤٨٥	٣٥٧٠١٤
٢٠١٤	٤٠٦٥٤٧	٣٥٦٩٢٢

(*) http://www.timeanddate.com/astronomy/moon/distance.html?year=2015&n=53

وتقتضي الحكمة إذن لاستخدام حركة القمر كمقياس لقيمة سرعة الضوء بالفراغ المجردة من التأثير الخارجي؛ استبعاد النسبة الإضافية التي تجعل مداره بيضاوي بخلاف ما كانوا يعدون، واستخدام حركته المجردة؛ كما لو كانت الأرض ثابتة لا تدور حول الشمس والقمر يدور حولها فحسب في نظام مستقل معزول عن كل التأثيرات الخارجية، خاصة أن حركة الأرض حول الشمس لا يعاينها إلا مراقب خارج النظام الشمسي لا المراقب الأرضي؛ فاعتبرت ساكنة لا تدور حول الشمس، والناظر بالعين المجردة لوجوه القمر خلال دورته؛ لا يدرك بدون أجهزة فلكية نسبة تغير بعده وكأنها مستبعدة.

ومعيار القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن يعتمد نموذج مركزية الأرض Geocentric Model؛ فيختار للقياس نسبة حركة القمر حول الأرض فحسب وكأنها في الفراغ؛ لأنها الأنسب لقياس قيمة سرعة الضوء الثابتة القيمة في الفراغ، فيكون كلا المِقْيَاس والمُقَاس في إطار مَرْجِعِي واحد: مُسْتَقِل مُغْلَق Inertial Frame of Reference، أي في نظام مَعْزُول Isolated System عن التأثير الخارجي، وبهذا الاعتبار تتحقق علاقة ثابتة باستخلاص نسبة مُجَرَّدَة حوالي: ٨٩% من متوسط أقصى قيمتين لبعدي القمر أو سرعته، ويستبعد نسبة التغير في حركته: حوالي ١١%، وهي ناجمة عن حركته حول الشمس التي تجعل المعايير متغيرة لا يعبر عنها إلا بقيم وسطية، حيث تتباين قيم البعد والسرعة دوريا وقليلا سنويا بخلاف النسبة الثابتة نتيجة حركته حول الأرض فحسب، والتعبير ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن قد سبق بمبدأ النسبية، وأقام علاقة ثابتة كلا طرفيها في نفس الإطار المرجعي وكأنها منسوبة لنجم بعيد ثابت، وهو يعني: من الذي تحسبون وتظنون، فدل بلفظه على دوران الأرض حول الشمس بخلاف ما يظنون؛ فأي إحكام إذن في البيان وإخبار بالمستور!.

(٣) دورة القمر بالنسبة للنجوم:

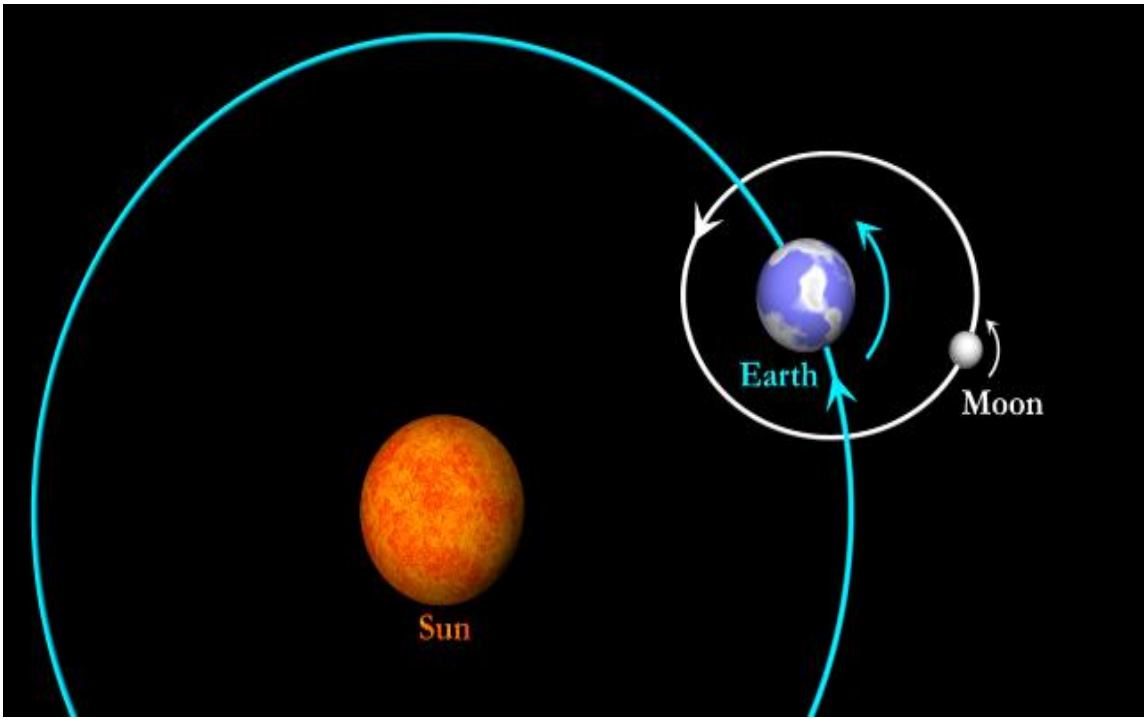

يَتَحَدَّد اليوم بإكمال الشمس دورة ظاهرية كما تبدو للراصد الأرضي، ويسمى فلكيًّا باليوم الاقتراني Synodic Day؛ حيث تقطع الأرض دورة حول نفسها في ٨٦٤٠٠ ثانية، لكنها تتم دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول نفسها بالنسبة لنجم بعيد في يوم نجمي Sidereal Day: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية؛ وتدور حول الشمس في مدة سنة نجميه Sidereal Year: ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يومًا: ٣٦٥ يوما و٦ ساعات، و٩ دقائق و٩,٥ ثانية، ولذا عدد الدورات الظاهرية لحركة الأرض حول نفسها في السنة قيمته تساوي: ٣٦٥,٢٥٦٣٦؛ بينما عدد الدورات الحقيقية: ٣٦٦,٢٥٦٣٦؛ أي بزيادة دورة كاملة كل سنة، ويرجع الفارق فلكيًّا إلى أن الأرض تدور حول الشمس أثناء دورانها حول نفسها، وتَتَحَدَّد مدة الشهر القمري بإكمال القمر دورة ظاهرية كما تبدو للراصد الأرضي؛ ويسمى فلكيًّا بالشهر الاقتراني Synodic Month، وطوله: ٢٩,٥٣٠٥٨٨١ يومًا، ولكن القمر يتم دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة لنجم بعيد في مدة شهر نجمي Sidereal Month: ٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ يومًا: ٢٧ يوما و٧ ساعات و٤٣ دقيقة و١١,٥ ثانية، ولذا عدد الدورات الظاهرية في السنة: ١٢,٣٦٨٧٤٦٥٦ دورة؛ وعدد الدورات الحقيقية في السنة: ١٣,٣٦٨٧٤٦٥٦، بزيادة دورة كاملة كل سنة، والفارق كذلك بسبب حركته مع الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها.

(٤) سرعة القمر مُتَّجَه:

تُعْتَبَر السرعة في الفيزياء مُتَّجَه Vector كالقوى، أي تظل ثابتة القيمة والاتجاه كأنها في خط مستقيم ما لم يُؤثر عليها مُؤثر خارجي، وتغير الاتجاه أو السرعة يعكس اكتساب تسارع Acceleration نتيجة مؤثر خارجي، وعند نهاية دورة للقمر باعتبار ما يَعُدُّون؛ ستكون سرعته كمتجه في نفس الاتجاه عند بدء الدورة، وكأن حركته حول الأرض في نظام مَعْزُول.

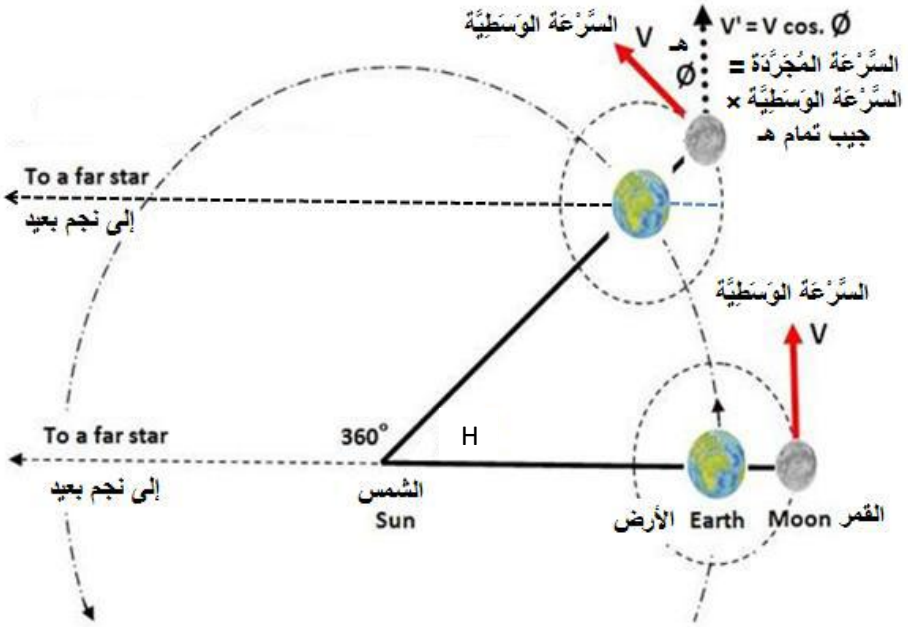

ولكن القمر يتحرك حول الشمس أثناء حركته حول الأرض ليقطع كل دورة بالنسبة لنجم بعيد زاوية قيمتها (هـ): ٣٦٠ × (٢٧,٣٢١٦٦٠٨٨ \ ٣٦٥,٢٥٦٣٦) = ٢٦,٩٢٨٤٧٨١٧ درجة، وكأن اتجاهه تغير على مداره المعزول بنفس الزاوية؛ فتغير اتجاه سرعته المجردة لتعكس اكتساب تسارع، ولذا نسبة الحركة حول الأرض (جتا هـ): ٠,٨٩١٥٧٢٥٤٢٣، والنسبة الناتجة عن حركته حول الشمس من القيم الوسطية التي تجعل المدار بيضاوي هي: ٠,٠١٠٨٤٢٧٤٥٧٧.

(٥) السرعة المماسة المجردة للقمر:

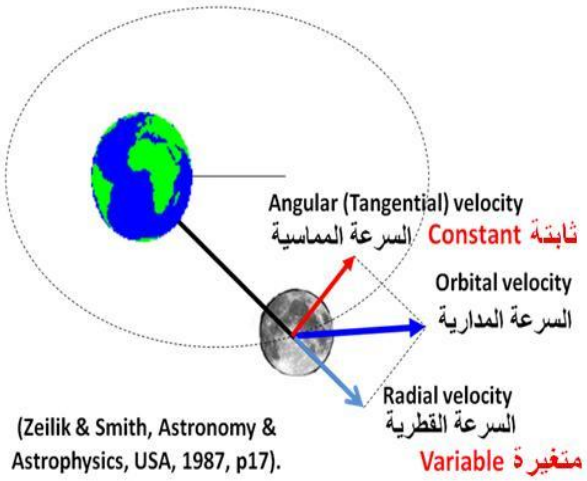

بتحليل السرعة المدارية Orbital Velocity عند أي نقطة على مدار القمر؛ تنتج مركبة في اتجاه القطر تسمى السرعة القطرية Radial Velocity، وتخضع للتغير من نقطة لأخرى، ومركبة متعامدة على القطر؛ تصنع معه زاوية قائمة، وهى السرعة الزاوية Angular Velocity، وهي السرعة المُعْتَبَرَة في النظام الأرض قمري المعزول؛ لأن قيمتها ثابتة عند كل نقاط المدار، ولذلك تسمى أيضا: السرعة المماسية Tangential Velocity (Zeilik & Smith; P17).

(٦) نسبة التغير في بعد القمر:

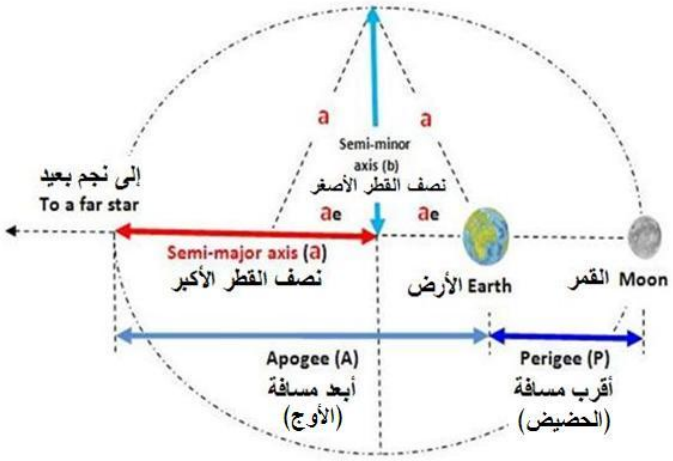

تتغير سرعة القمر وبعده عن الأرض طبقًا لموقعه، ولذا المدار القمري Lunar Orbit ليس بدائرةً كاملة الاستدارة؛ وَإِنَّمَا بيضي ناقص الاستدارة، وبدلاً من نصف القطر في الدائرة؛ له نصف قطر أكبر Semi-Major Axis (a) يمثل نصف مجموع أبعد مسافة أي الأوج Apogee (A) وأقربها أي الحضيض Perigee (P)، وطبقًا لنقصان الاستدارة Eccentricity (e = ae/ a)؛ تُعرف قيمة أبعد مسافة: A = a (1 + e)، وأقربها: P = a (1 – e)، ونصف القطر الأكبر: $a = (A + P)/ 2 = 2R/ \{1 + (1 - e^2)^{0.5}\}$؛ حيث R البعد المتوسط Mean Distance، ويُعرف نصف القطر الأصغر Semi-Minor Axis (b): $b = \{a^2 - (ae)^2\}^{0.5}$، والبعد المتوسط: R = (a + b)/ 2، وتُعرف نسبة البعد الخاضعة للتغير Variable Ratio من أقصى بعدين: 2e = ae/ a 2؛ أي ضعف نقصان الاستدارة، فتكون النسبة الثابتة: (جتا هـ) = 1 - 2e؛ ومتوسط نقصان الاستدارة (e): ٠,٠٥٤٢١٣٧٢٨٨٥. ولكن كل معايير الحركة الفلكية للقمر تتغير نتيجة التسارع الناجم عن الحركة في نظام غير مستقل؛ يؤدي لوجود نسبة خاضعة للتغير في بعده (وسرعته)، وتبقى نسبة تعبر عن بعد ثابت يجعل المدار القمري كامل الاستدارة Perfectly Circular Orbit؛ والسرعة الفاعلة في النظام المُستقل المعزول مُنتظمة ومُجردة وثابتة القيمة والاتجاه كما لو كانت رياضيا في خط مستقيم.

[٨] توحيد الأجرام في المنشأ والنظام

قياس حركة القوى بمعزل عن التأثير الخارجي؛ تَطَلَّب جعل حركة القمر مستقلة بحسب ما يَعُدُّون؛ باستبعاد نسبة تغير بعد القمر وسرعته من القيمة الوسطية لكل منهما، فتصبح حركته مستقلة مجردة ومنتظمة والمدار كامل الاستدارة، والمعيار ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ إذن قد حقق شرط تحديد مرجع لحركة نسبية، وجعل كلا طرفي القياس في إطار مرجعي مُستَقِل مُغْلَق في نظام مَعْزُول عن التأثير الخارجي؛ في علاقة ثابتة منذ نشأة النظام الأرض قمري؛ بالإمكان أن تدل على آلية نشأته.

(١) معايير حركة القمر حول الأرض:

يُعْرَف طول المدار (L) بمعرفة متوسط السرعة (V) وشهر نجمي (T'): L = V T'، أو البعد المتوسط (R): L = 2 π R؛ حيث: π = ٣,١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨، والشهر النجمي: ٢٣٦٠٥٩١,٥ ثانية، ومتوسط سرعة القمر حوالي: ١,٠٢٣ كم\ ثانية (Laros Astronomy; p.142)، والقيمة التي تحقق سرعة الضوء بمسافة ألف سنة قمرية في زمن يوم هي: ١,٠٢٢٧٩٤٢٧٢ (حوالي: ١,٠٢٣) كم\ثانية، لذا يُمكن تعريف القيم المُجَرَّدَة في النظام الأرض قمري المعزول: السرعة: ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ كم\ ثانية، البعد عن الأرض: ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ كم، طول المدار: ٢١٥٢٦١٢,٢٦٩ كم.

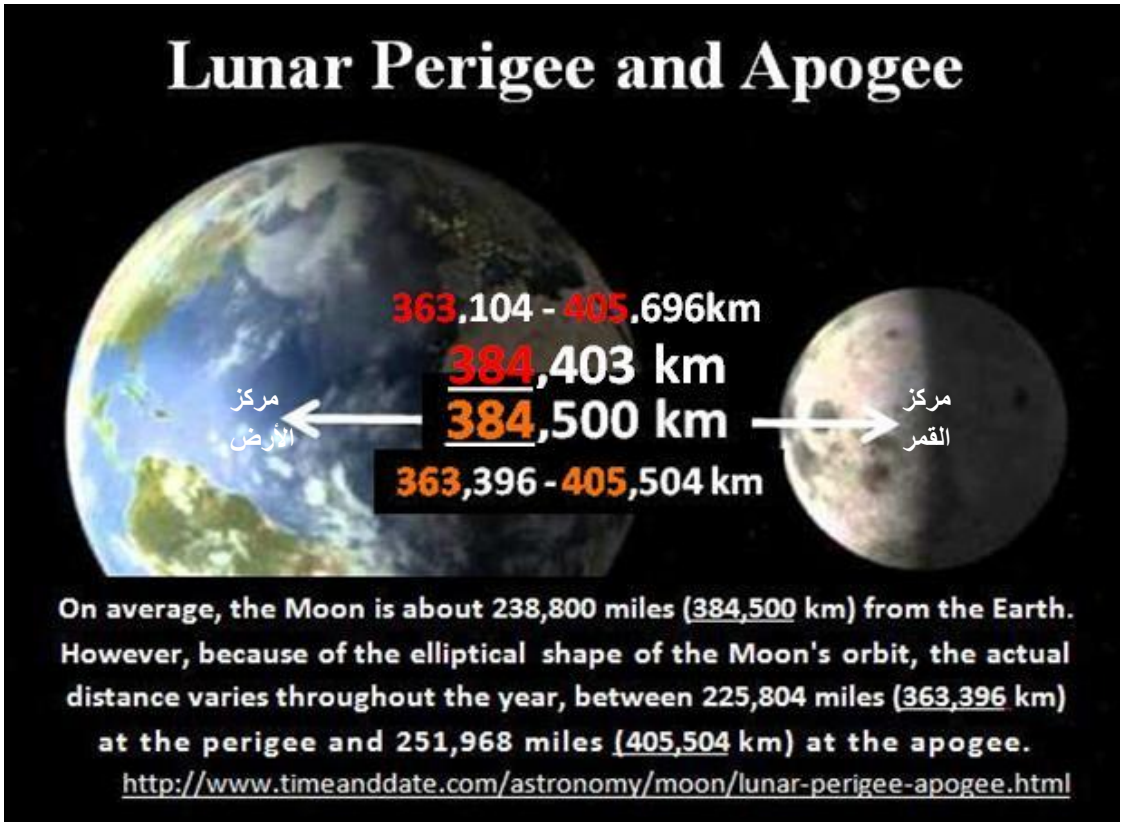

وبناء على العلاقة؛ أبعد مسافة للقمر عن الأرض: ٤٠٥٣٩٤,٠٦٨٣ كم، وأقرب مسافة: ٣٦٣٦٩٨,٦٨٢٤ كم، ونصف المحور الأصغر للمدار القمري: ٣٨٣٩٨٠,٨٤٣٩ كم، ومتوسط بعد القمر عن الأرض (R): ٣٨٤٢٦٣,٦٠٩٦ كم، ونصف المحور الأكبر (a): ٣٨٤٥٤٦,٣٧٥٣ (حوالي: ٣٨٤٥٠٠) كم؛ وهي نفس القيمة الفلكية؛ حوالي: ٣٨٤٥٠٠ كم.

(٢) اليوم في ازدياد والقمر في ابتعاد:

إذا كانت المسافة التي يقطعها الضوء بالفراغ في يوم تماثل المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة (١٢٠٠٠ دورة) في النظام الأرض قمري المعزول؛ فيُمكن صياغة معادلة ثابتة منذ نشأة النظام: (c = 12000 L'/t')؛ حيث c سرعة الضوء، L' طول مدار القمر، t' يوم نجمي، ويُمكن صياغتها على النحو التالي: c = 12000 V'T'/ t'، أو: c = 12000 2π R'/ t' في النظام المعزول؛ حيث T' شهر نجمي، V' سرعة القمر، R' بعده، π = ٣,١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨، وحيث أن قيمة c ثابتة (٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم\ ثانية)؛ إذن: V'T' = t' ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣؛ وقيمة R' = t' ٣,٩٧٦١٢٠٩٦٨.

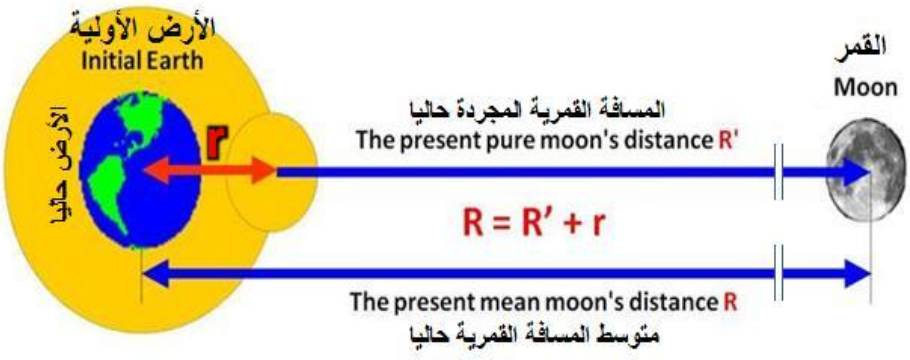

بتلاشـــــي بعـد القمـر (R' = صفر) في العلاقة بين بعده R' ومدة دوران الأرض حول نفسها t' في النظام المعزول؛ تتبقى مسافة بالنظام المرصود تكافئ نصف قطر الأرض الأولية: r = R - صفر، وعند اتصال القمر بالأرض: t' = T'، واتصال القمر بالأرض يعكس تكون المدار الأولي للقمر على بعد يكافئ ضعف نصف القطر الأولي للأرض: R=2 r، ووفق العلاقة (t' = V'T' ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣) تكون سرعة دوران الأرض الأولية حول نفسها: V' = ٢٤,٩٨٢٧٠٤٨٣ كمٰ ثانية، وفارق البعد حاليا: ٣٨٤٢٦٣,٦٠٩٦ - ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ = ٤١٦٦٤,٧٢٦٢ كم، ونصف قطر الأرض إذن أكبر بحوالي ٦,٥ مرة منه حاليا (٦٣٧٨,١ كم)؛ إذن الجسم الأولي الأم للأرض والقمر غيمة سديمية، وبمعرفة سرعة دورانها حول نفسها ونصف قطرها؛ تُعرف مدة دورتها Rotation Period (t): ١٠٤٧٨,٧٣٧١١ ثانية (أكثر قليلا من ٢,٥ ساعة)، فيكون اليوم الأرضي حوالي: ٤ ساعات[١٤٥٥]، والمدة حاليا: ٢٤ ساعة؛ والنتيجة إذن أن اليوم في ازدياد والقمر في ابتعاد.

(٣) النشأة السديمية للنظام الأرض قمري:

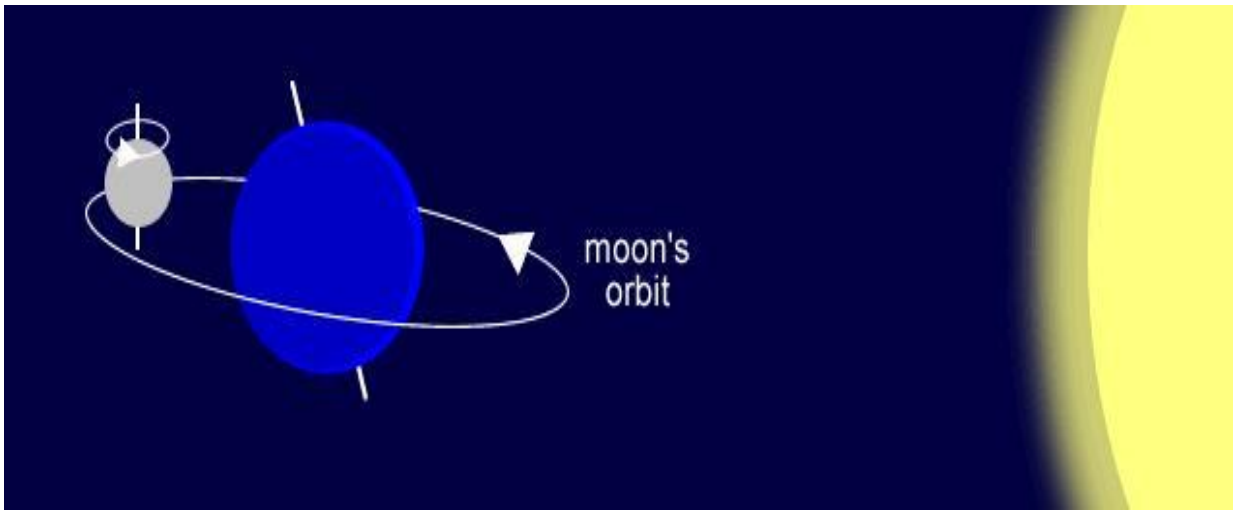

يدور القمر حول الشمس بتلازم مع دورته حول الأرض ليقطع نفس الزاوية (هـ) التي تقطعها الأرض حول الشمس في كل دورة حولها، وكأنه انتقل في مداره المعزول ليضيف نفس الزاوية؛ فيتغير اتجاه سرعته في موضعه الجديد بالنسبة إلى نجم بعيد، ليعكس وجود نسبة تسارع Acceleration يمكن استبعادها بتحليل متوسط سرعته كمتجه Vector، والنسبة الخاضعة للتغير Variable Ratio في متوسط البعد أو السرعة تكافئ: 2e، أي ضعف نقصان استدارة مدار القمر: e؛ وترجع لحركته حول الشمس، والنسبة الثابتة تكافئ: جتا هـ؛ وترجع لحركته حول الأرض فحسب، وعلى طول عمر النظام؛ تظل القيمة (r) ثابتة كبصمة لنصف قطر الأرض الأولية، لذا النسبة (r/ R) تكافئ دومًا (2e)، وتعكس معايير حركته عند أي بعد مهما تباعد القمر، وتمثل القيمة المتبقية (1-2e = جتا هـ) معايير حركته المجردة، ويَتَحَدَّد البعد المُجَرَّد R' بمعرفة متوسط بعده R: (جتا هـ /R' = R)، وبالمثل السرعة المُجَرَّدَة V': (جتا هـ /V' = V).

[١٤٥٥] تُضيف الأرض بالنسبة لنجم بعيد كل دورة لها حول الشمس دورة كاملة حول نفسها؛ إذن: (سنةٰ يوم أرضي) = (سنةٰ يوم نجمي) - ١، ولذا اليوم الأرضي حاليا: ٢٤ ساعة؛ والنجمي: ٨٦١٦٤,٠٩٩٦٦ ثانية، وعند نشأة الأرض؛ اليوم الأرضي (4/ 3t) = ١٣٩٧١,٦٤٩٤٨ ثانية (حوالي ٤ ساعات).

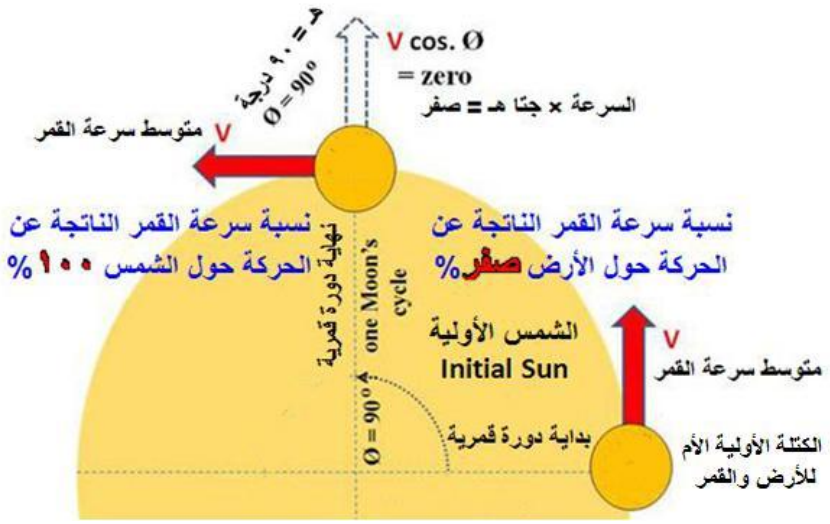

وعند اتصال القمر بالأرض الأولية؛ تكون النسبة: (r/ R) = ١، إذن القيمة: (2e) = ١، لكن: 2e-1 = جتا هـ؛ أي أن: جتا هـ = صفر، إذن: (هـ = ٩٠ درجة)؛ أي تكون الزاوية التي تقطعها الأرض والقمر حول الشمس قائمة خلال دورة قمرية، فتعني أن حركتيهما مماسية للشمس؛ وأنه لا أثر لحركة منفصلة للقمر عن الأرض، وكل حركة القمر بالنسبة لنجم بعيد ترجع لاتصاله بالشمس وحركته على طرفها مع الأرض لأن 2e = ١، والنتيجة إذن: وحدة الأرض والقمر مع الشمس في أصل واحد ومادة واحدة؛ ونظام حركي واحد وفق علاقة كونية واحدة تشمل بالمثل كل متبوع وتابعه.

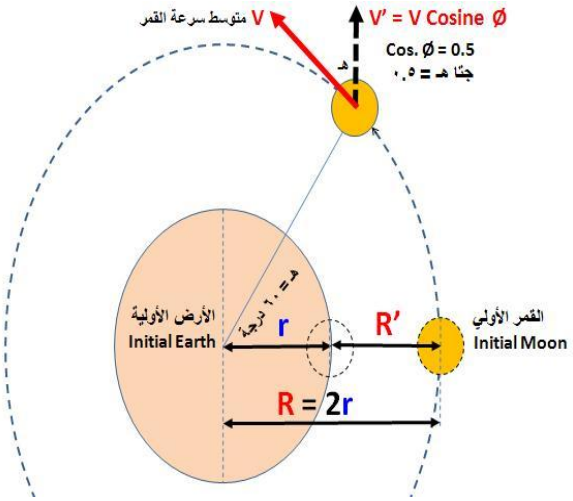

وبافتراض انفلات القمر عن الغيمة الأم للأرض والقمر واستقلاله عند نقطة توازن Equilibrium تتساوى عندها القيمة المكافئة لنسبة حركته حول الشمس من متوسط سرعته أو أقصى بعديه (2e) مع القيمة المكافئة لنسبة حركته حول الأرض: (جتا هـ)؛ فتكون النسبة (r/ R) = ٠,٥؛ والقيمة (2e) = ٠,٥، والقيمة (جتا هـ) = ٠,٥، والزاوية المركزية (هـ) = ٦٠ درجة، وحينئذٍ يتكون المدار الأولي عند متوسط بعد (R) يماثل ضعف بعده عند الاتصال: (R = 2r = R' + r)؛ وللتعديل وفق العلاقة الخطية تنقص قيمة متوسط سرعته في المدار الأولي إلى النصف، وتعكس مركبتها في الاتجاه الأصلي إذن بعد دورة قمرية سرعة الهروب Escape Velocity من الأرض؛ وتكافئ قيمتها نصف النصف: ٦,٢٤٥٦٧٦٢٠٨ كم\ ثانية، وحينئذٍ تكافئ قيمة شهر نجمي وفق العلاقة أربعة أيام نجمية: T' = 4 t'.

وعند اتصال القمر بالأرض والشمس؛ تكون النسبة المُعَبِّرَة عن السرعة القطرية المتجهة باتجاه القطر والمكافئة لنسبة حركته حول الشمس من متوسط سرعته: 2e = ١ (١٠٠%)، ونسبة السرعة المماسية المُتَعَامِدَة على القطر والمكافئة لنسبة حركته حول الأرض: جتا هـ = صفر، ومتوسط سرعته: V = (V'\ جتا هـ) = (V'\ صفر) = ∞؛ (ما لا نهاية)، وهي تعكس هروب من الأرض باتجاه القطر نحو نقطة توازن؛ حيث تتساوى نسبة حركته حول الأرض (جتا هـ) مع نسبة حركته حول الشمس (2e)، أي أن القمر والأرض أشبه بتوأم Twin؛ لانفصاله معها في نفس الوقت.

(٤) كثافة أولية واحدة للشمس والقمر والأرض:

بافتراض النشأة السديمية للأرض والقمر مع الشمس من جسم أصلي واحد متجانس؛ سرعة الهروب v من أي جرم منهم تتناسب حينئذٍ مع الكتلة M أو نصف القطر r: $V_1/V_2 = r_1/r_2$؛ $V_1^3/V_2^3 = M_1/M_2$، ولذا بمعرفة كتلة الشمس حاليا (1.99×10^{30} كجم) وكتلة الأرض (5.9736×10^{24} كجم) وكتلة القمر (7.35×10^{22} كجم) تكون سرعة الهروب من الشمس: 432.963991 كم\ ثانية، ونصف قطرها: 2888290.327 كم، وسرعة الهروب من القمر: 1.441882483 كم\ ثانية، ونصف قطره: 9618.756561 كم، وقانون الكثافة $\text{Density} = 3M/4\pi r^3$؛ حيث M الكتلة، r نصف القطر؛ π = 3.1415926535898، وبتطبيق القانون على كل من الأرض أو الشمس أو القمر تنتج نفس الكثافة:

التحقق:

كثافة الأرض = $3\times5.9736\times10^{24}/\{4\times3.1415926535898\times(41664726.3)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

كثافة الشمس = $3\times1.99\times10^{30}/\{4\times3.1415926535898\times(2888290327)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

كثافة القمر = $3\times7.35\times10^{22}/\{4\times3.1415926535898\times(9618756.561)^3\}$ = ١٩,٧١٧٠٤٩٦ كجم\ م^3.

فكثافة الأجرام الثلاثة إذن واحدة؛ أقل بحوالي ٥٠ مرة من كثافة الماء (١٠٠٠ كجم\ متر^3)، وأكبر بحوالي ١٥ مرة من كثافة الهواء عند سطح البحر (١,٣ كجم\ متر^3)، وتلك سمات غيمة سديمية انحدر منها القمر ومعه الأرض والشمس، وهي تسمح بنشأته كغيمة سديمية خارج حد روش Roche Limit؛ حيث يَتَكَسَّر التابع الصُّلْب نتيجة شدة الجذب جهة المتبوع.

(٥) المُعدل السنوي لتباعد القمر عن الأرض:

بمعرفة مسافة التباعد منذ اتصال القمر بالأرض عند نشأة النظام الأرض قمري: ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٢ كم؛ يكون المعدل السنوي لتباعد القمر عن الأرض: ٤,٠٧ سم\ سنة، وبافتراض تسارع مُعدل التباعد إلى أن استقر المدار الأولي؛ تتبقى مسافة قدرها: ٣٠٠٩٣٤,١٥٦٩ كم بمعدل: ٣,٥٨ سم\ سنة، وبالتالي يُمكن معرفة متوسط معدل التباعد السنوي للقمر عن الأرض Mean Annual Moon's Recession Rate: ٣,٨٢ (حوالي ٤) سم\ سنة، وهي نفس نتيجة القياس بالليزر بعد وضع عواكس على سطح القمر منذ رحلة أبوللو ١١ عام ١٩٦٩: ٣,٨٢ (حوالي ٤) سم\ سنة (Laros astronomy, p62)، وهي تؤكد سبق النشأة السديمية للنشأة الجيولوجية للأرض منذ حوالي: ٤,٥ بليون سنة.

(٦) محطات في تاريخ الكون:

تُرَجِّح النشأة السديمية انفلات القمر من الأرض في السديم الشمسي عند نشأة النظام الأرض قمري وفق قانون المقذوفات: ($V^2 = 2MG/r$)؛ حيث V سرعة الهروب من أي جسم، M كتلته، r نصف قطره، G ثابت الجاذبية Gravitational Constant؛ ويمكن بواسطته تقدير التجاذب بين الأجرام الفلكية، وقيمة ثابت الجاذبية G حاليا: ٦,٦٧٤٢٨ × ١٠$^{\text{قوة-}٢٠}$ كم^3\ كجم\ ثانية^2، وبتطبيق القانون عند نشأة النظام الأرض قمري يتبين أن ثابت الجاذبية G ليس بثابت مُطلق على الدوام؛ وإنما تتناقص قيمته مع الزمن؛ حيث كانت منذ حوالي ٨,٤ بليون سنة عند نشأة النظام أكبر بحوالي: ١,٣٦٠٣٨٣٤٢ × ١٠$^{\text{قوة-}١٩}$ كم^3\ كجم\ ثانية^2، وبطريقة أخرى: ($V^2 = 2MG/r$)؛ أي: $G_1/G_2 = V^2_1 r_1/V^2_2 r_2$؛ حيث G_2 حاليا بافتراض ثبات M، إذن G_1 حوالي الضعف، وتؤيد تلك النتيجة ما توقعه الفيزيائيون؛ مثل بول ديراك Paul Dirac في عام ١٩٣٧ وبرانس ودايك Brans & Dicke في عام ١٩٦١.

ووفق قانون ثبات العزم الزاوي Conservation of angular momentum؛ إذا اقترب القمر من الأرض تزداد سرعته وإذا ابتعد تقل، بحيث تظل القيمة: (بعده R' × سرعته V' × كتلته M) قيمة ثابتة، وبعبارة أخرى: طالما بقيت

كتلته ثابتة تظل القيمة: (R'V') ثابتة على طول عمر النظام الأرض قمري، وعند استقرار مدار القمر الأولي تساوي القيمة M_1 R'V' = ٦,٢٤٥٦٧٦٢٠٨ × ٤١٦٦٤,٧٢٦٢ = M_1 ٢٦٠٢٢٤,٣٨٩١، وفي الوقت الحالي تساوي القيمة M_2 R'V' = ٠,٩١١٨٩٥٢٨٩٣ × ٣٤٢٥٩٨,٨٨٣٤ = M_2 ٣١٢٤١٤,٣٠٧٩؛ إذن قيمة: M_2 = M_1 ٠,٨٣٢٩٤٦٤٥١٣، أي نقصت كتلة القمر بنسبة ١٦,٧%؛ مما يُوافق فقده لكل غلافه الغازي نتيجة التهابه في الماضي.

(٧) بعد الأرض عن الشمس:

عند اتصال القمر بالأرض عند نشأة النظام الأرض قمري: t' = T'؛ V'T'/ t' = R'/ t' 2π، والعلاقة الأساسية هي: R'/ t' = ثابت، وبالتعويض إذن: R'/ t' = V'R' = ثابت، وكتلة القمر في النظام المعزول ثابتة، وحينئذٍ تكون القيمة (MVR= ثابت)؛ وهي نفس صيغة قانون ثبات العزم الزاوي، وبالتعويض: T'/ t' × V' = ثابت، ينتج أن السرعة الابتدائية V' قيمة ثابتة (R'V' = ثابت) طالما بقي النظام معزولاً والكتلة ثابتة[١٤٥٦]، والسرعة الابتدائية للشمس حين انفصال الأرض (V'°_{Sun}): ٤٣٢,٩٦٣٩٩١ كما ثانية، فيمكن تطبيق نفس العلاقة على الشمس والأرض: t'_{Sun} × V'°_{Sun} = R'_{Earth} 2π؛ حيث زمن دورة الشمس حول نفسها: t'_{Sun}، وبعد الأرض عنها: R'_{Earth}، وحاليًّا مدة الدورة الاستوائية للشمس حول نفسها تزيد قليلا عن ٢٥ يوما، والقيمة: ٢٥,١٢٦٩٤٨٩٦ يومًا؛ تحقق البُعد الوسطي للأرض حاليا، وهو يُستخدم في القياسات الفلكية باسم الوحدة الفلكية Astronomical Unit: ١٤٩٥٩٧٨٧٠ (حوالي: ١٥٠ مليون) كم، والتوافق مع الواقع لنظام حركة الأرض حول الشمس ونظام حركة القمر حول الأرض؛ يستبعد المُصادفة ويؤيد افتراض وحدة الأصل.

والعلاقة مُثلت بالنظام الأرض قمري بدلالة اليوم والألف سنة، ولكن المبدأ الحركي واحد لكل الأجرام السماوية؛ فهي إذن علاقة كونية، وعلى بساطتها أوجزت ضروبًا من التوحيد شملت القوى والأجرام الفلكية، ووَحَّدَت كل متبوع وتابعه في أصل واحد ونشأة واحدة ومادة واحدة ونظام حركي واحد، سمة كل موجود إذن؛ الحركة في انضباط على كافة المستويات، والضابط بكل نظام حركي هو السرعة الابتدائية، وتتبدى للفطين كحالات طاعة لتقدير القدير، وكأن العلاقة تُعَامِل الأجرام الفلكية بنفس المبدأ الواحد لجميع الموجات؛ فلكل منها طول وتردد يعكس المُدة وفق سرعة ابتدائية ثابتة، ومع تزايد بعد التابع تقل مدة دوران المتبوع، وكذلك الموجات: بتزايد الطول يقل التردد وتظل قيمة سرعة الضوء ثابتة، ومظاهر التوحيد والتقدير في كل ما صَنَع القدير؛ براهينٌ للفطين على مطلق قدرته ووحدانيته، وهو مَغْزَى العلاقة الثَّرِيَّة بالحقائق العِلْمِيَّة.

[١٤٥٦] عند نشأة أي نظام فلكي: عندما يتلاشى بعد التابع في النظام المعزول؛ ما يتبقى من البعد المرصود يمثل نصف قطر المتبوع، وفي النظام المعزول تتوحد سرعة التابع حول المتبوع مع سرعة المتبوع حول نفسه عند نشأة النظام، وكلما ابتعد التابع تقل سرعته وفق علاقة ثابتة (R'V' = ثابت) طالما بقي النظام معزولا والكتلة ثابتة.

[٩] التوحيد رسالة الأنبياء

كانت السنة في تاريخ العبرانيين قائمة كذلك مثل العرب على سير القمر في ١٢ دورة حول الأرض، وكانت غُرَّات الأشهر قبل القرن الرابع للميلاد تُقَرَّر حسب رؤية هلال أول الشهر، وما زال التقويم القمري مُسْتَخْدَمًا إلى اليوم في الأعياد الدينية عند اليهود عملاً بمعهود الآباء، وفي سفر المزامير (١٠٤ \ ١٩): "صُنِعَ القمر للمواقيت"، وفي سفر يشوع بن سيراخ (٤٣ \ ٦و٧): "القمر بجميع أحواله المؤقتة هو نبأ الأزمنة وعلامة الدهر.. والقمر علامة العيد"، وورود نفس العلاقة بين اليوم والألف السنة في إرث موسى وإرث المسيح عليهما السلام في سياق بيان سرعة مجيء يوم الرب وزوال السماوات والأرض؛ رغم التشويه والخلو من معيار القياس ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، دليل قاطع على أن دعوة الأنبياء على طول سلسلة النبوات؛ هو أزلية القَدِير تعالى وحده ووحدانيته؛ وبراءة المسيح عليه السلام من بدعة التثليث.

في سفر المزامير (٩٠ \ ١-٤): "صلاة لِمُوسَى رَجُلِ اللهِ.. من قبل أن تُولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله.. لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل"، وفي رسالة بطرس الثانية (٣ \ ٢): "لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد".

والسياق مُتعلق بسرعة مجيء يوم الرب وهلاك الفجار يوم الدين ونشأة عالم آخر ينعم فيه الأبرار؛ بصريح رسالة بطرس الثانية (٣ \ ٢-١٤): "لتذكروا الأقوال التي قالها سابقا الأنبياء القديسون (في الوعد بمجيء يوم الرب)..، سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون..، قائلين: أين هو موعد مجيئه، لأنه.. يخفى عليهم.. أن السماوات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله (كن) قائمة..، وأما السماوات والأرض الكائنة الآن فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها، محفوظة.. إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار، ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد، لا يتباطأ الرب عن وعده..، سيأتي.. يوم الرب؛ الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها، فبما أن هذه كلها تنحل؛ أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى، منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب، ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضا جديدة؛ يسكن فيها البَرُّ، لذلك أيها الأحباء؛ إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام"، والنصوص صريحة في بيان "سرعة مجيء يوم الرب": "ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء" إِشَعْيَاء ١٣ \ ٦، "ليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم" يوئيل ١٢ \ ١، "كلص في الليل هكذا يجيء لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتةً كالمخاض للحبلى فلا ينجون" ١تسالونيكي ٥ \ ٢و٣، "تؤكل الأرض كلها لأنه يصنع فناءً باغتاً لكل سكان الأرض" (صفنيا:١ \ ١٨)، "هو ذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خرابا" (إِشَعْيَاء:١٣ \ ٩)، "يوم الرب عظيم ومخوف جدا فمن يطيقه" (يوئيل:٢ \ ١١)، "يوم سخط يوم ضيق وشدّة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب" (صفنيا:١ \ ١٥)، "ويل للذين يشتهون يوم الرب" (عاموس:٥ \ ١٨)، "قريب يوم الرب على كل الأمم" عوبيديا ١٥، "قريب يوم الرب العظيم قريب وسريع جدا" صفنيا ١ \ ١٤، "أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة" يوحنا ١٢ \ ١٨.

الدين إذن في الأصل واحد ورسالة التوحيد إلى بني إسرائيل واحدة؛ وما عَكَّرَ مجرى النبع الصافي سوى أوهام وثنية وسلطة رومانية جائرة، ولا يستقيم إذن اتهام القرآن الكريم بالاقتباس من إرث سبق ناله التشويه بمرور الزمان؛ وهو الأكمل والمُتَفَرِّد وحده بمفتاح القياس: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ الجامع لجملة حقائق علمية، والاستنتاج إذن أن سرعة الانتقال بالكون دليل مُدَّخَر لقادم الأيام على أن أزلية القدير ووحدانيته هي أصل رسالة الأنبياء؛ وأن العلاقة تنتظر القادم المُؤَيَّد بمفتاح القياس لتشهد بنبوته؛ يَتَلَقَّى تصويب ما غَيَّرَتْهُ الأيام وأتلفته الأيادي ويُخبر به فيصفو مجرى النبع، منحته عناية القدير النُطق بكامل الحق؛ مِمَّا لَمْ يَكُن في وسع أمة قبله احتماله وتَفَهُّمُهُ؛ وهو ما بَشَّرَ به عيسى عليه السلام أمته (إنجيل يوحنا ١٦ \ ١٣و١٤): "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم؛ ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه..، ويُخبركم بأمور آتية، ذاك يُمَجِّدُنِي؛ لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم".

وقد فاضت الأسفار بعلامات ذلك القادم بعد المسيح عليه السلام والمُؤيد بالآيات؛ ليُقيم الحق وتنتشر دعوته في كل الأرض: "هو ذا عبدي الذي أعضده مُختاري الذي سرّت به نفسي، وضعت روحي عليه؛ فيخرج الحق للأمم (جميعًا).. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته (له شريعة كموسى لكنها عالمية غير قومية)، هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها.. أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك وأجعلك.. نورا للأمم لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة (غرض جهاده تحرير المُضطهدين)، أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر (من بعدك).. غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض (حيث تبلغ دعوته).. لترفع البرية ومدنها صوتها الديار (موطنه ومبعثه) التي سكنها قيدار (ابن إسماعيل جد العرب؛ سكن حول بكة الاسم القديم لمكة)، لتترنم سكان سالع (جبل بيثرب مدينة هجرته)؛ من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجدا" (إِشَعْيَاء:٤٢\ ١-١٢)، "ليسبحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده (بلا لوثة التثليث الوثنية)" (مزامير:١٤٨\ ١٣).

والعرب ذُرية إسماعيل؛ بِكر إبراهيم وأخ إسحاق جد اليهود، وقد تفرقوا في الجزيرة وبقيت مكة في وسطهم تضمهم حول الكعبة وزمزم على ملة الجد إبراهيم، وفي خطاب القدير لموسى عليه السلام: "أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم (مكة) مثلك (صاحب شريعة)" تثنية:١٨\ ١٨، صفته الصادق الأمين؛ ويقيم دولة: "يُدعى أمينا صادقا وبالعدل يحكم ويُحارب" رؤيا يوحنا:١٩\ ١١، حجته بيان مقروء؛ أي قُرآن: "وأجعل كلامي في فمه" تثنية:١٨\ ١٨، وبيانه المقروء هو مُعجزته الخالدة: "ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم (الوثنية)" يوحنا:١٩\ ١١، وخطابه المُوجه للأجيال يتضمن بيان حقائق خفية عن العالم؛ لا يحتملها جيل المسيح عليه السلام الذي ترك تفصيلها لوارث إرث النبيين مُبشرًا بالقادم بعده: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدُكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه؛ بل بكل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" يوحنا:١٦\ ١٢-١٥.

واتهام القرآن لأهل الكتاب بالانحراف في الدين وتحريف مبدأ التوحيد رسالة كل الأنبياء؛ ليس خاليا من الدليل، ويكفي أن أقوال المسيح عليه السلام في مأثور أهل الكتاب تكشف كم بَعُدَت المسيحية المُتأغرقة عن المسيحية الحق؛ حيث يُعلن المسيح نفسه عبوديته لله تعالى وحده وأنه ليس إلا رسول كسابقيه، فقد قيل أنه: "قضى الليل كله في الصلاة لله" لوقا: ٦\ ١٢، وأنه: "كان يعتزل في البراري ويصلي" لوقا: ٥\ ١٦، وأنه قال: "لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" متى: ٤\ ١٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله" يوحنا: ١٣\ ١٦، وعندما سُئِل: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟" متى: ٢٢\ ٣٦، قال: "الرب إلهنا رب واحد" مرقس: ١٢\ ٢٩، وقال: "هذه هي الوصية الأولى والعظمى" متى: ٢٢\ ٣٨، وقال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" متى: ٥\ ١٧، وقد أعلن مرارا أنه ليس إلا رسول لله داعيا إلى وحدانيته تعالى كأعلام التوحيد سابقيه على طول التاريخ: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" يوحنا:١٢\ ٤٤، وقال: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا.. لا أطلب مشيئتي بل مشيئة.. الذي أرسلني" يوحنا: ٥\ ٣٠، وقال: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" يوحنا: ٥\ ٢٤، ولما دعاه أحدهم صالحًا قال: "ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" متى: ١٩\ ١٧، ومرقس: ١٠\ ١٨، ولوقا: ١٨\ ١٩، تلك أقوال المسيح عليه السلام تُخزي من يتهمه بأنه دعي يوما للتثليث خاصة مع قوله المُسلط سيفًا على رقاب السائرين على درب الطائفية لا يعون أين يقودهم الطريق: "من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يُدينه؛ الكلام الذي تكلمت به هو يُدينه في اليوم الأخير" يوحنا: ١٢\ ٤٨؛ فهل من مُعتبر فطين لينجو قبل فوات الأوان!.

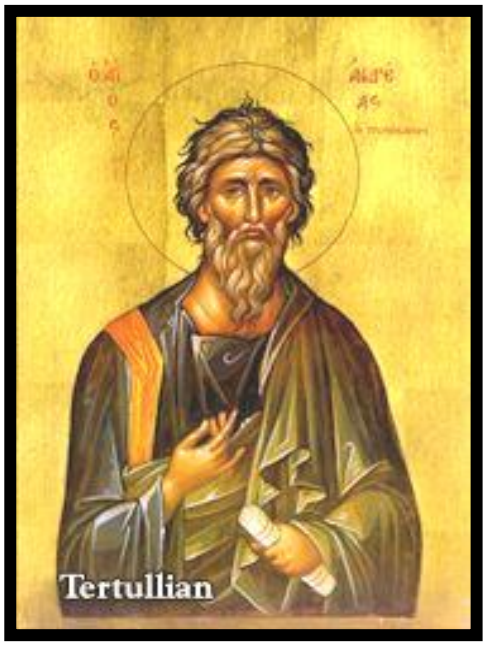

ترتليان Tertullian
(١٥٥ أو ١٦٠م – ٢٢٥م)

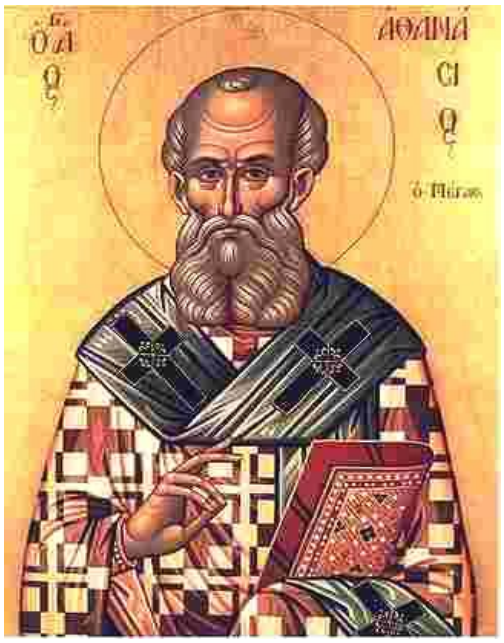

اثناسيوس السكندري
(٢٩٥م - ٣٧٣م)

فمن أين إذن جاء التثليث طالما لم يُصرح به عيسى عليه السلام؛ وإنما دعي إلى التوحيد!، ويُجيب قاموس الكتاب المقدس قائلاً: "الكلمة نفسها (التثليث) أو (الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويُظن أن أول من صاغها.. ترتليان Tertullian في القرن الثاني للميلاد (من حوالي ١٥٥م أو ١٦٠م إلى حوالي ٢٢٥م) .. وأخيراً ظهر اثناسيوس السكندري (٢٩٥م - ٣٧٣م).. واضعًا أساس العقيدة.. التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية..، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا"، فمن هو ترتليان هذا حتى يُعتمد قوله بالتثليث إلى اليوم؟، ويجيب الموقع المسيحي (بيت الله الحي) بقوله: "هو أحد أتباع مونتانوس Montanus الذي ادعى النُّبُوَّة في نهاية القرن الثاني، وبعد أن كثر أتباعه كان يُؤكد أنه هو الله نفسه"، وبهذا شهدت المصادر المسيحية نفسها بأن مصدر التثليث ليس عيسى عليه السلام الداعي إلى الوحدانية؛ وإنما رعايا البيئة الرومانية الوثنية.

وتتصل حلقات سلسلة النبوات منذ القدم برسالة واحدة إلى الأمم، هي الدعوة إلى وحدانية الله تعالى؛ مُعارضةً المُعتقد الوثني القديم في تأليه العظماء والظواهر المجهولة المُستغربة والمُجسدات، ولذا تفيض مُدونات أهل الكتاب ببيان مبدأ التوحيد بوضوح تام: "الله واحد" (١كورنثوس ٦١١٢، غلاطية ٢٠١٣، يعقوب ١٩١٢، رومية ٣٠١٣، مرقس ٣٢١١٢)، "ليس إله آخر إلا واحدا" (١كورنثوس ٤١٨)، "أنا الله وليس آخر" (إِشَعْيَاء ٢٢١٤٥)، "إله واحد" (١تيموثاوس ٥١٢)، "أنا الرب ولا إله آخر غيري.. ليس سواي" (إِشَعْيَاء ٢١١٤٥)، "أنا الرب وليس آخر؛ لا إله سواي" (إِشَعْيَاء ٥١٤٥)، "الإله الواحد" (يوحنا ٤٤١٥)، "هل يُوجد إله غيري" (إِشَعْيَاء ٨١٤٤)، "لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري؛ أنا الرب وليس آخر" (إِشَعْيَاء ٦١٤٥)، "اذكروا الأوليات..؛ أنا الله وليس آخر الإله وليس مثلي" (إِشَعْيَاء ٩١٤٦)، "لتعلم أن الرب هو الإله؛ ليس آخر سواه" (التثنية ٣٥١٤)، "أنت الإله الحقيقي وحدك" (يوحنا ٣١١٧)، "الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه؛ هذا إذ هو رب السماء والأرض، لا يسكن في هياكل مصنوعة" (أعمال ٢٤١١٧)، "أنت هو الإله الصانع السماء والأرض" (أعمال ٢٤١٤)، "ليس سواه" (تثنية ٤١٦)، "وحدك الله وليس آخر" (إِشَعْيَاء ١٤١٤٥)، "ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر" (١الملوك ٦٠١٨).

وكلمة البدء التي قامت بها السماوات والأرض وفاضت بها المُدونات يُمثلها الأمر: (كن)، والمُوجه للمعدوم قبل تكونه؛ تصويرًا لطلاقة القدرة والمشيئة النافذة، وقائلها هو العلي القدير وحده بلا شريك في مشيئته وقدرته على الخلق من عدم: "بكلمة الرب صُنِعَت السماوات؛ وبنسمة فيه كل جُنودها" (مزامير ٣٣\٦)، "قال فكان هو أمر فصار" (مزامير ٣٣\٩)، "صنع الجميع من العدم" (٢مكابيون ٧\٢٧) ، وبكلمة (كن): "يُحيي الموتى؛ ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة" (رومية ٤\١٧)، "معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله" (أعمال ١٥\١٨)، "له وحده الخلود" (١تيموثاوس ٦\١٥)، "في البَدء خلق الله السماوات والأرض" (تكوين ١\١)، "أمر فخُلقت" (مزامير ١٤٨\٥)، "أنا الرب صانع كل هذه" (إشَعْيَاء ٤٥\٧)، "الرب خالق السماوات؛ هو الله مُصور الأرض وصانعها، هو قررها لم يخلقها باطلا للسكن صورها" (إشَعْيَاء ٤٥\١٨)، "أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها؛ يداي أنا نشرتا السماوات وكل جندها أنا أمرت" (إشَعْيَاء ٤٥\١٢)، "ويدي أسست الأرض ويميني نشرت السماوات" (إشَعْيَاء ٤٨\١٣)، "في البدء أسست السماوات والأرض" (مزامير ١٠٢\٢٦)، "التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض؛ لأني أنا الله وليس آخر" (إشَعْيَاء ٤٥\٢١).

قال ابن تيمية: "فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمُراد به؛ أنه خُلق بكلمة قوله (كن) ولم يُخلق على الوجه المُعتاد من البشر..، وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه (أمر الله) فالمُراد أن الله كونه بأمره..؛ فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابنا له؛ وتبين أنه عبد من عباد الله" (الفتاوى:١٧\ ٢٨٤)، وتسميتُهُ ابنًا مجازًا لا تعني الشركة في ذات الله لأن: "أولاد الله أي المؤمنون" (يوحنا:١\ ١٢)، يقول العلي القدير: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:٦٤.

وفي عبارة ركيكة صادمة تُخالف كل إرث التوحيد؛ تجعل آخر مدونة مع الله تعالى شريك بالتمحك أنه الكلمة: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يوحنا:١\ ١) هكذا!!!، ومثلها في الغلو: "بكر كل خليقة" (كولوسي:١\ ١٥)، "كُوّنَ العالم به" (يوحنا ١\١٠)، ولكن ليس المُراد بكلمة البدء سوى ما كُوّنَ بها، وهو مادة تكوين السماوات والأرض بدليل تطابُق تفاصيلها مع كشوف العلم؛ خاصةً شيء واحد هو سرعتها الثابتة منذ البدء، ولذا فإنها تُمثل تحديًا للذين حرَّفوا الكلمة لتُصبح شريكًا معبُودًا؛ غُلوًا في المسيح عليه السلام، ويكفي أنه نفسه قد تبرأ من هذا الغلو وأعلن عبوديته قائلاً: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله" يوحنا:١٣\ ١٦، "إن قلنا أن لنا شركة معه..؛ نكذب ولسنا نعمل الحق" ١يوحنا:١\ ٦، وأعلنها مُدويةً: "ليعلم العالم أنك أرسلتني" يوحنا:١٧\ ٢٣.

وليس الخلاف في كون المسيح عليه السلام كلمة؛ فكلمات الله لا يحصيها العد، لأن الجميع وجدوا بكلمته (كن)، ولكنهم حملوها على كلمة البدء كصفة أزلية للذات العلية في الإبداع من عدم؛ لا المُكَوَّن بها، فصار في مُعتقدهم صورة عن الله، ولكنه قطعًا ليس كلمة البَدء؛ لأنها ليست إلا الأمر الذي كُوّنَت به مادة التكوين بدليل شيء واحد هو القيمة الثابتة لسرعتها الفائقة، والتي هي سرعة مجيء يوم الرب ، وفي القرآن الكريم حل الإشكال في مناقضتهم للتوحيد؛ وهو أهم قضية في الدين، بما توهموه من صرف الكلمة على غير الوجه، ومعارضة البديهي تهربًا بمثل قولهم "الثلاثة هم واحد"!!!، لأن القرآن الكريم قد بَيَّنَ أن كلمات الله تعالى لا نفاذ لها ولا يحصيها العد؛ أي في تدبير شئون كل الخلائق بنظام وقصد، وخص المسيح عليه السلام بالوصف (كلمة) ليعني أنه تكون بها مثل كل الكائنات والتثليث دخيل.

وتأليه المسيح عليه السلام لم يتبلور كمُعتقد إلا بعد جدال عنيف بعده بقرون في مجامع الكهنة رعايا الإمبراطورية الرومانية، ولذا الدخيل واضح في مثل: "الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد" (١يوحنا:٥\ ٧و٨)، هكذا لم تفلح محاولة إقحام الوثنية!، وليس الروح إلا الوحي: "لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسُوقين من الرُوح القُدُس" (٢بطرس:١\ ٢١)، فتأمل كيف: "بلا عذر.. لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله؛ بل حمقوا في أفكارهم..، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى؛ بشبه صورة الإنسان الذي يفنى..، عبدوا المخلوق دون الخالق" (رومية١\ ٢٠-٢٥)، "كيف تقولون نحن حُكماء وشريعة الرب معنا! حقا إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب" (إرميا:٨\ ٨)، "أما وحي الرب فلا تذكروه بعد؛ إذ قد حرفتم كلام الله الحي" (إرميا:٢٣\ ٣٦)، "الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا، إذ هو رب السماء والأرض؛ لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي" (أعمال الرسل:١٧\ ٢٤)."العَلِي لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي" (أعمال الرسل:٧\ ٤٨)، "يا لتحريفكم!" (أشعيا:٢٩\ ١٦).

وفي قوله تعالى ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ النساء:١٧١؛ قال ابن تيمية: "في لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر؛ فيسمى المخلوق خلقا..، ولهذا يُسمى المأمور به أمرًا"[١٤٥٧]، "فتسمية المخلوق بالكلمة؛ كلمة من هذا الباب"[١٤٥٨]، و"كلمات الله كثيرة؛ وليس منها شيء خالق، فلو كان المسيح نفس الكلام؛ لم يجز أن يكون خالقا، فكيف وليس هو الكلام، وإنما خلق بالكلمة؛ وخص باسم الكلمة، فإنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره؛ بل خرج عن العادة، فخلق بالكلمة من غير السنة المعروفة بالبشر، وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾؛ لا يوجب أن يكون مُنفصلاً من ذات الله، كقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ الجاثية:١٣[١٤٥٩]، وقال ابن كثير: "أي إنما هو عبد من عباد الله؛ وخلق من خلقه، قال له كن فكان ورسول من رسله، ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾؛ أي خلقه بالكلمة[١٤٦٠]، أي: "كن"[١٤٦١].

وقال ابن تيمية: "وكذلك الله تعالى قال: ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران ٤٥-٤٧؛ ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق؛ ليس هو ما يقوله النصارى، منها أنه قال ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ نكرة في الإثبات؛ يقتضي أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارى، ومنها أنه بين مراده بقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ وأنه مخلوق حيث قال: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ كما قال..: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران ٥٩، وقال..: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ مريم:٣٤و٣٥[١٤٦٢]، فهذه ثلاث آيات في القرآن (آل عمران ٤٧ و٥٩ ومريم ٣٥) تُبين أنه قال له ﴿كُنْ﴾ .. وهذا تفسير كونه ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وقال: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أخبر أنه ابن مريم؛ وأخبر أنه وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وهذه كلها صفة مخلوق، والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك، وقالت مريم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، فبين أن المسيح الذي هو الكلمة؛ هو ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى"[١٤٦٣]، وإذن: "سُمِّيَ (كلمة) لأنه بالكلمة كان؛ وهي (كن)، وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل"[١٤٦٤]، فسماه الله عز وجل كلمته؛ لأنه كان عن كلمته"[١٤٦٥]، لذا : "سميت الأعيان كلمات"[١٤٦٦]، "فقد أخبر أن كلماته لا نفاد لها بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف:١٠٩، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان٢٧"[١٤٦٧]، وكما أن الأمر يدل على آمر والكلمة على ناطق؛ كذلك تدل أعيان الموجودات على مُوجدها"[١٤٦٨].

وهكذا تحقق نبأ القرآن الكريم في التحريف وبراءة عيسى عليه السلام من فرية شرك التثليث، وَصِدْقِه في جمع النصارى أسفار الأزمنة قبل عيسى عليه السلام وبعده في كتاب واحد حيث دعاهم (أَهْلَ الْكِتَابِ)، وتحقق نبأه في تأليههم أمه قبل أن ندرك أن بعضهم ما زال حتى اليوم يتعبد تماثيلها،: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥المائدة:١١٦و١١٧، والمضمون أن المسيح عليه السلام بريء من الشرك مع الله تعالى؛ وأن التثليث دخيل ومخالف لرسالة جميع الأنبياء.

[١٤٥٧] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١\ ٣٢٥.
[١٤٥٨] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ج١ص٣٢٦.
[١٤٥٩] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١\ ٣٢٦.
[١٤٦٠] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير: ١\ ٥٩١.
[١٤٦١] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١\ ٣٢٥.
[١٤٦٢] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١\ ٣٢٤.
[١٤٦٣] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ دقائق التفسير: ١\ ٣٢٥.
[١٤٦٤] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي؛ زاد المسير:١\ ٣٨٣.
[١٤٦٥] تفسير الطبري:١\ ٥٩١.
[١٤٦٦] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني؛ التعريفات:١\ ٣١٣.
[١٤٦٧] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ الرسائل:١١٧\٨٦.
[١٤٦٨] تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني؛ الرسائل:١\ ٣١٣.

ولو كان مع الله شريك لاختل نظام الكون، والدليل الصارم على وحدة النظام هو ثبات قيمة الحد الأقصى للانتقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٢٢، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٩١.

وفي الأسفار: "في ذخائر الحكمة أمثال" يشوع بن سيراخ:١١ ٣١ (Joshua ben Sirach)، "لتُعطي الجُهَّال ذكاءً والشاب معرفةً وتدبُّرًا. يسمعها الحكيم فيزداد علمًا والفهيم يكتسب تدبيرًا. لفهم المثل" الأمثال:١١ ٤-٦ Proverbs، وضرب عيسى عليه السلام ليهود عصره الأمثال: "وابتدأ يقول للشعب هذا المثل: إنسان غرس كرما وسلمه إلى كرامين وسافر زمانا طويلا. وفي الوقت أرسل إلى الكرامين عبدا لكي يعطوه من ثمر الكرم فجلده الكرامون وأرسلوه فارغا. فعاد وأرسل عبدا آخر فجلدوا ذلك أيضا وأهانوه وأرسلوه فارغا. ثم عاد فأرسل ثالثا فجرحوا هذا أيضا وأخرجوه. فقال صاحب الكرم ماذا أفعل؟ أرسل ابني الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابون! فلما رآه الكرامون تآمروا فيما بينهم قائلين هذا هو الوارث هلموا نقتله لكي يصير لنا الميراث. فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فماذا يفعل بهم صاحب الكرم؟: يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويُعطي الكرم لآخرين، فلما سمعوا قالوا: حاشا!. فنظر إليهم وقال: إذًا ما هو هذا المكتوب؛ الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" إنجيل لوقا:٢٠ ٩-١٨ Luke.

وهل يليق اتهام المسيح عليه السلام بالشركة مع الله تعالى؛ وقد تَنَبَّأ بالنبي بعدهُ على درب التوحيد: "متى جاء المُعَزِّي.. رُوح الحق.. فهو يشهد لي" يوحنا:١٥ ٢٦John، وقال: "إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يُرْشِدُكُم إلى جميع الحق..؛ ذاك يُمَجِّدُنِي لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم" يوحنا:١٦ ١٣و١٤ John، وتُؤيده نبوءة مُعَاصِرُه ابن خالته يحيى (يوحنا المعمدان) الذي عَمَّدَه بنهر الأردن بِمَثَل آخر ضربه لهم: "الآن قد وُضِعَت الفأس على أصل الشجر؛ فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تُقطع وتُلْقَى في النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يَأْتِي بَعْدِي؛ هو أقوى مِنِّي؛ الذي لَسْتُ أهلاً أن أَحْمِلَ حِذَاءَهُ" متى:٣ ١٠و١١ Matthew، ولم يجد الرَّسُول عيسى عليه السلام إلا أن يُفَسِّر لهم النبوءة صَرِيحًا: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره؛ ومن سقط على هذا الحجر يَتَرَضَّض ومن سقط هو عليه يَسْحَقُه" متى:٢١ ٤٣و٤٤ Matthew، ولا يَبْعُد هَذَا عن قول العَلِي القَدِير: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

ومنذ أكثر من ألف سنة؛ كانت براعة قبائل العرب مُتمثلة في التجارة وأشعار الانتصار في الغزوات، ولم يكن لهم ولا للعبرانيين أدنى مَعْرِفَةً بسرعة الضوء البالغة ولا بمعايير حركة القمر؛ وهي أمور آتية، فالتحقق إذن من القياس مَرْهُون بعصر قادم يَتَّسِم بالعلم بخفايا التكوين؛ لبيان تقدير واحد شامل منذ نشأة الكون حتى نهايته، برهانًا مُدَّخَرًا لا يَعْقِلُهُ إلا العَالِمُون؛ يُعلن أن القرآن الكريم ليس بقول بشر، وإِنَّمَا جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَهُ ومُكَمِّلاً ومُؤَيَّدًا بالدليل؛ ومُحَقِّقًا لوعد جَازِم: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله تعالى: {سأَل سائلٌ} قرأه الجمهور بهذين الحرفين في سأل سائل، وفيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: معناه استخبر مُستخبر عن العذاب متى يقع؛ على التكذيب، الثاني: دعا داع أن يقع البلاء بهم على وجه الاستهزاء؛ قاله مجاهد، الثالث: طلب طالب، {بعذابٍ واقعٍ} وفي هذا الطالب ثلاثة أقاويل، أحدها: أنها لنضر بن الحارث، وكان صاحب لواء المشركين يوم بدر، وقد سأل ذلك في قوله: {اللهم إن كان هذا هو الحقَ من عندك فأمطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم} الأنفال:٣٢؛ قاله ابن عباس ومجاهد، الثاني: أنه أبو جهل وهو القائل لذلك؛ قاله ربيع بن أبي حمزة، الثالث: أنه قول جماعة من قريش، وفي هذا العذاب قولان؛ أحدهما: أنه العذاب في الآخرة، قاله مجاهد، الثاني: أنها نزلت بمكة وعذابه يوم بدر بالقتل والأسر؛ قاله السدي، وقرأ نافع وزيد بن أسلم وابنه (سأل سايل) غير مهموز، وسايل واد في جهنم، وسمي بذلك لأنه يسيل بالعذاب، {مِن اللَّهِ ذي المعارج} فيه خمسة تأويلات؛ أحدها: ذي الدرجات؛ قاله ابن عباس، الثاني: ذي الفواضل والنعم؛ قاله قتادة، الثالث: ذي العظمة والعلاء، الرابع: ذي الملائكة؛ لأنهم كانوا يعرجون إليه؛ قاله قتيبة، الخامس: أنها معارج السماء؛ قاله مجاهد، {تَعْرُجُ الملائكةُ والروحُ إليه} أي تصعد، وفي الروح ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه روح الميت حين يُقبض؛ قاله قَبيصة بن ذؤيب يرفعه، الثاني: أنه جبريل كما قال تعالى: (نزل به الروح الأمين)، الثالث: أنه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس؛ قاله أبو صالح، {في يوم كان مِقدارُه خمسينَ ألْفَ سنةٍ} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه يوم القيامة؛ قاله محمد بن كعب والحسن، الثاني: أنها مدة الدنيا، مقدار خمسين ألف سنة؛ لا يدري أحد كم مضى وكم بقي إلا الله؛ قاله عكرمة، الثالث: أنه مقدار مدة الحساب في عرف الخلق؛ أنه لو تولى بعضهم مُحاسبة بعض لكان مدة حسابهم خمسين ألف سنة، إلا أن الله تعالى يتولاه في أسرع مدة، وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يُحاسبهم الله بمقدار ما بين الصلاتين؛ ولذلك سمى نفسه سريع الحساب وأسرع الحاسبين، {فاصْبِرْ صَبْراً جَميلاً} فيه أربعة تأويلات؛ أحدها: أنه الصبر الذي ليس فيه جزع؛ قاله مجاهد، الثاني: أنه الصبر الذي لا بث فيه ولا شكوى، الثالث: أنه الانتظار من غير استعجال؛ قاله ابن بحر، الرابع: أنه المُجاملة في الظاهر؛ قاله الحسن، وفيما أُمر بالصبر عليه قولان؛ أحدهما: أُمر بالصبر على ما قذفه المشركون من أنه مجنون وأنه ساحر وأنه شاعر؛ قاله الحسن، الثاني: أنه أُمر بالصبر على كفرهم، وذلك قبل أن يفرض جهادهم؛ قاله ابن زيد. {إنهم يَرَوْنه بعيدًا} فيه قولان؛ أحدهما: أنه البعث في القيامة، الثاني: عذاب النار، وفي المُراد بالبعيد وجهان؛ أحدهما: مُستحيل غير كائن، الثاني: استبعاد منهم للآخرة، {ونراه قريبًا} أي كائناً، لأن ما هو كائن قريب"[١٤٦٩].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}؛ المفردات: (سَأَلَ سَائِلٌ): طلب ودعا داعٍ، (وَاقِعٍ): نازل وحاصل، (دَافِعٌ): مانع يردّه، (الْمَعَارِجِ): جمع معرج؛ وهو المصعد، أي: صاحب المصاعد والدرجات التي تصعد فيها الملائكة من سماءٍ؛ وقيل غير ذلك، (وَالرُّوحُ): هو جبريل عليه السلام، التفسير: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}: أي دعا داعٍ وطلب كافر من كفار مكة لنفسه ولقومه نزول عذاب، من قولهم: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، والسائل هو النضر بن الحارث، فإنه لمَّا خوَّفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نزول العذاب قال استهزاءً وإنكارًا: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)، فكانت عاقبته العاجلة في الدنيا جزاء استخفافه واستهزائه أن أُهلك يوم بدر؛ فضلًا عما ينتظره يوم القيامة من نكال هو أشد وأنكى، وقال بعضهم: هذا المسائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وكان قد استعجل عذاب الكافرين، فبيَّن الله له أن هذا العذاب واقع بهم ولا دافع له، قالوا: والذي يشير إلى هذا التفسير قوله بعد ذلك: (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا) وهذا يدل على أن ذلك السائل هو الذي أمره الله بالصبر الجميل، وهذا العذاب نازل بالكافرين في الآخرة لا محالة، وواقع بهم؛ سواءٌ طلب أو لم يطلب، ولا يدفعه عنهم أحد؛ لأنه من جهته تعالى وهو صاحب الدرجات والمصاعد التي تصعد فيها الملائكة والروح وهو جبريل عليه السلام؛ أفرد بالذكر لتميزه وفضله، وقال مجاهد: الروح ملائكة حفظة للملائكة الحافظين لبني آدم؛ لا تراهم الحفظة، كما لا نرى نحن حفظتنا، وقيل: ملك عظيم الخلقة يقوم وحده يوم القيامة صفًّا، ويقوم الملائكة كلهم صفًّا، وهؤلاءِ الملائكة والروح تعرج وتصعد من سماءٍ

[١٤٦٩] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ٨٩).

إلى سماء إلى عرش الرحمن حيث تهبط منه أوامره سبحانه، وقيل: المُراد من المعارج هي الفضائل والنعم؛ لأن لوجوه إنعامه وأياديه جل شأنه درجات، وهي تصل إلى الناس على مراتب مختلفة، فهم في نعم الله عليهم متفاوتون، وفي قوله: (مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ) ما يدخل الخوف والرهبة في قلوب الكافرين؛ إذ إن كل المخلوقات تحت قهر سلطانه، والملائكة ذلك الخلق العظيم تصعد إليه في معارج السموات: {لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}، فما أشد بطشه وما أعظم أخذه: {إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}، (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) من سني الدنيا؛ أي أن هذا العذاب سيكون في يوم قدره خمسون ألف سنة، وهو يوم الحساب إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، وإلاَّ فيوم القيامة لا نهاية له، ثم بعد ذلك ينتقل الكفار إلى نوع آخر من العذاب، وهذا الطول وتلك الشدة تكون على الكافرين والعاصين فحسب، وأما المؤمنون فإن الله يخفف عليهم، يدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه..: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؛ ما أطول هذا، فقال عليه الصلاة والسلام: (والذي نَفْسي بيده إنه لَيُخفَّفُ على المؤْمنِ حتى يكونَ أهون عليه من صلاةٍ مكتوبة يصليها في الدنيا)، {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ}، المفردات: (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا) الصبر الجميل: هو ما لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله، (كَالْمُهْلِ): كالمعدن المذاب، أو كعكر الزيت، (الْعِهْنِ الْمَنفُوشِ): كالصوف المتناثر، أو المصبوغ الذي طيرته الريح، التفسير: {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا} أي احبس نفسك يا محمد على تحمل أذى قومك، ولا تضجر من استهزائهم وسخريتهم. أو فاصبر ولا تستعجل عذابهم الذي سألته لهم؛ فإنه كائن ونازل بهم لا محالة، والصبر الجميل: هو ما لا شكوى فيه لغير الله، وقال بعضهم: إنه يكون معه صاحب المصيبة في القوم بحيث لا يدري من هو، {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا}: أي: أن الكفار يرون العذاب الواقع بهم، أو يرون يوم الحساب بعيدًا عن الإمكان، ويعتقدون أن وقوعه محال، أو أنه لا يقع أصلًا؛ وإن كان ممكنًا في ذاته، ونحن بإحاطتنا وعلمنا نراه قريبًا هيّنًا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر، {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} أي يقع هذا العذاب على هؤلاءِ المجرمين يوم تكون فيه السماءِ بعد تشققها وتداعيها قد تغير لونها من الخضرة إلى الحمرة، والمهل: هو عكر الزيت في أسفل إنائه؛ أو هو ما يُذاب من المعادن، والمُراد يوم تكون السماء واهية، وتصير الجبال مُتناثرة، مُتطايرة في الجو، تشبه الصوف المنفوش، وعن الحسن: تسير الجبال مع الرياح ثم تنهدّ ثم تصير كالعهن ثم تُنسف فتصير هباء، وقال صاحب الكشاف: المُراد بالعهن المنفوش؛ هو الصوف المصبوغ ألوانًا، لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإذا بُسَّت وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح"[١٤٧٠].

[١٤٧٠] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١١٠ ١٥٧٠).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astrophysics

الفيزياء الفلكية

المَوْضُوع Subject

Speed of light

سرعة الضوء

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٣٢السجدة:٤.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١-١٠.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠.
- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٩التوبة:٣٦.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٠يونس:٥.
- ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ٢الْبَقَرَة:١٨٩.
- ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.
- ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٤٧محمد:١٨.
- ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ١٦النحل:١.
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٧.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ ١١هود:١٢٣.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٦يس:٣٧-٤٠.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ١٢يوسف:١٠٥.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل: ٧٧.
- ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ٢البقرة:٢٠.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣.
- ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٠٤.
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٣٩الزمر:٦٧.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾
نوح:١٣و١٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا. أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا.
وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ نوح:١٣-١٦.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Why you don't give Allah (what He deserve of) **Dignity; while He has created you in stages?**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

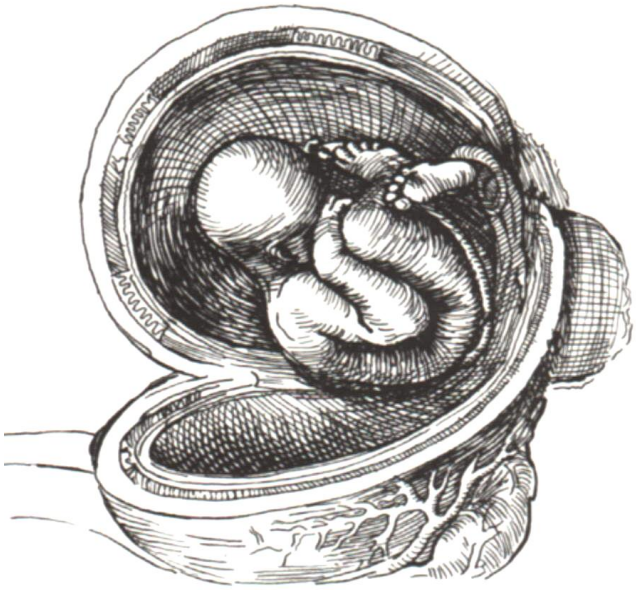

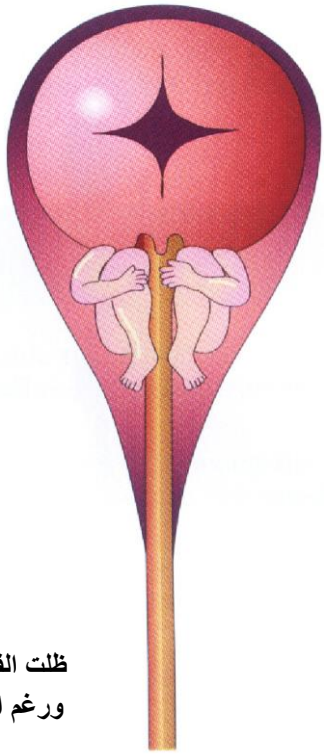

ظلت الفكرة منذ أرسطو بتخلق الجنين كاملا من دم الحيض إلى القرن السابع عشر ورغم اكتشاف المجهر ظل الاعتقاد كذلك بتخلقه كاملا برأس الحوين المنوي بلا أطوار.

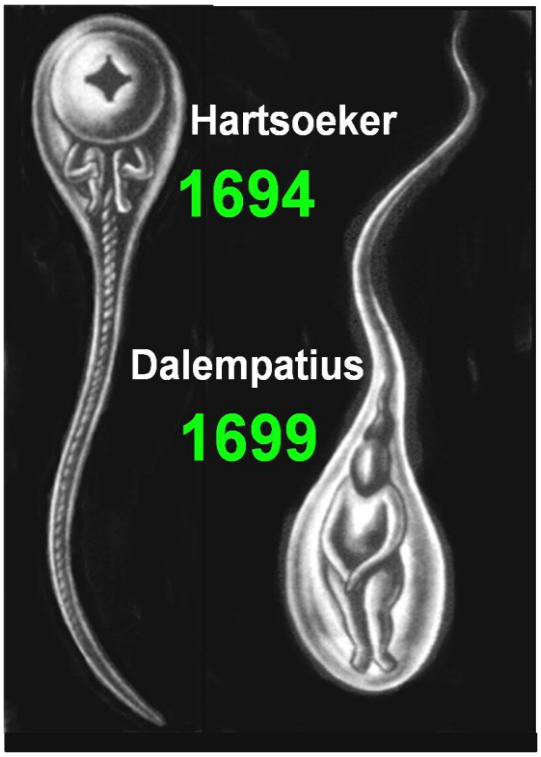

مع اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر ومعاينة الحيوان المنوي Spermatozoon ظنوا أنه حيوان مُتطفل دخيل بسبب صعوبة الرؤية في المجاهر الأولية؛ ولذا ظلت التسمية بالحيوان إلى اليوم لتؤكد أن دوره في الإنجاب لم يكن مُحققا، ومع اكتشاف علاقته بالحمل ظنوا أنه يحوي الإنسان كاملا لينمو في الرحم بلا إدراك لدور المرأة في الإنجاب ولا معرفة بتخلق الجنين في أطوار، في عام ١٦٩٤ رسم هارتسوكر Hartsoeker الإنسان كاملا داخل رأس الحيوان المنوي مجسدا ما بلغته المعارف في القرن السابع عشر، وأيده داليمباتيوس Dalempatius قبل بداية القرن الثامن عشر بعام واحد مع إضافة توهم آخر جعله يرسم الجنين مستقيما، وتوالت الاكتشافات العلمية مع تطور المجهر حتى اكتشفت البويضة وعرف أن الإنسان يخلق من الزوجين في أطوار، وتعجب أن القرآن الكريم قد أعلن في تعبير صريح في القرن السابع الميلادي بتخلق الإنسان في أطوار، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ٧١نوح:١٣و١٤.

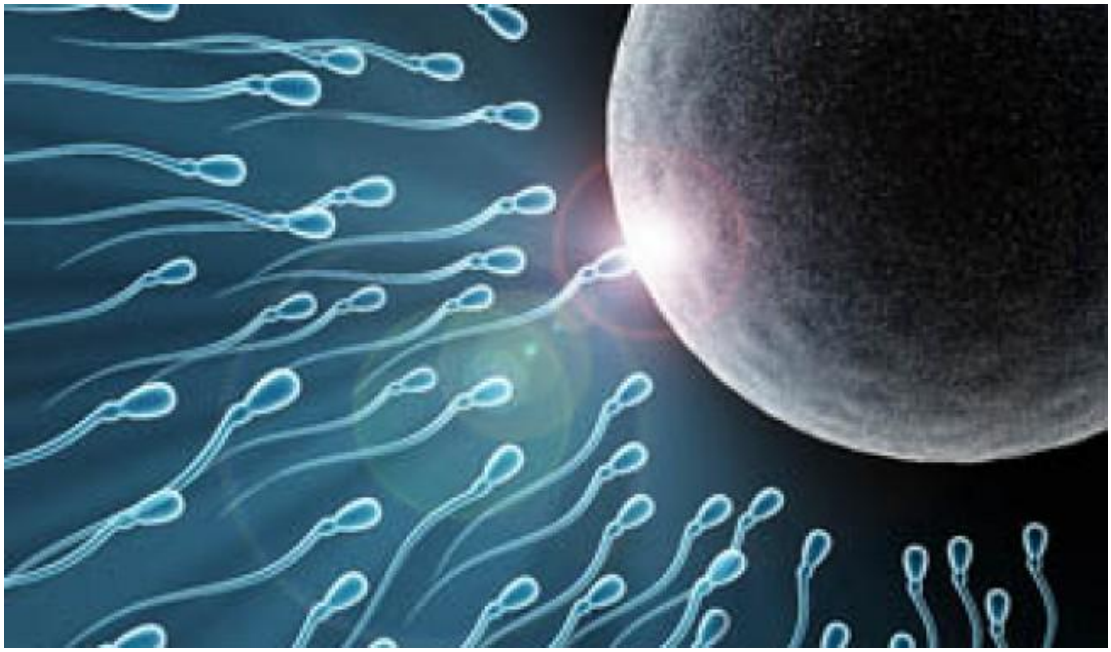

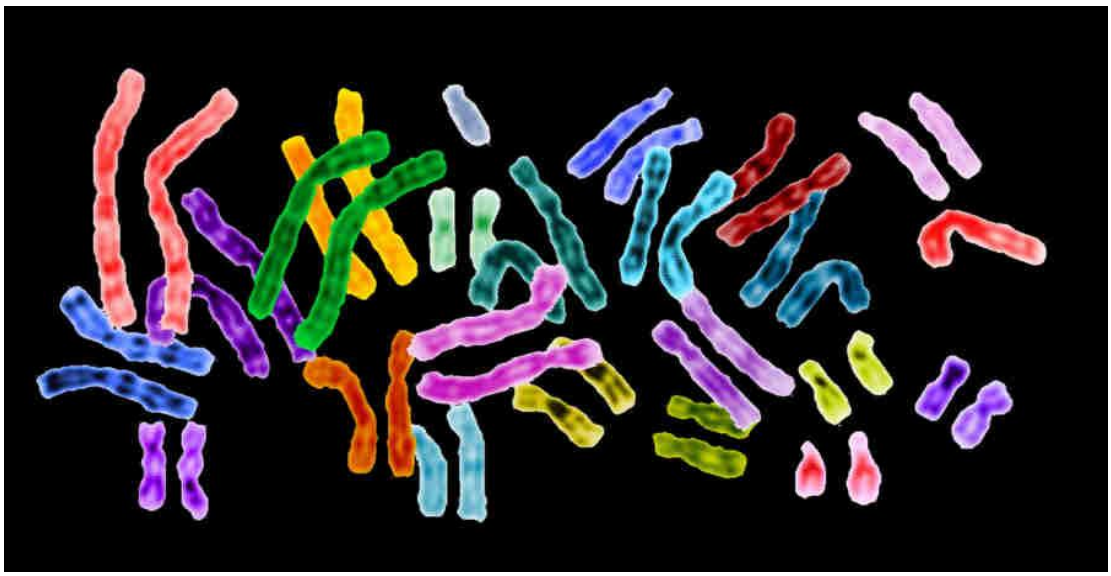

وتبدأ مراحل خلق الإنسان بتكون الحيوان المنوي عند الذكر لأن جميع بويضات الأنثى مكونة وهي جنين، والسائل المنوي يُماثل ماء قليل عديد النطف أي قطرات، وهو ما يكشفه القرآن بالنص الصريح، قال تعالى :﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ. ثُمّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مّن مّآءٍ مّهِينٍ﴾ ٣٢السجدة:٧و٨، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكّم مّن مّآءٍ مّهِينٍ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠، ولكن لا يقوم بالإخصاب إلا مكون منوي واحد من السائل المماثل للماء عديد النطف؛ أي نطفة Drop-like Embryo، وهو ما أكده القرآن الكريم في جملة مواضع، قال تعالى :﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مّن مّنِيّ يُمْنَىَ﴾ ٧٥القيامة:٣٦ و٣٧، ويقول تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن نّطْفَةٍ﴾ ١٦النحل:٤، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنّا خَلَقْنَاهُ مِن نّطْفَةٍ﴾ ٣٦يس:٧٧، والمُدهش أن يعدل القرآن في وصف مُكونات المني المُماثل للماء إلى اسم الفاعل (دافق) بدلا من اسم المفعول؛ قبل أن يُعاين بالمجهر حركته الذاتية أحد، يقول العلي القدير: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ﴾ ٨٦الطارق:٥و٦، وتتم أول مرحلة خارج تجويف الرحم؛ وتدهش أن يعدل القرآن في مقام تكون كل الأطوار إلى لفظ (البطون) في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ خَلْقاً مّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ﴾ ٣٩الزمر:٦، وبالفعل تُحيط بالجنين ثلاثة أغشية مجهرية، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:٢؛ يستقيم وصف أول خلية إنسانية بالجمع (أَمْشَاجٍ) باعتبار التركيب الداخلي، وهي بالفعل تضُم المادة الوراثية بهيئة أزواج مُمتزجة من الزوجين؛ ولذا يسمونها الأزواج النظائر Matched Pairs.

وقد كشف القرآن الكريم دور الزوجين؛ الذكر والأنثى، في الإنجاب، قال تعالى: ﴿يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ﴾ الحجرات:١٣، قال القرطبي (ج١٦ص٣٤٢ و٣٤٣): "بيَّنَ الله تعالى في هذه الآية أنه خلق الخلق من الذكر والأنثى.. وقد ذهب قوم من الأوائل إلى أن الجنين إنما يكون من ماء الرجل وحده، ويتربى في رحم الأم ويستمد من الدم الذي يكون فيه.. والصحيح أن الخلق إنما يكون من ماء الرجل والمرأة لهذه الآية؛ فإنها نص لا يحتمل التأويل".

والمُفسرون كافة بلا استثناء قد أجمعوا الرأي على أن النطفة الأمشاج هي حصيلة ماء الزوجين؛ الذكر والأنثى، وأن الأمشاج يعني أخلاط من الجنسين، وهما يدخلان في تكوين النطفة لأنها مفرد موصوفة بالجمع (أَمْشَاجٍ)؛ فيستقيم أن يعود وصف المفرد بالجمع باعتبار التركيب من مُكونات أدق، وقبل اكتشاف المجهر بعد عصر تنزيل القرآن الكريم بحوالي عشرة قرون لم يكن يعلم أحد بتكون الجنين من بويضة مخصبة Fertilized egg تماثل نطفة؛ أي قطرة ماء غاية في الضآلة وذات أخلاط تحتوي على مكونات وراثية من الأبوين نسميها اليوم كروموزومات Chromosomes، فالأمشاج في التفسير أخلاط من الجنسين، ويستحيل إدراك تلك الحقيقة المجهرية قبل اكتشاف المجهر بقرون إلا بوحي، ولذا لا يقدم الطاعنون سوى أدلة على المُكابرة والعناد والجهل بحقائق العلوم وسوء فهم لدلائل الوحي في الكتاب الكريم.

وفي قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)، وقوله تعالى: (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) ٧٧المرسلات:٢٠و٢١؛ يستقيم حمل محل الحمل سياقا على الرحم، ووصفه بلفظ (قَرَارٍ) ومن مشتقاته الاستقرار يعني توفير كل متطلبات الجنين في كل مراحل الحمل، ووصفه بلفظ (مَكِينٍ) ومن مشتقاته التمكين؛ أي حريز حصين معد مهيأ لأداء وظيفته مثبت والجنين مثبت فيه يحيط به ويحميه وكأنه يد حانية تحيطه وتمنع عنه الخطر؛ هذا هو مجمل ما قاله المفسرون قديما في دلالة الوصفين الجامعين، ويؤيدهم حديثا علم الأجنة وعلم التشريح، وتعبير القرار المكين إذن وصف للرحم Uterus (Womb)، والنطفة وصف للجنين المماثل للنطفة؛ أي قطرة ماء Drop-like Embryo، وهو يستمر بالفعل بنفس الهيئة في الرحم إلى أن يتم الغرس Implantation في نهاية الأسبوع الأول من الإخصاب، والتعبير (قَدَرٍ مَعْلُومٍ)؛ أي فترة مقدرة معلومة لا تتجاوزها الحامل هي فترة الحمل Gestation period منذ الإخصاب، وهو يماثل التعبير (أَجَلٍ مُسَمًّى) في قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ الحج: ٥، والفترة المعلومة للحمل هي ٣٨ أسبوعا (٢٦٦ يوما)؛ أي تسعة أشهر؛ بخلاف الوهم السائد بإمكان الحمل لسنوات.

والمعلوم تشريحيا أن الرحم يقع في الحوض تحميه عظامه، وهي عظام سميكة تتألف من العجز والعصعص في الخلف وعظمة الحرقفة في كل جانب؛ وهما يشكلان من الأمام عظمة العانة، وهذا الحزام العظمي وما يتصل به من عضلات سميكة يوفر للجنين حماية من الرضوض من كل جهة، والرحم أيضا يقع بين المثانة والمستقيم من الأمام والخلف، وتثبت الرحم في موضعه أربطة تربطه بجدار البطن وعظام الحوض وتسمى الأربطة الرحمية Uterine ligaments، وهي ترفع الرحم وتحافظ على وضعية مناسبة للحمل Pregnancy والولادة labor كهرم مقلوب قاعدته لأعلى كقبة، ومع تنامي الحمل يزداد حجمه تدريجيا بما يتواءم مع نمو الجنين إلى أن يبلغ أعلى تجويف البطن في نهاية الشهر الثامن، ومع إفراز الهرمون الموسع لمنطقة تلاقي عظمي العانة Relaxin بالجهتين يهبط أكثر في الحوض استعدادا للوضع.

ومن الناحية الهرمونية يوجد نظام بالغ الدقة والاتزان يمنع تقلص الرحم فيحمي الجنين من الإجهاض Abortion بارتفاع عتبة التقلص لعضلات الرحم بسبب ارتفاع نسبة هرمون البروجسترون Progesterone، وفي الشهر الثالث يبدأ الجسم الأصفر في المبيض في الضمور بعد أن تتسلم المشيمة الدور في المد الهرموني إلى نهاية الحمل، وبهذا يضمن الجنين كل الرعاية وتوفير كل متطلباته على طول الحمل فوق الحماية في حرز حصين مُعد مسبقا بتقدير وتصميم ومهيأ لأداء وظيفته على أكمل وجه، ومثبت بقوة ومرفوع رغم الثقل المحمول، والجنين آمن برعاية الله تعالى وحمايته بأسباب لا علم له بها، وصدق القائل: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

منذ أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد ظل التَّوَهُم سائدًا بأن الجنين يتولد كاملا من دم الحيض ودور المني كالمنفحة في تخثر اللبن؛ كما تعبر الصورة التي رسمها دافنشي المتوَفى في القرن السادس عشر الميلادي عام ١٥١٩.

وفي قوله تعالى: "مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلّهِ وَقَاراً. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً" نوح ١٣و١٤؛ دلالة على أن الإنسان لا يُخلق فجأة كاملا وفق الاعتقاد الذي ساد منذ عهد أرسطو قبل الميلاد وحتى القرن الثامن عشر؛ وإنما في أطوار ثابتة التقدير تشمل كل فرد رغم تعدد الأجناس وتتابع الأجيال، وأول من درس جنين الدجاجة باستخدام عدسة بسيطة هو هارفي Harveyعام ١٦٥١، ودرس كذلك أجنة الأيل Deer ولصعوبة معاينة المراحل الأولى للحمل استنتج أن الأجنة ليست إلا إفرازات رحمية، وفي عام ١٦٧٢ اكتشف جراف Graaf حويصلات في المبايض ما زالت تسمى باسمه Graafian Follicles، وعاين حجيرات في أرحام الأرانب الحوامل تماثلها؛ فاستنتج أن الأجنة ليست إفرازات من الرحم وإنما من المبايض، ولم تكُن تلك التكوينات الدقيقة التي عاينها جراف سوى تجاويف في كتل الخلايا الجنينية الأولية Blastocysts، وفي عام ١٦٧٥ عاين مالبيجي Malpighi أجنة في بيض دجاج ظنه غير مُحتاج لعناصر تخصيب من الذكر، واعتقد أنه يحتوى على كائن مُصغر ينمو ولا يتخلق في أطوار، وباستخدام مجهر أكثر تطوراً اكتشف هام Hamm وليفنهوك Leeuwenhoek الحوين المنوي للإنسان للمرة الأولى في التاريخ عام ١٦٧٧؛ ولكنهما لم يدركا دوره الحقيقي في الإنجاب، وظنا أيضاً أنه يحتوي على الإنسان مُصغراً لينمو في الرحم بلا أطوار تخليق، وفي عام ١٧٥٩ افترض وولف Wolff تطور الجنين من كتل أولية التكوين ليس لها هيئة الكائن المُكتمل، وحوالي العام ١٧٧٥ انتهى الجدل حول فرضية الخلق المُكتمل ابتداءً؛ واستقرت نهائيًا حقيقة التخليق في أطوار، وأكدت تجارب إسبالانزاني Spallanzani على الكلاب على أهمية الحوينات المنوية في عملية التخليق، وقد سادت قبله الفكرة بأن الحوينات المنوية كائنات غريبة مُتطفلة ولذا سُميت بحيوانات المني Semen Animals، وفي عام ١٨٢٧ بعد حوالي ١٥٠ سنة من اكتشاف الحوين المنوي عاين فون بير von Baer البويضة في حويصلة مبيض إحدى الكلاب، وفي عام ١٨٣٩ تأكد شليدن Schleiden وشوان Schwannمن تكون الجسم البشري من وحدات بنائية حية، وسميت تلك الوحدات بالخلايا Cells وأصبح من اليسير لاحقا تفهم حقيقة تخلق الإنسان في أطوار؛ من خلية مُخصبة ناتجة عن الاتحاد بين حوين منوي واحد وبويضة.

وقد ثبت اليوم بيقين خلق الجنين في أطوار إلى اكتمال صورته وولادته في أحسن تقويم؛ كما فَصَّلَهَا القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤، وفي مقابل دلالة حرف (الفاء) في التعبير (فَخَلَقْنَا، فَكَسَوْنَا) على الترتيب والتعقيب بغير مُهلة؛ فإن الأداة (ثُمَّ) تقتضي المُهلة؛ فتفيد تأخر مظاهر تكون إدراكه واتضاح حركته الإرادية بمدة أكبر نسبيا في مرحلة لاحقة تلت مرحلة تخليق أوليات أعضاء الجسم التي انتهت باكتمال أوليات الهيكل العظمي وكساؤه بالعضلات، والثابت علميا أنه باكتمال ٨ أسابيع تكون كل أوليات الأعضاء قد اكتملت تمامًا؛ بينما تتأخر الحركة الإرادية للجنين إلى أربعة أشهر.

وأبسط وأدق تصوير للمني عديد المكونات الوراثية أنه ماء عديد النطف، ومكونات المني من الكثرة والحركة السريعة فتشبه قطرات المطر، ومن كُلٍّ تنشأ حياة، وما أشبه ملايين المكونات من المني المندفع بقطرات المطر؛ في الكثرة والهيئة والضآلة والحركة والمساهمة في نشأة حياة إنسان أو زرع، ولا يقُوم بإخصاب البويضة إلا حوين منوي واحد؛ نطفة.

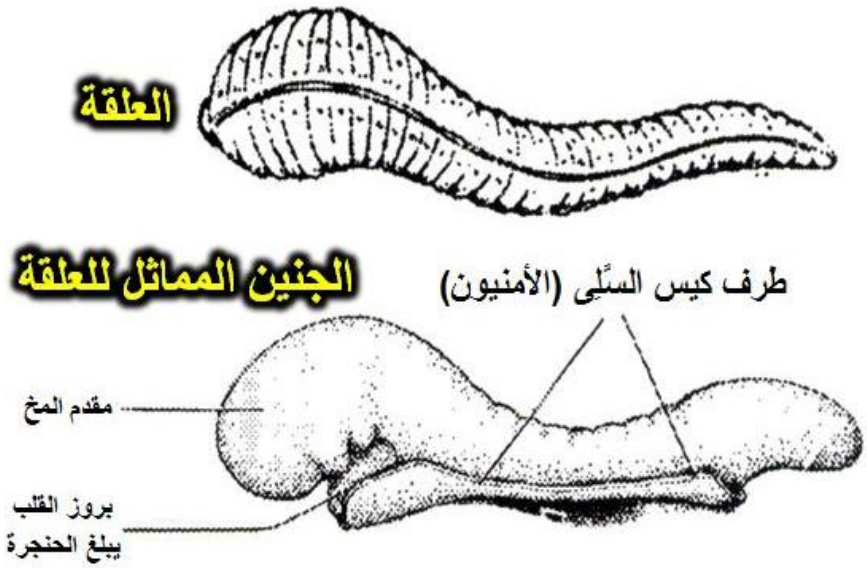

وفي الأسبوع الثاني والثالث يتحول الجنين إلى ما يشبه علقة البرك شكلاً ووظيفةً، قال ابن كثير: "أي صيَّرنا النطفة.. على شكل العلقة"وهي دودة طولية الشكل؛ ليس لها قلب ينبض وتعيش في الماء، وتعلق بالمواشي تتغذى على الدماء، والجنين كذلك يصبح طولي الشكل لم ينبض له قلب بعد، ويحاط بكيس مليء بسائل كالماء، ويعلق بجدار الرحم يتغذى على الدماء، والعلق الطبي كان يُترك ليعلق بأبدان مرضى ارتفاع ضغط الدم ليمتصه فينخفض ضغط الدم.

وتعلق الجنين لآزِمُه الرحم الذي يتعلق به كالبذرة تتشبث بالتربة وتمد أطرافها لتستمد قُوتَهَا؛ ففيه أن النطفة المُتضاعفة كالبذرة، فناسب أن يكون الطور المُماثل للعلق أول الأطوار: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٩٦العلق:٢.

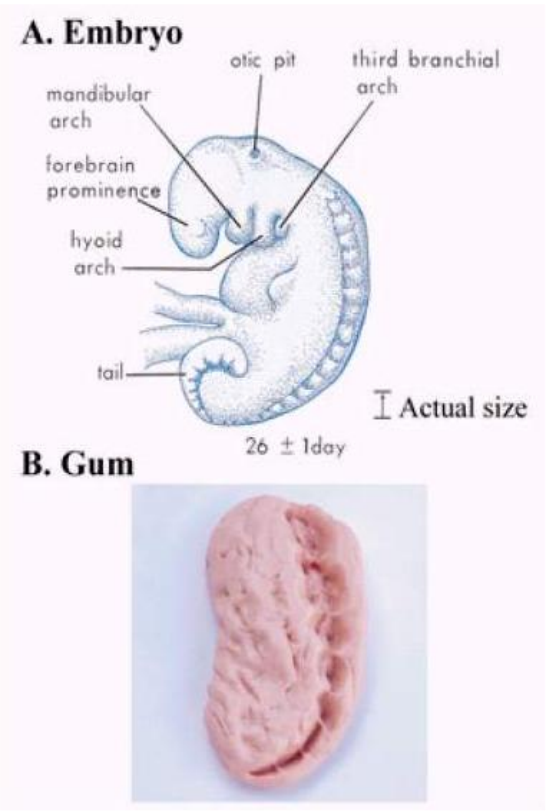

ويبدأ قلب الجنين في النبض حوالي اليوم ٢١ من الإخصاب بمعدل يصل إلى: ١٧٠ نبضة في الدقيقة؛ بينما في البالغ حوالي: ٧٠ نبضة في الدقيقة، فيتسارع النمو خاصة جهة الظهر فينحني وتظهر أوليات الفقرات كعلامات الأسنان وبقية الأعضاء كانبعاجات فيبدو كقطعة طعام مُضِغَت، ويستمر بنفس الهيئة طيلة الأسابيع الرابع والخامس والسادس.

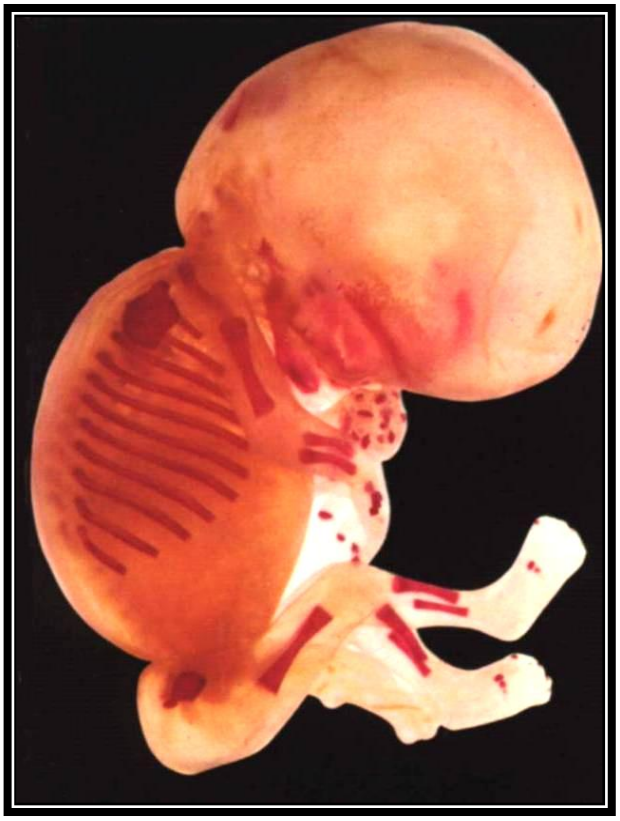

,في الأسبوع السابع من الإخصاب تظهر أوليات العظام ويبدأ تشكيل الهيكل العظمي وتكسى بالعضلات في الثامن، وتبدأ الهيئة البشرية في الاتضاح بعد مرور ستة أسابيع من عمر الجنين، وتكتمل جميع أوليات الأعضاء بنهاية الثامن.

وفي نهاية الأسبوع الثامن مع اكتمال جميع أوليات الأعضاء؛ يكون طول الجنين من الرأس إلى المقعدة حوالي ٣ سم، وسريعًا ما تظهر الأعضاء التناسلية الخارجية؛ ويتضح جنس الجنين باستخدام الأجهزة الطبية الحديثة.

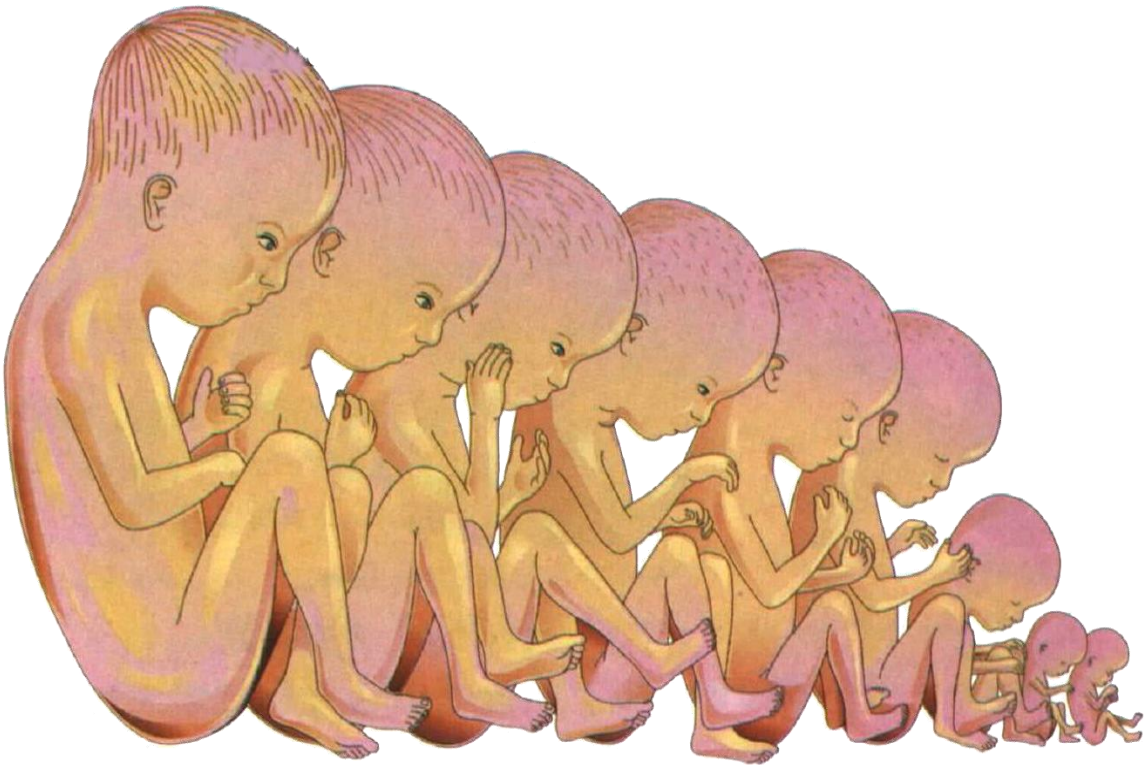

والأسابيع الثمانية الأولى تُسَمَّى بالمرحلة الجنينية Embryonic Stage؛ وفيها تُسوى كل أوليات الأعضاء، والمدة من بداية الأسبوع التاسع إلى الوضع تُسَمَّى بمرحلة الحُمَيل Fetal Stage؛ وفيها يتنامى الجسم وتُعَدَّل الهيئة والقسمات؛ فهي إذن مراحل ثلاث: خلق وتسوية وتعديل، وهي نفس المراحل التي سبق وأنبأ بها القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨٢الإنفطار:٦-٨، وبعد ١٧ أسبوعًا (عند ١٢٠ يوما) تبدأ الحركة الإرادية؛ وتعكس دورية تعاقبها وجود فترات نوم ويقظة علامة على بداية الإدراك، قال ابن كثير: "(ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) أي..: صار (خَلْقًا آخَرَ)؛ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة".

ويستمر تعديل هيئة الحُمَيل وتعديل انحناء جسمه ونسبة رأسه إلى جسمه، إلى أن يُولد غالبا بعد ٩ شهور، أي ٣٨ أسبوعا أو ٢٦٦ يوما ليملأ الدنيا صُرَاخًا مُعلنًا قدرة العلي وبديع صنعه تعالى وسبق تقديره وحسن تدبيره، فالصدفة لا تصنع مراحل مقدرة تتكرر بانتظام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ٢٢الحج:٥، ووحدة الإعداد والتخطيط وثبات الأطوار رغم تعدد الأجناس وتتابع الأجيال؛ فدليل قاطع ينطق للفطين بوحدانية الخالق العظيم.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير مجمع البحوث: "{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}؛ المفردات: (لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا): أي: لا تعتقدون لله عظمة، على أَن الرجاءَ بمعنى الاعتقاد، والوقار بمعنى العظمة، أَو لا تخافون لله عظمة، فيكون الرجاءُ بمعنى الخوف، قال الأَخفش: الرجاءُ هنا: الخوف؛ لأَن مع الرجاءَ طرفًا من الخوف: ونقل أَيضًا عن ابن عباس كونه بمعنى الخوف، (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا): جمع طور، أَي: تارات وكرات؛ حيث خلقكم أَولا ترابًا، ثم نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ولحومًا ثم خلقًا آخر، التفسير: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}: إنكار لأَن يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله وقارًا، أَي عظمة، بمعنى أَي سبب حصل لكم حتى جعلكم غير خائفين عظمة الله، أَو غير معتقدين لله عظمة موجبة لتعظيمه سبحانه بالإيمان به والطاعة له، وقيل: المعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب، ويراد على هذا بالوقار التوفير، وهو تعظيم، وكونه من الله بمعنى رضاه عنهم وتفضله عليهم بأَسمى الجزاء، (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) أَي: الحال أَنكم تعلمون أَنه عز وجل خلقكم مُدْرجًا لكم في كرات وأَدوار متعاقبة وحالات مختلفة، فبدأَكم نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظمًا ولحومًا ثم خلقا آخر، فتبارك الله أَحسن الخالقين، وبمثل هذا قال ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم، والإخلال بتوقير مَنْ هذا شأنه في القدرة القادرة والإحسان العام مع العلم به، لا يكاد يصدر من عاقل، والجملة: (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) مقررة لإنكار أَي سبب مبرر لما وقع منهم من عدم رجائهم لله وقارًا، بعد أَن تفضل عليهم بالتكوين والإيجاد، وبكل مقومات حياتهم من نعم وآلاء"[١٤٧١].

وقال المراغي: "بعد أن أدّبهم الأدب الخلقي بطلبه منهم تهذيب نفوسهم واتباعهم مكارم الأخلاق؛ شرع يؤدبهم الأدب العلمي بدراسة علم التشريح وعلم النفس ودراسة أحوال العوالم العلوية والسفلية فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا. أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ٧١نوح:١٣-١٦، أي مالكم لا تخافون عظمة الله وقد خلقكم على أطوار مختلفة، فكنتم نطفة فى الأرحام، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم كسا عظامكم لحما، ثم أنشأكم خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين، وقد ذكرت هذه الأطوار في سور كثيرة"[١٤٧٢].

[١٤٧١] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٠\ ١٥٧٥).

[١٤٧٢] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢٩\ ٨٤).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Embryology

علم الأجنة

المَوْضُوع Subject

Creation of the Embryo

خلق الجنين

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ١٦النحل:٤.
- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ ١٨الكهف:٣٧.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٢٢الحج:٥.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٣٥فاطر:١١.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ٣٦يس:٧٧.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٤٠غافر:٦٧.
- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٤٠.
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٧٦الإنسان:٢.
- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ٨٠عبس:١٧-٢٠.
- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ٧١نوح:١٣و١٤.
- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٩٦العلق:١و٢.
- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨٢الإنفطار:٦-٨.
- ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠-٢٣.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ٧٥القيامة:٣و٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ٧٥القيامة:٣و٤.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾، ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة تَرْجَمَة)

Does man (the disbeliever) think that We shall not assemble his bones (at raise from the dead)**?**
Yes, We are Able to recreate even his own (characteristic identity) **tips of his fingers.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

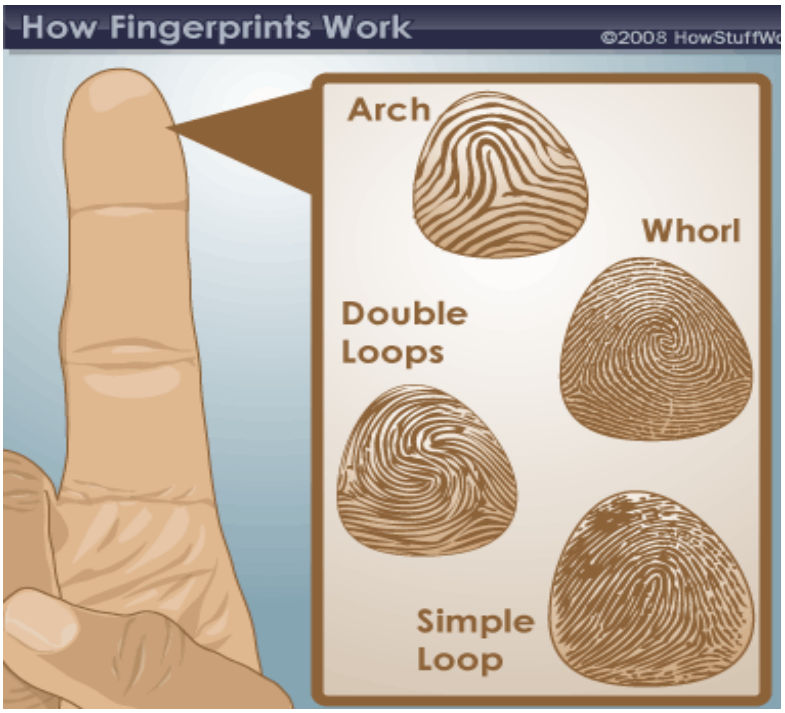

وليم هرشل William Herschel
(١٨٣٣-١٩١٧)

هنري فولدز Henry Faulds
(١٨٤٣-١٩٣٠)

في عام ١٨٢٣ اكتشف بركنجي Purkinje حقيقة البصمات ووجد أن الخطوط الدقيقة الموجودة في رؤوس الأصابع (البنان) تختلف من شخص لآخر، ووجد ثلاثة أنواع من هذه الخطوط: أقواس أو دوائر أو عقد أو على شكل رابع يدعى المركبات، لتركيبها من أشكال متعددة، وفي عام ١٨٥٨ أشار وليم هرشل William Herschel (١٨٣٣-١٩١٧) إلى اختلاف البصمات باختلاف أصحابها، مما جعلها دليلاً مميزاً لكل شخص، وفي عام ١٨٧٧ اخترع هنري فولدز Henry Faulds (١٨٤٣-١٩٣٠) طريقة وضع البصمة على الورق باستخدام حبر المطابع.

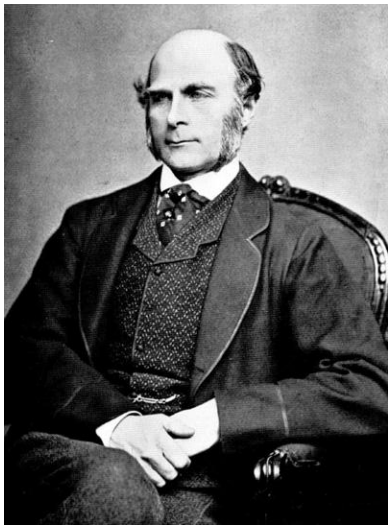

فرانسيس غالتون Francis Galton
(١٨٢٢-١٩١١)

إدوارد هنري Edward Henry
(١٨٥٠-١٩٣١)

وفي عام ١٨٩٢ أثبت فرانسيس غالتون Francis Galton (١٨٢٢-١٩١١) أن صورة البصمة لأي إصبع تعيش مع صاحبها طوال حياته فلا تتغير رغم كل الطوارئ التي قد تصيبه، وقد وجد العلماء أن إحدى المومياء المصرية المحنّطة احتفظت ببصماتها واضحة جلية، وأثبت غالتون أنه لا يُوجد شخصان في العالم كله لهما نفس التعرجات الدقيقة، وقد أكد أن هذه التعرّجات تظهر على أصابع الجنين وهو في بطن أمه عندما يكون عمره بين ١٠٠ و ١٢٠ يوماً.

وفي عام ١٨٩٣ أسس مفوّض اسكتلند يارد إدوارد هنري Edward Henry (١٨٥٠-١٩٣١) نظاماً سهلاً لتصنيف وتجميع البصمات، لقد اعتبر أن بصمة أي إصبع يمكن تصنيفها إلى واحدة من ثمانية أنواع رئيسية، واعتبر أن أصابع اليدين العشرة هي وحدة كاملة في تصنيف هوية الشخص. وأدخلت في نفس العام البصمات كدليل قوي في دوائر الشرطة في اسكتلند يارد كما جاء في الموسوعة البريطانية. ثم استمر الباحثون منذ اكتشاف البصمات في إجراء دراسات على أعداد كبيرة من الناس من مختلف الأجناس فلم يعثر على مجموعتين مُتطابقتين أبدًا، ويتم تكوين بصمات البنان عند الجنين في الشهر الرابع، وتظل ثابتة ومميزة طوال حياته، والبصمات هي تسجيل للتعرّجات التي تنشأ من التحام طبقة الأدمة مع البشرة، وتختلف هذه التعرجات من شخص لآخر فلا تتطابق أبداً بين شخصين، ولذلك أصبحت بصمات الأصابع دوليا هي الوسيلة المُثلى لتحديد هوية الأشخاص.

وفي قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ٧٥القيامة:٣و٤؛ بيان بأن البنان أي أطراف الأصابع يُميز كل إنسان، وقد ثبت أنها كذلك فاستخدمتها الجهات الأمنية لهذا الغرض.
وهكذا بعد أن أنكر كفار قريش البعث يوم القيامة وأنه كيف لله تعالى أن يجمع عظام الميت ليبعث ويحاسب، رد عليهم رب العزة بأنه: ليس فحسب قادر على جمع العظام البالية؛ بل هو تعالى قادر حتى على خلق وتسوية بنانه، هذا الجزء الدقيق الذي يعرّف عن صاحبه والذي يُميز كل إنسان عن الآخر مهما حصل له من الحوادث، ولقد أثارت الإشارة في الآية الكريمة إلى البنان تحديدا انتباه المفسرين؛ إلا أن العلاقة بين الفرد وتشكيلات بنانه المميزة لم تُدرك إلا في القرن التاسع عشر الميلادي عندما عُرف دورها في تحديد الهوية، وحسب نظام هنري الذي قام بتطويره مفوض اسكتلند يارد إدوارد هنري سنة ١٨٩٣؛ فإن بصمة أي إصبع يُمكن تصنيفها إلى واحدة من ثمانية أنواع رئيسة بحيث تُعتبر أصابع اليدين العشرة وحدة كاملة في تصنيف بطاقة الشخص وتمييزه، وهنا نُلاحظ التعبير الدقيق وهو أن الآية الكريمة تتحدث عن إعادة خلق بصمات الأصابع جميعها لا بصمة إصبع واحدة؛ إذ إن لفظ البنان يُطلق على الجمع أي مجموع الأصابع، ولا غرابة أن يكون البنان إحدى آيات الله تعالى التي وضع فيها أسرار خلقه؛ والتي هي علامة تحدد الشخص بدون التباس فتصبح أصدق دليل يميزه.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَان} أَيْ الْكَافِر {أَلَّنْ نَجْمَع عِظَامه} للبعث والإحياء {بَلَى} نَجْمَعهَا {قَادِرِينَ} مَعَ جَمْعهَا {عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانه}، وَهُوَ الْأَصَابِع أَيْ نُعِيد عِظَامهَا كَمَا كَانَتْ مَعَ صِغَرهَا فَكَيْف بِالْكَبِيرَةِ"[١٤٧٣].

وقال الماوردي: "{بلى قادِرِينَ على أنْ نُسوّيَ بَنانه} في قوله (بلى) وجهان؛ أحدهما: أنه تمام قوله (أن لن نجمع عظامه) أي بلى نجمعها، قاله الأخفش، الثاني: أنها استئناف بعد تمام الأول بالتعجب بلى قادرين، الآية وفيه وجهان؛ أحدهما: بلى قادرين على أن نسوي مفاصله ونعيدها للبعث خلقاً جديداً؛ قاله جرير بن عبد العزيز، الثاني: بلى قادرين على أن نجعل كفه التي يأكل بها ويعمل حافر حمار أو خف بعير، فلا يأكل إلا بفيه، ولا يعمل بيده شيئاً؛ قاله ابن عباس وقتادة، {بل يريد الإنسان ليَفْجُرَ أمامَه} فيه أربعة تأويلات: أحدها: معناه أن يقدم الذنب ويؤخر التوبة؛ قاله القاسم بن الوليد، الثاني: يمضي أمامه قدُماً لا ينزع عن فجور، قاله الحسن، الثالث: بل يريد أن يرتكب الآثام في الدنيا لقوة أمله ولا يذكر الموت؛ قاله الضحاك، الرابع: بل يريد أن يكذب بالقيامة ولا يعاقب بالنار، وهو معنى قول ابن زيد، ويحتمل وجهاً خامساً: بل يريد أن يكذب بما في الآخرة كما كذب بما في الدنيا"[١٤٧٤].

[١٤٧٣] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٧٧٩).

[١٤٧٤] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ١٥٢).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Medicine

علم الطب

المَوْضُوع Subject

Fingerprints

بصمات الأصابع

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ٨الأنفال:١٢.
- ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٤٧محمد:٤.
- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ. لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ٣آل عمران:١٢٣-١٢٨.
- ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٠٢-١٠٤.
- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٢٧.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ٣آل عمران:١١٨-١٢٠.
- ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ٤٧محمد:٢٧.
- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ٨الأنفال:٥٠.
- ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٩.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ٩التوبة:٣٤و٣٥.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ٧٥القيامة:٣و٤.

﴿إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ
فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٧٦الإنسان:٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٧٦الإنسان:٢.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾، ﴿نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Verily, We have created man from a drop-like being that has (hereditary) **matched pairs** (from both parents)**, then We made him to hear and see; in order to test** (the behavior of) **him.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

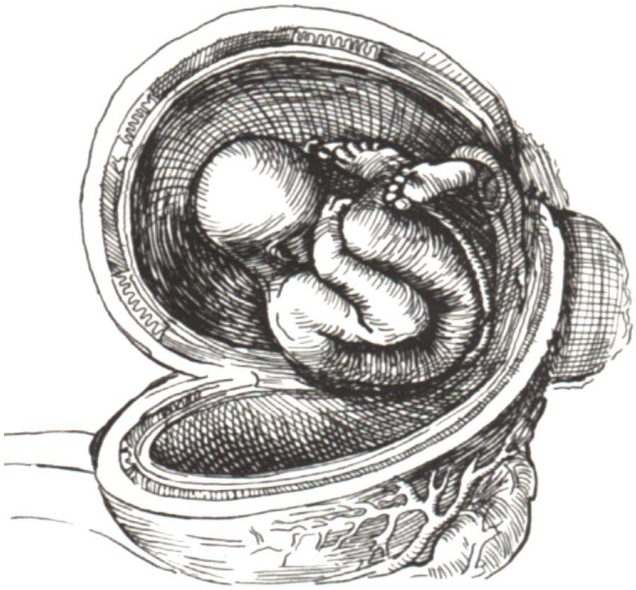

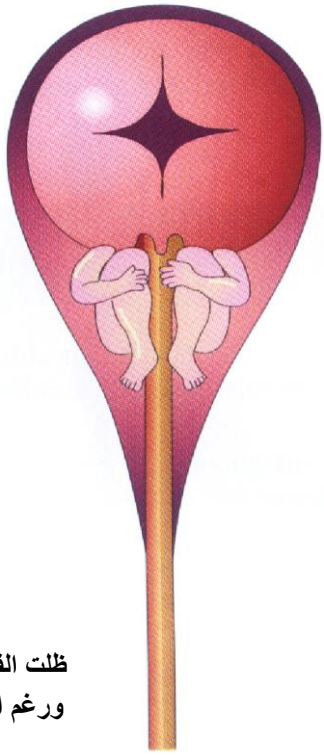

ظلت الفكرة منذ أرسطو بتخلق الجنين كاملا من دم الحيض إلى القرن السابع عشر ورغم اكتشاف المجهر ظل الاعتقاد كذلك بتخلقه كاملا برأس الحوين المنوي بلا أطوار.

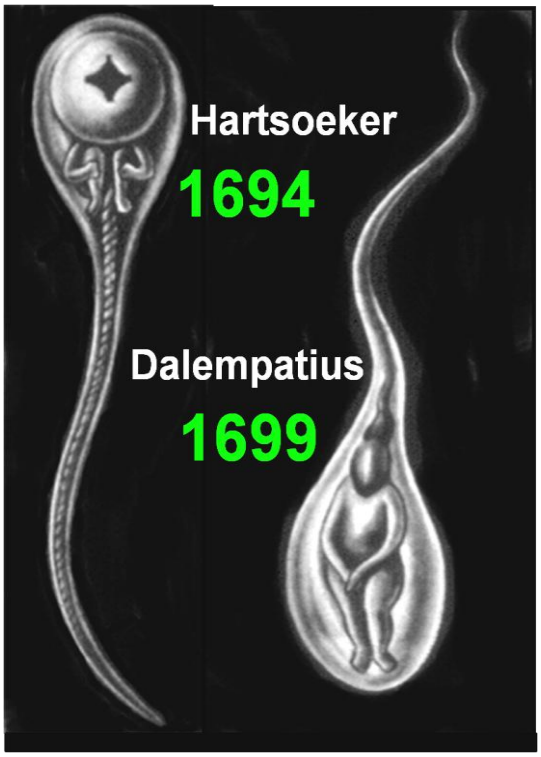

مع اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر ومعاينة الحيوان المنوي Spermatozoon ظنوا أنه حيوان مُتطفل دخيل بسبب صعوبة الرؤية في المجاهر الأولية؛ ولذا ظلت التسمية بالحيوان إلى اليوم لتؤكد أن دوره في الإنجاب لم يكن مُحققا، ومع اكتشاف علاقته بالحمل ظنوا أنه يحوي الإنسان كاملا لينمو في الرحم بلا إدراك لدور المرأة في الإنجاب ولا معرفة بتخلق الجنين في أطوار، في عام ١٦٩٤ رسم هارتسوكر Hartsoeker الإنسان كاملا داخل رأس الحيوان المنوي مجسدا ما بلغته المعارف في القرن السابع عشر، وأيده داليمباتيوس Dalempatius قبل بداية القرن الثامن عشر بعام واحد مع إضافة توهم آخر جعله يرسم الجنين مستقيما، وتوالت الاكتشافات العلمية مع تطور المجهر حتى اكتشفت البويضة وعرف أن الإنسان يخلق من الزوجين في أطوار، وتعجب أن القرآن الكريم قد أعلن في تعبير صريح في القرن السابع الميلادي بتخلق الإنسان في أطوار، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ٧١نوح:١٣و١٤.

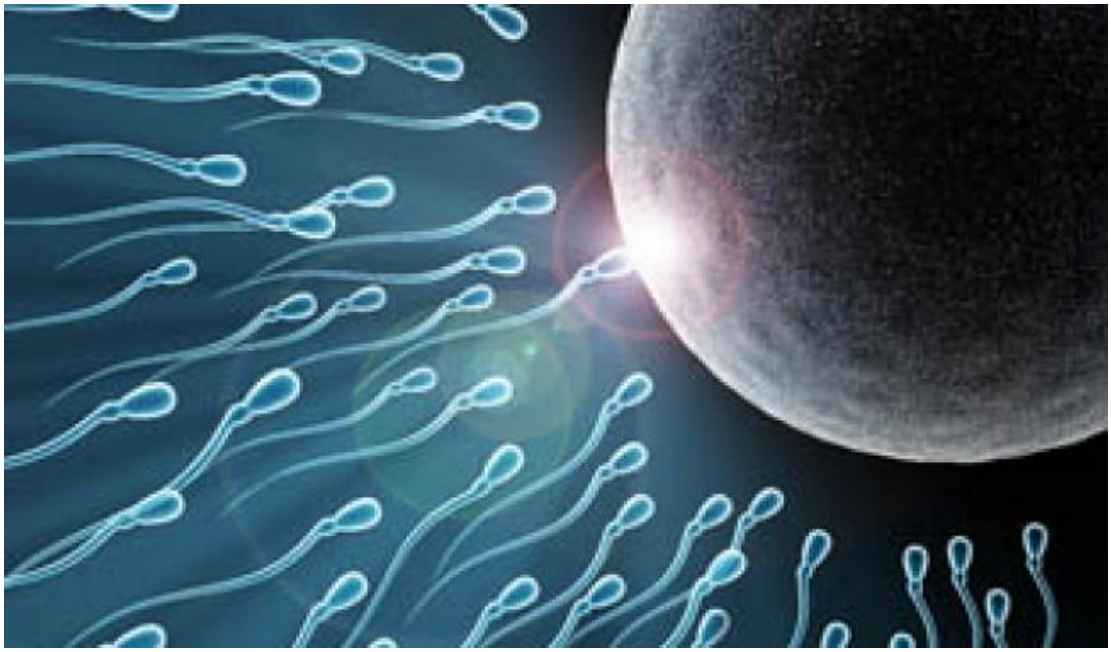

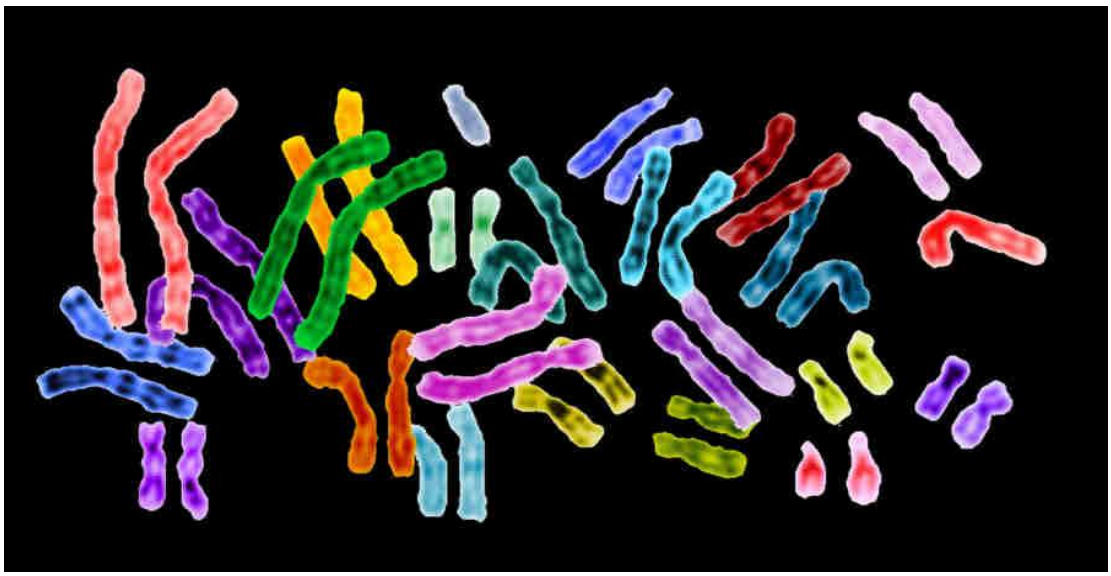

وتبدأ مراحل خلق الإنسان بتكون الحيوان المنوي عند الذكر لأن جميع بويضات الأنثى مكونة وهي جنين، والسائل المنوي يُماثل ماء قليل عديد النطف أي قطرات، وهو ما يكشفه القرآن بالنص الصريح، قال تعالى :﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ. ثُمّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مّن مّآءٍ مّهِينٍ﴾ ٣٢السجدة:٧و٨، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكّم مّن مّآءٍ مّهِينٍ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠، ولكن لا يقوم بالإخصاب إلا مكون منوي واحد من السائل المماثل للماء عديد النطف؛ أي نطفة Drop-like Embryo، وهو ما أكده القرآن الكريم في جملة مواضع، قال تعالى :﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مّن مّنِيّ يُمْنَىَ﴾ ٧٥القيامة:٣٦ و٣٧، ويقول تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن نّطْفَةٍ﴾ ١٦النحل:٤، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنّا خَلَقْنَاهُ مِن نّطْفَةٍ﴾ ٣٦يس:٧٧، والمُدهش أن يعدل القرآن في وصف مُكونات المني المُماثل للماء إلى اسم الفاعل (دافق) بدلا من اسم المفعول؛ قبل أن يُعاين بالمجهر حركته الذاتية أحد، يقول العلي القدير: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ﴾ ٨٦الطارق:٥و٦، وتتم أول مرحلة خارج تجويف الرحم؛ وتدهش أن يعدل القرآن في مقام تكون كل الأطوار إلى لفظ (البطون) في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ خَلْقاً مّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ﴾ ٣٩الزمر:٦، وبالفعل تُحيط بالجنين ثلاثة أغشية مجهرية، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:٢؛ يستقيم وصف أول خلية إنسانية بالجمع (أَمْشَاجٍ) باعتبار التركيب الداخلي، وهي بالفعل تضُم المادة الوراثية بهيئة أزواج مُمتزجة من الزوجين؛ ولذا يسمونها الأزواج النظائر Matched Pairs.

وقد كشف القرآن الكريم دور الزوجين؛ الذكر والأنثى، في الإنجاب، قال تعالى: ﴿يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ﴾ الحجرات:١٣، قال القرطبي (ج١٦ص٣٤٢ و٣٤٣): "بيَّنَ الله تعالى في هذه الآية أنه خلق الخلق من الذكر والأنثى.. وقد ذهب قوم من الأوائل إلى أن الجنين إنما يكون من ماء الرجل وحده، ويتربى في رحم الأم ويستمد من الدم الذي يكون فيه.. والصحيح أن الخلق إنما يكون من ماء الرجل والمرأة لهذه الآية؛ فإنها نص لا يحتمل التأويل".

والمُفسرون كافة بلا استثناء قد أجمعوا الرأي على أن النطفة الأمشاج هي حصيلة ماء الزوجين؛ الذكر والأنثى، وأن الأمشاج يعني أخلاط من الجنسين، وهما يدخلان في تكوين النطفة لأنها مفرد موصوفة بالجمع (أَمْشَاجٍ)؛ فيستقيم أن يعود وصف المفرد بالجمع باعتبار التركيب من مُكونات أدق، وقبل اكتشاف المجهر بعد عصر تنزيل القرآن الكريم بحوالي عشرة قرون لم يكن يعلم أحد بتكون الجنين من بويضة مخصبة Fertilized egg تماثل نطفة؛ أي قطرة ماء غاية في الضآلة وذات أخلاط تحتوي على مكونات وراثية من الأبوين نسميها اليوم كروموزومات Chromosomes، فالأمشاج في التفسير أخلاط من الجنسين، ويستحيل إدراك تلك الحقيقة المجهرية قبل اكتشاف المجهر بقرون إلا بوحي، ولذا لا يقدم الطاعنون سوى أدلة على المُكابرة والعناد والجهل بحقائق العلوم وسوء فهم لدلائل الوحي في الكتاب الكريم.

وفي قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)، وقوله تعالى: (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) ٧٧المرسلات:٢٠و٢١؛ يستقيم حمل محل الحمل سياقا على الرحم، ووصفه بلفظ (قَرَارٍ) ومن مشتقاته الاستقرار يعني توفير كل متطلبات الجنين في كل مراحل الحمل، ووصفه بلفظ (مَكِينٍ) ومن مشتقاته التمكين؛ أي حريز حصين معد مهيأ لأداء وظيفته مثبت والجنين مثبت فيه يحيط به ويحميه وكأنه يد حانية تحيطه وتمنع عنه الخطر؛ هذا هو مجمل ما قاله المفسرون قديما في دلالة الوصفين الجامعين، ويؤيدهم حديثا علم الأجنة وعلم التشريح، وتعبير القرار المكين إذن وصف للرحم Uterus (Womb)، والنطفة وصف للجنين المماثل للنطفة؛ أي قطرة ماء Drop-like Embryo، وهو يستمر بالفعل بنفس الهيئة في الرحم إلى أن يتم الغرس Implantation في نهاية الأسبوع الأول من الإخصاب، والتعبير (قَدَرٍ مَعْلُومٍ)؛ أي فترة مقدرة معلومة لا تتجاوزها الحامل هي فترة الحمل Gestation period منذ الإخصاب، وهو يماثل التعبير (أَجَلٍ مُسَمًّى) في قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ الحج: ٥، والفترة المعلومة للحمل هي ٣٨ أسبوعا (٢٦٦ يوما)؛ أي تسعة أشهر؛ بخلاف الوهم السائد بإمكان الحمل لسنوات.

والمعلوم تشريحيا أن الرحم يقع في الحوض تحميه عظامه، وهي عظام سميكة تتألف من العجز والعصعص في الخلف وعظمة الحرقفة في كل جانب؛ وهما يشكلان من الأمام عظمة العانة، وهذا الحزام العظمي وما يتصل به من عضلات سميكة يوفر للجنين حماية من الرضوض من كل جهة، والرحم أيضا يقع بين المثانة والمستقيم من الأمام والخلف، وتثبت الرحم في موضعه أربطة تربطه بجدار البطن وعظام الحوض وتسمى الأربطة الرحمية Uterine ligaments، وهي ترفع الرحم وتحافظ على وضعية مناسبة للحمل Pregnancy والولادة labor كهرم مقلوب قاعدته لأعلى كقبة، ومع تنامي الحمل يزداد حجمه تدريجيا بما يتواءم مع نمو الجنين إلى أن يبلغ أعلى تجويف البطن في نهاية الشهر الثامن، ومع إفراز الهرمون الموسع لمنطقة تلاقي عظمي العانة Relaxin بالجهتين يهبط أكثر في الحوض استعدادا للوضع.

ومن الناحية الهرمونية يوجد نظام بالغ الدقة والاتزان يمنع تقلص الرحم فيحمي الجنين من الإجهاض Abortion بارتفاع عتبة التقلص لعضلات الرحم بسبب ارتفاع نسبة هرمون البروجسترون Progesterone، وفي الشهر الثالث يبدأ الجسم الأصفر في المبيض في الضمور بعد أن تتسلم المشيمة الدور في المد الهرموني إلى نهاية الحمل، وبهذا يضمن الجنين كل الرعاية وتوفير كل متطلباته على طول الحمل فوق الحماية في حرز حصين مُعد مسبقا بتقدير وتصميم ومهيأ لأداء وظيفته على أكمل وجه، ومثبت بقوة ومرفوع رغم الثقل المحمول، والجنين آمن برعاية الله تعالى وحمايته بأسباب لا علم له بها، وصدق القائل: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

منذ أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد ظل التَّوَهُم سائدًا بأن الجنين يتولد كاملا من دم الحيض ودور المني كالمنفحة في تخثر اللبن؛ كما تعبر الصورة التي رسمها دافنشي المتوَفى في القرن السادس عشر الميلادي عام ١٥١٩.

وفي قوله تعالى: "مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلّهِ وَقَاراً. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً" نوح ١٣و١٤؛ دلالة على أن الإنسان لا يُخلق فجأة كاملا وفق الاعتقاد الذي ساد منذ عهد أرسطو قبل الميلاد وحتى القرن الثامن عشر؛ وإنما في أطوار ثابتة التقدير تشمل كل فرد رغم تعدد الأجناس وتتابع الأجيال، وأول من درس جنين الدجاجة باستخدام عدسة بسيطة هو هارفي Harveyعام ١٦٥١، ودرس كذلك أجنة الأيل Deer ولصعوبة معاينة المراحل الأولى للحمل استنتج أن الأجنة ليست إلا إفرازات رحمية، وفي عام ١٦٧٢ اكتشف جراف Graaf حويصلات في المبايض ما زالت تسمى باسمه Graafian Follicles، وعاين حجيرات في أرحام الأرانب الحوامل تماثلها؛ فاستنتج أن الأجنة ليست إفرازات من الرحم وإنما من المبايض، ولم تكُن تلك التكوينات الدقيقة التي عاينها جراف سوى تجاويف في كتل الخلايا الجنينية الأولية Blastocysts، وفي عام ١٦٧٥ عاين مالبيجي Malpighi أجنة في بيض دجاج ظنه غير مُحتاج لعناصر تخصيب من الذكر، واعتقد أنه يحتوى على كائن مُصغر ينمو ولا يتخلق في أطوار، وباستخدام مجهر أكثر تطوراً اكتشف هام Hamm وليفنهوك Leeuwenhoek الحوين المنوي للإنسان للمرة الأولى في التاريخ عام ١٦٧٧؛ ولكنهما لم يدركا دوره الحقيقي في الإنجاب، وظنا أيضاً أنه يحتوي على الإنسان مُصغراً لينمو في الرحم بلا أطوار تخليق، وفي عام ١٧٥٩ افترض وولف Wolff تطور الجنين من كتل أولية التكوين ليس لها هيئة الكائن المُكتمل، وحوالي العام ١٧٧٥ انتهى الجدل حول فرضية الخلق المُكتمل ابتداءً؛ واستقرت نهائيًا حقيقة التخليق في أطوار، وأكدت تجارب إسبالانزاني Spallanzani على الكلاب على أهمية الحوينات المنوية في عملية التخليق، وقد سادت قبله الفكرة بأن الحوينات المنوية كائنات غريبة مُتطفلة ولذا سُميت بحيوانات المني Semen Animals، وفي عام ١٨٢٧ بعد حوالي ١٥٠ سنة من اكتشاف الحوين المنوي عاين فون بير von Baer البويضة في حويصلة مبيض إحدى الكلاب، وفي عام ١٨٣٩ تأكد شليدن Schleiden وشوان Schwannمن تكون الجسم البشري من وحدات بنائية حية، وسميت تلك الوحدات بالخلايا Cells وأصبح من اليسير لاحقا تفهم حقيقة تخلق الإنسان في أطوار؛ من خلية مُخصبة ناتجة عن الاتحاد بين حوين منوي واحد وبويضة.

وقد ثبت اليوم بيقين خلق الجنين في أطوار إلى اكتمال صورته وولادته في أحسن تقويم؛ كما فَصَّلَهَا القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤، وفي مقابل دلالة حرف (الفاء) في التعبير (فَخَلَقْنَا، فَكَسَوْنَا) على الترتيب والتعقيب بغير مُهلة؛ فإن الأداة (ثُمَّ) تقتضي المُهلة؛ فتفيد تأخر مظاهر تكون إدراكه واتضاح حركته الإرادية بمدة أكبر نسبيا في مرحلة لاحقة تلت مرحلة تخليق أوليات أعضاء الجسم التي انتهت باكتمال أوليات الهيكل العظمي وكساؤه بالعضلات، والثابت علميا أنه باكتمال ٨ أسابيع تكون كل أوليات الأعضاء قد اكتملت تمامًا؛ بينما تتأخر الحركة الإرادية للجنين إلى أربعة أشهر.

وأبسط وأدق تصوير للمني عديد المكونات الوراثية أنه ماء عديد النطف، ومكونات المني من الكثرة والحركة السريعة فتشبه قطرات المطر، ومن كُلٍّ تنشأ حياة، وما أشبه ملايين المكونات من المني المندفع بقطرات المطر؛ في الكثرة والهيئة والضآلة والحركة والمساهمة في نشأة حياة إنسان أو زرع، ولا يقُوم بإخصاب البويضة إلا حوين منوي واحد؛ نطفة.

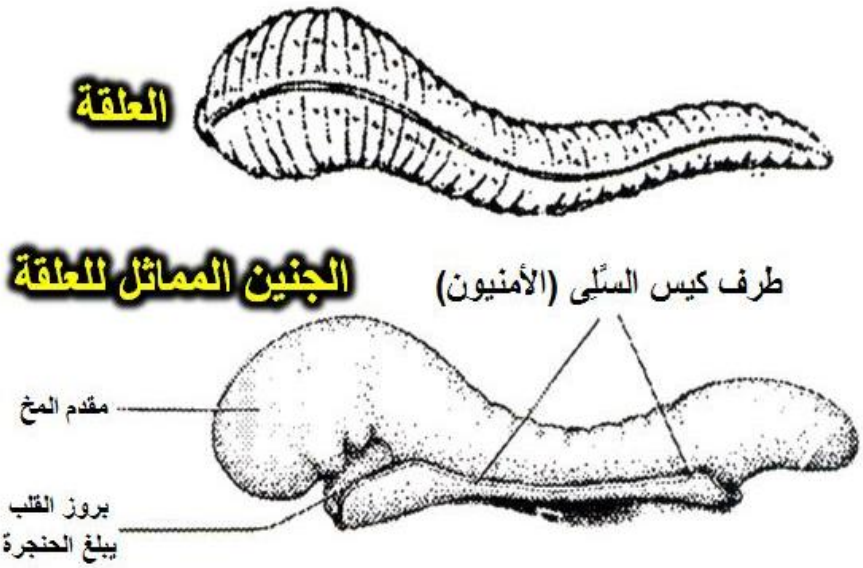

وفي الأسبوع الثاني والثالث يتحول الجنين إلى ما يشبه علقة البرك شكلاً ووظيفةً، قال ابن كثير: "أي صيَّرنا النطفة.. على شكل العلقة"وهي دودة طولية الشكل؛ ليس لها قلب ينبض وتعيش في الماء، وتعلق بالمواشي تتغذى على الدماء، والجنين كذلك يصبح طولي الشكل لم ينبض له قلب بعد، ويحاط بكيس مليء بسائل كالماء، ويعلق بجدار الرحم يتغذى على الدماء، والعلق الطبي كان يُترك ليعلق بأبدان مرضى ارتفاع ضغط الدم ليمتصه فينخفض ضغط الدم.

وتعلق الجنين لآزِمُه الرحم الذي يتعلق به كالبذرة تتشبث بالتربة وتمد أطرافها لتستمد قُوتَهَا؛ ففيه أن النطفة المُتضاعفة كالبذرة، فناسب أن يكون الطور المُماثل للعلق أول الأطوار: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٩٦العلق:٢.

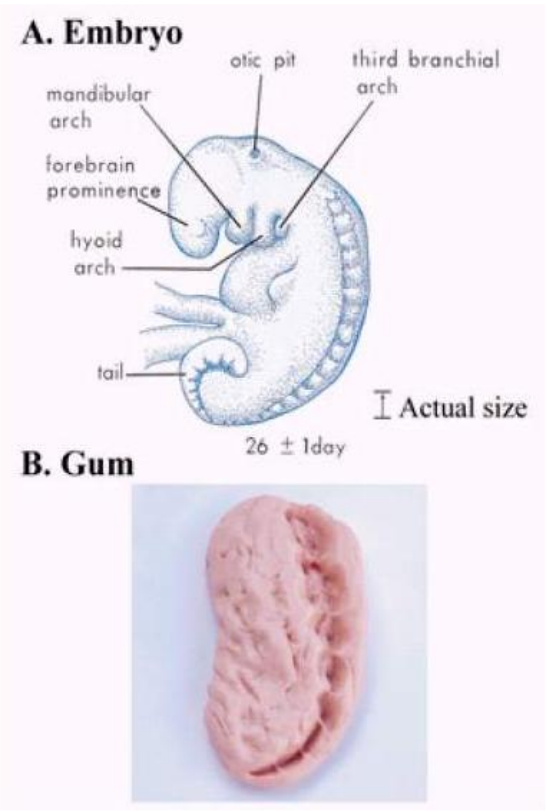

ويبدأ قلب الجنين في النبض حوالي اليوم ٢١ من الإخصاب بمعدل يصل إلى: ١٧٠ نبضة في الدقيقة؛ بينما في البالغ حوالي: ٧٠ نبضة في الدقيقة، فيتسارع النمو خاصة جهة الظهر فينحني وتظهر أوليات الفقرات كعلامات الأسنان وبقية الأعضاء كانبعاجات فيبدو كقطعة طعام مُضِغَت، ويستمر بنفس الهيئة طيلة الأسابيع الرابع والخامس والسادس.

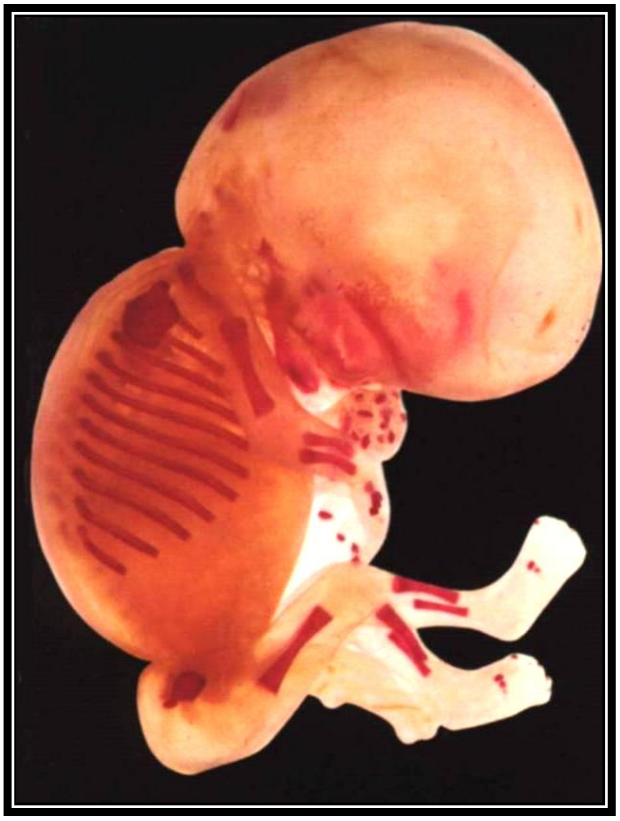

,في الأسبوع السابع من الإخصاب تظهر أوليات العظام ويبدأ تشكيل الهيكل العظمي وتكسى بالعضلات في الثامن، وتبدأ الهيئة البشرية في الاتضاح بعد مرور ستة أسابيع من عمر الجنين، وتكتمل جميع أوليات الأعضاء بنهاية الثامن.

وفي نهاية الأسبوع الثامن مع اكتمال جميع أوليات الأعضاء؛ يكون طول الجنين من الرأس إلى المقعدة حوالي ٣ سم، وسريعًا ما تظهر الأعضاء التناسلية الخارجية؛ ويتضح جنس الجنين باستخدام الأجهزة الطبية الحديثة.

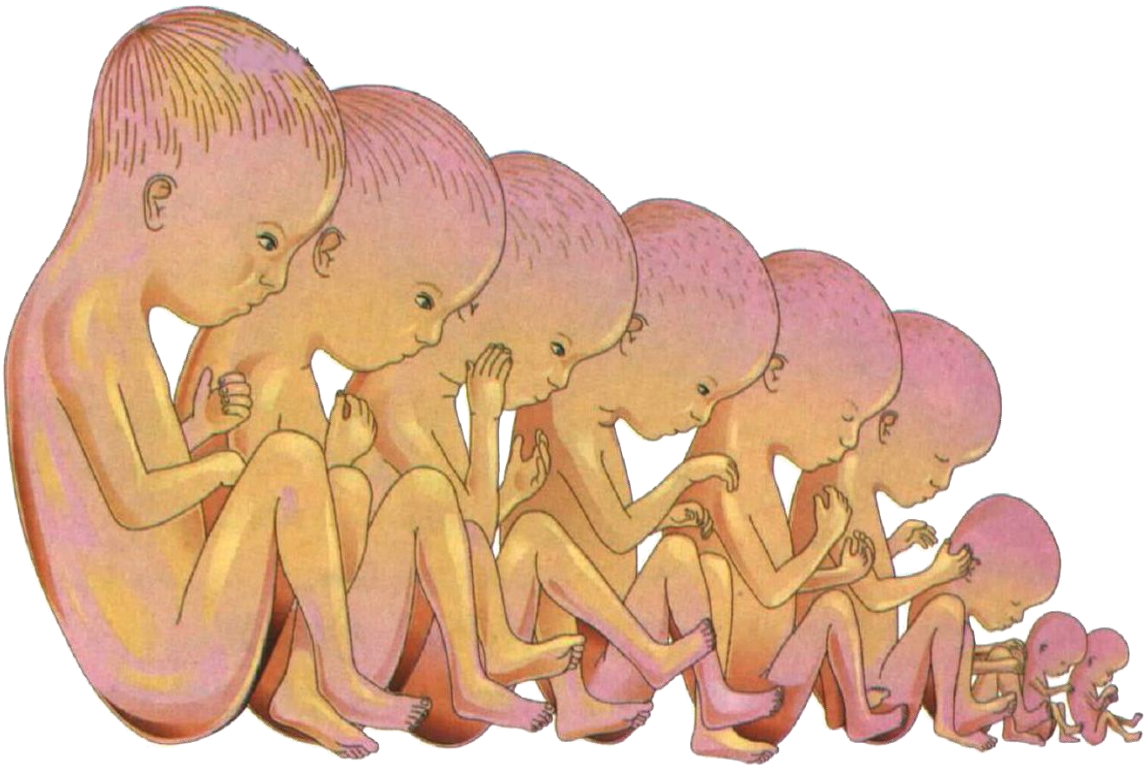

والأسابيع الثمانية الأولى تُسَمَّى بالمرحلة الجنينية Embryonic Stage؛ وفيها تُسوى كل أوليات الأعضاء، والمدة من بداية الأسبوع التاسع إلى الوضع تُسَمَّى بمرحلة الحُمَيل Fetal Stage؛ وفيها يتنامى الجسم وتُعَدَّل الهيئة والقسمات؛ فهي إذن مراحل ثلاث: خلق وتسوية وتعديل، وهي نفس المراحل التي سبق وأنبأ بها القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨٢الإنفطار:٦-٨، وبعد ١٧ أسبوعًا (عند ١٢٠ يوما) تبدأ الحركة الإرادية؛ وتعكس دورية تعاقبها وجود فترات نوم ويقظة علامة على بداية الإدراك، قال ابن كثير: "(ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) أي..: صار (خَلْقًا آخَرَ)؛ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة".

ويستمر تعديل هيئة الحُمَيل وتعديل انحناء جسمه ونسبة رأسه إلى جسمه، إلى أن يُولد غالبا بعد ٩ شهور، أي ٣٨ أسبوعا أو ٢٦٦ يوما ليملأ الدنيا صُرَاخًا مُعلنًا قدرة العلي وبديع صنعه تعالى وسبق تقديره وحسن تدبيره، فالصدفة لا تصنع مراحل مقدرة تتكرر بانتظام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ٢٢الحج:٥، ووحدة الإعداد والتخطيط وثبات الأطوار رغم تعدد الأجناس وتتابع الأجيال؛ فدليل قاطع ينطق للفطين بوحدانية الخالق العظيم.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{إنا خلقنا الإنسان} الجنس {من نطفة أمشاج} أخلاط أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين {نبتليه} نختبره بالتكليف.. أي مريدين ابتلاءه حين تأهله؛ {فجعلناه} بسبب ذلك {سميعا بصيرا}"[١٤٧٥].

وقال الماوردي: "{هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا} قال ابن عباس ومقاتل والكلبي ويحيى بن سلام: هي مكية، وقال آخرون فيها مكي من قوله تعالى: {إنا نحن نزّلنا عليك القرآنَ تنزيلاً} إلى آخرها وما تقدم مدني، قوله تعالى: {هلْ أتَى على الإنسان حينٌ من الدهْرِ لم يكُنْ شيئاً مذكوراً} في قوله (هل) وجهان؛ أحدهما: أنها في هذا الموضع بمعنى قد، وتقدير الكلام: (قد أتى على الإنسان) الآية، على معنى الخبر؛ قاله الفراء وأبو عبيدة، الثاني: أنه بمعنى (أتى على الإنسان) الآية، على وجه الاستفهام؛ حكاه ابن عيسى، وفي هذا (الإنسان) قولان؛ أحدهما: أنه آدم؛ قاله قتادة والسدي وعكرمة، وقيل إنه خلقه بعد خلق السموات والأرض وما بينهما في آخر اليوم السادس وهو آخر يوم الجمعة، الثاني: أنه كل إنسان؛ قاله ابن عباس وابن جريج، وفي قوله تعالى: {حينٌ من الدهر} ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه أربعون سنة مرت قبل أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف؛ قاله ابن عباس في رواية أبي صالح عنه، الثاني: أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، ثم نفخ فيه الروح، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك، الثالث: أن الحين المذكور ها هنا وقت غير مقدر وزمان غير محدود؛ قاله ابن عباس أيضاً، وفي قوله {لم يكن شيئاً مذكوراً} وجهان؛ أحدهما: لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق، وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً؛ قاله يحيى بن سلام، الثاني: أي كان جسداً مصوّراً تراباً وطيناً لا يذكر ولا يعرف، ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً؛ قاله الفراء وقطرب وثعلب، وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيواناً، {إنّا خلقْنا الإنسانَ من نُطْفَةٍ أمْشاجٍ} يعني بالإنسان في هذا الموضع كل إنسان من بني آدم في قول جميع المفسرين، وفي النطفة قولان؛ أحدهما: ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة؛ قاله السدي، الثاني: أن النطفة ماء الرجل، فإذا اختلط في الرحم وماء المرأة صارا أمشاجاً، وفي الأمشاج أربعة أقاويل؛ أحدها: أنه الأخلاط، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة؛ قاله الحسن وعكرمة.. الثاني: أن الأمشاج الألوان؛ قاله ابن عباس، وقال مجاهد: نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وصفراء، روى سعيد عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق أو علا فمنه يكون الشبه)، الثالث: أن الأمشاج: الأطوار، وهو أن الخلق يكون طوراً نطفة، وطوراً علقة، وطوراً مضغة، ثم طوراً عظماً، ثم يكسى العظم لحماً، قاله قتادة. الرابع: أن الأمشاج العروق التي تكون في النطفة؛ قاله ابن مسعود، وفي قوله {نَبْتَلِيه} وجهان؛ أحدهما: نختبره، الثاني: نكلفه بالعمل، فإن كان معناه الاختبار ففيما يختبر به وجهان؛ أحدهما: نختبره بالخير والشر، قاله الكلبي، الثاني: نختبر شكره في السراء، وصبره في الضراء؛ قاله الحسن، ومن جعل معناه التكليف ففيما كلفه وجهان؛ أحدهما: العمل بعد الخلق؛ قاله مقاتل، الثاني: الدين، ليكون مأموراً بالطاعة ومنهياً عن المعاصي، {فَجَعَلْناه سميعاً بصيراً} ويحتمل

[١٤٧٥] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٧٨١).

وجهين؛ أحدهما: أي يسمع بالأذنين ويبصر بالعينين امتناناً بالنعمة عليه، الثاني: ذا عقل وتمييز ليكون أعظم في الامتنان حيث يميزه من جميع الحيوان، وقال الفراء ومقاتل: في الآية تقديم وتأخير أي فجعلناه سميعاً بصيراً أن نبتليه، فعلى هذا التقديم في الكلام اختلفوا في ابتلائه على قولين؛ أحدهما: ما قدمناه من جعله اختباراً أو تكليفاً، الثاني: لنبتليه بالسمع والبصر؛ قاله ابن قتيبة"[١٤٧٦].

[١٤٧٦] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ١٦١).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Embryology

علم الأجنة

المَوْضُوع Subject

Creation of the Embryo

خلق الجنين

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ١٦النحل:٤.
- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ ١٨الكهف:٣٧.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٢٢الحج:٥.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٣٥فاطر:١١.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ٣٦يس:٧٧.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٤٠غافر:٦٧.
- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٤٠.
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٧٦الإنسان:٢.
- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ٨٠عبس:١٧-٢٠.
- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ٧١نوح:١٣و١٤.
- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٩٦العلق:١و٢.
- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨٢الإنفطار:٦-٨.
- ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠-٢٣.

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠-٢٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠-٢٣.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾، ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾، ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة تَرْجَمَة)

Did We not create you from a worthless water-like (semen)**, then We placed it in a highly equipped and conserving** (lodging) **place** (womb)**, for a known period** (9 months)**!.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

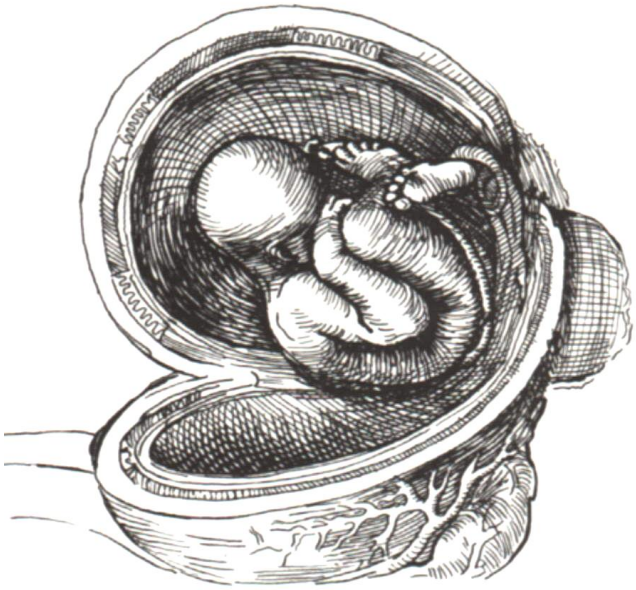

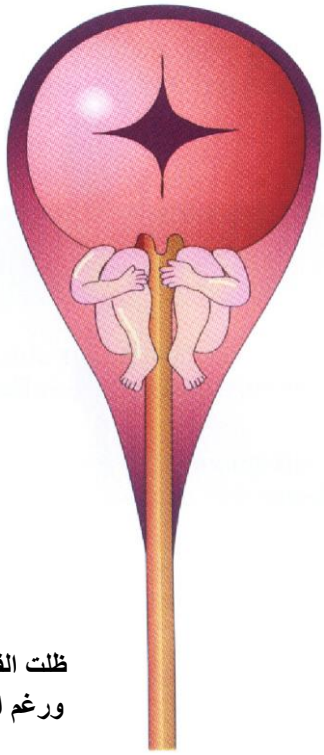

ظلت الفكرة منذ أرسطو بتخلق الجنين كاملا من دم الحيض إلى القرن السابع عشر ورغم اكتشاف المجهر ظل الاعتقاد كذلك بتخلقه كاملا برأس الحوين المنوي بلا أطوار.

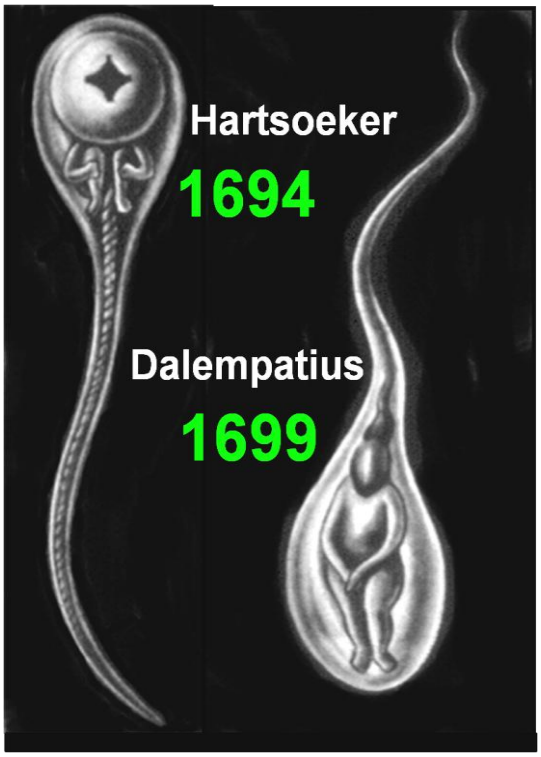

مع اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر ومعاينة الحيوان المنوي Spermatozoon ظنوا أنه حيوان مُتطفل دخيل بسبب صعوبة الرؤية في المجاهر الأولية؛ ولذا ظلت التسمية بالحيوان إلى اليوم لتؤكد أن دوره في الإنجاب لم يكن مُحققا، ومع اكتشاف علاقته بالحمل ظنوا أنه يحوي الإنسان كاملا لينمو في الرحم بلا إدراك لدور المرأة في الإنجاب ولا معرفة بتخلق الجنين في أطوار، في عام ١٦٩٤ رسم هارتسوكر Hartsoeker الإنسان كاملا داخل رأس الحيوان المنوي مجسدا ما بلغته المعارف في القرن السابع عشر، وأيده داليمباتيوس Dalempatius قبل بداية القرن الثامن عشر بعام واحد مع إضافة توهم آخر جعله يرسم الجنين مستقيما، وتوالت الاكتشافات العلمية مع تطور المجهر حتى اكتشفت البويضة وعرف أن الإنسان يخلق من الزوجين في أطوار، وتعجب أن القرآن الكريم قد أعلن في تعبير صريح في القرن السابع الميلادي بتخلق الإنسان في أطوار، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ٧١نوح:١٣و١٤.

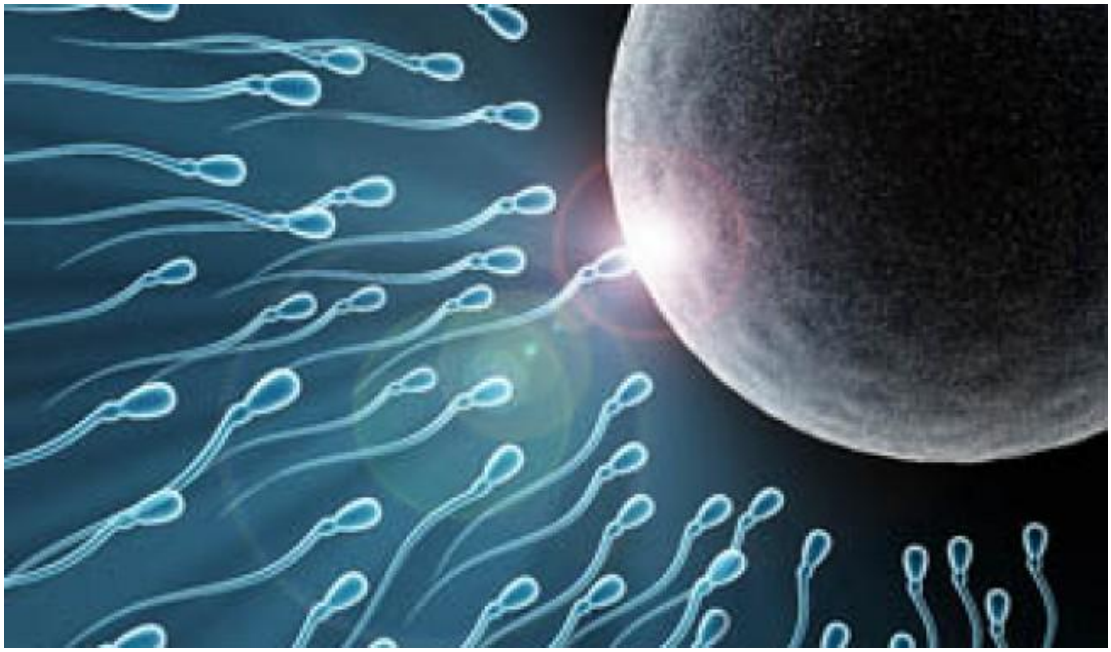

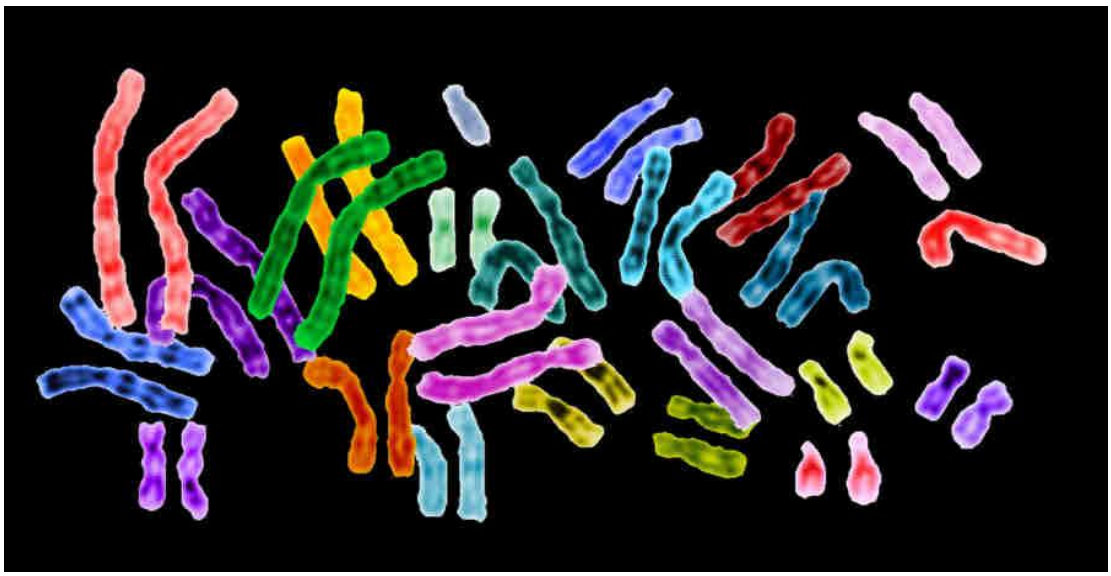

وتبدأ مراحل خلق الإنسان بتكون الحيوان المنوي عند الذكر لأن جميع بويضات الأنثى مكونة وهي جنين، والسائل المنوي يُماثل ماء قليل عديد النطف أي قطرات، وهو ما يكشفه القرآن بالنص الصريح، قال تعالى :﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ. ثُمّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مّن مّآءٍ مّهِينٍ﴾ ٣٢السجدة:٧و٨، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكّم مّن مّآءٍ مّهِينٍ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠، ولكن لا يقوم بالإخصاب إلا مكون منوي واحد من السائل المماثل للماء عديد النطف؛ أي نطفة Drop-like Embryo، وهو ما أكده القرآن الكريم في جملة مواضع، قال تعالى :﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مّن مّنِيّ يُمْنَىَ﴾ ٧٥القيامة:٣٦ و٣٧، ويقول تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن نّطْفَةٍ﴾ ١٦النحل:٤، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنّا خَلَقْنَاهُ مِن نّطْفَةٍ﴾ ٣٦يس:٧٧، والمُدهش أن يعدل القرآن في وصف مُكونات المني المُماثل للماء إلى اسم الفاعل (دافق) بدلا من اسم المفعول؛ قبل أن يُعاين بالمجهر حركته الذاتية أحد، يقول العلي القدير: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ﴾ ٨٦الطارق:٥و٦، وتتم أول مرحلة خارج تجويف الرحم؛ وتدهش أن يعدل القرآن في مقام تكون كل الأطوار إلى لفظ (البطون) في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ خَلْقاً مّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ﴾ ٣٩الزمر:٦، وبالفعل تُحيط بالجنين ثلاثة أغشية مجهرية، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:٢؛ يستقيم وصف أول خلية إنسانية بالجمع (أَمْشَاجٍ) باعتبار التركيب الداخلي، وهي بالفعل تضُم المادة الوراثية بهيئة أزواج مُمتزجة من الزوجين؛ ولذا يسمونها الأزواج النظائر Matched Pairs.

وقد كشف القرآن الكريم دور الزوجين؛ الذكر والأنثى، في الإنجاب، قال تعالى: ﴿يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ﴾ الحجرات:١٣، قال القرطبي (ج١٦ص٣٤٢ و٣٤٣): "بيَّنَ الله تعالى في هذه الآية أنه خلق الخلق من الذكر والأنثى.. وقد ذهب قوم من الأوائل إلى أن الجنين إنما يكون من ماء الرجل وحده، ويتربى في رحم الأم ويستمد من الدم الذي يكون فيه.. والصحيح أن الخلق إنما يكون من ماء الرجل والمرأة لهذه الآية؛ فإنها نص لا يحتمل التأويل".

والمُفسرون كافة بلا استثناء قد أجمعوا الرأي على أن النطفة الأمشاج هي حصيلة ماء الزوجين؛ الذكر والأنثى، وأن الأمشاج يعني أخلاط من الجنسين، وهما يدخلان في تكوين النطفة لأنها مفرد موصوفة بالجمع (أَمْشَاجٍ)؛ فيستقيم أن يعود وصف المفرد بالجمع باعتبار التركيب من مُكونات أدق، وقبل اكتشاف المجهر بعد عصر تنزيل القرآن الكريم بحوالي عشرة قرون لم يكن يعلم أحد بتكون الجنين من بويضة مخصبة Fertilized egg تماثل نطفة؛ أي قطرة ماء غاية في الضآلة وذات أخلاط تحتوي على مكونات وراثية من الأبوين نسميها اليوم كروموزومات Chromosomes، فالأمشاج في التفسير أخلاط من الجنسين، ويستحيل إدراك تلك الحقيقة المجهرية قبل اكتشاف المجهر بقرون إلا بوحي، ولذا لا يقدم الطاعنون سوى أدلة على المُكابرة والعناد والجهل بحقائق العلوم وسوء فهم لدلائل الوحي في الكتاب الكريم.

وفي قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)، وقوله تعالى: (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) ٧٧المرسلات:٢٠و٢١؛ يستقيم حمل محل الحمل سياقا على الرحم، ووصفه بلفظ (قَرَارٍ) ومن مشتقاته الاستقرار يعني توفير كل متطلبات الجنين في كل مراحل الحمل، ووصفه بلفظ (مَكِينٍ) ومن مشتقاته التمكين؛ أي حريز حصين معد مهيأ لأداء وظيفته مثبت والجنين مثبت فيه يحيط به ويحميه وكأنه يد حانية تحيطه وتمنع عنه الخطر؛ هذا هو مجمل ما قاله المفسرون قديما في دلالة الوصفين الجامعين، ويؤيدهم حديثا علم الأجنة وعلم التشريح، وتعبير القرار المكين إذن وصف للرحم Uterus (Womb)، والنطفة وصف للجنين المماثل للنطفة؛ أي قطرة ماء Drop-like Embryo، وهو يستمر بالفعل بنفس الهيئة في الرحم إلى أن يتم الغرس Implantation في نهاية الأسبوع الأول من الإخصاب، والتعبير (قَدَرٍ مَعْلُومٍ)؛ أي فترة مقدرة معلومة لا تتجاوزها الحامل هي فترة الحمل Gestation period منذ الإخصاب، وهو يماثل التعبير (أَجَلٍ مُسَمًّى) في قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ الحج: ٥، والفترة المعلومة للحمل هي ٣٨ أسبوعا (٢٦٦ يوما)؛ أي تسعة أشهر؛ بخلاف الوهم السائد بإمكان الحمل لسنوات.

والمعلوم تشريحيا أن الرحم يقع في الحوض تحميه عظامه، وهي عظام سميكة تتألف من العجز والعصعص في الخلف وعظمة الحرقفة في كل جانب؛ وهما يشكلان من الأمام عظمة العانة، وهذا الحزام العظمي وما يتصل به من عضلات سميكة يوفر للجنين حماية من الرضوض من كل جهة، والرحم أيضا يقع بين المثانة والمستقيم من الأمام والخلف، وتثبت الرحم في موضعه أربطة تربطه بجدار البطن وعظام الحوض وتسمى الأربطة الرحمية Uterine ligaments، وهي ترفع الرحم وتحافظ على وضعية مناسبة للحمل Pregnancy والولادة labor كهرم مقلوب قاعدته لأعلى كقبة، ومع تنامي الحمل يزداد حجمه تدريجيا بما يتواءم مع نمو الجنين إلى أن يبلغ أعلى تجويف البطن في نهاية الشهر الثامن، ومع إفراز الهرمون الموسع لمنطقة تلاقي عظمي العانة Relaxin بالجهتين يهبط أكثر في الحوض استعدادا للوضع.

ومن الناحية الهرمونية يوجد نظام بالغ الدقة والاتزان يمنع تقلص الرحم فيحمي الجنين من الإجهاض Abortion بارتفاع عتبة التقلص لعضلات الرحم بسبب ارتفاع نسبة هرمون البروجسترون Progesterone، وفي الشهر الثالث يبدأ الجسم الأصفر في المبيض في الضمور بعد أن تتسلم المشيمة الدور في المد الهرموني إلى نهاية الحمل، وبهذا يضمن الجنين كل الرعاية وتوفير كل متطلباته على طول الحمل فوق الحماية في حرز حصين مُعد مسبقا بتقدير وتصميم ومهيأ لأداء وظيفته على أكمل وجه، ومثبت بقوة ومرفوع رغم الثقل المحمول، والجنين آمن برعاية الله تعالى وحمايته بأسباب لا علم له بها، وصدق القائل: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

منذ أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد ظل التَّوَهُم سائدًا بأن الجنين يتولد كاملا من دم الحيض ودور المني كالمنفحة في تخثر اللبن؛ كما تعبر الصورة التي رسمها دافنشي المتوَفى في القرن السادس عشر الميلادي عام ١٥١٩.

وفي قوله تعالى: "مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلّهِ وَقَاراً. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً" نوح ١٣و١٤؛ دلالة على أن الإنسان لا يُخلق فجأة كاملا وفق الاعتقاد الذي ساد منذ عهد أرسطو قبل الميلاد وحتى القرن الثامن عشر؛ وإنما في أطوار ثابتة التقدير تشمل كل فرد رغم تعدد الأجناس وتتابع الأجيال، وأول من درس جنين الدجاجة باستخدام عدسة بسيطة هو هارفي Harveyعام ١٦٥١، ودرس كذلك أجنة الأيل Deer ولصعوبة معاينة المراحل الأولى للحمل استنتج أن الأجنة ليست إلا إفرازات رحمية، وفي عام ١٦٧٢ اكتشف جراف Graaf حويصلات في المبايض ما زالت تسمى باسمه Graafian Follicles، وعاين حجيرات في أرحام الأرانب الحوامل تماثلها؛ فاستنتج أن الأجنة ليست إفرازات من الرحم وإنما من المبايض، ولم تكُن تلك التكوينات الدقيقة التي عاينها جراف سوى تجاويف في كتل الخلايا الجنينية الأولية Blastocysts، وفي عام ١٦٧٥ عاين مالبيجي Malpighi أجنة في بيض دجاج ظنه غير مُحتاج لعناصر تخصيب من الذكر، واعتقد أنه يحتوى على كائن مُصغر ينمو ولا يتخلق في أطوار، وباستخدام مجهر أكثر تطوراً اكتشف هام Hamm وليفنهوك Leeuwenhoek الحوين المنوي للإنسان للمرة الأولى في التاريخ عام ١٦٧٧؛ ولكنهما لم يدركا دوره الحقيقي في الإنجاب، وظنا أيضاً أنه يحتوي على الإنسان مُصغراً لينمو في الرحم بلا أطوار تخليق، وفي عام ١٧٥٩ افترض وولف Wolff تطور الجنين من كتل أولية التكوين ليس لها هيئة الكائن المُكتمل، وحوالي العام ١٧٧٥ انتهى الجدل حول فرضية الخلق المُكتمل ابتداءً؛ واستقرت نهائيًا حقيقة التخليق في أطوار، وأكدت تجارب إسبالانزاني Spallanzani على الكلاب على أهمية الحوينات المنوية في عملية التخليق، وقد سادت قبله الفكرة بأن الحوينات المنوية كائنات غريبة مُتطفلة ولذا سُميت بحيوانات المني Semen Animals، وفي عام ١٨٢٧ بعد حوالي ١٥٠ سنة من اكتشاف الحوين المنوي عاين فون بير von Baer البويضة في حويصلة مبيض إحدى الكلاب، وفي عام ١٨٣٩ تأكد شليدن Schleiden وشوان Schwannمن تكون الجسم البشري من وحدات بنائية حية، وسميت تلك الوحدات بالخلايا Cells وأصبح من اليسير لاحقا تفهم حقيقة تخلق الإنسان في أطوار؛ من خلية مُخصبة ناتجة عن الاتحاد بين حوين منوي واحد وبويضة.

وقد ثبت اليوم بيقين خلق الجنين في أطوار إلى اكتمال صورته وولادته في أحسن تقويم؛ كما فَصَّلَهَا القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤، وفي مقابل دلالة حرف (الفاء) في التعبير (فَخَلَقْنَا، فَكَسَوْنَا) على الترتيب والتعقيب بغير مُهلة؛ فإن الأداة (ثُمَّ) تقتضي المُهلة؛ فتفيد تأخر مظاهر تكون إدراكه واتضاح حركته الإرادية بمدة أكبر نسبيا في مرحلة لاحقة تلت مرحلة تخليق أوليات أعضاء الجسم التي انتهت باكتمال أوليات الهيكل العظمي وكساؤه بالعضلات، والثابت علميا أنه باكتمال ٨ أسابيع تكون كل أوليات الأعضاء قد اكتملت تمامًا؛ بينما تتأخر الحركة الإرادية للجنين إلى أربعة أشهر.

وأبسط وأدق تصوير للمني عديد المكونات الوراثية أنه ماء عديد النطف، ومكونات المني من الكثرة والحركة السريعة فتشبه قطرات المطر، ومن كُلٍّ تنشأ حياة، وما أشبه ملايين المكونات من المني المندفع بقطرات المطر؛ في الكثرة والهيئة والضآلة والحركة والمساهمة في نشأة حياة إنسان أو زرع، ولا يقُوم بإخصاب البويضة إلا حوين منوي واحد؛ نطفة.

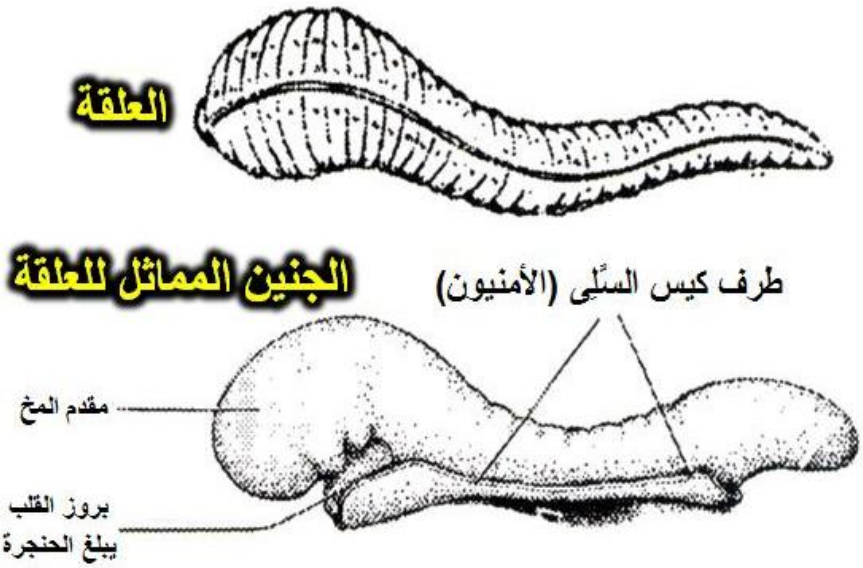

وفي الأسبوع الثاني والثالث يتحول الجنين إلى ما يشبه علقة البرك شكلاً ووظيفةً، قال ابن كثير: "أي صيَّرنا النطفة.. على شكل العلقة"وهي دودة طولية الشكل؛ ليس لها قلب ينبض وتعيش في الماء، وتعلق بالمواشي تتغذى على الدماء، والجنين كذلك يصبح طولي الشكل لم ينبض له قلب بعد، ويحاط بكيس مليء بسائل كالماء، ويعلق بجدار الرحم يتغذى على الدماء، والعلق الطبي كان يُترك ليعلق بأبدان مرضى ارتفاع ضغط الدم ليمتصه فينخفض ضغط الدم.

وتعلق الجنين لآزِمُه الرحم الذي يتعلق به كالبذرة تتشبث بالتربة وتمد أطرافها لتستمد قُوتَهَا؛ ففيه أن النطفة المُتضاعفة كالبذرة، فناسب أن يكون الطور المُماثل للعلق أول الأطوار: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٩٦العلق:٢.

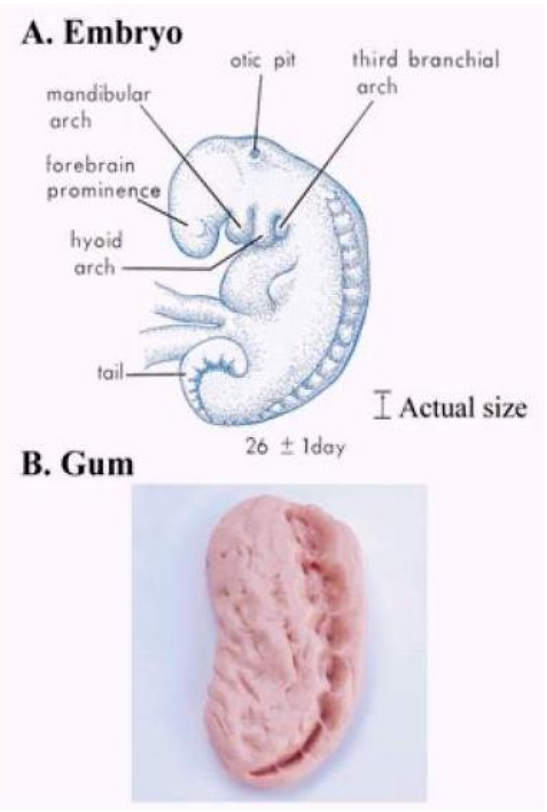

ويبدأ قلب الجنين في النبض حوالي اليوم ٢١ من الإخصاب بمعدل يصل إلى: ١٧٠ نبضة في الدقيقة؛ بينما في البالغ حوالي: ٧٠ نبضة في الدقيقة، فيتسارع النمو خاصة جهة الظهر فينحني وتظهر أوليات الفقرات كعلامات الأسنان وبقية الأعضاء كانبعاجات فيبدو كقطعة طعام مُضِغَت، ويستمر بنفس الهيئة طيلة الأسابيع الرابع والخامس والسادس.

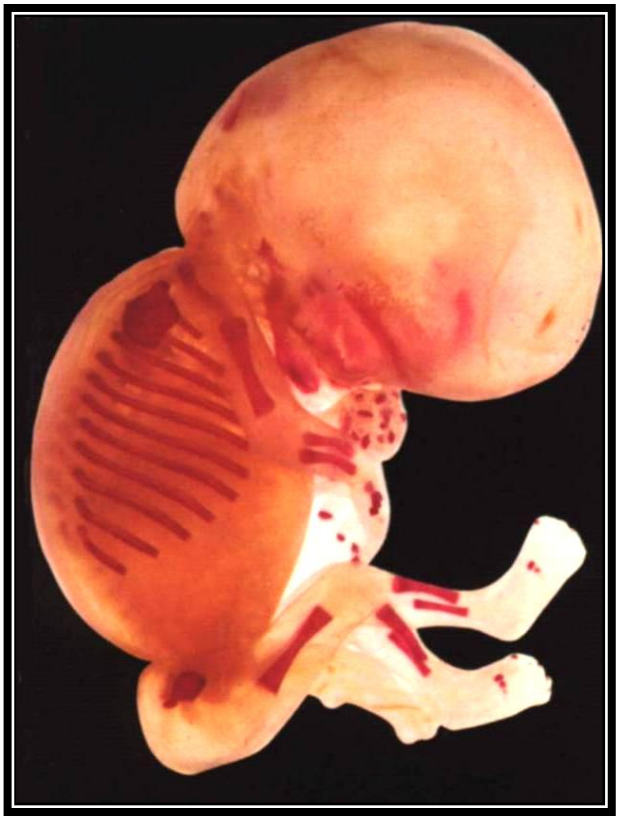

,في الأسبوع السابع من الإخصاب تظهر أوليات العظام ويبدأ تشكيل الهيكل العظمي وتكسى بالعضلات في الثامن، وتبدأ الهيئة البشرية في الاتضاح بعد مرور ستة أسابيع من عمر الجنين، وتكتمل جميع أوليات الأعضاء بنهاية الثامن.

وفي نهاية الأسبوع الثامن مع اكتمال جميع أوليات الأعضاء؛ يكون طول الجنين من الرأس إلى المقعدة حوالي ٣ سم، وسريعًا ما تظهر الأعضاء التناسلية الخارجية؛ ويتضح جنس الجنين باستخدام الأجهزة الطبية الحديثة.

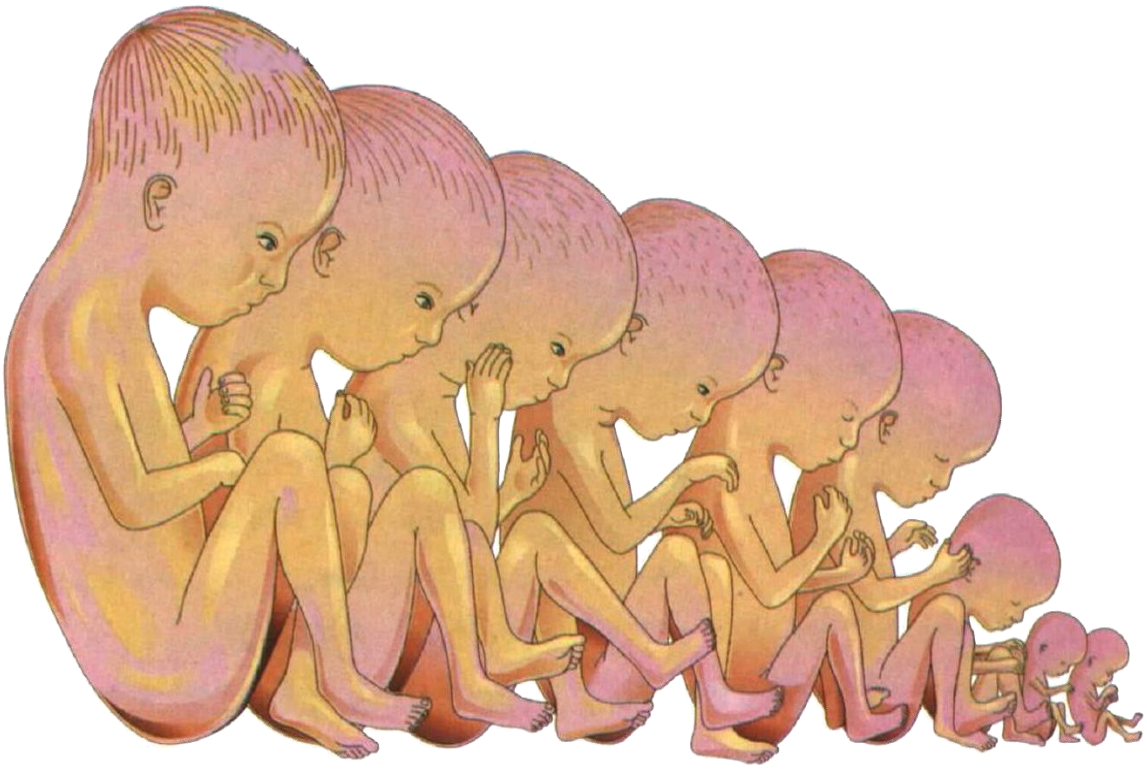

والأسابيع الثمانية الأولى تُسَمَّى بالمرحلة الجنينية Embryonic Stage؛ وفيها تُسوى كل أوليات الأعضاء، والمدة من بداية الأسبوع التاسع إلى الوضع تُسَمَّى بمرحلة الحُمَيل Fetal Stage؛ وفيها يتنامى الجسم وتُعَدَّل الهيئة والقسمات؛ فهي إذن مراحل ثلاث: خلق وتسوية وتعديل، وهي نفس المراحل التي سبق وأنبأ بها القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨٢الإنفطار:٦-٨، وبعد ١٧ أسبوعًا (عند ١٢٠ يوما) تبدأ الحركة الإرادية؛ وتعكس دورية تعاقبها وجود فترات نوم ويقظة علامة على بداية الإدراك، قال ابن كثير: "(ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) أي..: صار (خَلْقًا آخَرَ)؛ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة".

ويستمر تعديل هيئة الحُمَيل وتعديل انحناء جسمه ونسبة رأسه إلى جسمه، إلى أن يُولد غالبا بعد ٩ شهور، أي ٣٨ أسبوعا أو ٢٦٦ يوما ليملأ الدنيا صُرَاخًا مُعلنًا قدرة العلي وبديع صنعه تعالى وسبق تقديره وحسن تدبيره، فالصدفة لا تصنع مراحل مقدرة تتكرر بانتظام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ٢٢الحج:٥، ووحدة الإعداد والتخطيط وثبات الأطوار رغم تعدد الأجناس وتتابع الأجيال؛ فدليل قاطع ينطق للفطين بوحدانية الخالق العظيم.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{أَلَمْ نَخْلُقْكُم مِنْ ماءٍ مَهينٍ} فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: من صفوة الماء؛ قاله ابن عباس، الثاني: من ماء ضعيف؛ قاله مجاهد وقتادة، الثالث: من مني سائل؛ قاله ابن كامل، {فَجَعَلْناه في قرارٍ مَكينٍ} فيه وجهان؛ أحدهما: قاله وهب بن منبّه في رحم أُمّه لا يؤذيه حَرّ ولا برد، الثاني: مكين حريز لا يعود فيخرج ولا يبث في الجسد فيدوم؛ قاله الكلبي، {إلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ} إلى يوم ولادته، {فقدرنا فنِعْم القادِرون} في قراءة نافع مشددة، وقرأ الباقون مخففة، فمن قرأ بالتخفيف فتأويلها: فملكنا فنعم المالكون، ومن قرأ بالتشديد فتأويلها: فقضينا فنعم القاضون، وقال الفراء: هما لغتان ومعناهما واحد"[١٤٧٧].

[١٤٧٧] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ١٧٨).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Embryology

علم الأجنة

المَوْضُوع Subject

Creation of the Embryo

خلق الجنين

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ١٦النحل:٤.
- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ ١٨الكهف:٣٧.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٢٢الحج:٥.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٢-١٤.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٣٥فاطر:١١.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ٣٦يس:٧٧.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٤٠غافر:٦٧.
- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٤٠.
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٧٦الإنسان:٢.
- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ٨٠عبس:١٧-٢٠.
- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ٧١نوح:١٣و١٤.
- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٩٦العلق:١و٢.
- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨٢الإنفطار:٦-٨.
- ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ٧٧المرسلات:٢٠-٢٣.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨النبأ:٦و٧.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا. وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ٧٨النبأ:٦-٨.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Did we not make the earth crust a cradles-like (to protect you from the underneath fiery magma)**, and the mountains pegs-like** (extending deeply to stabilize the tectonic plates from vacillation)**?**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

ليست الجبال التي نراها اليوم أبدية الوجود؛ وإنما لها عمر وإن طال محدود، ويمكن التصور بأن القشرة الأرضية في أول تكوينها كانت قطعا تميد وتضطرب فوق دوامات الصهير العملاقة، ومع امتدادها أفقيا تلاقت لتكون قارة أولية واحدة Pangaea؛ انفصلت لاحقا إلى قطع متجاورات وتكونت القارات، ومع إلقاء الحمم من البراكين الأولية امتدت الكتل الطافية رأسيا ونشأت الجبال الأولية مما أحدث توازن القطع الطافية ومنعها أن تميد.

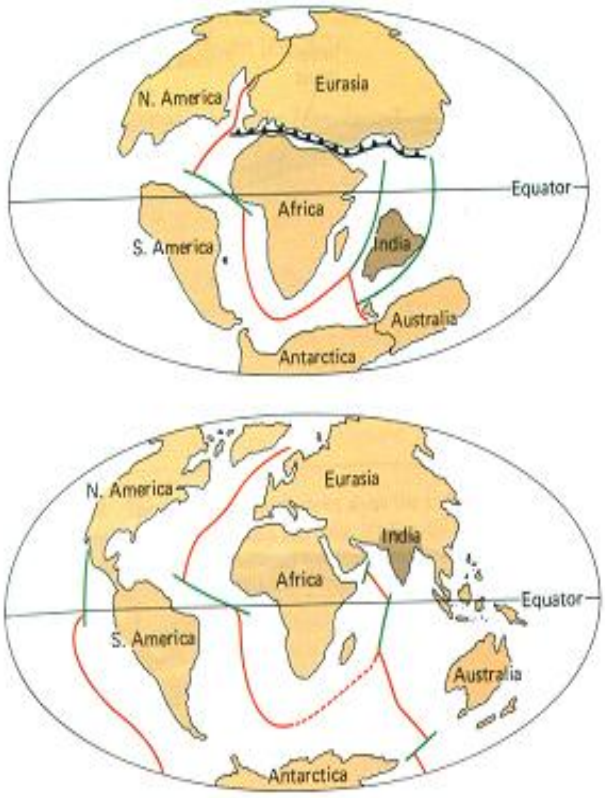

نشأة جبال الهيمالايا

وقد تنشأ جبال وتنصب من جراء تصادم قارة بأخرى مجاورة، ومن الأمثلة الجيولوجية المعروفة نشأة جبال الهيمالايا، فقد كانت الهند واقعة على الحافة الجنوبية لبحر قديم لا وجود له اليوم؛ بينما كانت التبت تقع عند حافته الشمالية، كان ذلك منذ قرابة المائة مليون سنة، وقطعت الهند مسافة حوالي ١٥٠٠ كم أثناء زحزحتها شمالا باتجاه قارة آسيا إلى أن أتى وقت اختفى فيه البحر وجاءت لحظة التصادم المحتومة فعلت الهند وحينئذ نصبت أعلى جبال في الأرض وهي جبال الهيمالايا.

وتعلو قمة جبال الهيمالايا ثمانية كيلومترات ونيف عن سطح البحر، وقد أثبت المسح الجيولوجي أنها تمتد عميقا لمسافة قد تزيد عن ٦٥ كيلو متر، وهكذا يكون الجزء المختفي تحت السطح يعادل أضعاف الجزء البارز فوق السطح، وهذا الامتداد في الأرض المماثل لامتداد الوتد لم يعرفه بشر عند نزول القرآن الكريم بالقطع، ناهيك عن تماثل الوظيفة كذلك، لان الوتد يقوم بتثبيت الخيمة وكذلك تقوم جذور الجبل بحفظ ثبات الكتلة الطافية فوق طبقة الدثار الملتهب للأرض.

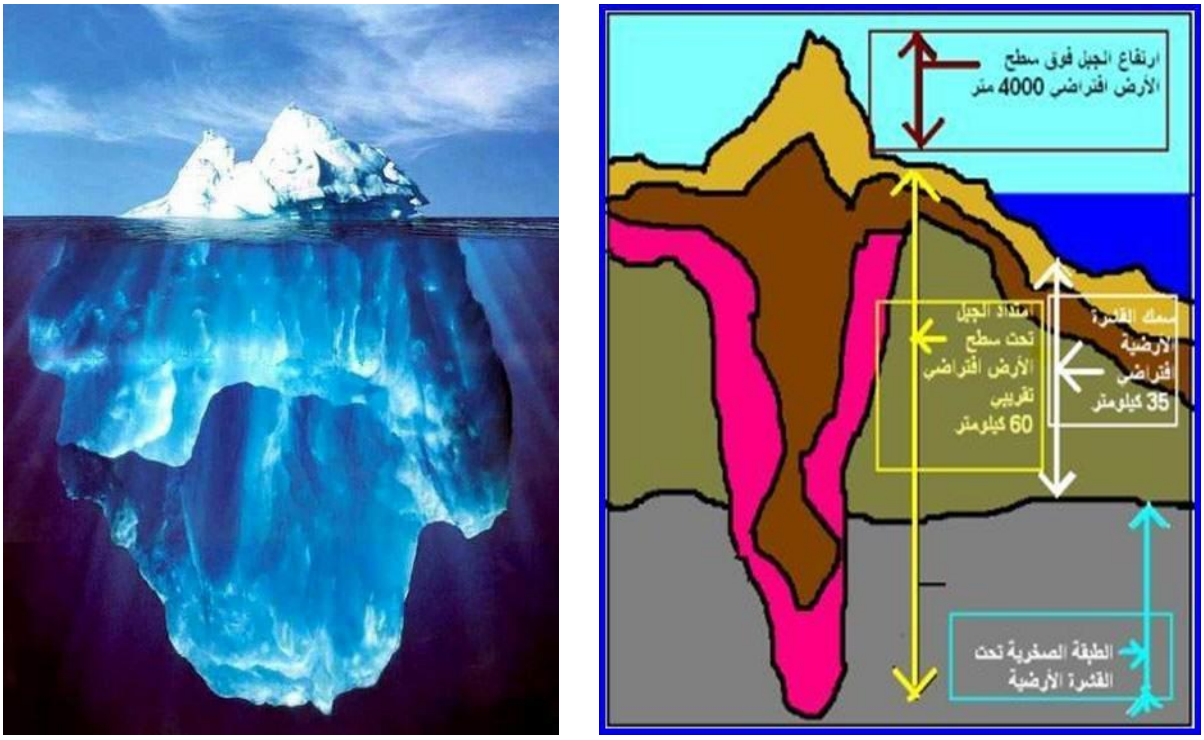

تماثل جبال الألواح القارية مع الجبال الجليدية في الامتداد عميقا لتكون جذورا تحافظ على توازن الألواح.

ومن الثابت حاليًا أن لكل جبل جذر Root يمتد نحو الباطن أكثر من ارتفاعه؛ وكلما زاد الارتفاع زاد امتداد الجذر عمقًا، ولم يكن أحد قبل القرن التاسع عشر يعرف شيئا عن تلك الحقيقة، ففي عام ١٧٤٩م لاحظ بيير بوجير أن قوة الجذب المُقاسة بميل البندول في جبال الإنديز أقل من المتوقع قياسا على الكتلة المقدرة فوق مستوى سطح البحر مما يدفع للافتراض بوجود كتلة أكبر في الأسفل، وأكدت القياسات التي أجرتها بعثة إنجليزية بقيادة جورج إفرست في جبال الهيميلايا في بداية القرن التاسع عشر بالهند نفس النتيجة؛ حيث دلت القياسات على وجود قوة جذب أكبر من المفترض بحوالي الثلثين لم يعرف سببها على وجه القطع ولذا سميت الظاهرة لغز الهند Puzzle of India، وفي عام ١٨٥٥م قدّم أيري Airy الأساس للتفسير الحالي حيث استبعد أن تكون الجبال مثبتة على قشرة صلبة تحتها؛ وإنما تطفو كالسفن في بحر من الصخور اللينة الحارة الأعلى كثافة، ولذا فهي تتبع قانون الكثافة حيث تمتد عميقا في باطن الغلاف الصخري حتى تستقر، الدور الرئيسي الذي تؤديه الجبال إذن هو تثبيت ألواح الغلاف الصخري لا الأرض ذاتها؛ وهو ما أشار إليه القرآن الكريم، والمعلوم أن لفظ الأرض في العربية وغيرها يأتي بدلالات متباينة يحددها السياق كالكوكب والتربة والقطر، وقد يعني السطح الصخري المُميز بالجبال؛ وهو المعنى الوحيد الذي يستقيم مع جعل الجبال أوتادا تثبت الأرض؛ بمعنى السطح الصخري لا الكوكب.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ النبأ: ٦و٧؛ تمثيل للسطح الصخري المُميز بالجبال بلفظ (مِهَاداً) تمثيلا بمهاد الصبي بجامع الحماية من الأخطار، وتمثيل للجبال بالأوتاد بجامع التثبيت والامتداد نحو العمق كجذر مغروس ربما بعمق أكبر من الجزء الظاهر، وهو كشف علمي حديث، وزعم بعضهم أنه نبأ مسبوق في أسفار أهل الكتاب، وفي الفيدا أسفار الهندوس، لكن الوارد في الأسفار تأييد للوهم السائد قديما من أن الأرض مسطحة وتستند أسافل الجبال والمعمورة على أسس كأسس البيوت تظهر في أعماق البحر دونها هاوية يسجن فيها المُعاقبون، فهي حجة على أن الأسفار قد خطتها الأيدي بالوهم لا الوحي، ومثلها أسفار الفيدا حيث نصت صريحًا على أن الأرض ثابتة؛ وأدرجوا تأكيدًا لثباتها: التلال والجبال كأدوات، فلم يثبتوا سوى الوهم السائد لقرون.

وأساس المشكلة عند من يفترضون ابتداءً أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون إلا قول بشر هو الإصرار على تفسير النصوص بصورة تجعل مضامينه متعارضة مع حقائق العلم المكتشفة حديثًا، أو مقتبسة من كتاب أسبق يُنسب للوحي، أو مستمدة من معارف تاريخية أسبق، وهو موقف مُتَعَنِّت يُوقعهم في المغالطات ويفضح عناد لا يستقيم مع النزاهة والأمانة، فقد ادعوا زورًا على سبيل المثال أن القرآن الكريم يقول بثبات حركة الكوكب بحمل لفظ (الأرض) على الكوكب في سياق يدل على الغلاف أو السطح الصخري المميز بالجبال في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٥، وقوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ النمل: ٦١، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ النبأ: ٦و٧، ولو أنهم درسوا السياق وفق القواعد وفطنوا للقرائن الدالة على السطح الصخري تمهيدا للحياة تمثيلا بالبساط ومهد الصبي يحميه مما هو دونه من الأخطار الخفية زمن التنزيل لتجنبوا فضح جهلهم وتحيزهم وتعصبهم لأفكار غير حيادية مسبقة، فلفظ (الأرْضَ) في قوله تعالى: ﴿بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ البقرة:٧١؛ في سياق يتعلق بوصف بقرة تثير الغبار أثناء أعمال الزراعة كالحرث وإدارة ساقية الماء يستقيم حمله على التربة لا الكوكب، ويستقيم بالمثل حمل لفظ (الأرض) على السطح لا الكوكب في سياق يتعلق بجعل غلافًا للأرض يحمي من الأخطار دونه بقرينة التمثيل بالبساط والمهاد في قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً. لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾ نوح: ١٩و٢٠، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ النبأ: ٧؛ خاصة مع التصريح بأنها كانت بلا سطح فهيئت للحياة كما يعاينها متأمل يستظل بناقته التي امتد عنقها عاليًا حتى بدت دونها السماء ثم الجبال ثم الأرض في قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ الغاشية: ١٧-٢٠.

والمعلوم في تاريخ الإبحار في السفن هو وضع أثقال حجرية ضخمة أسفلها لتثبيتها كي لا تميد وتضطرب فوق تيارات المحيط، وقبل المعرفة بحركة الألواح القارية العنيفة عند تكونها وطفوها فوق تيارات الحمم البركانية العاتية قبل نشأة الجبال لتعمل عمل رواسي السفن الطافية يردد القرآن على المسامع تلك الحقائق بالتمثيل تأكيدًا للوحي في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٥، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الأنبياء: ٣١، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ لقمان: ١٠، وليس من الإنصاف إذن التعسف في حمل لفظ (الأرض) على الكوكب بتجاهل قرائن السياق تلمُّسًا لإبعاد توافقه مع الكشوف العلمية في بيان التاريخ الجيولوجي لسطح الأرض في قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَـَهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ النمل: ٦١، وقوله تعالى: ﴿اللّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ غافر: ٦٤.

والدلالة في حديث القرآن الكريم عن الظواهر الكونية غالبا لا ترد شاردة فيسهل للطاعن حملها على معنى يتعارض مع العلم؛ ولكنها تردد مثاني ضمن منظومة متكاملة مترابطة الأجزاء يفسر بعضها بعضًا تؤكد القصد في التعبير وتفضح تلاعب العابثين، وفي قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُمْ مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ الملك: ١٦؛ دلالة واضحة تستقيم مع المعلوم حاليا في علوم الأرض Geology بأن القشرة الصلبة المُعبر عنها بلفظ (الأرض) دونها دوامات وتيارات عاتية ملتهبة إلى حد إسالة الصخور الصلبة، وفي تلك المنظومة الدلالية يستقيم حمل لفظ (الأرض) بالمثل على القشرة الصلبة فيتفق المعلوم حاليا من تكونها من ألواح قارية متجاورة مع الدلالة النصية على تكون الأرض من قطع متجاورات في قوله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ الرعد: ٤، وأمام تلك الروائع في بيان قصة الخلق في تكامل بلا تعارض قبل أن ترددها الكشوف العلمية اليوم على المسامع لا يملك المُنصف إلا الإقرار بالوحي للقرآن، وعلى المتأمل أن يتخير المعنى اللائق بالمقام؛ أما من يجعل غرضه منذ الابتداء البحث عن ذريعة للاتهام فلا يحسب نفسه إذن من الأُمناء، ولا يلوم إلا نفسه إذا كشف المُحققون جهله أو تزييفه ووجهوا إليه أصابع الاتهام.

والدلالة على أن القشرة الأرضية كانت قطعًا تميد وتضطرب قبل أن تمتد وتتلاحم تلتقي تماما مع النظرة العلمية لآليات نشأة الجبال مثل تصادم قارة بأخرى مجاورة، ومن الأمثلة الجيولوجية المعروفة حاليا في آلية نصب الجبال ورفعها عاليا نشأة جبال الهند، فقد كانت الهند واقعة على الحافة الجنوبية لبحر قديم لا وجود له اليوم؛ بينما كانت التبت تقع عند الحافة الشمالية لذلك البحر، كان ذلك منذ قرابة المائة مليون سنة، وقطعت الهند مسافة حوالي ١٥٠٠ كم أثناء زحزحتها شمالا باتجاه قارة آسيا إلى أن أتى وقت اختفى فيه البحر وجاءت لحظة التصادم المحتومة فارتفعت المنطقة ونصبت أعلى جبال في الأرض وهي جبال الهيمالايا. وفي قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ النبأ:٦و٧؛ تشبيه للجبال بالأوتاد الطويلة High Stakes؛ ويشمل هذا التشبيه بالوتد في الأرض الشكل والصورة معا؛ مما يعني ضمنيا أن قسماً من الجبال يمتد عميقا في طبقة القشرة الأرضية نحو الباطن، ومن حيث الوظيفة هي تعمل عمل الأوتاد فتقوم بتثبيت ألواح القشرة الأرضية وتمنعها أن تميد وتضطرب، ولا يمكن أن تلتقي تلك الأنباء مع المعرفة الحديثة عن تاريخ الجبال إلا أن يكون وحيا من عند الله العليم وحده تعالى بكل الأسرار.

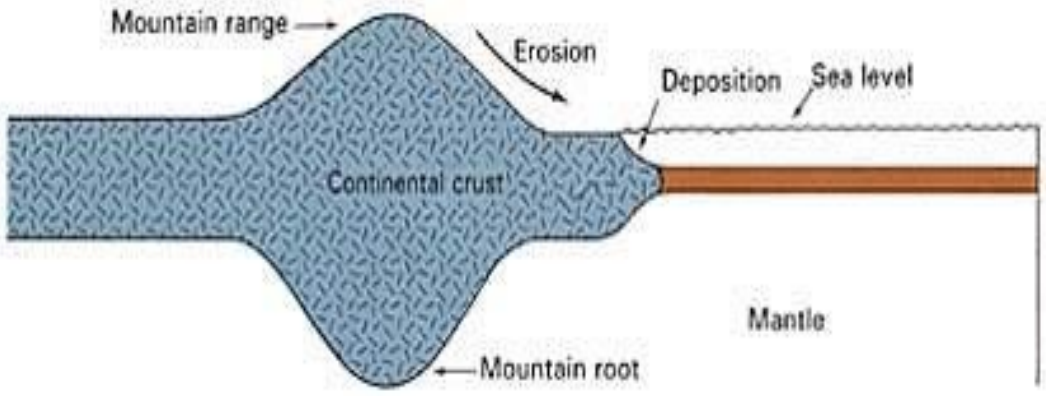

مدهش هذا التوازن Isostacy الذي أبدعه الخالق سبحانه وتعالى في الأرض؛ حيث جعل الغلاف الصخري يطفو بنفس قانون الطفو للبواخر فوق غلافه اللدن الملتهب، وترسو أو تطفو القارات وقيعان البحار على وشاح الأرض كما يطفو جبل الجليد فوق الماء، و تضرب القارات جذورها في وشاح الأرض، ويلاحظ أن الجذور أسفل سلاسل الجبال أكثر عمقا من الجذور تحت المناطق المستوية، هذا ما اكتشفه العلم ، ولكن القرآن الكريم سجل ذلك قبل العلم بأكثر من ألف سنة حيث يقول الحق سبحانه (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)، وبالتأكيد إن التعبير الوصفي (أَوْتَادًا) لا يعدله في الدقة شيء، ولم يغب عن فطنة المفسرين أن يسجلوا وجه الشبه في قوله تعالى (وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) ففهموا أنه في التثبيت، وقالوا جعل للأرض أوتاداً بمعنى أرساها وثبتها وجعلها تقر وتسكن ولا تميد، وإنما استمدوا تلك المعرفة من دلالة الكتاب الكريم، ولا يمكن أن تلتقي تلك المعرفة الحديثة مع فيض الدلالات العلمية في حديث القرآن عن تاريخ الجبال ووصف تكونها إلا أن يكون هو الوحي؛ من عند الله العليم وحده تعالى بكل الأسرار.

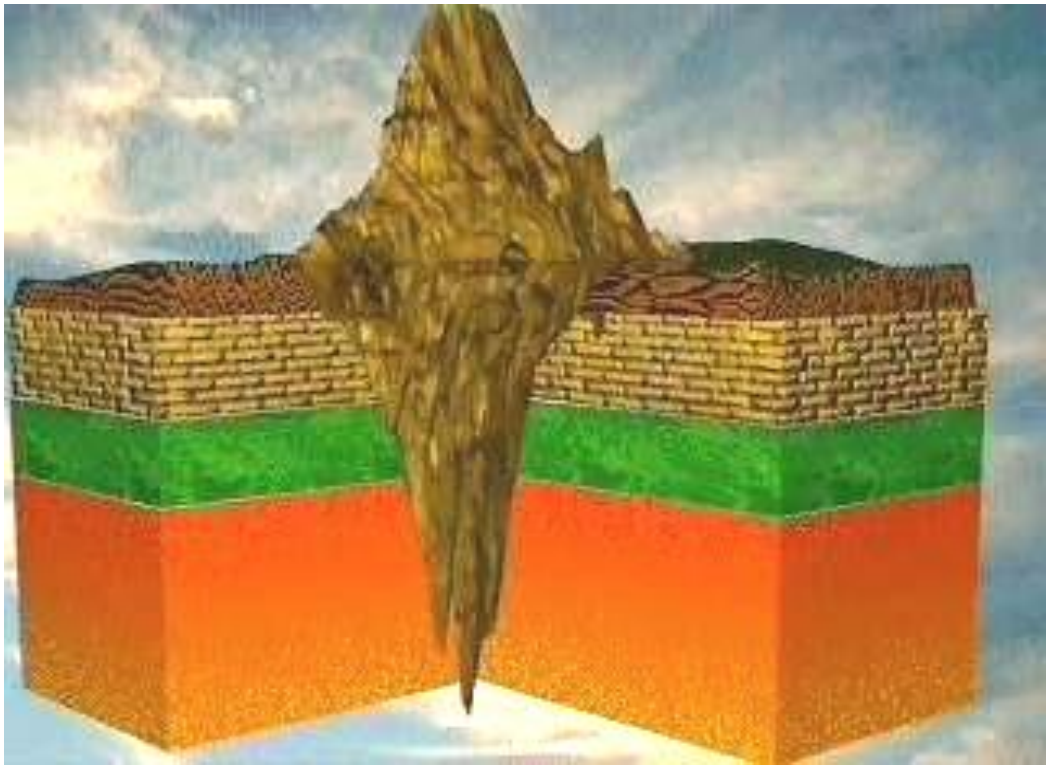

ولم يعرف عن الجبال سابقا سوى أنها كتل صخرية عالية الارتفاع، إلى أن أشار بيير بوجر عام ١٨٣٥ إلى أن قوى الجذب المسجلة لسلاسل جبال الإنديز أكبر بكثير مما هو متوقع من الكتلة الصخرية الظاهرة، فاقترح ضرورة وجود كتلة أكبر غائصة من نفس مادة تلك الجبال حتى يكتمل تفسير الشذوذ في مقدار الجاذبية، وفي أواسط القرن التاسع عشر أشار جورج ايفرست إلى وجود شذوذ في نتائج قياس جاذبية جبال الهيمالايا بين موقعين مختلفين، ولم يستطع إيفرست تفسير تلك الظاهرة فسمّاها لغز الهند، وأعلن جورج إبري سنة ١٨٦٥ أن جميع سلاسل الجبال في الكرة الأرضية عبارة عن كتل عائمة على بحر من المواد المنصهرة أسفل القشرة الأرضية، وأن هذه المواد المنصهرة أكثر كثافة من مادة الجبال ولذا لا بد لها أن تغوص في تلك المواد المنصهرة الأعلى كثافة كي تحافظ على انتصابها، وتطفو سلاسل الجبال فوق مادة صهيرية لدنة أكبر كثافة وتحافظ على اتزان اللوح من القشرة الأرضية المتصلة به عن طريق جذور تمتد عميقا تماما كما ترسو السفن في الماء.

وهكذا تم اكتشاف أن القشرة الأرضية عبارة عن قطع متجاورات سميت بالألواح أو الصفائح القارية، وأن القشرة الأرضية تطفو على بحر من الصخور المرنة الأكثر كثافة تقع دونها، وأن للجبال جذوراً تساعدها على الطفو وتثبيت تلك الألواح حتى لا تميد وتضطرب، يقول فان أنجلين Van Anglin: "من المفهوم الآن أنه من الضروري وجود جذر يمتد في عباءة الأرض mantle مقابل كل جبل فوق سطح الأرض"، وأما من حيث الوظيفة أو دور الجبال في تثبيت القشرة الأرضية فقد أكده مبدأ التوازن الهيدروستاتي للأرض كما ذكره الجيولوجي داتون Dutton سنة ١٨٨٩ حيث يقرر أن المرتفعات الجبلية تغوص في العمق بمقدار يتناسب طرداً مع ارتفاعها وعلوّها، وحقيقة الألواح الأرضية التي تأيدت عام ١٩٦٩ تبيّن أن الجبال تقوم بحفظ توازن كل لوح من ألواح القشرة الأرضية، وبهذا يتضح أن الجبال تماثل الأوتاد تماما شكلا ووظيفة كما هو مذكور في القرآن العظيم.

ولم يغب عن المفسرين وجه الشبه في النبأ: (وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) ففهموا أنه في التثبيت، وقالوا جعل للأرض أوتاداً بمعنى أرساها وثبتها وجعلها تقر وتسكن ولا تميد، وكمثال تعلو قمة جبال الهيمالايا الشامخة ثمانية كيلومترات وبضع مئات الأمتار عن سطح البحر وتمتد جذورها عميقا نحو الباطن أضعاف ارتفاعها، فقد أثبتت الوسائل العلمية الحديثة للمسح الجيولوجي أن جبال الهيمالايا تمتد عميقا لمسافة ٦٥ كيلو متر تقريبا في جوف الأرض، وهكذا يكون الجزء المختفي من الجبال تحت السطح يعادل أضعاف الجزء المرئي البارز فوق السطح، وهذا الامتداد في الأرض المماثل لامتداد الوتد لم يعرفه بشر عند نزول القرآن بالقطع، ناهيك عن التماثل في الوظيفة كذلك، لأن مهمة الوتد تثبيت الخيمة؛ وكذلك تقوم جذور الجبال بحفظ ثبات الكتلة الطافية فوق الدثار الملتهب للأرض.

إنه توازن مدهش أبدعه الخالق سبحانه وتعالى حيث جعل الغلاف الصخري يطفو فوق الغلاف اللدن المضطرب، وترسو أو تطفو القارات بما تحمل من كل البحار على وشاح الأرض كما يطفو جبل الجليد فوق الماء تماما، وتمتد جذور القارات عميقا في وشاح الأرض، ويلاحظ أن الجذور أسفل سلاسل الجبال أكثر عمقا بكثير من الجذور تحت المناطق المستوية غير الجبلية، هذا ما اكتشفه العلم؛ ولكن القرآن الكريم سجل ذلك قبل العلم بأكثر من ألف سنة حيث يقول الحق سبحانه (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)، وبالتأكيد إن التعبير الوصفي (أَوْتَادًا) لا يعدله في الدقة شيء، وإن أي عاقل ليقطع جازماً بأن هذا الكتاب ليس من صنع البشر مهما أوتوا من العبقرية والذكاء والفطنة والدهاء وإنما هو كلام الله تعالى خالق كل شيء والعالم وحده بحقيقة كل شيء مصداقاً لقوله عز وجل: "أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك: ١٤.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا} فِرَاشًا كَالْمَهْدِ {وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} تَثْبُت بِهَا الْأَرْض كَمَا تَثْبُت الْخِيَام بِالْأَوْتَادِ وَالِاسْتِفْهَام لِلتَّقْرِيرِ"[١٤٧٨]، وفي تفسير مجمع البحوث الإسلامية: "(وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا): أي: كالأَوتاد أَرسينا بها الأَرض حتى قرَّت وثبتت كما يُرسي البيت من الشَّعْر (يعني الخيمة في البوادي زمن الوحي) ونحوه بالأَوتاد"[١٤٧٩].

وقال المراغي: "(وَالْجِبالَ أَوْتاداً) أي وجعلنا الجبال لها كالأوتاد كي لا تميل بأهلها،وتضطرب بسكانها، ولولاها لكانت دائمة الاضطراب لما في جوفها من المواد الدائمة الجيشان، فلا تتم الحكمة فى كونها مهادا لهم"[١٤٨٠].

[١٤٧٨] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٧٨٧).

[١٤٧٩] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١١٠\ ١٧٤٢).

[١٤٨٠] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٣٠\ ٧).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Geology

علوم الأرض

المَوْضُوع Subject

Mountains

الجبال

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨النبأ:٦و٧.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٦النحل:١٥.
- ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً. لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾ ٧١نوح:١٩و٢٠.
- ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ٢١الأنبياء: ٣١.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ٣١لقمان:١٠.
- ﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَـٰهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.
- ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٠غافر:٦٤.
- ﴿أَأَمِنتُمْ مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ٦٧الملك:١٦.
- ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ ١٣الرعد:٤.

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾
٧٩النازعات:٢٧-٣٣.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ. فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى. يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾
٧٩النازعات:٢٧-٣٥.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿السَّمَاءُ﴾، ﴿بَنَاهَا﴾، ﴿سَمْكَهَا﴾، ﴿سَوَّاهَا﴾، ﴿أَغْطَشَ﴾، ﴿لَيْلَهَا﴾، ﴿ضُحَاهَا﴾، ﴿دَحَاهَا﴾، ﴿مَرْعَاهَا﴾، ﴿أَرْسَاهَا﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Are you (humans) **difficult to create; or the** (tremendous) **heaven that He** (Allah) **has built? HE has expanded its thickness high; then He has perfectly constructed it** (in order; no chaos)**, and HE has made its darkness** (like earth globe night) **darker** (with its expansion)**, and He brought out its** (sun-like stars light of) **forenoon** (of inhabited earth-like planets)**. After that; He arranged the** (nebulous) **earth** (like what ostrich do to prepare earth to put an egg for life to evolve)**; He** (has structured it global in layers; as He) **brought out from the inside of which its** (light matters that finally made) **water and pasturage, subsequently HE made the** (floated thin) **mountains; thick** (to make the earth crust plates stable)**. All this was intended for you, and** (even) **for your cattle** (that you benefit)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

(١) بدء الخلق

في قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣؛ بيان يتعلق بترتيب أحداث خلق الكون، والمُقابلة بين شدة السماء وضآلة الإنسان؛ تُطلق معنى (السَّمَاءُ) لتعني الكون كله.

وتشبيه الكون في معرض الشدة ببناء واحد؛ يعني وجود قوى تربط كل الأجرام، ويتضمن التنويه إلى السعة الهائلة، وورود لفظ (السَّمَاءُ) بالإفراد يتفق مع حالة تفرد Singularity؛ قبل أن تُوجد عناقيد النُّجوم وتتشكل إلى سماوات طباق، والإجمال: (السَّمَاءُ بَنَاهَا)؛ تبعه التفصيل: (رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا)، والأفعال كلها بالماضي؛ فتعني أن التوسع وزيادة السماكة كان حين النشأة تمهيدًا للتسوية والإكمال، وبانقسام متوالي للسُدُم تشكلت كل الطبقات.

وكلمة (السَّمَاءِ) هنا بالإفراد تعنى الكون كله باعتبار توحيد الابتداء كفضاء لم تميزه بعد عناقيد الأجرام سماوات؛ مادة خام واحدة صنع منها القدير كل شيء، وتوحدت فيها جميع القوى والمواد فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: Super-Unification of Everything؛ وتسمى القوة الأعظم Super Force، كان لإفراد لفظ (السَّمَاءِ) في الآية الكريمة إذن مغزى عميق؛ حيث وافق إفرادها مبدأ توحيد كل شيء في الأصل، قال طنطاوي جوهري: "(يعني) هذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس.. (وقد) خلق الله العالم من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"[١٤٨١].

[١٤٨١] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤٦\١).

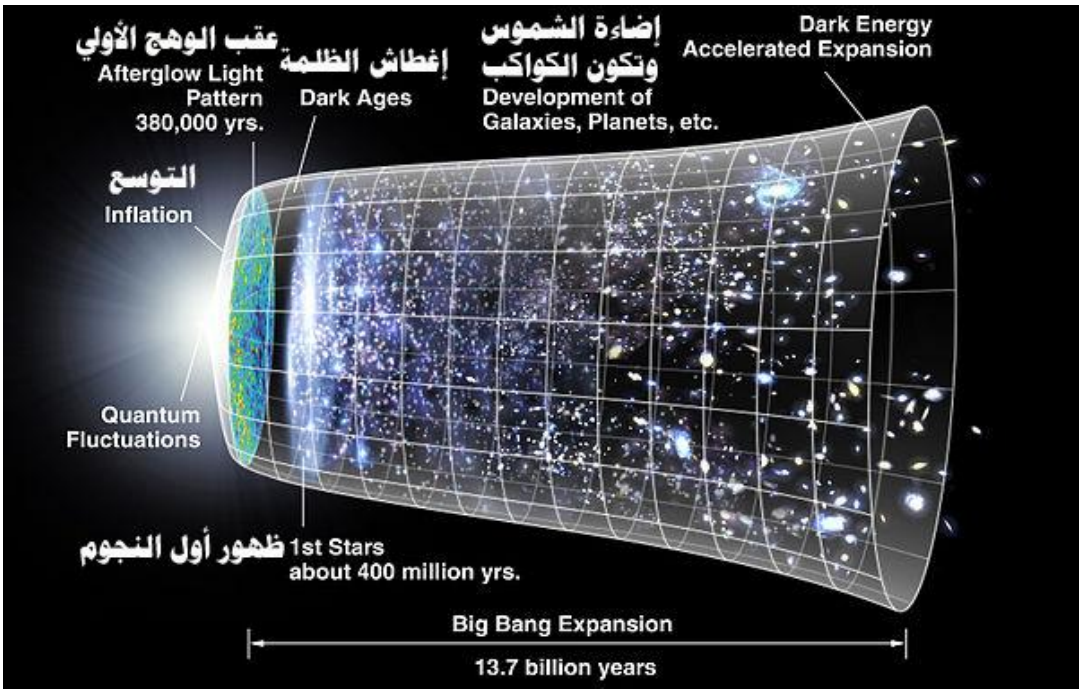

ونسبة الليل للسماء تشبيه بليل الأرض بجامع الظُّلمة؛ ولفظ (أَغْطَشَ) يُوافق سطوع شديد زال مع التوسع فاشتدت ظلمة الكون، وكلمة (ضُحَاهَا) منسوبة للسماء؛ فهي تشمل إشراق الشمس وكل عناقيد النجوم، والضُحى مبدأ النشاط اليومي للإنسان؛ وينجم عن حركة الأرض حول نفسها أمام الشمس، ففيه تلميح لكثرة أشباه مأهولة كأرضنا في الكون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٧؛ يتفق مع أن الفضاء يُمكن تقسيمه إلى آفاق وفق تجمعات الأجرام الفلكية التي تسبح فيها وتميزها: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ٨٥البروج:١، وكل حشد في حشد أكبر منه وكأن الحشود بناء واحد مُتعدد الطوابق شديد الترابط: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ ٧٨النبأ:١٢، وليست اللبنات إذن من عناقيد النجوم في أفق واحد كما يتراءى للعين؛ وإنما طباق بتسلسل هرمي Hierarchy مُتراكب Superposed مُتداخل Overlapped ينطق بأن للكون ابتداء، وأن تطوره منظوم وفق خطة Plan وتصميم Design مقصود منذ الابتداء؛ شَيَّدَ بناءً مهيبًا هندسته مُذهلة ومواقع لبناته من عناقيد النجوم على أبعاد تَفُوق الخيال!.

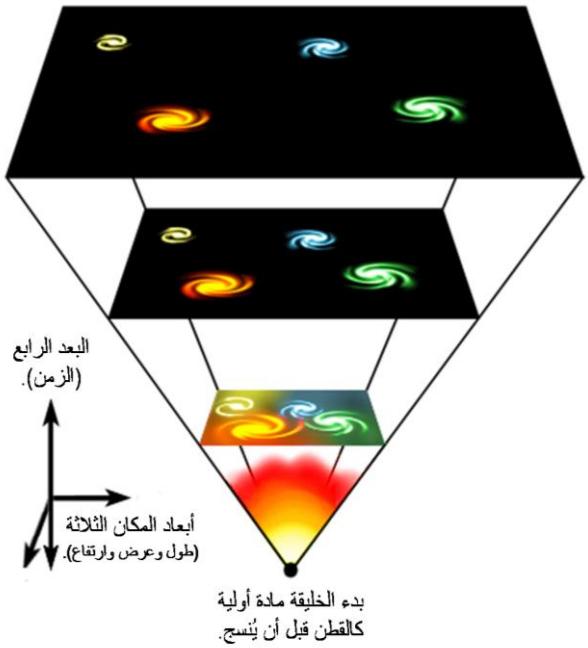

وإذا تتبعنا الغُصن المُثمر بالذكاء في الأرض والمُمَثَّل بالنظام الشمسي أو المجموعة الكوكبية في الأفق الأدنى نجده أحد امتدادات غصن أكبر يُسمى عنقود النجوم المحلية Local Cluster of Stars، وهو يُكون مع أمثاله في أفق أعلى ما يُسمى بالعنقود العملاق للنجوم Super-Cluster of Stars، وهو أحد لبنات مجرتنا: الطريق اللبني، وهي بدورها ضمن زمرة تربو على ٣٠ مجرة تُسمى العنقود المجري المحلي Local Cluster of Galaxies، وهو بدوره ليس إلا أحد لبنات العنقود العملاق للمجرات Super-Cluster of Galaxies، وقد كان الظن أنه آخر ما يُمكن رصده؛ حتى ثبت أخيرًا أنه يتجمع مع مئات العناقيد العملاقة ليشكل خيط رفيع في مِعْمَار النسيج الكوني Cosmic Weave، وليست الأرض المُفعمة بالحياة سوى ثمرة في شجرة مُترامية الأطراف أغصانها لا تُعد؛ فكم يَعُج إذن هذا الكون بالذكاء!.

ولقد حقق العلم قفزات هائلة لمعرفة طبيعة الكون وتطوره؛ فانتهى إلى التوحيد في البنية والنظام، في عام ١٦٧٦ نجح أولاس رومر Olas Roemer من تقديم أول دليل على أن سرعة الضوء محدودة غير لحظية وإن كانت هائلة، وفي عام ١٦٨٧ توصل إسحاق نيوتن Isaac Newton إلى قوانين حركة الأجسام ومفهوم الجاذبية كقوة واحدة تفسر سقوط تفاحة تجذبها الأرض كما تفسر جذب القمر نحوها فتمنع قوة الطرد المركزي سقوطه لِتَزَايِد سرعته كلما اقترب، وكأن الجاذبية تدفعه للحركة كسقطات متوالية، وبالمثل يجب أن تكون كل الأجرام السماوية كذلك حيث يتبع التابع الجسم المركزي ذي الكتلة الأكبر على بعد يحدده قانون الجاذبية؛ وبهذا توحدت الأرض والسماء وتأسست الفيزياء الكلاسيكية.

وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein مفاهيم النسبية الخاصة نافيًا وجود سكون في الكون لتنسب إليه حركة جسم فالكل يتحرك؛ لذا تُنسب حركة الجسم لآخر متحرك، إذن حركة كل الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المُطلقة Absolute فسُميت بالثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، وفي عام ١٩١٥ نشر ألبرت أينشتاين نظرية النسبية العامة General Relativity؛ وطرح فيها فكرته الجريئة بإضافة الزمان كبعد رابع إلى أبعاد المكان (الطول والعرض والارتفاع)؛ لجعل طبيعة الفضاء نسيج زمكاني أشبه بشبكة الصيادين، فالمكان والزمان مرتبطان وكليهما نسبيان فضمهما أينشتاين معا بمصطلح الزمكان Space-Time تعبيرًا عن الفضاء؛ ويُحْدِث فيه كل جرم تقعرًا حسب ثقله، فالتقعر الذي تُحدثه الشمس في النسيج الكوني المَرِن أكبر من التقعر الذي تحدثه الأرض؛ فيؤدي لدورانها حول الشمس في أطراف التقعر الكبير الذي أحدثته على النسيج، فالنسيج الكوني المُنحني يفرض على الأرض بسبب الشمس أن تسير وفق ذلك الميلان فتبدو أنها مشدودة للشمس بقوة الجاذبية، والأرض إذن لا تدور حول الشمس لأنها تطلق قوة لتمسك بها؛ بل لأنها تسير في منحنيات طرائق مرسومة.

وفي عام ١٩١٦ قدم كارل شوارتزشيلد Karl Schwarzschild فكرة الثقوب السوداء Black Holes استنادًا على مفهوم نسيج الفضاء الكوني الذي ينحني تحت تأثير الكتلة، فاقترح أن كتلة كبيرة ككتلة نجم ضخم إذا تكاثفت في مكان صغير فإنها ستحني النسيج الكوني لدرجة لا تسمح لشيء بالهروب من جذبه ولا حتى الضوء، وبقي الاعتقاد أنها مجرد نظرية؛ إلى أن تم رصد مادة متوهجة كأنها تُبتلع حول مناطق غير مرئية كمركز مجرتنا، فكسبت فكرة الكون المنحني مزيدًا من التأييد؛ وأعطت إيحاءً باحتمال أن الكون كان بالمثل في حيز ضئيل وتمدد.

وفي عام ١٩٢٢ اقترح ألكسندر فريدمان Alexander Friedmann فرضية تمدد الكون استنادًا لطبيعة النسيج الكوني وفق مفهوم النسبية العامة، وفي عام ١٩٢٧ أعطى جورج لومتر Georges Lemaître فرضية امتداد الكون من نقطة أولية كثيفة اسم: افتراض الذرة الأولية، وفي نفس العام أطلق عليها فريد هويل Fred Hoyle ساخرًا في برنامج إذاعي في محطة B.B.C. الاسم الذي شاع لاحقًا: الانفجار الكبير Big Bang، لأنه كان يرفض أن للكون بداية؛ وقدم عام ١٩٤٩ مع توماس غولد وهيرمانبوندي نظرية الكون الأبدي أو الحالة الدائمة Steady State theory.

وفي عام ١٩٢٩ اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble أن المجرات البعيدة في طيف الضوء القادم منها منزاحة نحو الجانب الأحمر فاستنتج أنها في ابتعاد؛ تتناسب سرعته مع البعد وفق ثابت سمي بثابت هابل، كحالة صفير قطار تتضاغط الموجات بقدومه فيصبح حادًّا؛ وتتخلخل مع ابتعاده، وتسمى ظاهرة دوبلر Doppler phenomenon، فأمكن التوصل إلى أن الكون قبل تمدده كان في البدء مُنحصرًا في نقطة كثيفة؛ يعكس شدة حرارتها إشعاع مميز، وفي عام ١٩٦٤ رصده أرنو بنزياس وروبرت ويلسون من كل جهة فسمي بالخلفية الإشعاعية Background Radiation، فتأكد أن الكون قد توسع بالانتفاخ Inflation كالبالون، وأن عمره محدود وله بداية؛ وإن شاعت باسم الانفجار الكبير.

وقد نسب هويل الحكمة والذكاء للنسيج؛ وتجاهل من حاكه في كتابه: الكون الذكي The Intelligent Universe، وتبعه هاوكنج في كتابه: التصميم العظيم The Grand Design بقوله: لا دليل؛ وكأن الكون المهيب والتصميم الرائع ليس بدليل؛ وما هو إلا انتحار في مواجهة التيار الجارف للعلم نحو التوحيد؛ وبداية تجعل الكون عارض وعمره محدود، وخالف هويل نفسه في مقالة عام ١٩٨١ بقوله: "أن احتمال ظهور أشكال الحياة صدفة يُقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة؛ بتجميع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، وبالمثل خالف هاوكنج نفسه في كتابه: تاريخ موجز للزمن Brief History of Time؛ بقوله: "طالما أن للكون ابتداء؛ فحتمًا له خالق"[١٤٨٢]، ووفق الموسوعة البريطانية فإن اختيار كل الأحماض الأمينية Amino Acids التي هي أساس تكوين البروتينات لتكون عسراء الاتجاه صدفة؛ بلا تدخل مقصود لإرادة مُوَجِّهَة، أشبه بقذف عملة معدنية في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على نفس الوجه!، ونشأة خلية حية واحدة إذن من ذاتها يُعد احتمالا مُستحيلا؛ مثل احتمال قيام قرد بكتابة تاريخ البشرية كله على آلة كاتبة بلا أخطاء.

ومن البديهي أن النظام Order لا تَصْنَعُهُ فوضى Chaos والصدفة لا تُفَسِّرُه؛ وإنما هو شاهد عدل على الخلق مهما كانت الكيفية، ولو كانت التغيرات غير مقصودة؛ فَلِمَ كانت دائمًا في اتجاه الأصلح لتبني الكون المنظوم المحبوك؛ والتنويع مع وحدة البنية يُعارض الإلحاد Atheism، وليس إلا مشيئة الخالق وسبق تقديره وحسن تدبيره بِعِلْم واقتدار، والفلسفة المادية الناكرة لمبدأ الخلق قد دحضتها كل ميادين العلم؛ وإلا انعدم ثبات القوانين، ومن يظل مُعتقدا بها عليه ألا يحسب نفسه من المُحققين، وقد رأي أينشتاين في صنع الله تعالى: النظام والقصد والحكمة والتناسق والبساطة والأناقة والجمال؛ وهي رؤى ثاقبة للكون المنظوم المتقن المحبوك، ولو كان وليد الصدفة ما كان نظام وآليات وقوانين على كافة المستويات، قال نيوتن: "إن هذا التكوين البديع في النظام الكوني يجب أن يُفهم منه القصد في التنظيم"، وقال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان"[١٤٨٣].

[١٤٨٢] Stephen Hawking, Brief History of Time, page 122.

[١٤٨٣] الشبكة الدولية للمعلومات.

(٢) تاريخ الكون

في قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣؛ التعبير عن توسع الكون Universe Expansion برفع السماء حين البناء تمثيلاً، ورد فيه فعل (الرفع) في كل المواضع بصيغة الماضي بلا استثناء؛ مما يقصر حالة الاتساع على وقت البناء ويُعارض القول باستمراره إلى اليوم، يقول تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ الغاشية:١٧و١٨، ويقول تعالى: ﴿وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ الرحمن:٧، ويقول تعالى: ﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الرعد:٢، وجاء التعبير عن الرفع بلفظ الخلق بيانا لتكامل البناء في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ لقمان:١٠، إنه عمل كامل يمكن مُعاينته اليوم؛ لذا ورد بيان خلقه بفعل (البناء) بالماضي كذلك بلا استثناء، يقول تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا﴾ النازعات:٢٧و٢٨، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ق:٦، ويقول تعالى: ﴿وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ الشمس:٥، وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات:٤٧؛ فعل (بَنَيْنَاهَا) ماضي يفيد الانتهاء، فيعني أن (مُوسِعُونَ) أي قادرون، ولا يعني دوام التوسع بعد انتهاء البناء وإلا ما كانت لنهاية الكون ساعة، واسم الفاعل مُوَسّعُون (بفتح الواو وتشديد وكسر السين) يعني دوام التوسعة، والذي في الآية: مُوسِعُون (بتسكين الواو وكسر السين) يعني دوام القدرة، والقدرة في مقام الخلق تعني إعادته؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٠٤.

وأصل اللفظ (لَمُوسِعُونَ): أي لذو سعة واقتدار؛ خاصة مع التأكيد بحرف اللام؛ وتكشف القرائن ماهية السعة لتعني أحوالا كسعة المكان وسعة الرزق وسعة الثراء وسعة القوة والقدرة، وفي مقام خلق الكون تعني القوة والقدرة والاستطاعة على إعادته؛ وتتضمن الدلالة سياقًا على بالغ امتداده إيغالا في بيان العلم والقدرة والعظمة، فتعني ضمنا التوسعة حين البناء، قال ابن جزي: "وسع يسع سعة من الاتساع ضد الضيق والسعة الغنى والواسع اسم الله تعالى أي واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة"[١٤٨٤]، وقال البغوي: "(وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لقادرون"[١٤٨٥]، وقال الزمخشري: "{وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} لقادرون من الوسع وهو الطاقة"[١٤٨٦]، وقال ابن حجر: "قوله (لَمُوسِعُونَ) أي لذو سعة؛ وكذلك (عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ) يعني في قوله تعالى: ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ البقرة:٢٣٦، أي من يكون ذا سعة.. يعني القوي (القادر)، وروى بن أبي حاتم من طريق بن أبي نجيح قال (وإنا لموسعون) قال أن نخلق سماء مثلها"[١٤٨٧]، وقال السمعاني: "قال مجاهد معناه يسع قدرتنا أن تخلق سماء مثلها"[١٤٨٨]، وقال السيوطي: "عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) قال: لنخلق سماء مثلها"[١٤٨٩]، وقال الرازي: "وبناء السماء دليل على القدرة على خلق الأجسام ثانيا كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىَ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىَ وَهُوَ الْخَلاّقُ الْعَلِيمُ﴾ يس:٨١"[١٤٩٠].

والتعبير (رفع سمكها) يوافق ما تأكد اليوم من توسع الكون عند نشأته، والفعل (بناها) بصيغة الماضي تعبير تصويري بالمثل يعلن اكتمال خلق الكون ويقصر التوسع على فترة البناء تمثيلا ببناء بيت في أيام متتابعة ذات مراحل متوالية مقدرة منذ البدء، والتعبير (أخرج ضحاها) تمثيل بالسطوع التدريجي للشمس فترة الضحى تعبيرًا عن تميز الأجرام مع الانبعاث التدريجي لطاقات الشمس والنجوم ذاتيًا، وأما التعبير الصريح: (بعد ذلك)؛ فهو قرينة قاطعة بتعلق المقام بترتيب أحداث نشأة الكون حيث سبق تكوين السماء تكوين الأرض، وهذا الترتيب يوافق اليوم أوثق معطيات العلم.

[١٤٨٤] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي المتوفى سنة ٧٤١ هـ، دار الكتاب العربي لبنان ١٤٠٣ ط٤ (ج١ص٢٩).

[١٤٨٥] معالم التنزيل للحسن بن سعيد الفراء البغوي المتوفى سنة ٥١٦ هـ، دار المعرفة بيروت ١٤٠٧ ط٢ (ج٤ص٢٣٤).

[١٤٨٦] الكشاف لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨، دار إحياء التراث بيروت (ج٤ص٤٠٧).

[١٤٨٧] فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ (ج ٨ ص ٥٩٩).

[١٤٨٨] تفسير أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني المتوفى سنة ٤٨٩ هـ، دار الوطن الرياض ١٤١٨، ج٥ص٢٦٢.

[١٤٨٩] الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ت ٩١١ هـ، دار الفكر بيروت ١٩٩٣م، ج٧ص٦٢٣.

[١٤٩٠] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لابن خطيب الري فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١، ج٢٨ص١٩٣.

قال الرازي: "(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ).. نَبَّهَهُمْ عَلَى أَمْرٍ يُعْلَمُ بِالْمُشَاهَدَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ خِلْقَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى صِغَرِهِ وَضَعْفِهِ، إِذَا أُضِيفَ إِلَى خَلْقِ السَّمَاءِ عَلَى عِظَمِهَا وَعِظَمِ أَحْوَالِهَا يَسِيرٌ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ خَلْقَ السَّمَاءِ أَعْظَمُ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَخَلْقُهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِعَادَةِ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مَقْدُورًا لِلَّهِ تَعَالَى، فَكَيْفَ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ؟ وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) يس:٨١، وَقَوْلُهُ: (لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) غَافِرٍ:٥٧.، قوله تعالى (رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها)..: اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ فِي السَّمَاءِ أَنَّهُ بَنَاهَا؛ بَيَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَيْفَ بَنَاهَا وَشَرَحَ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةَ مِنْ وُجُوهٍ؛ أَوَّلُهَا: مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَكَانِ، فَقَالَ تَعَالَى: (رَفَعَ سَمْكَها)، وَاعْلَمْ أَنَّ امْتِدَادَ الشَّيْءِ إِذَا أُخِذَ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى أَسْفَلِهِ سُمِّيَ عُمْقًا، وَإِذَا أُخِذَ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ سُمِّيَ سَمْكًا، فَالْمُرَادُ بِرَفْعِ سَمْكِهَا شِدَّةُ عُلُوِّهَا.، الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَسَوَّاها).. الْمُرَادُ تَسْوِيَةُ تَأْلِيفِهَا.، الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها).. أَغْطَشَ.. جَعَلَهُ مُظْلِمًا، وَالْغَطَشُ الظُّلْمَةُ.، قَوْلُهُ: (وَأَخْرَجَ ضُحاها) أَيْ أَخْرَجَ نهارها، وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنِ النَّهَارِ بِالضُّحَى؛ لِأَنَّ الضُّحَى أَكْمَلُ أَجْزَاءِ النَّهَارِ فِي النُّورِ وَالضَّوْءِ"[١٤٩١]،

وقال ابن كثير: "قَوْلُهُ {بَنَاهَا} فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ {رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} أَيْ جَعَلَهَا عَالِيَةَ الْبِنَاءِ.. مُكَلَّلَةً بِالْكَوَاكِبِ (والنجوم).. وَقَوْلُهُ: {وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} أَيْ: جَعَلَ لَيْلَهَا مُظْلِمًا أَسْوَدَ حَالِكًا؛ وَنَهَارَهَا مُضِيئًا مُشْرِقًا نَيِّرًا وَاضِحًا"[١٤٩٢].

وقال الطاهر بن عاشور: "قد عدَّ الله تعالى السماوات سبعًا وهو أعلم بها وبالمراد منها إلا أن الظاهر الذي دلت عليه القواعد العلمية أن المراد من السماوات (آفاق) الأجرام العلوية العظيمة.، ويدل على ذلك أمور: أحدها أن السماوات ذُكرت في غالب مواضع القرآن مع ذكر الأرض.؛ فدل على أنها عوالم كالعالم الأرضي.، ثانيها أنها ذكرت مع الأرض من حيث أنها أدلة على بديع صنع الله تعالى؛ فناسب أن يكون تفسيرها (آفاق) تلك الأجرام المُشاهدة"[١٤٩٣]، "و(السَّماءُ) يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْجِنْسُ.. (في مواضع)؛ أَيِ السَّمَاوَاتُ.، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ سَمَاءٌ مُعَيَّنَةٌ.. وَهِيَ الْكُرَةُ الْفَضَائِيَّةُ الْمُحِيطَةُ بِالْأَرْضِ وَيَبْدُو فِيهَا ضَوْءُ النَّهَارِ وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ.، (بَناها).. الْبِنَاءُ: جَعْلُ بَيْتٍ أَوْ دَارٍ مِنْ حِجَارَةٍ، أَوْ آجُرٍّ أَوْ أَدَمٍ أَوْ أَثْوَابٍ مِنْ نَسِيجِ الشَّعْرِ مَشْدُودَةٌ شُقَقُهُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِغَزْزٍ أَوْ خِيَاطَةٍ وَمُقَامَةٌ عَلَى دَعَائِمَ، فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ بِأَدَمٍ؛ يُسَمَّى قُبَّةً، وَمَا كَانَ بِأَثْوَابٍ يُسَمَّى خَيْمَةً وَخِبَاءً، وَبِنَاءُ السَّمَاءِ: خَلْقُهَا، اسْتُعِيرَ لَهُ فِعْلُ الْبِنَاءِ لِمُشَابَهَتِهَا الْبُيُوتَ.، وَجُمْلَةُ (رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها) مُبَيِّنَةٌ لِجُمْلَةِ بَناها.، وَسُلِكَ طَرِيقُ الْإِجْمَالِ ثُمَّ التَّفْصِيلِ لِزِيَادَةِ التَّصْوِيرِ.، تَعْدِيَةُ فِعْلِ (رَفَعَ) إِلَى السَّمْكِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الرَّفْعِ.، (فَسَوَّاها).. أَتْقَنَ صُنْعَهَا.، وَهَذِهِ الْآيَةُ أَظْهَرُ فِي الدِّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ بَعْدَ السَّمَاوَاتِ؛ وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَمُقَاتِلٍ وَالسُّدِّيِّ، وَهُوَ الَّذِي تُؤَيِّدُهُ أَدِلَّةُ عِلْمِ الْهَيْئَةِ"[١٤٩٤].

وبالفعل تنتظم حشود النجوم في آفاق طباق دون أقصى ما يُمكن أن يبلغه نظر باستخدام المراصد الراديوية والمسماة أشباه النجوم Quasars، فتنتمي مجموعتنا الشمسية لمجموعة نجومية محلية تتبع حشد أكبر Super-Cluster يتبع مجرتنا، وتتبع بدورها مجموعة مجرية محلية؛ تتبع حشدًا مجريًّا أكبر، وبخلاف ورود لفظ السماء في الكتاب العزيز بالجمع والإفراد لا يَرِد لفظ (الأرض) دالا على الكوكب إلا بالإفراد لأنه منسوب إلى المُخاطبين في الأرض.

وقال القاسمي: "(بَناها).. البناء ضم الأجزاء المُتفرّقة بعضها إلى بعض، مع ربطها بما يُمسكها حتى يكون عنها بنية واحدة (مضمُومة مُترابطة)، وهكذا صنع الله بالكواكب، وضع كلّا منها على نسبة من الآخر، مع ما يُمسك كلّا في مداره، حتى كان عنها (بناء) واحد.، (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ): أي بعد تسوية السماء..؛ وإبراز الأضواء"[١٤٩٥].

وقال المراغي: "(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا)؛ أي ضم أجزاءها المُتفرقة وربطها بما يُمسكها حتى حصل عن جميعها بنية واحدة، فقد أبدع في خلق الكواكب؛ وجعل كل كوكب منها على نسبة من الآخر، وجعل لكل منها ما يُمسكه في مداره؛ حتى كان من مجموعها ما يشبه البناء، وهو ما نُسميه بالسماء"[١٤٩٦].

[١٤٩١] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٣١\ ٤٢).

[١٤٩٢] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ (٨\ ٣١٦).

[١٤٩٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١\ ٣٨٥).

[١٤٩٤] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٣٠\ ٨٣).

[١٤٩٥] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٩\ ٤٠١).

وقال محمود شكري الألوسي: "الْمرَاد بالسَّمَاء الأجرام العلوية أَو جِهَة الْعُلُوّ..، وَالنَّاس مُخْتَلفُونَ فِي خلق السَّمَاء وَمَا فِيهَا وَالْأَرْض وَمَا فِيهَا بِاعْتِبَار التَّقَدُّم والتأخر..، فَذهب بَعضهم إِلَى تقدم خلق السَّمَاوَات لقَوْله تَعَالَى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) النازعات:٢٧-٣٣، وَذهب آخَرُونَ إِلَى تقدم خلق الأَرْض لقَوْله تَعَالَى (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) فصلت:٩-١٢..، قَالَ بعض الْمُحَقِّقين: اخْتلف الْمُفَسِّرُونَ فِي أَن خلق السَّمَاء مقدم على خلق الأَرْض أَو مُؤخر نقل الإِمَام الواحدي عَن مقَاتل الأول، وَاخْتَارَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَلم يَخْتَلِفُوا فِي أَن جَمِيع مَا فِي الأَرْض مِمَّا ترى مُؤخر عَن خلق السَّمَاوَات السَّبع؛ بل اتَّفقُوا عَلَيْهِ"[١٤٩٧].

وقد ورد عن الأعلام أن السماء التي تشكلت إلى طبقات بعد تشكيل الأرض ليست كل ما يعلُوها من الكون؛ وإنما جو الأرض كان دخانًا خرج منها عند تكونها فتشكل طبقات؛ يعني في آخر يومين من الأربعة، وجملة: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)؛ اعتراضية أفادت أن خلق الأرض قد تم في أربعة أيام من الستة أيام لخلق الكون، في نفس فترة تكوين طبقات الجو؛ كانت الأرض إذن كتلة نارية ملتهبة أحاطها الدخان، قال الماوردي أنه: "الدخان الذي جعله الله للأرض سماء"[١٤٩٨]، وكأنهم رحمهم الله تعالى قد فسروا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٢البقرة:٢٩، بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ٤١فصلت:١١و١٢، وكليهما بعد اكتمال خلق الأرض، وبهذا تُحفظ للأداة (ثم) دلالتها على ترتيب الأحداث.

وفي النبأ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٢البقرة:٢٩، والنبأ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ٤١فصلت:١١و١٢؛ اللائق في مقام خلق الأرض مجاراة ترتيب النظم بحمل السماء بالإفراد على أصل الجو وبالجمع على طبقات الجو، قال ابن عاشور: "والسماء إن أُريد بها الجو المُحيط بالكرة الأرضية؛ فهو تابع لها (في النظم) مُتأخر عن خلقها، وإن أُريد بها (آفاق السَّمَاوَات العُلَى فهي).. أعظم من الأرض فتكون أسبق خلقًا"[١٤٩٩]؛ وبالتمييز بين السماء السابقة للأرض في النَّظم والتي تلحق بها؛ يُزول نهائيًّا إشكال أسبقية تكوين الأرض أم السماء، وبهذا التمييز يتجلى الإنباء بالغيب!.

وأما حديث إنزال الأيام الستة على أيام الأسبوع؛ فقد قال فيه ابن كثير: "فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده.. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي؛ فقال: (خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة..)؛ فقد رواه مسلم بن الحجاج... والنسائي... عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج... وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعا"[١٥٠٠]، "وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَرَائِبِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ"[١٥٠١]، وتُطابق تلك الرواية بالفعل ما ورد في الأسفار من نشأة النبات قبل نُور الشمس: "وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر.. وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا، وقال الله لتكن أنواراً.. فعمل الله النورين العظيمين؛ النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل.. وكان مساء وكان صباح يوما رابعا" تكوين:١ ١٦ Genesis[١٥٠٢].

[١٤٩٦] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٣٠\ ٢٩).

[١٤٩٧] أبو المعالي محمود شكري الألوسي؛ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي لبنان، الطبعة الثانية؛ ١٣٩١هـ- ١٩٧١م (ص١٩).

[١٤٩٨] تفسير الماوردي (ج١ص٩٢).

[١٤٩٩] تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١ص٣٨٤).

[١٥٠٠] تفسير ابن كثير (ج٢ص٢٢١).

[١٥٠١] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ (١\ ٢١٤).

[١٥٠٢] ترجمة سميث وفانديك Smith & Van Dyke VSD، نشر كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي بالإسكندرية مصر.

وفي سبعة مواضع يُقرر القرآن الكريم أن خلق العالم قد تم في عملية واحدة ذات أطوار كما لو كان بناءً واحداً تتابع تشييد خطة تصميمه المُقدرة منذ بدء نشأته: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الأعراف:٥٤، يونس:٣، هود:٧، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، ق:٣٨، الحديد:٤، والأيام ذوات العدد في مقام بناء الكون هي أقرب مثال لبيان سبق التقدير والقصد منذ البدء لا الصدفة العمياء؛ خاصة أن التمثيل هو الأسلوب الأمثل في تعبير القرآن الكريم لكشف الحقائق الخفية بضرب المثل بالنظير المألوف، فيستقيم إذن أن تكون الستة أيام تمثيلاً؛ خاصة أن الزمن ناتج عن حركة أجرام، وعند التكوين لم تُوجد أجرام بعد، والكون بهذا ليس أبدي الوجود؛ وإنما تشكل في فترات مُقدرة بلا توقف أو تردد كما لو كانت ستة أيام متلاحقة في بناء بيت مُوحد التصميم مُرتبط الأركان فخم المعمار، وكالإنسان قدرت أيام حمله؛ كذلك قدرت أحوال الأرض في يومين من الستة قبل تشكل سطحها وجوها، والكل أربعة أيام.

قال الشوكاني: "المُراد بالأيام الأوقات؛ أي في ستة أوقات..، ولا يستقيم أن يكون المُراد بالأيام هنا الأيام المعروفة وهي المقابلة لليالي؛ لأنه لم يكن حينئذ لا أرض ولا سماء"[١٥٠٣]، وقال أبو السعود: "السماوات في يومين، والأرض في يومين، وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات.. في يومين، والمُراد بالأيام الأوقات..، فإن اليوم في المُتعارف زمان كون الشمس فوق الأرض، ولا يُتصور ذلك حين لا أرض ولا سماء"[١٥٠٤]، وقال السمعاني: "قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ ٤١فصلت:١٠؛ أي في تمام أربعة أيام مع اليومين الأولين، وهذا كالرجل يقول: ذهبت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وذهبت من بغداد إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، أي في تمام خمسة عشر يوما..؛ هذا كلام العرب، ومن طعن فيه لم يعرف كلام العرب"[١٥٠٥].

الفترات الأربعة إذن التي تم فيها خلق الأرض وُصفت بالأيام؛ ليس على ظاهر اللفظ وإنما من باب التمثيل، وبمقياس الأيام تساوت مرحلة تكوين الأرض الأولية مع مرحلة التكميل بنشأة الغلاف الصخري فوقها وأوليات الأحياء، فالنبأ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾؛ تصريح بالانتهاء، والنبأ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾؛ تعبير تصويري عن إطاعة الجمادات للتقدير المُسبق كأنها عُقلاء مُكلفين تعريضًا بالإنسان، ولا يصح إذن بعد نشأة الأحياء حمله على مرحلة خلق تالية؛ وقد انتهى خلق الأرض، وإنما يستقيم عودة جملة: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) على جملة: (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ)، فتكون جملة: (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) اعتراض؛ وبيان باكتمال نشأة الأرض بغلافها الصخري والجوي في أربعة أيام، فيعني أن سماء الكون التي نشأت سابقًا: في يومين.

وعندما يكون مصدر مُوجة صوتية أو ضوئية مُقتربًا؛ تتضاغط أمامه الموجات ويتزايد ترددها، بينما تتخلخل إذا كان مُبتعداً، وبرصد انحراف خطوط طيف المجرات العظمى للجانب الأحمر Red Shift اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble عام ١٩٢٩ أنها تبدو في تباعُد؛ تتزايد سرعته مع البعد بمعدل ثابت سُمِّيَ بثابت هابل Constant Hubble، ومع بلوغ سرعة التباعُد قيمة سرعة الضوء القادم منها لا تُشاهد؛ ويَتَعَيَّن حد الكون المُمْكِن الرَّصد، وبالتالي يُمكن تقدير عمر الكون وفق قانون هابل: عمر الكون = {سرعة الضوء×مليون}\ ثابت هابل، وباعتبار قيمة ثابت هابل تتراوح بين ٣٠ و٢٠ كماثانية؛ يكون عمر الكون في حدود: ١٢,٥ (١٠-١٥) بليون سنة.

وفي عام ٢٠٠١ نتيجة لتمايز طفيف بالخلفية الإشعاعية قَدَّر تشارليس بينيت Charles Bennett أن عمره: الكون: ١٣,٧٥ بليون سنة، وفي نفس العام اكتشف روجر كيريل Roger Cayrel وفريقه من عدة دول؛ عنصر مُشع معلوم نصف العمر في نجم قديم، فقدر أن عمر الكون على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة؛ باعتبار أن عمر الكون لا يقل عن عمر أقدم مادة فيه، واستخدام العناصر المُشعة أسلوب حديث واعد؛ يُبشر بدقة التقديرات.

[١٥٠٣] فتح القدير للشوكاني (ج٢ص٤٨٢).
[١٥٠٤] تفسير أبو السعود (ج٤ص١٨٧).
[١٥٠٥] تفسير السمعاني (ج٥ص٤٢).

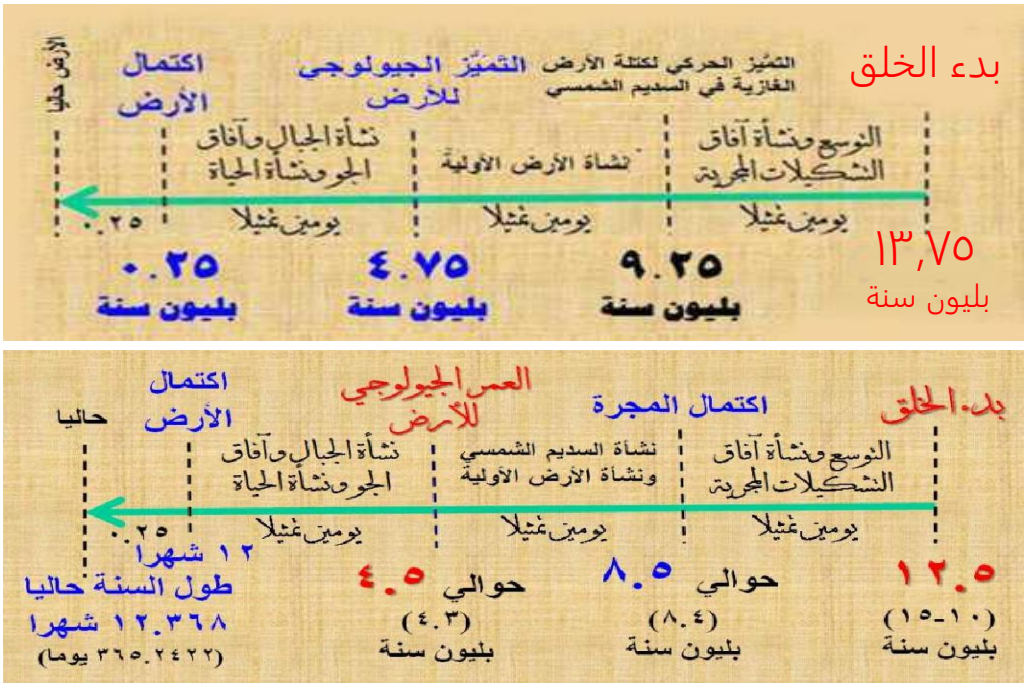

فإذا كان خلق الكون كله في ستة أيام تعبيرًا بالتمثيل بأيام الأسبوع المعهودة عن تلك الأزمنة الهائلة فوق كل تصور قديم؛ فإن خلق الأرض بدون السطح الصخري والجو في يومين ومجموع فترات خلقها أربعة أيام؛ وباعتبار أن اكتمال خلق الأرض بغلافها الصخري والجوي قد وقع منذ حوالي: ٠,٢٥ بليون سنة؛ حين ارتفعت نسبة الأكسجين في الجو ونشأت أم القارات Pangea وبدأت تنقسم إلى القارات الحالية، ووقع أكبر هلاك جماعي للأحياء في تاريخ الأرض Permian–Triassic Extinction[١٥٠٦]؛ وأن العمر الجيولوجي للأرض على أقصى تقدير: ٤,٧٥ (٤,٥-٥) بليون سنة، وعلى أقل تقدير: ٤,٣ (٤,٦-٤) بليون سنة، يكون بدء خلق الكون قد وقع على أقصى تقدير منذ: ١٣,٧٥ بليون سنة، وإذا أخذنا بالأحوط؛ تكون النشأة الكونية على أقل تقدير منذ: ١٢,٥ بليون سنة.

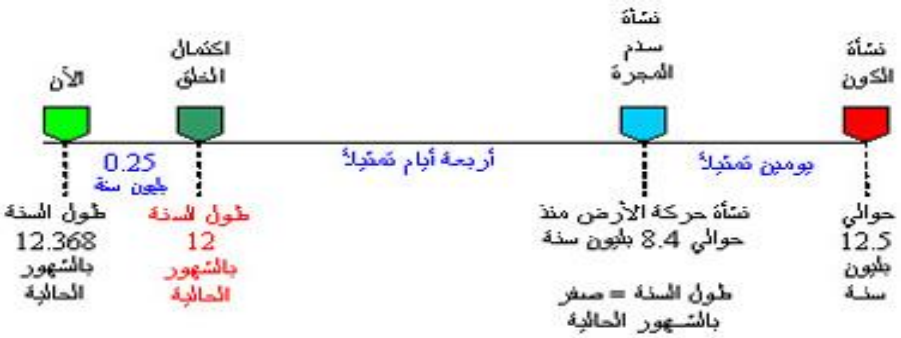

وإذا كان الزمان قد تطاول حتى أصبحت السنة الشمسية ٣٦٥,٢٤٢١٩ يومًا، أي ١٢,٣٦٨ بالشهور القمرية الحالية في مدة ٨,٤ بليون سنة، وعند الاكتمال: ١٢ شهراً قمريا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ٩التوبة:٣٦، وبالاكتفاء بالقمرية بحذف النسيء لمضاهاة الشمسية يكون الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض؛ كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، ونظير الستة أيام تمثيلاً؛ يتأكد أن عمر الكون على الأقل: ١٢,٥ (١٠-١٥) بليون سنة.

ومدة دورة الشمس حول مركز المجرة حوالي: ٠,٢٥ بليون سنة أرضية، وتُسمى سنة كونية Cosmic Year، وبأكبر مقياس للزمن في عالمنا يكون عمر الكون على الأقل: ٥٠ سنة، ويقطع الضوء المسافة لطرف الكون المُمكن الرصد في مدة تماثل عمر الكون، وإذا اعتُبرت الأرض ساكنة وفق ما كان الناس يَعُدُّونَهَا Geocentric Model وحركة القمر المقياس؛ تكون سرعة الضوء: مسافة ألف سنة قمرية في يوم، وبإيجاز: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

[١٥٠٦] انقراض العصر البرمي الترياسي المعروف باسم الموت العظيم هو انقراض جماعي وقع منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة، بين العصرين الجيولوجيين البرمي والترياسي، كان هذا الحدث أكبر انقراض جماعي شهده الأرض؛ قضى على نحو ٩٦ ٪ من كل أنواع الأحياء البحرية و٧٠ ٪ من الفقاريات الأرضية (ويكيبيديا).

٣٢السجدة:٥،وتُقطع أقصى مسافة في: ٥٠ سنة كونية بسرعة الضوء؛ أي أن أكبر مسافة مُمكنة الرصد: ٥٠ سنة كونية بسرعة ألف سنة قمرية في يوم[١٥٠٧]، وبإيجاز: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٧٠المعارج:٤.

جيمس أوشر James Ussher
(١٦٥٦-١٥٨١)

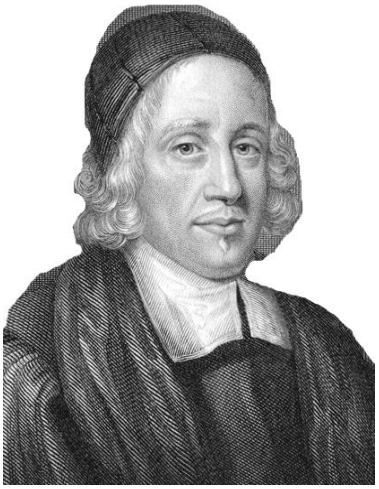

جون لايتفوت John Lightfoot
(١٦٧٥-١٦٠٢)

وفي عام ١٦٥٤ نشر جيمس أوشر James Ussher (١٦٥٦-١٥٨١) كبير أساقفة الكنيسة الأيرلندية استنتاجه من أسفار العهد القديم؛ أن بدء خلق العالم كان ليلة الأحد ٢٣ أكتوبر عام ٤٠٠٤ ق.م، بينما اختار القس جون لايتفوت John Lightfoot (١٦٠٢-١٦٧٥) عام ٣٩٢٩ ق.م؛ أي بعد نشأة حضارات مصر وبلاد ما بين النهرين بقرون[١٥٠٨]، ومرجع الخطأ حمل تعبير (ستة أيام) على ظاهر اللفظ لا التمثيل؛ وهو نفس الخطأ الفادح للآباء من قبل في حمل تعبير (ابن الله) على الظاهر لا التمثيل فحادوا عن مبدأ التوحيد، وهكذا أثبتت الأيام كم بَعُدَ الآباء والأتباع المُقلدين عن الحقيقة.

قال الرازي: "في ستة أيام إشارة إلى ستة أطوار..، المُراد من الأيام لا يُمكن أن يكون هو المفهوم في وضع اللغة؛ لأن اليوم عبارة عن زمان مُكث الشمس فوق الأرض من الطلوع إلى الغروب، وقبل السماوات لم يكُن شمس ولا قمر، لكن اليوم يُطلق ويُراد به الوقت..، وقال بعض المفسرين المُراد من الآية الرد على اليهود؛ حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت..، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ٥٠ق:٣٨؛ ردًّا عليهم.. أي ما تعبنا، وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة؛ فهو إما تحريف منهم، أو لم يعلموا تأويله، وذلك لأن الأحد والاثنين أزمنة مُتميز بعضها عن بعض، فلو كان خلق السماوات ابتدئ يوم الأحد؛ لكان الزمان مُتحققا قبل الأجسام، والزمان لا ينفك عن الأجسام"[١٥٠٩].

ولما كانت فكرة مركزية الأرض Geocentric Model قد دفعتها مشاهدات سابقة فلم يبق إلا قبول مبدأ التجانس Uniformity في تباعد المجرات أو اقترابها بحيث يُعاين المُراقب من أي موقع في الكون نفس ما يُعاينه المُراقب على الأرض، ولما كان الكون حادثًا وليس أزليًّا، والتوسع المُعاين في طيف المجرات العظمى يعكس الماضي البعيد عندما صدر الضوء المحدود السرعة منها منذ بلايين السنين فليس مُستبعدا أن يكون الكون آيل للانهيار والزوال؛ خاصة أن المجرة الأقرب إلينا كمثال، وهي المرأة المسلسلة Andromeda تبدو في اقتراب بسرعة قُدرت بحوالي: ٣٠٠ كم/ثانية[١٥١٠]، فإذا شمل التجانس ابتعاد المجرات واقترابها؛ فليس مُستبعدا أن يكون الكون حاليا ينطوي في انكماش قد بلغتنا شواهده من الطرف الأقرب، ولم تصلنا بعد من المجرات الأعظم إلا شواهد الانحسار في الماضي نتيجة لبعدها الشديد، والقول إذن بأن الكون في اتساع مُستمر يتجاهل اقتراب أقرب المجرات والسرعة المحدودة لضوء المجرات الأعظم؛ ذات الأبعاد الهائلة، وهو في جانب وهم أزلية المادة والتشكيك في مبدأ حدوث الكون واستبعاد نهايته.

[١٥٠٧] بحث منشور باسم: سرعة الضوء في القرآن الكريم؛ تناول دراسة للآيات الكريمة: ٢٢الحج:٤٧، ٣٢السجدة:٥، ٧٠المعارج:٤.

[١٥٠٨] English Wikipedia; the international Encyclopedia: Annals of the Old Testament deduced from the first origins of the world

[١٥٠٩] التفسير الكبير للرازي (ج٢٨ص١٥٨).

[١٥١٠] The First Three Minutes, Steven Weinberg, p30

(٣) تاريخ الأرض

(أ) أطوار خلق الأرض:

التعبير: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا)؛ يجعل لها وجود قبل التهيئة التي انتهت بنشأة الحياة والإنسان، والعدول لكلمة (دَحَاهَا) بيان لسبق التقدير بتمهيد الأرض بقصد نشأة الإنسان؛ تمثيلاً بتمهيد النعامة للتراب لتضع البيض، بينما بقية الطيور تبني أعشاشًا، والصورة البيانية؛ تَسْتَدْعِي مشهد تمهيد تراب هش أشبه بسديم هش البنية، يعقبه مشهد بيض ما يلبث إلا وقد بُثت فيه الحياة، وكأن الصورة البيانية تُحاكي تهيئة الأرض السديمية وأمثالها كي تنشأ في الكون الحياة.

ومعنى التمهيد مُستمد من الصورة البيانية التي يُوحيها الفعل (دَحَاهَا)، باعتبار أصل الأرض كتلة سديمية مُتجانسة؛ قبل أن تكتسب الشكل الكروي والطبقات كالبيضة، والقرينة: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)؛ أي المواد الأخف التي انتهت بازدهار الحياة في المراعي حيث تُرعى المواشي، وفي المُقابل نزلت المواد الأثقل خاصة الحديد نحو اللب، وفي خروج الماء ليُكون سُحبًا تسُوقها الرياح؛ تضمين بنشأة طبقات الجو أثناء تكوُّن السطح الصخري كالبساط: (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا)، فالنشأة الجيولوجية إذن للأرض تسبقها حالة سديمية؛ والقصد منذ البدء التمهيد لنشأة الإنسان: (مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ).

قد ورد النص صريحًا بأن الأرض كروية كالبيضة؛ قال ابن حزم (رحم الله تعالى عُلماء الأمة): "إن أحدًا من أَئِمَّة الْمُسلمين الْمُسْتَحقّين لاسم الْإِمَامَة بِالْعلمِ رَضِي الله عَنْهُم؛ لم ينكروا تكوير الأَرْض، وَلَا يحفظ لأحد مِنْهُم فِي دَفعه كلمة؛ بل الْبَرَاهِين من الْقُرْآن وَالسّنة قد جَاءَت بتكويرها، قَالَ الله عز وَجل: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٣٩الزمر:٥، وَهَذَا أوضح بَيَان فِي تكوير بَعْضهَا على بعض مَأْخُوذ من كور الْعِمَامَة وَهُوَ إدارتها، وَهَذَا نَص على تكوير الأَرْض ودوران الشَّمْس كَذَلِك"[١٥١١]، وقال سيد قطب: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ).. تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسرًا على الالتفات إلى ما كُشِفَ حديثاً عن كروية الأرض، فالأرض.. تدور حول نفسها في مواجهة الشمس؛ والجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهاراً، ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور، وكلما تحركت بدأ الليل يغمُر السطح الذي كان عليه النهار، وهذا السطح مُكور؛ فالنهار كان عليه مُكورًا والليل يتبعه مُكورًا كذلك..، النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل، وهكذا في حركة دائبة (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ)..، واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع..، وكروية الأرض ودورانها (فلكيًّا) يُفسران هذا التعبير تفسيرًا أدق من أي تفسير"[١٥١٢].

[١٥١١] أبو محمد علي بن حزم الأندلسي؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي بالقاهرة (١٢ ٧٨).

[١٥١٢] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي؛ في ظلال القرآن، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السابعة عشر؛ ١٤١٢هـ (١٥ ٣٠٣٨).

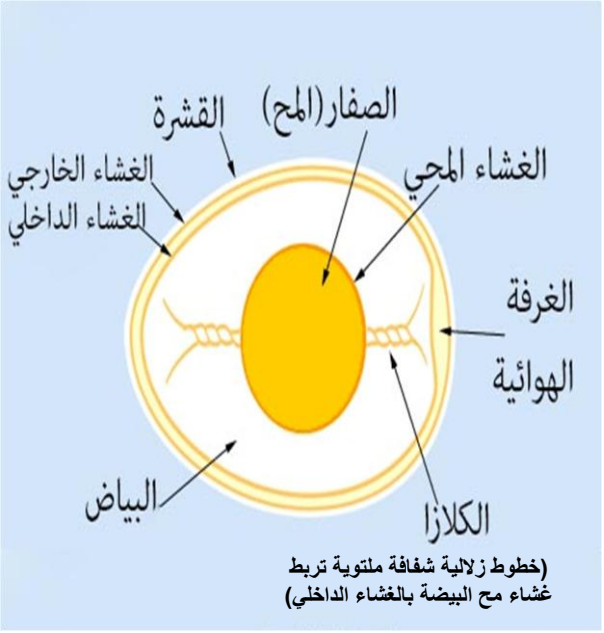

(خطوط زلالية شفافة ملتوية تربط
غشاء مح البيضة بالغشاء الداخلي)

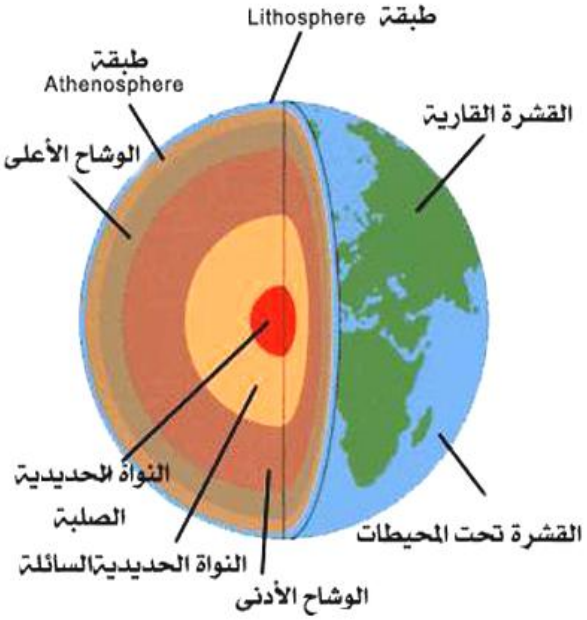

فالمُشابهة إذن بين الأرض والبيضة لا تُنكر؛ من حيث التكوير، فضلا عن طبقية التكوين وصلابة الطبقة السطحية، لكن استناد المُشابهة على لفظ (دَحَاهَا) منزوعًا من الصورة البيانية تأباه اللغة؛ والاستدارة مبنية في التمثيل على سبق التمهيد ببيان مرحلة خروج المواد الأخف للأعلى وتكوين القشرة السطحية: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا)، فالاستدارة إذن والطبقية بالتبعية اكتُسبتا من كتلة بلا شكل ولا طبقات؛ ومضمون السياق تكميل كل التفاصيل.

والإيجاز عماد الفصاحة؛ والاحتباك وجه منه بذكر تعبيرين يُحذف من الأول ما جاء نظيره أو مُقابله في الثاني؛ ويُحذف من الثاني ما جاء نظيره أو مُقابله في الأول، ومأخذ التسمية من الحَبْك؛ وهو الشدّ وإحكام صنعة الثوب، فحبك الثوب هو سدّ ما بين خيوطه من الفُرج وشدّه لبعضه وإحكامه؛ مع الحُسن والرونق، والعلاقة هنا بين التعبيرين: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا)، و(أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا)؛ أشبه بالاحتباك، أفاد الأول أن الأرض قبل دحوها استقلت حين تسوية السماء وتميز لبنات البناء؛ وأفاد الثاني أن دحوها لازمه تكون الطبقات الأخف أعلاها، وخروج الماء والمواد الأخف أدى لتكوين الجو والتربة ونشأة المراعي الخضراء العامرة بالمواشي؛ والدلالة الضمنية إذن مُقابل خروج المواد الأخف؛ هي نزول المواد الأثقل خاصة الحديد، ويلزم إذن أنه كلما ازداد العمق ازدادت الكثافة، لذا تُخرج الأرض أثقالها إذا انفجرت: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ٩٩الزلزلة:٢، وحينئذٍ تتخلَّى عن كل ما عليها بفقدان جاذبية ما فيها من أثقال: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ ٨٤الإنشقاق:٤، وبحركة الحديد في لب الأرض تولدت الأغلفة المغناطيسية كالجند مُعقبات تحفظ الإنسان بلا دراية منه من خطر الرياح الشمسية القاتلة، وهو صريح قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ ٥٧الحديد:٢٥؛ وكأنه تعالى يدعُو المُؤهلين في عصر العلم؛ لبيان براهين صدق خاتم النبيين تأييدًا لرسالته وكل والمُرسلين بوحدانية العلي القدير.

(ب) كلمة واحدة أوجزت كل تاريخ الأرض:

كلمة (دَحَاهَا) جامعة لكل فصول خلق الأرض، وفي ضوء منظومة النصوص المُتعلقة بتاريخ الأرض؛ تُوحي كلمة (دَحَاهَا) بنقلة هائلة من تجمع تراب وهباء منثور؛ انفصل وتميز ثم تشكل وتهيأ حتى عمرت الأرض بالحياة، والجامع إذن في التمثيل بسبق تمهيد النعامة لموضع بيضها كي تنشأ حياة؛ هو سبق تمهيد الأرض كي تنشا حياة، وتمثيلا بالأيام؛ استغرقت الأرض السديمية يومين، واكتسبت كرويتها وتشكلت طبقات؛ إلى أن نشأت حياة في يومين.

وكل الطيور تبيض في أعشاش، لكن النعامة خير مثال لتمهيد الأرض للحياة؛ لأنها تنكُش التراب وتُمهده لتضع البيض كي تنشأ حياة، فالمثل جامع لمشهد التهيئة لتراب منثور يتبعه مشهد بيضة مستديرة ثم مشهد الحياة، وكأن المشاهد تُحاكي في تاريخ الأرض؛ مشهد تراب منثور، يتبعه مشهد بيضة مستديرة، وأخيرا مشهد الحياة، صورة بيانية مُركبة بكلمة واحدة جامعة لمشاهد متتابعة، والجامع في التمثيل في أول مشهد هو التمهيد؛ والبسط تفسير مُنتزع مما تصنع النعامة؛ والتمهيد أشمل، ولا تكاد تَذْكر كلمة البسط في بيان وجه الشبه إلا وألحقوها بكلمة التمهيد، قالوا في أرشيف مُلتقى أهل الحديث: "(دَحَاهَا) لا تأتي بمعنى بسطها؛ حتى يُضاف إلى ذلك التسوية والتمهيد، فالمعنى أن الله تعالى جعل الأرض مُمهدة ومُسهلة للعيش..، أما القول إن (دَحَاهَا) تعني أنه سبحانه وتعالى جعلها كالدحية أي البيضة فغير مُسلَّم؛ لأن (موضع بيض) الطائر (وهو النعامة) سُمي بذلك لأن الطائر يُمهده، ثم هو يدفع البيض ويُقلِّبه، أما القول: اعتماد دلالات الكلمات القرآنية في عصر نزول القرآن؛ فعين الصواب"[١٥١٣].

والمراجع اللُّغوية لا تُرجح أن فعل (دَحَاهَا) يعني جعلها كالبيضة؛ وإنما حُفرة تُمهدها النعامة لتضع بيضها، وتمثيل الأرض بالبيضة مُنتزع مما استلزم التمهيد بالدحو وضعه، وهو بيضة مُستديرة طبقية التكوين مُقابل الكرة الأرضية، ولا يأبى مشهد وضع بيضة في الصورة البيانية أن يُوحي بتكوير الأرض وأنها طبقات وقشرتها طبقة صُلبة كالبيضة، والغرض المنشود من التمهيد بوضع بيضة هو نشأة حياة؛ وبالمثل الأرض: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ ٥٥الرحمن:١٠، وفي وجهي التمثيل ببيضة تُنتج حياة وأرض تُنبت إنسانًا؛ فحوى الخطاب هو التمهيد بقصد واقتدار بيانًا لسبق التقدير، هذه بعض ملامح التصوير بالفعل الماضي (دَحَاهَا)؛ تمثيلاً بنعامة تدحو موضع وضع البيض بجامع التمهيد لنشأة حياة.

وقد أوحت الصورة البلاغية (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا) إلى كثيرين أن الكرة الأرضية مُثلت بالبيضة، قال الزحيلي: "دل قوله تعالى: (دَحاها) على أن كروية الأرض ليست تامة؛ بل هي مفلطحة كالبيضة"[١٥١٤]، وقال ابن الخطيب: "جعلها كالدحية وهي البيضة، ويؤيده ما ذهب إليه الفلكيون والجغرافيون من كروية الأرض؛ وانبعاجها كالبيضة"[١٥١٥]، وقال مالك بن نبي: "الدحو.. تعبير يتصل بشكل الأرض البيضاوي..، ويطلق على البيضة في بعض البلاد العربية"[١٥١٦]،

وفي مجلة مجمع الفقه الإسلامي: "قال تعالى: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا) أي جعلها كالدحية؛ وهي البيضة..، والدحية لغة هي البيضة، ولا يزال بعض أهل المغرب الأدنى إلى يومنا هذا مثل ليبيا يقولون عن البيضة: دحية"[١٥١٧]. وكذلك في فتاوى دار الإفتاء المصرية: "(دَحَاهَا).. دحا الأرض أي بسطها؛ أو جعلها كالدَّحيه، وهى البيضة"[١٥١٨].

[١٥١٣] أبو عمرو البيراوي؛ أرشيف ملتقى أهل التفسير.

[١٥١٤] د وهبة بن مصطفى الزحيلي؛ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر دمشق، الطبعة الثانية؛ ١٤١٨هـ (١٣٠\ ٤٧).

[١٥١٥] محمد بن محمد عبد اللطيف بن الخطيب؛ أوضح التفاسير، المطبعة المصرية، الطبعة السادسة، ١٣٨٣هـ - فبراير ١٩٦٤م (١١ ٧٣٢).

[١٥١٦] مالك بن نبي؛ الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم محمد عبد الله دراز ومحمود محمد شاكر، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الرابعة؛ ١٩٨٧ (ص٢٨٦).

[١٥١٧] مجلة مجمع الفقه الإسلامي، أعدها للشاملة: أسامة بن الزهراء، رقم الجزء في الشاملة هو رقم العدد (١٢ ٧١٨).

[١٥١٨] فتاوى دار الإفتاء المصرية، المكتبة الشاملة (١١٠ ٣٦٣).

وقال الدكتور فاضل السامرائي: "{وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}؛ عندما ننظر في لسان العرب نجد أن الدحو له عدة معاني، الدحو بمعنى البسط؛ يقول بسطها للسكان، وهي فعلاً مبسوطة للسكان مُنبسطة، ومن معاني الدحو غير الإنبساط تهدّل بطن الرجل بحيث يصبح بيضي الشكل، الشكل ليس على شكل كرة؛ ومنه ما تصنعه النعامة لبيضها في الرمل تحفر حفرة بيضية الشكل تحتوي بيضتها، ففيها معنى البيضية، يُقال هذا شكل بيضي الشكل لا بيضاوي نسبة إلى البيضة، ولا يوجد بيضاوي في العربية، فلما يثبت الآن أن الأرض بهيئة بيضة تقريباً ليست كرة، وإنما فيها امتداد إلى القطبين؛ فهي أقرب إلى صورة البيضة، فهي أقرب إلى صورة الدحو؛ سواء نزول البطن أو دحو النعامة لبيضتها، نستطيع أن نقول أن هذه اللفظة تسعفنا في أن نقول أن القرآن الكريم أشار إلى هذا"[١٥١٩]، و"كوكب الأرض.. بيضوي، قال الله تعالى: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}، والدِّحْيَة هي بيضة النعامة، فالآية الكريمة إذن حددت لا كروية الأرض؛ بل حددت بيضويتها، وهذا ما أثبتته يقينًا الصُّور المُلتقطة من الأقمار الصناعية"[١٥٢٠].

ولكن الصورة البيانية أعمق دلالة من الاكتفاء بانتزاع تشبيه الأرض بالبيضة من حيث الاستدارة وطبقية التكوين، والتحقيق أن فعل الدحو في لسان العرب زمن الوحي هو ما تصنع النعامة من تمهيد الأرض لتضع البيض كي تنشأ حياة، قال ابن منظور: "الأُدْحِيُّ والإِدْحِيُّ والأُدْحِيَّة والإِدْحِيَّة والأُدْحُوَّة: مَبِيض النَّعَامِ فِي الرَّمْلِ..؛ لأَن النَّعَامَةَ تَدْحُوه بِرِجْلِها ثُمَّ تَبِيض فِيهِ، وَلَيْسَ لِلنَّعَامِ عُشٌّ، ومَدْحَى النَّعَامِ: مَوْضِعُ بَيْضِهَا، وأُدْحِيُّها: مَوْضِعُهَا الَّذِي تُفَرِّخ فِيهِ"[١٥٢١]،

وقال الشنقيطي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا)؛ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَصْفُ الْأَرْضِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى (دَحَاهَا) ٧٩النازعات:٣٠، وَجَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ (طَحَاهَا) ٩١الشمس:٦؛ بِالطَّاءِ، وَجَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ بَسَطَهَا؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) ٨٨الغاشية:٢٠، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: (دَحَاهَا)، فَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: تَفْسِيرُهُ مَا بَعْدَهُ: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) ٧٩النازعات:٣١و٣٢، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ..، وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ: (دَحَاهَا) بَسَطَهَا وَمَهَّدَهَا لِلسُّكْنَى وَالِاسْتِقْرَارِ عَلَيْهَا؛ ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ التَّمْهِيدَ بِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنْ إِخْرَاجِ الْمَاءِ وَالْمَرْعَى وَإِرْسَائِهَا بِالْجِبَالِ..، وَقَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ وَابْنِ كَثِيرٍ: إِنَّ (دَحَاهَا) فُسِّرَ بِمَا بَعْدَهُ لَا يَتَعَارَضُ مَعَ الْبَسْطِ وَالتَّمْهِيدِ، كَمَا قَالَ أَبُو حَيَّانَ: إِنَّهُ ذَكَرَ لَوَازِمَ.. الْمَعِيشَةِ عَلَيْهَا مِنْ إِخْرَاجِ مَائِهَا وَمَرْعَاهَا؛ لِأَنَّ بِهِمَا قِوَامَ الْحَيَاةِ..، وَقَدْ أُثِيرَ حَوْلَ هَذِهِ الْآيَةِ مَبْحَثُ شَكْلِ الْأَرْضِ أَمَبْسُوطَةٌ هِيَ أَمْ كُرَوِيَّةٌ مُسْتَدِيرَةٌ؟..، وَفِي مُعْجَمِ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ، مَادَّةُ دَحْوٍ: الدَّالُ وَالْحَاءُ وَالْوَاوُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى بَسْطٍ وَتَمْهِيدٍ..، يُقَالُ..: دَحَا الْمَطَرُ الْحَصَى عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَهَذَا لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ مَهَّدَ الْأَرْضَ..، وَمِنَ الْبَابِ أُدْحِيُّ النَّعَامِ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُفَرِّخُ فِيهِ..، لِأَنَّهُ يَدْحُوهُ بِرِجْلِهِ ثُمَّ يَبِيضُ فِيهِ، وَلَيْسَ لِلنَّعَامَةِ عُشٌّ..، وَقَالَ الْفَرَّاءُ.. الْأُدْحِيَّ مَبْيَضَ النَّعَامِ فِي الرَّمْلِ؛ لِأَنَّ النَّعَامَةَ تَدْحُوهُ بِرِجْلِهَا ثُمَّ تَبِيضُ فِيهِ..، وَبِتَأَمُّلِ قَوْلِ الْمُفَسِّرِينَ نَجِدُهَا مُتَّفِقَةً فِي مَجْمُوعِهَا: بِأَنَّ (دَحَاهَا) مَهَّدَهَا وَسَهَّلَ الْحَيَاةَ عَلَيْهَا، وَذَكَرَ لَوَازِمَ التَّمْكِينِ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَيْهَا مِنْ إِخْرَاجِ الْمَاءِ وَالْمَرْعَى وَوَضْعِ الْجِبَالِ، وَهُوَ الْمُتَّفَقُ مَعَ نُصُوصِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) ٧٨النبأ:٦و٧، وَقَوْلِهِ: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) ٦٧الملك:١٥، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ؛ وَهُوَ تَمْهِيدُهَا وَالتَّمْكِينُ لِلْعَيْشِ عَلَيْهَا، وَلَيْسَ فِيهِ مَعْنَى التَّكْوِيرِ وَالِاسْتِدَارَةِ، وَإِذَا جِئْنَا إِلَى كُتُبِ اللُّغَةِ نَجِدُهَا كُلَّهَا.. تُفَسِّرُ (دَحَاهَا) بِمَعْنَى بَسَطَهَا وَمَهَّدَهَا، وَأَنَّ الْأُدْحِيَّةَ مَبْيَضُ النَّعَامِ لَا بَيْضُهُ كَمَا يَقُولُونَ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَدْحُوهُ بِيَدِهَا لِتَبِيضَ فِيهِ؛ إِذْ لَا عُشَّ لَهَا، وَعَلَيْهِ فَلَا دَلِيلَ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الدَّحْوَ هُوَ التَّكْوِيرُ"[١٥٢٢].

وقال ابن كثير: "(وَالأرض بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)..، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {دَحَاهَا}..: دَحْيها أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى..؛ وَجَعَلَ فِيهَا الْجِبَالَ وَالرِّمَالَ وَالسُّبُلَ..، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: (وَالأرض بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)"[١٥٢٣].

[١٥١٩] الدكتور فاضل صالح السامرائي؛ لمسات بيانية (١٥١ ٣٨).

[١٥٢٠] الدكتور فاضل صالح السامرائي؛ لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، محاضرات بترقيم الشاملة (ص١٠٧٧).

[١٥٢١] محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤١٤هـ (١٤ ٢٥١).

[١٥٢٢] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٨ ٤٢٢).

[١٥٢٣] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ (٨ ٣١٦).

وقال المغامسي: "لم يقل: والأرض بعد ذلك خلقها؛ لأنه تعالى خلقها من قبل.. غير منتهية..؛ ثم أكمل خلقها"[١٥٢٤].

وقال المراغي: "(وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا): أي مَهَّدَهَا وجعلها قابلة للسُّكنى..، وهيأ فيها وسائل المعيشة للإنسان والحيوان، فأخرج منها الماء الذي به حياة كل شيء وأنبت فيها النبات الذي به قوام الإنسان والحيوان..، أي ومهد الأرض بعد ذلك وبسطها للسكنى وسير الناس والأنعام عليها، وقد كانت مخلوقة غير مدحوّة (غير مُمهدة) قبل ذلك..، والآية.. تشير إلى أن الله تعالى دحا الأرض ومهدها لسُكنى الناس بعد أن خلق السماء (الكونية)..، ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتى سُكناها من أمر المآكل والمشارب وإمكان القرار عليها فقال: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا).. أي.. وأنبت فيها النبات سواء أكان قوتا لبنى آدم كالحب والثمر، أم قوتا للأنعام والماشية كالعشب والحشيش، (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) أي وثبت الجبال.. وجعلها كالأوتاد لئلا تميد بأهلها وتضطرب بهم"[١٥٢٥].

وقال القطان: "(والأرض بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا).. مهّدها للسُّكنى وسيّر الناسَ والأنعام عليها، فلفظةُ (دَحَاهَا) تعني التكويرَ والبسطَ في ذات الوقت..، ثم بيّن ما لا بدّ منه في تأتّي سكناها من أمرِ المآكل والمشارِب وإمكان القرار عليها فقال: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا}.. ثم بعد ذلك ثبَّتَ الجبالَ في أماكنها وجعلَها كالأوتاد؛ حتى تحفظَ توازُن الأرض"[١٥٢٦].

وقال الرازي: "إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا وَصَفَ كَيْفِيَّةَ خَلْقِ السَّمَاءِ أَتْبَعَهُ بِكَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْأَرْضِ.. قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا).. وَأَدْحَى النَّعَامَةُ.. أي بسطته وأزالت مَا فِيهِ مِنْ حَصَى حَتَّى يَتَمَهَّدَ..، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى الدَّحْوِ يَرْجِعُ إِلَى.. التَّمْهِيدِ..، (و) ظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي كَوْنَ الْأَرْضِ بَعْدَ السَّمَاءِ..، (و) لَا يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ دَحاها: مُجَرَّدَ الْبَسْطِ؛ بَلْ يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُ بَسَطَهَا بَسْطًا مُهَيَّأً لِنَبَاتِ الْأَقْوَاتِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي بَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) (وبهذا) يَكُونَ مَعْنَى دَحَاهَا.. مَهَّدَهَا لِلسُّكْنَى، ثُمَّ فَسَّرَ التَّمْهِيدَ بِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ فِي تَأَتِّي سُكْنَاهَا مِنْ تَسْوِيَةِ أَمْرِ الْمَشَارِبِ وَالْمَآكِلِ وَإِمْكَانِ الْقَرَارِ عَلَيْهَا بِإِخْرَاجِ الْمَاءِ وَالْمَرْعَى وَإِرْسَاءِ الْجِبَالِ وَإِثْبَاتِهَا أَوْتَادًا لَهَا حَتَّى تَسْتَقِرَّ وَيُسْتَقَرَّ عَلَيْهَا..، وَالتَّقْدِيرُ: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا) حَالَ مَا (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)..، فَانْظُرْ كَيْفَ دَلَّ بِقَوْلِهِ: (ماءَها وَمَرْعاها) عَلَى جَمِيعِ مَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَرْضِ قُوتًا وَمَتَاعًا لِلْأَنَامِ مِنَ الْعُشْبِ وَالشَّجَرِ وَالْحَبِّ وَالثَّمَرِ..، ثُمَّ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ بِالْمَرْعَى كُلَّ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ قَوْلُهُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْآيَةِ: (مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ) وَاعْلَمْ.. أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا ذَكَرَ كَيْفِيَّةَ خَلْقِهِ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؛ لِيُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى كَوْنِهِ قَادِرًا عَلَى الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ"[١٥٢٧].

[١٥٢٤] أبو هاشم صالح بن عوّاد المغامسي؛ تأملات قرآنية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس (١\ ٢٥).

[١٥٢٥] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٣٠\ ٢٩).

[١٥٢٦] إبراهيم القطان؛ تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١٣\ ٤٠٥).

[١٥٢٧] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٣١\ ٤٢).

وإذن: كلمة (دَحَاهَا) تعبير تصويري جامع لكل أطوار خلق الأرض؛ يستحضر مشهد نعامة على وشك وضع البيض، ووجه الشبه هو التمهيد، والتمثيل يُجمل كل لوازم التمهيد؛ من تحول كتلة هباء منثور لتصبح كالبيضة مُستديرة ذات طبقات؛ وحتى سحق الجبال النارية بعوامل التعرية، وبسط الفُتات فوقها كالفراش ثَرًى لينًا؛ تمهيدًا لنشأة الحياة والوعي في الأرض.

وفي سياق بيان التقدير والاقتدار تُلَمِّح أغوار التمثيل لعوالم عاقلة كالأرض؛ فالنعامة لا تكتفي بإنتاج بيضة واحدة، وفي التعبير: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ الشورى: ٢٩؛ كلمة (فِيهِمَا) تثنية ولا تحتمل التأويل وتعني صريحًا وجود أجناس من الأحياء تدب على أسطح كواكبها في السماوات كما ندب نحن ومواشينا على سطح الأرض، ولا يمكن صرف كلمة (دَابَّةٍ) عن ظاهرها في الدلالة على كائنات ذات أعضاء للحركة سواء منها العاقل أو غير العاقل، ولا يُمكن صرفه إلى الملائكة لأنها من المعنويات؛ لا الحسيات كما الدواب، خاصة مع التمييز بينهما: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ النحل: ٤٩، قال ابن عاشور: "فِي السَّماواتِ (إذن) مَخْلُوقَاتٍ (عاقلة) غَيْرَ الْمَلَائِكَةِ"[١٥٢٨].

[١٥٢٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٤\١٦٨).

(ج) تمهيد الأرض للحياة:

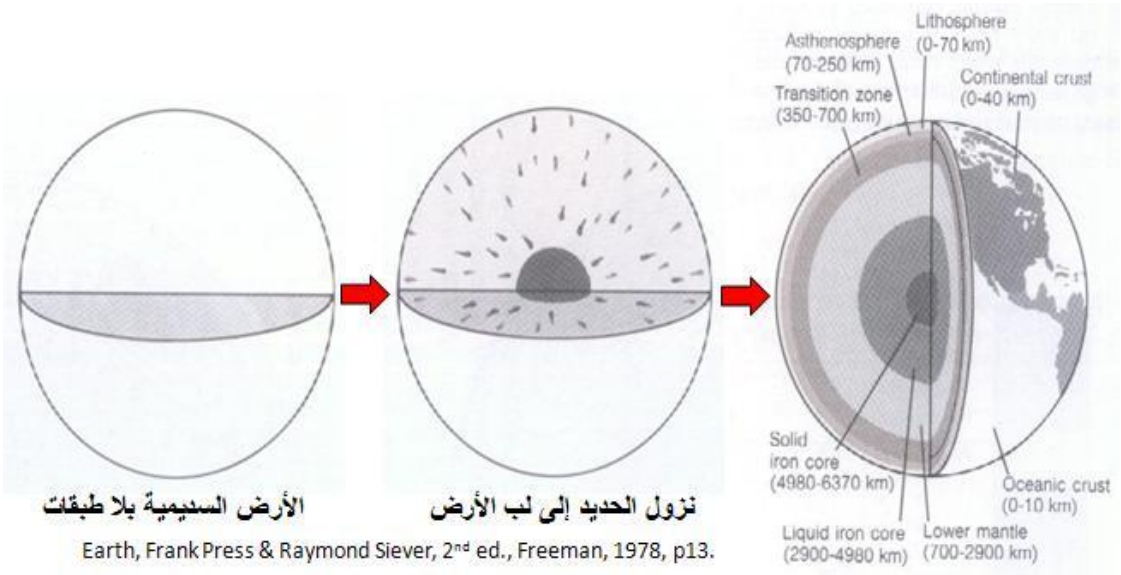

نشأة الأرض؛ كما يرويها الجيولوجيان فرانك بريس frank Press وريموند سييفر Raymond Siever في كتابهما: الأرض Earth؛ أنها كانت كتلة متجانسة بلا طبقات، ومع خروج المواد الأخف والماء خاصة باتجاه السطح ونزول المواد الأثقل؛ خاصةً الحديد ليكون مُعظم لب الأرض، نشأت الطبقات[١٥٢٩]، وقد أورد القرآن الكريم قصة الخلق بنفس الترتيب كما ترويه حقائق علوم الأرض في الوقت الحاضر، وجاء وصف تكون الماء كأحد الفصول خلال مراحل مقدرة الترتيب، قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ النازعات ٣٠-٣٢، وفي المُقابل نزل الحديد عند التكوين نحو اللب لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ الحديد ٢٥.

وقوله تعالى (أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا) تعبير بالمآل، ويعني أن كل ما يُنسب إليها اليوم من نباتات المراعي التي تتغذى عليها المواشي وكل ما يُنسب إليها من ماء بكل أشكاله قد خرج أساسًا منها عند بدء تشكلها، والمعلوم حاليا بالفعل أن الكوكب كان ملتهبا قبل أن تكون سطحه وأن بخار الماء الخارج مع الانبعاثات البركانية النشطة كان عالقًا بالجو الأولي ولم يتمكن من النزول حتى برد السطح فاستمر هطول الأمطار حقبًا حتى تكونت كافة أشكال المياه، ومَهَّدَ الماء لنشأة النبات الذي أطلق الأوكسجين بالجو وقلل من ثاني أكسيد الكربون فمكن لنشأة الحيوان والإنسان من بعد، وتُلاحظ في التعبير ترتيبا لمراحل تكون الحياة ابتداءً من الماء تلته نباتات المراعي الخضراء كمثال لكافة أشكال النبات.

قال ابن عاشور: "المرعى.. مصدر.. أُطلق على المفعول؛ كالخلق بمعنى المخلوق، أي أخرج منها ما يُرعى، والرعي حقيقته تناول الماشية الكلأ..، فالاقتصار على المرعى اكتفاء عن ذكر ما تُخرجه الأرض من الثمار والحبوب؛ لأن ذكر المرعى يدل على لطف الله بالعجماوات، فيعرف منه أن اللطف بالإنسان أحرى..، والقرينة على الاكتفاء قوله تعالى بعده: (متاعا لكم ولأنعامكم)"[١٥٣٠]، وقال سيد قطب: "وإرساء الجبال وهو نتيجة لاستقرار سطح الأرض ووصول درجة حرارته (المرتفعة ابتداءً) إلى هذا الاعتدال؛ الذي يسمح بالحياة، والله تعالى أخرج من الأرض ماءها، (يعني) سواء ما يتفجر من الينابيع أو ما ينزل من السماء فهو أصلاً من مائها الذي تبخر ثم نزل في صورة مطر، وأخرج من الأرض مرعاها؛ وهو النبات الذي يأكله الناس والأنعام وتعيش عليه الأحياء"[١٥٣١].

[١٥٢٩] Earth, Frank Press & Raymond Siever, 2nd ed., Freeman, 1978, p13 & 17.

[١٥٣٠] التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ (ج ١ / ص ٤٧١٧).

[١٥٣١] في ظلال القرآن لسيد قطب المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ (ج ٧ / ص ٤٤٦).

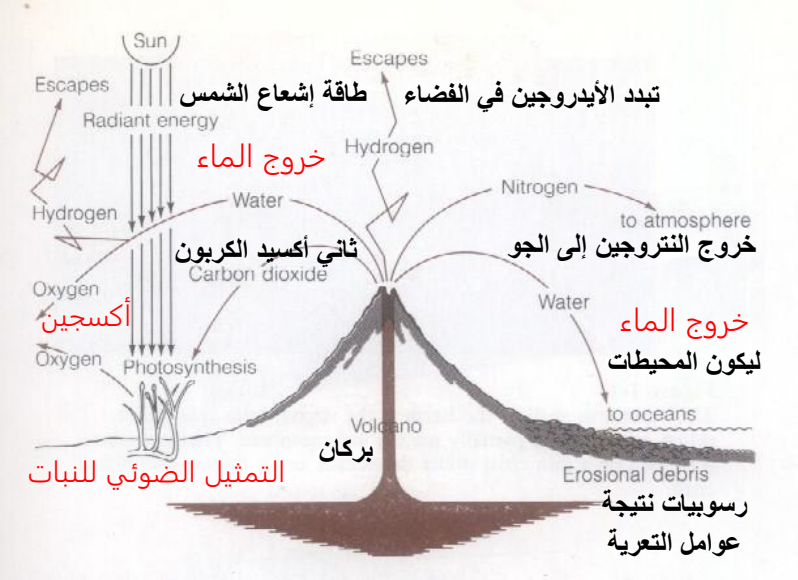

خروج الماء والغازات من البراكين الأولية العملاقة وتكون المحيطات والغلاف الجوي والرسوبيات والتمهيد للتمثيل الضوئي للنباتات.

Earth, frank Press & Raymond Siever, 2nd ed., Freeman, 1978, p 17.

وأصل المياه على سطح الأرض هو ما خرج من باطنها من مواد خفيفة عند نشأتها وخلال الثورات البركانية العنيفة عند نشأة سطحها[١٥٣٢]، قال الجيولوجي د. زغلول النجار: "الشواهد العديدة التي تجمعت لدي العلماء تؤكد أن كل ماء الأرض قد أُخرج أصلا من جوفها، ولا يزال خروجه مُستمرا من داخل الأرض عبر الثورات البركانية..، (و) بتحليل الأبخرة المتصاعدة من فوهات البراكين في أماكن مختلفة من الأرض اتضح أن بخار الماء تصل نسبته إلي أكثر من ٧٠% من مجموع تلك الغازات والأبخرة البركانية، بينما يتكون الباقي من أخلاط مُختلفة من الغازات..، (و) الصهارة الصخرية (إذن).. هي مصدر رئيسي للمياه الأرضية..، وقد ثبت أنها المصدر الرئيسي للغلاف المائي والغازي للأرض..، فقد أصبح من المقبُول عند عُلماء الأرض أن النشاط البُركاني الذي صاحب تكوين الغلاف الصخري للأرض في بدء خلقها هو المسئول عن تكون كل من غلافيها المائي والغازي"[١٥٣٣].

وإذا تقرر بالنص الصريح أن أصل ماء الأرض قد خرج أساسًا منها؛ فلا يرد إشكالا على بيان نزول الماء من السماء في جملة آيات لأنه يتعلق بوصف مرحلة تالية في تاريخ الأرض تتفق تمامًا مع المعرفة الحديثة بأن الماء الذي خرج منها لم يتمكن من النزول مطرًا حتى هبطت درجة حرارة السطح وتميزت معالمه؛ خاصةً أن حمل تعبير (السماء) على الغلاف الجوي يستقيم وفق القرائن، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ البقرة٢٢؛ قال ابن عاشور: "(والسماء بناء) بكون تلك الكرة الهوائية واقية للناس من إضرار طبقات فوقها..، فالكرة الهوائية جُعلت فوق هذا العالم فهي كالبناء له.. فشبهت به..، والمُراد بالسماء هنا إطلاقها العرفي عند العرب وهو ما يبدو للناظر كالقبة الزرقاء، وهو كرة الهواء المحيط بالأرض؛ كما هو المُراد في قوله تعالى: (أو كصيب من السماء)، وهذا هو المُراد الغالب..، وأما وجه شبه السماء بالبناء فهو أن الكرة الهوائية جعلها الله حاجزة..، فهي كالبناء فيما يُراد له البناء؛ وهو الوقاية من الأضرار النازلة..، وهذا كقوله تعالى..: (وجعلنا السماء سقفا محفوظا)"[١٥٣٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام ٩٩؛ قال: "(من) في قوله تعالى (من السماء) ابتدائية؛ لأن ماء المطر يتكون في طبقات الجو.. عند تصاعد البخار الأرضي إليها؛ فيصير البخار كثيفًا وهو السحاب، ثم يستحيل ماء، فالسماء (هنا).. الجو حيث تتكون الأمطار"[١٥٣٥]، وهكذا يعبر النظم عن الحقائق الخفية زمن التنزيل بعبارة لا تلفت عن غرض ولا يفوت مضمونها عند اكتشاف الحقائق.

١٥٣٢ **Earth, frank Press & Raymond Siever, 2nd ed., Freeman, 1978, p 17.**

١٥٣٣ الموقع الرسمي للدكتور زغلول النجار؛ والنص نقله عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَمَّاش في تفسيره: الحَاوى في تَفْسِيرِ القُرْآنِ الْكَرِيمِ، دَولَةُ الإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ (١٨٠٠ ٢٧٠).

١٥٣٤ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ (ج ١ / ص ١٩٣).

١٥٣٥ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ (ج ١ / ص ١٣٧٢).

(د) عوامل التعرية:

في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ ٧٩النازعات:٣٠، وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:٦؛ الحروف الأصلية في دحاها: (دَحَّ)، وفي طحاها: (طَحَّ)، وهما قريبا المخرج؛ وقالوا المعنى واحد، ولكن السياق مُختلف وتغيير الحروف يُوحي بفارق دلالي تُميزه القرائن؛ وإن كان مُؤدى كل منهما اكتمال تمهيد الأرض قبل مجيء الإنسان.

في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ٩١الشمس:١-٤؛ كل الضمائر في (ضُحَاهَا، تَلَاهَا، جَلَّاهَا، يَغْشَاهَا) عائدة إلى الشمس، والضحى وقت النشاط اليومي للإنسان، وضوء الشمس إذن هو محور الحديث، ولذا لا يمتنع حمل (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) في الإنارة؛ أي عكس ضوء الشمس نورًا؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ١٠يونس:٥، ولكن الفضاء ظلام يغشي كل الأجرام، فالضوء لا يرى إلا أن يعكسه شيء كالقمر أو العوالق بطبقة جو الأرض المُواجهة للشمس وقت النهار؛ كصريح النبأ: (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا)، والليل تمثيل لظلام يُغشي كل جرم؛ حتى الشمس مصدر الضياء؛ كصريح النبأ: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا).

وهذه الظواهر الضوئية قرينة على تكامل بناء الكون؛ تذكيرًا للإنسان بما هيأه الله تعالى له قبل مجيئه للعالم، وتنويهًا بأن المشيئة العلية التي قدرت وطلاقة القدرة التي أنجزت؛ لا يشُق عليها الإعادة وبعث الإنسان للحساب، وهو مُقتضى التعقيب: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا. وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ٩١الشمس:٥-١٠، كلمات يسيرة أوجزت كل فصول قصة الخليقة ومُهمة الإنسان، والإبهام في (مَا) دل على تعظيم ما صنع القدير؛ وبالضرورة عظمته تعالى بعودة كل ضمائر أحداث الخلق إليه، وجملة: (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا)؛ أوجزت وصف الكون بتمثيل السماء بالبناء العظيم المُتعدد الطوابق المُترابط الأركان، وإفراد لفظ (السَّمَاءِ) ناسب حالة تفرد Singularity عند بدء الخلق قبل أن تُشكله عناقيد النجوم لآفاق؛ سماوات طباق، وجملة: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)؛ تسويتها تكميل أدوات إدراكها وميلها الفطري للعبادة بيانًا للغرض الأخير من نشأة الوعي.

وفي سياق بيان أول فصل في قصة الخليقة؛ يستقيم بيان آخر فصل في تمهيد سطح الأرض قبل نشأة الإنسان، وفي سياق بيان تمهيد السطح مُقابل أول فصل؛ وردت كلمة (طَحَاهَا) في موضع بيان الفصل الأخير قبل نشأة الإنسان، وكأن البيان: (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا)؛ قد أوجز تاريخ الكون بذكر أول وآخر حدثين لتمهيد عالم اليوم.

وما كان السطح الصخري للأرض الذي تشكل بإلقاء البراكين الحمم عند نشأته يصلح كسكن للإنسان، لكن عوامل التعرية على مر السنين جعلته أشبه في الليونة بمهاد الصبي والفراش اللين أو البساط تحت قدمه؛ وبتمهيد سطح الأرض نشأت تربة صالحة للزراعة تغمرها البحار وتشقها الأنهار ولينة للمعيشة، ولو كانت كلها قمم جبال لاستحال العيش فوقها؛ ولما وُجدت البحار والأنهار، هذه صورة للسحق والهوي؛ خلاف صورة البناء والارتفاع.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠؛ يتعلق الحديث بكيانات تمت آخر أحداث إيجادها على النحو المُعاين حاليًّا، فالجبال اليوم قد نصبت فاتزنت الألواح القارية بعدما كانت تميد، ومَهَّدَت عوامل التعرية السطح الصخري بالثرى، ومثله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ٢٠طه:٦، فثرى الحمأ المسنون آخر حدث، ومثله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:٥و٦، فالنظم يتعلق ببيان اكتمال آخر حدث لخلق الكون، وهو تمهيد السطح الصخري ذو الجبال الرواسي الشامخة بسحق الصخور ونشأة تربة لينة صالحة للزراعة وشق المسالك، والسياق إذن جعل التمهيد بكلمة (طَحَاهَا) مُختص بنشأة التربة، بينما التمهيد بكلمة (دَحَاهَا) شامل لكل تاريخ الأرض.

ولا يستقيم النظم باستبدال كلمة (طَحَاهَا) بكلمة (دَحَاهَا)؛ فالسياق مُختلف وكذا البنية، ومُشتقات الحروف الأصلية (طَحَّ) وما في معناها؛ مدارها يوافق تعرية المُرتفعات الصخرية لتهبط تربة لينة مبسُوطة كالفراش، وكما استقام حمل (دَحَاهَا) على التصوير بما تصنع النعامة من تمهيد الأرض ووضع البيض لتنشأ حياة؛ كإجمال أعقبه تفصيل فصول البناء والارتفاع، يستقيم حمل (طَحَاهَا) على التصوير بما يصنع الإنسان من هرس الحصى بكعبه ليهوي تُرابًا ناعمًا.

قال الفراهيدي وكثيرين غيره: "الطَحَّ: أنْ يَضَعَ الرجلُ عَقِبَه (كعبه) على شيءٍ ثمَّ يَسْحَجُه (يسحقه) بها"[١٥٣٦]، وقال الصاحب بن عباد: "الطَّحُّ: أنْ يَضَعَ عَقِبَه على شَيْءٍ يُسَحِّجُه بها..، والطَّحْطَحَةُ: التَّفَرُّقُ وإهْلاكُ الشَّيْءِ..، (و) الحَتُّ: فَرْكُكَ الشَّيْءَ عن الثَّوْبِ، وحُتَاتُ كُلِّ شَيءٍ: ما تَحَاتَّ منه"[١٥٣٧]، وقال ابن القطاع: "وطحّه طحّا: بسطه فانطحّ"[١٥٣٨]، وفي تكملة المعاجم العربية: "طحَّ: سقط.. مثل طاح يطيح..، طَحَّة: معناها اللفظي سقوط..، طحل: حثالة، ثفل، راسب"[١٥٣٩]، وقال ابن فارس: "يُقَالُ: طَحْطَحَ بِهِمْ، إِذَا بَدَّدَهُمْ"[١٥٤٠]، وقال الأنباري: الطَّاحِي المُنضجع..، ويُقال: طحوْت الرَّجُل أَطحوه إذا صَرَعْتَه، ويُقال: ضربته حتَّى طَحَا؛ أَي انصرع..، يُقال للمُنخفض: مطحُو ومطحيّ، قال تعالى: (والأَرْضَ وما طَحَاهَا)"[١٥٤١].

وقال الهروي: "الطح: أن تسحج (تسحق) الشيء"[١٥٤٢]، وفي المعجم الوسيط: "(سحجه)..: عَضَّهُ فَأَثَّرَ فِيهِ"[١٥٤٣]، وقال ابن سيده: "سَحِيحٌ.. سَهْل، وأصلُ هَذِه الْكَلِمَة السُّهولة واللِّينُ"[١٥٤٤]، وفي معجم اللغة العربية: "سحَج (سحق) الشَّيءَ: براه، حكَّه، خدشه وقشره، سحَج العودَ بالمبرد، سحَجتِ الريحُ الأرضَ..، انسِحاج.. مصدر..: بلى الصخور بالاحتكاك..، سَحْج: مصدر..: تآكل الصخور بفعل الفُتَات الصخريّ الذي تحمله العوامل الطبيعيّة (للتعرية)؛ كالرِّيح والماء والجليد"[١٥٤٥].

[١٥٣٦] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن تميم الفراهيدي البصري؛ كتاب العين، تحقيق د مهدي المخزومي؛ د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (١٣ ١٨).

[١٥٣٧] إسماعيل أبو القاسم الطالقاني المشهور بالصاحب بن عباد؛ المحيط في اللغة، ترقيم الشاملة (١١ ١٥٦).

[١٥٣٨] أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القَطَّاع الصقلي؛ كتاب الأفعال، عالم الكتب، الطبعة الأولى؛ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م (١٣ ٢٦٤).

[١٥٣٩] رينهارت بيتر آن دُوزي؛ تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام بالعراق؛ من ١٩٧٩-٢٠٠٠م (١٧ ٢٥).

[١٥٤٠] أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (١٣ ٤٠٦).

[١٥٤١] أبو بكر محمد بن القاسم بن دعامة الأنباري؛ الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م (ص٣٩٤).

[١٥٤٢] أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)؛ تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت؛ ٢٠٠١م (١٣ ٢٦٧).

[١٥٤٣] مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة (١١ ٤١٩).

[١٥٤٤] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (١١ ٢٣٧).

[١٥٤٥] أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل؛ معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م (١٢ ١٠٤٠).

وإذن: مُقابل بناء ورفع السماء؛ التعبير التصويري (طَحَاهَا) يُفيد سحق وتَحَاتَّ وخفض وبسط المُرتفع وهو الجبال، وتنسجم تلك المعاني مع تأثير عوامل التعرية السطحية Sub aerial Erosion على مدى ملايين السنين؛ في تحويل مقذُوفات البراكين الأولية العملاقة التي كونت جبالاً ذات صخور نارية سوداء إلى حُتَات Debris ورواسب كونت التربة، وبهذا قد أجمل التعبير التصويري (طَحَاهَا) عدة أحداث جيولوجية بكلمة واحدة، جمعت معنى تفتيت الصخور ونقل الفُتات وترسيبه؛ وهو نفس التعريف العلمي لمُصطلح التعرية وفق ما ورد في الموسوعة العالمية: "التعرية أو النحت أو التَحَاتَّ.. تفتيت الصخور مع نقل هذا الفُتات وترسيبه..، وتمتد عملية التعرية.. على امتداد آلاف؛ بل ملايين السنين"[١٥٤٦].

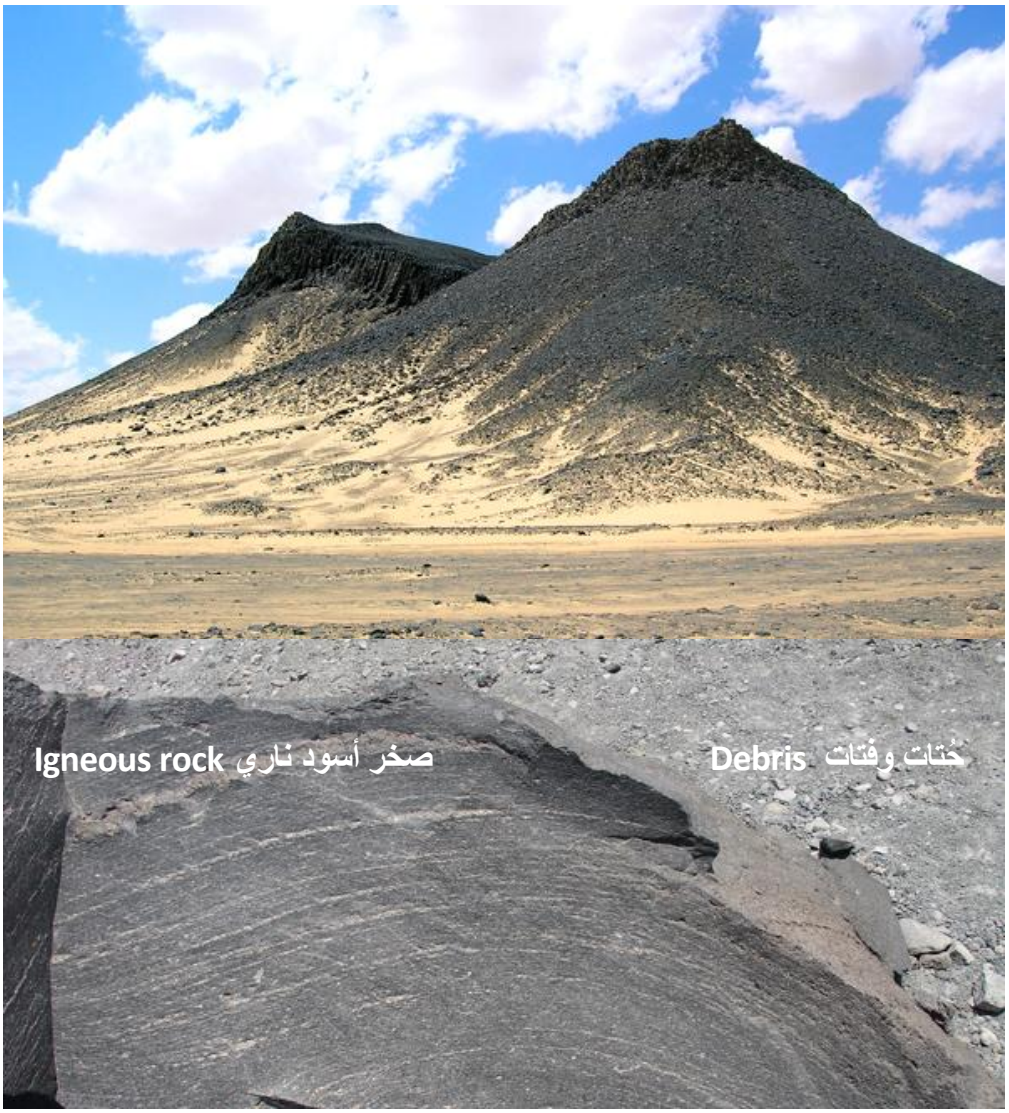

وفي قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ٥٥الرحمن:١٤، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ١٥الحجر:٢٦؛ قال الماوردي: "المسنُون: الذي يحك بعضه بعضًا؛ من قولهم سننت الحجر على الحجر إذا حككت أحدهما بالآخر (فيتحول لفُتَات)، ومنه سُمي المسَنّ لأن الحديد يُسن عليه؛ قاله الفراء"[١٥٤٧]، والصلصال طين مُلون؛ أشبه بالفخار المصنوع من طين أسود مطبوخ بالنار، وفي معنى الحمأ: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ١٨الكهف:٨٦، وفي قراءة حامية؛ أي وجدها في مرأى العين تغرب في مُحيط كأنه الأطلسي، حيث يُخبر تعالى أن قاعه ذو صدع عظيم يطرح حممًا تتحول بالبرودة لصخر أسود ناري Igneous rock، وبطحن الصخور النارية تتكون كتل رسوبية ومتحولة مُختلفة الألوان، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾

[١٥٤٦] الموسوعة العالمية ويكيبيديا العربية.

[١٥٤٧] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٣ ١٥٧).

٣٥فاطر:٢٧، قال الماوردي: "الغربيب: الشديد السواد؛ الذي لونه كلون الغراب..، المُراد بالغرابيب السُود.. الجبال السُود؛ قاله السدي"[١٥٤٨].

(٤) تاريخ الغلاف الجوي

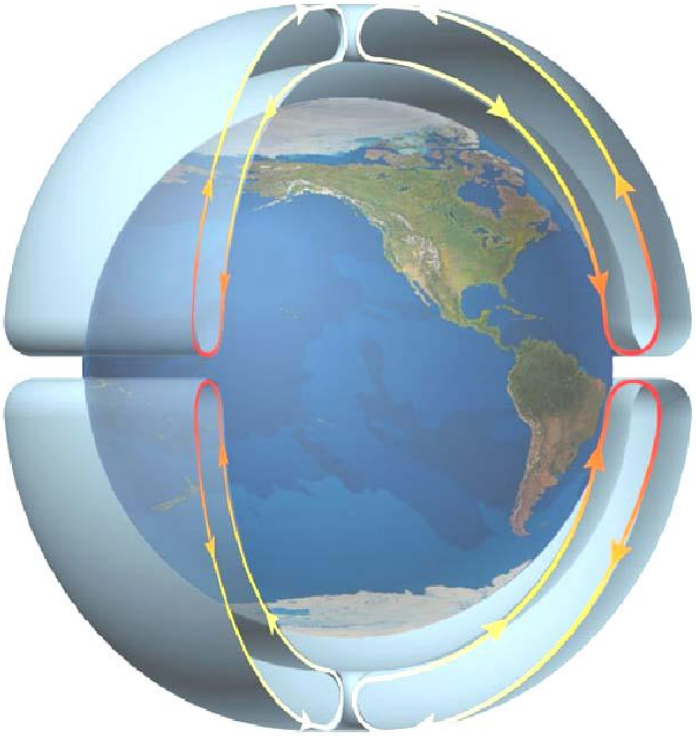

الدورة العامة للرياح حول الأرض.

(أ) حو السماء:

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ ١٦النحل:٧٩؛ ورد تعبير (جَوِّ السَّمَاءِ) بيانًا لموضع سباحة الطيور، ومعناه: الجو من السماء، فميز بين سماء محلية مُلاصقة للأرض سماها الجو وتختص بوجود هواء تسبح فيه الطيور؛ وسماء تعلوها تخلو من الهواء وتشمل كل فضاء الأجرام الفلكية، قال الطبري: "(فِي جَوِّ السَّمَاءِ) يَعْنِي: فِي هَوَاءِ السَّمَاءِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ"[١٥٤٩]، وقال القدومي: "يُنكر الله على الكفار تعاميهم عن آية عظيمة..، وهي آية طيران الطيور التي تُحلق في السماء وترتفع.. في الجو، ولولا حفظ الله لهذه الطيور لسقطت، ولكنها محفوظة لما أودعه الله سبحانه في هذه الطيور..؛ (و) في عناصر هذا الجو من خصائص"[١٥٥٠].

وكلمة (السَّمَاءُ) جمعًا وإفرادًا قد ترد في مقام التوجيه إلى النظر في العالم؛ أو بيان ما يبدو وفق الرؤية الظاهرية نحو: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ١٨الكهف:٨٦، وقد ترد كلمة (السَّمَاءُ) في مقام بيان ترتيب أحداث خلق كوكبنا لاحقةً بكلمة (الأَرْض) وتابعةً لها؛ لتنطبق على المنطقة بين الفضاء والأرض والمُميزة بوجود الهواء بحيث تسري تيارات الرياح في منظومات؛ وبهذا يُسخر السحاب لينتقل لأرض عطشى تنتظر المطر: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢البقرة:١٦٤، ولم يرد التعبير عن الجو بلفظ (بَيْنَهُمَا) إلا لاحقًا بالأرض في النظم تابعًا لها بترتيب الخلق؛ ليعني أن الغلاف الجوي ناشئًا منها تابعًا لها لاحقًا بها في سيرها: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ٢٥الفرقان:٥٩، والترتيب مؤكد في ٢٠ موضعًا بلا استثناء، وضمير: (بَيْنَهُمَا) عائد قطعًا على مثنى؛ وليس في النظم إلا رُكني العالم الحسي: (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)، قال الشعراوي: "{وَمَا بَيْنَهُمَآ} أي: من هواء..، وكانوا لا يعرفون ما نعرفه الآن..؛ ففي جَوِّ السماء: (أي) فيما بين السماء والأرض"[١٥٥١].

[١٥٤٨] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٤\ ٤٧٠).

[١٥٤٩] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٤\ ٣١٦).

[١٥٥٠] سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي؛ التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، دار الوضاح عمان الأردن؛ بترقيم الشاملة (ص١٥٩).

[١٥٥١] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (ص٢٩٢٧).

وفي مواضع يرد لفظ الأرض وحده بإجمال شاملاً الجسم الصلب للكوكب وغلافه الغازي والمغناطيسي المُحيطان به نحو: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ٦الأنعام:٧٣؛ قرينة على أن الجو من مُكونات الأرض، فالإنسان وإن كان على سطحها؛ فهو (فِي الأَرْضِ) في قاع مُحيط الهواء، باعتبار أن الغلاف الجوي فوقه تابع للأرض ومُلحق بها نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ الأعراف ٢٤و٢٥، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ٤٢الشورى:٣١.

(ب) السماء الدنيا:

في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى .الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ طه ٤-٦؛ لفظ (الْعُلَى) جمع العليا تأنيث (الأعلى) فأفاد وجود غيرها تماثلها في طبقية التكوين، وهو ما يتفق مع تشكل الفضاء لطبقات تميزها بروج الأجرام وتشكل الجو بالمثل إلى طبقات، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ الصافات ٦؛ لفظ (الدنيا) تأنيث (الأدنى)، وهو من (الدنو) بمعنى القرب، أو الدناءة والسفلية فتعني أنها الأسفل، ولذا يدل تعبير (السماء الدنيا) هنا على الطبقة الأسفل من آفاق الأجرام، فيصح حمل تعبير (السماء الدنيا) على الجو عند الإطلاق؛ وعلى الأفق الأدنى من آفاق الأجرام عند التخصيص بالكواكب.

وفي الغلاف الجوي تتوهَّج الشهب كالمصابيح كما في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ فصلت١٢، وهي تمثل خطراً على كل عابر لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ الملك:٥، وقد توصل المُحققون إلى أن الأجسام المُلتهبة التي شُبهت بالمصابيح ويُمكنها الإضرار بالعابرين لكونها نارية؛ ليست إلا الشهب وهي ظاهرة محلية تحدث في جو الأرض وتلوح كالسهام مُنقضة ومُضيئة كالمصابيح في ظلمة الليل، قال الشوكاني: "وَالْمَصَابِيحُ: جَمْعُ مِصْبَاحٍ وَهُوَ السِّرَاجُ..، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ٦٧الملك:٥، أَيْ: وَجَعَلْنَا الْمَصَابِيحَ رُجُومًا يُرْجَمُ بِهَا الشَّيَاطِينُ..، الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: (وَجَعَلْنَاها) رَاجِعٌ إِلَى الْمَصَابِيحِ.. أَيْ: شُهُبَهَا؛ وَهِيَ نَارُهَا..، لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ ٣٧الصافات:٦-١٠"[١٥٥٢]، "وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: يُرْمَوْنَ بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارِ الْهَوَاءِ؛ فَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهُ نَجْمٌ يَسْرِي"[١٥٥٣]، وقال الثعالبي: "ومعنى (السَّماءَ الدُّنْيا) أي: القريبةُ مِنَ الناسِ..، فهي.. تَلُوحُ فِيها..، فالسَّماء الدُّنْيَا مُزَيَّنَةٌ بها"[١٥٥٤]، والقول إذن بأن النجوم هي السماء الدنيا باعتبارها المصابيح وبقية السماوات غيب؛ يرده الأمر بالنظر في كل السماوات: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ١٠يونس:١٠١، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٧الأعراف:١٨٥.

[١٥٥٢] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٥ ٣١٠).

[١٥٥٣] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (٣ ١٥١).

[١٥٥٤] أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي بيروت؛ ١٤١٨هـ (٥ ٤٥٨).

قال الألوسي: "(وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ): أي يُرمون ويُرجمون مِنْ كُلِّ جانِبٍ من جوانب السماء؛ إذا قصدوا الصعود إليها..، (شِهابٌ) هو في الأصل الشُّعلة السَّاطعة من النار المُوقدة، والمُراد به العارض المعروف في الجو؛ الذي يُرى كأنه كوكب مُنقض من السماء، (ثاقِبٌ) مضيء كما قال الحسن وقتادة كأنه ثقب الجو بضوئه..، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد؛ الثاقب: المُتوقد..، وأخرج عن السدي؛ الثاقب: المُحرق، وليست الشهب نفس الكواكب التي زُينت بها السماء، فإنها لا تنقض وإلا لانتقصت زينة السماء؛ بل لم تبق، على أن المُنقض.. يُرمي به الخاطف فيُرى لسرعة الحركة كرمح من نار..، (ولو كانت هي الكواكب) فيلزم أن تكون الأرض اليوم مغشية بإجرام الكواكب، والمُشاهدة تكذب ذلك؛ بل لم نسمع بوقوع جرم كوكب أصلا..، (ولكن) الشهب تصل إلى محل قريب من الأرض..، (يعني) إذا وصل (الشهاب) إلى محل مخصوص من الجو.. يشتعل..، (لأنه) يقبل.. الإحراق في الهواء..، و(هذا) لا ينافي.. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ٦٧الملك:٥..، (لأن) الشهب شُعل نارية..، (ولذا) قيل: يجوز أن تكون المصابيح هي الشهب؛ وهي غير الكواكب..، وقيل: يجوز أن يراد بالسماء جهة العلو، وهي مزينة بالمصابيح.. (أي) الشهب كما هي مزينة بالكواكب..، وقد يُقال: إن في السماء كواكب صغارا جدا غير مرئية ولو بالأرصاد لغاية الصغر وهي التي يُرمي بها أنفسها"[١٥٥٥]، و"إطلاق الرجوم على النجوم وقولهم: رُمِيَ بالنجم؛ يحتمل أن يكون مبينا على الظاهر للرائي، كما في قوله تعالى في الشمس: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ١٨الكهف:٨٦..، إن هذه الشهب ليست هي الثوابت..؛ وإلا ظهر نقصان كثير في أعدادها..، بل هي جنس آخر غيرها يحدثها الله تعالى ويجعلها رجومًا للشياطين، ولا يأباه قوله تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ).. حيث أفاد أن تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها، لأنا نقول: كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض..، والشهاب من هذا القسم وحينئذ يزول الإشكال"[١٥٥٦].

وبخلاف عناقيد النجوم المُمكنة الرؤية والتي ميزت فضاء الكون إلى آفاق وسموات متزايدة في العلو طباق؛ الطبقات الجوية لا تُمَيَّزها العين، فساغ عودة ضمير الجمع المؤنث (فَسَوّاهُنّ) على غير مذكور سابق في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) البقرة:٢٩، ومثله ضمير (فَقَضَاهُنّ) في قوله تعالى: (فَقَضَاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) ٤١فصلت:١٢؛ عائد أيضًا على غير مذكور سابق، واللائق في مقام خلق الأرض مجاراة الترتيب بحمل السماء بالجمع على طبقات الجو بعد التسوية؛ وبالإفراد على الدخان.

قال الماوردي أنه: "الدخان الذي جعله الله للأرض سماء"[١٥٥٧]، وقال ابن كثير: "قَالَ مُجَاهِدٌ.. لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ ثَارَ مِنْهَا دُخَانٌ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ}"[١٥٥٨]، وكأنهم رحمهم الله تعالى قد فسروا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٢البقرة:٢٩، بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ٤١فصلت:١١و١٢، وكليهما بعد اكتمال خلق الأرض، وبهذا تُحفظ للأداة (ثم) دلالتها على ترتيب الأحداث؛ وبالتمييز بين السماء السابقة للأرض في النَّظم والتي تلحق بها؛ يُزول نهائيًّا إشكال أسبقية تكوين الأرض أم السماء؟، قال ابن عاشور: "والسماء إن أُريد بها الجو المُحيط بالكرة الأرضية؛ فهو تابع لها (في النظم) مُتأخر عن خلقها، وإن أُريد بها (آفاق السَّمَاوَات العُلَى فهي).. أعظم من الأرض فتكون أسبق خلقًا"[١٥٥٩]؛ وبهذا التمييز يتجلى الإنباء بالغيب.

وينبغي إذن تمييز دلالة لفظ السماوات تبعًا للسياق؛ بين السماوات الكونية وبين طبقات الجو حيث الهواء والسحاب المسخر بين السماء والأرض، أي جو السماء والمُشكل طبقات بحيث يستقيم وصفه بالجمع سماوات، وكذلك بين سماوات المعراج وهي غيب لا مجال للخوض فيه؛ إذ الأسلم في الغيبيات هو التفويض لعلام الغيوب، وبين سموات الكون المأمور بالنظر إليها للاعتبار بآياتها وتبين صدق الإنباء بالغيب: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ٧الأعراف:١٨٥.

[١٥٥٥] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٢\ ٦٩).

[١٥٥٦] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧\ ٢٧٢).

[١٥٥٧] تفسير الماوردي (ج١ص٩٢).

[١٥٥٨] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ (١١\ ٢١٤).

[١٥٥٩] تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١ص٣٨٤).

(ب) نشأة الغلاف الجوي:

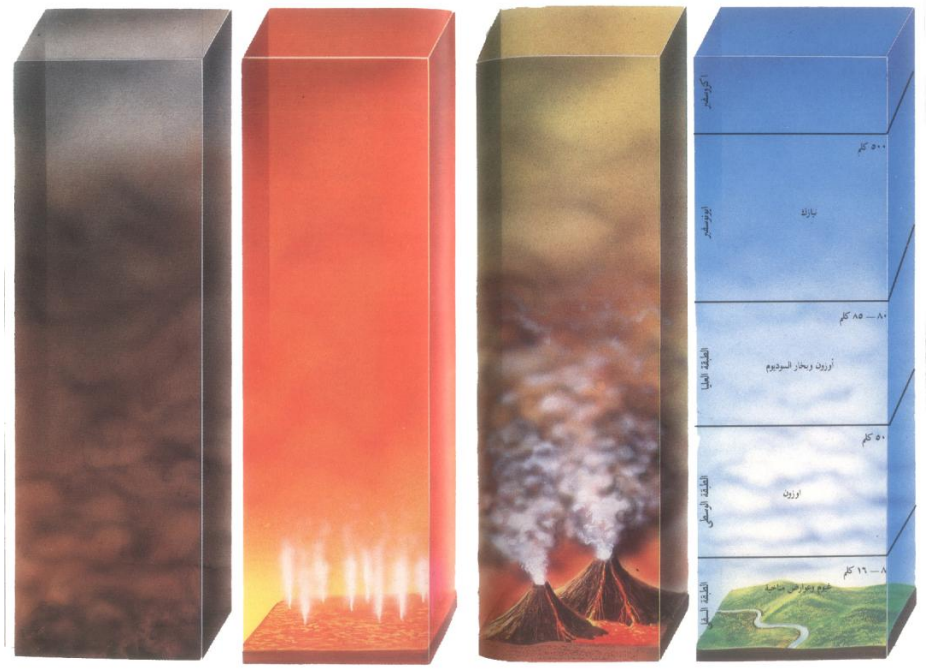

نشأ الغلاف الجوي من الدخان المُنبعث من البراكين العملاقة للأرض الأولية أثناء تكون غلافها الصخري (الموسوعة العالمية العربية المصورة مجلد١٨ ص٣٢٧٥).

البيان التصويري: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢؛ يكشف تاريخ الأرض، والقصد مُباشرة بعد تكوين الأرض بغير السطح الصخري؛ إلى تشكيل السماء المحلية يعكس التقدير بقصد منذ البدء لتهيئة الظروف لنشأة الوعي في الأرض، ويعنى التهاب الأرض وإصدارها دخانًا نشأ منه الجو خلال نشأة السطح.

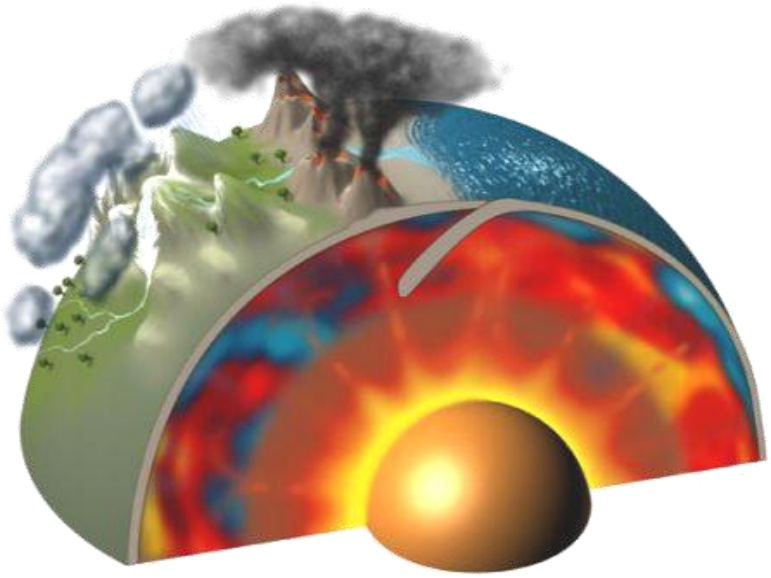

وقد ذهب الأعلام إلى أن السماء التي تشكلت طبقات بعد تشكيل الأرض ليست كل ما يعلُوها من الكون، وإنما جو الأرض كان دخانًا خرج منها عند تكونها فتشكل طبقات؛ يعني في آخر يومين من الأربعة، وجملة: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)؛ اعتراضية أفادت أن خلق الأرض قد تم في أربعة أيام من الستة أيام لخلق الكون، في نفس فترة تكوين طبقات الجو؛ الأرض إذن كانت نارية مُلتهبة، وما زال باطنها يمُور في دوامات حمم هائلة تحمينا منها قشرة رقيقة: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ٦٧الملك:١٦.

والنبأ يكشف أن السماء اللاحقة بالأرض والتابعة لها في الحركة كانت دخانًا؛ بعد نشأة كل الطبقات الداخلية للأرض، والقرينة: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا)؛ وهو صريح في أن السطح الصخري قد تشكل بعد خلق الأرض الأولية، ويعني أنها كانت كتلة نارية مُلتهبة؛ بقرينة ما أصدرته من دخان كون السماء المحلية الأولية؛ قبل تشكلها إلى سماوات.

والإتيان لازمه الحركة؛ وهي تعود على الأرض والجو المحيط، والتعبير (ائْتِيَا) و(أَتَيْنَا) يعنى ملازمة الحركة أي معًا، وتوجيه الأمر لهما معًا يفيد عدم التلازم إلى أن صدر هذا الأمر؛ مما يتفق مع المعرفة حديثًا بتبدد الجو الأولي خلفها، ففي التمثيل أن هذا الدخان كان يتبدد ولا يرافق الأرض في سيرها حتى استقر وتحول لطبقات وأصبح كالسقف المحفوظ من التبدد وليس حافظًا فحسب؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ١٧الإسراء:١٢: وجه التفسير بأن القمر كان جسمًا مُلتهبًا كالشمس أثناء تكوينه معها؛ يؤيد التهاب الأرض أثناء فترة تكوين الشمس والقمر، قال القرطبي: "(فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ).. لَمْ يَقُلْ: فَمَحَوْنَا اللَّيْلَ؛ فَلَمَّا أَضَافَ الْآيَةَ إِلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْآيَتَيْنِ المذكورتين لهما لا هما..، و(فَمَحَوْنا) مَعْنَاهُ طَمَسْنَا..، (أي أن) الْقَمَرِ.. كَانَ كَالشَّمْسِ..، (يعني) هُوَ يَوْمئِذٍ شَمْسٌ (عند تكوينه)؛ فَطَمَسَ ضَوْءَهُ وَبَقِيَ نُورُهُ..، (وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً) أَيْ جَعَلْنَا شَمْسَهُ مُضِيئَةً لِلْأَبْصَارِ"[١٥٦٠]، وقال القنوجي: "(فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ) أي طمسنا نورها، وقد كان القمر كالشمس..، (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي مبصراً فيها..، وقيل آية النهار الشمس، كما أن آية الليل القمر، فمعنى وجعلنا آية النهار مبصرة، أي جعلنا شمس النهار مُضيئة تُبصر بها الأشياء رؤية بينة"[١٥٦١]، وقال أحمد حطيبة: "{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} الإسراء:١٢، فالله جعل الليل آية؛ وجعل النهار آية، وجعل آية النهار الشمس ترونها؛ وجعل آية الليل القمر، قال: {فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ} الإسراء:١٢؛ يعني محا من القمر نوره، وعلماء الفلك يقولون: كان القمر يومًا من الأيام مُشتعلاً مُتوهجاً كالشمس، قالوا ذلك الآن؛ وقالها قبلهم ابن عباس قبل ألف وأربعمائة سنة، قال ذلك مفسراً هذه الآية؛ يقول: كان القمر مُضيئاً كالشمس، فمحا الله عز وجل النور الذي كان فيه، قال الله: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً}؛ بينة مُضيئة يراها كل ذي عينين"[١٥٦٢].

[١٥٦٠] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٠\ ٢٢٧).

[١٥٦١] أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي؛ فتحُ البيان في مقاصد القرآن، راجعه عَبد الله الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة صَيدَا بَيروت؛ ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م (٧\ ٣٦٢).

[١٥٦٢] أحمد حطيبة؛ تفسير أحمد حطيبة، دروس مفرغة نشرها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس، والصفحات ترقيم موقع المكتبة الشاملة (٣١\١١٩).

وفي النبأ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٢البقرة:٢٩؛ تأكيد لتاريخ كوكب الأرض، وما كان يتبعه من سماء محلية أولية؛ تشكلت إلى طبقات بعد تشكل جميع طبقاته الداخلية، ويتضمن الدلالة على أن الطبقة السطحية المُتبقية ليكتمل كوكب الأرض؛ قد تشكلت في نفس فترة تشكيل طبقات الجو.

وفي بيان تاريخ الأرض والجو تمهيدًا لنشأة الإنسان وتأكيدًا لسبق التقدير وبالغ الاقتدار على البعث للحساب؛ يبلغ التمثيل الإخبار عن الأرض والسماء التي كانت دخانًا كأنهما عاقلين يستجيبا طائعين، تعريضًا بالمُكابرين عن البراهين، وفي التفسير الوسيط: "قوله تعالى: {ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا}.. تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما عن ذلك لا إثبات الطوع والكره لهما، وقيل..: {أَتَيْنَا طَائِعِينَ}.. إنما هذا كناية عن الطاعة والإذعان والامتثال؛ وهو الظاهر، وقال سبحانه: {طَائِعِينَ} بجمع المُذكر العاقل، ولم يقل: طائعتين على اللفظ ولا طائعات على المعنى..؛ وذلك من صفات من يعقل أجراهما مجرى العقلاء في التعبير عنهما، ومثله قوله تعالى..: {رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}؛ مع أن الضمير في {رَأَيْتُهُمْ} ضمير جماعة العقلاء، وقد عاد إلى الشمس والقمر والكواكب وهي غير عاقلة، {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} أي: ما تقدم من خلق الأرض.. وخلق السماء.. هو صنع العظيم القدرة الكامل العلم، وما أحسن هذه الخاتمة وهذا التذييل لتلك الآيات فهذه الأعمال العظيمة لا تحصل ولا تتم إلا بقدرة كاملة وعلم محيط"[١٥٦٣].

(ج) طبقات الغلاف الجوي:

العدد	اسم النطاق أو الطبقة	الارتفاع (فوق مستوى سطح البحر)	الخصائص
١	الطبقة المناخية Troposphere (نطاق التغيرات الجوية)	من ٦ كم عند القطبين إلى ١٨ كم عند خط الاستواء.	يحوي ٨٥ % من كتلة الجو، ويقل الضغط بالارتفاع وكذلك درجة الحرارة لتبلغ ٦٠ درجة مئوية تحت الصفر عند قمته، ويختص بالرياح والسحب.
٢و٣	الطبقة فوق المناخية Stratosphere تتخللها طبقة الأوزون Ozone Layer	٥٠ كم، وتتخللها طبقة الأوزون على ارتفاع بين ٢٠ و٣٠ كم.	تقوم طبقة الأوزون بحجب نسبة كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وينخفض الضغط الجوي حتى يصل إلى ٠.٠١ ضغط جوي عند قمة النطق.
٤	النطق المتوسط Mesosphere	٥٠ – ٨٥ كم	يشارك في الحماية من النيازك، ودرجة الحرارة أعلاه حوالي ٩٠ درجة مئوية تحت الصفر.
٥و٦	النطق الحراري Thermosphere يتخلله نطق التأين Ionosphere	يبلغ ارتفاع أكثر من ٥٠٠ كم، ونطق التأين حوالي ٤٠٠ كم.	ترتفع أعلاه درجة الحرارة، وتحدث فيه ظاهرة الشفق القطبي، ودوره مهم في الاتصالات اللاسلكية لأنه يعكس موجات الراديو، ويعقبه النطاق الخارجي Exosphere الذي يصل لأكثر من ١٠٠٠ كم؛ لكن الهواء يكاد يكون منعدما لدرجة أن تنطلق ذرة غازية عند أسفله نحو ١٠ كم قبل أن تصطدم بذرة غازية أخرى؛ ويتزايد التخلخل إلى أن يتصل بالفضاء الخارجي (*).
٧	نطاق الغلاف المغناطيسي Magnetosphere	يمتد لحوالي ٥٠ ألف كم، وارتفاع الحزام الداخلي حوالي ٢٠٠٠ كم.	يقوم بدور الحماية من الرياح الشمسية الخطيرة.

(*) موسوعة ويكيبيديا العالمية والشبكة الدولية.

الطبقات الوظيفية للغلاف الجوي: أربع طبقات رئيسة يتخللها طبقتين فرعيتين؛ بالإضافة إلى الغلاف المغناطيسي.

في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٢البقرة:٢٩، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٤١فصلت:١١و١٢؛ تم تحويل الدخان إلى سبع طبقات، قال الألوسي: "معنى سواهن أتمهن"[١٥٦٤]، وبالفعل تصنيف طبقات الجو سبع سماوات؛ يتفق مع التصنيف العلمي الحديث تبعًا للوظيفة التي تقوم بها كل طبقة.

[١٥٦٣] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٨ ٦٨٠).

[١٥٦٤] أبو المعالي محمود شكري الألوسي؛ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي لبنان، الطبعة الثانية؛ ١٣٩١هـ- ١٩٧١م (ص٢٤).

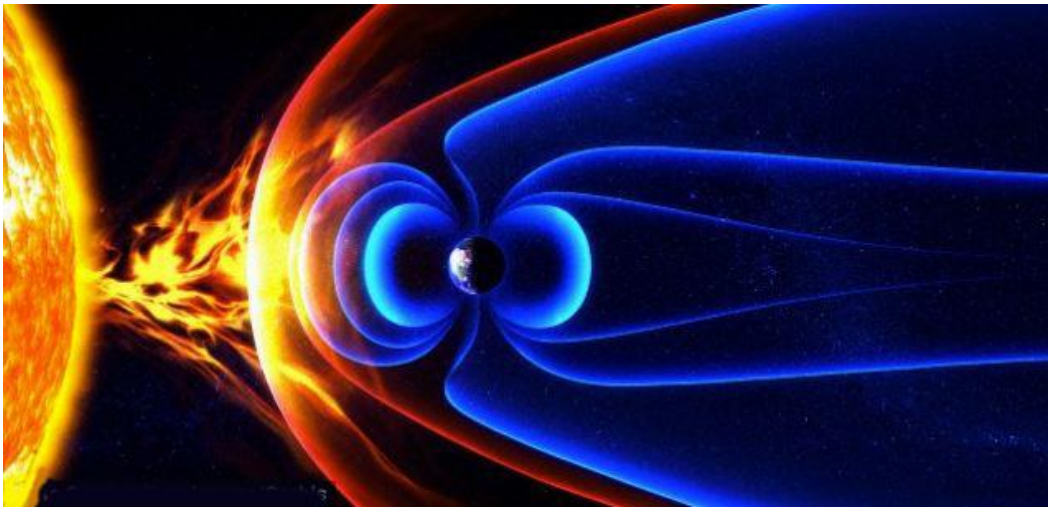

ينتظم الغلاف المغناطيسي في صفين كبار من القوى كالجنود مُعقبات من الأمام والخلف
يحفظون الإنسان على سطح الأرض ليل نهار من خطر الرياح الشمسية القاتلة بلا علم منه.

والنبأ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ٦٥الطلاق:١٢، أي: الله الذي خلق سبع سماوات عُلَى؛ وخلق من الأرض سبع سماوات مثلهن، فالأرض مخلوقة مع السماوات العُلى؛ وأتبعها ما خُلق منها: سبع سماوات، والضمير في: (مِثْلَهُنَّ)؛ عائد قطعًا على جمع مؤنث، وليس في النظم إلا: (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)؛ وتُطابق آفاق الطبقات الكونية من تجمعات النجوم إلى آخر ما يُمكن مُشاهدته؛ فالمثلية لطبقية كيان في العلاء دونها؛ وليس إلا طبقات الغلاف الجوي، فالجو بالمثل طبقات أو سماوات يتميز كل منها بوظيفة نافعة للإنسان وكافة الأحياء على سطح الأرض، وتُزينه الشُّهب كالمصابيح، وتُسمى ظاهريا بخلاف الحقيقة بالنجوم الساقطة، وتُهدد برجم كل هارب خارج أسوار جاذبية الأرض، والشفق القُطبي مظهر خلاب كذلك في الغلاف الجوى؛ وهو في الحقيقة يعكس دور الغلاف المغناطيسي في دفع خطر الرياح الشمسية القاتلة عن الإنسان وكل كائن حي، وينتظم في صفين كبار؛ حشود جنود مُعقبات يحفظونه بلا علم منه.

يقول العلي القدير: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٣٣، وباتساع دلالة لفظ السماوات؛ لتشمل طبقات الجو طبقًا لقرائن السياق؛ لم يعُد معنى النص مقصورًا على التعجيز عن بلوغ الإنسان فضاء الكون إذا امتلك التقنيات اللازمة وأمكنه التحكم والسيطرة بالتغلب على العقبات، والقرينة هي اقتران أقطار السماوات بأقطار الأرض على ضآلتها بجانب السماوات العُلَى؛ وأقطار الكرة الأرضية يعني جوانبها ونواحيها؛ والنفاذ يعني الولوج لمستوى أعلى خارج مستوى طبقات الجو، وشواظ النار الأشبه في دنيا العرب بلهب النحاس الذائب من شدة الحرارة هو أقرب مثال لمخاطر الشُّهب نتيجة الاحتكاك بالهواء عند محاولة النفاذ بغير استعداد كافي: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ ٥٥الرحمن:٣٥، وليس مُستبعدًا أن يكون للأرض أشباه لا تُحصى بالكون؛ مأهولة ومحجوبة ومُحاطة بطبقات جوية تلتهب فيها الشهب كذلك.

وهكذا تتكامل الأنباء المُتعلقة بالخلق؛ وكل الأحداث مُرتبة بنفس الترتيب الذي كشفه العلم حديثًا بعد عصر الوحي بأكثر من عشرة قرون، وما أجمله موضع فَصَّلَهُ آخر؛ مما يدفع أي احتمال أن يكون القرآن الكريم صناعةً بشرية.

(٥) مغزى النبأ

التلميح بأن الخليقة عن تصميم لا تصنعه صُدفة؛ وإنما خبير قدير يعلم بما خلق فأوحى به دليلاً يُنير سبيل الحائرين، والتلويح بإعادته تعالى ما قد صنع بغير سابق مثال؛ ليُتم نعمته على المُوقنين ويجازي المُعرضين عن البراهين.

وفي الأخير يرد السُّؤال: من أوجد الآخر؛ البيضة أم الكتكوت؟ لكنه لا يخدع فطين؛ فكليهما يصيح بكلام فصيح شاهدًا بتوجيه رشيد، وتكرُّر نفس التقدير في كل الطيور ينطق بوحدانية القدير، وأمام حيرة المخدوعين يقف كتكوت مُتحديًا مَن غفل عن قدرة العلي وزعم أنها الصدفة؛ لكنها لا تتكرر بانتظام، وهل يسأل فطين: أهي حنكة الثوب؛ أم حكمة الحائك!.

ولو أن أحدهم كتب كتابًا ثم طال به العمر ليكتب آخر؛ لاختلف طابع الكتابة، ويزيد الاختلاف باشتراك جملة مؤلفين، لكن القرآن يَتَّسِم دون كل ما يُنسب سواه للوحي بوحدة الطابع والتكامل بلا تعارض؛ رغم تنويع الأسلوب والأحداث الجسام وطول أمد التنزيل، وتؤكد تثنية النبأ مع الإصرار على المضمون في وصف خفايا التكوين؛ وحدانية العليم وحده تعالى بكل ما خلق، وللمُتأمل إذن أن ينهل من المضامين واثقًا من صدق النبأ؛ تقوده القرائن ووحدة الموضوع المُتنوع البيان المُتصل الوشائج، وفي النبأ: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ النازعات:٢٧-٣٣؛ فصول قصة الخليقة بترتيب لم يكن يعلم به زمن الوحي بشر، يقول العلي القدير: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ١٨٥الأعراف:.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم}؛ {وأَغْطَشَ لَيْلَها وأَخْرَجَ ضُحاها} معناه أظلم ليلها..، وفي قوله: (وأخرج ضُحاها) وجهان؛ أحدهما: أضاء نهارها، وأضاف الليل والضحى إلى السماء؛ لأن منهما الظلمة والضياء، الثاني: قال ابن عباس أن أخرج ضحاها: الشمس، {والأرضَ بَعْد ذلك دَحاها}، في قوله (بَعْد) وجهان؛ أحدهما: مع؛ وتقدير الكلام: والأرض مع ذلك دحاها، لأنها مخلوقة قبل السماء؛ قاله ابن عباس ومجاهد، الثاني: أن (بعد) مستعملة على حقيقتها؛ لأنه خلق الأرض قبل السماء ثم دحاها بعد السماء؛ قاله ابن عمر وعكرمة، وفي (دحاها) ثلاثة أوجه؛ أحدها: بسطها؛ قاله ابن عباس..، قال عطاء: من مكة دحيت الأرض، وقال عبد الله بن عمر: من موضع الكعبة دحيت، الثاني: حرثها وشقها؛ قاله ابن زيد، الثالث: سوّاها..، إن قيل: كيف ذكر هاهنا أنه خلق ما في الأرض قبل السماء؛ وقد قال: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}؛ معلوم أن ما في الأرض محال وجوده قبل وجودها؟، قيل: قد ذكر في هذا جوابان؛ أحدهما: أنه تعالى خلق جوهر الأرض ثم دحاها وبسطها بعد خلق السماء، والثاني: أنه خلق السماء بعد خلق الأرض ووجودها، وإنما وقعت الشبهة من قوله: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}، لأن بعض الناس تصور له من جهة القرآن قوله: (بعد ذلك) ظرف لقوله: (دَحَاهَا)، واعتبر في (بعد) الزمان وليس كذلك، فإن تقدير الآية: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ}، ثم قال: {دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا}؛ كقوله: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ} ثم قال: {بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا}، وليس "بناها" وصفاً للسماء؛ بل تقديره: (أم السماء أشد خلقاً)، ثم استؤنف فقيل: بناها؛ تنبيهاً أن من قدر على ذلك فهو على إعادتكم قادر، ثم قال: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ} أي الأرض بعد السماء أشد خلقاً من إعادة خلقكم، وذلك لأن السماء بما فيها من عجائب الصنعة أعظم خلقاً من الأرض، ثم الأرض أعظم من الإنسان، وليس يُريد بقوله بعد التوقيت؛ وإنما يريد الترتيب في الشرف والرفعة، فإن قيل: ولم نَصَبَ الأرض ولم يرفعها كما رفع السماء؟ قيل: لأن القول استخبار، وقوله: "والأرض" ليس بداخل في الاستخبار، لأنه لو كان استخباراً لقال: أم الأرض، لكنه استأنفه، فأضمر له فعلاً نحو: {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ}، ذلك الفعل ما دل عليه (أنتم أشد) من التعرف، وقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} فالاستواء وإن كان في الأصل للإقبال الدال على الانتقال، فقد يُراد به التوفر على إصلاح الشيء؛ وهو المُراد هاهنا، وعلى ذلك الإتيان في نحو قوله: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}، ويكون اللفظ متجوزاً به هاهنا، قال بعضهم: معناه: استولى، وقال الحسن: أقبل على خلقه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: استوي أمره عليه، وقيل معنى: (سَوَّاهُنَّ) أي تحرى السواء، أي العدالة وذلك لما جعل فيها من التركيب المتعادل المشار إليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بالعدل قامت السماوات"، إن قيل: لم ذكر السماء ثم قال: (فَسَوَاهُنَّ)؟؛ قيل: لما عنى بالسماء السموات؛ رد الضمير إلى المعنى، ومجاز ذلك أن الأسماء على ضربين: اسم موضوع لأجزاء الرجل والمرأة متشابهة، نحو: الدم واللحم والماء والأرض، واسم موضوع لأجزاء غير متشابهة، نحو: اليد والرجل، فما كان من الأول؛ فإنه يقع على بعضه اسم كله، فلا فرق بين أن يذكر بلفظ واحد أو بلفظ الجمع، والسماء من هذا الباب، لأنه يقال لأقطاع اللحم: لحم، ولكل قطعة منها منفصلة كانت أو متصلة: لحم، كذلك السماء"[١٥٦٥].

[١٥٦٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ١٩٨).

وفي تفسير مجمع البحوث: "(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ)؛ المفردات: (رَفَعَ سَمْكَهَا) السَّمْكُ: العلو والارتفاع، يُقال: سَمَكْتُ الشيءَ: رفعتُه في السماءِ، وبناءٌ مَسْموكٌ: عال مرتفع، (فَسَوَّاهَا): جعلها ملساءَ مستوية،(وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا): أي: أَظلمه، يقال: غطش اللَّيل من باب ضرب، وأَغطش: صار مظلما وأظلمه الله، (دَحَاهَا): بسطها ومدَّها من الدحو أَو الدحي يعني البسط، التفسير: (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا): الاستفهام للتقريع والتوبيخ لأَهل مكة المنكرين للبعث بناءً على صعوبته في زعمهم، أَي: أَخَلْقُكُمْ بعد موتكم أَشق وأَصعب أَم خلق السماءِ على عظمها؛ وانطوائها على الأَعاجيب والبدائع التي يحار العقل في إدراك كنهها؟! (بَنَاهَا): ضم أَجزائها المتفرقة بعضها لبعض بعد أَن خلقها بقدرته مع ربطها بما يمسكها حتى تكون بنية واحدة، وهكذا صنع سبحانه بالكواكب، ووضع كلا على نسبة من الآخر مع ما يمسكه في مداره؛ (فكان) منها عالم واحد في النظر سمى باسم واحد؛ وهو السماء التي تعلونا..، (رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا) بيان للبناءِ، أَي: رفع جرمها وأَعلى قبتها وجعل مقدار ارتفاعها من الأَرض وذهابها إلى جهة العلو مديدًا رفيعًا، قال ابن كثير: أَي: جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأَرجاء؛ مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء، (فَسَوَّاهَا) بوضع كل جرم في موضعه حسبما اقتضته الحكمة، وقيل: فسواها بجعلها ملساء مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا): أَي جعل الله ليلها مظلمًا؛ لأَنه يُقال: أَغطش الليل كما يُقال: أَظلم، ونسبة الليل إلى السماء لأَنه يكون بمغيب كوكبها وهو الشمس، (وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) أَي: وأَبرز نهارها، والضحى في الأَصل على ما يُفهم من كلام الراغب: انبساط الشمس وامتداد النهار، ثم سمي به الوقت المعروف، وشاع في ذلك وتجوز به عن النهار بقرينة المُقابلة بالليل..، وإضافة الضحى إلى السماء لأَنه يحدث بسبب طلوع الشمس، (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا): أَي: بعد تسوية السماء.. وإغطاش اللَّيل وإخراج النهار، (دَحَاهَا) أَي: بسطها ومهدها لسكنى أَهلها وتقلبهم في أَقطارها..، وقيل: دحاها: سواها، والأَكثرون على الأول، والظاهر أَن دحوها بعد خلقها، وقيل: معه؛ أَي: خلقها مدحوة، وروى الأَول عن ابن عباس، ولعل المُراد من خلقها أَولا ثم دحوها ثانيًا؛ خلق مادتها أَولا ثم تركيبها وإظهارها على هذه الصورة والشكل مدحوة مبسوطة، كما قيل في قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) إلى قوله: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ)، أَي أن السماءَ خلقت مادتها أَولا ثم سويت وأَظهرت على صورتها اليوم، (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا): أَي: أخرج سبحانه من الأَرض الماء وذلك بتفجير الينابيع والعيون وإجراء الأَنهار، كما أَخرج منها المرعى؛ ويقع على الرَّعْي وهو الكلأُ، أَو المُراد به كل ما يرعى المرعيّ مما يأكله الناس والأَنعام، وتجريد الجملة عن العاطف لأَنها بيان وتفسير لدَحَاهَا وتكملة له، فإن السكنى لا تتأَتي بمجرد البسط والتمهيد، بل لا بد من تسوية أَمر المعاش من المأكل والمشرب، (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا): أَي أَثبت الله الجبال في مكانها وجعلها وقاية للأَرض أَن تميد بأَهلها، والتعبير عنها بالرواسي في كثير من آيات التنزيل ليس لأَن الرسو المنسوب إليها من مقتضيات ذواتها؛ بل هو بإرسائه عز وجل، ولولاه لما ثبتت في أَنفسها فضلا عن إثباتها للأَرض، (مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ): أَي فعل سبحانه ذلك كله ليتمتع به الناس والأَنعام، حيث إن فائدة البسط والتمهيد وإخراج الماء والمرعى واصلة إليهم وعائدة عليهم وعلى أَنعامهم، وحاصل المعنى: أَفلا يكون خالقكم وواهبكم ما به تَحْيَوْن، ورافع السماءِ فوقكم وباسط الأَرض تحتكم قادرًا على بعثكم!"[١٥٦٦].

[١٥٦٦] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١١٠\ ١٧٧٢).

وقال القاسمي: "(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ) خطاب للمكذّبين بالبعث من قريش.. بطريق التبكيت لتنبيههم على سهولته في جانب القدرة الربانية، فإن من رفع السماء على عظمها؛ هيّن عليه خلقهم وخلق أمثالهم، وإحياؤهم بعد مماتهم، كما قال سبحانه: (لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) غافر:٥٧، وقوله تعالى: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) يس:٨١، ثم بيّن كيفية خلقها بقوله: (بَناها) قال ابن جرير: أي رفعها فجعلها للأرض سقفا، وقال الإمام: البناء ضم الأجزاء المتفرّقة بعضها إلى بعض، مع ربطها بما يمسكها حتى يكون عنها بنية واحدة، وهكذا صنع الله بالكواكب، وضع كلّا منها على نسبة من الآخر، مع ما يُمسك كلّا في مداره، حتى كان عنها عالم واحد في النظر، سمي باسم واحد وهو السماء التي تعلونا، وهو معنى قوله: (رَفَعَ سَمْكَها) أي أعلاه، و(السمك) قامة كل شيء، وقد رفع تعالى أجرامها فوق رؤوسنا، (فَسَوَّاها) عدلها بوضع كل جرم في موضعه، (وَأَغْطَشَ لَيْلَها) أي جعله مظلما، قال ابن جرير: أضاف الليل إلى السماء، لأن الليل غروب الشمس، وغروبها وطلوعها فيها، فأضيف إليها لما كان فيها..، (وَأَخْرَجَ ضُحاها) أي أبرز نهارها، و(الضحى) انبساط الشمس وامتداد النهار، وإيثار الضحى لأنه وقت قيام سلطان الشمس وكمال إشراقها، (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ) أي بعد تسوية السماء.. وإبراز الأضواء، (دَحاها) أي بسطها ومهدها لسكنى أهلها، وتقلبهم في أقطارها، (أَخْرَجَ مِنْها ماءَها) أي بأن فجر منها عيونا وأجرى أنهارا، (وَمَرْعاها) أي رعيها وهو النبات، قال الشهاب: والمرعى ما يأكله الحيوان غير الإنسان، فأريد به هنا مجازا مطلق المأكول للإنسان وغيره..، (وَالْجِبالَ أَرْساها) أي أثبتها فيها، (مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ) أي انتفاعًا إلى حين، قال أبو السعود: ونصبه إما على أنه مفعول له، أي فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم، لأن فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد وإخراج الماء والمرعى؛ واصلة إليهم وإلى أنعامهم، فإن المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره..، وإما مصدر مؤكد لفعله المضمر؛ أي متعكم بذلك متاعا، أو مصدر من غير لفظه، فإن قوله تعالى: (أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها) في معنى متع بذلك"[١٥٦٧].

وقال ابن عاشور: "و(السَّماءُ) يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْجِنْسُ وَتَعْرِيفُهُ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ، أَيِ السَّمَاوَاتُ..، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ سَمَاءٌ مُعَيَّنَةٌ.. وَهِيَ الْكُرَةُ الْفَضَائِيَّةُ الْمُحِيطَةُ بِالْأَرْضِ وَيَبْدُو فِيهَا ضَوْءُ النَّهَارِ وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ..، (بَناها).. الْبِنَاءُ: جَعْلُ بَيْتٍ أَوْ دَارٍ مِنْ حِجَارَةٍ، أَوْ آجُرٍّ أَوْ أَدَمٍ، أَوْ أَثْوَابٍ مِنْ نَسِيجِ الشَّعْرِ، مَشْدُودَةٌ شُقَقُهُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِغَرْزٍ أَوْ خِيَاطَةٍ وَمُقَامَةٌ عَلَى دَعَائِمَ، فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ بِأَدَمٍ يُسَمَّى قُبَّةً، وَمَا كَانَ بِأَثْوَابٍ يُسَمَّى خَيْمَةً وَخِبَاءً، وَبِنَاءُ السَّمَاءِ: خَلْقُهَا، اسْتُعِيرَ لَهُ فِعْلُ الْبِنَاءِ لِمُشَابَهَتِهَا الْبُيُوتَ..، وَجُمْلَةُ (رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها) مُبَيِّنَةٌ لِجُمْلَةِ بَناها..، وَسُلِكَ طَرِيقُ الْإِجْمَالِ ثُمَّ التَّفْصِيلِ لِزِيَادَةِ التَّصْوِيرِ..، تَعْدِيَةُ فِعْلِ رَفَعَ إِلَى السَّمْكِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الرَّفْعِ..، (فَسَوَّاها).. أَتْقَنَ صُنْعَهَا..، وَهَذِهِ الْآيَةُ أَظْهَرُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ بَعْدَ السَّمَاوَاتِ؛ وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَمُقَاتِلٍ وَالسُّدِّيِّ، وَهُوَ الَّذِي تُؤَيِّدُهُ أَدِلَّةُ عِلْمِ الْهَيْئَةِ..، وَجُمْلَةُ (أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها) بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ جُمْلَةِ (دَحاها)؛ لِأَنَّ الْمَقْصِدَ مِنْ دَحْوِهَا بِمُقْتَضَى مَا يُكَمِّلُ تَيْسِيرَ الِانْتِفَاعِ بِهَا..، وَالرَّعْيُ: حَقِيقَتُهُ تَنَاوُلُ الْمَاشِيَةِ الْكَلَأَ وَالْحَشِيشَ..، فَالِاقْتِصَارُ عَلَى الْمَرْعَى اكْتِفَاءٌ عَنْ ذِكْرِ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ مِنَ الثِّمَارِ وَالْحُبُوبِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الْمَرْعَى يَدُلُّ عَلَى لُطْفِ اللَّهِ بِالْعَجْمَاوَاتِ، فَيُعْرَفُ مِنْهُ أَنَّ اللُّطْفَ بِالْإِنْسَانِ أَحْرَى؛ بِدَلَالَةِ فَحْوَى الْخِطَابِ، وَالْقَرِينَةُ عَلَى الِاكْتِفَاءِ قَوْلُهُ بَعْدَهُ (مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ) النازعات:٣٣..، وَقَدْ دَلَّ بِذِكْرِ الْمَاءِ وَالْمَرْعَى عَلَى جَمِيعِ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ قُوتًا لِلنَّاسِ وَلِلْحَيَوَانِ حَتَّى مَا تُعَالَجُ بِهِ الْأَطْعِمَةُ مِنْ حَطَبٍ لِلطَّبْخِ فَإِنَّهُ مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ..، وَإِثْبَاتُ الْجِبَالِ: هُوَ رُسُوخُهَا بِتَغَلْغُلِ صُخُورِهَا.. إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ"[١٥٦٨].

[١٥٦٧] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٩ \ ٤٠١).

[١٥٦٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٣٠ \ ٨٣).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Creation of the universe

خلق الكون

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السمّآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعاً لّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ٥٧الحديد:٢٥.
- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:٥و٦.
- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ٣٣الأحزاب:٧٢.
- ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السمّآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.
- ﴿تَنزِيلاً مّمّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسّمَاوَاتِ الْعُلَى .الرّحْمَـنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثّرَى﴾ ٢٠طه:٤-٦.
- ﴿إِنّا زَيّنّا السّمَآءَ الدّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ. وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ٦٧الملك:٣-٥.
- ﴿إِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ٩التوبة:٣٦.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧.
- ﴿يُدَبّرُ الأَمْرَ مِنَ السّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ ٧٠المعارج:١-٧.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الّذِينَ كَفَرُوا أَنّ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلّ شَيْءٍ حَيّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لّعَلّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السّمَاءَ سَقْفًا مّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٢.
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤.
- ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤٥الجاثية:٣-٥.
- ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ٧الأعراف:٢٤و٢٥.

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٩.
- ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٢٦الشعراء:٢٤.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ١٥الحجر:٨٥.
- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ١٩مريم:٦٥.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٩.
- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ ٣٠الروم:٨.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٣٢السجدة:٤.
- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ ٣٧الصافات:٥.
- ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ ٣٨ص:١٠.
- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ٣٨ص:٦٦.
- ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٤٣الزخرف:٨٥.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٤٤الدخان:٣٨.
- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٤٤الدخان:٧.
- ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ ٤٦الأحقاف:٣.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ٥٠ق:٣٨.
- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٥المائدة:١٧.
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ٥المائدة:١٨.
- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ٧٨النبأ:٣٧.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ٣٨ص:٢٧.
- ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢٦الشعراء:٢٨.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ ٨١التكوير:١٥و١٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ٨١التكوير:١٥-١٩.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾، ﴿بِالْخُنَّسِ﴾، ﴿الْجَوَارِ﴾، ﴿الْكُنَّسِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

So verily, I (solemnly) **swear by what collapse and disappear;** (the giant stars) **that are running** (Precisely in their orbits)**, and are sweepers-like** (by pulling near celestial objects)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

يختلف وصف حركة الأجسام تبعا لموقع الراصد، فإذا كانت سرعة سيارتك ١٢٠ كم/ساعة؛ فستعاين سيارة تمضي بسرعة أقل من سرعتك متراجعة للخلف بعد أن تتجاوزها، وبالمثل أثناء حركة الأرض الأسرع حول الشمس سيبدو المشتري ظاهريا عندما تتجاوزه الأرض متراجعًا للخلف، ولو كانت الأرض هي مركز الكواكب كما ظن الناس سابقا لكانت حركتها جميعًا دائرية حولها، ولكن الحركة التراجعية Retrograde Motion للكواكب دليل على أن كوكب الأرض تابع، وكلما بَعُدَ الكوكب عن الشمس قلت سرعته حولها؛ ولذا تبدو الكواكب الأبعد من الأرض متراجعة.

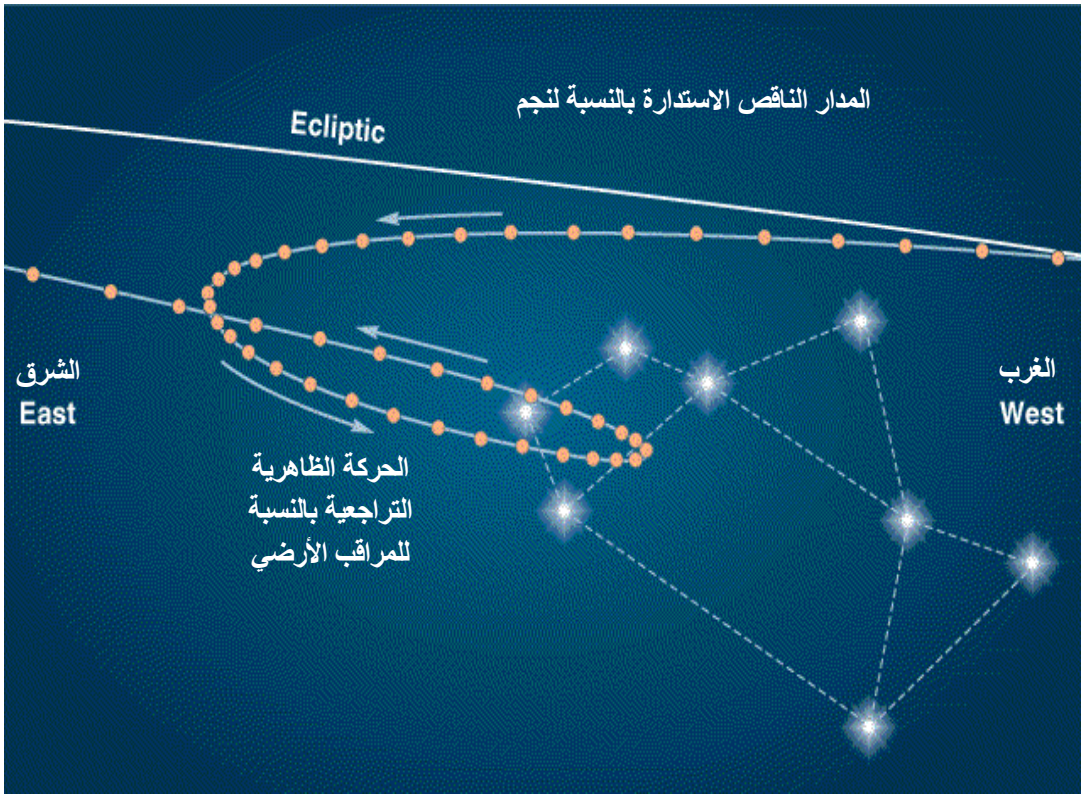

يبدو المشتري ظاهريا للمراقب الأرضي متراجعًا لأنه يدور حول الشمس بسرعة أقل من سرعة الأرض.

وتبدو الكواكب (جواري) أي سيارة بالنسبة لما خلفها من نجوم وصفت قديما بالثوابت، وقد تصدق عليها صفة أنها (كُنَّس) لأنها تجذب في طريقها البقايا كالنيازك كمن يكنس المخلفات، وقد يعذر التعبير بالتغليب؛ أن صفة (خنس) بمعنى التراجع والتأخر تسري على البعض ولا تسري على الكل، قال القرطبي أنها: "الكواكب المتحيرة التي ترجع وتستقيم، يُقَال خنس.. خنوسا تأخر"[١٥٦٩]، وقال البروسوي: "الجوارى جمع جارية بمعنى سارية والكنس جمع كانس.. (و) وصفت الخنس بها لأنها تجرى.. وترجع.. فخنوسها رجوعها"[١٥٧٠]، وقال السعدي: "أقسم تعالى بالخنس وهي الكواكب التي تخنس أي تتأخر عن سير الكواكب المعتاد إلى جهة المشرق.. (و) لها سيران: سير إلى جهة المغرب (و) مع باقي الكواكب.. سير معاكس لهذا.. جهة المشرق..؛ و(لذلك) يُحتمل أن المراد بها..: الكواكب السيارة"[١٥٧١].

ولكن دلالة فعل خَنَسَ ليست مقصورة على معنى التراجع؛ حتى يُقصر إنزاله على الحركة التراجعية لبعض الكواكب المُعاينة بالعين المجردة؛ وإنَّمَا الأوفى أن التراجع يصل إلى حد الاستتار والاستخفاء والتواري كليًا عن الأنظار، قال ابن

[١٥٦٩] تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ - (ج ١٩ / ص ٢٣٧).

١٥٧٠ روح البيان لإسماعيل حقي البروسوي ابن الشيخ مصطفى الإستانبولي الجلوتي أبو الفداء المتوفى سنة ١١٣٧ هـ دار الفكر بيروت ١٩٨٠م - (ج ١٧ / ص ٤٦).

١٥٧١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة الأولى - (ج ١ / ص ٩١٢).

فارس: "(خَنَسَ) الْخَاءُ وَالنُّونُ وَالسِّينُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِخْفَاءٍ وَتَسَتُّرٍ، قَالُوا: الْخَنْسُ الذَّهَابُ فِي خِفْيَةٍ؛ يُقَالُ خَنِسْتُ عَنْهُ..، وَالْخُنَّسُ: النُّجُومُ.. قَالَ قَوْمٌ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَخْفَى نَهَارًا"[١٥٧٢]، وفي المعجم الوسيط: "(خنس).. الرجل: تخلف وتوارى، وَيُقَال خنس بِهِ: واراه، وخنس بِهِ: غَابَ بِهِ، وخنس الْكَوْكَب: توارى؛ فَهُوَ خانس (ج) خُنَّس"[١٥٧٣]، وقال ابن القَطَّاع: "خنَس خُنُوساً وأَخَنس..: ستر الشيء عنك، وخنس الشيطان خنوساً: انقبض عند ذكر الله تعالى؛ والرجل من بين القوم انسلَّ، والدارارى.. استترت"[١٥٧٤]، وقال الزبيدي: "الخُنُوسُ: الانْقِباضُ، وخَنَسَ مِن بَيْنِ أَصحابِه: اسْتَخْفَى..، وخَنَسَ به: وَارَاه، وخَنَسَ: إِذا تَوَارَى وغابَ"[١٥٧٥]، وهذه الصفات ألصق ما تكون بما عُرف حديثًا باسم الثقوب السوداء، وزيادة المبنى بتشديد (خُنَّس) تأكيد للتواري والاستتار والغياب بعد ظهور.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾؛ نفي القسم تأكيد له؛ وكأنه تعالى يقول لا حاجة للقسم مع تلك الحجة البينة، وقد ورد القسم هنا في معرض الاستدلال على أن القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى، يقول العلي القدير في جواب القسم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، وتنعكس عظمة القسم وأهميته في الاستدلال على أهمية المقسوم به، وهو هنا مذكور بصفات تلتقي تماما مع صفات ما يسمى حاليا بالثقوب السوداء Black Holes، فهي في الأصل نجوم تجري في مداراتها فيصدق عليها الوصف باللفظ (جوار)؛ أي جارية، وأما الوصف (خنس) فيتطابق معها بكل معانيه في اللغة؛ ومنها: التواري والاحتجاب والاختفاء والتراجع والاندثار والتقبض والانكماش، قال ابن منظور: "الخُنُوس: الانقباضُ وَالِاسْتِخْفَاءُ، خَنَسَ مِنْ بَيْنِ أَصحابه.. انْقَبَضَ وتأَخر؛ وَقِيلَ: رَجَعَ"[١٥٧٦]، "والانْقِباضُ: خِلافُ الانْبِساط..، وتَقَبَّضَتِ الْجِلْدَةُ فِي النَّارِ أَي انْزَوَتْ "[١٥٧٧]، و"انْقَبَض..: اجْتَمَعَ بَعْضُهُ إِلى بَعْضٍ"[١٥٧٨]، و"انْضَمَّ وانْزَوَى.. وتقلَّص"[١٥٧٩]، "وَتَقَارَبَ خَلْقُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ"[١٥٨٠]، "وَاجْتَمَعَ بَعْضُهُ إِلى بَعْضٍ"[١٥٨١]، "وانْكَمَشَ"[١٥٨٢]، وهي بالفعل نجوم عملاقة هوت في نهاية أعمارها وانكمشت مادتها واستترت فلا يظهر منها أية ضوء، والسبب هو شدة جاذبيتها التي تجعلها تكنس كل شيء يقع في طريقها فتطويه وتبتلعه؛ وهنا يَتَجَلَّى وصفها بلفظ (الكنَّس) أي: المكانس العظام، وهذه الأوصاف تستدعي الإخبار عن نوع من النجوم يهوي وينكمش وبنفس نمط الإخبار بالغيب استدلالا على الوحي: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ ٥٣النجم:١-٤.

[١٥٧٢] أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٢\ ٢٢٣).
[١٥٧٣] مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة (١\ ٢٥٩).
[١٥٧٤] ابن القَطَّاع الصقلي أبو القاسم علي بن جعفر السعدي؛ كتاب الأفعال، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م (١\ ٢٧٩).
[١٥٧٥] محمّد أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (١١٦\ ٣٢).
[١٥٧٦] محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤١٤هـ (١٦\ ٧١).
[١٥٧٧] محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤١٤هـ (١٧\ ٢١٣).
[١٥٧٨] محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤١٤هـ (١٥\ ٣١٨).
[١٥٧٩] محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤١٤هـ (١٧\ ٧٩).
[١٥٨٠] محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤١٤هـ (١١٢\ ١٧٣).
[١٥٨١] محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤١٤هـ (١٥\ ٣١٨).
[١٥٨٢] محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤١٤هـ (١٦\ ٣٤٣).

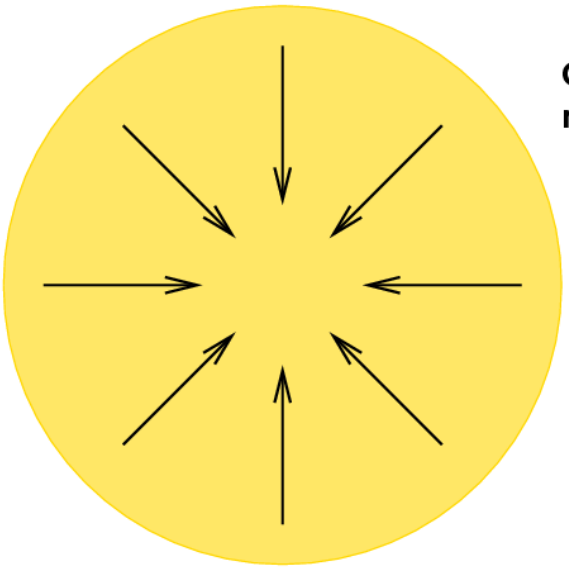

نجم عملاق يهوي على نفسه وينكمش في نهاية عمره
وتشد جاذبيته مادته إلى الداخل حتى يتوارى ويختفي.

ويرجع السؤال: لماذا لا تزيد سرعة الضوء لسرعة أكبر؟؛ إلى برهان أولاس رومر Olas Roemer عام ١٦٧٦ أن للضوء القادم من الأجرام السماوية سرعة محدودة، وكانت الإجابة: لأنه قد تكون للجاذبية تأثير على الضوء، وبناء على هذه الملاحظة كتب جون مينشل عام ١٧٨٣ مقالاً أشار فيه إلى أنه قد يكون للنجم الكثيف جاذبية شديدة حتى أن الضوء لا يمكنهُ الإفلات منها، فأي ضوء ينبعث من سطح هذا النجم تعيده هذه الجاذبية، وأقترح أيضاً وجود نجوم عديدة في الكون لها تلك الصفة، ومع أننا لا يمكننا أن نرى الضوء لأنها لا تبعثه؛ إلا أننا نستطيع إدراك أثر جاذبيتها، وسميت هذه النجوم الافتراضية بالثقوب السوداء باعتبار أنها تبدو كفجوات في الفضاء.

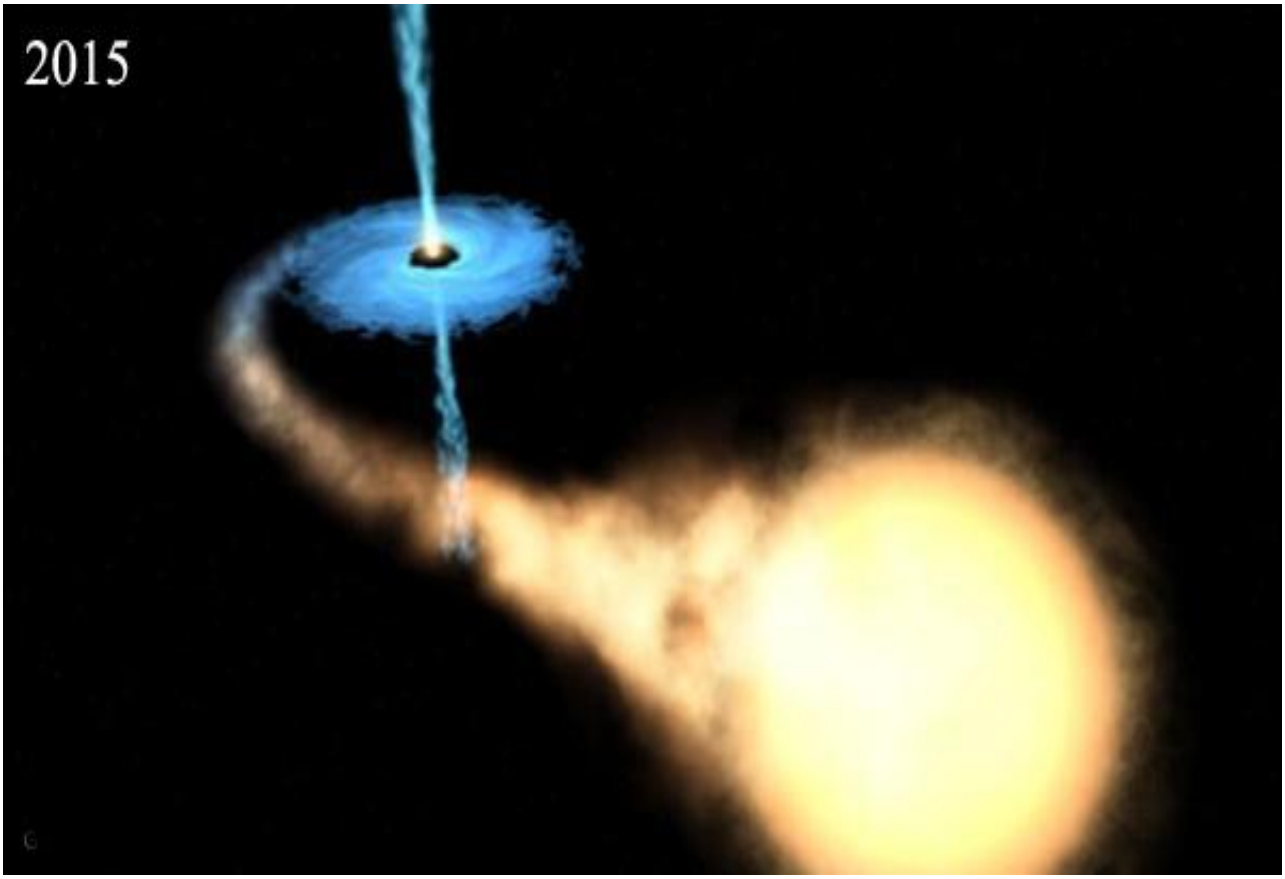

وفي عام ١٧٩٦ أعاد الفكرة إلى الأذهان بيير سيمون لابلاس Pierre-Simon Laplace (١٧٤٩ - ١٨٣٧)؛ إلا أن معاصريه قد شككوا في صحتها، ثم جاءت نظرية النسبية العامة لألبرت أينشتاين لتبرهن عن إمكانية وجود تلك الثقوب السوداء، فبدأ الفلكيون يبحثون عن آثارها، وتم بالفعل اكتشاف أول ثقب أسود سنة ١٩٧١م، وتكررت المشاهدات؛ وفي عام ٢٠١٥ رصدت المراقب على بعد ٨ آلاف سنة ضوئية في مجرة درب التبانة مادة نجم حارة تدور بسرعة حول ثقب أسود قبل ابتلاعها، وكانا يرصدان منذ ٢٦ عاماً كمزدوج؛ وكأن المارد قد استيقظ من سباته، وهكذا تحولت الآراء حول الثقب الأسود إلى حقائق مشاهدة عبر المرقاب الراديوي الذي يتيح للراصد مشاهدة الكون بشكل أوضح، وهكذا مهدت نظرية النسبية لتجعل الثقوب السوداء حقيقة مقبولة عند معظم الفيزيائيين.

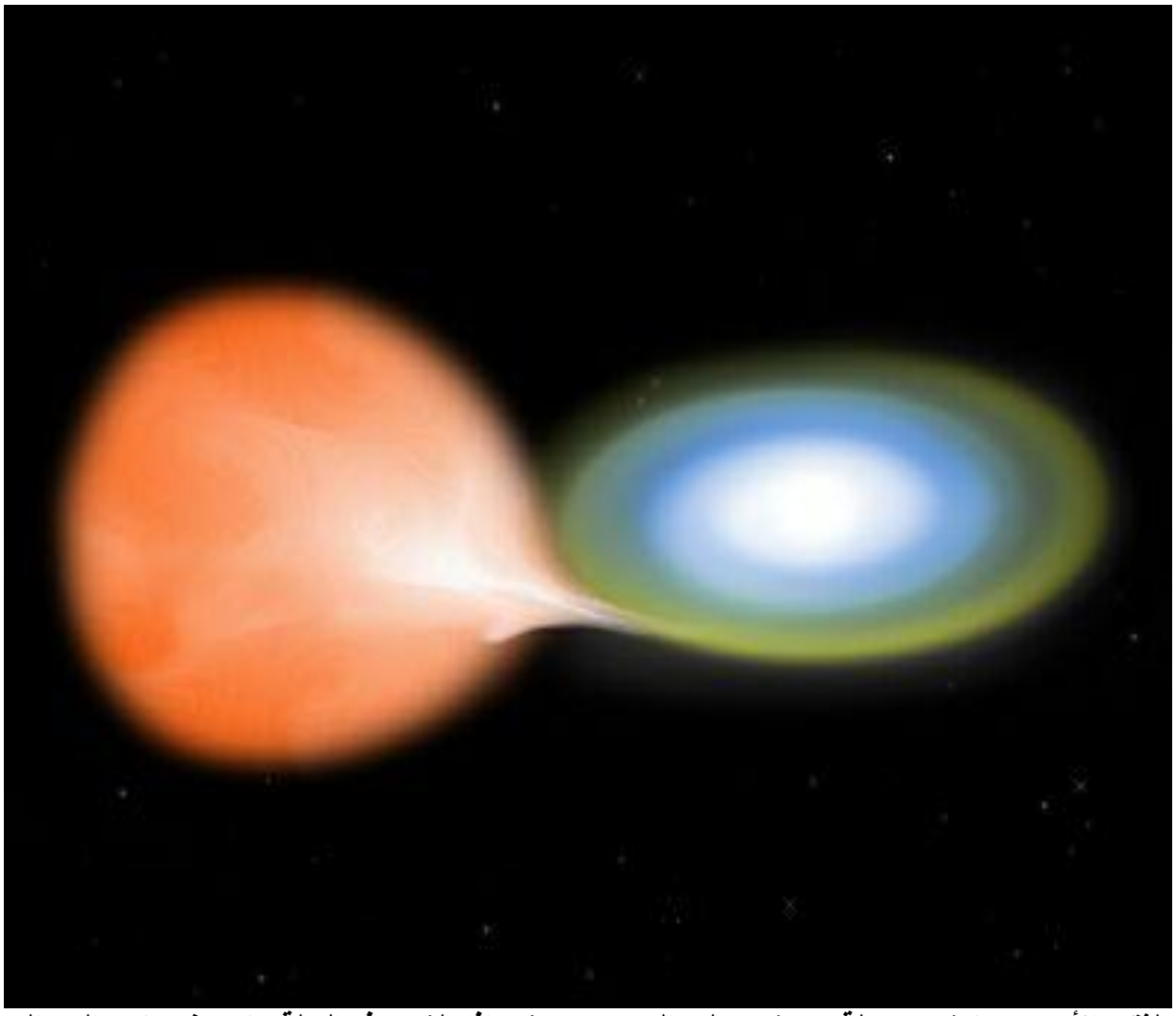

والثقب الأسود عبارة عن كتلة كبيرة تحولت إلى حجم صغير إذا بلغت هذه الكتلة ما يعرف باسم الحد الحرج؛

حيث تبدأ المادة بالانضغاط تحت تأثير جاذبيتها الخاصة، وهكذا يهوي النجم على نفسه وينهار بفعل جاذبيته، وهذه القوة تضغط النجم الهائل الحجم وتجعله صغيرًا جدًا وذو جاذبية قوية خارقة، ويزداد تركيز الكتلة أي كثافة المادة نتيجة الانضغاط، وتصبح قوّة الجاذبية قوّية إلى درجة أن هذا النجم الهاوي يبتلع أي جسم قريب منه ويكنسه نحوه، وبالتالي تزداد كمية مادته وتتضاعف قدرته على ابتلاع المزيد، وبحسب النظرية النسبية العامة فإن الضوء ينحرف تحت تأثير الجاذبية فيتقوس الفضاء، أما الثقب الأسود فإنه يقوس الفضاء في منطقته إلى حد أنه يجعل شعاع الضوء المار بجانبه ينحني باتجاهه، ولا يستطع الضوء الصادر منه أن يفلت من جاذبيته؛ ولذلك يبدو لمن يراقبه من بعيد كأنه منطقة من العدم، إذ يبدو بذلك أسود، ويمكن فقط رصد مادة النجوم التي يجذبها نحوه تطوى حوله قبل أن يبتلعها وتهوي إلى داخله حين اقترابها من مجال الجاذبية؛ وتسمى أفق الحدث Event Horizon.

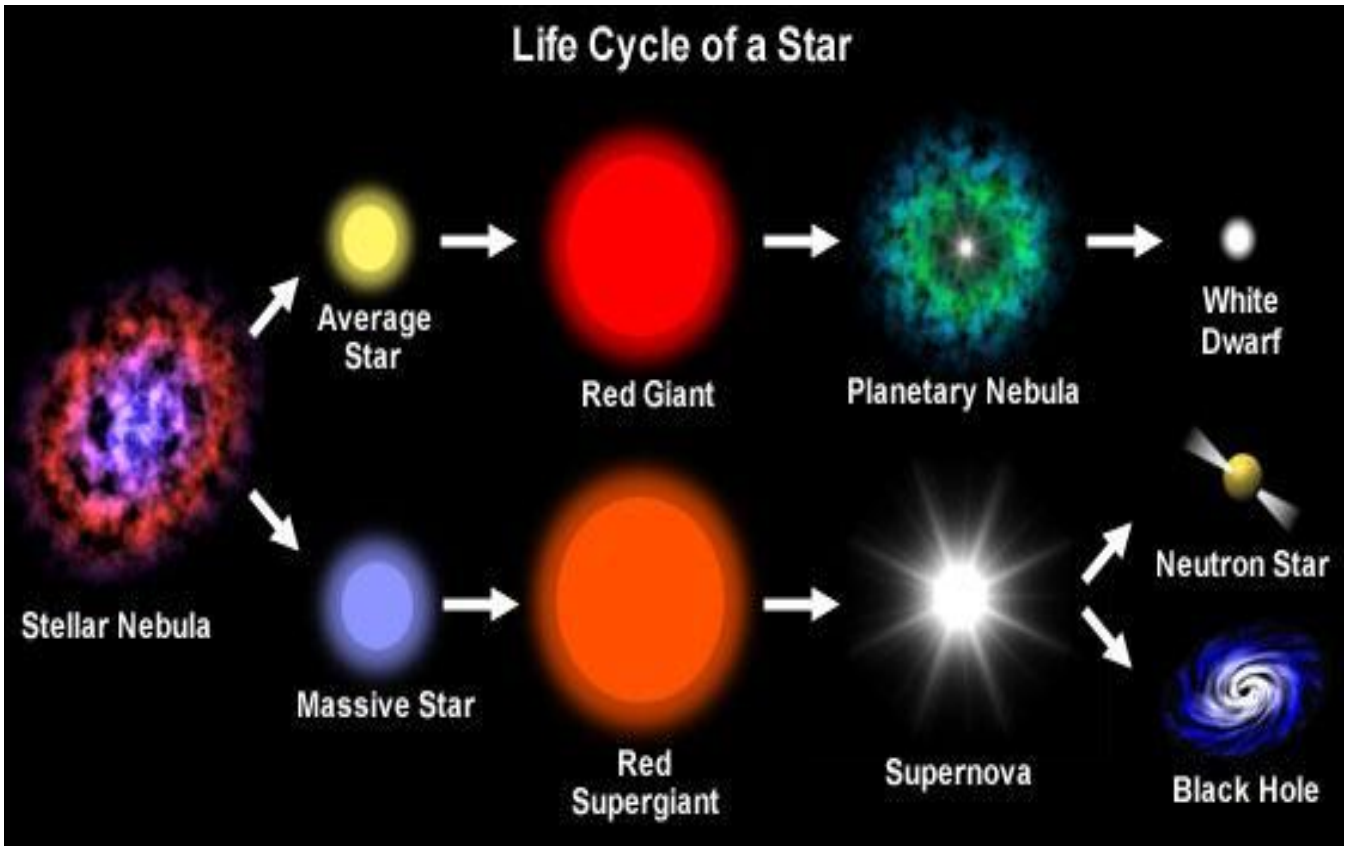

والمتفق عليه هو أن الثقوب السوداء Black Holes تمثل مرحلة الشيخوخة في حياة نجوم عملاقة أكبر كتلة من الشمس بأكثر من خمس مرات، وتتميز الثقوب السوداء بكثافة كبيرة وجاذبية بالغة الشدة بحيث لا يفلت من أسرها شيء حتى الضوء، ومن هنا كانت تسميتها بالثقوب السوداء التي تعكس وجود مناطق غير مرئية كالثقوب في صفحة السماء اختفى فيها كل شيء فبدت فجوات، وهذه النجوم العملاقة المختفية أو المتوارية (الخنس) تكنس في طريقها كل شيء يقاربها من النجوم؛ ولذا سميت بالمكانس العملاقة Giant Cleaners.

وقد دلت على الثقوب السوداء كذلك الحسابات النظرية التي قام بها كارل شفارز تشايلد Karl schwars child عام ١٩١٦؛ وروبرت أوبنهاير Robert oppenheimer عام ١٩٣٤، ومنذ عام ١٩٧١ تأكد وجودها بالمراقبة، ويعتقد العلماء بأن مركز مجرتنا عبارة عن ثقب أسود، ومن المعلوم حاليا أن النجوم تجري في مدارات محددة؛ وإن بدت للقدماء ساكنة فسموها بالنجوم الثوابت، وبعضها إذن نجوم عظيمة الكتلة تتراجع في نهاية أعمارها منكمشة وتتوارى عن الأنظار فلا يفلت منها ضوء بسبب الجاذبية الهائلة التي تكنس كل شيء حولها فتزداد كتلة وقوة، ولا يستبعد إذن أن تمتد الثقوب في مراكز المجرات وتلتحم لتكون ثقب أسود واحد كبير يمثل مقبرة للكون أجمع.

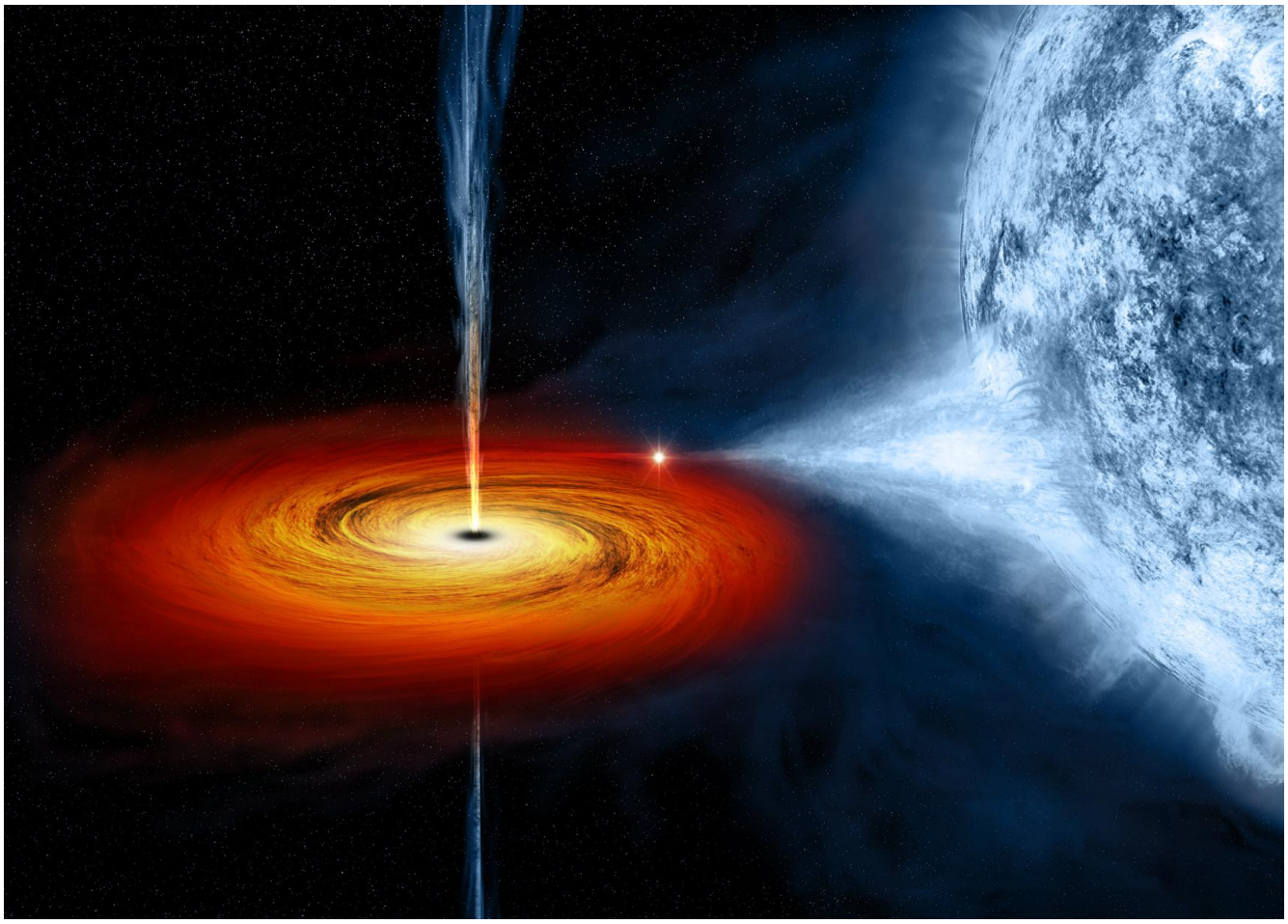

قال الشنقيطي: "ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَا أُقْسِمُ) نَفْيُ الْقَسَمِ؛ وَلَكِنَّهُ قَسَمٌ قَطْعًا بِدَلِيلِ التَّصْرِيحِ بِجَوَابِ الْقَسَمِ..: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)..، سُبْحَانَهُ لَا يُقْسِمُ بِشَيْءٍ فِي مَوْضِعٍ.. إِلَّا لِغَرَضٍ يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ يَكُونُ بَيْنَ الْمُقْسَمِ بِهِ وَالْمُقْسَمِ عَلَيْهِ مُنَاسِبَةٌ..، وَقَدْ يَظْهَرُ ذَلِكَ جَلِيًّا وَقَدْ يَكُونُ خَفِيًّا؛ وَهَذَا فِعْلًا مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ وَالْإِعْجَازُ فِي الْقُرْآنِ"[١٥٨٣]، والمعرفة بتلك الأوصاف حديثة: الجري في مدارات والتواري والكنس حتى سمي مقبرة النجوم، لذا فإن ورود الأوصاف في القرآن الكريم في معرض التأكيد على الوحي؛ لدليل حاسم إذن على أنه كلام الله تعالى العليم وحده بكل سر!.

[١٥٨٣] محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٨ ٤٤٢).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

أنزلت المراجع اللغوية هذه الأوصاف الثلاثة المتلازمة على الأجرام السماوية المُمكنة الرؤية بالعين المجردة: قال ابن سيده: "(الْخُنَّسُ) الدَّرَارِيُّ الخَمْسَةُ زُحَلٌ والمُشْتَرِي والمَرِّيخُ والزُّهَرة وعُطَارِدُ سُمِّيت بذلك لِأَنَّهَا تَخْنِسُ بذلك أَحْيَانًا حَتَّى تَخْفَى تحتَ ضَوْءِ الشمسِ بَيْنَما تراهَا فِي آخِرِ البُرْجِ كَرَّتْ رَاجِعَةً إِلَى أَوَّلِهِ، وَفِي التَّنْزِيل {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ}"[١٥٨٤]،"وجَرَت الشَّمْس وَسَائِر النُّجُوم: سَارَتْ من الْمشرق إِلَى الْمغرب، وَالْجَارِيَة: الشَّمْس؛ سميت بذلك لجَرْيها من الْقطر إِلَى الْقطر، وَقَوله تَعَالَى: (فَلَا أقسم بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّس) يَعْنِي النُّجُوم، وَجَرت السَّفِينَة جَرْيا: كَذَلِك، وَالْجَارِيَة: السَّفِينَة صفة غالبة، وَفِي التَّنْزِيل: (حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَة) وَفِيه: (وَلَهُ الجوار المنشئات فِي الْبَحْر)"[١٥٨٥].

وقال التيفاشي: "الكواكب السيارة الخمسة المتحيرة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد؛ فُسِّر قوله تعالى: (فلا أُقْسِمُ بالخنّس الجواري الكنّس) أنها هؤلاء الخمس، سميت بذلك لخنسها وهو رجوعها؛ والخنس: الرجوع، والكنس: الاستقامة، ومنه كناس الظبية وهو موضع إقامتها، لأن هذه الخمسة لها سير ورجوع واستقامة، ولذلك سُميت المتحيرة مع النيرين الشمس والقمر، ويسمون ما عدا هذه الدراري السبعة بالكواكب (يقصد النجوم) الثابتة"[١٥٨٦]، وهكذا ستخبرك معاجم العربية والتي جمعت مفاهيم قبائل العرب؛ أن: الكوكب والنجم كليهما في المعنى سواء، بينما الكوكب في القرآن الكريم كما هو في العلم اليوم؛ الجرم السماوي الأدنى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦، أما النجوم فتحتشد في آفاق أعلى تجعل السماء فوق الكواكب طبقات ممتدة نحو العلاء تُصَدِّق التعبير عنها بلفظ الجمع سماوات، وتَفْرُق بين حشود النجوم مسافات عظيمة بحيث لا يُرصد سوى مواقعها القديمة لأن سرعة الضوء محدودة؛ فناسبها تعظيم القسم: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ٥٦الواقعة:٧٥و٧٦.

ولم تبعد مراجع التفسير كثيرًا عن إنزال الوصف بالجري والكنس والخنس على الأجرام السماوية المُعَايَنَة، قال ابن كثير: "قَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: إِنَّمَا قِيلَ لِلنُّجُومِ (الْخُنَّسُ) أَيْ: فِي حَالِ طُلُوعِهَا؛ ثُمَّ هِيَ "جَوَارٍ" فِي فَلَكِهَا، وَفِي حَالِ غَيْبُوبَتِهَا يُقَالُ لَهَا: (كُنَّس) مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: أَوَى الظَّبْيُ إِلَى كِنَاسَة: إِذَا تَغَيَّبَ فِيهِ..، وَتَوَقَّفَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ: {الْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ} هَلْ هُوَ النُّجُومُ، أَوِ الظِّبَاءُ وَبَقَرُ الْوَحْشِ؟؛ قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ مُرَادًا"[١٥٨٧].

وقال درويش: "(بِالْخُنَّسِ)..: الكواكب (يقصد الأجرام السماوية) كلها، والسيارات منها فقط (أي الكواكب) أو بعضها؛ من الخنس وهو الرجوع، لأنها ترجع في مجراها وراءها..، وفي الصحاح: الخنس الكواكب كلها لأنها تخنس في المغيب؛ ولأنها تخفى نهارًا، ويُقال: هي الكواكب السيّارة منها دون الثابتة، وقال الفرّاء في قوله تعالى: (فلا أقسم بالخنس الجواري الكنس) أنها النجوم (يقصد الكواكب) الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد؛ لأنها تخنس في مجراها وتكنس كما تكنس الظباء في المغار، والخنس أيضا مأوى الظباء، والظباء نفسها والبقر الوحشية، (الْكُنَّسِ) في المصباح: وكناس الظبي بالكسر بيته وكنس الظبي كنوسا.. دخل كناسه، وتكنس الظبي تغيب واستتر في كناسه، وتكنس الرجل: دخل في الخيمة، وتكنست المرأة دخلت في الهودج"[١٥٨٨].

[١٥٨٤] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (١٢ ٣٨٣).

[١٥٨٥] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م (١٧ ٥٠٤).

[١٥٨٦] أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي؛ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٩٨٠ (ص١٤٤).

[١٥٨٧] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٨ ٣٣٧).

[١٥٨٨] محيي الدين درويش؛ إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص سورية، الطبعة الرابعة؛ ١٤١٥ هـ (١١٠ ٣٩٣).

وفي الوسيط: "المعنى: أنه سبحانه أقسم قسمًا مؤكدًا على صدق القرآن، وصحة رسالة محمد عليه الصلاة والسلام؛ فقال: (فلا أُقْسِمُ) وهي عبارة من عبارات العرب يراد به تأكيد الخبر وتقريره، كأنه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم، ويقال إنه يؤتى بكلمة "لا" في القسم إذا أُريد تعظيم المقسم به، (بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ) وهي النجوم الجواري التي تخنس بالنهار، أي: ترجع، ويختفي ضوؤها فيه عن الأبصار مع طلوعها وكونها فوق الأفق، وتكنس بعد ظهورها في الليل، أي: تستتر في مغيبها، وتخفى فيه، فتكون تحت الأفق بعد أن كانت فوقه؛ كما تستتر الظباءُ في كُنُسِها، وهي مُسْتَتَرَهَا في الشجر الذي تأوي إليه، فخنوس تلك النجوم: رجوعها وخفاؤها بحسب الرؤية، وكنوسها دخولها في المغيب بعد ظهورها نهارًا، قال القرطبي: النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وتكنس وقت غروبها، أي: تستتر (أو)..، هي خمسة أنجم: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، وصفت بما ذكر.. لأنها تجري وتسير مع الشمس والقمر، وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس، وتسمى المتحيرة لاختلاف أحوالها، وعن ابن مسعود: أنها بقر الوحش..؛ وإنما أقسم تعالى بالخنس الجواري الكنس لدلالتها بهذه الأحوال المختلفة والحركات المنسقة على عظيم قدرة مبدعها.. عز شأنه وإرشاد تلك الحركات على ما في الكون من بديع الصنع وإحكام النظام"[١٥٨٩].

وقال البغوي: "مَعْنَاهُ: أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ {الْجَوَارِ الْكُنَّسِ}، قَالَ قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ تَبْدُو بِاللَّيْلِ وَتَخْنَسُ بِالنَّهَارِ؛ فَتُخْفَى فَلَا تُرَى، وَعَنْ عَلِيٍّ أَيْضًا: أَنَّهَا الْكَوَاكِبُ تَخْنَسُ بِالنَّهَارِ فَلَا تُرَى، وَتَكْنَسُ: تَأْوِي إِلَى مَجَارِيهَا، وَقَالَ قَوْمٌ هِيَ النُّجُومُ الْخَمْسَةُ: زُحَلُ وَالْمُشْتَرَي وَالْمِرِّيخُ وَالزُّهَرَةُ وَعُطَارِدُ، تَخْنَسُ فِي مَجْرَاهَا، أَيْ: تَرْجِعُ وَرَاءَهَا وَتَكْنَسُ: تَسْتَتِرُ وَقْتَ اخْتِفَائِهَا وَغُرُوبِهَا، كَمَا تَكْنَسُ الظِّبَاءُ فِي مُغَارِهَا، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مَعْنَى الْخُنَّسِ أَنَّهَا تَخْنَسُ أَيْ: تَتَأَخَّرُ عَنْ مَطَالِعِهَا فِي كُلِّ عَامٍ..، تَخْنَسُ عَنْهُ. والكُنَّس أَيْ تَكْنَسُ بِالنَّهَارِ فَلَا تُرَى، وَرَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهَا هِيَ الْوَحْشُ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هِيَ الظِّبَاءُ، وَهِيَ رِوَايَةُ الْعَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَصْلُ الْخُنُوسِ الرُّجُوعُ إِلَى وَرَاءُ، وَالْكُنُوسُ أَنْ تَأْوِيَ إِلَى مَكَانِسِهَا وَهِيَ الْمَوَاضِعُ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا الْوُحُوشُ"[١٥٩٠]، وكما ترى قد وَظَّفَ قدامى المفسرين المعارف المتوفرة في عصورهم في التأويل، وأنزل غالبيتهم الأوصاف على الحركة التراجعية للكواكب.

وقال ابن عاشور: "وَمَعْنَى: (لَا أُقْسِمُ) إِيقَاعُ الْقَسَمِ..، وَالْقَسَمُ مُرَادٌ بِهِ تَأْكِيدُ الْخَبَرِ وَتَحْقِيقُهُ، وَأُدْمِجَ فِيهِ أَوْصَافُ الْأَشْيَاءِ الْمُقْسَمِ بِهَا لِلدِّلَالَةِ عَلَى تَمَامِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ(الْخُنَّسِ) جَمْعُ خَانِسَةٍ؛ وَهِيَ الَّتِي تَخْنِسُ أَيْ تَخْتَفِي، يُقَالُ: خَنَسَتِ الْبَقَرَةُ وَالظَّبْيَةُ إِذَا اخْتَفَتْ فِي الْكِنَاسِ، وَ(الْجَوَارِي) جَمْعُ جَارِيَةٍ؛ وَهِيَ الَّتِي تَجْرِي، أَيْ تَسِيرُ سَيْرًا حَثِيثًا، والْكُنَّسِ: جَمْعُ كَانِسَةٍ، يُقَالُ: كَنَسَ الظَّبْيُ، إِذَا دَخَلَ كِنَاسَهُ (بِكَسْرِ الْكَافِ) وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي يَتَّخِذُهُ لِلْمَبِيتِ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ أُرِيدَ بِهَا صِفَاتٌ مَجَازِيَّةٌ لِأَنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِمَوْصُوفَاتِهَا الْكَوَاكِبُ، وُصِفْنَ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَكُونُ فِي النَّهَارِ مُخْتَفِيَةً عَنِ الْأَنْظَارِ فَشُبِّهَتْ بِالْوَحْشِيَّةِ الْمُخْتَفِيَةِ فِي شَجَرٍ وَنَحْوِهِ، فَقِيلَ: الْخُنَّسُ وَهُوَ مِنْ بَدِيعِ التَّشْبِيهِ، لِأَنَّ الْخُنُوسَ اخْتِفَاءُ الْوَحْشِ عَنْ أَنْظَارِ الصَّيَّادِينَ وَنَحْوِهِم دون سُكُون فِي كِنَاسٍ، وَكَذَلِكَ الْكَوَاكِبُ لِأَنَّهَا لَا تُرَى فِي النَّهَارِ لِغَلَبَةِ شُعَاعِ الشَّمْسِ.. فَشُبِّهَ طُلُوعُ الْكَوْكَبِ بِخُرُوجِ الْوَحْشِيَّةِ مِنْ كِنَاسِهَا، وَشُبِّهَ تَنَقُّلُ مَرْآهَا لِلنَّاظِرِ بِجَرْيِ الْوَحْشِيَّةِ عِنْدَ خُرُوجِهَا مِنْ كِنَاسِهَا صَبَاحًا..، وَشُبِّهَ غُرُوبُهَا بَعْدَ سَيْرِهَا بِكُنُوسِ الْوَحْشِيَّةِ فِي كِنَاسِهَا..، وَقَدْ حَصَلَ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَوْصَافِ الثَّلَاثِ مَا يُشْبِهُ اللُّغْزَ يُحْسَبُ بِهِ أَنَّ الْمَوْصُوفَاتِ ظِبَاءٌ أَوْ وُحُوشٌ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الصِّفَاتِ حَقَائِقُهَا مِنْ أَحْوَالِ الْوُحُوشِ"[١٥٩١].

[١٥٨٩] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١١٠\ ١٨٠٦).

[١٥٩٠] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (٨\ ٣٤٩).

[١٥٩١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٣٠\ ١٥٢).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Black Holes

الثقوب السوداء

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ. رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ. إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ. فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ. بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ. وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ. وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ ٣٧الصافات:٤-١٤.**
- **﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ ٥٣النجم:١-٤.**
- **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ٥٦الواقعة:٧٥-٧٧.**
- **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ ٨١التكوير:١٥و١٦.**

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾
٨١التكوير:١٧و١٨.

Paragraph الفَقْرَة

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ٨١التكوير:١٥-١٩.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَالصُّبْحِ﴾، ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And by the (atmosphere at the) **night as it departs** (by the earth globe rotation)**; and by the** (atmosphere at the) **morning as it** (expands due to the heating by sun; as if it) **breathes.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؛ جاء المقسوم به شاهدا على علم الله تعالى وقدرته، وورد التعبير عن الجو بوقت الصبح لازمه حيث ينتفخ الجو كما الصدر في حال الشهيق ثم ينكمش في الليل كما الزفير.

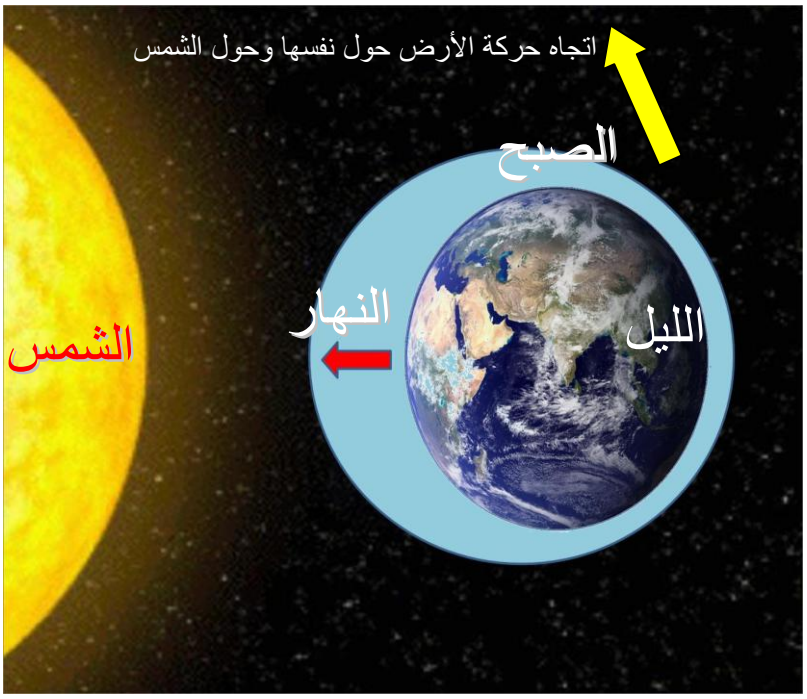

والاكتفاء بالصباح دون المساء ومنحه الأولوية يتفق مع كونه جبهة الأرض خلال حركتها حول الشمس، والأرض تدور حول نفسها في نفس اتجاه حركتها حول الشمس لذا جهة الليل أسرع لجمع الحركتين بينما تخصمان جهة النهار، وترتيب الحركة ابتداء من جهة الليل نحو منطقة الصباح يوافق اتجاه حركة الأرض حول نفسها من الغرب إلى الشرق.

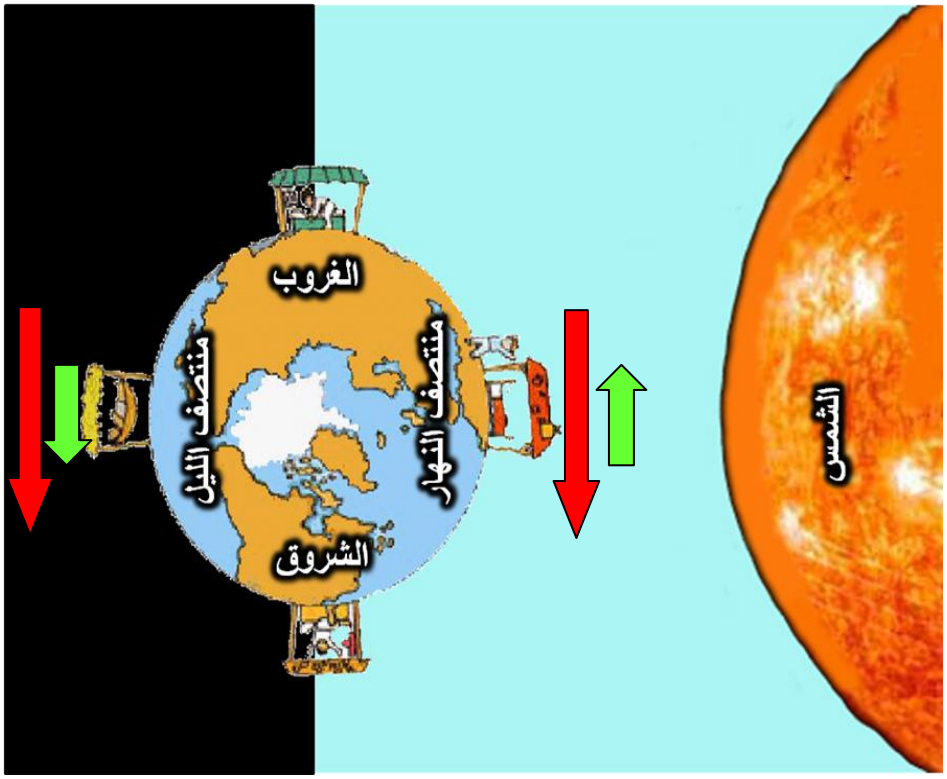

جهة الليل من الأرض أسرع من جهة النهار حقيقة لاجتماع سرعتيها حول الشمس وحول نفسها.

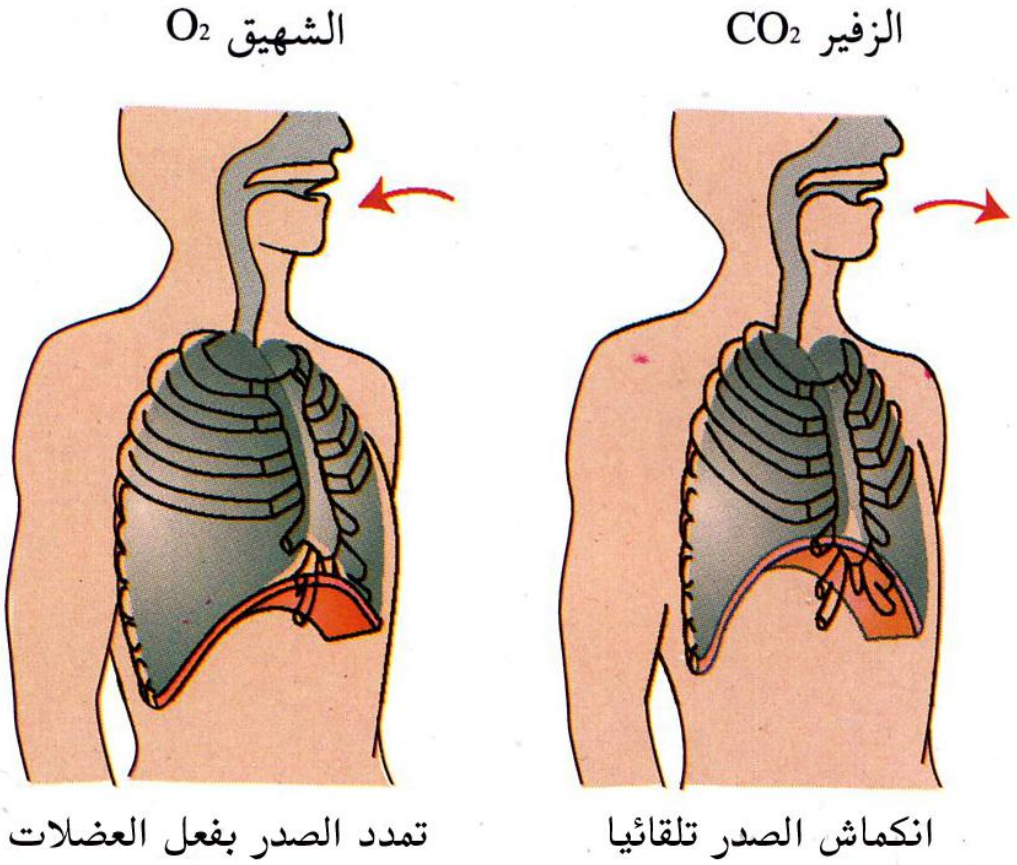

والتنفس تمثيل، وهو مكون من شقين: (أولا) الشهيق Inspiration: وهو يتطلب جهداً من جهاز التنفس؛ يقوم به الحجاب الحاجز وعضلات التنفس لإدخال الهواء، و(ثانيا) الزفير Expiration: وهو عملية تلقائية لا تتطلب جهداً لإخراجه، ولولا وجود هذا الغلاف الغازي لارتفعت درجة حرارة سطح الأرض خلال النهار إلى أكثر من (٩٣مْ)؛ ولانخفضت أثناء الليل إلى ما دون (١٤٩مْ) تحت الصفر، علاوة على أنه يحمي الأرض وما عليها من كائنات حية من الإشعاع الشمسي أثناء النهار، ويبطئ من تسرب الحرارة وفقدانها أثناء الليل، ومع اكتشاف المنطاد والطائرة والأقمار الصناعية عرف الإنسان الكثير عن طبقات الغلاف الجوي، وحركة الهواء في الكرة الأرضية منها حركات أفقية وأخرى رأسية، وتنتقل الرياح نحو مناطق التخلخل فتخفف من برودة المناطق الباردة وتقلل من حرارة المناطق الدافئة وتحفظ التوازن الحراري، وبسبب حركة الكرة الأرضية من الغرب نحو الشرق تنحرف الرياح إلى يمين اتجاهها في نصف الكرة الشمالي؛ وتتجه إلى يسار اتجاهها في نصف الكرة الجنوبي، وتتشكل حركات الهواء الرأسية أساساً تبعاً للتغيرات الحرارية في الغلاف الجوي، وترجع حركة الهواء الرأسية إلى التيارات الهوائية الصاعدة حيث يتكون ضغط منخفض للهواء الملامس لسطح الأرض نتيجة ارتفاع حرارة سطح الأرض وقت الصباح تحت تأثير حرارة الشمس فيتمدد الهواء ويرتفع رأسيا بينما يحدث العكس أثناء الليل كما لو أن إنسانا يتنفس.

والتعبير: "وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ"؛ يتضمن معنى الحركة مثل رجال العسس من الشرطة تمر تتجسس خفية بالليل، والتحرك في خفية منسوب إلى الليل وهو ظاهرة تعكس حركة الغلاف الجوي مع الكرة الأرضية حول محورها أمام الشمس تعبيرا عن الشيء باللازم، فالليل والنهار ظاهرتان يمثلان جهتي الأرض في مواجهة الشمس، والغلاف الجوي لصيق بسطح الكرة الأرضية، ومع دوران الأرض يدور معها الجو؛ وإلا تولدت عواصف مدمرة، وانتقال موقع على سطح الأرض من جهة الليل نحو وقت الصبح يتفق مع دوران الأرض عكس عقارب الساعة، والتعبير "وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ" يعني ابتداء التمدد وقت الصبح؛ والوصف أليق بالجو، وهو منسوب للصبح تعبيرا عن الشيء باللازم، والتمدد نهارًا والانكماش ليلا تأكيد لدوران الأرض لتعلقه بحرارة الشمس، فالليل هنا تعبير عن جهة الأرض وقت الليل؛ ومروره يلزمه تحرك وجه الأرض ليبلغ وقت الصبح فيتمدد الجو، والنص على بدء التمدد صباحًا دون الانكماش ليلاً يتفق مع وجود محرك يضاهي عضلات التنفس هو الشمس بينما الانكماش تلقائي كالزفير، والنص إذن مُفعم بالدلالات العلمية!.

قال النجار: "العسعسة والعساس: رقة الظلام في طرفي الليل، وعلى ذلك فإن من معاني قوله تعالي ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾؛ أي إذا أقبل وأدبر وذلك في أول الليل وآخره، والعس والعسس: نَقْضُ الليل عن أهل الربية كما يفعل رجال الشرطة؛ فيوصف الرجل منهم بوصف عاسٌ وعَسَّاسٌ والجمع العَسَسُ..، ﴿وَالصُّبْحِ﴾: الواو هنا للقسم، و(الصبح) والصباح والإصباح هو أول النهار ووقت احمرار الأفق بحاجب الشمس؛ أي بما يسبق طلوع الشمس من الأشعة تحت الحمراء، والمصبح موضع الإصباح ووقته أيضا..، ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾..: أي استنشق الهواء وأخرجه، والنَّفَسُ واحد الأنفاس وهي الرياح الداخلة والخارجية إلى الرئتين ومنها؛ وبدونها تنقطع الحياة، يقال تنفس الرجل أي استنشق الهواء وأخرجه، وتنفس الصعداء أي فرج الله عنه كربه حتى استراح، وكل ذي رئة مُتَنَفِسٌ و تنفس الصبح أي تَبَلَّجَ، وتنفس النهار عبارة عن توسعه أي: امتداده إلى الظهيرة..، قيل في الفعل (عسعس) أنه مكون من مقطعين: عس (و) عس، وهو من أفعال الأضداد أو من الأفعال المشتركة في المعني لأن من معانيه: أقبل ظلامه أو أدبر، وفي القسم بإقبال الليل وإدباره إشارة ضمنية رقيقة إلي كل من كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس، فلو لم تكن الأرض كرة؛ ولو لم تكن تلك الكرة تدور حول محورها أمام الشمس ما أقبل ظلام الليل ولا أدبر، وهذه الإشارة الضمنية الرقيقة إلى هاتين الحقيقتين العلميتين من حقائق الأرض وهما كرويتها ودورانها حول محورها أمام الشمس؛ هي من الدلالات القاطعة على صدق القرآن الكريم، وعلى سلامته من أي نقص؛ خاصة وقد نزل في زمن سادت الخرافات والأساطير، وغلبت على أذهان الناس، فرأوا في الحركة الظاهرية للشمس أن الأرض ثابتة والشمس هي التي تدور من حولها، ورأوا في أبعاد الأرض الكبيرة شهادة على انبساطها وعدم تكورها، ولم تثبت كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس إلا بعد تنزل القرآن الكريم بعدد من القرون المتطاولة..، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: التنفس عملية حيوية يأخذ فيها كل من الإنسان والحيوان غاز الأكسجين من الهواء الجوى ليتم بواسطته أكسدة الدم الفاسد المتحرك إلي الرئتين وذلك في عملية (الشهيق) التي تتمدد فيها الرئتان تمدداً ملحوظا، ثم يخرج الغازات السامة من مثل غاز ثاني أكسيد الكربون ومعه بعض بخار الماء وذلك في عملية (الزفير) التي تنكمش فيها الرئتان انكماشا واضحاً، وهذه الآية الكريمة تشبه عملية تمدد نطق الغلاف الغازي للأرض مع بدء طلوع الشمس حتى غروبها؛ ثم انكماشها مع غياب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق بعملية تنفس الأحياء من أمثال كل من الإنسان والحيوان، وهو تشبيه معجز خاصة وأن نطق الحماية في الغلاف الغازي للأرض لم تكتشف إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين..، هذه النطق المكونة للغلاف الغازي للأرض تبدأ في التمدد مع بزوغ الفجر الصادق لتصل إلي أقصي درجات تمددها في وقت الظهيرة، ثم تبدأ في الانكماش حتى الغروب لتصل إلي أدني سمك لها مع دخول الليل، وهذه الحركات من التمدد والانكماش تشبه عمل الرئة في مرحلتي الشهيق والزفير، ولذلك عبر عنها القرآن الكريم بالتنفس؛ فقال تعالي: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، ونطق الغلاف الغازي للأرض لم تكتشف بالكامل إلا بعد ريادة الفضاء في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين سنة١٩٥٨م، ولم يثبت تمددها مع طلوع الشمس وانكماشها عند الغروب إلا بعد قياسات عديدة استغرقت جهود مئات من العلماء لعشرات من السنين..، وسبق القرآن الكريم بالإشارة إلي هذه الحقيقة الكونية من قبل ألف وأربعمائة سنة..؛ لمما يشهد لهذا الكتاب الخالد بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية![١٥٩٢].

[١٥٩٢] دكتور زغلول النجار؛ مقالات جريدة الأهرام الالكترونية: من أسرار القرآن، الأحد ٢٧ من ذو الحجة ١٤٣٦هـ- ١١أكتوبر ٢٠١٥، السنة ١٤٠؛ العدد: ٤٧٠٦٠.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}.. أظلم..، ولى..، أقبل..، وأصله العس وهو الامتلاء..؛ فانطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه ، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه، {والصبحِ}.. طلوع الفجر..، طلوع الشمس..، (إذا تنفّسَ).. بان إقباله..، زاد ضوؤه..، ويحتمل وجهاً ثالثاً أن يكون تنفس بمعنى: طال"[١٥٩٣]، وفي تفسير الجلالين: "اِمْتَدَّ"[١٥٩٤]،

وقال المراغي: "(وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ): أي والليل إذا أدبر وولى؛ وفى إدباره زوال الغمّة التي تغمر الأحياء.. وانحسارها،(وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ): أي.. إذا أسفر وظهر نوره؛ وفى ذلك بشرى للأنفس بحياة جديدة فى نهار جديد"[١٥٩٥].

وقال ابن عاشور: "وَعَسْعَسَ اللَّيْلُ..: قَالَ مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ: أَدْبَرَ ظَلَامُهُ، وَقَالَهُ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَجَزَمَ بِهِ الْفَرَّاءُ وَحَكَى عَلَيْهِ الْإِجْمَاعَ. وَقَالَ الْمُبَرِّدُ وَالْخَلِيلُ: هُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ يُقَالُ: عَسْعَسَ، إِذَا أَقْبَلَ ظَلَامُهُ، وَعَسْعَسَ، إِذَا أَدْبَرَ ظَلَامُهُ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: قَالَ الْمُبَرِّدُ: أَقْسَمَ اللَّهُ بِإِقْبَالِ اللَّيْلِ وَإِدْبَارِهِ مَعًا. وَبِذَلِكَ يَكُونُ إِيثَارُ هَذَا الْفِعْلِ لِإِفَادَتِهِ كِلَا حَالَيْنِ صَالِحَيْنِ لِلْقَسَمِ بِهِ فِيهِمَا لِأَنَّهُمَا مِنْ مَظَاهِرِ الْقُدْرَةِ إِذْ يَعْقُبُ الظَّلَامَ الضِّيَاءُ ثُمَّ يَعْقُبُ الضِّيَاءَ الظَّلَامُ، وَهَذَا إِيجَازٌ. وَعُطِفَ عَلَيْهِ الْقَسَمُ بِالصُّبْحِ حِينَ تَنَفُّسِهِ، أَيِ انْشِقَاقِ ضَوْئِهِ لِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ اللَّيْلِ، وَلِأَنَّ تَنَفُّسَ الصُّبْحِ مِنْ مَظَاهِرِ بَدِيعِ النِّظَامِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ. وَالتَّنَفُّسُ: حَقِيقَتُهُ خُرُوجُ النَّفَسِ مِنَ الْحَيَوَانِ، اسْتُعِيرَ لِظُهُورِ الضِّيَاءِ مَعَ بَقَايَا الظَّلَامِ عَلَى تَشْبِيهِ خُرُوجِ الضِّيَاءِ بِخُرُوجِ النَّفَسِ عَلَى طَرِيقَةِ الِاسْتِعَارَةِ الْمُصَرِّحَةِ، أَوْ لِأَنَّهُ إِذَا بَدَا الصَّبَاحُ أَقْبَلَ مَعَهُ نَسِيمٌ فَجُعِلَ ذَلِكَ كَالتَّنَفُّسِ لَهُ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَكْنِيَّةِ بِتَشْبِيهِ الصُّبْحِ بِذِي نَفَسٍ مَعَ تَشْبِيهِ النَّسِيمِ بِالْأَنْفَاسِ"[١٥٩٦].

وقال القاسمي: "(وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ): أي أدبر ولم يبق إلا اليسير؛ وذلك وقت السحر، (وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ): أي أقبل وتبيّن؛ أو هبّ نسيمه اللطيف، أو انجابت عنه غمة الليل وكربته (ظلمته) تشبيها بمن نفس عنه كربه"[١٥٩٧]، وقال الرازي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ): ذَكَرَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ عَسْعَسَ مِنَ الْأَضْدَادِ، يُقَالُ: عَسْعَسَ اللَّيْلُ إِذَا أَقْبَلَ؛ وَعَسْعَسَ إِذَا أَدْبَرَ.، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْمُرَادُ هَاهُنَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ، لِأَنَّ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَكُونُ الْقَسَمُ وَاقِعًا بِإِقْبَالِ اللَّيْلِ وَهُوَ قَوْلُهُ: (إِذا عَسْعَسَ)؛ وَبِإِدْبَارِهِ أَيْضًا وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ)، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: بَلِ الْمُرَادُ أَدْبَرَ؛ وَقَوْلُهُ: (وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ) أَيِ امْتَدَّ ضَوْءُهُ وَتَكَامَلَ، فقوله: (وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ) إِشَارَةٌ إِلَى أَوَّلِ طُلُوعِ الصُّبْحِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ. وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ ٧٤المدثر:٣٣و٣٤، وَقَوْلُهُ: وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ إِشَارَةٌ إِلَى تَكَامُلِ طُلُوعِ الصُّبْحِ فَلَا يَكُونُ فِيهِ تَكْرَارٌ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ أَيْ إِذَا أسفر كقوله: (وَالصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ)، ثُمَّ فِي كَيْفِيَّةِ الْمَجَازِ قَوْلَانِ؛ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ إِذَا أَقْبَلَ الصُّبْحُ أَقْبَلَ بِإِقْبَالِهِ رَوْحٌ وَنَسِيمٌ، فَجَعَلَ ذَلِكَ نَفَسًا لَهُ عَلَى الْمَجَازِ؛ وَقِيلَ تَنَفَّسَ الصُّبْحُ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ شَبَّهَ اللَّيْلَ الْمُظْلِمَ بِالْمَكْرُوبِ الْمَحْزُونِ الَّذِي جَلَسَ بِحَيْثُ لَا يَتَحَرَّكُ، وَاجْتَمَعَ الْحُزْنُ فِي قَلْبِهِ، فَإِذَا تَنَفَّسَ وَجَدَ راحة، فهنا لَمَّا طَلَعَ الصُّبْحُ فَكَأَنَّهُ تَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ الْحُزْنِ فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالتَّنَفُّسِ؛ وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ لَطِيفَةٌ"[١٥٩٨].

وقال الشهاب: "قوله تعالى: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} مناسبته لقرينه ظاهرة على التفسيرين؛ لأنّ ما قبله إن كان للإقبال: فهو أوّل الليل وهذا أوّل النهار؛ وإن كان للأدبار: فهذا ملاصق له فبينهما مناسبة الجوار، فلا وجه لما قيل من أنه على الأوّل أنسب..، وهو أيضا استعارة بتشبيه أجزاء الظلام مع الفجر لاختلاطه بالنور بغبار مرتفع في الجوّ"[١٥٩٩].

[١٥٩٣] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٦\ ٢١٧).

[١٥٩٤] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٧٩٤).

[١٥٩٥] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م ().

[١٥٩٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٣٠\ ١٥٤).

[١٥٩٧] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٩\ ٤١٨).

[١٥٩٨] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٣١\ ٦٨).

[١٥٩٩] شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي؛ حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي، دار صادر بيروت (٨\ ٣٢٨).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

أرصاد جوية Meteorology

المَوْضُوع Subject

الغلاف الجوي Atmosphere

دوران الأرض Earth Rotation

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ ٢البقرة:٢٢.**
- **﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ٣٧الصافات:٥.**
- **﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.**
- **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.**
- **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:١٢٥.**
- **﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى. تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ ٢٠طه:٢-٤.**
- **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.**
- **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.**
- **﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٣٣.**
- **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.**

- **﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.**

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ٨٦الطارق:١-٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ. وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦الطارق:١-١٤.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾، ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

(I swear) **By the heaven and** (particularly) **the knocker-like** (Pulsar)**. You can't know what that knocker is, It is** (originally) **the (**massive) **extremely bright** (Supernova) **star** (up to 100 million times that of Sun)**. But, each human being has a** (well-organized) **protection over him** (Magnetosphere)**. So let man to consider from what he has been created** (to know the power of Allah; to re-create him again for judgment)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

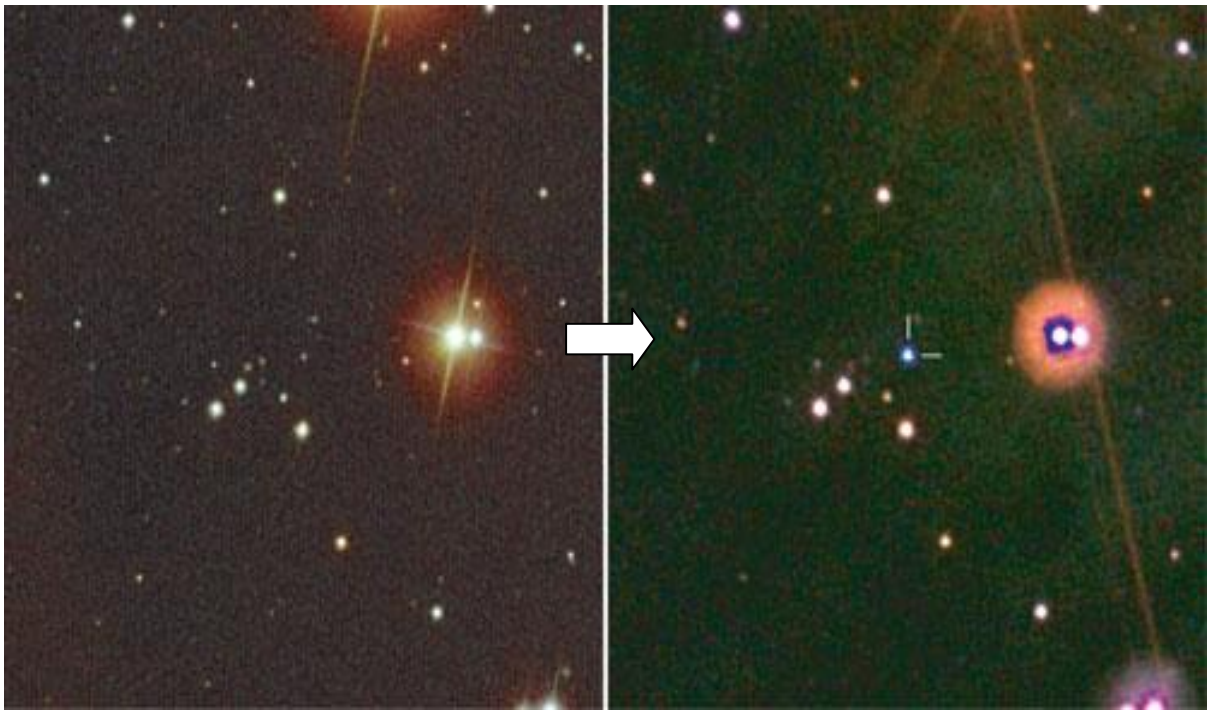

في ١٨ فبراير عام ٢٠٠٦ تم رصد انفجار مُستعر أعظمSupernova في كوكبة الحمل Aries وقد نثر المادة حوله.

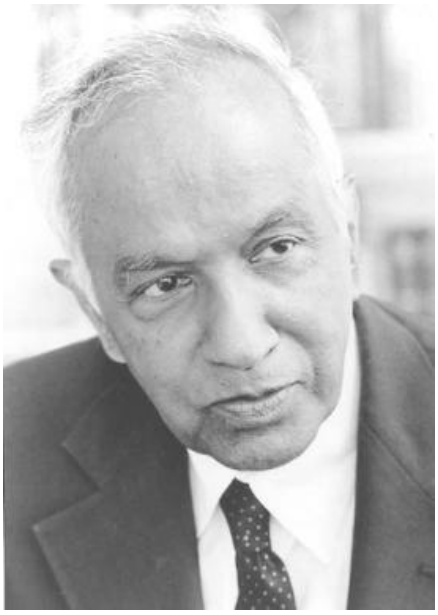

شاندراسيخار Subrahmanyan Chandrasekhar (١٩١٠-١٩٩٥).

في ١٨ فبراير عام ٢٠٠٦ رصدت ناسا مُستعر أعظم بكوكبة الحمل Aries يُطلق أشعة جاما ذات الطاقة الأكبر من الأشعة السينية، والنجم الذي تكون كتلته أكبر من ١,٤٤ مرة قدر كتلة الشمس (حدّ شاندراسيخار Chandrasekhar limit)؛ يهوي على نفسه وينكمش في نهاية حياته بعد استنفاذ كل وقوده النووي؛ ويُحدث انفجارًا مروعًا فيُبعثر مادة القسم الخارجي ويُطلق طاقة إشعاعية هائلة ويُسمى حينئذٍ بالمُستعر الأعظم Supernova، ونتيجة انكماش البقايا المركزية في القسم الداخلي ينجم تفاعل نووي بين الإلكترونات والبروتونات فتتحول إلى نيوترونات؛ ولهذا يُسمى بالنجم النيوتروني Neutron Star، وهو ذو كثافة هائلة؛ فرغم كتلته الأكبر من الشمس يبلغ نصف قطره حوالي: ١٠ كم، وقد يتحول إلى نجم نابض Pulsating Star (Pulsar)، والنجم النابض يبُث موجات راديوية على شكل نبضات منتظمة أشبه بطرقات على الباب، أما إذا كانت كتلة النجم في نهاية عمره أكبر من ٣,٨ مرة قدر كتلة الشمس؛ فإنه يتحول إلى ثقب أسود Black Hole، أما المصير المُتوقع للشمس بعد استنفاذ وقودها؛ فهو التحول لعملاق أحمر Red Giant يُذيب كل ما يُقابله، وتضطرب السماء وتُصبح وردة تتفتح كالدهان حمراء قانية: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ٥٥الرحمن:٣٧، قال ابن عاشور: "(فَكَانَتْ وَرْدَةً) تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ؛ أَيْ كَانَتْ كَوَرْدَةٍ، وَالْوَرْدَةُ وَاحِدَةُ الْوَرْدِ، وَهُوَ زَهْرٌ أَحْمَرُ.. مَشْهُورٌ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ.. شِدَّةُ الْحُمْرَةِ"، "حِينَ يَنْفَتِحُ بِرْعُومُهَا"، "أَيْ يَتَغَيَّرُ لَوْنُ السَّمَاءِ.. فَيَصِيرُ لَوْنُهَا أَحْمَرَ.. "و(الدِّهَانُ) .. الزَّيْتِ..؛ تَشْبِيهٌ.. فِي التَّمَوُّجِ وَالِاضْطِرَابِ"[١٦٠٠]، وقال القاسمي: "(أي) كلون الورد الأحمر، (و) كالدهن.. في.. ذوبانه"[١٦٠١].

[١٦٠٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٧\ ٢٦١).

[١٦٠١] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٩\ ١١٠).

صورة تخيلية للشمس في الأعلى عندما تنفجر وتُصبح
عملاقا أحمر، وصورة وردة حمراء تتفتح في الأسفل.

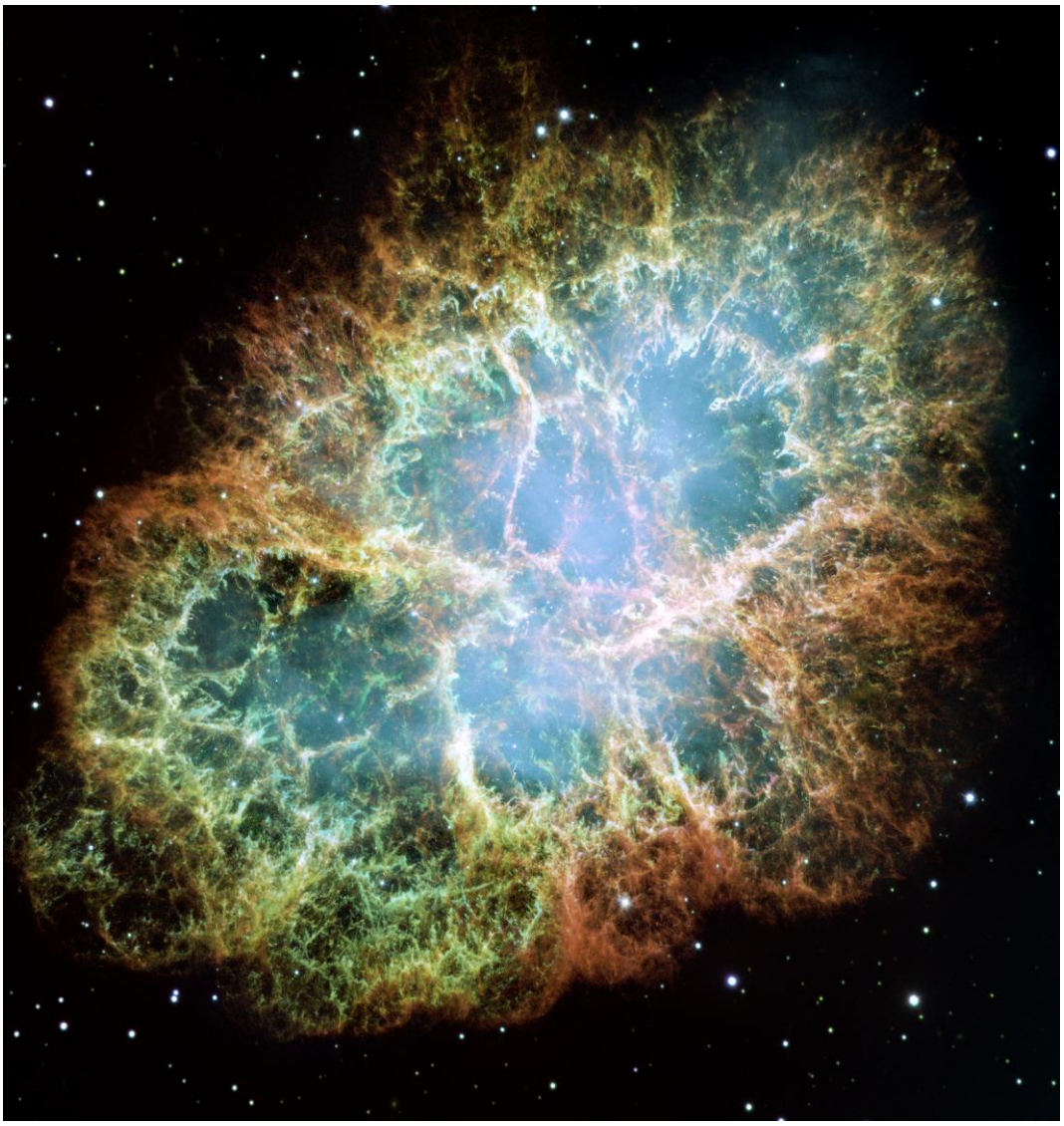

سديم السرطان Crab Nebula؛ في مركزه نجم نباض Pulsar؛
ناجم عن انفجار مستعر أعظم Supernova تم رصده عام ١٠٥٤.

والنجم النابض إذن هو نجم نيوتروني يدور حول نفسه بسرعة كبيرة مُصدرا موجات راديوية وإشعاعات ذات طاقة عالية، والمُكتشف فلكيًّا حتى الآن حوالي: ١٧٠٠ نابض، وبتحويل الموجات الراديوية التي يصدرها النابض لأصوات يُمكن سماع طرقات فعلية، ويوجد نباض في سديم السرطان Crab Nebula خلّفه مُستعر أعظم تم رصده عام ١٠٥٤، فقد لاحظ جون بفيس John Bevis (١٦٩٣ أو ١٦٩٥-١٧٧١) سديم السرطان عام ١٧٣١؛ وتطابق موقعه مع سجلات تاريخية لموقع نجم شديد اللمعان ظهر سنة ١٠٥٤، وبقي ظاهرًا في النهار قرب شهر وفي الليل حوالي عامين، فاتضح أنه كان مُستعرًا أعظم، واتفق عام ٢٠٠٨ على أنه يبعد نحو: ٦,٥٠٠ سنة ضوئية، واكتشف عام ١٩٦٧ في مركزه نجم نيوتروني هو نباض السرطان؛ ويدور حول نفسه دورة كل ٣٠,٢ ثانية، ويصدر أشعة جاما والأشعة السينية بطاقة تبلغ حوالي ٧٥ ألف ضعف ضياء الشمس، وهو أول نباض عُرف بأنه نتيجة انفجار تاريخي لمُستعر أعظم.

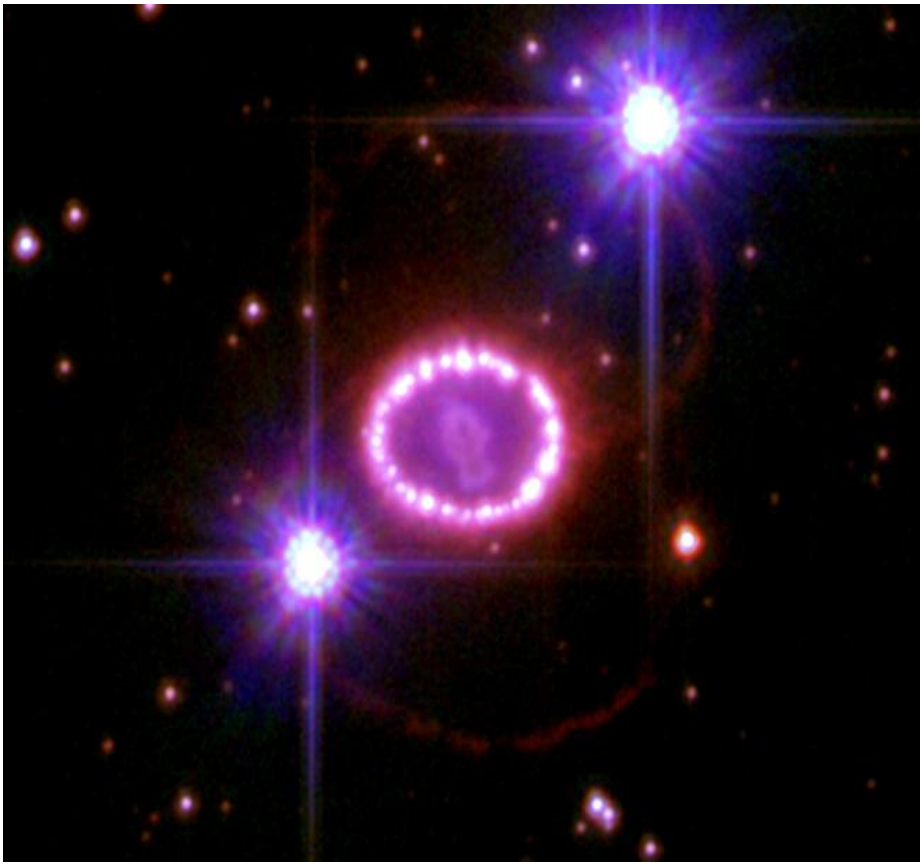

صورة بقايا انفجار مُستعر أعظم (1987A) في سحابة ماجلان الكبرى؛
التقطها تلسكوب هابل الفضائي عام ٢٠٠٧ ونشرتها وكالة الفضاء ناسا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ الطارق: ١-٣؛ لا يُقسم القدير إلا بحدث عظيم يدل على قدرته تعالى، فأقسم بلفظ (السَّمَاءِ) في موضع الكون وخصص بآية على علمه تعالى؛ وهو النجم الطارق تمثيلاً لما يُصدر من نبضات مُنتظمة كأنها الطرقات على الأبواب، وإذا تم تحويل النبضات إلى صوت سُمع بالفعل كأنه طرقات knocks، وهو المُكتشف حديثًا والمعروف باسم النجم النابض Pulsating Star، وأما التعبير: (النَّجْمُ الثَّاقِبُ)؛ فيعني النجم المُميز بكونه ثاقب الإشعاع شديد السطوع Extremely Bright Star، وهي صفة نجم عملاق حين ينفجر ويطرح مادته ويُصدر إشعاعا قويًا؛ والمعروف حديثًا بالمُستعر الأعظم Supernova، لكن المُدهش أن يصف النظم النجم الطارق بكونه هو النجم الثاقب من حيث الأصل؛ فهو يقرر أن النابض أصله نجم مُستعر، وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ٨٦الطارق:٤؛ في سياق ذكر الأشعة الكونية تنويه بخطورتها، والتصريح بوجود حافظ فوق كل إنسان؛ يتفق مع الغلاف المغناطيسي Magnetosphere الذي يدفع الخطر عن كل البشرية، وكل هذا دلائل قاطعة على الوحي؛ حيث لا يُمكن نسبة تلك المعارف العلمية الحديثة لبشر عاش في القرن السابع الميلادي.

والأصل هو حمل لفظ (النَّجْمُ) على ظاهره كاسم جنس لأحد أنواع النجوم السماوية المُتميزة بالصفات المذكورة؛ خاصة مع التصريح بموضع وجوده بلفظ (السَّمَاءِ)، ويتضمن الوصف بيان سطوع ما يُصدره من ضوء وطاقة نافذة، وأنها تأتي متتابعة بهيئة نبضات تماثل الطرقات على الأبواب؛ مما يستقيم معه حمل الوصف على النجوم البراقة النابضة Pulsars، وهي نوع غير معروف سابقًا من النجوم؛ مما يجعل بيانه آية على الوحي لقوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ)، والعدول عن لفظ (اللامع) أو (البراق) إلى (الثَّاقِبُ) يتجاوز معنى سطوع أشعته إلى ظاهر الثقب للأجسام المادية؛ فهو إذن بالإضافة للضوء الساطع يُصدر إشعاعا يُمكنه النفاذ خلال الأرض، وهذا يطابق تمامًا الجسيمات الشبحية Neutrino.

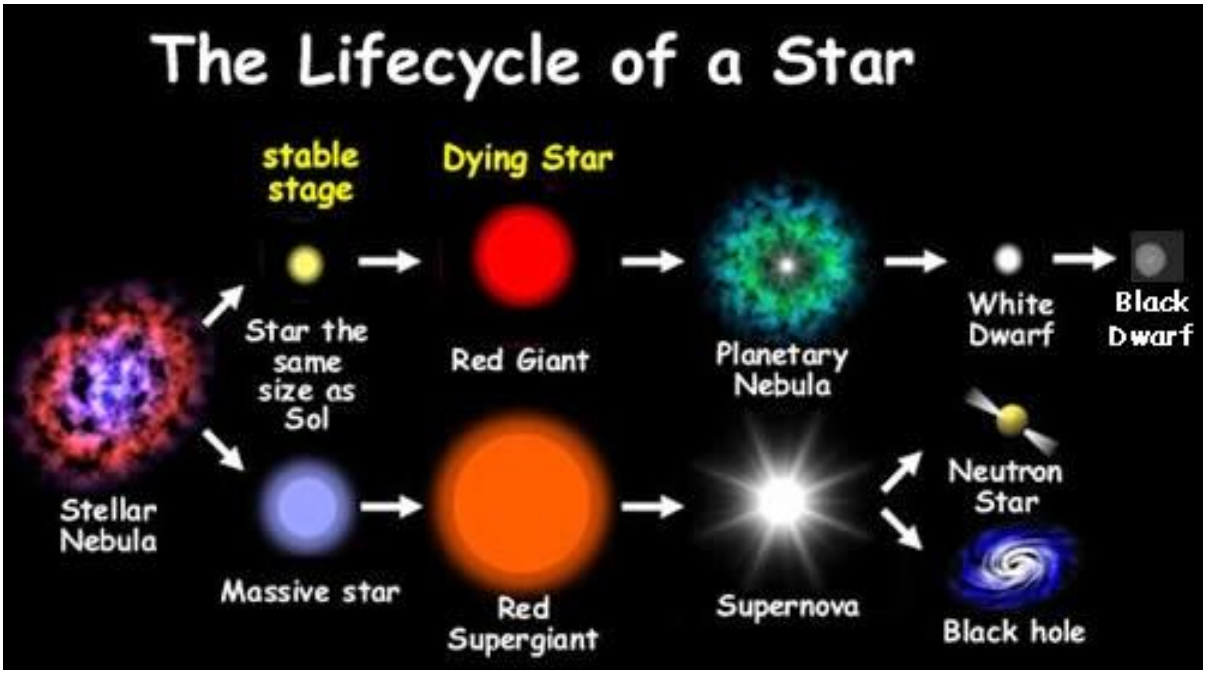

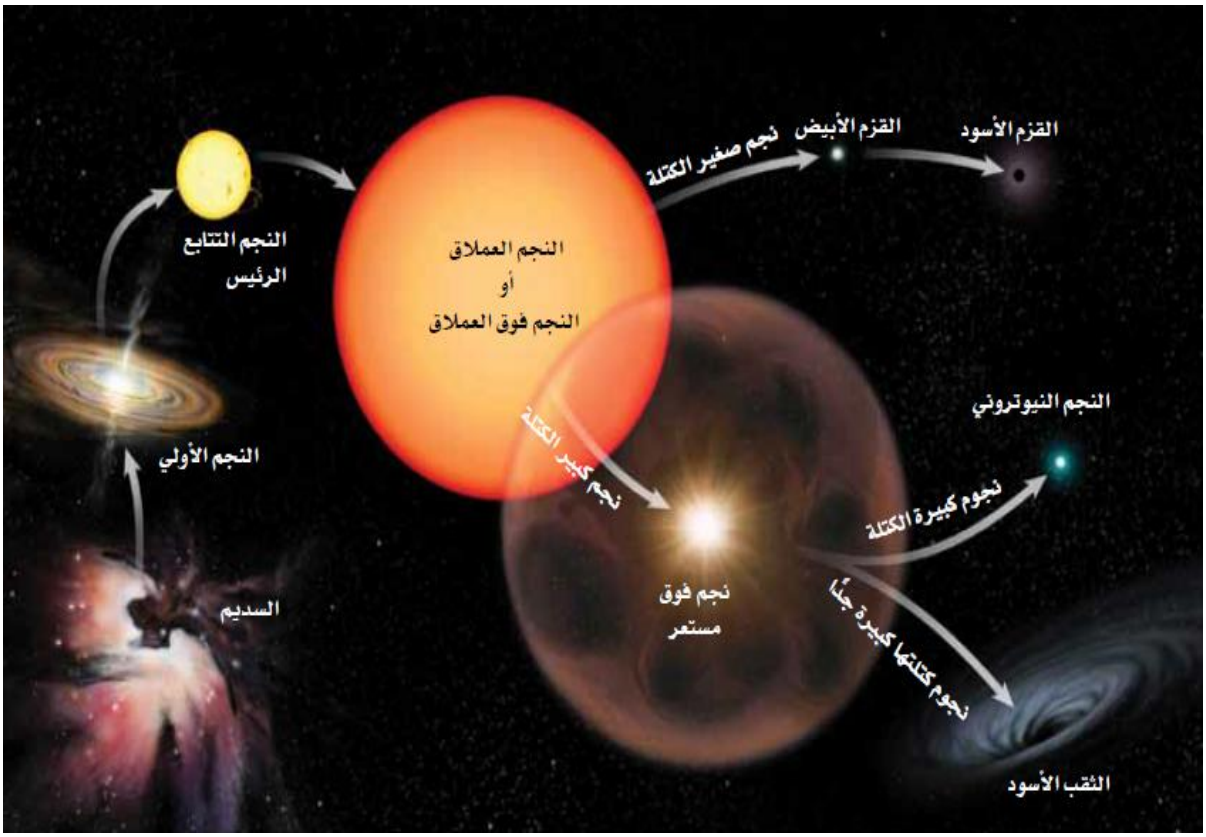

وبعد استنفاذ الوقود النووي، يبدأ النجم في الاحتضار بالتوهج الشديد علي هيئة عملاق أحمر Red Giant؛ إذا كانت كتلته في حدود كتلة الشمس، أو ينفجر بهيئة مُستعر أعظم Supernova؛ إذا فاقت كتلته كتلة الشمس بعدة مرات، أما النهاية في حالة النجوم فائقة الكتلة فهي الثقب الأسود Black hole، والمستعرّ الأعظم تعبير يدل على انفجار نجم تفوق كتلته عدة مرات كتلة الشمس مع إصدار إشعاعات شديدة البريق سرعان ما تخبو في غضون أسابيع أو أشهر، وقد تبلغ شدة إضاءة النجم أكثر من مليون مرة قدر إضاءة الشمس، ومن أهم هذه المراحل المُتأخرة في حياة النجوم ما يعرف باسم النجوم النيوترونية النابضة أو النوابض Pulsars، وهي نجوم شديدة التضاغط، وتتصف بحركة سريعة لتدور عدة دورات حول نفسها في كل ثانية، ومن ثم تنبض بنبضات منتظمة وترسل زخم من الأشعة الراديوية في كل ثانية، وقد يصل عدد النبضات إلي ثلاثين نبضة في الثانية، ويعتمد عدد النبضات علي سرعة دوران النجم حول محوره، حيث أنه من المُعتقد أن كل دورة كاملة للنجم حول محوره تصاحبها نبضة من نبضات الموجات الراديوية التي تسجلها المقربات أو التليسكوبات الراديوية بوضوح تام، وتندفع كميات هائلة أثناء الانفجار من الأجسام الشبحية النيوترينو Neutrino التي يُمكنها اختراق الأرض من جانب إلى آخر.

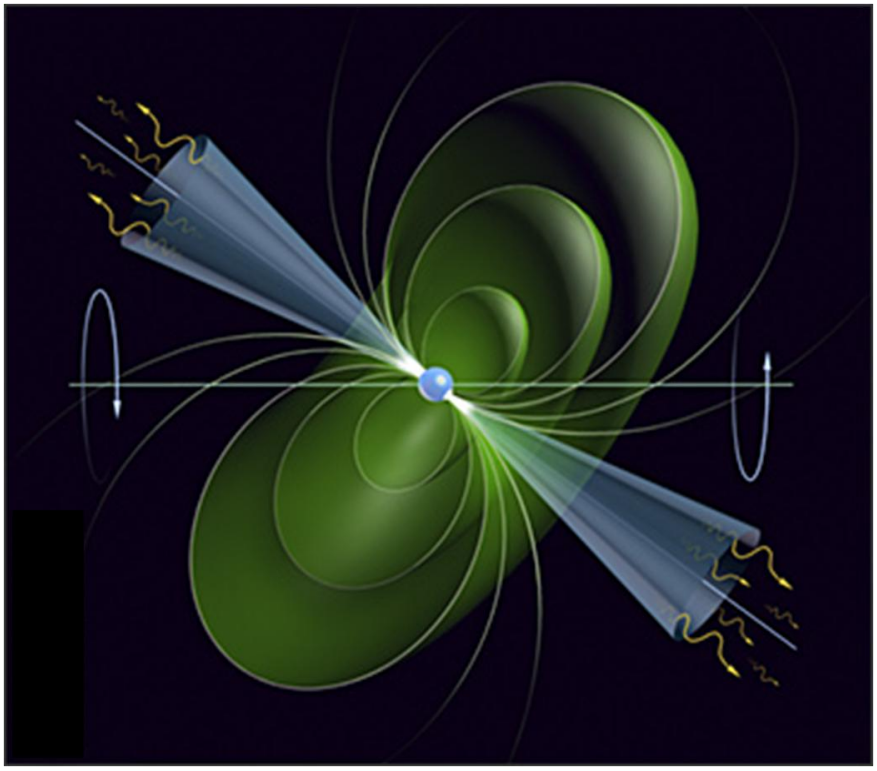

وترجع قصة اكتشاف النجوم النابضة إلى عام ١٩٦٨ حينما التقطت طالبة أمريكية إشارات لاسلكية من خارج الأرض بواسطة التلسكوب اللاسلكي Radio Telescope؛ تأتي في شكل نبضات منتظمة، وفي عام ١٩٨٧ رصد الفلكيون انفجار نجم بجوار مجرة المرأة المسلسلة Andromeda الأقرب لمجرتنا في سحب ماجلان الكبيرة Large Magellan Clouds؛ وتنطبق أوصاف القرآن تماما مع النجوم النابضة Pulsating Stars؛ فهي نجوم ذات كثافة وجاذبية فائقة وحجم صغير وتدور حول محورها بسرعات فائقة مُطلقة كميات هائلة من الإشعاعات، ولذا تُعرف باسم النوابض الراديوية Radio Pulsars، لأنها ترسل نبضات منتظمة من الأشعة الراديوية في كل جزء من الثانية أو في كل عدد قليل من الثواني حسب حجمها وسرعة دورانها حول محورها، وقد يصل عدد نبضات تلك النجوم إلي ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة، ويعتقد أن النابض الراديوي يُطلق نبضة واحدة في كل دورة كاملة حول محوره.

وأجواء النظم تتعلق بظواهر كونية: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، الطارق: ١-٤؛ واختتمت كذلك بظواهر كونية: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ ٨٦الطارق:١١و١٢، فناسب ذكر آيات الآفاق ذكر آيات تتعلق بالأنفس الإنسانية؛ تذكيرًا بيوم الحساب: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ ٨٦الطارق:٥-١٠، والمغزى أن النجوم العظيمة مُقدر لها دورة حياة؛ تموت وتُبعث، وبالمثل للإنسان دورة حياة؛ يموت ويُبعث، لمحات للفطين ليُدرك أن أنباء الغيب المُتعلقة بالتكوين في القرآن الكريم؛ ذخائر مُدَّخَرَة للقادمين تؤيد الوحي لخاتم النبيين.

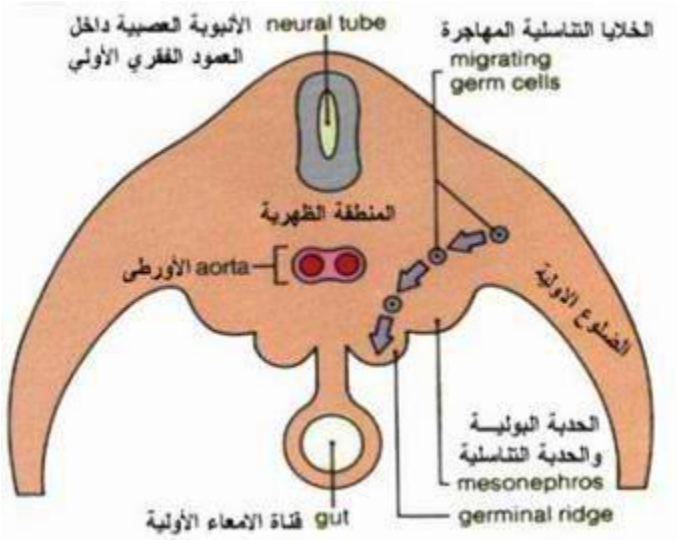

قطاع عرضي يبين نشأة الغدة التناسلية في المنطقة الظهرية للجنين (الأسبوع ٥٦)؛ وهجرة أصولها الخلوية بين بدايات العمود الفقري والضلوع قبل انفصالها وتميزها.

ويكفي أن وصف المني Semen الشبيه بالماء في تعدد المُكونات بكلمة (دَافِقٍ)؛ يعني الحركة الذاتية للمُكونات قبل أن تراها عين تحت المجهر، لأن (دَافِقٍ) اسم فاعل غير (مدفُوق)؛ يدل على الصفة اللازمة والفاعلية الذاتية، والماء الدافق تعبير وصفي للمني لأنه سائل تركيبه يُماثل قطرات الماء؛ إلا أنه حي تتدفق تكويناته وتتحرك بنشاط، وجميع الأوصاف عدا وصف الماء بالدافق تتعلق بالإنسان لأن بدء خلقه هو محور الحديث والموضوع الرئيس؛ وهو المُستدل به على إمكان الإرجاع حيًّا للحساب، فضمير (لَهُ) في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾؛ لا يستقيم عوده إلى الماء وإنما إلى الإنسان، وضمير (رَجْعِهِ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾؛ عائد إلى الإنسان، أي بعثه للحساب بقرينة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ﴾، قال ابن جزي: "الضمير في (إنه) لله تعالى، وفي (رَجْعِهِ) للإنسان، والمعنى: أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته"[١٦٠٢]، وكلها قرائن على عود ضمير (يخرج) كذلك إلى الإنسان: ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾، وخروج ذرية الإنسان من الظهر هو صريح قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيَ آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الأعراف:١٧٢، وقوله: ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ النساء:٢٣، والصلب هو الظهر وسُميت عظام الصدر ترائب لتماثلها في الجانبين، وهو موضع تكون الكليتين والغدة التناسلية في الجنسين Gonad؛ منشأ الخصيتين والمبيضين، وللوجدان أن يقشعر من دقة البيان التي ميزت بين موضع تكون أعضاء إنتاج الذرية وموضع خروجها على طريق هجرتها.

قال المراغي: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أي فلينظر بعقله وليتدبر في مبدأ خلقه ليتضح له قدرة واهبه وأنه.. على إعادته أقدر..، ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾.. حقائق علمية تأخر العلم بها والكشف عن معرفتها وإثباتها ثلاثة عشر قرنا، بيان هذا أن صلب الإنسان هو عموده الفقري وترائبه هي عظام صدره..، وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يُفسر لنا هذه الآيات التي حيرت الألباب..، فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يُجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين مُنتصف العمود الفقري.. ومقابل أسفل الضلوع..، فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتهما وفي إمدادهما بالدم الشرياني وفي ضبط شئونهما بالأعصاب قد اعتمدتا في ذلك كله على مكان في الجسم يقع بين الصلب والترائب؛ فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم وجاء به رب العالمين، ولم يكشفه العلم إلا حديثا بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول ذلك الكتاب، هذا وكل من الخصية والمبيض بعد كمال نموه يأخذ في الهبوط إلى مكانه المعروف، فتهبط الخصية حتى تأخذ مكانها في الصفن، ويهبط المبيض حتى يأخذ مكانه في الحوض بجوار بوق الرحم، وإذا هدي الفكر إلى كل هذا في مبدأ خلق الإنسان؛ سهل أن نصدق بما جاء به الشرع وهو البعث في اليوم الآخر..: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، أي إن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء..؛ قادر أن يرُده حيًّا بعد أن يمُوت"[١٦٠٣].

[١٦٠٢] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١\ ٤٧٢).

[١٦٠٣] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٣٠\ ١١٤).

لقد أذهل القرآن الكريم عند نزوله فرسان البيان وشهد بروائعه حتى المُكابرون، وتضمن دلائل على الوحي للناس أجمعين؛ تكشفها الأيام حينًا بعد حين فيستقر المضمُون، قال تعالى :﴿إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، وقال تعالى : ﴿لّكُلّ نَبَإٍ مّسْتَقَرّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام:٦٧، ولم يقل الأعلام أن إعجازه مقصورٌ فحسب على زمن التنزيل؛ فقد ذخر بوصف ظواهر كونية عديدة في مجالات علمية متنوعة ليست كيفيتها معلومة لبشر زمن التنزيل، وليس من المُعتاد تناولها في أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ مع قابلية مُطابقة مآثر الكشوف العلمية بوجه مع الدلالات في البيئة العربية، فالألفاظ معلومة لكن الكيفية مجهولة؛ حملها بتلطف نظم فريد، وادخرتها أمثال توافق مضامينها الواقع المستور زمن التنزيل؛ كدلائل على الوحي للقادمين العالِمين بخفايا التكوين، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاّ الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت:٤٣، حقائق علمية تناولها الكتاب الكريم؛ تتحدى المُكابر وتشهد للفطين بوحدانية القدير، وسبق علمه وتقديره وبديع صنعه وحكيم تدبيره، يقول العلي القدير :﴿بَلْ كَذّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّالِمِينَ﴾ يونس:٣٩.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إن كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر}؛ قوله تعالى: {والسماءِ والطارقِ}، هما قسمَان: (والسماءِ) قَسَمٌ (والطارقِ) قَسَمٌ، (الطارق) نجم، وقد بيّنه الله تعالى بقوله: {وما أدْراكَ ما الطارقُ النجْمُ الثّاقبُ}..، وأصل الطرق الدق، ومنه سميت المطرقة، فسمي قاصد الليل طارقاً لاحتياجه في الوصول إلى الدق، وفي قوله (النجم الثاقب) ستة أوجه؛ أحدها: المضيء؛ قاله ابن عباس، الثاني: المتوهج؛ قاله مجاهد، الثالث: المنقضّ؛ قاله عكرمة، الرابع: أن الثاقب الذي قد ارتفع على النجوم كلها؛ قاله الفراء، الخامس: الثاقب: الشياطين حين ترمى؛ قاله السدي، السادس: الثاقب في مسيره ومجراه؛ قاله الضحاك، وفي هذا النجم الثاقب قولان؛ أحدهما: أنه زُحل؛ قاله عليّ، الثاني: الثريّا؛ قاله ابن زيد، {إن كُلُّ نفْسٍ لّما عليها حافِظٌ} فيه وجهان؛ أحدهما: (لّما) بمعنى إلاّ، وتقديره: إنْ كل نفس إلاَّ عليها حافظ؛ قاله قتادة، الثاني: أن (ما) التي بعد اللام صله زائدة، وتقديره: إن كل نفس لعليها حافظ؛ قاله الأخفش، وفي الحافظ قولان؛ أحدهما: حافظ من الله يحفظ عليه أجله ورزقه؛ قاله ابن جبير، الثاني: من الملائكة يحفظون عليه عمله من خير أو شر، قاله قتادة، ويحتمل ثالثاً: أن يكون الحافظ الذي عليه عقله، لأنه يرشده إلى مصالحه، ويكفّه عن مضاره، {يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ} فيه قولان؛ أحدهما: من بين صلب الرجل وترائبه؛ قاله الحسن وقتادة، الثاني: بمعنى أصلاب الرجال وترائب النساء، وفي الترائب ستة أقاويل؛ أحدها: أنه الصدر؛ قاله ابن عياض..، الثاني: ما بين المنكبين إلى الصدر؛ قاله مجاهد، الثالث: موضع القلادة؛ قاله ابن عباس..، الرابع: أنها أربعة أضلاع من الجانب الأسفل؛ قاله ابن جبير، وحكي الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، الخامس: أنها بين اليدين والرجلين والعينين؛ قاله الضحاك، السادس: هي عصارة القلب؛ قاله معمر بن أبي حبيبة، {إنّه على رَجْعِهِ لقادرٌ} فيه خمسة أوجه؛ أحدها: على أن يرد المني في الإحليل؛ قاله مجاهد، الثاني: على أن يرد الماء في الصلب؛ قاله عكرمة، الثالث: على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة؛ قاله الضحاك. الرابع: على أن يعيده حيّاً بعد موته؛ قاله الحسن وعكرمة وقتادة، الخامس: على أن يحبس الماء فلا يخرج، ويحتمل سادساً: على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخرة؛ لأن الكفار يسألون الله فيها الرجعة، {يومَ تُبْلَى السّرائرُ} أي تَظْهَر، ويحتمل ثانياً: أن تبتلى بظهور السرائر في الآخرة بعد استتارها في الدنيا، وفيها قولان: أحدهما: كل ما استتر به الإنسان من خير وشر؛ وأضمره من إيمان أو كفر..، الثاني: هو ما رواه خالد عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأمانات ثلاث: الصلاة والصوم والجنابة، استأمن الله ابن آدم على الصلاة، فإن شاء قال: قد صليت ولم يُصلّ، استأمن الله ابن آدم على الصوم، فإن شاء قال: قد صمت ولم يصم، استأمن الله ابن آدم على الجنابة، فإن شاء قال: قد اغتسلت ولم يغتسل، اقرؤوا إن شئتم: (يوم تُبْلى السّرائرُ)، {فما لَهُ مِن قُوَّةٍ ولا ناصِرٍ} فيه قولان؛ أحدهما: أن القوة العشيرة، والناصر: الحليف؛ قاله سفيان، الثاني: فما له من قوة في بدنه ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله أو ينتصر به على الله؛ وهو معنى قول قتادة، ويحتمل ثالثاً: فما له من قوة في الامتناع ولا ناصر في الاحتجاج"[١٦٠٤].

[١٦٠٤] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ \ ٢٤٥).

وقال ابن جزي: "(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) هذه السماء التي أقسم الله بها هي المعروفة. وقيل: أراد المطر لأن العرب قد تسميه سماء؛ وهذا بعيد، والطارق في اللغة ما يطرق أي يجيء ليلا، وقد فسره الله هنا بأنه (النجم الثاقب)، وهو يطلع ليلا، ومعنى الثاقب: المُضيء أو المُرتفع، فقيل: أراد جنس النجوم، وقيل: الثريا، لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم، وقيل: زحل، (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حافِظٌ) هذا جواب القسم؛ ومعناه عند الجمهور: أن كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها، يعني: الملائكة الحفظة، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية: أن لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل، ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين، وإن صح هذا الحديث فهو المعوّل عليه، وقرئ (لما عليها) بتخفيف الميم، وعلى هذا تكون (إن) مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد وما زائدة، وقرئ (لمّا) بالتشديد، وعلى هذا تكون إن نافية ولما بمعنى الإيجاب بعد النفي، (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ) حذف ألف (ما) لأنها استفهامية، وجوابها: (خلق من ماء دافق)، وسمي المني ماء دافقًا من الدفق، بمعنى الدفع، فقيل: معناه مدفوق؛ وصاحبه هو الدافق في الحقيقة، قال سيبويه: هو على النسب؛ أي ذو دفق، وقال ابن عطية: يصح أن يكون الماء دافقا لأن بعضه يدفع بعضا، ومقصود الآية إثبات الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أنه يعيده، ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها، أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها، (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ) الضمير في يخرج للماء وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون للإنسان، وهذا بعيد جدا، والترائب: عظام الصدر واحدها: تريبة، وقيل: هي الأطراف كاليدين والرجلين، وقيل: هي عصارة القلب، ومنها يكون الولد، وقيل: هي الأضلاع التي أسفل الصلب، والأول هو الصحيح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس: هي موضع القلادة ما بين ثديي المرأة، ويعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها، وقيل: أراد صلب الرجل وترائب المرأة، (إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ) الضمير في إنه لله تعالى وفي رجعه للإنسان، والمعنى: أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته، والمراد إثبات البعث، (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) يعني: يوم القيامة، والسرائر جمع سريرة وهي ما أسرّ العبد في قلبه من العقائد والنيات، وما أخفى من الأعمال وبلاؤها هو تعرّفها والاطلاع عليها، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وهذه معظمها، فلذلك خصّها بالذكر، والعامل في يوم قوله: (رَجْعِهِ) أي يرجعه يوم تبلى السرائر، واعترض بالفصل بينهما، وأجيب بقوة المصدر في العمل، وقيل: العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم، وهذا لا يلزم لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم، وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى تقديره: يرجعه يوم تبلى السرائر، وهذا كله على المعنى الصحيح في رجعه، وأما على الأقوال الأخر؛ فالعامل في يوم مضمر تقديره: اذكر، (فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ) الضمير للإنسان، ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له؛ أخبره الله أنه يعدمها يوم القيامة"[١٦٠٥].

[١٦٠٥] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١٢ ٤٧١).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Supernovas and Pulsars

المستعرات العظمى والنجوم النوابض

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ ١٣الرعد:١٠-١٣.
- ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ. وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦الطارق:١-١٤.
- ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ٥٥الرحمن:٣٧.
- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.
- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ٣٤سبأ:٢.
- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ٥٧الحديد:٤.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ٥٧الحديد:٢٥.
- ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ ٣٧الصافات:٦-١٠.
- ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:١٢،
- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ. وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٦٧الملك:٥و٦.
- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ٦الأنعام:٦١.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ٥٠ق:١٦-١٨.
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ٨٢الإنفطار:١٠-١٢.
- ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٥الحجر:١٦-١٨.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ.
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾
٨٦الطارق:٥-٧.

Paragraph الفَقْرَة

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ.
إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ ٨٦الطارق:٥-١٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Let man see from what he is created? He is created (in the last generation) **from** (minute) **actively moving water-like droplets** (of the semen at ejaculation)**. He** (man in previous generation) **emerges originally from between the backbone and the ribs** (in gonads besides kidneys during his parents embryogenesis)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

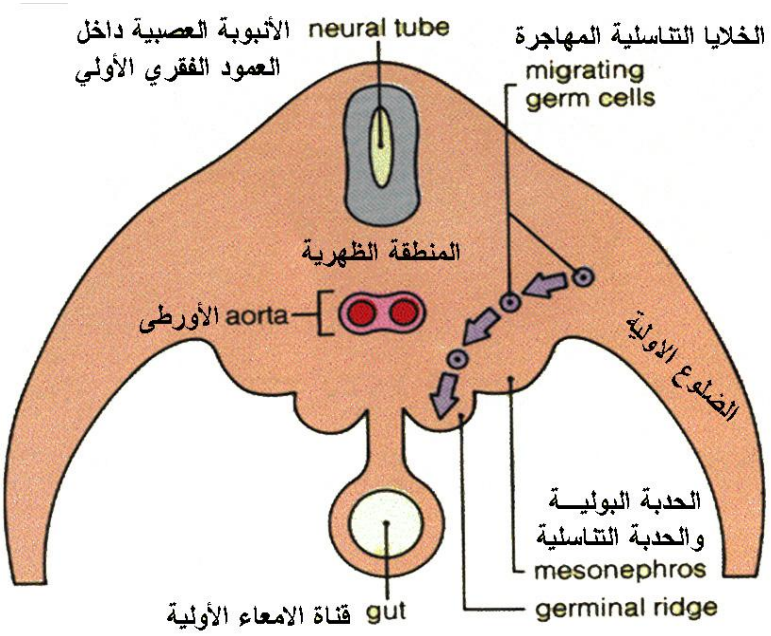

قطاع عرضي يبين نشأة الغدة التناسلية في المنطقة الظهرية للجنين (الأسبوع ٥-٦) وهجرة أصولها الخلوية بين بدايات العمود الفقري والضلوع قبل انفصالها وتميزها.

(١) نشأة الذرية:

في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ. إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَىَ السَّرَآئِرُ. فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾ الطارق ٥-١٠؛ الماء الدافق تعبير وصفي للمني لأنه سائل تركيبه يماثل قطرات الماء إلا أنه حي تتدفق تكويناته وتتحرك بنشاط، ويصدق عليها الوصف بصيغة اسم الفاعل (دافق) لدلالته على الحركة الذاتية، وجميع الأوصاف عدا وصف الماء بالدافق تتعلق بالإنسان لأن بدء خلقه هو محور الحديث والموضوع الرئيس وهو المُستدل به على إمكان الإرجاع حيًا للحساب، وضمير (لَهُ) في قوله تعالى ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾ لا يستقيم عوده إلى الماء؛ وإنما إلى الإنسان، وضمير (رَجْعِهِ) في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ لا يستقيم عوده إلا إلى الإنسان والإرجاع هو إعادة الخلق للحساب بقرينة وقت الإرجاع ﴿يَوْمَ تُبْلَىَ السَّرَآئِرُ﴾، ولا تُوجد ضرورة لتشتيت مرجع الضمائر في ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ و﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ﴾ و(رَجْعِهِ) في ﴿إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ و﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾ ولذا كل هذه القرائن تجعل عود ضمير (يَخْرُجُ) في ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾ إلى الإنسان كذلك مثلها، خاصة أن المني لا يخرج بذاته كذلك وإنما من الخصية، والوصف بالإخراج آية مستقلة كبيان متصل بأصل الحديث عن الإنسان، وبيان القدرة المُبدعة وسبق التقدير وإمكان الإعادة أظهر في إخراج الذرية من ظهور الأسلاف، والتلازم قائم بين (إخراج) الإنسان للدنيا وليداً وإرجاعه حيًا؛ بينما لا تلازم بين إخراج المني وإرجاع الإنسان، وخروج ذرية الإنسان من الظهر صريح في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيۤ آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الأعراف ١٧٢، وقوله: ﴿أَبْنَآئِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ النساء ٢٣، ولم يرد في القرآن فعل (الإخراج) مُتعلقا بالمني بينما ورد كثيرا مُتعلقا بالإنسان لبيان خروجه للدنيا وليداً وخروجه حيًا للحساب، وللوجدان أن يقشعر من تلك الدقة المُتناهية التي ميزت بين موضع تكون أعضاء إنتاج الذرية في الظهر؛ وموضع خروجها على طريق هجرتها!.

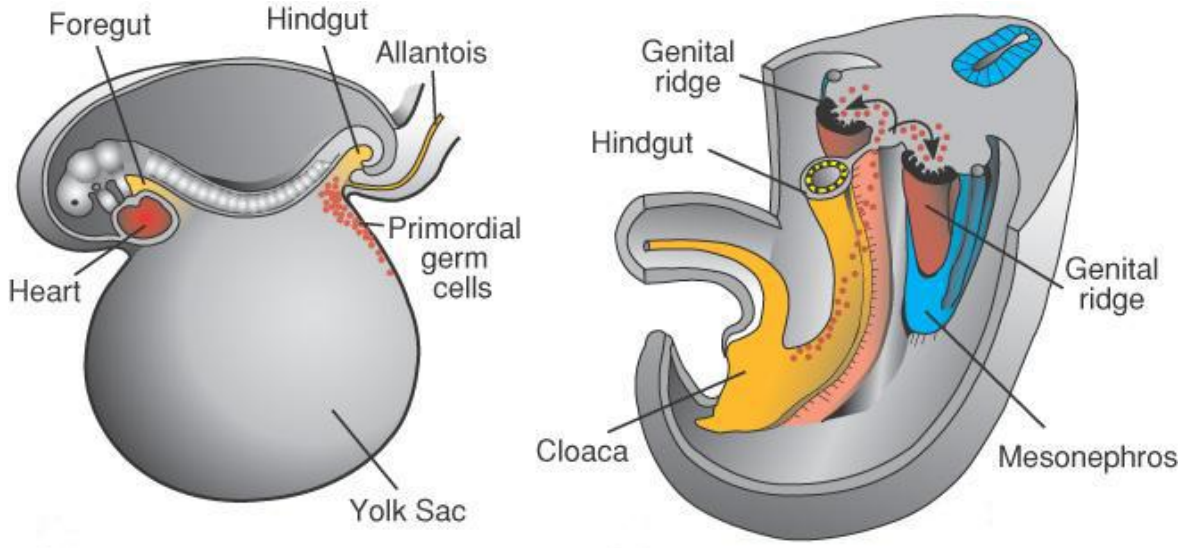

والخلايا التناسلية الأولية Primordial Germ Cells؛ تُهاجر من كيس المح ومنطقة الأمعاء الخلفية لتجتمع في الحدبة التناسلية Genital ridge بالظهر بجوار موضع نشأة الكلية Mesonephros في كل جهة في الجنسين، والحدبة التناسلية هي موضع إنتاج الذرية في الجنسين؛ حيث تتكون فيها الغدة الجنسية Gonad أصل الخصية والمبيض، وتبرزان من بين العمود الفقري والضلوع في الجنسين، ثم تهاجر الخصية إلى كيس الصفن والمبيض إلى جوار الرحم.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ. فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾ الطارق ٥-١٠؛ يتعلق الحديث بخلق الإنسان لقوله تعالى (فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ)، ويتعلق ببعثه وحيدا بلا قوة ولا ناصر لقوله تعالى (إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ. فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ)، وقد اشتبه على البعض فحملوا الخروج من بين الصلب والترائب على المني بخلاف الواقع وسياق النص، ولكن الضمائر كلها يستقيم أن تعود على الإنسان، والأصل الأقرب للإنسان مني مُكوناته ذاتية الحركة لوصفه تشبيها بالماء عديد النطف أو القطرات باسم الفاعل (دَافِقٍ)، أما البويضات فكلها مُكونة عندما كانت الأم جنين، والأصل الأبعد لجيل الإنسان مُعد بظهر كل من الأب والأم عندما كانا جنينين، وتخرج أصول الخصية والمبيض في كلا الجنسين من بين أصول عظام الظهر المعبر عنها بالصلب؛ وعظام الضلوع المعبر عنها بالترائب لتماثلها في الجانبين.

والمعلوم حاليا أن خلق الإنسان يتم باتحاد حوين منوي واحد مع بويضة لتتكون "النطفة الأمشاج" وفق تعبير القرآن الكريم، أي ذات الأخلاط الوراثية من الزوجين من حيث التركيب، ونجد تلك الدلالة صريحة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ الإنسان:٢، وهو تعبير عجيب لأنه أرجع خلق الإنسان إلى "نطفة" أو ما يُماثل قطرة ماء واحدة، ووصفها بالجمع أمشاج ليبين دور كل من الزوجين ويكشف سر التركيب الداخلي للكيان الأول من أخلاط منهما تحمل تقدير كل الصفات البدنية، ولكن إذا تتبعنا مراحل التخلق نجد أن الحوين المنوي أسبق تكوينًا وفاعلية من البويضة؛ لأنه يحتاج إلى حوالي عشرة أسابيع ليصبح قادرا على الإخصاب وتمتد فاعليته نحو ثلاثة أيام بينما تحتاج البويضة إلى حوالي أسبوعين لتنضج ولا تتجاوز فاعليتها في عملية الإخصاب أكثر من يوم، ومع تأكيد القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ الطارق:٦، يستقيم هذا على إرجاع أصل الإنسان بنوعيه الذكر والأنثى إلى المني حين يمنى كأول مرحلة لسبق تكوين كل البويضات كما في النبأ: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى. مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ النجم:٤٥و٤٦، وفي قوله تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾؛ قال الشوكاني: "الماء هو المنى؛ والدفق الصب، يُقال دفقت الماء أي صببته.. قال الزجاج من ماء ذي اندفاق"، وقال الكلبي: "وسُمي المني ماء دافقًا من الدفق بمعنى الدفع فقيل معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق.. قال سيبويه هو على النسب؛ أي ذو دفق، وقال ابن عطية يصح أن يكون الماء دافقًا لأن بعضه يدفع بعضا"، ووصف المني بأنه يعج بالحركة الذاتية لأجزائه يتفق مع المعرفة العلمية الحديثة بأن الحوين المنوي ذو قدرة على الحركة والدفق الذاتي بخلاف البويضة التي لا تمتلك أعضاء حركة، وتظل قابعة يوم الإخصاب في انتظار وصوله، وبهذا يسجل القرآن الكريم معجزة كبرى بعدوله في التعبير إلى الفاعل (دَافِقٍ) بدلا عن الوصف الذي يُدركه الكل (مدفوق)، ولا حاجة بنا لتكلف صرف دلالة التعبير (دَافِقٍ) عن ظاهره إلى (مدفوق) ليوافق مداركنا لأنه أنزل بعلم الله وعلمنا محدود.

وفي قوله تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ. فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾ الطارق:٥-١٠؛ يتصل العرض وينقلك في ومضة من مشاهد بدايات مُقدرة تسبق وجود الإنسان إلى حيث يقف عاجزا معرُى السريرة ليواجه مصيره وحده بلا أعوان؛ فيتجلى

بتلك النقلة الكبيرة الفارق في أحواله، وسرعة النقلة تؤكد التقدير والقصد لسبق التهيئة قبل خلقه وتجلي قدرة الله تعالى ووحدة تدبيره مؤيدةً: ﴿إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، قال الكلبي: "الضمير في إنه لله تعالى وفي رجعه للإنسان"، وهكذا جعل القرآن "الإنسان" محور الحديث مما يؤيد عودة الضمير إليه في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾، نقل الكلبي عن ابن عطية قوله: "يحتمل أن يكون للإنسان"، والتعبير بالمضارع (يَخْرُجُ) يفيد أن عملية خلق الإنسان بنوعيه ممتدة في الأجيال ومتجددة تعود بداياتها إلى منطقة محددة في بدن الأبوين تقع ﴿بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾ حيث يقبع مصنع إنتاج الأجيال المُقبلة، قال الكلبي: "يعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها"، والمُذهل حقا أن بداية تكون الخصية والمبيض ترجع فعلا خلال الحياة الجنينية لهما إلى المنطقة الظهرية بين العمود الفقري وعظام الصدر في الجهتين، ويؤكد ذلك التحديد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيۤ آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الأعراف:١٧٢، قال ابن الجوزي: "أخرج بعضهم من ظهور بعض"، وفي تفسير الجلالين: "نسلا بعد نسل"، والصُّلب هو الظهر إذا ورد مُنفردا لكون بدن الإنسان يُحمل عليه اعتمادا على صلابة العمود الفقري، وفي مقابل عظام الصدر يعني: "عظم الفقار المُتصل في وسط الظهر"، ولفظ "الترائب" هنا بمعنى: "عظام الصدر جمع تريبة"، وهي متماثلة في الجانبين؛ مما يتفق مع اشتقاق اللفظ من نفس مادة "أتراب" بمعنى متماثلاث.

قال المراغي: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ﴾ أي فلينظر بعقله وليتدبر في مبدأ خلقه ليتضح له قدرة واهبه وأنه.. على إعادته أقدر..، ﴿خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾.. حقائق علمية تأخر العلم بها والكشف عن معرفتها وإثباتها ثلاثة عشر قرنا، بيان هذا أن صلب الإنسان هو عموده الفقري (لصلابته) وترائبه هي عظام صدره..؛ وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يُفسر لنا هذه الآيات التي حيرت الألباب..، فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يُجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريبا ومقابل أسفل الضلوع..، فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتهما وفي إمدادهما بالدم الشرياني وفي ضبط شئونهما بالأعصاب قد اعتمدتا في ذلك كله على مكان في الجسم يقع بين الصلب والترائب؛ فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم وجاء به رب العالمين ولم يكشفه العلم إلا حديثا بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول ذلك الكتاب، هذا وكل من الخصية والمبيض بعد كمال نموه يأخذ في الهبوط إلى مكانه المعروف فتهبط الخصية حتى تأخذ مكانها في الصفن ويهبط المبيض حتى يأخذ مكانه في الحوض بجوار بوق الرحم، وقد يحدث في بعض الأحيان ألا تتم عملية الهبوط هذه فتقف الخصية في طريقها ولا تنزل إلى الصفن؛ فتحتاج إلى عملية جراحية..و وإذا هدي الفكر إلى كل هذا في مبدأ خلق الإنسان؛ سهل أن نصدق بما جاء به الشرع وهو البعث في اليوم الآخر..: ﴿إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾..، أي إن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء.. قادر أن يرده حيا بعد أن يموت"[١٦٠٦].

(٢) لا تفسير سوى التقدير:

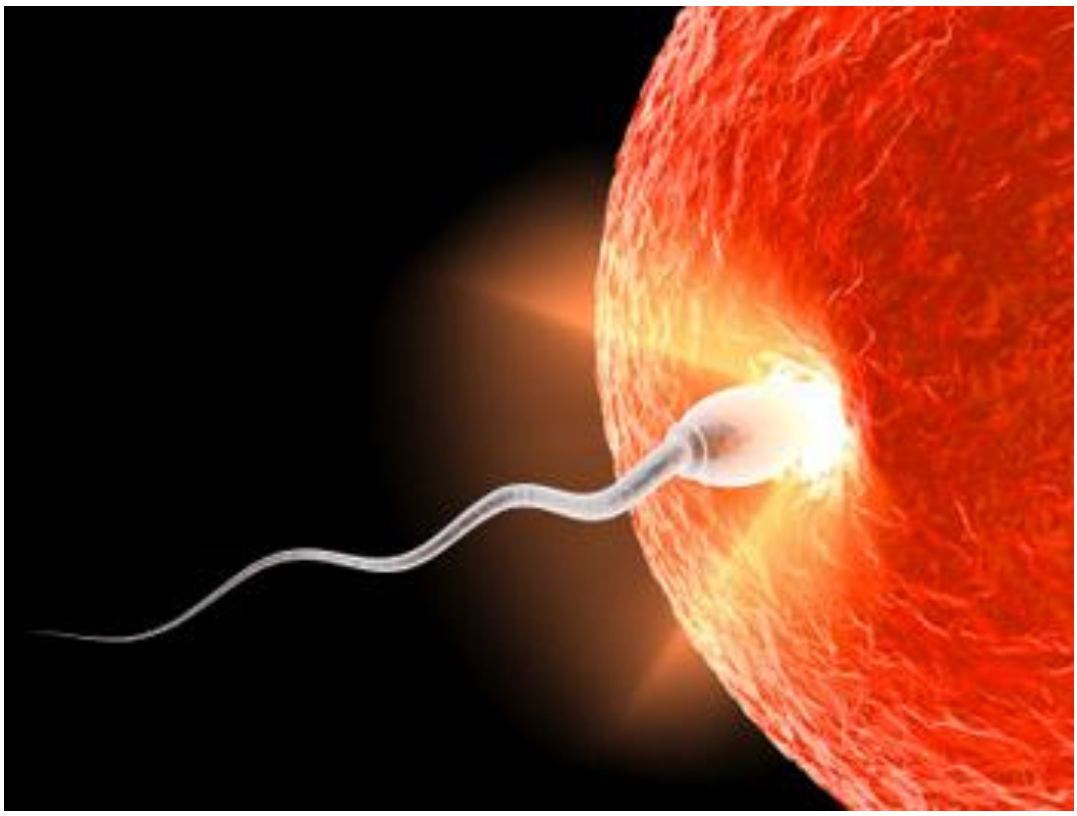

[١٦٠٦] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٣٠\١١٣).

يحدث الإخصاب قرب الطرف الخارجي لقناة الرحم ثم تبدأ البويضة المُلقحة في الانقسام لتتحول إلى ما يشبه التوتة Morula، ويظهر بداخلها تجويف ليقسم الخلايا إلى طبقة خارجية وكتلة خلوية داخلية Inner Cell Mass ينشأ منها الجنين، فتتحول التوتة إلى كيس الأرومة Blastocyst الذي ينغرس في جدار الرحم في نهاية الأسبوع الأول، وينتهي الإنغراس بنهاية الأسبوع الثاني وخلاله تتحول الكتلة الداخلية إلى هيئة قرص ثنائي الطبقات، وفي الأسبوع الثالث تكون بهيئة قرص ثلاثي الطبقات Trilaminar Embryonic Disc، ومع بداية الرابع تتضح الكتل الظهرية Somites التي تنشا منها فقرات الظهر ويبدأ القلب في ضخ الدم ويستمر تكوين كل الأعضاء الأولية للجسم لتكتمل مع نهاية الأسبوع الثامن ولذا تسمى بالفترة الجنينية Embryonic Period، ويبدأ التكامل وتعديل هيئة الجنين وأبعاد جسمه من بداية التاسع إلى الولادة بعد تسعة أشهر (٢٦٦ يوماً) وتسمى بالفترة الحملية Fetal Period.

ويحدث الإخصاب Fertilization باتحاد البويضة Ovum التي تحتوي على ٢٢ فتيلة وراثية Chromosome بدنية تحمل المعلومات التوجيهية اللازمة لتنفيذ مشروع الجنين المقبل بالإضافة إلى فتيل وراثي جنسي يحمل شارة الأنوثة بهيئة (X) مع حوين منوي Sperm يحتوي على ٢٢ فتيلة بدنية بالإضافة إلى فتيلة جنسية تحمل إما شارة الذكورة بهيئة (Y) أو شارة الأنوثة بهيئة (X) كالبويضة، وليس للبويضة أعضاء حركة بينما يحتوي المني المتدفق عند القذف Ejaculation على ملايين الحوينات النشطة الحركة لينتخب أحدها ويتحد بالبويضة فتتكون أول خلية بشرية Zygot ويكتمل عدد الفتائل الوراثية بهيئة أزواج متماثلة Matched pairs خلائط من الأبوين، وتتسابق الحوينات وتعلو في المجارى التناسلية للأنثى، فإذا سبق الحوين الذي يحتوي على نصف الفتائل البدنية بالإضافة إلى الفتيلة الجنسية ذات شارة الذكورة بهيئة (Y) واتحد مع البويضة ذات النصف المكمل من الفتائل البدنية بالإضافة إلى فتيلة جنسية تحمل شارة الأنوثة (X) كان الجنين ذكراً تحتوي خلاياه على فتيلتين وراثيتين بهيئة (XY) بالإضافة إلى ٢٢ زوجا بدنيا متماثلا، وإذا سبق الحوين ذو الشارة (X) مثل البويضة كان الجنين وراثياً أنثى فتائله الجنسية بهيئة (XX).

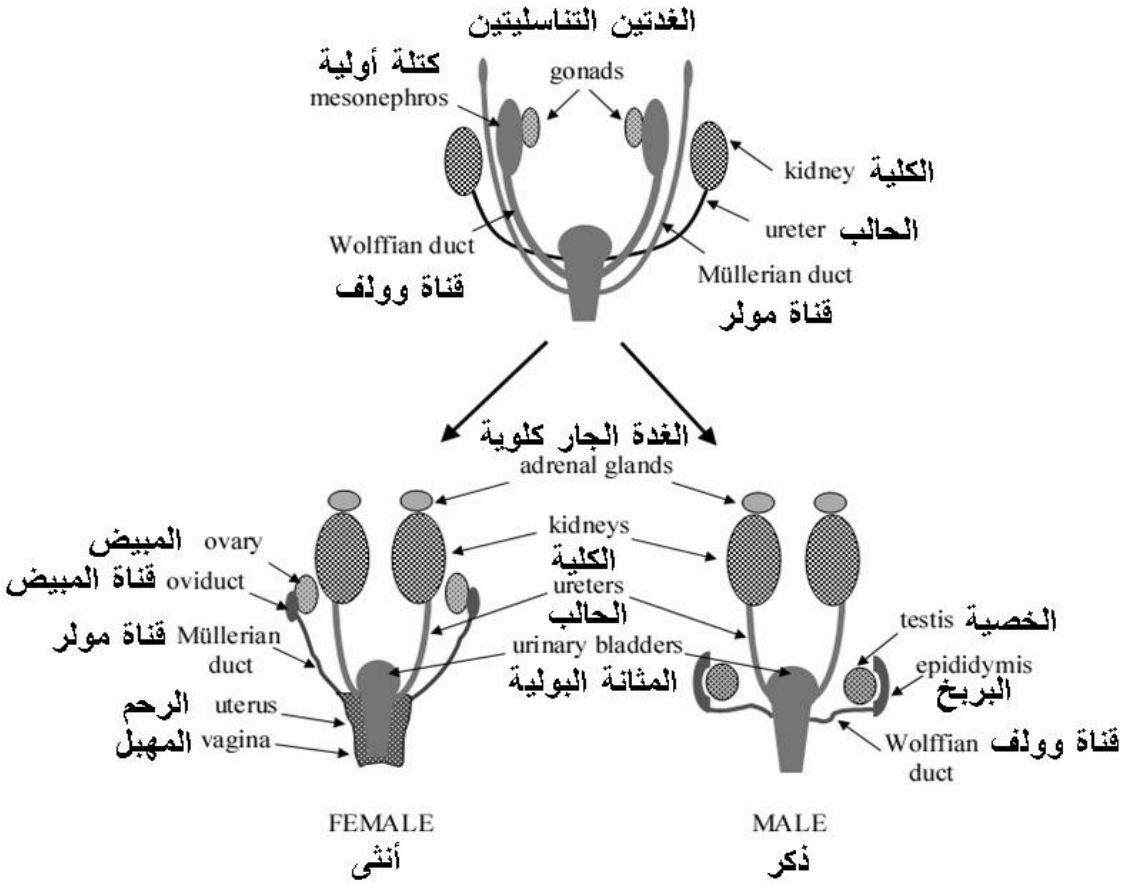

تميز الغدة التناسلية إلى خصية في الذكر ومبيض في الأنثى
مع نشأة الأعضاء التناسلية الداخلية من قناتي وولف ومولر.

ويتقرر جنس أجنة الثدييات عموماً عند الإخصاب بتوريث فتيلة وراثية من الذكر إما بهيئة (Y) فينتج ذكراً أو بهيئة (X) فتنتج أنثى، ولكن لا تتميز الأعضاء الجنسية الداخلية إلا في الأسبوع السابع ولا تتميز الأعضاء الجنسية الخارجية إلا في الثامن، وفي البداية تتماثل أجنة الجنسين وتوجد أعضاء أولية لتكوين أيٍّ من الأعضاء الجنسية الداخلية للنوعين بهيئة قناتين في كل جانب من تجويف البطن في مقدمة كتلة الظهر؛ قناة وولف Wolffian duct تتكون منها الأعضاء الجنسية الداخلية في الذكور وتشمل الحويصلات المنوية Seminal Vesicles والبربخ Epididymis والوعاء الناقل Vas Deference، وقناة مولر Mullerian Duct تتكون منها الأعضاء الجنسية الداخلية في الإناث وتشمل الرحم وقناتيه وعنقه والمنطقة أعلى المهبل، ويكون الجنين واحد الهيئة في الجنسين كحالة تشمل كل نفس، ولذا تسمى فترة النفس الواحدة تلك من حياة الجنين بمرحلة عدم تمايز الجنس Gender Indifferent stage.

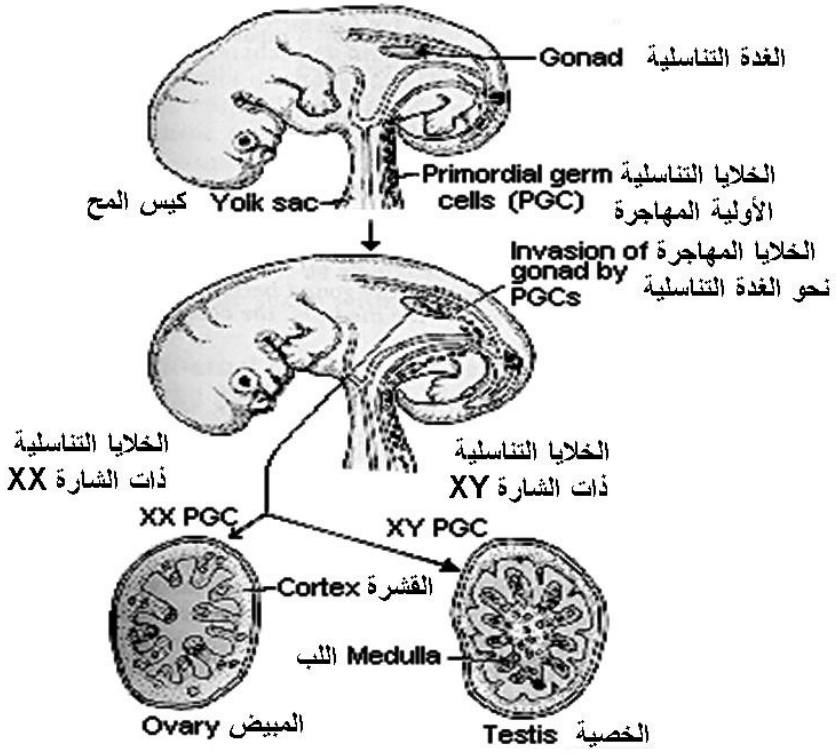

مراحل تكون الغدد التناسلية وتميزها.

وتحتوي كل فتيلة وراثية على عدد هائل من الوحدات الوراثية تسمى جينات Genes**، ويحتوي كل منها على توجيهات وراثية نحو صفات محددة كلون الشعر أو طول الجسم، والجين المسئول عن تحديد الذكورة سائد** Dominant **ويقبع على طرف الذراع القصير للفتيلة الجنسية المُميزة للذكر (Y)، وتسمى بمنطقة تحديد الجنس (SRY)** Sex Determining Region of Y Chromosome**، ومهمته تحويل الغدة التناسلية في كل جانب إلى خصية تنتج هورمون الذكورة** Testosterone **وهورمون مثبط لقناة مولر** Anti-Mullerian Hormone (AMH)**، ويُعتقد حاليا بوجود جينات مساندة في الإنسان على نفس ذراع الفتيلة الجنسية (Y)، ومهمة هورمون الذكورة تشكيل الأعضاء التناسلية الذكرية الداخلية، بالإضافة إلى منع تطور الأثداء فتبقى ضامرة في الذكور كشاهد على مرحلة النفس الواحدة، ونتيجة لنشاط إنزيم خاص ينشأ هورمون أكثر فعالية اسمه داي هيدرو تستوستيرون** Dihydrotestosterone (DHT) **من هورمون الذكورة مهمته تشكيل الأعضاء التناسلية الخارجية في الذكور، وفي الثدييات إذا لم تنشأ الخصية يحدث العكس، وتتكون الأعضاء التناسلية الأنثوية تلقائيا** Default Pathway**، وتضمر قناة وولف، ويُنتج المبيض هورمون الأنوثة** Estrogen**، ومهمته هي تكميل تطور قناة مولر والخصائص الأنثوية الثانوية كنضوج الثدي عند البلوغ.**

والخصية Testis **هي عضو إنتاج الذرية في الذكر وفي الأنثى المبيض** Ovary**، ومهمتهما هي إنتاج الهورمونات الجنسية وخلايا الإنجاب** Gametes **التي يختزل في كل منها عدد الفتائل الوراثية خلال الانقسام الاختزالي** Meiosis **إلى النصف، وينشآن مع الكلية والغدة الجار-كلوية خلال الحياة الجنينية في فترة تكون الأعضاء مما يسمى الحدبة البولية التناسلية** Urogenital Ridge **وهي بروز في تجويف البطن يمتد من الظهر ويتكون من ثلاثة مناطق؛ في الأمامية تنشأ الغدة الجار-كلوية، وفي الخلفية تنشأ الكلية، وفي الوسطى تنشأ الغدة التناسلية** Gonad **ولذا تسمى الحدبة التناسلية** Genital Ridge**، ويبدأ ظهور الغدة التناسلية في الأسبوع الخامس من عمر الجنين ويبدأ تمايزها إلى خصية أو مبيض**

وتفرز الهورمونات الجنسية في الأسبوع السابع، وتستمد الأصول الخلوية للغدة التناسلية في كل جانب من مصدريين أساسيين: (أولاً) الخلايا التناسلية الأولية Primordial Germ Cells **وتنشأ في جدار كيس المح** Yolk Sac **قرب الطرف الخلفي للجنين ثم تهاجر خلال المنطقة الظهرية نحو الحدبة التناسلية وهي التي تتطور لاحقا إلى خلايا منتجة لخلايا الإنجاب، (ثانياً) بقية العناصر وتستمد من الطبقة الجنينية الوسطى** Mesoderm**، وتجتمع الأصول الخلوية في الظهر في الحدبة التناسلية لتخرج في كل جانب مع الغدة التناسلية بين موضع بداية تكون العمود الفقري وبداية تكون الضلوع، ثم يتميز الجنس وتهاجر الخصية نحو كيس الصفن** Scrotum **والمبيض نحو بوق قناة الرحم** Fallopian Tube**، ولذا تظل الأوعية الدموية واللمفاوية والأعصاب سواء للخصية أو المبيض في الشخص البالغ مرتبطة بالمنشأ في منطقة الكلية.**

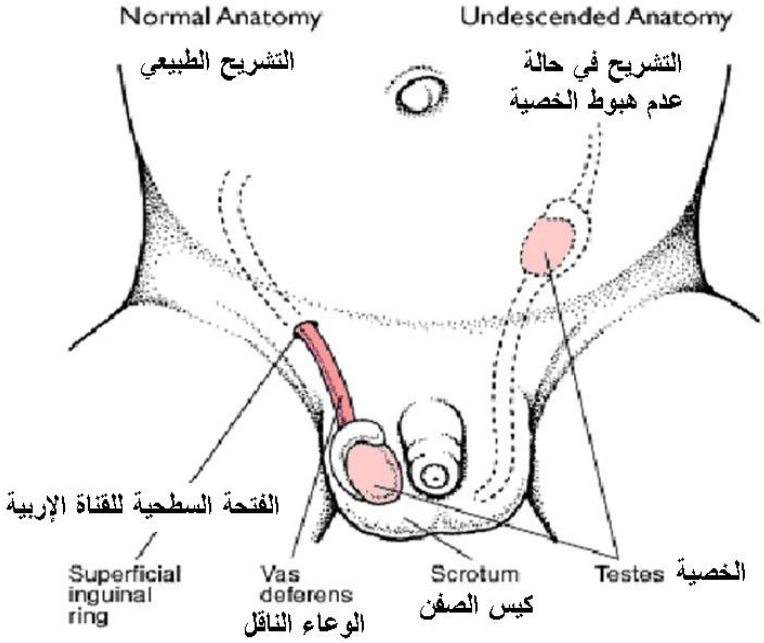

مقارنة تشريحية بين الحالة الطبيعية والمرضية
حين تفشل الخصية في الوصول إلى كيس الصفن.

ويبدأ هبوط الخصية Testicular Descent **في الأسبوع الثاني عشر من بداية الحمل لتبلغ القناة الإربية** Inguinal Canal **في منتصف الحمل تقريبا، وفي آخر شهرين تبلغ الخصية كيس الصفن، والعوامل الدافعة لتلك الهجرة المُبرمجة** Programmed Migration **لم تتضح بعد بشكل كامل ومازالت البحوث جارية، وتجري حاليا محاولات لتحديد الجينات الموجهة لسير الهجرة في مسار سابق التقدير**Predestinated pathway**، وأي تعطل لآليات تلك الخطة المُدبرة الخطوات لهجرة الخلايا وتكاثرها قد يؤدي إلى العقم، وإذا تعطلت الخصية عن بلوغ كيس الصفن حيث الحرارة أقل لن تستطيع إنتاج خلايا تناسلية ويُمكن أن تتحول إلى خلايا سرطانية وينبغي إزالتها جراحيا**[١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠].

[1607] Obstetrics and Gynaecology for Postgraduates, Charles Whitfield, 5th ed., 1995.

[1608] Obstetrics and Gynaecology, Tim Chard, 4th ed., 1995.

[1609] Medical Embryology, Jan Langman, 4th ed., 1981.

[1610] Human Male Fertility and Semen Analysis, Glover, Barratt, Tyler, Hennessey, 1990.

(٣) التفصيل الدلالي:

السائل المنوي أشبه ما يكون بماء عديد النطف، ولا يقوم بتخصيب البويضة مجهريا إلا حيوان منوي واحد يُماثل في عالم المرئيات بالعين المجردة نطفة (قطرة) من ماء من بين ملايين الحوينات، وتجتمع الأصول الخلوية للخصية في الذكر أو المبيض في الأنثى في ظهر الأبوين خلال نشأتهما الجنينية في عضو تناسل مشترك Gonad ثم يخرج كل منهما من منطقة بين بدايات العمود الفقري (الصلب) وبدايات الضلوع (الترائب)؛ ليهاجر المبيض إلى الحوض قرب الرحم، وتهاجر الخصية إلى كيس الصفن حيث الحرارة أقل؛ وإلا فشلت عند البلوغ في إنتاج الحيوانات المنوية، وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ. فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾ الطارق:٥-١٠؛ الماء الدافق تعبير وصفي للمني لأنه سائل كالماء المُتعدد النطف أي القطرات، ولكن مكوناته تتحرك ذاتيا بنشاط ويصدق عليها الوصف باسم الفاعل (دَافِقٍ) لدلالته على الحركة الذاتية، وتستقيم عودة كل الأوصاف على الإنسان والوصف (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ) يبين موضع خروج الذرية؛ بينما يبين موضع تكونها قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) الأعراف:١٧٢، وقوله: (أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ) النساء:٢٣، ولم يتضح ذلك إلا بعد أبحاث مُضنية بعد اكتشاف المجهر.

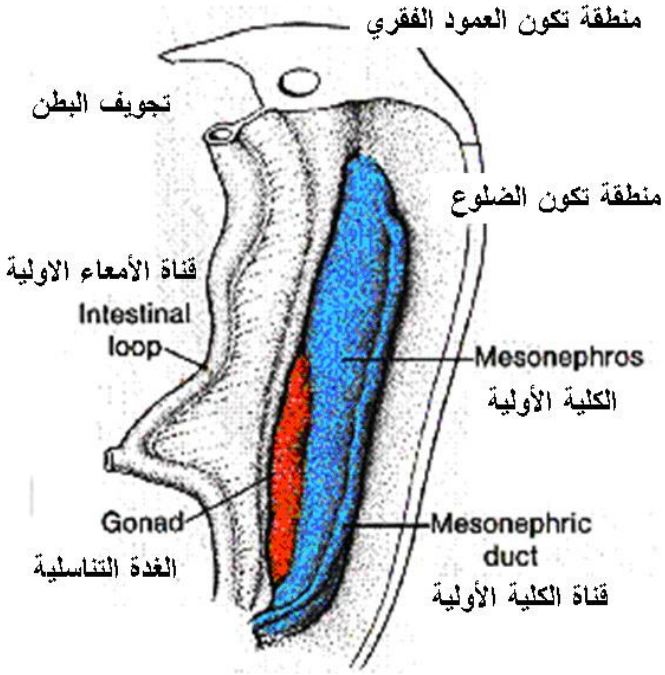

تقع بداية الغدة التناسلية مع الكلية في الجنسين
بين بدايات العمود الفقري والضلوع في الجنين.

والحقيقة العلمية هي أن الأصول الخلوية لخصية الذكر أو مبيض الأنثى؛ تجتمع في ظهر الأبوين خلال نشأتهما الجنينية ثم تخرج من الظهر من منطقة بين بدايات العمود الفقري وبدايات الضلوع، ليهاجر المبيض إلى الحوض بجانب الرحم وتهاجر الخصية إلى كيس الصفن والتعبير ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾ يفي بوصف تاريخ نشأة الذرية ويستوعب كافة الأحداث الدالة على سبق التقدير والاقتدار والإتقان في الخلق منذ تكوين البدايات في الأصلاب وهجرتها خلف أحشاء البطن ابتداءً من المنطقة بين الصلب والترائب إلى المُستقر، وحتى يولد الأبوان ويبلغان ويتزاوجان وتُخلق الذرية مما يماثل نطفة ماء عديمة البشرية من المني لكنها حية تتدفق ذاتياً لتندمج مع نطفة نظير؛ فتتكون النطفة الأمشاج من الجنسين، ويستمر فعل الإخراج ساري المفعول ليحكي قصة جيل آخر لجنين يتخلق ليخرج للدنيا وليداً وينمو فيغفل عن قدرة مبدعه، وكل هذا الإتقان المُتجدد في الخلق ليشمل تاريخ كل إنسان قد عبر عنه العليم الحكيم بلفظة واحدة تستوعب دلالاتها كل الأحداث: ﴿يَخْرُجُ﴾؛ فأي اقتدار وتمكن في الخلق والتعبير!، ومع كل تلك المشاهد المُتجددة والتقديرات المُبدعة والقدرة المُفزعة هل يرد مجرد هاجس على الخاطر: أنبعثُ حقاً ونُحَاسَب!.

وقد وصفَ القرآن الماء المُعبر عن المني بالدافق مما يعني أنه حي التكوين فاعل تتسابق مكوناته في نشاط، وجرده من صفة البشرية بجعله مادة أولية يتخلق منها الإنسان، وهذا ما يُطابق الحقيقة العلمية لأن الخلية البشرية الأولى التي تحتوي على العدد الكامل من الفتائل الوراثية المُستمدة من الأبوين هي البويضة الملقحة في المصطلح الطبي الحديث؛ أو النطفة الأمشاج في مصطلح القرآن الكريم، ولكن تلك الحقيقة العلمية كانت خفية طيلة قرون عديدة بعد نزول القرآن مما جعل المفسرين في حيرة أمام وصف المني ذاته بالفاعل، قال ابن تيمية: "لفظ الماء عند الإطلاق لا يتناول المني؛ وإن كان يسمى ماء مع التقييد كقوله تعالى ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾"[١٦١١]، وقال ابن كثير: (خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ) يعني المني[١٦١٢]، وقال النيسابوري: "يُحتمل أن يقال: أريد به ماء الرجل فقط؛ إما بناء على حكم التغليب وإما بناء على مذهب من لا يرى للمرأة ماء (أصلاً) ولاسيما دافقا"[١٦١٣]، وقال الثعالبي: "و﴿دَافِقٍ﴾ قال كثير من المفسرين هو بمعنى مدفوق"[١٦١٤]، وقال النسفي: "والدفق صب فيه دفع، والدفق في الحقيقة لصاحبه والإسناد إلى الماء مجاز"[١٦١٥]، وقال ابن القيم: "أخبر سبحانه أنه خلقه من ماء دافق، والدفق صب الماء، يقال دفقت الماء فهو مدفوق ودافق.. فالمدفوق الذي وقع عليه فعلك.. والدافق قيل إنه فاعل بمعنى مفعول.، وقيل.. أي ذي دفق.، وقيل وهو الصواب انه اسم فاعل"[١٦١٦]، وقال أيضاً: "الدافق على بابه ليس فاعلا بمعنى مفعول كما يظُنه بعضهم"[١٦١٧]، وقال الشوكاني: "﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾.. الماء هو المنى، والدفق الصب، يُقال دفقت الماء أي صببته، يُقال ماء دافق أي مدفوق مثل عيشة راضية أي مرضية، قال الفراء والأخفش ماء دافق أي مصبوب في الرحم، قال الفراء وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم، كقولهم سر كاتم أي مكتوم، وهم ناصب أي منصوب، وليل نائم ونحو ذلك، وقال الزجاج من ماء ذي اندفاق"[١٦١٨]، وقال القرطبي: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ أي من المني، والدفق صب الماء، دفقت الماء أدفقه دفقا صببته فهو ماء دافق.. قال الزجاج من ماء ذي إندفاق.. وهذا مذهب سيبويه فالدافق هو المندفق بشدة قوته[١٦١٩]، وقوله تعالى ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مّن مَّنِيّ يُمْنَىٰ﴾ القيامة:٣٧؛ أي من قطرة ماء تُمنى في الرحم، أي تُراق فيه، ولذلك سميت مِنَى (مبيت الحجيج بمكة) لإراقة الدماء.، والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء إذا قطر"[١٦٢٠]، وقال أبو السعود: "وقوله تعالى ﴿مّآءٍ دَافِقٍ﴾.. ذي دفق؛ وهو صَبٌ فيه دفع وسيلان بسرعة.. (و) قالوا أن النطفة.. مقرها عروق مُلتف بعضها بالبعض عند البيضتين"[١٦٢١]، وقال ابن الجوزي: "قال الزجاج ومذهب سيبويه وأصحابه أن معناه النسب إلى الإندفاق، أي صفة تكوينه الإندفاق، والمعنى من ماء ذي اندفاق"[١٦٢٢]، وفي تفسير الجلالين: "ذي اندفاق"[١٦٢٣]، وقال الألوسي: "الدفق صب فيه دفع وسيلان بسرعة وأريد بالماء الدافق المني، ودافق قيل بمعنى مدفوق على تأويل اسم الفاعل بالمفعول.. وقال الخليل وسيبويه هو على النسب.. أي ذي دفق، وهو صادق على الفاعل والمفعول، وقيل هو اسم فاعل وإسناده إلى الماء مجاز، وأسند إليه ما لصاحبه مبالغة، أو هو استعارة.. كما ذهب إليه السكاكي.. بجعله دافقا لأنه لتتابع قطراته كأنه يدفق أي يدفع بعضه بعضا، وقد فسر ابن عطية الدفق بالدفع، فقال الدفق دفع الماء بعضه ببعض، يُقال تدفق الوادي والسيل إذا جاء يركب بعضه بعضا، ويصح أن يكون الماء دافقا لأن بعضه يدفع بعضاً، فمنه دافق ومنه مدفوق"[١٦٢٤]، وقال ابن عاشور: "معنى (دافق) خارج بقوة وسرعة، والأشهر أنه يقال على نطف الرجل، وصيغة دافق اسم فاعل.. وهو قول فريق من اللغويين، وقال الجمهور.. دافقا بمعنى اسم المفعول.. وسيبويه جعله من صيغ النسب.. ففسر دافق بذي دفق، والأحسن أن يكون اسم فاعل..، وأطنب العجاج في وصف هذا الماء الدافق لإدماج التعليم والعبرة بدقائق التكوين ليستيقظ الجاهل الكافر ويزداد المؤمن علما ويقينا"[١٦٢٥]، ها أنت ترى كم كانت حيرة المفسرين أمام هذا السر الدفين وهو الحركة الذاتية لعناصر حية في المني ومع ذلك بلغوه بترك تعبير القرآن (ماء دافق) على ظاهره حتى كشفت الأيام تأويله.

١٦١١ مجموع الفتاوى ج: ٣٢ ص: ٣٠٥.
١٦١٢ تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٩٩.
١٦١٣ تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ج٦ص٤٨٠.
١٦١٤ تفسير الثعالبي ج: ٤ ص: ٤٠٣.
١٦١٥ تفسير النسفي ج: ٤ ص: ٣٣١.
١٦١٦ التبيان في أقسام القرآن ج: ١ ص: ٦٤.
١٦١٧ إعلام الموقعين لابن القيم ج: ١ ص: ١٤٥-١٤٨.
١٦١٨ فتح القدير ج: ٥ ص: ٤٢٠.
١٦١٩ تفسير القرطبي ج: ٢٠ ص: ٦.
١٦٢٠ تفسير القرطبي ج: ١٩ ص: ١١٧.
١٦٢١ تفسير أبي السعود ج: ٩ ص: ١٤٢.
١٦٢٢ زاد المسير ج: ٩ ص: ٨٤.
١٦٢٣ تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٨٠٢.
١٦٢٤ روح المعاني ج٣٠ص٩٩.
١٦٢٥ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ج٣٠ص٢٦١.

ولفظ ﴿التَّرَآئِبِ﴾ اسم صفة لا اسم ذات يدل بأصل اشتقاقه على التماثل والتناظر؛ فيصدق على الأضلاع التي تكون عظام الصدر، وقد يصرفه السياق إلى بعض هذا الإطلاق كما نقلت معاجم اللغة، والدلالات المعجمية مقيدة بقرائن السياق التي تحددها وتتخير منها الأنسب للمقام، ومن اشتقاق اللفظ (أتراب) أي لِدَّات يعني مُتماثلات، وقد يجعل السياق التماثل في الحسن والجمال والبهاء وفيض الأنوثة ونضارة الشباب كما في تصوير حال زوجات الجنة في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ ص:٥٢، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً. عُرُباً أَتْرَاباً﴾ الواقعة:٣٥-٣٧، وقوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾ النبأ:٣٣، قال الجوهري: "والتِرب بالكسر اللدَّة وجمعه أتراب، والتريبة واحدة الترائب وهي عظام الصدر"[١٦٢٦]، ولفظ ﴿الصَّلْبِ﴾ بالمثل اسم صفة لا اسم ذات يدل بأصل اشتقاقه على قائم أمتن كتلةً وأمكن يُصلب عليه الشيء ويُشد محمولاً عليه، فيصدق على العمود الفقري الذي يحمل بدن الإنسان وعلى المنطقة الظهرية حيث ينشأ، وفي قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾؛ يتعلق السياق ببداية انفصال وتميز عضو إنتاج الذرية وتكونه خلال فترة تكون بقية أعضاء الجسم، والمقابلة بين لفظي (الصلب والترائب) تميز دلالة كل منهما لتتعين منطقة تقع بين موضعي نشأة العمود الفقري والأضلاع حيث تتميز الغدة التناسلية بالفعل وتمتد في الجهة الظهرية بجوار الكلية في كل جانب، وكأن القرآن يصف قطاع عرضي تحت المجهر تتميز فيه مناطق الأعضاء الثلاث بوضوح، ولفظي ﴿الصَّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾ تعبيران وصفيان والتعريف فيهما يبين أن مسمى كل منهما عضو بدني مألوف أحدهما مفرد والآخر جمع، وفعل (الخروج) الذي يدال على موضع الانفصال على طريق الهجرة في غاية الدقة حيث لا يدل بالضرورة على موضع النشأة لأن الغدة التناسلية تنشأ في الكتلة الظهرية أو الصلب قبل أن تنفصل وتتمايز مع تمايز بقية أعضاء الجسم، والعجيب أن القرآن ينسب بداية تكوين الذرية إلى الظهر أو الصلب بالفعل حيث تجتمع الأصول الخلوية لتكون الغدة التناسلية قبل انفصالها وتمايزها، وذلك عند بيان فطرية الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيۤ آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ الأعراف ١٧٢؛ وهذا التصوير يبين تحقق الإيمان لو استخدم الإنسان أدوات العلم والفكر التي تميز بها عن الحيوان، وعند بيان محرمات الزواج مع التمييز بين الأبناء حقيقة والأبناء بالتبني في قوله تعالى: ﴿وَحَلَآئِلُ أَبْنَآئِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ النساء ٢٣.

ويتعلق السياق بالإنسان ذكوراً وإناثاً، وإليه يُوَجَّه الحديث بدلالة الاستهلال: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، وفيه استدلال بالأصل علي غفلة الناكر للبعث، وذلك لمجيء التعبير بالغيبة إعراضاً مما يفيد أن المراد من جنس الإنسان من كَذَّب حديث القرآن وأنكر قدرة الخالق وتشكك في البعث خاصة؛ بدلالة التذييل ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ والظرف الذي يتم فيه إرجاع الإنسان حياً ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ﴾ وهو يوم الحساب، ودل فعل (الخلق) على ضرورة وجود الخالق، واستشهاداً بالنقلة الواسعة على الاقتدار قدمت البينة بالإنسان الشاخص متكامل البناء، وأفادت (مِن) في (مِمَّ) الابتداء وأفادت (ما) إبهام ما عادت إليه بياناً لضآلة الأصل إلى حد الخفاء، والاستدلال بقوله ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾ يتوغل أكثر نحو ماضي الإنسان ويدل على مرحلة أسبق ذات ابتداء أدق ولها نفس مزية النقلة الهائلة، وفعل (الإخراج) يفيد الانتقال ويجعل (من) لابتداء انفصال وتميز عضو الإنجاب على طريق الهجرة، ويتعلق السياق إذاً بوصف مرحلة تتكون فيها أعضاء تماثل الصلب والترائب وتختص بالإنجاب وليس مجرد بيان لمصدر الماء، إنها ولا شك بداية أبعد في تاريخ الإنسان تماثل في البعد النقلة الكبيرة من قطرة من سائل كالماء لا بشرية فيه إلى إنسان مفكر.

[١٦٢٦] مختار الصحاح ج: ١ ص: ٣٢.

وتلمس في كلام الأعلام رحمهم الله تعالى أن النقلة الأبعد منذ الابتداء الأول بلوغاً إلى الإنسان لا إلى الماء فحسب أعظم في الاستدلال على البعث لذا قصروا نسبة الابتداء على الإنسان، وتعبير القرطبي: "أول أمره وسنته الأولى"[١٦٢٧]، وتعبير ابن الجوزي: "أول حاله"[١٦٢٨]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَىَ السَّرَآئِرُ. فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾؛ الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ يعود على فاعل غير مذكور إعلاماً بأن فعله المتجسد في ذلك الإنسان الشاخص يغني عن الدلالة عليه باسمه أو صفته، تقديره (الله الخالق القادر) بدلالة اسم الفاعل الدال على لزوم الصفة ﴿لَقَادِرٌ﴾ والمؤكد للشاك بأداتين (اللام) و(إن)، بالإضافة إلى الفعل المبني للمجهول ﴿خُلِقَ﴾ العائد قطعاً إلى ﴿الإِنسَانُ﴾، والمعنى يتعلق إذاً بالخالق والمخلوق أما الماء فمرحلة عابرة، ولذا يقصر السياق عود الضمائر إلى جنس الإنسان في التعابير: ﴿مِمّ خُلِقَ﴾ و﴿خُلِقَ﴾ و﴿رَجْعِهِ﴾ و﴿فَمَا لَه﴾ والفعل ﴿يَخْرُجُ﴾، وبذلك يتسع الوصف للجنسين الذكر والأنثى، وفي كليهما تنشأ بالفعل أعضاء إنتاج الذرية مع الكليتين من بين أصول العمود الفقري والضلوع في الجهتين.

قال ابن عاشور: ضمير ﴿إِنّهُ﴾ عائد إلى الله تعالى وإن لم يسبق ذكر مُعاد ولكن بناء الفعل للمجهول في قوله ﴿خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ﴾ يؤذن بأن الخالق معروف لا يحتاج إلى ذكر اسمه وأسند الرجع إلى ضميره.. لأن المقام مقام إيضاح وتصريح بأن الله هو فاعل ذلك، وضمير ﴿رَجْعِهِ﴾ عائد إلى ﴿الإِنسَانُ﴾.. و﴿يَوْمَ تُبْلَىَ السَّرَآئِرُ﴾ متعلق برجعه أي يرجعه يوم القيامة، والسرائر جمع سريرة وهي ما يسره الإنسان ويخفيه من نواياه وعقائده.. ولما كان بلو السرائر مؤذنا بأن الله عليم بما يستره الناس من الجرائم وكان قوله ﴿يَوْمَ تُبْلَىَ السَّرَآئِرُ﴾ مشعرا بالمؤاخذة.. فرَّع عليه قوله ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾، فالضمير عائد على الإنسان والمقصود المشركون من الناس لأنهم المسوق لأجلهم هذا التهديد، أي فما للإنسان المشرك من قوة يدفع بها عن نفسه وما له من ناصر يدافع عنه[١٦٢٩].

ودفعاً لتوهم الخروج من صلب الرجل وترائب المرأة في قوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصّلْبِ وَالتّرَآئِبِ﴾ كما أدى إليه اجتهاد البعض باعتبار نشأة الجنين من نطفة أمشاج خلائط من الجنسين؛ قال الألوسي: "وظاهر الآية أن أحد طرفين البينية (التوسط) الصلب والآخر الترائب..، فكان الصلب والترائب لشخص واحد فلا تغفل..، قال الحسن وروي عن قتادة أيضا أن المعنى يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائب كل منهما..، (و) الترائب.. الأشهر أنها عظام الصدر.. (و) المني.. مستقره عروق يلتف بعضها بالبعض عند البيضتين وتسمى أوعية المني..، وقوله سبحانه ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصّلْبِ وَالتّرَآئِبِ﴾ عبارة مختصرة جامعة.. وقيل ابتداء الخروج منه كما أن انتهاءه بالأحليل..، وزعم بعضهم جواز كون الصلب والترائب للرجل أي يخرج من بين صلب كل رجل وترائبه"[١٦٣٠]، ومعنى البينية بين شيئين التوسط، قال الأصفهاني: "(بين) ظرف لا يضاف إلا إلى متعدد لفظاً أو معنىً وهو يفيد الخلالة والتوسط"[١٦٣١]، ودفعاً لتوهم الخروج من الصلب والترائب لا من منطقة بينهما وتوهم عدم اختصاص الماء الدافق بالذكر ؛ قال ابن القيم: "سبحانه قال ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصّلْبِ وَالتّرَآئِبِ﴾ ولم يقل يخرج من الصلب والترائب، فلا بد أن يكون ماء الرجل خارجا من بين هذين المختلفين، كما قال في اللبن ﴿نّسْقِيكُمْ مّمّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ النحل ٦٦، وأيضا فإنه سبحانه أخبر أنه خلقه من نطفة في غير موضع، والنطفة هي ماء الرجل كذلك..، قال الجوهري والنطفة الماء الصافي قل أو كثر والنطفة ماء الرجل والجمع نطف، وأيضا فإن الذي يوصف بالدفق والنضح إنما هو ماء الرجل، ولا يقال نضحت المرأة الماء ولا دفقته، والذي أوجب لأصحاب القول الآخر ذلك أنهم رأوا أهل اللغة قالوا الترائب موضع القلادة من الصدر، قال الزجاج أهل اللغة مجمعون على ذلك وأنشدوا لامرىء القيس (مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل)، وهذا لا يدل على اختصاص الترائب بالمرأة بل يطلق على الرجل والمرأة"[١٦٣٢]، وإذا شملهما الإخراج فلا بد من عودة ضمير ﴿يَخْرُجُ﴾ على الإنسان لا على الماء الدافق المقصور على الرجل وحده.

[١٦٢٧] تفسير القرطبي ج: ٢٠ ص: ٦.
[١٦٢٨] زاد المسير ج: ٩ ص: ٨٤.
[١٦٢٩] تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ج٣٠ص٢٦١.
[١٦٣٠] روح المعاني ج: ٣٠ ص: ٩٩.
[١٦٣١] المفردات في غريب القرآن ص٦٧.
[١٦٣٢] إعلام الموقعين لابن القيم ج: ١ ص: ١٤٥-١٤٨.

وقد شغل موضوع عود الضمائر المحققين فحرروه استناداً للسياق بجعلها عائدة إلى المذكور الأبعد ﴿الإنسَانُ﴾ لامتناع عودها على الأقرب وهو الماء، ومن شواهد عود الضمير إلى المذكور الأبعد في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضّوَاْ إِلَيْهَا﴾ الجمعة ١١، أي إلى التجارة، وقوله تعالى: ﴿آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمّا جَعَلَكُم مّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ الحديد ٧، أي جعلكم الله مستخلفين، قال ابن تيمية: "عود الضمير إلى الأقرب أولى إلا إذا كان هناك دليل يقتضي (عوده إلى) البعيد"[١٦٣٣]، وقال الزركشي: "وإن كانت القاعدة عود الضمير إلى الأقرب ولكن قد يعود إلى.. غير الأقرب"[١٦٣٤]، وقال السيوطي: " الضمير قد يدل عليه السياق فيضمر ثقةً بفهم السامع نحو ﴿كل من عليها فان﴾ الرحمن ٢٦، (و) ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾ فاطر ٤٥ أي الأرض أو الدنيا،.. وقد يعود على بعض ما تقدم"[١٦٣٥]، وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصّلْبِ وَالتّرَآئِبِ. إِنّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَىَ السّرَآئِرُ. فَمَا لَهُ مِن قُوّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾؛ يتعلق الحديث ببيان الاقتدار على بعث الإنسان الفرد استدلالا بنشأته، فالحديث إذاً كما ترى يتعلق بالإنسان بداية ومصيراً والماء مرحلة عارضة في ثنايا قصة ممتدة الأحداث عبر أجيال، ولذا الأولوية أن تعود إلى الإنسان كل الضمائر بلا تشتيت باعتباره محور الحديث والمذكور الرئيس، قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ﴾ أي إبن آدم.. توصية للإنسان بالنظر في أول أمره وسنته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الإعادة والجزاء"[١٦٣٦].

وفي قوله تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ﴾؛ قال الطبري: "يقول تعالى ذكره فلينظر الإنسان المكذب بالبعث بعد الممات المنكر قدرة الله على إحيائه بعد مماته، ﴿مِمّ خُلِقَ﴾ يقول من أي شيء خلقه ربه"[١٦٣٧]، وقال البغوي: أي فليتفكر من أي شيء خلقه ربه أي فلينظر نظر المتفكر"[١٦٣٨]، وقال ابن القيم: "لقد دعا سبحانه الإنسان إلى النظر في مبدأ خلقه.. فقال تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصّلْبِ وَالتّرَآئِبِ﴾، وقال ﴿يَأَيّهَا النّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مّنَ الْبَعْثِ فَإِنّا خَلَقْنَاكُمْ مّن تُرَابٍ ثُمّ مِن نّطْفَةٍ ثُمّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمّ مِن مّضْغَةٍ مّخَلّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلّقَةٍ لّنُبَيّنَ لَكُمْ وَنُقِرّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى ثُمّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدّكُمْ وَمِنكُمْ مّن يُتَوَفّىَ وَمِنكُمْ مّن يُرَدّ إِلَىَ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ الحج ٥، وقال ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لّلْمُوقِنِينَ. وَفِيَ أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات ٢٠و٢١، وهذا في القرآن كثير لمن تدبره وعقله وهو شاهد منك عليك فمن أين للطبيعة.. هذا الخلق والإتقان والإبداع"[١٦٣٩]، وقال أيضاً: "نبه سبحانه الإنسان على دليل المعاد بما يشاهده من حال مبدئه على طريقة القرآن في الاستدلال على المعاد بالمبدأ فقال ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ﴾، أي فلينظر نظر الفكر والاستدلال ليعلم أن الذي ابتدأ أول خلقه.. قادر على إعادته"[١٦٤٠].

وقال ابن كثير: "قوله تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ﴾ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما قال تعالى ﴿وَهُوَ الّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم ٢٧[١٦٤١]، وقال أيضاً: "قال تعالى مقررا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذين أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلا عليهم بالبداءة التي الإعادة أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى ﴿إِنّا خَلَقْنَاهُم مّمّا يَعْلَمُونَ﴾ المعارج ٣٩، أي من المني الضعيف كما قال تعالى ﴿أَلَمْ نَخْلُقكّم مّن مّآءٍ مّهِينٍ﴾ المرسلات ٢٠، وقال ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصّلْبِ وَالتّرَآئِبِ. إِنّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.. وتقدير الكلام ليس الأمر كما يزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة..، ولهذا قال تعالى ﴿لَخَلْقُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ وَلَـكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ غافر ٥٧، وقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّ اللهَ الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنّ بِقَادِرٍ عَلَىَ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىَ﴾ الأحقاف ٣٣، وقال تعالى.. ﴿أَوَلَيْسَ الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىَ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىَ وَهُوَ الْخَلاّقُ الْعَلِيمُ. إِنّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ يس ٨١و٨٢، وقال.. ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنّا لَقَادِرُونَ. عَلَىَ أَن نّبَدّلَ خَيْراً مّنْهُمْ﴾ المعارج ٤٠و٤١، أي يوم القيامة نعيدهم"[١٦٤٢].

[١٦٣٣] كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ج: ١٧ ص: ٥١٢.
[١٦٣٤] البرهان في علوم القرآن ج: ١ ص: ١٢٤.
[١٦٣٥] الإتقان ج: ١ ص: ٥٤٨.
[١٦٣٦] تفسير القرطبي ج: ٢٠ ص: ٦.
[١٦٣٧] تفسير الطبري ج: ٣٠ ص: ١٤٧.
[١٦٣٨] تفسير البغوي ج: ٤ ص: ٤٧٣.
[١٦٣٩] تحفة المولود ج: ١ ص: ٢٧٢.
[١٦٤٠] التبيان في أقسام القرآن ج: ١ ص: ٦٤.
[١٦٤١] تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٩٩.
[١٦٤٢] تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٢٤.

وقال الشوكاني: "قوله ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ﴾.. يوجب على الإنسان أن يتفكر في مبتدأ خلقه ليعلم قدره الله على ما هو دون ذلك من البعث، قال مقاتل يعني المكذب بالبعث، ﴿مِمّ خُلِقَ﴾ من أي شيء خلقه الله، والمعنى فلينظر نظر التفكر والاستدلال حتى يعرف أن الذي ابتدأه من نطفة قادر على إعادته"[١٦٤٣]، وقال الثعالبي: "قوله تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ﴾ توقيف لمنكري البعث على أصل الخلقة الدال على أن البعث جائز ممكن ثم بادر اللفظ إلى الجواب اقتضاباً وإسراعاً إلى إقامة الحجة فقال ﴿خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصّلْبِ وَالتّرَآئِبِ﴾"[١٦٤٤]، فكما ترى يتعلق الحديث بالإنسان، والخلق من ماء والإخراج من بين الصلب والترائب بدايتان؛ آيتان منفصلتان، حجتان، وحملهما على سعة النقلة بياناً لقدرة الله تعالى أولى لأن المقام يتضمن وجوب الامتنان لسعة الفضل والإنعام، ولم يوصف المني في القرآن كثمرة يتجلى بها الاقتدار بل وُصف بالقلة والمهانة، وعود الضمير في (يخرج) على الماء سيجعل الوصف تشريحياً في البالغ وسيناقض الواقع لأن المني يخرج فعلياً من الخصية وليس من بين العمود الفقري والضلوع، والتعبير بالخروج لا يجمعه مع خبر الخلق من ماء اتصال في آية واحدة ليتعلق به وإنما ورد مستقلاً عنه متصلاً بأصل الحديث عن الإنسان، وحينئذ يتسع بيان سبق التقدير ليشمل سلسلة الأجيال، وبهذا تكون النقلة أكبر والمفارقة أعظم وبيان سبق التقدير أتم والدلالة على قدرة الله أظهر.

وفي قوله تعالى ﴿إِنّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَىَ السّرَآئِرُ. فَمَا لَهُ مِن قُوّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾؛ قال الطبري: "يقول تعالى ذكره إن هذا الذي خلقكم أيها الناس من هذا الماء الدافق فجعلكم بشرا سويا.. ﴿عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، واختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله ﴿عَلَىَ رَجْعِهِ﴾ على ما هي عائدة؟، فقال بعضهم هي عائدة على الماء، وقالوا معنى الكلام إن الله على رد النطفة في الموضع التي خرجت منه لقادر..، عن عكرمة.. قال إنه على رده في صلبه لقادر..، (و) عن عكرمة.. قال للصلب..، (و) عن مجاهد.. قال على أن يرد الماء في الإحليل..، (وفي رواية) قال على رد النطفة في الإحليل..، (وفي رواية أخرى) قال في الإحليل..، وقال آخرون بل معنى ذلك إنه على رد الإنسان ماء كما كان قبل أن يخلقه منه..، (عن) الضحاك يقول.. إن شئت رددته كما خلقته من ماء، وقال آخرون بل معنى ذلك إنه على حبس ذلك الماء لقادر..، قال ابن زيد.. على رجع ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج كما قدر على أن يخلق منه ما خلق قادر على أن يرجعه، وقال آخرون بل معنى ذلك أنه قادر على رجع الإنسان من حال الكبر إلى حال الصغر.. عن الضحاك.. يقول إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة، وعلى هذا التأويل تكون الهاء في قوله ﴿عَلَىَ رَجْعِهِ﴾ من ذكر الإنسان، وقال آخرون ممن زعم أن الهاء للإنسان معنى ذلك أنه على إحيائه بعد مماته لقادر..، عن قتادة..(قال) إن الله تعالى ذكره على بعثه وإعادته قادر، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك إن الله على رد الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيا كهيئته قبل مماته لقادر، وإنما قلت هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب لقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَىَ السّرَآئِرُ﴾ فكان في إتباعه قوله ﴿إِنّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ نبأ من أنباء القيامة دلالة على أن السابق قبلها أيضا منه..، يقول تعالى ذكره إنه على إحيائه بعد مماته لقادر يوم تبلى السرائر، فاليوم من صفة الرجع لأن المعنى إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر، وعني بقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَىَ السّرَآئِرُ﴾ يوم تختبر سرائر العباد فيظهر منها يومئذ ما كان في الدنيا مستخفياً"[١٦٤٥].

وقال ابن كثير: "وقوله تعالى ﴿إِنّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك، قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما، والقول الثاني: إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر، لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة، وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير، ولهذا قال تعالى ﴿يَوْمَ تُبْلَىَ السّرَآئِرُ﴾، أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا..، وقوله تعالى ﴿فَمَا لَهُ﴾ أي الإنسان يوم القيامة ﴿مِن قُوّةٍ﴾ أي في نفسه ﴿وَلاَ نَاصِرٍ﴾ أي من خارج منه أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك[١٦٤٦].

[١٦٤٣] فتح القدير ج: ٥ ص: ٤٢٠.

[١٦٤٤] تفسير الثعالبي ج: ٤ ص: ٤٠٣.

[١٦٤٥] تفسير الطبري ج: ٣٠ ص: ١٤٧.

[١٦٤٦] تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٤٩٩.

وقال أبو السعود: "﴿إِنَّهُ﴾:الضمير للخالق تعالى فإن قوله ﴿خُلِق﴾ يدل عليه، أي أن ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه، أي على إعادته بعد موته، لقادر.. ﴿فَمَا لَهُ﴾ أي للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ في نفسه يمتنع بها ﴿وَلاَ نَاصِر﴾ ينتصر به"[١٦٤٧]، وقال الشوكاني: "الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ يرجع إلى الله سبحانه لدلالة قوله ﴿خُلِق﴾ عليه، فإن الذي خلقه هو الله سبحانه والضمير في ﴿رَجْعِهِ﴾ عائد إلى الإنسان، والمعنى أن الله سبحانه على رجع الإنسان أي إعادته بالبعث بعد الموت لقادر، هكذا قال جماعة من المفسرين، وقال مجاهد على أن يرد الماء في الإحليل، وقال عكرمة والضحاك على أن يرد الماء في الصلب، وقال مقاتل ابن حيان يقول إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة، وقال ابن زيد إنه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر، والأول أظهر ورجحه ابن جرير والثعلبي والقرطبي..، ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِر﴾ أي فما للإنسان من قوة في نفسه يمتنع بها عن عذاب الله ولا ناصر ينصره مما نزل به"[١٦٤٨]، وقال البغوي: "قال قتادة إن الله تعالى على بعث الإنسان وإعادته بعد الموت قادر، وهذا أولى الأقاويل لقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ﴾ وذلك يوم القيامة..، فما له من قوة ولا ناصر أي ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله"[١٦٤٩]، والحاصل كما ترى بجلاء هو إجماع المحققين على إعادة الضمائر إلى الإنسان وإن كان هو المذكور الأبعد ذكراً من الماء، وليس عود الضمير إذاً في الفعل (يخرج) إلى الماء بأولى من عوده للإنسان مثلها، ولا توجد قرينه لتشتيت مرجع الضمائر، قال السيوطي: "الأصل توافق الضمائر في المرجع حذرا من التشتيت ولهذا لما جوز بعضهم في ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمّ﴾ طه ٣٩ أن الضمير في الثاني للتابوت وفي الأول لموسى عابه الزمخشري وجعله تنافرا مخرجا للقرآن عن إعجازه، فقال: والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدي إليه من تنافر النظم الذي هو أم إعجاز القرآن ومراعاته أهم ما يجب على المفسر، وقال في ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الفتح ٩: الضمائر لله تعالى والمراد بتعزيره؛ تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد"[١٦٥٠].

وقال ابن القيم: "وقوله ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الصحيح أن الضمير يرجع على الإنسان، أي أن الله على رده إليه لقادر يوم القيامة وهو اليوم الذي تبلى فيه السرائر، ومن قال أن الضمير يرجع على الماء؛ أي إن الله على رجعه في الإحليل أو في الصدر أو حبسه عن الخروج لقادر فقد أبعد، وإن كان الله سبحانه قادرا على ذلك، ولكن السياق يأباه، وطريقة القرآن وهي الاستدلال بالمبدأ والنشأة الأولى على المعاد والرجوع إليه، وأيضا فإنه قيده بالظرف وهو ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ﴾، والمقصود أنه سبحانه دعا الإنسان أن ينظر في مبدأ خلقه ورزقه فإن ذلك يدله دلالة ظاهرة على معاده ورجوعه إلى ربه، وقال تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبّاً. ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً. فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً. وَعِنَباً وَقَضْباً. وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً. وَحَدَآئِقَ غُلْباً. وَفَاكِهَةً وَأَبّاً﴾ عبس ٢٤-٣١، فجعل سبحانه نظره في إخراج طعامه من الأرض دليلا على إخراجه هو منها بعد موته، استدلالا بالنظير على النظير، ومن ذلك قوله سبحانه ردا على الذين قالوا "أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا": ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ الإسراء ٩٩، أي مثل هؤلاء المكذبين، والمراد به النشأة الثانية وهي الخلق الجديد، وهي المثل المذكور في غير موضع، وهم هم بأعيانهم فلا تنافي في شيء من ذلك بل هو الحق الذي دل عليه العقل والسمع ومن لم يفهم ذلك حق فهمه تخبط عليه أمر المعاد وبقي منه في أمر مريج، والمقصود أنه دلهم سبحانه بخلق السموات والأرض على الإعادة والبعث وأكد هذا القياس بضرب من الأولى وهو أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس فالقادر على خلق ما هو أكبر وأعظم منكم أقدر على خلقكم"[١٦٥١].

[١٦٤٧] تفسير أبي السعود ج: ٩ ص: ١٤٢.

[١٦٤٨] فتح القدير ج: ٥ ص: ٤٢٠.

[١٦٤٩] تفسير البغوي ج: ٤ ص: ٤٧٣.

[١٦٥٠] الإتقان ج: ١ ص: ٥٤٨.

[١٦٥١] إعلام الموقعين لابن القيم ج: ١ ص: ١٤٥-١٤٨.

وقال ابن القيم أيضاً: "ذكر الأمر المستدل عليه و(هو) المعاد بقوله ﴿إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ أي على رجعه (يعني الإنسان) إليه يوم القيامة كما هو قادر على خلقه.. هذا هو الصحيح في معنى الآية، وفيها قولان ضعيفان أحدهما قول مجاهد على رد الماء في الإحليل لقادر، والثاني قول عكرمة والضحاك على رد الماء في الصلب، وفيه قول ثالث قال مقاتل إن شئت رددته (يعني الإنسان) من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا إلى النطفة، والقول الصواب هو الأول لوجوه: (أحدهما) أنه هو المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ على المعاد، (الثاني) أن ذلك أدل على المطلوب من القدرة على رد الماء في الإحليل، (الثالث) أنه لم يأت لهذا المعنى في القرآن نظير في موضع واحد ولا أنكره أحد حتى يقيم سبحانه الدليل عليه، (الرابع) أنه قيد الفعل بالظرف وهو قوله ﴿يَوْمَ تُبْلَىَ السَّرَآئِرُ﴾ وهو يوم القيامة أي أن الله قادر على رجعه إليه حيا في ذلك اليوم، (الخامس) أن الضمير في ﴿رَجْعِهِ﴾ هو الضمير في قوله ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾ وهذا للإنسان قطعا لا للماء، (السادس) أنه لا ذكر للاحليل حتى يتعين كون المرجع إليه، فلو قال قائل على رجعه إلى الفرج الذي صب فيه لم يكن فرق بينه وبين هذا القول ولم يكن أولى منه، (السابع) أن رد الماء إلى الأحليل أو الصلب بعد خروجه منه غير معروف ولا هو أمر معتاد جرت به القدرة وإن كان مقدورا للرب تعالى، ولكن هو لم يجره ولم تجر به العادة ولا هو مما تكلم الناس فيه نفيا أو إثباتا، ومثل هذا لا يقرره الرب ولا يستدل عليه وينبه على منكريه، وهو سبحانه إنما يستدل على أمر واقع ولا بد إما قد وقع ووجد أو سيقع.. (الثامن) أنه سبحانه دعا الإنسان إلى النظر فيما خُلق منه ليرده عن تكذيبه بما أخبر به وهو لم يخبره بقدرة خالقه على رد الماء في إحليله بعد مفارقته له حتى يدعوه إلى النظر فيما خلق منه ليستقبح منه صحة إمكان رد الماء، (التاسع) أنه لا ارتباط بين النظر في مبدأ خلقه ورد الماء في الإحليل بعد خروجه ولا تلازم بينهما حتى يجعل أحدهما دليلا على إمكان الآخر بخلاف الارتباط الذي بين المبدأ والمعاد والخلق الأول والخلق الثاني والنشأة الأولى والنشأة الثانية فإنه ارتباط من وجوه عديدة ويلزم من إمكان أحدهما إمكان الآخر ومن وقوعه صحة وقوع الآخر فحسن الاستدلال بأحدهما على الآخر، (العاشر) أنه سبحانه.. نبه بقوله ﴿إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ على بعثه لجزائه على العمل الذي حفظ وأحصى عليه فذكر شأن مبدأ عمله ونهايته فمبدؤه محفوظ عليه ونهايته الجزاء عليه ونبه على هذا بقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَىَ السَّرَآئِرُ﴾ أي تختبر.. والسرائر جمع سريرة"[١٦٥٢].

وهكذا يتصل العرض وينقلك في ومضة من مشاهد بدايات مُقدرة تسبق وجود الإنسان إلى حيث يقف عاجزا معرُىَ السريرة ليواجه مصيره وحده بلا أعوان فيتجلى بتلك النقلة الكبيرة الفارق في أحواله، وسرعة النقلة تؤكد التقدير وسبق التهيئة وتجلي قدرة الله تعالى وحكيم تدبيره مؤيدةً ﴿إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، قال الكلبي: "الضمير في إنه لله تعالى وفي رجعه للإنسان"، واقتدار الخالق شاخص في كل العرض بينما يتملى الخيال مشاهد أعرضت عن الإنسان فعبرت عنه بالغائب في ومضات تُعَرّيه من الخيلاء وتفاجئه بأصله ومصيره طاويةً حياته ومماته وكأنه لم يكن، في مقابل مشهد استكباره في تبجح صارخ يعلنه الاحتجاج المستهل بحرف (الفاء) ليفصح بأصل دلالته على التعقيب عن محذوف يكشف ما يجول في طوية نفسه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ﴾، كأنه صيحة مدوية مؤنبة تقول: ألم تحدثك نفسك؟، وليس للإنسان في تلك المحاكمة إلا حضورا باهتا داخل قفص الاتهام في زاوية من المخيلة بينما تشخص عياناً أدلة التجريم؛ وكأنه تعالى يقول: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىَ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىَ﴾ القيامة ٤٠، وهذا المشهد الأصغر لتعري السرائر مثال لمشهد يوم عظيم ﴿يَوْمَ تُبْلَىَ السَّرَآئِرُ﴾، فتأمل الاتساق في عرض المشاهد، تصوير عجيب يكشف ما قبل فتح الستار وحتى بعد ضمه تبقى في الخاطر شتى صور العقاب وتأز في المسامع نيران تتشوق لمن يشك لحظة في قدرة الخالق سبحانه!، أسلوب مذهل جامع فريد لا يبلغه اليوم أي كتاب ينسب للوحي قد بلغ الذروة في التصوير وثراء المعني مع الغاية في إيجاز اللفظ، وأما التفاصيل العلمية التي يستحيل أن يدركها بشر زمن التنزيل فهي بعض دلائل النبوة الخاتمة التي تسطع اليوم أمام النابهين.

[١٦٥٢] التبيان في أقسام القرآن ج: ١ ص: ٦٤-٦٦.

(٤) نظرة تاريخية:

عاش أرسطو Aristotle معلم الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.)، وقد اكتسب شهرة واسعة نتيجة لتأملاته في كثير من الظواهر الطبيعية قبل اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر، وله مساهمات تجريبية في وصف تطور جنين الدجاجة وغيرها بالعين المجردة حتى أن البعض يعتبره واضع الأساس لعلم الأجنة، ومع ذلك فقد جاءت الثورة العلمية الحديثة ابتداء من القرن السابع عشر بمكتشفات نقضت معتقداته، مثل اعتقاده بتخلق الجنين من دم الحيض Menstrual Blood بالاتحاد مع المني، وليس هو أول من وصف تطور جنين الدجاجة من الإغريق فقد سبقه أبو قراط Hippocrates بحوالي قرن عدا كثير من اجتهاداته في الطب حتى أن من يهمل من الغربيين مساهمات الشعوب ويقصر تاريخ العلوم على الإغريق يعتبره أبو الطب، وربما كان جالن Galen الذي عاش بعد أرسطو بقرنين أكثر منه دقة في كثير من أوصاف أجنة الحيوان بالعين المجردة، وفي العصور الوسطى قبل النهضة عاشت أوروبا في كساد علمي لم يتجاوز كثيرا ترديد أفكار القدامى، ولذا يتعجب البروفيسور كيث مور Keith Moore[١٦٥٣] في كتابه "تخلق الجنين البشري The Developing Human؛ من وفرة وتآزر الحقائق العلمية المُتعلقة بخلق الجنين في القرآن، فيقول: "لم تُضف في العصور الوسطى معلومات ذات قيمة في مجال تخلق الجنين، ومع ذلك قد سجل القرآن في القرن السابع وهو الكتاب المقدس عند المسلمين أن الجنين البشري يتخلق من أخلاط تركيبية من الذكر والأنثى، مع بيان تخلق الجنين في أطوار ابتداءً مما يماثل في التركيب قطرة أو نطفة تنغرس وتنمو في الرحم كالبذرة.. ومع وصف الجنين في أول مرحلة بما يماثل العلقة Leech التي تعيش على مص دماء الغير، ثم مما يماثل كتلة ممضوغة بما فيها من علامات أسنان وانبعاجات؛ وهو ما يتفق تماما مع تطور الأعضاء في تلك المرحلة بالفعل، وإذا أردت مزيدا من الأوصاف العلمية في القرآن في مجال علم الأجنة فإني أحيلك إلى كتابي طبعة ١٩٨٦..، مع العلم أن أول من درس جنين الدجاجة باستخدام عدسة بسيطة هو هارفي Harvey عام ١٦٥١، ودرس كذلك جنين الأيل Deer ولصعوبة معاينة المراحل الأولى للحمل استنتج أن الأجنة ليست إلا إفرازات رحمية، وفي عام ١٦٧٢ اكتشف جراف Graaf حويصلات في المبايض ما زالت تسمى باسمه Graafian Follicles، وعاين حجيرات في أرحام الأرانب الحوامل تُماثلها فاستنتج أن الأجنة إفرازات من المبايض، ولم تكن تلك التكوينات الدقيقة سوى تجاويف في كتل الخلايا الجنينية الأولية Blastocysts، وفي عام ١٦٧٥ عاين مالبيجي Malpighi أجنة في بيض دجاج ظنه غير محتاج لعناصر تخصيب من الذكر واعتقد أنه يحتوى على كائن مصغر ينمو ولا يتخلق في أطوار، وباستخدام مجهر أكثر تطوراً عاين هام Hamm وليفنهوك Leeuwenhoek الحوين المنوي للإنسان للمرة الأولي في التاريخ عام ١٦٧٧، ولكنهما لم يُدركا دوره الحقيقي في الإنجاب وظنا أيضاً أنه يحتوي على الإنسان مُصغراً لينمو في الرحم بلا أطوار تخليق، وفي عام ١٧٥٩ افترض وولف Wolff تطور الجنين من كتل أولية التكوين ليس لها هيئة الكائن المكتمل، وحوالي العام ١٧٧٥ انتهى الجدل حول فرضية الخلق المُكتمل ابتداءً واستقرت نهائيا حقيقة التخليق في أطوار وأكدت تجارب إسبالانزاني Spallanzani على الكلاب على أهمية الحوينات المنوية في عملية التخليق..، وسادت قبله الفكرة بأن الحوينات المنوية كائنات غريبة متطفلة؛ ولذا سميت إلى اليوم بالحيوانات المنوية Semen Animals، وفي عام ١٨٢٧ بعد حوالي ١٥٠ سنة من اكتشاف الحوين المنوي؛ عاين فون بير von Baer البويضة في حويصلة مبيض إحدى الكلاب، وفي عام ١٨٣٩ تحقق شليدن Schleiden وشوان Schwann من تكون الجسم البشري من وحدات بنائية أساسية حية ونواتجها وسميت تلك الوحدات بالخلايا Cells، وأصبح من اليسير لاحقا تفهم حقيقة التخلق في أطوار من خلية مخصبة ناتجة عن الإتحاد بين الحوين المنوي والبويضة..، وفي عام ١٨٧٨ اكتشف فليمنج Flemming الفتائل الوراثية داخل الخلايا البدنية، وفي عام ١٨٨٣ اكتشف بينيدن Beneden اختزال عددها في الخلايا التناسلية، وفي القرن العشرين تم التحقق نهائيا من احتواء الخلية البشرية الأولى Zygot على العدد الكامل من تلك الأخلاط الوراثية من الذكر ومن الأنثى"[١٦٥٤]، ومع تطور صناعة المجهر وتقدم العلوم أمكن اكتشاف مواضع أوليات الأعضاء والاستدلال على موضع نشأة الذرية، هذا هو التاريخ المُسجل في صحائف العلوم لنشأة الذرية؛ فمن أين أحاط بها القرآن الكريم!.

[١٦٥٣] رئيس قسم التشريح وعلم الأجنة بجامعة تورنتو في كندا.

[١٦٥٤] The Developing Human, Keith L. Moore, Fourth ed.,1988, Saunders Comp., Toronto, P: 7-11, 14.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ} فيه قولان؛ أحدهما: من بين صلب الرجل وترائبه؛ قاله الحسن وقتادة، الثاني: بمعنى أصلاب الرجال وترائب النساء، وفي الترائب ستة أقاويل؛ أحدها: أنه الصدر؛ قاله ابن عياض..، الثاني: ما بين المنكبين إلى الصدر؛ قاله مجاهد، الثالث: موضع القلادة؛ قاله ابن عباس..، الرابع: أنها أربعة أضلاع من الجانب الأسفل؛ قاله ابن جبير، وحكي الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، الخامس: أنها بين اليدين والرجلين والعينين؛ قاله الضحاك، السادس: هي عصارة القلب؛ قاله معمر بن أبي حبيبة، {إنّه على رَجْعِهِ لقادرٌ} فيه خمسة أوجه؛ أحدها: على أن يرد المني في الإحليل؛ قاله مجاهد، الثاني: على أن يرد الماء في الصلب؛ قاله عكرمة، الثالث: على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة؛ قاله الضحاك، الرابع: على أن يعيده حيّاً بعد موته؛ قاله الحسن وعكرمة وقتادة، الخامس: على أن يحبس الماء فلا يخرج، ويحتمل سادساً: على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخرة؛ لأن الكفار يسألون الله فيها الرجعة، {يومَ تُبْلَى السّرائرُ} أي تَظْهَر، ويحتمل ثانياً: أن تبتلى بظهور السرائر في الآخرة بعد استتارها في الدنيا، وفيها قولان؛ أحدهما: كل ما استتر به الإنسان من خير وشر وأضمره من إيمان أو كفر..، الثاني: هو ما رواه خالد عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأمانات ثلاث: الصلاة والصوم والجنابة، استأمن الله ابن آدم على الصلاة، فإن شاء قال: قد صليت ولم يُصلّ، استأمن الله ابن آدم على الصوم، فإن شاء قال: قد صمت ولم يصم، استأمن الله ابن آدم على الجنابة، فإن شاء قال: قد اغتسلت ولم يغتسل، اقرؤوا إن شئتم: (يوم تُبْلى السّرائرُ)، {فما لَهُ مِن قُوَّةٍ ولا ناصِرٍ} فيه قولان؛ أحدهما: أن القوة العشيرة والناصر الحليف؛ قاله سفيان، الثاني: فما له من قوة في بدنه ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله أو ينتصر به على الله؛ وهو معنى قول قتادة، ويحتمل ثالثاً: فما له من قوة في الامتناع ولا ناصر في الاحتجاج"[١٦٥٥].

[١٦٥٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ٢٤٦).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Embryology

علم الأجنة

المَوْضُوع Subject

Offspring Creation

نشأة الذرية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ ٨٦الطارق:٥-١٠.
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦الإنسان:٢.
- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى. مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣النجم:٤٥و٤٦.
- ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ ٤النساء:٢٣.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ٧٥القيامة:٣٦-٤٠.
- ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ ٣٨ص:٥٢.
- ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً. عُرُباً أَتْرَاباً﴾ ٥٦الواقعة:٣٥-٣٧.
- ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾ ٧٨النبأ:٣٣.
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيَ آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىَ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىَ شَهِدْنَآ﴾ ٧الأعراف:١٧٢.
- ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىَ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوَاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَّن يُتَوَفَّىَ وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىَ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ ٢٢الحج:٥.
- ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ. وَفِيَ أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٢٠و٢١.
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ٧٠المعارج:٣٩.
- ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ ٧٧المرسلات ٢٠.
- ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىَ طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبّاً. ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً. فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً. وَعِنَباً وَقَضْباً. وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً. وَحَدَآئِقَ غُلْباً. وَفَاكِهَةً وَأَبّاً﴾ ٨٠عبس:٢٤-٣١،

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾
٨٦الطارق:١١.

الفَقْرَة Paragraph

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦الطارق:١١-١٤.

كَلِمَات إِرْشَادِيَّة keywords

﴿والسماء﴾، ﴿ذات الرجع﴾.

تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة) Translation

And by the sky (atmosphere) **that returns** (useful things to the earth & risky things to the universe)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

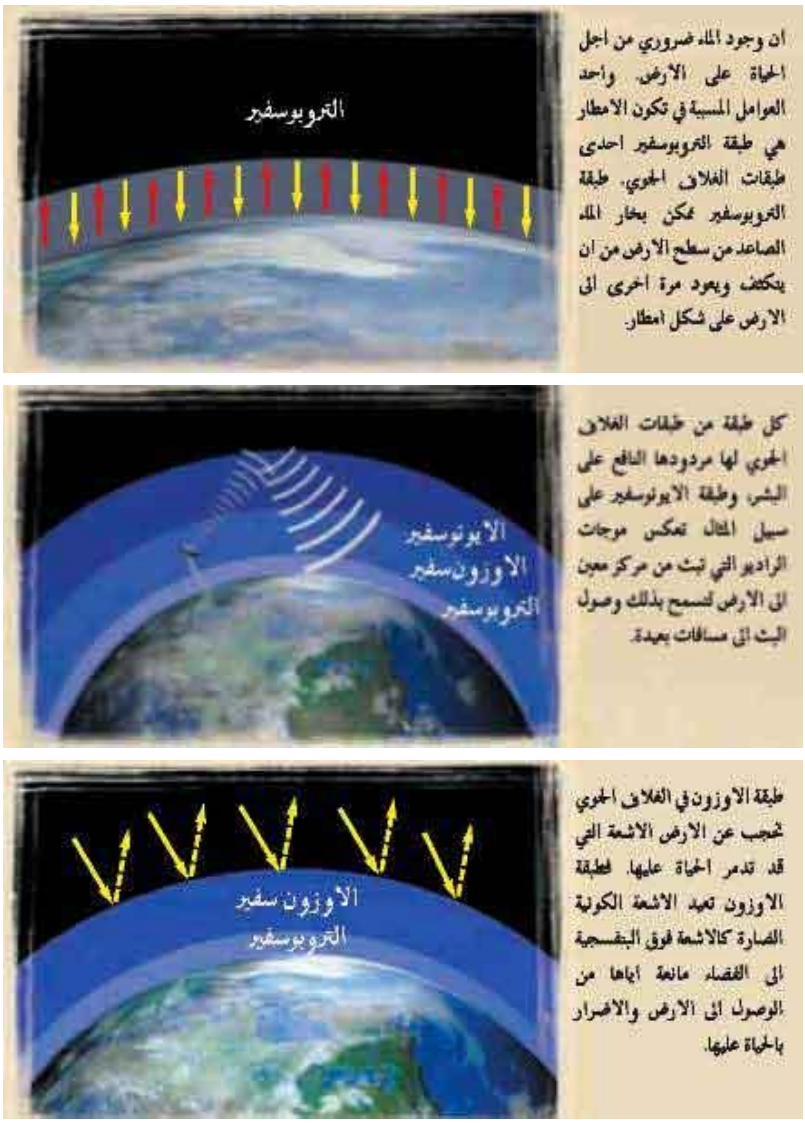

في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦الطارق:١١-١٤؛ كلمة الرجع Return تأتي بمعنى الإعادة إلى ما كان منه البدء، فمعناها إرجاع الشيء في اتجاه مصدره مثل صدى الصوت Sound Echo، والسماء هنا مانعة من العبور إلى ما خلفها فيقتصر مدلولها على جو الأرض، والتعبير يفيد وجود غلاف يحيط بها يرد إليها كل نافع ويرد عنها كل ضار؛ فأجمل بهذا ما كشفه العلم حديثًا من خصائص الجو.

ومن الحقائق العلمية الثابتة اليوم:

١- يقوم الغلاف الجوي بإرجاع الماء المتبخر بهيئة أمطار.

٢- يرجع الغلاف الجوي للأرض كثير من النيازك ويردها للفضاء الخارجي.

٣- يرد الغلاف المغناطيسي الرياح الشمسية ويدفعها بعيدا عن الأرض وهي الإشعاعات قاتلة للأحياء.

٤- يعكس الغلاف الجوي موجات الراديو القصيرة والمتوسطة إلى الأرض، ولذا يمكن اعتبار الجو أشبه بمرآة عاكسة للأشعة و الموجات الكهرومغناطيسية، فهو يعكس أو يرجع ما يبث إليها من الأمواج اللاسلكية والتلفزيونية التي ترتد إذا أرسلت إليها بعد انعكاسها على الطبقات العليا الأيونية (الأيونوسفير)، وهذا هو أساس عمل أجهزة البث الإذاعي والتلفزيوني عبر أرجاء الكرة الأرضية.

٥- الغلاف الجوي أشبه بمرآة عاكسة للحرارة فيعمل كدرع واقية من حرارة الشمس أثناء النهار كما يعمل كغطاء بالليل يمسك بحرارة الأرض من التشتت، ولو اختل هذا التوازن لاستحالت الحياة على الأرض إما من شدة الحرارة نهارا أو شدة البرودة ليلا.

الغلاف الجوي إذن يرد إلي كوكب الأرض كل نافع للإنسان ويرد عنها كل ضار؛ وهو ما ينسجم مع ورود الآية في مقام التحدي بالعلم بخفايا التكوين زمن الوحي شهادة على صدق القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ الطارق: ١١-١٤، والتعبير الوصفي: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) يشير بوضوح إلى أن أهم صفة للسماء المحيطة بكوكب الأرض هي أنها ذات إعادة وإرجاع، وقد فهم المفسرون قديما أنها تشير إلى المطر فحسب، وجاء العلم الحديث ليعمق معنى الإرجاع في وصف الجو ليشمل مظاهر لم يكن يعلمها بشر من قبل، فتبين أن لفظة الرجع لها من الدلالات ما يفوق مجرد نزول المطر وأنه بغير تلك الصفة للجو ما استقامت علي كوكب الأرض حياة، فالجو يرد إلى الأرض كل نافع ويرد عنها كل ضار، وبهذا قد أجمل القرآن المعجز بلفظة واحدة جميع ما كشفه العلم التجريبي الحديث من خصائص جو الأرض، والمعجزة هي أقوى وسيلة لهداية البشر في كل العصور وإقامة الحجة عليهم وزيادة إيمانهم ورجوعهم إلى الله عز وجل.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{والسماءِ ذاتِ الرّجْعِ} فيه أربعة أقاويل؛ أحدها: ذات المطر؛ لأنه يرجع في كل عام؛ قاله ابن عباس، الثاني ذات السحاب؛ لأنه يرجع بالمطر، الثالث: ذات الرجوع إلى ما كانت؛ قاله عكرمة، الرابع: ذات النجوم الراجعة؛ قاله ابن زيد، ويحتمل خامساً: ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد، وهذا قَسَمٌ"[١٦٥٦].

وقال المراغي: "الرجع: إعادة الشيء إلى حال أو مكان كان فيه أوّلا، والمراد به المطر، وسمى بذلك لكونه يعاد إلى الأرض من السماء..، (وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ) أي قسما بالسماء ذات المطر، وهو أنفع شيء ينتظره المخاطبون من السماء، إذ يبدّل جدبهم خصبا، ويعيد موات أرضهم حيّا، ويصير به لهب صحرائهم هواء عليلا"[١٦٥٧].

[١٦٥٦] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٦\ ٢٤٨).

[١٦٥٧] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٣٠\ ١١٦).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Meteorology

علم الأرصاد الجوية

المَوْضُوع Subject

Atmosphere

الغلاف الجوي

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ ٥٢الطور:١-٨.

- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٣.

- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨.

- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢البقرة:٢٢.

- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٦الأنعام:١٢٥.

- ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى. تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ ٢٠طه:٢-٤.

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.

- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.

- ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٥٥الرحمن:٣٣.

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.

- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.

- ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ١٣الرعد:١٠و١١.

- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦الطارق:١١-١٤.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾
٨٦الطارق:١٢.

الفَقْرَة Paragraph

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦الطارق:١١-١٤.

كَلِمَات إِرْشَادِيَّة keywords

﴿والأرض﴾، ﴿ذات الصدع﴾.

تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة) Translation

By the earth (crust) **that has a** (deep initial) **rift** (dividing it into the present adjacent tectonic plates)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

تتسم القشرة الأرضية بصدوع عميقة تقسمها إلى ألواح قارية، وتقع الصدوع الكبيرة غالبا في منتصف المحيطات، ولكن لم يُعرف إلا مع الثورة العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة أن أرضنا مُحاطة بشبكة هائلة من تلك الصدوع العملاقة التي تُحيط بكامل القشرة الأرضية، وتمتد هذه الصدوع العملاقة لآلاف الكيلومترات في جميع الاتجاهات بأعماق تتراوح بين٦٥ و٧٠ كيلو مترا تحت قيعان كل محيطات الأرض وعدد من بحارها، وبين ١٥٠ إلى ١٠٠ كيلو مترا تحت القارات؛ ممزقة الغلاف الصخري للأرض بالكامل ألي عدد من الألواح التي تعرف باسم ألواح الغلاف الصخري للأرض Tectonic Plates، وتطفو هذه الألواح الصخرية فوق نطاق لدن شبه مُنصهر عالي الكثافة واللزوجة، وتنطلق فيه تيارات الحمل من أسفل إلي أعلي حيث تبرد وتعاود النزول إلي أسفل فتدفع معها ألواح الغلاف الصخري للأرض مُتباعدة عن بعضها البعض في احدي حوافها، ومصطدمة مع بعضها البعض عند الحواف المقابلة، ومنزلقة عبر بعضها البعض عند بقية الحواف، وينتج عن هذه الحركات لألواح الغلاف الصخري للأرض عدد من الظواهر الأرضية المُهمة التي منها اتساع قيعان البحار والمحيطات وتجدد صخورها باستمرار عند حواف التباعد، وتكون أواسط المحيطات سلاسل من الجبال قد تظهر على السطح لتكون الجزر البركانية، وتكون أيضا السلاسل الجبلية عند حواف التصادم، وتصاحب الهزات الأرضية الإزاحة بين لوحين وقد تؤدي إلى تكوين الطفوح البركانية، ويبلغ يبلغ طول جبال أواسط المحيطات أكثر من ٦٤ كيلومتر، وهي تتكون أساسا من الصخور البركانية، وتُحيط بالصدوع العملاقة، ومع تجدد صعود الطفوح البركانية عبر الصدوع العملاقة في وسط سلسلة الجبال البحرية يتجدد قاع المحيط بأحزمة حديثة من الصخور البازلتية المُتوازية علي جانبي الصدوع، وبذلك تكون أحدث صخور قاع المحيط.

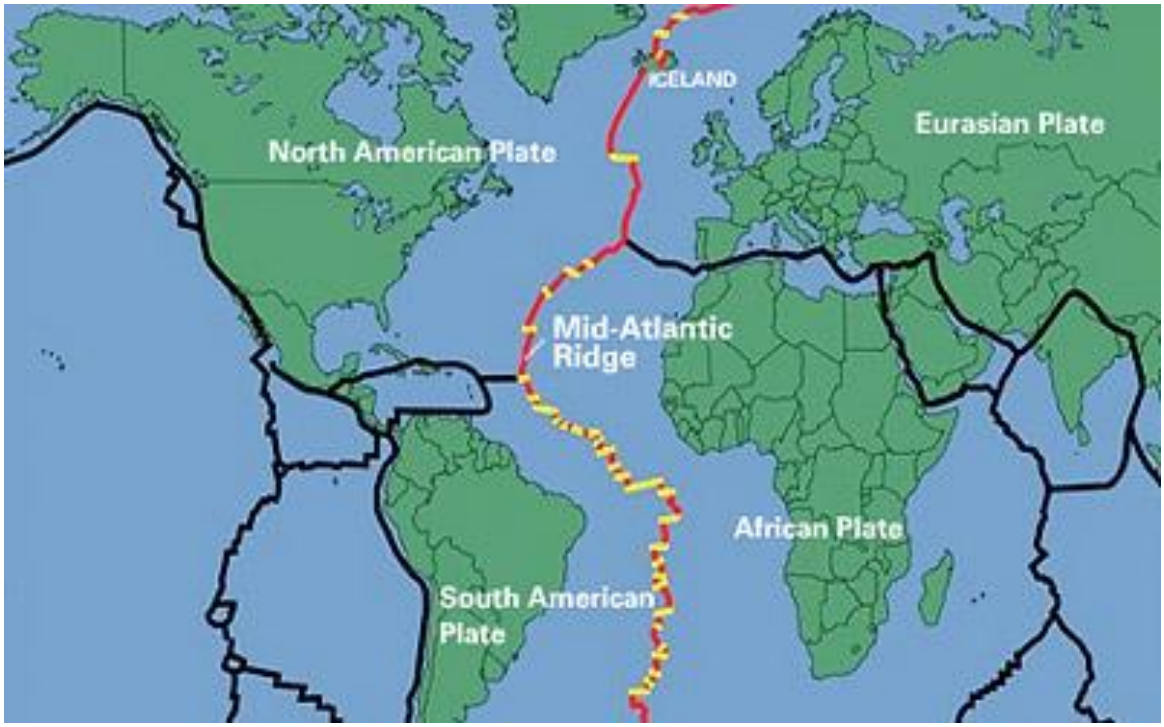

وهذه الحركة لألواح الغلاف الصخري كانت سببا في زحف القارات لتتقارب وتصطدم أو تتباعد، وقد تنقسم قارة ببحر طولي كما وقع للبحر الأحمر حيث تكون بالانشقاق وتتباعد ضفتيه عن بعضهما البعض باتساع قاع البحر سنويا وربما تحول إلى محيط، وتوجد شواهد على احتمال تكون شق آخر يمر بشرق أفريقيا إلى فلسطين عبر خليج العقبة، كما قد يُستهلك قاع محيط بالكامل تحت إحدى القارات بدفع كتلة أرضية له تحت تلك القارة حتى يصطدما مكونين سلاسل جبلية كما حدث في اصطدام الهند بالقارة الآسيوية فتكونت جبال الهمالايا التي بها قمة إفرست أعلي قمة جبلية علي سطح الأرض، وهذه الصدوع العملاقة هي مراكز تتحرك عبرها ألواح الغلاف الصخري للأرض متباعدة أو مصطدمة أو متوازية، وهي تعمل على تسريب الحرارة المختزنة في الباطن نتيجة لتحلل العناصر المشعة؛ وإلا انفجرت الأرض.

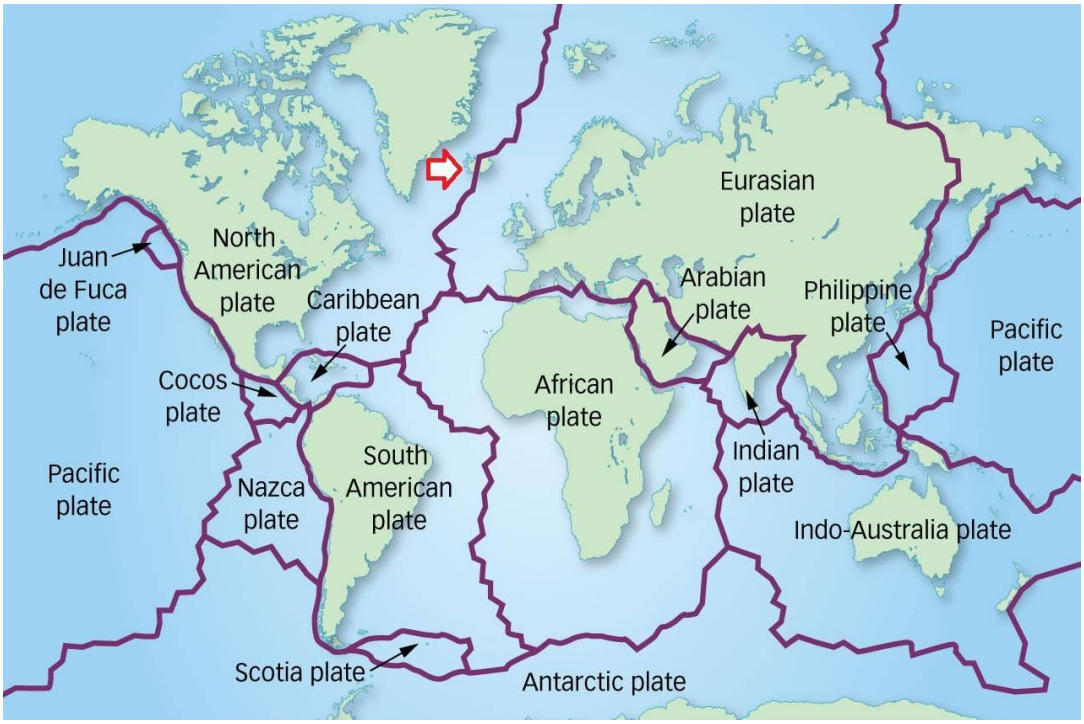

وقوله تعالى: ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾الطارق:١٢؛ يتسع لوصف القشرة الأرضية Crust؛ وليس مقصورا فحسب على معنى شق النبات للتربة كأقصى معرفة قديما للصدع؛ ويستقيم حمل لفظ (الأَرْضِ) على الغلاف الصخري الصلب المُحيط بالكوكب فوق بحر لدن من الصخور المُلتهبة دون القشرة يمثل الدثار Mantle، وهو يتفق مع أن الغلاف الصخري عبارة عن قطع متجاورات، والعدول إلى التعبير باسم الجنس المفرد الدال على الجمع (الصَّدْعِ) يستقيم مع إرجاع أصول كل الصدوع بين الألواح القارية لصدع أصلي واحد، وهو اليوم يقبع في منتصف المحيط الأطلسي؛ ويُمثل الصدع الأعظم.

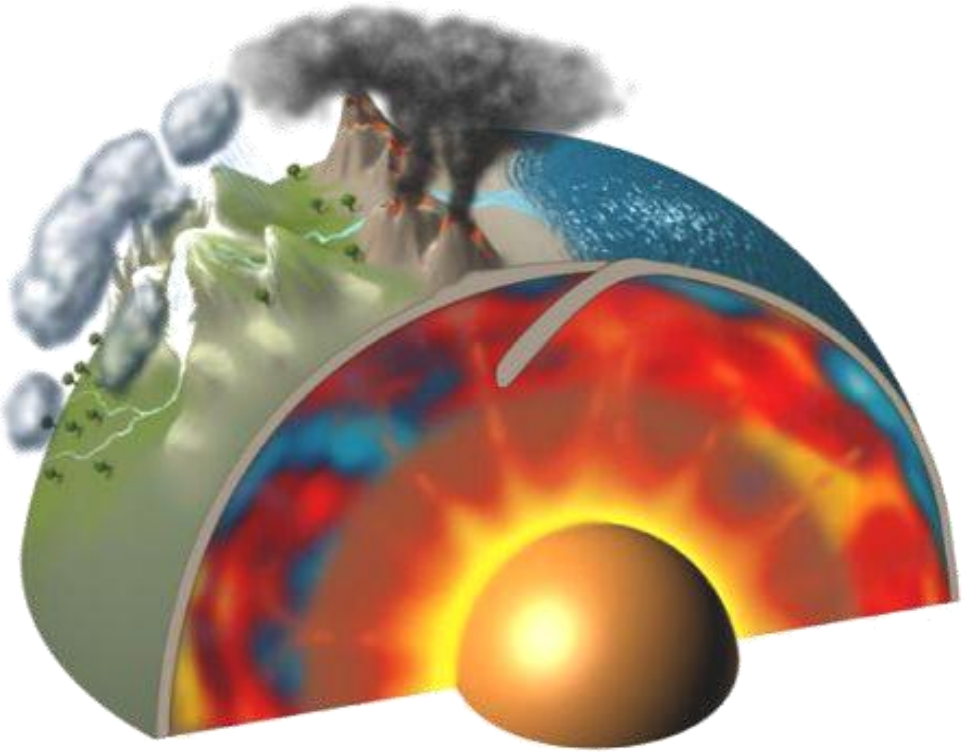

وعبر الصدوع العملاقة للقشرة الأرضية تندفع ملايين الأطنان من الصهارة الصخرية علي هيئة طفوح بركانية تثري سطح الأرض بالعديد من المعادن النافعة وتجدد شباب التربة الزراعية، وعبر هذه الصدوع العملاقة وما صاحبها من فوهات البراكين انطلقت الغازات والأبخرة التي كونت غلافي الأرض المائي والغازي، وتشير الكثير من الشواهد إلي أن الغلاف الصخري الأول للأرض كان مكونا من صخور بركانية تفتت عبر السنين، وأن الأرض كانت مغطاة بالمياه علي هيئة محيط غامر واحد، وبواسطة النشاط البركاني فوق قاع هذا المحيط الغامر تكونت أولي المرتفعات فوق قاعه علي هيئة عدد من السلاسل الجبلية في وسطه ارتفعت قممها لتكون عددا من الجزر البركانية، ومع تحرك تلك الجزر البركانية تصادمت مع بعضها البعض لتكون نوى عدد من القارات التي نمت بتصادمها مع بعضها لتكون قارة واحدة عرفت باسم القارة الأم Pangaea؛ التي ما لبثت أن تفتتت بفعل ديناميكية الأرض وصدوعها العملاقة إلي القارات السبع الحالية وظلت تتباعد عن بعضها البعض حتى وصلت إلى مواقعها الحالية، ولم تصل البشرية إلي شيء من تلك الحقائق إلا في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن العشرين، ومن هنا كان القسم القرآني بالأرض ذات الصدع من قبل ألف وأربعمائة سنة دليلا حاسما على أنه لا مصدر لهذا الوصف إلا الوحي.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{والأرضِ ذاتِ الصّدْعِ} فيها أربعة أقاويل؛ أحدها: ذات النبات لانصداع الأرض عنه؛ قاله ابن عباس، الثاني: ذات الأودية، لأن الأرض قد انصدعت بها؛ قاله ابن جريج، الثالث: ذات الطرق التي تصدعها المشاة؛ قاله مجاهد، الرابع: ذات الحرث لأنه يصدعها، ويحتمل خامساً: ذات الأموات؛ لانصداعها عنهم للنشور، وهذان قسَمَان، {إنّهُ لَقَولٌ فَصْلٌ} على هذا وقع القَسَمُ، وفي المُراد بأنه قول فصل قولان: أحدهما: ما قدّمه عن الوعيد من قوله تعالى: (إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر) الآية، تحقيقًا لوعيده، فعلى هذا في تأويل قوله (فَصْلٌ) وجهان: أحدها: حد؛ قاله ابن جبير، الثاني: عدل؛ قاله الضحاك. القول: أن المُراد بالفصل القرآن تصديقاً لكتابه، فعلى هذا في تأويل قوله (فَصْلٌ) وجهان: أحدهما: حق، قاله ابن عباس، الثاني: ما رواه الحارث عن عليّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كتابِ الله فيه خير ما قبلكم؛ وحكم ما بعدكم، هو الفصل ليس بالهزل، مَنْ تركه مِن جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله)، {وما هو بالهزْلِ} وهذا تمام ما وقع عليه القسم، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: باللعب؛ قاله ابن عباس ومجاهد، الثاني: بالباطل، قاله وكيع والضحاك، الثالث: بالكذب؛ قاله السدي"[١٦٥٨].

وقال الألوسي: "(وَالْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ) هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات؛ وأصله الشق، سمّي به النبات مجازا، أو هو مصدر من المبني للمفعول، فالمراد تشققها بالنبات، وروي ذلك عن عطية وابن زيد، وقيل: تشققها بالعيون، وتعقب بأن وصف السماء والأرض عند الأقسام بهما على حقيقة القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للإيماء إلى أنهما في أنفسهما من شواهده، وهو السر في التعبير عن المطر بالرجع، وذلك في تشقق الأرض بالنبات المحاكي للنشور.. لا في تشققها بالعيون، ويعلم منه ما في تفسير الرجع بغير المطر، وكذا ما في قوله مجاهد الصَّدْعِ ما في الأرض من شقاق وأودية وخنادق وتشقق بحرث وغيره، وما روي عنه أيضا الصَّدْعِ الطرق تصدعها المشاة، وقيل ذات الأموات لانصداعها عنهم للنشور، (إِنَّهُ) أي القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بمبدأ حال الإنسان ومعاده، وهو أولى من جعل الضمير راجعا لما تقدم، أي ما أخبرتكم به من قدرتي على حيائكم لأن القرآن يتناول ذلك تناولا أوليا، وقوله تعالى (لَقَوْلٌ فَصْلٌ) أنسب به، والمراد لقول فاصل بين الحق والباطل، قد بلغ الغاية في ذلك؛ حتى كأنه نفس الفصل، وقيل مقابلة الفصل بالهزل بعد يستدعي أن يفسر بالقطع، أي قول مقطوع به، والأول أحسن، (وَما هُوَ بِالْهَزْلِ) أي ليس في شيء منه شائبة هزل؛ بل كله جد محض فمن حقه أن يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة، وفي حديث أخرجه الترمذي والدارمي وابن الأنباري عن الحارث الأعور عن علي كرم الله تعالى وجهه؛ قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول: «إنها ستكون فتنة» قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ فيه الأهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ولا يخلق عن الرد، ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تلته الجن لما سمعته عن أن قالوا: (إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ الجن:١و٢، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن هدى به هدي إلى صراط مستقيم»، وفي هذا من الرد على الذين نبذوه وراء ظهورهم ما فيه"[١٦٥٩].

[١٦٥٨] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦\ ٢٤٩).

[١٦٥٩] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١١٥\ ٣١١).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Geology

علوم الأرض

المَوْضُوع Subject

Tectonic Plates

الألواح القارية

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣الرعد:٣و٤.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ ١٥الحجر:١٩و٢٠.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٦النحل:١٥.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ ٢٠طه:٥٣و٥٤.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣١و٣٢.
- ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧النمل:٦١.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ٣١لقمان:١٠.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٠غافر:٦٤.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ٤٣الزخرف:١٠و١١.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٥٠ق:٧.
- ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ. وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٨و٤٩.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا. لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ٧١نوح:١٩و٢٠.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا. وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ ٧٧المرسلات:٢٥-٢٧.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨النبأ:٦و٧.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا. وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:١-٦.

- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٨٨.
- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦الطارق:١١-١٤.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى.
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ٨٧الأعلى:١-٣.

Paragraph الفَقْرَة

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى. فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ ٨٧الأعلى:١-٥.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Glorify the Name of your Lord, the Most High, Who has created (everything)**, and then proportioned it; And Who has perfectly measured** (preordainments everything)**; then perfectly guided** (gives him a guidance to be in perfect adaptation with its specific environment and well accommodation by an inherited Behavior)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

ارتبط موضوع أصل الحياة والإنسان في تاريخ العلوم بالداروينية نسبة إلى دارون في كتابه "أصل الأنواع" الذي صدر في منتصف القرن التاسع عشر وقال فيه بتطور أنواع الأحياء بآليات افترضها مضمونها الصدفة، وخالفته الكشوف العلمية لاحقا فغير أنصاره الملامح تحت اسم الداروينية الجديدة مع استمرار الحفاظ على مضمون الصدفة، ولكن ثوابت كل فروع العلوم الحديثة كعلم الأحياء Biology وعلم تاريخ الإنسان Anthropology ترفض فلسفة الصدفة في الخلق والعشوائية Chaos في الأحداث لأنها جميعا طريقها اكتشاف النظام Order وإلا ما كان لها أساسا وجود.

وفي قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ الأعلى: ١-٣؛ دلالة صريحة على أن كل كائن في الوجود مخلوق ومهيأ بلا علم منه ولا إدراك وموجه بقصد وفق غرائز موروثة للوجهة الصحيحة منذ البدء كي يؤدي وظائفه؛ مُتأقلما مع بيئته بطرق غاية في الإحكام والإتقان تُمكنه من الحفاظ على ذاته وعلى نوعه.

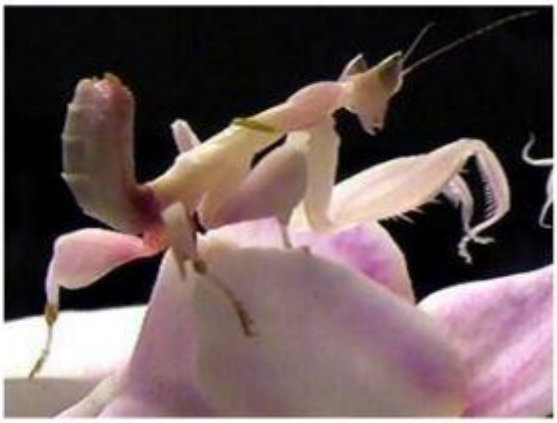

ولو صح جدلا الانتقال التدريجي في نشأة الحياة فلن يكون مصادفةً؛ بل خلق مُقدر رشيد، وكل الآليات المُفترضة كالطفرة والانتخاب الطبيعي تقف عاجزةً مشدوهةً أمام حشرات مُؤَهَّلَةً بذكاء للتخفي عن الأعداء بهيئة أزهار يانعة أو أغصان ذابلة أو أوراق شجر خضراء، فهل حرمت الصدفة سواها من الحيل فبادت ووهبتها وحدها الخداع فسادت، أم هل ألبستها طفرة عابرة تلك الحلل البديعة لتبدو كزهرة وغصن وورقة شجر شكلا ولونا ولم تهمل حتى العروق واللطع والتجاعيد؛ أم أن تلك النوابغ البارعة تقمصت بهيئات استوحتها بدهاء!، أم أنها مصنوعة لتنطق بالتدبير والتوجيه بحكمة منذ الابتداء؛ وأن عناية الله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه تتجلى ساطعةً أمام كل فطين!.

والتبصر في الأسماك والنباتات والحشرات والطيور وحيوانات البر وهي غافلة عنه يعني وجود توجيه وقصد لم تفرضه ضرورة وإنما أملته إرادة عليا تعلم بكل شيء؛ فأعدت للحدث قبل وقوعه وخطت لكل موجود ما يمكنه من أداء ما قدر لها بكفاءة، فأقدام البط تمتلك غشاء منذ خروجه من البيض وليس وليد محاولة العوم، والثدي يمتلئ بلبن سميك Colostrum قبيل ولادة الجنين وكأنه على علم مُسبق بموعد الولادة، والقرآن الكريم يدعو صريحًا إلى تأمل تلك الحقيقة الكامنة وراء كل الخلق: "أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِيءُ اللّهُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمّ اللّهُ يُنشِىءُ النّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" العنكبوت ١٩و٢٠.

وطريق معرفة آلية التنويع هو البحث العلمي لا افتراض الصدفة ابتداء، وتحت ضغط الحقيقة أقرت مصطلحات علمية مبدأ الخلق مثل التصميم الذكي Intelligent Design والكون الذكي Intelligent universe والتطور المُبرمج Programmed Evolution والتطور المُوجه بوعي Rational Directed Evolution وكلها تُفصح عن تنظيم وتوجيه بلا فوضى وإنما تقدير Predestination فتُعلن أن العلم يقود للإيمان، وتنطق بأن التقدير الرشيد بينة على التوحيد، فبدء النشأة وتجددها في الأحياء والوظائف المحددة لكل تركيب خلوي وانسجام كل عضو مع مثيله وتناسب كل زوج مع بيئته ونظيره ذكورا وإناثا من كافة الأنواع والفصائل هو عند النابهين دليل أكيد على الخلق والتوجيه مهما كانت الكيفية، وهذا ما يُعلنه القرآن الكريم بجلاء: "سَبّحِ اسْمَ رَبّكَ الأَعْلَىَ. الّذِي خَلَقَ فَسَوّىَ. وَالّذِي قَدّرَ فَهَدَىَ" الأعلى ١-٣.

نظرة مُتفحصة:

قد أعلن مِندل عن اكتشاف قوانين الوراثة عام ١٨٦٥ فمهد لولادة علم الوراثة Genetics في أوائل القرن العشرين، وقبل نشوء علم الوراثة ومعرفة دور الجينات في الحفاظ على صفات النوع وراثيًا رأي لامارك Lamarck عام ١٨٠٩ أن أفراد الكائنات الحية تنقل السمات التي اكتسبتها في حياتها إلى الأبناء، فالزرافة مثلا تطورت عن طريق إطالة أعناقها شيئاً فشيئاً عندما كانت تحاول الوصول إلى الأغصان الأعلى، ولم يدرك دارون كذلك آلية الحفاظ على توريث صفات النوع وإن تنوعت الأفراد فافترض تغيره ذاتيا صدفة لأسباب خارجية عزاها إلى الطبيعة، ولكنها لا تمتلك إرادة واعية لتقرر ما ينفع وتنسق العمل بين الأعضاء وبين الذكر والأنثى فلا بد إذن من قوة عليا مدبرة، ومن المسلمات عند العقلاء أن البيت المرتب الأثاث لا يبني نفسه وينظم أثاثه ذاتيا وأنه لا بد من إرادة واعية بنته ورتبته، ولكن الفلسفة المادية Materialism أفرزت نظرية التطور عام ١٨٥٩ مخالفة أبسط المسلمات عندما افترضت أن الفوضى Chaos يمكن أن تصنع نظاما وأن الترتيب يوجد ذاتيا صدفة، فجوهرها في تفسير معجزة تنوع الأحياء هو إبداعات الصدفة ولذا من الأولى كشف القناع بتسميتها "نظرية الصدفة"، ولكن أدى اكتشاف تركيب الحمض النووي DNA البالغ التعقيد ليحافظ على سمات أسلاف كل نوع ويورثها للنسل إلى نقض قواعد نظرية دارون من الأساس، ومع ذلك استمر ترويجها مما يعكس غرضا عقائديا أكثر من كونها اهتمامات علمية بحتة.

وتدّعي الداروينية Darwinism أن الحياة بدأت بخلية تكونت صدفة من مركبات غير عضوية في ظروف أولية للأرض؛ ولكن لم ينجح أبداً أي شخص في تكوين تركيب خلوي واحد من مواد بسيطة ولا حتى في أكثر المختبرات تطوراً، والخلية أكثر تعقيدا وروعة في أداء وظائف الحياة مما كان يظن دارون في القرن التاسع عشر؛ فهي تحتوي على محطات لتوليد الطاقة، ومصانعَ مدهشة لإنتاج الإنزيمات وأنواع من الهرمون عديدة كلها لازمة للحياة ولا يوجد في الخلية وظيفة تؤدى عبثا بلا فائدة، وفيها نظم نقلٍ وخطوطَ أنابيب معقدة لنقل المواد الخام والمنتجات ومختبرات بارعة ومحطات تكرير تحلل المواد الخام إلى أجزائها الأبسط، وبروتينات حراسة متخصصة تغلف أغشية الخلية لمراقبة المواد الداخلة والخارجة، وبرنامج بالمعلومات الضرورية لتنسيق الأعمال في وقتها، فهل يُبني هذا كله تلقائيا صدفة!.

وفي عام ١٨٥٩ نشر تشارلز دارون Charles Darwin كتابه: أصل الأنواع Origin of Species؛ وفيه أن الإنسان ثمرة سلسلة طويلة من التطور Evolution بدأت بنشأة كائنات بسيطة في البحار الأولية، وفي عام ١٨٧١ نشر كتابه الثاني مؤكدًا أن الإنسان مُنحدر من أسلاف حيوانية أسبق بعنوان يعني أن الإنسان سلالة أسلاف أقدم The Descent of Man، وافترض أيضا وجود تراكيب كان لها وظيفة في الأسلاف Ancestors؛ ولم تُعرف وظيفتها في الإنسان، فسُمُّوا بالأعضاء الضامرة Vestigial Organs أو الأثرية Rudimentary؛ منها الزائدة الدودية Appendix والعصعص Coccyx والغدة الصنوبرية Pineal gland، فلم يكن معروفًا بعد أن الزائدة الدودية عضو في الجهاز المناعي أول الأمعاء الغليظة يحميها من العدوى؛ ومثلها اللوزتين Tonsils أول الزور، وأن العصعص يقوم بتثبيت بعض عضلات المقعدة، ولم يكن معروفًا كذلك بعد أن الغدة الصنوبرية هي إحدى الغدد الصمَّاء التي تفرز هرمون الميلاتونين Melatonin استجابة للضوء فتنظم الإيقاعات الحيوية بالجسم كدورات النوم والاستيقاظ، وتنبأ دارون بالمثل بوجود أعضاء ناشئة Nascent organs بهيئة بسيطة في الأحياء الأدنى في سلم التطور اكتملت في الإنسان الأرقى، ولكن لم يثبت لها وجود؛ كما لم تثبت نبوءته في وجود بقايا متحجرة Fossilsلحيوانات قد اندثرت تمثل الحلقات الوسيطة في سلم التطور، وفي عام ١٨٩٥ بلغ ما أحصاه عالم التشريح الألماني روبرت ويدرشيم Robert Weidersheim ١٨٦ عضوا أثريا، واليوم قد استنفذت كل لائحة الأعضاء الأثرية المُفترضة وعرفت وظيفة كل تركيب وفقدت الداروينية ركائزها الأساسية، فمن المخجل حاليا الإدعاء بأن الغدة الصعترية Thymus gland زائدة ضامرة بلا وظيفة، والمعلوم حاليا أنها العضو الأهم في جهاز المناعة وإنضاج الخلايا اللمفاوية Lymphocytes، وهي تقع أسفل الرقبة وتقوم بنشاطها في الحماية من العدوى بالكائنات الدقيقة الدخيلة خاصة أثناء الطفولة؛ وإذا أزيلت مُبكرا فشل تطور جهاز المناعة، ولم يعد مستندًا القول بتنامي المخ في الحجم دليلا على التطور؛ وإلا كان إنسان نياندرثال Neanderthal الجد المُفترض للإنسان الحالي أكثر تطورًا لأن مخه أكبر، وكان الكلب أكثر تطورًا من الإنسان لأن كفاءة جهاز الشم عنده أفضل، وبالمثل لم تعد فرضية البقايا الضامرة مستندًا؛ كعضلات الأذن وهي بطانة واقية، وضرس العقل وهو للطحن، وصمامات الأوردة وهي تمنع رجوع الدم، ناهيك عن الغدة الدرقية Thyroid gland والنخاميةPituitary gland، وهكذا انحسرت لائحة الأعضاء الأثرية المزعومة في الإنسان من ١٨٦ تركيبا عام ١٨٩٥ حتى تلاشت تماما، فكل التراكيب التشريحية في الحيوان والإنسان تؤدي وظيفة ملائمة ومن الغفلة عن الحقيقة الإدعاء بوجود عضو بلا وظيفة.

جاء في فتاوى الأزهر (ج٧ص٣٩٩): "ورد أن الله خلق الإنسان نوعًا مستقلا لا بطريق النشوء والاشتقاق من نوع آخر؛ وإن كان كلا الأمرين من الجائز العقلي الذي يدخل تحت قدرة الله تعالى، قال بعض العلماء :إنه لا يوجد فى النصوص أن الله خلق الإنسان الأول من تراب دفعةً واحدةً أو بتكوين متمهل على انفراد، فسبيل ذلك التوقُّف وعدم الجزم بأحد الأمرين حتى يقوم الدليل القاطع عليه فنعتقده؛ ما دام أن الذي فعل ذلك كله هو الله تعالى، ثم إن النواميس المذكورة في مذهب داروين ظواهر واضحة في الكون، ولا حرج في اعتقادها؛ ما دام أن الله هو الذي خلقها ووجهها، فهي لا تُحقق وجودها من نفسها :﴿ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لآ إِلَـٰهَ إِلاّ هُوَ خَالِقُ كُلّ شَيْءٍ﴾ الأنعام:١٠٢، فهو خالق المادة والنواميس"، ولكن هناك شرط أكيد في كل الأحوال (ج٧ ص٤١٢): "قولهم أن المخلوقات خُلقت عشوائيًا بغير تدبير سابق وعلم محكم يرده قول الله سبحانه :﴿إِنّا كُلّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر:٤٩.

كيف يمكن للانتخاب العشوائي أو الطفرات أن تُبدع بالمصادفة بلا سبق تقدير رشيد كائنات تتخفى من الأعداء بدهاء بهيئة ولون ورقة شجر أو زهرة أو غصن، ولم تهمل حتى العروق واللطع والتجاعيد!.

وكيف تفسر وجود النباتات آكلة اللحوم Meat-eating (Carnivorous) plants، فأي ذكاء لها حتى تبلغ بها الحيلة صنع مصائد للحشرات من ورقة أو زهرة وتجذب الفرائس وتصيدها وتذيبها بعصارات سابقة التجهيز لتسد حاجتها للبروتين بلا علم منها بالكيمياء العضوية ولا إدراك بوجود الحشرات؛ فمن أمدَّها بالحيل البارعة!، ولم يكن الخفاش Bat على علم بفيزياء الرادار حتى يصنع لنفسه جهازا لإرسال واستقبال الموجات فوق الصوتية يُعينه على الطيران في أحلك الليالي وصيد فرائسه ويُوَرِّث حيلته للأجيال؛ فمن وهبه تلك البراعة! وزهرة تتأنق لفراشة وتتزيَّن وتتعطَّر وتتمايل في دلال تدعوها لارتشاف حلو الرحيق؛ وما هي إلا حيلة لنقل حبوب اللقاح وحفظ النوع! وحشرة تخدِّر فريسة وتطمرها مع بيضها حتى تجد اليرقات لاحقًا طعاما طازجًا، فكيف سبقت الحدث! إن التَبَصُّر Prevision والسلوك الذكي Intelligent behaviorوالكائن غافل؛ لا تُفَسِّرُه صدفة وإنما تدبير وتقدير Predestination، والانتخاب الطبيعي Natural selection؛ أي الذي اختارته الطبيعة Nature، تفسير خاطئ أو مغالطة؛ لأن كل حي مؤهل جسديًّا وموجه وظيفيًّا ومقدر سلوكيًّا بما يناسب بيئته ويحفظ وجوده بلا علم منه؛ فكيف تَحِيك الطبيعة علمًا وهي بلا إرادة أو علم على الإطلاق! فهل هي حقًّا مهارة الثوب أم حنكة الحائك!.

كيف يمكن للنبات المُجرد من التمييز أن يبتكر الحيل بغير سابق تقدير ويصنع بدهاء مصائد للحشرات!.

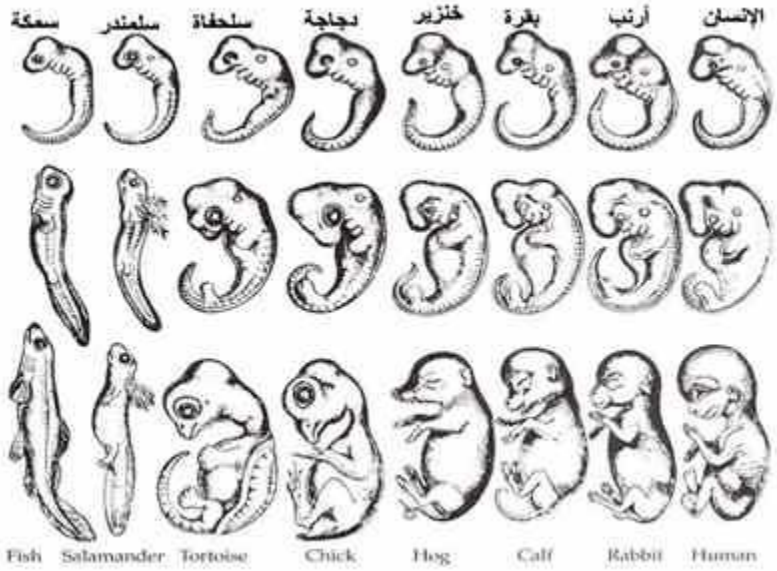

تبلغ وحدة التصميم والتماثل بين الكائنات أقصاها في المراحل الجنينية الأولى.

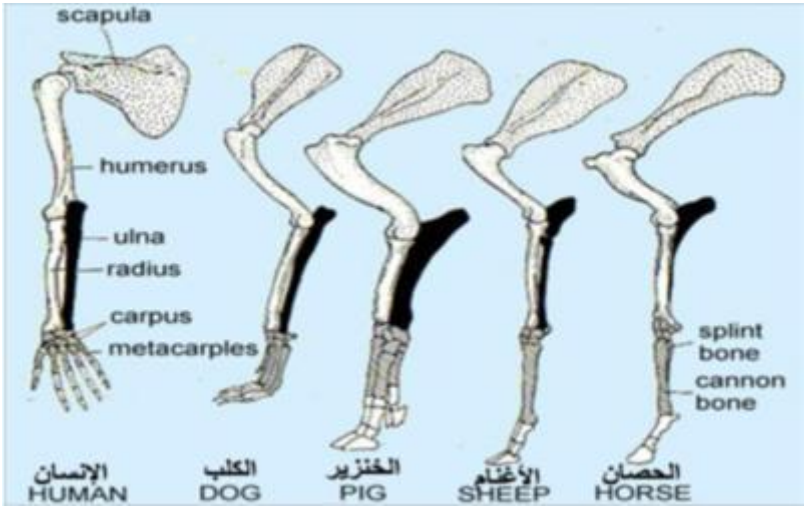

وحدة التصميم رغم تنوع الأحياء شاهد عدل على وحدانية الصانع القدير.

والتَّكَيُّف Adaptation يعني أن كُلّ مُيَسَّر لما خُلِقَ له؛ فهو مواءمة كل حي لبيئته وتناسب كل تركيب مع وظيفته؛ كتنويع أشكال المناقير والمخالب بما يناسب بيئة التغذي، وكالوسائل الدفاعية في الأسماك البحرية، وتلون الحيوانات بألوان بيئتها تخفيا من الأعداء ومثاله الحرباء، وكوجود حوافر للخيل لتلائم الجري السريع، وخف للجمل ليمنع الغوص في الرمال، وكإحاطة أوراق نباتات الصحراء بطبقة عازلة تحافظ على الماء تجنبا للجفاف، والداروينية محاولة لتفسير الكيفية بتخيل تواجد كم هائل من الأشكال قبل تغير البيئة واستبقاء الانتخاب الطبيعي ما يوائم الظروف الجديدة وبقية الأشكال تبيد، وهو افتراض مطعون فيه، لأن الظروف القديمة لن تبق على أشكال غير ملائمة حتى ينتخب منها الأصلح في الظروف الجديدة، والفوضى Chaos لا تصنع نظامOrder ، والتنويع مع التماثل يعارض الإلحادAtheism ، ولو كانت التغيرات عشوائية كما تفترض الداروينية؛ فلم كانت دائما في اتجاه الأصلح!، وكل كائن بلا استثناء متكيف مع بيئته وموجه لما يحافظ على بقائه؛ مما يقتضي مشيئة الصانع وسبق علمه وقدرته ورعايته للمخلوقات، فللبط غشاء للقدمين ينشأ منذ فقس البيض؛ وليس نتيجة لمحاولة العوم، ويسبق إعداد الضرع أثناء الحمل ليستقبل الوليد عند قدومه، وقبل الشتاء يسقط ورق النبات حفاظا على الغذاء وتكنز أجسام الدببة القطبية الدهون منعا للتجمد، وكل الوجود مرتب في منظومات؛ كما هو جدول العناصر، وهو لا يعني بالضرورة أن العنصر الأعقد تطور من آخر أبسط، وعلى فرض صحة التطور كآلية لتفسير التماثل والتنويع والتدرج فهو التطور المُقَدَّر الرشيد Rational directed evolution ، والقرآن الكريم يكشف عن وجود سجلات

للماضي تتطلب البحث ويلح بالسؤال عن كيفية بدء الخلق بلا سابق مثال؛ قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت:٢٠، وقال تعالى :﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ الطور:٣٥، فالقدرة الخلاقة المُبدعة لا يعجزها أن تخلق كل حين أشكالا وتنوعات لا يحصيها الخيال يوحدها التماثل في الإتقان والوحدة في التصميم؛ ولتكن ما تكون الكيفية؛ فالقضية الجوهرية التي غفلت عنها الداروينية هي طلاقة قدرة الصانع مهما كانت آلية تكون الصنعة، قال تعالى :﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس:٨١-٨٢، وقال تعالى :﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران:٤٧، والتنويع والتدرج يمكن تفسيره بخلق كل نوع من الأحياء بانفراد مع وحدة في التصميم؛ ويمكن تفسيره بتطور الأنواع المُقَدَّر الرشيد، وفي الحالتين لابد من خالق عظيم، ولكن التطور الذاتي تخمين وليس علمًا؛ فكل حي مُقَدَّر الكيان ينطق بالإيمان، وزعم الخلق الذاتي انتكاسة نحو الوثنية Paganism؛ والتماثل والوحدة في التصميم Design رغم التنويع شاهد عدل على وحدانية الصانع وقدرته، وكل فطين يردد مع القرآن الكريم :﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه:٥٠.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: قوله تعالى {سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأعْلَى} فيه أربعة أقاويل: أحدها: عظّم ربك الأعلى ، قاله ابن عباس والسدي ، والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمّى..، الثاني: نزّه اسم ربك عن أن يسمى به أحد سواه؛ ذكره الطبري، الثالث: معناه ارفع صوتك بذكر ربك..، الرابع: صلّ لربك، فعلى هذا في قوله (اسم ربك) ثلاثة أوجه: أحدها: بأمر ربك. الثاني: بذكر ربك أن تفتتح به الصلاة. الثالث: أن تكون ذاكراً لربك بقلبك في نيتك للصلاة. وروي أن عليّاً وابن عباس وابن عمر كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا: (سبحان ربي الأعلى) امتثالاً لأمره تعالى في ابتدائها، فصار الاقتداء بهم في قراءتها، وقيل إنها في قراءة أُبيّ: (سبحان ربي الأعلى) وكان ابن عمر يقرؤها كذلك، {الذي خَلَقَ فَسَوَّى} يحتمل ثلاثة أوجه؛ أحدها: يعني أنشأ خلقهم ثم سوّاهم فأكملهم، الثاني: خلقهم خلقاً كاملاً وسوّى لكل جارحة مثلاً، الثالث: خلقهم بإنعامه وسوّى بينهم في أحكامه، قال الضحاك: خلق آدم فَسوّى خلقه، ويحتمل رابعاً: خلق في أصلاب الرجال وسوّى في أرحام الأمهات، ويحتمل خامساً: خلق الأجساد فسّوى الأفهام، {والذي قَدَّرَ فَهَدَى} فيه ثلاثة تأويلات؛ أحدها: قدّر الشقاوة والسعادة وهداه للرشد والضلالة؛ قاله مجاهد، الثاني: قدر أرزاقهم وأقواتهم وهداهم لمعاشهم إن كانوا إنساً ولمراعيهم إن كانوا وحشاً، الثالث: قدرهم ذكوراً وإناثاً، وهدى الذكر كيف يأتي الأنثى؛ قاله السدي، ويحتمل رابعاً: قدر خلقهم في الأرحام وهداهم الخروج للتمام، ويحتمل خامساً: خلقهم للجزاء وهداهم للعمل"[١٦٦٠].

[١٦٦٠] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ٢٥١).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Biology

علوم الأحياء

المَوْضُوع Subject

Rational inherited Behavior

السلوك الرشيد الموروث

نُصوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى. فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ ٨٧الأعلى:١-٥.
- ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ٥٢طه:٥٠.
- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ٥٢الطور:٣٥.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِيءُ اللّهُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمّ اللّهُ يُنشِىءُ النّشْأَةَ الاَخِرَةَ إِنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٩العنكبوت١٩و٢٠.
- ﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبّكُمْ لآ إِلَـَهَ إِلاّ هُوَ خَالِقُ كُلّ شَيْءٍ﴾ ٦الأنعام:١٠٢.
- ﴿إِنّا كُلّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ٥٤القمر:٤٩.
- ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٣٦يس:٨١-٨٢.
- ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٣آل عمران:٤٧.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Do they not look at the camels, how they are created? And at the heaven, how it is raised? And at the mountains, how they are rooted and fixed firm? And at the earth (crust)**, how it is spread out?**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

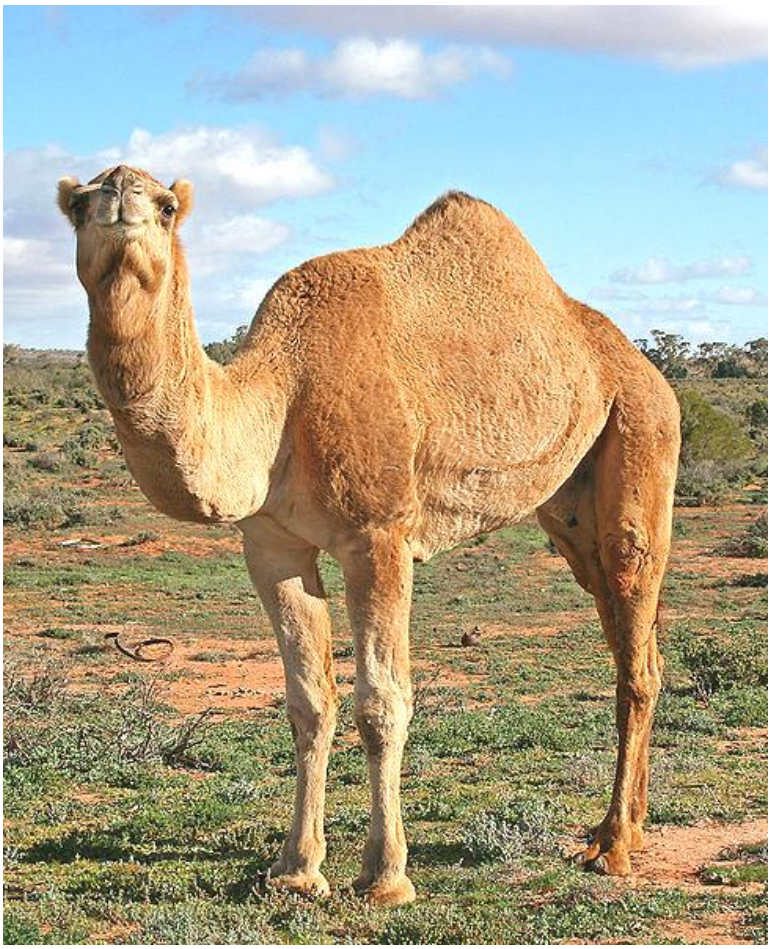

في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠؛ بيان لمظاهر التقدير في الخلق ينفي المصادفة العمياء، واختيرت الإبل لأنها من أجلى آيات القدرة والعلم وسبق التقدير في بيئة العربي زمن التنزيل، والترتيب منتظم وفق الرؤية لا مراحل الخلق؛ وكأنه جلس يستريح في ظل ناقته ويتأمل شموخ هامتها حتى بدت دونها السماء ثم الجبال تليها الأرض، فكشف الترتيب ميزة للإبل فوق الدلالة سياقا على تفردها بخصائص جعلتها الأنسب تكيفا مع بيئة الصحراء؛ حتى سميت بسفينة الصحراء.

وفي قوله تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)؛ لم يقم بين المفسرين خلافا في بيان الدلالة، لكن منهم من اقتصر على القول بأنها قد ذكرت مجرد مثال للمخاطبين الأوائل لأنها من معهود بيئتهم، فهو مثال مناسب للمقام، ولا شك في هذه المناسبة؛ فهذا هو الأساس في البلاغة، ولكن الصحيح أيضاً أن الإبل نموذج فريد في إعجاز الخلق، ففي عامي ١٩٨٤ و١٩٨٥، حين أصيبت أفريقيا بالجفاف هلكت أو كادت تهلك في كينيا كل القبائل التي كانت تعيش على الأبقار التي كفت عن إفراز اللبن ثم مات معظمها، بينما نجت القبائل التي كانت تعيش على الإبل، لأن النوق استمرت في الجود بألبانها في موسم الجفاف، فأصبح للاهتمام بالإبل أيضاً دوافع اقتصادية ومستقبلية مهمة، وفي هذه الآية الكريمة يدعونا الحكيم العليم إلى التدبر في آيات الخلق وبينات تنزيل القرآن الكريم، ويستوي في تفهم تلك الآيات البدوي بفطرته السليمة في صدر الإسلام وعلماء الأحياء اليوم باعتبارها بينة دالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وكمال قدرته وعظيم تدبيره، وما كشفه العلم حديثاً عن بعض الحقائق المذهلة في خلق الإبل يفسر لنا ولو من بعض الوجوه: لماذا خص الله جل وعلا هذا المخلوق العجيب من بين ما لا يحصى من مخلوقاته بالذكر!.

والإبل نوعان: ذوات السنام الواحد؛ وهي الإبل العربية التي تنتشر في شبه الجزيرة العربية وفي مناطق تمتد شرقا إلى الهند وغرباً إلى البلاد المتاخمة للصحراء الكبرى في إفريقيا، أما النوع الثاني فهو الإبل الفوالج ذات السنامين التي تستوطن أواسط آسيا، وتفيد الإحصائيات إلى وجود نحو ١٩٠ مليون رأس من الإبل في العالم أكثرها عربية من ذات السنام الواحد، وأول ما يلفت الأنظار في الإبل خصائصها ذات اللطائف التي تأخذ بالألباب لما فيها من تأهيل مسبق يمكنها من العيش بكفاءة في الظروف الصحراوية القاسية مما يدفع الصدفة وكل محاولات الملاحدة في طمس حقيقة وجود التقدير في الخلق، والعناية الإلهية بكل مخلوق، فالعينان محاطتان بطبقتين من الأهداب الطوال تقياهما القذى والرمال، أما الأذنان فصغيرتان قليلتا البروز والشعر يكتنفها من كل جانب ليقيها الرمال التي تذروها الرياح، ولهما القدرة عن الانثناء خلفاً والالتصاق بالرأس إذا ما هبت العواصف الرملية، كذلك يتخذ المنخران شكل شقين ضيقين محاطين بالشعر ويستطيع الجمل أن يغلقهما ليدفع ما قد تحمله الرياح إلى رئتيه من دقائق الرمال.

وتصميم أقدام الإبل هو الأنسب لبيئتها، فهو مصمم بعلم وقصد يخبر عن مشيئة علية قدرت لا صدفة عمياء لاقت حظا مرة وجانبها التوفيق مرات؛ لأن كل مخلوق مناسب لبيئته وكل عضو مناسب لمهمته ولا توجد قط تجارب فاشلة، وبالنسبة إلى بقية الحيوانات أقدام الإبل كبيرة جدا حتى لا تسوخ في الرمال، فزيادة مساحة الخف يساعدها على أن تمشى على الرمل دون أن تسوخ فيه، وأما جلد أسفل باطن القدم فثخين جدا ليقيها من الرمال الحارة أثناء القيظ، وذيول الإبل تحمل كذلك على جانبيها شعراً يحمى الأجزاء الخلفية من حبات الرمل التي تثيرها الرياح السافيات كأنها وابل من الرصاص، أما قوائمها فهي طويلة لترفع جسمها عما يثور تحته من غبار، كما أنها تساعده على اتساع الخطوات وخفة الحركة فيقطع مسافة كبيرة بخطوات محدودة مقارنة بغيره من الدواب؛ مما يجعله أنسبها للركوب خاصة في الرحلات الطويلة في الصحراء، وتتحصن أقدام الجمل بخف يغلفها جلد قوي غليظ يضم وسادة عريضة لينة تتسع عندما يدوس الجمل بها فوق الأرض؛ ومن ثم يستطيع السير فوق أكثر الرمل نعومة، وهو ما يصعب على أية دابة سواه، ويجعله جديراً بلقب سفينة الصحراء.

وما زالت الإبل في كثير من المناطق القاحلة الوسيلة المثلى لارتياد الصحارى، وقد تقطع قافلة الإبل بما عليها من زاد ومتاع نحواً من خمسين أو ستين كيلومترا في اليوم الواحد، ولم تستطع السيارات منافسة الإبل في ارتياد المناطق الصحراوية الوعرة غير المُعبدة، ومما يناسب ارتفاع قوائم الجمل طول عنقه حتى يتمكن من تناول طعامه من نباتات الأرض، كما أنه يستطيع قضم أوراق الأشجار المرتفعة حين يصادفها، هذا فضلاً عن أن هذا العنق الطويل يزيد الرأس ارتفاعاً عن التيارات الرملية السطحية، وحين يبرك الجمل للراحة أو يناخ ليعد للرحيل يعتمد جسمه الثقيل على وسائد من جلد قوي سميك على مفاصل أرجله، ويرتكز بمعظم ثقله على كلكله، ولو جثم به فوق حيوان أو إنسان لكسر عظامه، وهذه الوسائد إحدى معجزات الخالق التي أنعم بها سبحانه وتعالى على هذا الحيوان العجيب؛ حيث تهيئه لأن يبرك فوق الرمال الخشنة الشديدة الحرارة التي كثيراً ما لا يجد سواها مفترشاً فلا يبالي بها ولا يصيبه منها أذى، والحيوان الوليد يخرج من بطن أمه مزودا بهذه الوسائد، فهي شيء ثابت موروث وليست من قبيل ما يظهر بأقدام الناس من الحفاء أو لبس الأحذية الضيقة؛ مما يجب أن يخجل القائلين بالصدفة.

وللناس في الإبل منافع أخرى غير الانتقال وحمل الأثقال، فهم ينالون من ألبانها ولحومها وينسجون الكساء من أوبارها، ويبنى البدوي خباءه من جلودها. وفي الحديث الشريف : "لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم ومهر الكريمة"، ومعنى رقوء الدم لأنه كانت تدفع بها الديات في حوادث القتل فتوقف نزيف الدم الإنساني، وأما مهر الكريمة أي مهر عرسها، ويكفي أن نتأمل الأدب الراقي في النهي حتى عن سب الحيوان، وحسب الإبل فضلاً أن الله جعلها خير ما يهدى إلى بيته المحرك وجعلها من شعائره: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الحج: ٣٦، هذه بعض أوجه الإعجاز في خلق الإبل من ناحية الشكل والبنيان الخارجي، وهي خصائص يمكن إدراكها بالفطرة، وتكفي المتأمل منذ الوهلة الأولى بإعجاز الخلق الذي يدل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى، وأما خصائص الإبل الوظيفية ففيها ما فيها من أسرار تهز القلب الفطين ليتفلج من قوة اليقين، ففي بيئة الصحراء التي يقل فيها الزرع والماء لا يكتب العيش إلا لحيوان فطر الله تعالى جسمه على حسن تدبير أمور استخدام ما عنده من ماء وغذاء بغاية الاقتصاد، وللإبل في هذا أساليب معجزة فطرها الخالق عليها تدعو للعجب وتدفع كل ذي حس يقظ لتسبيح الخالق: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه: ٥٠، فالجهاز الهضمي للإبل قوى بحيث تستطيع أن تهضم أي شيء تجده إذا تعذرت الأعشاب، وهي لا تتنفس من الفم ولا تلهث أبداً مهما اشتد الحر أو استبد بها العطش، وهي بذلك تتجنب تبخر الماء من هذا السبيل.

وتمتاز الإبل بأنها لا تفرز إلا مقداراً ضئيلاً من العرق عند الضرورة القصوى بسبب قدرة أجسامها على التكيف مع المعيشة في ظروف الصحراء التي تتغير فيها درجة الحارة بين الليل والنهار، وأجسام الإبل مغطاة بشعر كثيف يقوم بعزل الحرارة ويمنعها من بلوغ ما تحت الجلد، ويستطيع جهاز ضبط الحرارة في الجسم أن يجعل مدى تفاوت الحرارة نحو سبع درجات كاملة دون ضرر، أي بين ٣٤م و٤١ م، ولا يضطر الحيوان إلى العرق إلا إذا تجاوزت حرارة جسمه ٤١م؛ ويكون هذا في فترة قصيرة من النهار، أما في المساء فإنه يتخلص من الحرارة التي اختزنها عن طريق الإشعاع إلى هواء الليل البارد دون أن يفقد قطرة ماء واحدة، وهذه الآلية وحدها توفر للحيوان خمسة لترات كاملة من الماء، وتستطيع الإبل أن تتحمل درجة حرارة تصل إلى ٧٠ درجة فوق الصفر، والإبل ذات السنامين تستطيع أن تتحمل البرودة حتى ٥٢ درجة تحت الصفر، ولذا يستطيع هذا النوع أن يعيش في ارتفاعات تصل إلى ٤٠٠٠ متر فوق سطح البحر، وإنتاج الغذاء والماء من الشحوم الموجودة في السنام بطريقة كيماوية يعجز الإنسان عن مضاهاتها يفسر قدرة الإبل على تحمل الجوع والعطش لفترات طويلة، ومعظم الدهن الذي يختزنه الحيوان في سنامه يلجأ إليه حين يشح الغذاء أو ينعدم فيحرقه شيئاً فشيئاً بلا علم منه ولا اختيار؛ فيذوى السنام يوماً بعد آخر حتى يميل على جنبه ثم يصبح كيساً متهدلاً خاوياً إذا طال الجوع والعطش بالجمل المسافر الضامر، مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىَ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج: ٢٧؛ إشارة إلى المعرفة بأن السنام مخزون الماء والغذاء ولذا يؤدي السفر الطويل إلى ضمور مخزون الإبل مع قطع مسافات طويلة على السطح المنحني للأرض نحو الأسفل في كل اتجاه كالمناكب بالنسبة للرأس ليشهد بان المعرفة بكروية الأرض بديهة في القرآن، والحيوان الظمآن يستطيع أن يطفئ ظمأه من أي نوع وجد من الماء، حتى وإن كان ماء البحر أو ماء في مستنقع شديد الملوحة أو المرارة، وذلك بفضل استعداد خاص في كليتيه لإخراج تلك الأملاح في بول شديد التركيز بعد أن تستعيد معظم ما فيه من ماء لترده إلى الدم، ومن حكمة خلق الله تعالى في الإبل أن جعل احتياطي الدهون في الإبل كبيراً للغاية بحيث يفوق أي حيوان آخر، ويكفي دليلا على ذلك أن نقارن بينه وبين الخروف المشهور بإليته الضخمة المملوءة بالشحم، فعلى حين نجد الخروف يختزن زهاء ١١كجم من الدهن في إليته نجد أن الجمل يختزن ما يفوق ذلك المقدار بأكثر من عشرة أضعاف؛ أي نحو ١٢٠ كجم، ولهذا يستطيع الجمل أن يقضي فترات طويلة بدون ماء يشربه. ولكن آثار العطش الشديد تصيبه بالهزال وتفقده الكثير من وزنه، وبالرغم من هذا فإنه يمضي في حياته صلبا صلدا لا تخور قواه إلى أن يجد الماء العذب أو المالح فيعب عبا مصداقا لقوله تعالى: "ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيّهَا الضّآلّونَ الْمُكَذّبُونَ. لاَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مّن زَقّومٍ. فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ. فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ. فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ" الواقعة: ٥١-٥٥، ويكفي بعض تلك الآيات الباهرات ليدرك كل عاقل بعض وجوه الإعجاز في توجيه القرآن للإنسان أن يتأمل الإبل باعتبار أن في خلقها آيات من إحكام التقدير ولطف التدبير مما شغل المتأملون على مر العصور وجاء العلم ليكشف بعض خفاياها.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{أفلا يَنظُرونَ إلى الإبلِ كيف خُلِقت} الآيات، وفي ذكره لهذه ثلاثة أوجه؛ أحدها: ليستدلوا بما فيها من العبر على قدره الله تعالى ووحدانيته، الثاني: ليعلموا بقدرته على هذه الأمور أنه قادر على بعثهم يوم القيامة؛ قاله يحيى بن سلام، الثالث: أن الله تعالى لما نعت لهم ما في الجنة عجب منه أهل الضلالة، فذكر لهم ذلك مع ما فيه من العجاب ليزول تعجبهم، قاله قتادة؛ وفي (الإبل) ها هنا وجهان؛ أحدهما: وهو أظهرهما وأشهرهما: أنها الإبل من النَعَم، الثاني: أنها السحاب، فإن كان المراد بها السحاب فلما فيها من الآيات الدالة على قدرة الله والمنافع العامة لجميع خلقه، وإن كان المراد بها من النَعَم فإن الإبل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات؛ لأن ضروبه أربعة: حلوبة وركوبة وأكولة وحمولة، والإبل تجمع هذه الخلال الأربع؛ فكانت النعمة بها أعم، وظهور القدرة فيها أتم، ثم قال تعالى بعد ذلك {فَذَكِّرْ إنّما أنت مُذَكِّر} فيه وجهان؛ أحدهما: إنما أنت واعظ، الثاني: ذكّرهم النعم ليخافوا النقم، {لَسْتَ عليهم بِمُسَيْطِر} فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: لست عليهم بمسلط؛ قاله الضحاك، الثاني: بجبار؛ قاله ابن عباس، الثالث: برب؛ قاله الحسن، ومعنى الكلام لست عليهم بمسيطر أن تكرههم على الإيمان، ثم قال: {إلاّ مَن تَولّى وكَفَر} فلست له بمذكر، لأنه لا يقبل تذكيرك؛ قاله السدي، الثاني: إلا من تولى وكفر فكِلْه غلى الله تعالى، وهذا قبل القتال ثم أمر بقتالهم؛ قاله الحسن، وفي (تولّى وكفر) وجهان؛ أحدهما: تولى عن الحق وكفر بالنعمة، الثاني: تولى عن الرسول وكفر بالله تعالى؛ قاله الضحاك. {فيُعذِّبه الله العذَابَ الأكْبَر} يعني جهنم، ويحتمل أن يريد الخلود فيها؛ لأنه يصير بالاستدامة أكبر من المنقطع"[١٦٦١].

[١٦٦١] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ٢٦٢).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Biology

علم الأحياء

المَوْضُوع Subject

Camel

الإبل

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ ٧الأعراف:٧٧.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:٤٠.
- ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٧الأعراف:٧٣.
- ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ١١هود:٦٤.
- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ ١٢يوسف:٩٤.
- ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ١٢يوسف:٨٢.
- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ. قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ. قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ. قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ١٢يوسف:٦٩-٧٣.
- ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ ١٢يوسف:٦٥.
- ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ ١٧الإسراء:٥٩.
- ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ٢٦الشعراء:١٥٥و١٥٦.
- ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ ٥٤القمر:٢٧.
- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠.
- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ ٩١الشمس:١٣.
- ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ ٤النساء:١١٩.
- ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ ٦الأنعام:١٣٩.
- ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ٦الأنعام:١٤٢.
- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ٦الأنعام:١٣٦.
- ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ٧الأعراف:١٧٩.
- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ ١٠يونس:٢٤.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ ١٦النحل:٨٠.
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ ١٦النحل:٦٦.

- ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٦النحل:٥-٩.
- ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ ٢٢الحج:٣٠.
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:٢١و٢٢.
- ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٢٥الفرقان:٤٤.
- ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ٣٩الزمر:٦.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ٤٠غافر:٧٩و٨٠.
- ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ ٤٢الشورى:١١.
- ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ. لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ٤٣الزخرف:١٢و١٣.
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ ٤٧محمد:١٢.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ٢البقرة:٢٦.
- ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ٢البقرة:٥١.
- ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ٢البقرة:٦٨.
- ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ ٢البقرة:٦٩.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ٢البقرة:٥٤.
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٢البقرة:٩٢و٩٣.
- ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ ٢البقرة:٧٠.
- ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ ٢البقرة:٧١.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ ٢البقرة:٦٧.
- ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ٤النساء:١٥٣.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ٧الأعراف:١٥٢.
- ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ٧الأعراف:١٤٨.
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ ١١هود:٦٩.
- ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي. قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ. فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ. أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ٢٠طه:٨٦-٨٩.
- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ٥١الذاريات:٢٤-٢٧.
- ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ ٥المائدة:١.
- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ ٢٢الحج:٣٤.
- ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ ٢٢الحج:٢٨.

- ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ٧الأعراف:١٠٦و١٠٧.
- ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ ٢٠طه:١٩-٢١.
- ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ٢٦الشعراء:٣١و٣٢.
- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٥٤القمر:٦و٧.
- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:١٣٣.
- ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ٥المائدة:٤.
- ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٥٩.
- ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ٣١لقمان:١٩.
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٦٢الجمعة:٥.
- ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ ٧٤المدثر:٤٩-٥١.
- ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ٧الأعراف:١٦٣.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ١٨الكهف:٦٠-٦٣.
- ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ٣٧الصافات:١٣٩-١٤٤.
- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ٦٨القلم:٤٨.
- ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ ٨الأنفال:٦٠.
- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ ٣آل عمران:١٤.
- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ ٣٤سبأ:١٤.
- ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤.
- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٨الأنفال:٢٢.
- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٨الأنفال:٥٥.
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ١١هود:٦.
- ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١١هود:٥٦.
- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١٦النحل:٤٩.
- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ١٦النحل:٦١.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ ٢٢الحج:١٨.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٤النور:٤٥.

- ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ٢٧النمل:٨٢.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ ٢٩العنكبوت:٦٠.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ ٣١لقمان:١٠.
- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٣٥فاطر:٤٥.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٤٢الشورى:٢٩.
- ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ٤٥الجاثية:٤.
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ٣٥فاطر:٢٨.
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ٦الأنعام:٣٨،
- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ. قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ. قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ. فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ. قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ١٢يوسف:١١-١٧.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ٢٢الحج:٧٣.
- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ ٥المائدة:٩٦.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ ٥المائدة:٩٥.
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٥المائدة:٩٤.
- ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ٦الأنعام:١٤٣.
- ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ٦الأنعام:١٤٤.
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٦٠.
- ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ٣آل عمران:٤٩.
- ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ ٥المائدة:١١٠.
- ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧الأعراف:١٣١.
- ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ١٢يوسف:٤١.
- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٢يوسف:٣٦.
- ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ١٦النحل:٧٩.
- ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ١٧الإسراء:١٣.
- ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ ٢١الأنبياء:٧٩.
- ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ٢٢الحج:٣١.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٢٤النور:٤١.
- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ٢٧النمل:١٧.

- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ ٢٧النمل:١٦.
- ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ ٢٧النمل:٤٧.
- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ٢٧النمل:١٧.
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ ٣٤سبأ:١٠.
- ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ ٣٦يس:١٩.
- ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ ٣٨ص:١٧-١٩.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ ٦٧الملك:١٩.
- ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ٢٧النمل:٢٠.
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤١.
- ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ ٢٠طه:١٨.
- ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ ٢١الأنبياء:٧٨.
- ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ ٣٨ص:٢٣و٢٤.
- ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ١٠١القارعة:٤.
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ ١٠٥الفيل:١-٥.
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ٢البقرة:٦٥.
- ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ٧الأعراف:١٦٦.
- ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ٥المائدة:٦٠.
- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ ٦الأنعام:١٤٦.
- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٧الأعراف:١٧٥و١٧٦.
- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ٢البقرة:١٧٣.
- ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٦الأنعام:١٤٥.
- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١٦النحل:١١٥.
- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ ٥المائدة:٣.
- ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩.
- ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٧النمل:١٨.
- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٢٢الحج:٣٦و٣٧.

- ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ. فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ. فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ. فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ ٥٦الواقعة:٤٩-٥٥.
- ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٥المائدة:١٠٣.
- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ. وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ. وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ٨١التكوير:٣-٥.

﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾
٩٦العلق:١٥و١٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى. عَبْدًا إِذَا صَلَّى. أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى. أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى. أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى.
أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى. كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ٩٦العلق:٩-١٦.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Indeed, unless he refrains (from fighting against the truth)**; We will certainly smite** (specifically) **his head front** (where the brain behavior & personality center lies in pre-frontal area)**. A lying stumble head front** (no area else)**.**

لمَحَات بيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

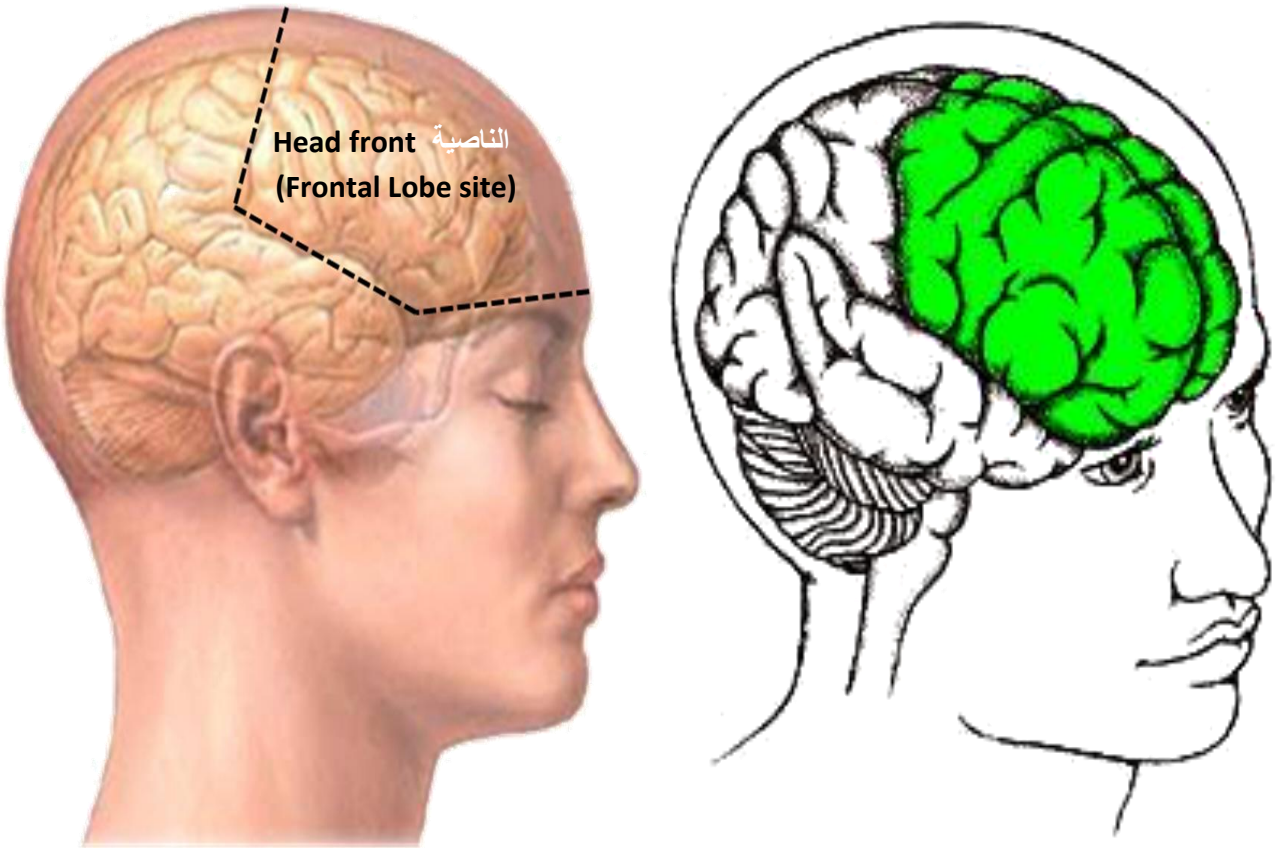

Head front الناصية

(Frontal Lobe site)

الناصية في لغة العرب هي مقدم الرأس.

في الوعيد: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ٩٦العلق:١٥و١٦؛ لم تعد المؤاخذة على المُذنب وإنما ناصيته تخصيصًا، مما يفيد أنها المسئولة فعليا عن اتخاذ القرار بالكذب في القول والخطأ في الفعل، قال القاسمي: "الناصية مقدم الرأس"[١٦٦٢]، وقال ابن جزي: "الناصية مقدم الرأس، فهو كقوله: (فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ) الرحمن:٤١"[١٦٦٣].

ومما بلغته الثقافة نحو القرن الرابع الهجري أن مركز الفكر بالرأس، قال أبو حيان: "فأما الدّماغ فينقسم ثلاثة أقسام يحجز بينها أغشية، أحدها في مقدّم الرأس موضع التخيّل، والثاني في وسط الرأس موضع العقل والفكر والتمييز، والثالث في مؤخّر الرأس موضع الحفظ والذّكر والقبول، فكلّ واحد مما ذكرنا يخدم الآخر، وإن ضعف أحدها ضعف لضعفه الآخر، وباعتدالهنّ وسلامتهنّ قوام البدن والنّفس، ولكلّ واحد منها آلة بها يستعين على خدمة الآخر"[١٦٦٤].

[١٦٦٢] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٩\ ١١٢).

[١٦٦٣] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (٤٩٨\٢).

[١٦٦٤] أبو حيان التوحيدي علي بن العباس (متوفى نحو ٤٠٠هـ)؛ الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العنصرية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ (ص١٨٦).

السفع هو القبض؛ ويعني بالسياق القبض على الجاني الحقيقي لتقديمه للمحاكمة وتلقي العقاب على الجرم.

والسفع هو القبض والجذب، واللفظ يُعَبِّر تمثيلا في السياق بموقف معلوم، وهو إحكام القبضة على الجاني الحقيقي حتى لا يتهم سواه لا ذنب له؛ قطعا لأمله في الهروب؛ وجره بشدة للمحاكمة ليتلقي العقاب على الذنب وفق ما تُمليه قواعد العدل، قال ابن جزي: "والسفع هنا الجذب والقبض على الشيء (للمحاسبة على الذنب)"[١٦٦٥]، وعاد على الناصية تخصيصًا؛ لا صاحبها.

[١٦٦٥] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (٤٩٨/٢).

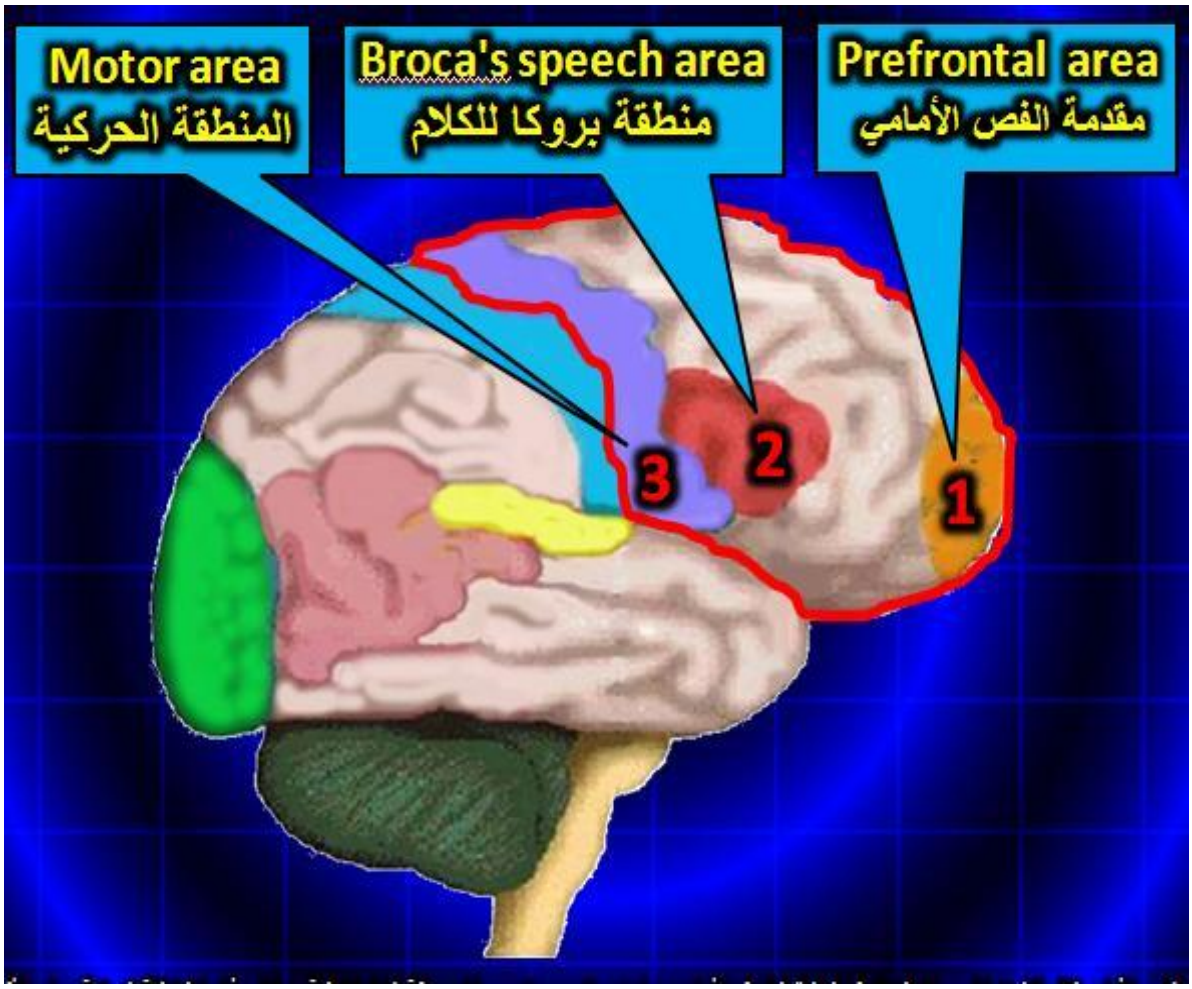

وخلال العقود القليلة الأخيرة قد تأكد بالفعل أن في منطقة الناصية حيث يقبع الفص الأمامي للمخ Frontal lobe؛ وجود مركز مُتخصص في المنطقة الأمامية Pre-frontal area مُهمته اتخاذ القرار حيث تتحدد الشخصية Personality، يليه مركز (بروكا) لصياغة الكلام Broca's speech area، وأخيرًا المنطقة الحركية Motor area، فلم يكُن تخصيص الناصية بالعقوبة إذن من المجاز؛ بل وردت المراكز السلوكية بالآية الكريمة بنفس الترتيب المخبُوء بالدماغ.

قال الرازي: "اعْلَمْ أَنَّ هَذَا مُعْجِزَةٌ قَاهِرَةٌ..، فَإِنَّهُ لَا يَقُولُ هَذَا إِلَّا إِذَا كَانَ وَاثِقًا (أنه) مِنْ عِنْدِ اللَّه تعالى..، ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا)؛ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: النَّاصِيَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْبَتُ الشَّعْرِ فِي مُقَدَّمِ الرَّأْسِ وَيُسَمَّى الشَّعْرُ النَّابِتُ هُنَاكَ نَاصِيَةً بَاسِمِ مَنْبَتِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا وَصَفُوا إِنْسَانًا بِالذِّلَّةِ وَالْخُضُوعِ قَالُوا: مَا نَاصِيَةُ فُلَانٍ إِلَّا بِيَدِ فُلَانٍ، أَيْ أَنَّهُ مُطِيعٌ لَهُ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخَذْتَ بِنَاصِيَتِهِ فَقَدْ قَهَرْتَهُ، وَكَانُوا إِذَا أَسَرُوا الْأَسِيرَ فَأَرَادُوا إِطْلَاقَهُ وَالْمَنَّ عَلَيْهِ جَزُّوا نَاصِيَتَهُ لِيَكُونَ ذَلِكَ عَلَامَةً لِقَهْرِهِ، فَخُوطِبُوا فِي الْقُرْآنِ بِمَا يَعْرِفُونَ، فَقَوْلُهُ: (مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) أَيْ مَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَمُنْقَادٌ لِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ"[١٦٦٦]؛ أي باعتبار الناصية موضع الانقياد.

[١٦٦٦] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١١٨\ ٣٦٥).

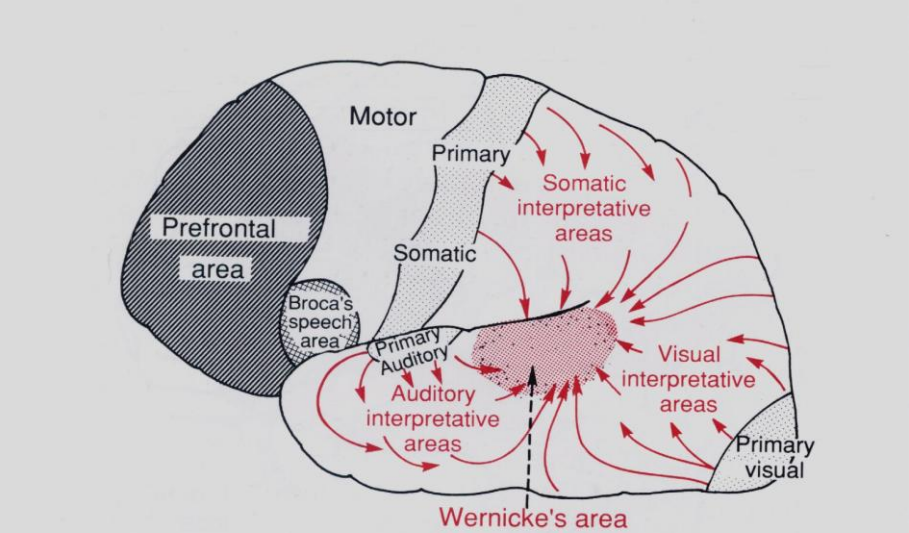

Figure 19–7. Organization of the somatic, auditory, and visual association areas into a general mechanism for interpretation of sensory experience. All these feed also into *Wernicke's area,* located in the posterosuperior portion of the temporal lobe. Note also the prefrontal area and Broca's speech area.

يوجد الفص الأمامي من المخ في منطقة الناصية
وهو مسئول عن تميز الشخصية واتخاذ القرارات.

لم يتخير القرآن الكريم للمؤاخذة على سوء السلوك وضلال الاختيار والكذب في القول والخطأ في الفعل إلا منطقة الناصية أو مقدمة الدماغ حيث يوجد الفص الأمامي من المخ والذي عرف حديثا أنه يتميز بوجود مناطق مهمة سلوكيا تقوم فعلا بتلك الوظائف وبنفس الترتيب في النص الكريم، فالمنطقة الأولى من الفص الأمامي تسمى بمقدمة الفص الأمامي Pre-frontal area، وتقع في الأمام وتقوم بوظيفة اتخاذ القرار وتوجيه السلوك الاجتماعي خاصة؛ ولا يصدر قرار إلا من خلالها، ولذا تُسمى بحارس البوابة Gate Keeper، وتقع خلفها منطقة صياغة الأقوال وتسمى تبعا للعالم الذي اكتشفها بمنطقة بروكا Area of Broca تليها نحو الخلف المنطقة المسئولة عن الأفعال الحركية.

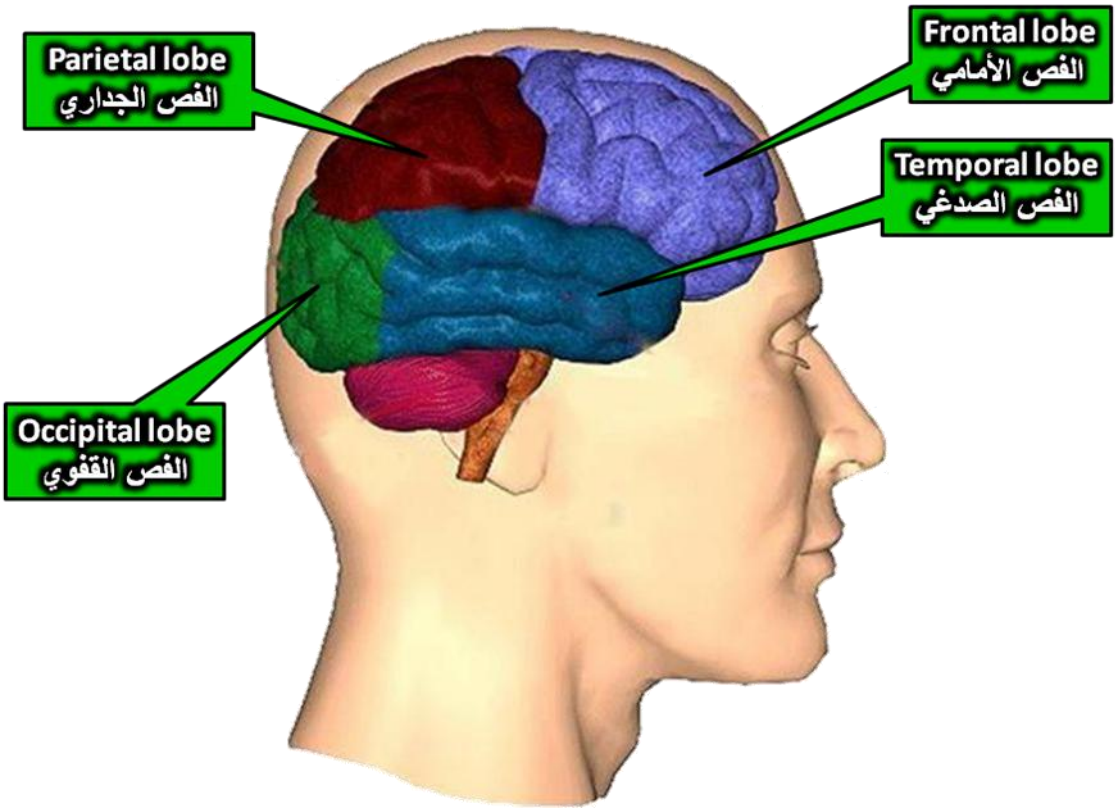

ودماغ الإنسان يحتوي على فصوص رئيسية أربعة هي: الفص الأمامي Frontal Lobe، والفص الخلفي Occipital Lobe، والفص الصدغي Temporal Lobe، والفص الجداري Parietal Lobe، ولكل فص دور وظيفي ينفرد به عن الآخر، وفي نفس الوقت هي مكملة لبعضها البعض، والفص الأمامي يتميّز عن نظيره في الحيوان بأن المناطق المسئولة عن السلوك وعن الكلام متطورة وبارزة من الناحية التشريحية والوظيفية، وهو يحتوي على عدة مراكز عصبية تختلف فيما بينها من حيث الموقع والوظيفة وهي: القشرة الأمامية الجبهية Pre-Frontal Cortex وتقع مباشرة خلف الجبهة وهي تمثل الجزء الأكبر من الفص الأمامي للمخ، وترتبط وظيفتها بتكوين شخصية الفرد ولها أيضاً تأثير في تحديد المبادرة Initiative والتمييز Judgment، ثم مركز بروكا لحركات النطق Motor Speech Area of Broca ويقوم بتنسيق الحركة بين الأعضاء التي تشترك في عملية الكلام كالحنجرة واللسان والوجه، ثم مناطق الحركة وتشمل الحقل العيني الجبهي Frontal Eye Field ويقوم بالتحريك المتوافق للعينين إلى الجهة المقابلة، ومركز حركة العضلات الأولي والثانوي Primary & Secondary Motor Areas وكليهما مسئولان عن حركة العضلات الإرادية، وهكذا ثبت أن مقدمة الفص الأمامي القابعة في عمق الناصية هي الموجهة للسلوك والمميزة للشخصية، وقد تؤدي إصابتها إلى هبوط في المعايير الأخلاقية ودرجة التذكر والقدرة على حل المشكلات العقلية.

Phineas Gage
(1823 –1860)

ترجع المعرفة بموضع السلوك الإرادي لانفجار وقع عام ١٨٤٨ فدفع بقضيب حديدي ليخترق ناصية دماغ عامل السكة الحديد فينياس جاج Phineas Gage ويتلف مُقدمة الفص الأمامي الأيسر للمخ، وقد رصد د. مارتن هارلو Martyn Harlow جملة مظاهر على فقدان العامل جاج للتحكم الإرادي في السلوك، وهكذا عرفت البشرية للمرة الأولى في التاريخ أن ناصية الدماغ هي موضع التحكم الإرادي في السلوك.

لم تُحل إذن معضلة اتهام الناصية تخصيصًا دون صاحبها ودون بقية الأعضاء إلا حديثا في عصر العلم؛ والنص صريح تصويرا لمحاسبة العضو المسئول حقيقة عن السلوك، وبعد اكتشاف دورها في توجيه السلوك وتمييز الشخصية لا تفسر مصادفة اختيار هذا الجزم تحديدا للمؤاخذة؛ عند فطين يعيش في عصر تحقق وعد قطع به القرآن في مثل قوله تعالى: "لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ" الأنعام:٦٧.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير الجلالين: "{كَلَّا}: رَدْع لَهُ، {لَئِنْ}: لَام قَسَم، {لَمْ يَنْتَهِ}: عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ الْكُفْر، {لَنَسْفَعًا بالناصية}: لنجرن بِنَاصِيَتِهِ إِلَى النَّار، {نَاصِيَة}: بَدَل نَكِرَة مِنْ مَعْرِفَة، {كَاذِبَة خَاطِئَة}: وَصَفَهَا بِذَلِكَ مَجَاز وَالْمُرَاد صَاحِبهَا"[١٦٦٧].

وقال الماوردي: "{أَرَأَيْتَ الذي يَنْهَى عَبْداً إذا صَلَّى} نزلت في أبي جهل، روى أبو هريرة أن أبا جهل قال: واللات والعزّى لئن رأيت محمداً يصلّي بين أظهركم لأطأن رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ رقبته، فما فجأه منه إلا وهو ينكص، أي يرجع على عقبيه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهواء وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)، وروى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل)، وكانت الصلاة التي قصد فيها أبو جهل رسول الله صلاة الظهر، وحكى جعفر بن محمد أن أول صلاة جماعة جمعت في الإسلام، يوشك أن تكون التي أنكرها أبو جهل، صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عليّ رضي الله عنه فمرّ به أبو طالب ومعه ابنه جعفر، فقال: صل جناح ابن عمك، وانصرف مسروراً يقول: (إنَّ عليّاً وجعفرا ثقتي ... عند مُلِمّ الزمان والكُرَبِ، والله لا أخذل النبيّ ولا ... يخذله من كان ذا حَسَبِ، لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمي من بنيهم وأبي)، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، {أرأيْتَ إن كان على الهُدَى أو أمَرَ بالتّقْوَى} فيه قولان؛ أحدهما: يعني أبا جهل، ويكون فيه إضمار، وتقديره: ألم يكن خيراً له، الثاني: هو النبي صلى الله عليه وسلم كان على الهدى في نفسه وأمر بالتقوى في طاعة ربه، وفي قوله (أرأيْتَ) احتمال الوجهين؛ أحدهما: أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، الثاني: خطاب عام له ولأمته، والمُراد به على الوجهين هدايته، ويكون في الكلام محذوف، وتقديره: هكذا كان يفعل به، {أرأيْتَ إن كَذَّبَ وَتَوَلّى} يعني أبا جهل، وفيه وجهان؛ أحدهما: كذب بالله وتولى عن طاعته، الثاني: كذب بالقرآن وتولى عن الإيمان، ويحتمل ثالثاً: كذب بالرسول وتولى عن القبول، {ألم يَعْلَمْ بأنَّ الله يَرَى} يعني أبا جهل، وفيه وجهان؛ أحدهما: ألم تعلم يا محمد أن الله يرى أبا جهل؟ الثاني: ألم تعلم يا أبا جهل أن الله يراك؟ وفيه وجهان؛ أحدهما: يرى عمله ويسمع قوله، الثاني: يراك في صلاتك حين نهاك أبو جهل عنها، ويحتمل ثالثاً: يرى ما همّ به أبو جهل فلا يمكنه من رسوله، {كلا لئِن لم يَنْتَهِ لنسفعاً بالنّاصِيةِ} يعني أبا جهل؛ وفيه وجهان: أحدهما: يعني لنأخذن بناصيته؛ قاله ابن عباس، وهو عند العرب أبلغ في الاستذلال والهوان..، الثاني: معناه تسويد الوجوه وتشويه الخلقة بالسفعة السوداء، مأخوذ من قولهم قد سفعته النار أو الشمس إذا غيرت وجهه إلى حالة تشويه..، والناصية شعر مقدم الرأس، وقد يعبّر بها عن جملة الإنسان، كما يقال هذه ناصية مباركة إشارة إلى جميع الإنسان، ثم قال: {ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ} يعني ناصية أبي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها، {فلْيَدْعُ نادِيَهُ} يعني أبا جهل، والنادي مجلس أهل الندى والجود ومعنى (فليدع نادية) أي فليدع أهل ناديه من عشيرة أو نصير، {سَنَدْعُ الزّبانِيةَ} والزبانية هم الملائكة من خزنة جهنم، وهم أعظم الملائكة خلقاً وأشدهم بطشًا، والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه..، {كلا لا تُطِعْهُ} قال أبو هريرة: كلا لا تطع أبا جهل في أمره، ويحتمل نهيه عن طاعته وجهين؛ أحدهما: لا تقبل قوله إن دارك ولا رأيه إن قاربك، الثاني: لا تجبه عن قوله، ولا تقابله على فعله، ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اللهم لا تطع فينا مسافراً) أي لا تجب دعاءه لأن المسافر يدعو بانقطاع المطر فلو أجيبت دعوته لهلك الناس، {واسْجُدْ واقْتَرِبْ} فيه وجهان؛ أحدهما: اسجد أنت يا محمد مصلياً، واقترب أنت يا أبا جهل من النار؛ قاله زيد بن أسلم، الثاني: اسجد أنت يا محمد في صلاتك لتقرب من ربك، فإن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا سجد له"[١٦٦٨].

[١٦٦٧] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (٨١٥).

[١٦٦٨] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ٣٠٦).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Medicine

علم الطب

المَوْضُوع Subject

Brain

المخ

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى. عَبْدًا إِذَا صَلَّى. أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى. أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى. أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى.**

أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى. كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ٩٦العلق:٩-١٦.

- **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ٢البقرة:١٧و١٨.**

- **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٠.**

- **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٧١.**

- **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٦الأنعام:٣٩.**

- **﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ١٧الإسراء:٩٧.**

- **﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ٣٢السجدة:١٢.**

- **﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ٩٦العلق:١٥و١٦.**

- **﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ. لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ٦٩الحاقة:١١و١٢.**

- **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ٥٠ق:٣٧.**

- **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ٢٢الحج:٤٦.**

- **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ. أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ٤٧محمد:٢٣و٢٤.**

فهرس الآيات

- المقدمة ٤
- قائمة الموضوعات ٥
- ١الفاتحة ٢ ..... ١٠
- ٢البقرة ٧ ..... ١٩
- ٢البقرة ١٧ ..... ٢٦
- ٢البقرة ١٨ ..... ٣١
- ٢البقرة ١٩-٢٠ ..... ٣٧
- ٢البقرة ٢٢ ..... ٤٤
- ٢البقرة ٢٦ ..... ٥٣
- ٢البقرة ٢٩ ..... ٦٥
- ٢البقرة ٦١ ..... ٧٧
- ٢البقرة ٧٤ ..... ٩٢
- ٢البقرة ٧٩ ..... ١٠١
- ٢ البقرة ١٦٤ ..... ١١٠
- ٢البقرة ١٨٣-١٨٧ ..... ١٢٤
- ٢البقرة ٢٢٢ ..... ١٣٧
- ٢البقرة ٢٢٣ ..... ١٤٢
- ٢البقرة ٢٢٨ ..... ١٤٧
- ٢البقرة ٢٣٤ ..... ١٥٦
- ٢البقرة ٢٥٦ ..... ١٦٦
- ٢البقرة ٢٦٥ ..... ١٧٣
- ٢البقرة ٢٦٦ ..... ١٨١
- ٤النساء ٥٦ ..... ١٩٨
- ٤النساء ١٧١ ..... ٢٠٨
- ٥المائدة ٦ ..... ٢٢٢
- ٦الأنعام ٩٦-٩٧ ..... ٢١٣
- ٦الأنعام ٩٨ ..... ٢٤٨
- ٦الأنعام ٩٩ ..... ٢٦٢
- ٦الأنعام ١٢٥ ..... ٢٨٢
- ٦الأنعام ١٤٥ ..... ٢٩٦
- ٧الأعراف ٣١ ..... ٣٠٥
- ٧الأعراف ١٣٣ ..... ٣١٧

- ٧الأعراف ١٧٥-١٧٦ ..... ٣٥١
- ٧الأعراف ١٨٩-١٩٠ ..... ٣٧٦
- ٨الأنفال ١٢ ..... ٣٩٣
- ١٠يونس ١٩ ..... ٤٠٦
- ١٠يونس ٦١ ..... ٤٣٠
- ١١هود ٤٤ ..... ٤٤٩
- ١١هود ٨٢-٨٣ ..... ٤٦٨
- ١٣الرعد ٤ ..... ٤٩٧
- ١٣الرعد ٨ ..... ٥٠٦
- ١٣الرعد ١٠-١١ ..... ٥٣١
- ١٣الرعد ١٢-١٣ ..... ٥٥٩
- ١٣الرعد ١٥ ..... ٥٧٠
- ١٥الحجر ١٤-١٥ ..... ٥٧٨
- ١٦النحل ٥-٩ ..... ٥٩٣
- ١٦النحل ٨-٩ ..... ٦١١
- ١٦النحل ٤٨ ..... ٦٢٥
- ١٦النحل ٦٨-٦٩ ..... ٦٣٤
- ١٧الإسراء ٣٢ ..... ٦٤٠
- ٢١الأنبياء ٣٠ ..... ٦٤٦
- ٢١الأنبياء ٣٢ ..... ٦٥١
- ٢٢الحج ٤٧ ..... ٦٦٣
- ٢٢الحج ٧٣ ..... ٧١٥
- ٢٣المؤمنون ١-٢ ..... ٧٢١
- ٢٣المؤمنون ١٢-١٤ ..... ٧٢٩
- ٢٣المؤمنون ١٨ ..... ٧٤١
- ٢٤النور ٣٥ ..... ٧٤٦
- ٢٤النور ٣٩ ..... ٧٦٩
- ٢٤النور ٤٠ ..... ٧٧٦
- ٢٥الفرقان ٥٣ ..... ٧٨٦
- ٢٥الفرقان ٦١ ..... ٧٩٢
- ٢٧النمل ٨٨ ..... ٨١٠
- ٢٩العنكبوت ٢٠ ..... ٨٢١
- ٢٩العنكبوت ٤١ ..... ٨٥٤
- ٣٠الروم ٢-٥ ..... ٨٥٩

- ٣٠الروم ٤١ ..... ٨٦٦
- ٣٠الروم ٤٨ ..... ٨٧٣
- ٣١لقمان ١٦ ..... ٨٨٢
- ٣٢السجدة ٥ ..... ٨٩٩
- ٣٤سبأ ٣ ..... ٩٥٤
- ٣٥فاطر ١٢ ..... ٩٧٢
- ٣٦يس ٣٨ ..... ٩٨٠
- ٣٦يس ٦٨ ..... ٩٨٧
- ٣٩الزمر ٥ ..... ١٠٠٥
- ٤١فصلت ٣٩ ..... ١٠١٠
- ٤٢الشورى ٢٩ ..... ١٠١٥
- ٤٧محمد ١٥ ..... ١٠٢٢
- ٤٧محمد ١٨ ..... ١٠٢٨
- ٥١الذريات ٧-٨ ..... ١٠٤٠
- ٥٢الطور ٦ ..... ١٠٦٥
- ٥٥الرحمن ١٩-٢٠ ..... ١٠٧٢
- ٥٦الواقعة ٧٥-٧٦ ..... ١٠٧٩
- ٥٧الحديد ٢٥ ..... ١٠٨٥
- ٦٥الطلاق ١٢ ..... ١٠٩٢
- ٦٧الملك ٢ ..... ١٠٩٩
- ٦٧الملك ٥ ..... ١١٠٦
- ٧٠المعارج ٤ ..... ١١١٢
- ٧١نوح ١٣-١٤ ..... ١١٦٦
- ٧٥القيامة ٣-٤ ..... ١١٧٨
- ٧٦الإنسان ٢ ..... ١١٨٣
- ٧٧المرسلات ٢٠-٢٢ ..... ١١٩٦
- ٧٨النبأ ٦-٧ ..... ١٢٠٨
- ٧٩النازعات ٢٧-٣٣ ..... ١٢١٧
- ٨١التكوير ١٥-١٦ ..... ١٢٥٢
- ٨١التكوير ١٧-١٨ ..... ١٢٦٢
- ٨٦الطارق ١-٥ ..... ١٢٦٩
- ٨٦الطارق ٥-٧ ..... ١٢٨١
- ٨٦الطارق ١١ ..... ١٢٩٩
- ٨٦الطارق ١٢ ..... ١٣٠٥

- ٨٧الأعلى ١-٣ ..... ١٣١٢
- ٨٨الغاشية ١٧-٢٠ ..... ١٣٢١
- ٩٦العلق ١٥-١٦ ..... ١٣٣٣
- الفهرس ١٣٤٥